1

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي شرح بالطريقة المحمدية صدور عباده الابراره حتى سرح طرف قلوبهم في الحدايق اليانعة من تلك المعارف والاسراره واذاقهم حلاوة مناجاته في خلوات عباداته، وكشف عن وجوههم استار الاغياره فتسابقوا في ميدان التوحيد على خيل التجريد، مسرجة بالتفريد، فلم يدرك لها غباره وجعلهم حجة على اهل الغفلة المكبلين في قيود الاغتراره ومحجة واضحة الى عناية الملك الجليل، وحماية الملك الجباره والصلاة والسلام على سيدنا وسندنا محمد النبي المختاره الذي اهتدى بانوار شرايعه، وارتوى بانوار ذرايعه، ذو الغواية المحتاره صاحب اللواء المعقود والمقام المحمود، الموصل كل من اتبعه الى رؤية الله تعالى في دار القراره وعلى اله السادة الاطهاره الطالعين في سموات السلالة الشريفة طلوع الشموس والاقماره وعلى اصحابه الايمة الكاملين في جميع الاطواره اهل الزهد والتوكل والاستقامة والايثاره خصوصا الخلفاء الاربعة منهم والمهاجرين والانصاره وعلى التابعين لهم باحسان ما تعاقب الليل والنهاره **اما بعد** فيقول الفقير الحقير المعترف بالعجز والتقصير **عبد الغني** ابن اسماعيل بن عبد الغني بن اسماعيل بن احمد بن ابراهيم بن اسماعيل بن ابراهيم بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن ابراهيم بن سعد الله بن جماعة النابلسي الدمشقي الحنفي اخذ الله تعالى بيده وامده بمدده ورحم الله اجداده واسلافه وسقاهم من الرحيق المختوم في الجنان سلافه لما ارسل الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق واظهره على الدين كله ما جل منه وما دق كانت الشريعة ما ظهر للمجتهدين من اقواله وافعاله والطريقة ما تبين للسالكين من اخلاقه واحواله والحقيقة ما انكشف للواصلين من مكاشفاته في معاملاته وخطر على باله وللشريعة فقهاء وكتبهم مؤلفة في ذلك وللطريقة فضلاء وكتبهم مصنفة للسالك وللحقيقة علماء وكتبهم مشيرة الى ما هنالك وان من اجل المصنفات في علم الطريقة التي هي البرزخ المتوسط بين الشريعة والحقيقة كتاب الطريقة المحمدية

والبرية

والبرية الاحمدية التي صنفها الشيخ الامام والمولى الهمام العالم العامل والفاضل الكامل محمد افندي الرومي البركلي تغمده الله تعالى برحمته ورضوانه واسكنه فسيح جناته كان ابوه رحمه الله تعالى رجلا عالما من اصحاب الزوايا ونشأ هو في طلب العلوم والمعارف حتى برع فيها واشتغل على المولى محي الدين اخي زاده وصار ملازما من المولى عبد الرحمن احد قضاة العساكر في زمن السلطان سليمان ثم غلب عليه الزهد والصلاح واتصل بخدمة الشيخ المرشد عبد الله القرماني البيرامي ثم امره شيخه بالعود الى الاشتغال بمدارسة العلوم وافادة الطلبة فانتفع به خلق كثير وحصل بينه وبين عطا معلم السلطان سليم محبة ومودة فبنى عطا المذكور مدرسة بقصبة بركلي وجعله مدرسا فيها وعين له في كل يوم ستين درهما وله من المصنفات هذا الكتاب الذي سماه الطريقة المحمدية وشرح مختصر الكافية للبيضاوي في النحو وله متن لطيف في علم الفرايض وله في الحديث والقراآت والفقه تعاليق ورسايل كان قايما بالحق لا تأخذه في الله لومة لايم بنصر الشريعة ولا يهاب كبيرا ولا صغيرا مع كمال الزهد والصيانة والورع والديانة توفي في جمادى الاولى سنة احدى وثمانين وتسعماية رحمه الله تعالى وكتابه هذا الذي من كتاب لطيف وتاليف شريف مزج فيه المسايل الفقهيات بالمقامات الزهديات وجمع بين الفوايد العلميات والزوايد الاعتقاديات واتقن تحريره واوضح تقريره ونصح فيه الامة وازال به عن القلوب الغمة وقد دعاني الى شرحه بعض الاصحاب جعلني الله تعالى واياه من المؤيدين بالعناية والصواب ولم اكن وقفت له على شرح يكشف عن عباراته ويوضح ما اشكل عنه القاصرين من اشاراته فشرعت في شرح له مختصر المباني مستجمع المعاني يجذب الى محاسنه قلوب اهل الكمال ويصرف عن التطفل على موايد فوايده اهل التعصب من الجهال وقد سميته **الحديقة الندية** شرح الطريقة المحمدية ومن الله استمد الهداية والتوفيق واساله ان يوقيني مواضع الزلل ويؤيدني بالتحقيق وان ينفع بكتابي هذا امة محمد عليه الصلاة والسلام ويوفقهم للعلم والعمل به ويمنحني واياهم حسن الختام وحسبنا الله ونعم الوكيل والله يقول الحق وهو يهدي السبيل قال المصنف رحمه الله تعالى **بسم الله الرحمن الرحيم** الاسم كلمة وضعتها العرب بازاء مسمى متى اطلقت فهم منها ذلك المسمى فعلى هذا لا بد من مراعاة اربعة اشياء الاسم والمسمى بفتح الميم والمسمي بكسرها والتسمية فالاسم هو اللفظ الموضوع على الذات لتعريفها او تخصيصها عن غيرها كلفظ زيد والمسمى هو الذات المقصود تمييزها بالاسم كشخص زيد والمسمي هو الواضع لذلك اللفظ والتسمية هي اختصاص ذلك اللفظ بتلك الذات والوضع تخصيص لفظ بمعنى اذا اطلق او احس به فهم ذلك المعنى واختلفوا هل الاسم عين المسمى او غيره وهي مسئلة طويلة تكلم الناس فيها قديما وحديثا فذهب قوم الى ان الاسم عين المسمى واستدلوا عليه بقوله تعالى سبح اسم ربك الاعلى والتسبيح انما

هو للرب جل وعلا فدل علي ان اسمه هو هو واجيب بانه اشرب معني سبح اذكر فكانه
قال اذكر اسم ربك لقوله تعالي واذكر اسم ربك بكرة واصيلا وقد اشرب معني اذكر
سبح عكس الاول قال تعالي اي سبح ربك والاشراب جار في لغتهم يشربون معني فعل
فعلا واستشكل علي معني كونه هو المسمي اضافته اليه فانه يلزم منه اضافة الشي الي نفسه
واجيب بان الاسم هو بمعني التسمية والتسمية غير الاسم لان التسمية هي التلفظ بالاسم والاسم
هو اللازم للمسمي فتغايرا واحتج من قال بان الاسم عين المسمي ايضا بقوله تعالي بغلام
اسمه يحيي ثم قال يا يحيي خذ الكتاب بقوة فناد الاسم فدل علي انه المسمي وجوابه ان المعني
يا ايها الغلام الذي اسمه يحيي ولو كان الاسم عين المسمي لكان من قال النار احترق ومن
قال العسل ذاق حلاوته كذا قال القسطلاني في مواهبه وذكرنا في كتابنا المطالب
الوفية اختلاف العلماء في الاسم والمسمي والتسمية علي اثنين واربعين قولا وحررنا هذه
المسئلة هناك اكمل تحرير باوضح تقرير وفي حاشية تفسير البيضاوي لشيخي زاده
ذهب جمهور اهل اللغة في اسم الله الي انه في الاصل مشتق صار علما بالغلبة لان اسماء الله تعالي
كلها صفات مشتقة ليعرف المكلف معناها فيتوسل بها اليه فان قدماء الفلاسفة
انكروا ان يكون لله تعالي بحسب ذاته المخصوصة اسم بناء علي ان المراد من وضع
ذلك الاسم ان يذكر عند احد لتعريف ذلك المسمي به وقد ثبت ان احدا من خلقه
لا يعرف ذاته المخصوصة البتة فكيف يشار اليه بذكر اسم واذا لم يصح ان يشار اليه
بذكر اسم لم يبق لوضع الاسم لذاته المخصوصة فائدة فثبت ان هذا النوع من الاسم مفقود
وان جميع اسمائه صفات مشتقة وهي ما تدل علي ذات مبهمة باعتبار معنى معين وانما
قلنا ان ذاته المخصوصة ليس معقولا لاحد لانا اذا رجعنا الي عقولنا لا نجد
عند عقولنا من معرفة الله تعالي الا احد امور اربعة اما العلم بكونه موجودا
واما العلم بدوام وجوده واما العلم بصفات الجلال وهي الاعتبارات
السلبية واما العلم بصفات الاكرام وهي الاعتبارات الاضافية وقد ثبت
بالدليل ان ذاته المخصوصة مغايرة لكل واحد من هذه الاربعة فانه ثبت ان
حقيقته غير وجوده وان كان كذلك كانت حقيقته ايضا مغايرة لدوام
وجوده وثبت ايضا ان حقيقته مغايرة للاعتبارات السلبية والاضافية
واذ قد تحقق انه ليس في عقولنا من معرفته تعالي الا هذه الامور الاربعة وانها
مغايرة لحقيقته المخصوصة غير معقولة للبشر وانه لا سبيل الي ادراكه من
حيث هو هو وهو المسمي بالمعرفة الذاتية وانما نعرفه بالامور الخارجية عنه
وهو المعرفة العرضية وهي كما اذا راينا بناء بطريق الابصار بانه لا بد له من
بان فالمعلوم بالذات هو البناء واما الباني فهو معلوم بالعرض في هذه
الصورة وعلم الباني بكونه بانيا له لا يستلزم علمه بخصوصيته وخصوصية حقيقته

وانها من اي نوع الماهيات والمعرفة الذاتية كما اذا عرفنا اللون المعين ببصرنا
وعرفنا الحرارة بلمسنا وعرفنا الصوت بسمعنا فانه لا حقيقة للحرارة والبرودة الا هذه
الكيفية الملموسة ولا حقيقة للبياض والسواد الا هذه الكيفية المرئية وكذا الحال
اذا راينا المحدثات وعلمنا احتياجها الي محدث وخالق فقد عرفنا الله معرفة
عرضية وهي التي في وسع البشر في الدنيا واجاب بعضهم انه لا يمتنع في قدرة الله
تعالي ان يشرف بعض المقربين من عباده بان يجعله عارفا بتلك الحقيقة المخصوصة
ومن العلماء من تورع في لفظ الجلالة عن طلب ماخذه وذكر معناه ومنهم من قال لعله
مشتق لا نعرف المشتق منه ولم نكلف بمعرفته وقال بعضهم هو اسم عربي علم غير مشتق كما
ذهب اليه الخليل والزجاج وقال بعضهم انه سرياني معرب ثم ذكر اشتقاقه واطال الكلام
في ذلك والرحمن الرحيم اسمان بنيا للمبالغة من رحم كالغضبان من غضب والعليم
من علم بان جعل الفعل المتعدي لازما بمنزلة الغرائز لتفيد المبالغة فنقل الي فعل
بضم العين فاشتق منه الصفة المشبهة وانما ابتداء بالبسملة اقتفاء لاثر القران
العظيم واحترازا عما حذر منه الرسول الرحيم بقوله عليه الصلاة والتسليم كل امر ذي
بال لا يذكر فيه يعني حالا يهتم به شرعا فيخرج المحرم والمكروه وفي المباح كلام لا يبدأ
فيه بسم الله الرحمن الرحيم فهو اجزم اي اقطع بمعني مقطوع البركة الحمد لله وهو لغة الثنا
بالجميل ولو ادعاء الاختياري ولو ما لا علي جهة التعظيم وعرفا فعل ينبئ عن تعظيم المنعم
من حيث انه منعم علي الحامد او غيره فمورده عام لشمول الفعل ومتعلقه خاص وهو النعمة
والمدح لغة الثناء باللسان علي الجميل مطلقا اختياريا كان او غيره علي جهة التعظيم
وعرفا فعل شيء عن تعظيم الممدوح والشكر لغة فعل عن تعظيم المنعم من حيث انه
منعم علي الشاكر او غيره وعرفا صرف العبد جميع ما انعم الله به عليه من السمع وغيره الي ما
خلق لاجله وتمامه في كتاب الاحكام للشيخ الوالد رحمه الله تعالي واعقب التسمية بالتحميد
اقتداء باسلوب الكتاب المجيد وعملا بقوله عليه السلام كل امر ذي بال لا يبدأ
فيه بحمد الله فهو اقطع رواه ابو داود وغيره من حديث ابي هريرة ولا تعارض
بين حديثي البداءة بالتسمية والتحميد لارادة الحمد العرفي وهو اعم من فعل اللسان
فانه يحصل بالقلب فيمكن البداءة معا في وقت واحد بالتسمية باللسان وبالحمد له
بالقلب كما حررته في كتابتي علي اوايل تفسير البيضاوي فيكون ذكره باللسان ايضا
اخبارا عما في القلب وتاكيدا له الذي جعلنا معشر امة محمد صلي الله عليه وسلم
امة الاجابة وهم المؤمنون ويحتمل ان يراد جميع من ارسل اليهم محمد صلي
الله عليه وسلم وهم امة الدعوة ايضا علي تقدير ايمانهم لو كانوا مؤمنين امة
اي جماعة وسطا بالتحريك اي خيارا عدولا مزكين بالعلم ولهذا اعقبه في الاية بقوله
لتكونوا شهداء علي الناس لان منصب الشهادة مفتقر لوصف العدالة وبهذا تقوي
دليل ابي حنيفة رضي الله عنه في جعله كل مسلم عدلا وقال انه فهم هذا باعتبار

الكل المجموع لا باعتبار الافراد ولصحة هذا الاعتبار قال تعالى ذوي عدل منكم
مما يتسارع اليه الخلل والاعوار والاوساط محمية محفوظة فسر الوسط بالعدل
لانه عدل بين الاطراف ليس الى بعضها باقرب من بعض ذكره ابن اقرس في فتح الصفا
شرح الشفا وقال البيضاوي الوسط في الاصل اسم للمكان الذي تستوي فيه المساحة
من الجوانب ثم استعير للخصال المحمودة لوقوعها بين طرفي افراط وتفريط كالجود بين
الاسراف والبخل والشجاعة بين التهور والجبن ثم اطلق على المتصف بها مستويا
فيه الواحد والجمع والمذكر كساير الاسماء التي يوصف بها خير امم الاول اقتباس من قوله
تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم
شهيدا وهذا اقتباس ايضا من قوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس فان الاقتباس
تضمين الكلام شيا من القران والحديث لا على انه منه كما ذكره علماء البديع فلا يضر
الحذف والتعبير قال الكازروني في حاشية البيضاوي ولا يجب في الاقتباس الا
الايتان ببعض الفاظ القران او الحديث واما ايراده من غير زيادة ولا نقصان
فلا يجب انتهى فتامل قوله كنتم اي في اللوح المحفوظ او في علم الله او فيما بين الامم
المتقدمين وهو دليل على خيريتهم فيما مضى ولا يدل على انقطاع طر[ا]كقوله تعالى وكان
الله غفورا رحيما قال ابن اقرس خير امة اي افضل امة لان دينه صلى الله عليه وسلم
خير الاديان لقوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام وهو شهادة الله والملائكة
واولي العلم وكفى شهيدا وهذه منة عظيمة من الله تعالى على عباده بهذا النبي صلى
الله عليه وسلم وقال السلمي في حقايقه قال يحيى بن معاذ هذه مدحة لهم ولم يكن
الله تعالى ليمدح قوما ثم يعذبهم وقال جعفر الصادق يامرون بالمعروف وهو موافقة
الكتاب والسنة وفي مواهب القسطلاني قال مجاهد كنتم خير امة اخرجت للناس
اذا كنتم على الشرايط المذكورة اي تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وقيل
انما صارت امة محمد عليه السلام خير امة لان المسلمين منهم اكثر والامر بالمعروف
والنهي عن المنكر فيهم فشى فقيل هذا لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وكما قال
عليه السلام خير الناس قرني ثم الذين يلونهم وهذا يدل على ان اول هذه الامة
افضل ممن بعدها والى هذا ذهب بعض العلماء وان من صحبه صلى الله عليه وسلم
وراه ولو مرة من عمره افضل من كل من ياتي بعده وان فضيلة الصحبة لا يعدلها
عمل وهذا مذهب الجمهور وذهب ابو عمر بن عبد البر الى انه يكون فيمن ياتي
بعد الصحابة افضل ممن كان في جملة الصحابة وان قوله عليه السلام خير الناس
قرني ليس على عمومه بدليل ما يجمع القران بين الفاضل والمفضول وقد جمع
قرنه عليه السلام جماعة من المنافقين المظهرين الايمان واهل الكباير الذين
اقام عليهم وعلى بعضهم الحدود وقد روى ابو امامة انه صلى الله عليه وسلم قال طوبى

لمن راني وامن بي مرة وطوبى لمن لم يرني وامن بي سبع مرات وفي مسند ابي داود الطيا
لسي عن محمد عن ابي حميد عن زيد بن اسلم عن ابيه عن عمر قال كنت جالسا عند النبي صلى
الله عليه وسلم فقال اتدرون اي الخلق افضل ايمانا قلنا الملايكة قال وحق لهم بل غيرهم
قلنا الانبياء قال وحق لهم بل غيرهم ثم قال صلى الله عليه وسلم افضل الخلق ايمانا قوم في
اصلاب الرجال يؤمنون بي ولم يروني فهم افضل الخلق ايمانا وروى ان عمر بن عبد
العزيز لما ولي الخلافة كتب الى سالم بن عبد الله ان اكتب الي بسيرة عمر ابن الخطاب لاعمل بها
فكتب اليه سالم ان عملت بسيرة عمر فانت افضل من عمر لان زمانك ليس كزمان عمر ولا رجا
لك رجال عمر وكتب الى فقهاء زمانه فكلهم كتب بمثل قول سالم قال ابو عمر فهذه الاحاديث
يقتضي تواتر طرقها وحسنها التسوية بين اول هذه الامة واخرها في فضل العمل الا
اهل بدر والحديبية ومن تدبر هذا الباب بان له الصواب والله يؤتي فضله من يشاء
واسناد حديث ابي داود الطيالسي الى عمر ضعيف فلا يحتج به لكن روى احمد
والدارمي والطبراني عن ابي عبيدة يا رسول الله احد خير منا اسلمنا معك وجا
هدنا معك قال قوم يكونون من بعدكم يؤمنون بي ولم يروني واسناده حسن وصححه
الحاكم والحق ما عليه الجمهور ان فضيلة الصحبة لا يعدلها عمل لمشاهدة رسول الله صلى
الله عليه وسلم والدلايل على افضلية الصحابة على غيرهم كثيرة متظاهرة لا نطيل
بذكرها انتهى ويمكن التوفيق بين ما ذهب اليه ابو عمر بن عبد البر وبين ما ذهب اليه
الجمهور بان الصحابة افضل من وجه الصحبة التي لا يعدلها عمل ويمكن ان يكون غيرهم افضل
منهم من وجوه اخرى وبهذا يندفع التعارض بين الاحاديث والله اعلم **والصلاة** هي من
الله تعالى الرحمة ومعناها تعظيم شريعته وابقاؤها الى يوم القيمة وفي الاخرة تشفيعه في
امته ومن الملائكة الاستغفار وهو من باب قوله صلى الله عليه وسلم انه ليغان على
قلبي واني لاستغفر الله في كل يوم مائة مرة على احد الوجوه ومن المؤمنين دعاء
له ببعثه المقام المحمود واولى ما يراد بها ههنا ما امرنا به صلى الله عليه وسلم بقوله
سلوا لي الوسيلة والفضيلة والدرجة العالية الرفيعة ذكره الوالد رحمه الله تعالى
في احكامه وفي مواهب القسطلاني قال ابو العالية معنى صلاة الله على نبيه ثناؤه
عليه عند الملائكة ومعنى صلاة الملائكة عليه الدعاء قال في فتح الباري وهذا
اولى الاقوال فيكون معنى صلاة الله تعالى ثناؤه عليه وتعظيمه وصلاة الملائكة
وغيرهم طلب ذلك له من الله تعالى والمراد طلب الزيادة لا طلب اصل الصلاة وعن
ابن عباس ان معنى صلاة الملائكة الدعاء بالبركة وروى ابن ابي حاتم عن مقاتل بن
حيان قال صلاة الله مغفرته وصلاة الملائكة الاستغفار وقال الضحاك بن مزاحم
صلاة الله رحمته وفي رواية عنه مغفرته وصلاة الملائكة الدعاء اخرجهما اسماعيل
القاضي عنه وكانه يريد الدعاء بالمغفرة ونحوها وقال المبرد الصلاة من الله الرحمة

ومن الملايكة رقة تبعث على استدعاء الرحمة وتعقب بان الله غاير بين الصلاة والرحمة
في قوله سبحانه اوليك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وكذلك فهم الصحابة المغايرة من قوله
تعالى صلوا عليه وسلموا تسليما حتى سئلوا عن كيفية الصلاة مع تقدم ذكر الرحمة في تعليم
السلام حيث جاء بلفظ السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته واقرهم النبي صلى الله
عليه وسلم فلو كانت الصلاة بمعنى الرحمة لقال لهم قد علمتم ذلك في السلام وجوز الحليمي
ان تكون الصلاة بمعنى السلام عليه وفيه نظر وقيل صلاة الله على خلقه تكون خاصة
وتكون عامة فصلاته على انبيايه هي ما تقدم من الثناء والتعظيم وصلاته على غيرهم الرحمة
فهي التي وسعت كل شيء وحكى القاضي عياض عن بكر القشيري انه قال الصلاة على النبي
صلى الله عليه وسلم من الله تشريف وزيادة تكرمة وعلى من دون النبي رحمة وبهذا يظهر
الفرق بين النبي وبين ساير المومنين حيث قال في سورة الاحزاب ان الله وملا
يكته يصلون على النبي وقال قبل ذلك في السورة المذكورة هو الذي يصل عليكم
وملايكته ومن المعلوم ان القدر الذي يليق بالنبي صلى الله عليه وسلم التقرب الى
الله تعالى بامتثال امره تعالى وتقضاء حق النبي صلى الله عليه وسلم علينا وتبعه ابن
عبد السلام فقال ليست صلاتنا على النبي صلى الله عليه وسلم شفاعة له فان مثلنا لا يشفع
لمثله ولكن الله امرنا بمكافاة من احسن الينا فان عجزنا عنها كافيناه بالدعاء فارشدنا
الله تعالى لما علم عجزنا عن مكافاة نبينا الى الصلاة عليه وذكر نحوه عن الشيخ ابي محمد
المرجاني وقال ابن العربي فايدة الصلاة عليه ترجع الى الذي يصلي عليه لدلالة
ذلك على نصوح العقيدة وخلوص النية واظهار المحبة والمداومة على الطاعة والا
حترام للواسطة الكريمة صلى الله عليه وسلم واما الصلاة على غير الانبياء فان كان على
سبيل التبعية فهذا جايز بالاجماع وانما وقع النزاع فيما اذا افرد غير الانبياء بالصلاة
عليهم فقال قايلون بجواز ذلك واحتجوا بقوله تعالى هو الذي يصل عليكم وملا
يكته وبقوله اوليك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وبقوله تعالى خذ من اموالهم صدقة
تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم وبحديث عبد الله ابن ابي اوفى قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا اتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل عليهم فاتاه ابي بصدقة
فقال اللهم صل على ابن ابي اوفى اخرجه الشيخان وقال الجمهور من العلماء لا يجوز افراد غير
الانبياء لان هذا قد صار شعار الانبياء اذا ذكروا فلا يلحق غيرهم بهم فلا يقال
ابو بكر صلى الله عليه وسلم او علي صلى الله عليه وسلم وان كان المعنى صحيحا كما لا يقال
محمد عز وجل وان كان عزيزا جليلا لان هذا من شعار ذكر الله تعالى وحملوا ما ورد
في ذلك من الكتاب والسنة على الدعاء لهم وقال اخرون لا يجوز ذلك لان الصلاة
على غير الانبياء قد صار من شعار اهل الاهواء يصلون على من يعتقدون
فيهم العصمة فلا يقتدى بهم في ذلك ثم اختلف المانعون هل هو من باب التحريم

او كراهة

او كراهة التنزيه او خلاف الاولى اقوال ثلاثة حكاها النووي في الاذكار ثم قال
والصحيح الذي عليه الاكثرون انه مكروه كراهة تنزيه لانه شعار اهل البدع وقد نهينا
عن شعارهم **والسلام** اي الدعاء بالسلامة من كل قدح ونقصان او هو بمعنى سلمه الله
اي جعله سالما ولا يفرد به غير الانبياء فلا يقال علي عليه السلام والاحياء والا
موات فيه سواء غير ان الحاضر يخاطب به فيقال عليك السلام وجمع بين الصلاة
والسلام امتثالا لقوله تعالى ان الله وملايكته يصلون على النبي يا ايها الذين
امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وحذرا من كراهة افراد احدهما عن الاخر ولو
خطا وقد صرحوا بانه يكره ترك الصلاة والاقتصار على احدهما وقيل المراد بالكراهة
خلاف الاولى وليست على بابها فان الاتيان بهما فيه اجر وتركهما او احدهما مخل بذلك
الاجر وترك للاولى ذكره والدي رحمه الله تعالى في احكامه ويستحب الترضي للصحابة
والترحم للتابعين ومن بعدهم من العلماء والعباد وساير الاخيار وهل يجوز
عكسه فقال بعضهم لا يجوز بل الترضي مخصوص بالصحابة ويقال لغيرهم رحمه
الله فقط وقال النووي هذا غير صحيح بل الصحيح الذي عليه الجمهور استحبابه
ودلايله كثر من ان تحصى واما اذا ذكر من اختلف في نبوته كذي القرنين
ولقمان نقل بعض العلماء كلاما يفهم منه ان يقال صلى الله عليه وسلم قال النووي والذي
اراه ان هذا لا باس به وان الارجح ان تقول رضي الله عنه لان هذا مرتبة غير الانبيا
ولم يثبت كونهما نبيين واما الصلاة والسلام على الملايكة استقلالا فقال النسفي
في مسايل شتى اخر الكنز ولا يصلي على غير الانبياء والملايكة الا بطريق التبع وفي
اذكار النووي اجمع من يعتد به على جوازها واستحبابها على ساير الملايكة والانبيا
استقلالا **على افضل من اوحي** اي اتاه الله تعالى **النبوة** بالهمز ماخوذة من النبا
وهو الخبر وقد لا تهمز تسهيلا اي ان الله تعالى اطلعه على غيبه واعلمه انه نبيه
فيكون نبيا منبيا او يكون مخبرا عما بعثه الله تعالى به ومنبيا بما اطلعه الله تعالى
عليه وبغير الهمز يكون مشتقا من النبوة وهي ما ارتفع من الارض اي ان له رتبة
شريفة ومكانة عند الله تعالى منيفة قال الزركشي كان نافع يقرء النبي بالهمز في
جميع القران والاختيار تركه والترك لغة النبي صلى الله عليه وسلم وقد جاء
في الحديث ان رجلا قال يا نبي يعني بالهمز فقال لست بنبي الله ولكن نبي الله
فانكر الهمز لانه لم يكن من لغته عليه السلام قال الجوهري والصاغاني انما انكره
لان الاعرابي اراد يا من خرج من مكة الى المدينة يقال نبات من الارض الى ارض
اذا خرجت منها الى اخرى والنبوة شرعا ايحاء الله تعالى لانسان حر ذكر بحكم تكليفي
سواء امره بتبليغه ام لا فهي اعم من الرسالة اذ لا بد في الرسالة من الامر بالتبليغ مع
ما ذكر وقيل بينهما مساواة كما بسطنا الكلام على ذلك في كتاب المطالب لوفيه وعدة

البنيين على ما ورد في الحديث مائة الف واربعة وعشرون الفا والمرسلون منهم ثلثماية وثلاثة
عشر ونوح اول رسول الى الكفار وادم اول رسول الى بنيه ولم يكونوا كفارا او رسالته
اليهم تبليغ الايمان والطاعة لله تعالى وكذلك بعده شيث وادريس اول من خط بالقلم
ونظر في علم النجوم والحساب واول من خاط الثياب ولبسها وكانوا يلبسون الجلود
من فتح الصفا لابن اقرس والحكم جمع حكمة وهي تحقيق العلم واتقان العمل قاله البيضاوي
وفي حقايق السلمي الحكمة العلم اللدني وقيل الحكمة اشارة لا علة فيها وقيل الحكمة اشهاد
الحق على جميع الاحوال وقيل الحكمة تجريد السر لورود الالهام وقال ابو عثمان الحكمة
هي النور المفرق بين الالهام والوسواس سمعت منصور ابن عبد الله يقول سمعت الكتاني
يقول ان الله بعث الرسل بالنصح لانفس خلقه وانزل الكتاب لتنبية قلوبهم وانزل
الحكمة لسكون ارواحهم فالرسول داعي الى امره والكتاب داعي الى احكامه والحكمة
مشيرة الى فضله وقيل الحكمة ان يحكم عليك خاطر الحق ولا تحكم عليك شهوتك
وقيل الحكمة الفهم في كتاب الله ومن اوتي فهم كتابه اعطي حظا عظيما من قربه قال
ابن عطا وقيل الحكمة النبوة وقيل الخشية انتهى وعلى كونها النبوة فالعطف
للتفسير وعلى غيره من باب التدلي الى افضل تشخص او في النبوة وتشخص او في
الحكم وهو الولي يعني افضل الانبيا والاولياء ويدخل في الاولياء الملائكة قال
تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله قال المفسرون يعني
موسى عليه السلام كلمه بلا واسطة وليس نصا في اختصاص موسى بالكلام وقد
ثبت انه تعالى كلم نبينا ايضا ولا يلزم في كل من قام به ذلك الوصف ان يشتق
له منه اسم وقوله ورفع بعضهم درجات يعني محمدا صلى الله عليه وسلم رفعه
الله تعالى من ثلاثة اوجه بالذات في المعراج وبالسيادة على جميع البشر وبالمعجزات
لانه عليه السلام اوتي من المعجزات ما لم يوته نبي قبله قال بعض اهل العلم فيما
حكاه القاضي عياض في التفضيل المراد به ههنا في الدنيا وذلك بثلاثة احوال
ان تكون اياته ومعجزاته اظهر واشهر او تكون امته ازكى واكثر او يكون في ذاته افضل
واظهر وفضله في ذاته راجع الى ما خصه الله تعالى به من كرامته واختصاصه من
كلام او خلة او روية او ما شاء الله من الطافه وتحفه ولايته ولا مرية ان ايات
نبينا صلى الله عليه وسلم ومعجزاته اظهر وابهر واكثر وابقى واقوى ومنصبه اعلى
وذاته افضل واطهر وخصوصياته على جميع الانبياء اشهر من ان تذكر فدرجته
ارفع من درجات جميع المرسلين وذاته ازكى وافضل من ساير المخلوقين
كما قال صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم واول من تنشق عنه الارض يوم القيمة
رواه ابن ماجه وروى الترمذي عن ابي سعيد الخدري قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم يوم القيمة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من

بني

بني آدم فمن سواه الا تحت لواي في حديث ابي هريرة مرفوعا عن البخاري انا سيد
الناس يوم القيمة وهذا يدل على انه افضل من آدم عليه السلام ومن كل اولاده
وروى البيهقي في فضايل الصحابة انه ظهر علي بن ابي طالب من البعد فقال صلى
الله عليه وسلم هذا سيد العرب فقالت عايشة الست بسيد العرب فقال انا سيد
العالمين وهو سيد العرب وهذا يدل على انه افضل الانبياء بل افضل خلق الله كلهم
ولم يقل صلى الله عليه وسلم انا سيد الناس عجبا وافتخارا على من دونه وانما
قاله اظهارا للنعمة الله تعالى واعلاما للامة بقدر امامهم ومتبوعهم عند الله تعالى
وعلو منزلته لديه ليعرفوا نعمة الله عليهم وعليه وكذلك اذا لاحظ ما هو فيه من فيض
المدد وشهده من عين المنة ومحض الجود وشهدنا مع ذلك فقره الى ربه في كل لحظة وعدم
استغنايه عنه طرفة عين انشاء له ذلك في قلبه سحايب السرور فاذا انبسطت هذه
السحايب في سماء قلبه وامتلاء افقه بها امطرت عليه وابل الطرب بما هو فيه من
لذيذ السرور فان لم يصبه وابل فطل وحينيذ يجري على لسانه الافتخار من غير
عجب ولا فخر بل فرح بفضل الله وبرحمته كما قال تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك
فليفرحوا فالافتخار على ظاهره والافتقار والانكسار في باطنه ولا ينافي احدهما
الاخر وجمهور اهل السنة ان خواص بني آدم وهم الانبياء افضل من خواص الملايكة
وهم جبريل وميكايل واسرافيل وعزرايل وحملة العرش والكروبيون و
خواص الملايكة افضل من عوام بني آدم وعوام بني آدم افضل من عوام الملا
يكة والمراد بعوام بني آدم هنا الصلحاء لا الفسقة كما نبه عليه ابن ابي شريف
فذهب ذاهبون الى ان الرسل من البشر افضل من الرسل من الملايكة والاولياء
من البشر افضل من الاولياء من الملايكة كذا في المواهب القسطلانية وعلى آله
ال الرجل اهله وعياله واله ايضا اتباعه ولا يقال الا للاشراف من العقلا
وهم اما من حيث النسب فال النبي صلى الله عليه وسلم اولاد علي وجعفر و
عقيل والعباس والحارث بن عبد المطلب ومن حيث الدين كما روى عنه
عليه السلام حين سيل من الك قال الي كل مومن تقي على اختلاف الروايتين
ويروى انه لما نزل قوله تعالى قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى قالوا
يا رسول من قرابتك هولاء قال علي وفاطمة وابناهما واختلف في المراد باهل البيت
في قوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا فروى
ابن ابي حاتم عن عكرمة عن ابن عباس قال نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم
وروى احمد عن واثلة ابن الاسقع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ومعه
علي وحسن وحسين اخذا كل واحد منهما بيده حتى دخل فادنى عليا وفاطمة وا
جلسهما بين يديه واجلس حسنا وحسينا كل واحد منهما على فخذه ثم تالف عليهم

ثوبه او قال كساه ثم تلا هذه الاية انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس الى اخره وقال
اللهم هولاء بيتي واهل بيتي احق زاد في رواية ابن جرير فقلت وانا يا رسول الله من اهلك
قال وانت من اهلي قال واثلة وانها من ارجى ما ارجي وفي الترمذي وقال حسن
غريب احبوا الله لما يغذوكم به من نعمة واحبوني بحب الله واحبوا اهل بيتي بحبي
وفي المناقب لاحمد من ابغض اهل البيت فهو منافق وروى ابن سعيد من صنع الى
احد من اهل بيتي معروفا فعجز مكافاته في الدنيا فانا المكافي له في القيمة والمراد بالقرابة
من ينتسب الى جده الاقرب وهو عبد المطلب ممن صحب النبي صلى الله عليه وسلم منهم
وراه من ذكر او انثى وهم علي واولاده الحسن والحسين ومحسن وام كلثوم من فاطمة
وجعفر واولاده فهم عبد الله وعون ومحمد ويقال انه كان لجعفر بن ابي طالب ابن اسمه
احمد وعقيل بن ابي طالب وولده مسلم بن عقيل وحمزه ابن عبد المطلب واولاده
يعلى وعماره وامامة والعباس ابن عبد المطلب واولاده الذكور عشرة الفضل
وعبد الله وقثم وعبيد الله والحارث ومعبد وعبد الرحمن وكثير وعون وتمام وفيه
يقول العباس رضي الله عنه تموا بتمام فصاروا عشرة يا رب فاجعلهم كراما بررة
ويقال ان لكل منهم ذرية وكان له من الاناث ام حبيبة وامينة وصفية واكثرهم من
لبابة ام الفضل ومعتب بن ابي لهب والعباس بن ابي لهب فكان زوج امية بنت
العباس وعبد الله بن الزبير بن عبد المطلب واخته ضباعة وكانت زوج المقداد
بن الاسود وابو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وابناه المغيرة والحارث وهند
بن الحارث هذا وامية واروى وعاتكة وصفيه بنات عبد المطلب اسلمت صفية وصحبت
وفي الباقيات خلاف وقد اشتهر استعمال اربعة الفاظ يوصفون بها الاول اله
عليه السلام وهم ما تقدم ذكره وقيل الذين حرمت عليهم الصدقة وعوضوا عنها
والثاني اهل بيته فقيل من ناسبه الى جده الادنى وقيل من اجتمع معه في رحم وقيل
من اتصل به بنسب او سبب والثالث ذوو القربى وهم علي وفاطمة وابناهما
والرابع عترته بكسر العين وسكون المثناة الفوقيه فقيل هم عشيرته وقيل ذريته
والعشيرة هم الاهل الادنون والذرية نسله واولاد بنت الرجل ذريته ٧٧٧
واصحابه جمع صاحب على راي والتحقيق ان فاعلا لا يجمع على افعال فهو جمع صحب
تخفيف صاحب كنهر وانهار او جمع صحب بالسكون اسم جمع كنهر وانهار والمستعمل في
موضع ٧ صحابي بالفتح منسوب الى الصحابة مصدر بمعنى الصحبة وقد جاء بمعنى الاصحاب
ذكره الجوهري يقال صحب وصحبة وصحبان وصحابة واصحاب والصحابي من لقي النبي
صلى الله عليه وسلم من الثقلين مومنا ومات على الاسلام وان تخللت ردة طالت
الصحبة اولا فاللقاء اعم من الروية والمجالسة ليدخل عميان الصحابة ومن لم يجالس وباسناده
الى الضمير غير النبي صلى الله عليه وسلم يخرج عنه من كشف له صلى الله عليه وسلم عنه ليلة الاسراء

٧ المزدوج

ولم

ولم يلقه هو النبي صلى الله عليه وسلم وبالتقييد بالثقلين تخرج الملايكة وبموته على الاسلام
المرتد الذي لم يرجع من ارتداده كابن جحش بخلاف من مات بعد ردته مومنا
كعبد الله بن ابي سرح واختلف في ثبوت الصحبة لورقة بن نوفل وبحيرا الراهب
حيث اجتمعا به عليه السلام قبل بعثته وكانت عدة الصحابة رضي الله عنهم عند وفاته
عليه السلام مائة الف الف واربعة عشر الفا كلهم من اهل الدراية كذا ذكره والدي
رحمه الله تعالى في احكامه وفي مواهب القسطلاني وهل يختص جميع ذلك ببني آدم ام يعم
غيرهم من العقلاء محل نظر اما الجن فالراجح دخولهم لان النبي صلى الله عليه وسلم بعث
اليهم قطعا وهم مكلفون فيهم العصاة والطايعين فمن عرف اسمه منهم لا ينبغي التردد
في ذكره من الصحابة واما الملايكة فيتوقف في ذلك على ثبوت البعثة اليهم فان فيه
خلافا بين الاصوليين حتى نقل بعضهم الاجماع على ثبوته وعكس بعضهم وهذا كله
فيمن رآه في قيد الحياة الدنيوية اما من راه بعد موته وقبل دفنه فالراجح انه ليس
صحابيا وكذا من اتفق انه راى جسده المكرم وهو في قبره المعظم ولو في هذه الاعصار
وكذلك من كشف له من الاولياء عنه صلى الله عليه وسلم وراه كذلك على طريق الكرامة
وكذا من راه في المنام وان كان قد راه حقا فذلك فيما يرجع الى الامور المعنوية
لا الاحكام الدنيوية **المقتدين** نعت للال والاصحاب به صلى الله عليه وسلم اي
المتابعين له ظاهرا وباطنا على كل حال **في القصد** بلام العهد اي النية الصالحة
التي له صلى الله عليه وسلم في نصرة الدين والحماية عنه ونصح الامة ومحبة الخير
وكراهة الشر وقد حصل لهم ذلك منه ببركة صحبتهم له صلى الله عليه وسلم وسريان
حالته فيهم وحلول نظره عليهم من اخلاصهم في صحبته وبذل نفوسهم واموالهم في
محبته والخروج عن اهلهم واوطانهم في مرضاته والاقتصاد في العمل اي التوسط
فيه بين الافراط والتفريط كما ورد في الحديث ان الله لا يمل حتى تملوا وهو عادته صلى
الله عليه وسلم كما قال ولكني اصوم وافطر واصلي وارقد واتزوج النساء فمن رغب عن
سنتي فليس مني رد بذلك على قوم من الصحابة ارادوا ان يصوموا الدهر ويعتزلوا
النساء فتركوا ما ارادوا واقتدوا به صلى الله عليه وسلم في اقتصاده في عمله
والشيم جمع شيمة وهي الخلق والعادة والخلق بضم الخاء واللام ويجوز اسكان
ملكة نفسانية تسهل على المتصف بها الاتيان بالافعال الجميلة والجمع اخلاق وقد
اختلف هل حسن الخلق غريزة او مكتسب وتمسك من قال بانه غريزة بحديث ابن
مسعود ان الله قسم بينكم اخلاقكم كما قسم ارزاقكم الحديث رواه البخاري قال
القرطبي الخلق الجبلة في نوع الانسان وهم في ذلك متفاوتون فمن غلب
عليه شيء منها كان محمودا والا فهو المامور بالمجاهدة فيه حتى يصير محمودا وكذلك
ان كان ضعيفا فيرتاض صاحبه حتى يقوى وكانت الصحابة رضي الله عنهم يقتدون

بالنبي صلى الله عليه وسلم قال الامام السنوسي في شرح مقدمته وقد علم من دين الصحابة
رضي الله تعالى عنهم اجمعين ضرورة اتباعه عليه السلام من غير توقف ولا نظر في جميع اقواله
وافعاله الا ما قام فيه دليل على اختصاصه به فقد خلعوا نعالهم لما خلع نعله عليه السلام
ونزعوا خواتيمهم لما نزع عليه السلام خاتمه وحسر ابو بكر وعمر رضي الله عنهما ركبتيهما
في قضية جلوسهما على البير كما فعل عليه السلام وكاد يقتل بعضهم بعضا من شدة
الازدحام على الحلاق عند ما اراد صلى الله عليه وسلم حلق راسه وحل من عمرته في
قضية الحديبية وكانوا يبحثون البحث العظيم على هيئات جلوسه ونومه وكيفية اكله
وشربه وغير ذلك ليقتدوا به وقد ثبت ان ابن عمر رضي الله عنهما لما سأله السائل عن
صبغه بالصفرة ولبسه النعال السبتية وكونه لا يحرم الا اذا اهل هلال ذي الحجة وانما
يحرم في يوم التروية وكونه انما يلمس الركنين اليمانيين فاجابه بانه استند في ذلك
كله الى فعله صلى الله عليه وسلم وقد ادار راحلته رضي الله عنه في موضع وعلل ذلك
بانه راى النبي صلى الله عليه وسلم يفعل كذلك وانظر قول عمر رضي الله عنه للحجر الاسود ولقد
علمت انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلك ما قبلتك وقد
ثبت عن بعض السلف واظنه احمد بن حنبل رضي الله عنه انه كان لا ياكل البطيخ فقيل
له في ذلك فقال يمنعني من اكله انه لم يثبت عندي كيف اكله النبي صلى الله عليه وسلم
وبالجملة فاتباعه صلى الله عليه وسلم في جميع افعاله الا ما اختص به ورؤية الكمال فيها
جملة وتفصيلا مما علم من دين السلف ضرورة **ما دامت** اي مدة دوام **السموات**
جمع سماء تذكر وتؤنث وتجمع على اسمية ايضا والسماء كل ما علاك فاظلك
ومنه قيل لسقف البيت سماء قاله الجوهري **والارض** بالافراد او لانها واحدة
في قول بعضهم والسموات سبع قال تعالى الحمد لله الذي خلق السموات والارض
الى غير ذلك من الايات المشتملة على جمع السموات وافراد الارض وقال اللقاني
رحمه الله تعالى في شرح جوهرته الاصح ان الارضين سبع كما ان السموات سبع
لقوله عليه السلام طوقه من سبع ارضين وقال البيضاوي جمع السموات دون
الارض وهي مثلهن لان طبقاتها مختلفة بالذات متفاوتة الاثار والحركات
وقدمها لشرفها وعلو مكانها وتقدم وجودها انتهى فالمراد ما دامت سموات
الدنيا وارضها او سموات الاخرة وارضها على قالوا في قوله تعالى خالدين فيها
ما دامت السموات والارض يعني سموات الاخرة وارضها وفي تفسير الواحدي
قال الضحاك ما دامت سموات الجنة والنار وارضها وكل ما علاك فهو سماء
وكلما استقرت عليه قدماك فهو ارض والاكثرون على ان المراد منه التابيد
قال ابن قتيبة وابن الانباري للعرب في معنى الالفاظ يقول لا افعل ذلك
ما اختلف الليل والنهار وما دامت السماء والارض وما اختلف الجرة والدرة

وما

وما اطلت الابل في اشياء كثيرة لهذا ظنا منهم ان هذه الاشياء لا تتغير فخاطبهم الله تعالى
بما يستعملون في الفاظهم انتهى ويؤيد المعنى الاول ان السماء ما علاك من السقف وقد ورد
في الحديث سقف الجنة عرش الرحمن وفي مقابلة ذلك الارض لما سفل كما ورد ان ارضها
الزعفران فيكون في الكلام اقتباس من الاية وهو ابلغ لافادته تابيد ذلك وعدم
انقطاعه بانقضاء الدنيا **وما تعاقبت** اي مدة تعاقب اي تتابع **الاضواء**
جمع ضوء والضياء وكذلك الضوء بالضم تقول اضاءت النار تضوء ضوءا واضاءت مثله
واضاءته يتعدى ولا يتعدى ذكره الجوهري والضوء والضياء هو النور او اخص
منه والضياء بالذات والنور ما بالعرض كما قال الله تعالى هو الذي جعل الشمس ضياء
والقمر نورا **والظلم** جمع ظلمة فالضوء هو النهار والظلمة هي الليل بقرينة التعاقب او اعم
من ذلك **وبعد** اصلها اما بعد فالواو قائمة مقام اما ويؤيده انه لم يقع في مثل
هذا الموضع واما بعد بالواو ولعل وجهه ان اما قد تورد لتدل على ان ما بعدها غير
مرتبط بما قبلها حتى انه سمي فصل الخطاب والجملتان اللتان بينهما كمال الاتصال
لا يفصل بينهما بالواو العاطفة فلها دلالة ما على انفصال ما بعدها عما قبلها في الجملة
فاستعيرت لاما الدالة على الانفصال ذكره البرجندي في شرح الوقاية وبعد من
الظروف التي قطعت عن الاضافة ونوي فيها معنى المضاف اليه فبني على الضم
يعني بعد ما تقدم من الحمدلة والصلاة والسلام على النبي واله واصحابه وكان النبي صلى
الله عليه وسلم ياتي بها في خطبه وكتبه وفي غرايب مالك للدارقطني بسند ضعيف لما
جاء ملك الموت الى يعقوب عليه السلام قال يعقوب في جملة كلامه اما بعد فانا اهل
بيت وكل بنا البلاء فان صح فهو اول من ابتدا بها وقيل داود عليه السلام وانها فصل الخطاب
الذي اوتيه وقيل قس بن ساعدة وقيل كعب بن لوي وقيل يعرب بن قحطان وقيل سحبان
قال والدي رحمه الله في احكامه فان الفاء على توهم اما فان الشيء اذا اشتهر في موضع
جاز تركه مع بقاء الكلام عليه نحو ما زيد كاتبا ولا شاعر على توهم الباء او على تقدير
يؤتيها بطريق تعويض الواو عنها بعد الحذف على انه لا مانع من اجتماع الواو مع اما كما
وقع في عبارة المفتاح او اخر فن البيان ذكره الخيالي وما تقدم عن البرجندي محمول على
الكثير الغالب **العقل** وهو العلم بصفات الاشيا من حسنها وقبحها وكمالها ونقصانها
او العلم بخير الخيرين وشر الشرين او يطلق على امور لقوة بها يكون التمييز بين القبيح
والحسن ولمعان مجتمعة في الذهن تكون بمقدمات تثبت بها الاغراض والمصالح
ولهيئة محمودة للانسان في حركاته وكلماته والحق انه روحاني به تدرك النفس العلوم
الضرورية والنظرية وابتداء وجوده عند اجتنان الولد ثم لا يزال ينمو الى ان يكمل عند البلوغ
كذا في القاموس وفي عمدة القاري شرح البخاري للعيني اختلفوا في العقل فقيل
هو العلم لان العقل والعلم في اللغة واحد ولا يفرقون بين قولهم عقلت وعلمت
وقيل العقل بعض العلوم الضرورية وقيل هو قوة يميز بها حقائق المعلومات واختلفوا

في محله فقال المتكلمون هو في القلب وقال بعض العلماء هو في الراس انتهى فعلى القول
بانه هو العلم يكون بمعنى القوة العاملية حتى يبقى للمفاضلة بينه وبين العلم بمعنى الامور
المعلومات معنى قال النسفي في بحر الكلام العلم افضل من العقل وفي التمهيد في معرفة
التوحيد الاصح ان العلوم متنوعة علم بالله وبالدين وبالشرايع فهذا افضل من العقل
لان العقل يجوز مع انعدام العقل ولا يجوز مع انعدام الدين ولان كل عاقل مخاطب
ومامور بتعلم هذا العلم وطلبه وكل علم سوى علم المعرفة والدين كعلم الحرف والا
كتساب والنحو والطب فالعقل افضل انتهى مراده بالعلوم المتنوعة المسايل
المبرهن عليها ونفس البراهين من اطلاق المصدر على اسم المفعول التي من شانها
ان يعلمها العلم لا نفس القوة العاملية التي هي العقل قال القسطلاني في مواهبه
فالعقل لسان الروح وترجمان البصر والبصيرة للروح بمثابة اللسان وقال البعض
لكل شيء جوهر وجوهر الانسان العقل وجوهر العقل البصر **والنقل** وهو النصوص
الواردة في الشريعة قطعية كانت وظنية **متوافقان** اي كل واحد منهما يوافق الاخر
يعني ان القوة العاملية في الانسان متفقة من حيث حملها بنفسها بلا دلالة من الغير
ولا اطلاع منه لها مع الدلالة والاطلاع من الغير المسمى ذلك نقلا لنسبته الى متكلم
صادق كما سمي الاول عقلا لربط الامر على حسب قوته وقدم العقل لكونه اصلا لثبوت
النقل **والكتاب** اي كتاب الله تعالى وهو القران العظيم **والسنة** اي سنة النبي
صلى الله عليه وسلم وهي قوله عليه السلام وفعله وسكوته عند امر عاينه من قول او فعل
صدر من احد امته ومن السنة طريقة الصحابة رضي الله عنهم لقوله عليه السلام عليكم
بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي والحديث والخبر مختصان بقوله عليه
السلام فقط وكذلك الاثر وربما يطلق ذلك على السنة فتكون الاربعة بمعنى
واحد وقدم الكتاب لشرفه واخر السنة لان حجيتها ثابتة به قال تعالى وما اتاكم
الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا **متطابقان** اي كل واحد منهما يطابق الاخر
ولا حجة اقوى من هذه الاصول الثلاثة الاول دليل العقل والثاني دليل النقل
وهو قسمان الكتاب والسنة فذكر الكتاب والسنة بعد ذكر النقل بيان للمراد منه **ان**
الدنيا قال الجوهري سميت الدنيا لدنوها والجمع دنى وفي مثل ذلك الكبرى
بالنسبة الى الاخرة او لدنوها من القلب بسبب
مشتهياتها وفي حقيقتها قولان للمتكلمين احدهما ما على الارض من الهواء والجو
والثاني كل المخلوقات من الجواهر والاعراض قبل الدار الاخرة قال
النووي رحمه الله تعالى وهو الاظهر كما قاله العيني في شرح البخاري فيدخل
في ذلك النقدان وما يشترى بهما الا ضرورة فيه وما فيه ضرورة غيرها ما فيه
ضرورة بتناوله كما قال تعالى ولا تنس نصيبك من الدنيا قال الواحدي في تفسيره

قال قتادة لا تنس الحلال من الدنيا ابتغ الحلال والمعنى على هذا لا تترك ان تطلب
فيها من الرزق الحلال وقال الحسن امر ان ياخذ من ماله قدر عيشه ويقدم ما سوى
ذلك لاخرته وعنه ايضا في هذا المعنى قدم الفضل وامسك ما يبلغك وعلى هذا
المراد بالنصيب قدر ما يكفيه فانية من الفنا وهو الاضمحلال والزوال قال ابو
محمد الخازن في قوله تعالى كل من عليها فان اي هالك لان وجود الانسان في الدنيا
عرض فهو غير باق وما ليس بباق فهو فان ففيه الحث على العبادة وصرف الزمان اليسير
الى الطاعة انتهى فيكون على معنى كون الدنيا فانية انها عرض غير باق وما ليس
بباق فهو فان وقال القسطلاني في تفسير قوله كل شيء هالك الا وجهه اي الا ذاته
فان ما عداه ممكن هالك في حد ذاته معدوم وفي شرح وصية ابي حنيفة رحمه
الله تعالى معنى كل شيء هالك الا وجهه اي كل شيء مما سوى الله تعالى معدوم في ذاته
بالنظر الى ذاته من حيث انه ممكن مع قطع النظر عن موجده لان كل ما سوى الله
ممكن والممكن بالنظر الى ذاته لا يستحق الوجود فلا يكون بالنظر الى ذاته
ولا يستحق الوجود فلا يكون بالنظر الى ذاته موجودا واذا ذكر الشيخ عبد الرؤوف المناوي
في شرح الجامع الصغير في قوله عليه السلام قال موسى يا رب كيف شكرك ادم الحديث
قال ومن نظر بعين التوحيد المحض عرف انه الشاكر وانه المشكور وانه المحب وانه
المحبوب وهذا نظر من عرف انه ليس في الوجود غيره وان كل شيء هالك الا وجهه
لان الغير هو الذي يتصور ان يكون له بنفسه قوام وهذا محال ان يوجد اذ
الموجود المحقق هو هذا القايم بنفسه وما ليس له بنفسه قوام فليس له بنفسه وجود
بل هو قايم بغيره فهو موجود بغيره فان اعتبر من حيث ذاته لم يكن له وجود البتة
وانما الوجود هو القايم بنفسه ومن كان مع قيامه بنفسه يقوم بوجوده وجود
غيره فهو قيوم ولا يتصور ان يكون القيوم الا واحدا فليس في الوجود غير الحي القيوم
الواحد فالكل منه مصدره واليه مرجعه ويعبر الصوفية عن هذا بفناء النفس اي
فني عن نفسه وعن غير الله تعالى فلا يرى الا الله فمن لا يفهم هذا ينكر عليهم ويسخر
منهم فيسخرون منه هذا كله كلام الغزالي رحمه الله تعالى انتهى وهذا المعنى هو
المراد بوحدة الوجود وبالوحدة المطلقة وغير ذلك من العبادات التي يذكرها
العارفون من اهل التحقيق وليس مرادهم المعنى الفاسد الذي عند اهل الزندقة
والالحاد وقد انكرته عليهم علماء الكلام وقد كشفت عن ذلك في رسالة سميتها
ايضاح المقصود من معنى وحدة الوجود واذا عرفت ما تقدم فيكون على هذا
معنى كون الدنيا فانية اي معدومة بالنظر الى وجود الحق تعالى الباقي لا بالنظر الى
ما يظهر منها للحس والعقل ومعدومة بالنظر اليها في ذاتها وان كانت موجودة
من طرف ايجاد الحق تعالى لها ومعنى كون العقل والنقل متوافقين على ذلك وكذلك
الكتاب والسنة ما ذكرنا من الايتين ومن قوله عليه السلام كان الله ولا شيء معه وهو الان

مطلب في وحدة الوجود

على ما عليه كان وقال عليه السلام اشعر كلمة تكلم بها العرب كلمة لبيد الا كل شيء
ما خلا الله باطل قال المناوي في شرح هذا الحديث وفي رواية اصدق كلمة قالها
شاعر وفي رواية اخرى اصدق بيت قالته الشعراء ماطل اي فان او غير ثابت
او خارج عن حد الانتفاع او آيل الى البطلان او كان باطلا لكونه بين العدمين
ولا يشكل بصفات الباري لان بقائها معلوم من ذكر الذات لكونها غير قابلة
للانفكاك وهذا اقرب من قوله تعالى كل شيء هالك الا وجهه وانما كان ذلك اصدق
لتطابق العقل والنقل على حقيقته والشهادة به وروى السلفي في مشيخة البغدادية
عن نعلي بن مراد قال انشد لبيد النبي صلى الله عليه وسلم قوله الا كل شيء ما خلا
الله باطل فقال له صدقت فقال وكل نعيم لا محالة زائل فقال كذبت نعيم الاخرة
لا يزول انتهى ومن استقصى ما ورد في الكتاب والسنة تحقق معنى الموافقة والمطا
بقة وتيقن ذلك كله بنفسه واثقه وحكم بصحة ما ذكره هنا وصحة ما سياتي من ان
الدار الاخرة لهي الحيوان وان الظفر بها لا يحصل الا باتباع خاتم النبيين لان الانسان
عدو مبين سريعة الزوال من اعيانها والخراب من حيث بنيانها وهذا يقتضي
ارادة المصنف رحمه الله تعالى للمعنى الاول الذي فسرناه به كونها فانية قال الخازني
في تفسير قوله تعالى انما هذه الحيوة الدنيا متاع اي متعة ينتفع بها مدة ثم تنقطع
وان الاخرة هي دار القرار اي التي لا تزول والمعنى ان الدنيا فانية منقوضة ولا منفعة
فيها وان الاخرة باقية دائمة والباقي خير من الفاني قال بعض العارفين لو كانت
الدنيا ذهبا فانيا والاخرة خزفا باقيا لكانت الاخرة خيرا من الدنيا فكيف والدنيا
خزف فاني والاخرة ذهب باقي وقال الواحدي في تفسير قوله تعالى انما مثل الحيوة
الدنيا الى اخره تاويل الاية ان الحيوة في الدنيا سبب لاجتماع المال وزهرة الدنيا
مما يروق ويعجب حتى اذا كثر ذلك عند صاحبه وظن انه ممتع بسبب ذلك عدم
بموته او بحادثة تهلكه كان الماء سبب لالتفاف النبات وكثرته حتى تتزين
به الارض وتظهر بهجتها وظن الناس انهم مستمتعون بذلك اهلكها الله وردها
الى الفناء حتى كان لم تكن عزها اي الدنيا يعني ان العز الذي لاهل الدنيا بالدنيا
من جاه وحشمة ومال ومنصب ورياسة ونحو ذلك ذل عاجل ولكن اهله
لا يشعرون به لسكرهم بخمر محبة الدنيا قال ابو عبد الرحمن السلمي في قوله تعالى
يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى قال بعضهم السكر على انواع
منها سكر الخمر وهو اسرعها افاقة وسكر الغفلة وسكر الهوى وسكر الدنيا وسكر
المال وسكر الاهل والولد وسكر المعاصي وسكر الطاعات وكل هذا وما يشبهه
منع صاحبه من اتمام صلاته والقيام فيها بشرط العبودية والتادب للمناجاة
وشرط اقامة الصلاة هو القيام اليها بالمفقود عن كل ما سواها ونعمها
اي الدنيا جمع نعمة وهي ما يتمتع به الانسان وغيره فيها الا ما يحصل للانسان

حيث

وان الشيطان

اي لم يحصل ... وعدم ... غيرها

فيها

فيها من المعرفة والطاعات التي هي من اجل النعم لان التمتع بهذه انما يكون في الاخرة
لا في الدنيا ومراده هنا شهوات الدنيا ولذائذها من كل ماكول ومشروب وملبوس ومركوب
ومسكون وغير ذلك نقم جمع نقمة يعني محنا وبلايا ولقد احسن من قال من اهل
الكمال ان الدنيا ليس فيها لذة مطلقا وما نظهر فيها بصور اللذائذ فانما ذلك زوال
الالام لا اللذائذ في الحقيقة فان لذة الاكل زوال الم الجوع ولهذا لا توجد الا بعد الجوع
وكذلك لذة الشرب زوال الم العطش ولذة الجماع زوال الم الشبق الذي هو
التصاق اعني جميع ما في الدنيا فسماه آلام وزوال الآلام ويسمى زوال الالام لذائذ
عند اهل الدنيا بخلاف الاخرة فان اهل الجنة لا الم عندهم حتى تكون لذائذهم
زوال ذلك الالم فلذائذهم حقيقة فلذة اكلهم لا عن جوع ولذة شربهم لا عن عطش
كما قال تعالى ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى وهكذا
جميع لذائذهم ولا يمكن في الدنيا ذوق ذلك بل لا يمكن ادراك معناها ذكر الشيخ
الشعراوي في العهود المحمدية قال سمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله تعالى يقول
الدنيا كلها ابنة ابليس وكل من احبها وجها له ويصير ابليس يتردد اليه لاجل بنته
بل سمعته يقول ان الشيطان يتردد الى من خطب بنته ولو لم يدخل بها على عادة
الاصهار فان اردت يا اخي الحفظ من ذلك فلا تصاهره ولا تخطب بنته وذكر
الشيخ محي الدين ابن العربي قدس الله سره في كتابه روح القدس قال والله ما يستوي
فراغ عارف عنده درهمان وفراغ عارف عنده درهم بل صاحب الدرهم افرغ من صاحب
الدرهمين جاء رجل الى سيدنا ابي مدين فقال له يا سيدي ان الشيطان يوذيني فعسى ان
تدفعه عني فقال له الشيخ قد شكى الي ابليس قبلك قال وما قال لك قال يا معلم يا
شيخ ان الدنيا خلقها لي ربي وجعلها حبالتي وشركي وملكني اياها فجاء فلان فتعدى
علي فيها واخذ مني منها فتعديت وراءه اطلب حقي منه ووالله ما قصدت منهم انسانا
ولا طلبت احدا ولا برحت من مكاني احفظ على بستاني ومالي فمن اخذ لي منه شيئا تبعته
اطلب حقي وقد عرفت ان فلانا يشكوني اليك فسبقته وقد اخبرتك بالقصة واني لا
اترك منه حقي واسلبه فيما اقدر عليه من دينه او يرد الي متاعي كما فعل الزهاد والمو
فقون ولهذا قال تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان فما لي عليهم حجة ولا حق
فانهم تركوا مالي وهذا تعدى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم
فمن الظالم فقال الرجل انا فقال له الشيخ رد اليه دنياه يرد اليك اخرتك وشرابها
اي الدنيا يعني مشروبها المعقولة ايضا التي هي مستحسنات النفوس من
الطبايع والاحوال سراب بالسين المهملة قال الفراء السراب ما لصق
بالارض والال الذي يكون ضحى كانه بين السماء والارض قال ابن السكيت
السراب الذي يجري على وجه الارض كانه الماء وهو يكون نصف النهار د

لانه من ...

حكاية سيدي ابي مدين

وهو الذي يلصق بالارض وقال ابو الهيثم سمي السراب سرابا لانه يسرب سربا اي يجري
جريا يقال سرب الماء يسرب سروبا كذا في تفسير الواحدي شبهت مشروبات الدنيا
ولذاتها واحوال اهلها بالسراب الذي يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم
يجده شيئا وذلك لسرعة زوالها وكونها على التنقص والاضمحلال لفنائها
في حقيقة الامر كما قدمنا قال ابو عبد الرحمن السلمي في قوله تعالى والذين
كفروا اعمالهم كسراب الاية قال ابن عطاء يحسبه الظمآن ماء قلب ليس فيه
شيء من انوار الله فيفرح بما فيه رجوعه الى الاسباب شركه يظن اذ ذاك ان
الرجوع الى الحق هو الاعيان قال تعالى ووجد الله عنده فوفاه حسابه اي وجد
الطريق اليه وقال ابن عطاء في قوله تعالى حتى اذا جاءه لم يجده شيئا قال ما وجد
الخلق الا الخلق وما الحق تعالى ان يكون للخلق اليه سبيل او طريق اذ لا يعرفه سواه
ولا يشهده غيره قال جعفر اضلتهم ظلم صحبة الاغيار فكانت على قلوبهم مثل
السراب لم تغن عنهم شيئا ولم تدخلهم على حق لو وجدوا السبيل الى الله لاضاءت
سرائرهم وكانت كما قال تعالى نور على نور قال بعضهم القلب الذي تعلق بشيء
غير الله هو فقير بما فيه لان الفقر هو صحبة الاشكال والغناء الرجوع عن الخلق
الى الله عز وجل وقال ابن عطاء كل ما كان دون الله فهو فقر وكل قلب فيه
محبة شيء سوى الله تعالى فصاحبه فقير انتهى فالمنهمك في الدنيا واحوالها وهو
المشتغل بالاغيار والاسباب للمعاشة والمعادية دون الله تعالى انهماك في امر
محال واشتغال في فاقة من دينه ووبال فهو المغرور بما لديه في كل حال ذكر الشيخ

حكاية

محي الدين ابن العربي قدس الله سره في كتاب روح القدس في ترجمة شيخه ابي محمد
عبد الله القطان المفتوح عليه في القرآن كان يصدع بالامر لا تأخذه في الله لومة
لائم يرد كلام السلاطين في وجوههم اقبح الرد لصولة يرمي من شاء بالحق
ولا يبالي عرض بنفسه للقتل من كثرة سبه لافعال السلاطين وما هم عليه من
مخالفة الشريعة لم يجالس معهم يضيق الوقت عن ذكرها لا يتكلم الا بالقرآن
ولا يدري غيره ولم يكتب كتابا سمعته بمدينة قرطبة في جماعة ما كان اصحاب
المصنفات والتواليف ما اطول حسابهم غدا في كتاب الله مقنع وفي حديث
رسوله كان يحافظ على صاحبه ولم يتنعم قط ولا جمع بين درهمين وجه السلطان
فيه ليقتله فاخذه الاعوان ووصلوا به على الوزير فاقعد بين يديه فقال له
يا ظالم يا عدو الله وعدو نفسه فيما ذا وصفتني فقال العدا امكن الله منك من
تعيش بعدها ابدا فقال له الشيخ لا تقرب اجلا ولا ترفع مقدورا كل ذلك الا كون
انا والله اشهد جنازتك فقال الوزير لوزعته اسجنوه حتى اشاور السلطان
في قتله فسجن تلك الليلة فانصرف وهو يقول لعجبا لم يزل المومن في السجن

وانما هذا بيت من بعض بيوت السجن فلما كان في اليوم الثاني جلس السلطان و
اخبره الوزير بقصة الشيخ وكلامه فامر به فحضر بين يديه فرأى رجلا ذميم الخلقة
لا يؤبه له وما احد من اهل الدنيا يريد له خيرا وهذا كله لقوله الحق واظهار معايبهم
وما هم عليه من الفساد والجور فقال له السلطان بعد ما سأله عن اسمه ونسبه
اتحفظ توحيدك فتلاه عليه من القرآن بتمامه فتعجب الملك وانبسط له الى ان
دخل معه في المملكة وشأنها فقال له السلطان ما تقول في ملكي هذا فضحك فقال
له لم تضحك فقال من انك تسمي الهذيان الذي انت فيه ملكا وتسمي نفسك ملكا انت
كمن قال الله فيه وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا انما كان الملك الذي
يصلى اليوم بنارها او يحرق بها واما انت فرجل عجنت لك خبزة وقيل لك كلها
ثم اغلظ عليه في القول بكل ما يكرهه ويغيظه وفي المجلس الوزراء والفقهاء
فسكت السلطان وخجل وقال هذا رجل موفق يا عبد الله تحضر مجلسنا قال لا
فان مجلسك مغصوب ودارك التي تسكنها اخذتموها بغير حق ولولا اني مجبور
ما دخلت هنا حال الله بيني وبينك وبين امثالك وما مضى زمن قليل الا و
الوزير قد مات وخرج ابو محمد وحضر جنازته وقال بررت قسمي انتهى فهذا من
وقائع اهل الحق مع اهل الدنيا المغرورين بما لا حقيقة له من العرض الفاني كما قال
تعالى وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور قال البيضاوي اي لذاتها وزخارفها شبهها
بالمتاع الذي يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه وهذا لمن آثرها على الآخرة
فهي له متاع بلاغ والغرور مصدر او جمع غار انتهى وقال تعالى وما اوتيتم من شيء
فمتاع الحيوة الدنيا قال العز بن عبد السلام في تفسيره اوتيتم من شيء اعطيتم من
رياش الدنيا من مال وولد فمتاع الحيوة الدنيا تتمتعون به ليس من زاد الاخرة
ولا مما ينفعكم في معادكم **وان الدار الاخرة** معطوف على ان الدنيا ولم يقل الدار
الدنيا ولا الاخرة بدون لفظ الدار لان الدنيا ليست بدار لعدم القرار فيها
والدار هي الاخرة لانها للقرار والخلود وسميت آخرة لتأخرها عن الدنيا **لهي**
الحيوان مؤكدة بان وبلام القسم لجحود الكفار لها اي الحياة الدائمة الخالدة
التي لا موت فيها **أعدت** اي هيئت وفيه اشارة الى ان الجنة مخلوقة الان
وكذلك النار وجميع ما في الاخرة غير انه خارج عن هذا العالم وهو الحق **للمتقين**
اي المحترزين عن مخالفة ربهم فيما امرهم به ونهاهم عنه ظاهرا او باطنا قال
المناوي في شرح الجامع الصغير التقوى على مراتب وقاية النفس عن الكفر وهو
للعامة وعن المعاصي وهو للخاصة وعما سوى الله وهو لخاصة الخاصة انتهى
والاخرة مهيئة لاهل هذه المراتب الثلاثة على حسب مراتبهم فيها **من اهل الايمان**
بها فالمتقين اذ لا تقوى بدون الايمان وهو التصديق ظاهرا او باطنا

بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من عند ربه من الاعتقاديات والعمليات
على مقتضى ما يعلمه الله تعالى ويعلمه رسوله عليه السلام وهو الايمان بالغيب لذي
هو فرض على كل مكلف وهو غير متفاوت بحسب مراتب الناس الثلاث العوام
والخاصة وانما مراتب الكشف والعيان ظهور ذلك على حسب استعداد الانسان
وليس هو الذي كلف الله تعالى به العبد ولكنه السبيل الى حقيقة الايقان كما اشار
الشيخ محي الدين ابن العربي رضي الله عنه في اوايل كتاب تعبادات عزتها اي
الدار الاخرة يقال عز فلان يعز عزا وعزة وعزازة صار عزيزا اي قويا
بعد ذلة قاله الجوهري باقية غير فانية كعزة الدنيا التي هي حقيقة
المذلة كامر ابدية لا انقضا لها ونعمها جمع نعمة وهي ما في الاخرة مما
ينعم الله تعالى به على عباده المومنين من انواع النعيم المقيم صافية اي خالصة
من شوايب الاكدار سرمدية لا نهاية لها قال الله تعالى بل توثرون الحيوة الدنيا
والاخرة خير وابقى قال الخازن يعني ان الدنيا فانية والاخرة باقية والباقي خير من
الفاني وانتم توثرون الفاني على الباقي قال عرفجة الاشجعي كنا عند ابن
مسعود فقرا الاية فقال لنا اتدرون لم اثرنا الحيوة الدنيا على الاخرة قلنا
لا قال لان الدنيا احضرت وعجل لنا طعامها وشرابها ونساوها ولذاتها
وبهجتها وان الاخرة تغيبت وزويت عنا فاحببنا العاجل وتركنا الاجل وقال
الواحدي الاخرة اي الدار الاخرة يعني الجنة افضل وابقى وادوم من الدنيا
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من طلب الاخرة اضر بدنياه ومن طلب دنياه
اضر باخرته فاثروا ما يبقى على ما يفنى وفي تفسير السلمي قال ابو العباس الدينوري
من خس طبعه وحقرت همته اثر الدنيا بخستها وصغارتها ومن علت همته وعظم
قدره اثر الاخرة ومن شرف حاله وصحت حقايقه اثر الله على الدارين وما فيهما
وشرابها اي الاخرة والمراد الجنة وهو اسم للخمرة ولهذا انثها حيث قال خالية
عن اثم اي يحرم اذ هي الخمرة الحلال والاثم ايضا من اسماء الخمرة التي في الدنيا
والمعنى على هذا خمرة الاخرة خالية عن مشابهة خمرة الدنيا كما قال تعالى لا يصدعون
عنها ولا ينزفون قال الخازن اي لا يصدع عنها روسهم من شربها ولا ينزفون
اي لا تغلب على عقولهم ولا يسكرون منها وقال في قوله تعالى لا فيها غول اي
لا تغتال عقولهم فتذهب بها وقيل لا اثم ولا وجع البطن ولا صداع وقيل
الغول فساد يلحق في خفاء وخمرة الدنيا يحصل منها انواع من الفساد منها
السكر ووجع البطن وصداع الراس والبول والقي والعربدة وغير ذلك ولا يوجد
شي من ذلك في خمر الجنة وقال في قوله تعالى وسقاهم ربهم شرابا طهورا يعني
طاهرا من الاقذار لم تمسه الايدي ولم تدنسه الارجل كخمر الدنيا وقيل انه لا يستحيل
بولا ولكنه يستحيل رشحا في ابدانهم كرشح المسك وذلك انهم يوتون بالطعام

مطلب

وذلك انهم يوتون بالطعام ثم بعده يوتون بالشراب الطهور فيشربون منه فيطهر
بطونهم ويصير ما اكلوا رشحا يخرج من جلودهم اطيب من المسك الاذفر وتضمر
بطونهم وتعود شهوتهم وقيل الشراب الطهور هو عين ماء على باب الجنة من شرب
منه نزع الله ما كان في قلبه من غل وحسد وغش وقال الواحدي وهو طهور ليس
بنجس كما كانت في الدنيا مذكورة بالنجاسة والمعنى ان ذلك الشراب طاهر ليس
كخمر الدنيا وخالية تلك الخمرة ايضا عن لاغية اي لغو قال الخازن في جنة عالية
لا تسمع فيها لاغية اي ليس فيها لغو ولا باطل وقال الواحدي في قوله تعالى لا
يسمعون فيها لغوا ولا تاثيما اي لا لغو فيها فيسمع ولا يقول بعضهم لبعض
اثمت لانهم لا يتكلمون بما فيه اثم وهذا معنى قول ابن عباس لا يتكلمون بالاثم
كما يتكلم اهل الدنيا انتهى فلعل المراد من خلوة خمرة الاخرة عن اللغو انها
لا تشرب على الكلام الفاحش والغناء الباطل وانما تشرب على التغني بالطايف
الالهية والكلام الحق فيها اي في الدار الاخرة والمراد الجنة حور جمع حوراء وهي
النقية البياض من النساء وقاله الواحدي الحور هي البيض الوجوه وقال ابو عبيدة الحوراء
الشديدة بياض العين الشديدة سوادها وفي تفسير الخازن والحور من النساء
النقيات البياض التي يحار الطرف من بياضهن وصفاء لونهن مقصورات
اي مخدرات مستورات لا يخرجن لكرامتهن وشرفهن روي عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال لو ان امراة من نساء اهل الجنة اطلعت الى الارض لاضاءت
ما بينهما ولملات ما بينهما ريحا ولنصيفها على راسها خير من الدنيا وما فيها يعني
الخمار وقيل قصر طرفهن وانفسهن على ازواجهن فلا يبغين بهم بدلا في
الخيام قيل هي البيوت قال ابن الاعرابي الخيمة لا تكون الا من اربعة اعواد ثم
يسقف بالثمام فيقال خيم فلان خيمة اذا ابتناها من جريد النخل وخيم
بها اذا اقام بها وتظلل فيها وهي خيام من در ولولو وزبرجد مجوف
مضاف الى القصور في الجنة وفي ابي موسى الاشعري ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ان للمومن لخيمة من لولوة واحدة مجوفة طولها ستون ميلا
وفي رواية طولها في السماء ستون ميلا للمومن فيها اهلون يطوف عليهم المومن فلا يرى
بعضهم بعضا وقال الواحدي روى قتادة عن ابن عباس قال الخيمة درة
مجوفة فرسخ في فرسخ فيها اربعة الاف مصراع من ذهب وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الخيمة درة مجوفة طولها في السماء ستون ميلا في كل زاوية
منها للمومن لا يراهم الاخرون وفي احيا الاحياء للغزالي قال انس رضي الله عنه
قال النبي صلى الله عليه وسلم لما اسري بي دخلت في الجنة موضعا يسمى البيدخ
عليه خيام اللولو والزبرجد الاخضر والياقوت الاحمر فقلن السلام عليك يا رسول
الله فقلت يا جبريل ما هذا النداء قال هولاء المقصورات في الخيام استاذن ربهن

رواية

اهل

الذي في الجامع الصغير من رواية الطبراني والضيا
عن سعيد بن عامر لو ان امراة من نساء
اهل الجنة اشرفت الى الارض لملات الارض
من ريح المسك ولاذهبت ضوء الشمس والقمر

الميل بالكسر والملوك قدر مد البصر ومنار يبنى للمسافر
او مسافة من الارض متراخية بلا حد او مائة الف
اصبع او اربعة الاف اصبع او ثلاثة او اربعة الاف
ذراع بحسب اختلافهم في الفرسخ هل هو تسعة الاف
بذراع القدما او اثنا عشر الف ذراع بذراع المحدثين

في السلام عليك فاذن لهن فطفقن يقلن نحن الراضيات فلا نسخط ابدا ونحن
الخالدات فلا نظعن ابدًا وقرا رسول الله حور مقصورات في الخيام وقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل من اهل الجنة ليتزوج خمسمائة حوراء واربعة
الاف بكر وثمانية الاف ثيب يعانق كل واحدة منهن مقدار عمره في الدنيا
ناعمات من النعومة وهي لين الملمس مطهرات اي نظيفات نقيات من
الطهارة وهي النظافة عن الاقذار جمع قذر بالذال المعجمة محركة قال
الجوهري القذر ضد النظافة وشي قذر بين القذارة وقذرة الشي
بالكسر وتقذرته واستقذرته اذا كرهته وعن الالام جمع الم وهو المرض
والوجع اي لا تالم هن ولا توجع بشي اصلا ولا يدركهن مرض ولا يعلو
هن اصفرار ولا نزيد بالحر حسنهن ولا جمالهن على الابد بل دايما يزددن
بمرور الاحقاب صحة وعافية وحسنا وجمالا وبهجة وسرورا قال البيضاوي في قوله
تعالى ازواج مطهرة مما يستقذر من النساء ويذم من احوالهن كالحيض والدرن
ودنس الطبع وسوء الخلق فان التطهير يستعمل في الاجسام والاخلاق والافعال
وقال الواحدي مطهرة لا يتغوطن ولا يبلن ولا يمنين ولا يحضن فهن مطهرات من
الحيض والغايط والبول والنخام والبزاق والمني والولد ومطهرات من جميع الاقذار
وقيل مطهرات من مساوي الاخلاق لما انهن من حسن التبعل ودل على هذا قوله
عربا اترابا وقال الخازن في قوله تعالى فجعلناهن ابكارا عربا اترابا قيل هي
الحور العين انشاهن الله تعالى لم تقع عليهن ولادة فجعلناهن ابكارا عربا
اترابا عذارى وعن اسامة بن زيد عن ابيه عربا قال حسان الكلام اترابا
يعني امثالا في الخلق وقال العز بن عبد السلام عربا اي عواشق ازواجهن وقيل
يتحاب بعضهن بعضا لا كضرائر الدنيا وقيل غنجات وقيل حسنات الكلام من
قوله عليه السلام يعرب عنها لسانها وفي الخبر كلامهن عربي كانهن اي تلك الحور التي
في الجنة الياقوت وهو اربعة انواع احمر واصفر واسمانجوني وابيض فالاحمر
ينقسم الى اربعة الوردي والخمري وهو احمر مشرب والاحمر بلون العصفر الشديد
الحمرة والبهرماني نقي الحمرة بحيث لا يشوبها شائبة وهو اجوده قالوا وربما بلغ
مثقاله مائة دينار اذا كان جيدا جدا والاصفر منه الرقيق قليل الصفرة والخلوقي
اصبغ صفرة منه والجلناري اصبغ من الخلوقي وهو اجوده والاسمانجوني منه
الازرق واللازوردي والنيلي والكحلي وهو اصبغ من النيلي ويسمى الزيتي والابيض
منه المائي وهو الشديد البياض والذكر وهو اثقل من الماء وهذا ارخص
اليواقيت وادونها ذكره والدي رحمه الله تعالى في كتاب الزكاة من احكامه
والمراد هنا الياقوت الاحمر والابيض والمرجان وهو صغار اللؤلؤ قال الجوهري
واللؤلؤ قيل مطر الربيع يقع في الصدف فيصير لؤلؤا وقيل الصدف حيوان يخلق

منه اللؤلؤ وقال الخازن في تفسير قوله تعالى كانهن الياقوت والمرجان اراد صفاء
اللون من الياقوت في بياض المرجان وهو صغار اللولو اشده بياضا وفيه تشبيه لونهن
ببياض اللؤلؤ مع حمرة الياقوت لان احسن الالوان البياض المشرب بحمرة والاصح
شبههن بالياقوت لصفائه فانه حجر لو ادخلت فيه سلكا اي خيطا ثم استصفيته
طلبت معرفة صفته لرايت السلك من ظاهره لصفائه قال عمرو بن ميمون ان المراة
من الحور العين لتلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من وراء الحلل كما يرى
الشراب الاحمر في الزجاجة البيضاء يدل على صحة ذلك ما روي عن ابن مسعود
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان المراة من نساء اهل الجنة ليرى بياض ساقها
من وراء سبعين حلة حتى يرى مخها وذلك بان الله يقول كانهن الياقوت
والمرجان فاما الياقوت فانه حجر لو ادخلت فيه سلكا ثم استصفيته لرايته
من ورائه اخرجه الترمذي وقد روي عن ابن مسعود بمعناه ولم يرفعه وهو
اصح وقال الواحدي كانهن الياقوت والمرجان اراد بهن صفاء الياقوت
في بياض المرجان وقال العز بن عبد السلام كانهن الياقوت صفاء والمرجان
بريقا اذ هو ابيض من اللؤلؤ لصفائهن وحسنهن فيرى مخ سوقهن من وراء
اجسامهن كما يرى السلك في الياقوت والمرجان لم يطمثهن قال الواحدي الطمث
الافتضاض وهو النكاح بالتدمية يقال طمث يطمث ويطمث وقال المفسرون
لم يطاهن ولم يغشهن ولم يجامعهن قال مقاتل لانهن خلقن في الجنة انس قبلهم ولا
جان اي قبل ازواجهن من اهل الجنة ومعنى الاية المبالغة في نفي الطمث عنهن
لان ذلك اقر لاعين ازواجهن اذا لم يغشهن احد غيره كذا في تفسير الخازن وانما
قدم قوله كانهن الياقوت على قوله لم يطمثهن مع ان الاية بالعكس لقصد الا
قتباس وشرطه ان يكون من القران لا من تطول السجعة الثانية على الاولى فانه
لا يحسن اطالة الاولى على الثانية كما ذكره علماء البديع وجوه لهم يعني لاهل
الجنة جمع وجه بمعنى العضو المخصوص او هو مجموع الذات كما في قوله تعالى
وجه الله اي ذاته يومئذ اي في يوم القيمة ناضرة قال العز بن عبد السلام حسنة
مستبشرة مسرورة مشرقة متهللة وقال الخازن ناضرة من النضارة وهي الحسن قال
ابن عباس حسنة وقيل مسرورة وقيل ناعمة وقيل مسفرة مضيئة وقيل بيضا يعلوها
نورها وقيل مشرقة بالنعيم الى ربها اي رب تلك الوجوه ناظرة تلك الوجوه
قال ابن عباس واكثر المفسرين تنظر الى ربها عيانا بلا حجاب قال الحسن حق لها
ان تنضر وهي تنظر الى الخالق سبحانه وتعالى كذا قاله الخازن وقال الواحدي قال
الزجاج نضرت بنعيم الجنة والنظر الى ربها عز وجل وعن النبي صلى الله عليه
وسلم قال اذا دخل اهل الجنة الجنة يقول الله تريدون شيا ازيدكم فيقولون
الم تبيض وجوهنا الم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار قال فيكشف لهم
الحجاب فما اعطوا شيا احب اليهم من النظر الى ربهم وعن ابن عمر عن النبي صلى

عليه وسلم قال ان ادنى اهل الجنة منزلة لمن ينظر في ملكه الف سنة لا يرى اقصاه
كما يرى ادناه ينظر في سرره وازواجه وخدمه وان افضلهم منزلة لمن ينظر في وجه
الله كل يوم مرتين رواه الحاكم في صحيحه وفي تفسير البيضاوي الى ربها ناظرة تراه
مستغرقة في مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه ولذلك قدم المفعول وليس
هذا في كل الاحوال حتى ينافيه نظرها الى غيره وفي حقائق السلمي قال النضر
اباذي من الناس ناس طلبوا الروية واشتاقوا اليه ومنهم العارفون الذين
اكتفوا بروية الله لهم فقالوا رويتنا ونظرنا فيه علل ورؤيته ونظره بلا علة وهو
اتم بركة واسهل نفعا وقال عبد العزيز الخلق في لقاء الله على ضروب منهم من
يطيع فيه غفلة ومنهم من يطيع فيه جراءة ومنهم من لا يطيع فيه هيبة وهو
افضلهم واشرفهم واوجاهم ان يوهل لذلك انتهى فان قلت اذا كانت الوجوه
بمعنى الذوات كما سبق فكيف رويتها للرب سبحانه قلت وكذلك يقال اذا كانت
الوجوه على ظاهرها ويوضح هذا ما ذكره الشيخ عبد الوهاب الشعراوي في طبقاته
في ترجمة شيخه الشيخ علي الخواص انه كان يقول نشاة اهل الجنة مخالفة للنشاة الد
نيوية التي نحن عليها الان صورة ومعنى كما اشار اليه حديث ان في الجنة ما لا عين
رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وايضاح ذلك ان حجاب البشرية
ما دام موجودا في الشخص فلا يعلم احوال الجنة لان الجنة نشاة شهود واطلاق
لا حجاب وتقييد ولذلك كان علم احوال الجنة خاصا بالعارفين واعلم ان الحق تعالى جعل
لنا السمع والبصر والشم والذوق واللمس واللذة في المناكح والادراك حقايق
متغايرة حكما ومحلا مع اتحادها في الباطن لان الادراك ليس الا للنفس وهي حقيقة
واحدة بمنافذ مخصوصة وانما تنوعت الاثار في هذه الحقائق لتنوع محالها
واعلم ان هذه الصفات المتغايرة حكما ومحلا يقع الاتحاد بينهما في الاخرة حكما
ومحلا فيسمع بما به يتكلم ويبصر بما به ينطق ويذوق بما به يشم وكذلك الحكم في الضد من
غير تضاد فيبصر بسائر جسده ويسمع كذلك ويأكل كذلك وينكح كذلك ويشم
كذلك وينطق كذلك ويدرك كذلك وهذا القدر النزر من احوال الجنة لا يصح
وجوده في العقل لانه محال في عقل من يسمع ذلك فكيف بغير النزر مما هو اعظم
من ذلك ولم ار احدا تكلم على ما ذكرته غير سيدي عمر بن الفارض رضي الله عنه في
تائيته فراجعها انتهى وقد ذكر الشيخ محي الدين ابن العربي قدس الله سره ان اهل الجنة
ينكحون جميع نسائهم وحواريهم في آن واحد نكاحا حسيا بايلاج ووجود لذة خاصة
بكل امراة من غير تقدم ولا تاخر قال وهذا هو النعيم الدائم والاقتدار الالهي والعقل
يعجز عن ادراك هذه الحقيقة من حيث فكره وانما يدرك بقوة الاهية في قلب من
شاء من عباده والله على كل شيء قدير انتهى ومما يويد ان مراده بالوجوه الذوات

عنده

عنده اي عند ربها **مرضية** تلك الوجوه اي مرضي عنها **مطمئنة** وهي التي اطمأنت
بذكر الله فان النفس تترقى في سلسلة الاسباب والمسببات الى الواجب لذاته فتستقر
على معرفته وتستغني به عن غيره او الى الحق بحيث لا يريبها شك او الامنة التي لا يستفزها
خوف ولا حزن قاله البيضاوي وقال العز بن عبد السلام المطمئنة المؤمنة بالله او بربها
المسلمة لامره وقيل المجيبة الموفية بوعده او الى ذكره وقال الواحدي المطمئنة
الراضية بقضاء الله الذي قدر الله فعلمت ان ما اصابها لم يكن ليخطيها وان ما
اخطاها لم يكن ليصيبها وقال الخازن اي الثابتة على الايمان والايقان المصدقة
بما قال الله الموقنة وقيل هي الامنة من عذاب الله وقيل هي المطمئنة بذكر الله
وعنه اي عن ربها **راضية** بما اوتيت وقيل عن الله بما اعد الله لها وتقديم الخبر في
الموضعين مفيد انها ليست مرضية عند غيره وهو اعوجاج الخلق على اهل الاخلاص
في الدنيا وليست راضية عن غيره لخروجها عن كل ما سواه **شاكرة** له على ما انعم عليها
وذكر القشيري في رسالته ان الشكر ينقسم الى شكر باللسان وهو اعترافه بالنعمة
بنعت الاستكانة وشكر بالبدن والاركان وهو اتصافه بالوفاق والخدمة
وشكر بالقلب وهو اعتكافه على بساط الشهود بادامة حفظ الحرمة وقال ابو بكر الوراق
شكر النعمة مشاهدة المنة وحفظ الحرمة وقال حمدون القصار شكر النعمة ان ترى
نفسك فيها طفيليا وقال ابو عثمان الشكر معرفة العجز عن الشكر وقال الشبلي الشكر
روية المنعم لا روية النعم **وهذه** الامور الاخروية هي **النعمة** التامة والمنة العامة
لا امور الدنيا الفانية المضمحلة المنتنة القذرة **واللذة العظمى** الابدية وكل لذة
سواها في الدنيا فانها وهمية **والفوز** اي الظفر بغاية المنى **والفلاح** اي الخير الكثير
والسعادة الكبرى التي لا شقاوة بعدها ابدا وان الظرف معطوف على ان
الدار الاخرة لها متعلق بالظرف اي بهذه الامور الاخروية المذكورة لا تحصل لاحد
ابدا **الا بمتابعة** وهي عبارة عن الاتيان بمثل فعل الغير **خاتم** بكسر التاء اسم
فاعل وبفتح التاء الطابع ذكره ابن ملك في شرح المجمع **النبيين** جمع نبي من
النبوة وقد سبق تعريفها وقرى خاتم بالكسر والفتح فمن قرا وخاتم بالكسر فمعناه
ختم النبيين ومن قرا وخاتم بالفتح فمعناه اخر النبيين لا نبي بعده صلى الله عليه وسلم
قاله الزجاج في كتابه معاني القران وقال البيضاوي خاتم النبيين اخرهم الذي ختمهم
او ختموا به على قراءة عاصم بالفتح لو كان له ابن بالغ لاق منصبه ان يكون نبيا كما قال
عليه السلام في ابراهيم حين توفي لو عاش لكان نبيا ولا يقدح فيه نزول عيسى
بعده لانه اذا نزل كان على دينه مع ان المراد انه اخر نبي **سيدنا** معشر الموجود
الان **وسيد** بصيغة اسم الفاعل فيهما من السيادة يقال ساد قومه يسودهم سيادة
وسوددا وسيدودة فهو سيدهم اذا علا عليهم وارتفعت رتبته **الاولين** من الانبياء
وغيرهم **والاخرين** الى يوم الدين وقدمت بيان فضيلته صلى الله عليه وسلم على جميع

وقرأ بها

الفلاح ... والنجاة [illegible]
النعيم [illegible] يعني [illegible] وهي النجاة
والبقاء [illegible]
والتابعة فيما سيذكره من [illegible]
والطريقة والحقيقة بيان [illegible]
ارسل سيدنا ومولانا محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم بالهدى ودين
الحق واظهره على الدين كله ما ظهر منه وما بطن [illegible]
كانت الشريعة [illegible] اقواله وافعاله [illegible]
للسالكين من اخلاقه [illegible] الحقيقة [illegible]
مكاشفاته في معاملاته [illegible]
من هو اولى [illegible]
بين هذه [illegible]
[illegible]
فانه ينفعك في فهم هذا الكتاب الى آخره

العالمين واذا كان الانبياء الماضون عليهم السلام مامورين بمتابعته صلى الله عليه وسلم
على تقدير ان يدركوا زمانه فكيف بامته عليه السلام الذين هم ليسوا بانبياء قال في المواهب اللدنية وقد اخذ الله تعالى له الميثاق على النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم
رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه الاية اخبر تعالى انه اخذ ميثاق كل نبي بعثه
من لدن ادم عليه السلام الى محمد صلى الله عليه وسلم ان يصدق بعضهم بعضا
قاله الحسن وطاوس وقتادة وقيل معناه انه تعالى اخذ الميثاق من النبيين
واممهم واستغني بذكرهم عن ذكر الامم وعن علي بن ابي طالب وابن عباس
ما بعث الله نبيا من الانبياء الا اخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد صلى الله عليه وسلم
وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه وما قاله قتادة والحسن وطاوس لا يضاده وما قاله
علي وابن عباس رضي الله عنهم ولا ينفيه بل يستلزمه ويقتضيه وقيل معناه ان الانبيا
عليهم السلام كانوا ياخذون من اممهم بانه اذا بعث محمد صلى الله عليه وسلم ان يؤمنوا
به وان ينصروه واحتج له بان الذين اخذ الله الميثاق منهم يجب عليهم الايمان بمحمد صلى
الله عليه وسلم عند مبعثه وكان الانبياء عند مبعث محمد صلى الله عليه وسلم من جملة الاموات
والميت لا يكون مكلفا فتعين ان يكون الميثاق ماخوذا على الامم قالوا ويؤكد هذا
انه تعالى حكم على الذين اخذ عليهم الميثاق انهم لو تولوا لكانوا فاسقين وهذا الوصف لا
يليق بالانبياء عليهم السلام وانما يليق بالامم واجيب بان يكون المراد من الاية ان الانبياء لو
كانوا في الحياة لوجب عليهم الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ونظيره قوله تعالى لئن اشركت
ليحبطن عملك وقد علم الله تعالى انه لا يشرك قط ولكن خرج هذا الكلام على سبيل التقدير
والفرض وقال تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه
الوتين وقال في الملايكة ومن يقل منهم اني اله من دونه فذلك نجزيه جهنم مع انه تعالى
اخبر عنهم بانهم لا يسبقونه بالقول وبانهم يخافون ربهم من فوقهم فكل ذلك خرج على
سبيل الفرض والتقدير واذا انزلت هذه الاية على ان الله تعالى اوجب على جميع الانبيا
عليهم السلام ان يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم لو كانوا في الاحياء وانهم لو تركوا
ذلك لصاروا في زمرة الفاسقين فلان يكون الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم واجبا
على اممهم من باب اولى فكان صرف هذا الميثاق الى الانبياء اقوى في تحصيل المقصود
وقال السبكي في هذه الاية انه عليه السلام على تقدير مجيئهم في زمانه يكون مرسلا
اليهم لتكون نبوته ورسالته عامة لجميع الخلق من زمن ادم الى يوم القيمة وتكون الانبيا
واممهم كلهم من امته ويكون قوله صلى الله عليه وسلم وبعثت الى الناس كافة لا يختص
به الناس في زمانه الى يوم القيمة بل تتناول من قبلهم ايضا وانما اخذ المواثيق على
الانبياء عليهم السلام ليعلموا انه المتقدم عليهم وانه نبيهم ورسولهم وفي اخذ المواثيق
وهي في معنى الاستخلاف ولذلك دخلت لام القسم في لتؤمنن به ولتنصرنه

لطيفة وهي كانها ايمان البيعة التي تؤخذ للخلفاء ولعل ايمان الخلفاء اخذت
من هنا فانظر هذا التعظيم العظيم للنبي صلى الله عليه وسلم من ربه تعالى فاذا عرف
هذا فالنبي محمد صلى الله عليه وسلم نبي الانبياء ولهذا ظهر ذلك في الاخرة ان جميع الانبيا
تحت لوائه في الدنيا كذلك ليلة الاسراء صلى بهم ولو اتفق مجيئه في زمن ادم
ونوح وابراهيم وعيسى فنبوته عليهم ورسالته اليهم معنى حاصل له وانما امره يتو
قف على اجتماعهم معه فتاخر ذلك الامر راجع الى وجودهم لا الى عدم اتصافهم
بما يقتضيه وفرق بين توقف الفعل على قبول المحل وتوقفه على اهلية الفاعل
فهنا لا توقف من جهة الفاعل ولا من جهة ذات النبي صلى الله عليه وسلم الشريفة
وانما هو من جهة وجود العصر المشتمل عليه فلو وجد في عصرهم لزمهم اتباعه بلا شك
وانما ياتي عيسى عليه السلام في اخر الزمان على شريعته وهو نبي كريم على حاله لا كما يظن
بعض الناس انه ياتي واحدا من هذه الامة نعم انه واحد من هذه الامة لما قلت
من اتباعه للنبي صلى الله عليه وسلم وانما يحكم بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
بالقرآن والسنة وكل ما فيهما من امر ونهي فهو متعلق به كما يتعلق بسائر الامة وهو
نبي كريم على حاله لا ينقص منه شيء وكذلك لو بعث النبي صلى الله عليه وسلم في زمانه او
في زمان موسى وابراهيم ونوح وادم كانوا مستمرين على نبوتهم ورسالتهم الى
اممهم والنبي صلى الله عليه وسلم نبي عليهم ورسول الى جميعهم فنبوته ورسالته اعم واشمل
واعظم ومتفق مع شرايعهم في الاصول لانها لا تختلف وتقدم شريعته صلى الله عليه وسلم
فيما عساه يقع الاختلاف فيه من الفروع اما على سبيل التخصيص واما على سبيل النسخ
او لا نسخ ولا تخصيص بل تكون شريعة النبي صلى الله عليه وسلم في تلك الاوقات
بالنسبة الى اوليك الامم مما جاءت به انبياؤهم وفي هذا الوقت بالنسبة الى هذه الامم
الشريعة والاحكام تختلف باختلاف الاشخاص والاوقات وبهذا بان لنا كان
خفيين عنا احدهما قوله صلى الله عليه وسلم بعثت الى الناس كافة كنا نظن
انه من زمانه الى يوم القيمة فبان انه لجميع الناس اولهم واخرهم والثاني قوله
صلى الله عليه وسلم كنت نبيا وادم بين الروح والجسد كنا نظن انه بالعلم فبان
انه زايد على ذلك وانما يفترق الحال بين ما بعد وجود جسده صلى الله عليه وسلم
وبلوغه الاربعين وما قبل ذلك بالنسبة الى المبعوث اليهم وتاهلهم لسماع كلامه
لا بالنسبة اليه ولا اليهم لو تاهلوا قبل ذلك وتعليق الاحكام على الشروط قد يكون
بحسب المحل القابل وقد يكون بحسب الفاعل المتصرف فهنا التعليق انما هو بحسب
المحل القابل وهو المبعوث اليهم وقبولهم سماع الخطاب والجسد الشريف الذي
يخاطبهم بلسانه وهذا كما يوكل للوكالة ووكالته ثابتة وقد يحصل توقف التصرف
على وجود الكفو ولا يوجد الا بعد مدة وذلك لا يقدح في صحة الوكالة واهلية

الوكيل **في العقايد** متعلق بمتابعة وهي جمع عقيدة اسم لما يعتقد عليه القلب من
المعاني الدينية اي يربط بمعنى يقطع ويجزم من غير شك ولا تردد لان الشك والتردد
كفر وكذلك الظن وهو الطرف الراجح قال تع ان الظن لا يغني من الحق شيا واما
قوله الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم تعالى البيضاوي اي يتوقعون لقاء الله ونيل
ما عنده او يتيقنون انهم يحشرون الى الله فيجازيهم ويويده ان في مصحف ابن مسعود
يعلمون وكان الظن لما شابه العلم في الرجحان اطلق عليه لتضمن معنى التوقع انتهى
فينبغي على هذا للظن اطلاقان اطلاق بمعنى رجحان احد الطرفين وهو في الايمان
كفر واطلاق بمعنى التوقع واليقين وهو محض الايمان وقدم المتابعة في العقايد
لانها الاصل لكل متابعة ولتوقف كل عمل عليها ولانها تكون بالقلب والقلب سبب المواخذة
بالاعمال كما قال تع ولكن يواخذكم بما كسبت قلوبكم ولانها مطهرة لموضع نظر الرب
سبحانه كما ذكر النووي رحمه الله تع في رياض الصالحين حديثا طويلا عن ابي هريرة
رضي الله عنه وفيه ان الله لا ينظر الى اجسادكم ولا الى صوركم وفي رواية ولا الى اموالكم
ولكن ينظر الى قلوبكم وفي رواية ان الله لا ينظر الى صوركم واموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم
واعمالكم **وفي الاقوال** جمع قول وهو قول الحق الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على
وجه العموم دون الخصوص كما كان يفعل النبي صلى الله عليه وسلم ولا يفضح احدا من امته
فكان يقول ما بال اقوام يفعلون كذا وفي تفسير الخازن في قوله تع ولا تجسسوا عن
ابن عمر رضي الله عنهما قال صعد النبي صلى الله عليه وسلم المنبر فنادى بصوت رفيع
فقال يا معشر من اسلم بلسانه ولم يفض الايمان الى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم
ولا تتبعوا عوراتهم فانه من تتبع عورة اخيه المسلم تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته
يفضحه ولو في جوف رحله انتهى والحاصل ان امر النبي صلى الله عليه وسلم بالمعروف
ونهيه عن المنكر كان على وجه العموم دائما ولم يرد عنه عليه السلام انه كان يقول الفاسق
معين لا تفعل الفسق بل ولا يظن في احد من المسلمين الاخرة وكيف يتصور
ان يصدر منه ذلك وقد قال ولا تتبعوا عوراتهم كما في هذا الحديث وهل كان
يتبع العورة وينهى عن تتبعها ولا يسترها وفي تفسير الخازن في المحل المذكور عن
ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يستر عبد عبدا في الدنيا الا ستره الله
يوم القيمة انتهى فهذه كيفية الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على وجه المتابعة
للنبي صلى الله عليه وسلم في اقواله وسياتي ان شاء الله تع لهذا المبحث زيادة
ايضاح في هذا الكتاب **وفي الاخلاق** جمع خلق وتقدم تفسيره واخلاق النبي
صلى الله عليه وسلم كلها عظيمة قال الله تع وانك لعلى خلق عظيم قال البيضاوي
اذ تحتمل من قومك ما لا يحتمله امثالك وسئلت عايشة رضي الله عنها عن خلقه صلى
الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن الست تقراء القرآن قد افلح المومنون وفي

بالرأ ولا المصلين اي بنية يونس ذلك
رواية الامام احمد وابي داود ولو في
جوف بيته كما في التكملة

تفسير الخازن ولما كانت اخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم كاملة وافعاله الجميلة
وافرة وصفها الله تع بانها عظيمة وحقيقة الخلق قوة نفسانية يسهل على المتصف
بها الاتيان بالافعال الحميدة والاداب المرضية فيصير ذلك كالخلقة في صاحبه
ويدخل في حسن الخلق التجنب من الشح والبخل والتشديد في المعاملات ويستعمل
في حسن الخلق التحبب الى الناس بالقول والفعل والبذل وحسن الادب والمعاشرة
بالمعروف مع الاقارب والاجانب والتساهل في جميع الامور والتسمح بما يلزم من
الحقوق وترك التقاطع والتشاجر واحتمال الاذى من الاعلى والادنى مع طلاقة الوجه
وادامة البشر فهذه الخصال تجمع لجميع محاسن الاخلاق ومكارم الافعال ولقد
كان جميع ذلك في رسول الله صلى الله عليه وسلم فوصفه الله تع بقوله وانك لعلى
خلق عظيم وقال ابن عباس معناه على دين عظيم لا دين احب الى الله ولا ارضى
عنده منه وهو دين الاسلام وقال الحسن هو اداب القران سئلت عايشة رضي الله
عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القران وقال قتادة هو
ما كان يأتمر به من اوامر الله وينتهي عنه من نواهي الله تع والمعنى وانك لعلى
الخلق الذي امرك الله به في القران وقيل سمى الله خلقه عظيما لانه امتثل تاديب الله تع
اياه بقوله تع خذ العفو وامر بالمعروف واعرض عن الجاهلين وقال العز بن عبد السلام
وقيل على طبع كريم اجتمعت فيه مكارم اخلاق الانبياء عليهم السلام لانها قصت عليه وقيل
له فبهداهم اقتده وفي المواهب اللدنية قال الحليمي وانما وصف خلقه بالعظيم مع ان الغالب
وصف الخلق بالكرم لان كرم الخلق يراد به السماحة والدماثة ولم يكن خلقه صلى الله عليه
وسلم مقصورا على ذلك بل كان رحيما بالمومنين رفيقا بهم شديدا على الكفار غليظا
مهيبا في صدور الاعداء منصورا بالرعب منهم على مسيرة شهر فكان وصف خلقه بالعظيم
اولى ليشمل الانعام والانتقام وقال الجنيد رضي الله عنه وانما كان خلقه صلى الله عليه
وسلم عظيما لانه لم تكن له همة سوى الله تع وقيل لانه عليه السلام عاشر الخلق بخلقه
وباينهم بقلبه وقيل لاجتماع مكارم الاخلاق فيه قال عليه السلام فيما رواه الطبراني
في الاوسط عن جابر ان الله بعثني بتمام مكارم الاخلاق وكمال محاسن الافعال
وفي رواية مالك في الموطا انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق فجميع الاخلاق
الحميدة كلها كانت فيه صلى الله عليه وسلم فانه ادب بالقران وقال صاحب
عوارف المعارف لا يبعد ان قول عايشة رضي الله عنها كان خلقه القران
فيه رمز غامض وايماء خفي الى الاخلاق الربانية فاحتشمت الحضرة الالهية
ان تقول كان متخلقا باخلاق الله تع فعبرت على المعنى بقولها كان خلقه
القران استحياء من سبحات الجلال وسترا للحال بلطف المقال وهذا من وفور
عقلها وكمال ادبها فكما ان معاني القران لا تتناهى فكذلك اوصافه الجميلة
الدالة على خلقه العظيم لا تتناهى اذ في كل حالة من احواله يتجدد له من مكارم الا

ومحاسن الشيم وما يفيضه الله تعالى عليه من معارفه وعلومه ما لا يعلم الا الله
فاذا التعرض لحصر جزئيات اخلاقه الحميدة صلى الله عليه وسلم تعرض لما
ليس من مقدور الانسان ولا من ممكنات عاداته وقد كان صلى الله عليه
وسلم مجبولا على الاخلاق الكريمة في اصل خلقته الزكية النقية لم يحصل له
ذلك برياضة نفس بل بجود الهي ولهذا لم تزل تشرق انوار المعارف في
قلبه حتى وصل الى الغاية العليا والمقام الاسنى واصل هذه الخصال
الحميدة والمواهب المجيدة كمال العقل لانه تقتبس الفضائل وتجتنب الرذائل
قال وهب بن منبه قرأت في احد وسبعين كتابا فوجدت في جميعها ان الله تعالى ما
يعطي جميع الناس من بدء الدنيا الى انقضائها من العقل في جنب عقله صلى
الله عليه وسلم الا كحبة رملة بين رمل من جميع رمال الدنيا وان محمدا صلى الله عليه
وسلم ارجح الناس عقلا وافضلهم رأيا رواه ابو نعيم في الحلية وابن عساكر وعن
بعضهم مما هو في عوارف المعارف اللب والعقل مائة جزء تسعة وتسعون
في النبي صلى الله عليه وسلم وجزء في سائر المؤمنين **وفي الافعال** جمع فعل وقد
فعل صلى الله عليه وسلم الافعال الجميلة الحسنة المرضية من بداية امره الى
نهايته فكان يخصف النعل ويرقع الثوب ويخدم في مهنة اهله ويقطع اللحم
لا يعبس في وجه احد يجيب دعوة الحر والعبد ويقبل الهدية ولو انها جرعة لبن
او فخذ ارنب ويكافي عليها ويأكلها ولا يأكل الصدقة وكان يعصب الحجر على بطنه
من الجوع ويأكل ما حضر ولا يرد ما وجد ولا يتورع من مطعم حلال وان وجد شواء
اكله وان وجد خبز قمح او شعير اكله وان وجد حلوا او عسلا اكله وان وجد لبنا
دون خبز اكتفى به وان وجد بطيخا او رطبا اكله لا يأكل متكئا ولم يشبع من خبز
قمح ثلاثة متوالية حتى لقي الله تعالى ايثارا على نفسه لا فقرا ولا بخلا اشد الناس
تواضعا واسكنهم في غير كبر لا يهوله شيء من امور الدنيا ويلبس ما وجد فمرة
شملة ومرة برد حبرة يمانية ومرة جبة صوف ما وجد من المباح لبس وخاتمه فضة
يلبسه في خنصره الايمن او الايسر يردف خلفه عبده او غيره يركب ما امكنه مرة
فرسا ومرة بعيرا ومرة بغلة شهباء ومرة حمارا ومرة يمشي راجلا حافيا
بلا رداء ولا عمامة ولا قلنسوة يمزح ولا يقول الا حقا يضحك من غير قهقهة
يرى اللعب المباح فلا ينكره ويسابق اهله وكان له لقاح وغنم يتقوت هو واهله
من البانها وكان له عبيد واماء لا يرتفع عليهم في مأكل ولا ملبس يخرج الى
بساتين اصحابه لا يحقر مسكينا لفقره ولا يهاب ملكا لملكه يدعو هذا وهذا الى الله دعاء
واحدا وكان اذا لقي احدا من اصحابه بدأه بالمصافحة ثم اخذ يده فشابكه ثم شد
قبضته وكان لا يجلس اليه احد وهو يصلي الا خفف صلاته واقبل عليه فقال

الك حاجة فاذا فرغ من حاجته عاد الى صلاته وكان اكثر جلوسه ان ينصب
ساقيه جميعا ويمسك بيديه عليهما شبه الحبوة ولم يكن يعرف مجلسه من مجالس
اصحابه لانه كان حيثما انتهى به المجلس جلس وكان اكثر ما يجلس مستقبل القبلة
وكان اذا سكت تكلم جلساؤه ولا يتنازع عنده في الحديث وكان لا يأكل
الحار ويقول انه غير ذي بركة وان الله تعالى لم يطعمنا نارا فأبردوه وكان
يأكل مما يليه ويأكل باصابعه الثلاث وربما استعان بالرابعة ولم يكن يأكل
باصبعين ويقول ان ذلك اكلة الشيطان وجاءه عثمان بن عفان بفالوذج
فاكل منه وقال ما هذا يا ابا عبد الله فقال بأبي انت وامي نجعل السمن والعسل
في البرمة ونضعها على النار ثم نغليه ثم نأخذ مخ الحنطة اذا طحنت فنلقيه
على السمن والعسل ثم نسوطه حتى ينضج فيأتي كما ترى فقال عليه السلام ان
هذا طعام طيب وكان اذا جلس مع الناس ان تكلموا في معنى الآخرة اخذ
معهم وان تحدثوا في طعام او شراب تحدث معهم وان تكلموا في امر الدنيا تحدث
معهم رفقا بهم وتواضعا لهم ثم نهض عنهم وكانوا يتناشدون الشعر بين يديه
احيانا ويذكرون اشياء من امر الجاهلية ويضحكون فيتبسم هو اذا ضحكوا ولا يزجرهم
الا عن حرام الى غير ذلك من افعاله صلى الله عليه وسلم واحواله الشريفة
العظيمة وتمامها مبسوط في احياء علوم الدين للغزالي رحمه الله تعالى وفي كتاب
المسامرات للشيخ محي الدين ابن العربي رضي الله عنه وكان صلى الله عليه وسلم لا يذكر
عنده الاراذل يكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير
ان يطوي بشره عن احد ولا خلقه يتفقد اصحابه ويسأل الناس عما في ايدي
الناس ويحسن الحسن ويصوبه ويقبح القبيح ويوهنه انتهى وفي الجامع الصغير
للاسيوطي كان صلى الله عليه وسلم اذا تغدى لم يتعش واذا تعشى لم يتغد
وكان يحمل ماء زمزم وكان يحدث حديثا بحيث لو عده العاد لاحصاه وكان
يعجبه النظر الى الخضرة والماء الجاري الى اكثر من ذلك مما هو مفصل في كتب
الشمائل النبوية والاخلاق المحمدية **وان الشيطان** معطوف على ان الظفر
بها والشيطان اما من شاط يشوط شوطا في الارض وهو سرعة السير لسرعته
في السريان في باطن الآدمي لتلبيس الامور وعجلته في الاضلال او من شاط
اذا احترق لغلبة النارية عليه او من شاط اذا هلك لهلاكه بكفره وعناده
فوزنه على هذا فعلان او من شطن اذا بعد لبعده عن رحمة الله فوزنه
فيعال وهو اسم لابليس واولاده كالانسان اسم لآدم واولاده قال
ابو محمد الخازن في تفسير قوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان
الرجيم المراد من الشيطان ابليس وقيل هو اسم جنس يطلق على جميع المردة

من الشياطين لان لهم قدرة في القاء الوسوسة في قلوب بني ادم باقدار الله اياهم
على ذلك وقال الواحدي في تفسير قوله تعالى في سورة البقرة فسجدوا الا ابليس
قال اكثر اهل اللغة والتفسير سمي ابليس بهذا الاسم لانه ابلس من رحمة الله اي
ايس والمبلس المتحير الحزين الايس وفي القران فاذا هم مبلسون وقيل لا يجوز
ان يكون مشتقا من ابلس لانه لو كان كذلك لانصرف ونون كما ينون كليل
ونايل وترك تنوينه في القران يدل على انه اعجمي معرب والاعجمي لا يعرف له
اشتقاق وقال ابن عباس كان ابليس قبل ان يرتكب المعصية ملكا من الملائكة اسمه
عزازيل وكان من سكان الارض وكان سكان الارض من الملائكة يسمون الجن
ولم يكن من الملائكة اشد اجتهادا ولا اكثر علما منه فلما تكبر على الله وابى السجود
وعصاه طرده ولعنه وجعله شيطانا وسماه ابليس **للانسان** وهو لواحد
بني ادم ذكرا كان او انثى **عدو مبين** ظاهر العداوة كما فعل بادم وحوى
فاخرجهما من الجنة وقال لاحتنكن ذريته وفي تفسير الخازن يعني انه بين
العداوة لان عداوته قديمة وعن ابي قتادة قال كنت ارى الرؤيا تمرضني حتى سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الرؤيا الصالحة من الله والرؤيا السوء من الشيطان
فاذا راى احدكم ما يحب فلا يحدث بها الا من يحب واذا راى ما يكره فليتفل عن
يساره ثلاثا ويتعوذ بالله من الشيطان وشرها فانها لن تضره انتهى وهذا من
عداوة الشيطان لا يسلم منه ابن ادم ولا في حالة نومه قال الشيخ المناوي في
شرح الجامع الصغير المؤمن محسود ولع به شيطانه لشدة عداوته فهو يكيده ويحزنه
من كل وجه ويلبس عليه فاذا راى رؤيا صادقة خلطها ليفسد عليه بشراه او
انذاره او معاتبته ونفسه عون للشيطان فيلبس عليه بما اهتم به في يقظته
انتهى واعلم ان الشيطان وان كان لك عدوا مبينا فانه لا يظهر منك الا ما هو
فيك من الشر ولا تاثير له فيما يصدر منك اصلا كما لا تاثير لك انت ايضا
في ذلك وانما ينسب الفعل اليك بتسبب سبب ذلك الفعل وهو الوسوسة
الى الشيطان والله خالق كل شيء وهو بكل شيء عليم ولله الحجة البالغة ولو
شاء لهداكم اجمعين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اخرجه السيوطي
في جامعه الصغير بعثت داعيا ومبلغا وليس الي من الهدى شيء وخلق ابليس مزينا
وليس اليه من الضلالة شيء وقال الشارح المناوي فالرسل انما هم مستجلبون
لامر جبلات الخلق وفطرهم فيبشرون من فطرهم على خير وينذرون من جبل
على شر والشيطان انما ينشر حبائله لامر جبلات الخلق كما تقرر فكلا الفريقين
لا يستانفون امرا لم يكن بل يظهرون امرا كان مغيبا وكذا حال كل امام
وعالم في زمانه ودجال وضلال في اوانه فانما يميز كل منهما الخبيث من الطيب

انتهى فتامل هنا في جميع ما ياتي من امور الشيطان واحذر ان تعتقد ان
له بعضه تعالى من امر الله شيئا فانه تعالى قال لحبيبه محمد صلى الله عليه وسلم ليس لك من
الامر شيء فكيف يكون لعدوه اللعين من الامر شيء انما الامر كله لله ولكن هي
كلمات والفاظ تفصح عن معاني حضرات الله تعالى في اسمه المضل واسمه الهادي
والله يضل من يشاء عمن يشاء اي بلا بسبة الا باستعانة به ويهدي من يشاء
كذلك **يصد** اي الشيطان بمعنى يمنع يقال صده عن الامر يصده صدا
منعه وصرفه عنه قاله الجوهري **عنه** اي عن الظفر بالدار الاخرة وما فيها على
حسب ما سبق وعن الانسان والمفعول محذوف اي الخير يعني يمنع ويصرف
عن الانسان كل خير وصلاح **صدا** مصدر موكد للفعل المذكور **باقصى** اي
بغاية **جهد** بضم الجيم وفتحها اي طاقة وقدرة كما قرئ والذين لا يجدون الا
جهدهم وجهدهم اي طاقتهم **متين** من المتانة وهي القوة ومتن الارض
ما صلب منها **انما** كلمة حصر **يدعو** يعني الشيطان تمني يقهر ويغلب **حزبه**
اي اتباعه واوليائه وكل من اطاعه لا غير وهو ما ذكرنا من ان كل داع الى
طاعة او معصية يميز الله به بين الخبيث والطيب فقط **ليكونوا** اي من دعاهم
من اصحاب السعير تقرير لعداوته وبيان لغرضه في دعوة شيعته الى اتباع الهوى
والركون الى الدنيا قاله البيضاوي وقال السلمي في قوله تعالى ان الشيطان لكم عدو
فاتخذوه عدوا قال الواسطي فاتخذوه عدوا بما نصركم عليه واحذروا ان يعاديكم
فانه انما يدعوا حزبه وحزبه هم الراكنون الى الدنيا والمحبون لها والمفتخرون بها
وقالت رابعة رضي الله عنها ارجى اية في كتاب الله تعالى عندي قوله ان الشيطان
لكم عدو فاتخذوه عدوا قالت كانه يخاطبنا ويقول انا حبيبكم فاتخذوني
حبيبا وقال سهل حزبه اهل البدع والضلالات والاهواء الفاسدة والسامعون
ذلك من قايلها وقال الواسطي حذر وسمي حزبه ومتابعيه وامر بطرده بضياء
المبادرة في العهود وحفظ الحدود ورعاية الود يطرد الوساوس كما اي بضياء
النهار تطرد الكلاب من المجالس وانشد شعرا

وَمَنْ رَعَى غَنَمًا فِي أَرْضِ مَسْبَعَةٍ ۞ وَنَامَ عَنْهَا تَوَلَّى رَعْيَهَا الأَسَدُ

فخذوا ايها
المؤمنون **حذركم** منه لئلا يدخل عليكم ملبسا في صورة خير ولا تشعرون
بقدرة الله تعالى المرة له فيما هو بصدده فان الله تعالى اعطاه خلقه الذي
هو مقتضى ما خلق له وهو الاضلال كما اعطى كل شيء خلقه من خير او شر ثم هدى
اي بين لكم مقتضى خلق كل شيء لا بقدرته وهو التي هي فيه سبب الامداد المذكور
واتخذوه اي الشيطان **عدوا** لكم في عقايدكم وافعالكم وكونوا على حذر منه في
مجامع احوالكم **فانه** اي الشيطان **كلب مبيرا** ب مهلك من البوار وهو الهلاك فلم

مطلب

يكالب على ذلك وحرص شديد قال الامام الغزالي رضي الله عنه في شرح عجايب القلب
من احياء العلوم قال جرير بن عبد العدوي شكوت الى العلاء ابن زياد ما اجد في صدري
من الوسوسة فقال انما مثل ذلك مثل البيت الذي تمر به اللصوص فان كان فيه شي
عالجوه والا مضوا وتركوه يعني ان القلب الخالي عن الهوى لا يدخله الشيطان فلذلك
قال تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وكل من اتبع الهوى فهو عبد الهوى لا عبد
الله فلذلك يسلط عليه الشيطان وقد قال تعالى افرايت من اتخذ الاهه هواه
اشارة الى ان الهوى الاهه ومعبوده فهو عبد الشيطان لا عبد الله وقال عثمان
بن العاص يا رسول الله حال الشيطان بيني وبين صلاتي وقراتي فقال ذلك شيطان
يقال له خنزب اذا احسست به فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثا قال
ففعلت ذلك فاذهبه الله عني وفي الخبر ان للوضوء شيطانا يقال له الولهان
فاستعيذوا بالله منه ولا يمحوا وسوسة الشيطان عن القلب الا ذكر شي سوى ما
يوسوس به لانه اذا احضر في القلب ذكر شي انعدم عنه ما كان فيه من قبل ولكن
كل شي سوى الله وسوى الله ما يتعلق به يجوز ان يكون ايضا مجالا ولا يعالج
الشي الا بضده وضد جميع وساوس الشيطان ذكر الله بالاستعاذة والتبري
عن الحول والقوة وهو معنى قولك اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ولا حول ولا قوة الا
بالله وذلك لا يقدر عليه الا المتقون الذين الغالب عليهم ذكر الله وانما الشيطان يطوف
بقلبهم في اوقات الغفلات على سبيل الخلسة قال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا
مسهم طيف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون وقال مجاهد في معنى قوله من شر
الوسواس الخناس قال هو منبسط على قلب الانسان فاذا ذكر الله خنس وانقبض
واذا اغفل انبسط على قلبه فالتطارد بين ذكر الله ووسوسة الشيطان كالتطارد
بين النور والظلام وبين الليل والنهار ولتضادهما قال تعالى استحوذ عليهم
الشيطان فانساهم ذكر الله وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
الشيطان واضع خطمه على قلب ابن ادم فان ذكر الله خنس وان نسي التقم قلبه
وقال ابن وضاح في حديث ذكره اذا بلغ الرجل اربعين سنة ولم يتب مسح الشيطان
بيده وجهه وقال بابي وجه لا يفلح وكما ان الشهوات ممتزجة بلحم الادمي ودمه
فسلطنة الشيطان ايضا سارية في لحمه ودمه ومحيطة بالقلب من جوانبه ولذلك
قال صلى الله عليه وسلم ان الشيطان ليجري من ابن ادم مجرى الدم فضيقوا مجاريه
بالجوع وذلك لان الجوع يكسر الشهوة ومجرى الشيطان الشهوات ولاجل اكتنافه
للقلب من جوانبه قال تعالى حكاية عن ابليس لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لاتينهم
من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمايلهم قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الشيطان قعد لابن ادم باطرقه فقعد له بطريق الاسلام فقال

اتسلم

اتسلم وتذر دينك ودين ابايك فعصاه فاسلم وقعد له بطريق الهجرة فقال
اتهاجر وتذر ارضك وسماك فعصاه فهاجر وقعد له بطريق الجهاد فقال تجاهد
وهو جهد النفس والمال تقاتل فتقتل فتنكح نساؤك ويقسم مالك فعصاه
فجاهد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن فعل ذلك فمات كان حقا على الله
ان يدخله الجنة فقد ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم معنى الوسوسة وهو هذه
الخواطر التي تخطر للمجاهد انه يقتل وتنكح نساؤه وغير ذلك مما يصرفه عن
الجهاد وهذه الخواطر معلومة فاذن الوسواس معلوم بالمشاهدة وكل خاطر فله
سبب ويفتقر الى اسم يعرفه فاسم سببه الشيطان ولا يتصور ان ينفك عنه ادمي وانما
يختلفون بعصيانه ومتابعته ولذلك قال ما من احد الا وله شيطان انتهى واعلم
ان الشيطان كما يكون من الجن على حسب ما ذكرنا من اوصافه الردية وعداوته لاهل
الملة الاسلامية يكون من الانس ايضا قال الواحدي في تفسير قوله تعالى وكذلك
جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن والشيطان كل عات متمرد من الانس
والجن قالوا ان من الجن شياطين ومن الانس شياطين وان الشياطين من الجن
اذا اعياه المومن وعجز عن اغوائه ذهب الى متمرد من الانس وهو شيطان الانس
فاغراه بالمومن ليفتنه قال يدل على هذا ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لابي
ذر هل تعوذت بالله من شر شياطين الانس والجن قال قلت وهل للانس من شياطين
قال نعم هم شر من شياطين الجن قال مالك بن دينار وان شياطين الانس اشد علي من شياطين
الجن وذلك اني اذا تعوذت بالله من شيطان الجن ذهب عني وشيطان الانس فيجرني
الى المعاصي عيانا وفي تفسير الخازن في قوله تعالى من الجنة قال ان الوسواس والخناس
قد يكون من الجنة وهم الجن وقد يكون من الانس وكما ان شيطان الجن قد يوسوس تارة
ويخنس اخرى فكذلك شيطان الانس قد يوسوس للانسان كالناصح له فان قبل
زاد في الوسوسة وان كره السامع ذلك انخنس وانقبض فغاية بغية اي الشيطان
والبغية بالكسر والضم الحاجة نفسها يقال لي في بني فلان بغية وبغية اي حاجة وبغي
ضالته وكذلك كل شي طلبه بغاء بالضم والمد وبغاية ايضا سلب اي اخذ وازالة
الايمان من الانسان بالله تعالى او برسله او بشي مما ورد عنهم من اليقينيات
ولو بالتشكيك فيه ليساوي الانسان معه في رتبة الكفر التي هو فيها ورتبة الكوك
والترددات فيما هو على الحق المبين قال ابن اقبرس في فتح الصفا شرح الشفاء
اختلف العلماء في ان ابليس حين اشتغاله بالعبادة كان كافرا ام لا فمنهم من قال
انه كافر ابدا واستدل بما نقل صاحب شرح الاناجيل الاربعة من انه وقع المناظرة
بين الملائكة وبين ابليس فقال ابليس للملايكة انا اسلم ان الله خالقي وخالق
الخلق لكن لي على حكمته اسئلة الاول ما الحكمة في الخلق لا سيما اذا كان عالما ان الكافر

لا يستوجب عند حكمته الا الاثم الثاني ما الفائدة في التكليف مع تنزهه عن
عود الفائدة اليه وما يعود الى المكلفين فهو قادر على تحصيله لهم من غير توسط التكليف
الثالث هب انه خلقني لمعرفته وطاعته فلم كلفني بالسجود لادم الرابع ثم لما عصيته
فتركت السجود لادم فلم لعنني واوجب عقابي مع انه لا فائدة له ولا لغيره فيه
ولي فيه اعظم الضرر الخامس هب انه فعل ذلك فلم مكنني من دخول الجنة ووسوسة
ادم السادس لما فعل ذلك فلم سلطني على اولاده ومكنني من غوايتهم واضلالهم
السابع ثم لما استمهلته المدة الطويلة في ذلك فلم امهلني ومعلوم ان العالم كان
خاليا عن الشر فاوحى الله اليه من سرادقات الجلال والكبرياء يا ابليس انك
ما عرفتني ولو عرفتني لعلمت انه لا اعتراض علي في شيء من افعالي فاني انا الله
لا اله الا انا لا اسأل عما افعل قال بعض المحققين لا جواب عن هذه الشبهات الا
الجواب الذي ذكره الله تعالى واقول ان الله تعالى انما اقتصر على هذا الجواب لعلمه
تعالى بما اودع فيه من صفة الجهل لحكمته وانه عاجز عن ادراك ذلك اذ لازم ما ذكره
في الشبه التعطيل ولا شك ان الله تعالى لم يخلق شيئا عبثا والحكمة في افعاله تعالى
قد تكون خفية فيختلف فيها الحال باختلاف الاشخاص في الادراك وقد تكون جلية
وعندي ان جواب هذه الشبه غير بالغ في الخفا وليس هذا المقام بقابل للتطويل
بذكر الحكمة في كل سوال من هذه الاسئلة لان فيه خروجا عن المقصود انتهى والحاصل انه
لعنه الله كافر بجهله وعناده لما قام عنده من الشبهات التي فتنه الله تعالى بها فهو يوسوس
في صدور الناس ليحملهم على ما وقع منه فيقع منهم نظيره ويكفرون كما كفر هو قال تعالى
كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك اني اخاف الله رب
العالمين قال الواحدي اذ قال للانسان وهو عابد في بني اسرائيل واسمه برصيصا
ذكر ابن عباس قصته فقال كان في بني اسرائيل عابد عبد الله زمانا من الدهر حتى كان
يؤتى بالمجانين يداويهم ويعوذهم فيبرؤون على يده وانه اتي بامراة ذات شرف
قد جنت وكان لها اخوة فاتوه بها وكانت عنده فلم يزل به الشيطان يزين
له حتى وقع عليها فحملت فلما استبان حملها قتلها ودفنها فلما فعل ذلك
ذهب الشيطان حتى لقي احد اخوتها فاخبره بالذي فعل الراهب وانه دفنها
في مكان كذا وكذا ثم اتى بقية اخوتها رجلا رجلا فذكر ذلك له فجعل الرجل
يلقى اخاه فيقول والله لقد اتاني ات ذكر لي شيئا يكبر علي ذكره فذكر بعضهم
لبعض حتى بلغ ذلك ملكهم فسار الملك والناس فاستنزلوه فاقر لهم بالذي
فعل فامر به فصلب فلما رفع على خشبة تمثل له الشيطان فقال انا الذي
زينت لك هذا والقيتك فيه فهل انت مطيع فيما اقول لك اخلصك مما

مطلب قصة برصيصا

انت

انت فيه قال نعم قال اسجد لي سجدة واحدة قال فسجد له وقتل الرجل فهو قوله كمثل
الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر تبرا منه الشيطان وهو قوله قال اني
بريء منك اني اخاف الله رب العالمين قال البيضاوي في قوله تعالى واذ زين لهم
الشيطان اعمالهم في معاداة الرسول وغيرها بان وسوس اليهم وقال لا غالب لكم اليوم
من الناس واني جار لكم مقالة نفسانية والمعنى انه القى في روعهم وخيل اليهم انهم لا
يغلبون ولا يطاقون لكثرة عددهم وعددهم واوهمهم ان اتباعهم اياه فيما
يظنون انها قربات مجيرهم حتى قالوا اللهم انصر اهدى الفئتين وافضل الدينين انتهى وكم
له لعنه الله تعالى من حيلة على ابن ادم ليوقعه في الكفر كما وقع هو فيه والله خير
حافظا وهو ارحم الراحمين وغايته بغيته ايضا **الخلود** اي خلود الانسان وهو
دوام البقاء تقول خلد الرجل يخلد خلودا واخلده الله اخلادا وخلده تخليدا
قاله الجوهري الدايم تاكيد له لفظي بموافقة نحو اجل جير **في النيران** اي
نيران الكفر والشرك والعياذ بالله تعالى فان قلت قال ابو حنيفة رضي الله عنه
في الفقه الاكبر لا يجوز ان تقول بان الشيطان يسلب الايمان من العبد المومن
قهرا وجبرا فكيف قال المصنف رحمه الله تعالى غايته بغيته سلب الايمان قلت
ليس مراده سلب الايمان من العبد قهرا عنه وجبرا عليه ولو كان كذلك لما كان
العبد كافرا حينئذ لاكراهه على ذلك وزوال اختياره وارادته عنه بل مراده سلب
الايمان باختيار العبد لتركه وارادته ذلك حتى يبقى العبد مكلفا فيستحق العقاب
ولما كان سببا للسلب بوسوسته نسب السلب اليه ولهذا قال للانسان اكفر يعني
وسوس له في نفسه بان يكفر باختياره وارادته فلما كفر قال اني بريء منك كما
مر وقد اجاب ابو حنيفة رضي الله عنه في الفقه الاكبر عن ذلك بقوله ولكن نقول
العبد يدع الايمان يعني باختياره وارادته لان الشيطان وسوس له بعد ذلك
فاطاعه فحينئذ يسلبه منه وفي تفسير الخازن في قوله تعالى وقال الشيطان
يعني ابليس لما قضي الامر يعني فرغ منه ودخل اهل الجنة الجنة واهل النار
النار في لوم ابليس وتقريعه وتوبيخه فيقوم فيهم خطيبا قال مقاتل
يوضع له في النار منبر فيجتمع اليه اهل النار يلومونه فيقول لهم ما اخبر الله
بقوله إِنَّ اللّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وتقديره فصدق في وعده ووعدتكم فاخلفتكم
وقيل يقول لهم اني قلت لكم لا بعث ولا جنة ولا نار وما كان لي عليكم من سلطان
يعني من ولاية وقهر وقيل لم اتكم بحجة فيما وعدتكم به الا ان دعوتكم فاستجبتم لي
فلا تلوموني ولوموا انفسكم يعني ما كان مني الا الدعاء والقاء الوسوسة
وقد سمعتم دلائل الله وجاءتكم الرسل فكان من الواجب عليكم ان لا تلتفتوا الي ولا
تسمعوا قولي فلما رجحتم قولي على الدلائل الظاهرة فكان اللوم بكم اولى باجابتي

مطلب في تعنيف ابليس

ومنا بعتي من غير حجة ولا دليل ما انا بمصرخكم يعني بمغيثكم ولا منقذكم وما انتم بمصرخي يعني بمغيثي ولا منقذي مما انا فيه اني كفرت بما كفرت بما اشركتمون من قبل يعني كفرت بجعلكم اياي شريكا له في عبادته وتبرات من ذلك والمعنى ان ابليس يجحد ما يعتقده الكفار فيه من كونه شريكا لله وتبرأ من ذلك **ثم** يتنزل مع الانسان بعد ذلك اذا لم يبق له حيلة في تكفيره والتسبب له بالخلود في النار فيرضى ان يكون منه **الفسق** وهو الخروج عن طاعة الله تعالى مع الايمان به كفعل المعاصي وترك المامورات **الظاهر** على الانسان يعني الذي يظهر به الانسان عن قصد منه واختيار وللشيطان ابواب يدخل منها على الانسان فيتحكم منه بها فيحمله على ما يغويه وهي كثيرة من اكبرها الدنيا قال في الاحياء للغزالي قال ثابت لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم قال ابليس لشياطينه لقد حدث امر فانظروا ماذا هو فانطلقوا ثم جاءوه وقالوا ما ندري قال ابليس انا اتيكم بخبره فذهب وجاءه وقال قد بعث محمد صلى الله عليه وسلم قال فجعل يرسل شياطينه الى اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فينصرفون خائبين ويقولون ما صحبنا قوما قط مثل هولاء نصيب منهم ثم يقومون الى صلاتهم فيمحى ذلك فقال ابليس رويدا بهم عسى الله ان يفتح لهم الدنيا فهناك تصيبون حاجتكم منهم وروي ان عيسى عليه السلام توسد يوما حجرا فمر به ابليس فقال يا عيسى رغبت في الدنيا فاخذه من تحت راسه ورماه به وقال هذا لك مع الدنيا وذكر ايضا قال ان لكل نوع من المعاصي شيطانا يخصه ويدعو اليه قال مجاهد لابليس خمسة من الاولاد قد جعل كل واحد منهم على شيء من امره فذكر ان اسماءهم ثبر والاعور ومسوط وداسم وزلنبور فاما ثبر فهو صاحب المصائب الذي يامر بالثبور وشق الجيوب ولطم الخدود ودعوى الجاهلية واما الاعور فهو صاحب الزنا يامر به ويزينه واما مسوط فهو صاحب الكذب واما داسم فيدخل الرجل الى اهله يريه العيب فيهم ويغضبه عليهم واما زلنبور فهو صاحب السوق وبسببه لا يزالون متظالمين وشيطان الصلاة يسمى خنزب وشيطان الوضوء الولهان وقد وردت في ذلك اخبار كثيرة وقد روى عمر بن عبد العزيز ان رجلا سال ربه عز وجل ان يريه موضع الشيطان من قلب ابن ادم فراى في النوم جسد رجل شبه البلور يرى داخله من خارجه وراى الشيطان في صورة ضفدع قاعد على منكبه الايسر بين منكبه واذنه له خرطوم طويل دقيق قد ادخله في منكبه الايسر الى قلبه يوسوس اليه فاذا ذكر الله خنس ومثل هذا قد يشاهده في اليقظة بعينه وقد رآه بعض المكاشفين في صورة كلب جاثم على جيفة يدعو الناس اليها وكانت الجيفة مثال الدنيا **والظلم** اي الذي يكون بطريق التعدي والجور لا ما فيه كف عن سوء او حمل على ضرر في النفس او في الغير وادناها اي ادنى بغية الشيطان هي اقل ما يكون

من حاجته بالانسان **التثبيط** اي المنع للانسان والتعويق له في فعل الخيرات عن المضي فيها وعن انشائها من الاصل وعن الاعتناء بها **والحط** اي التسفل والرضى بالدون في المراتب العلمية والدرجات العملية بان يقول للانسان لا تترك التنعم واللذات فان العمر طويل والصبر على الشهوات طول العمر بلية عظيمة فعند هذا اذا ذكر العبد عظيم حق الله وعظيم ثوابه وعقابه وقال الصبر عن الشهوات شديد ولكن الصبر على النار اشد منه ولا بد من احدهما فاذا ذكر العبد وعد الله ووعيده وجدد ايمانه ويقينه خنس الشيطان وهرب اذ لا يستطيع ان يقول ليس النار اشد من الصبر على المعاصي ولا يمكنه ان يقول المعصية لا تفضي الى النار فان ايمانه بكتاب الله يدفعه عن ذلك فينقطع وسواسه فيترك العبد المعصية وينهمك في فعل الطاعات فيتخيل الشيطان الحيل ويذهب عنه ودعا قال له في نفسه ان الله غفور رحيم وان رحمته واسعة فافعل ما شئت من المعاصي فان الله يغفرها كلها لك كما قال البيضاوي في قوله تعالى يا ايها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا فيذهلكم التمتع بها عن طلب الاخرة والسعي لها ولا يغرنكم بالله الغرور الشيطان بان يمنيكم المغفرة مع الاصرار على المعصية فانها وان امكنت لكن الذنب بهذا التوقع كتمني السم اعتمادا على دفع الطبيعة وفي تفسير الخازن فلا تغرنكم الحيوة الدنيا اي لا تخدعنكم بلذاتها وما فيها عن عمل الاخرة وطلب ما عند الله ولا يغرنكم بالله الغرور اي لا يقل لكم اعملوا ما شئتم فان الله يغفر كل ذنب وخطيئة ثم بين الغرور بقوله ان الشيطان لكم عدو انتهى **و**الحاصل ان الشيطان له وساوس يلقيها في نفوس اهل الغفلة عن شهود الله تعالى فيحملهم بها على الكفر اولا فان لم يمكنه بان وفقهم الله تعالى للاحتفاظ على ايمانهم يحملهم على فعل المعاصي وارتكاب الاثام من الذنوب القاصرة على نفوسهم والذنوب المتعدية الى غيرهم فان لم يمكنه ذلك حملهم على التواني والتضاعف والتكاسل في العبادات والطاعات وحرمهم نيل المراتب والدرجات العاليات وهذا الترتيب دابه وعادته في كل احد لا يقنع بالادنى الا اذا عجز عن الاعلى ولهذا قال المصنف رحمه الله تعالى **ولا يرضى** يعني الشيطان **به** اي التثبيط والحط المذكورين **الا عند الياس** اي القنوط بالكلية **من غيره** اي غير كل واحد منها فان ايس من الكفر رضي بالفسق وان لم يرض بالفسق رضي بالتثبيط في الطاعات والحط عن الدرجات العاليات **نعوذ** اي نلتجي ونحتمي ونستجير **بالله** الذي خلقنا وخلق **ثم نعوذ** تاكيد لفظي للاول **بالله** كذلك **من شره** اي الشيطان قال الخازن في تفسير قوله تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ النزغ شبه النخس والشيطان ينزغ الانسان كانه ينخسه اي يبعثه على ما لا ينبغي فاستعذ

بالله اي من شره انه هو السميع اي لاستعاذتك العليم باحوالك قال الغزالي في الاحياء
فان قلت فما العلاج في دفع الشيطان وهل يكفي في ذلك ذكر الله وقول الانسان لا حول ولا
قوة الا بالله فاعلم ان علاج ذلك سد مداخله وتطهير القلب من الصفات المذمومة
وليس في الادمي صفة مذمومة الا وهي سلاح الشيطان ومدخل من مداخله ثم اذا
قلعت من القلب اصول هذه الصفات كان للشيطان بالقلب اجتيازات وخطرات
ولم يكن له استقرار ويمنعه من الاجتياز ذكر الله تعالى لان حقيقة الذكر لا تتمكن من
القلب الا بعد عمارة القلب بالتقوى وتطهيره من الصفات المذمومة والا فيكون
الذكر حديث نفس لا سلطان له على القلب فلا يدفع سلطان الشيطان ولذلك قال
قال تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا اخصص ذلك بالتقوى
والمتقين ومثل الشيطان مثل الكلب الجائع يقرب منك فان لم يكن بين يديك
لحم وخبز ينزجر بان تقول له اخسأ فمجرد الصوت يدفعه وان كان بين يديك لحم
وهو جائع فانه يهجم على اللحم ولم يندفع بمجرد الكلام فالقلب الخالي عن قوت الشيطان
ينزجر عنه بمجرد الذكر فاما الشهوة اذا غلبت على القلب دفع حقيقة الذكر الى حواشي
القلب فلم يتمكن من سويدائه فيستقر الشيطان في سويداء القلب واما قلوب المتقين
الخالية من الهوى والصفات المذمومة فانه يطرقها الشيطان لا للشهوات بل لخلوها
بالغفلة عن الذكر فاذا عادت الى الذكر خنس الشيطان ودليل ذلك قوله تعالى فاستعذ
بالله وسائر الايات والاخبار الواردة في الذكر وقال ابو هريرة التقى شيطان المومن وشيطان
الكافر فاذا شيطان الكافر سمين دهين كاسي واذا شيطان المومن مهزول اشعث
عاري فقال شيطان الكافر لشيطان المومن ما لك قال انا مع رجل اذا اكل سمى فاظل
جائعا واذا شرب سمى فاظل عطشان واذا ادهن سمى فاظل شعثا واذا لبس سمى
فاظل عريانا فقال شيطان الكافر لكني مع رجل لا يفعل شيئا مما ذكرت فانا
اشاركه في طعامه وشرابه ولباسه وكان محمد بن واسع يقول كل يوم بعد صلاة الصبح
اللهم انك سلطت علينا عدوا بصيرا بعيوبنا يرانا هو وقبيله من حيث لا نراهم
اللهم فآيسه منا كما آيسته من رحمتك وقنطه منا كما قنطته من عفوك وابعد
بيننا وبينه كما ابعدت بينه وبين جنتك انك على كل شيء قدير فتمثل له
ابليس يوما في طريق المسجد فقال يا ابن واسع هل تعرفني قال ومن انت قال
اللعين قال وما تريد قال اريد ان لا تعلم احدا هذه الاستعاذة قال والله
لا امنعها ممن ارادها فاصنع الآن ما شئت وقال صلى الله عليه وسلم ما سلك عمر
فجا الا سلك الشيطان فجا غير فجه وحكمه بهذا لان القلوب مطهرة عن مرعى
الشيطان وقوته وهي الشهوات فمهما طمعت في ان يندفع الشيطان عنك بمجرد
الذكر كما اندفع عن عمر كان محالا وكنت كمن يطمع في ان يشرب دواء قبل الاحتماء

والمعدة

والمعدة مشحونة بغليظ الاطعمة ويطمع ان ينفعه كما نفع الذي شربه بعد
الاحتماء وتخلية المعدة والذكر دواء والتقوى احتماء تخلي القلب من الشهوات
فاذا نزل الذكر قلبا فارغا عن غير الذكر اندفع الشيطان كما تندفع العلة
بنزول الدواء في معدة خالية من الاطعمة قال تعالى ان في ذلك لذكرى لمن
كان له قلب وقال تعالى كتب عليه انه من تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب
السعير ومن ساعد الشيطان بعمله فهو مولاه وان ذكر الله بلسانه وان كنت
تقول ان الحديث قد ورد مطلقا بان الذكر يطرد الشيطان ولم تفهم ان اكثر
عمومات الشرع مخصوصة بشروط يعرفها علماء الدين فانظر الى نفسك
فليس الخبر كالمعاينة وتامل فان منتهى ذكرك وعبادتك صلاتك فراقب قلبك
اذا كنت في صلاتك كيف يتجاذبه الشيطان الى الاسواق وحساب العاملين
وجواب المعاندين وكيف يمر بك في اودية الدنيا ومهالكها حتى انك لا تتذكر
ما نسيته من فضول الدنيا الا في صلاتك فلا يزدحم الشيطان على قلبك الا اذا
صليت والصلاة محك القلوب فيما يظهر مساويها ومحاسنها فان شئت
الخلاص من الشيطان فقدم الاحتماء بالتقوى ثم اردفه بدواء الذكر وقد يفر
الشيطان منك كما يفر من عمر رضي الله عنه ولذلك قال وهب بن منبه اتق الله
لا تسب الشيطان في العلانية وانت صديقه في السر اي وانت مطيع له انتهى
فقولك اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وانت فاسد القلب من غير تقوى
عندك في ظاهرك وباطنك لا يؤثر شيئا عند الشيطان بل ربما استهان الشيطان
على غرورك بقولك ذلك لظنك انك طردت الشيطان عنك بمجرد لقلقة
لسانك وانت مقيم على الغفلات والمعاصي ولا حول ولا قوة الا بالله العلي
العظيم **والمومن** بالله تعالى وبرسله وما جاء عنهم **الطالب** بظاهره وباطنه
مع الاجلال **للحق** اي لمعرفته سبحانه وتعالى وللوصول اليه **والباقية** وهي
الدار الاخرة التي اهلها فيها دائمون خالدون في نعيم او عذاب اليم وكل من
طلب الامرين معا فهو من الابرار اصحاب السلوك في طريق المعرفة بالله تعالى
ولا وصول لهم اليه بعد وادنى منهم المنقطعون الواقفون عن الطلب المذكور
وهم عامة المومنين واعلا من الكل الكاملون الواصلون المقربون وقد اقتصر
طلبهم على الله وحده فهم سائرون به اليه فيه ولما كان هذا الكتاب منحصرا في
بيان رتبة الابرار وذكر رفعتها بالنسبة الى رتبة عامة المومنين لم يذكر فيه
رتبة المقربين ولا كلامهم **لا تخفى عليه** اي على ذلك الطالب للامرين معا
الحق والدار الاخرة الطلبة **الاولى** التي هي الحق سبحانه **ولا** الطلبة **الثانية**
وهي الباقية اي الاخرة اذ كل من طلب شيئا فانه يعرفه وطلب المجهول محال البتة

فمن طلب الحق تعالى فلولا انه يعرفه بوجه ما وهو طالب كمال معرفة ما طلبه
ولا خطر في باله حسن الوصول اليه سبحانه وكذلك من طلب الاخرة فلولا انه يعرفها
بوجه من الوجوه بوجه من الوجوه ما امكنه ان يطلبها ولا كان يخطر على باله
حسنها فكل من تيسر له الطلب المذكور فهو عارف لما يطلب معرفة الهامية حصلت له
بمحض فيض فضل الله تعالى وهو الذي يسمى مريدا في اصطلاح الصوفية واما
من كانت ارادته بمجرد مشتهى المعرفة الالهية وتشتهي الوصول الى الدار الاخرة
من غير سعي في طريق ذلك الموصل اليه فهو صاحب غرور في الحياة الدنيا وليس
بمريد كما ان من اراد السفر الى بلاد مثلا اذا قصد ذلك بقلبه ولم يخرج من
بلاده التي هو فيها فانه ليس بمسافر اصلا بل هو مشتهي السفر ومتمني له وانما
المسافر من خرج من اوطانه واعرض عن جميع اهله واخوانه وجرد قصده الى مطلوبه
واقبل بكليته الى وجه محبوبه ومن كان كذلك فلا يخفى عليه شيء من المسالك ولو
فرضنا انه جاهل بالطريق فانه مريد له حيث صدق في التوجه الى رفيق
ولهذا قال الجنيد البغدادي رضي الله عنه المريد الصادق غني عن علم العلماء كذا
نقله القشيري في الرسالة يعني غنيا بالله عمن سواه من كل عالم فان الله تعالى يعلمه
بالعلماء من كل نوع كان من انسان او حيوان او جماد او نبات وعلامة
ذلك وجود المعلم عنده وكل شيء في الوجود له عقل وعلم كما بينته مفصلا في
كتابي لمعات البرق النجدي شرح تجليات محمود افندي **وانما الاشتباه**
وهو دخول الشيء في شبهه يقال اشتبه الامر اذا لم يتميز من اشباهه واشكل
اذا دخل في اشكاله **والالتباس** مثل الاشتباه فان الشيء اذا لبس هيئة
الاخر اشتبه به فيقال التبس حيث لم يتميز عنه **ونفوذ** اي مضي يقال نفذ
السهم في الغرض اذا مضى فيه بالذال المعجمة واما بالدال المهملة فهو التمام
والفراغ يقال نفد المال اذا اتم وفرغ **وسواس** اسم مصدر كالوسوسة مثل
الزلزال بمعنى الزلزلة واما المصدر فبالكسر كالزلزال والوسوسة الهمز والصوت
الخفي وقال العز بن عبد السلام في تفسيره الوسواس الشيطان واصل الوسوسة
الحركة وقيل الصوت الخفي والوسواس الصوت الخلي وحديث النفس وقال
الخازن في قوله تعالى الذي يوسوس في صدور الناس يعني بالكلام الخفي
الذي يصل مفهومه الى القلب من غير سماع **الخناس** الذي عادته ان
يخنس اي يتاخر اذا ذكر الانسان ربه كما قاله البيضاوي وقال العز بن عبد
السلام الخناس المختفي عن الاعين وقيل هو الذي يخنس مرة ويوسوس اخرى
وقيل المتاخر عند ذكر الله وقيل هو جاثم على قلب ابن ادم فاذا ذكر الله خنس
واذا غفل وسوس وقال الخازن الخناس الرجاع وقال قتادة الخناس له

خرطوم

خرطوم كخرطوم الكلب وقيل كخرطوم الخنزير في صدر الانسان فاذا ذكر
العبد ربه خنس ويقال راسه كراس الحية واضع راسه على ثمرة القلب يمنيه
ويحدثه فاذا ذكر الله خنس واذا لم يذكر الله رجع ووضع راسه على القلب في
الجاهلين متعلق بنفوذ اي تاثير ذلك في اهل الجهل وهو خلاف
العلم فيشمل الشك والوهم والظن في الاعتقاديات وان الحق بالعلم في
العمليات والمراد بهم الذين جهلوا ما اوجب الله تعالى عليهم والعمل به من الاحكام
الشرعية **المتنسكين** اي المتعبدين من النسك وهو غاية العبادة وشاع
في الحج لما فيه من الكلفة والبعد عن العادة كما قاله البيضاوي والمراد انهم عابدون
لله تعالى مع الجهل بدينه وبعبادته وفي الخلق تابعين لذلك ويمكنهم غير معلومين
باعيانهم لوجوب الحمل على الكمال وستر عيوب المسلمين وحرمة الظن السوء
والتجسس عنهم كما ورد في صريح الايات والاحاديث وليس مراد المصنف رحمه
الله تعالى جماعة مخصوصين لوجوب ظن الخير فيه وانما كلامه عام ليعم النفع
به فكذلك يجب ان يكون كلام كل مدرس وواعظ في كل زمان حتى لا يتدنس
بالاثام في باطنه وظاهره فينتفع غيره كلامه **وفي العالمين** بكسر
اللام جمع عالم وهو الموصوف بالعلم **الغافلين** عما هم مامورون بذكره
واستحضاره من اسرار التوحيد ولطائف العبادات وهم العلماء المنهمكون
في الشهوات النفسانية المغرورون بالزخارف الدنيوية وهم غير معلومين
ايضا باعيانهم ولكن بيانهم على طريق العموم كالاولين قال تعالى والله يعلم
المفسد من المصلح **فيما** اي كائنا يعني الاشتباه والالتباس في الامور التي
هي **عداها** اي غير الحق والباقية المذكورين يعني الله تعالى والاخرة **من**
جميع انواع **الامور** جمع امر ضد النهي من امور الدنيا وما فيها وكونا لله تعالى والا
خرة لا اشتباه ولا التباس فيهما ولا على الجاهلين المتنسكين والعالمين الغا
فلين لان الله تعالى غيب مطلق والاخرة غيب مقيد والغيب يجب الايمان به
قبل الاطلاع عليه ولا يقبل الايمان به بعد الاطلاع عليه لانه ليس بايمان اختيار
بل هو شهود ضروري حينئذ لا يتصور فيه التكليف ولهذا لا يصح ايمان الكافر
اذا شاهد امر الاخرة كما قال تعالى يوم لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من
قبل والايمان قدر مشترك بين الجاهل والعالم وبين الغافل والمتيقظ
كما قال ابو حنيفة رضي الله عنه ايمان اهل السماء والارض سواء وانما التفاوت
فيما عدا ذلك من الايات التي في الافاق وفي الانفس يراها الجاهل ظلمات
فيحجبها عن مواضعها ويبدلها بعد ما سمعها وتغلب حالته على العالم الغافل
فيقتدي به في ذلك فلهذا اسماها شرحا لانها منشأ الشر وكل منهما خان

قلت الجاهلون المتنسكون والعالمون الغافلون لا يعرفون الله تعالى ولا
الاخرة كما يعرف العالمون العاملون الكاملون فكيف يكون الله والاخرة غير مشتبهين
ولا ملتبسين عليهما قلت لا يتصور الاشتباه والالتباس في الامر المجوز للكل
الذي اشترك في الاعيان من غير تحكم عليه بما ليس وارداً عنه من الاوصاف
والقصور في القاصرين انما هو من جهة ما عدا الله تعالى والاخرة فانها الشرور التي
متى اشتغل بها احد انسته ذكر الله واحجب عنه كل سوء ونقص وحملته على
نسبة ذلك الى الله تعالى والى الاخرة وهما مبرآن من ذلك فالاشتباه والالتباس
المنسوبان في الظاهر عند الجاهل والغافل الى الله تعالى والى الاخرة واقعان
في نفس الامر على ما عدا الله تعالى والاخرة من الامور الدنيوية لانه من لم يعرف
نفسه لا يعرف ربه ومن لا يعرف احوال نفسه لا يعرف الاخرة فالفطرة الانسانية
مجبولة على معرفة الله تعالى ومعرفة الاخرة وانما الاشتباه والالتباس فيما
عداهما فاذا انقطعت اسباب ما عداهما ظهرت الفطرة الاصلية ظهوراً
اضطرارياً لا اختيارياً كسبياً فلا ينفع ذلك قال تعالى حتى اذا كنتم في
الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج
من كل مكان وظنوا انهم احيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن
انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين فلما انجاهم اذا هم يبغون في
الارض بغير الحق قال البيضاوي دعوا الله مخلصين له الدين من غير
اشراك لتراجع الفطرة وزوال المعارض من شدة الخوف انتهى قلت
ولاجل هذا شرع الجهاد فيهم لعل ان تتراجع فطرهم وتزول المعارضة عن
معرفة حقيقة الامر بالاغلاظ عليهم والتخويف لهم فيعرفون الحق حقاً والباطل
باطلا ويضمحل عنهم الجهل وفي تفسير الواحدي دعوا الله مخلصين له الدين
قال ابن عباس رضي الله عنهما تركوا الشرك واخلصوا لله في الربوبية وقالوا
وقالوا لئن انجيتنا من هذه الريح لنكونن من الشاكرين الموحدين الطائعين
فلما انجاهم اذا هم يبغون في الارض بغير الحق يعملون فيها بالفساد و
المعاصي والجراءة على الله تعالى وقال ابو محمد الخازن يعني انهم اخلصوا في الدعاء
لله عز وجل ولم يدعوا احداً سواه من الهتهم وقيل في معنى الاخلاص العلم
الحقيقي لا الاخلاص ايمان لانهم كانوا يعلمون حقيقة انه لا ينجيهم من
جميع الشدائد والبلايا الا الله تعالى فكانوا اذا وقعوا في شدة وضر وبلاء
اخلصوا لله عز وجل الدعاء **فدلاهما** اي الشيطان المتقدم ذكره وضمير
التثنية راجع الى الجاهلين المتنسكين والعالمين الغافلين بغرور
بما غرهما به من التنسك مع الجهل والعلم مع الغفلة او متلبسين بغرور

وفي تفسير الواحدي التدلية ارسال الدلو في البير قيل اصله تدلية العطشان
في البير ليروى من الماء ولا يجد الماء فيكون مدلى بغرور ثم وضعت التدلية في موضع
الاطماع فيما لا يجدي نفعاً فيقال دلاه اذا اطمعه في غير مطمع وقال الخازن
فدلاهما بغرور اي خدعهما يقال ما زال فلان يدلي فلاناً بغرور يعني ما زال
يخدعه ويكلمه بزخرف من القول باطل والغرور اظهار النصح مع ابطان الغش
وهو ان ابليس حطهما من منزلة الطاعة الى حالة المعصية لان التدلي لا يكون
الا من اعلى الى اسفل **فيفرطون** بكسر الراء مخففة من افرط في الامر اذا جاوز
فيه الحد قال الفارابي في ديوان الادب وهو وصف راجع الى الجاهلين
المتنسكين يعني انهم من جهلهم بالاحكام الشرعية يجاوزون حدودها ويتعدون
منها القدر الذي عينه الله تعالى ظناً منهم ان ذلك حسن في الشرع فيكثرون
من العبادات الصورية بل من البدع والمخالفات وهم لا يشعرون **او يفرطون**
بكسر الراء مشددة من فرط الامر بالتشديد اذا ضيعه وتهاون فيه وهو
وصف العالمين الغافلين يعني انهم من كثرة استيلاء الغفلة على قلوبهم بانهماكهم
في شهوات نفوسهم وغرورهم في الدنيا مع علمهم بقبح ذلك كله ومعرفتهم طريق
النجاح ضيعوا حقوق الله تعالى عليهم واستهانوا بها وضيعوا حقوق العباد المتصلة
المتعلقة بهم ولم يبالوا بما فعلوا اعتماداً على علمهم الذي هو حجة عليهم قال
تعالى فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون قال البيضاوي اي غافلون
غير مبالين بها وقال العز بن عبد السلام ساهون لاهون او غافلون لا يبالون
صلوا ام لم يصلوا وقيل يصلونها رياء ويتركونها خلاء يلتفتون فيها تهاوناً
وقيل لا يذكرون الله ولا يقرؤون فيها ويتركونها وفي الحديث يؤخرونها عن وقتها
بلا عذر وقيل الذي لا يدري عن ثلاث انصرف او عن اربع وقال الخازن
لما قال تعالى عن صلاتهم ساهون بلفظ عن علم انها في المنافقين والمؤمن اذا
سهى في صلاته تداركه في الحال وجبره بسجود السهو وقيل السهو عن الصلاة هو
ان يبقى ناسياً لذكر الله في جميع اجزاء الصلاة وهذا لا يصدر من المنافق الذي
لا يعتقد فائدة صلاته وانها عليه واجبة ولا يرجو الثواب على فعلها بشهود
قلب ورعاية حقوق المناجاة وخشوع الجوارح فيها لا يعلمون ان الصلاة مواصلة
بين العبيد وبين ربهم فاذا لم يراعي حقوقها كانت مفاصلة سمعت عبد الله بن
علي البغدادي يقول سمعت احمد بن فاتك يقول سمعت ابي العباس بن
عطا يقول ليس في القرآن وعيد اصعب الاوبعده وعد لطيف غير هذه الاية
فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ذكر الويل لمن صلاها بلا حضور
من قلبه فكيف بمن تركها راساً سئل ما الصلاة قال اتصال العبد بالله

عز وجل من حيث لا يعلم الا الله تعالى انتهى وهذا شأن الجاهلين والغافلين
في جميع عباداتهم وطاعاتهم في الصلاة وغيرها ما يتجاوزون في الحدود او يقصرون
في اقامة الحدود **وهم** اي الجاهلون المتنسكون والعاملون الغافلون **يحسبون**
اي يظنون انهم **يحسنون** فيما يعملون قال الواحدي في قوله تعالى قل هل
ننبئكم بالاخسرين اعمالا بالقوم الذين هم اخسر الخلق فيما عملوا الذين
ضل سعيهم في الحياة الدنيا بطل عملهم واجتهادهم في الدنيا وهم يحسبون انهم
يحسنون صنعا يظنون انهم بفعلهم محسنون انتهى والاتيان راجع الى انواع
العبادات ومراعاة حقوق الله تعالى فيها ومراقبته واستحضار عظمته و
جلاله حالة الشروع وحالة الاختتام فيها كذا في المفهوم لما اشكل من تلخيص
مسلم للقرطبي **فاردت** الفاء للتوزيع اي متفرع على ما تقدم اي اردت
اي قصدت **ان اصنف** اي اجعل صنوفا اي انواعا واقساما فهو اخص من
التأليف الذي هو ايقاع الالفة بين المسائل ولو من نوع واحد وفي المواهب
اللدنية للقسطلاني ومن خصائص هذه الامة انهم اوتوا تصنيف الكتب
ذكره بعضهم ولا تزال طائفة منهم ظاهرين على الحق حتى يأتي امر الله رواه الشيخان
ولنا كلام على هذا الحديث شرحه في كتابنا نهاية المراد شرح هدية ابن العماد
الطريقة اي السنة والدين وقال الفارابي في ديوان الادب تعالى لها زال على
طريقة واحدة اي حالة واحدة **المحمدية** المنسوبة الى محمد صلى الله عليه وسلم نبينا
ورسولنا **واجب** معطوف على اردت **ان ابين** اي اكشف واوضح **السيرة**
اسم من سار يسير وهي الطريقة خيرا كان او شرا ومنه سيرة العمرين اي طريقتهما
قاله العيني في شرح الكنز **الاحمدية** المنسوبة الى احمد وهو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
وقد ذكر القسطلاني في مواهبه ما يزيد على اربعمائة اسم للنبي صلى الله عليه وسلم
وقال رايت في كتاب احكام القرآن للقاضي ابي بكر ابن العربي قال بعض الصوفية
لله تعالى الف اسم وللنبي صلى الله عليه وسلم الف اسم انتهى ومعنى عبارة المصنف رحمه الله
تعالى وقد اشتهر بها اسم هذا الكتاب ان مراده بذكره في كتابه هذا طريقة رسول
الله صلى الله عليه وسلم التي هي مقتضى شرعه المفهومة من الكتاب والسنة
وكلام السلف الصالحين والائمة المجتهدين الخالية من البدعة في الاعتقاد
والعمل والغرض من ذلك **حتى يعرض عليها** اي على هذه الطريقة المحمدية
والسيرة الاحمدية **عمله** بالباطن والظاهر فيعم الاعتقادات والافعال
والاقوال والاحوال **كل سالك** في طريق الله تعالى الموصل الى رضوانه
والجنة فيكون هذا الكتاب ما صنفه مصنفه رحمه الله تعالى الا للعمل لا لان يستمع
الفقيه بحفظ الفاظه ودراية معانيه ويزين بعبارته المجالس وقلبه مملوء

من

من الوساوس فهو تحفة العاملين وحسرة الغافلين وميزان السالكين ومعراج
الصالحين **فيتميز** بعرض العمل عليها **المصيب** اي الذي وافق الصواب في عمله
من المخطئ اي الذي اخطأ في العمل وهذا في الدنيا لان الصواب والخطأ يظهران
اليوم فيمكن التدارك بمعاطاة الاسباب الموجبة لازالة الخطأ شرعا **ويتميز**
ايضا **الناجي** وهو المخطي وهذا في حكم الآخرة لان النجاة والهلاك يظهران في
يوم القيمة وعلامتهما في الدنيا بان يصيب الطريقة المحمدية او يخطئها والطريقة
المحمدية هي ما اشتملت عليه كتب الشريعة والدين علما وعملا واعتقادا **ورتبته**
اي هذا المصنف الذي هو الطريقة المحمدية على ثلاثة ابواب وبيانها على التفصيل
الباب الاول في الاعتصام بالكتاب والسنة وما يتبع ذلك وهو ثلاثة فصول
الفصل الاول نوعان النوع الاول في الاعتصام بالسنة الفصل الثاني في البدع
الفصل الثالث في الاقتصاد في العمل الباب الثاني في الامور المهمة في الشريعة
وهو ثلاثة فصول الفصل الاول في تصحيح الاعتقاد الفصل الثاني في العلوم
المقصودة لغيرها وهو ثلاثة انواع النوع الاول في المأمور به وهو صنفان
الصنف الاول في فروض العين الصنف الثاني في فروض الكفاية النوع الثاني
في المنهي عنه النوع الثالث في المندوب اليه الفصل الثالث في التقوى وهو
ثلاثة انواع النوع الاول في فضيلتها النوع الثاني في تفسيرها النوع الثالث
في مجاريها وهو تسعة اصناف الصنف الاول في منكرات القلب وهو على
قسمين القسم الاول في تفسير الخلق القسم الثاني في الاخلاق الذميمة والكفر
ثلاثة انواع جهلي وجحودي وحكمي والرياء ستة مباحث المبحث الاول في
تعريفه وتقسيمه المبحث الثاني في ذم الرياء المبحث الثالث في اقسام الرياء المبحث
الرابع في الرياء الخفي وعلاماته المبحث الخامس في احكام الرياء المبحث السادس
في امور مترددة بين الرياء والاخلاص المبحث السابع في علاج الرياء ثم الكبر خمسة
مباحث المبحث الاول في تفسيره وضده وحكم ذلك المبحث الثاني في اقسام
الكبر المبحث الثالث في اسباب الكبر المبحث الرابع في علامات الكبر المبحث
الخامس في اسباب الضعة والتواضع ثم الحسد اربعة مباحث المبحث الاول
في تفسيره وضده المبحث الثاني في غوائل الحسد المبحث الثالث في العلاج العلمي
والعملي المبحث الرابع في العلاج القلعي ثم الحقد فيه ثلاث مقالات المقالة
الاولى في تفسيره وحكمه المقالة الثانية في غوائله المقالة الثالثة في سبب
الحقد ثم الغضب وفيه خمس مقامات المقام الاول في تفسيره واقسامه
المقام الثاني في العلاج العلمي المقام الثالث في العلاج العملي المقام الرابع
في العلاج القلعي المقام الخامس في الحلم ثم الحلم ثلاث مقاصد الاول في
فوائده المقصد الثاني في فوائد ثمرته المقصد الثالث في طريق تحصيل الحلم ثم

المصيب من الهالك وهو

البخل مبحثان المبحث الاول في غوائله وسببه وافاته المبحث الثاني في سبب
حب المال وعلاجه ثم حب الدنيا فيه مقالتان المقالة الاولى في ذمه وغوائله
المقالة الثانية في غوائله وذمها وضده ومدحه وفيه مقامان المقام الاول
في غوائله المقام الثاني في ضده حب الدنيا ثم الاسراف خمسة مباحث المبحث
الاول في ذمه وغوائله المبحث الثاني في السر والسبب الاصلي في مذموميته
المبحث الثالث في اصناف الاسراف المبحث الرابع في ان الاسراف هل يقع
في الصدقة المبحث الخامس في علاج الاسراف الصنف الثاني من الاصناف
التسعة في افات اللسان وهو قسمان القسم الاول في وجوب حفظه وعظم
جرمه القسم الثاني في افاته وفيه ستة مباحث المبحث الاول في الكلام الذي
الاصل فيه الحظر المبحث الثاني فيما الاصل فيه الاذن من العادات التي لا تتعلق
بها نظام المعاش المبحث الثالث فيما الاصل فيه الاذن من العادات التي يتعلق
بها النظام المبحث الرابع فيما الاصل فيه الاذن من العبادات المتعدية المبحث
الخامس فيما الاصل فيه الاذن من العبادات القاصرة المبحث السادس
في افات اللسان من حيث السكوت الصنف الثالث في افات الاذن الصنف
الرابع في افات العين الصنف الخامس في افات اليد الصنف السادس في
افات البطن الصنف السابع في افات الفرج الصنف الثامن في افات الرجل
الصنف التاسع في افات البدن الغير مختص بعضو معين الباب الثالث في
امور يظن انها من التقوى والورع وهو ثلاثة فصول الفصل الاول في دقة
امر الطهارة وهو اربعة انواع النوع الاول في كون الدقة في ذلك بدعة وهو
صنفان الصنف الاول فيما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم وخير القرون
الصنف الثاني فيما ورد عن ائمتنا الحنفية النوع الثاني في ذم الوسوسة
وافاتها النوع الثالث في علاج الوسوسة النوع الرابع في اختلاف الفقهاء
في امر الطهارة والنجاسة الفصل الثاني في التورع والتوقي من طعام اهل
الوظائف الفصل الثالث في امور مبتدعة باطلة اكب الناس عليها
على ظن انها قربة وهذا الخ ما اشتمل عليه هذا الكتاب من الابواب والفصول
والانواع والاصناف ذكرناها على ما هي عليه ليقف الانسان من اول وهلة
على ما تضمنه من بيان الطريقة المحمدية على وجه الاجمال ولم يذكره المصنف رحمه
الله تعالى في خطبته قبل الشروع في المقصود لطول الكلام عليه وليتشوق الطالب
اليه فتتوفر الدواعي الى مطالعته كلها وحاصله ان بيان الطريقة المحمدية منحصر
في هذه الابواب الثلاثة وما في ضمنها من انحصار الكلي في جزئياته لان كل

مسئلة

مسئلة من ذلك تسمى طريقة محمدية ما لم يكن هذا اللفظ اسما للكتاب فيصير
من انحصار الكل في اجزائه وذلك لان الكلام عليها اما ان يكون من حيث ذاتها
وماهيتها او من حيث ما يوصل لها فان كان الاول فهو الباب الثاني وما
تضمنه وان كان الثاني فاما من حيث ما هي عليه من الاوصاف في نفسها
مما يدعو اليها وهو الباب الاول واما من طرف ما يشتبه بها وليس منها
وهو الباب الثالث **متوكلا** حال من ضمير الفاعل في قولنا ورتبته اي معتمدا
على رب اي مالك **الارباب** يكون العبد بين يدي الله تعالى كالميت بين يدي الغاسل
يقلبه كيف شاء لا يكون له حركة ولا تدبير وقال حمدون التوكل هو الاعتصام بالله
ومن حكم ابن عطاء الله الاسكندري رضي الله عنه من علامة النجح في النهايات الرجوع
الى الله في البدايات فلهذا قال المصنف رحمه الله ذلك في ابتداء سلوكه هذه المسا
لك **الباب الاول** من الابواب الثلاثة وهو ما يرخص منه قال والدي رحمه الله
تعالى في لحاكمه اعلم ان الفصل صنف تحت الصنف المسمى بالباب كما ان الباب صنف
تحت الصنف المسمى بالكتاب والكل تحت الصنف المسمى بالعلم المدون والصنف من
العلم الادراك جنس ما تحته من اليقين والظن نوع والمدون يكون ظنيا كالفقه
وقطعيا كالكلام والحساب والهندسة فواضع العلم لما لاحظ الغاية المطلقة
فوجدها تترتب على العلم باحوال شيء او اشياء خاصة وضعه ليبحث عن
احواله من تلك الجهة فقد قيد ذلك العلم بها وضع كلي فصار صنفا وقيل للواضع
صنف هذا العلم اي جعله صنفا فالواضع للعلم اولى باسم المصنف من المؤلفين وان
صح ايضا **في الاعتصام** اي الامتناع والاحتفاظ من العصمة وهي المنع كما في
قوله تعالى لا عاصم اليوم اي لا مانع والله يعصمك من الناس اي يمنعك **بالكتاب**
وهو القران العظيم **والسنة** اي سنة رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم وتقدم بيانها
والاحتراز اي التوقي **عن العادات** جمع عادة وهي ما يعود من افعال الانسان
مرة بعد اخرى **السيئة** اي القبيحة المنكرة في الشرع **والبدع** جمع بدعة معطوف
على العادات السيئة على طريقة البيان لها لان العادة تشتمل على راي بعضهم
او هي اعم من العادات لاشتراط التكرار في العادة دون البدعة فيكون من
عطف العام على الخاص لقصد التتميم **المحدثة** صفة كاشفة اذ كل بدعة محدثة
نظير قوله تعالى يحكم بها النبيون الذين اسلموا **والاقتصاد** مصدر قولك
اقتصد في النفقة اذا لم يسرف ولم يقتر قاله الفارابي في ديوان الادب
في الاعمال المرضية في الشرع **والتوسط** وهو معنى الاقتصاد مصدر توسط
يتوسط **والاجتناب** اي التباعد **عن الطرفين** المذمومين شرعا وعقلا
قال الجوهري الطرف بالتحريك الناحية من النواحي والطائفة من الشيء وفلان

اي على الكتب كلهم من خلفه وفي رسالة
القشيري قال سهل بن عبد
الله اول مقام في التوكل
صح

جمع عادة وهي عبارة عما استقر في النفوس من الامور
المتكررة المعقولة عند الطباع السليمة وهي ثلاثة
انواع عرفية عامة وعرفية خاصة وعرفية شرعية
وقوله الشرعية اي الشرعية نشأ الكون لا والتفضيل
قواعد الشرع وقوله والبدع المحدثة
اي الحالة المخالفة اسم من الابتداع ثم غلب
استعماله فيما احدث بعد عصر النبي مما فيه
زيادة او نقص مثلوا اي ما هو مخالف للشرع
الشريف كما سيأتي له زيادة تحقيق ان شاء الله فيه
هكذا ذكره في حبائر اقر به والظاهر ان هنا
بعض ركاكة من الناسخ فليحرر بالتامل

كريم الطرفين يراد به نسب ابيه ونسب امه فالطرف الاول **الافراط** اي الاكثار
والزيادة يقال افرط في الشيء اذا اشتط فيه وبالغ والطرف الثاني **التفريط**
وهو التقصير يقال فرط في الشيء اي قصر فيه فيكون هذا الباب مشتملا على
ثلاثة امور فلهذا قال **وهو** اي هذا الباب **ثلاث فصول** لكل امر من تلك الا
مور الثلاثة فصل يبينه **الفصل الاول** من الفصول الثلاثة **نوعان** تثنية نوع
وهو القسم من الشيء **النوع الاول** من هذين النوعين في بيان **الاعتصام** اي
الاحتفاظ على النفس والدين والعقل والمال والعرض وهي الخمسة التي يجب
على كل مكلف الاحتفاظ عليها كما قرر مفصلا في كتاب المطالب لوقفيه **بالكتاب**
اي كتاب الله تعالى **الكريم** لان مضمونه الكرم على العباد اولانه من عند الله **والقرآن**
بيان للكتاب **العظيم** من العظمة وهو كبر الشان والمراد بالاعتصام بالكتاب
الايمان به والدخول في ربقة احكامه من رضاء وتسليم حتى تصير تلك الاشياء
الخمسة محفوظة محترمة محصنة بالحصن الشرعي محمية من كل متعرض لها والدليل
على ذلك **الايات** الواردة فيه وهي جمع اية قال الاسيوطي في الاتقان حد
الاية قران مركب من جمل ولو تقديرا ذو مبدإ ومقطع مندرج في سورة واصلها
العلامة ومنه ان اية ملكه لانها علامة للفصل والصدق او الجماعة لانها
جماعة كلمة وهي الواحدة من المعدودات في السور سميت به لانها علامة على
صدق من اتى بها وعجز المتحدى بها وقيل لانها علامة على انقطاع ما قبلها من
الكلام وانقطاعه بعد بعدها قال الواحدي وبعض اصحابنا يجوز على هذا القول
تسمية اقل من الاية لولا ان التوقيف ورد بما هي عليه الان وقال ابو عمرو الداني
لا اعلم كلمة هي وحدها اية الا قوله مدهامتان قال غيره بل فيه غيرها مثل
والفجر والضحى والعصر وكذا فواتح السور عند من عدها وقال بعضهم الصحيح
ان الاية انما تعلم بتوقيف من الشارع كمعرفة السور وقال الاية طائفة من حروف القران
علم بالتوقيف انقطاعها معنى عن الكلام الذي بعدها في اول القران وعن
الكلام الذي قبلها في اخر القران وعما قبلها وعما بعدها في غيرهما اي غير الاول
والاخر مشتمل على مثل ذلك قال وبهذا القيد خرجت السورة انتهى وجملة
الايات التي ذكرها المصنف رحمه الله تعالى هنا اثنتي عشرة اية من سورة متفرقة
مترتبة الاية الاولى اول سورة البقرة ولا يخفى حسن بدايته بها تبركا واقتداء
بكتاب الله في اول كتابه وهي قوله تعالى **الم** كثر اختلاف المفسرين في
الحروف المقطعة في القران فذهب قوم الى ان الله تعالى لم يجعل لاحد سبيلا على
ادراك معانيها وانها مما استاثر تعالى بعلمها فنحن نؤمن بظاهرها ونكل علمها
الى الله تعالى قال الشعبي ان لكل كتاب سرا وان سر القران فواتح السور فدعها

ول

وسل عما سوى ذلك ودع ها الاخرون قال ابن عباس معنى الم انا الله اعلم واعلم ان
كل حرف منها له تفسير قال والدليل ان العرب تنطق بالحرف الواحد تدل به على الكلمة التي
هو منها وانشد قلت لها قفي فقالت قاف فنطق بقاف فقط يريد قالت اقف
وقيل ان الم وسائر حروف التهجي في القران اسماء للسور ذكره الواحدي وقال
ابو محمد الخازن قيل ان حروف الهجاء في اوائل السور من المتشابه الذي استاثر الله تعالى
بعلمه وهي سر الله تعالى في القران فنحن نؤمن بظاهرها ونكل العلم فيها الى الله تعالى
وفائدة ذكرها طلب الايمان قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه في كل كتاب سر وسر
الله تعالى في القران اوائل السور وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان لكل كتاب صفوة
وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي وقال اخرون من اهل العلم هي معروفة المعاني
ثم اختلفوا فيها فقيل كل حرف منها مفتاح اسم من اسماء الله تعالى فالالف مفتاح
اسمه الله واللام اسمه لطيف والميم اسمه مجيد وقيل الالف الاء الله واللام لطفه
والميم ملكه وقيل هي اسماء الله مقطعة لو علم الناس تاليفها لعلموا اسم الله
الاعظم الا ترى انك تقول الر وحم ون فيكون مجموعها الرحمن وكذلك سائر
ولكنهم لم يهتدوا تاليفها جميعا وقال ابن عباس هي اقسام قيل اقسم الله بهذه
الاحرف لشرفها وفضلها لانها مباني كتبه المنزلة واسمائه الحسنى وصفاته
العليا وانما اقتصر على بعضها وان كان المراد كلها فهو كما تقول قرات الحمد لله
وتريد انك قرات السورة بكمالها فكانه تعالى اقسم بهذه الحروف ان هذا الكتاب
هو الكتاب المثبت في اللوح المحفوظ وقيل ان الله تعالى لما تحداهم بقوله فاتوا
بسورة من مثله بعشر سور مثله فعجزوا عنه انزل هذه الاحرف ومعناها
ان القران ليس الا من هذه الاحرف وهم قادرون عليها فكان يجب ان ياتوا
بمثله فلما عجزهم عنه دل ذلك على انه من عند الله لا من عند البشر وقيل انهم لما
اعرضوا عن سماع القران واراد الله صلاح بعضهم انزل هذه الاحرف فكانوا
اذا سمعوها قالوا كالمتعجبين اسمعوا الى ما يجيء به محمد صلى الله عليه وسلم
فاذا اصغوا اليه وسمعوه رسخ في قلوبهم فكان ذلك سببا لايمانهم وقيل ان
الله تعالى حير عقول الخلق في ابتداء خطابه ليعلموا ان لا سبيل لاحد الى
معرفة خطابه الا باعترافهم بالعجز عن معرفة كنه حقيقة خطابه **ذلك الكتاب**
ذلك اشارة الى الم ان اول بالمؤلف من هذه الحروف او فسر بالسورة او القران
فانه لما تكلم به وتقضى او وصل من المرسل الى المرسل اليه صار متباعدا وتذكيره
متى اريد بالم السورة لتذكير الكتاب فانه صفته او خبره الذي هو هو قاله
البيضاوي وقال الواحدي ذلك يجوز ان يكون بمعنى هذا بمعنى كثير
من اهل التفسير ومثاله في الكلام انك تقول قد قدم فلان فيقول السامع

قد بلغنا ذلك او يقول بلغنا هذا الخبر وقيل انما قال تعالى ذلك الكتاب فاشار
الى غايب لانه اراد هذه الكلمات يا محمد ذلك الكتاب الذي وعدتك ان
اوحيه اليك لان الله تعالى لما انزل على نبيه صلى الله عليه وسلم انا سنلقي عليك قولا
ثقيلا كان واثقا بوعد الله اياه فلما انزل عليه الم ذلك الكتاب دل على الوعد
المتقدم والكتاب مصدر كتبت ويسمى المكتوب كتابا كما يسمى المخلوق خلقا واصل
الكتب في اللغة الضم والجمع والكتاب جمع حرف الى حرف **لا ريب فيه** معناه
لوضوح وسطوع برهانه بحيث لا يرتاب العاقل بعد النظر الصحيح في كونه
وحيا بالغا حد الاعجاز لا ان احدا لا يرتاب فيه قاله البيضاوي وقال الخازن
اي لا شك فيه انه من عند الله وانه الحق والصدق وقيل هو خبر بمعنى النهي
اي لا ترتابوا فيه قال الواحدي فان قيل كيف قال لا ريب فيه وقد ارتاب
فيه المرتابون قيل معناه انه حق في نفسه وصدق وان ارتاب فيه
المبطلون كما قال الشاعر: ليس في الحق يا امامة ريب، انما الريب ما يقول الكذوب
نفى الريب عن الحق وان كان القاصر في العلم يرتاب **هدى للمتقين** اي
يهديهم الى الحق والهدى في الاصل مصدر كالسرى والتقى ومعناه الدلالة
الموصلة الى البغية لانه جعل مقابل الضلالة قال تعالى لعلى هدى او
في ضلال مبين ولانه لا يقال مهدي الا لمن اهتدى الى المطلوب ذكره
البيضاوي وقال الواحدي معنى الاتقاء في اللغة الحجز بين الشيئين يقال
اتقاه بترسه اي جعل الترس حاجزا بينه وبينه فالمتقي هو الذي يحجز بطاعته
عن العقوبة ويجعل اجتنابه عما نهى وفعل ما امر به حاجزا بينه وبين العقوبة
التي توعدها العصاة والمراد بالمتقين في هذه الاية المؤمنون الذين
اتقوا الشرك وجعلوا ايمانهم حاجزا بينهم وبين الشرك كانه قال القران بيان
وهدى لمن اتقى الشرك وهم المؤمنون وخص المؤمنين بان الكتاب بيان
لهم دون الكفار الذين هم يهتدوا به لانتفاعهم به دونهم كقوله تعالى انما انت
منذر من يخشاها وكان صلى الله عليه وسلم منذرا لمن يخشى ولمن لم يخش وقيل
معناه هدى للمتقين والكافرين فاكتفى باحد الفريقين عن الاخر كقوله تعالى
سرابيل تقيكم الحر واراد الحر والبرد فاكتفى بذكر احدهما وقال الخازن فان قيل
كيف قال هدى للمتقين والمتقون هم المهتدون قلت هو كقولك للعزيز
الكريم اعزك الله واكرمك تريد طلب الزيادة له الى ما هو ثابت فيه كقوله تعالى
اهدنا الصراط المستقيم وقال البيضاوي وتخصيص الهدى بالمتقين باعتبار الغاية
وتسمية المشارف للتقوى متقيا ايجازا وتفخيما لشانه الاية الثانية في سورة

آل عمران

آل عمران وهي قوله تعالى **واعتصموا** اي تمسكوا **بحبل الله** اي بدين الله الاسلام او بكتابه
لقوله عليه السلام القران حبل الله المتين استعار له الحبل من حيث ان التمسك به سبب
للنجاة عن الردى كما ان التمسك بالحبل سبب للسلامة عن التردي واستعار للوثوق
به والاعتماد عليه الاعتصام ترشيحا للمجاز قاله البيضاوي وقال الواحدي حبل
الله الجماعة وقال قتادة والسدي والضحاك هو القران وقيل الاعتصام بحبل الله
هو ترك الفرقة واتباع القران لان المؤمن اذا اتبع القران امن العذاب وقال
مجاهد وعطا بعهد الله وبامره وسمي عهد الله حبلا لانه سبب النجاة كالحبل الذي
به النجاة من بئر ونحوها **جميعا** اي مجتمعين عليه **ولا تفرقوا** عن دين الحق
بوقوع الاختلاف بينكم كاهل الكتاب او لا تذكروا ما يوجب التفرق ويزيل الالفة
ذكره البيضاوي وقال الواحدي اي تناصروا على دين الله ولا تتفرقوا وقال
الخازن وقيل معناه ولا تحدثوا ما يكون عنه التفرق ويزول معه الاجتماع
والالفة التي انتم عليها ففيه النهي عن التفرق والاختلاف والامر بالاتفاق
والاجتماع لان الحق لا يكون الا واحدا وما عداه يكون جهلا وضلالا واذا
كان كذلك وجب النهي عن الاختلاف في الدين وعن الفرقة لان كل ذلك كان عادة
اهل الجاهلية فنهوا عنه الاية الثالثة في سورة المائدة وهي قوله **قد جاءكم من
الله نور** اي ضياء من الضلالة يعني الاسلام وقيل النور محمد صلى الله عليه
وسلم وهو الذي يبين الاشياء قاله الواحدي وقال الخازن انما سماه الله نورا
لانه يهتدى به كما يهتدى بالنور في الظلام **وكتاب مبين** يعني القران فانه الكاشف
لظلمات الشك والضلال وفيه بيان ما يختلفون فيه **يهدي به الله** اي
بالكتاب المبين كما قال الواحدي وقال البيضاوي وحد الضمير لان المراد بهما واحد
او لانهما في الحكم كواحد انتهى يعني ان المراد بهما واحد او لانهما في الحكم كواحد انتهى
بالنور والكتاب المبين شيء واحد وهو القران العظيم فالعطف للبيان اذ الكتاب
نور من الله وعلى التغاير الذي هو الاصل في العطف هما في حكم شيء واحد لاشتراكهما
في الابانة والكشف عن الامور **من اتبع رضوانه** اي اتبع ما رضيه الله تعالى مما
مدحه واثنى عليه وهو دين الاسلام **سبل** اي طرق **السلام** قال ابن عباس يريد
السلام اسم من اسماء الله تعالى وقال الزجاج يجوز ان يكون اراد طرق السلام اي طرق السلامة
التي من سلكها سلم في دينه ويجوز ان يكون اراد سبل السلام كما قال لهم دار السلام عند
ربهم ويراد بها طرق الجنة ولكنه على حذف المضاف اي سبل دار السلام ذكره
الواحدي وقال البيضاوي اي طرق السلامة من العذاب او سبل الله **ويخرجهم
من الظلمات الى النور** يعني من انواع الكفر الى الاسلام **باذنه** يعني بتوفيقه
وهدايته **ويهديهم الى صراط مستقيم** الى طريق هو اقرب الطرق الى الله
وموده اليه لا محالة ذكره البيضاوي وقال الواحدي هو الذي ياخذ بصاحبه

حتى يؤديه الى الجنة يعني الاسلام الاية الرابعة في سورة الانعام وهو قوله تعالى **وهذا كتاب** يعني القران **انزلناه مبارك** اي كثير النفع والخير والبركة ولا يتطرق اليه نسخ قال الخازن **فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون** بواسطة اتباعه وهو العمل بما فيه ذكره البيضاوي وقال الواحدي اتبعوا حلاله وحرامه لتكونوا راضين للحق وقال الخازن فاتبعوه يعني فاعملوا بما فيه من الاوامر والنواهي والاحكام واتقوا يعني مخالفته لعلكم ترحمون يعني لكي الغرض بالتقوى رحمة الله وقيل معناه لكي ترحموا على جزاء التقوى الاية الخامسة في سورة يونس وهي قوله تعالى **يا ايها الناس** قال ابن عباس يريد قريشا وقيل هم على العموم وهو الاصح وهو اختيار الطبري **قد جاءتكم موعظة من ربكم** يعني القران والوعظ زجر مقرون بتخويف وقال الخليل هو التذكير فيما يرق له القلب وقيل الموعظة الانابة عما يدعو الى الصلاح بطريق الرغبة والرهبة والقران داع الى كل خير وصلاح بهذا الطريق ذكره الخازن وقال البيضاوي اي قد جاءكم كتاب جامع للحكمة العملية الكاشفة عن محاسن الاعمال ومقابحها والرغبة في المحاسن والزاجرة عن القبائح والحكمة النظرية التي هي شفاء لما في الصدور من الشكوك وسوء الاعتقاد **وشفاء لما في الصدور** يعني ان القران دواء وشفاء لما في القلوب من داء الجهل وذلك لان داء الجهل اضر للقلب من داء المرض للبدن وامراض القلب هي الاخلاق الذميمة والعقائد الفاسدة والجهالات المهلكة فالقران مزيل لهذه الامراض كلها لان فيه المواعظ والزجر والتخويف والترغيب والترهيب والتحذير والتذكر فهو الدواء والشفاء لهذه الامراض القلبية وانما خص نعت الصدر بالذكر لانه موضع القلب وغلافه وهو اعز موضع في بدن الانسان لمكان القلب فيه قال الخازن **وهدى** الى الحق واليقين **ورحمة للمؤمنين** حيث انزلت عليهم فتخلصوا بها من ظلمات الضلال الى نور الايمان وتبدلت مقاعدهم من طبقات النيران بمصاعد درجات الجنان والتنكير في الموعظة للتعظيم وقال الخازن ورحمة للمؤمنين يعني ونعمة على المؤمنين لانهم هم الذين انتفعوا بالقران دون غيرهم الاية السادسة في سورة النحل وهي قوله تعالى **ونزلنا عليك الكتاب** يعني القران **تبيانا لكل شيء** قال البيضاوي بيانا بليغا لكل شيء من امور الدين على التفصيل او الاجمال بالاحالة الى السنة او القياس وقال الزجاج بيان اسم في معنى البيان ومثل التبيان ولو قرئ تبيانا على وزن تفعال لكان وجها لان التبيان في معنى التبيين ولا يجوز القراءة لانه لم يقرأ به احد من القراء وقال الخازن تبيانا لكل شيء يعني من امور الدين اما بالنص عليه او بالاحالة على ما يوجب العلم من بيان النبي صلى الله عليه وسلم لان النبي

صلى الله عليه وسلم مبين ما في القران من الحدود والاحكام والحلال والحرام واجماع الامة فهو ايضا اصل ومفتاح لعلوم الدين **وهدى** من الضلالة **ورحمة** لمن امن به وصدقه وانما حرمان المحروم من تفريطه **وبشرى** من الله تعالى **للمسلمين** خاصة الاية السابعة في سورة الاسراء وهي قوله تعالى **ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم** اي للحال التي هي اقوم الحالات وهي توحيد الله تعالى شهادة ان لا اله الا الله والايمان برسله والعمل بطاعته وهذه صفة الحال التي هي اقوم قاله الزجاج وقال الواحدي اي يرشد الى الكلمة التي هي اعدل الكلمات واصوبها وهي كلمة التوحيد وقال الخازن اي الى الطريق التي هي اصوب الاية الثامنة في سورة الاسراء ايضا وهي قوله تعالى **وننزل من القران ما هو شفاء** من لبيان الجنس والمعنى ننزل من هذا الجنس الذي هو قران ما هو شفاء قال قتادة اذا سمعه المؤمن انتفع به وحفظه ووعاه وعلى هذا معنى كونه شفاء انه بيانه يزيل عمى الجهل وحيرة الشك فهو شفاء من داء الجهل وقال ابن عباس يريد شفاء من كل داء وعلى هذا معناه انه يتبرك به فيدفع الله به كثيرا من المكاره والمضار ويؤكد هذا ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من لم يستشف بالقران فلا شفاه الله ذكره الواحدي وقيل ان من للتبعيض والمعنى ان منه ما يشفي من المرض كالفاتحة وايات الشفاء قاله البيضاوي وقال الخازن شفاء اي بيان من الضلالة والجهالة يتبين به المختلف ويتضح به المشكل ويستشفى به من الشبهة ويهتدى به من الحيرة وهو شفاء القلوب بزوال الجهل عنها وقيل هو شفاء الامراض الباطنة والظاهرة وذلك لانها تنقسم الى نوعين احدهما الاعتقادات الباطلة والثاني الاخلاق المذمومة اما الاعتقادات فاشدها فسادا الاعتقادات الفاسدة في الذات والصفات والنبوات والقضاء والقدر والبعث بعد الموت فالقران كله مشتمل على دلائل المذهب الحق في هذه الاشياء وابطال المذاهب الفاسدة فلاجرم كان القران شفاء لما في القلوب من هذا النوع واما النوع الثاني وهو الاخلاق المذمومة فالقران مشتمل على التنفير منها والارشاد الى الاخلاق المحمودة والاعمال الفاضلة فثبت ان القران شفاء من جميع الامراض الباطنة واما كونه شفاء من الامراض الجسمانية فلان التبرك بقراءته يدفع كثيرا من الامراض يدل عليه ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في فاتحة الكتاب وما يدريك انها رقية **ورحمة للمؤمنين** قال ابن عباس يريد ثوابا لا انقطاع له يعني في تلاوته يرحمهم الله بها ويثيبهم عليها ذكره الواحدي **ولا يزيد الظالمين الا خسارا** قال الخازن لان الظالم لا ينتفع به والمؤمن ينتفع به فكان رحمة للمؤمنين وخسارا للظالمين وقيل لان كل اية تنزل يتجدد

الهم تكذيب بها فيزداد خسارتهم وقال الواحدي ولا يزيد القرآن الظالمين المشركين الا خسارا لانهم يكفرون به ولا ينتفعون بمواعظه والقرآن سبب لهداية المومنين وزيادة لخسارة الكافرين وقال قتادة عن اوس القرني قال لم يجالس هذا القرآن احد الا قام عنه بزيادة او نقصان قضاء من الله تعالى الذي قضى شفاء ورحمة للمومنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا الآية التاسعة في سورة العنكبوت وهي قوله تعالى **اولم يكفهم** هذا جواب لقولهم قبله لولا انزل عليه آيات من ربه كما قال الخازن وقال الزجاج كان قوم من المشركين كتبوا اشياء عن اليهود فاتوا بها النبي صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام كفى بها حماقة قوم او ضلالة قوم ان رغبوا عما اتى به نبيهم الى ما اتى به غير نبيهم الى غير قومهم يعني كان هذا سبب نزول الآية **انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم** يعني تدوم تلاوته عليهم متحدين به فلا تزال معهم آية ثابتة لا تضمحل بخلاف سائر الآيات او يتلى عليهم يعني اليهود بتحقيق ما في ايديهم من نعتك ونعت دينك ذكره البيضاوي وقال الخازن معناه ان القرآن معجزة اتم من معجزة من تقدم من الانبياء عليهم السلام لان معجزة القرآن تدوم على مر الزمان والدهور ثابتة لا تضمحل كما تزول كل آية بعد كونها **ان في ذلك** اي الكتاب الذي هو آية مستمرة وحجة مبينة **لرحمة** لنعمة عظيمة **وذكرى لقوم يومنون** وتذكرة لمن همه الايمان دون التعنت قاله البيضاوي الآية العاشرة في سورة ص وهي قوله تعالى **كتاب انزلناه اليك** اي هذا كتاب يعني القرآن انزلناه اليك **مبارك** اي كثير خيره ونفعه **ليدبروا آياته** ليتفكروا في اسراره العجيبة ومعانيه اللطيفة وقيل تدبر آياته اتباعه في اوامره ونواهيه ذكره الخازن وقال البيضاوي ليتفكروا فيها فيعرفوا ما يدبر ظاهرها من التاويلات الصحيحة والمعاني المستنبطة وقرئ ليتدبروا على الاصل ولتدبروا اي انت وعلماء امتك **وليتذكر اولوا الالباب** وليتعظ به ذووا العقول السليمة او يستحضروا ما هو المركوز في عقولهم من فرط تمكنهم من معرفته بما نصب عليه من الدلائل فان الكتب الالهية بيان لما لا يعلم الا من الشرع وارشاد الى ما يستقل به العقل ولعل التدبر للاول والتذكر للثاني قاله البيضاوي الآية الحادي عشر في سورة الزمر وهي قوله تعالى **الله نزل احسن الحديث** يعني القرآن وكونه احسن الحديث لوجهين احدهما من جهة اللفظ والآخر من جهة المعنى اما الاول فلان القرآن من افصح الكلام واجزله وابلغه وليس هو من جنس الشعر ولا من جنس الخطب والرسائل بل هو نوع يخالف الكل في اسلوبه واما الوجه الثاني فلانه كتاب منزه عن التناقض والاختلاف تشتمل على اخبار الماضين

وقصص

وقصص الاولين وعلى اخبار الغيوب الكثيرة وعلى الوعد والوعيد والجنة والنار وقال العز بن عبد السلام روي ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله لو حدثتنا فانزل الله تعالى الآية احسن الحديث يعني احكمه برهانا واجمعه بيانا واعدله حكما وافصحه نظما **كتابا متشابها** بدل من احسن او حال منه وتشابهه تشابه ابعاضه في الاعجاز وتجاوب النظم وصحة المعنى والدلالة على المنافع العامة ذكره البيضاوي وقال الخازن اي يشبه بعضه بعضا في الحسن ويصدق بعضه بعضا وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام اي يشبه بعضه بعضا في التصديق او في الاعجاز والعدل او يشبه الكتب المتقدمة في الامر والنهي والترغيب والترهيب **مثاني** جمع مثنى او مثنى قال البيضاوي في سورة الحجر المثاني من التثنية او الثناء فان كل ذلك مثنى تكرر قراءته والفاظه او قصصه ومواعظه ويثنى عليه بالبلاغة والاعجاز ومثني على الله سبحانه وتعالى بما هو اهله من صفاته العظمى واسمائه الحسنى وقال الواحدي المثاني جمع مثناة وهو كل شيء يجعل اثنين واكثر وقال العز بن عبد السلام مثاني ثني فيه القصص وقيل ذكر الجنة والنار او يثنى في التلاوة فلا يمل او يشتمل على المزدوجات كالامر والوعد والوعيد والرحمة والعذاب **تقشعر** اي تضطرب وتشمئز **منه جلود الذين يخشون ربهم** والمعنى تاخذهم قشعريرة وهو تغير يحدث في جلد الانسان عند ذكر الوعيد والوجل والخوف وقيل المراد من الجلود القلوب اي قلوب الذين يخشون ربهم ذكره الخازن وقال البيضاوي تشمئز خوفا مما فيه من الوعيد وهو مثل في شدة الخوف واقشعرار الجلد تقبضه وتركيبه من حروف القشع وهو الاديم اليابس بزيادة الراء ليصير رباعيا كتركيب اقمطر من القمط وهو الشد **ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله** من الرجاء وقيل لاعظامه وعند تلاوته وقيل بوعده ووعيده وقال البيضاوي بالرحمة وعموم المغفرة والاشعار بان اصل امره الرحمة وان رحمته سبقت غضبه والتعدية بالى لتضمن معنى السكون والاطمئنان وذكر القلب لتقدم الخشية التي هي من عوارضه وقال ابو محمد الخازن اي لذكر الله قيل اذا ذكرت آيات الوعيد والعذاب اقشعرت جلود الخائفين لله واذا ذكرت آيات الوعد والرحمة لانت جلودهم وسكنت قلوبهم وقيل حقيقة المعنى ان جلودهم تقشعر عند الخوف وتلين عند الرجاء روي عن العباس بن عبد المطلب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اقشعر جلد العبد من خشية الله تحاتت عنه ذنوبه كما يتحات عن الشجرة اليابسة ورقها وفي رواية حرمه الله على النار وقال بعضهم لعل رفيق السائرون في بيداء جلال الله اذا نظروا الى عالم الجلال طاشوا وان لاح لهم اثر من عالم الجمال عاشوا قال قتادة نعت اولياء الله الذي نعتهم الله به ان تقشعر جلودهم وتطمئن قلوبهم بذكر

الله ولم ينعتهم بذهاب عقولهم والغشيان عليهم انما ذلك في اهل البدع وهو
من الشيطان وروي عن عبد الله بن عروة ابن الزبير قال قلت لجدتي اسماء بنت ابي
بكر الصديق رضي الله عنه كيف كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعلون
اذا قرئ عليهم القرآن قالت كانوا كما نعتهم الله عز وجل تدمع اعينهم وتقشعر
جلودهم فان قلت لم ذكر الجلود وحدها اولا في جانب الخوف ثم قرنت بها القلوب
ثانيا في الرجاء قلت اذا ذكرت الخشية التي محلها القلوب اقشعرت الجلود
من ذكر آيات الوعيد في اول وهلة واذا ذكر الله المبني امره على الرافة
والرحمة استبدلوا بالخشية رجاء في قلوبهم وبالقشعريرة لينا في جلودهم
وقيل ان المكاشفة في مقام الرجاء اكمل منها في مقام الخوف لان الخير مطلوب
بالذات والخوف ليس بمطلوب فاذا حصل الخوف اقشعر منه الجلد واذا حصل
الرجاء اطمان اليه القلب ولان الجلد **ذلك** اي الكتاب الذي هو احسن الحديث
هدى الله يهدي به من يشاء هدايته وهو الذي شرح الله صدره لقبول
الهداية **ومن يضلل** ومن يخذله ويجعل قلبه قاسيا منافيا لقبول الهداية
فما له من هاد يخرجه من الضلال الاية الثانية عشر في سورة فصلت وهي
قوله تعالى وانه اي الذكر يعني القرآن لان الاية قبله ان الذين كفروا بالذكر
لما جاءهم وانه **لكتاب عزيز** كثير النفع عديم النظير او منيع لا تتاتى ابطاله وتحريفه
ذكره البيضاوي وقال العز بن عبد السلام عزيز اي عند الله والمؤمنين وقيل
لا يوجد له مثل او ممتنع من ان ياتيه الباطل او على الناس ان ياتوا بمثله وقال
الخازن قال ابن عباس كريم على الله وقيل العزيز العديم النظير وذلك لان الخلق
عجزوا عن معارضته وقيل اعزه الله بمعنى منعه فلا يجد الباطل اليه سبيلا **لا ياتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه** قيل الباطل هو الشيطان فلا يستطيع ان
يغيره وقيل انه محفوظ من ان ينقص منه فياتيه الباطل من بين يديه او يزاد فيه
فياتيه الباطل من خلفه فعلى هذا يكون معنى الباطل الزيادة والنقصان وقيل
لا ياتيه التكذيب من الكتب التي قبله ولا يجيء بعده كتاب فيبطله وقيل معناه
ان الباطل لا يتطرق اليه ولا يجد اليه سبيلا من جهة من الجهات حتى يصل اليه
وقيل لا ياتيه الباطل عما اخبر فيما تقدم من الزمان ولا فيما تاخر **تنزيل من حكيم**
اي مانع عن تبديل معانيه باحكام مبانيه **حميد** مستحق للتحميد بالهام
معانيه قاله العز بن عبد السلام وقال البيضاوي من حكيم حاكم حميد يحمده
كل مخلوق بما ظهر عليه من نعمه وقال الخازن من حكيم في جميع افعاله حميد الى جميع
خلقه بسبب نعمه عليهم انتهى الكلام على هذه الايات فقد دلت بمنطوقها ومفهومها
على وجوب الاعتصام بكتاب الله تعالى على كل مكلف والدليل على ذلك ايضا **الاخبار**

النبوية الواردة في ذلك جمع خبر وهو الحديث وتقدم بيان الفرق بينهما وبين
السنة والاثر واعلم ان المصنف رحمه الله تعالى رمز في تخريج هذه الاحاديث
والاخبار التي في هذا الكتاب رموز الحافظ الاسيوطي رحمه الله تعالى ذلك في
جامع الصغير اختصارا في الكلام واستدعاء تقوا اهل الهمم والافهام وجملة
ذلك مما يشتمل عليه هذا الكتاب ثمانية وثلاثون رمزا وبيانها ان الخاء المعجمة
للبخاري وتكتب هكذا خ والميم لمسلم وتكتب هكذا م والدال المهملة لابي
داود وتكتب هكذا د والتاء المثناة الفوقية للترمذي وتكتب هكذا
ت والسين المهملة للنسائي وتكتب هكذا س والطاء المهملة لموطاء مالك
وتكتب هكذا ط والغين المعجمة للبغوي صاحب المصابيح وتكتب هكذا
غ والزاي للبزار وتكتب هكذا ز وهذه الرموز المفردات وهي ثمانية
حروف والمركبات الطاء المهملة والباء الموحدة للطبراني وتكتب هكذا
طب والطاء المهملة والكاف للطبراني في معجمه الكبير وتكتب هكذا طك
وطاآن مهملتان للطبراني ايضا في معجمه الصغير وتكتب هكذا والطاء المهملة
والكاف والصاد المهملة للطبراني ايضا في معجمه الكبير والاوسط وتكتب هكذا
طكص والطاآن المهملتان والصاد المهملة للطبراني ايضا في معجمه الاوسط
والصغير وتكتب هكذا ططص والطاء المهملة والكاف والطاء المهملة ايضا
والصاد المهملة للطبراني ايضا في معجمه الكبير والاوسط والصغير وتكتب هكذا
طكطص والحاء المهملة والباء الموحدة لابن حبان وتكتب هكذا حب
والحاء المهملة والكاف للحاكم وتكتب هكذا حك والحاء المهملة والدال المهملة
لاحمد بن حنبل وتكتب هكذا حد والدال المهملة والراء للدارمي وتكتب هكذا
در والميم والجيم لابن ماجة وتكتب هكذا مج والخاء المعجمة والزاي لابن
خزيمة وتكتب هكذا خز والصاد المهملة والفاء للاصفهاني وتكتب هكذا
صف والصاد المهملة والباء الموحدة للاصبهاني وتكتب هكذا صب والقاف
والطاء المهملة والنون للدارقطني وتكتب هكذا قطن والهاء والقاف
للبيهقي وتكتب هكذا هق والباء الموحدة والراء لابن عبد البر وتكتب هكذا
بر والدال المهملة والياء المثناة التحتية واللام والميم لابي منصور الديلمي
وتكتب هكذا ديلم والقاف والشين المعجمة للقشيري وتكتب هكذا
قش والدال المهملة والنون والياء المثناة التحتية والالف لابن ابي الدنيا
وتكتب هكذا دنيا والياء المثناة التحتية والعين المهملة واللام والياء
صورة المقصور لابي يعلى وتكتب هكذا يعلى والنون والعين والميم لابي نعيم
وتكتب هكذا نعم والسين المهملة والنون والياء المثناة التحتية لابن السني

وتكتب هكذا اسي والسين المعجمة والياء المثناة التحتية والخاء المعجمة لابي الشيخ
وتكتب هكذا ابشخ والعين المهملة والكاف والراء لابن عساكر والباء الموحدة
والراء والكاف لابن المبارك وتكتب هكذا ابرك والراء والزاي والالف والقاف
لعبد الرزاق وتكتب هكذا رزاق والطاء المهملة والحاء المهملة للطحاوي
وتكتب هكذا اصلح وهذه رموز المخرجين لاحاديث هذا الكتاب واخبار ره
كلها اوردناها ليسهل الامر في الابتداء على مطالع هذا الكتاب وهذا سبعة
احاديث الحديث الاول طك يعني روى الطبراني في معجمه الكبير باسناده
عن ابي شريح رضي الله عنه انه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال اليس تشهدون ان لا اله الا الله واني رسول الله هذا الاستفهام
لتقرير الكلام وتثبيته ولذا دخلت في جوابه بلى الموضوعة لاثبات الكلام
المنفي وابطال نفيه كقوله تعالى الست بربكم قالوا بلى اي بلى انت ربنا
فاجتمع النفي مع التقرير بجري النفي المحض فلذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما
لو قالوا نعم لكفروا ووجهه ان نعم لتصديق الخبر بنفي او اثبات ولهذا كان
جوابهم هنا انهم قالوا بلى اي بلى انه لا اله الا الله وانك رسول الله وفائدة
هذا الكلام من رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم ليستنطقهم بما هو موجود
فيهم من الايمان بالله ورسوله والاسلام بما جاء به من الحق حتى يستبني عليه
قوله بعد ذلك ويتحقق عندهم ويثبت وان كان محققا من قبل وثابتا
في قلوبهم كما انك اذا اردت ان تحدث ابنك حديثا هو نصح له فقلت له
الست ابني فيقال لك بلى انا ابنك فاذا حدثته بعد ذلك بالحديث كان
في غاية التاكيد عنده وكمال النصح له باعترافه ببنوتك وكذلك هنا قال
صلى الله عليه وسلم ان هذا القران يعني الكلام القديم المنزل بجبرائيل
عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم المحفوظ في القلوب بالحروف والكلمات
المتخيلة المقروءة بالالسنة بالحروف والكلمات اللفظية الهوائية المكتوبة في المصاحف
والالواح بالحروف والكلمات الرسمية المدادية فمادة الحروف الاولى الخيال ومادة
الحروف الثانية الهواء ومادة الحروف الثالثة الحبر والمراد كما ان موضع الاولى
القلب وموضع الثانية الفم وموضع الثالثة القرطاس وهذه الانواع الثلاثة
من الحروف في مواضعها الثلاث صور يتصور بها كلام الله تعالى القديم المنزه
عن الحروف والاصوات والمواضع والكلمات فهي كسوته ولباسه في ظهوره لنا
لا على معنى انه حال فيها او متحد بها او متصل بها او منفصل منها لان الكلام
كلام الله تعالى صفته وصفات الله تعالى كلها قديمة والقديم لا وجود للحادث
معه بوجود اخر من نفس الحادث او من قديم اخر اذ لا قديم الا واحد عقلا

وشرعا بل للحادث وجود بالقديم الواحد ووجود الحادث اذا كان بالقديم كان الوجود
للقديم والحادث منسوب اليه الوجود فقط فكيف يتصور الحلول ونحوه فيه لموجود و[illegible]
تحل في المعدوم اذا علمت هذا ظهر لك فساد قول من قال ان كلام الله تعالى مقول
بالاشتراك الوصفي على معنيين الصفة القديمة والمؤلف من الحروف والكلمات
الحادثة فانه قول يؤول بصاحبه الى اعتقاد الشرك في صفات الله تعالى وان الله
تعالى يوصف بالكلام الحادث مع قدمه سبحانه واشارة النبي صلى الله عليه وسلم هنا
في الحديث الى القران تفيد انه واحد لا تعدد له اصلا وهو الصفة القديمة وهو المكتوب
في المصاحف المقروء بالالسنة المحفوظ في القلوب من غير حلول في شيء من ذلك ومن لم
هذا على حسب ما ذكرنا لصعوبته عليه يجب عليه الايمان به بالغيب كما يؤمن بالله
وبباقي صفاته سبحانه وتعالى ولا يجوز لاحد ان يقول بحدوث ما في المصاحف
والقلوب والالسنة غاية الامر ان القران العظيم له طرفان الطرف الواحد
مما يلي الحق سبحانه وتعالى لانه كلامه وكلامه صفته والطرف الثاني مما يلي الخلق
وهو ظهوره بتلك الانواع الثلاثة من الحروف والكلمات في تلك المواضع الثلاثة من
كل انسان فتتعدد صوره وتتكثر بسبب ذلك مع وحدته في نفسه كما يتعدد
الوجه الواحد اذا ظهر في المرايا الكثيرة بطريق انطباع اثاره فيها لا بحلوله
فيها وتختلف صور ظهوراته بحسب اختلاف تلك المرايا بالصغر والكبر
والطول والعرض ونحو ذلك فلا يجوز ان يقال لزيد وجهان احدهما في جسمه
الظاهر والاخر في وسط المراة بل يلزم على هذا ان يقال ان له وجوها كثيرة
مختلفة بحسب اختلاف تلك المرايا وهو ممتنع ولهذا قال صلى الله عليه
وسلم طرفه اي القران يعني احد وجهيه بيد الله سبحانه وتعالى بحيث لا يعلم
به الا هو وهو وجه وحدته وكمال نزاهته وتقديسه وطرفه اي وجهه
الاخر بايديكم وهو صوره المتعددة له المسماة عندكم ورقا وكلمات مخيلة
او لفظية او رقمية فتمسكوا به اي بالقران المذكور من حيث ظهوره لكم في
صوره المذكورة وايمانكم به من حيث ما غاب عنكم من اطلاقه عن كل صورة
وتنزهه عن ذلك وتقدسه في ذات الله تعالى فانكم ان فعلتم ذلك لن تضلوا
اي لن تتحيروا في اعتقاد ولا قول ولا عمل في الدنيا ولن تهلكوا في الاخرة بمخالفة
في شيء من ذلك بعده اي بعد القران المذكور وبعد تمسككم به ابدا الا ان
الله تعالى لم يؤاخذ فيه من شيء وفي ذكر اليدين للجانبين مشاكلة نظير قوله
تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه ولم يقل فجازوه واورد هذا الحديث الا
سيوطي في كتاب الاتقان برواية اخرى عن ابي شريح ايضا وزاد فيه قال واخرج

ابن ابي شيبة من حديث ابي شريح الخزاعي ان هذا القران سبب طرفه بيد الله
وطرفه بايديكم فتمسكوا به فانكم لن تضلوا ولن تهلكوا بعده ابدًا والسبب الحبل
وذكر السبب في هذه الرواية مما يويد ما ذكرناه من وحدة القران وعدم تعدده
لان الحبل الواحد اذا كان له طرفان احدهما بيد واحد والاخر بايدي جماعة
لا يلزم ان يكون لاجل ذلك حبلين الحديث الثاني حب يعني روى
ابن حبان باسناده عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال القران يوم القيمة عند الله تعالى شافع في المؤمنين المذنبين
الذين ما توا قبل التوبة مشفع بصيغة اسم المفعول اي مقبول الشافعة
عند الله تعالى وهذا يقتضي المغايرة بينه وبين الله تعالى مع انه صفته وصفات
الله تعالى لا تغايره كل المغايرة على ما قررناه في موضعه فهو باعتبار طرفه الذي
بايدينا اللابس صور الحروف والكلمات المتشكل في اشكالها من غير ان تستقل
دونه بوجود فيلزم ان يحل فيها كما قدمناه يصح فيه ان يظهر في اي صورة شاء
الله تعالى من غير ان يتطهر عن اطلاقه وتنزهه وتقدسه كما ورد عن احمد
بن حنبل رضي الله عنه انه لما مرض فشارف الاحتضار وابوه جالس عند
راسه يقرء له سورة يس ثم لقنه الشهادة فكان كلما قال له لا اله الا الله
يقول لا فخاف عليه من الفتنة حتى زالت عنه تلك الحالة وبرء من مرضه فاخبره
بذلك فقال تصور لي الشيطان وكان يقول لي افلت مني يا احمد فقلت له
لا ورايت شابا حسن الصورة يدفع عني الشيطان فسالته من انت قال
انا سورة يس وذكر الغزالي في كتاب الدرة الفاخرة ان القرآن ياتي يوم
القيمة في صفة رجل ويشفع فيشفع والاسلام مثله يخصم ويخاصم وقد ذكرنا
حكاية الاسلام عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في كتاب الاحيا وبعد
مخاصمته يتعلق به ما شاء الله فياوي به الى الجنة وكذا تاتي الدنيا في صورة
عجوز شمطاء اقبح ما يكون فيقال للناس اتعرفون هذه فيقولون نعوذ
بالله من هذه فيقال لهم هذه الدنيا التي كنتم لها تحبون وعليها تحاسدون
وفيها تتباغضون وكذا تاتي الجمعة كانها عروس تزف احسن ما يكون
فتحدق بها المؤمنون ويحيط بها كثبان المسك والكافور عليها نور يتعجب
منه كل اهل الموقف حتى تدخل بهم الجنة فانظر رحمك الله تعالى وجود القران
والاسلام والجمعة اشخاصا وذلك في الدنيا لا يعقل له عين بل هو متحيز الى

العالم

العالم الملكوتي وعارف حقيقته لا يقول بخلق القران كما قالت الجهمية الى
اخر عبارته وورد احاديث في شفاعته يوم القيمة فمن ذلك ما ذكره
النووي رحمه الله تعالى في رياض الصالحين عن ابي امامة رضي الله عنه قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يؤتى يوم القيمة بالقرآن واهله الذين كانوا
يعملون به في الدنيا تقدمه سورة البقرة وال عمران تحاجان عن صاحبهما رواه
مسلم وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من
القران سورة ثلاثون اية شفعت لرجل حتى غفر له وهي تبارك الذي بيده
الملك رواه ابو داود والترمذي وقال حديث حسن وفي رواية ابي داود
تشفع وماحل اي القرآن يعني خصما مجادلا وقيل معناه ساع من قولهم
محل بفلان اذا سعى به الى السلطان قال في القاموس محل به مثلثة الحاء
محلا ومحالا اقاده بسعاية الى السلطان وماحله مماحلة ومحالا قاداه حتى
يتبين ايهما اشد مصدق بصيغة اسم المفعول والمعنى ان القران خصم
يخاصم عن قاريه العامل به يوم القيمة فيصدقه الحق تعالى في مخاصمته عنه ومجا
دلته او ساع يقاربه الغير عامل به الى ربه فيقبل تعالى سعايته فيه او بقاريه
العامل به الى الحق تعالى ليرفع درجاته في مقامات القرب لديه ولا يرد الحق
تعالى سعايته بل يصدقه في كل ما سعى به من جعله امامه اي قدامه بمعنى تابعه
واقتدى بما فيه من الاحكام والمواعظ واعتبر بقصصه واحاديثه وتحقق
بنصائحه وامثاله قاده اي اوصله الى الجنة ومن جعله خلفه اي وراء
ظهره وفي رواية انس مرفوعا خلفه بان ترك العمل به ولم يعتبر بما فيه
واهمله واشتغل بما تقتضيه طبيعته وتستحسنه عقله من الاعتقاد والقول
والعمل كما قال تعالى نبذ فريق من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم
كانهم لا يعلمون فقيل اراد بالكتاب القران وقيل التوراة وهو الاقرب
لان النبذ لا يكون الا بعد التمسك ولم يتمسكوا بالقران اما نبذهم التوراة
فكانوا يقرؤنها ولا يعملون بها وقيل انهم ادرجوها في الحرير وحلوها بالذهب
ولم يعملوا بما فيها ذكره الخازن وقال الواحدي قوله نبذ فريق من الذين اوتوا
اوتوا الكتاب يعني علماء اليهود الذين تواطؤا على كتمان امر محمد صلى الله
عليه وسلم وقوله كتاب الله وراء ظهورهم يجوز ان يكون المراد بكتاب الله القرآن
ويجوز ان يكون المراد به التوراة لان الذين كفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم
نبذوا التوراة والنبذ الطرح ويقال لكل من استخف بشيء ولم يعمل به نبذه
وراء ظهره وقيل هو بين ايديهم يقرؤنه ولكن نبذوا العمل به وقيل ادرجوه
في الحرير والديباج بالذهب والفضة ولم يحلوا حلاله ولم يحرموا حرامه فذلك

البنذ وقوله كانهم لايعلمون اعلم الله تعالى انهم نبذوا كتاب الله ورفضوه عن علم بعظيم مايفعلون حتى كانهم لايعلمون مايستحقونه من العذاب انتهى وهذه عبرة عظيمة في المؤمنين بالقران اذا تركوا العمل به مع المواظبة على قراءته ولم يتعظوا بمواعظه ولم يتحققوا بقصصه واخباره واد رجوه في الحرير والديباج وحلوه بالذهب والفضة واعتمدوا على مجرد تعظيمه والتبرك به من دون احلال حلاله وتحريم حرامه وامتثال اوامره واجتناب نواهيه فانهم عاملون حينئذ نظير عمل اهل الكتاب الذين قال الله تعالى فيهم هذه المقالة المذكوره **ساقه الله الى النار** اي اوصله اليها واستعمل في الاول القود لانه تيسير الدابة بجذب عنانها من قدامها ومن جعل القران امامه فقد جذبه القران الى الجنة من قدامه بعنان الطاعة واستعمل السوق في الثاني لان السوق زجر الدابة من خلفها ومن جعل القران خلف ظهره زجره القران ودفعه الى النار وفي الكلام اشارة الى انه لابد من التقليد للمكلف فاما ان يقلد القران ويتبع احكامه فينجوا واما ان يقلد طبعه وعقله ويجعل القران وراء ظهره فيهلك ويفهم من قوله ساقه الى النار ان الاضلال منسوب الى القران ايضا فيمن لم يتبعه كالهداية كما قال تعالى يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا الحديث الثالث **دحك** يعني روى ابو داود والحاكم باسنادهما **عن سهل بن معاذ رضي الله عنه عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قراء القران** لعل المراد من تعلم قراءته حتى كان متى اراد قراءه وتلاه وتعلم تفسيره وتاويله لاجل قوله **وعمل به** يعني بمضمون اياته من الاحكام والاذكار مع الاخلاص والخشوع بان صار عالما بالقران عاملا به على وجه السنة لا البدعة **البس** بضم الهمزة اي البس الله تعالى **والداه** اذا ماتا او احدهما اذا مات كذلك **تاجا** وهو الاكليل تقول توجه فتتوج اي البسه التاج فلبسه تعالى العمائم تيجان العرب قاله الجوهري **يوم القيمة** يحتمل في الجنة ويحتمل قبل دخولها وهما في المحشر اكراما لهما حيث انتجا هذا السعيد الموفق وجزاء على تعليمه بانفسهما او بمالهما او باعانتهما له ولو بالدعاء منه قال تعالى يوم لاينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم يعني من الشرك والكفر الى الله بقلب سليم من الشرك والكفر ينفعه المال والبنون حينئذ كما ورد في هذا الحديث ولهذا اشترطنا الايمان في الوالدين ولو كان في الحديث ابواه لكان والديه لتعلقنا بدخول الجد والجدة في ذلك فانه قد يسمى والدا مجازا هو المتبادر **ضوءه** اي ذلك التاج **احسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا** من جهة الانارة والاشراق ولم يرد التشبيه بالشعاع عما يظهر عنه في البيوت

من

من جهة الانارة والاشراق ولم يرد التشبيه بالشعاع خلف الجدران وفيه كمال البهجة واللطافة **فما ظنكم** يا معشر المؤمنين **بالذي عمل بهذا** يعني بذلك الولد الذي قراء القران وعمل به كما ذكرنا فان له عند الله جزاء اكثر من ذلك الا توصف واورد هذا الحديث الاسيوطي في الاتقان برواية اخرى عن الطبراني في الاوسط من حديث ابي هريرة مامن رجل يعلم ولده القران الا توج يوم القيمة بتاج في الجنة واخرج ابو داود واحمد والحاكم من حديث معاذ بن انس من قراء القران فاكمله وعمل به البس والداه تاجا يوم القيمة ضوءه احسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا لو كانت فيكم فما ظنكم بالذي عمل هذا وفي قوله فاكمله وعمل به البس والداه تاجا يوم القيمة ضوءه احسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا اشارة الى ان من قراء بعضه لاينال هذه الفضيلة لعدم اطلاعه على تمام ما كلف به علما وعملا ويحتمل ان يكون المراد باكماله تصحيح كلماته وتجويده وتقويم معانيه الحديث الرابع **حك** يعني روى الحاكم باسناده **عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان هذا القران مأدبة الله** اي ضيافته قال في القاموس المأدبة والمأدبة بالضم طعام يصنع لدعوة او عرس ادبه اذبه دعاه الى طعامه انتهى ووجه كونه مادبة انه مشتمل على انواع من الاقوات الروحانية والاحكام والحكم والنصائح والمواعظ الممدة للارواح كما يمد الطعام للاجسام **فاقبلوا مأدبته** اي ضيافته التي هياها لكم واستعملوا منها **ما استطعتم** اي مقدار استطاعتكم ولا تردوها عليه فيغضب من عدم استعمالكم لها **ان هذا القران حبل الله المتين** اي القوي لان له طرفين احدهما بيد الله وهو وجه اطلاقه عن الحروف والاصوات والاخر بايدي العباد وهو وجه تقييده بالحروف والاصوات كما قدمناه وبهذا الاعتبار اطلق عليه حبل فكل من تمسك به جذبه الله تعالى اليه اي الى معرفته ورضوانه **والنور المبين** اي الكاشف عن خفايا الملك والملكوت والموضح لما به رضاء الله تعالى وما به غضبه ولايخفى ما بين المتين والمبين من انواع البديع وهو جناس التصحيف **والشفاء النافع** من كل داء في النفس وفي الجسد يشفي امراض القلوب الروحانية بالعلوم الحقيقية ويشفي الامراض البدنية بالتطبب به والرقية القولية والرقية **عصمة** بالكسر اي منع ووقاية وحفظ **لمن تمسك به** في اعتقاده وقوله وعمله **ونجاة** اي خلاص تقول نجا نجوا ونجاة ونجاية خلص وانجاه الله ونجاه كذا في القاموس **لمن اتبعه** اي عمل بما فيه من الاوامر والنواهي واتعظ بمواعظه ورغب

بترغيبه ورهب بترهيبه وقام بحقوقه عليه قالا وحالا لا يزيغ اي
القرآن قال في القاموس زاغ اي مال يزيغ زيغا وزيغانا وزيغوغة والزيغ
الشك والجور عن الحق انتهى والمعنى انه لا يميل عن الحق ولا يعدل عنه لانه حق
من حق فيستعتب استعتبه اعطاه العتبى والعتبى الرضاء كاعتبه واستعتبه
طلب اليه العتبى ضده كذا في القاموس والمناسب هنا المعنى الثاني
وهو طلب العتبى لا اعطاؤها يعني ان القرآن العظيم لا يجوز عن الحق
باحد اتبعه ولا يميل عنه حتى يطلب الرضا من احد بازالة ذلك الجور منه
ولا يميل عن الحق ولا يعوج عوج كفرح والاسم عوج كعنب وتقال في كل
منتصب كالحائط والعصا فيه عوج محركة وفي نحو الارض والدين كعنب
وقد اعوج اعوجاجا وعوجته فتعوج كذا في القاموس يعني ان القرآن العظيم
لا يدخل فيه عوج لانه صراط الله المستقيم كما قال تعالى [قرآنا] عربيا غير ذي عوج
قال البيضاوي لا اختلال فيه بوجه ما وقال الخازن اي منزها عن التناقض
قال ابن عباس غير مختلف وقيل غير ذي لبس وقيل غير مخلوق ويروى ذلك
عن مالك بن انس وحكي عن سفيان بن عيينة عن سبعين من التابعين ان
القرآن ليس بخالق ولا مخلوق انتهى فكونه ليس بمخلوق ظاهر وكونه ليس بخالق
لانه ليس بمغاير لله تعالى كل المغايرة بل هو صفته سبحانه فالله تعالى هو
الخالق به لانه كلامه القديم وامره العظيم كما قال تعالى انما امرنا لشيء
اذا اردناه ان نقول له كن فيكون فيقوم اي يزال العوج يقال قومته
ازلت عوجه وقومته عدلته والقرآن العظيم غني عن التقويم والتعديل
قال تعالى انا نزلنا الذكر وانا له لحافظون ولا تنقضي اي لا تفرغ قال
في القاموس تقضي فني وانصرم كانقضى عجائبه جمع عجيب يقال عجبت
منه واستعجبت منه كتعجبت منه يعني ما فيه من الامور العجيبة لا تفرغ
ولا تفنى ولا تنصرم وتنكشف منه المعاني الغريبة على مر الازمان
لقلوب اهل المعرفة والايمان وتتجلى لهم خبايا الاسرار وخفايا الانوار
شيئا فشيئا من غير فراغ ولا نقصان قال تعالى قل لو كان البحر مدادا
لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا
قال الواحدي قال ابن عباس يريد ان كلامه اعظم من ان يكون لها امد
وكلام الله القديم سبحانه صفة من صفات ذاته فلا يجوز ان يكون لكلامه
نهاية ومنتهى كما ليس له غاية وحد فاوصاف ذاته غير محدودة وهذا رد
على اليهود حين ادعوا انهم اوتوا العلم الكثير وكانه قيل لهم اي الذي
اوتيتم في علم الله وكلماته لا تنفد لو كتبت بماء البحر وقال الخازن المعنى

ولو كان الخلائق يكتبون والبحر يمدهم لفني ماء البحر ولم تفن كلمات الله
ولو جئنا بمثل ماء البحر في كثرته مدادا او زيادة وقال تعالى ولو ان ما في
الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات
الله قال البيضاوي لو البحر المحيط يشقه مدادا ممدودا بسبعة ابحر ما نفدت
كلمات الله بكتبها بتلك الاقلام بذلك المداد ولا يخلق اي لا يبلى يقال خلق
الثوب كنصر وكرم وسمع خلوقة وخلقا محركة بلي كذا في القاموس وهذا و
صف على طريق الاستعارة بتشبيه الفاظ القرآن بالثوب الذي لا يبلى بل
هو مستمر على هيئته الابتدائية لا يطرأ عليها ما يخرجها عن الخلائق اسم
الجديد الى العتيق البعيد من قولهم ثوب خلق اي بالي وهو من باب علم
يعلم كذا في فتح الصفا لابن اقبرس من كثرة الترداد اي تكرار تلاوته
يعني ان قارئه لا يمل منه ولا يسأم على مر الزمان كما اشار اليه ابن اقبرس
ويحتمل ان يكون معناه انه لا يتغير حرف من حروفه ولا يتبدل مع كثرة من
يتلوه ويدرسه من العلماء والجهلاء والاعراب والاعجام فان الله تعالى حافظ
من ذلك ومقيض له من يرد الخطاء في تلاوته وفي معناه الى ان يرفعه الله
تعالى اليه حتى ورد في الحديث كما اخرجه السيوطي في الجامع الصغير عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا قرئ القاري فاخطاء او لحن او
مطلب
كان اعجميا كتبه الملك كما انزل قال الشارح المناوي رحمه الله تعالى وفيه ان
القاري يكتب له ثواب قراءته وان اخطاء او لحن لكن محله اذا لم يتعمد ولم يقصر
في التعلم والا فلا يوجر بل يؤزر انتهى اما اشتراط انه لم يتعمد فهو ظاهر لان
المسلم المؤمن بالقرآن العظيم لا يقع منه في الغالب ان يتعمد اللحن فيه والتح
ريف ولكن يقع منه ذلك جهلا لا سيما ولفظ الحديث فيه ذكر الخطاء
والخطاء لا يكون عمدا غايته انه قد يكون مقصرا في التعليم مع مطاوعة
لسانه للتصحيح فيأثم واما اذا كان لسانه ثقيلا في النطق لا يطاوعه
ولا يستطيع اتقان ذلك فهو معذور ومأجور على قراءته وان اخطاء
وان لحن كما هو صريح الحديث المذكور ولا تكتبه الملائكة له الا صحيحا
كما انزل فقد قيض الله تعالى للقرآن العظيم ملائكة يكتبون الخطاء واللحن فيه
صحيحا اتلوه امر من التلاوة وهي القراءة وتستحب في غير الصلاة من
المصحف او من الحفظ عن ظهر القلب والاول افضل لزيادة فضيلة النظر في
مطلب
المصحف فانه عبادة اخرى غير التلاوة قال الغزالي في الاحياء قراءة القرآن
في المصحف افضل اذ يزيد عمل البصر وتأمل المصحف وحمله فيزيد الاجر
بسببه وقيل الختمة من المصحف بسبع لان النظر في المصحف ايضا

عبادة وقد حرق عثمان رضي الله عنه مصحفين لكثرة قراءته منهما وكان
كثير من الصحابة رضي الله عنهم يقرؤن من المصحف ويكرهون ان يخرج يوم
ولم ينظروا في المصحف وقال علي رضي الله عنه ثلاث يزدن في الحفظ
السواك والصوم وقراءة القران فان الله تعالى يا جركم من الاجر وهو الجزاء
على العمل وجمعه اجور واجار اجره ياجره وياجره جزاه كذا في القاموس على
تلاوة اي قراءة كل حرف من حروف القران وهي التهجي ويطلق الحرف على
الكلمة ايضا قال في شرح الدرر واما تعليمه يعني الجنب القران حرفا حرفا
فلا باس به اتفاقا قال والدي رحمه الله يعني كلمة كلمة كما فسره به الحلبي
في شرح المنية ولكن ليس المراد هنا بالحرف الكلمة بدليل ما ياتي عشر حسنات
اما بفتح الهمزة وتخفيف الميم قال الجوهري هي تحقيق للكلام الذي يتلوه
تقول اما ان زيدا عاقل تعني انه عاقل على الحقيقة لا على المجاز وتقول اما
والله قد ضرب زيد عمرو اني لا اقول كلمة الم حرف مستقل ايضا وميم
حرف لذلك وكل حرف بعشر حسنات فقارئ الم له ثلاثون حسنة وان
اعتبرنا بسط حروف الف لام ميم فجملة ذلك تسعون حسنة وجعل هذا
الحديث في كتاب الاحياء للغزالي موقوفا على ابن مسعود رضي الله عنه
حيث قال قال ابن مسعود رضي الله عنه اقرؤا القران فانكم تؤجرون عليه بكل حرف
منه عشر حسنات اما اني لا اقول الم حرف ولكن اقول الالف حرف والميم حرف
ووصله النووي في رياض الصالحين حيث قال وعن ابن مسعود رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا حرفا من كتاب الله فله حسنة
والحسنة بعشر امثالها لا اقول الم حرف ولام حرف وميم حرف رواه الترمذي وقال
حسن صحيح الحديث الخامس ت يعني روى الترمذي باسناده عن الحارث
ابن الاعور رضي الله عنه انه قال مررت بالمسجد لعله مسجد النبي صلى الله عليه وسلم
بالمدينة فاذا الناس اي الصحابة الموجودون هناك حينئذ يخوضون في الا
حاديث قال في القاموس خاض الماء يخوضه خوضا وخياضا دخله وكذا يخوض
مع الخائضين اي في الباطل وتخاوضوا في الحديث تفاوضوا انتهى والمراد انهم
كانوا يتفاوضون في احاديث الدنيا فدخلت على علي رضي الله عنه فاخبرته بما
وجدت في المسجد من ذلك فقال رضي الله عنه اوقد فعلوها يعني هذه الفعلة
على وجه الانكار لذلك لحصولهم بعهده في السنة النبوية قلت نعم يعني فعلوها
قال علي رضي الله عنه اما بالتخفيف كما سبق اني سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول الا بالفتح والتخفيف تدل على تحقق ما بعدها قال في المغني
ويقول المعربون فيها حرف استفتاح فيبينون مكانها ويهملون معناها وافادتها

التحقيق

التحقيق من جهة تركيبها من الهمزة ولا وهمزة الاستفهام اذا دخلت على
النفي افادة التحقيق نحو اليس ذلك بقادر ذكره الاسيوطي في الاتقان
انها يعني هذه الفعلة المذكورة وهي كلام الدنيا في المساجد كانها معلومة
عند علي رضي الله عنه من اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا قال او
قد فعلوها على طريقة الاستفهام ويحتمل ان يكون الضمير المونث للقصة
نظير الضمير الثاني في المذكر قال الاسيوطي في الاتقان قال ابن هشام
متى امكن الحمل على غير ضمير الشان فلا ينبغي ان يحمل عليه ومن امثلته ضمير
الشان والقصة قل هو الله احد فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا
فانها لا تعمى الابصار وفايدته الدلالة على تعظيم المخبر عنه وتفخيمه بان
يذكر اولا مبهما ثم يفسر ستكون اي توجد فتنة وهي بالكسر الحيرة فتنه
يفتنه فتنا وفتونا وافتنه والضلال والاثم والفضيحة والاضلال واضلال
الناس في الاراء كذا في القاموس وهذه المعاني الستة مناسبة هنا قلت
يعني قال علي رضي الله عنه فما المخرج منها يا رسول الله اي ما موضع الخروج
بالسلامة من تلك الفتنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المخرج منها كتاب
الله تعالى اي التمسك به وترك الاراء العقلية فان فيه بيان حكم هذه المسئلة
كما قال تعالى في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه قال ابو محمد الخازن
المراد بالبيوت جميع المساجد قال ابن عباس المساجد بيوت الله في الارض
تضيء لاهل السماء كما تضيء النجوم لاهل الارض وقيل المراد بالبيوت اربعة
مساجد لم يبنها الا نبي الكعبة بناها ابراهيم واسماعيل فجعلاها قبلة وبيت
المقدس بناه داود وسليمان ومسجد المدينة بناه رسول الله صلى الله عليه
ومسجد قبا اسس على التقوى وبناه رسول الله صلى الله عليه وسلم ايضا
اذن الله ان ترفع اي تبنى وقيل تعظم فلا يذكر فيها الخنا من القول وتطهر
عن الانجاس والاقذار ويذكر فيها اسمه قال ابن عباس يتلى فيها كتابه انتهى
ففي كتاب الله بيان حكم كل شيء حتى المسئلة المذكورة في التكلم في المساجد
بكلام اهل الدنيا وفيه المعافاة من كل داء والسلام من كل فتنة وكل محنة ظاهرا
وباطنا فيه اي في كتاب الله نبا اي خبر ما اي الذين قبلكم وقد يستعمل
موضعها من فيهما سواء في الاطلاق على من يعقل كما بينته في كتابي نخبة الحان
ورتبة الالحان وخبر ما بعدكم يعني علوم الاولين والاخرين وهي قصص
الامم الماضية وحديث هذه الامة الى يوم القيمة وحكم ما بينكم في الدنيا
من حلال وحرام ومندوب ومكروه ومباح وصحيح وفاسد وفي الاخرة
من ثواب وعقاب وعتاب وسوال وحساب وخلود في نعيم او في عذاب

اليه هو يعني كتاب الله تعالى **الفصل** اي الحق من القول او القضاء بين
الحق والباطل كذا في القاموس وضمير الفصل للحصر اي لا فصل غيره كما قال
تعالى هو الحق مصدقا **ليس هو بالهزل** اي لم ينزل باللعب فهو جد ليس
بالهزل قاله الواحدي وقال العز بن عبد السلام اشارة الى قوله تعالى انه
لقول فصل وما هو بالهزل **من تركه** اي لم يعمل به ولم يقف عند حلاله
وحرامه ولم يتعظ بمواعظه فلم يرغب في ترغيبه ويرهب من ترهيبه وينتصح
بنصائحه **من جبار** بيان لمن تركه اذ التارك له لا يكون الا جبارا وهو كل
عات والعظيم القوي الطويل وقلب لا تدخله الرحمة والقتال في غير
حق كذا في القاموس وهذه المعاني الاربعة مناسبة هنا **قصمه الله**
تعالى قال في القاموس قصمه يقصمه كسره وابانه او كسره وان لم يبن
فانقصم وتقصم ورجع من حيث جاء انتهى والمعنى اهلكه الله تعالى
ودمره في كل امر شرع فيه لكونه الاقتداء والاتباع لكتاب الله تعالى
وتبع رايه وعقله **ومن ابتغى** اي طلب يقال بغيته بغية طلبته كابتغيته
وتبغيته واستبغيته كذا في القاموس **الهدى** بضم الهاء وفتح
الدال الرشاد والدلالة هداه هدى وهديا وهداية وهدية بكسرهما ارشده
كما في القاموس فيستعمل الهدى بمعنى الدلالة فقط كقوله تعالى واما
ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى اي دللناهم وقوله وانك
لتهدي الى صراط مستقيم اي تدل وبمعنى الايصال الى الحق كقوله من
يهدي الله فهو المهتدي وقوله فانك لا تهدي من احببت اي لا توصل
وان دللت والهدى هنا بمعنى الايصال الى الحق **في غيره** اي غير
كتاب الله تعالى واما السنة والاجماع والقياس التابع لذلك فهي من
الكتاب نص بدليل قوله تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهيكم عنه
فانتهوا وقوله ولا تفرقوا وقوله ولا تنازعوا وقوله كونوا قوامين
بالقسط وقوله فاعتبروا يا اولي الابصار فان الاعتبار هو القياس كما
ان النهي عن التفرق والتنازع يقتضي الحث على الاجماع وذكر الخازن في
تفسير قوله تعالى ومن يشاقق الرسول الاية قال روي ان الشافعي
رحمه الله تعالى سئل عن اية في كتاب الله تدل على ان الاجماع حجة فقرا
القران ثلاثمائة مرة حتى استخرج هذه الاية وهي قوله ويتبع غير سبيل
المومنين وذلك لان اتباع غير سبيل المومنين مفارقة الجماعة وهو حرام

فوجب

فوجب ان يكون اتباع سبيل المومنين ولزوم جماعتهم واجبا لان الله تعالى الحق
الوعيد بمن يشاقق الرسول ويتبع غير سبيل المومنين فثبت بهذا ان اجماع
الامة حجة وذكره البيضاوي ايضا في تفسير الاية المذكورة **اضله الله**
تعالى من الضلال وهو ضد الهدى اذ ما بعد كتاب الله تعالى هدى لمهتدي
وكل ما خالف كتاب الله تعالى فهو باطل **وهو** اي كتاب الله تعالى **حبل
الله المتين** الذي دلاه من حضرته الغيبية الذاتية الى حضرته الفعلية فنزل
الى افعال المخلوقين بمعاني وحروف وكلمات فقراوه وعملوا به على حسب
توفيقهم له فنجوا وكل من تركه هلك **وهو الذكر الحكيم** اي المحكم الممنوع
من الباطل وهو القران لانه حاكم تستفاد منه جميع الاحكام قاله الخازن
قال البيضاوي الحكيم المشتمل على الحكم والمحكم والممنوع عن تطرق الخلل
اليه وقال الواحدي الحكيم بمعنى الحاكم اي المانع من الفساد وكل ما يقبح
وهو الصراط المستقيم اصله سراط من سرط الطعام اذا ابتلعه فكانه
يسترط السابلة ولذلك سمي لقما لانه يلتقمهم والصراط من قلب السين صادا
ليطابق الطاء في الاطباق وقد تشم الصاد صوت الزاي ليكون اقرب
الى المبدل عنه وجمعه سرط ككتب وهو كالطريق في التذكير والتانيث
والمستقيم السوي والمراد به طريق الحق وقيل ملة الاسلام ذكره البيضاوي
وهو الذي لا تزيغ اي لا تميل عن الحق به اي بسببه **الاهواء** جمع هوى
وهو ارادة النفس يعني ارادات النفوس واراؤها من جميع الخلق
لا تزيغ بسبب اتباعه والاقتداء بما فيه عن الطريق الحق وقال ابن فارس
الخروج عن الشيء والحيد عنه يقال زاغ عن الحق اي خرج عنه ومنه قوله
ربنا لا تزغ قلوبنا يعني عن الهداية لقوله بعد اذ هديتنا والاهواء
الاغراض النفسانية التي تهوي بصاحبها بالميل الى المهلكات قال الله تعالى
ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه اي مال مع غرض نفسه
تابعا اياه والفرق بين الهوى المغصوب والممدود ظاهر وقد افرد له ابن
دريد مصنفا مشهورا والمعنى ان القران اذا تمكنت في القلوب معرفة
معانيه واصوله الاعتقادية فلا يجد اعداؤه شبهة تورث زيغا وذلك بتوفيق
الله تعالى **ولا تلتبس به الالسنة** هذا في غاية الظهور لان الله تعالى ميز هذا
اللسان العربي عن ساير الالسن ومكن الاسماع من حال هذا التمييز كل
التمكن فامن اللبس فيه مثل عين الشمس قال ابن فارس وفي القاموس لبس
عليه الامر يلبسه خلطه والبسه غطاه وامر ملبس وملتبس مشتبه
والتلبيس التخليط والتدليس والالسنة جمع لسان وهو اللغة والمعنى ان

هذا القرآن العظيم من غاية ظهوره ووضوحه لا تلتبس معانيه وحكمه واحكام
وكونه حقا من حق وكونه معجز البشر على احد مطلقا واهل جميع اللغات التي
للخلق يعرفون هذه الصفة له وينتفعون به وان لم يكن على لغتهم ولا جاء
بلسانهم **ولا يشبع منه العلماء** قال ابن اقرس لانه بحر المعاني فكل ظمآن
يطلب ريه منه انتهى فقد عدل فيه عن معنى الاكل الى معنى الشرب والمراد
ان به غذاء العلماء وتربية كمالهم الروحاني لانه بحر ذي تبرد غلة العطش والمراد
بالعلماء الذين يغتذون بكتاب الله تعالى العلماء بالله تعالى الذين استغنوا به
عمن سواه وهم اهل الخشية قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء قال الشيخ
جمال الدين خليفة في حاشيته على تفسير البيضاوي اي العلماء بالله دون
غيرهم وهم الذين علموه تعالى بجلال ذاته وكمال صفاته وقوة افعاله وعلموا انه
كم اهلك من عباده ولم يبال وينتقم من كثير من العباد يوم القيمة ولا يبالي وما
يقال من ان الاية تدل على ان الخشية في العلماء ولا تدل على ان كل عالم فيه خشية مدفوع
بان ماخذ الاشتقاق يفيد العلية وفي الكشاف في سورة النازعات لان الخشية لا تكون
الا بالمعرفة قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء اي العلماء به وذكر الخشية لانها
ملاك الامور من خشي الله اتى منه كل خير ومن امن اجترأ على كل شر ومنه قوله
عليه السلام من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل الادلاج السير اول الليل وفي الحاشية
المذكورة عند قوله تعالى وهم من خشيته مشفقون فالعلماء هم العالمون بجلال
الله وجماله وعظمته وكماله حق ذلك علم ان العلماء منهم ولمن يقال له عالم
والخلق اي هو ثوب جديد يلبسه المومن به فيغشيه نوره فيخلق المومن به
ويبلى وينتقل في اطوار خلقته والقرآن جديد لا يخلق بل هو على ما هو
عليه لانه كلام الله تعالى القديم والقديم لا يتغير والمومنون به كلهم حادثون
والحادث متغير في كل حال **على كثرة الترداد** بتكرار التلاوة له والاعتناء
به والاحتفاظ على الكمال بادراك انواره والتلطف بادراك حقائقه واسراره
ولا تنقضي اي لا تفرغ ولا تتم عجائبه جمع عجيبة او عجيب على ارادة النوع
ومعناه الحالة الحاصلة للمتعجب من الشيء لكونه امرا مستغربا فان قلت
قلت ذلك معنى قائم بالمتعجب والاعراض تزول بزوال محالها فما معنى
كونه لا تنقضي عجائبه ولا بد من انقضاء كل من قام به هذا الوصف قلت
ان اعتبر ذلك وصفا قائما بالمعنى القديم فواضح فيه المعنى وان اعتبر وصفا
قائما بصورة نظمه من الالفاظ والاصوات والحروف فيكون على قصد المبالغة
في بقائه دائما الى حين انقراض وانقضاء الصحف المكتوب تلك الصور فيها
كذا اشار اليه ابن اقرس **هو الذي لم تنته الجن** وهم جنس من الخلق سموا

بذلك

بذلك لاجتنانهم اي استتارهم عن الاعين والنسبة اليهم جني بالكسر والجنة بالكسر
طائفة منهم قال الخازن اختلف الناس قديما وحديثا في ثبوت الجن فانكر وجودهم
معظم الفلاسفة واعترف بوجودهم جمع منهم وسموهم بالارواح السفلية وزعموا انهم
اسرع اجابة من الارواح الفلكية الا انهم اضعف واما جمهور ارباب الملل وهم اتباع
الرسل والشرائع فقد اعترفوا بوجود الجن لكن اختلفوا في ماهيتهم فقيل الجن حيوان
هوائي يتشكل باشكال مختلفة وقيل انها جواهر وليست باجسام ولا اعراض
ثم هذه الجواهر انواع مختلفة بالماهية فبعضها خيرة كريمة محبة للخيرات وبعضها
دنية خبيثة شريرة محبة للشرور والافات ولا يعلم عدد انواعهم الا الله تعالى وقيل
انهم اجسام مختلفة الماهية لكن صفة واحدة وهي كونها حاصلة في الحيز موصوفة
بالطول والعرض والعمق وينقسمون الى لطيف وكثيف وعلوي وسفلي ولا يمتنع
في بعض الاجسام في الماهية وان يكون لها علم مخصوص وقدرة مخصوصة على
افعال عجيبة شاقة يعجز البشر عن ذلك وقد يتشكلون باشكال مختلفة وذلك
باقدار الله تعالى اياهم على ذلك وقيل ان الاجسام متساوية في تمام الماهية
وليست البنية شرطا للحياة وهذا قول الاشعري وجمهور اتباعه **اذ** اي
حين **سمعته** اي القرآن من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخازن اختلفت
الرواية هل راى النبي صلى الله عليه وسلم الجن فاثبتها ابن مسعود فيما رواه
عنه مسلم في صحيحه وانكرها ابن عباس فيما رواه عنه البخاري ومسلم قال
ابن عباس ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا رآهم انطلق رسول الله
صلى الله عليه وسلم في طائفة من اصحابه عامدين الى سوق عكاظ وقد حيل بين
الشياطين وبين خبر السماء وارسلت عليهم الشهب فرجع الشياطين الى قومهم
فقالوا ما لكم فقالوا حيل بيننا وبين خبر السماء وارسلت علينا الشهب قالوا
وما ذلك الا من شيء قد حدث فاضربوا مشارق الارض ومغاربها فانظروا
ما هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء ثم النفر الذين اخذوا نحو تهامة
بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو بنخلة عامدا الى سوق عكاظ وهو يصلي باصحابه
صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن استمعوا وقالوا هذا الذي حال بيننا وبين خبر
السماء فرجعوا الى قومهم وعلى هذا فهو صلى الله لم يعلم باستماعهم ولا كلمهم
وانما اعلمه الله عز وجل بما اوحي اليه من قوله قل اوحي الى اخره واما حديث
ابن مسعود فقضية اخرى وجن اخرون والحاصل من الكتاب والسنة العلم
القطعي بان الجن والشياطين موجودون يتعبدون بالاحكام الشرعية على النحو
الذي يليق بخلقتهم وحالهم وان نبينا صلى الله عليه وسلم مبعوث الى الانس
والجن فمن دخل في دينه فهو من المومنين ومعهم في الدنيا والاخرة والجنة
ومن كذبه فهو الشيطان المبعد من المومنين فيها والنار مستقره وروى الواحدي

في تفسيره باسناده الي علقمة بن قيس قال قلت لعبد الله من كان منكم
مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن فقال ما كان منا معه احد فقدناه
ذات ليلة وكن بمكة فقلنا اغتيل رسول الله صلى الله عليه وسلم او
استطير فانطلقنا نطلبه في الشعاب فلقيناه مقبلا من نحو حراء فقلنا
يا رسول الله اين كنت لقد اشفقنا عليك وقلنا له بتنا الليلة بشر ليلة
بات بها قوم حين فقدناك فقال انه اتاني داعي الجن فذهبت اقرئهم
القران فذهب بنا فارانا اثارهم واثار نيرانهم فاما ان يكون صحبه منا احد
فلم يصحبه وقال الخازن في تفسيره قوله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من
الجن قال جماعة امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينذر الجن ويدعوهم الى
الله ويقرا عليهم القران فصرف الله تعالى اليه نفرا وهم من اهل نينوى وجمعهم
له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه اني امرت ان اقرأ على الجن فايكم
يتبعني فاطرقوا ثم استتبعهم فاطرقوا فاتبعه عبد الله ابن مسعود بعد الثلاثة
فقال عبد الله بن مسعود ولم يحضر معه احد غيري قال فانطلقنا حتى
اذا انا على مكة دخل نبي الله صلى الله عليه وسلم شعبا يقال له شعب الحجون
وخط لي خطا ثم امرني ان اجلس فيه ولا اخرج حتى يعود الي فانطلق حتى
قام عليهم فافتتح القران فجعلت ارى مثال النسور تهوي وسمعت لغطا
شديدا حتى خفت على نبي الله صلى الله عليه وسلم وغشيته اسودة كثيرة حالت
بيني وبينه حتى لم اسمع صوته ثم طفقوا ينقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين
ففرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم مع الفجر فانطلق فقال لي انمت فقلت لا
والله يا رسول الله لقد هممت مرارا ان استغيث بالناس حتى سمعتك تقرعهم بعصاك
تقول لهم اجلسوا فقال لو خرجت لم امن عليك ان يختطفك بعضهم ثم قال هل رايت
شيئا قلت نعم رايت رجالا سودا عليهم ثياب بيض قال اولئك جن نصيبين سالوني
المتاع والمتاع الزاد فمتعتهم بكل عظم حائل وروثة وبعرة فقالوا يا رسول الله يقذرها الناس
علينا فنهى النبي صلى الله عليه وسلم ان يستنجى بالعظم والروث قال فقلت يا رسول الله
وما يغني ذلك عنهم فقال انهم لا يجدون عظما الا وجدوا عليه لحمه يوم اكل ولا روثة
الا وجدوا فيها حبها يوم اكلت فقلت يا رسول الله سمعت لغطا شديدا فقال
ان الجن تدارت في قتيل قتل بينهم فتحاكموا الي فقضيت بينهم بالحق واختلفوا
في عدد اولئك النفر الذين صرفهم الله تعالى من الجن الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال ابن عباس كانوا سبعة من جن نصيبين فجعلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم رسلا
الى قومهم وقال اخرون كانوا تسعة وروي انه كان زوبعة من التسعة الذين
استمعوا القران وسائر الجن ثلاثة اصناف فصنف منهم لهم اجنحة يطيرون بها

في الهوى وصنف على صورة الحيات والكلاب وصنف يحلون ويظعنون
ونقل بعضهم ان اولئك الجن كانوا يهودا فاسلموا قالوا وفي الجن ملل كثيرة مثل الانس
ففيهم اليهود والنصارى والمجوس وعبدة اصنام وفي مسلميهم مبتدعة ومن يقول
بالقدر وخلق القران ونحو ذلك من المذاهب والبدع واتفق المحققون من العلماء على
ان الكل مكلفون وسئل ابن عباس هل للجن ثواب فقال نعم لهم ثواب وعليهم عقاب
حتى قالوا يعني الجن الذين استمعوا القران انا سمعنا قرانا عجبا قال ابن عباس
بليغا والمعنى قرانا ذا عجب يعجب منه لبلاغته قاله الواحدي وقال البيضاوي
عجبا بديعا مباينا لكلام الناس في حسن نظمه ودقة معناه وهو مصدر
وصف به للمبالغة يهدي الى الرشد يدعو الى الصواب من التوحيد والايمان فامنا
به بذلك القران ذكره الواحدي من قال به اي بكتاب الله تعالى يعني تكلم بما
تضمنه من الاحكام والحكم والاسرار والقصص والمواعظ او من اعتمد عليه في جميع
احواله الظاهرة والباطنة صدق في كل ما يقول وفي جميع اعماله وافعاله ومن
عمل به اي بمقتضى ما فيه من الامر والنهي اجر بالبناء للمفعول اي اثيب يعني يكتب
الله تعالى له الاجر والثواب ولا يضيع الله تعالى له عملا ابدا بل يضاعف له اضعافا
كثيرة بخلاف من لم يعمل به وعمل براي نفسه ومقتضى عقله فان عمله مردود عليه
يستحق العقاب عليه والعذاب ومن حكم على نفسه او على غيره به اي بما جاء في
القران من احكام النفس والغير في الظاهر والباطن عدل في حكمه اي وافق
العدل قال في القاموس العدل ضد الجور وما قام في النفس من انه مستقيم
كالعدالة والعدولة والمعدلة عدل يعدل ومن دعا اليه اي ساق في القاموس
دعاه ساقه والنبي عليه السلام داعي الله ويطلق على المؤذن انتهى يعني من
دعا غيره من الخلق الى اتباع القران والدخول تحت احكامه والاتعاظ
بمواعظه والاعتبار بقصصه وامثاله ومعلوم انه قبل ذلك قد دعا نفسه
هدي بالبناء للمفعول اي هداه الله تعالى بمعنى اوصله الى صراط اي طريق
مستقيم استقام اعتدل وقومته عدلته وهو قويم ومستقيم كذا في
القاموس وهو طريق الحق ومنهج الصدق قال تعالى ومن يعتصم بالله
فقد هدي الى صراط مستقيم يعني الاسلام وقال وهو طريق الحق ومنهج
الصدق الخازن اي الى طريق واضح وهو طريق الحق المؤدي الى الجنة الحديث
حك يعني روى الحاكم باسناده عن ابن عباس رضي الله عنهما ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس في حجة الوداع وهي خطبة عرفة
قال القرطبي في شرح مسلم فلما كانت سنة عشر يعني من الهجرة حج رسول الله
صلى الله عليه وسلم حجته المسماة بحجة الوداع قال في اثناء خطبته ان الشيطان

اي جنسه وهو شيطان كل انسان قد ايس ان يعبد بالبناء للمفعول اي يعبده
احد منكم بارضكم وذلك ببركة الايمان بالله تعالى وعبادة الشيطان هي
عبادة الاصنام لانه ورد ان الشيطان كان يكلمهم من داخل الاصنام
فيسجدون له وبعد ظهور الاسلام ايس الشيطان من اهل الاسلام ان يعبدوا الا
صنام كما كانوا في الجاهلية يعبدونها ويؤيده ما في صحيح مسلم من انه عليه
السلام قال في خطبة الحج الا كل شيء من امر الجاهلية تحت قدمي موضوع
فقال القرطبي في شرحه يعني به الامور التي احدثوها والشرايع التي كانوا
اخترعوها في الحج وغيره وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم من احدث في
امرنا ما ليس منه فهو رد ولكن رضي اي الشيطان منكم ان يطاع اي ان
تطيعوه اذا امركم فيما سوى ذلك يعني غير عبادة الاصنام التي هي
عبادته وذلك فيما تحتقرون اي في الامور التي تحتقرونها من اعمالكم ولا
تعدونها امرا كبيرا كقوله تعالى في قصة الافك وتقولون بافواهكم ما ليس
لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم قال البيضاوي اي وتقولون
كلاما مختصا بالافواه بلا مساعدة من القلوب لانه ليس تعبيرا عن
علم به في قلوبكم كقوله يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم وتحسبونه هينا
سهلا لا تبعة فيه وهو عند الله عظيم في الوزر واستجرار العذاب فاحذروا
ان تطيعوه في ذلك او احذروا ان تحتقروا شيئا من اعمالكم فان احتقار المعصية
يوجب عظمها عند الله تعالى حتى ذهب بعضهم في الفرق بين الصغيرة
والكبيرة الى ان الانسان اذا استصغر الذنب فهو كبيرة واذا استكبره
فهو صغيرة كما بينته في كتاب المطالب الوفية اني قد تركت اي
ابقيت فيكم اي فيما بينكم وعندكم ما اي شيئا عظيما ان اعتصمتم اي
تمسكتم به في جميع اموركم فلن تضلوا اي لا تقعون في الضلال
ما دمتم متمسكين بذلك ابدا وهو كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى
الله عليه وسلم وهما شيئان في الظاهر وشيء واحد في حقيقة الامر لان
الكل وحي قال الشيخ عبد الرؤوف المناوي في شرح الجامع الصغير الاحاديث
القدسية تفارق القرآن بانه اللفظ المنزل للاعجاز بشيء منه والحديث
القدسي اخبار الله تعالى نبيه عليه السلام معناه بالهام او منام فاخبر عنه
بعبارة نفسه وبقية الاحاديث لم يضفها اليه ولم يروها فالقرآن ارفع
الكل فالقدسي لانه نص الهي في الدرجة الثانية وان كان بغير واسطة
ملك غالبا لان المنظور اليه معناه دون لفظه وفي التنزيل اللفظ
والمعنى معا ذكره الطيبي انتهى وقال القسطلاني في المواهب اللدنية في

الكلام

الكلام على قوله تعالى والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما
ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى تامل كيف قال تعالى ما ضل صاحبكم
ولم يقل ما ضل محمد تاكيدا لاقامة الحجة عليهم بانه صاحبهم وهم اعلم الخلق به
وبحاله واقواله واعماله وانهم لا يعرفونه بكذب ولا غي ولا ضلال ولا ينقمون
عليه امرا واحدا قط وقد نبه تعالى على هذا المعنى بقوله عز وجل ام لم يعرفوا
رسولهم ثم نزه نطق رسوله صلى الله عليه وسلم ان يصدر عن هوى فقال تعالى
وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى ولم يقل وما ينطق بالهوى لان نفي
نطقه عن الهوى ابلغ فانه يتضمن ان نطقه لا يصدر عن هوى واذا لم
يصدر عن هوى فكيف ينطق به فيتضمن نفي الامرين نطقه بالحق ومصدره
الهدى والرشاد ولا الغي والضلال ثم قال تعالى ان هو الا وحي يوحى فاعاد
الضمير على المصدر المفهوم من الفعل اي ما نطقه الا وحي يوحى وهذا
احسن من جعل الضمير عائدا الى القرآن فان نطقه بالقرآن والسنة وان كليهما
وحي يوحى قال الله تعالى وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وهما القرآن
والسنة وذكر الاوزاعي عن حسان بن عطية قال كان جبريل ينزل على
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسنة كما ينزل عليه بالقرآن يعلمه اياه الحديث
السابع ت يعني روى الترمذي باسناده عن علي رضي الله عنه قال يعني
عليا رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن اي تلاوة
او تعلم تلاوته واستظهره اي حفظه عن ظهر قلبه قال في القاموس استظهره
استعان من ظهر القلب اي حفظا بلا كتاب وقرأه ظاهرا او استظهره وا
ظهرت على القرآن واظهرته قرأته على ظهر لساني انتهى وحفظ القرآن كله
عن ظهر القلب فرض كفاية قال والدي رحمه الله تعالى في كتاب الاحكام منويا
الى المضمرات حفظ قدر ما تجوز به الصلاة من القرآن فرض عين وحفظ
الفاتحة وسورة واجب واما حفظ جميع القرآن ففرض كفاية انتهى وفي لفظ
استظهر الواقع في الحديث من الادب ما ليس في قولهم حفظ ولهذا نقل الشيخ
الاكبر محيي الدين ابن العربي قدس الله سره في كتاب روح القدس في ترجمة شيخه
ابي جعفر المغربي رضي الله عنه انه دخل عليه رجل مع ابنه قال الشيخ الاكبر وانا
الى جانبه جالس فسلم عليه وقال لابنه سلم عليه وكان الشيخ قد ذهب بصره
فقال له الرجل يا سيدنا ابني هذا من حملة القرآن بحفظ فتغير الشيخ وصاح و
طرا عليه حال وقال الله حمل المحدث القرآن بحمل ابنك ويحملنا ويحفظ
ابنك ويحفظنا فهذا كان من حضوره رضي الله عنه فاحل التفا للبيه اذ
قرأته واستظهاره سبب لذلك حلاله اي حلال القرآن يعني اتخذ الاحكام

الحلال التي فيها حلالا ولم يحرم شيا منها ظاهرا او باطنا **وحرم حرامه** اي لتخذ
جميع ما فيه من الاحكام الحرام ايضا حراما ولم يحلل شيا منها والمراد انه اعتقد
ذلك وعمل عليه كذلك واما اذا اعتقده ولم يعمل به بان ترك الحلال وفعل
الحرام فهو فاسق وان لم يعتقد الحلال حلالا والحرام حراما فهو كافر كما سياتي بيانه
ادخله الله تعالى به اي بسببه يعني بسبب القران الذي قراه واستظهره
الجنة مع السابقين الاولين ان مات على ذلك وان شفي قبل موته لم ينفعه
ذلك وهو محتمل فلا يترك الاصل احتمالا ما هو الاصل المحقق وهو بقاء
ما كان على ما كان **وشفعه** بالتشديد اي قبل الله تعالى شفاعته **في عشرة**
اشخاص من اهل بيته ذكورا كانوا او اناثا فهم سكان بيته ابناؤه واباؤه
وازواجه وكل من اتصل به من قبل ابائه كما ذكره الفقهاء في كتاب الوقف لو قال
اوقفت على اهل بيتي يدخل فيه ابو الواقف وولده من الصلب وكل من اتصل
به من قبل ابائه الى اقصى اب في الاسلام ومن قبل اولاده الذكور ولا يدخل قوم
الام لان الانسان يعد من قوم الاب لا من قوم الام واختلف في اولاد البنات
كما حررته في شرحي على عمدة الحكام **كلهم** اي العشرة المذكورين على طريقة التغليب
بضمير المذكر **قد وجبت له** اي لكل واحد منهم **النار** اي دخولها والتعذيب
بها يعني استحقها لاقترافه الذنوب وموته بلا توبة على وجه التطهير لا التخفيف
لان الكافرين لا تنفعهم شفاعة الشافعين **النوع الثاني** من النوعين
اللذين اشتمل عليهما الفصل الاول **في بيان الاعتصام** اي التمسك بالسنة
اي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي قوله وفعله وسكوته كما مر والدليل
على ذلك **الايات** القرانية وهي سبع عشرة اية من سور شتى تذكر على الترتيب
الاية الاولى من سورة ال عمران وهي قوله تعالى **قل** يا محمد لليهود والنصارى
الذين قالوا نحن ابناء الله واحباؤه او لقريش وهم في المسجد الحرام وقد
نصبوا اصنامهم وعلقوا بيض النعام وجعلوا في اذانها الشنوف وهم في
المسجد الحرام وهم يسجدون لها فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
يا معشر قريش والله لقد خالفتم ملة ابيكم ابراهيم واسماعيل فقالت
قريش انما نعبدها حبا لله ليقربونا الى الله زلفى فنزلت الاية وقيل
ان نصارى نجران قالوا انما نقول هذا القول في عيسى حبا لله وتعظيما
له فانزل الله تعالى هذه الاية كذا في تفسير الخازن **ان كنتم تحبون الله**
فيما تزعمون حتى تعبدون الاصنام لتقربكم الى الله **فاتبعوني يحببكم
الله** فانا رسوله اليكم وحجته عليكم وانا اولى بالتعظيم من اصنامكم قاله
الواحدي وقال الخازن لانه قد ثبت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالدلايل

المعجزة

الظاهرة والمعجزات الباهرة فوجب على كافة الخلق متابعته قل ان كنتم
صادقين في ادعاء محبة منقادين لاوامره ومطيعين له فاتبعوني
فان اتباعي من محبة الله وطاعته وقال البيضاوي المحبة ميل النفس الى
الشيء لكمال ادرك فيه بحيث يحملها على ما يقربه اليه والعبد اذا علم
ان الكمال الحقيقي ليس الا الله وفي الله و ذلك يقتضي ارادة طاعته
والرغبة فيما يقربه فلذلك فسرت المحبة بارادة الطاعة وجعلت
مستلزمة لاتباع الرسول في عبادته والحرص على مطاوعته وقال القسطلاني
في مواهبه اعلم ان المحبة كما قال صاحب المدارج هي المنزلة التي يتنافس
فيها المتنافسون واليها تشخص العاملون فهي قوت القلوب وغذاء
الارواح وقرة العيون وهي الحياة التي من حرمها فهو من جملة الاموات
والنور الذي من يفقده فهو في بحار الظلمات والشفاء الذي من
عدمه حلت بقلبه جميع الاسقام واللذة التي من لم يظفر بها فعيشه كله
هموم والام وهي روح الايمان والاعمال والمقامات والاحوال التي متى
خلت منها فهي كالجسد الذي لا روح فيه تحمل اثقال السائرين الى بلد لم
تكونوا بالغيه الا بشق الانفس وتوصلهم الى منازل لم تكونوا بدونها
ابدا واصليها وتبوؤهم من مقاعد الصدق الى مقامات لم يكونوا لولاها
وقد قدر الله تعالى يوم قدر مقادير الخلائق بمشيئته وحكمته البالغة ان
المرء مع من احب فيالها نعمة على المحبين سابغة لقد سبق القوم الى
السعادة وهم على ظهور الفرش نائمون ولقد تقدموا الركب بمراحل
وهم في سيرهم واقفون وقد اختلفوا في المحبة وعباراتهم وان كثرت
فليست في الحقيقة ترجع الى اختلاف مقال وانما هي اختلاف احوال
واكثرها يرجع الى ثمرتها دون حقيقتها وقد قال بعض المحققين
حقيقة المحبة عند اهل المعرفة من المعلومات التي لا تحد وانما يعرفها
من قامت به وجدانا لا يمكن التعبير عنه وهذه بعض رسوم وحدود
قيلت في المحبة بحسب اثارها وشواهدها فمنها موافقة الحبيب في
المشهد والمغيب وهذا موجبها ومقتضاها ومنها محو المحب لصفاته
واثبات المحبوب لذاته وهذا من احكام الفناء في المحبة وهو ان تمحى صفات
المحب وتفنى في صفات محبوبه وذاته ومنها استقلال الكثير من نفسك
واستكثار القليل من حبيبك وهو لابي يزيد وهو ايضا من احكامها
وموجباتها وشواهدها والمحب الصادق لو بذل لمحبوبه جميع ما يقدر
عليه لاستقله واستحيا منه ولو نال من محبوبه ايسر شيء لاستكثره

واستعظمه ومنها استكثار القليل من جنايتك واستقلال الكثير من طاعتك
وهو قريب من الاول لكنه مخصوص عام من المحب ومنها معانقة الطاعة
ومباينة المخالفة وهو لسهل ابن عبد الله وهو ايضا حكم المحبة وموجبها
ومنها ان تهب كلك لمن احببت فلا يبقى لك منك شيء وهو لسيدنا ابي عبد
الله القرشي وهو ايضا من موجبات المحبة واحكامها والمراد ان تهب ارادتك
وعزماتك وافعالك ونفسك ومالك ووقتك لمن تحبه وتجعلها حبسا
في مرضاته ومحابه ولا تاخذ منها لنفسك الا ما اعطاكه فتاخذه منه له ومنها
ان تمحو عن القلب ما سوى المحبوب وكمال المحبة يقتضي ذلك ومنها ان تغار
على المحبوب ان يحبه مثلك وهو للشبلي ومراده احتقارك لنفسك
واستصغارها ان يكون مثلك يحبه ومنها غض طرف المحب عما سوى المحبوب
غيرة وعن المحبوب هيبة فان غض طرف القلب عن المحبوب مع كمال المحبة
كالمستحيل لكن عند استيلاء سلطان المحبة يقع مثل هذا وذلك من علامات
المحبة المقارنة للهيبة والتعظيم ومنها ميلك الى الشيء بكليتك ثم ايثارك له
على نفسك وروحك ومالك ثم موافقتك له سرا وجهرا ثم علمك بتقصيرك
في حبه قال الجنيد سمعت الحارث المحاسبي يقول ذلك ومنها سكر لا يصحو
صاحبه الا بمشاهدة محبوبه ثم السكر الذي يحصل عند المشاهدة لا يوصف
ومنها سفر القلب في طلب المحبوب ولهج اللسان بذكره فلا ريب ان من
احب شيئا اكثر من ذكره ومنها الميل الى ما يوافق الانسان فحب الصور
الجميلة والاصوات الحسنة وغير ذلك من الملاهي التي لا يخلو كل طبع سليم
عن الميل اليها لموافقتها او لاستلذاذه بادراكه بحاسته او يكون حبه
لذلك لموافقته له من جهة احسانه اليه وانعامه عليه فقد جبلت القلوب
على حب من احسن اليها كما رواه ابو نعيم في الحلية وابو الشيخ وغيرهما
فاذا كان الانسان يحب من منحه في دنياه مرة او مرتين معروفا فانيا
منقطعا او استنقذه من هلكة او مضرة لا تدوم فما بالك بمن منحه منحا
لا تبيد ولا تزول ووقاه من العذاب الاليم من لا يفنى ولا يحول وهو الله
سبحانه وتعالى ثم بسط الكلام في هذا المقام ويغفر لكم ذنوبكم فيحببكم
ويغفر لكم جواب الامر اي يرضى عنكم ويكشف الحجب عن قلوبكم بالتجاوز
عما فرط منكم فيقربكم من جناب عزه ويبوئكم في جوار قدسه عبر عن ذلك

بالمحبة على طريق الاستعارة او المقابلة قاله البيضاوي والله غفور رحيم
يعني انه تعالى يغفر ذنوب من احبه ويرحمه بفضله وكرمه الاية الثانية من
سورة آل عمران ايضا وهو قوله تعالى قل يا محمد لما نزلت الاية الاولى
قال عبد الله بن ابي بن سلول راس المنافقين لاصحابه ان محمدا يجعل طاعته
كطاعة الله ويامرنا ان نحبه كما احبت النصارى عيسى بن مريم فانزل
الله تعالى هذه الاية اطيعوا الله والرسول يعني ان طاعة الله متعلقة بطاعة
رسوله صلى الله عليه وسلم فان طاعته لا تتم مع عصيان رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولهذا قال الشافعي رحمه الله تعالى كل امر ونهي ثبت عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم جرى ذلك في الفريضة واللزوم مجرى ما امر الله به في كتابه او نهى
عنه وقال ابن عباس فان طاعتكم لمحمد صلى الله عليه وسلم طاعتكم لي فاما ان
تطيعوني وتعصوا محمدا فلن اقبل منكم قاله الخازن فان تولوا اي اعرضوا
عن طاعة الله ورسوله فان الله لا يحب الكافرين لا يرضى عنهم ولا يثني عليهم وانما
لم يقل لا يحبهم لقصد العموم والدلالة على ان التولي كفر به من هذه الحيثية ينفي
محبة الله وان المحبة مخصوصة بالمؤمنين ذكره البيضاوي وقال الخازن عن
ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل امتي يدخلون
الجنة الا من ابى قالوا ومن يابى قال من اطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد
ابى وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اطاعني فقد اطاع الله ومن
عصاني فقد عصى الله ومن يطع الامير فقد اطاعني ومن يعص الامير فقد عصاني
الثالثة من سورة آل عمران ايضا وهي قوله تعالى واطيعوا الله يعني فيما امركم
به ونهاكم عنه والرسول اي واطيعوا الرسول ايضا فان طاعته طاعة الله
لعلكم ترحمون اي لكي ترحموا ولا تعذبوا اذا اطعتم الله ورسوله فان
طاعة الله مع معصية رسوله ليست بطاعة قاله الخازن وقال البيضاوي
لعل وعسى في امثال ذلك دليل عزة التوصل الى ما جعل خبرا له الاية
الرابعة من سورة آل عمران ايضا وهي قوله تعالى لقد من الله على المؤمنين
معنى احسن اليهم وتفضل عليهم والمنة النعمة العظيمة وذلك في الحقيقة
لا يكون الا لله تعالى وقال البيضاوي انعم على من امن مع الرسول من قومه
وتخصيصهم مع ان نعمة البعثة عامة لزيادة انتفاعهم بها اذ بعث فيهم
رسولا من انفسهم يعني من جنسهم عربيا مثلهم ولد ببلدهم ونشا بينهم
من انفسهم نسبا وليس حي من احياء العرب الا وقد ولده وله فيهم نسب
الا بني تغلب فانهم كانوا نصارى وثبتوا على النصرانية فطهر الله رسوله
صلى الله عليه وسلم من ان يكون له فيهم نسب قاله الخازن وقال البيضاوي من

الاية
[illegible] اي جعلكم على [illegible] فلو تعذبوا بالنار [illegible]
ويغفر لكم [illegible] للكفار [illegible]

مطلب

انفسهم من نسبهم او من جنسهم عربيا مثلهم ليفهموا كلامه بسهولة وليكونوا واقفين علي حاله في الصدق والامانة مفتخرين به وقرئ من انفسهم اي من اشرفهم لانه عليه الصلاة والسلام كان من اشرف قبايل العرب وبطونهم وقال الخازن وقيل اراد بالمؤمنين جميع المؤمنين ومعني قوله من انفسهم اي بالايمان والشفقة لا بالنسب ومن جنسهم ليس بملك ولا احد من غير بني ادم وقيل من انفسهم يعني انه من ولد اسماعيل بن ابراهيم عليه السلام ووجه المنة والانعام علي المؤمنين ببعثة الرسول صلي الله عليه وسلم بكونه داعيا لهم الي ما يخلصهم من العذاب العظيم ويوصلهم الي الثواب في جنات النعيم وكونه من انفسهم ومن جنسهم لانه اذا كان اللسان واحدا سهل الاخذ عنه فيما يجب عليهم وكانوا واقفين علي جميع احواله فعالمه معرفون صدقه وامانته فكان اقرب الي تصديقه والوثوق به في كونه من انفسهم شرف لهم وكان فيما خطب به ابو طالب حين زوج رسول الله صلي الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد رضي الله عنها وقد حضر ذلك بنو هاشم ورؤساء مضر فقال الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسماعيل وضيضئ معد وعنصر مضر وجعلنا سونة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما امنا وجعلنا الحكام علي الناس وان ابني هذا محمد بن عبد الله لا يوزن به فتي الا رجح وهو والله بعد هذا له نبا عظيم وخطب جليل وقيل في وجه المنة ببعثة الرسول صلي الله عليه وسلم ان الخلق جبلوا علي الجهل ونقصان العقل وقلة الفهم وعدم الدراية فمن الله علي خلقه وانعم عليهم واحسن اليهم بان بعث فيهم رسولا من انفسهم انقذهم به من الضلالة وبصرهم به من الجهالة وهداهم به الي صراط مستقيم وانما خص المومنين بالذكر لانهم هم المنتفعون بما جاء به دون غيرهم **يتلو عليهم اياته** يعني يقرأ عليهم كتابه الذي انزل عليه بعد ان كانوا اهل جاهلية لم يطرق اسماعهم شي من الوحي السماوي **ويزكيهم** اي يطهرهم من دنس الكفر ونجاسة المحرمات والخبايث ذكره الخازن وقال البيضاوي ويطهرهم من دنس الطباع وسوء العقايد **ويعلمهم الكتاب والحكمة** يعني القران والسنة التي سنها لهم علي لسان نبيه صلي الله عليه وسلم قاله الخازن وقال البيضاوي يعني القران والسنة ولم يقل التي سنها علي لسان نبيه لقصد تعميمها حتي تشمل الفعل والسكوت **وان كانوا من قبل** اي من قبل بعثة الرسول صلي الله عليه وسلم **لفي ضلال مبين** يعني لفي جهالة وحيرة عن الهدي عما لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا فهداهم الله بنبيه صلي الله عليه وسلم ذكره الخازن الاية الخامسة من سورة النساء وهي قوله تعالي **يا ايها الذين**

امنوا **اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم** يريد بهم امراء المسلمين في عهد رسول الله صلي الله عليه وسلم وبعده ويندرج فيهم الخلفاء والقضاة وامراء السرية امر الناس بطاعتهم بعدما امرهم بالعدل يعني في الاية قبله وهي قوله تعالي واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل تنبيها علي ان وجوب طاعتهم ما داموا علي الحق وقيل علماء الشرع لقوله تعالي ولو ردوه الي الرسول والي اولي الامر منهم قال ابن عباس في رواية الوالي هم الفقهاء والعلماء اهل الدين يعلمون الناس معالم دينهم اوجب الله تعالي طاعتهم وقال الخازن في رواية عطاء هم الولاة وقيل هم الامراء والسلاطين لما امروا باداء الامانة في الرعية بقوله تعالي ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الي اهلها الاية امرت الرعية بحسن الطاعة لهم فيما وافق الحق قال النبي صلي الله عليه وسلم الا من ولي عليه وال فراه ياتي شيئا من معصية الله فليكره ما ياتي من معصية الله ولا ينزعن يدا من طاعة الله رواه مسلم وقال الخازن عن ابن عباس قال نزلت الاية في عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي السهمي اذ بعثه رسول الله صلي الله عليه وسلم في سرية وقال السدي نزلت في خالد بن الوليد وذلك انه بعثه رسول الله صلي الله عليه وسلم في سرية وفيها عمار بن ياسر فلما قربوا من القوم هربوا منهم وجاء رجل الي عمار قد اسلم فامنه عمار فرجع الرجل فجاء خالد فاخذ مال الرجل فقال عمار اني قد امنته وقد اسلم فقال خالد تجير علي وانا الامير فتنازعا وقدما علي رسول الله صلي الله عليه وسلم فاجاز امان عمار ونهاه ان يجير الثانية علي امير فانزل الله تعالي اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم واصل الطاعة الانقياد لذلك الامر وطاعة الله واجبة علي كافة الخلق وكذا طاعة رسوله صلي الله عليه وسلم واجبة ايضا لقوله تعالي واطيعوا الرسول فاوجب طاعة رسوله صلي الله عليه وسلم علي الخلق واختلف العلماء في اولي الامر منكم الذين اوجب الله تعالي طاعتهم قال ابن عباس وجابر هم الفقهاء والعلماء الذين يعلمون الناس معالم دينهم وهو قول الحسن والضحاك ومجاهد وقال ابو هريرة هم الامراء والولاة وهي رواية عن ابن عباس ايضا قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه حق علي الامام ان يحكم بما انزل الله ويؤدي الامانة فاذا فعل ذلك فحق علي الرعية ان يسمعوا ويطيعوا وعن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال علي المرء المسلم السمع والطاعة فيما احب او كره الا ان يؤمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة وعن انس ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال اسمعوا

واطيعوا وان استعمل عليكم عبد حبشي كان رأسه زبيبة ما اقام فيكم كتاب الله
وقال ميمون بن مهران هم امراء السرايا والبعوث وهي رواية عن ابن عباس ايضا
ووجه هذا القول ان الاية نازلة فيهم وقال عكرمة اراد باولي الامر ابا بكر وعمر رضي
الله عنهما لما روي عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لا ادري
ما بقائي فيكم فاقتدوا بالذين من بعدي ابي بكر وعمر اخرجه الترمذي وقيل
هم جميع الصحابة رضي الله عنهم لما روي عن عمر رضي الله قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم اخرجه رزين في كتابه
وروى البغوي بسنده عن الحسن عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه
مثل اصحابي في امتي كالملح في الطعام لا يصلح الطعام الا بالملح قال الحسن فقد
ذهب ملحنا فكيف نصلح قال الطبري واولى الاقوال بالصواب قول من
قال هم الامراء والولاة لصحة الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالامر
بطاعة الايمة والولاة فيما كان لله عز وجل طاعة وللمسلمين مصلحة وقال
الزجاج وجملة اولي الامر من يقوم بشان المسلمين في امر دينهم وجميع ما ادى
الى صلاحهم قال العلماء طاعة الامام واجبة على الرعية ما دام على الطاعة
فاذا زال عن الكتاب والسنة فلا طاعة له وانما تجب طاعته فيما وافق
الحق انتهى ويؤيد هذا ما رواه الامام احمد بن حنبل في مسند العشرة قال في
مسند علي رضي الله عنه حدثنا عبد الله حدثني ابي حدثني ابو معاوية حدثنا
الاعمش عن سعد بن عبيدة عن ابي عبد الرحمن السلمي عن علي قال بعث رسول
الله صلى الله عليه وسلم سرية واستعمل عليهم رجلا من الانصار فلما خرجوا
قال وجد عليهم في شيء قال فقال لهم اليس قد امركم رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان تطيعوني قالوا بلى قال فقال اجمعوا حطبا ثم دعا بنار فاضرمها
فيه قال ثم قال عزمت عليكم لتدخلنها قال فهم القوم ان يدخلوها قال فقال لهم
شاب منهم انما فررتم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من النار فلا تعجلوا حتى
تلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فان امركم ان تدخلوها فادخلوها قال فرجعوا
الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبروه فقال لهم لو دخلتموها ما خرجتم منها
ابدا انما الطاعة في المعروف انتهى وقال الشيخ زاده في حاشيته على البيضاوي
عند قوله وعلم ادم الاسماء كلها المراد من اولي الامر العلماء في اصح الاقوال
لان الملوك يجب عليهم طاعة العلماء ولا ينعكس وقال الشيخ العيني رحمه الله
تعالى في شرح الكنز عند قوله وللشاب العالم ان يتقدم على الشيخ الجاهل
في مسايل شتى اخر الكنز لانه افضل منه قال الله تعالى هل يستوي الذين
يعلمون والذين لا يعلمون ولهذا يقدم في الصلاة وهي احد اركان الاسلام

وهي

43

وهي ثالثة الايمان وقال تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر
منكم والمراد باولي الامر العلماء في اصح الاقوال والمطاع شرعا مقدم وكيف لا
يقدمون والعلماء ورثة الانبياء عليهم السلام على ما جاء به السنة فان تنا
زعتم انتم واولي الامر منكم في شيء من امور الدين وهو يؤيد الوجه الاول
يعني من ان المراد باولي الامر الامراء اذ ليس للمقلد ان ينازع المجتهد في
حكمه بخلاف المرؤوس الا ان يقال الخطاب لاولي الامر على طريقة الالتفات
قاله البيضاوي وقال الخازن تنازعتم يعني اختلفتم في شيء من امر دينكم
والتنازع اختلاف الاراء واصلها من انتزاع الحجة وهو ان كل واحد من
المتنازعين ينزع الحجة لنفسه فردوه الى الله والرسول اي ردوا ذلك
الامر الذي تنازعتم فيه الى كتاب الله وسنة رسول الله واجب فان
وجد ذلك الحكم في كتاب الله اخذ به فان لم يوجد في كتاب الله ففي سنة رسول
الله صلى الله عليه وسلم فان لم يوجد في السنة فسبيله الاجتهاد وقيل الرد الى
الله ورسوله ان تقول لما لا تعلم الله ورسوله اعلم وقال البيضاوي فردوه
فارجعوا فيه الى الله الى كتابه والرسول بالسؤال عنه في زمانه والمراجعة
الى سنته دون القياس واجيب بان رد المختلف الى المنصوص عليه انما يكون
بالتمثيل والبناء عليه وهو القياس ويؤيد ذلك الامر به بعد الامر بطاعة
الله وطاعة رسوله فانه يدل على ان الاحكام ثلاثة مثبت بالكتاب ومثبت بالسنة
ومثبت بالرد اليهما على وجه القياس وقال الواحدي روي عن عمر ابن ميمون
عن ابيه قال قال مسلمة بن عبد الملك اليس قد امرتم بطاعتنا يعني اطيعوا
الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم قال قلت ان الله انتزعه منكم
اذا خالفتم الحق قال الله تعالى فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول
قال فالى الله الى الكتاب قال فالى الرسول الى السنة والمعنى فان تنازعتم
في شيء انتم وامراكم فردوا الحكم فيما تنازعتم فيه الى كتاب الله وسنة رسوله
ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر يعني افعلوا ذلك الذي امرتكم به ان
كنتم تؤمنون بالله وان طاعته واجبة عليكم وتؤمنون بالمعاد الذي فيه
جزاء الاعمال قال العلماء في الاية دليل على ان من لا يعتقد وجوب طاعة
الله وطاعة الرسول ومتابعة السنة والحكم بالاحاديث الواردة عن
النبي صلى الله عليه وسلم لا يكون مؤمنا بالله واليوم الاخر قاله الخازن
ذلك اي ردكم ما اختلفتم فيه الى الكتاب والسنة وترككم التجادل خير
واحسن تاويلا اي احمد عاقبة والعاقبة تسمى تاويلا لانها مآل الامر
يقال اي هذا مآل الامر وتاويله اي عاقبته قاله الواحدي وقال

الخازن وقيل معناه ذلك اي ردكم ما اختلفتم فيه الى الله ورسوله احسن
تاويلا منكم له واعظم اجرا انتهى وفي هذا المعنى تأييد لمذهب السلف الصالحين
في الآيات المتشابهات وان تسليمها الى الله احسن واعظم اجرا عنده الآية
السادسة من سورة النساء ايضا وهي قوله تعالى **فلا** اي ليس الامر كما زعموا
انهم امنوا وهم يخالفون حكمك ثم استانف القسم فقال **وربك لا يؤمنون**
وهذا قول بعضهم ان الآية نازلة في قصة اليهودي والمنافق الذين
اختصما وهي متصلة بما قبلها والذي قبلها قوله تعالى الم تر الى الذين
يزعمون انهم امنوا بما انزل اليك الآية قال المفسرون وقع نزاع بين
رجل من اليهود ورجل من المنافقين فقال اليهودي بيني وبينك ابو
القاسم يعني النبي صلى الله عليه وسلم وعلم انه لا يقبل الرشوة وقال المنافق
بيني وبينك بن الاشرف لانه علم انه ياخذ الرشوة ويميل في الحكم فاختلفا
ثم اتفقا ان ياتيا كاهنا من جهينة فتحاكما اليه فانزل الله تعالى الم تر الى الذين
يزعمون وقال آخرون هذه مستانفة نازلة في قصة اخرى وهي ما
اخرجوا ان الزبير خاصم رجلا من الانصار الى النبي صلى الله عليه وسلم في شراج
الحرة كانا يسقيان به كلاهما فقال النبي صلى الله عليه وسلم للزبير اسق ثم
ارسل الى جارك فغضب الانصاري فقال يا رسول الله ان كان ابن عمتك
فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال للزبير اسق ثم احبس الماء حتى
يرجع الى الجدر فاستوعب رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير حقه وكان النبي
صلى الله عليه وسلم قبل ذلك اشار على الزبير براي اراد فيه سعة له وللا
نصاري فلما احفظ الانصاري رسول الله استوعب للزبير حقه في صريح الحكم
ثم خرجا فمرا على المقداد فقال لمن كان القضاء يا حاطب بن ابي بلتعة
فقال قضى لابن عمته ولوى شدقه ففطن له يهودي فقال قاتل الله هؤلاء
يشهدون انه رسول الله ويتهمونه في القضاء والله لقد اذنبنا مرة في
حياة موسى عليه السلام فقال لنا موسى اقتلوا انفسكم ففعلنا فقتلنا
سبعين الفا في طاعة ربنا حتى [illegible] فلا وربك لا يؤمنون الآية قال
عروة قال الزبير والله ما احسب هذه الآية انزلت الا في ذلك والشراج
جمع الشرج وهو مسيل ماء من الحرة الى الوادي ذكره الواحدي والخازن
حتى يحكموك فيما شجر بينهم اي اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل
اغصانه قاله البيضاوي يقال شاجره في الامر اذا نازعه مشاجرة وتشاجروا
واشتجروا وكل ذلك لتداخل كلام بعضهم في بعض عند المنازعة **ثم لا يجدوا**

مطلب

ان رضي عنا فقال ثابت بن قيس والله لو امرني [illegible] ان اقتل نفسي لفعلت فانزل الله [illegible] حاطب وليم صح

في

في انفسهم حرجا مما قضيت اي ضيقا مما حكمت به او من حكمك او شكا من
اجله فان الشاك في ضيق من امره **ويسلموا تسليما** وينقادوا لك انقيادا
بظاهرهم وباطنهم ذكره البيضاوي وقال الواحدي يعني يرضون بقضائك
وقيل لا تضيق صدورهم بقضيتك ويسلموا لما ياتي من حكمك لا يعارضونه
بشيء اي لا يتركون الرضا بحكمك ويتركون التسخط والمنازعة الآية السا
بعة من سورة النساء ايضا وهي قوله تعالى **ومن يطع الله والرسول فاولئك
مع الذين انعم الله عليهم من النبيين** نزلت الآية في ثوبان مولى رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم قليل
الصبر عنه فاتاه ذات يوم وقد تغير لونه يعرف الحزن في وجهه فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما غير لونك قال يا رسول الله ما بي مرض ولا وجع
غير اني اذا لم اراك استوحشت وحشة شديدة حتى القاك ثم اني اذا
ذكرت الآخرة اخاف لا اراك لانك ترفع الى عليين مع النبيين واني
ان دخلت الجنة كنت في منزلة هي ادنى من منزلتك وان لم ادخل الجنة
لا اراك ابدا وقيل ان بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال كيف يكون
الحال وانت يا رسول الله في الدرجات العلى ونحن اسفل منك فكيف
نراك فانزل الله هذه الآية ذكره الخازن وقال الواحدي ان ناسا من
الانصار قالوا يا رسول الله انك لتسكن الجنة في اعلاها ونحن نشتاق اليك
فكيف نصنع فنزلت هذه الآية وقيل جاء رجل من الانصار الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فقال وما يبكيك يا فلان فقال يا رسول الله
بالله الذي لا اله الا هو لانت احب الي من نفسي واهلي ومالي وولدي واني
لاذكرك وانا في اهلي فياخذني مثل الجنون حتى اراك وذكرت موتي
وانك ترفع مع النبيين واني ان دخلت الجنة كنت في منزلة ادنى
من منزلتك فلم يرد النبي صلى الله عليه وسلم شيئا فانزل الله تعالى ومن
يطع الله يعني في الفرائض والرسول يعني في السنن فاولئك يعني المطيعين
مع الذين انعم الله عليهم من النبيين اي انه يستمتع برؤية النبيين وزيارتهم
والحضور معهم فلا يتوهمن من اجل انهم في اعلا عليين انه لا يراهم وقال
الخازن ومن يطع الله في اداء الفرائض واجتناب النواهي والرسول
اي ويطيع الرسول في السنن التي سنها فاولئك مع الذين انعم الله عليهم يعني
بالهداية والتوفيق في الدنيا وبدخول الجنة ومجالستهم لا انهم يكونون في درجتهم
في الجنة لان ذلك يقتضي التسوية في الدرجة بين الفاضل والمفضول **والصد
يقين** جمع صديق فعيل وهو الكثير الصدق والصديقون هم اتباع الرسل

مطلب

الذين اتبعوهم على منهاجهم بعدهم وقيل الصديق الذي صدق بكل الدين لا يخالجه
فيه شك والمراد بالصديقين في هذه الاية افاضل اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم كابي بكر فانه هو الذي سمي بالصديق من هذه الامة وهو افضل
اتباع الرسل قاله الخازن وقال الواحدي كل من صدق بكل ما امر الله لا يداخله
شك وصدق الانبياء فهو صديق وهو قوله تعالى والذين امنوا بالله ورسله
اولئك هم الصديقون وقيل الصديقون اول من صدق الانبياء حين
عاينوهم والشهداء يعني القتلى في سبيل الله وقال الخازن هم الذين
استشهدوا يوم احد والصالحين جمع صالح وهو الذي استوت سريرته
وعلانيته في الخير وقيل المراد بالنبيين هنا محمد صلى الله عليه وسلم
وبالصديقين ابو بكر وبالشهداء عمر وعثمان وعلي وبالصالحين سائر
الصحابة وقال الواحدي والصالحون هم سائر المسلمين وقال البيضاوي
من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بيان للذين او حال منه او من
ضميره قسمهم اربعة اقسام بحسب منازلهم في العلم والعمل وحث كافة الناس
على ان يتأخروا عنهم وهم الانبياء عليهم السلام الفائزون بكمال العلم والعمل المتجاوزون
حد الكمال الى درجة التكميل ثم الصديقون الذين صعدت نفوسهم تارة بمراقي
النظر في الحجج والايات واخرى بمعارج التصفية والرياضات الى اوج
العرفان حتى اطلعوا على الاشياء واخبروا عنها على ما هي عليه ثم الشهداء
الذين ادى بهم الحرص على الطاعة والجد في اظهار الحق حتى بذلوا مهجهم
في اعلاء كلمة الله ثم الصالحون الذين صرفوا اعمارهم في طاعته تعالى واموالهم
في مرضاته ولك ان تقول المنعم عليهم العارفون بالله تعالى وهؤلاء اما ان
يكونوا بالغين درجة العيان او واقفين في مقام الاستدلال والبراهين
والاولون اما ان ينالوا مع العيان القرب بحيث يكونون كمن يرى الشيء
قريب وهم الانبياء عليهم السلام او لا فيكونون كمن يرى الشيء من بعيد
وهم الصديقون والاخرون اما ان يكون عرفانهم بالبراهين القاطعة وهم
العلماء الراسخون في العلم الذين هم شهداء الله في ارضه واما ان يكون
بامارات واقناعات تطمئن اليها نفوسهم وهم الصالحون وحسن اولئك
رفيقا في معنى التعجب ورفيقا نصب على التمييز او الحال ولم يجمع لانه يقال
للواحد والجمع كالصديق او لانه اريد وحسن كل واحد منهم رفيقا وقال
الواحدي وحسن اولئك رفيقا يعني الانبياء وهؤلاء رفقاء اي اصحابا
ورفقاء وهم جمع رفيق وسمي رفيقا لارتفاقك به وبصحبته ويقال للجماعة
في السفر رفقة لارتفاق بعضهم ببعض ووصف الرفيق لان الواحد في التمييز

ينوب عن الجماعة نحو قولك هذا اجمل فتى المعنى هو اجمل الفتيان الاية
الثانية منه من سورة النساء ايضا وهو قوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع
الله يريد ان طاعتكم لمحمد صلى الله عليه وسلم طاعة لله وقال الحسن جعل الله طاعة
رسوله طاعته وقامت به الحجة على المسلمين وذكر الشافعي في الرسالة في باب فرض
طاعة الرسول هذه الاية وقال كل فريضة فرضها الله في كتابه كالحج والصلاة
والزكاة لولا بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنا نعرف كيف ناتيها ولا كان
يمكننا اداء شيء من العبادات واذا كان الرسول من الشريعة بهذه المنزلة كانت
طاعته على الحقيقة طاعة الله ذكره الواحدي وقال البيضاوي لانه في الحقيقة مبلغ
والامر هو الله تعالى وقال الخازن سبب نزول هذه الاية ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال من اطاعني فقد اطاع الله ومن احبني فقد احب الله فقال بعض المنافقين
ما يريد هذا الرجل الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى ابن مريم
ربا فانزل الله هذه الاية من يطع الرسول يعني فيما امر به ونهى عنه فقد اطاع الله
فطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم طاعة الله لانه هو امر بها الاية الثالثة
من سورة النساء ايضا وهي قوله تعالى ومن يشاقق الرسول اي يخالفه من
الشق فان كلا من المتخالفين في شق غير شق الاخر ذكره البيضاوي نزلت
في طعمة بن ابيرق من بني ظفر بن الحارث من الانصار سرق درعا من جار
له يقال له قتادة بن النعمان وكان الدرع في جراب فيه دقيق فجعل الدقيق
ينتثر من خرق في الجراب حتى انتهى الى داره ثم خباها عند رجل من اليهود يقال
له زيد السمين فالتمست الدرع عند طعمة فحلف بالله ما اخذها وما له بها من
علم فقال اصحاب الدرع لقد راينا اثر الدقيق حتى دخل داره فلما حلف تركوه
واتبعوا الدقيق الى منزل اليهودي فاخذوه منه فقال اليهودي دفعها الي طعمة
ابن ابيرق فجحد طعمة فانزل الله تعالى قوله انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم
بين الناس بما اراك الله ولا تكن للخائنين خصيما الى اخر الاية ثم حكم رسول
الله صلى الله عليه وسلم على طعمة بالقطع فخاف على نفسه الفضيحة فهرب الى مكة
كافرا مرتدا عن الدين فانزل الله تعالى فيه ومن يشاقق الرسول يعني يخالفه
في التوحيد والايمان من بعد ما تبين له الهدى ظهر له ان دين الاسلام وان
ما اتى به محمد صلى الله عليه وسلم حق وصدق قاله الواحدي وقال
الخازن اي وضح له التوحيد والحدود وظهر له صحة الاسلام وذلك لان طعمة
كان قد تبين له بما انزل فيه واظهر من سرقته ما يدله على صحة دين الاسلام فعادى

الرسول صلى الله عليه وسلم واظهر الشقاق ورجع عن الاسلام **ويتبع غير سبيل المومنين** اي غير ما هم عليه من اعتقاد وعمل ذكره البيضاوي وقال الخازن يعني ويتبع غير طريق المومنين وما هم عليه من الايمان ويتبع عبادة الاوثان **نوله ما تولى** اي نجعله واليا لما تولى من الضلال ونخلي بينه وبين ما اختاره قاله البيضاوي وقال الخازن اي نكله في الاخرة الى ما تولى في الدنيا ونتركه وما اختار لنفسه **ونصله جهنم** اي ونلزمه جهنم واصله من الصلا وهو لزوم النار وقت الاستدفاء **وساءت مصيرا** يعني وبئس المرجع الى النار وقال البيضاوي والاية تدل على حرمة مخالفة الاجماع لانه تعالى رتب الوعيد الشديد على المشاقة واتباع غير سبيل المومنين وذلك اما لحرمة كل واحد منهما او احدهما او الجمع بينهما والثاني باطل اذ يقبح ان يقال من شرب الخمر واكل الخبز استوجب الحد وكذا الثالث لان المشاقة محرمة ضم اليها غيرها او لم يضم واذا كان اتباع غير سبيلهم محرما كان اتباع سبيلهم واجبا لان ترك اتباع سبيلهم ممن عرف سبيلهم اتباع غير سبيلهم الاية العاشرة من سورة الاعراف وهي قوله تعالى قال عذابي اصيب به من اشاء من خلقي وليس علي اعتراض لان الكل ملكي وعبيدي ومن تصرف في خالص ملكه فليس لاحد عليه اعتراض **ورحمتي وسعت كل شي** يعني ان الرحمة رحمته تعالى عمت خلقه كلهم البر والفاجر في الدنيا وهي للمومنين خاصة في الاخرة وقيل للمومنين خاصة في الدنيا والاخرة ولكن الكافر يرزق ويدفع عنه ببركة المومن لسعة رحمة الله تعالى فاذا كان يوم القيمة وجبت للمومنين خاصة قاله الخازن وقال الواحدي ورحمتي وسعت كل شيء قال الحسن وقتادة ان رحمته وسعت في الدنيا البر والفاجر وهي يوم القيمة للمتقين خاصة وقال عطية العوفي ان الكافر يرزق ويدفع عنه بالمومن لسعة رحمة الله فيعيش فيها فاذا صار الى الاخرة وجبت للمومنين خاصة كالمستضيء بنار غيره اذا ذهب صاحب السراج بسراجه **فساكتبها للذين يتقون** اي الكفر والمعاصي **ويوتون الزكاة** خصها بالذكر لانافتها ولانها كانت اشق عليهم **والذين هم باياتنا يؤمنون** فلا يكفرون بشيء منها **الذين يتبعون الرسول النبي** سماه رسولا بالاضافة الى الله ونبيا بالاضافة الى العباد **الامي** الذي لا يكتب ولا يقرأ وصف به تنبيها على ان كمال علمه مع حاله احدى معجزاته قاله البيضاوي وقال الواحدي قال قتادة وابن عيينة في قوله ورحمتي وسعت كل شيء قال ابليس انا من ذلك الشي فانزل الله تعالى فساكتبها للذين يتقون الى اخر الاية فتمناها اليهود والنصارى وقالوا نحن نؤمن بالتوراة والا

نجيل

لهذه

والانجيل ونؤدي الزكاة فاختلسها الله من ابليس واليهود والنصارى وجعلها لهذه الامة خاصة فقال الذين يتبعون الرسول النبي الامي وهو نبيكم كان اميا لا يكتب **الذين يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل** يجدون نعته ونبوته وامره عن الصلصال قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم يوما فقال لنا ان عبادة ابن الصامت عليل مضوا بنا لنعوده فوثب صلى الله عليه وسلم وثبنا واتبعناه فاجتاز في طريقه برجل من اليهود يعرض انباله فمال اليه فقال يا يهودي هل تجدونني عندكم مكتوبا في التوراة فاومى اليه اليهودي براسه يعلم انه لا يجدونه عندهم في التوراة مكتوبا فقال ابن اليهودي والله يا رسول الله انهم يجدونك عندهم في التوراة مكتوبا ولقد طلعت وان في يده لسفرا من التوراة يقرا فيه صفتك وصفة اصحابك وذكرك فلما راك ستره عنك فاني اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله فكانت اخر ما تكلم به الغلام حتى قضى نحبه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقيموا على اخيكم حتى تقضوا حقه قال فخلنا بين اليهودي وبينه وتولينا امره حتى واريناه وانصرفنا وقال الخازن المراد بالذين يتبعون الرسول جميع امته الذين امنوا به واتبعوه سواء كانوا من بني اسرائيل او غيرهم واجمع المفسرون على ان المراد بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم وصفه بكونه رسولا لانه الواسطة بين الله تعالى وبين خلقه المبلغ رسالاته واوامره ونواهيه وشرايعه اليهم ثم وصفه بكونه نبيا وهذا الوصف من اعلى المراتب واشرفها وذلك يدل على انه رفيع القدر عند الله المخبر عنه ثم وصفه بالامي قال ابن عباس هو نبيكم صلى الله عليه وسلم كان اميا لا يكتب ولا يقراء ولا يحسب فالنبي صلى الله عليه وسلم كان كذلك ولهذا وصفه الله تعالى بكونه اميا وصح في الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال نحن امة امية لا نكتب ولا نحسب قال اهل التحقيق وكونه صلى الله عليه وسلم كان اميا من اكبر معجزاته واعظمها وبيانه انه صلى الله عليه وسلم اتى بهذا الكتاب العظيم الذي فيه علم الاولين والاخرين والمغيبات واعجز الخلايق بفصاحته وبلاغته وكان يقرؤه عليهم بالليل والنهار من غير زيادة فيه ولا نقصان منه ولا تغيير فدل ذلك على معجزته وهو قوله تعالى سنقرئك فلا تنسى وقيل انه لو كان يحسن الكتابة ثم انه اتى بهذا القران العظيم لكان متهما فيه لاحتمال انه كتبه ونقله عن غيره فلما كان اميا واتى بهذا الكتاب العظيم دل على كونه معجزة له صلى الله عليه وسلم فان الكتابة تعين الانسان على الاشتغال بالعلوم وتحصيلها ثم انه اتى بهذه الشريعة الشريفة والاداب الحسنة مع علوم كثيرة وحقايق دقيقة من غير مطالعة كتب ولا اشتغال على احد فدل ذلك على كونه معجزة له

القيمة

صلى الله عليه وسلم وقيل في معنى الامي الذي هو منسوب الى امه كانه لم يخرج
بعد عمّن ولدته وقيل سمي اميا لانه منسوب الى ام القرى وهي مكة والذين يجدونه
مكتوبا عندهم يعني يجدون صفته ونعته ونبوته مكتوبة عندهم يعرفونها علماؤهم
واحبارهم ولكنهم كتموا ذلك وبدلوه وغيروه حسدا منهم له وخوفا على زوال رياستهم
وقد حصل ما كانوا يخافونه فقد زالت رياستهم ووقعوا في الذل والهوان
عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت اخبرني
عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة فقال اجل انه موصوف في
التوراة ببعض صفته في القرآن يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا
وحرزا للاميين انت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا
سخاب في الاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه
الله حتى يقيم به الملة العوجاء بان يقولوا لا اله الا الله ويفتح به اعينا عميا
وآذانا صما وقلوبا غلفا والصخاب الكثير الصياح ويقال بالسين المهملة ايضا
يأمرهم بالمعروف قال ابن عباس يريد مكارم الاخلاق وصلة الارحام و
ينهاهم عن المنكر عبادة الاوثان وقطع الارحام ولم يكن صلى الله عليه وسلم
يخصص احدا منهم بعينه على وجه الاغلاظ والتبكيت في الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر بل كان يلين الكلام لكل واحد بخصوصه طمعا في ايمانه وقبوله
النصح ويغلظ عليهم من حيث عمومهم بلا تخصيص احد فليكن هكذا طريقة الآمرين
بالمعروف والناهين عن المنكر من هذه الامة المحمدية ولا يتبدعون كيفية سيئة
بتخصيص احد بعينه وان ظهر منكره فان ستره متعين كما كان يستر النبي
صلى الله عليه وسلم ما هو ابلغ من المعصية وهو الكفر وسنبين ان شاء الله تعالى
في موضعه من هذا الكتاب **ويحل لهم الطيبات** يعني ما كان يحرمه اهل الجا
هلية من البحائر والسوائب والوصائل والحوامي وغيرها **ويحرم عليهم الخبائث**
الميتة والدم ولحم الخنزير قاله الواحدي وقال البيضاوي يحل لهم الطيبات مما
حرم عليهم كالشحوم ويحرم عليهم الخبائث كالدم ولحم الخنزير او كالربا والرشوة وقال
الخازن يأمرهم بالمعروف يعني بالايمان والتوحيد وينهاهم عن المنكر يعني
الشرك وقيل المعروف ما عرف في الشريعة والسنة والمنكر ما لا يعرف في
شريعة ولا سنة ويحل لهم الطيبات يعني بذلك ما كان محرما عليهم في
التوراة من الطيبات وهو لحوم الابل وشحم الغنم والمعز والبقر وقيل
هي المستلذات التي تستطيبها النفس ويحرم عليهم الخبائث قال ابن
عباس يريد الميتة والدم ولحم الخنزير وقيل هو كل ما يستخبثه الطبع وتستقذره
النفس يقتضي ان تكون اللام في الخبائث لاستغراق الجنس وهو خلاف

الاصل المقرر عند علماء الاصول من انه متى امكن حمل اللام على العهد لا يعدل
عنه الى حملها على غيره الا اذا تعذر قال في متن المنار في اصول الفقه اذا دخلت
لام المعرفة فيما لا يحتمل التعريف بمعنى العهد اوجبت العموم وقال ابن ملك في شرحه
اي عموم الجنس ثم قال لان اللفظ الذي تدخل عليه اللام دال على الماهية بدون
اللام فحمل اللام على الفائدة الجديدة اولى من حمله على تعريف الجنس والفائدة
الجديدة اما تعريف العهد او استغراق الجنس فتعريف العهد اولى من الاستغراق
لانه اذا ذكر بعض افراد الجنس خارجا او ذهنا فحمل اللام على ذلك البعض
اولى من حمله على جميع الافراد لان البعض متيقن واذا لم يحتمل العهد فالاستغراق
متعين وفي شرح مرقاة الاصول اعلم ان الاصل الراجح عند علماء الاصول
هو العهد الخارجي لانه حقيقة التعيين وكمال التمييز ثم الاستغراق لان الحكم
على نفس الحقيقة بدون اعتبار الافراد قليل الاستعمال جدا والعهد الذهني
موقوف على وجود قرينة البعضية فالاستغراق هو المفهوم من الاطلاق
حيث لا عهد في الخارج انتهى وبهذا الاعتبار اقتصر البيضاوي والواحدي
كما ذكرنا على القول بان المراد من الخبائث الخبائث المعهودة كالدم
ولحم الخنزير والميتة والربا والرشوة ونحو ذلك فمن اثبت به حراما جديدا
لم يصب لعدم عمومه حيث تعين للعهد الخارجي **ويضع عنهم اصرهم** يعني ثقلهم
واصل الاصر الثقل الذي يأصر صاحبه اي يحبسه عن الحركة لثقله والمراد بالاصر
هنا العهد والميثاق الذي اخذ على بني اسرائيل ان يعملوا بما في التوراة
من الاحكام وكانت تلك شديدة قاله الخازن وقال الواحدي قال
الزجاج الاصر ما عقدته من عقد ثقيل قال ابن جبير هو شدة العبادة **والا
غلال التي كانت عليهم** قال البيضاوي ويخفف عنهم ما كلفوا به من
التكاليف الشاقة كتعيين القصاص في العمد والخطأ وقطع الاعضاء
الخاطئة وقرض موضع النجاسة وقال الخازن يعني وضع الاثقال والشدائد
التي كانت عليهم في الدين والشريعة وذلك مثل قتل النفس في التوبة وقرض
الثوب المتنجس بالمقراض وتحريم اخذ الدية وترك العمل في السبت وان
صلاتهم لا تجوز الا في الكنائس وتتبع العروق من اللحم وغير ذلك من الشدائد
التي كانت على بني اسرائيل شبهت بالاغلال مجازا لان التحريم يمنع من
الفعل كما ان الغل يمنع من الفعل وقيل شبهت بالاغلال التي تجمع اليد الى
العنق كما ان اليد لا تمتد مع وجود الغل فكذلك لا تمتد الى الحرام الذي
نهيت عنه وكانت هذه الاثقال في شريعة موسى عليه السلام فلما
جاء محمد صلى الله عليه وسلم نسخ ذلك كله ويدل عليه قوله صلى الله عليه

الحنيفية فالذين امنوا به اي بمحمد صلى الله عليه وسلم وعزروه يعني وقروه وعظموه واصل التعزير

وسلم بعثت بالحنيفية السهلة المنع والنصرة وتعزير الشيء تعظيمه واجلاله ودفع الاعداء عنه **ونصروه** يعني على اعدائه **واتبعوا النور الذي انزل معه** وهو القران سمي نورًا الان به يستنير قلب المومن فيخرج به من ظلمات الشك والجهالة الى ضياء اليقين والعلم ذكره الخازن وقال البيضاوي النور الذي انزل معه اي مع نبوته يعني القران وانما سماه نورا لانه باعجازه ظاهرا من مظهر غيره او لانه كاشف الحقايق مظهر لها ويجوز ان يكون معه متعلقا باتبعوا اي واتبعوا النور المنزل مع اتباع النبي فيكون اشارة الى اتباع الكتاب والسنة **اوليك هم المفلحون** الفائزون بالرحمة الابدية الاية الحادية عشر عقيب هذه الاية من السورة المذكورة وهي قوله تعالى **قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم** الخطاب عام وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مبعوثا الى كافة الثقلين وسائر الرسل الى اقوامهم **جميعا** حال من اليكم قاله البيضاوي وقال الخازن الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي قل يا محمد للناس اني رسول الله اليكم جميعا لا الى بعضكم دون بعض ففي الاية دليل على عموم رسالته الى كافة الخلق لان قوله يا ايها الناس خطاب عام مدخل فيه جميع الناس ثم امره الله عز وجل بان يقول اني رسول الله اليكم جميعا وهذا يقتضي كونه مبعوثا الى جميع الناس **الذي له ملك السموت والارض** لما امر الله تعالى رسوله ان يقول يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا اردفه بما يدل على صحة دعواه يعني ان الذي له ملك السموات والارض وهو مدبرهما ومالك امرهما هو الذي ارسلني اليكم وامرني بان اقول لكم ذلك **لا اله الا هو يحيي ويميت** فان من ملك العالم كان هو لا اله الا هو لا غيره وفي يحيي ويميت مزيد تقرير لاختصاصه بالالوهية قاله البيضاوي وقال الخازن وصف الله تعالى نفسه بالالوهية وانه لا شريك له فيها وانه القادر على احياء خلقه واماتتهم ومن كان كذلك فهو القادر على ارسال الرسل الى خلقه **فامنوا بالله ورسوله** امر تعالى جميع خلقه بالايمان به وبرسوله لان الايمان به هو الاصل والايمان برسوله فرع عليه فلهذا ابداء بالايمان بالله ثم ثنى بالايمان برسوله ثم وصفه تعالى فقال **النبي الامي** وتقدم معناهما **الذي يؤمن بالله وكلماته** قال قتادة يعني اياته وهي القران وقال مجاهد والذي اراد بكلماته عيسى ابن مريم لانه خلق بقوله كن وقيل هو على العموم يعني يومن بجميع كلمات الله تعالى ذكره الخازن وقال البيضاوي كلماته ما انزل عليه وعلى سائر الرسل من كتبه ووحيه وقرئ وكلمته على ارادة الجنس او القران او عيسى تعريضا لليهود وتنبيها على ان

من لم

من لم يؤمن به لم يعتبر ايمانه وانما عدل عن التكلم الى الغيبة لاجراء هذه الصفات الداعية الى الايمان به والاتباع له **واتبعوه** يعني واقتدوا به ايها الناس فيما يامركم به وينهاكم عنه وقيل المتابعة على قسمين متابعة في الاقوال ومتابعة في الافعال اما المتابعة في الاقوال بان يتمثل التابع جميع ما يامر به المتبوع على طريقة الامر والنهي والترغيب واما المتابعة في الافعال بان يقتدي به في جميع افعاله واداته الا ما خص به صلى الله عليه وسلم وثبت بالدليل انه من خصائصه فلا متابعة فيه **لعلكم تهتدون** اي ترشدون وتصيبون الحق والصواب في متابعتكم اياه قاله الخازن وقال البيضاوي جعل رجاء الاهتداء اثر الامرين يعني الايمان والاتباع تنبيهًا على ان من صدقه ولم يتابعه في التزام شرعه فهو يعد في الضلالة الاية الثانية عشر من سورة الانبياء وهي قوله تعالى **وما ارسلناك** اي يا محمد صلى الله عليه وسلم **الا رحمة للعالمين** لان ما بعثت به سبب لاسعادهم وموجب لصلاح معاشهم ومعادهم وقيل كونه رحمة للكفار امنهم من الخسف والمسخ وعذاب الاستيصال ذكره البيضاوي وقال الخازن قيل كان الناس اهل كفر وجاهلية وضلال واهل الكتابين كانوا في حيرة من امر دينهم لطول مدتهم وانقطاع تواترهم ووقوع الاختلاف في كتبهم فبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم حين لم يكن لطالب الحق سبيل الى الفوز والثواب فدعاهم الى الحق وبين لهم سبيل الصواب وشرع لهم الاحكام وميز الحلال والحرام وقيل الا رحمة للعالمين اي للمومنين خاصة فهو رحمة لهم وقال ابن عباس هو عام في حق من امن ومن لم يومن فمن امن به فهو رحمة له في الدنيا والاخرة ومن لم يومن فهو رحمة له في الدنيا بتاخير العذاب عنه ورفع المسخ والخسف والاستيصال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انا رحمة مهداة الاية الثالثة عشر من سورة النور وهي قوله تعالى **فليحذر الذين يخالفون عن امره** اي يخالفون امره بترك مقتضاه ويذهبون سمتا خلاف سمته وعن لتضمنه معنى الاعراض ويصدون عن امره دون المومنين من خالفه عن الامر اذا صد عنه دونه وحذف المفعول لان المقصود بيان المخالف والمخالف عنه والضمير لله فان الامر له حقيقة او للرسول فانه المقصود بالذكر قاله البيضاوي وقال الخازن اي يعرضون عن امره وينصرفون

اي بعثناك

والحرام

عنه بغير اذنه وقال العز بن عبد السلام وقيل خلافا عن امره اي عن امر الله
وعن زايدة او عن امر النبي صلى الله عليه وسلم وقيل عدي بعن لان معنا ه
يعرضون ان تصيبهم فتنة اي لئلا تصيبهم فتنة اي بلاء في الدنيا ذكره الخازن
وقال العز بن عبد السلام اي محنة في المال والنفس والولد او كفر بان يفتنوا عن
دينهم او عقوبة او زلازل واهوال او تسليط سلطان جاير او طبع القلوب
او اظهار ما فيها او فيهما او اسباغ النعم استدراجا او قسوة القلب
عن معرفة المعروف وانكار المنكر وقيل الفتنة للعوام والبلاء للخواص او يصيبهم
عذاب اليم اي وجيع في الاخرة او هو القتل قاله العز بن عبد السلام
الاية الرابعة عشر من سورة الاحزاب وهي قوله تعالى لقد كان لكم في رسول
الله اسوة حسنة اي قدوة صالحة اي اقتدوا به اقتداء حسنا وهو ان تنصروا
دين الله تعالى وتوازروا رسوله ولا تتخلفوا عنه وتصبروا على ما يصيبكم كما
فعل هو اذ قد كسرت رباعيته وجرح وجهه وقتل عمه واوذي بضروب الاذى
فصبر وواساكم مع ذلك بنفسه فافعلوا انتم كذلك ايضا واستنوا بسنته
قاله الخازن وقال البيضاوي اسوة حسنة خصلة حسنة من حقها ان يؤتسى بها
كالثبات في الحرب ومقاساة الشدايد او في نفسه قدوة يحسن التاسي به
كقولك في البيضة عشرون منا حديدا اي هي في نفسها هذا القدر من
الحديد لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر اي ثواب الله او لقائه ونعيم الاخرة
وايام الله واليوم الاخر خصوصا وقيل هو كقولك ارجوا زيدا وفضله فان
اليوم الاخر يوم الله بحسب الحكم والرجا يحتمل الامل والخوف ولمن كان صلة
لحسنة او صفة لها ذكره البيضاوي وقال الخازن يعني ان الاسوة برسول الله
صلى الله عليه وسلم لمن كان يرجوا الله قال ابن عباس رضي الله عنهما يرجوا
ثواب الله واليوم الاخر يعني ويخشى يوم البعث الذي فيه الجزاء وذكر الله
كثيرا اي في جميع المواطن على السراء والضراء وقال البيضاوي وقرن بالرجاء
كثرة الذكر المودية لملازمة الطاعة فان المؤتسي بالرسول من كان كذلك الاية
الخامسة عشر من سورة الاحزاب ايضا وهي قوله تعالى يا ايها النبي انا ارسلناك
شاهدا اي للرسل بالتبليغ وقيل شاهدا على الخلق كلهم يوم القيمة ذكره
الخازن وقال البيضاوي على من بعثت اليهم بتصديقهم وتكذيبهم ونجاتهم
وضلالهم وقال العز بن عبد السلام شاهدا لوحدانيتنا وقيل شاهدا
لنا فلا يرى الا انا ومبشرا برحمتنا او للمحسنين برضانا وقال الخازن
اي لمن آمن بالجنة ونذيرا لمن كذب بالنار وقال العز بن عبد السلام

ونذيرا

ونذيرا بنقمتنا او للعصاة بعقابنا وداعيا الى الله الى الاقرار به وبتوحيده
وما يجب الايمان به من صفاته قاله البيضاوي وقال الزجاج الى توحيد الله
تعالى وما يقرب منه وقال العز بن عبد السلام وداعيا الى عبادتنا او
داعيا الخلق الى بابنا او الى شهادة ان لا اله الا الله او الى الطاعة باذنه
اي بامره او بعلمه او بالقرآن المنزل باذنه وقال البيضاوي بتيسيره
اطلق له بمعنى الاذن للتيسير من حيث انه من اسبابه وقيد به الدعوة ايذانا
بانه امر صعب لا يتاتى الا بمعونة من جناب قدسه وسراجا منيرا
اي وكتابا بينا والمعنى ارسلناك شاهدا وذا سراج منير اي وذا
كتاب بين وان شئت كان وسراجا منصوبا على معنى داعيا الى الله
وتاليا كتابا بينا قاله الزجاج وقال العز بن عبد السلام وسراجا حجة
ظاهرة لحضرتنا او هاديا لهم الى انوار الانس منيرا عليهم ظلمات النفس وقيل
اي ذا سراج اي اتيناك سراجا بعد وقت منيرا اي تاليا كتاب الله المنير
وقال البيضاوي منيرا يستضاء به في ظلمات الجهالة وتقتبس من نوره انوار
البصاير وقال الخازن سماه سراجا منيرا لانه جلا به ظلمات الشرك واهتدى
به الضالون كما يجلي ظلام الليل بالسراج المنير وقيل معناه امد الله بنور
نبوته نور البصاير كما يمد بنور السراج نور الابصار ووصفه بالانارة لان
من السرج ما لا يضيء فان قلت لم سماه سراجا ولم يسمه شمسا والشمس اشد
اضاءة من السراج وانور قلت لان نور الشمس لا يمكن ان يؤخذ منه
شيء بخلاف نور السراج فانه يؤخذ منه انوار كثيرة انتهى وفيه نظر فان
نور القمر ماخوذ من نور الشمس وكذلك انوار النجوم على راي البعض
ولا يبعد ان يكون معنى السراج المنير هنا الشمس فان الله تعالى قال
وجعلنا الشمس سراجا فيكون سماه شمسا منيرة ولم يونث الوصف
باعتبار لفظ السراج فانه مذكر الاية السادسة عشر من سورة الاحزاب ايضا
وهي قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله في الاوامر والنواهي فقد فاز فوزا
عظيما يعيش في الدنيا حميدا وفي الاخرة سعيدا قاله البيضاوي وقال
الخازن اي ظفر بالخير العظيم الاية السابعة عشر من سورة الحشر وهي
قوله تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه اي من مال الغنيمة قاله الخازن وقال
الواحدي من الفيء فخذوه لانه حلال فهو لكم حلال وقال البيضاوي وما
اعطاكم من الفيء او من الامر فخذوه لانه حلال لكم او فتمسكوا به لانه
واجب الطاعة وما نهاكم عنه فانتهوا اي من الغلول وغيره وهذا نازل
في اموال الفيء وهو عام في كل ما امر به النبي صلى الله عليه وسلم او نهى عنه

من قول او عمل من واجب ومندوب او مستحب ونهى عن محرم فيدخل فيه
النهي وغيره وعن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه انه قال لعن الله الواشمات
والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله فبلغ
ذلك امراة من بني اسد يقال لها ام يعقوب وكانت تقراء القران
فاتته فقالت ما حديث بلغني عنك انك قلت كذا وكذا وذكرته
فقالت المراة لقد قرات ما بين لوحي المصحف فما وجدته فقال لو كنت قراته وجدته
قال الله عز وجل وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ذكره الخازن
واتقوا الله في مخالفة رسوله ان الله شديد العقاب لمن خالف قال البيضاوي
وقال الخازن اي علي تركهم ما امركم به رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهاكم عنه
والدليل على الاعتصام بالسنة ايضا الاخبار اي الاحاديث الواردة عن رسول
صلى الله عليه وسلم وهي عشرون حديثا الحديث الاول د يعني روى ابو داود
باسناده عن العرباض بعين مهملة مكسورة وباء موحدة واخره ضاد ابن
سارية رضي الله عنه انه قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم
ثم اقبل علينا بوجهه يعني بعد فراغه من الصلاة كما هو العادة المشروعة
في الامام اذا فرغ من صلاته وليستقبل القوم بوجهه ما لم يكن خلفه مسبوق
فتحرف الى يمين القبلة او يسارها فوعظنا من الوعظ وهو النصح والتذكير
بالعواقب موعظة تنكيرها للتعظيم بليغة من البلاغة قال في القاموس
بلغ مبالغة وبلاغا اذا اجتهد ولم يقصر والبليغ الفصيح يبلغ بعبارته
كنه ضميره بلغ ككرم والبلاغة في علم المعاني مطابقة الكلام لمقتضى الحال
مع فصاحة كلماته ذرفت فيها العيون اي سال دمعها من البكاء قال
في القاموس ذرف الدمع يذرف وذرفت عينه سال دمعها ووجلت
اي خافت وخشيت منها القلوب فقال رجل ممن حضر من الصحابة رضي الله
عنهم من كثرة ما راى من اجتهاد النبي صلى الله عليه وسلم في تلك الموعظة و
اهتمامه بها وزيادة التخويف والتهويل فيها والتقريع للمخالف لها يا رسول
الله كان هذه الموعظة موعظة مودع اي رجل مودع قومه يريد ان يرحل
عنهم فيعظهم قبل رحاله بما يعلم انهم محتاجون اليه بعده غاية الاحتياج
ويوصيهم وينصحهم ويخوفهم ويفزعهم ويحذرهم من المخالفة ويحث
عليهم ان يضلوا بعده ومنه قوله صلى الله عليه وسلم صل صلاة مودع
الحديث اخرجه السيوطي في الجامع الصغير يعني صل صلاة رجل يعلم
انه لا يعيش حتى يصل بعدها صلاة اخرى والمراد استفراغ الجهد في
اتقان الصلاة بمراعاة حقوقها المشروعة اداءها كلها من غير زيادة ولا

فقال نعم

نقصان وفي الحديث اشارة الى ان الواعظ ينبغي له في وقت وعظه ان
يستفرغ جهده في نصح الحاضرين عنده ولا يترك فائدة يعلم انهم محتاجون
اليها الى المجلس الاخر لعدم القطع بالحياة الى المجلس الاخر وانه يجوز له التخويف
والتقريع احيانا على مقتضى الحال من غير ان يتكلف ذلك ولا يعتاده كما كان يفعله
النبي صلى الله عليه وسلم في وقت دون وقت فما ذا تعهد الينا اي توصينا
به قال في القاموس العهد الوصية من عهد اليه اوصاه قال صلى الله عليه
وسلم اوصيكم معاشر المؤمنين بتقوى الله تعالى اي الاحتراز منه في الاعتقاد
والقول والعمل والسكوت فلا يعتقد احدكم ولا يقول ولا يعمل الا بما
يعلم ان الله تعالى يرضى به ولا يسكت الا عما يعلم انه يرضى به تعالى ايضا ويجتنب
ما يسخطه تعالى اعتقادا وقولا وعملا وتركه مطلقا من غير تعينه في احد
مع ستر ما يرى من عورات المسلمين عنه وعن غيره بالتاويل والحمل على المحامل الحسنة
وفي لفظ التقوى الوارد في الكتاب والسنة اشارة الى ان المتقي هو المتحرز من
ذلك على حسب قدرته وطاقته كما قال تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها فلا
يمنع من التقوى وقوع المؤمن في زلة في بعض الاوقات من غير اصرار عليها ولا
اهتمام بفعلها ولا يشترط ان يكون دائم العصمة كالانبياء عليهم السلام
والسمع اي لمن يتكلم عليكم من ولاة الامور بمعنى الامتثال لقوله تعالى ولا تكونوا
كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون اي حسا بالكلام بحاسة الاذن وهم لا
يمتثلون معنى ذلك الكلام كما يقال فلان سمع من فلان اي امتثل كلامه وليس
المراد الاحساس بحاسة الاذن فقط والمناسب ان يكون هذا هو المراد
بالسمع لولاة الامور فيما امروا به والطاعة لهم ايضا فيما نهوا عنه اذا لم يكن
فيما امروا به او نهوا عنه معصية لانهم نواب الشرع وهذه وصية نبوية
جامعة لنفع الاخرة بذكر التقوى ولنفع الدنيا بذكر السمع والطاعة للولاة وان
كانت التقوى اعم فهو من عطف الخاص على العام للتاكيد والاهتمام وان كان
والي امركم الامر الذي هو لكم عبدا اي رقيقا استعمله الامام عليكم اميرا
امارة خاصة او عامة حبشيا اي منسوبا الى الحبشة وهم جيل من السودان
ذكرهم دون غيرهم لكثرتهم وشهرتهم بالخدمة في بلاد الحجاز ايام العرب والى الان
وفي حديث الجامع الصغير قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمعوا واطيعوا
وان استعمل عليكم عبد حبشي كان راسه زبيبة قال الشارح المناوي بزاي
مفتوحة حبة عنب سوداء حالا او صفة لعبد اي مشبها راسه بالزبيبة
في السواد والحقارة وقباحته بما لا يكاد يوجد بحقارة الشان المتمثل له
واستدل بهذا الحديث على ان الامام اذا امر بعض رعيته بالقيام ببعض

الحرف والصنايع من زراعة وتجارة وعمل انه يتعين على من عينه لذلك وينتقل
من فرض الكفاية الى فرض العين عليه بتعيين الامام قال الزين العراقي حتى قال له
بعض شيوخنا في الفلاحين المقررين لزراعة البلدان انه امر شرعي بتقريرالا
مام ذلك عليهم نعم ان تعدى عليهم والزموا بما لا يلزمهم من ايجار الارض
بغير رضاهم لم يجز لكن يكونوا كالعمال يعملون ويستحقون اجر المثل انتهى
ومراده بالقيام ببعض الحرف والصنايع لانفسهم ولبقية الرعية لا لولي
الامر فقط بان امرهم ان يصنعوا له شيا بلا اجرة او سخرهم في عمل مطلقا
من غير اجرة فانه ظلم محض لا يجب عليهم اطاعته في شيء منه اصلا
وانما يجوز لهم ذلك ويؤجرون عليه اذا اكرههم وخافوا من شره وربما
يجب عليهم ذلك اذا خافوا على انفسهم من شره اذا تحققوا منه وقوع ما هددهم
به وهي مسئلة الاكراه التي ذكرها الفقهاء لا مسئلة اطاعة ولي الامر فانه
اي الشان **من يعش منكم فسيرى** في هذه الامة من ولاة الامور وغيرهم
اختلافا كثيرا وهذا اخبار منه صلى الله عليه وسلم عما يقع في امته بعده من
كثرة الاختلاف اولا بين على في امر الخلافة كما وقعت الحروب على ذلك في
زمان علي ومعاوية رضي الله عنهما واختلف اجتهاد الصحابة رضي الله عنهم في
ذلك وان كانوا كلهم مثابين عليه وان اخطاء بعضهم لعدم دخول حظوظ
انفسهم فيه بل انما كان ذلك منهم نصرة للدين ثم كثرت الحروب بعد ذلك
والاختلافات بين ملوك الاسلام والامراء في غالب الازمان الى هذا
الاوان واختلف العلماء ايضا في امور الدين وافترقت منهم الاقوال
والاعمال والاعتقادات وذهبوا في الاصول والفروع الى مذاهب
كثيرة وكل هذا في اشارة خبره صلى الله عليه وسلم **فعليكم** اي الزموا يقال
عليك زيدا اي الزمه وتزاد الباء للتاكيد كما تزاد في خبر ليس فيقال
عليك بزيد كما يقال ليس بقايم **بسنتي** وهي اسم لاقواله عليه السلام وافعاله
واعتقاداته واخلاقه وسكوته عند قول الغير او فعل كما مر واصلها الطريقة
في الدين مرضية كانت او غير مرضية **وسنة الخلفاء** جمع خليفة قال في القاموس
الخليفة السلطان الاعظم ويؤنث كالخليف وجمعه خلايف وخلفاء
وخلفه خلافة كان خليفته وبقي بعده وذكر المناوي في شرح الجامع الصغير
قال الراغب الخلافة النيابة عن الغير لغيبة المنوب عنه او موته
او عجزه او تشريفا للمخلف وعلى الاخير استخلف الله اولياءه في الارض
انتهى فالمراد بالخلفاء هنا الصحابة الاربعة ابو بكر وعمر وعثمان وعلي
رضي الله عنهم او بعدهم كل خليفة موصوف بما وصفهم به النبي صلى الله عليه وسلم

في

بتون

في هذا الحديث حيث قال الراشدين رشد كنصر وفرح رشدا ورشدا ورشادا
اهتدى كاسترشد واسترشد طلبه والرشد الاستقامة على طريق الحق مع
تصلب فيه كذا في القاموس وهم العاملون العالمون المخلصون الثابتون
على ذلك الى موتهم المهديين بصيغة اسم المفعول اي الذين هداهم الله تعالى
فاهتدوا اي دلهم واوصلهم الى مقام قربه والجاهم الى حضرة الانس به سبحانه
فادخلهم مدخل صدق الى مقام شهوده ومعرفته العيانية واخرجهم مخرج
صدق من رؤية ما سواه تمسكوا بها اي بكل واحدة من سنتي وسنة الخلفاء
المذكورين وعضوا عليها اي على كل واحدة من السنتين وافرد الضمير فيهما
اشارة الى ان سنة الخلفاء بعده هي سنته ايضا لانهم سنوها من
شريعته ارشادا وهداية للقاصرين الى طريقته صلى الله عليه وسلم لا
من قبل نفوسهم لتمشية اغراضها **بالنواجذ** وهي اقصى الاضراس وهي
اربعة او هي الانياب او التي تلي الانياب او هي الاضراس كلها جمع ناجذ
والنجذ شدة العض كذا في القاموس والمعنى احتفظوا على ذلك بكمال
قدرتكم وطاقتكم واحرصوا عليه بمنزلة من تمسك شيا باسنانه واضراسه وبعض
عليه فانه لا يسقط من فمه ما دام كذلك وشبه المتمسك بالسنة على الشيء
واضراسه اشارة الى ان ذلك متعب جدا ومانع من الكلام والاكل والشرب
والتنفس الا بكلفة ومشقة فان من عض شيا باسنانه كان حاله هكذا وان تكلف
لم كان سريع التفلت منه ومثله المتمسك بالسنة في اخر الزمان لا يقدر على
الكلام الحق الا بمشقة كلية ولا يقدر ايضا على الاكل الحلال والشرب الحلال
كذلك لاتلاف الظلمة اموال المسلمين بغصبها وانفاقها حتى التنفس المروح
لجسده لا يقدر عليه ايضا بين المبتدعة اهل الجهل المركب بعداوتهم له وتفتيشهم
في اموره الا بجهد جهيد **ومحدثات الامور** كلاهما منصوب بفعل مضمر اي
باعدوا واحذروا الاخذ بالامور المحدثة في الدين واتباع غير سنن الخلفاء
الراشدين **فان كل امر محدث** في الدين على خلاف ما كان عليه النبي
صلى الله عليه وسلم وكانت عليه الخلفاء الراشدون من بعده الى يوم القيمة
فهو **بدعة** بالكسر وهي الحدث في الدين بعد الاكمال او ما استحدث بعد
النبي صلى الله عليه وسلم من الاهواء والاعمال جمعه بدع كعنب كذا في
القاموس واختصت البدعة هنا بالدين اذ البدعة في غير الدين كبدع
العادات غير مرادة هنا كما سياتي بيانه **وكل بدعة** في الدين **ضلالة**
يضل بها مبتدعها والعامل بها عن الصراط المستقيم **وكل ضلالة** يضل
بها منشئها والعامل بها في النار اي كائنة في نار جهنم والمعنى يكون

صاحبها في النار ولكن اريد المبالغة بان نفس البدعة في النار مع انها لم تظلم هي وانما ظلم بها صاحبها نفسه نظير قوله تعالى واذا الموؤدة المرفوعة حية وكانت العرب تئد البنات مخافة الاملاق او لحوق العار بهم من اجلهن سئلت باي ذنب قتلت تبكيتا لوائدها كتبكيت النصارى بقوله تعالى لعيسى ءانت قلت للناس انتهى وهذا الحديث المذكور اخرجه الحافظ ابو بكر احمد ابن الحسين بن علي البيهقي بنوع تغيير يسير في كتاب المدخل باسناده الى عبد الرحمن بن عمرو السلمي وحجر ابن حجر قالا اتينا العرباض بن سارية وهو ممن نزل فيه ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم قلت لا اجد ما احملكم عليه تولوا واعينهم تفيض من الدمع حزنا الا يجدوا ما ينفقون فسلمنا فقلنا اتيناك زائرين وعائدين ومقتبسين فقال العرباض صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ثم اقبل علينا فوعظنا موعظة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال قائل يا رسول الله كان هذا موعظة مودع فماذا تعهد الينا فقال اوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وان عبد حبشي فانه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة الحديث الثاني **د ت** يعني روى ابو داود والترمذي باسنادهما عن المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا بفتح الهمزة وتخفيف اللام اداة استفتاح وتنبيه كما مر اني اوتيت اي اتاني الله تعالى الكتاب وهو القرآن العظيم ومثله معه وهو السنة النبوية فان الله تعالى آتاه اياها ايضا كما آتاه الكتاب قال الامام البيهقي في المدخل اخبرنا ابو عبد الله الحافظ اخبرنا ابو العباس محمد بن يعقوب اخبرنا الربيع بن سليمان اخبرنا الشافعي رحمه الله تعالى قال وسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثلاثة اوجه احدها ما انزل الله فيه نص كتاب فسن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل نص الكتاب والثاني ما انزل الله فيه جملة كتاب فبين عن الله معنى ما اراد بالجملة واوضح كيف فرضها عاما ام خاصا وكيف اراد ان يأتي به العباد والثالث ما سن رسول الله صلى الله عليه وسلم مما ليس فيه نص كتاب ومنهم من قال لم يسن سنة قط الا ولها اصل في الكتاب كما كانت سنته لتبيين عدد الصلاة وعملها عن اصل جملة فرض الصلاة وكذلك ما سن من البيوع وغيرها من الشرائع لان الله تعالى قال لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم وقال واحل الله البيع وحرم

الربا فما حل وحرم فانما بين فيه عن الله عز وجل كما بين الصلاة ومنهم من قال الى في روعه كل ما سن وسنته الحكمة التي القيت في روعه عن الله عز وجل وروى البيهقي ايضا في كتابه المذكور باسناده الى عبد الله بن رافع قال سمعت ام سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قصة الرجلين يختصمان في مواريث واشياء قد درست فقال انما اقضي بينكما برأيي فيما لم ينزل علي فيه وروى ايضا باسناده عن ابن شهاب ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال وهو على المنبر يا ايها الناس ان الرأي انما كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم مصيبا لان الله عز وجل كان يريه انما هو منا الظن والتكلف وذكر البيهقي ايضا قال وامر الله تعالى اياه صلى الله عليه وسلم وجهان احدهما وحي ينزله فيتلى على الناس والثاني رسالة تأتيه عن الله بان افعل كذا فيفعله قال الشافعي رضي الله عنه ولعل من حجة من قال هذا القول ان يقول قال الله تعالى وانزل الله عليك الكتاب والحكمة جاءته الرسالة به عن الله فاثبت سنة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وروى باسناده عن قتادة في قول الله تعالى واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة قال القرآن والسنة وروى باسناده الى عطاء ان صفوان ابن يعلى ابن امية اخبره ان يعلى بن امية كان يقول لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ليتني ارى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ينزل عليه الوحي قال كان النبي صلى الله عليه وسلم بالجعرانة وعلى النبي صلى الله عليه وسلم ثوب قد اظل عليه ومعه فيه ناس من اصحابه فيهم عمر اذ جاءه رجل عليه جبة متضمخ بطيب وقد احرم بعمرة فقال يا رسول الله ترى في رجل احرم بعمرة بعدما تضمخ بطيب فنظر اليه النبي صلى الله عليه وسلم ساعة ثم سكت فجاءه الوحي فاشار عمر بيده الى يعلى رضي الله عنهما ان تعال فجاء يعلى فادخل راسه فاذا النبي صلى الله عليه وسلم محمر الوجه يغط ساعة ثم سري عنه فقال اين الذي سألني عن العمرة آنفا فالتمس الرجل فجيء به فقال النبي صلى الله عليه وسلم اما الطيب الذي بك فاغسله ثلاث مرات واما الجبة فانزعها ثم اصنع في عمرتك ما تصنع في حجتك اخرجه البخاري في الصحيح وعن حسان ابن عطية قال كان جبريل عليه السلام ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسنة كما ينزل عليه بالقرآن يعلمه اياها كما يعلمه القرآن انتهى وقدمنا هذا فيما سبق فالسنة مما آتاه الله تعالى صلى الله عليه وسلم وليست مما جاء بها من تلقاء نفسه **الا** بالفتح والتخفيف

للاستفتاح والتنبيه يوشك بالكسر من وشك الامر ككرم سرع واوشك اسرع
السير ويوشك الامران يكون وان يكون الامر ولا تفتح شينه او لغة
رديئة كذا في القاموس والمعنى يقرب ان يكون رجل وهو مثل قوله
عليه السلام رب صايم ليس له من صيامه الا الجوع اي نادر وجود ذلك
في المسلمين شبعان من الشبع وهو ضد الجوع كناية عن الغافل المغرور
المنهمك في شهوة بطنه وفرجه فان الشبع كان في صدر الاسلام معدودا
من العيوب المنقصة للكمال الانساني ولهذا قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه الحديث وعن
عائشة رضي الله عنها لم يمتلئ جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعا قط
ذكره في الشفاء وقال صلى الله عليه وسلم جاهدوا انفسكم بالجوع والعطش
فان الاجر في ذلك كاجر المجاهد في سبيل الله وانه ليس من عمل احب الى الله
من جوع وعطش وقال عليه السلام سيد الاعمال الجوع وكان النبي صلى الله عليه وسلم
يجوع من غير عوز اي محتاجا لذلك كما بسط الامام الغزالي في كتاب
الاحيا على اريكته في القاموس الاريكة كسفينة سرير في حجلة او كل ما
يتكأ عليه من سرير ومنصة وفراش او سرير متخذ مزين في قبة او بيت فاذا لم
يكن فيه سرير فهو حجلة جمعه ارائك انتهى والمعنى انه في ترف من العيش
ورفاهية فنه يجلس على كرسي وعظه يقول بطريق الوعظ لكم والنصيحة
والاحتياج لبعض اغراض نفسه وحظوظها عليكم اي الزموا الاقتصار
على العمل بهذا القران الذي بين ايديكم يتلى ويحفظ ويكتب فما وجدتم
فيه ولا يمكن ان يجدوا الا بحسب قدرتهم والا فكل شيء في القران كما قال
تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء فالقاصر يجد على حسب قصوره فيلزم
ان يجهل اكثر مما يعلم من حكم حلال وهو ما نص على تحليله بعينه او جنسه
كالبيع واكل الخبز فاحلوه اي احكموا بحله واعملوا على ذلك وما وجدتم
انتم ايضا كذلك فيه اي في هذا القران من حكم حرام وهو ما نص
على تحريمه بعينه او جنسه كالربا والرشوة فحرموه اي احكموا بتحريمه ايضا
واتركوا العمل به وهذا القول من قايله ذلك الرجل المذكور فيه قصور واضح
اذ لا يمكنهم ان يجدوا في القران كل ما احله الله تعالى لهم وحرمه عليهم وان كان
القران جامعا لجميع ذلك فلا بد من النظر في السنة النبوية ايضا فان
فيها بيان ما خفي في القران وايضاح مجمله وتفصيل مقتضياته ثم
لما فرغ صلى الله عليه وسلم من حكاية قول الرجل المذكور قال وان ما اي

الحكم

الحكم الذي حرم اي حكم بتحريمه رسول الله يعني نفسه كما اي مثل الحكم الذي حرم
الله من حيث ان كلا منهما بوحي من الله تعالى لنبيه عليه السلام كما ذكرنا الان من
قبل راي نفسه ثم قال صلى الله عليه وسلم الا للتنبيه والاستفتاح لا
يحل لكم معشر المسلمين الحمار الاهلي يعني ان تاكلوا لحمه وكان يوكل قبل
ذلك قال الشيخ النووي رحمه الله تعالى في شرحه على صحيح مسلم قد وقع
في اكثر الروايات ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى يوم خيبر عن لحومها
وفي رواية حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وصل القدور تغلي بلحمها فامر بارا
قتها وقال لا تاكلوا من لحومها شيئا وفي رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال اهريقوها واكسروها فقال رجل يا رسول الله او نهريقها ونغسلها قال
او ذلك وفي رواية نادى منادي النبي صلى الله عليه وسلم الا ان الله ورسوله
ينهاكم عن لحوم الحمر فانها رجس او نجس فاكفئت القدور بما فيها واختلف
العلماء في المسئلة فقال الجمهور من الصحابة والتابعين ومن بعدهم بتحريم لحو
مها للاحاديث الصحيحة الصريحة وقال ابن عباس ليست بحرام وعن مالك ثلاث
روايات اشهرها انها مكروهة كراهة تنزيه شديدة والثانية حرام والثالثة مبا
حة والصواب التحريم كما قاله الجمهور للاحاديث الصريحة واما الحديث المذكور
في سنن ابي داود عن غالب بن ابجر قال اصابتنا سنة فلم يكن في مالي شيء اطعم
اهلي الا شيء من حمر وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حرم لحوم الحمر الاهلية فاتيت النبي
صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله اصابتنا السنة ولم يكن في مالي ما اطعم
اهلي الا سمان حمر وانك حرمت لحوم الحمر الاهلية فقال اطعم اهلك من سمين
حمرك فانما حرمتها من اجل جوال القرية يعني بالجوال الذي ياكل الجلة وهو العذرة
فهذا الحديث مضطرب مختلف الاسناد شديد الاختلاف ولو صح حمل على
الاكل منها في حال الاضطرار انتهى كلامه ويمكن له وجه اخر بان يحمل قوله صلى
الله عليه وسلم اطعم اهلك من سمين حمرك اي من اجرتهن او من ثمنهن فانه لما
وصفهن بالسمن للاكل حول النبي عليه السلام هذا الوصف الى الاجرة على الحمل والركوب
والحراثة والدياسة ونحو ذلك باخذ الاجرة عليها او بيعهن والاطعام من
ثمنهن كما قال الفقهاء فيمن حلف لا ياكل من هذه النخلة تقيد حنثه باكله من
ثمرها حتى لو اكل من عينها لم يحنث وان لم يكن لها ثمر ينصرف اليمين الى ثمنها فيحنث
اذا اشترى به ماكولا واكله فينبغي حمل قوله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فانما حرمتها
من اجل جوال القرية اعتذارا لغالب بن ابجر على قوله وانك حرمت لحوم
الحمر الاهلية وبيانا لسبب التحريم لا دليل التحريم اذ الدليل حكم الله تعالى بالوحي المنزل
عليه ولا يحل لكم ايضا كل ذي ناب من السباع ان تاكلوا لحمه والذئب

بخلاف حمار وحشي فان الحمر الوحشية ... اهلية ووضع عليها الوكاف

اي كل حيوان يصيد بالسن الذي خلق للاصطياد
السباعية ويتقوى بسنه على الاصطياد
لما روي عن جابر رضي الله عنه انه قال حرم
رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمر الانسية ولحوم البغال
وكل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطيور
رواه الترمذي وذلك كالذئب والاسد
والنمر والفهد والدب والقرد والفيل
وكذا يحرم الحشرات ... والقنفذ
والفارة ونحوها كذا في الفقه

هو السن خلف الرباعية مونث وجمع انيب وانياب وينوب وانانيب كذا
في القاموس وقال النووي رحمه الله تعالى في شرح مسلم نهى النبي صلى الله عليه وسلم
عن كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير وفي رواية كل ذي ناب
من السباع فاكله حرام والمخلب بكسر الميم وفتح اللام للطير والسباع بمنزلة الظفر
من الانسان وفي هذه الاحاديث دلالة لمذهب الشافعي وابي حنيفة واحمد
وداود والجمهور انه يحرم اكل كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من
الطير وقال مالك يكره ولا يحرم قال اصحابنا فذي الناب ما يتقوى
به ويصطاد واحتج مالك بقوله تعالى قل لا اجد فيما اوحي الي محرما الاية
واحتج اصحابنا بهذه الاحاديث قالوا والاية ليس فيها الا الاخبار بانه
لم يجد في ذلك محرما الا المذكورات في الاية ثم اوحي اليه بتحريم كل ذي
ناب من السباع فوجب قبوله والعمل به **ولا يحل لكم ايضا لقطة** من لقطه
اخذه من الارض فهو ملقوط ولقيط ولقط الثوب رقعه واللقطة محركة
وكهمزة وهمزة ما التقط كذا في القاموس والمراد ما يجده الانسان في
الطريق وغيره من الامتعة الساقطة من اصحابها وفي شرح الكنز لمسكين
هي مال يوجد في الطريق ولا يعرف له مالك بعينه سميت بها لانها تلتقط
غالبا **معاهد** من العهد وهو الامان والذمة عاهده اذا اخذ عليه عقد
الامان والذمة والمراد بالمعاهد الذي الذي عاهده الامام على اعطاء
الجزية والخراج فان ماله مالنا وعليه ما علينا ويدخل في ذلك الحربي
(مطلب) الذي دخل بالامان الى دار الاسلام فانه امن على نفسه وماله فمن وجد لقطة
لذمي او لمستامن وجب ردها اليه بعد اقامة البينة كلقطة المسلم
ويجوز ردها من غير وجوب عليه ان ذكر العلامة فقط قال في المنبع شرح
المجمع يستحب اخذ اللقطة ورفعها خوفا من ان تصل اليها يد خائن واذا
خاف ضياعها يجب الالتقاط صونا لاموال الناس عن الضياع وقال بعض
اصحابنا اذا خاف على نفسه الطمع فيها وانه لا يعرفها ولا يردها فالا
فضل الترك صيانة لنفسه عن الوقوع في المحرم وهي امانة بشرط ان يشهد
الملتقط انه ياخذها ليحفظها لا ليطلبها بعد ذلك ثم يتصدق بها ان شا
فان جاء صاحبها فامضاها والا ضمن الملتقط والمسكين ان شاء
وان كانت قائمة اخذها منه وايهما ضمن لا يرجع على الآخر ويجوز
للفقير ان ينتفع بها الا للغني الا باذن الامام ويجوز التقاط البهائم الضالة

ويؤجرها

ويؤجرها الحاكم وينفق عليها من الاجرة ان كان لها منفعة والا باعها وحفظ
ثمنها وان اذن الحاكم الملتقط في النفقة رجع بها ويحبسها لاستيفائها والا
كان متبرعا واذا ادعاها لم تدفع اليه الا ببينة ويحل له دفعها بذكر علامة
الا ان يستغني عنها اي عن اللقطة صاحبها بان كانت حقيرة كثمرة
ونحوها قال في مختصر المحيط قال ابو حنيفة وابو يوسف رحمهما الله تعالى
ولا باس بان يلتقط ما لا قيمة له اصلا مثل النواة وعلف الدواب
وقشر الرمان اذا نبذه صاحبه والانتفاع به ولصاحبه ان ياخذه من
الملتقط وان كان ذلك كثيرا لم يجز للملتقط ان ياخذه انتهى وكذلك ان
وصل اليه ان [illegible] صاحبها اباحها له او لكل من اخذها **ومن نزل بقوم**
اي صار ضيفا عندهم في قرية او بلدة او محلة وقد تعذرت عليه كفايته
من القوت ولم يمكنه الشراء **فعليهم** اي بطريق الوجوب حيث علموا به
وهو محتاج الى القوت **ان يقروه** اي يضيفوه باعطائه كفايته من ذلك
قال الجوهري قريت الضيف قرى وقراء احسنت اليه اذا كسرت القاف
قصرت واذا فتحت مددت وفي القاموس اقرى طلب ضيافة فقوله
ان يقروه بفتح الياء من قراه لا بضمها من اقراه وفي حديث الجامع
الصغير للاسيوطي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايما ضيف نزل
(مطلب) بقوم فاصبح الضيف محروما فله ان ياخذ بقدر قراه ولا حرج عليه وقال
الشارح المناوي فاصبح الضيف محروما من الضيافة اي لم يطعمه القوم
تلك الليلة فله اي ياخذ من مالهم بقدر قراه اي ضيافته اي بقدر ما يصرف
في ثمن طعام يشبعه ليلته قال الطيبي وقوله فاصبح الضيف مظهرا في
مقام الاضمار اشعارا بان المسلم الذي ضاف قوما يستحق لذاته
ان يقرى فمن منعه حقه فقد ظلمه فحق لغيره من المسلمين نصره واخذ
بظاهره الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه فاوجب الضيافة وان
الضيف يستقل باخذ ما يكفيه بغير رضى من نزل عليه او على نحو
بستانه او زرعه وحمله الجمهور على انه كان في اول الاسلام فانها
كانت واجبة حين اذ كانت المواساة واجبة فلما ارتفع وجوب المواساة
ارتفع وجوب الضيافة او على التاكد كما في غسل الجمعة واجب فلما ارتفع
وجوب الاستقلال بالاخذ حمل على المضطر لكنه يغرم بدله بعد او على مال
اهل الذمة المشروط عليهم ضيافة من نزل بهم لادلة اخرى لخبر
لا يحل مال امرئ مسلم الا عن طيب نفس واما قول بعض المالكية

المراد ان له ان ياخذ من عرضهم بلسانه ويذكر للناس عيوبهم فهو وصف
بان الاخذ من العرض والتحدث بالغيب عيب ندب الشارع الى تركه
لا الى فعله وفي حديث الجامع ايضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ايما رجل اضاف قوما فاصبح الضيف محروما فان نصره حق على كل
مسلم حتى ياخذ بقرى ليلته من زرعه وماله وقال الشارح المناوي
ويقتصر على ما يشد الرمق بشين معجمة اي يقوي بقية الروح او مهملة
اي يسد الخلل الحاصل من الجوع قال الطيبي وافرد الضمير فيهما باعتبار
المنزل عليه والمضيف وهو واحد ثم هذا في المضطر او في اهل الذمة
المشروط عليهم ضيافة المارة **وله** اي يجوز له **ان يعقبهم** اي يجازيهم
قال الجوهري اعقبه بطاعته اي جازاه والعقبى جزاء الامر والمعنى ان يجازيهم
على منعهم حقه فلا يحترمهم ولا يساويهم **بمثل قراه** اي ياخذ مثل ضيافته
اي مقدار ذلك يعني قدر حاجة المضطر اليها من الماكول والمشروب وعلف
الدابة ونحو ذلك واخرج الامام البيهقي في المدخل هذا الحديث المذكور برواية
اخرى اسندها عن المقدام بن معدي كرب عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال الا اني اوتيت الكتاب ومثله الا اني اوتيت القرآن ومثله الا يوشك
رجل شبعان على اريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فاحلوه
وما وجدتم فيه من حرام فحرموه الا لا يحل لكم الحمار الاهلي ولا كل ذي ناب
من السباع ولقطة مال معاهد الا ان يستغني عنها صاحبها ومن نزل بقوم
فعليهم ان يقروه فان لم يقروه فان له ان يعقبهم بمثل قراه وروي باسناده
ايضا عن الحسن بن جابر انه سمع المقدام بن معدي كرب الكندي صاحب
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حرم النبي صلى الله عليه وسلم اشياء يوم
خيبر منها الحمار الاهلي وغيره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوشك
ان يقعد الرجل منكم على اريكته يحدث بحديثي فيقول بيني وبينكم كتاب
الله فما وجدنا فيه حلالا استحللناه وما وجدنا فيه حراما حرمناه وان ما
حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حرم الله عز وجل وهذا اسناد صحيح
الحديث الثالث **دت** يعني روى ابو داود والترمذي باسنادهما
عن ابي رافع رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لا الفين بضم الهمزة اي اجدن يقال الفيت الشيء بالفاء وجدته قال

الجوهري

نصيب اي بالتخفيف والحاصل [illegible] تبعهم من اموالهم بقدر قراه ٢ه

الجوهري والمعنى لا يجعلني الله تعالى اجدن **احدكم** اي الواحد منكم ايها المؤمنون
متكئا اي معتمدا مستندا قال في القاموس توكأ عليه تحامل واعتمد **على اريكته**
اي سريره وكرسيه **ياتيه** اي يصل اليه **امري** اي شاني **مما** اي من جهة
الامر الذي **امرت به** الامة بطريق الخلافة عن الله تعالى في الارض **او**
نهيت الامة **عنه** بالنيابة عن الله تعالى **فيقول** ذلك المتكي على اريكته
لا ادري هذا الوارد الي من الامر والنهي **وما** اي الحكم الذي **و**
جدناه في كتاب الله تعالى من الامر والنهي **اتبعناه** لا غير وهذا
قول من طبع على قلبه فاراد ان يفرق بين الله ورسوله ولن يصل الى ذلك
ابدا قال البيهقي في المدخل زاد ابو عبد الله في روايته بهذا الاسناد عن
الشافعي رضي الله عنه قال وفي هذا تثبيت الخبر عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم واعلامهم انه لازم وان لم يجدوا له نص حكم في كتاب الله عز وجل
الحديث الرابع **د** يعني روى ابو داود باسناده عن العرباض بن سارية رضي
الله عنه انه قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني خطيبا **فقال ايحسب**
احدكم حال كونه متكئا اي مستندا **على اريكته** اي كرسيه **يظن** تاكيد لفظي
ليحسب بمرادفه **ان الله تعالى لم يحرم** على الامة **شيئا الا ما** اي الذي **في**
هذا القرآن من المحرمات لظاهرة منه لكل احد والا فقد قال الله تعالى ما فرطنا
في الكتاب من شيء وفي الحديث قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحلال ما
احل الله في كتابه والحرام ما حرم الله في كتابه وما سكت عنه فهو مما عفي عنه اخرجه الاسيوطي
في الجامع الصغير فان في القرآن من الاحكام ما لا تظهر بالبداهة لغالب الامام
ولهذا المادق نظر امامنا ابي حنيفة رضي الله عنه في استنباط المسائل من
القرآن مما لم يعثر عليه اكثر المجتهدين نسب اليه القاصرون القول بالراي
فان من وجد الحكم في كتاب الله لا يعدل عنه الى السنة ومن لم يجده في الكتاب
عدل الى السنة الا للاستفتاح والتنبيه **واني قد امرت** بالمعروف الذي
وجدته في كتاب الله تعالى مما لم يجده غيري وهي الحكمة التي قال تعالى عنها
وانزل عليك الكتاب والحكمة وهي السنة النبوية كما قدمناه فان امره
صلى الله عليه وسلم من امر الله تعالى لانه نبيه ورسوله روى البيهقي في
المدخل باسناده عن ابي جعفر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه دعا
اليهود فسالهم فحدثوه حتى كذبوا على عيسى عليه السلام فصعد النبي
صلى الله عليه وسلم المنبر فخطب الناس فقال ان الحديث سيفشو
عني فما اتاكم عني يوافق القرآن فهو عني وما اتاكم عني يخالف القرآن
فليس عني وقال الشافعي رضي الله عنه وليس يخالف الحديث القرآن

مطلب

فينا

ولكن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مبين معنى ما اراد خاصا وعاما
وناسخا ومنسوخا ثم يلزم الناس ما سن بفرض الله تعالى فمن قبل عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم فعن الله قبل وعن علي رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم انها تكون بعدي رواة يروون عني الحديث فاعرضوا
حديثهم على القران فما وافق القران فخذوا به وما لم يوافق القران فلا تاخذوا
به **و وعظت** اي ذكرت الترغيب والترهيب وبشرت وانذرت
اخذا من كتاب الله تعالى بوجه لم ينكشف لغيري **ونهيت** الامة **عن**
اشياء من الاقوال والاعمال والاعتقادات والاحوال التي وصلت
الي من كتاب الله تعالى ولم يهتد الى طريقها احد من المجتهدين اصلا لان
طريق الوصول اليها الوحي والنبوة لا الاجتهاد وان اقر النبي صلى الله عليه وسلم
قول المجتهد المخطي ووعده بالثواب عليه مرة لضرورة فقدان الوحي والنبوة
انها اي تلك الاشياء التي نهيت عنها **مثل** المناهي الظاهرة لكم **من القران**
لاني اخذتها منه بالوحي والنبوة ولا امر ونهي الا ما في القران يدل عليه
ما رواه البيهقي في المدخل باسناده عن ابن طاوس عن ابيه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي مات فيه يا ايها الناس لا تمسكوا علي بشي
فاني لا احل الا ما احل الله ولا احرم الا ما حرم الله في كتابه انتهى وجميع علم
النبي صلى الله عليه وسلم من القران لكنه من وجه الوحي والنبوة فلهذا لا يمكن
ان يصل غير نبي وفتح الاولياء وان كان من القران ايضا كذلك ولكنه
من وجه اخر غير وجه الوحي والنبوة وكذلك علم المجتهدين ولكنهم زادوا الا
خذ من بيان النبي صلى الله عليه وسلم الذي هو السنة وبيان غيرهم من المؤمنين الذي
هو الاجماع والتامل بالمقايسة في الكتاب والسنة والاجماع هو القياس والكل
يجمعون في اصل واحد هو ماخذهم وهو القران اخذ منه النبي سنته والولي
فتحه والمجتهد علمه **او اكثر** من المناهي الظاهرة لكم من القران لزيادة اطلاع النبي
صلى الله عليه وسلم على كتاب الله تعالى ما لم تطلع عليه الاولياء ولا المجتهدون ويختفي
منه عن اكثر ما ظهر لهم كلهم فلهذا تمسك الامام الشافعي رحمه الله تعالى وغيره
من المجتهدين بالسنة اكثر من الكتاب حيث قال ان فتى رضي الله عنه اذا صح
الحديث فهو مذهبي **وان الله تعالى لم يحل** بالضم للياء من احل اي جعل
حلالا **ان تدخلوا بيوت اهل الكتاب** من اليهود والنصارى وغيرهم
لان ذلك يوذيهم ولا يجوز ايذاء اهل الذمة **الا باذن** منهم في ذلك
ولا احل لكم ايضا **ضرب نسائهم** اي اهل الكتاب لان فيه كمال ايذائهم **ولا**
احل اكل ثمارهم اذا اعطوكم الحق الذي عليهم من الجزية والخراج فاذا

امتنعوا

امتنعوا من ذلك انتقض عهدهم عند الايمة الثلاثة خلافا لابي حنيفة
قال والدي رحمه الله تعالى عند شرح قول صاحب الدرر لا ينتقض عهده ان
امتنع عن الجزية لان التزامها باق وبالاباء توخذ منه جبرا او في رواية
كتاب الجمع ذكرها في الواقعات في كتاب الزكاة انه ينتقض وهو قول
الثلاثة هذا اذا ابى عن دفعها اما لو ابى عن قبولها انتقض عهده كذا
في فتح القدير واذا انتقض عهدهم حل فيهم ما حل في اهل الحرب واصل
الحديث ما ذكره البيهقي في المدخل باسناده عن العرباض بن سارية السلمي
قال نزلنا مع النبي صلى الله عليه وسلم خيبر ومعه من معه من اصحابه وكان
صاحب خيبر رجلا ماردا منكرا فاقبل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
يا محمد الكم ان تذبحوا حمرنا وتاكلوا ثمرنا وتضربوا نساءنا فغضب النبي
صلى الله عليه وسلم وقال يا ابن عوف اركب فرسك ثم ناد الا ان الجنة لا تحل
الا لمؤمن وان اجتمعوا للصلاة قال فاجتمعوا ثم صلى بهم النبي صلى الله
عليه وسلم ثم قام فقال ايحسب احدكم متكئا على اريكته يظن ان الله
عز وجل الى اخر الحديث المتقدم ذكره الحديث الخامس **حم** يعني روى
مسلم باسناده **عن جابر رضي الله عنه** انه قال **كان النبي صلى الله**
عليه وسلم اذا خطب في الجمع والاعياد وغيرها او في غالب امره
بحسب الوقايع الدينية والدنيوية **احمرت عيناه** من كمال شجاعته
صلى الله عليه وسلم في تبليغ احكام الله تعالى **وعلا** اي ارتفع **صوته** لتنفذ
دعوته الى الحق في جوانب مجلسه على التمام **واشتد غضبه** في اظهار
دين الله تعالى وايصاله الى صميم القلوب الحق كانه عليه الصلاة والسلام
في تلك الحالة **منذر** اي مخوف **جيش** اي عسكر عظيم من غارة تدركهم
يقول في انذاره للجيش من تتمة التشبيه **صبحكم** بالتشديد اي
ادرككم العدو في وقت الصباح **ومساكم** بالتشديد ايضا اي ادرككم
في وقت المساء فتهيئوا للقائه ومقارعته ويحتمل ان يكون معنى ذلك صبحكم
الامر الذي انذركم به في الاخرة ومساكم من شدة قربه منكم **ويقول** في
خطبته ايضا **بعثت** اي بعثني الله تعالى **انا والساعة** اي القيمة قال
المناوي في شرح الجامع الصغير الساعة الوقت الذي تقوم فيه القيمة
وهي ساعة خفيفة يحدث فيها امر عظيم **كهاتين** من شدة القرب
ويفرق بين اصبعيه يشير **السبابة** وهي المسبحة **والوسطى** وهو من

بن عبد الله
ابا عبد الله شهد العقبة الثانية مع ابيه
وهو صغير ولم يشهد بدرا واحدا على الصحيح وشهد
بعدها المشاهد كلها وشهد صفين مع علي
رضي الله تعالى عنه كان من المكثرين الحفاظ كف
بصره في اخر عمره توفي سنة ... وقيل بعدها
بالمدينة وهو اخر من مات بها ...

تمثيله صلى الله عليه وسلم الغايب بالحاضر اشارة الى دوام شريعته وبقائها
الى القيمة وانه لا يتخلل بينه وبين الساعة نبي ولا شريعة ويقول في الخطبة
اما بعد بالبناء على الضم اي بعد دعاي لك واول من قاله داود عليه السلام
او كعب بن لوي كذا في القاموس وتقدم هذا في شرح الخطبة فان خير الحديث
وهو الخبر يأتي على القليل والكثير ويجمع على احاديث على غير قياس قال
الفراء نرى انه واحد الاحاديث احدوثة ثم جعلوه جمعا للحديث
ذكره الجوهري كتاب الله وهو القران العظيم وخير الهدي جمع هدية
وهي السيرة قال الجوهري وما احسن هديته وهديته ايضا بالفتح اي سيرته
والجمع هدي مثل تمرة وتمر ويقال ايضا هدي هدي فلان اي سار
سيرته وفي الحديث واهدوا هدي عمار هدي محمد عليه السلام نبينا
ورسولنا وشر الامور اي الافعال والاقوال والاحوال والاعتقادات
محدثاتها اي المحدثات منها في الدين بعد زمان رسول الله صلى الله عليه
وسلم وزمان الصحابة والتابعين لهم باحسان رضي الله عنهم
وكل امر في الدين لم يكن في الصدر الاول من فعل او قول او حال او
اعتقاد بدعة اي فعلة على خلاف الملة المحمدية وكل بدعة ضلالة اي
يضل بها صاحبها عن طريق السنة الحديث السادس خ يعني روى
البخاري باسناده عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم كل امتي يدخلون الجنة يعني امة الاجابة وهم
المسلمون المومنون به صلى الله عليه وسلم وبجميع ما ورد عنه ويحتمل ان
يراد بالامة ما يشمل امة الدعوة ايضا بقرينة قوله الا من ابى
اي امتنع ان يدخل الجنة قيل اي قال احد من حضر تعجبا من حال من
ابى ان يدخل الجنة ومن ابى يعني اي الانسان امتنع من ذلك وهو مراد
القائل قال صلى الله عليه وسلم من اطاعني في كل ما امرت به
ونهيت عنه بالظاهر والباطن دخل الجنة خالدا فيها ابدا ومن عصاني
اي لم يطعني في امتثال كل ما امرت به ونهيت عنه مع الايمان بذلك ان
اريد بالامة امة الاجابة بقرينة ذكر العصيان فانه مشتهر بمعنى الفسق لا الكفر
وان اريد امة الدعوة فمعنى عصاني لم يطعني فيما امرت به ونهيت
عنه لا ايمانا ولا عملا وهو الكافر فقد ابى اي امتنع ان يدخل الجنة الحديث
السابع حك يعني روى الحاكم باسناده عن ابي سعيد رضي الله عنه
انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اكل طيبا اي حلالا لا يتيقن
الحل لا شبهة فيه وان جاز اكل ما فيه شبهة روي عن ام عبد الله بنت

اوس

اوس الانصارية اخت شداد بن اوس انها بعثت الى النبي صلى الله عليه
وسلم بقدح لبن عند فطره فرده عليها الرسول صلى الله عليه وسلم وقال انى لك
هذا قالت من شاة لي قال انى لك الشاة قالت اشتريتها من مالي فشرب
ثم قال صلى الله عليه وسلم امرت الرسل ان لا تاكل الا طيبا ولا تعمل الا
صالحا ذكره المناوي في شرح الجامع الصغير وعمل بقلبه في اعتقاده
وبلسانه في قول وبجوارحه في فعل وبنفسه في حال عملا كائنا في سنة
اي اتباع للنبي صلى الله عليه وسلم ظاهرا وباطنا وامن الناس من
اهل الاسلام ولو فاسقين او معاهدين من الكفار بوائقه جمع بائقة
وهي الداهية وباق جاء بالشر والخصومات وباق به حاق وباق القوم
عليه اجتمعوا فقتلوه ظلما وباق المال فسد وبار وباق فلان تعدى على
انسان او هجم على قوم بغير اذنهم كانباق وباق القوم سرقهم كذا في القاموس
دخل الجنة من غير عذاب يسبق قالوا اي الحاضرون من الصحابة رضي الله
عنهم يا رسول الله ان هذا يعني اكل الطيب والعمل في سنة وامن الناس
البوائق في امتك يعني امة الاجابة المسلمين لك المومنين بك في جميع ما
جئت به من عند الله تعالى اليوم يعني في ذلك الزمان الاول في صدر الا
سلام كثير حيث لم تظهر البدع قال صلى الله عليه وسلم وسيكون في
قوم نكرهم للتقليل او التعظيم بعدي يعني الى يوم القيمة فان الله تعالى حاشاه
ان ينزع الكمال من هذه الامة المحمدية وقد شهد لها بالخيرية في قوله تعالى كنتم
خير امة اخرجت للناس الاية ثم ان الصحابة والتابعين رضي الله عنهم كان
فيهم المنافقون والفاسقون ولم يخرجوا بذلك عن الكمال من حيث عمومهم الظا
الحديث الثامن هق يعني روى البيهقي باسناده عن ابن عباس رضي
الله عنهما اي عنه وعن ابيه العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال من تمسك بسنتي اي احتفظ على العمل بها
عند فساد امتي باتباع الاهواء والبدع بحيث تصير نفوسهم لا تطمئن
في الاعمال والمعاملات الا الى الوساوس الشيطانية والاختراعات
العقلية مع علمهم بالسنن النبوية واعتقادهم والحدود الشرعية وهم يحسبون
انهم يحسنون فله اي عند الله تعالى يوم القيمة اجر اي ثواب مائة شهيد
قاتل في سبيل الله فقتل لما يلحقه من المشقة في العمل بالسنة واحيائها لعدم
المعاون وكثرة العوائق كما تلحق الشهيد المقاتل للكفار كذا في شرح
الشرعة الحديث التاسع ت يعني روى الترمذي باسناده عن زيد بن

صحيحة عن ابيه عن جده عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال ان الدين اي
دين الاسلام الذي هو ملة محمد عليه الصلاة والسلام بدا اي ظهر قال الجوهري
بدا الامر بدوا مثل قعد قعودا اي ظهر وابديته اظهرته غريبا اي
مستغربا لستغرب احكامه كل واحد لعدم معرفته والايتلاف به وسيعود
في اخر الزمان غريبا ايضا كما بدا فلا يعرفونه ولا يالفون به فينكرونه وقد
كان فيما بين بدايته ورجوعه معروفا مالوفا وهو زمان عزته ونصرته تجدون
عليه اعوانا صدورهم مملوة توحيدا وايمانا ومعرفة واتقانا واخلاصا
واحسانا فطوبى فعلى من الطيب قلبوا الياء واوا للضمة قبلها
ويقال طوبى لك وطوباك بالاضافة قال يعقوب ولا تقل طوبيك
بالياء قاله الجوهري للغرباء جمع غريب وهو الانسان الغريب فان
الذي يتمسك بالدين الغريب فهو غريب وقد فسرهم النبي صلي الله عليه
وسلم بقوله الذين يصلحون من اصلح ضد افسده والصلاح ضد الفساد
كالصلوح صلح كمنع وكرم وهو صلح بالكسر وصالح وصليح كذا في القاموس
ما اي الذي افسد الناس وافسدهم من بعدي متعلق بافسد من سنتي اي
سيرتي وطريقتي اعتقادا او عملا او قولا او حالا واصلاحهم عما افسد من السنة
اما بامرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر علي وجه العموم من غير تخصيص احد باللسان
ولا بالقلب مع ستر عورات المسلمين وتغطية ما انكشف من قبايحهم كما هو
الطريقة المسنونة في الامر والنهي لا المبتدعة التي اخترعها جهلة العلماء
من كشف فضايح المسلمين واستباحة اعراضهم علي توهم المنكر فضلا عن تحققه
او بالعمل بذلك والمواظبة عليه حتي يقتدي به اهل الدين والتقوى مع الاخلاص
والخشوع او بتصنيف الكتب في بيان ذلك او باقراء الكتب المصنفة فيه او بالا
عانة عليه والترغيب فيه وعدم الامالة بفساد الزمان والاخوان حتي ورد في
حديث اخر تفسير الغرباء اخرجه السيوطي في الجامع الصغير وهو قوله صلي
الله عليه وسلم طوبى للغرباء اناس صالحون في اناس سوء كثير من يعصيهم
اكثر ممن يطيعهم وقال الشارح المناوي وفي رواية بدله من يبغضهم
اكثر ممن يحبهم ومن ثم قال الثوري اذا رايت العالم كثير الاصدقاء
فاعلم انه مخلط لانه لو نطق بالحق لابغضوه قال الغزالي وقد صار
ما ارتضاه السلف من العلوم غريبا بل اندرس وما اكب الناس
عليه فاكثره مبتدع وقد صارت علوم اوليك غريبة بحيث عقت
ذاكرها الحديث العاشر م يعني روي مسلم باسناده عن رافع بن خديج

انه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم انتم يا معشر المكلفين من الصحابة وغيرهم
اعلم اي اكثر علما مني بامر دنياكم لكثرة اشتغالكم بذلك وليس امر الدنيا
بامر عظيم القدر عند الله تعالى حتي يدخل النقص في جناب النبوة بنفي الا
علمية فيه بحيث كانت الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله كما ورد
في الخبر وتقدير المعني فلا تحتاجون في احوال الدنيا الي امري لكم فيها بما
ينفعكم من التصرفات ونهيي عما يضركم لاكتفايكم في ذلك بنظر عقولكم
وتجربتكم وقايع الاحوال ولكن اذا امرتكم بشيء من دينكم امتثالا لطا
عة او انكفافا عن معصية فدخل النهي في الامر لانه امر بالكف كما ان الامر
امر بالفعل فخذوا اي تمسكوا واحتفظوا به وامتثلوا له والتقدير فاني
اعلم منكم بامور دينكم كما جاء في حديث اخر فوالله لانا اعلمهم بالله واشدهم له
خشية الحديث الحادي عشر ت يعني روي الترمذي باسناده عن عبد
الله بن عمرو رضي الله عنهما اي عنه وعن ابيه عمرو بن الخطاب عن النبي صلي
الله عليه وسلم انه قال لا يومن اي يصدق ويعترف بما جيت من عند
الله امرا ونهيا ظاهرا وباطنا احدكم اي الواحد منكم ذكرا كان او انثي حتي
يكون هواه اي ميله ورغبته ومحبته تبعا اي تابعا لما جيت به من عند الله
تعالى من الشرايع والاحكام بحيث لا يستحسن برايه وعقله زيادة فيه او نقصانا منه
ولا يستقبح بنظره ما يخالف شيا من ذلك بل يصير رايه وعقله ونظره في اسر
ما جاء عن النبي صلي الله عليه وسلم يحكم فيه الوارد في الشرع لا يحكم هو في الوارد
في الشرع الحديث الثاني عشر خ م يعني روي البخاري ومسلم باسنادهما عن
عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما انه عليه الصلاة والسلام قال لياتين
اي والله لياتين علي امتي يعني امة الاجابة المومنين به عليه السلام بسبب طول
العهد عن زمن نبوته ونقصان النقلة لدينه من غير زيادة ولا نقصان وذهاب
العدول الا قليلا كما اتى علي بني اسرائيل اي امة موسى عليه السلام يعني من التغيير
والتبديل لشرايع الدين والزيادة فيها والنقصان حذو بالذال المعجمة النعل
بالنعل قال الجوهري حذوت النعل بالنعل حذوا اذا قدرت كل واحدة علي
صاحبتها تقال حذو القذة بالقذة انتهي والمعني موافقة هذه الامة لبني اسرايل
موافقة كلية في جميع ما صدر منهم في دين الله تعالى حتي ان كان منهم اي من بني
اسرائيل من اتى اي جامع امه التي ولدته علانية اي جهرا من غير استتار وهو
اقبح معصية في الاسلام عقلا وشرعا ومروة وعرفا لكان في امتي من
يصنع ذلك ايضا اي ذلك هو كفسه علي ما جاء به نبيه صلي الله عليه وسلم من
عند ربه من الحق وبنو اسرائيل هولاء هم اولاد يعقوب جمع ابن قال

بالواو علي الكاري

وقال في المصباح المنير حذوته احذوه حذوا
وحاذيته محاذاة وحذا امس باب قيل وهي
الموازاة يقال رفع يديه حذو اذنيه
وحذا اذنيه ايضا واحتذيت به اذا اقتديت
به في امور وحذوت النعل بالنعل قدرتها بها
وقطعتها علي مثالها وقدرها وادان محاذاة

بالواو
علي الكاري

اي يفعله

البيضاوي الابن من البناء لانه مبنى ابيه ولذلك ينسب المصنوع الى صانعه
فيقال ابو الحرب وبنت فكر واسرائيل لقب يعقوب عليه السلام ومعناه بالعربية
صفوة الله وقيل عبد الله وقال الخازن اتفق المفسرون على ان اسرائيل هو
يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم صلى الله عليهم اجمعين **وان بني اسرائيل تفرقت**
على اثنتين وسبعين ملة بالكسر وهي الشريعة والدين كذا في القاموس
وتفترق امتي يعني امة الاجابة المؤمنين به صلى الله عليه وسلم لان امة الدعوة
مفترقون اكثر من ذلك في زمانه عليه السلام **على ثلاث وسبعين ملة** بزيادة
ملة واحدة ولعل ذكر السبعين للتكثير لا للتحديد **كلهم في النار** للتطهير لا
للتكفير اذ لو كفروا لكانوا امة دعوة لا امة اجابة فيبقوا وامتلا امة
الدعوة وكذلك كل فرقة كفرت منهم خرجت عن الثلاث والسبعين واصل ان
الخطاء في الاجتهاد في الاعتقاد اذا كان في غير مجمع عليه معلوم من الدين
بالضرورة يثاب عليه اتفاقا واما المجمع عليه المعلوم من الدين بالضرورة من
قسم الاعتقاديات كحدوث العالم وحشر الاجساد وثبوت صفات الله تعالى
مما جحدته الفلاسفة ومن قسم العمليات كاركان الاسلام الخمس وحرمة الربا
والزنا وشرب الخمر والسرقة والظلم ونحو ذلك فان الاجتهاد في شيء من هذا
باطل لا يصح اجماعا لان جحوده كفر قال في شرح مرقاة الاصول في
الخلاف في الاجتهاد بين اهل السنة والمعتزلة فالمجتهد يخطي ويصيب
عندنا وعندهم كل مجتهد مصيب بناء على ان الحكم عند الله واحد عندنا
ومتعدد عندهم فان المجتهدين اذا اجتهدوا في حادثة واحدة فالحكم عند الله
تعالى على راينا واحد منها وعلى رايهم ما ادى اليه اجتهاد كل مجتهد وهذا الخلاف
في الشرعيات لا العقليات كمباحث تتعلق بالذات والصفات والا
فعال من الالهيات والنبوات فان المتكلمين اجمعوا على وحدة المصيب
في العقليات الا عند بعض المعتزلة وهو ابو الحسن العنبري والجاحظ فانهما
قالا ان كل مجتهد مصيب في مسائل الكلام في شرح المنار لابن ملك وهذا
الخلاف في الشرعيات لا في العقليات التي هي من اصول الدين والحق فيها
واحد بالاجماع والمخطي كافر ان خالف ملة الاسلام كاليهودي والنصراني
انتهى وتقديره وان لم يخالف ملة الاسلام بان كان اجتهاده في غير
مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة فلا يكون كافرا ان اخطاء في ذلك
وهو ما فصلناه انفا فهولاء الثلاث والسبعون فرقة ان لم يكفروا
بجحود مجمع عليه من الدين بالضرورة كلهم مسلمون مجتهدون في دين

الاسلام

الاسلام من حيث الاعتقاد فمن اخطاء منهم في اجتهاده كان فاسقا مبتدعا
ضالا وليس بكافر ولا يثاب على خطائه كالخطاء المجتهد في العمليات
الا على مقتضى مذهب ابي الحسن العنبري والجاحظ من المعتزلة لتسويتهم في
صحة الاجتهاد وقبول الخطاء فيه بين العمليات والاعتقاديات ومما يؤيد
ما قلناه قوله صلى الله عليه وسلم كفوا عن اهل لا اله الا الله لا تكفروهم بذنب
فمن اكفر اهل لا اله الا الله فهو الى الكفر اقرب اخرجه السيوطي في الجامع وقال
شارحه المناوي فمخالف الحق من اهل القبلة ليس بكافر ما لم يخالف ما هو ضروري
الدين كحدوث العالم وحشر الاجساد فانه حينئذ ليس من اهل لا اله الا الله
فنكفره انتهى واذا تاملت هذا ظهر لك الجواب عن قول العلامة السعد التفتازاني
في شرح عقايد النسفي رحمهما الله تعالى والجمع بين قولهم لا نكفر احدا من اهل القبلة
وقولهم يكفر من قال بخلق القران او استحالة الرؤية او سب الشيخين رضي الله
عنهما او لعنهما وامثال ذلك مشكل انتهى كلامه فان المراد باهل القبلة من
لم يكفر بانكار مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة والتكفير بهذه الثلاثة
المذكورة مختلف فيه بين المجتهدين فمن اكفر بها اراد باهل القبلة من لم
يقل بذلك الا ملة واحدة استثناها فبقي اثنان وسبعون ملة مقدار ملل بني
اسرائيل وهذه الملة المستثناة لا تدخل النار اصلا بسبب عدم عصيانها في الاعتقاد
ان ماتت معتقدة مذهبها ولكن يمكن ان تدخل النار بسبب عصيانها في العمل
ايضا على معنى افتراقهم في الشيئين معا بقرينة قوله عليه السلام في صدر الحديث
حتى ان كان منهم من اتى امه علانية لكان في امتي من يصنع ذلك فان هذا امتا
بعة في العمل فتكون هذه الملة المستثناة لا تدخل النار اصلا بسبب عدم عصيا
في الاعتقاد وفي العمل ان ماتت على ذلك وهو المتبادر من ظاهر الحديث **قالوا**
اي من حضر من الصحابة رضي الله عنهم **من هي** اي تلك الملة الواحدة **يا رسول الله**
قال ما اي الذي او امر وشان معتقده ملة **انا** اليوم **عليه واصحابي** من
هذه الملة الاسلامية والسيرة المرضية المحمدية والمراد بالملة هنا وفيما تقدم
اصحاب الملة المعتقدون لها العاملون بمقتضاها من اطلاق احد المتجاورين
على الاخر لانها تجاورهم بالاعتقاد لها العاملون فصح اطلاقها عليهم
وان يرادوا بها كما قالوا من هي فاستفهموا عن اصحابها بمن التي تستعمل فيمن
يعقل فقال عليه السلام ما انا عليه مجيبا بما التي تستعمل فيما لا يعقل بمعنى
الملة نفسها وفي كتاب مدخل قال البيهقي قد اخبر سيدنا المصطفى صلى الله
عليه وسلم عما ظهر بعده من اختلاف الامة وحذرهم متابعة اهل الاهواء
منهم فيما احدثوا من البدعة وحثهم على متابعة سنته وسنة الخلفاء الراشدين

من بعده من الصحابة ودلالهم بالاشارة الى ما كانوا عليه على الفرقة الناجية
فمن سلك في دينه سبيلهم ولزم في متابعة الكتاب والسنة هديهم فاز فوزا عظيما
ونال خطا جسيما ولعل قائلا يزعم ان المجتهدين من اهل السنة والجماعة اختلفوا
ايضا اختلافا كثيرا وتباينوا تباينا شديدا فانهم وان اختلف اجتهادهم
فيما يسوغ فيه الاجتهاد فقد اجتمعوا من حيث لم يخالف واحد منهم كتابا
نصا ولا سنة قائمة ولا اجماعا ولا قياسا صحيحا عنده وان كل واحد منهم
قد ادى ما كلف به من الاجتهاد واحرز الاجر الموعود على طلب الصواب
واختصاص بعضهم باحراز الاجر الاخر الموعود على اصابة العين التي امر بالاجتهاد
في طلبها فضل الله يؤتيه من يشاء والذي لم يصبها غير اثم بالخطاء لانه انما
كلف في الحكم الاجتهاد على الظاهر دون الباطن ولا يعلم الا الله فهم مع اختلافهم
بهذا النوع من الاختلاف من اهل السنة والجماعة وانما ارضوا ان لا يوجد على
واحد منهم انه قصد ان يخالف كتابا نصا ولا حديثا ثابتا ولا قياسا
صحيحا عنده ولكن قد يجهل الرجل السنة فيكون له قول يخالفها لا انه عمد خلافها
وقد يغفل المرء ويخطئ في التأويل وقد تكون نازلة ويوجد لها في اصلين شبه
فيذهب ذاهب الى اصل والاخر الى اصل غيره فيختلفان ثم بسط الكلام في هذا
المقام الحديث الثالث عشر **ت** يعني روى الترمذي باسناده **عن**
انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي يا بني هذه حكاية
قول انس رضي الله عنه وفي هذا النداء لانس ما لا يخفى من الاكرام والتحنن
والانس **ان قدرت** اي قدرك الله تعالى بعنايته وتوفيقه **ان تصبح** يعني في كل
صباح طول عمرك **وتمسي** في كل مساء طول عمرك **و** الحال انه **ليس في قلبك**
اضمار **غش** بالكسر اسم من غشه لم يمحضه النصح او اظهر له خلاف ما اضمر
كغششه والغش الغل والحقد وبالضم الغاش كذا في القاموس **لاحد** بالتنكير
ليشمل المؤمن والكافر والصديق والعدو والانسان وغيره **فافعل** كذلك
وعود نفسك برياضتها على ذلك ليطهر قلبك من ادناس الوسواس **ثم**
قال النبي صلى الله عليه وسلم لانس رضي الله عنه **يا بني وذلك** يعني سلامة
القلب من اضمار الغش لاحد دائما **سنتي** اي سيرتي وطريقتي **ومن احب**
سنتي هذه وغيرها ايضا فعمل عليها حتى تخلق بها **فقد احبني** اي كان ذلك
دليلا على انه يحبني فان من احب احدا احب جميع افعاله كما قال القسطلاني
في مواهبه ومن علامات محبته صلى الله عليه وسلم محبة سنته وقراءة حديثه
فان دخلت حلاوة الايمان في قلبه اذا سمع كلمة من كلام الله تعالى او من
حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم تشربتها روحه وقلبه ونفسه فتعمه تلك

الكلمة

الكلمة وتشمله فتصير كل شعرة منه سمعا وكل ذرة بصرا فيسمع الكل بالكل
ويبصر الكل بالكل فحينئذ يستنير قلبه ويشرق سره وتتلاطم عليه امواج
التحقيق عند ظهور البراهين وترتوي بري عطف محبوبه الذي
لا شيء اروى من عطفه عليه ولا شيء اشد لتلهبه وحريقه من اعراضه ولهذا
كان عذاب اهل النار باحتجاب ربهم اشد عليهم من العذاب الجسماني كما ان
نعيم اهل الجنة برؤيته تعالى وسماع خطابه ورضاه واقباله اعظم من
النعيم الجسماني لا اوصلنا الله تعالى ذوق حلاوة هذا الشراب **ومن احبني كان**
معي في الجنة يعني اوصلته محبة الرسول صلى الله عليه وسلم الى النعيم الابدي
والرضوان السرمدي فان المرء مع من احب كما ورد في الحديث وليس
المراد انه معه في منزلته بل مطلع عليه وكاشف عنه وكل واحد منهما في
منزلته لم يتغير عنها قال الشيخ النووي في شرح مسلم عند الكلام على هذا
الحديث فيه فضل حب الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم والصالحين
واهل الخير الاحياء والاموات ومن افضل محبة الله تعالى ورسوله امتثال
امرهما واجتناب نهيهما والتأدب بالاداب الشرعية ولا يشترط في الا
نتفاع بمحبة الصالحين ان يعمل عملهم اذ لو عمله لكان منهم وقد صرح في
الحديث الذي بعد هذا بذلك فقال رجل يحب القوم ولما يلحق بهم قال
اهل العربية لما تنفي الماضي المستمر فتدل على نفيه في الماضي وفي الحال
بخلاف لم فانها تدل على الماضي فقط ثم انه لا يلزم من كونه معهم ان تكون
منزلته وجزاؤه مثلهم من كل وجه الحديث الرابع عشر **د ز** يعني روى
ابو داود والبزار باسنادهما **عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله**
عليه وسلم حين اتاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه **فقال** يعني عمر رضي
الله عنه **انا نسمع احاديث** جمع حديث وهي اخبار الكتب الماضية **من ناس**
يهود جمع يهودي وهم الزاعمون انهم الآن من امة موسى عليه السلام **تعجبنا**
تلك الاحاديث لما فيها من الحكم والمواعظ **افترى** اي افتنظر **ان نكتب** اي
نجمع عندنا **بعضها** لنعتبر به ونتعظ بمعانيه **فقال** صلى الله عليه وسلم
أمتهوكون انتم اي متحيرون قال الجوهري التهوك التحير وفي الحديث وفي
الحديث امتهوكون انتم قال ابن عمرون فقلت للحسن ما متهوكون قال
قال متحيرون والتهوك ايضا مثل التحير وهو الوقوع في الشيء بقلة مبالاة
كما تهوكت اي تحيرت **اليهود والنصارى** جمع نصراني وهم الزاعمون الآن انهم
من امة عيسى عليه السلام **لقد جئتكم** من عند الله تعالى **بها** اي بتلك الاحاديث
التي تعجبكم **بيضاء** اي منيرة مشرقة بالفاظ عربية فصيحة ومعان واضحة

رجيحة بخلاف تلك الاحاديث التي هي عند اهل الكتاب فانهم تلقوها من
انبيايهم باللسان العجمي وتناقلتها فهوم الجاهلية في ايام الفترة فكثفت
لطايفها وجهلت معارفها وطمست انوارها وكدرت انهارها **نقية**
اي خالصة من شوب الخفا والالتباس متطهرة من انواع العيوب
والادناس بخلاف احاديث اهل الكتاب فانهم لما نقلوها من العجمية
الى العربية دنسوها بقبايح كلماتهم وخلطوها بالخبايث وساوسهم
ولو كان موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام **حيا** في هذا الزمان
ما وسعه اي ما جاز له **الا اتباعي** ولا يسوغ له ان يستقل بشريعته وفي
اذ هو صلى الله عليه وسلم نبي الانبياء ورسول المرسلين من حضرة رب
رب العالمين وقد اخذ الله تعالى الميثاق على جميع الانبياء والمرسلين
ان كل من لقيه صلى الله عليه وسلم وادرك زمانه يكون تابعا له في
شريعته كما قال تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين الاية وقد قدمنا
الكلام على هذا المبحث وفي الحديث اشارة الى انه لا يجوز لعالم ولا جاهل ان
ينظر في كتب اهل الكتاب اليوم ولا في التوراة والانجيل والزبور والصحايف
الموجودة الان بايدي الكفار ولو بنية الانتصاح والاعتبار كما كره
الفقهاء الدخول الى البيعة او الكنيسة لانها ماوى الشياطين وكذلك
كتبهم وصحايفهم الان التي حرفوها وغيروها وبدلوها صارت مشتملة على
كلام الشياطين ولهذا صرح بعض الفقهاء بحرمة الاستنجاء بها اذ اخليت من
ذكر الله تعالى قال الشيخ علوان بن عطية الحموي رحمه الله تعالى في كتابه هداية العاقل
وما حوف من الكتب ونسخ لا حرمة له ولا يجوز الاعتنا بالمحرف ولا العمل به
بل بالغ بعض العلماء فجوز الاستنجاء بالتوراة التي في ايدي اليهود اليوم
وعندي فيه نظر الا ما تحقق تحريفه بالفاظ الكفرية ونحوها انتهى وقرات
في هذا المحل على هامش نسخة من الكتاب المذكور هداية العاقل من
خط العلامة الموصوم الشيخ شمس الدين الميداني قال ما ذكره من النظر هو
الصواب لان التوراة حق لا شك فيه فاحترامها واجب لانها كلام الله
تعالى ونحن الان شاكون فيها هل بدلت كلها لان فيها ما يجزم الانسان
بانه غير مبدل بل يقال بدل بعضها واختلف الا هل هو تبدل معنى مع
بقاء اللفظ بحاله او تبدل لفظ بلفظ وعلى كل تقدير فقد اشتملت على
معظم وغير معظم فاذا لم يتميز المبدل من غيره فتعظيمها رجوعا الى
الى الاصل واحتياطا للمعظم الذي لم يبدل وتحرم اهانتها تغليبا للمعظم

الذي

61

الذي انهم علينا انتهى كلامه ويؤيد هذا ان الايمة الحنفية كرهوا للجنب
قراءة التوراة وعللوا بنحو ما ذكر قال في شرح الدرر ويكره له اي
للجنب قراءة التوراة والزبور والانجيل انتهى وقد اخبرني رجل كان
يتردد الي انه دخل مرة كنيسة اليهود فكشفوا له عن صحايف التوراة فا
ستهان بها حتى انه غفلهم وبصق فيها وخرج ثم الى رايته بعد ذلك لم
يزل يتنكب في دينه وفي دنياه حتى مات الفتح ميتة وقيل انه قتل
نفسه والعياذ بالله تعالى فعلمت ان سببها اهانته لما ينسب الى الله تعالى
من الكلام وان كان محرفا وعرفت سر كراهة علمائنا قراءة التوراة للجنب حثا
على الاحترام وتعظيما لما ينسب الى كلام ذي الجلال والاكرام والحاصل انه لا
يجوز اهانة هذه الكتب المنسوخة ولا يجوز القراءة فيها ايضا ولا المطالعة
الحديث الخامس عشر **حد ز** يعني روى احمد بن حنبل والبزار باسنادهما
عن مجاهد رضي الله عنه انه قال كنا مع ابن عمر بن الخطاب رضي الله
عنهما **في سفر فمر بمكان فحاد** اي اعرض **عنه** اي عن ذلك المكان **فسئل**
اي سأله من حضره **لم فعلت ذلك قال** يعني ابن عمر رضي الله عنهما **رايت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ذلك** يعني حاد عن ذلك المكان
ففعلت انا كذلك وهذا من زيادة متابعته للنبي صلى الله عليه وسلم في
جميع افعاله واعماله واقواله واحواله الحديث السادس عشر **ز** يعني روى
البزار باسناده **عن ابن عمر** بن الخطاب **رضي الله عنه انه كان ياتي شجرة**
في صحة **بين مكة والمدينة فيقيل تحتها** من القايلة وهي نصف النهار وقال
قيلا وقايلة وقيلولة ومقالا ومقيلا وتقيل نام فيه فهو قايل كذا في القاموس والمعنى
انه كان ينام تحت تلك الشجرة وقت القيلولة ونصف النهار **ويخبر ان
النبي صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك** وهو يقتدي به ويتابعه في مثل
فعله الذي راه يفعله حرصا على متابعة السنة المحمدية قال الامام البيهقي
في المدخل ابا عبد الله الحافظ اخبره باسناده عن ابي جعفر محمد بن علي قال
لم يكن احد من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سمع من رسول الله صلى
الله عليه وسلم حديثا احذر ان لا يزيد فيه ولا ينقص منه ولا ولا من ابن
عمر وحدثنا ايضا باسناده عن مالك عن عبد الله ابن عمر انه كان يتبع
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم واثاره وحاله ويهتم به حتى كان قد خيف
على عقله من اهتمامه لذلك الحديث السابع عشر **م** يعني روى مسلم باسناده
عن انس رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رغب
اي اعرض **عن سنتي** يقال رغب فيه كسمع رغبا ويضم ورغبة ارادة

اعلم ان السنة قسمان سنة هدى كحضور الجماعة والختان
وغيرها وسنة عادية وتسمى ايضا كاتباعه صلى الله عليه وسلم
في الامور العادية كترتيب ... وترك الاولى محظور ومكروه تحريما
وترك الثانية غير محظور وفعله حسن وتركه مكروه تنزيها وفي
هذا الحديث تحث على اتباع كل منهما يؤيده قوله تعالى
لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة الاية ه

كارتغب وعنه لم يرده واليه ابتهل وهو الفراغة كذا في القاموس والسنة
الطريقة والسيرة تعم الاقوال والافعال والاحوال كما قدمنا **فليس** مجوبا
مني اي من ملتي وديني لاعراضه عن السنة واتباعه البدعة فان اعرض عنها
معتقدا الغاها فهو مبتدع فاسق وان لم يرها حقا وتهاون بها فهو كافر الحديث
الثاني عشر **حب** يعني روى ابن حبان باسناده عن عبد الله بن عمر
بن الخطاب **رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل عمل**
من اعمال بني آدم في الخير والشر بظاهره وباطنه **شرة** اي نشاط من
شرة الشباب بالكسر نشاطه كذا في القاموس والمعنى ان لابن آدم في كل عمل
عملا من الاعمال يقصده واختياره كان له الى ذلك العمل نشاطا وحرص
شديد ورغبة زائدة في وقت عمله له وبهذا لا يمكن في الغالب رجاعه
عنه بلوم او تعنيف ما لم يرجع هو بنفسه اذا تم نشاطه فيه كما قال الشاعر
لا ترجع الانفس عن غيها ما لم يكن منها لها زاجر **ولكل شرة** اي نشاط
الى عمل من الاعمال وشدة رغبة فيه من كل احد **فترة** تعال فتر
يفتر فتورا سكن بعد حدة ولان بعد شدة وفتر الماء سكن حره وفتر
جسمه فتورا لانت مفاصله وضعف كذا في القاموس والمعنى ان كل
من غلب نشاطه الى شيء مطلقا واشتدت رغبته فيه لا بد ان يضعف
منه ذلك النشاط وتزول تلك الحالة لان النفس جاهلة من اصل خلقتها ولها غفلة
ورعونة وطيش في طبيعتها لا تتكلف لشيء من ذلك لانها مجبولة عليه فاذا
ظهر لها كمال في شيء من الاعمال وغيرها سواء كان خيرا او شرا او نفعا او ضرا
حالا او مالا اقبلت على ذلك الشيء ورغبت فيه كمال الرغبة ونشطت اليه
ابلغ نشاط ولا يمكنها في ذلك الوقت ان ترجع عنه بوجه مطلقا حتى يتراءى
لها في ذلك الشيء وجه من وجوه النقص ولا بد ان يظهر لها ذلك في كل ما هي
رغبانة فيه وناشطة اليه كائنا ما كان ذلك الشيء فعند ذلك تذهب رغبتها
ويقل نشاطها وتضعف عما كانت فيه من قبل وهذا من كمال جهلها او نقصها
او زيادة رعونتها وحمقها **فمن كانت فترته** اي سكونه من نفسه وغلبة
رغبته في عمل من الاعمال مطلقا **الى سنتي** بان ترك اقباله على كل شيء وانهماكه
في كل امر واشتغل بالسنة النبوية والطريقة المحمدية **فقد اهتدى** اي وصل
الى السعادة الدنيا والاخرة **ومن كانت فترته** اي سكون نشاطه وضعف
طلبه من عمل من اعماله **الى غير ذلك** اي الى غير السنة بل كان الى البدعة او الى
عمل آخر من اعماله وهو معرض عن السلوك في طريق السنة **فقد هلك**

بالضلال

بالضلال في الدنيا والاخرة وفي الحديث اشارة الى ان مراعاة حظوظ
النفوس بالنشاط والحرص على المباحات غير مذموم لذاته بل ربما كان
محمودا اذا تركه الانسان بعد الاهتمام والانهماك فيه وعدل الى سنة
رسول الله صلى الله عليه وسلم في مراعاتها فانه لا راجع بها الا من نفسه
الى ربه اي من حظ نفسه الى امر ربه كما قال تعالى واما من خاف مقام ربه
ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى وفيه اشارة ايضا الى ان
الله تعالى يقبل العبد المسرف على نفسه اذا ترك ما كان فيه الخطايا
والآثام واقبل على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقيد بمتابعتها
والمحافظة عليها وان كان تركه خطاياه وآثامه سآمة منها وفتورا فيها
من عدم قبول طبيعته لها فان المقصود الشرعي ترك ذلك والاقلاع
عنه كيفما كان الحديث الثالث عشر **طك حب حك** يعني روى
الطبراني في المعجم الكبير وابن حبان والحاكم باسنادهم **عن عائشة رضي
الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ستة لعنتهم** يقال
لعنه اي طرده وابعده فهو لعين وملعون والمعنى دعوت الله
تعالى ان يطردهم ويبعدهم عن رحمته فقول الانسان عن غيره لعنه
الله دعاء منه بان الله لا يرحمه ضد قوله عنه رحمه الله وهو الدعاء بان
الله تعالى يرحمه وما ساغ ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم الا بعد علمه بلعن
الله تعالى لهم ولهذا قال **ولعنهم** اي طردهم **الله** تعالى وابعدهم عن رحمته
ويجوز للانسان لعن من لعنه الله كابليس والكافرين والظالمين واما
من لم يلعنهم الله تعالى فلا يجوز لعنهم روى الامام النووي في رياض الصالحين
عن ابي زيد ثابت ابن الضحاك الانصاري رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين بملة غير الاسلام كاذبا
متعمدا فهو كما قال ومن قتل نفسه بشيء عذب به يوم القيمة وليس على
رجل نذر فيما لا يملكه ولعن مؤمن فهو كقتله متفق عليه وعن ابي هريرة
رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينبغي لصديق رواه
مسلم وعن ابي الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيمة رواه مسلم وعن
ابي الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد
اذا لعن شيئا صعدت اللعنة الى السماء فتغلق ابواب السماء دونها
ثم تهبط الى الارض فتغلق ابوابها دونها ثم تاخذ يمينا وشمالا فاذا لم
تجد مساغا رجعت الى الذي لعن فان كان اهلا لذلك والا رجعت

مطلب

وليس على ابن آدم نذر فيما لا يملكه

ان يكون لعانا

الى قاتلها رواه ابو داود وهذا كله في لعن من لم يرد عن الله تعالى لعنه
بعينه ولا عن رسوله صلى الله عليه وسلم واما لعن غير المعينين من اصحاب
المعاصي فهو جائز قال تعالى الا لعنة الله على الظالمين وقال تعالى فاذن
مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين وثبت في الصحيح ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال لعن الله الواصلة والمستوصلة وانه قال لعن الله آكل
الربا وانه لعن المصورين وانه قال لعن الله من غير منار الارض اي حدودها
وانه قال لعن الله السارق يسرق البيضة وانه قال لعن الله من لعن
والديه ولعن الله من ذبح لغير الله وانه قال من احدث فيها حدثا او آوى
محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين وانه قال اللهم العن
رعلان وذكوان وعصية عصوا الله ورسوله وهذه ثلاث قبائل من
العرب وانه قال لعن الله اليهود اتخذوا قبور انبيائهم مساجد وانه
لعن المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال
وجميع هذه الالفاظ في الصحيح بعضها في صحيح البخاري ومسلم وبعضها
في احدهما وفي شرح صحيح مسلم للامام النووي رحمه الله تعالى قوله صلى الله
عليه وسلم اللهم انما انا بشر فاي المسلمين لعنته او سببته فاجعله له زكاة
واجرا وفي رواية او جلدته فاجعلها له زكاة ورحمة وفي رواية فاي المؤمنين
اذيته شتمته لعنته جلدته فاجعلها له صلاة وزكاة وقربة تقربه بها اليك
يوم القيمة وفي رواية انما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر واني اتخذت
عندك عهدا لن تخلفنيه فايما مؤمن اذيته او سببته او جلدته فاجعلها له زكاة
وقربة وفي رواية اني اشترطت على ربي فقلت انما انا بشر ارضى كما يرضى
البشر واغضب كما يغضب البشر فايما احد دعوت عليه من امتي بدعوة
ليس لها باهل ان يجعلها له طهورا وزكاة وقربة هذه الاحاديث مبينة
ما كان عليه صلى الله عليه وسلم من الشفقة على امته والاعتناء بمصالحهم
والاحتياط لهم والرغبة في كل ما ينفعهم وهذه الرواية المذكورة اخرا تبين
المراد بباقي الروايات المطلقة وانه انما يكون دعاؤه عليه كفارة ورحمة
ورحمة ونحو ذلك اذا لم يكن اهلا للدعاء عليه والسب واللعن ونحوه
وكان مسلما والا فقد دعا صلى الله عليه وسلم على الكفار والمنافقين
ولم ذلك لهم رحمة فان قيل فكيف يدعو على من ليس هو باهل للدعاء
عليه او يسبه او يلعنه فالجواب ما اجاب العلماء ومختصره وجهان
احدهما ان المراد ليس باهل لذلك عند الله تعالى وفي باطن الامر ولكنه في

فنقطعوا

مطلب

الظاهر

الظاهر مستوجب له فيظهر له صلى الله عليه وسلم مامور بالحكم بالظاهر والله
يتولى السرائر والثاني انما وقع من سبه ودعائه ونحوه ليس بمقصود بل
هو مما جرت به عادة العرب في وصل كلامها بلا نية كقوله تربت يمينك
ولا كبرت سنك وفي حديث معاوية لا اشبع الله بطنه ونحو ذلك لا
يقصدون بشيء من ذلك حقيقة الدعاء فخاف صلى الله عليه وسلم ان
يصادف شيء من ذلك اجابة فسال ربه سبحانه وتعالى ورغب اليه ان يجعل
ذلك رحمة وكفارة وقربة وطهورا واجرا وانما كان يقع منه هذا في
النادر والشاذ من الازمان ولم يكن صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا
ولا لعانا ولا منتقما لنفسه واما قوله صلى الله عليه وسلم اغضب كما يغضب
البشر فقد يقال ان السب ونحوه كان بسبب الغضب وجوابه ما ذكره
المازري رحمه الله تعالى قال يحتمل انه صلى الله عليه وسلم اراد ان دعاءه
وسبه وجلده كان مما خير فيه بين امرين احدهما هذا الذي فعله والثاني
زجره بامر اخر فحمله الغضب لله تعالى على احد الامرين المخير فيهما وهو سبه
او لعنه وجلده ونحو ذلك وليس ذلك خارجا عن حكم الشرع والله اعلم
وكل نبي من انبياء الله تعالى عليهم السلام **مجاب الدعوة** بمعنى ما دعا
من غير تاخير الى الآخرة والا فكل مؤمن مجاب الدعوة كما قال تعالى ادعوني
استجب لكم ولكن اما بعين ما دعا او باعلا منه او بادنى منه في الحال او
بعد زمان او في الآخرة على حسب ما تقتضيه الحكمة الالهية بل دعاء الكافر
مجاب ايضا كما قال ابليس اجعلني من المنظرين اي الى يوم الوقت المعلوم فا
ستجاب الله له وجعله من المنظرين واما قوله تعالى وما دعاء الكافرين الا
في ضلال فهو اخبار منه تعالى انهم لا يدعون فيما هو هدى لهم والله تعالى يجيب
لهم ايضا فيما يدعونه فهو يضلهم بدعائهم على حسب مشيئته تعالى فان قلت
حيث كان كل نبي مجاب الدعوة فلماذا لم تقع الاجابة لرسول الله صلى الله عليه
وسلم في دعائه ان يجعل الله تعالى حساب امته اليه يوم القيمة كما ورد في
حديث السيوطي في الجامع الصغير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
سالت الله ان يجعل حساب امتي الي لئلا تفتضح عند الامم فاوحى الله عز
وجل الي يا محمد انا احاسبهم فان كان منهم زلة سترتها عنك لئلا تفتضحوا
عندك حتى ذكر الشارح المناوي قال ابن العربي وفيه ان المصطفى صلى
الله عليه وسلم في اصل الاجابة كسائر المسلمين في انه يجوز ان يعطى ما دعا
فيه وان يعوض عما سال فالجواب ان الله تعالى اذا جعل حساب امة محمد

صلى الله عليه وسلم اليه سبحانه فان كان منهم زلة سترها لئلا يفتضحوا
عند نبيهم صلى الله عليه وسلم ايضا فهذه اجابة لدعاء النبي صلى الله عليه وسلم
على ابلغ وجه طلبه من الله تعالى لان مراده صلى الله عليه وسلم بان الله تعالى
يجعل حساب امته اليه لئلا يفتضحوا يوم القيمة عند الامم كما علل بذلك سواله
فاعطاه الله تعالى مراده من سواله بابلغ مما سال ولم يفضحهم عنده ايضا
لان حلم الله تعالى اوسع ورحمته اعم ومغفرته اشمل فقد يضيق صدر
رسول الله صلى الله عليه وسلم لكونه بشرا فلا يحتمل قبائح العصاة اذا عرضت
عليه فيشدد في الحساب عليهم يوم القيمة وان طلب ذلك في الدنيا
من الله تعالى لانه لم يطلع عليهم تفصيلا مثل اطلاع الله تعالى فبقي العموم على
اصله في ان كل نبي مجاب الدعوة كما ذكرنا وكلام ابن العربي معناه جواز
الاعراض عما سئل النبي صلى الله عليه وسلم لا وقوع وجواز الاعراض عن خصوص
ما طلب لا عمومه وفي حديث الاجابة باعلى مما طلب ثم اعلم بان قوله صلى الله عليه
وسلم ولعنهم الله يحتمل ارادة الاخبار عن الله تعالى انه لعنهم كما ذكرنا فالواو للعطف
ويحتمل انشاء اللعن عليهم من النبي صلى الله عليه وسلم فالواو للاستيناف
ويناسبه الاخبار بعده بان كل نبي مجاب الدعوة فمعناه ان دعوتي بلعنهم
مستجابة ولابد وقوله وكل نبي مجاب الدعوة يحتمل ايضا ان تكون الواو
للحال من فاعل لعنتهم وان تكون للعطف عليه والمعنى ان كل نبي مجاب
الدعوة لعنهم ايضا ويبقى قوله مجاب الدعوة صفة كاشفة لنبي كقوله
تعالى يحكم بها النبيون الذين اسلموا فان النبيين كلهم اسلموا وليس
منهم من لم يسلم ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الستة الذين لعنهم
فقال الاول منهم **الزائد** يعني الذي زاد **في كتاب الله تعالى** ما ليس منه
عامدا متعمدا بان وضع كلمة مثلا زائدة وعلمها لمن لم يقرا القران بعد
او كتب كلمة زائدة في المصحف وادخلها في كلام الله تعالى او اخترع كيفية
عمدا او قراءة بها انه من كتاب الله تعالى او زاد حكما من احكام الله تعالى بمجرد
قياس عقله وطبعه كمن حرم ما لم يحرمه الله تعالى في كتابه او اباح ما لم يبحه
الله تعالى في كتابه ولا يدخل في ذلك من حرم او اباح بالسنة او الاجماع او القياس
في المجتهد فانه حكم بالكتاب ايضا لانها منه كما قررنا وكذلك من اخترع
بعقله ورايه معنى الاية من كلام الله تعالى لا يليق بالشريعة كما روي عن ابن عباس
رضي الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال في القران بغير
علم فليتبوء مقعده من النار وفي رواية من قال في القران برايه اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن قال العلماء النهي عن القول في القران بالراي انما ورد في

حق

64

حق من يتاول القران على مراد نفسه وما هو تابع هواه وهذا لا يخلو
اما ان يكون عن علم او لا فان كان عن علم كمن يحتج ببعض ايات القران على
تصحيح بدعته وهو يعلم ان المراد من الاية غير ذلك لكن غرضه ان يلبس على
خصمه بما يقوي حجته على بدعته كما تستعمله الباطنية والخوارج وغيرهم
من اهل البدع في المقاصد الفاسدة ليغروا بذلك الناس وان كان القول
في القران بغير علم لكن عن جهل وذلك ان تكون الاية محتملة لوجه فيفسرها
بغير ما تحتمله من المعاني والوجوه فهذان القسمان مذمومان وكلاهما
داخل في النهي والوعيد الوارد في ذلك فاما التاويل وهو صرف الاية على
طريق الاستنباط الى معنى يليق بها يحتمل ما قبلها وما بعدها وغير مخالف
للكتاب والسنة فقد رخص فيه اهل العلم فان الصحابة رضي الله عنهم قد فسروا
القران واختلفوا في تفسيره على وجوه وليس كلما قالوه سمعوه من النبي صلى
الله عليه وسلم ولكن على قدر ما فهموا من القران تكلموا في معانيه وقد دعا
النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس فقال اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل
فكان اكثر ما نقل عنه التفسير كذا قاله ابو محمد الخازن في اول تفسيره **و** الثاني
المكذب بقدر الله اي الذي يقول لا قدر وانما الامر انف اي لم يتطرقه احد
من قولهم روضة انف بضمتين قال الجوهري روضة انف بالضم اي لم يرعها
والكلاء الانف اي الذي لم يرع وفي حواشي شرح السنوسية للعلامة الشيخ
محمد المقري رحمه الله تعالى قال الابي القدر لغة بالفتح وبالسكون مصدر
قدرت الشيء اذا احطت بمقداره وهو في عرف المتكلمين عبارة عن تعلق
علم الله تعالى وارادته ازلا بالكائنات قبل وجودها فلا حادث الا وقد
قدره الله سبحانه وتعالى ازلا اي سبق به علمه وتعلقت به ارادته وزعم كثير
ان معنى القدر جبر الله تعالى العبد على ما قدره وقضاه وليس كذلك
والقول بالقدر عقيدة اهل الاسلام اجمع الى ان ظهرت هذه الطائفة المسماة
بالقدرية اخر زمان الصحابة فقالوا لا قدر وانما الامر انف حتى ان الله تعالى
لا يعلم الاشياء قبل وجودها وانما يعلمها بعد ان تقع ومعبد الجهني هو
اول من قال بالقدر وغيلان الدمشقي واكثر مذهبهم مبني على منزع الفلا
سفة الالهيات لكن لفظه رجعت جميع طوائفهم عنه مع بقائهم على
اصل الاعتزال من اثبات منزلة بين المنزلتين ويسمونه عدلا ونفي
الصفات الذي اطبقت طوائفهم عليه واخذوه ايضا من الفلاسفة
ويسمونه توحيدا ليدرؤا بذلك عن انفسهم اسم المجوسية التي سماهم بها
الشرع في قوله صلى الله عليه وسلم القدرية مجوس هذه الامة وزعموا ان

القدر المذموم المعني في الحديث انما هو القدر الاول وليس المعني في الحقيقة
الا هم لانهم شاركوا المجوس في الثنوية في اثبات غير الله تعالى حيث قالوا
العبد الخالق لافعاله والخير من الله والشر من غيره انتهى وقد اخبر صلى الله عليه وسلم
عنهم ايضا بما يلزمهم معنى المجوسية الوارد في الحديث المذكور كما اخرج الاسيوطي
في الجامع الصغير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيكون في امتي اقوام
يكذبون بالقدر انتهى قال المناوي اي لا يصدقون بانه تعالى خلق افعال
عباده كلها من خير وشر وكفر وايمان واخرج الاسيوطي ايضا قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم القدر نظام التوحيد فمن وحد الله وامن بالقدر
فقد استمسك بالعروة الوثقى وقال المناوي رحمه الله تعالى في شرحه لان من
قطع بان الخلق لو اجتمعوا كلهم على ان ينفعوه لم ينفعوه الا بشيء قدره الله له
ولو اجتمعوا على ان يضروه لم يضروه الا بشيء قدره الله عليه وطرح الاسباب
فقد استمسك باعظم العرى واستنار قلبه وانشرح صدره وايقن بان
العبد لا يعلم مصلحته الا ان اعلمه الله اياها ولا يقدر على تحصيلها حتى يقدره
الله عليها ولا يريد ذلك حتى يخلق الله فيه ارادة ومشيئة فعاد الامر كله
الى من ابتداء منه وهو الذي بيده الخير كله واليه يرجع الامر كله قيل
وفي التقدير بطلان التدبير والمرء طالب والقضاء غالب والقضاء يبعد
القريب ويقرب البعيد انتهى وفي مختصر شرح الامام النووي على صحيح مسلم
قال اعلم ان مذهب اهل السنة اثبات القدر وهو انه سبحانه وتعالى قدر
الاشياء في القدم وعلم سبحانه انها ستقع في اوقات معلومة عنده سبحانه
وتعالى وعلى صفات مخصوصة فهي تقع على حسب ما قدرها سبحانه وانكرت
القدرية هذا وزعمت انه سبحانه لم يقدرها في سابق علمه وانها مستانفة العلم
يعلمها سبحانه بعد وقوعها كذبوا تعالى ربنا وتقدس عن اقوالهم الباطلة
علوا كبيرا وسميت هذه الفرقة القدرية لانكارهم القدر وقد انقرضت هذه
الفرقة وصارت القدرية في هذه الازمان تعتقد ان الخير من الله والشر من
غيره تعالى الله عن ذلك قال امام الحرمين في ارشاده ان بعض القدرية
قال لسنا قدرية بل انتم القدرية لاعتقادكم اثبات القدر وهذا جهالة
وتواقح فانا بحمد الله تعالى نفوض امورنا الى الله تعالى ونضيف
جميع الامور الى الله تعالى وهؤلاء الجهلة يضيفونها الى انفسهم ومضيف
الشيء الى نفسه اولى بان ينسب اليه ممن يعتقده لغيره قال امام الحرمين
وقد قال صلى الله عليه وسلم القدرية مجوس هذه الامة شبههم بهم لتقسيمهم

الخير

الخير والشر الى الرحمن وهذا الحديث اخرجه ابو داود واخرجه الحاكم في
المستدرك على شرط الصحيحين وقال الخطابي التشبيه من حيث ان المجوس
اضافت الخير الى النور والشر الى الظلمة ثم قال وقد يحسب كثير من الناس
ان معنى القضاء والقدر اجبار الله تعالى العبد على ما قضاه وليس كذلك
وانما معناه الاخبار من تقدم علم الله تعالى بما يكون من افعال العباد وصدورها
عن تقدير منه وخلق لخيرها وشرها والقدر اسم لما صدر مقدرا
عن فعل القادر وقدر بتخفيف الدال وتشديدها والثالث المتسلط
من التسلط وهو اطلاق القهر والقدرة والسليط الشديد واللسان
الطويل والطويل اللسان وقد سلط ككرم وسمع سلاطة وسلوطا بالضم
كذا في القاموس والمعنى المطلق قهره وقدرته او المطلق لسانه بالسب
والشتم على امتي امة الاجابة وانما هذين من امة الدعوة بالجبروت
اي بالتكبر والباطل والغرور ليذل من امتي له او لغيره او مطلق الذلة
من اعزه الله اي جعله الله عزيزا بعلم او دين وصلاح او منصب دنيوي
او مال حلال او معرفة صنعة او قراءة وصدق او حسن خلق او خلقة
او نحو ذلك ويعز من الامة ايضا اي يجعل عزيزا عنده او عند غيره من
اذل اي جعله الله تعالى ذليلا بسبب الجهل وفساد الدين او قلة
العمل بالعلم او سوء الخلق ويدخل في ذلك اعوان الظلمة الذين لم يقصدوا
بخدمة الحكام نصرتهم في تنفيذ الاحكام الشرعية والرابع المستحل اي
يستحل يعني يستبيح لحرم الله بفتحتين وهو حرم مكة حرم الله ورسوله
يعني الموضع الذي يحرم لاجل الله ورسوله فلا تهتك فيه حرمة الله ورسوله
قال في شرح الشرعة المسمى بجامع الشروح الحرم حرم مكة ومقداره من
قبل المشرق ستة اميال ومن الجانب الثاني اثنا عشر ميلا هكذا قال
الفقيه ابو جعفر وذكر ان الحجر الاسود اخرج من الجنة وله ضوء فكل موضع
بلغ ضوؤه مكانه محترما فيعظمه بابلغ ما يقدر عليه من التعظيم
واعلم ان المواقيت الخمسة التي وقتها النبي صلى الله عليه وسلم وعينها
للاحرام فناء للحرم وهو فناء للبيت شرفه الله تعالى ومن قصد مكة سواء كان
للزيارة او غيرها لا يحل له التجاوز من هذه الافنية غير محرم تعظيما
له الا اذا كان القاصد من داخل الميقات فيحل له ان يدخل مكة بلا
احرام لحاجة غير الحج والعمرة وجاء في الاثر ان الله ينظر في كل ليلة الى
اهل الارض فاول من ينظر اهل الحرم واول من ينظر اليه من اهل الحرم

هكذا النسخة التي شرح عليها الشيخ رحمه الله تعالى
ولعلها رواية ايضا واما ما هو في الشرح
وعليها شرح الاكثر والمستحل ما حرمه الله تعالى
اي الذي يستحل شيئا حرمه الله بالادلة القطعية
وصارت حرمته معلومة من الدين بالضرورة
واعتقد حل ذلك فهو كافر ملعون الا ان يكون
قريب عهد بالاسلام او نشأ بالبادية بعيدا
من العلماء فيعرف بذلك فان اصر عليه بعد علمه
بذلك كفر والا فهو فاسق انتهى من المواهب وغيرها

اهل المسجد الحرام فمن رآه طايفا غفر له ومن رآه مصليا غفر له ومن
رآه نايما مستقبل القبلة غفر له ولا يحل لاحد ان يحمل سلاحا للمحاربة مع
المسلمين اما حمل السلاح للبيع والمحاربة مع الكفار فيجوز كما فعل النبي صلى
الله عليه وسلم للفتح ولا يجني فيه جناية على النفس وما دونها ولا يؤذي
فيه مسلما واذا اراد ان ياكل او يقضي حاجة من البول والتغوط خرج الى
الحل ان استطاع الخروج والا فالى مقدار ما يستطيع عليه كما روي في حق
كل منهما من الاحاديث والاثار حكي ان عمر بن عبد العزيز وامثاله من الامراء
كان يضرب فسطاطين فسطاطا في الحرم وفسطاطا في الحل فاذا اراد ان يصلي
او يعمل شيئا من الطاعات دخل فسطاط الحرم رعاية لفضل المسجد الحرام واذا
اراد ان يتكلم او ياكل او غير ذلك خرج الى فسطاط الحل كذا في الخلاصة ولا
يطيل بمكة الاقامة لان الاقامة يسأم من مجاورة الحرم او يقصر في تعظيمه وهذا
كان عمر الفاروق رضي الله عنه يضرب الحجاج اذا حجوا ويقول يا اهل اليمن يمنكم
ويا اهل الشام شامكم ويا اهل العراق عراقكم وتكره اطالة المجاورة فيها عند ابي
حنيفة رضي الله عنه خلافا لهما ولا تظنن ان كراهة ذلك تناقض فضل البقعة
لان هذه كراهة عللها ضعف الخلق وقصورهم عن القيام بحق الموضع وفي الا
شباه والنظاير وفي احكام الحرم لا يدخله احد الا محرما وتكره المجاورة فيه ولا يقتل
ولا يقطع من فعل خارجه والتجأ به ويحرم التعرض لصيده ويجب الجزاء بقتله
ويحرم قطع شجره ورعي حشيشه الا الاذخر ويسن الغسل لدخوله وتضاعف
فيه الصلاة وحسناته كسيئاته ويؤاخذ فيه بالهم ولا يسكن فيه كافر وله
الدخول فيه ولا تمتع ولا قران لمكي وتختص الهدايا به وتكره اخراج حجارته
وترابه وهو مساو لغيره عندنا في التغليظ والدية على القاتل فيه خطأ ولا
حرم للمدينة عندنا فلا تثبت له هذه الاحكام الا انا نسن الغسل لدخولها
وكراهة المجاورة بها انتهى وذكر الداري رحمه الله تعالى في كتاب الاحكام
قال في الحقايق لا حرم للمدينة عندنا وعند الشافعي رحمه الله تعالى لها حرم ثم
اتفقت اقاويله انه لا يباح قتل صيد المدينة ولا قطع اشجاره واختلف
واختلف اقاويله في وجوب الجزاء وفي المصفى والاصل ان اثبات الشرع
بالراي لا يجوز الحاق حرم المدينة بحرم مكة بالراي حتى لا يجوز اخذ صيده واما
قوله صلى الله عليه وسلم ان ابراهيم عليه السلام حرم مكة وانا احرم المدينة فمعناه
احل الحرمة وذكر بعد ذلك في بيان الحرم المكي قال ذهب جماعة من
السلف الى ان السيئات تتضاعف بمكة كما تتضاعف الحسنات منهم ابن عباس
وابن مسعود ومجاهد واحمد بن حنبل وغيرهم لتعظيم البلد والعقاب

على

66

على الهم بالسيئات بها وان لم يفعلها قال تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه
من عذاب اليم ولهذا تعدى فعل الارادة بالباء لتضمنه معنى هم وهذا مستثنى
من قاعدة الهم بالسيئة وعدم فعلها كما في ذلك تعظيما لحرمته ولذلك اهلك
الله تعالى اصحاب الفيل قبل الوصول الى بيته وقال احمد بن حنبل رضي الله عنه
لو ان رجلا هم ان يقتل في الحرم اذاقه الله تعالى من العذاب الاليم ثم قرأ الاية
وقال ابن مسعود رضي الله عنه ما من بلدة يؤاخذ العبد فيها بالهم قبل
الفعل الا مكة وقرأ الاية وتورع بعضهم عن قضاء الحاجة بمكة وكان
يتاول انها مسجد وهذا التاويل مردود بالاجماع وبفعله عليه السلام
واصحابه والسلف نعم روى الطحاوي في تهذيب الاثار من حديث ابن
عمر رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم لما كان بمكة كان اذا اراد حاجة
الانسان خرج الى المغمس وهو على ميلين من مكة رواه الطبراني في الا
وسط من طريق اخر انتهى ووجدت في كتاب مشارق الانوار القدسية في
العهود المحمدية للشيخ عبد الوهاب الشعراني رحمه الله تعالى قال سمعت
سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى يقول لشخص من العلماء اراد الحج اياك
يا اخي ان تجاور في مكة او المدينة فتعجز عن القيام بادابها فيصدق عليك
المثل حججت ومعك خرج وزر فرجعت وفوق ظهرك الف خرج او وزر
فقال له يا سيدي اسمحوا لي بالمجاورة فقال له لا اسمح لك الا ان كنت تدخل
على الشروط فقال له وما الشروط فقال منها انك لا تدخر قط فيها قوتا ولا
دراهم مدة اقامتك فيها ومنها ان لا تاكل قط طعاما وحدك وانت تعلم
فيها احدا جايعا في ليل او نهار ومنها ان تلبس الهدوم والخلقات ولا
تلبس شيئا قط من الثياب الفاخرة بل تبيعها وتنفقها على الفقراء الجياع
ومنها ان لا تحن مدة اقامتك الى رجوعك الى بلدك ابدا ولا تشتاق
الى دار ولا ولد ولا الى وظيفة ولا الى اخوان في مكة لانك في حرم
الله الخاصة ولا يؤاخذ منك الا قلبك وقلبك خرج من حضرته فبقيت
في حضرته جسما بلا قلب ومنها لا يطرقه مدة اقامته هلع ولا رايحة اتهام
للحق تعالى من امر رزقه ولا يخاف ان يضيعه ابدا لان اهل حضرته تعالى
لا يجوز لهم ذلك بل ربما مقت صاحب الاتهام وطرد من حضرة الله
تعالى لسوء ادبه وضعف يقينه وهو يرى الحق تعالى يطعمه ويسقيه من
حين كان في بطن امه الى ان شابت لحيته وهذا من اقبح ما يكون مع
ان تلك الارض بالخاصية الهلع والاتهام للحق في امر الرزق حتى لا يكاد

يسلم من ذلك الا الاكابر الاولياء ومن هنا كره الاكابر الاقامة بمكة
ومنها ان لا يخطر في نفسه مدة اقامته هناك معصية ابدا ولو بعد
الوقوع من مثله بحيث يقرب الوقوع ومن هنا سافر الاكابر من الاولياء
بنسائهم وتكلفوا مؤنة حملهم لاجل ذلك وكان الشعبي رضي الله عنه يقول
لان اقيم في حمام احب الي من ان اقيم بمكة وكان يقول لان اكون
موقوفا بنحو اساف احب من اقيم بمكة خوفا ان يخطر في نفسي ارادة
ذنب ولو لم افعل فيبتغي الله من عذاب لقوله تعالى ومن يرد فيه
بظلم نذقه من عذاب اليم وهذا خاص بالحرم المكي فهو مستثنى من حديث
ان الله تجاوز عن امتي ما حدثت به انفسها ما لم تعمل وقد قالوا لابن عباس
رضي الله عنهما لما سكن الطائف لم لا تقيم بمكة فقال لا اقدر على حفظ خاطري
من ارادة ظلمي للناس او ظلمي لنفسي فكيف لو وقعت في الفعل فان الله لم
لم يتوعد احدا على مجرد ارادته السوء دون الفعل الا بمكة فقال الشيخ
يا سيدي التوبة عن المجاورة وحج ولم يجاور والخامس **والمستحل** اي المستبيح بمعنى
المنتهك **من عترتي** وهي بالكسر نسل الرجل ورهطه وعشيرته الادنون
ممن مضى ومن سيأتي والمعنى من ذريتي ومن اهل بيتي الثابت نسبهم بطريق
التواتر او الشهرة او حكم الحاكم كان صار واقعة شرعية وثبت بالبينة والا
فهو مظنون محترم على الظن **ما** اي فعلا او قولا او ظنا **حرم الله** اي حكم الله
بحرمته كالزاني بهم والقاذف لهم او الشاتم او الذي ظن بهم سوءا او اغتابهم او ظلمهم ونحو
ذلك فان اثمه ابلغ من اثم من فعل مثل ذلك مع غيرهم هذا الحديث حيث
اذى رسول الله صلى الله عليه وسلم بايذاء ذريته **والتارك لسنتي**
الفعلية او القولية او الاعتقادية او الحالية وهي السنن المؤكدات دون
الزوائد والمستحبات واخرج البيهقي هذا الحديث ايضا في المدخل برواية
اخرى عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ستة لعنتهم لعنهم الله وكل نبي مجاب الزائد في كتاب الله والمكذب بقدر
الله والمتسلط بالجبروت ليذل بذلك من اعز الله ويعز من اذل الله
والمستحل لحرم الله والمستحل من عترتي ما حرم الله والتارك لسنتي
واخرجه ايضا باسناده الى عبيد الله بن عبد الرحمن بن موهب قال
سمعت علي ابن الحسين يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة
لعنتهم لعنهم الله وكل نبي مجاب فذكر الحديث بتمامه الحديث العشرون
خم يعني روى البخاري ومسلم باسنادهما **عن انس رضي الله عنه انه**
قال قال يعني النبي **صلى الله عليه وسلم لا يؤمن** اي يصدق بالحق الذي جئت به

ظاهرا

67

ظاهرا وباطنا ويذعن له وينقاد اليه **احدكم** ابدا **حتى اكون احب** اي اكثر
حبا **اليه** في الظاهر والباطن **من والديه** اي ابيه وامه الذي تولد منهما فهما
اصله **ومن ولده** اي ايضا الذي تولد منه ذكرا كان او انثى فهو فرعه
ومن الناس اي بقية قرابته والاجانب عنه من اصحابه وغيرهم **اجمعين**
تاكيد للكل من والديه وولده والناس فان الوالد والوالدة وان لم يطلقا
على الجد والجدة يراد بهما الاب والام فيشملان الاجداد والجدات كما قيل
يا بني ادم وهو جدهم فقال الشاعر

الناس من جهة التكوين اكفاء ابوهم ادم والام حواء

مع ان حواء جد
وكذلك الولد شامل للابن وابن الابن وان سفل وللبنت وبنت
البنت وان سفلت قال الامام القرطبي في شرح مسلم عند الكلام على حديث
لا يؤمن عبد حتى اكون احب اليه من اهله وماله والناس اجمعين هذا الحديث
على ايجازه يتضمن ذكر اصناف المحبة فانها ثلاثة محبة اجلال واعظام كمحبة
الوالد والعلماء والفضلاء ومحبة رحمة واشفاق كمحبة الولد ومشاكلة ومحبة
واستحسان كمحبة غير من ذكرنا وان محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم لابد
ان تكون راجحة على ذلك كله دائما كان ذلك لان الله تبارك وتعالى كمله
على جميع جنسه وفضله على سائر نوعه بما جعله عليه من المحاسن الظاهرة
والباطنة وبما فضله به من الاخلاق الحسنة والمناقب الجميلة فهو اكمل من
وطئ الثرى وافضل من ركب ومشى واكرم من وافى القيامة واعلاهم منزلة
في دار الكرامة قال القاضي ابو الفضل فلا يصح الايمان الا بتحقق انافة قدر
النبي صلى الله عليه وسلم ومنزلته على كل والد وولد ومحسن ومفضل ومن
لم يعتقد هذا واعتقد سواه فليس بمؤمن وظاهر هذا القول انه صرف محبة
النبي صلى الله عليه وسلم الى اعتقاد تعظيمه واجلاله ولا شك في كفر من لا يعتقد
ذلك غير ان تنزيل هذا الحديث على ذلك المعنى غير صحيح لان اعتقاد الا
عظمية ليس بالمحبة ولا الاحبية ولا مستلزما لها اذ قد يجد الانسان من
نفسه اعظام امر او شخص ولا يجد محبته ولان عمر رضي الله عنه لما سمع قول
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه
وولده ووالده والناس اجمعين قال يا رسول الله انت احب الي من كل شيء
الا نفسي فقال ومن نفسك يا عمر فقال ومن نفسي فقال الان يا عمر
وهذا كله تصريح بان هذه المحبة ليست باعتقاد تعظيم بل ميل الى
المعتقد تعظيمه وتعلق القلب به فتامل هذا الفرق فانه صحيح ومع
ذلك الميل والمحبة للنبي صلى الله عليه وسلم لم يكمل ايمانه على اني اقول

تم

قول الامام القرطبي ان المحبة ثلاثة وان محبة الرسول
صلى الله تعالى عليه وسلم لا بد ان تكون
راجحة على ذلك كله

ان كل من صدق النبي صلى الله عليه وسلم وامن به ايمانا صحيحا لم يخل
عن وجدان شيء من تلك المحبة الراجحة للنبي صلى الله عليه وسلم غير انهم
في ذلك متفاوتون فمنهم من اخذ من تلك الاريحية بالحظ الاوفر كما قد
اتفق لعمر رضي الله عنه حين قال ومن نفسي وهند امراة ابي سفيان
حين قالت للنبي صلى الله عليه وسلم لقد كان وجهك ابغض الوجوه
كلها الي فقد اصبح وجهك احب الوجوه كلها الي الحديث وكما قال عمرو بن
العاص لقد رايتني وما احد احب الي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا
اجل في عيني منه وما كنت اطيق ان املاء عيني منه اجلالا له ولو شئت ان
اصفه ما اطقت لاني لم اكن املاء عيني منه ولا شك في ان حظ اصحابه من
هذا اعظم لان معرفتهم بقدره اعظم لان المحبة ثمرة المعرفة فتقوى وتضعف
بحسبها ومن المؤمنين من يكون مستغرقا بالشهوات محجوبا بالغفلات عن
ذلك المعنى في اكثر اوقاته فهذا باخس الاحوال لكنه اذا ذكر بالنبي صلى الله
عليه وسلم او بشيء من فضائله اهتاج لذكره واشتاق لرؤيته بحيث يؤثر
رؤيته بل رؤية قبره ومواضع اثاره على اهله وماله وولده ونفسه والناس
اجمعين فيخطر له هذا ويجده وجدانا لا شك فيه غير انه سريع الزوال والذهاب
لغلبة الشهوات وتوالي الغفلات ويخاف على من كان هذا حاله ذهاب اصل
تلك المحبة حتى لا يوجد منها حبة فنسال الله الكريم ان يمن علينا بدوامها
وكمالها ولا يحجبنا عنها وفي مختصر شرح النووي على مسلم عند الكلام على هذا
الحديث قال الخطابي لم يرد به حب الطبع بل اراد به حب الاختيار اذ حب
الطبع لا يمكن قلبه فمعناه لا تصدق في حبي حتى تفني في طاعتي نفسك
وتؤثر رضاي على هواك وان كان فيه هلاكك ومعنى الحديث ان من استكمل
الايمان علم ان حقه صلى الله عليه وسلم اكد من حق ابيه وابنه والناس اجمعين
وكيف وقد استنقذنا من النار وهدانا الى الصراط المستقيم ومن محبته نصرة
سنته والذب عن شريعته واجلالها وتعظيمها التعظيم اللائق ولا يصح الايمان
الا بتحقيق اعلاء قدر النبي صلى الله عليه وسلم على كل والد وولد ومحسن ومفضل
وقال ابن اقبرس في شرح الشفاء محبته صلى الله عليه وسلم هي الواجب
الوصف الثابت الصحيح المرضي اذ لا يكون المؤمن مؤمنا دون محبة رسول الله
صلى الله عليه وسلم وذلك واجب عقلا وشرعا اما عقلا فان جميع ما كان
عليه قولا وفعلا امرا ونهيا مستحسن في العقول وقد علم ذلك للكفار
كهرقل حيث سئل ابا سفيان في قوله فماذا يامركم به الحديث في اول الصحيح
البخاري هذا من جهة معناه واما صورته فكما ثبت انه احسن خلق الله صورة

فكان

فكان كاملا صورة ومعنى ولا شك في كون ذلك من دواعي المحبة ولبابها
من جهة العقل ولا يخالف عاقل في ذلك فان النفوس مجبولة على حب الصور
الحسان والمعاني الجميلة المتصورة في الاذهان واما شرعا فبالكتاب
والسنة اما الكتاب فبقوله تعالى قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم
وعشيرتكم واموال اقترفتموها الاية وفيها دلالة وحجة على الزام المحبة ووجوبها
وعظم خطرها واما السنة فبالاحاديث الواردة في ذلك وقال
الشيخ القسطلاني في المواهب اللدنية روى ابو هريرة انه صلى الله عليه
وسلم قال لا يؤمن لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من والده وولده رواه
البخاري وقدم الوالد للاكثرية لان كل احد له والد من غير عكس وفي رواية النسائي
والنسائي تقديم الولد على الوالد وذلك لمزيد الشفقة وزاد في رواية عبد
العزيز بن صهيب عن انس والناس وفي صحيح ابن خزيمة من اهله وماله
بدل من والده وولده وذكر الوالد والولد دخل في المعنى لانهما اعز على العاقل
من الاهل والمال بل ربما يكونان اعز من نفسك ولذا لم يذكر النفس في حديث
ابي هريرة وذكر الناس بعد الوالد والولد من عطف العام على الخاص الفصل
الثاني من الفصول الثلاثة من الباب الاول في بيان اقسام البدع وذكر احكا
وهي جمع بدعة خلاف السنة اسم للاعتقاد المخالف والعمل المخالف والقول
المخالف والاصل فيه ان الله تعالى لم يخلق المكلفين الا للعبادة كما قال تعالى وما
خلقت الجن والانس الا ليعبدون والعبادة هي الذل للمعبود وذلك بترك الدخول
تحت احكام العقول ومقتضيات الطباع من التحسينات والتقبيحات
واسلام النفس بالكلية لربها تستحسن ما استحسنه لها ربها وتستقبح ما
استقبحه منها وقد امنت برسوله الصادق وكتابه المنزل بالحق فلزمها ان تدخل
تحت تصرفات احكام الكتاب والسنة فمتى اخترعت امرا مطلقا فقد خرجت
عن العبودية لله تعالى وانفصلت عن مقتضى الاسلام وبرئت من حكم الكتاب
والسنة فان كان ذلك الامر في الاعتقاد فان اوجب جحود مجمع عليه معلوم من
الدين بالضرورة كانت بدعة مكفرة وان لم يكن في الاعتقاد بل في مجرد القول
فهو الفسق ان اوجب فعل محرم او ترك فرض وسياتي لهذا زيادة بيان ان
شاء الله تعالى في هذا الفصل والدليل على قبح البدع الاخبار الواردة عن
النبي صلى الله عليه وسلم وهي ستة احاديث الحديث الاول خ م يعني روى
البخاري ومسلم باسنادهما عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من احدث اي ابتدع واخترع في امرنا اي شاننا
وهو شرع محمد صلى الله عليه وسلم هذا اشار اليه من كمال استضاءته وشرف

منزلته عنده وشدة ظهوره له ومنه بحيث صار كانه امر محسوس لا للبصر ما
اي اعتقادا او قولا او فعلا او حالا او زيادة فيما شرع من ذلك او نقصانا منه
ومعنى الاحداث فيه ادراجه في جملة احكامه ورجاء الثواب عليه **ليس منه** اي
من امرنا المذكور بان كان ليس من مقصود الشرع ولم يكن فيه داعية الى اقامة
مقصود الشرع **فهو** اي ما احدثه مما ذكرنا **رد** اي مصروف عنه لا امرنا وعدم ايمان
فيه وتخطئة له او هو مصدر بمعنى اسم المفعول مبالغة اي مردود عليه غير مقبول
منه وفيه اشارة الى ان البدعة اذا لم تكن في الدين والعبادة بان كانت في
العادة لم تكن ردا نحو البدع في الماكل والمشارب والملابس والمراكب
والمساكن مما لم يقصد بها فاعلها التقرب الى الله تعالى بل مراده مجرد الاستعمال
ما لم يترتب عليها ترك طاعة شرعية او فعل امر منهي عنه كما اذا ادى لبس العمامة
الكبيرة الى عدم التمكن من السجود في الصلاة او اقتضى نفي الخشوع فيها
وكذلك اذا اشتغل الخاطر عن الطاعة بلبس الثياب الجميلة او ادى الى رياء
وعجب ونحو هذا فيكره حينئذ فعل ذلك **وفي رواية** اخرى عن عائشة
رضي الله عنها انها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **من عمل عملا** بقلبه
او بجوارحه او بلسانه او بكله بان اعتقد او فعل او قال او تخلق بامر **ليس عليه
امرنا** اي شاننا يعني شرعنا المحمدي **فهو رد** علينا او عليه كما ذكرنا الحديث
الثاني **خ** يعني روى البخاري باسناده **عن الزهري رضي الله عنه قال دخلت
على انس** بن مالك رضي الله عنه **وهو** الواو للحال اي والحال ان انسا
رضي الله عنه **يبكي فقلت ما** يعني اي شيء **يبكيك** يا انس قال **لا اعرف**
يعني الان **شيئا** اي من الاشياء العظيمة التي **ادركت** اي ادركته
في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقدير الكلام فبقي من غير تغيير عما كنت
ادركته **الا هذه الصلاة** اي جنسها فيشمل الفرض والواجب والنفل انما ذكر
الصلاة لاستحضارها في ذهنه او لتعظيم امرها عنده لانها ثانية الايمان **و**
الحال ان **هذه الصلاة** الان **قد ضيعت** بالضم والتشديد اي ضيعها الناس
فلم ياتوا بها على الوجه الاكمل من اتمام شروطها واركانها وواجباتها وسننها
ومستحباتها وادابها وترك مفسداتها ومكروهاتها ومراعات خشوعها
والحضور فيها وجمع القلب عليها من غير التفات الى غيرها كما قال تعالى
فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف
يلقون غيا قال العز بن عبد السلام في تفسيره خلف اولاد سوء وبالفتح
للمدح قيل هم من هذه الامة من بني امية وركبوا البرذون ولبسوا المشهور
واضاعوا الصلاة اخروها او تركوها او حدودها او شروطها وهو اسم

الجنس

الجنس وقرأ الحسن بالجمع وغيا خسرانا او عذابا او شرا او ضلالا
وخيبة وقيل واد في جهنم وقال الخازن اضاعوا الصلاة اي تركوا
الصلاة المفروضة وقيل اخروها عن وقتها وان لا يصلي الظهر حتى ياتي
العصر ولا العصر حتى تغرب الشمس وقال ابو عبد الرحمن السلمي قال
محمد بن حامد اولئك قوم حرموا تعظيم الانبياء والاولياء والصد
يقين فحجبهم الله تعالى عن معرفته واصابتهم شقاوة تلك الحال فاضاعوا
الصلاة التي هي محل الوصلة للعبد مع سيده ترسموا بها ولم يتحققوا
واتبعوا اراءهم واهواءهم فاصابهم الخذلان وحرموا بذلك السعادة واثر
الشقاوة على العبيد هو حرمان الخدمة وتعظيم من عظم الله حرمته انتهى

مطلب

وخلاصة المعنى في هذا الحديث هو بكاء انس رضي الله عنه على اضاعة
الصلاة بالزيادة فيها والنقص منها مما هو خلاف السنة التي كان
يعهدها في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم ومخالفة السنة هو البدعة
وفيه الحث على اظهار الاسف والحزن عند انتهاك حرمات الشرع وعدم
رضاء المؤمن بذلك وفيه تعيين احد في انكار المنكر وتعميم الانكار وستر
قبائح المسلمين المعينين فان انسا رضي الله عنه ما بكى من ذلك الا بعد
رؤيته في انسان معين او جماعة معينين ولم يذكرهم ولم يعينهم وانما انكر
منكرهم على مقتضى ما تعرفه من كيفية انكار المنكر على وجه السنة لا البدعة المخرجة
من حال العلماء في هذا الزمان وقد مر غير مرة التنبيه على ذلك الحديث
الثالث **طب** يعني روى الطبراني باسناده **عن غضيف بن الحارث
رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من امة** اي جماعة من المسلمين
ابتدعت اي اخترعت واستحدثت **بعد** ذهاب **نبيها** عنها وتباعد
عهد سنته حتى عملتها ذلك **في دينها** الذي تدين الله تعالى به اي تطيعه
فيه وهو شريعتها وملتها احترازا عن الابتداع في امور الدنيا كالبدع
في العادة وهي التي لا يقصد بها صاحبها اذا فعلها اجرا ولا ثوابا من
الله تعالى يوم القيمة وانما مراده مجرد عملها لنفع دنيوي او لدفع ضرر عنه
في الدنيا او لا لنفع ولا لضرر كالاشياء المباحة في انواع الماكل والمشارب
والملابس والمساكن ونحو ذلك **بدعة** اي فعلة ليست معروفة في السنة
النبوية من اي نوع كانت في الاعتقاد او العمل او القول او الاخلاق
ولهذا نكرها والنكرة في الاثبات وان لم تعم عندنا لكنها مطلقة
دالة على فرد غير معين فلا تختص بها نوع دون نوع وعند الشافعي
رضي الله عنه تعم كما هو مبسوط في الاصول وهذا الحكم في البدعة

ويقال فيه غطيف بن الحارث الكندي ويقال
السلمي له صحبة يعد في اهل حمص قلت من
حديثه رفعه صلى الله عليه وسلم ما احدث قوم
بدعة الا رفع مثلها من السنة رواه
الامام احمد عنه وهنا غيره هذا

الواحدة وكذلك البدع الكثيرة وهي البدعة غير المكفرة اذ المكفرة تزيل
الاسلام فضلا عن اضاعة السنة **الا اضاعت** تلك الامة اي
تركت واهملت **مثلها** اي مثل تلك البدعة يعني من جنسها اعتقادا او
قولا او عملا او تخلقا **من السنة** النبوية الاعتقادية او العملية او القولية
والاخلاقية والمعنى ان الناس كلما ابتدعوا بدعة في الدين تركوا من
جنسها سنة نبوية مثل ابتداع الفرق الضالة في الاعتقاد كاعتقاد
المعتزلة انهم يخلقون افعال انفسهم مثلا على معنى ان لهم تاثيرا في
ذلك بخلق الله تعالى فيهم قدرة على ذلك فان هذه بدعة في الدين اعتقادية
لما ظهرت ذهبت سنة الاعتقاد بان الله تعالى خالق افعال العباد كلها
من الخير والشر والنفع والضر منسوبة الى الانسان ولا تاثير للانسان في فعل
اصلا كما انه تعالى خلق للانسان يدين ورجلين منسوبات له ولا تاثير
للانسان في خلق ذلك له ابدا ومع هذا فيقال يد الانسان ورجل
الانسان مع انه ليس بخالق لذلك ولا يقال يد الله ولا رجل الله مع
انه خالق ذلك فكذلك جميع افعال الانسان خالقها هو الله تعالى وحده
ولا تنسب اليه تعالى ولكنها تنسب الى الانسان كلها والانسان
ليس بخالق لها وقد صنفت رسالة في هذه المسئلة سميتها تحريك سلسلة
الوداد في مسئلة خلق افعال العباد جعلتها مكتوبا ارسلتها الى بعض
علماء المدينة المنورة فهذه سنة في الاعتقاد ضاعت عند المعتزلة
ومن تابعهم لما ابتدعوا ما بينا فيها من بدعتهم المذكورة وكذلك اذا
ابتدع الناس بدعة في العمل ولو كانت تلك البدعة في العادة لا في
الدين حيث لا يرجون الثواب عليها من الله تعالى ولا هي عندهم معصية
يخافون العقاب منها ولكن بسبب فعلها ضاعت سنة مثلها ايضا
في العمل كالصلاة مع الغفلة وعدم حضور القلب فيها بل يبقى مشتغلا
بامور الدنيا وهم في الصلاة ولا علم لهم بالخشوع فيها فان هذه بدعة احدثها
الناس في العادة لم تكن في الزمان الاول ولما ظهرت ذهبت سنة الخشوع
في الصلاة والحضور فيها والمراقبة وترك البيع والشراء من فكر القلب ايضا
كما قال تعالى عن الصدر الاول رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله
واقام الصلاة وقال تعالى يا ايها الذين امنوا اذا نودي للصلاة من
يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع وقال تعالى قد افلح المؤمنون
الذين هم في صلاتهم خاشعون وقال تعالى في اصحاب البدعة المذكورة في

الصلاة

في الصلاة فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون وقال تعالى يا ايها
الذين امنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون وقال
تعالى واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراؤون الناس ولا يذكرون
الله الا قليلا فهذه بدعة في العمل عادية لما ظهرت تركت مثلها سنة
في العمل ونسيت ومثل ذلك اذا ابتدع الناس بدعة في القول مثل الكلام
في وقت تشييع الجنازة فانه لما فشا في الناس خصوصا التحدث في امور
الدنيا وكثرة اللغط وان كانت بدعة في العادة ايضا فقد ذهبت بها
سنة السكوت والصمت والاعتبار والتفكر في امر الموت والقبر في
تلك الحالة وكذلك البدعة في الاخلاق كما اعتادت الناس ان يتبعوا بعضهم
بعضا في كل امر كانوا عليه كما سمعتهم يقولون يا ايها الناس كونوا مع الناس
فان هذه البدعة في العادة لما ذهبت سنة اتباع النبي صلى الله عليه وسلم
والصحابة والتابعين وائمة الهدى رضي الله عنهم فصار الناس يبحثون عن
عادات بعضهم بعضا في الدين والدنيا ليتبعوا ذلك ويعملوا عليه ولا
يبحثون عن سنة النبي صلى الله عليه وسلم وسيرة الصحابة والصالحين
ليسيروا عليها وهكذا سائر البدع في العادة وفي العبادة الا البعض من
البدع في العادة لما ظهرت تركت ونسيت جميع السنن التي تماثلها وتقابلها
وامحت اثارها بالكلية واندرست حتى صار الجاهل اذا فعلت عنده يقطع
بانها بدع لا سنن كما نقل الشيخ المناوي في شرح جامع الصغير عن بعض
الحكما انه قال معروف زماننا منكر زمان مضى ومنكر زماننا معروف
زمان لم يات انتهى وما من زمان الا وبعده شر منه وفي روح القدس للشيخ
محي الدين ابن العربي قدس الله روحه قال روينا عن ابي حامد وغيره وعن ابي
مغيث في كتاب المنقطعين له من حديث ابن المهلب قال مررت بالساحل
فرايت شابا قد احتفر لنفسه حفرة في الرمل فسالته فتاوه ثم قال يذم
اهل زمانه توعرت السبل وقل السالكون لها قد افترشوا الرخص وتمهدوا
الزلل واعتلوا ابن الماضين الى مثل هذا الكلام ثم قام فمشى على الماء حتى
غاب عني الحديث الرابع **طب** يعني روى الطبراني باسناده عن انس رضي
الله عنه **عن انس رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم**
ان الله سبحانه وتعالى بمحض عدله **حجب** اي منع وستر **التوبة** مصدر
تاب الى الله توبا وتوبة ومتابا وتابة وتتوبة رجع عن المعصية وهو
تائب وتواب وتاب الله عليه وفقه للتوبة او رجع به من التشديد
الى التخفيف او رجع عليه بفضله وقبوله وهو تواب على عباده كذا في القاموس

فالتوبة من العبد والتوبة من الرب بضد فحجب الرب عليه بفضله وقبوله
وهو تواب على عباده توبته عدم التوفيق لها او منع الرجوع بالفضل والقبول
وحجب الرب توبة العبد عدم تيسيرها كلما ارادها العبد وفي رياض
الصالحين قال العلماء التوبة واجبة من كل ذنب فان كانت المعصية
بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق ادمي فلها ثلاثة شروط احدها ان يقلع
من المعصية والثاني ان يندم على فعلها والثالث ان يعزم ان لا يعود اليها
ابدا فان فقد احد الثلاثة لم تصح توبته وان كانت تتعلق بادمي فشروطها
اربعة هذه الثلاثة وان يبرأ من حق صاحبها فان كانت مالا او نحوه
رده اليه وان كان حد قذف او نحوه مكنه منه او طلب عفوه وان كانت
غيبة استحله منها **عن كل صاحب** اي فاعل سواء كان مخترعها وهو الذي ابتدع
تلك البدعة او فعلها فقط ولم يبتدعها **بدعة** في الدين اعتقادية
او فعلية او قولية او اخلاقية وهو في بدعة واحدة فما بالك باكثر من
ذلك لانه يرجو الثواب عليها فكيف يتوب منها ولهذا كلما اراد المبتدع ان
يتوب من بدعته منع منها مانع من نفسه فلا تتيسر له وان اراد لا صحاب
التوبة من تلك البدعة فظاهر لان شرط صحة التوبة ترك المعصية والا
قلاع عنها في الحال كما قدمنا فالتوبة محجوبة عنه حتى يقلع عن بدعته واما
مطلق التوبة ويؤيده الحديث الاتي بعده فلعله لزيادة قبح البدعة وشؤم
ارتكابها والا فان التوبة من ذنب مع الاصرار على ذنب اخر صحيحة قال
النووي رحمه الله تعالى في رياضه ويجب ان يتوب من جميع الذنوب فان
تاب من بعضها صحت توبته عند اهل الحق من ذلك الذنب وبقي عليه الباقي
حتى يدع اي يترك ذلك المبتدع **بدعته** ويقلع عنها لتصح توبته منها
او منها ومن غيرها من الذنوب ايضا الحديث الخامس **مج** يعني
روى ابن ماجة باسناده **عن ابن عباس رضي الله عنهما** اي عنه
وعن ابيه العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم انه **قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ابي** اي كره والاباءة الكراهة **الله تعالى** بحكم العدل
من كثرة قبح البدعة لانها شرع النفوس الامارة بالسوء وحكم الشيطان
المستولي على القلب الغافل **ان يقبل عمل صاحب بدعة** في الدين اي مصر
على فعل بدعة من البدع الاعتقادية او العملية او القولية او التخلقية
وهذا في بدعة واحدة غير مكفرة فكيف ببدع كثيرة غير مكفرة لاعتقاده
الطاعة مثابا عليها وعمله الذي لا يقبله الله تعالى قد يكون اعتقادا
او فعلا او قولا او تخلقا وقد يكون صحيحا من جهة استيفاء شروطه ولكنه

غير

غير مقبول عند الله تعالى لتدنسه بشؤم البدعة وقبح عملها وذلك مدة ارتكا
به لتلك البدعة ما دام مصرا على فعلها **حتى يدع** اي يترك **بدعته** لاجل الله
تعالى اما خوفا منه تعالى او طمعا في ثوابه او ابتغاء وجهه الكريم لا خوفا من
الناس او لعدم قدرته على ذلك او محافظة على صلاحه وتقواه ان يزول من
اعين الغير فيزول احترامه عندهم وينقص من اعينهم فان هذه تقوى الناس لا
تقوى الله تعالى وهو غير مانع من الاصرار في الباطن على المعصية وصاحبه
عابد للناس باطنا وان كان يزعم انه عابد لله تعالى في الظاهر كما قال تعالى فلا
تخشوهم واخشون وقال يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو
معهم اذ يبيتون ما لا يرضى من القول الحديث السادس **مج** يعني روى ابن ماجة
باسناده **عن حذيفة رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم**
لا يقبل الله سبحانه وتعالى وان حكم بالصحة بمقتضى شرعه المحمدي اذ ليس كل
صحيح مقبول كما قال تعالى انما يتقبل الله من المتقين وغير المتقين من المسلمين
وان صح عملهم فهو غير مقبول والقبول رفعة شان العمل عنده وان كان قليلا
واعطاؤه عليه الجزاء الوافي ومباهاة الملائكة به ورفع الدرجات به في
الدنيا باحساس العبد بمقامات الكشف الالهي والقرب الاقدسي وفي الا
خرة بمقامات الرؤية الربانية في دار النعيم الابدي **لصاحب بدعة** اي المصر
عليها يعني بدعة في العبادة غير مكفرة اذ المكفرة تنافي صحة العمل فضلا
عن قبوله وهذا في بدعة واحدة فكيف باكثر من ذلك **صوما** فرضا او
نفلا ولم يذكر الصلاة لانها مفهومة بالاولى حيث انها اعظم من الصوم
وكذلك الزكاة تالية الصلاة وهما تاليتان الايمان فهو كذلك **ولا حجا**
ولا عمرة وان فعل ذلك على وجه السنة فهو صحيح تام لكنه غير مقبول **ولا**
جهادا في سبيل الله تعالى **ولا صرفا** اي انصرافا عن المعصية بحقيقة التوبة **ولا**
عدلا اي استقامة في الامر او ضد الجور قال الجوهري الصرف التوبة يقال
لا يقبل منه صرف ولا عدل قال يونس فالصرف الحيلة ومنه قولهم انه ليتصرف
في الامور وقوله تعالى فما يستطيعون صرفا ولا نصرا وقال في القاموس
الصرف في الحديث التوبة والعدل الفدية او هو النافلة والعدل الفريضة
او بالعكس او هو الوزن والعدل الكيل او هو الاكتساب والعدل الجزاء
او الحيلة انتهى وحاصل المعنى هنا ان الله تعالى لا يقبل لصاحب البدعة
في الدين عملا من اعمال الطاعات مطلقا وان صحت تلك الاعمال منه لا
ستيفاء شروطها الشرعية ما دام مصرا على فعل تلك البدعة حتى يتوب
منها وانما ورد التصريح من الاعمال بالصوم والحج والعمرة والجهاد فقط

ثم عمم بالصرف والعدل لان هذه العبادات الاربعة المخصوصات بالذكر
لها صعوبة على النفوس اكثر من غيرها فالصوم حبس النفس عن شهوتي البطن
والفرج والحج والعمرة اتعاب النفس بانفاق القوة والمال مع حبسها عن شهوات
الجماع والتطيب ولبس المخيط وقتل صيد البر ونحو ذلك والجهاد ابلغ من
ذلك للمخاطرة بالنفس فيه والمال فوقع التصريح بذلك ليفهم ما عداه
بالطريق الاولى فانه حيث بذل نفسه في هذه الطاعات المشقة عليه
ولم تقبل منه لاصراره على بدعته فكيف تقبل منه الاعمال التي مشقة فيها
دون ذلك **يخرج** يعني صاحب البدعة في الدين حيث يعدها طاعة
بسبب دخوله تحت حكم نفسه وشيطانه وخروجه بظاهره عن حكم نبيه
ورحمانه **من الاسلام** الظاهر فقط الذي هو التسليم والانقياد لحكم
الله تعالى وعدم المحاربة كما تخرج العصاة من التسليم والانقياد لحكم الله
تعالى عليهم الى التسليم والانقياد لحكم النفس والشيطان مع التصديق
بقبح ذلك الفعل والايمان بكونه معصية وهو الفارق بين العاصي
والمبتدع لاعتقاده بدعته طاعة ودليل صحة اطلاق الاسلام على
ما ذكر قوله تعالى قالت الاعراب امنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا
ولما يدخل الايمان في قلوبكم قال البيضاوي اذ الايمان تصديق مع ثقة
وطمانينة قلب والاسلام انقياد ودخول في السلم واظهار الشهادة
وترك المحاربة وقال الخازن فان قلت المؤمن والمسلم واحد عند اهل
السنة فكيف يفهم ذلك مع هذا القول قلت بين العام والخاص فرق
فالايمان لا يحصل الا بالقلب والانقياد وقد يحصل بالقلب وقد يحصل
باللسان فالاسلام اعم والايمان اخص ولكن العام في صورة متحد
مع الخاص ولا يكون امرا غيره فالعام والخاص مختلفان في العموم متحدان
في الوجود فكذلك المؤمن والمسلم انتهى وحاصله ان الايمان وهو التصديق
بالقلب لا يفارق صاحب البدعة غير المكفرة ابدا كما قدمناه واما الاسلام
فنوعان اسلام بالقلب وهو التسليم والانقياد لحكم الله تعالى وهو لا يفارق
صاحب البدعة المذكورة مع وجود الايمان والاسلام في قلبه **كما يخرج**
الشعر قال في القاموس الشعر ويحرك نبتة الجسم مما ليس بصوف ولا
وبر والجمع اشعار وشعور وشعار والواحدة شعرة **من العجين** مثال لكمال
تخلص صاحب البدعة في الدين مما كان فيه قبل ذلك من اظهار
التسليم والانقياد باللسان والجوارح ايضا لحكم الله تعالى على طريقة
الردع له والورع والزجر فان الشعرة اذا جذبت من العجين لا يعلق عليها

الدوام

واسلام بالجوارح وهو يفارق صاحب البدعة ويخرج منه

العجين شيء فتخرج وليس فيها اثر من ذلك اصلا فان قلت كيف يخرج
صاحب البدعة في الدين غير المكفرة من الاسلام الظاهر والصوم وحج وعمرة
وجهاد قلت لما كان مصرا على بدعته في الدين فاعلا لها لاجل طالبا
الثواب عليها من الله تعالى خرج عن التسليم الظاهر لحكم الله الذي كلفه
بالصوم والحج والعمرة والجهاد بالنسبة الى فعله تلك البدعة حيث هو
مداوم عليها داخل تحت حكم من حكم عليه بتلك البدعة من النفس والشيطان
فان قلت جميع المعاصي والمخالفات بدع فالمرتكب لشيء منها مذنب
عاصي فهل هو مبتدع حتى لا يقبل عمله مدة اصراره على ذنبه ذلك ومعصيته
قلت ليس المذنب العاصي بمبتدع ولا المعاصي والمخالفات بدع في
الدين بل البدع في الدين معاصي ومخالفات وشرط البدعة في الدين كما قدمناه
ان يدين الله تعالى بها ويطيعه فيها فيقصد بفعلها الثواب والاجر من
الله تعالى واما المعاصي والمخالفات فلا يدين الله تعالى بها فاعلها ولا يطلب
الثواب عليها والاجر من الله تعالى والا لكفر باستحلالها بل انما حمله على
فعلها الشهوة والغرض النفساني فليست بدعة في الدين ولا فاعلها بمبتدع
لا يقبل عمله بل اذا خلا من فعل البدعة في الدين قبل عمله ولا يمنع من قبول
عمله ارتكاب المعصية **وقد سبق** في نوع الاعتصام بالسنة عند ذكر الاخبار
النبوية **حديث العرباض بن سارية** المشتمل على قوله صلى الله عليه وسلم
فانه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء
الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات
الامور فان كل محدث بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار وتقدم
منا الكلام على ذلك **و**سبق حديث **جابر** ايضا **رضي الله عنهما** اي عن العرباض
وجابر المشتمل على قوله صلى الله عليه وسلم اما بعد فان خير الحديث كتاب
الله وخير الهدي هدي محمد عليه السلام وشر الامور محدثاتها وكل محدث بدعة
وكل بدعة ضلالة وتقدم منا الكلام ايضا عليه بالتمام ثم لما كان هذان
الحديثان يشتملان على قوله صلى الله عليه وسلم كل محدث بدعة وكل بدعة
ضلالة نشأ منها اشكال اورده بقوله **فان قيل** اي قال لك قائل
من الناس **كيف التطبيق** اي المطابقة والموافقة وزوال المنافاة والمنا
قضة **بين قوله عليه السلام** في هذين الحديثين المذكورين **كل بدعة ضلالة**
وبين قول الفقهاء اصحاب المذاهب الشرعية لما قسموا البدع الى اقسام
كما سيبينه قريبا **ان البدعة قد تكون** بدعة **مباحة كاستعمال المنخل** بضم
الخاء المعجمة ويجوز ان تفتح خاؤه ما ينخل به كذا في القاموس وكان السلف

لا يكثرون نخل الدقيق بل كانوا يأكلون الخبز غير منخول وانما كثر النخل بعد ذلك في الخلف **والمواظبة على اكل لب الحنطة** بعد ازالة قشرها وكدرها بالمنخل وان كان السلف اكل لب الحنطة ايضا كما قدمناه عن احياء الغزالي في خبر عثمان رضي الله عنه لكنه نادر من غير مواظبة عليه **والشبع منه** اي من الاكل لب الحنطة قال في شرعة الاسلام اول بدعة حدثت في الاسلام الشبع وهذه المناخل ولم ير نبينا عليه السلام نقيا اي ما نقي دقيقه من النخالة ولا منخلا وقال في شرحها وعن سهل ابن مسعود ما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم النقي ولا رأى منخلا حين بعثه الله تعالى حتى قبضه كذا في المصابيح **وقد تكون** يعني البدعة **مستحبة** يثاب بفعلها ولا يعاقب على تركها كبناء **المنارة** وفي الاصل منورة موضع النور كالمنار والمسرجة والماذنة والجمع مناور ومناير كذا في القاموس والمراد هنا الماذنة موضع الاذان وفي القاموس الماذنة بالكسر موضع الاذان او المنارة والصومعة انتهى وذكر والدي رحمه الله تعالى في كتابه الاحكام انه لم يكن في زمنه صلى الله عليه وسلم صومعة وروى ابو داود من حديث عروة بن الزبير عن امرأة من بني النجار قالت كان بيتي من اطول بيت حول المسجد وكان بلال يأتي بسحر فيجلس عليه ينظر الى الفجر فاذا رآه اذن ذكره في البحر شرح الكنز وفي مسائل الاسيوطي ان اول من رقي منارة مصر للاذان شرحبيل بن عامر المرادي وقال ابن سعد بالسند الى ام زيد بن ثابت كان بيتي اطول بيت حول المسجد فكان بلال يؤذن فوقه من اول ما اذن الى ان بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجده فكان يؤذن بعد ذلك على ظهر المسجد وقد رفع له شيء فوق ظهره **وبناء المدارس** جمع مدرسة موضع الدراسة وهي القراءة قال في القاموس درس الكتاب يدرسه درسا ودراسة قراءة كادرسه والمدارس الموضع الذي يقرأ فيه القرآن ومنه مدراس اليهود انتهى والمراد هنا الموضع الذي بني لدراسة العلم مع الطلبة او دراسة القرآن **او تصنيف الكتب** في جميع العلوم اي جعلها صنوفا وابوابا وفصولا لنشر العلم وبيانه بل **قد تكون** اي البدعة **واجبة** يثاب بفعلها ويأثم على تركها للقادر عليه **كنظم** اي جمع وترتيب **الدلائل** جمع دليل وهو ما يستدل به من المقدمات اليقينية او الظنية **لرد** اي ابطال **شبه** جمع شبهة وهي ما يشبه الدليل في العقائد وليس بدليل **الملاحدة** جمع ملحد من الالحاد وهو الميل والعدول عن طريقة اهل السنة والجماعة ونحوهم كالمعتزلة والفلاسفة وسائر فرق الضلال قلت

الشبع بالفتح وكعنب ضد الجوع شبع كسمع خبزا ولحما ومنهما واشبعته من الجوع والشبع بالكسر اسم ما اشبعك ه قاموس اذا علمت ذلك ظهر ما في عبارة بعض الشراح من الركاكة في قوله وهو بضم اوله وفتح الثاني منه وسكونه مصدر شبع امتلأ الخ ولعله من الناسخ ه كل

في الجواب عن الاشكال المذكور **للبدعة** بالكسر من حيث هي فعلة حادثة لم تكن معنيان الاول **معنى لغوي** منسوب الى اللغة وهي لغة العرب عام ليشمل جميع اقسام البدعة وذلك **هو المحدث** بصيغة اسم المفعول من حدث يحدث حدوثا وحداثة نقيض قدم مطلقا اي حدوثا مطلقا عن التقيد بشيء ثم بينه بقوله **عادة كان** ذلك المحدث **او عبادة** والمراد بالعادة ما لا يطلب فاعله عليه ثوابا من الله تعالى يوم القيمة بل مقصوده مجرد تحصيل غرضه الدنيوي والعبادة بخلاف ذلك وهي ما يطلب فاعله عليه ثوابا من الله تعالى يوم القيمة **لانها** اي البدعة **اسم مشتق من الابتداع** مصدر ابتدع **بمعنى الاحداث** والاختراع **كالرفعة** بالكسر للشرف والعلو **من الارتفاع والخلفة** اسم **من الاختلاف** قال في القاموس الخلفة بالكسر اسم من الاختلاف اي التردد وجعل الليل والنهار خلفة اي هذا خلف من هذا وهذا يأتي خلف هذا او معناه من فاته امر بالليل ادركه بالنهار وبالعكس **وهذه** اي البدعة اللغوية العامة هي **المقسم** اي موضع القسمة الى الاقسام الآتية **في عبارة الفقهاء** الحنفية وغيرهم **يعنون** اي يقصدون **بها** اي بالبدعة اللغوية العامة المذكورة **ما** اي الامر الذي او امرا **احدث** بالبناء للمفعول اي احدثه محدث من اهل الاسلام وغيرهم **بعد ذهاب الصدر** وهو اعلى مقدم كل شيء واوله كذا في القاموس **الاول** نعت للصدر وهم السلف المتقدمون في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة رضي الله عنهم اجمعين لقوله عليه الصلاة والسلام عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي وهم ابو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم فما حدث منهم في زمانهم فليس ببدعة والبدعة ما حدث بعد زمان التابعين وتابعيهم قال في شرعة الاسلام في بيان السنة التي يجب التمسك بها هي ما كان عليه القرن المشهود لهم وهم الخلفاء الراشدون ومن عاصر سيد الخلائق ثم الذين من بعدهم من التابعين ثم من بعدهم فما احدث بعد ذلك من امر على خلاف منهاجهم فهو من البدعة **مطلقا** يعني سواء كان في العبادة والدين او غير ذلك **و** الثاني **معنى شرعي** اي منسوب الى الشرع وهو شرع محمد صلى الله عليه وسلم **خاص** بالعبادة والدين **هو الزيادة** على ما ورد **في الدين** زيادة مستقلة كابتداع طاعة ما لها اصل في دين الله تعالى او غير مستقلة كزيادة في طاعة شرعية **او نقصان منه** اي من الدين نقصانا مستقلا كترك طاعة شرعية اعتقادا تاركها ذلك الترك طاعة او غير مستقل كترك بعض طاعة شرعية اعتقد التارك ترك ذلك البعض طاعة **الحادثان** نعت للزيادة والنقصان **بعد انقراض زمان الصحابة** وكذا زمان التابعين وتابعيهم رضي الله عنهم

وهم الصدر الاول كما قدمنا **بغير اذن** في تلك الزيادة او النقصان **من الشارع**
المبين للشرع فينا ابتداء وهو محمد صلى الله عليه وسلم **لا قولا** اي بالقول
ولا فعلا اي بالفعل **ولا صريحا** اي بالتصريح **ولا اشارة** اي بالاشارة والمعنى
انه يكتفي في ورود الاذن باحد هذه الطرق الاربعة لو وجد احترازا عما
ورد الاذن فيه بالزيادة والنقصان كقوله صلى الله عليه وسلم في ركوعه
سبحان ربي العظيم ثلاثا فقد تم ركوعه وذلك ادناه ومن قال في سجوده
سبحان ربي الاعلى ثلاثا فقد تم سجوده وذلك ادناه ذكره في شرح الدرر
وروي عن ابي الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من صلى الضحى ركعتين لم يكتب من الغافلين ومن صلى اربعا كتب من
العابدين ومن صلى ستا كفي ذلك اليوم ومن صلى ثمانيا كتب من القانتين
ومن صلى ثنتي عشرة ركعة بنى الله له بيتا في الجنة من ذهب رواه البيهقي
في السنن الصغير فقد ورد التخيير في هذه الزيادة والنقصان فليس شيء من
ذلك ببدعة **فلا تتناول** البدعة من حيث معناها الشرعي سائر انواع
العادات اصطلاح عادة وهو كل امر يقصد به حصول غرض دنيوي كالملابس
المخترعة في هذا الزمان والمساكن والمآكل والمشارب مما اتخذه الناس
انواعا متنوعة فلا يسمى في الشرع بدعة لانه ليس في الدين بل في الدنيا وشرط
البدعة في الشرع ان تكون في الدين بان يتخذها فاعلها طاعة يعبد الله تعالى
بها **بل تقتصر** اي البدعة في الشرع اليوم **على بعض الاعتقادات** كاعتقادات
الفرق الضالة ومن تابعهم **وبعض صور العبادات** الواردة في الشرع بان
يزاد في صورتها او ينقص منها مع اعتقاد ان تلك الزيادة والنقصان طاعة
بمجرد الراي ليخرج من البدع هذه الزيادة والنقصان طاعة بمجرد الراي
ليخرج من البدع الواقعة في العبادات على حسب اختلاف المذاهب الاربعة
اليوم كتثنية الاقامة عند ابي حنيفة رضي الله عنه بالنظر الى مذهب
الامام الشافعي رحمه الله تعالى وافرادها عند الشافعي بالنظر الى مذهب
ابي حنيفة رضي الله عنه وصلاة الكسوف بركوعين وفاتحتين في كل
ركعة عند الشافعي لا عند ابي حنيفة رضي الله عنهما فان هذا وما اشبهه
ليس ببدعة في الدين لانه ماخوذ من الادلة الشرعية لا من مجرد الراي
وانما البدعة ما هو ماخوذ من مجرد الراي كالزيادة على الوضوء الشرعي والغسل
الشرعي بكثرة صب الماء اذا اعتقده فاعله عبادة كان بدعة
واذا اعتقد انه وسوسة مكروهة كما سياتي ان شاء الله تعالى فهو معصية

وليس

وليس ببدعة وكذلك تكرار التكبير في الصلاة وتكرار النطق في الصلاة
بكل كلمة من القران والتشهد وغسل الثياب الجدد لاحتمال النجاسة فيها
وغسل الفم من اكل الخبز لاحتمال نجاسة الحنطة ببول الثيران عليها
في وقت الدياس ونحو ذلك مما هو منصوص في كلام العلماء على
كونه خارجا عن قانون الشرع وهو محض وسوسة فمتى فعل ذلك
احد قاصدا بانه طاعة كان بدعة وان لم يقصد انه طاعة كان معصية
وليس ببدعة لاعتراف فاعله بقبحه وكونه يخالف الشرع وهكذا
كل امر يضارع ما ذكرنا **فهذه** البدعة في الشرع دون العادة
مراده عليه السلام حيث قال في الحديثين السابقين كل محدث
بدعة وكل بدعة ضلالة يعني كل محدث في الشرع بدعة وكل بدعة في
الشرع ضلالة والمراد كل بدعة في الشرع ليس فيها اعانة على الطاعة الشرعية
كانت بدعة سيئة واما البدعة فانها تكون باذن من الشارع ولو بطريق
الاشارة كما تقدم فهي بدعة حسنة فلا تدخل تحت كل بدعة في الشرع ضلالة
بدليل متعلق بقوله فلا تتناول العادات يعني ان البدعة في الشرع غير
شاملة للبدع في العادات والدليل على ذلك مقتضى قوله عليه الصلاة
والسلام في الحديث السابق فعليكم يا معشر المكلفين يعني الزموا العمل
بسنتي وهي ما شرعه صلى الله عليه وسلم لهم في دينهم دون ما شرعوه هم
لانفسهم من الدين وهي البدع ولم يشرع لهم صلى الله عليه وسلم شيئا في
العادات لانه جاء ليعلمهم دينهم لا دنياهم فلا تدخل في ذلك البدع
في العادات وسنة الخلفاء جمع خليفة الراشدين اي اهل الرشد ضد
الغي المهديين وهم ابو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم اجمعين
يعني الزموا ما شرعه لكم خلفائي من بعدي يعني في الدين اذ لم تشرع
للخلفاء شيئا الا في الدين فلا يشمل امر العادة وقوله عليه الصلاة والسلام
في صدر الحديث المتقدم انتم اعلم بامر دنياكم يعني لا تحتاجون ان اشرعه
لكم اي ابينه وانما حاجتكم لامر دينكم ان اشرعه لكم فلا تشرعوا انتم امر
دينكم لانكم لا تعلمون ماذا يريد الله تعالى من الحكم عليكم فلا تدخل العادات
في ذلك **وقوله عليه الصلاة والسلام من احدث** اي اخترع **في امرنا**
اي شرعنا وديننا هذا ما ليس منه من الاعتقاد والعمل والقول والخلق
واعتقد ان ذلك شرع ودين **فهو رد** منه علينا اذ الشارع نحن بوحي الله
تعالى ونبوته لا غيرنا او رد منا عليه فلا يقبل منه ذلك كما سبق بيانه
فهذا التصريح بان البدعة الشرعية التي هي ضلالة ما ابتدعت في الشرع والدين

دون العادات وكذلك ما تقدم من حديث غضيف بن الحارث ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من امة ابتدعت بعد نبيها في دينها
بدعة الا اضاعت مثلها من السنة فقيد البدعة بكونها في الدين فخرجت
البدعة في العادات فانها ليست ببدعة في الشرع ولا هي ضلالة وفي
شرح الشرعة وكل بدعة قبيحة ضلالة فلا يجوز التمسك بها قال النبي صلى الله
عليه وسلم من احدث في امرنا هذا ما ليس منه فهو رد اي ما احدثه مردود
جدا والمراد ان كل بدعة في الدين كانت على خلاف مناهجهم وطرقهم يعني الصحابة
والتابعين رضي الله عنهم اجمعين بحيث لو اطلعوا عليها لانكروها فهي ضلالة والا
فقد حققوا ان من البدعة ما هي حسنة مقبولة كالاشتغال بالعلوم الشرعية
وتدوينها وبناء المنارة وغيرها مما را وا فيه مصلحة **فالبدعة الشرعية في
الاعتقاد** كاعتقادات القدرية والجبرية وبقية الفرق الضالة واتباعهم
هي المتبادرة في السبق الى الذهن **من اطلاق** اسم **البدعة** والشرعية اسم
المبتدع في الشرع وعلى فاعلها **و** اطلاق اسم **الهوى** اي الميل النفساني
بمجرد العقل الحيواني **و** اطلاق اسم **اهل الاهواء** على فاعل ذلك كما هو مذكور
في كتب علم الكلام وغيره فيقال اهل البدع والمبتدعة واهل الهوى واهل
الاهواء والمراد بذلك البدعة والشرعية في الاعتقاد لا غير **فبعضها**
اي بعض البدعة الشرعية في الاعتقاد **كفر** كجحود حشر الاجساد ونفي الصفات
الالهية والحكم بقدم العالم **وبعضها** اي بعض تلك البدعة **ليست به** اي
بالكفر كجحود سوال القبر وخبر المعراج **ولكنها** اي هذه البدعة التي ليست بكفر
اكبر من كل كبيرة كائنة **في العمل** اي من كبائر العمل فدونها كل كبيرة لتضمنها
تكذيب الشارع فيما اخبر عنه دون صريح التكذيب لثبوت ذلك بالدليل
الظني وهو خبر الاحاد لا بطريق التواتر ولا الشهرة ولهذا لم تكن كفرا **حتى**
انها اكبر من كبيرة **القتل** اي قتل المؤمن المعصوم الدم عمدا **و** اكبر من
كبيرة **الزنا** ايضا لان صاحبها يعتقدها حقا ويدين الله تعالى بها فهي بدعة
قبيحة واما القتل والزنا فاذا صدرا من المؤمن لا يستحلهما ويعترف بحرمتهما
فهما اخف من البدعة مع بشاعتهما ومعهما في عدم المشروعية **وليس فوقها**
اي فوق البدعة المذكورة في الاعتقاد **الا الكفر** ثم ان صاحبها تحجب عنه
التوبة حتى يدعها كما سبق في لفظ الحديث ولا يقبل الله له عملا مطلقا مع
ان صاحب الكبائر يقبل عمله وهو والكافر انحجب عنهما التوبة لان صاحب
الكبائر معترف بانه صاحب معاصي ومخالفات والكافر غير ملتزم شرايع
الاسلام ولا مدعي للملة المحمدية بخلاف المبتدع في الدين فانه يدعي الاسلام

ويزعم ان بدعته طاعة من طاعات الله تعالى وقالوا في كتب علم الكلام ولا نكفر
احدا من اهل القبلة قال العلامة حسن چلبي في حاشيته على شرح المواقف معناه
ان الذين اتفقوا على ما هو من ضروريات الاسلام كحدوث العالم وحشر الاجساد
وما اشبه ذلك واختلفوا في اصول سواه كمسئلة الصفات وخلق الاعمال
وعموم الارادة وقدم الكلام وجواز الرؤية ونحو ذلك مما لا نزاع ان الحق فيه واحد
لا يكفر المخالف للحق في ذلك والا فلا نزاع في كفر اهل القبلة المواظب طول
العمر على الطاعات باعتقاد قدم العالم ونفي الحشر ونفي العلم بالجزئيات
ونحو ذلك وكذا بصدور شيء من موجبات الكفر عنه كذا في شرح المقاصد ولعله
اراد ان اعتقاد قدمه مع نفي الحشر كفر والا فقد ذهب كثير من حكماء الاسلام
الى قدم بعض الاجسام والفحول من ارباب المكاشفة قدس اسرارهم ذهبوا الى
قدم العرش والكرسي دون ساير الافلاك فلا وجه للتكفير اذ لا تكذيب للنبي
صلى الله عليه وسلم انتهى فلعل مرادهم بقدم العرش والكرسي قدمهما بالنسبة
الى ايجاد الله تعالى لهما فانه تعالى موجدهما من الازل حيث لا بداية في الزمان
الذي ابتداء وجودهما فيه لا وجود فيهما بالنسبة الينا ولهذا كانا حادثين
عندنا ولا وجود لهما ايضا بالنسبة الى الله تعالى واما في الزمان الذي ابتداء
وجودهما فيه فهما موجودان فيه عندنا بطريق الحدوث والابتداء كما نتقيد نحن
بالزمان وموجودان فيه ايضا عند الله تعالى لكن لا بطريق الحدوث والابتداء بل
من الازل والله تعالى ليس متقيدا بالزمان اذ هو من جملة مخلوقاته في مرتبته
من الازل ولا فعله تعالى حادث بل الحادث مفعوله الينا لا بالنظر اليه تعالى
لحضور الازمان كلها عنده تعالى من غير زمان يكون هو متقيدا به وعدم حضور
الازمان كلها بالنظر الينا لتقيدنا بزمان دون زمان وهذا القائل بالقدم
في العرش والكرسي من فحول ارباب المكاشفة قدس الله اسرارهم يقول بحدوثهما
من جهة التقيد بالزمان ايضا كقول علماء الكلام ولهذا قال دون ساير الافلاك
فان ساير الافلاك فيهما خصوص في عموم لوجود الزمان بالنظر الى ساير الافلاك
دونهما فالحدوث منشاؤه الزمان ولكن يتميز بالمعرفة الالهية في صدور العالم
عن الله تعالى ما لا يعرفه غيره ويريد بالعرش والكرسي العالمين الكليين وما اشتملا
عليه من المتقيدين بالزمان كقول الفلاسفة ومن تابعهم فلا خلاف في انه كفر **والخطا**
في العجز عن المزيد عليه **فيه** اي في الاعتقاد **ليس بعذر** شرعي **بخلاف** الخطاء في
الاجتهاد في الاعمال البدنية فانه عذر بالاتفاق قال في التلويح للسعد
التفتازاني فلا يجوز الاجتهاد في القطعيات وفيما يجب فيه الاعتقاد
الجازم من اصول الدين ثم قال بعد ذلك والمخطئ في الاجتهاد يعني في

فروع الدين لا يعاتب ولا ينسب الى الضلال بل يكون معذورا وماجورا اذ ليس
عليه الا بذل الوسع وقد فعل فلم ينل الحق لخفاء دليله الا ان يكون الدليل
الموصل الى الصواب بينا فاخطاء المجتهد بتقصير منه وترك مبالغته
في الاجتهاد فانه يعاتب وما نقل من طعن السلف بعضهم على بعض في
مسايلهم الاجتهادية كان مبنيا على ان طريق الصواب بين في زعم الطاعن
وانما قال المخطي في الاجتهاد لان المخطي في الاصول والعقايد يعاتب
بل يضلل او يكفر لان الحق فيها واحد اجماعا والمطلوب هو اليقين
الحاصل بالادلة القطعية اذ لا يعقل حدوث العالم وقدمه وجواز رؤية
الصانع وعدمها فالمخطي فيها مخطي ابتداء وانتهاء وما نقل عن بعضهم
من تصويب كل مجتهد في المسائل الكلامية اذا لم يوجب تكفير المخالف كمسئلة
خلق القران ومسئلة الرؤية ومسئلة خلق الافعال فمعناه نفي الاثم
وتحقق الخروج من عهدة التكليف لا حقية كل من القولين وفي مرقاة
الاصول والاجتهاد في الشرعيات لا العقليات لمباحث تتعلق بالذات
والصفات والافعال من الالهيات والنبوات فان المليين اجمعوا على وحدة
المصيب في العقليات الا عند بعضهم اي بعض المعتزلة وهو ابو الحسن
العنبري والجاحظ فانهما قالا ان كل مجتهد مصيب في مسائل الكلام وهو
باطل لان المطلوب فيها هو اليقين الحاصل بالادلة القطعية ولا يعقل حدوث
العالم وقدمه وجواز رؤية الصانع وامتناعها ونحو ذلك انتهى وسبق
نظير هذا **وضد هذه البدعة** التي في الاعتقاد اي ما يضادها فيمتنع
وجوده معها **اعتقاد اهل السنة** النبوية المحمدية **والجماعة** الاسلامية
الايمانية من الاشاعرة والماتريدية **والبدعة في العبادة** اي الاعمال
الظاهرة في مقابلة البدعة في الاعتقاد كالزيادة والنقصان في صور
بعض العبادات وانت ربقوله في العبادة دون قوله في العمل الى ان
صاحبها يطلب عليها الثواب من الله تعالى مثل ساير العبادات مع
انها مبتدعة لا اصل لها فلهذا كانت البدعة اقبح من جميع المعاصي **وان
كانت** هذه البدعة **دونها** اي دون البدعة في الاعتقاد يعني اقل
منها قبحا وشناعة واثما وذلك لان البدعة في الاعتقاد تنجس موضع
نظر العبد الرب سبحانه وتعالى وهو القلب والبدعة في الاعمال تنجس موضع
نظر الخلق وهو ظاهر العبد كما ورد ان الله لا ينظر الى اجسادكم ولا الى
صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم **لكنها** اي البدعة في العبادة ايضا **منكر** في
دين الله تعالى **وضلالة** يجب تركها والاجتناب عنها اكثر من جميع المعاصي

لا سيما اذا صادمت اي دافعت وزاحمت **سنة** من سنن النبي صلى الله
عليه وسلم **مؤكدة** اي كان فعل تلك البدعة مانعا من فعل سنة مؤكدة ومشغلا
للعبد عن الاشتغال بالسنة فانه يشتد حينيذ قبح البدعة ويكثر الاثم على
فعلها **ومقابل هذه البدعة** التي في العبادة اي مضادها بحيث لو
وجد هو امتنع وجودها **سنة الهدى** بضم الهاء وفتح الدال على اي
الرشاد **وهي ما** اي فعل **واظب عليه النبي صلى الله عليه وسلم من جنس
العبادة** ليخرج ما واظب عليه من العادات من غير ان تقصد عبادة
الله تعالى به فانه ليس بسنة كالمشي والقعود **مع الترك** لذلك الفعل
احيانا جمع حين يعني اوقاتا او بلا ترك اصلا ولا يفهم الوجوب من
عدم الترك ما لم يقترن به النهي عن الترك والتوعد عليه ولهذا قال **ومع
عدم الانكار** من النبي عليه السلام **على تاركه** اي تارك ذلك الفعل لانه لو
اقترن بالمواظبة انكار على الترك كان واجبا لا سنة **كالاعتكاف** وهو
لغة اللبث والدوام على الشيء وشرعا لبث رجل في مسجد جماعة
او امراة في بيتها بنية اي الاعتكاف وهو واجب في المنذور وسنة
مؤكدة في العشر الاخير من رمضان ومستحب فيما سواه اي العشر
الاخير كذا في شرح الدرر قال في مرقاة الاصول والسنة نوعان الاول
سنة الهدى مكملة للدين وتاركها مسيء يستحق اللوم كصلاة العيد والاذان
والاقامة والصلاة بالجماعة والسنن الرواتب ولذا لو تركها قوم عوقبوا
او اهل بلدة واصروا قوتلوا والثاني سنة الزوايد وتاركها لا يستحق اللوم
كتطويل اركان الصلاة وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم في لباسه كالبياض
وقيامه وقعوده انتهى وقال والدي رحمه الله تعالى في كتابه الاحكام والحاصل
ان الذي يظهر ان القول او الفعل يعني قول النبي عليه السلام او فعله ان
قارنه انكار على الترك فواجب والا فان كان مع صيغة امر او نهي ولا
مواظبة فمستحب والا فسنة موكدة والسنة نوعان سنة هدى وتاركها
يستوجب اساءة كالجهاد والاذان وزوايد وتاركها لا يستوجب ذلك
كالسنن في القعود والقيام واللباس كما في المنار اي ان كانت على سبيل
العبادة فسنن الهدى وعلى سبيل العادة فسنن الزوايد كلبس الثياب والاكل
باليمين وتقديم اليمنى في الدخول **واما البدعة في العادة** اي من غير ان
تقصد بها عبادة الله تعالى ولا يطلب عليها ثواب **كالمنخل** للدقيق وكذلك
المعلقة للاكل ونحو ذلك لعدم قصد مخترعها ومستعملها عبادة الله تعالى بها
والثواب عليها **فليس** فعلها ضلالة ولا وعيد البدعة شاملا لها بل فعلها

سنة كالطمانينة في الركوع والسجود والقومة والجلسة عند من يقول بسنيتها واما عدم المصادمة فعند بانها سنة خلوفا للشافعي رحمه الله تعالى حيث جعلوها فرضا

هدى بل هو من الزوائد

تركه اولى عند اهل الورع والاحتياط **فتركها** اي البدعة في العادة اولى
من فعلها لما انها تورث البطالة نعمة على نعيم الدنيا وتوصل راحة القلب
بالغفلة والغرور قال في الكشاف وقد شدد العلماء من اهل التقوى في
وجوب غض البصر عن ابنية الظلمة لعدد النظارة والناظر اليها محصل
لغرضهم وكالمغري لهم على اتخاذها ذكره الشيخ المناوي في شرح الجامع
الصغير فهي من البدع العادية ومن ذلك البنيان زيادة على مقدار الحاجة كما
روى الشيخ النووي في رياض الصالحين عن قيس بن ابي حازم قال دخلنا
على خباب رضي الله عنه نعوده وقد اكتوى سبع كيات فقال ان
اصحابنا الذين سلفوا مضوا ولم تنقصهم الدنيا وانا اصبنا ما لا نجد له
موضعا الا التراب ولولا ان النبي صلى الله عليه وسلم نهانا ان ندعو بالموت
لدعوت به ثم اتيناه مرة اخرى وهو يبني حائطا له فقال ان المسلم
ليؤجر في كل شيء ينفقه الا في شيء يجعله في هذا التراب متفق
عليه وهذا لفظ رواية البخاري ومن ذلك ظهور السمن في الرجال كما قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الاكثر من الاكلة كل يوم سرف وفي شرح الجامع
الصغير للمناوي ومن علامات الساعة ظهور السمن في الرجال انتهى ومن
ذلك استعمال الدخان والقهوة التي ذكرها في هذا الزمان بين الاسافل
والاعيان والصواب انه لا وجه لحرمتهما ولا لكراهتهما في الاستعمال بل هما من
البدع في العادة ومن علل حرمتهما بشيء لزمه حرمة البدعة العادية وهو خلاف
ما عليه جمهور العلماء وامر السلطان ونهيه انما يعتبران اذا كانا على طبق
امر الله تعالى ونهيه لا على مقتضى نفسه وطبعه كما ان امر النبي صلى الله عليه
وسلم ونهيه على طبق امر الله تعالى ونهيه لا هو من تلقاء نفسه ومقتضى
رايه وعقله وحاشاه صلى الله عليه وسلم من ذلك ولو فرضنا ان امر
النبي صلى الله عليه وسلم ونهيه كانا من تلقاء نفسه لا من امر الله تعالى
ونهيه لما وجب علينا امتثال ذلك فكيف يجب علينا امتثال امر السلطان
ونهيه الصادر من مجرد رايه وعقله ما لم يوافق لحكم الله تعالى الا اذا ظلم
السلطان وجار وشدد على الناس وضيق عليهم في النهي عن استعمال
هذين المباحين وخاف الناس على انفسهم من شره خصوصا اذا كان
يستحل دماء المسلمين وجب تعزيرهم في رايه بسبب ذلك فلا يجوز
ان يلقي بنفسه الى التهلكة ويكف نفسه عن استعمال ذلك بهذا السبب
لا معتقدا الحرمة او الكراهة بل حافظا دمه وعرضه وقد روي عن عائشة
رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في بيتي هذا

اللهم

اللهم من ولي من امر امتي شيئا فرفق بهم فارفق به رواه مسلم كما ذكره
النووي في رياض الصالحين وقال البيضاوي في تفسير قوله تعالى واذا
حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل اي وان تحكموا بالانصاف والسوية
اذا قضيتم بين من ينفذ عليه امركم او يرضى بحكمكم ولان الحكم وظيفة
الولاة وقيل الخطاب لهم ان الله نعما يعظكم به اي نعم شيئا يعظكم به او
نعم الشيء الذي يعظكم به من اله من العدل في الحكومات ان الله كان
سميعا بصيرا باقوالكم واحكامكم يا ايها الذين امنوا اطيعوا
الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم يريد بهم امراء المسلمين في
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعده ويندرج فيهم الخلفاء والقضاة
وامراء السرية امر الناس بطاعتهم بعدما امرهم بالعدل تنبيها
على ان وجوب طاعتهم ما داموا على الحق وقيل علماء الشرع لقوله تعالى
ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم الاية فان تنازعتم انتم واولي
الامر منكم في شيء من امور الدين وهو يؤيد الوجه الاول يعني في ان
اولي الامر هم الخلفاء والامراء لا العلماء اذ ليس للمقلد ان ينازع المجتهد
في حكمه بخلاف المرؤوس الا ان يقال الخطاب لاولي الامر يعني فقط على
طريقة الالتفات فردوه فراجعوا فيه الى الله اي كتابه والرسول بالسؤال
عنه في زمانه والمراجعة الى السنة بعده ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر
فان الايمان يوجب ذلك يعني الرد المذكور ذلك اي الرد خير لكم واحسن
تاويلا عاقبة او احسن تاويلا من تاويلكم انتهى كلام البيضاوي باختصار
بعبادته ونسق ما يضارع هذا ولنا في كتابنا نهاية المراد شرح هدية
ابن العماد كلام في هذه المسألة اكثر من هذا ولكن لكل كتاب مطالب
يوفيه وغيره **وضدها** اي ضد البدعة في العادة **السنة الزائدة** لكمال
سنة الهدى كما قدمناه ومعنى زيادتها كونها ليست لتكميل الدين بخلاف
سنة الهدى كما ذكرنا فان الدين يتكمل بها **وهي ما** اي فعل **واظب عليه النبي
صلى الله عليه وسلم وهو من جنس العادة** حيث لم يقصد به العبادة
ليكون تكميلا للدين **كالابتداء باليمين** من اليد والرجل وغيرهما **في
الافعال الشريفة** يعني غير الخسيسة كما روي عن عائشة رضي الله عنها
كان النبي صلى الله عليه وسلم يحب التيامن في افعاله تنعله وترجله
وطهوره وفي شأنه كله قال القرطبي في شرح مسلم كان ذلك منه تبركا
باسم اليمين لاضافة الخير اليها كما قال تعالى واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين
ولانه من جانب الطور الايمن ولما فيه من اليمن والبركة وهو من باب

التناول ونقيضه الشمال ويؤخذ من هذا الحديث احترام اليمين والكراهة
فلا تستعمل في ازالة شيء من الاقذار ولا في شيء من خسيس الاعمال وقد نهى
صلى الله عليه وسلم عن الاستنجاء ومس الذكر باليمين وفي رياض الصالحين
وعن سلمة ابن الاكوع رضي الله عنه ان رجلا اكل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
بشماله فقال كل بيمينك فقال لا استطيع قال لا استطعت ما منعه الا الكبر
فما رفعها الى فيه رواه مسلم وفي شرح الشرعة المسمى بجامع [illegible] وان يأكل
ويشرب بيمينه لما روى ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ليأكل احدكم بيمينه وليشرب بيمينه وليأخذ بيمينه ولا بأس بان
يستعين بيساره في الاكل وغيره عند الحاجة وانما البأس في الاكل بها
على الاستقلال بغير حاجة **والابتداء باليسار** من اليد والرجل وغيرهما
في الافعال **الخسيسة** كدخول الخلاء والاستنجاء ومس الذكر حتى نقل الامام
القرطبي في شرح مسلم ان من استنجى بيمينه فقد اساء واجزاءه وقال
اهل الظاهر لا يجزيه لاقتضاء النهي فساد المنهي عنه وعند الجمهور لا
يقتضيه وايضا فان الجمهور حملوا هذا النهي على غير ذات المنهي عنه وهو
احترام اليمين والمطلوب الذي هو الانقاء قد حصل فيجزي عنه وتنبيه
باليمين يلزم منها تعذر اختلف في كيفية التخلص عنه فقال المازري
ما حاصله كره بشماله ثم يمسح به الحجر السليم على مقتضى الحديثين وتمامه هناك
فهي اي هذه السنة الدالة مستحبة اي استحبها النبي صلى الله عليه وسلم والسلف
الماضون قال والدي رحمه الله تعالى في كتاب الاحكام ثم في الحاوي القدسي والادب
والمستحب والنافلة ما فعله عليه الصلاة والسلام مرة مرة وهي تسمى سنة ايضا
وفي شرح درر البحار اعلم ان المستحب ادون من السنة واعلى من الادب ولم يفرق
بعض مشايخنا بين الادب والمستحب وقد يطلق المستحب على السنة **فظهر** من هذا
ان البدعة بالمعنى الاعم وهو ما تقدم من المعنى اللغوي العام الذي هو مطلق الابتداع
والاختراع سواء كان في العادة (او العبادة) **ثلاثة اصناف مرتبة في القبح** اي اعظمها قبحا
الاول وهو البدعة في الاعتقاد ثم اوسطها قبحا الثاني وهو البدعة في العبادة
ثم ادناها قبحا الثالث وهو البدعة في العادة قال في شرح الشرعة وذكر
في شرح المشارق ان العلماء قالوا البدعة خمسة واجبة كنظم الدلائل لرد شبه
الملاحدة وغيرهم ومندوبة كتصنيف الكتب وبناء المدارس ونحوها ومباحة
كالتبسط بالوان الاطعمة عند ضيافة الاخوان وغيرها ومكروهة وحرام
وهما ظاهران **فاذا علمت هذا** التقسيم الذي تقدم بيانه **فالمنارة**
المذكورة في نوع البدعة المستحبة انما كانت مستحبة مع انها بدعة لانها

عون

وقت الصلاة المرادة

عون اي معينة للمؤذنين في قصدهم **لاعلام** للاعلام من معنى الاذان شرعا
اذ معناه لغة مطلق الاعلام وفي الشرع هو الاعلام بوقت الصلاة وفي
المنارة اعانة في انتشار ذلك بين المسلمين ما ليس في غيرها **والمدارس**
المبنية للعلم وقراءة القرآن وكذا تصنيف الكتب الشرعية في علم التوحيد
والعقائد **عون** اي معينة **للمتعلم** بسبب تقرير المسائل وايضاحها وايراد
كل شيء في محله من الابحاث المناسبة والاشكالات والاجوبة وتحرير الادلة
وبيان الخلاف حتى يسهل معرفة ذلك على العالم والمتعلم **وعون** للوصول الى
التبليغ ايضا من العلماء الاولين الى المتاخرين اي تبليغ الشرايع والا
حكام على احمل ما يكون من الكلام تسهيلا على القرائح والافهام **وردّ** مستندا
اي صرف الامر ومنع الفرق **المبتدعة** من المعتزلة وغيرهم **بنظم** اي جمع وترتيب
الدلائل العقلية والبراهين القطعية في تحقيق المسائل الاعتقادية الا
صولية **نهي** خبر المبتدا **عن المنكر** القبيح ممن تقدم لمن تاخر على وجه العموم كما
هو الطريقة المسنونة في ذلك من غير تعيين فاعلم على حسب ما قدمناه
وذب اي طرد ومحاماة وردع وزجر **عن الدين** المحمدي والحاصل
ان السادة الائمة الاولين من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم اجمعين
لما حصلوا على سعادة الجهاد في اعداء الدين بظواهر العزايم وقارعوهم بالسما
هر والصوارم حتى فتحت البلاد واطمانت القلوب الاسلامية وبردت الاكباد
ولم يبق للمتاخرين حظ من ذلك فجعل الله تعالى لهم مسلكا بافتراق الامة
وتشتت الكلمة وظهور الزائغين وكثرة المخالفين في العقايد والمعاندين
فانفتحت لهم ابواب جهاد اخر في النفوس الجاهلة فلم تفتهم حظهم من
سعادة الجهاد في اهل الضلال فحاربوهم بعزايم البواطن وقارعوهم بسيوف
الحجج والبراهين في جميع المواطن وبنوا حصون الكتب المصنفات الكثيرة
المتنوعة واتقنوها جهدهم ونصبوا اليها مجانيق لهدم حصون الضلال وهلاك
وساوس اهل العناد والجدال وبنوا المدارس وشيدوها لنشر ذلك واعلانه
على حسب حال [illegible] المؤمنين على الخير من اهل التقوى في زمانه فجزاهم الله تعالى
خير الجزاء يوم القيمة وبلغهم غايات امانيهم في دار الاقامة **فكل** بالتنوين
اي كل واحد مما ذكر من بناء المنارة [illegible] والمدارس وتصنيف الكتب
ونظم الدلائل **ماذون فيه** من قبل الشارع اذ قصده بقاء ما شرعه وتقويته
وازالة ما يمانعه وهذا المعنى موجود فيما ذكر **بل مامور به** من قبل الشارع
ولو على طريق العموم كما قال تعالى حافظوا على الصلوات وقال تعالى ولا
تقولوا على الله الا الحق فبناء المنارة والمدرسة من جهة المحافظة على

وقوعه في الصدر الاول الى صدره

الصلوات وتصنيف الكتب ونظم الدلائل من جهة القول الحق على الله وعدم قول الباطل وما اشبه ذلك وعدم التابعين رضي الله عنهم اجمعين اما لعدم الاحتياج الى كل واحد من ذلك لاستغنائهم من ائمة الدين عن تصنيف الكتب ولقلة المخالفين عن نظم الدلائل او لعدم القدرة منهم بعدم المال في الانفاق على بناء المنارة والمدارس وجعل الاوقاف عليها والوظائف او لعدم التفرغ لفعل ذلك بالاشتغال ليلا ونهارا ظاهرا وباطنا بالاهم من ذلك على حسب ما يعلمون من قتال الكفار وفتح البلاد وتمهيد القواعد الاسلامية والقوانين الايمانية بين العباد والمحافظة على فعل السنة النبوية والسيرة المحمدية والقيام بها في الاحوال كلها صونا لها من الضياع والابتذال او نحو ذلك من الاعذار المانعة للاوائل عن عمل ذلك كعدم حدوث ما يقتضيه في زمانهم ووجود ما يغني في ذلك الزمان دون غيره وعدم تنبههم لمثله ولو تتبعت كل ما قيل فيه بمعنى العام والخاص بدعة حسنة سواء كان اعتقادا او قولا او عملا او تخلقا من جنس العبادة او جنس العادة ليس ببدعة شرعا كان موجدة ماذونا فيه من قبل الشارع لكل احد اشارة في اية او حديث او دلالة من اية او حديث لا يكاد يخرج من ذلك عما ذكر اصلا والقصور انما هو في عدم الاطلاع والفرق بين الاشارة والدلالة ان الاشارة هي ايماء النص الى غير ما سيق له كقوله تعالى وعلى المولود له الاية سيق الكلام لاثبات النفقة وفيه اشارة الى ان النسب من الاب والدلالة افهام النص لازم معناه كالنهي عن التافيف يوجب حرمة الضرب بالاولى في قوله تعالى ولا تقل لهما اف وقد سئل بعض العلماء عن هذه المقامات المنصوبة حول الكعبة التي يصلون فيها الان باربعة ائمة على مقتضى المذاهب الاربعة كانت الشريعة على ذلك ولا عصر التابعين ولا تابعيهم ولا عهد الائمة الاربعة ولا امروا بها ولا طلبوها فاجاب بانها بدعة ولكنها بدعة حسنة لا سيئة لانها تدخل بدليل السنة الصحيحة وتقريرها في السنة الحسنة لانها لم يحدث منها ضرر ولا حرج في المسجد ولا في المصلين من المسلمين لعامة اهل السنة والجماعة بل فيها عميم النفع في المطر والحر الشديد والبرد وفيها وسيلة للتقرب من الامام في الجمعة وغيرها فهي بدعة حسنة ويسمون بفعلها للسنة الحسنة وان كانت بدعة اهل السنة لا لاهل البدعة لان النبي صلى الله عليه وسلم قال من سن سنة حسنة فسمى المبتدع للحسن مستنا فادخله النبي صلى الله عليه وسلم في السنة وقرن بذلك الابتداع وان لم يرد شيء في

يجوز جعل الضمير للمخاطب والمتكلم وما تؤول بمبتدع وضمير فيه يرجع له وقوله بدعة مرفوع على انه خبر مبتدأ محذوف تقديره هو وحسنة صفته وقوله من جنس العبادة متعلق بمحذوف تقديره او قيل هذا اللفظ من جنس الخ وجدته على احد الاحتمالين في تا تتبعت جواب لو الامتناعية الشرطية ه قه

الفعل

78

مطلب ضابط السنة

في الفعل فقد ورد في القول فان ما سني لا بدعي لدخوله بتسمية النبي صلى الله عليه وسلم فيما قرره من السنة وضابط السنة ما قرره او فعله النبي صلى الله عليه وسلم وداوم عليه واظهره ومن جملة فعله ايضا قوله صلى الله عليه وسلم وسكوته على الامور لانه تقرير واذن في ابتداع السنة الحسنة الى يوم الدين وانه ماذون له بالشرع فيها وماجور على ثواب العاملين لها بدوامها اخرج الامام احمد بن حنبل ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه عن جرير عن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سن في الاسلام سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها من بعده من غير ان ينقص من اجورهم ومن سن في الاسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير ان ينقص من اوزارهم شيء واخرج البيهقي عن ابي جحيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة فعمل بها من بعده كان له اجره ومثل اجورهم من غير ان ينقص من اجورهم شيئا ومن سن سنة سيئة فعمل بها من بعده كان عليه وزرها ومثل وزر من غير ان ينقص من اوزارهم شيئا الحديث فيدخل في السنة بتقريره صلى الله عليه وسلم كل بدعة حسنة ومنها الربط والمدارس والمرافق والمصابيح حيث كانت للمسلمين بالطرق وغيرها للمنافع وكل حادث مستحسن وقال الامام النووي في شرح صحيح مسلم عند الكلام على حديث من سن سنة حسنة ومن سن سنة سيئة وحديث من دعا الى هدى ومن دعا الى ضلالة هذان الحديثان صريحان في الحث على استحباب سن الامور الحسنة وتحريم سن الامور السيئة وان من سن سنة حسنة كان له مثل اجر كل من يعمل بها الى يوم القيمة ومن سن سيئة كان عليه مثل وزر من يعمل بها الى يوم القيمة وان من دعا الى هدى كان له مثل اجور تابعيه او الى ضلالة كان له مثل اثام تابعيه سواء كان ذلك تعليم علم او عبادة او ادبا او غير ذلك قوله صلى الله عليه وسلم فعمل بها بعده معناه بعد ان سنها سواء كان العمل في حياته او بعد موته انتهى والظاهر ان السنة الحسنة والسنة السيئة يترتب عليهما الجزاء لمن ابتداهما مثل جزاء فاعلهما الى يوم القيمة سواء نوى من ابتداهما عند ابتدائهما ان يتبعه غيره فيهما او لم ينو ذلك او فعلهما لنفسه فقط ابتداء كما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس من نفس تقتل ظلما الا كان على ابن ادم الاول كفل من دمها لانه كان اول من سن القتل متفق عليه ورعا نقال لا يترتب الجزاء لمن ابتدأهما مثل جزاء فاعلهما ما لم يكن نوى عند ابتدائهما ان يتبعه غيره فيهما وان لم ينو فليس له الا جزاؤه على فعلها فقط لقوله عليه الصلاة والسلام لقوله انما الاعمال بالنيات

وانما لكل امرئ ما نوى فان الحصر في هذا الحديث مانع من ترتب ذلك
على مجرد الفعل من غير نية الامامة فيه نظير ما صرح به الفقهاء بان الامام اذا لم
ينو الامامة في الصلاة بان يتبعه غيره فيها فله ثواب المنفرد لعدم النية
ويؤيده حديث من دعا الى هدى كان له من الاجر مثل اجور من تبعه لا ينقص
ذلك من اجورهم شيئا ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الاثم مثل اثام من
تبعه لا ينقص ذلك من اثامهم شيئا رواه مسلم كما تقدم وحديث من
دل على خير فله مثل اجر فاعله رواه مسلم وقد صدر الشيخ النووي رحمه الله
تعالى باب من سن سنة حسنة او سيئة في كتابه رياض الصالحين بقوله
تعالى والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين
واجعلنا للمتقين اماما وقوله تعالى وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا
ومعلوم ان الامام لا يصير اماما مثابا على امامته بعدد المقتدين به
حتى ينوي ان يتابعه غيره في عمله والا فليس بامام اذ لو كان المراد مطلق
الفعل لكان في الحديث من عمل عملا حسنا من عمل عملا سيئا فان السنة
مشعرة بما ذكر ويمكن ان يقال في حديث ابن ادم المذكور ان النبي صلى
الله عليه وسلم كشف له عن حال ابن ادم انه نوى بقتله لاخيه تشفي نفسه
منه وان يتبعه غيره في ذلك وهذا اقرب انه كان اول من سن القتل ولم يقل اول
من قتل فان معنى السنة الطريقة المسلوكة ولو لم يكن نوى انها تسلك بعده
ما قيل عنه انه سنها كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يسن السنن بنية ان
يتابعه فيها غيره فيكون اماما فيها فيترتب له ثواب من عمل بها الى يوم
القيمة **ثم اعلم** يا ايها المكلف **ان فعل البدعة** السيئة في الدين **اشد
ضررا** على الفاعل وغيره **من ترك السنة** معتقدا كراهة ذلك الترك
وفيه اشارة الى ان ترك السنة ليس ببدعة اذا لم يعتقد الترك طاعة
فان اعتقده طاعة كان بدعة سيئة في الدين ايضا فساوى البدعة
الفعلية وانما كان فعل البدعة اضر من ترك السنة لتعدي ضررها الى عمل
الغير واعتقاده ما ليس بمشروع خصوصا فيمن ظاهره الصلاح بخلاف ترك السنة
فانه وان تعدى الى الغير لم يكن متعديا في الاعتقاد **بدليل** متعلق باشد **ان
الفقهاء قالوا اذا تردد** اي المكلف **في** فعل **شيء** من الاعمال والاقوال
او العقايد والاحوال **بين كونه** اي ذلك الشيء **سنة** من سنن النبي صلى الله
عليه وسلم فيثاب على فعلها **وبدعة** في الدين سيئة فيعاقب بفعلها وشك
في ذلك ولم يظهر له دليل يرجح عند احد الطرفين **فتركه** اي ذلك الشيء المتردد
فيه **لازم** عليه اي واجب قال في محيط السرخسي من كتاب التحريات اي ما تردد

فيه

فيه بين الواجب والبدعة ياتي به احتياطا وما تردد فيه بين البدعة والسنة
تركه لان ترك البدعة لازم واداء السنة غير لازم انتهى وقال ابن نجيم الحنفي
رحمه الله تعالى في كتابه الاشباه والنظاير في قاعدة درء المفاسد اولى من
جلب المصالح فاذا تعارضت مفسدة ومصلحة قدم دفع المفسدة غالبا
لان اعتناء الشرع بالمنهيات اشد من اعتنائه بالمامورات ولذا قال
عليه الصلاة والسلام اذا امرتكم بشيء فاتوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم
عن شيء فاجتنبوه وروي في الكشف حديثا لترك ذرة مما نهى الله عنه
افضل من عبادة الثقلين ومن ثم جاز ترك الواجب دفعا للمشقة
ولم يسامح في الاقدام على المنهيات خصوصا الكباير ومن ذلك ما ذكره
البزازي في فتاواه ومن لم يجد سترة ترك الاستنجاء ولو على شط
نهر لان النهي راجح على الامر حتى استوعب النهي الازمان ولم يقتض
الامر التكرار انتهى والمراة اذا وجب عليها الغسل ولم تجد سترة
من الرجال تؤخره والرجل اذا لم يجد سترة من الرجال لا يؤخره ويغتسل
وفي الاستنجاء اذا لم يجد سترة يتركه والفرق ان النجاسة الحكمية اقوى
والمراة بين النساء كالرجل بين الرجال كذا في شرح النقاية ومن
فروع ذلك المبالغة في المضمضة والاستنشاق مسنونة وتكره للصايم و
تخليل الشعر سنة في الطهارة ويكره للمحرم وقد تراعى المصلحة لغلبتها على
المفسدة فمن ذلك الصلاة مع اختلال شرط من شروطها من الطهارة او
الستر او الاستقبال فان في ذلك مفسدة لما فيه من الاخلال بجلال الله تعالى
بان لا يناجى الا على اكمل الاحوال ومتى تعذر شيء من ذلك جازت الصلاة
بدونه تقديما لمصلحة الصلاة على هذه المفسدة ومنه الكذب مفسدة محرمة
ومتى تضمن جلب مصلحة تربو عليه جاز كالكذب للاصلاح بين الناس وعلى
الزوجة لاصلاحها وهذا النوع راجع الى ارتكاب اخف المفسدتين في الحقيقة
واما ترك الواجب فهل هو اشد قبحا واثما **من فعل البدعة** السيئة في الدين
لفوات امتثال الامر بالكلية في ترك الواجب وفواته من وجه في فعل
البدعة او القضية **على العكس** من ذلك وهو ان فعل البدعة اشد من ترك
الواجب لاعتقاد انها طاعة بخلاف ترك الواجب فانه معلوم عند
تاركه بانه معصية **ففيه** اي في ترك الواجب المتردد بين الامرين المذ
كورين **اشتباه** اي التباس عند ناظر لم يرتفع من ابتداء الامر مطلقا **بين
كونه بدعة** سيئة **و كونه واجبا** ولم ندر ما حكم فعله بان تعارضت فيها
يقتضي وجوبه وما يقتضي عدم مشروعيته اصلا **انه يفعل** ترجيحا لما يقتضي

حيث رجحوا فيما تردد في شيء

وجوبه احتياطا في امتثال الامر فقالوا اذا اضاق الوقت عن
الاتيان بالسنن في الصلاة يتركها ويأتي بالصلاة الواجبة عليه
وان لزمت البدعة من ترك السنن ولهذا قال في شرح الدرر من
امن فوت الوقت يتطوع قبل الفرض الا اذا اضاق الوقت وقال الوالد
رحمه الله تعالى في شرحه لان صلاة التطوع عند ضيق الوقت حرام لتفويتها
الفرض كما في البحر انتهى وقال في الاشباه والنظائر لو ضاق الوقت او الماء
عن سنن الطهارة حرم فعلها وذكر في تنوير الابصار ما لو نذر ركعتين
بلا طهارة انهما يلزمانه ملتزما به بالطهارة عند ابي حنيفة رضي الله عنه
وهو ترجيح لجانب فعل الواجب على ترك المنهي عنه وفي الاشباه تغسيل
الشهيد بدعة ترجيحا لوجوب غسل الجنابة وهناك فروع كثيرة يعرفها من
يتتبعها في مواضعها وفي كتاب الخلاصة في فقه الحنفية **مسئلة تدل**
على خلافه اي خلاف ما ذكر من ان فعل الواجب مقدم على ترك البدعة
فمقتضاها ان ترك البدعة مقدم على فعل الواجب **حيث قال** في الكتاب
انه اي الشان **هل صلاها ام لا** ولم يغلب على ظنه شيء منهما ان المصلي ان
كان ذلك وقع منه **في الوقت فعليه** اي يلزمه **ان يعيدها** ليخرج من
عهدتها بيقين لما وجبت عليه بيقين لما وجبت عليه بيقين **وان خرج الوقت**
ثم شك هل اداها فيه ام لا لا شيء فيه اي في الشك المذكور والاصل
براءة ذمته من بقائها عليه قال في الاشباه والنظائر في قاعدة الاصل
براءة ولذا لم يقبل في شغلها شاهد واحد ولذا كان القول قول المدعى عليه
لموافقته الاصل والبينة على المدعي لدعواه ما خالف الاصل فاذا اختلفا
في قيمة المتلف والمغصوب فالقول قول الغارم لان الاصل البراءة عما
زاد ولو اقر بشيء او حق قيل تفسيره ما له قيمة والقول للمقر مع يمينه
ومن شك هل فعل شيئا اولا فالاصل انه لم يفعل ويدخل فيها قاعدة اخرى من
تيقن الفعل وشك في القليل والكثير حمل على القليل لانه المتيقن الا ان
تشتغل الذمة بالاصل فلا تبرأ الا باليقين وهذا الاستثناء راجع الى
قاعدة ثالثة وهي ما ثبت بيقين لا يرتفع الا بيقين والمراد به غالب
الظن ولذا قال في الملتقط ولو لم يفته من الصلاة شيء واراد ان
يقضي صلاة عمره منذ ادرك لا يستحب الا اذا كان اكبر ظنه فسادها
بسبب الطهارة او ترك شرط فحينئذ يقضي ما غلب على ظنه وما زاد عليه
يكره لورود النهي عنه شك في صلاة هل صلاها اعاد في الوقت شك في
ركوع او سجود وهو فيها اعاد وان كان بعدها فلا وان شك انه

المذكور في مسائل الشك في الصلاة اذا شك في صلاته المفروضة علیم 3

كم صلى فان كان اول مرة استانف وان كثر تحرى والا اخذ بالاقل وهذه اذا
شك فيها قبل الفراغ فان بعده فلا شيء الا اذا تذكر بعد الفراغ انه ترك
فرضا وشك في تعيينه قالوا يسجد سجدة واحدة ثم يقعد ثم يقوم
فيصلي ركعة بسجدتين ثم يقعد ثم يسجد للسهو كذا في فتح القدير ولو
اخبره عدل بعد الصلاة والسلام انك صليت الظهر ثلاثا وشك في
صدقه وكذبه فانه يعيد احتياطا لان الشك في صدقه شك في الصلاة
ولو وقع الاختلاف بين الامام والقوم فان كان الامام على يقين
لا يعيد والا اعاد بقولهم وقال الوالد رحمه الله تعالى نقلا عن
الخلاصة لو اخبره رجل عدل بعد السلام انك صليت الظهر ثلاث ركعات
قالوا ان كان عند المصلي انه صلى اربع ركعات لا يلتفت الى قول
المخبر وان شك المصلي في المخبر انه صادق ام كاذب عن محمد انه يعيد
صلاته احتياطا وان شك في قول عدلين يعيد صلاته وان لم يكن
المخبر عدلا لا يقبل قوله وكذا لو وقع الاختلاف بين الامام والقوم
ان كان الامام على يقين لا يعيد والا اعاد بقولهم ولو اختلف
القوم فقال بعضهم صلى ثلاثا وقال بعضهم صلى اربعا والامام مع
احد الفريقين يؤخذ بقول الامام وان كان معه واحد فان اعاد الامام الصلاة
واعاد القوم معه مقتدين به صح اقتداؤهم لانه ان كان صادقا يكون هذا
اقتداء المتنفل بالمتنفل وان كان كاذبا يكون اقتداء المفترض بالمفترض ولو استيقن
واحد من القوم انه صلى ثلاثا وواحد انه صلى اربعا والامام والقوم في شك
ليس على الامام والقوم شيء وعلى المستيقن بالنقصان الاعادة ولو ان الامام
استيقن انه صلى ثلاثا كان عليه ان يعيد بالقوم ولا اعادة على الذي يتيقن
بالتمام ولو استيقن واحد من القوم بالنقصان وشك الامام او القوم فان
كان ذلك في الوقت اعادوه احتياطا وان لم يعيدوا فلا شيء عليهم الا اذا استيقن
عدلان بالنقصان واخبرا بذلك وقيد في الظهيرية الاعادة بقول العدل بان كان
في الوقت والمسئلة في المحيط مذكورة نحو ما في الخلاصة وفي الظهيرية قال
محمد بن الحسن اما انا فاعيد بقول عدل واحد بكل حال ثم في واقعات
الناطفي امام صلى بقوم وذهب فقال بعضهم هي الظهر وقال بعضهم هي
العصر فان كان في وقت الظهر فهي الظهر وان كان في وقت العصر فهي العصر
لان الظاهر شاهد لمن يدعي ما يوافقه الوقت فان كان مشكلا قال في
العتابية بان كان غيما قال في المحيط جاز للفريقين ما نزعم في القياس
بمنزلة قطرة الدم وقعت من خلف الامام ولا يدري ممن هي لان الشك

في وجوب الاعادة والاعادة لا تجب بالشك انتهى وتمام هذه الفروع في
المطولات **ولو كان الشك** من المصلي **في صلاة العصر** حيث يكره النفل بعدها
فانه يحترز ان تقع اعادته نفلا صحيحا تباعدا من الكراهة بان **يقرأ في**
الركعة الاولى من هذه المعادة فاتحة وسورة او اية طويلة او ثلاث ايات
قصار **وكذلك يقرأ في الركعة الثالثة ولا يقرأ** شيا اصلا في الركعة **الثا**
نية ولا في الركعة **الرابعة** كيلا يصح النفل بعد العصر على احتمال صحة صلاة
العصر فان القراءة فرض في جميع ركعات النفل وفي ركعتين غير
معينتين من الفرض فقط وعلى احتمال عدم صحة صلاة العصر تقع هذه
الاربع ركعات فرض صلاة العصر **انتهى** يعني فرغ كلام الخلاصة ثم
قال المصنف رحمه الله تعالى **وتعيين الركعتين الاولين للقراءة** في
صلاة **الفرض واجب** يعني دون الفرض فتركه سهوا يوجب سجود السهو
وعمدا يقتضي نقصان الصلاة لا بطلانها فتجب اعادتها في الوقت ويستحب
اعادتها اذا خرج الوقت كما هو مقرر في موضعه من كتب الفقه **وقد**
امر اي امره الشارع على مقتضى اجتهاد المجتهد القائل بذلك **بتركه** اي
بترك ذلك الواجب **حذرا** اي لاجل الحذر والاحتراز **عن احتمال وقوع**
النفل من الصلاة **بعد** اداء **صلاة العصر** على تقدير كونه صح العصر واما
على تقدير كونه ما صلى العصر يقع النفل قبل اداء صلاة العصر وهو جائز
ولهذا يستحب تاخير صلاة العصر ما لم تصفر الشمس تكثيرا للنوافل **وهو**
اي وقوع النفل بعد العصر وهو جائز ولهذا يستحب **بدعة مكروهة** لحديث
الصحيحين لا صلاة بعد العصر حتى تغرب الشمس ولا صلاة بعد الفجر حتى تطلع الشمس
وهذه الكراهة باقية الى اداء صلاة المغرب ودخل في النفل المكروه في هذين
الوقتين الصلاة المنذورة وركعتا الطواف وما بداء به فافسده لا قضاء
فائتة ولو وترا وصلاة جنازة وسجدة تلاوة وفي شرح الدرر في مسئلة ما لو
اتى بالقعود الاخير ثم قام فلم يتذكر حتى سجد في الخامسة ضم اليها سادسة قد تم
فرضه قال ولو عصرا اشارة الى ضعف ما قيل لا يضم في العصر لكراهة النفل بعدها
وقيل يضم لان هذا ليس بمقصود والنهي عن النفل بعد العصر مقصودا والمقصود فلا
يكره بدونه وهو الاصح كذا قال الزيلعي وفي غرر الاذكار والاصح انه اذا اتى في
الفجر والعصر بعد القعود الاخير بركعة ساهيا يضم اليها ركعة اخرى لان النهي
بعدهما هو التنفل قصدا وفي شرح ابن ملك قالوا اذا صلى في الفجر والعصر
بعد القعدة الاخيرة ركعة ساهيا لا يضم اليها اخرى لكراهة النفل بعدها
والاصح انه يضم اليها لان المنهي عنه هو النفل المقصود وهذا لم يشرع فيه بالقصد

انتهى

انتهى وهو يقتضي انه لا حاجة الى ما سبق ذكره في مسئلة الخلاصة من
ترك القراءة في صلاة العصر في الثانية والرابعة اذا اشك في ادائها
حذرا من كراهة النفل بعد العصر حيث كان الاصح انه لا يكره الا
اذا كان مقصودا وهنا في مسئلة الشك غير مقصود فلا يكره ولكن
لم يذكر المصنف رحمه الله تعالى هذه المسئلة لخصوص بيان الحكم
فيها بل لترجيحهم فيها ترك واجب القراءة حذرا من الوقوع في بدعة
التنفل بعد صلاة العصر حيث عارض هذا القول منهم لقولهم بترجيح
فعل الواجب على ترك البدعة المكروهة اذا وقع التردد بينهما وقد اجاب
عنه بقوله **فالتطبيق** اي المطابقة بين قول الفقهاء بترجيح فعل الواجب
على ترك البدعة المكروهة وبين عبارة الخلاصة المقتضية ترجيح ترك
البدعة المكروهة على فعل الواجب **اما بحمل البدعة** المكروهة في كلام
الفقهاء حيث بترجيح فعل الواجب على تركها كما مر **على ما** اي فعل
تلك البدعة المكروهة **بخصوصه** اي بخصوص فعل ذلك في عموم النهي ومسئلة
الخلاصة لا ترد حينئذ لان البدعة فيها ورد النهي فيها بخصوصه وهو
ما سبق من حديث الصحيحين **او بحمل الواجب** الواقع في قول الفقهاء
بترجيح المكروهة ولهذا قالوا لم يكره قضاء الفوائت بعد العصر والفجر
لانها فرائض **او بحمل الواجب** في قوله على الواجب الذي هو دون
الفرض **المستقل** كالوتر في رواية وصلاة العيدين **لا الواجب الضمني** اي
الذي يكون في ضمن غيره كتعيين القراءة في الاوليين من الفرض اذ
التابع لغيره اسهل من المستقل في نفسه حيث يجبر الاول والاصح
منهما ما ذكرناه مما يقتضي عدم كراهتها لان النفل فيها بعد صلاة غير
مقصودة فلا كراهة فيه والله **تعالى اعلم** بما هو الحق والصواب في
ذلك والمشاركة في العلم بيننا وبينه المستفادة من افعل التفضيل باعتبار
ان علمنا اقتصار عنه سبحانه فهو من علمه كنسبة لا شيء الى شيء لا يتناهى قال تعالى
عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول الاية ومقتضاها
انه يطلع من ارتضى من رسول والرسول يطلع امته فيكون علم الامة من علم
الله تعالى فقد وجد معنى افعل التفضيل بالمشاركة والزيادة والتعلم بعضهم
بالالف واللام ولا يفيد غير حصر الاعلمية فيه سبحانه ومعنى المشاركة باق **فان**
قيل اي قال قائل **ما سبق** في فصل الاعتصام بالكتاب والسنة وفي اوائل
هذا الفصل **قد دل** بمجموع ذلك كله جملة وتفصيلا **على ان الكتاب**
العزيز القراني **والسنة** النبوية المحمدية **كافيان** لكل مكلف **في امر الدين**

لم ينه عنه

يعني بمعنى الفرض

او بالحمل على الروايتين الواردتين عن المجتهد

ولما حصل الكلام قوله فالتطبيق [illegible]
[illegible]

[illegible] خواجه زاده

الحق الحجاج من يريد في الظاهر والباطن الى متابعة غيرها والاستضاءة
بغير انوارها ودل ذلك ايضا على ان ما اي الذي او امر لم يثبت باحدهما
اي الكتاب او السنة فهو بدعة مكروهة وضلالة فكيف يستقيم مع هذا قول
الفقهاء في اصول الفقه الادلة الشرعية اربعة قال الامام النسفي في المنار
اصول الشرع ثلاثة الكتاب والسنة والاجماع والاصل الرابع القياس وزاد
في اصول فخر الاسلام والاصل الرابع القياس المستنبط من هذه الا
صول وفي شرح مرقاة الاصول الادلة اربعة وهي الكتاب والسنة
والاجماع والقياس وجه الضبط ان الدليل اما وحي او غيره والوحي اما
متلو فالكتاب اولا فالسنة وغير الوحي ان كان قول كل مجتهد في عصر
فالاجماع والا فالقياس قلنا في الجواب عن ذلك نعم ادلة الشرع اربعة
ولكنها ترجع الى اثنين الكتاب والسنة اذ لا بد للاجماع من سند اي
دليل يستند قول اهل الاجماع اليه قال في شرح مرقاة الوصول ولا بد
له اي للاجماع من سند اي دليل او امارة يستند الاجماع اليه لاستحالة
الاتفاق بلا داع عادة ولان الحكم الذي ينعقد به الاجماع ان لم يكن عن
دليل سمعي كان عن عقل وقد ثبت ان لا حكم له عندنا وفي شرح المنار لابن
ملك وقيل ينعقد الاجماع لا عن دليل بل بالهام وتوفيق بان يخلق الله تعالى فيهم
علما ضروريا ويوفقهم لاختيار الصواب كبيع التعاطي واجرة الحمام ولكن نقول
ذلك فاسد لان العدول لا يتصور منهم الاجماع على حكم من احكام الله تعالى الا
مبنيا على حديث او معنى من النصوص دون امر موثر وما ذكره من بيع التعاطي
واجرة الحمام فالاجماع فيهما واقع عن دليل الا انه لم ينقل الينا اكتفاء بالاجماع
كذا في جامع الاسرار وقال التفتازاني في التلويح والجمهور على انه لا يجوز
الاجماع الا عن سند او امارة لان عدم السند يستلزم الخطاء اذ الحكم في الدين
بلا دليل خطاء ويمتنع اجماع الامة على الخطاء وايضا اتفاق الكل من غير
داع مستحيل عادة كالاجتماع على اكل طعام واحد وفائدة الاجماع بعد وجود
السند سقوط البحث وحرمة المخالفة وصيرورة الحكم قطعيا ثم اختلفوا في
السند فذهب الجمهور الى انه يجوز ان يكون قياسا وانه واقع كالاجماع
على خلافة ابي بكر رضي الله عنه قياسا على امامته في الصلاة حتى قيل
رضيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لامر ديننا افلا نرضاه لامر دنيانا
وذهب الشيعة وداود الظاهري ومحمد بن جرير الطبري الى المنع من ذلك
واما جواز كون السند خبر واحد فمتفق عليه كذا في عامة الكتب وقد وقع
في الميزان واصول الامام السرخسي ان المذكورين خالفوا في الظني قياسا

كان

كان او خبر واحد ولم يجوزوا الاجماع الا عن قطعي لانه قطعي فلا يبتنى الا على
قطعي لان الظن لا يفيد القطع وجوابه ان كون الاجماع الا عن قطعي لانه
قطعي حجة ليس مبنيا على دليله اي سنده بل هو حجة لذاته كرامة لهذه
الامة واستدامة لاحكام الشرع والدليل على بطلان مذهبهم انه لو
اشترط كون السند قطعيا لوقع الاجماع لغوا ضرورة ثبوت الحكم قطعيا با
لدليل القطعي من احدهما اي من الكتاب او السنة حالا بان كان صريح اية
او حديث او خبر واحد ومالا اي مرجعا يرجع الى الكتاب والسنة وهو القياس
كما قدمناه على القول الصحيح اذ في اشتراط السند للاجماع خلاف ما ذكرناه
في كون القياس وخبر الواحد سندا الخلاف الذي مر ولا بد للقياس ايضا
من اصل ثابت باحدهما اي بالكتاب والسنة فانه اي القياس مظهر للحكم
الثابت به لا مثبت له وقال في شرح مرقاة الوصول القياس مظهر لا مثبت و
المثبت ظاهر دليل الاصل وحقيقته هو الله تعالى ثم قال في شروط القياس وان
يكون المعدى حكما ثابتا باحد الادلة الثلاثة الكتاب والسنة والاجماع اذ لو كان
حسيا او لغويا لم يجز لان المطلوب اثبات حكم شرعي للمساواة في علته ولا
يتصور الا بذلك وكتب التفتازاني في التلويح على القول بانه مثبت الحكم
هو الله تعالى انه غير واف بالمقصود لانه ينبغي على هذا التقدير ان لا يجعل
شيء من الادلة مثبتا للحكم بل يجعل مظهرا على ما ذهب اليه المحققون من ان
موجب الكل هو الكلام النفسي والاوجه ان حكم الفرع يثبت بالنص والاجما
ع الوارد في الاصل والقياس بيان لعموم الحكم في الفرع وعدم اختصاصه
بالاصل وهذا واضح وفي شرح المنار لابن ملك قدم الكتاب لانه حجة
من كل وجه واعقبه بالسنة لان حجيتها ثابتة بالكتاب واخر الاجماع لتوقف
حجيته عليهما ثم قال والقياس اصل بالنسبة الى حكم فرع بالنسبة الى الثلا
ثة انتهى وكون حجية السنة موقوفة على الكتاب لقوله تعالى وما اتاكم الرسول
فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وتوقف الاجماع عليهما بسبب اشتراط السند
له وهو من احدهما حالا او مالا كما مر فالكتاب اصل من كل وجه والسنة والا
جماع والقياس اصول من وجه وفروع من وجه فمرجع اي موضع رجوع الا
حكام الشرعية كلها ومثبتها اي الحاكم باثباتها وتحققها اثنان فقط في
الحقيقة وهما الكتاب والسنة والادلة الباقية راجعة اليهما كما مر قال
في شرح مرقاة الوصول واما شرائع من قبلنا فملحقة بالكتاب والسنة والعرف
والتعامل ملحق بالاجماع والاستصحاب والتحري عمل باحد الاربعة والعمل
بالظاهر والاظهر عمل بالاستصحاب والاخذ بالاحتياط عمل بقوله عليه السلام

وفي ما يريبك الى ما لا يريبك والقرعة لتطييب القلب بالسنة او الاجماع
واثار الصحابة وكبار التابعين لشبهة الحديث وبقوله عليه السلام اصحابي كالنجوم بايهم
اقتديتم اهتديتم وقوله عليه السلام خير القرون قرني الذي انا فيهم ثم الذين
يلونهم الحديث وفي شرح ابن ملك على المنار فان قلت قد ثبت الحكم بشرائع من
قبلنا وبتعامل الناس وبالاخذ بالاحتياط وبالتحري وباثار الصحابة فكيف
حصر الاصول في الاربعة قلنا هذه الاحكام غير خارجة عنها اما شرائع من
قبلنا فقد صارت شريعة لنا لان نبينا صلى الله عليه وسلم قصها علينا ولم ينكرها
والتعامل ملحق بالاجماع العملي والاخذ بالاحتياط عمل باقوى الدلائل كما في الاصول
الثلاثة والعمل بالتحري عمل بالسنة لانها وردت في جوازه عند الحاجة والعمل
بالاثار عمل بقوله صلى الله عليه وسلم اصحابي كالنجوم انتهى والحاصل ان كل ما ذكر
راجع الى الاصول الاربعة والاصول الاربعة راجعة الى الكتاب والسنة والسنة
شرح الكتاب وبيانه فهي راجعة اليه قال البيهقي في اول المدخل ووضع يعني
الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم في دينه موضع الابانة عنه ما اراد بكتابه عاما
وخاصا وفرضا وندبا واباحة وارشادا ووقتا ووعدا ووعيدا فقال جل
ثناؤه وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون
انتهى فالاصل الحقيقي هو كتاب الله تعالى لا غير فظهر لك يا ايها المنصف
في الدين السالك طريق المحققين من هذا الكلام كله الذي تقدم في بيان
الاعتصام بالكتاب والسنة والاحتراز من البدعة وان اصول الشريعة اربعة
ترجع الى اثنين هما الكتاب والسنة ان ما اي القول الذي يدعيه بعض
المتصوفة اي المنتسبين الى التصوف وليسوا من اهله حيث لم يقل بعض
الصوفية تطهير السادة الصوفية خلاصة اهل السنة والجماعة ان ينسب
اليهم مثل هذه المقالات الشنيعة في زماننا هذا الذي نحن فيه وهو
عصر التسعمائة وذكر امور الزمان وذم وقايعه شيء مشى عليه السلف و
الخلف من غير تعيين احد بذم ولا تخصيص شخص بنقيصة لقصد تحذير الغير
ونصيحته قال الشيخ الاكبر محيي الدين ابن العربي قدس الله سره في كتابه
روح القدس لما قرات بالحرم الشريف على الناس ما ذكرته في حق
المنتسبين الى الصوفية وذمي احوالهم نقل ذلك على احوالهم شخص
فقال ما دعاه الى هذا والاعراض عن هذا كان احسن وما اشبه
هذا الكلام فزادني اعتراضه تقوية ان هذا هو الحق لكونه ثقل
عليه ولقد عمي هذا القائل عن الاصول التي استندت اليها في فعلي هذا
وهو يسلمها وقد قرعت سمعه غير مرة ولم يعتب عليهم بل استحسن ذلك

فلما

83

فلما وقع ذلك في اهل زمانه رأى ان ذلك فضول لكونه في ذلك
الزمان فيخاف ان يتطرق اليه الذم في نفسه فحزن ولو انصف لبحث
عن نفسه اما الاصول التي استندت اليها في ذلك فكثيرة جدا ورويناعن
ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه قال يوم فتح مكة في القرن الفاضل
لما فقد عقدا من عنق بعض اهله تاوه وقال ارتفعت اليوم الامانة من الناس
وحكم بتلك النازلة الواحدة على الزمان ذكره في السير في غزوة فتح مكة والا
الاخ بنته رضي الله عنها لما نظرت الى زمانها واهله وما هم فيه من التخالع المذام
تاوهت وقالت يرحم الله لبيدا حيث يقول ؛ ذهب الذين يعاش في اكنافهم
وبقيت في خلف كجلد الاجرب ؛ ثم قالت كيف به لو ادرك زماننا هذا
فذمت زمانها واهله ورويناه عن غير واحد عن ابن القشيري انه قال في
رسالته يذم اهل زمانه وقد سمعها هذا المعترض علي واستحسن ذلك منه
انه قال لم يبق في زماننا من اهل هذه الطريقة الا اثرهم كما قال
اما الخيام فانها كخيامهم وارى نساء الحي غير نسائها حصلت الفترة
في الطريقة لا بل قد اندرست الطريقة بالحقيقة وذمهم باشد الذم في اول
الرسالة له ونقدوا الها بين ايدي الناس احزننا عن حكاية قوله ورويناه عن
غير واحد من حديث عبد الرحمن بن الحسين عن هارون عن ابي معونة عن
الاعمش عن ابي صالح قال لما قدم اهل اليمن زمان ابي بكر وسمعوا القران جعلوا
يبكون فقال ابو بكر هكذا كنا ثم قست القلوب وتقريع النبي صلى الله عليه
وسلم لاصحابه المعذبين بمكة على اسلامهم ومنهم خباب وقاسى بلاء شديدا
من اجل اسلامه قال خباب شكونا الى النبي عليه السلام ما نلقاه من البلاء
وقلنا الا تدعو الله الا تستنصر الله لنا فجلس محمرا وجهه ثم قال والله ان من
قبلكم ليؤخذ الرجل فيشق باثنين ما يصرفه عن دينه شيء او يمشط بامشاط
الحديد ما بين عصب ولحم ما يصرفه عن دينه شيء انتهى ثم بسط الكلام
باكثر من ذلك ولا زال كل زمان مشتملا على ما يذم وما يمدح في طبقات
جميع الناس والخير والشر باق الى يوم القيمة ومن ذم نوعا من انواع
الناس مراده اهل الشر منهم وهم موجودون وكذلك من مدح نوعا
مراده اهل الخير من ذلك النوع وهم موجودون ايضا وان زاد كل فريق
على ما يقابله او نقص في كل زمان فالفريقان لا يزولان البتة ولا يجوز
تعميم الذم في زمان من الازمان لجميع اهل ذلك الزمان لما روى مسلم
باسناده في صحيحه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قال
الرجل هلك الناس فهو اهلكهم قال النووي رحمه الله تعالى في شرحه

صح

روي اهلكهم على وجهين مشهورين رفع الكاف وفتحها والرفع اشهر
ومعناه اشدهم هلاكا واما رواية الفتح فمعناها هو جعلهم هالكين
لا انهم هلكوا في الحقيقة واتفق العلماء على ان هذا الذم انما هو فيمن
قاله على سبيل الازراء على الناس واحتقارهم وتفضيل نفسه عليهم
وتقبيح احوالهم لانه لا يعلم اسرار الله تعالى في خلقه قالوا فاما من
قال ذلك تحزنا لما يرى في نفسه وفي الناس من التقصير في امر الدين
فلا باس عليه كما قال لا اعرف من امة النبي صلى الله عليه وسلم الا انهم يصلون جميعا
هكذا فسره الامام مالك وتابعه الناس عليه قال الخطابي معناه لا يزال الرجل
يعيب الناس ويذكر مساويهم ويقول فسد الناس وهلكوا ونحو ذلك فاذا
فعل ذلك فهو اهلكهم اي اسوء حالا منهم لما يلحقه من الاثم في غيبتهم والوقيعة
فيهم وربما اداه ذلك الى العجب بنفسه ورؤيته انه خير منهم **اذا انكر**
بالبناء للمفعول اي انكر **عليهم** احد من الناس **بعض امورهم** التي هم موصوفون
بها في ظواهرهم وبواطنهم اذا اظهروها **المخالف** ذلك البعض من امورهم
للشرع الشريف والمراد مما هو المجمع عليه بين المجتهدين كالزنا وشرب الخمر
والسرقة وترك الصلاة وما اشبه ذلك واما ما لم يكن كذلك فليس بمنكر
قال الامام الغزالي في الاحياء في شروط المنكر ان يكون كونه منكرا معلوما
بغير اجتهاد فكل ما هو في محل الاجتهاد فلا حسبة فيه فليس للحنفي ان ينكر على
الشافعي اكل الضب والضبع ومتروك التسمية ولا للشافعي ان ينكر على الحنفي
شربه للنبيذ الذي ليس بمسكر الى اخر ما بسطه من الكلام في هذا
المقام وقال الشيخ اللقاني في شرح جوهرة التوحيد قال انكافة للامر
بالمعروف والنهي عن المنكر ثلاثة شروط الشرط الاول ان يعلم ما يامر به
وينهى عنه فالجاهل بالحكم لا يحل له النهي عما يراه ولا الامر به قال
السعد قال امام الحرمين ان الحكم الشرعي اذا استوى في ادراكه الخاص
والعام ففيه للعالم وغير العالم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واذا
اختص مدركه بالاجتهاد فليس للعوام فيه امر ولا نهي بل الامر فيه
موكول الى اهل الاجتهاد ثم ليس لمجتهد ان يعترض بالردع والزجر
على مجتهد اخر في موضع الخلاف اذ كل مجتهد مصيب في الفروع عندنا
ومن قال ان المصيب واحد فهو غير متعين عنده الشرط الثاني ان
ان يامن من ان يؤدي انكاره الى منكر اكبر منه والثالث ان يغلب
على ظنه ان انكاره المنكر مزيل له كما سياتي ان حرمة ذلك الامر المنكر
المذكور ثابتة في العلم فقط فهو حرام على اهل الظاهر وحدهم وانا

وانا معشر المتصوفة **اصحاب العلم الباطن** وهو المطلب ومعرفة احوال
وجريان الامور على مقتضاه **وانه** اي ذلك الامر المنكر **حلال فيه** اي في العلم
الباطن فهو حلال لنا وليس بحرام علينا وهذا كفر صريح من قايله والراضي
به اذ فيه انكار ما علم حكمه من الدين بالضرورة واجمعت عليه المجتهدون قال
في شرح الدرر ومن اعتقد الحلال حراما او بالعكس يكفر اذا كان حراما
لعينه وان كان حراما لغيره لا يكفر وان اعتقده وانما يكفر اذا كانت
حرمته ثابتة بدليل قطعي واما لو كان باخبار الاحاد فلا يكفر وقال في جامع
الفتاوى اتفق العلماء من المتكلمين والفقهاء انه اذا انكر الحكم الشرعي
الثابت بالقران او الحديث المتواتر او الاجماع القطعي مثل الصلاة وا
الصوم والزكاة والحج والغسل من الجنابة او من الحيض او الوضوء بعد
الحدث يكفر ويقتل ان دام على ذلك ولا يقبل تاويله ولا يكون جهله
عذرا لان فرض العين يكون شايعا بين المسلمين فجهله لا يكون عذرا الا
اذا دق بحيث لا يعلم الا بنظر دقيق وتامل صادق فجهله حينئذ يكون
عذرا وسياتي بقية هذا **وانتم** معشر اهل العلم الظاهر **تاخذون** جميع
احكامكم العملية والاعتقادية **من الكتاب** العزيز **وانا** معشر اهل العلم
الباطن **ناخذ** جميع احكامنا **من صاحبه** اي صاحب الكتاب الذي انزله
الله تعالى عليه **محمد** بدل من صاحبه **صلى الله عليه وسلم فاذا اشكل علينا**
مسئلة في الاعتقاد او في العمل **استفتيناها منه** اي طلبنا منه الفتيا فيها
قال الجوهري استفتيت الفقيه في مسئلة فافتاني والاسم الفتيا والفتوى
وتفاتوا الى الفقيه اي ارتفعوا اليه في الفتيا **فان حصل لنا** بفتوى رسول
الله صلى الله عليه وسلم **قناعة** اي اكتفاء **فبها** اي فقد رضينا بها
والا اي وان لم يحصل لنا قناعة بذلك **رجعنا** في تلك المسئلة **الى**
الله تعالى بالذات لانا نعرفه تعالى فنعرف كيفية الرجوع اليه لانه اقرب لنا
من حبل الوريد **فناخذ** حكم تلك المسئلة التي اشكلت علينا **منه** سبحانه
بلا واسطة احد وهذا القول كفر ايضا لا محالة بالاجماع من وجوه الاول
التصريح بعدم الدخول تحت احكام الكتاب والسنة مع وجود شروط
التكليف بذلك من العقل والبلوغ ووصول الدعوة والكون في دار الاسلام
ومنها التصريح بعدم قبول قول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا افتاه في
حكم من الاحكام وانه مخير فيه ان شاء قبله وان شاء رده ومنها دعوى
تلقي الاحكام الشرعية من الله تعالى بلا واسطة نبي وذلك دعوى نبوة قال
التفتازاني في شرح العقايد عند قول النسفي ولا يصل العبد ما دام عاقلا

علم

بالعبد الاسم الجلالة وال عوض عن المضاف اليه وابقاء زائدة ... صح

بالغا الى حيث يسقط عنه الامر والنهي لعموم الخطابات الواردات في
التكاليف واجماع المجتهدين على ذلك وذهب بعض الاباحيين الى ان
العبد اذا بلغ غاية المحبة وصفاء القلب واختار الايمان على الكفر من
غير نفاق سقط عنه الامر والنهي ولا يدخله الله تعالى النار بارتكاب
الكباير وبعضهم الى انه تسقط عنه العبادات الظاهرة وتكون عبادته
التفكر وهذا كفر وضلال فان اكمل الناس في المحبة والايمان هم الانبيا
عليهم السلام خصوصا حبيب الله تعالى مع التكاليف في حقهم اتم واكمل واما
قوله عليه السلام اذا احب الله عبدا لم يضره ذنب فمعناه انه عصمه من
الذنوب فلم يلحقه ضررها انتهى يعني تيسير التوبة له ظاهرا او باطنا في
كل حال حتى يصير يستغفر الله ويتوب اليه من وجوده ومن هفوات خاطره
فضلا عن افعاله الظاهرة بلا صعوبة عليه في ذلك ولا مشقة **وانا**
معشر اهل العلم الباطن **بالخلوة** وهي الانفراد عن الخلق **وهمة شيخنا**
وهو الذي عاهدوه على الدخول تحت امره ونهيه يربيهم باقواله وافعاله
على حسب حالته التي هو فيها وهمة خاطره المتوجه دايما من غير فتور الى
مراتب الكمال بمقتضى ما يظهر له على زعمه **نصل الى** معرفة **الله تعالى** ونتحلى
بكمال قربه والفوز لديه **فتنكشف لنا العلوم** كلها فناخذ منها ما نريد **فلا**
نحتاج مع ذلك **الى قراءة الكتاب** اي القران او كتاب العلم **ولا نحتاج الى**
المطالعة في الكتب مطلقا **ولا الى القراءة على الاستاذ** اي المعلم للقران
وللعلم وهذا القول منهم كذب محض وافتراء على الله تعالى واجتراء
عليه سبحانه حيث زعموا انه يوصلهم الى معرفته مع قولهم الاول الذي
هو كفر صريح ان الله لا يهدي القوم الكافرين نعم الخلوة وهمة
الصادق العارف الكامل في مرتبة العلم والعمل الجامع بين علمي
الظاهر والباطن كافية للمريدين ومغنية لهم عن قراءة الكتاب و
المطالعة والاشتغال في العلوم اذ همته وحدها وغيرته الالهية
لا تتركهم على جهل في حكم من الاحكام مطلقا وحيث تربيته فهو كتاب
لهم وزيادة لان عنده جميع ما يحتاجون اليه مما في الكتاب وربما
كانت قراءتهم ومطالعتهم ودراستهم على استاذ غيره مانعة لهم
من الدخول تحت امره ونهيه فيما يعلمه من صلاح احوالهم على مقتضى
الشريعة المحمدية فهو ينهاهم عن طلب العلم لئلا تتالف قلوبهم كالكساد
من التعلم مع ترك العلم به فيكون علمهم حجة عليهم ويعلمهم ما
ينفعهم شيئا فشيئا لانه اعرف بمصالحهم منهم واما اذا كان شيخهم

الشيخ

قاصرا جاهلا لا يعلم حكم الله تعالى عليه ولا عليهم وقد امرهم بذلك
فهو ضال مضل **وان الوصول الى** معرفة **الله تعالى** والتحقق بوجوده
سبحانه **لا يكون** اي لا يوجد في احد **الا برفض** اي ترك الالتفات
الى العلم الظاهر بالكلية وهو العلم المستفاد من معاني الكتاب والسنة
فيما يتعلق بالاعتقاد وما يتعلق بالعمل **و** رفض اي ترك **الشرع** وهو
البيان الالهي الوارد على السنة الوسايط من الملايكة والانبياء عليهم
السلام خطابا لجميع المكلفين وهذا القايل ان اراد بترك العلم الظاهر
وترك الشرع عدم تعلم ذلك وعدم الاعتناء به والالتفات اليه لان
العلم الظاهر والشرع لا حاجة اليه فقد سفه الخطاب الالهي وسفه الا
نبيا ونسبهم للعبث والبطلان الى ارسال الرسل وانزال الكتب فلا
شك في كفره اشد الكفر نشهد والله تعالى وحده ومراقبته سبحانه في جميع
الاحوال فهو لعمري طريق الوصول الى الله ان لم ينضم اليه ما تقدم من
المقالات لانه لا يصل اليه سبحانه من اشتغل عنه بسواه ولا شك ان العلم
الظاهر والشرع سواه تعالى فمن اشتغل بشيء من ذلك وظنه مقصودا بالذات
فقد انحجب عن الوصول اليه تعالى وغايته الوصول الى الحرمان والغرور
في جميع الامور فان من اشتغل بالطهارة ليلا ونهارا وانهمك فيها ظانا
انها مقصودة بالذات وانه ما طلب منه غيرها فقد انقلب فعلها
عليه ضلالا وخسرانا كما نقل الشيخ تاج الدين ابن عطاء الله الاسكندري
رحمه الله تعالى في كتابه لطايف المنن عن الشيخ ابي الحسن الشاذلي قدس
الله سره انه كان يقول لن يصل الولي الى الله حتى تنقطع عنه شهوة
الوصول الى الله تعالى وكان يقول لن يصل الولي الى الله ومعه شهوة من
شهواته او تدبير من تدبيراته او اختيار من اختياراته قال ومعنى
كلام الشيخ رضي الله عنه لن يصل الولي الى الله حتى تنقطع عنه شهوة الوصول
الى الله اي انقطاع ادب لا انقطاع ملل بغلبة عليه التفويض الى الله وشهود
حسن الاختيار منه فيلقي القياد اليه ويترك نفسه مسلما بين يديه فلا
يختار مع مولاه شيئا لعلمه بما في الاختيار مع الله من الافات ونقل عن
الشيخ ابي الحسن ايضا انه قال كنت انا وصاحب لي قد اوينا الى مغارة
نطلب الوصول الى الله فكنا نقول غدا يفتح لنا بعد غد يفتح لنا فدخل
علينا رجل له هيبة فقلنا له من انت فقال عبد الملك فعلمنا انه من اولياء
الله فقلنا له كيف حالك فقال كيف حال من يقول غدا يفتح بعد غد يفتح لي فلا ولاية ولا فلاح يا نفس لم لا
كم

وان اراد بالترك ان الوصول او تحصيل الوجه

تعبدين لله قال فتفطنا من الذي دخل علينا فتبنا واستغفرنا ففتح
لنا ونقل عن الشيخ ابي الحسن ايضا انه قال الورع نعم الطريق لمن يحمل مراثه
واحل ثوابه فقد انتهى فهم الورع الى الاخذ من الله وعن الله والقول
بالله والعمل بالله على البينة الواضحة والبصيرة الفائقة فهم في عموم
اوقاتهم وسائر احوالهم لا يدبرون ولا يختارون ولا يريدون ولا
يتفكرون ولا ينظرون ولا ينطقون ولا يبطشون ولا يمشون
ولا يتحركون الا بالله ولله من حيث يعلمون فحجبهم العلم عن حقيقة
الامر فهم مجموعون في عين الجمع لا يتفرقون فيما هو اعلم ولا فيما هو
ادنى واما ادنى الادنى فالله يورعهم عنه ثوابا لورعهم مع الحفظ لمنازلات
الشرع ومن لم يكن لعلمه وعمله ميراث فهو محجوب بدنيا او مصروف
بدعوى ومبراثه التعزز بخلقه والاستكبار على مثله والدالة على
الله بعمله ~~فهو الظالم~~ فهذا هو الخسران المبين والعياذ بالله العظيم
من ذلك والاكياس يتورعون من هذا الورع ويستعيذون بالله
منه ومن لم يزدد بعلمه وعمله افتقارا لربه وتواضعا لخلقه فهو
هالك فسبحان من قطع كثيرا من الصالحين بصلاحهم عن
مصلحهم كما قطع كثيرا من المفسدين بفسادهم عن موجدهم فاستعذ
بالله انه هو السميع العليم **وانا لو كنا على الباطل** في اعتقاد او عمل كما تزعمون
انتم **لما حصلت** لنا من الله تعالى **تلك الحالات** جمع حالة **بالسنية** اي
المضيئة الرفيعة التي تقدم ذكرها وهي انا ناخذ الدين من محمد صلى
الله عليه وسلم بلا واسطة فاذا اشكل علينا مسئلة استفتيناها منه فان
حصل لنا فتح بذلك والا رجعنا الى الله تعالى بالذات فناخذ
منه سبحانه وانا بالخلوة والشيخ نصل الى الله تعالى فتنكشف لنا العلوم
كلها فلا نحتاج الى قراءة ولا مطالعة ولا استاذ **والكرامات** جمع
كرامة وهي ما يكرم الله تعالى به العبد في الدنيا من الامور الخارقة
للعادة من غير تحدي **العلية** اي المرتفعة عن قدرة **من مشاهدة**
بيان الكرامات **الانوار** الملكوتية المتنزلة بالحضرات الروحانية **ورؤية**
الانبياء الكبار بالبصائر والابصار مناما بالليل ويقظة بالنهار
وقائل هذا الكلام كاذب مفتر على الله تعالى وعلى الانبياء عليهم السلام
وعلى نفسه اذ من كان قائلا بها تيك المقالات المتقدمة الباطلة فهو
كافر بالله تعالى والكافر في الوساوس والاباطيل فكيف يكرمه الله تعالى
في الدنيا او الاخرة وكيف يهديه تعالى الى شهود الانوار او يتحفه سبحانه برؤية

الانبياء الاصفياء وان الله لا يهدي القوم الكافرين وانما يتركه يتخبط في بحار الغرور
والمكر والاستدراج يرتوي من الشراب بالسراب ويكتفي عن العذب بالاجاج كما
ذكر الامام الغزالي في كتاب ذم الغرور من احياء علوم الدين في بيان غرور (
المتصوفة وقسمهم الى فرق قال وفرقة ادعت علم المعرفة ومشاهدة الحق
ومجاورة المقامات والاحوال والملازمة في عين الشهود والوصول الى
القرب ولا يعرف هذه الامور الا بالاسامي والالفاظ الا انه تلقف من
الالفاظ الطامات كلها فهو يرددها ويظن ان ذلك اعلى من علم الاولين
والاخرين فهو ينظر الى الفقهاء والمفسرين والمحدثين واصناف العلماء
بعين الازدراء فضلا عن العوام حتى ان الفلاح ليترك فلاحته والحايك
يترك حياكته ويلازمهم اياما معدودة ويتلقف منهم الكلمات المزيفة
فهو يرددها كانه يتكلم عن الوحي ويخبر عن سر الاسرار ويستحقر بذلك
جميع العباد فيقول في العباد انهم اجراء متعبون ويقول في العلماء
انهم بالحديث عن الله محجوبون ويدعي لنفسه انه الواصل الى الحق وانه
من المقربين وهو عند الله من الفجار المنافقين وعند ارباب القلوب
من الحمقى الجاهلين لم يحكم قط علما ولم يهذب خلقا ولم يرتب عملا
ولم يراقب قلبا سوى اتباع الهوى وتلقف الهذيان وحفظه وفرقة
منهم وقعت في الاباحة وطووا بساط الشرع ورفضوا الاحكام وسووا بين
الحلال والحرام فبعضهم يزعم ان الله مستغن عن عملي فلم اتعب نفسي و
بعضهم يقول قد كلف الناس تطهير القلب عن الشهوات وعن حب الدنيا
وذلك محال فقد كلفوا ما لا يمكن وانما يغتر به من لم يجرب واما نحن
فقد جربنا فادركنا ان ذلك محال ولا يعلم الاحمق ان الناس لم يكلفوا قلع
الشهوة والادب من اصلهما بل تاديبهما بحيث ينقاد كل واحد منهما
لحكم العقل والشرع وبعضهم يقول الاعمال بالجوارح لا وزن لها وانما النظر
الى القلوب وقلوبنا والهة بحب الله وواصلة الى معرفة الله ويرفعون
درجة انفسهم عن درجة الانبياء اذ كان يصدهم عن طريق الله تعالى
خطيئة واحدة حتى كانوا يبكون عليها وينوحون سنين متوالية واصناف
غرور اهل العبادة من المتشبهين بالصوفية وكل ذلك مبناء على اغاليط
ووساوس خدعهم الشيطان بها لاشتغالهم بالمجاهدة قبل احكام العلم ومن
غير اقتداء بشيخ متقن في الدين والعلم صالح للاقتداء وذكر الامام
المحاسبي في كتاب العزة من الرعاية قال ان العزة بالله عز وجل تكون من
الكافرين ومن العاصين من المسلمين ومن الديانين النساك ومن العلماء

نيا

وغيرهم فكل قد اغتر بشيء من الاشياء حتى ضيع امر الله عز وجل وقل حذره منه
وخوفه فالغرة بالله عز وجل انما هي خدعة من النفس بصنيع الله عز وجل
بالعبد وباسم رجاء الله عز اسمه او ببعض العبادة او العلم فيغتر كثير
من العباد ببعض ذلك حتى يعصي الله عز وجل وهو يرى انه من المحسنين
او يكفر بالله عز وجل وهو يرى انه من المهتدين او يغتر فيعصي على علم وهو
يرى انه مغفور له ناج لا يعذب فاما الغرة من الكافرين فهو خدعة من
انفسهم وعدوهم بظاهر الدنيا عن الاخرة انتهى وقد اكثر علماء اهل السنة
في تصانيفهم من الكلام على اقسام هؤلاء المغرورين وبينوا زيغهم لئلا
يغتر بهم احد من المسلمين فيفسد عليه امره كما فسدت امورهم ولم يعين
العلماء احدا منهم بعينه ولا طائفة مخصوصين فلا يجوز لاحد من
الناس ان يأخذ هذا الكلام الذي ذكره المصنف رحمه الله وذكرناه نحن
في حق اهل الزيغ والضلال على وجه العموم فيحمله على طائفة مخصوصين
تفرس فيهم انهم على هذا الاصل الوصف المذكور وتظن فيهم سوء ويؤذيهم
بسبب ذلك بل كل من اشكل عليه حاله من امة محمد صلى الله عليه وسلم
يحسن الظن به ويصرف كل ما يلقيه الشيطان في قلبه من النقائص عن
اخيه المسلم فان الشيطان للانسان عدو مبين ويحمل جميع ما يسمعه من
ذلك على ما يعلمه الله تعالى من احوال عباده ويحترز في نفسه من وجود شيء
من ذلك فيها ويعظ به غيره على وجه العموم متقيا وقوع قلبه في تهمة
احد معين ويجتنب التجسس والظن السوء ولا يغتر بحمل هذا المصنف
او غيره ما به يحكم على طائفة مخصوص بما يذكره في كتابه فينكر هو على اهل
زمانه بسوء ظنه وتجسسه ويتعلل بكلام غيره من العلماء فان النهي عن المنكر
في الدين من اصله وارد على العموم والتخصيص من فهم المتفقه القاصر لقبح نيته
وخبث طويته والله على ما نقول وكيل **وانا معشر** اهل العلم الباطن **اذا**
صدر منا فعل مكروه او حرام في ظاهرنا او باطننا **ينبهنا** بالبناء للمفعول
اي ينبهنا الله تعالى على ذلك الفعل المكروه او الحرام **في النوم بالرؤيا** التي
يريناه الله تعالى اياها اعتناء بنا وتسديدا لامورنا وتقوية لشأننا
فنعرف بها اي بالرؤيا التي نراها في المنام **الحلال والحرام** من الاحكام الشرعية
وان ما اي الفعل الذي **فعلنا** مخالف للشرع **مما قلتم** انتم يا معشر علماء
الظاهر **انه حرام** علينا **لم ينبه** اي لم ينبهنا الله تعالى **عنه في المنام** بالرؤيا
كما عودنا ذلك **فعلمنا** من عدم تنبيهنا عنه في المنام **انه حلال** لنا فعله
وهذا القول من غلبة الجهل عليهم وفساد عقولهم لانهم في احكام شريعتهم

يتكلمون

يتكلمون على ما يرونه في مناماتهم من الخيالات الشيطانية والوساوس
النفسانية لعدم اعتنائهم بالحلال والحرام ورفضهم بالكلية لشرائع الاسلام
نعم ان الله يجوز ان ينبه بعض اهل خصوصيته ممن هو سالك على طريقة
اهل السنة والجماعة فيريه في منامه ما يسوغ له فعله وما لا يسوغ في
خصوص ممن هو سالك بعض اهل القضايا بحيث كان ذلك السالك مؤمنا
كاملا على يقظة وسنة فينزل ويلهمه او الله تعالى يأخذ بيده وينبهه عناية
لكونه من خاصة اهل الاسلام كما كان يعوض للحارث والمحاسبي
رضي الله عنه في اليقظة انه اذا امد يده الى طعام فيه شبهة تحرك فيه
اصبعه وكان بعض مشايخنا يتنبه لما يأكل الى الحرام برائحة كريهة كانت
يشمها منه ونحو هذا مما يقع للعلماء العاملين يقظة ومناما ونعتقد
من هذا احوال الكفرة اعداء الشرائع والاحكام المصرين على ما تقدم
من قبيح الكلام **ونحو هذا** من المقالات الشنيعة التي تهدم قواعد الشريعة
وترفع احكام الاسلام **من الترهات** المبنية على زخارف الاوهام وفي
القاموس الترهة كقبرة الباطل والجمع ترهات وترارية وتره كسمع
وقع فيها **كله** اي كل ما ذكر **الحاد** يقال الحد بال وعدل ومارى وجادل
حاول وفي الحرم ترك القصد فيما امر به او اشرك به او ظلم كذا في
القاموس وهذا معناه في اللغة وفي الشرع هو العدول عن ظواهر الكتاب
والسنة لغير ضرورة دعت الى ذلك **وضلال** وهو ضد الهدى ومعناه
الحيرة في الدين والاعراض عن سبيل المؤمنين **اذ** تعليلية **فيه** اي في
كل ما ذكر من المقالات القبيحة **ازدراء** اي تحقير الجوهري ازدريته
اي حقرته **للشريعة الحنفية** اي المائلة عن الباطل الى الحق قال عليه
السلام بعثت بالحنيفية السمحة قال في شرح الكرماني الملة السمحة التي
لا حرج فيها ولا ضيق على الناس وفي المغرب الحنيف المائل من كل دين باطل
الى الدين الحق وفي القاموس الحنف محركة الاستقامة والحنيف كامير الصحيح
المائل الى الاسلام الثابت عليه واحتقارهم لذلك باعتبار قولهم انهم لا يأخذون
من الكتاب بل من صاحبه محمد عليه السلام واذا اشكل عليهم امر يستفتونه منه وان ارادوا
من الحق تعالى فان في هذا تحقيرا للشريعة المحمدية وازدراء يصح لكل من الكتاب
العزيز والسنة النبوية المحمدية باعتبار قولهم اما بالخلوة وهمة شيخنا نصل
الى الله تعالى فلا نحتاج الى الكتاب والمطالعة والقراءة على الاستاذ
فان هذا احتقار للكتاب والسنة **وعدم** معطوف على ازدراء **الاعتماد**
عليهما اي على الكتاب والسنة باعتبار قولهم ان الوصول الى الله تعالى لا يكون الا

بضم التاء وتشديد الراء جمع ترهة وهي الاباطيل

بروض العلم الظاهر والشرع فانه صريح في عدم الاعتماد المذكور **وتجويز الخطاء** في الالفاظ **والبطلان** في المعاني او بالعكس **فيها** اي في الكتاب والسنة باعتبار قولهم وانا لو كنا على الباطل لما اخره والتقدير كما انكم انتم على الباطل **العياذ** اي الالتجاء والاعتصام **بالله** تعالى من هذه المقالات الكاسدة والاباطيل الكاسدة **فالواجب** اي فرض العين **على كل من سمع** من المكلفين **مثل هذه الاقاويل** جمع اقوال **الباطلة** المضادة للقول الحق **الانكار** اي الرد والردع **على قايله** اي قايل مثل ذلك لان انكار الباطل حق كما ان انكار الحق باطل **والجزم** اي القطع **ببطلان مقاله** اي قوله مثل ذلك في القاموس جمع القول اقوال واقاويل وقال قولا وقيلا وقولة ومقالة ومقالا **بلا شك** في الحكم ببطلان ذلك **ولا تردد** فيه **ولا توقف ولا تلبث** اي تصبر عن الحكم بذلك فان الباطل باطل قطعا من غير شبهة **والا** اي وان شك او تردد او توقف وتلبث **فهو محسوب من جملتهم** اي جملة هؤلاء الكافرين القايلين بالمقالات المذكورة حيث تحقق من قايلها وتابعهم عليها وصدقهم فيها فهو منهم **محكم** بالبناء للمفعول اي يحكم الشرع المحمدي **بالزندقة عليهم** كلهم جملة القايلين بذلك والموافقين لهم فيه ولو بالشك والتردد والتوقف والتلبث في امرهم بعد تحقق قولهم ذلك ومعاينته منهم لا اذا لم يتحقق ولم يعاينه بان اخبره بذلك عنهم مخبر من الناس ولم يثبت الثبوت الشرعي وبعد الثبوت الشرعي ايضا يحتمل كون الشهود زورا فان كون حكم الحاكم مستند الى الشهادة ان صدقت وان كذبت فلا قطع في ذلك باطنا كما اشار اليه الشيخ عبد الوهاب الشعراوي في كتابه ميزان الذرية في عقايد الطائفة العلية وفي شرح الشرعة قال ابو الليث الزنديق معروف وزندقته انه لا يومن بالاخرة ووحدانية الخالق وعن ثعلب ليس زنديق من كلام العرب ومعناه على ما يقوله العامة ملحد ودهري وعن ابن دريد انه فارسي معرب واصله زندة اي من يقول بدوام الدهر انتهى وفي القاموس الزنديق بالكسر من الثنوية او القايل بالنور والظلمة او من لا يومن بالاخرة وبالربوبية او من يبطن الكفر ويظهر الايمان او هو معرب زن دين اي دين المراة وجمعه زنادقة او زناديق وقد تزندق والاسم الزندقة **وقد صرح العلماء** من الاصوليين وغيرهم **بان الالهام** تعالى الهمه الله خيرا لقنه اياه كذا في القاموس ويكون في الخير والشر كما قال تعالى فالهمها فجورها وتقواها قال الواحدي جعل فيها ذلك بتوفيقه اياها للتقوى وخذلانه اياها للفجور واختار الزجاج هذا القول في حمل الالهام على التوفيق والخذلان وهذا هو الوجه في تفسير الالهام فان التبيين والتعليم

والتعريف دون الالهام والالهام ان يوقع في قلبه ويجعل فيه اذا اوقع الله في قلب عبده شيئا فقد الزمه ذلك الشيء كما ذكره سعيد ابن جبير وهذا صريح في ان الله تعالى خلق في المومن تقواه وفي الكافر فجوره **ليس من اسباب المعرفة** الشرعية التكليفية فان في شرح مرقاة الوصول ان الالهام يجب عليهم اتباعه بخلاف الهام الاولياء فانه لا يكون حجة على غيره وفي شرح العقايد للتفتازاني والالهام المفسر بالقاء معنى في القلب بطريق الفيض ليس من اسباب المعرفة بصحة الشيء عند اهل الحق وكان الاولى ان يقول ليس من اسباب العلم بالشيء الا انه حاول التنبيه على ان مرادنا بالعلم والمعرفة واحد الا كما اصطلح عليه البعض في تخصيص العلم بالمركبات او بالكليات والمعرفة بالبسايط او بالجزئيات الا ان تخصيص الصحة بالذكر مما لا وجه له ثم الظاهر انه اراد ان الالهام ليس سببا يحصل به العلم لعامة الخلق ويصلح للالزام على الغير والافلاشك انه قد يحصل به العلم وقد ورد القول به في الخبر وقد حكي عن كثير من السلف انتهى وطايفة المحققين من اهل الله تعالى جميع علومهم التي يعتمدون عليها في دينهم الهامية وهبية واما العلوم الاكتسابية فهي الة عندهم لتحصيل مقام الالهام كما نقل المناوي في شرح الجامع الصغير قال الامام مالك علم الباطن لا يعرفه الا من عرف علم الظاهر فمتى علم علم الظاهر وعمل فتح الله عليه علم الباطن ولا يكون ذلك الا مع فتح قلبه وتنويره وقال ليس العلم بكثرة الرواية انما العلم نور يقذفه الله في القلب يشير الى علم الباطن وقال السنوسي اجتمع العارف على وفا والامام البلقيني فتكلم علي معه بعلوم بهرت عقله فقال البلقيني من اين لك هذا يا علي قال من قوله تعالى واتقوا الله ويعلمكم الله فامسك وقال العارف سهل التستري خرج العلماء والزهاد والعباد من الدنيا وقلوبهم مقفلة ولم تفتح الا قلوب الصديقين والشهداء ولولا ان ادراك قلب من يتقلب بالنور الباطني حاكم على علم الظاهر لما قال المصطفى صلى الله عليه وسلم استفت قلبك فكم من معان دقيقة من اسرار القران تخطر على قلب المتجرد للذكر والفكر وتخلو عنها زبر التفاسير ولا يطلع عليها افاضل المفسرين ولا محقق الفقهاء المعتبرين وفي طبقات الشعراوي في ترجمة الشيخ علي الخواص رضي الله عنه انه كان يقول لا يسمى العالم عالما عندنا الا اذا كان علمه غير مستفاد من نقل او صدر بان يكون حضري المقام اما غير هذا فانما هو حامل لعلم غيره فقط فله اجر من حمل العلم حتى اداه لا اجر العالم والله لا يضيع اجر المحسنين ثم قال ومن اراد ان يعرف مرتبته في العلم يقينا لا شك فيه فيرد كل شيء

حفظ الى قائله وينظر بعد ذلك الى علمه فما وجده معه فهو علمه واظن
لا يبقى معه الا شئ يسير لا يسمى به عالما انتهى اذا علمت هذا فاعلم ان
الالهام ليس بحجة عند علماء الظاهر والباطن بحيث تثبت به الاحكام
الشرعية فيستغنون بذلك عن النقل من الكتاب والسنة بل هو طريق تصحيح
لفهم معاني الكتاب والسنة عند المحققين من علماء الباطن بعد تصحيح
العمل على مقتضى ما فهم بالاجتهاد من معاني الكتاب والسنة والا كان وسوسة
شيطانية لا يجوز العمل به كما قال الامام القسطلاني في مواهبه لا يظهر على احد شئ
من نور الايمان الا باتباع السنة ومجانبة البدعة واما من اعرض عن الكتاب
والسنة ولم يتعلق بالعلم من مشكاة الرسول صلى الله عليه وسلم بدعواه علما
لدنيا اوتيه فهو من لدن النفس والشيطان وانما يعرف كون العلم لدنيا
روحانيا موافقته لما جاء به الرسول عن ربه تعالى فالعلم اللدني نوعان
لدني روحاني ولدني شيطاني فالروحاني هو الوحي ولا وحي بعد الرسول
صلى الله عليه وسلم واما قصة موسى مع الخضر فالتعلق بها في تجويز
الاستغناء عن الوحي بالعلم اللدني الحاد وكفر مخرج عن الاسلام موجب
لاراقة الدم والفرق ان كان موسى عليه السلام لم يكن مبعوثا الى الخضر ولم
يكن الخضر مامورا بمتابعته ولو موسى بني اسرائيل نعم ومحمد صلى الله عليه
وسلم مبعوث الى جميع الثقلين فرسالته

> عامة للانس والجن في كل زمان ولو كان موسى وعيسى حيين لكانا من اتباعه صح

فمن ادعى انه مع محمد صلى
الله عليه وسلم كالخضر مع موسى عليهما السلام او جوز ذلك لاحد من
من الامة فليجدد اسلامه وليشهد بشهادة الحق فانه مفارق لدين الاسلام
بالكلية فضلا عن ان يكون من خاصة اولياء الله تعالى وانما هو من اولياء
الشيطان وخلفائه ونوابه والعلم اللدني الروحاني هو ثمرة العبودية
والمتابعة لهذا النبي الكريم عليه ازكى الصلاة واتم التسليم وبه يحصل
الفهم من الكتاب والسنة بامر يختص به صاحبه كما قال علي بن ابي طالب
كرم الله وجهه وقد سئل هل خصكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشئ
دون الناس فقال لا الا فهما يؤتيه الله عبدا في كتابه فهذا هو
العلم اللدني الحقيقي واتباع هذا النبي الكريم حياة القلوب ونور
البصائر وشفاء الصدور ورياض النفوس ولذة الارواح وانس المستو
حشين ودليل المتحيرين **وكذلك الرؤيا** التي يراها الانسان في
المنام قال في شرح المواقف واما الرؤيا فخيال باطل عند المتكلمين وفي حاشيته
حسن چلبي فيه بحث لانه ثبت بالاحاديث الصحيحة ان النبي صلى الله عليه وسلم
جعل الرؤيا الصالحة جزءا من ستة واربعين جزءا من النبوة وعمل بها قبل

الوحي ستة اشهر فكيف يكون خيالا باطلا اللهم الا ان يقال الباطل مطلقا عند المعتزلة
هو كون ما يتخيله النايم ادراكا بالبصر رؤية وما يتخيله ادراكا بالسمع سمعا وهكذا
واما كون العلم الحاصل في النوم خيالا باطلا وكون النوم مضادا للعلم فانما
هو بالنسبة الى عامة الخلق واما عند الاصحاب فالظاهر ان الكل بالنسبة الى عامة
الخلق يؤيده تعليلهم ذلك بعدم جريان العادة بخلق الادراك في الشخص وهو
نايم لدلالته على جواز ذلك بطريق خرق العادة كساير المعجزات والكرامات
وفي شرح المناوي على الجامع الصغير ذكر الحكيم الترمذي ان سبب الرؤيا ان
الانسان اذا نام سطع نور النفس حتى يجول في الدنيا ويصعد الى الملكوت فيعاين
الاشياء ثم يرجع الى معدنه فان وجد مهلة عرض على العقل والعقل يستودع
الحفظة ذلك وقال بعضهم الرؤيا الصالحة من اقسام الوحي فيطلع الله النائم على
ما جهله من معرفة الله والكون في يقظته ولهذا كان المصطفى صلى الله عليه وسلم
اذا اصبح سال هل راى احد منكم رؤيا هذه الليلة وذلك لانها اثار النبوة في
الجملة فكان يحب ان يشهدها في امته قال والناس في غاية من الجهل بهذه المرتبة
التي كان المصطفى صلى الله عليه وسلم يعتني بها ويسال عنها كل يوم واكثرهم يهزا
بالرائي اذا راه يعتمد الرؤيا وفي شرح مسلم للامام النووي عند قوله صلى
الله عليه وسلم اذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب قال الخطابي وغيره
قيل المراد اذا قارب الزمان ان يعتدل ليله ونهاره وقيل المراد اذا قارب القيامة
والاول اشهر عند معبري الرؤيا وجاء في حديث ما يؤيد الثاني وقوله صلى الله عليه
وسلم اصدقكم رؤيا اصدقكم حديثا ظاهره انه على اطلاقه وحكى القاضي عن
بعض العلماء ان هذا يكون في اخر الزمان عند انقطاع العلم وموت العلماء والصالحين
ومن يستضاء بقوله وعمله فجعله الله تعالى جابرا وعوضا ومنبها لهم والاول
اظهر لان غير الصادق في حديثه يتطرق الخلل الى روايته وحكايته اياها وقوله
صلى الله عليه وسلم ورؤيا المؤمن جزء من خمسة واربعين جزءا من النبوة وفي
رواية رؤيا المؤمن جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة وفي رواية الرؤيا الصالحة
جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة وفي رواية رؤيا الرجل الصالح جزء من
ستة واربعين جزءا من النبوة وفي رواية الرؤيا الصالحة جزء من سبعين
جزءا من النبوة فحصل ثلاث روايات المشهورة ستة واربعين والثانية
خمسة واربعين والثالثة سبعين جزءا وفي غير مسلم من رواية ابن
عباس اربعين جزءا وفي رواية من تسعة واربعين وفي رواية
العباس من خمسين وفي رواية ابن عمر من ستة وعشرين وفي رواية عبادة
من اربع واربعين قال القاضي اشار الطبري الى ان هذا الاختلاف

راجع الى اختلاف حال الرائي فالمؤمن الصالح تكون رؤياه جزءا من ستة
واربعين جزءا والفاسق جزء من سبعين جزءا وقيل المراد ان الخفي منها
جزء من سبعين جزءا والجلي جزء من ستة واربعين قال الخطابي
وغيره قال بعض العلماء اقام صلى الله عليه وسلم يوحى اليه
ثلاثا وعشرين سنة منها عشر سنين بالمدينة وثلاث عشرة بمكة وكان
قبل ذلك ستة اشهر يرى في المنام الوحي وهي جزء من ستة واربعين
جزءا قاله المازري وقيل المراد ان للمنامات شبها مما حصل له وميز به
من النبوة بجزء من ستة واربعين قال وقد قدح بعضهم في الاول بانه
لم يثبت ان امد رؤياه صلى الله عليه وسلم قبل النبوة ستة اشهر
وبانه راى بعد النبوة منامات كثيرة فلتضم الى الاشهر الستة وحينئذ
تتغير النسبة قال المازري هذا الاعتراض الثاني باطل لان
المنامات الموجودة بعد الوحي بارسال الملك منغمرة في الوحي
فلم تحسب قال ويحتمل ان يكون المراد ان المنام فيه اخبار بالغيب
وهو احدى ثمرات النبوة وهو يسير في جنب النبوة لانه يجوز
ان يبعث الله نبيا ليشرع الشرائع ويبين الاحكام ولا يخبر
بغيب ابدا ولا يقدح ذلك في نبوته ولا يؤثر في مقصودها وهذا
الجزء من النبوة وهو الاخبار بالغيب اذا وقع لا يكون الا صدقا
قال الخطابي هذا الحديث توكيد لامر الرؤيا وتحقيق منزلتها قال
وانما كانت جزءا من اجزاء النبوة في الانبياء دون غيرهم وكان
الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم يوحى اليهم في منامهم كما يوحى
اليهم في اليقظة قال الخطابي وقال بعض العلماء معنى الحديث ان
الرؤيا تاتي على موافقة النبوة لانها جزء باق من النبوة انتهى
والحاصل ان الرؤيا المنامية بمنزلة الالهام الروحاني ليست من اسباب
المعرفة بالاحكام الشرعية وان كان كل واحد منهما جزءا من اجزاء
النبوة ووجها من وجوه الوحي النبوي في اهل الدين والصلاح يعتمد
عليهما اصحاب القلوب فتنكشف بهما لهم ما خفي عنهم من دقائق المعارف
والحكم الربانية ولطائف الاسرار والحقائق الرحمانية بعد اعتمادهم في اصلاح
ظواهرهم وبواطنهم على طبق الكتاب والسنة وترك البدعة والمعصية دون
تقليد شيء منهما في ثبوت حكم من الاحكام العملية او الاعتقادية بخلاف
ما يزعمه اهل الزندقة والالحاد من الاكتفاء بهما عن الكتاب والسنة في استفادة
احكام الله تعالى منهما فان ذلك دعوى نبوة اذ الالهام والرؤيا المنامية قسمان

من

طالع للرؤيا

90

من اقسام الوحي النبوي يأخذ النبي منهما احكام الشرائع التي كلف الله تعالى
بها نفسه وامته فلو كان الولي كذلك لكان نبيا وغاية ما للولي من الوراثة
في ذلك الهام الاحكام التي جاء بها اليه نبيه فيقبلها منه في اليقظة
وتعرض عليه في المنام ايضا فيقبلها فالهامه ورؤياه مظهر ان لما خفي
عليه لا مثبتان عنده ما يجده والله الموفق خصوصا اذا خالفا اي
الالهام والرؤيا في المنام مقتضى كتاب الله العليم العلام او مقتضى سنة
محمد نبي الله عليه الصلاة والسلام فانهما حينئذ ليسا من اسباب المعرفة
بالاحكام بالطريق الاولى اذ لا يصلح ذلك في الولي مثبتا لشرع جديد
ولا ناسخا لشيء من احكام الشرع المحمدي لانقطاع الوحي وختم النبوة
والشرع لا يثبته الا النبوة ولا ينسخه الا شرع مثله وقد قال سيد الطائفة
الصوفية من التصوف قال القشيري في رسالته هذه التسمية غلبت على
هذه الطائفة فيقال رجل صوفي وللجماعة الصوفية ومن يتوصل الى ذلك
يقال له متصوف وللجماعة المتصوفون وليس يشهد لهذا الاسم من حيث العربية
قياس ولا اشتقاق والاظهر فيه انه كاللقب فاما قول من قال انه من الصوف
وتصوف اذا لبس الصوف كما يقال تقمص اذا لبس القميص فذلك وجه ولكن القوم
لم يختصوا بلبس الصوف ومن قال انهم منسوبون الى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم
فالنسبة الى الصفة لا تجيء على نحو الصوفي ومن قال انه من الصفاء فاشتقاق الصوفي
من الصفاء بعيد في مقتضى اللغة وقول من قال انه مشتق من الصف فكانهم في
الصف الاول بقلوبهم من حيث المحاضرة من الله تعالى فالمعنى صحيح ولكن اللغة
لا تقتضي هذه النسبة من الصف ثم هذه الطائفة اشهر من ان يحتاج في
تعيينهم الى قياس لفظ او استبانة اشتقاق وتكلم الناس في التصوف ما
معناه وفي الصوفي من هو وكل عبر بما وقع له ثم استقصى جملة من كلام
القوم في التصوف والصوفي يطول ذكرها وامام ارباب اصحاب الطريقة
وهي معرفة اخلاق النفس وصفات القلب وكيفية المنازل في السير الى الله
تعالى ودخل فيها الشريعة التي هي معرفة كيفية الاعتقاد الصحيح اجمالا وكيفية
العمل اجمالا لانها قبل الطريقة فلا طريقة لمن لا شريعة له والحقيقة وهي
مشاهدة الربوبية في حالة القيام بالعبودية والانباء عن تصريف الحق
فيما ورد من تكليف الخلق ابو القاسم الجنيد بن محمد البغدادي نسبة
الى بغداد المدينة المعروفة اصله من نهاوند ومنشاؤه ومولده العراق
وابوه كان يبيع الزجاج فلذلك يقال القواريري وكان فقيها على مذهب
ابي ثور وصحب السري السقطي والحارث بن اسد المحاسبي ومحمد بن علي

يد

قال صوفان كانوا يخدمون الكعبة ومنسوبون ولعل
الصوفية نسبوا اليهم تشبيها بهم في النسك والتعبد
او الى اهل الصفة فقيل مكان الصفية الصوفية
بقلب احدى الفائين واوا للتخفيف او الى
الصوف الذي هو لباس العباد واهل الصوامع
اساس البلاغة

وهو خاله واخذ عنه طريق التصوف
وهو عن معروف الكرخي وهو عن
داود الطائي وهو عن الحسن البصري
وهو عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه
وهو عن النبي صلى الله عليه وسلم

هب

النصاب مات سنة سبع وتسعين ومائتين عليه رحمة الله الهادي لمن
يشاء الى صراط مستقيم **الطرق** جمع طريق وهو المسلك الموصل الى الله تعالى
كلها اي كل الطرق **مسدودة** اي لا تمكن السلوك منها الى الله تعالى لعدم
ايصالها اليه بسبب رد السالك فيها وصده عن بلوغ غايتها والمراد
بها جميع الشرائع والاديان والمذاهب المخالفة فان اهلها الان ما
سلكوا فيها الا ليصلوا منها الى الله تعالى فهي طرق الى الله تعالى باعتبار
زعم اهلها لا في حقيقة الامر ولهذا اخبر عنها انها مسدودة والمسدود
ليس بطريق الا بمجرد الزعم لمن لم يعرف ذلك فان الجاهل اذا سلك
طريقا فانتهى فيه الى حد وراءه مسدودا تبين له حينئذ انه ليس بطريق
فرجع من حيث سلك وقد زعم في الاول بانه طريق ثم تبين له خلاف ذلك
الا على من اي الذي او رجل **اقتفى** اي اتبع **اثر الرسول صلى الله عليه وسلم**
بان سار كسيره في تلك الطرق المذكورة كلها فانها حينئذ ليست بمسدودة
عنه بل مفتوحة له يدخل منها الى حضرة الله تعالى بسبب سيره فيها السير المخصوص
الذي لا يعرفه اهلها السالكون فيها وهم على الباطل منها وفي هذا المعنى
قول شيخنا الشيخ عبد القادر الكيلاني رضي الله عنه من ابيات له
مطلعها اقول ____

ما في المناهل منهل مستعذب ۞ الا ولي فيه الالذ الاطيب ۞ وقول الشيخ
محي الدين ابن العربي قدس الله سره من ابيات له رائية

عقد الخلائق في الاله عقائدا ۞ وانا اعتقدت جميع ما اعتقدوه

فان جميع العقائد الباطلة واقعة من معتقديها على مظاهر تجليات
الحق تعالى من حيث حضرات افعاله سبحانه وكفر اهلها باعتبار دعواهم ان
بعض مظاهر تجليات تلك الحضرات الافعالية هي ذات الحق سبحانه على
ما هي عليه في الغيب المطلق وهو خطأ محض وجهل وكفر وهذا المعنى
هو الذي سدت به تلك الطرق كلها وما انفتحت الا للمحمديين من ورثة
الاولياء فاخذوا منها الالذ الاطيب وهو شهود تجليات الذات
الالهية المطلقة مع بقاء شهود اثار افعالها الكونية فانظر قول الجنيد رضي
الله عنه ذلك مع [illegible] فانه لولا اقتفاء اثر الرسول صلى الله عليه وسلم لما
انفتحت تلك الطرق للسالك في الوصول الى الله تعالى وفيه اشارة
الى ان طريق الحق ليس طريقا معينا منفردا عن تلك الطرق كلها
ولا واحدا منها بل هو طريق منفتح يوصل من سلك فيه الى الله تعالى وجميع
تلك الطرق اذا انفتح شيء منها كان هو طريق الحق واذا انسد فهو

طريق

طريق الباطل وانفتاحه بعدم الوقوف فيه عند شيء مطلقا دون
من ليس كمثله شيء وهو السميع البصير والوقوف عند شيء هو الانسداد
وقال الجنيد البغدادي ايضا رضي الله عنه **من لم يحفظ القران**
بكلماته ومعانيه وحدوده واحكامه وظاهره وباطنه ومعارفه وحقائقه
واسراره **ولم يكتب** اي يجمع في طرسه او نفسه **الحديث** النبوي
بلفظه ومعناه وظاهره واسراره وانواره **لا يقتدى** **به** بالبناء
للمفعول اي لا يجوز لاحد من السالكين ان يقتدي به اي بمن خلا
عن ذلك وهو الجاهل المغرور بالغفلة والقصور **في هذا الامر**
العظيم الذي هو السلوك والوصول الى الله تعالى وفيه اشارة الى انه اذا
لم يقتد به لا يلزم ان يكون هو على باطل في نفسه اذ يجوز ان يفتح الله
تعالى على قلب احد من الناس وهو امي لا يقرأ ولا يكتب ولا يعرف
قرانا ولا حديثا فيصير عارفا بالتجليات الالهية والحقائق الربانية
واذا قرئ عليه القران او الحديث تكلم في معاني ذلك بما يبهر العقول من
الفتح لا من النقل وقد وقع كثير على هذه الصفة لكن لا يصلح للاقتداء
بجعله اماما في الارشاد والتسليك وان كان وليا فانه ليس بمرشد كما قال
تعالى ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا اذ الارشاد يحتاج الى معرفة احكام
الكتاب والسنة والى بيانهما في المحاولة للامور بالترغيب والترهيب
والامر والنهي وغير ذلك كمن شدت عيناه بخرقة وادخل الى دار فانه
لا يعرف من اين دخل اليها حتى يرشد غيره الى طريق الدخول فيها
بخلاف من دخلها مفتوح البصر فانه يعرف طريقها الموصل اليها فيهتدي
السالك بدلالته الى الوصول اليها **لان علمنا هذا** الذي هو علم الحقائق
الالهية والمعارف الربانية **ومذهبنا هذا** الذي هو مذهب السلف
الصالحين والخلف المتقين **مقيد بالكتاب والسنة** لا يخرج شيء من
ذلك عن مقتضاهما اصلا وان كان متلقى من الفيض والفتح لا من الكتب
ولا من افواه المشايخ لكنه مطابق لمقتضى ذلك اذا حققه العارف وجده
كذلك ولا يجهله وينكره على اهله لعدم قدرته على المطابقة بينه وبين
الحق النقلي الا الشقي الهالك قال الشيخ محي الدين بن العربي قدس الله سره
في الباب الرابع عشر وثلثمائة من كتاب الفتوحات المكية ثم لتعلم انه
اذا رقت الاولياء في معارج الهمم فغايته وصولها الى الاسماء الالهية التي
تطلبها فاذا وصلت اليها في معارجها افاضت عليها من العلوم
وانوارها على قدر الاستعداد الذي جاءت به فلا تقبل الا على

يقه

بق

قدر استعدادها ولا يفتقر في ذلك الى ملك ولا رسول فانها ليست علوم
تشريع وانما هي انوار فهو فيما اتى به هذا الرسول في وحيه او في
الكتاب الذي انزل عليه او الصحيفة لا غير وسواء علم ذلك الكتاب
او لم يعلمه ولا اوسع مما فيه من التفاصيل ولا يخرج على هذا الوارد عما جاء
به ذلك الرسول من الوحي عن الله تعالى وكتابه وصحيفته ولا بد من
ذلك لكل ولي صديق برسوله في هذه الامة فان لهم من حيث
صديقيتهم بكل رسول ونبي العلم والفتح والفيض الالهي بكل ما تقتضيه
وحي كل نبي وكتابه وصحيفته وبهذا فضلت على كل امة من الاولياء
فلا يتعدى كشف الولي في العلوم الالهية فوق ما يعطيه كتاب نبيه
ووحيه قال الجنيد رحمه الله تعالى في هذا المقام علمنا هذا مقيد بالكتاب
والسنة وقال الاخر كل فتح لا يشهد له الكتاب والسنة فليس بشيء فلا
يفتح لولي قط الا في الفهم في الكتاب العزيز فلهذا قال تعالى ما فرطنا في
الكتاب من شيء وقال سبحانه وتعالى في الواح موسى عليه السلام وكتبنا له في الا
لواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء فلا يخرج علم الولي جملة واحدة
عن الكتاب والسنة فان خرج وادعى ذلك بعلم ولا علم ولا ولاية معا بل
اذا حققته وجدته جهلا والذي والجهل عدم والعدم ما له وجود محقق وفي
الباب الثاني والتسعين وماتين قال رضي الله عنه في علم الافصاح الالهي
عن درجات تقرب الالهي من حضرة الانس اعلم ان ذلك موقوف على الشارع
المترجم عن الله تعالى الذي امرنا بالايمان بمحكمه ومتشابهه ولنقبل جميع
ما جاء به فان تاولنا شيئا من ذلك على انه مراد المتكلم في نفس
الامر زال عنا درجة الايمان فان الدليل حكم على الخبر فتعطل حكم الايمان
وجاء العلم الصحيح من المؤمن بقوله لصاحب هذا الدليل اما القطع منك
بان هذا اعطاك نظرك هو مقصود المفصح عما افصح به فهو عين
الجهل وفقد العلم الصحيح وقد زال عنك الايمان والسعادة مرتبطة
بالايمان وبالعلم الصحيح والعلم الصحيح هو الذي يبقى معه الايمان فعلى
العارف ان يسلك طريق السعادة نيابة عن الله تعالى لخلقه كنيابة القمر
عن الشمس في اتصال النور الى الابصار وعلماء هم التراجمة عن الحق والورثة على
درجتهم بما يعطيهم الله تعالى من الفهم فيما جاءت به الرسل من كتاب وسنة
انتهى وذكر الشيخ محي الدين ايضا في شرح الوصية اليوسفية قال ومريد التربية
ما عنده ميزان الشرع انما ذلك للشيخ الذي يربيه فحقه ان يعرض غرضه
وضياله على الشيخ خاصة والشيخ ينظر في ذلك بما يعلمه من الله فيه والميزان

هنا

هنا ما اراده الجنيد بقوله علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة والمعنى في
ذلك ان الذي وجدوه من العلم في بواطنهم والعزوم وغير ذلك انما
هو نتيجة من العمل بالكتاب والسنة وسبب ذلك ان الامور المفتح
بها على النفوس من جانب الارواح العلوية المسماة في الشرع ملائكة
وعند القدماء عقول فعالة قد ترد بهذه الامور على النفوس عند
تركها شهوات الطبيعة وخلوصها من اسرها وصفائها بالرياضة والمجاهدة
وصقالة مرآتها فتنتقش بها فيها جميع ما في العالم فتنطق بالغيوب و
تعلم ما هو الامر عليه وسواء كانت هذه النفوس معتقدة بالشرع الخاص
على طريق الايمان به او لم تكن فان صفائها يعطي ذلك اي يعطي لحوقها
بالاصل الذي صدرت منه في حضرت الاسماء اعطاه مقامها ومحلها
فقال الجنيد هذا الحاصل لنا ولاهل الله لم يكن طريقنا فيه طريق القدماء
يعني بالنظر الفكري في اصل خلقة النفوس وما اهلت له وانما سلكنا بما
قال لنا الشارع وامنا واخذنا عنه سلوكنا وان وقعت المشاركة في الفتح
والنتيجة فان اصحاب الاذواق يجدون فرق بين الادراكين بينا وقائم
ان اهل الله العاملين على الايمان يكون لهم من الله الف وخاص لا ينال لهم ابدا
من لم يكن طريقه الايمان وبهذا ايضا يفترق الصنفان وهذا قول
الجنيد علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة اي انه لم يحصل لنا الا على العمل بكتاب الله
وسنة رسوله انتهى فاذا علمت هذا ظهر لك ان علم الولي ماخوذ من الله تعالى
بطريق الالهام والفتح والفيض لا بطريق التعلم والقراءة والدراسة
على المشايخ ومطالعة الكتب ولكن شرطه ان يكون مطابقا لعلم الكتاب
والسنة الذي عند المجتهدين فيما اجمعوا عليه من الحق وقد يخالف
ما اختلفوا فيه لعدم تعيين الحق عندهم في موضع الاختلاف وهو معنى
قول الجنيد رضي الله عنه علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة لا ان معناه
ان الولاية مشروطة بقراءة الكتاب والسنة على المشايخ وتعلم العلوم الظا
هرة التي هي مادة الفهم في ذلك عند المحجوبين من اهل الغفلة كما يظنه
كثير ممن يطالع هذا الكتاب وغيره فينكر الكمال على الفتح والفيض من
الاميين الذين لا يقرؤون ولا يكتبون ويخرجهم ممن يقرا ويكتب ولكن
لم يشتغل في طلب تعلم الظاهر وان كان ذلك شرطا في الارشاد والاقتداء
المريدين به ليتحقق المطابقة ويصير على بصيرة في امره فانه حالة الداعي
الى الله تعالى كما قال قل هذه سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني
واما بقية الاولياء ممن لم يقمهم الله تعالى في مقام الدعوة اليه وان اجتمعت

عليهم الناس واتخذوهم مشايخ لا بانهم بل للناس في ذلك اغراض ومقا
صد فلا يشترط في كونهم اولياء حفظهم الكلمات القرآن ولا كتابتهم الحديث
النبوي بل يكفي موافقة علومهم الكشفية لذلك عندهم وعند من يعرف
الموافقة بينهما ولا يضرهم انكار الجاهل والقاصر لان المقصود من الكتاب
والسنة العمل بمقتضى ما فيهما لا مجرد علمهما فاذا وجد المقصود بتعليم الله
تعالى حصل المراد الالهي وهذا الظن المغرورون بعلم الكتاب والسنة على
فرض اتقانهم معرفة ذلك انهم ممتثلون امر الله تعالى ونهيه بمجرد علمهم
بذلك ومباشرتهم وعظ غيرهم به من غير عمل بشيء منه في انفسهم
وان عملوا بالبعض ابتدعوا بالزيادة والنقصان وتمهدوا لانفسهم
الرخص في تسليك اغراضهم عند الظلمة انكروا على المتقيدين بالاعمال
الصالحة بتوفيق الله تعالى لهم ذلك والهامه لهم وفتحه على قلوبهم
ما هو الحق والصواب عنده من غير اشتغال بتلك العلوم القولية
واستحلوا وصود ذلك الا بتعلم علمهم واخذه عنهم والسير على سيرتهم
وعلموا لفظ التوفيق وانكروا معناه في المكلفين الذي هو خلق الطاعة
في العباد وجعل العباد موافقين لما هو الحق والصواب عناية من الله
تعالى لهم كما وقع لسيد التابعين اويس القرني رضي الله عنه ممن لا يعرف
القراءة ولا الكتابة اتخذهم الله تعالى اولياءه ووفقهم للاعمال الصالحة على
طبق الكتاب والسنة من غير تعلم ولا اخذ عن شيخ اصلا وهؤلاء
المنكرون تجسسوا على عباد الله وقد ورد في علمهم حرمة التجسس وكشفوا
عورات اهل الاسلام وفي علمهم حرمة ذلك ولم يؤولوا ما ظهر لهم من
احتمال الخطاء في اقوال المؤمنين وافعالهم وهم مأمورون بذلك
في علمهم الذي يتكبرون به على عباد الله ويقطعون بسببه لانفسهم
بالنجاة من الله تعالى يوم القيمة وهلاك غيرهم ممن لا يعلم علمهم المذكور
ويشنون الطعون بكلام المصنف رحمه الله تعالى وكلام غيره من اهل التصانيف
المصرحين بالانكار على من خالف الشريعة ونابذ احكامها على العموم في كل
من خالف ونابذ فتراهم يخصصون هم في انكارهم فيقذفون قوما
مخصوصين ويلعنوهم ويشتمونهم وينسبون ذلك الصنيع الى الكتب
فيقولون قال فلان في كتاب كذا او قال فلان في كتاب كذا وفلان انما
قال فيمن هو موصوف بذلك وجميع العالم باعيانهم عنده بريئون مما
قال وانما قال مما هو موجود في زماننا فان ما لم يعلم بعينه لا يحكم
فيه الكتاب والسنة على انكار المنكر بوجه العموم لا الخصوص لان الخصوص

فضيحة

فضيحة وهتك وسوء ظن وتجسس وكل هذا حرام في علمهم الذي هم يزعمون
القيام به **وقال** ابو الحسن **السري** بن المغلس **السقطي** خال الجنيد واستاذه
وكان تلميذ معروف الكرخي كان اوحد زمانه في الورع والاحوال السنية
وعلوم التوحيد **التصوف** عند السادة الصوفية **اسم لثلاثة**
معان هي اصول في طريق القوم رضي الله عنهم المعنى الاول
وهو اي الصوفي المفهوم من ذكر التصوف **الذي لا يطفي نور**
معرفته بالله تعالى **نور ورعه** اي امتثاله لاوامر الله تعالى واجتنابه
عن نواهيه على اكمل الوجوه وقال القشيري في رسالته الورع ترك
الشبهات وقال يحيى بن معاذ الورع الوقوف على حد العلم من
غير تاويل انتهى وان كان الصوفي قائما بالنورين لان نور المعرفة
في القلب يكشف به عن حقائق الموجودات الجسمانية والعرضية
ويطلع على حضرات وتجليات الاسماء والصفات ونور الورع في الجسد
يعمل به جميع ما امره الله تعالى ان يعمل به على وجه الكمال ويكف به
عن كل ما نهاه الله تعالى عنه باتم ما يكون فمتى اشتغل بمراعاة النورين
واشتغل عن الاخر الالتفات لاحد الشيئين يكون قد فقد معنى التصوف
وزال التحقيق به من التصوف وقال الغزالي في مشكاة الانوار القلب بيت
هو منزل والصفات الردية كالغضب والشهوة والحسد والكبر كلاب
نابحة فكيف تدخله الملائكة وهو مشحون بالكلاب قال عليه الصلاة وا
لسلام ان الملائكة لا تدخل بيتا فيه كلب ولا صورة قال ولست اقول
المراد بلفظ البيت القلب وبالكلب الغضب والصفات المذمومة
بل اقول هو تنبيه عليه وعبور من الظواهر الى البواطن مع تقرير
الظواهر فبهذه القضية فارقنا الباطنية فان هذا طريق الاعتبار
ومسلك الائمة الابرار ومعنى الاعتبار ان تعبر مما ذكر الى غيره فلا
تقتصر على ما ذكر ولا تظنن ان هذا الانموذج نظير تضرب الامثال
رخصة مني في دفع الظواهر واعتقادي ابطالها حتى اقول مثلا
لم يكن مع موسى نعلان ولم يسمع الخطاب بقوله اخلع نعليك و
حاشا لله فان ابطال الظواهر راي الباطنية كما ان ابطال الا
سرار مذهب الحشوية فالذي يجرد الظواهر حشوي والذي يجرد
الباطن باطني والذي يجمع بينهما كامل ولهذا ورد للقرآن ظاهر
وباطن وحد ومطلع بل اقول فهم موسى عليه السلام من الامر بخلع النعلين
اطراح الكونين فامتثل الامر ظاهرا بخلع نعليه وباطنا بطرح العالمين

فهذا العتب دمن الظاهر الى السر وفرق بين من يسمع قول النبي صلى الله عليه وسلم ان الملايكة لا تدخل بيتا فيه كلب فيقتني الكلب في البيت ويقول ليس الظاهر مرادا بل المراد تخليت بيت القلب عن كلب الغضب لانه يمنع المعرفة التي هي من انوار المعرفة الملايكة اذا الغضب غول تعقل وبين من يمتثل الامر في الظاهر ثم يقول الكلب ليس كلبا لصورته بل لمعناه وهو السبعية والضراوة واذا كان حفظ البيت الذي هو مقر الشخص والبدن واجبا عن صورة الكلب فلان يجب حفظ بيت القلب وهو مقر الجوهر الحقيقي الخاص عن شر الكلبية اولى فانا اجمع بين الظاهر والسر فهذا هو الكامل وهو المعنى بقولهم الكامل من لا يطفي نور معرفته نور ورعه انتهى والحاصل ان الكامل هو الجمع بين ظاهر الشريعة وباطن الحقيقة وهو معنى التصوف في قول الروي المذكور و المعنى الثاني الصوفي هو الذي **لا يتكلم بباطن** اي بحقيقة علم من علومه النورانية **ينقضه** اي ينقض ذلك الباطن يعني يبطله ويظهر فساده **عليه ظاهر الكتاب** العزيز اي ما يظهر من معاني القرآن لكل مكلف فاذا لم ينقضه ظاهر الكتاب فهو تصوف صحيح وان نقضه كان فاسدا والذي يتاتى منه نقضه هو صاحب التحقيق في العلم الظاهر والعلم الباطن لا كل احد من الناس فان نقض القاصر في درجة الكمال لا يعتبر لعدم معرفته بالتطبيق بين بواطن الحقايق وظواهر الشرايع خصوصا اذا كان لا يعرف اصطلاحات الصوفية في خطاباتهم ومواقع كلامهم فان قول ابي يزيد البسطامي رضي الله عنه سبحاني ما اعظم شاني عند من لا يعرف اصطلاح القوم ولم يكن صاحب تحقيق في علم الظاهر والباطن منقوض بظاهر القرآن العظيم فان ذلك دعوى ربوبية منه عند القاصر مع ان ابي يزيد رضي الله عنه عارف رباني وكامل صمداني فلا بد من عالم محقق في العلمين يعرف اصطلاح الفريقين يشرح معنى ذلك على وجه لا يخالف ظاهر القرآن ويكون معنى عظيم الشان والمفهوم من كلام الشيخ محي الدين ابن العربي رضي الله عنه في بعض كتبه ان معنى كمال التنزيه للحق تعالى وهو تنزيه التنزيه فانه لما راى تنزيهه سبحانه وتعالى وتسبيحه عما لا يليق به مخلوقا منه سبحانه وتعالى وراه ظاهرا له على حسب استعداده والحق تعالى اعظم واجل تحقق ان الحق تعالى ظهر له على حسب استعداده بل استعداده ظهر له في حضرة تجلي الحق المطلق فعلم ان تسبيحه سبحانه وتعالى وتنزيهه راجع الى غاية استعداده الظاهر له في مراة التجلي المطلق

فارجع

فارجع الى استعداده في نفسه وقنع بالعجز عن التنزيه والتسبيح في تنزيه الله تعالى وتسبيحه فقال سبحاني ثم لما راى جميع المنزهين والمسبحين متوجهين بالتنزيه والتسبيح الى غاية استعداداتهم في التجلي المطلق فاستعداده ثم الاستعدادات فقال ما اعظم شاني وهو موافق لما في القرآن لا مناقض له وهذا مقدار ما يليق بهذا الموضع من معنى كلامه على اهل المعرفة الجامعين بين علمي الظاهر والباطن فانهم يعرفون معناه من غير ان ينقضه ظاهر الكتاب واما القاصرون من علماء الرسوم الذين لا يعرفون الا ظواهر العلوم فلا عبرة بكونه مناقضا عندهم بظاهر القرآن لانهم لا يعلمون اشارات الصوفية ولا مواجيد اهل الكمالات العرفانية فغايتهم انهم يستنطقون الكلمات بحسب اعرابها ومعانيها اللغوية وبعضهم بالوضع الخاص المسمى بالاصطلاح فيقعوا في سب اهل الكمال وهم عارفون ويتكلموا بتخطئة المصيب وهم لا يشعرون فان لكلام يد ان رجالا ونظير هذا ما وقع للشيخ ابي الغيث ابن جميل قدس الله سره انه جاء اليه جماعة من الفقهاء فقال لهم مرحبا بعبيد عبدي فاشتد انكارهم عليه فذكروا ذلك للشيخ اسماعيل الحضرمي رضي الله عنه وكان من اهل العلم الظاهر والباطن فقال صدق انتم عبيد الهوى والهوى عبده و المعنى الثالث الصوفي هو الذي **لا تحمله الكرامات** جمع كرامة وهي الامور الخارقة للعادة بلا دعوى نبوة **على هتك** اي عدم احترام **محارم الله تعالى** اي محرماته التي انتهك الا محرماتها من المحرمات الشرعية كانت مكرا من الله تعالى واستدراجا لا كرامات وكونها تقتضي انتهاك محرم من المحرمات يحتاج الى نظر دقيق من صاحب تحقيق ولا عبرة بنظر القاصرين عن مقاصد الواصلين فان لله تعالى تلبيسات على الجاهلين بافعال الكاملين ولا دخل للكاملين في قصد ذلك و يضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء **وقال ابو يزيد** طيفور بن عيسى البسطامي كان جده مجوسيا اسلم وكانوا ثلاثة اخوة ادم وطيفور وعلي وكلهم كانوا زهادا وابو يزيد كان اجلهم حالا قيل مات سنة احدى وستين ومايتين وقيل اربع وثلاثين ومايتين **رحمه الله تعالى لبعض اصحابه** من اهل بسطام **قم بنا حتى ننظر الى هذا الرجل الذي قد شهر نفسه بالولاية** وشهرة النفس بها كناية عن الدعوة الى الله بتربية قلوب المريدين فان كانت بحق كانت محمودة وان كانت بباطل كانت مذمومة واحتملت الا مرين لم يكن هذا الكلام فما مشى ابو يزيد لذلك الرجل لعدم قصده الذم ولكن لما غلب عليه حب الخفا كان ذلك عنده على خلاف مشربه فخرج

حرصها الله تعالى على عباده الكاملين
المقطعين والظاهرين وهذا شرط
كونها كرامات فلو

تعالى بمقتضى حاله

يخرج كلامه وليس فيه تجسس دينا منهي عنه لانه في قصد ظهور الحال من
ذلك الرجل لينتفع بصحبته ولقياه لا لقصد الاستكشاف عن معايبه **وكان**
ذلك **رجلا مقصودا** اي تقصده الناس من كل جهة من جهات الارض ويكون
به **مشهورا بالزهد** والتقوى والدين بين الخاص والعام **فمضينا اليه**
لقصد زيارته والتماس بركته **فلما خرج من بيته ودخل المسجد** ونحن
ننظر اليه **رمى ببزاقه** من فمه **تجاه القبلة** اي جهتها فانصرف ابو يزيد في
الحال حتى راه فعل كذلك **ولم يسلم عليه** ولم يكلمه **وقال** لمن كان معه
هذا رجل غير مامون اي لم يؤمنه الله تعالى **على ادب** واحد **من اداب
رسول الله صلى الله عليه وسلم** وذلك لانه استهان بالقبلة التي جعل
الله تعالى استقبالها شرطا في صحة الصلاة وورد النهي عن استقبالها
ببول وغائط وكره العلماء مد الرجلين اليها في نوم وغيره واوصى الله تعالى
الطواف بها والطهارة لذلك الطواف وحكم بانها بيته تعالى تعظيما لها
وتشريفا وادب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الله تعالى احترام ما احترمه
الله تعالى والانتقاص مما انتقصه واستهانه سبحانه كالكفر والكافرين ومواضع عباداتهم
الباطلة ونحو ذلك وفي الشرح اليوسفية للشيخ محي الدين ابن العربي رضي الله عنه اذا رايتم
من يدعي في هذه الامة مقام الدعاء الى الله على بصيرة ويخل بادب من اداب
الشريعة ولو ظهر عليه من خرق العوائد ما يبهر العقول ويقول ان ذلك ادب يخص
لا تلتفت اليه وليس بشيخ ولا يحق فانه لا يؤمن على اسرار الله تعالى من يحفظ عليه
اداب الشريعة ولكن شرط ان يبقى عليه عقل التكليف فان طرا عليه ما يخرج عن
عقل التكليف يسلم عليه حاله ولا تقتدي به وهو سعيد وهو في الوقت الذي سلب
عنه عقل التكليف بمنزلة الشيخ عند ما يموت فكما تقبض روحه على ما كان عليه
كذلك يوخذ عن هذا المولد عقله على ما كان عليه فتبقى سعادته سعادة لميت
ولا تدبير لنفسه الناطقة في هيكله لفقد الامها فيبقى مثل سائر الحيوانات يدبره
روح الحيواني ولا يعترض عليه فان الله ما كلفه كما انه لم يكلف الموتى وان كانوا
سعداء فافهم ما ذكرناه لك تسعد فان هذه الحال يجهلها اكثر اهل
الطريق فكيف عامة الفقهاء فاذا عرفوا ما قلناه لم يقعدوا على انكاره
وان يحجبهم عن ذلك ما يرونه منه من حركاته الطبيعية في اكل وشرب ونكاح وشبه
ذلك فيقولون كما انه ينكح وياكل ويشرب فليصل ويحجبهم الصورة الانسانية
الظاهرة وما يعلمون انه حيوان في صورة انسان وان نفسه الناطقة انتقلت
الى البرزخ انتقال الموتى وان كان لها التفات الى هذا الهيكل من اجل بلوغ
الاجل المسمى الذي للروح الحيواني في كل حيوان يموت فان الموت انما هو للحيوان

الذي يحاول

للانسان

95

للانسان الا من حيث كونه حيوانا فافهم فيعتقد في مجانين اهل الله ولا
تقيد بهم بخلاف عقلائهم **فكيف يكون** ذلك الرجل ماموناً من قبل الله تعالى
على ما اي الذي او شي **يدعيه** من الولاية والزهد فان الله تعالى لا يؤمن
على اسراره وانواره الا من امنه اولا على الاخلاق المرضية والاداب الحميدة
الله اعلم حيث يجعل رسالته والحكمة وضع الشيء في موضعه وهي ملازمة لافعال
الله تعالى لا ينفك عنها فعل من افعاله تعالى البتة وليس من الحكمة وضع
الولاية والكمال في المنتهك للحرمة والتارك للادب بل الحكمة تقتضي
عقابه لا ثوابه او العفو عنه لا المدح منه فان قلت يمكن ان يكون رمي
بزاقه تجاه القبلة خطاء وغفلة من غير تعمد فكيف انكر عليه ابو
يزيد رضي الله عنه حاله ولم يحمله على محمل حسن والخطاء مرفوع الاثم كما تقرر في
الشرع قلت وقد فعل ابو يزيد رضي الله عنه كذلك فانه ما حكم باثمه ولا نسب
اليه فسقا ولا قال عنه انه فعل مكروها لاحتمال ان يكون فعل ذلك خطاء منه
والخطاء لا مواخذة فيه والمسلم محمول على الكمال في كل حال ولكنه نفى عنه ما
يدعيه بلسان حاله حيث دعا الناس الى الله من الولاية ومقام القرب فان
ذلك قدر زايد على مجرد الصلاح والتقوى والديانة ولا يثبت الزايد الا
بعلامة تدل عليه ولم توجد العلامة عند ابي يزيد فلم ينسب اليه ما اشتهر عنه
من الولاية من غير طعن فيه ولا انتقاص له وقوله غير مامون على ادب من
اداب رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبار عن الواقع لا احتقار او استنقاص
له وحاشا مثل ابي يزيد رضي الله عنه من احتقار احد من اهل الاسلام **وقال**
ابو يزيد البسطامي ايضا رحمه الله تعالى في غير واقعته المذكورة كما
نقل اليه كلام القشيري في رسالته **لو نظرتم** ايها الناس وهو ابلغ من رايتم
او ظننتم لكمال الانكشاف **الى رجل** يدعي الولاية **وقد اعطى** اي اعطاه
الله تعالى **من الكرامات** اي الخوارق للعادات من المشي على الماء واحياء
الموتى وطي المسافة البعيدة في الزمان القليل ونحو ذلك **حتى تربع في
الهواء** بين السماء والارض ابلغ من مشي على الهواء لما في المشي من وضع
القدمين الموهمين احتمال التمسك بهما **فلا تغتروا به** اي لا تستدلوا
على ولايته ورفيع جاهه عند الله تعالى بما رايتموه من ذلك لا
حتمال ان يكون مكرا من الله تعالى به من حيث لا يعلم هو ولا تعلمون
انتم ايضا واستدراجا له من الله تعالى كما قال تعالى سنستدرجهم من حيث لا
لا يعلمون واستهزاء به من الحق تعالى وسخرية كما قال تعالى يستهزئ بهم وقال
سخر الله منهم **حتى تنظروا** بتحقق ايضا وكمال معرفة من دون تشكيك

ولا وسوسة فان المؤمن مؤمن حقا والكافر كافر حقا وكذلك الفاسق فاسق
حقا والصالح صالح حقا ولا شك ولا تردد الا عند اهل القلوب الضعيفة
والبصائر المطموسة والزيغ المبين والقصور المهين فان من لم تظهر مخالفته
الموجبة لفسقه ظهورا تاما لا يحتمل التاويل اصلا من غير تجسس وتلبس
بفاسق وهو ملتحق باهل العافية او التهمة من الصالحين كيف تجرؤنه
بنفوسكم وانتم تاركون التجسس عنه والوساوس الشيطانية التي يلقيها
الشيطان اليكم في حقه من غير ما علمكم ذلك من الغيو الآداء احضرتم
ثبوته على الوجه الشرعي عند حاكم شرع فتكونوا وجدتموه ظاهرا
لا حقيقة الوجدان فاتركوه حينئذ ظاهرا لا حقيقة الانكار عند الامر
الالهي القطعي او الظني والنهي الالهي كذلك وحفظ الحدود التي حدها
الله تعالى لعباده المكلفين في مقدار ماء الطهارة واعضائها
واعداد حركات الصلوات واوقاتها ومقادير جميع العبادات واو
قاتها ومقادير المعاملات وما يجوز منها وما لا يجوز وكيفيات العقائد
والقصص الواردة والمواعظ من غير زيادة في شيء من ذلك ولا نقصان
منه واداء اي تسليم جميع ما هو المطلوب منه في الشريعة المحمدية علما
وعملا امرا ونهيا وتخييرا على وجه العدل فيه والمراد ان يجد ذلك من تعلمه
على حسب ما اجمعت عليه الامة او اختلفت فيه فيعلم المجمع عليه والمختلف
فيه كله من المذاهب الاربعة الموجودة الان في الارض وغيرها
ايضا من مذاهب جميع الصحابة والتابعين ومن بعدهم اذ يحتمل
ان ذلك الولي قلد في عمله ذلك مذهبا تثبت عنده تلك المسئلة فيه
بشروطها فعمل بها فلا يجوز انكارها عليه قال الشيخ عبد الرؤف المناوي
في شرح الجامع الصغير وقد نقل الامام الرازي اجماع المحققين على منع
العوام من تقليد اعيان الصحابة واكابرهم نعم يجوز لغير عامي من الفقهاء
تقليد غير الاربعة في العمل لنفسه ان علم نسبته لمن يجوز تقليده وجمع شروطه
عنده انتهى ويحتمل ايضا ان يكون ذلك الولي مجتهدا اعلم من الادلة ما لم
يعلم غيره والاجتهاد باق الى يوم القيمة فمن اجتمعت فيه شرايط ولا
يلزمه بيانها وشروط الاجتهاد عند العارفين من اهل الله تعالى غير شروطه
عند اهل الاصول من علماء الظاهر كما نقلته في كتابي لمعات البرق النجدي
شرح تجليات محمود افندي فلا يكاد احد يجد المخالفة من الولي على
وجه اليقين وانما ينكر الجاهل بجهله ما لم يفعله الولي فياثم الجاهل لدخوله
فيما لا يعرفه ولانكاره حكم المجتهد الذي اقره عليه الله ورسوله ويثاب

الولي

96

الولي وترفع درجته قال الشيخ الاكبر محيي الدين ابن العربي رضي الله عنه في كتابه
شرح الوصية اليوسفية التي تكلم بها الشيخ علي الكردي على لسان يوسف بن
ابراهيم الكوفي ويقصد جهده ان يدفع عن نفسه الخيالات الردية بعني
في حق شيخه كيلا يحرم المنفعة به فان الشيطان لا يزال يلقي الى نفس
المريد في شيخه ما يكرهه اليه ولهذا بعض المريدين يعترضون على
شيوخهم بما يرونه من حركاتهم ولا سيما ان كان ظاهر الشريعة التي
عليها فقهاء الزمان على تلك الحركة حكم مقرر عندهم ولا سيما اصحاب
المذاهب الاربعة وما علم ان الشيخ من المحال ان يحلل ما حرم الله ويحرم
ما حلل الله او يحكم بما لم يحكم الله به فيما يفتي فيه او يدل عليه مريده
او يفعله الشيخ على طريق الحل وهو محرم في حكم الله تعالى على لسان النبي
صلى الله عليه وسلم الواصل الينا بشرع الله فانهم رضي الله عنهم قد يصح عندهم
من طريق الكشف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مشافهة منه اليهم او الهاما
من الله عز وجل او القاء في قلوبهم على الطريقة المعهودة التي لاولياء الله مع
الله في تلقياتهم ان الحكم الرسول عن الله في ذلك الامر هو هكذا لا ما حكمت
به المذاهب الاربعة او مذهب ما وان كان الله قد قرر ذلك الحكم بالنظر
الى ذلك المجتهد ومن قلده وقد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالته في
المطلقة بالثلاث في المجلس الواحد كيف حكمه عندك يا رسول الله فقال هي ثلاث كما
قال لا تحل له حتى تنكح زوجا غيره فقلت له فان جماعة من اهل الظاهر حكموا انها
واحدة فقال هؤلاء حكموا بما وصل اليهم واصابوا وحكى انا في المسئلة ما ذكرته
لك في رؤية طويلة من ذلك الوقت صرت اقول بهذا الحكم عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولا يلزم الشيخ مع هذا الكشف تقليد امام في اجتهاده لانه لا يلزم المجتهد
تقليد مجتهد آخر في مسئلة مع اجتهاده ولا يحل للمجتهد ان يحكم في نازلة
باجتهاده على طريق فرض الوقوع حتى تنزل فاذا نزلت تعين
الحكم منه فيها بما يؤديه اليه اجتهاده فان نزلت مرة ثانية وسال
فيها استانف الاجتهاد ايضا في الحكم فان وافق الاول كان
وافتى به عن هذا الاجتهاد وان لم يوافق وحكم بامر اخر في
تلك النازلة حرم عليه ان يحكم فيها الا بما ظهر له الان مع صحة الاول
في وقته لا في هذا الوقت ولذلك كان يقول مالك بن انس اذا
سئل في مسئلة هل نزلت فان قيل لم نعم نظر وافتى وان قيل له
لم تنزل ولكن فرضنا نزولها وكان لا يفتي فيها بشيء الا ان تنزل فانظر الى
تحري هذا الامام رضي الله عنه فمتى رايت المريد يزن الشيخ وحركاته بميزان الشرع

المقرر عنده من اجتهاده او من تقليده لامام فاعلم ان المريد في ادبار
لا يفلح ابدا فلذلك قال الشيخ يعني علي الكردي على لسان يوسف بن ابراهيم
ان يعني في وصيته هذه المقالة في الخواطر الردية هذا في تحليل محرم او
تحريم محلل واما ان لا يعصي الشيخ فذلك لا يمكن ان يتصور في حق احد لا شيخ
ولا غيره فان ابا يزيد قيل له ايعصي العارف قال وكان امر الله قدرا مقدورا
وينبغي للمريد ان لا يصحب شيخا على طريق العصمة وانما يصحبه على طريق العلم
بطريق الله ولينظر في اقواله ويتبعه لا في افعاله ولذلك قال الله تعالى
فاسئلوا اهل الذكر وما امرنا ان نتاسى بافعالهم لعدم فرض العصمة فيهم وقال
في حق الانبياء لما عصمهم الله تعالى لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة وقال تعالى
لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة فانا نتبع الرسول في جميع افعاله الا ما
نص علينا من افعاله التي يختص بها ولا يجوز لنا فعلها واعلم ان هذا من اعظم
الادوية لهذه العلة التي تطرا على المريد من الشيطان ولا شك ان النفس
الخبيثة تقبل على الغير مثل هذا الالقاء بما تراه من حكم الشيخ عليها وهي بالطبع
لا تريد ان تكون محكومة لاحد فاذا اخطر لها ابليس في الشيخ خاطرا
رديا قبلته من حينها الا ان يوفقها الله ولقد خدم صادق شيخا فراه قد
زنى بامراة وعلم الشيخ ان المريد قد راه ثم راى المريد قد بالغ في خدمته كما
كان وما تغير عليه من حاله شيء فقال له الشيخ يا فلان انت قد رايتني وقد وقع
مني ما وقع وثبتّ على طريقتك في خدمتي فقال يا سيدي ما صحبتك على انك
معصوم عن المعاصي وانما صحبتك لانك عالم بطريق الله الذي فيه رشدي وانت
مع نفسك بحسب ما قدر الله عليك فقال الشيخ مثلك من تدعي انه خديم
قلت ذكر شيخنا ان بعض من روى هذه الحكاية قال ان ما وقع من الشيخ
المذكور كان اختبارا للمريد ولم يكن ما وقع منه زنا في نفس الامر وقد
جرى لنا مثل هذا مع بعض شيوخنا وكنا معه مثل هذا المريد والله ما
تغير لي باطن ولا قلب على شيخ من اجل حركة وسكون واني ما صحبته
الا انه ينصحني فيما يلقي الي وان اقتدي بكلامه لا بفعله وكل مريد يخرج
عن هذه القضية فانه لا يجيء منه وصل ابدا ثم لتعلم ان لله عبادا قد
قيل لهم اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فما يدريك ان هذا الشيخ منهم وباب
المريد حسن الظن لا سوء الظن واعلم ان الله عز وجل اذا فتح على عبد
في باطنه سوء ظن باحد من خلق الله فان ذلك من مقت الله به ومن
عمى بصيرته ومن فرض العصمة لاحد فذلك غاية الجهل بالله والمعاصي لا تنافي
مسلما ولا يتغير لها وان كره فيكره الفعل لا الفاعل فان سلطان الايمان

اقوى

اقوى في المعصية من الطاعة اعتقاده انها معصية فالناصح نفسه ينبغي له
ان يحمي باطنه من الخواطر الردية في حق المؤمنين والكافرين في الوقت
لانه لا يدري بما ذا يختم لهذا الكافر المعين بالكفر في الوقت وانما
يكره الكفر من حيث هو كفر لا هذا الكافر فكيف المؤمن وكل من اساء الظن
باحد من خلق الله بلا خلاف انه ممقوت من الله وذلك بذر الحرمان
وطريق الخسران وقد قال صلى الله عليه وسلم طوبى لمن شغله عيبه عن
عيوب الناس واي عيب اعظم من سوء الظن بالناس وهل يكون ذلك
الا من مراقبة هذا المحروم لحركات الناس فلو اشتغل بنفسه ما تفرغ الى
النظر في غيره كما قال بعض شيوخنا وفي النفس شغل عن الغير شاغل
فرحم الله هذا الشيخ بما اوصى به ولقد وصى بخير كثير وقال سليمان بن عبد
الرحمن بن عطية الداراني نسبة الى داريا قرية من قرى دمشق مات
سنة خمس عشرة ومائتين رحمه الله تعالى ورضي عنه ربما لافادة التقليل
اشارة الى انه الغالب انه يجد في الوقت شاهدين من الكتاب والسنة
على ما يقع في قلبه او في ثاني الوقت دون المدة المذكورة تقع في قلبي
بطريق الفيض من حضرة ربي النكتة مشتقة فيها والنكتة كالنقطة
قاله الجوهري وفي القاموس النكتة بالضم النقطة والجمع نكات انتهى
كانها سميت بذلك لانها تنكت في القلب اي تؤثر فيه بلطف بلاغتها من
نكت جمع نكتة القوم وهم اهل الله المحقق من السادة الصوفية والمراد بها
ما يفتح الله تعالى على قلوبهم بطريق الفيض والالهام من المعارف والاسرار الالهية
اياما اقلها ثلاثة فيتردد في قبول ذلك الواقع في قلبه او عدم قبوله والمبا
درة الى رده حرصا [illegible] على الاتباع واحترازا من الوقوع في الابتداع
فلا اقبل ذلك الواقع في قلبي منه اي من قلبي الا بشاهدين اي دليلين
مثبتين معنى تلك النكتة عدلين اي موثوقين ليس فيهما لبس الاول من
الكتاب اي القران العظيم وهو متواتر لا ضعف في سنده الا من حيث
القراءات الشاذة والتفسير الغريب والثاني من السنة النبوية
المحمدية ومنها الصحيح وغير الصحيح وفي العقد المنضد في تحقيق كلمة
التوحيد لابن الهائم رحمه الله تعالى قال العلماء من المحدثين والفقهاء
وغيرهم يجوز ويستحب العمل في الفضائل والترغيب والترهيب بالحديث
الضعيف ما لم يكن موضوعا انتهى ومعنى كونه لا يقبل ذلك الا بشاهدين
عدلين من الكتاب والسنة على حسب ما يفتح له في معاني الكتاب والسنة
ولا يلزم ان يذكر ذلك حتى يعلمه غيره ولا ان يفتح لغيره ما فتح له في معاني

فيعلم به والمقصود بيان ان علمه مقيد بالكتاب والسنة كما سبق عن
الجنيد البغدادي رضي الله عنه واهل الفتح والالهام يجدون في الكتاب
والسنة من المعاني الصحيحة والاحكام الرجيحة ما لا يجده غيرهم من
علماء الرسوم المتمكنين فيما يجدونه بالفهوم فان صفاء البصاير وسلامة
السراير يكشف الاسرار الخفية ويورد على القلب المعارف الالهية فلا
تتاتى بعد لحوالهم الا لامثالهم باعتبار نظرهم في الوقايع بالله واتكالهم
في الاطلاع على الله كما قال عليه السلام احذروا فراسة المومن فانه ينظر
بنور المومن ونظر علماء الغفلة والحجاب بانفسهم المعكوسة وبصايرهم
المطموسة فان اعيانهم قاصرة وعقلاهم حاصر فكشفهم انوار الشمس والقمر
والنجوم من اعظم المنن عليهم فلا يطمعون مع نقصانهم الذي هم فيه
في كشف حقايق العلوم وهو من عدل الحق المعلوم حيث تسلطوا
بسوء الظن وبذاءة اللسان على من يعلمه الله تعالى من اهل ولايته
الذين لحومهم مسموم والله يفصل بين الظالم والمظلوم وقال
ابو الفيض ذو النون المصري واسمه ثوبان بن ابراهيم وقيل الفيض
بن ابراهيم وكان ابوه نوبيا توفي في سنة خمس واربعين ومايتين
رحمه الله تعالى ومن علامات المحبة من الانسان لله تعالى متابعة
حبيب الله محمد صلى الله عليه وسلم ظاهرا وباطنا في اخلاقه اي طباعه
وعاداته عليه الصلاة والسلام فانها من اعظم الاخلاق كما قال له
الله تعالى وانك لعلى خلق عظيم وافعاله التي كان يفعلها من القيام
بحقوق الله تعالى عليه وحقوق الخلق والنصرة لدين الله تعالى واوامره
بالفعل قطعا او ظنا وبالكف كذلك فتدخل الفروض والواجبات
والمحرمات والمكروهات وسننه جمع سنة وهي طريقته وسيرته صلى الله عليه وسلم
التي كان عليها من تلقاء نفسه فيما لم يامره الله تعالى به واوحى به تعالى اليه
باطنا قال الامام القسطلاني في المواهب اللدنية اعلم ان محبة الله تعالى على
قسمين فرض وندب فالفرض المحبة التي تبعث على امتثال الاوامر والانتهاء
عن المعاصي والرضا بما يقدره فمن وقع في معصية من فعل محرم او ترك
واجب فلتقصيره في محبة الله حيث قدم هوى نفسه والتقصير يكون
مع الاسترسال في المباحات والاستكثار منها فيورث الغفلة المقتضية
للتوسع في الرجاء فيقدم على المعصية والندب ان يواظب على النوافل و
يجتنب الوقوع في الشبهات والمتصف بذلك في عموم الاوقات والاحوال
نادر وفي البخاري من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه

عن ربه تعالى انه قال ما تقرب الي عبدي بمثل اداء ما افترضته عليه وفي رواية
بشيء احب الي من اداء ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوا
فل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به
ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش
وبي يمشي ولين سالني لاعطينه ولين استعاذني لاعيذنه وما ترددت
عن شيء انا فاعله ترددي عن قبض نفس عبدي المومن يكره الموت
واكره مساءته فاستفيد من قوله وما تقرب الي عبدي بشيء احب
الي ان اداء الفرايض احب الاعمال الى الله تعالى وعلى هذا فقد استشكل
كون النوافل تنتج المحبة ولا تنتجها الفرايض واجيب بان المراد من النوافل
اذا كانت مع الفرايض مشتملة عليها ومكملة لها ويويده ان في رواية ابي
امامة بن ادم انك لن تدرك ما عندي الا باداء ما افترضته عليك او
يجاب بان الاتيان بالنوافل لمحض المحبة لا لخوف العقاب على الترك بخلاف
الفرايض وقال الفاكهاني معنى في الحديث انه اذا ادى الفرايض ودوام
على اتيان النوافل من صلاة وصيام وغيرهما افضى به ذلك الى محبة الله تعالى
وقد استشكل ايضا كيف يكون الباري جل وعلا سمع العبد وبصره الى اخره و
اجيب باجوبة منها انه ورد على سبيل التمثيل والمعنى كنت سمعه وبصره في
اتيان امري فهو يحب طاعتي ويوثر خدمتي كما يحب هذه الجوارح ومنها
ان المعنى ان كليته مشغولة بي فلا يصغي بسمعه الا الى ما يرضيني ولا يرى
ببصره الا ما امرته به ومنها ان المعنى كنت له في النصرة كسمعه وبصره ويده ورجله
في المعاونة على عدوه ومنها انه على حذف مضاف كنت حافظ الذي يسمع به فلا
يسمع الا ما يحل سماعه وحافظ بصره كذلك الى اخره قاله الفاكهاني قال ويحتمل
معنى اخر ارق من الذي قبله وهو ان يكون بمعنى مسموعه لان المصدر قد
جاء بمعنى المفعول مثل فلان املي بمعنى مامولي والمعنى انه لا يسمع الا ذكري
ولا يلتذ الا بتلاوة كتابي ولا ياتمن الا بمناجاتي ولا ينظر الا في عجايب
ملكوتي ولا يمد يده الا فيه رضاي ورجله كذلك وقال غيره اتفق
العلماء ممن يعتد بقوله على ان هذا مجاز وكناية عن نصرة العبد وتاييده
واعانته حتى كانه سبحانه تنزل عنده منزلة الالات التي يستعين بها
ولهذا وقع في رواية فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي وقال
الخطابي عبر بذلك عن سرعة اجابة الدعاء والنجح في الطلب وذلك
ان مساعي الانسان كلها انما تكون بهذه الجوارح المذكورة وعن ابي عثمان
الحيري احد ائمة الطريق قال معناه كنت اسرع الى قضاء حوايجه من سمعه

نسخة ح

في الاستماع وعينه في النظر ويده في اللمس ورجله في المشي كذا اسنده عنه
في الزهد انتهى واحسن ما رايت في معنى ذلك ما قراته بخط ابي الطيب المغربي
رحمه الله تعالى وهو فان قيل كيف يجوز ان يتصف المخلوق بصفات الخالق
ولا حلول بينهما ولا اتصال الجواب انظر كيف تكسو النار صفتها الماء بواسطة
الحجاب فيعود الماء في الصورة ماء وفي المعنى نارا فيفعل فعل النار في
احراقها من غير ان تتحيز بالصفات منفصلة بالذات وما ذلك الا انه
بواسطة قرب الماء منه واقباله عليه كساه الله تعالى صفته الباقية من
غير تحيز ولا انفصال ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون وانشد
في المعنى

سلم اذا ذكر الحادا عاشق ۞ وافطن فطور المرء ليس يزيد
كالنار يدخلها الحديد فيغتدي ۞ نارا وذاك معاين مشهود
فاذا تخلى عن مقام وصالها ۞ فالنار نار والحديد حديد

وفي المواهب اللدنية تضمن هذا الحديث الشريف الالهي الذي حام على غلظ
الطبع كشف القلب فهم معناه والمراد به حصر اسباب محبته تعالى في امرين
اداء فرائضه والتقرب اليه بالنوافل وان المحب لا يزال يكثر من النوافل
حتى يصير محبوبا لله تعالى فاذا صار محبوبا لله وجبت محبة الله له محبة
اخرى منه لله فوق المحبة الاولى فشغلت هذه المحبة قلبه عن الفكر
والاهتمام لغير محبوبه وملكت عليه روحه ولم يبق فيه سعة لغير محبوبه
البتة فصار ذكر محبوبه وحبه ومثله الاعلى مالكا لزمام قلبه مستوليا على
روحه استيلاء المحبوب على محبه الصادق في محبته الذي قد اجتمعت
قوى حبه كلها له ولا ريب ان هذا المحب ان سمع سمع بمحبوبه وان ابصر ابصر به وان
نطق نطق به وان مشى مشى به فهو في قلبه ونفسه وانيسه وصاحبه والباء هنا
للمصاحبة وهي مصاحبة لا نظير لها ولا تدرك بمجرد الاخبار عنها والعلم
بها فالمسئلة حالية لا علمية محضة قال ولما حصلت الموافقة من العبد لربه في
محابه حصلت موافقة الرب لعبده في حوائجه ومطالبه فقال ولئن سالني
لاعطينه ولئن استعاذني لاعيذنه اي كما وافقني في مرادي في امتثال اوامري
والتقرب الي بمحابي فانا اوافقه في رغبته ورهبته فيما يسالني ان افعله به
ويستعيذني ان يناله وقوي امر هذه الموافقة من الجانبين حتى اقتضى
تردد الرب سبحانه في اماتة عبده لانه يكره الموت والرب يكره ما يكره
عبده ويكره مساءته فمن هذه الجهة تقتضي ان لا يميته ولكن مصلحته
في اماتته فانه ما اماته الا ليحييه ولا امرضه الا ليصحه ولا افقره الا ليغنيه
ولا منعه الا ليعطيه ولم يخرجه من الجنة في صلب ابيه الا ليعيده اليها على احسن احواله

فهو

فهذا هو الحبيب في الحقيقة لا سواه وقال الخطابي التردد في حق الله تعالى
غير جائز والبداء عليه في الامور غير سائغ ولكن له تاويلان احدهما ان
العبد قد يشرف على الهلاك في ايام عمره من داء يصيبه وفاقة تنزل
به فيدعو الله فيشفيه منها ويدفع عنه مكروهها فيكون ذلك من فعله كتردد
من يريد امرا ثم يبدو له غيره فيتركه ويعرض عنه ولا بد له من لقائه اذا بلغ الكتاب
اجله لان الله تعالى قد كتب الفناء على خلقه واستاثر بالبقاء لنفسه والثاني
ان يكون معناه ما رددت رسلي في شيء انا فاعله كترديدي اياهم في نفس
المؤمن كما روي في قصة موسى عليه السلام وما كان من لطمه عين ملك
الموت وتردده اليه مرة بعد اخرى قال وحقيقة المعنى على الوجهين
عطف الله على العبد ولطفه به وشفقته عليه وقال الكلاباذي ما حاصله انه
عبر عن صفة الفعل بصفة الذات يعني باعتبار متعلقها اي عن الترديد
بالتردد وجعل متعلق الترديد اختلاف احوال العبد من ضعف
ونصب الى ان تنتقل محبته في الحياة الى محبته للموت فيقبض على ذلك قال وقد
يحدث الله في قلب عبده من الرغبة فيما عنده والشوق اليه والمحبة للقائه
ما يشتاق معه الى الموت فضلا عن ازالة الكراهة عنه وبالجملة فلا حياة
للقلب الا بمحبة الله ومحبة رسوله ولا عيش الا عيش المحبين الذين
قرت اعينهم وسكنت نفوسهم اليه واطمانت قلوبهم واستانسوا بقربه وتنعموا
بمحبته ففي القلب فاقة لا يسدها الا محبة الله ورسوله ومن لم يظفر بذلك فحياته
هموم وغموم والام وحسرات قال صاحب المدارج ولن يصل العبد الى هذه
المنزلة العلية والمرتبة السنية حتى يعرف الله ويهتدي اليه بطريق توصله
اليه ويخرق ظلمات الطبع باشعة البصيرة فيقوم بقلبه شاهد من
شواهد الاخرة فينجذب اليها بكليته ويزهد في التعلقات الفانية
ويرغب في تصحيح التوبة والقيام بالمامورات الظاهرة والباطنة وترك
المنهيات الظاهرة والباطنة ثم يقوم حارسا على قلبه فلا يسامحه
بخطرة يكرهها الله تعالى ولا بخطرة فضول لا تنفعه فيصفو لذلك قلبه
بذكر ربه ومحبته والانابة اليه ويخرج من بين بيوت طبعه ونفسه
الى فضاء الخلوة بربه وذكره فحينئذ يجمع قلبه وخواطره وحديث
نفسه على ارادة ربه وطلبه والشوق اليه فاذا صدق في ذلك رزق
محبة الرسول واستولت روحانيته على قلبه فجعله امامه واستاذه و
معلمه وشيخه وقدوته كما جعله الله نبيه ورسوله وهاديه فيطالع سيرته
ومبادي اموره ويقظته ومنامه وعباداته ومعاشرته لاهله واصحابه

الي غير ذلك مما منحه الله تعالى حتى يصير كانه معه من بعض اصحابه فاذا
رسخ في قلبه ذلك فتح عليه بفهم الوحي المنزل عليه من ربه بحيث اذا
قرأ السورة شاهد قلبه ما انزلت فيه وما ذا اريد بها وحظه
المختص به منها من الصفات في الاخلاق والافعال المذمومة فيجتهد
في التخلص منها كما يجتهد في الشفاء من المرض المخوف ولمحبة الرسول
صلى الله عليه وسلم علامات كثيرة من اتصف بها فهو كامل المحبة لله
ورسوله ومن خالف بعضها فهو ناقص المحبة ولا يخرج عن اسمها بدليل
قوله عليه السلام للذي حده في الخمر لما لعنه بعضهم وقال ما اكثر ما يؤتى
به فقال صلى الله عليه وسلم لا تلعنوه فانه يحب الله ورسوله فاخبر انه يحب
الله ورسوله مع وجود ما صدر منه وفيه الرد على من زعم ان مرتكب الكبيرة
كافر لثبوت النهي عن لعنه وثبوت الامر بالدعاء له وفيه انه لا تنافي
بين ارتكاب النهي وثبوت محبة الله ورسوله في قلب المرتكب وان
من تكررت منه المعصية لا تنزع منه محبة الله ورسوله انتهى وذكر في
فتح الصفا شرح الشفا لابن اقبرس في لزوم محبة الله تعالى ورسوله
الاقتداء بالسنة النبوية والاتباع لجميع الاحكام الشرعية قال
والمراد باللزوم ههنا اللزوم عند اهل المحبة التي ينتهي الحال فيها عندهم
الى مقام الفنا فيها وسلب الاختيار مع المحبوب فهذه هي المحبة
التي يلزمها ذلك وهذه محبة الخواص واما محبة العوام فهي الواقع
فيها التفاوت بالشدة والضعف الى ان ينتهي الحال فيها الى الذرة
المشار اليها بقوله عليه الصلاة والسلام يخرج من النار من في قلبه مثقال
ذرة من ايمان وقد دل عليه حديث الرجل الذي حده النبي صلى الله
عليه وسلم حيث نهى عن لعنه واخبر بكونه يحب الله ورسوله فاثبت له
المحبة مع المعصية فان قلت ما معنى قوله عليه الصلاة والسلام لا يزني
الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن
قلت هو محمول على كمال الايمان لا سيما من يطلق الايمان على الاعمال وقال
ابو نصر بشر بن الحارث الحافي اصله من مرو فسكن بغداد ومات بها
سنة سبع وعشرين ومائتين رحمه الله رايت النبي صلى الله عليه وسلم في
المنام فقال لي يا بشر هل تدري بم رفعك الله تعالى من بين اقرانك
اي المماثلين لك في زمانك قلت لا يا رسول الله يعني لا اعرف السبب
في ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رفعك الله باتباعك لسنتي ظاهرا
وباطنا على وجه اليقين والاخلاص وخدمتك باعتقاد قلبك وعملك

جوارحك وثنائك بلسانك ومحاماته وتاويل ما يحتمل الخطأ للصا
لحين من اهل الخصوص والعموم والصالح كل من لم يتحقق فسقه وعصيانه
ولا عبرة بالشك والظان بالسوء من اول وهلة فاسق وكذا المتجسس
والقاصد فضيحة اخيه والذي يحب ان تشيع الفاحشة في الذين
امنوا فلا عبرة باقوالهم وشهاداتهم شرعا وقال الشيخ الاكبر محي الدين
ابن العربي قدس الله سره في كتابه روح القدس ولم ازل ابدا اجاهد
سه اجاهد الفقهاء في حق الفقراء السادة حق الجهاد واذب عنهم وا
وبهذا فتح لي ومن تعرض لذمهم والاخذ فيهم على التعيين فانه لا اخفاء
يجهد ولا يفلح ابدا انتهى واحترز بقوله على التعيين من الاخذ فيهم
على طريقة العموم من غير تخصيص احد منهم بعينه تنبيها على النوع الفا
منهم من غير خصوصيه ليعلم المكلفان فيهم الدخيل فيتحذر منه ويكون على
يقظة كما هو عادة غالب الفقهاء المتقدمين ومنهم المصنف لهذا الكتاب
رحمه الله تعالى بخلاف فقهاء زماننا الذين ياخذون الكلام العام
الصادر من الاولين ويخصصونه بفقراء زمانهم ويحكمون فيهم بظنونهم
السيئة ولهذا قال فمن يفعل كذلك فانه لا اخفاء يجهد ولا يفلح ابدا
ونصيحتك لاخوانك المسلمين بتبيين ما يصلح عقائدهم واقوالهم وافعالهم
واحوالهم على طريق السنة من غير تخصيص احد بعينه مخافة احتمال فهم
انه بخلاف ذلك فيتاذى واقتفاء لاثر الكتاب والسنة في كيفية
ذلك البيان ومحبتك لاصحابي كلهم من غير طعن في احد منهم مع السكوت
عما وقع بينهم من الحروب والمخاصمات والقطع بان ذلك كله اجتهاد
منهم في الدين ماجورون عليه وان اخطا بعضهم فيه ومحبتك اهل
بيتي اي ذريتي واقربائي من اولاد فاطمة وعلي وجعفر وعقيل واولاد
العباس وحمزة رضي الله عنهم وقد سبق بيانهم هو اي مجموع ما ذكر
من الامور الاربعة اتباع السنة وخدمة الصالحين ونصيحة الاخوان
ومحبة الاصحاب واهل البيت الذي بلغك اي اوصلك منازل
جمع منزل وهو موضع النزول وهي الاحوال والمقامات التي تنزلها في التقرب
الالهي جملة الابرار جمع بر وهو الصادق في معاملة الحق والخلق وقال
ابو سعيد احمد بن عيسى الخراز من اهل بغداد مات سنة سبع وسبعين وما
يتين رحمه الله تعالى كل امر باطن اي من علم الباطن وهو علم الحقائق الالهية
والمعارف الربانية يخالف امرا ظاهرا اي من علم الظاهر وهو علم الشرايع
الالهية والمعارف الربانية النبوية والاحكام المحمدية فهو اي ذلك الامر البا

شيء باطل لا اعتبار له لانه وسوسة شيطانية وزخرفة نفسانية حيث
خالف الظاهر وهذه المخالفة لا يعرفها غير اهل التحقيق في علمي الظاهر والبا
طن ولا اعتبار بعلم القاصرين لها فانهم ربما ينكرون الموروق زعما منهم
بانه مخالفة خصوصا من لم يعرف اصطلاح الصوفية في مواجيدهم وا
ذواقهم وقال ابو عبد الله محمد بن الفضل البلخي ساكن سمرقند بلخي الا
صل اخرج منها فسكن سمرقند ومات بها سنة تسع عشرة وثلثمائة ذهاب
الاسلام اي اضمحلال رسومه واستتار انواره عن قلوب العاملين بحيث
يبقى له اسم بلا رسم ويصير طبيعة بعد ان كان شريعة فلا يحكم الرجل الاعما
يستحسنه برايه وعقله ويترك ما علمه من الشرع فانى بجهله وذلك عند
تقهقر الزمان وانكار العلم النافع على اهل الايمان من اربعة امور الاول
انهم لا يعملون بما يعلمون لانهم تعلموا العلم ليتميزوا به عن العوام ويجعوا
به الدنيا من حلال وحرام لا ليعملوا به فهم جادون على مقتضى قصدهم في ذلك
والاسم علماء وافعالهم افعال الجهلاء بل افعال المستهزئين بربهم كانهم علموا
دينه ليحتجوا به عليه فتراهم يقعون في الكبائر عمدا وهم معتقدون انه
عفو رحيم وانه يسامحهم قطعا بسبب ما علموه من دينه فيزدادون
مقتا على مقت وغضبا على غضب وهم لا يشعرون الا انهم محسنون و
الثاني انهم يعملون في اعتقاداتهم وعباداتهم ومعاملاتهم او في بعضها بما لا
يعلمون من احكام الله تعالى فيها فيتبعون عقولهم وما ادى اليه ذا لهم
واستحسنته نفوسهم ويامرون بذلك غيرهم ويجادلون عليه من خالفهم
وهم يعتقدون ان ما هم فيه هو الصواب ويرجون من الله تعالى عليه
غاية الثواب والثالث انهم لا يتعلمون من المشايخ او الكتب ما يعملون
به من الاعتقادات والاقوال والافعال والاحوال وليس لهم خلوص من
سريرة ولا صفاء بصيرة حتى يتولى الله تعالى تعليمهم ويوفقهم لما يحبه منهم
ويرضاه لهم ولا يحوجهم الى الشيخ ولا الى الكتاب كما قال تعالى الرحمن علم القران
ستوى علم القران وقال الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم وقال واتقوا
الله ويعلمكم الله ولكن بواطنهم مملوة من الاخباث والادناس وظواهرهم مزخرفة
بانواع اللباس لا يقدر المؤمن ان ينظر في وجوههم من قبح نياتهم وسوء
طوياتهم يتقلب الواحد منهم في اليوم والليلة الف مرة ليس لاحدهم صديق
يثق به لا عشيا به له في غيابه ولا عدو يحذر منه لمداهنته له في حضوره
والرابع ان الناس المضر ذكرهم في الثلاثة الاولى من التعلم للعلم
له في حضوره النافع في الدين بمعرفة كيفية العمل الصالح الخالي من

البدعة وفي الاخرة بالنجاة من النيران والخلود في دار النيران ورؤية الرب تعالى
بالمشاهدة والعيان مع الذين انعم الله عليهم من اهل الايمان يمنعون كل من
قدروا على منعه بتخويفه من العلم النافع او يحثون تعلمه ذلك او تنفرون العلم
المضر في الدنيا والاخرة ترويجا لسلعتهم الكاسدة في الدين وتلبيسا لطريق
المتقين حبا للعاجلة ورغبة في الحاضرة الحاصلة فيحتقرون العلوم الشرعية
ويعظمون الفارات العقلية وهم غالب اهل زماننا هذا من غير تعيين
والله عليم بالظالمين ثم قال المصنف رحمه الله تعالى كل ما ذكرته ذكره
هو من كلام سيد الطائفة الصوفية الجنيد البغدادي رضي الله عنه
على حسب ما تقدم الى هنا منقول كله بحروفه من رسالة الشيخ الامام
العارف بالله تعالى عبد الكريم بن هوازن القشيري رحمه الله تعالى
وهي رسالة كتبها الى جماعة الصوفية ببلدان الاسلام في سنة سبع
وثلاثين واربعمائة انظر بعين الانصاف واترك التعصب والا
عتساف يا ايها العاقل الطالب للحق ليعرفه ويعمل به ان هؤلاء
السادة المذكورين وهم الجنيد والثوري وابو يزيد وابو سليمان
الداراني وذو النون المصري وبشر الحافي وابو سعيد الخراز ومحمد بن
الفضل كلهم عظماء جمع عظيم مضاف الى مشايخ جمع شيخ مضاف
الى علماء جمع عالم مضاف الى الطريقة وهي طريقة السادة الصوفية
اهل العلم والعمل المؤسسة على الكتاب والسنة وكبراء جمع كبير مضاف
الى ارباب جمع رب بمعنى صاحب السلوك الى الله تعالى على الكشف والعيان
في مقام الاحسان وارباب الحقيقة وهي مشاهدة الربوبية في افعال
العبودية وارتفاع الحجاب مع القيام في الاسباب وكلهم يعظمون
الشريعة المحمدية والطريقة المصطفوية بظاهرهم وباطنهم وكيف وهم
ما وصلوا الى مقاماتهم العلية ودرجاتهم السامية الا بذلك التعظيم و
السلوك على هذا المسلك المستقيم ولم ينقل عن احد منهم ولا عن غيرهم من السادة
الصوفية الكاملين انه احتقر شيئا من احكام الشريعة المطهرة ولا امتنع
من قبوله بل كلهم متسلمون لها مؤمنون بها عاملون لها عاملون به ومن طعن
في احد منهم فانما طعن في قصوره باعه في العلم عن معرفة مقام القوم وا
لقاصر معذور بالجهل والقصور والله عليم بذات الصدور ويسمون علومهم
الباطنة المفاضة عليهم بالفتح الرباني والالهام الرحماني في معاني القران
العظيم والسنة النبوية مما هو مذكور في كتبهم النافعة ومصنفاتهم المرا
فعة على السيرة اي الطريقة الاحمدية المنسوبة الى نبينا احمد صلى الله عليه وسلم

والملة الحنفية اي المائلة عن الباطل الى الحق وهي ملة الاسلام وحاشاهم
ان تخالف علومهم المذكورة لشئ من ذلك عند كل عارف وسالك بخلاف
ما يدعيه الجاهل المغرور فيفتح به المهالك من المخالفة لعدم العلم والذوق
والسلوك على هذه المسالك فلا يغرنك حيث علمت تمسك القوم بالشرا
يع وتقربهم الى الله تعالى باقرب الذرايع طامات جمع طامة
من طم الماء طام وطموما علا والاناء ملاءه والشئ كثر حتى علا
وغلب والطامة الداهية تغلب ما سواها كذا في القاموس
والمراد هنا الامور المضرة في الدين من افعال الجهال المتنسكين
اي المتعبدين بلا علم ولا معرفة وشطحهم اي مجاوزتهم الحدود الشرعية
عن قصد منهم الفاسدين نعت للجهال وفساده باعتبار اعتقادهم
ما ليس بحق من امور الدين جهلا منهم بعقايد اهل السنة وقولهم ما
يخالف الشريعة وعملهم الاعمال الباطلة من جهلهم المركب وتخيلهم في
انفسهم انهم على هدى ورشاد المفسدين لمن تابعهم من العوام على
غير بصيرة الضالين اي المتحيرين في معرفة الحق المبين المضلين اي
المحيرين في معرفة ذلك لغيرهم من الناس نعت متعلق بالمضلين ان
كانوا اقبل ان يضلوا غيرهم زايغين اي مائلين عن الشرع القويم الى الدين
الباطل والمذهب العاطل ومائلين عن الصراط اي الطريق الواضح المستقيم
الى صراط الجحيم خارجين بظواهرهم وبواطنهم عن مناهج جمع منهج وهو
الطريق الواضح علماء الشريعة المحمدية لتمسكهم باحكام عقولهم الضعيفة
وارائهم السخيفة وعلماء الشريعة يتمسكون باحكام كتاب الله تعالى وسنة
رسوله صلى الله عليه وسلم واجماع الائمة المهديين وتقديم الدليل بحكم
القياس في الثابت باليقين ومارقين اي متجاوزين عن مسالك
اي طرق مشايخ الطريقة النبوية والسيرة الاحمدية لاعراضهم عن
التادب باداب الشريعة وتوهمهم الدخول في حصونها المنيعة فهم
كافرون بانكارها مدعون الاستنارة بانوارها ومشايخ الطريقة
قائمون بالاداب الشرعية معتقدون تعظيم احكام الله تعالى على كافة
العبيد وهذا اتحفهم الله تعالى بالكمالات القدسية في المقامات الانسية
وهؤلاء المغرورون بالفشار اللابسون حلة العار الذين هم مسلمون
في الظاهر واذا احققتهم فهم كفار لم يزالوا معتكفين على اصنام الا
وهام مفتونين بما يلقي الشيطان من الوساوس في الافهام فالويل كل
الويل لهم حيث كانوا في هذه المثابة مصرين على هذه الحالة لا يعلمون

زحشواء

انها سوء ليرجعوا عنها ولا يخطر لهم انهم جاهلون ليقبلوا تعليم الغير
لهم ما ينفرهم عنها والويل كل الويل ايضا لمن يتبعهم في حالتهم اي حكم
بانه حسن اغترارا بهم وافتتانا بجمالهم امرهم اي شانهم الذي
هم عليه مما تقدم بيانه فهم اي هؤلاء المذكورون واتباعهم والذين
حسنوا امرهم كلهم قطاع طريق الله تعالى على العابدين لله تعالى
بحيث يمنعون من اراد سلوك طريق العبادة والطاعة
والاخلاص والورع باقوالهم المزخرفة واعمالهم المتحرفة واحوالهم
المنكوسة وارائهم المعكوسة يلبسون اي يخلطون من لبس عليه
الامر يلبسه خلطه كذا في القاموس الحق في كل امر من امور الا
سلام بالباطل لانكارهم شرايع الاحكام لانكارهم شرايع الا
حكام وجحودهم ما اشتمل عليه الدين من الحلال والحرام ويكتمون
الحق الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من عند الله تعالى الى
كافة المكلفين وهم يعلمون انه الحق المبين غير انهم قصدوا تسهيل
الامر عليهم والمؤانسة الحاصلة لهم مع ما هم فيه من سخافة العقول
واضاعة الفروع والاصول واعلم ان هؤلاء المذكورين هنا لم يعنهم
المصنف رحمه الله تعالى في طايفة مخصوصين باعيانهم واغا بينهم على
من هذا وصفهم فلا يلزم ان يكونوا موجودين بالنسبة الى زماننا
هذا وبلادنا هذه ولا يلزم عدم وجودهم ايضا فالواجب علينا ان لا نسيء
الظن باحد من الناس بعينه ونؤول الاقوال والاعمال لاخواننا المسلمين
سترا عليهم ولا نتجسس عن عوراتهم وننصحهم على العموم من غير ان
نظن فيهم ما نذكره لهم فضلا عن التصريح لهم بانه فيهم ونتبع في ذلك
طريقة الله ورسوله في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والله يعلم
المفسد من المصلح ونخالف ما اصطلح عليه علماء هذا الزمان ووعا
ظهم من تخصيص الناس بالمقاصد في الكلام وتعريفهم وتوبيخهم
وفضيحتهم على رؤس الانام مع التجسس والظنون السيئة في الخاص
والعام واعتقادهم كل ذلك طاعة وهو من اقبح القبائح وهو يحنق اقبح الاثام
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وهو بكل شئ عليم وفي شرح اليوسفية
للشيخ محي الدين ابن العربي رضي الله عنه قال ولقد رايت واعلم
رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم او بعض المعصومين فقال لي
اتدري بما نلت ما نلت من الله قلت له لا قال باحترامك لمن يدعي
انه من اهل الله وسواء كان ذلك في نفس الامر كما ادعاه ام لا فرايحي الله

لك ذلك وشكره منك فاعطاك ماقد علمت ذكره ايضا وقال
وسه رجال ونساء جبلهم الله على الخير المحض فلا يرون احدا الا ويحسنون
الظن به بل ما يخطر لهم فيه خاطر ردي وهذه قلوب قد جبلها الله
للخير المحض فهم ينتفعون بكل احد ممن وجد ذلك من نفسه فليشكر
الله على ما منحه جعلنا الله تعالى واخواننا ممن سلم من الوقوع في اوليائه
بل من الوقوع في عامة المسلمين بمنه وكرمه

الفصل الثالث

تمام الفصول الثلاثة التي اشتمل عليها الباب الاول من ابواب الكتاب
الثلاثة في بيان الاقتصاد وهو ضد الافراط ومعناه التوسط من
غير تكثير ولا تقصير في العمل بالجوارح والاعضاء لانواع العبادات
وعليه ادلة من الكتاب والسنة اما من الكتاب فهو الايات جمع اية
والمذكور منها هنا سبع ايات الاية الاولى من سورة البقرة وهي قوله
تعالى يريد الله بكم يا معشر المكلفين اليسر وهو السهولة يقال يسر هذا
الامر اذا سهل ولان ذكره الواحدي وقال الخازن اي التسهيل في هذه
العبادة وهي اباحة الفطر للمسافر والمريض وفي تفسير البغوي قال
الشعبي ما خير رجل بين امرين فاختار ايسرهما الا كان ذلك احبهما الى
الله عز وجل ولا يريد بكم العسر اي يريد ان ييسر عليكم ولا يعسر
قاله البيضاوي وقال الواحدي لانه لم يشدد ولم يضيق عليكم قال الشعبي
اذا اختلف عليك امران فان ايسرهما اقربهما الى الحق لان الله تعالى
يقول يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر روي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم بلغه ان رجلا في المسجد يطيل الصلاة فاتاه فاخذ
بمنكبيه ثم قال ان الله رضي لهذه الامة اليسر وكره لهم العسر
قالها ثلاث مرات وان هذا اخذ بالعسر وترك اليسر الثانية من
سورة النساء قوله تعالى يريد الله ان يخفف عنكم فلذلك شرع لكم
الشريعة الحنيفية السمحة السهلة ورخص لكم في المضايق قاله البيضاوي
وقال ~~البيضاوي~~ البغوي يسهل عليكم في احكام الشرع وقد سهل وقد
قال جل ذكره ويضع عنهم اصرهم وقال النبي صلى الله عليه وسلم بعثت
بالحنيفية السهلة وقال الواحدي يخفف عنكم في احكام الشرع وفي جميع
ما يسره لنا وسهله علينا ولم يثقل التكليف كما ثقل على بني اسرائيل وقال الخازن
يعني يسهل عليكم احكام الشرائع فهو عام في كل احكام الشرع وجميع ما
يسره لنا وسهله علينا احسانا منه الينا وتفضلا ولطفا علينا وقال

ابو

ابو عبد الرحمن السلمي يخفف عنكم اثقال العبودية لعلمه بضعفكم وجهلكم
وقيل يريد الله ان يخفف عنكم ما حملتموه بجهلكم من عظيم الامانة وخلق
الانسان اي جنسه من ذكر وانثى ضعيفا قال ابن عباس والاكثرون
يضعف عن الصبر عنهن فلذلك اباح له نكاح الامة اي يستميله
هواه وشهوته فهو ضعيف في ذلك قاله الواحدي وقال الحسن هو انه
خلقه من ماء مهين بيانه قوله تعالى الله الذي خلقكم من ضعف ذكره
البغوي وقال البيضاوي لا يصبر عن الشهوات ولا يتحمل مشاق
الطاعات وعن ابن عباس رضي الله عنهما ثمان ايات في سورة النساء
خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت هذه الثلاث يعني
قوله تعالى قبل هذه الاية يريد الله ليبين لكم وقوله والله يريد ان
يتوب عليكم وقوله يريد الله ان يخفف عنكم وان تجتنبوا كبائر ما
تنهون عنه ان الله لا يغفر ان يشرك به ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن
يعمل سوءا ما يفعل الله بعذابكم وقال ابو عبد الرحمن السلمي قيل ضعيف
الراي ضعيف العقل الا من ايد بنور اليقين فقوته باليقين لا بنفسه الاية
الثالثة من سورة المائدة وهي قوله تعالى ما يريد الله ليجعل عليكم
من حرج يعني من ضيق في الدين ولكنه جعله واسعا قاله الواحدي الاية الرا
بعة من سورة المائدة ايضا وهي قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تحرموا
طيبات ما احل الله لكم الطيبات اي اللذيذات التي تشتهيها النفوس
وتميل اليها القلوب قال المفسرون هم قوم من اصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم عزموا ان يرفضوا الدنيا ويحرموا على انفسهم المطاعم الطيبة والمآكل
اللذيذة وان يصوموا النهار ويقوموا الليل ويخصوا انفسهم فانزل الله
تعالى هذه الاية واعلم ان الطيبات لا ينبغي ان تجتنب قاله الواحدي
ولا تعتدوا يعني لا تجاوزوا الحلال الى الحرام وقيل معناه ولا تعتدوا
بالاسراف في الطيبات قاله الخازن وقال الواحدي وسمى اعتداء فقال
ولا تعتدوا اي لا تجبوا انفسكم قال ابن مسعود كنا نغزو مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليس لنا نساء فقلنا الا نستخصي فنهانا عن ذلك ثم
قرا هذه الاية ان الله لا يحب المعتدين يعني المجاوزين الحلال الى الحرام
ذكره الخازن وقال البيضاوي كانه لما تضمن ما قبله يعني اية طعامهم في
الدخول مع القوم الصالحين وغير ذلك مدح النصارى على ترهبهم والحث
على كسر النفس ورفض الشهوات عقبه بالنهي عن الافراط في ذلك والاعتداء
عما حد الله بجعل الحلال حراما فقال ولا تعتدوا ويجوز ان يراد به ولا تعتدوا

[حاشية:] ضعف الانسان في امر النساء لا يصبر عن الجماع ولا يكون الانسان في شيء اضعف منه في امر النساء

[حاشية:] روى الترمذي وغيره عن ابن عباس ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني اذا اصبت اللحم انتشرت للنساء واخذتني شهوتي فحرمت علي اللحم فانزل الله تعالى هذه الاية وفي رواية ابن جرير عن ابن عباس ان رجالا من الصحابة منهم عثمان بن مظعون حرموا النساء واللحم على انفسهم واخذوا الشفار ليقطعوا مذاكيرهم لكي تنقطع الشهوة عنهم ويتفرغوا للعبادة فنزلت

مااحل الله لكم الى ما حرم عليكم فتكون الاية ناهية عن تحريم ما ا
حل وتحليل ما حرم وداعية الى القصد بينهما الاية الخامسة من سورة
الاعراف وهي قوله تع قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده
يعني قل يا محمد لهؤلاء الجهلة من العرب الذين يطوفون بالبيت
عراة من حرم عليكم زينة الله التي خلقها لعباده ان تتزينوا بها
وتلبسوها في الطواف وغيره ثم في تفسير الاية قولان احدهما
وهو قول جمهور المفسرين ان المراد من الزينة هنا اللباس
الذي يستر العورة والقول الثاني انه يتناول جميع انواع الزينة
فيدخل تحته جميع انواع الملبوس والحلي ولولا ان النص ورد بتحريم
استعمال الذهب والحرير على الرجال لدخل في هذا العموم ولكن ورد
النص بالتحريم على الرجال دون النساء والطيبات من الرزق يعني
ومن حرم الطيبات من الرزق التي اخرجها الله لعباده وخلقها لهم
ثم ذكروا في معنى الطيبات في هذه الاية اقوالا احدها ان المراد
بالطيبات اللحم والدسم الذي كانوا يحرمونه على انفسهم
ايام الحج يعظمون بذلك حجهم فرد الله عليهم والقول الثاني وهو
قول ابن عباس وقتادة ان المراد بذلك ما كان اهل الجاهلية يحرمونه
من البحائر والسوائب قال ابن عباس ان اهل الجاهلية كانوا يحرمون
اشياء احلها الله من الرزق وغيره وهو قول الله سبحانه قل ارايتم ما انزل
الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا فانزل الله قل من حرم الاية
والقول الثالث ان الاية على العموم فيدخل تحته كل ما يستلذ ويشتهى
من سائر المطعومات الا ما ورد نص بتحريمه كذا قاله الخازن
وفي هذا دلالة واضحة على اباحة القهوة والتتن مما تستلذه
بعض الطباع وتجد له نفعا وليس هو من المسكرات وقد اشرنا الى
ذلك فيما تقدم وقال البيضاوي قل من حرم زينة الله من الثياب و
سائر ما يتجمل به التي اخرج لعباده من النبات كالقطن والكتان
والحيوان كالحرير والصوف والمعادن كالدروع والطيبات من
الرزق المستلذات من المآكل والمشارب وفيه دليل على ان الاصل
في المطاعم والملابس وانواع التجملات الاباحة لان الاستفهام في من للا
نكار قل هي للذين امنوا في الحياة الدنيا بالاصالة والكفرة وان شاركوهم فيها
فتبع خالصة يوم القيمة لا يشاركهم فيها غيرهم وقال الواحدي المعنى
قل هي للذين امنوا في الحياة الدنيا مشتركة وهي لهم في الاخرة خالصة

وفي هذا دلالة واضحة على اباحة نحو القهوة والتتن

خع

وهذا

وهذا قول ابن عباس والمفسرين شارك المسلمون المشركين في الطيبات
في الحياة الدنيا فاكلوا من طيبات طعامها ولبسوا من خيار ثيابها ونكحوا
من صالح نسائها ثم يخلص الله الطيبات في الاخرة للذين امنوا وليس
للمشركين فيها شيء وقرأ نافع بالرفع خالصة والمعنى قل هي ثابتة
للمؤمنين في الحياة الدنيا خالصة يوم القيمة وقال الخازن وقيل
معناه خالصة لهم يوم القيمة من التكدير والتنغيص والغم
لانه قد يقع لهم في الحياة الدنيا في تناول الطيبات من الرزق
كدر وتنغيص فاعلمهم انها خالصة لهم في الاخرة من ذلك كله خا
لصة كذلك نفصل الايات لقوم يعلمون اي كتفصيلنا هذا
الحكم نفصل سائر الاحكام لهم قاله البيضاوي وقال الخازن يعني
كذلك نبين الحلال مما احللت والحرام مما حرمت لقوم علموا اني
انا الله وحدي لا شريك لي فاحلوا حلالي وحرموا حرامي الاية السادسة
من اول السورة وهي قوله تع طه اختلف في تفسيرها فقال
اهل اللغة هي من فواتح السور نحو حم والم وروي ان النبي صلى الله
عليه وسلم وكان اذا صلى رفع رجلا ووضع اخرى فانزل الله تع
طه اي طأ الارض بقدميك وقوله ما انزلنا عليك القران
لتشقى اي لتصل على احدى رجليك فتشتد عليك وقيل طه لغة بالنبطية
معناه يا رجل قاله الزجاج وقال الخازن قيل طه قسم اقسم الله بطوله
وهدايته وقيل هو اسم من اسماء الله تعالى فالطاء افتتاح اسمه طاهر
والهاء افتتاح هادي وقيل معناه يا رجل والمراد به النبي صلى الله عليه
وسلم وكذلك يا انسان وقيل هو بالسريانية وقيل بالقبطية فعلى هذا يكون
قد وافقت لغة العرب هذه اللغات في هذه الكلمة وقيل هو يا ا
نسان بلغة عك وعك قبيلة من قبائل العرب وقيل هو معناه طأ
الارض بقدميك يريد به في التهجد وذلك لما نزل الوحي على الرسول
صلى الله عليه وسلم بمكة اجتهد في العبادة حتى كان يراوح بين
قدميه في الصلاة لطول قيامه وكان يصلي الليل كله فانزل الله
عليه هذه الاية وامره ان يخفف على نفسه فقال طه ما انزلنا عليك
القران لتشقى وقيل طه اي ما انزلنا عليك القران لتشقى اي لتتعنى وتتعب
وقال الشيخ ابو عبد الرحمن السلمي في حقائق القران طه طاء الارض هذبت لبساط
القرب والانس وقال الواسطي هو مستخرج من الطاهر الهادي اي انت طاهر بنا
هادي الينا وقال محمد بن عيسى الهاشمي طور عن سر محمد صلى الله عليه وسلم الاكوان

اخرج ابن مردويه عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اول
ما انزل الله عليه الوحي يقوم على صدر قدميه اذا صلى فانزل
الله طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى واخرج عبد بن حميد
تفسير عن الربيع بن انس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا صلى
قام على رجل ورفع الاخرى فانزل الله طه [illegible]
[illegible]
قال [illegible]

كلها بما فيها وهدى الى الاشتغال بكونها وقال محمد بن علي الترمذي
ای طوبى لمن اهتدى بك وجعلك السبيل الينا وقال الواسطي سمي القران
قرانا لانه يقارن للمتكلم به لا يفارقه تعظيما لشان القران كما وصل الينا
شعاع الشمس وحرارتها دائم بينا بين القرص وقال ابن عطا ما انزلنا عليك
القران لتشقى اي لتتعب في خدمتنا فكان جوابه من النبي صلى الله عليه
وسلم زيادة تعبد ولجتهاد حتى تورمت قدماه كانه يقول وهل
يشقى احد في خدمتك ويتعب وهي محل استرواح العارفين فاما
هذه الحركات في القيام شكر ما انالني من لذيذ قربك ومناجاتك
وخدمتك والدنو منك الا تراه عليه السلام لما قيل له اتفعل هذا وقد
غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر قال افلا اكون عبدا شكورا
الاية السابعة من سورة الحج وهي قوله تعالى وما جعل اي الله تعالى عليكم
في الدين من حرج اي من ضيق فجعل الله تعالى على من لم يستطع الشيء الذي
يثقل في وقت ما هو اخف منه فجعل للصائم الافطار في السفر وتقصير
الصلاة وللمصلي اذا لم يطق القيام ان يصلي قاعدا وان لم يطق القعود
ان يومي وجعل للرجل ان يتزوج اربعا وجميع ما ملكته يمينه فوسع
الله تعالى ذلك قاله الزجاج وقال الواحدي من حرج قال اجمعوا من
ضيق واختلفوا في وجه دفع الحرج فروى عن ابن عباس انه قال جعل الكفارات
مخرجا يعني من اذنب ذنبا جعل له منه مخرجا اما بالتوبة او بالقصاص
او برد المظلمة او بنوع كفارة فلم يبتلي المؤمن بشيء من الذنوب الا جعل
له منه مخرج وهذا رواية الزهري عنه وروى عنه قول اخر قال هذا
في هلال شهر رمضان اذا اشك فيه الناس وفي الحج اذا اشكوا في الهلال
وفي الفطر والاضاحي حتى يتيقنوا او على هذا دفع الحرج بعودتي انا امرنا
بالاخذ باليقين عند الاشتباه وروى عن ابي هريرة انه قال لابن عباس
اما علينا في الدين من حرج ان نسرق او نزني قال بلى قوله وما جعل
عليكم في الدين من حرج قال ذلك الامر الذي كان على بني اسرائيل وضعه
الله عنكم وقال مقاتل بن حيان يعني عند المرض والسفر وهو قول الكلبي
وقال الخازن من حرج اي ضيق وشدة وهو ان المؤمن لا يبتلى بشيء من الذنوب
الا جعل الله له مخرجا بعضها بالتوبة وبعضها بانواع الكفارات من الامراض
والمصايب وغير ذلك فليس في دين الاسلام ما لا يجد العبد سبيلا الى
الخلاص من الذنوب ومن العقاب بمن ووفور وقيل اعطى الله هذه الامة
خصلتين لم يعطهما احدا غيرهم جعلهم شهداء على الناس وما جعل عليهم في الدين

من حرج وقال البيضاوي من حرج اي ضيق بتكليف ما يشتد به القيام
عليكم اشارة الى انه لا مانع لهم عنه ولا عذر لهم في تركه او الى الرجعة في افعال
ما امرهم به حيث شق عليهم لقوله عليه السلام اذا امرتكم بشيء فاتوا به ما استطعتم
واما الادلة من السنة فهي الاخبار جمع خبر وهي عشرة احاديث الاول
ما يعني روى البخاري ومسلم في صحيحيهما باسنادهما عن انس رضي
الله عنه انه قال جاء رهط هم من ثلاثة او سبعة الى العشرة او ما دون
العشرة وما فيهم امراة ولا واحد له من لفظه وجمعه ارهط وارهاط وارهط وا
راهيط كذا في القاموس الى بيوت ازواج النبي صلى الله عليه وسلم يعني زوجاته
فالزوج اسم للمراة وللرجل قال في القاموس الزوج البعل والزوجة يسالون من
ازواجه صلى الله عليه وسلم يعني زوجاته فالزوج اسم للمراة وللرجل قال في
القاموس الزوج البعل عن كيفية عبادة النبي صلى الله عليه وسلم الزايدة على ما يعلمونه
منه عليه السلام مما يفعله في بيته ليلا او نهارا اذ لا يطلع على سر الرجل في
الغالب الا زوجته فلما اخبروا بالبناء للمفعول اي اخبرتهم زوجاته عليه
السلام عما سالوا كانهم تقالوها اي اشبهت حالتهم حالة من راها قليلة
وقللها بعضهم وكانوا يعهدون انها كثيرة مبالغ فيها على حسب ما
نزعوا اليه عقولهم وتستحسنه نفوسهم من اعتقاد الكمال في الاكثار
وحسن التشديد على النفوس في رايهم ثم بعد ذلك اعتذروا عن قلتها من
رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قالوا اين قال بعضهم لبعض فاين نحن
من رسول الله صلى الله عليه وسلم اي لا نقايس نفوسنا الغير معصومة على
نفسه المعصومة ولا نعامل ربنا في عبادته مع قصورنا مقدار ما يعامل
وكيف نفعل ذلك والحال انه قد غفر بالبناء للمفعول اي غفر الله تعالى بمعنى
ستر وتجاوز له مع كماله اي الرسول الله صلى الله عليه وسلم ما اي جميع الذي
تقدم في ابتداء عمره صلى الله عليه وسلم من ذنبه وما اي الذي تاخر منه
اي حقيق ذنبه الذي صدر منه بالنظر الى رفعة مقامه صلى الله عليه وسلم
وانكشاف عظمة الله تعالى له وهو قولهم حسنات الابرار سيات المقربين
والا فالانبياء كلهم عليهم السلام معصومون من الذنوب قبل النبوة وبعدها
ينامو على الفراش ولا ياكلوا اللحم والودك ولا تقربوا النساء والطيب و
يسيحوا في الارض فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتى دار عثمان
بن مظعون فلم يصادفه فقال لامراته ام حكيم بنت ابي امية واسمها الحولاء
وكانت عطارة احق ما بلغني عن زوجك واصحابه فكرهت ان تكذب
وكرهت ان تبدي على زوجها فقالت يا رسول الله ان كان اخبرك عثمان

من هنا غلط
الى هنا صح

اصوم الدهر ولا افطر وقال الاخر وانا

كالسيابي بحقيقة قال احدهم اي واحد منهم اما انا فاصلي النوافل الليل
كله ابدا اي مدة عمري وقال الاخر وانا اعتزل النساء فلا ابيت معهن
واحفظ نفسي من اشتهائهن واميل اليهن ولا اتزوج شيئا منهن وقال
واما ابدا اي مدة عمري فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم
فقال لهم معاتبا على ما صدر منهم انتم الذين قلتم كذا وكذا كناية
عما سبق من قولهم ثم لم ينتظر جوابهم مسارعة لبيان الحق فقال
مؤكدا بالقسم اما بفتح الهمزة وتخفيف الميم والله اني لاخشاكم اي
اكثركم خشية لله تعالى والخشية تبع للعلم كما قال تعالى انما يخشى الله
من عباده العلماء يعني العلماء به والنبي صلى الله عليه وسلم اعلم
الخلق بالله فهو اخشاهم له تعالى واتقاكم اي اكثركم تقوى له سبحانه
وتعالى يعني فكيف تقولون باني اقل اعمالا وادنى طاعات وتعتذرون
عن ذلك بان الله تعالى غفر لي ما تقدم من ذنبي وما تاخر فلم احتج الى كثرة
ذلك وانتم لم يغفر الله تعالى لكم فتحتاجون الى الكثرة ولكني في مقابلة
ما فهمتم من حالي واحتياطكم فيه اصوم مرة ما بدا لي ان اصوم من غير تكلف
كما كان عليه السلام يدخل على بعض اهله فيقول هل عندكم اليوم
غداء فاذا قالوا لا قال اني صائم وامره الله تعالى ان يقول وما انا من
المتكلفين وافطر ما بدا لي ان افطر ايضا كما ورد عن اسامة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يسرد الصوم فيقال لا يفطر ويفطر فيقال لا يصوم
رواه النسائي وعن انس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفطر من
الشهر حتى نظن ان لا يصوم منه ثم يصوم حتى نظن ان لا يفطر منه شيئا
وكان كان يصوم حتى يقال قد صام قد صام ويفطر حتى يقال قد
افطر قد افطر وعن ابن عباس كان يصوم حتى يقول القائل لا والله
لا يفطر ويفطر حتى يقول القائل لا والله لا يصوم رواه البخاري
ومسلم والنسائي واصلي في ليلة وارقد اي انام عن التهجد في ليلة
اخرى اي اصلي بعضا من الليل وارقد البعض الاخر ولا اصلي الليل كله يدل
عليه قول عائشة رضي الله عنها كان عليه السلام ينام اول الليل ويقوم
الاخر فيصلي ثم يرجع الى فراشه فاذا اذن وثب فان كانت به حاجة
اغتسل والا توضأ وخرج رواه الشيخان وقالت ايضا كان عليه السلام
ربما اغتسل في اول الليل وربما اغتسل في اخره وربما اغتسل اوتر
في اخر الليل وربما اوتر في اخره وربما جهر بالقراءة وربما خفض وقالت
ام سلمة كان يصلي وينام قدر ما صلى حتى يصبح رواه ابو داود والترمذي

والنسائي

والنسائي واتزوج اي اعقد وربما يراد الوطء فيشمل السرا النساء
وهي النسوة بالكسر والضم والنسوان والنسون بكسرهن جموع المراة من
غير لفظها كذا في القاموس وكانت نساؤه صلى الله عليه وسلم اللواتي تزوج
بهن احدى عشرة امراة ستا من قريش خديجة بنت خويلد وعائشة
بنت ابي بكر وحفصة بنت عمر بن الخطاب وام حبيبة بنت ابي
سفيان وام سلمة بنت ابي امية وسودة بنت زمعة واربع عربيات
زينب بنت جحش وميمونة بنت الحارث الهلالية وزينب بنت خزيمة الهلا
لية ام المساكين وجويرية بنت الحارث الخزاعية وواحدة غير عربية
من بني اسرائيل هي صفية بنت حيي من بني النضير ومات عنده اثنتان
منهن خديجة وزينب ام المساكين ومات هو صلى الله عليه وسلم عن تسع
واما سراريه صلى الله عليه وسلم فاربعة مارية القبطية وريحانة بنت
شمعون واخرى وهبتها له زينب بنت جحش واخرى اصابها في بعض
السبي وتمامه مبسوط في المواهب اللدنية للقسطلاني فمن رغب اي
اعرض عن سنتي يقال رغب عنه اذا اعرض عنه ولم يرده والسنة والسيرة
والطريقة فليس يحسب بامتي يعني انا بريء منه وزاد الراوي لهذا الحديث
في رواية اخرى عند النسائي وقال بعضهم اي بعض الرهط الذين جاء والى
ازواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن كيفية عبادته عليه السلام اخذا
عن فم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اكل اللحم اي لحم الحيوانات مطلقا قال
المناوي في شرح الجامع الصغير قال الغزالي وينبغي ان لا يواظب على اكل اللحم
قال علي كرم الله وجهه من ترك اللحم اربعين يوما ساء خلقه ومن داوم عليه
اربعين يوما قسا قلبه وفي تفسير البغوي عند قوله تعالى يا ايها الذين
امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم قال اهل التفسير ذكر النبي صلى الله
عليه وسلم الناس ووصف القيامة فرق له الناس وبكوا فاجتمع عشرة من
الصحابة في بيت عثمان بن مظعون الجمحي وهم ابو بكر الصديق وعلي ابن ابي طالب
وعبد الله بن مسعود وابن عمر وابو ذر الغفاري وسالم مولى ابي حذيفة
والمقداد بن الاسود وسلمان الفارسي ومعقل بن مقرن وتشاوروا
واتفقوا على ان يترهبوا ويلبسوا المسوح ويجبوا مذاكيرهم ويصوموا
ويقوموا الليل ولا يناموا على الفراش ولا ياكلوا اللحم والودك ولا يقربوا
النساء والطيب ويسيحوا في الارض فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاتى دار عثمان بن مظعون فلم يصادفه فقال لامراته ام حكيم بنت
ابي امية واسمها الحولاء وكانت عطارة احق ما بلغني عن زوجك واصحابه

فكرهت ان تكذب وكرهت ان تبدي على زوجها فقالت يا رسول الله
ان كان اخبرك عثمان فقد صدقك فانصف رسول الله صلى الله عليه فلما
دخل عثمان اخبرته بذلك فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم هو واصحابه
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الم انبأ انكم اتفقتم على كذا وكذا
قالوا بلى يا رسول الله وما اردنا الا الخير فقال عليه السلام اني لم اومر
بذلك ثم قال ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا
فاني اقوم وانام واصوم وافطر واكل اللحم والدسم واتي النساء فمن رغب
عن سنتي فليس مني ثم جمع الناس وخطبهم فقال ما بال اقوام حرموا
النساء والطعام والطيب والنوم وشهوات الدنيا اما اني لست امركم
ان تكونوا قسيسين ورهبانا فانه ليس في ديني ترك اللحم والنساء
ولا اتخاذ الصوامع وان سياحة امتي الصوم ورهبانيتهم الجهاد اعبدوا
الله ولا تشركوا به شيئا وحجوا واعتمروا واقيموا الصلاة واتوا الزكاة
وصوموا رمضان واستقيموا يستقم لكم فانما هلك من كان قبلكم
بالتشديد شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم فاولئك بقاياهم في
الديارات والصوامع فانزل الله عز وجل هذه الاية وعن سعد بن
مسعود ان عثمان بن مظعون اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
ائذن لنا في الاختصاء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس منا
من خصى ولا من اختصى ان خصاء امتي الصيام فقال يا رسول الله ائذن
لنا في السياحة فقال ان سياحة امتي الجهاد في سبيل الله قال يا رسول الله
ائذن لنا في الترهب فقال ان ترهب امتي الجلوس في
المساجد لانتظار الصلاة وروي عن عكرمة عن ابن عباس ان رجلا
قال يا رسول الله اني اصبت من اللحم فانتشرت فاخذتني شهوة فحرمت
اللحم فانزل الله يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله
لكم يعني اللذات التي تشتهيها النفوس مما احل الله لكم من المطاعم
الطيبة والمشارب اللذيذة وقال ابو محمد الخازن فاعلم الله عز وجل
نبيه صلى الله عليه وسلم غير ما عزموا عليه من ترك الطيبات وانه
لا ينبغي ان تجتنب الطيبات المباحات ومعنى لا تحرموا لا تعتقدوا تحريم
الطيبات المباحات فان من اعتقد تحريم شيء احله الله فقد كفر اما
ترك لذات الدنيا وشهواتها والانقطاع الى الله تعالى والتوفر لعبادة

107

من غير اضرار بالنفس ولا تفويت حق الغير ففضيلة لا مانع منها بل مأمور
بها الحديث الثاني حم يعني رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما باسنادهما
عن عايشة رضي الله عنها انه اي الشان صنع الله انواع المباحات ولم
ينص عليه لعدم تعلق حكم بخصوصه او لقصد التعميم في كل مباح فرخص
فيه اي حكم بالرخصة وعدم الحرج على احد بتعاطيه فتنزه اي تباعد
وامتنع عنه فلم يرغب فيه قوم من الصحابة رضي الله عنهم ايثارا للزهد في
الدنيا وكفا لانفسهم عن تناول شهواتها مخافة ان تبغي عليهم نفوسهم في
الاسترسال مع المباحات فلا يقدرون على منعها فتوقعهم في المحرمات
وعلمهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم معصوم محفوظ مغفور له ما تقدم
من ذنبه وما تأخر فلا يضره فعل شيء من ذلك فلا تقاس انفسهم على نفسه
فبلغ ذلك التنزه الذي صدر منهم النبي صلى الله عليه وسلم فغضب
غضبا شديدا فجمع الصحابة فخطب لهم في ذلك فحمد الله تعالى كما هو
عادته صلى الله عليه وسلم في خطبه ثم قال بعد ذلك ما بال اقوام
استفهام انكار والبال الحال يعني اي شيء حال اقوام نكرهم سترا عليهم
حتى لا يفتضحوا عند غيرهم فيصيروا مذمومين بذواتهم والمقصود
ذم صفاتهم لا ذواتهم يتنزهون اي يتباعدون ويمتنعون عن
الشيء الذي اصنعه ولا يقبلون على سنتي ويرغبون في اتباعي فوالله اني
لاعلمهم اي اكثرهم علما منهم بالله سبحانه وتعالى لكماله في مقام النبوة والرسالة
وفقد النبوة منهم اصلا واشدهم اي اكثرهم له تعالى خشية اذ العلم بالله
سبب الخشية له فكلما كثر العلم به كثرت الخشية له كما قال تعالى انما يخشى
الله من عباده العلماء وقال النووي في شرح مسلم عند قوله صلى الله
عليه وسلم فغضب حتى بان الغضب في وجهه ثم قال ما بال اقوام
يرغبون عما رخص لي فيه فوالله لانا اعلمهم بالله واشدهم خشية فيه الحث
على الاقتداء به صلى الله عليه وسلم والنهي عن التعمق في العبادة وذم
التنزه عن المباح شكا في اباحته وفيه الغضب عند انتهاك حرمات
الشرع وان كان المنتهك متاولا تاويلا باطلا وفيه حسن الادارة
بارسال التعزير والانكار في الجمع ولا يعين فاعله فيقال ما بال اقوام
ونحوه وفيه ان القرب الى الله تعالى سبب لزيادة العلم به وشدة
خشيته واما قوله صلى الله عليه وسلم فوالله لانا اعلمهم بالله واشدهم له خشية
فمعناه انهم يتوهمون ان رغبتهم عما فعلت اقرب لهم عندي وان فعلي
خلاف ذلك وليس كما توهموا بل انا اعلمهم بالله واشدهم له خشية وانما يكون

التقرب اليه سبحانه وتعالى والخشية على حسب ما امر لاعتلالات النفوس وتكلف
اعمال لم يؤمر بها الحديث الثالث خ د يعني روى البخاري وابو داود في
صحيحهما باسنادهما عن ابي جحيفة انه اي النبي صلى الله عليه وسلم واخا فعل
ماضي بمعنى من الاخاء قال في القاموس والقد آخوة الحفنة واخيت وما ثبت
ولخاه مواخاة ولخاء واخواه ووخاء اتخذته او دعوت اخا بين سلمان
الفارسي وبين ابي الدرداء رضي الله عنهما فزار سلمان ابي الدرداء فرأى
سلمان ام الدرداء زوجة ابي الدرداء متبذلة اي لابسة الثياب الخلقة ٥
والمتبذل لابسه ومن يعمل نفسه كالمبتذل فقال لها ما شانك اي لماذا
انت لابسة الثياب العتيقة الخلقة ولم تلبس الثياب الحسنة وتتزيني
لابي الدرداء فقالت له اخوك اي ابو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا يعني
فلا يرغب في شيء من الشهوات والزينة الظاهرة فجاء ابو الدرداء فوجدا
اخاه سلمان في داره فصنع له طعاما ليضيفه به وقدمه اليه فقال
ابو الدرداء له اي لسلمان كل يعني من هذا الطعام وحدك فاني صائم
قال سلمان ما انا باكل يعني وحدي حتى تاكل معي فاكل ابو الدرداء
معه مواساة لضيفه ومراعاة لحقوق الاكرام فلما كان الليل وقد بات
سلمان في دار ابي الدرداء رضي الله عنهما ذهب ابو الدرداء يقوم يصلي
بالليل متهجدا فقال له سلمان نم فنام وامتثل قوله ولم يخالفه محافظة
على حقوق الاخوة معه ثم ذهب ابو الدرداء يقوم من الليل ايضا
فقال له سلمان نم فلما كان من اخر الليل عند ثلث الليل الاخر قال القرطبي في
سلمان لابي الدرداء قم الان للصلاة فقاما يعني سلمان وابا الدرداء
رضي الله عنهما فصليا ما اقدرهما الله تعالى عليه من الصلاة ولعل اختيار
هذا الوقت للقيام لما قال القرطبي في شرح مسلم الساعة التي في الليل
وهي الساعة التي ينادي فيها المنادي من يسألني فاعطيه الحديث وهي
في الثلث الاخير من الليل الى ان يطلع الفجر وفيها ينزل ربنا الى السماء
الدنيا كذا صحت الرواية وهي ظاهرة في النزول المعنوي وتمامه
هناك يعني نزول اللطف والاحسان والانعام والاكرام فقال له
اي لابي الدرداء سلمان ان لربك الذي خلقك عليك حقا لازم الاداء
وهو ان تعبده لا تشرك به شيئا على حسب ما امرك به وتكف عما نهاك عنه
وقدم حق الله للاهتمام به وان لنفسك التي قيامك بسببها وهي مطيتك
الحاملة لك الى الاخرة عليك حقا يلزمك اداؤه اذ من حق الراكب ان

٥ قال في القاموس متبذلة كمكنسة ما لا يصان من الثياب كالمبذلة بالكسر والثوب الخلق صح

يحتفظ

يحتفظ على مطيته التي تبلغه امانيه وصوابحه في الدنيا والاخرة وقدمها على
ما بعدها لانها اهم منه اذ هي الاصل بالنسبة اليه وما قبلها اصلها وان لا
هلك اي زوجاتك واولادك واقربائك اللواتي حسن معيشتك في الدنيا
بهن وانتظام دار عليهن وتسهيل سيرك الى الاخرة منوط بهن عليك حق
بالمبيت معهن وحسن القيام عليهن بالانفاق والحماية والرعاية وصلة الرحم
والشفقة والرافة فاعط وجوبا عليك شرعا وعرفا كل حق من هذه الثلاثة
حقه الذي تعين في ذمتك ولا تظلمه بمنعه حقه فيعاقبك الله تعالى يوم
القيمة فاتى ابو الدرداء النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك اي صنع
سلمان وقوله الصادر منه له اي للنبي عليه السلام فقال النبي صلى الله عليه
وسلم صدق سلمان يعني في جميع ما صدر منه في حقك وفي هذا الحديث
حث الاخوان في الدنيا على نصح بعضهم بعضا ووجوب طاعة بعضهم بعضا
في الخير والهدى والانقياد الى الحق حيث كان وان الرجل الكبير اذا عرض
عليه كلام من هو دونه وكان حقا في نفسه يصدقه فيه وتصويبه ولا
يأبى قبوله ممن هو دونه وفيه الحث على مواخاة الاخوان الصالحين و
تفقدهم وجواز الدخول الى بيوتهم من غير اذنهم مع المحافظة على حرماتهم وامو
لهم وزوجاتهم واستحقاقهم الضيافة منهم اذا حضروا واجتمعوا بهم الحديث
الرابع خ س يعني روى البخاري والنسائي في صحيحيهما باسنادهما عن
انس رضي الله عنه انه قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد يعني
مسجد المدينة فاذا حبل ممدود بين الساريتين اي الاسطوانتين المعهو
دتين هناك فكانهما معروفتان للمخاطب فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما هذا
الحبل قالوا اي الحاضرون حبل لزينب بنت جحش زوجة النبي صلى
الله عليه وسلم يعني ربطته بين الساريتين في المسجد لتستعين به على
رفع النعاس عنها فاذا فترت اي ضعفت عن قيام الليل وتراخت
عضاؤها من هجوم النوم عليها تعلقت به ساعة ليذهب عنها النعاس
فتنشط للصلاة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا اي لا تفعل زينب
هكذا حلوه اي ذلك الحبل يعني فكوا ربطه واطرحوه ليصل احدكم
بمعنى في الليل نشاطه اي مقدار نشاطه ولا يكلف نفسه العبادة با
لمشقة في التهجد وغيره فاذا فتر اي ضعف ووجد من نفسه ضد
النشاط من التعب والكسل فليقعد عن العبادة اي يتركها ومنه ذو ا
لقعدة بكسر شهر كانوا يقعدون فيه عن الاسفار اي يتركون وفي
رياض الصالحين للنووي رحمه الله تعالى وعن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله

قال في القاموس اهل الرجل عشيرته وذوو قرباه وللبيت سكانه والرجل زوجته كاهلته

صلى الله عليه وسلم قال اذا نعس احدكم وهو يصلي فليرقد حتى يذهب عنه
النوم فان احدكم اذا صلى وهو ناعس لا يدري لعله يستغفر فيسب نفسه
متفق عليه وعن ابي عبد الله جابر بن سمرة رضي الله عنهما قال كنت اصلي مع
النبي صلى الله عليه وسلم الصلوات فكانت صلاته قصدا وخطبته قصدا
رواه مسلم قوله قصدا اي بين الطول والقصر انتهى ويناسب الاول
ما قاله فقهاء الحنفية من انه اذا غلب عليه النوم تكره له التراويح كذا في
جامع الفتاوى والمجتبى والخانية بل ينصرف حتى يستيقظ لان في الصلاة
مع النوم تهاونا وغفلة وترك التدبر ذكره والدي رحمه الله تعالى
في شرحه على شرح الدرر الحديث الخامس د يعني روى ابو داود
باسناده عن انس بن مالك رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لا تشددوا اي تضيقوا الامر على انفسكم بارتكابكم العبادات
المشقة المتعبة لكم بحيث توصلكم الى الملالة والكسل فيشدد اي يضيق
الامر الذي ارتكبتموه او التزمتموه بشروعكم فيه الله تعالى عليكم لان
الشروع في النوافل ملزم بها وموجب لاتمامها كما قال تعالى ولا تبطلوا
اعمالكم والتشديد على النفوس موصل للملالة والكسل وفي ذلك تشبه
بالمنافقين كما قال تعالى فيهم واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى فان قوما
من امة عيسى عليه السلام كانوا قبلكم شددوا اي ضيقوا امر العبادة على
انفسهم بتكليفها المشقات والمتاعب فشدد بالبناء للمفعول اي
شدد الله تعالى فالزمهم بما تكلفوه من ذلك بحيث صار النقصان منه
بينهم تهاونا بطاعة الله تعالى وتكاسلا عنها فتلك يعني الطائفة الموجودة
الان من النصارى بقاياهم اي بقايا الاولين في الصوامع جمع صومعة
قال في القاموس صومعة كجوهرة بيت للنصارى والديار جمع دار وهي
المحل يجمع البناء والعرصة كذا في القاموس رهبانية وهي المبالغة في العبادة
والرياضة والانقطاع عن الناس منسوبة الى الرهبان وهو المبالغ في الخوف
من رهب كالخشيان من خشي وقوله ابتدعوها قال الخازن والمعنى انهم
جاؤا بها من قبل انفسهم وهي ترهبهم في الجبال والكهوف والغيران
والديرة فارين من الفتنة وحملوا انفسهم المشاق في العبادة الزائدة وترك
النكاح واستعمال الخشن في المطعم والمشرب والملبس والتقلل من ذلك
ما كتبناها اي ما فرضناها عليهم روى البغوي باسناد الثعلبي عن
ابن مسعود قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن
مسعود اختلف من كان قبلكم على ثنتين وسبعين فرقة نجا منها ثلاث

بالضم كالتاهمنسوبة الى الرهبان وهو جمع راهب كراكب وركبان قاله البيضاوي ابتدعوها اي

وهلك

وهلك سائرهن فرقة وازت الملوك وقاتلوهم على دين عيسى فاخذوهم
وقتلوهم وفرقة لم يكن لهم طاقة بموازاة الملوك ولا ان يقيموا بين ظهرانيهم
يدعوهم الى دين الله ودين عيسى فساحوا في البلاد وترهبوا وهم الذين
قال الله عز وجل ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم فقال النبي صلى الله
عليه وسلم من امن بي وصدقني واتبعني فقد رعاها حق رعايتها ومن
لم يؤمن بي فاولئك هم الهالكون وعن ابن مسعود قال كنت رديف رسول
الله صلى الله عليه وسلم على حمار فقال لي يا ابن ام عبد هل تدري من اين
اخذت بنوا اسرائيل الرهبانية فقلت الله ورسوله اعلم قال ظهرت عليهم الجبا
برة بعد عيسى يعملون بالمعاصي فغضب اهل الايمان فقاتلوهم فهزم
اهل الايمان ثلاث مرات فلم يبق منهم الا القليل فقالوا ان ظهرنا لهؤلاء
افنونا ولم يبق احد للدين يدعو اليه فقالوا تعالوا نتفرق في الارض
الى ان يبعث الله النبي الذي وعدنا به عيسى يعني محمدا صلى الله عليه
وسلم فتفرقوا في غيران الجبال واحدثوا الرهبانية فمنهم من تمسك بدينه
ومنهم من كفر ثم تلى الاية ورهبانية ابتدعوها فاتينا الذين امنوا منهم يعني
من ثبتوا عليها اجرهم ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم يا ابن ام عبد
اتدري ما رهبانية امتي قلت الله ورسوله اعلم قال الهجرة والجهاد
والصلاة والصوم والحج والعمرة والتكبير على التلاع وروي انس عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال لكل امة رهبانية ورهبانية هذه الامة الجهاد
في سبيل الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال كانت ملوك بعد
عيسى عليه السلام بدلوا التوراة والانجيل وكان فيهم مؤمنون يقرؤن
التوراة والانجيل ويدعونهم الى دين الله فقيل لملوكهم لو جمعتم هؤلاء الذين
شقوا عليكم فقتلتموهم او دخلوا فيما نحن فيه فجمعهم ملكهم وعرض عليهم
القتل او يتركوا قراءة التوراة والانجيل الا ما بدلوا منها فقالوا ما
تريدون الى ذلك دعونا نحن نكفيكم انفسنا فقالت طائفة منهم
ابنوا لنا اسطوانا ثم ارفعونا ثم اعطونا شيئا نرفع طعامنا وشرابنا فلا
نرد عليكم وقالت طائفة دعونا نسيح في الارض ونهيم ونشرب كما
تشرب الوحش فان قدرتم علينا في ارضكم فاقتلونا وقالت طائفة
منهم ابنوا لنا دورا في الفيافي ونحتفر الابار ونحترث البقول ولا
نرد عليكم ولا نمر بكم وليس احد من القبائل الا وله حميم فيهم قال
ففعلوا ذلك فمضى اولئك على منهاج عيسى وخلف قوم من بعدهم
ممن قد غيروا الكتاب فجعل الرجل يقول نكون في مكان فلان فيتعبد كما
وتعبد ونسيح كما ساح فلان ويتخذون كما اتخذ فلان وهم على شركهم لا علم

تعبد

هم باحسان الذين اقتدوا بهم كذا نقله ابو محمد الخازن وذكر الواحدي في
تفسير هذه الاية بسنده عن الزهري عن عروة قال دخلت امراة عثمان
بن مظعون على عايشة وهي باذة الهيئة فسالتها ما شانك قالت
زوجي يقوم الليل ويصوم النهار فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم
فذكرت عايشة ذلك له فلقي رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان
فقال يا عثمان ان الرهبانية لم تكتب علينا فما لك في اسوة فوالله ان
اخشاكم لله واحفظكم لحدوده لانا الحديث السادس ع م يعني
روى البخاري ومسلم في صحيحهما باسنادهما عن ابي هريرة رضي الله عنه
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا الدين يسر ضد العسر وهو السهولة
يعني سهلا لا صعوبة فيه ولهذا ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكره
ابو بكر بن ابي سحاق الكلاباذي في كتاب بحر الفوائد وشرح الاثار عن
ابي التياح قال سمعت انس بن مالك رضي الله عنه يحدث عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال يسروا ولا تعسروا وسكنوا ولا تنفروا المعنى يسروا اي
اصرفوا بوجوه الناس الى الله عز وجل في الرغبة اليه وردوهم في طلب الحوايج
الى الله ودلوهم في جميع احوالهم على الله فان اليسر كله عند الله قال تعالى يريد
الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقال ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولا
تعسروا اي لا تردوهم الى المخلوقين في طلب الحوايج منهم وقضائها من
عندهم فانهم محتاجون الى مثل ما يحتاج اليه فيه فكانهم يتجاذبون شيا بينهم
كل يريده لنفسه فيعسر عليكم الوصول الى ما تتجاذبونه بينكم وقوله سكنوا
تصديق لما قلنا لان السكون هو الطمانينة وقد قال تعالى الا بذكر الله تطمئن
القلوب فلا تزال قلب المومن في اضطراب في نيل ما يرجوه ودرك ما يريده
حتى يرده الى الله فهنالك يسكن اضطرابه ضرورة واختيارا وكذلك قوله
ولا تنفروا اي لا تفرقوهم في دلالتهم على غير الله وردهم الى سواه فتتفرق بهم المذا
هب وتختلف عليهم المسالك والطرق في طلب ما يريدونه فالتنافر فرقة
والسكون جمع فكان معنى قوله يسروا اي ردوهم الى اليسر ولا تعسروا لا تردوهم
الى العسر وسكنوا اي اجمعوهم ولا تنفروهم اي لا تفرقوهم قال النبي صلى الله عليه وسلم
من اصبح وهمه الدنيا شتت الله عليه امره ومن اصبح وهمه الاخرة جمع
الله له شمله فمن اراد الدنيا والاخرة فما ظنك فيمن اراد ربهما يدل على
صحة هذا التاويل ما روي عن هشام بن عروة عن ابيه عن عايشة قالت
ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين امرين الا اختار الذي هو ايسر
ويجوز ان يكون معناه اختار الذي هو الله فانه اذا اختار ما اراد الله فقد

اختار

110

اختار اليسر لان الله عز وجل يريد اليسر ولن يشاد من المشادة وهي
التشدد اي المغالبة والمخاصمة الدين المعهود ذكره احد من الامة الا غلبه
اي قهره فمن شدد على نفسه فيه ليا خذ منه بحظ وافر طال عليه المدافر جع
الى السهولة فغلبه الدين ولم تقدروا ان يغلب الدين اصلا فسددوا
سددة تسديدا قومه وسد الثلمة اصلحها ووثقها واستد استقام
كذا في القاموس فالمعنى قوموا اموركم واصلحوها ووثقوها وقاربوا
من قارب الخطو داناه يعني اجعلوا سيركم في طريق الله تعالى وسبيل
عبادته مقاربة ومداناة فلا تبالغوا في ذلك ولا تغلوا فيه وابشروا
يعني بالقبول من الله تعالى وبالمنازل العالية عنده ولا تظنوا ان ذلك
يحصل لكم بالمبالغة والغلو دون التوسط في الامور واستعينوا على اعمال
دينكم ودنياكم بالغدوة بالضم البكرة او ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس
كالغداة والغدية والجمع غدوات وغديات وغدايا وغدو ولا تقل
غدايا الا مع عشايا وغدا عليه غدوا وغدوة بالضم واغتدا بكر وغاداه
باكره كذا في القاموس والروحة من الرواح وهو العشي او من الزوال الى
الليل وحنا دواحا سرنا فيه او عملنا كذا في القاموس وفي شرح المناوي
على الجامع الصغير الغدوة بالفتح المرة من الغدو وهو الخروج اول النهار
الى انتصافه والروحة المرة من الرواح وهو من الزوال الى الغروب واستعينوا
ايضا بشي من الدلجة بالضم والفتح السير من اول الليل وقد ادلجوا فان ساروا
من اخره فادلجوا بالتشديد كذا في القاموس والمعنى في الاستعانة بذ
لك المبادرة الى الاعمال والمسارعة اليها والمسابقة عليها من غير تاخير عنها
في اعمال النهار ودون ذلك في اعمال الليل ولهذا قال بشي من الدلجة ولم
يقل بالدلجة وزاد الراوي لهذا الحديث في رواية اخرى والقصد القصد
وهو ضد الافراط كالاقتصاد كذا في القاموس ومعناه التوسط في الامور
بين الافراط والتفريط تبلغوا اي تصلوا الى مقصودكم او مقصود الله تعالى
منكم من قبوله ورضوانه والحلول في فراديس جنانه وذكر الكلاباذي في بحر
الفوايد قال حدثنا محمد بن احمد القاضي عن عيسى عن جابر ابن عبد الله
قال مر النبي صلى الله عليه وسلم على رجل يصلي على صخرة بمكة فاتى ناحية
مكة فمكث مليا ثم انصرف فوجد الرجل يصلي على حاله فجمع يديه ثم قال يا ايها
الناس عليكم بالقصد ثلاث مرات فان الله لا يمل حتى تملوا الملال تكره
يعرض للانسان من عمل يعمله واذى يلحقه منه وتعب يصيبه فيصير عليه
ويتحمل التعب فيه حتى يضجر ويسام فيتركه ذلك العمل استثقالا ورفضه

عليه وسلم

والمعنى في الاستعانة بذلك
المبادرة الى الاعمال والمسارعة اليها
والمسابقة عليها من غير تاخير
عنها في اعمال النهار ودون ذلك
في اعمال الليل ولهذا قال بشي من
الدلجة ولم يقل بالدلجة

تضجرًا منه وسامة له وهو شيء يعرض للطبع بعد ايثاره للشيء ورغبته
فيه وهذه صفة الانسان المطبوع على طبايع مختلفة واوصاف متباينة وا
خلاق متغايرة والله جل وعز يجل عن هذه الاوصاف ويتعالى عنها علوا
كبيرًا فالملال ليس بصفة له ولا يجوز معناه المفهوم عندنا في اوصافه ومن
يلحقه الملال من العجز ثابت عليه وهو صفة للانسان المطبوع الذي يضعف
عن تحمل ما يعرض له ويثقل عليه ويؤوده الشيء ويؤذيه فمعنى قول النبي
صلى الله عليه وسلم ان الله لا يمل حتى تملوا ليس على الغاية والتوقيت
فيوصف بهذه الصفة في وقت او عند امر بل هو على النفي عنه والتبرئة
له منه فيجوز ان يكون معنى قوله حتى تملوا وتملوا بل تملوا اي لا يمل وتملون
ولا يمل بل تملون كان يقول الملال لكم صفة وهذه صفة لاحقة بكم اذا تكلفتم
الاعمال فاكرهتم عليها نفوسكم وتحملتم ما يلحقكم من التعب فيه وصبرتم عليه فيوشك
ان تضعف عنها قواكم فتستثقلوها وتضجروا منها فترفضوها استثقالا
لها واستعراضا منها وزهدا فيها ورغبة عنها وبغضا لها فلا تعودوا
اليها والله تعالى جده لا تصيبه هذه الافات ولا تعترض له العوارض
فلا يضركم عما تكلفون ولا ينهاكم عما تعملون ولا يحول بينكم وبينها كراهة
لها واستثقالا منه اياها وبغضا لها بل يصيبكم ذلك فتتركون عبادة
ربكم وتستثقلون خدمة مولاكم وتبغضون طاعة ربكم كما قال النبي
صلى الله عليه وسلم ان هذا الدين متين فاوغل فيه برفق ولا تبغض
الى نفسك عبادة الله فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى اي المركب
المنبت يعني المنقطع من كثرة العدو عليه لا قطع الارض المقصود قطعها
لبعد مسافتها ولا ابقى ظهره مستريحا قابلا للكسير عليه بعد ذلك
وهو مثل مضروب للبالغ في العبادة لا يصل بكثرة عبادته الى غاية
مقصوده ولا يقدر ان يروم على السير كذلك بل ماله ان يعجز ويترك
من التعب والملل وقول النبي صلى الله عليه وسلم عليك بالقصد كره
التعمق والغلو في الدين لما علم من جبلة الخلق على الضعف وما في
طباعهم من الملال والسامة خوفا عليهم ان يبغضوا عبادة الله
ويستثقلوا طاعته ويملوا خدمته فامرهم بالاستجمام والاستراحة
لاسترجاع القوى وزوال الضجر وليكون ذلك ادعى لهم الى حب
الطاعة لله ومحبة الخدمة له والف عبادته كما قال لكني اصوم وافطر
واصلي وارقد واتي النساء الا من رغب عن سنتي فليس مني لا وكل

قليل في سنة خير من كثير في بدعة وقال عليه السلام لعبد الله بن عمرو رضي
الله عنهما ان لله عليك حقا ولبدنك عليك حقا ولاهلك عليك حقا وكتب
سلمان الى ابي الدرداء رضي الله عنهما اني انام واقوم فاحتسب نومتي
كما احتسب قومتي يعني واحتسب نومه طاعة لله وخدمة له كما احتسب
قيامه وصلاته لان النوم حق البدن وقد اوجب الله تعالى هذا الحق فاداؤه
اياه طاعة لله ولان في نومته استجلاب القوة لقومته وتشحيذ الطاعة وحث
منه لنفسه على طاعة ربه وتحبيب عبادة الله الى نفسه لان الله جل وعز
احب من عباده ان يحبوه ويؤثروه ويقبلوا عليه ولذلك كلفهم الا
عمال ليشتغلوا بها عما دونه ويقبلوا بها عليه ويتوجهوا باداءها عليه
لا ان يتحملوا منها فوق طاقتهم فملوا فتركوها في تركها ترك الاقبال
عليه والتوجه اليه جل وعز وهو غني عن افعال عباده لا تزيده طاعتهم
ولا تنقصه معصيتهم وانما اراد منهم اظهار فقرهم اليه ودوام اضطرارهم
وعجزهم ليغنيهم ويقويهم ويجعلهم ملوكا خالدين واغنياء لا يفتقرون
واقوياء لا يضعفون سبحان اللطيف بعباده الرؤوف بهم ويجوز ان
يكون معنى قوله ان الله لا يمل حتى تملوا اي لا يترك ثوابكم والاقبال
عليكم وقبولا لاعمالكم المدخولة عليكم وان قصرتم في عبادته ويقبل
يسير اعمالكم ويثيبكم عليها الجزيل ما دمتم فيها راغبين واليها مريدين
وبنياتكم اليها قاصدين وان لم تبلغوا ارادتكم فيها ومقاصدكم منها
وانما يترك ثوابكم والاقبال عليكم والقبول لكم اذا اعرضتم عنها ومللتموها
الحديث السابع رطب حب يعني روى البزار والطبراني وابن حبان
باسنادهم عن ابن عباس رضي الله عنهما انه اي ابن عباس قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان الله ~~قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان~~
سبحانه وتعالى يحب ان تؤتى رخصه جمع رخصة بضمة وبضمتين ما رخص
الله للعبد فيما يخففه عليه كذا في القاموس وفي التلويح الرخصة اسم
لما بني على اعذار العباد وهو ما يستباح مع قيام المحرم وذكر ابو اليسر
الرخصة ترك المؤاخذة بالفعل مع قيام المحرم وحرمة الفعل وترك المؤاخذة
بترك الفعل مع وجود الموجب والوجوب وفي الميزان ان الرخصة اسم
لما تغير عن الامر الاصلي الى تخفيف وتيسير ترفيها وتوسعة على اصحاب الاعذار
وفي مرآة الاصول شرح مرقاة الوصول قال الرخصة وهي انواع اربعة
نوعان من الحقيقة اي رخصة حقيقة لكن احدهما احق بكونه رخصة

من الاول ونوعان من المجاز اي يطلق عليهما اسم الرخصة مجازا لكن
احدهما اتم في المجازية من الاخر اي ابعد من حقيقة الرخصة قال في
المنار وشرحه لابن ملك اما احق نوعي الحقيقة فما استبيح مع قيام
السبب المحرم وقيام الحرمة والمراد من الاستباحة ان يعامل معاملة
المباح في سقوط المواخذة لا انه يصير مباحا فلا يلزم من سقوط
المواخذة ثبوت الاباحة فان الكبيرة اذا عفيت عن مرتكبها لا تصير
مباحة مع عدم المواخذة عليها وذلك كترخص من اكره بما يخاف
على نفسه او على عضو منه على اجراء كلمة الكفر فانه رخص له الاجراء
على اللسان وقلبه مطمئن بالايمان لان حقه في نفسه يفوت
عند الامتناع صورة ومعنى اما صورة فبتخريب واما معنى فبزهوق
والاقدام عليها لا يفوت حق الله تعالى معنى لان الركن الاصلي هو التصديق وكذلك
اذا اكره الصايم على الافطار يباح له الافطار لانه اذا امتنع وقيل يفوت
حقه صورة ومعنى واذا اقدم على الفطر يفوت حق الله تعالى صورة لانه
يفوت الى بدل وهو القضاء فكان له رخصة في الفطر لرجحان حقه
وكذلك اذا اكره على مال الغير رخص له ذلك لرجحان حقه نفسه وحق
الغير لا يفوت لانجباره بالضمان وكذلك اذا خاف على نفسه رخص
له ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لانه لو اقدم يفوت حقه صورة
ومعنى ولو تركه يفوت حق الله تعالى صورة لا معنى لان اعتقاد حرمة الترك
باق وكذلك جناية المكره المحرم على احرامه وتناول المضطر طعام الغير بان
اصابته مخمصة حيث يرخص له ذلك بالضمان وحكم هذا النوع من
الرخصة ان الاخذ بالعزيمة اولى لبقاء المحرم والحرمة حتى لو صبر وتحمل
ما اكره به وامتنع عما هو الرخصة وقتل كان شهيدا لكونه باذلا نفسه
لاقامة حق الله تعالى والنوع الثاني من الرخصة ما زمان زوال
العذر فمن حيث ان السبب قايم كانت لرخصة حقيقة ومن حيث
ان الحكم متراخ غير ثابت في الحال كان هذا القسم دون الاول
وذلك كافطار المسافر مع قيام السبب وهو قوله تعالى فمن شهد منكم
الشهر فليصمه وحكم هذا النوع ان الاخذ بالعزيمة اولى لكمال سببه وهو
شهود الشهر حتى كان الصوم في السفر افضل من الافطار الا ان يضعفه
الصوم يعني اذا اضعفه الصوم كان الفطر اولى ولو صبر حتى مات
كان اثما لانه بذل نفسه لاقامة الصوم كان قاتلا نفسه من غير
تحصيل المقصود بالصوم وهو الارتياض بخدمة المولى واما اتم نوعي

الروح

المجاز فهو ما سقط عنا ولم يشرع في حقنا من الامر وهو الاعمال الشاقة
كتقتل النفس في التوبة وقطع الاعضاء الخاطية وعدم جواز صلاتهم
في غير مسجدهم وعدم التطهير بغير الماء وحرمة اكل الصايم بعد
النوم ومنع الطيبات عنهم بالذنوب وكون الزكاة ربع المال وكتابة
ذنب احدهم على الباب بالصبح والاغلال وهو المواثيق اللازمة
لزوم الغل كما روي ان بني اسرايل كانوا اذا قاموا يصلون لبسوا
المسوح وغلوا ايديهم الى اعناقهم وربما ثقب الرجل ترقوته وجعل
فيها طرف السلسلة وكلها وثقها الى السارية يحبس نفسه على العبادة
فهذه الامور رفعت عن هذه الامة تكرما للنبي صلى الله عليه وسلم
فسمي ما حط عنا من الاصار والاغلال التي وجبت على من قبلنا رخصة
مجازا لان الاصل وهو العزيمة وهي الاصار والاغلال لم يبق مشروعا اي
لم يجب علينا وسقط عنا تخفيفا بالنظر الى عذرنا والنوع الرابع من انواع
الرخص ما سقط عن العباد باخراج سببه من ان يكون موجبا للحكم في محل
الرخصة مع كون ذلك الساقط مشروعا في بعض الاوقات فمن حيث انه
سقط في محل الرخصة كان نظير القسم الثالث وكان مجازا في بعض الا
وقات فمن حيث انه سقط في محل الرخصة اذ ليس في مقابلته عزيمة ومن
حيث انه بقي السبب والحكم مشروعا في بعض الاوقات اخذ شبها بالحقيقة
ولكن جهة المجاز غالبة لان جهة المجاز بالنظر الى محل الرخصة وشبه الحقيقة
بالنظر الى غير محلها فكانت جهة المجاز اقوى قال في شرح مرقاة الوصول
كالخمر والميتة للمضطر والمكره فان حرمة تناولهما ساقطة في حقهما
بخوف الهلاك على النفس حتى لم تبق مشروعة عندنا وتبدلت بالاباحة
حتى اذا اصر ومات اثم ان علم بالاباحة في هذه الحالة لان في انكشاف
الحرمة خفاء فيعذر بالجهل كذا ذكره الاسبيجابي وقال في التلويح في
اكل الميتة وشرب الخمر حال الاضطرار فان المختار عند الجمهور انه
مباح والحرمة ساقطة لا انه حرام رخص فيه بمعنى ترك المواخذة
ابقاء للمهجة كما في اجراء كلمة الكفر واكل مال الغير على ما ذهب اليه
البعض اما في اكل الميتة فلان النص المحرم لم يتناولها حالة الاضطرار
لكونها مستثناة فبقيت مباحة بحكم الاصل ومثل قوله تعالى خلق
لكم ما في الارض جميعا بل عند القايلين بان الاستثناء من الاثبات
نفي يكون النص دالا على عدم حرمتها حالة الاضطرار ثم بسط
الكلام في ذلك وقال في شرح مرقاة الوصول وكمقصر فانه رخصة اسقاط

عندنا فاتمام المسافر بنية الظهر لا يجوز كاتمام النفي وبنية الظهر
والنفل اساءة وترك القعدة الاولى مفسد وكذلك مسح المتخفف فان
غسل الرجل الذي هو عزيمة سقط في مدة المسح رخصة لان استتار القدم
بالخف يمنع سراية الحدث الى القدم فتثبت ان الغسل ساقط وان المسح شرع
للتيسير ابتداء لا على معنى ان الواجب من غسل الرجل يتادي بالمسح اذ لو
كان كذلك لما اشترط كون الرجل طاهرة وقت اللبس ولا كون اول الحدث
بعد اللبس طاريا على طهارة كاملة كما في المسح على الجبيرة لان المسح يصلح
رافعا للحدث الساري الى القدم وان الشرع اخرج السبب الموجب للحدث
ان يكون عاملا في الرجل ما دامت مستترة بالخف وجعله مانعا من
سراية الحدث الى القدم وحكم هذا القسم من الرخصة ان العزيمة لا تبقى مشروعة
فيه ما دام متخففا فان راى المسح ولم يمسح اخذا بالعزيمة يثاب باعتبار
النزع والغسل كما توى عزائمه جمع عزيمة من عزم على الامر اراد فعله
وقطع عليه اوجد فيه وعزمة من عزامة الله حق من حقوقه اي واجب
مما اوجبه وعزائم الله فرائضه التي اوجبها كذا في القاموس وفي شرح
مرقاة الوصول والعزيمة ما شرع ابتداء غير مبني على اعذار العباد
وهي فرض وواجب وسنة ونفل وحرام ومكروه ومباح وتمامه مفصل
في كتب الاصول بما ذكره يطول والحاصل ان الرخص احكام الله تعالى كما ان العزائم
احكامه ايضا وهو تعالى يجب طاعته بالعمل باحكامه على كل حال ويلزم من
هذا ان يبغض مخالفته سبحانه بالعمل باحكام النفس والهوى والشيطان وليست
الرخص من احكام النفس ولا الهوى ولا الشيطان حتى يبغضها سبحانه وان
كان فيها تسهيل على النفوس حتى وتوسيع عليها فانه تسهيل وتوسيع من
قبل الحق تعالى لا هو من قبل النفوس حتى يكون مذموما كما قال تعالى يريد الله
بكم اليسر ولا يريد بكم العسر لكن نقل الشيخ عبد الروف المناوي في شرح الجامع
الصغير انه لا يجوز تتبع الرخصة بانه ياخذ من كل مذهب الاهون بحيث
تنحل ربقة التكليف من عنقه خلافا لابن عبد السلام حيث اطلق جواز
تتبعها وقد يحمل كلامه على ما اذا اتبعها على وجه لا يصل الى الانحلال
المذكور ونقل عن السبكي في المنتقل من مذهب الى اخر ان قصد الرخصة
فيما يحتاج لحاجة لحقته او ضرورة ارهقته يجوز وان قصد مجرد الترخص
فيمتنع لانه متبع لهواه لا الدين وان اكثر ذلك وجعل اتباع الرخص
ديدنه يمتنع لما ذكر ولزيادة فحشه انتهى ولنا رسالة مستقلة في مسئلة
التقليد سميناها خلاصة التحقيق بينا فيها حكم مذهبنا في جواز التقليد

وما يمتنع منه وليس من الرخص التي يجوز فعلها الحيلة اذا وردت على
تحليل حرام او تحريم حلال كما ذكر ذلك العلامة ابن العز الحنفي في رسالة له
صنفها في بيان الاقتداء بالامام المخالف للمذهب قال فيها ومما يجب
الاحتراز منه لقصور الفهم عن الائمة وعدم فهم الادلة الشرعية فيتساهلون
في الحيل في التحليل وغيره اما القصور في فهم الادلة فظاهر واما
القصور في الفهم عن الائمة فانهم يسمعون عمن يقول بجواز الحيل
فيسترسلون في الاكثار منها ومجاوزة الحد فيها وقد قال ابو حنيفة
رضي الله عنه انه يحرم على المعنى الذي يعلم ان الحيل لكن قد يشكل على
من يسمع هذا عن ابي حنيفة رضي الله عنه ويقول كيف يقال بالحجر على
من يعلم الناس الحيل مع القول بجوازها ولا اشكال بحمد الله وان كان
قد وقع في الحيل كثير ممن ينسب الى ابي حنيفة لظنهم انه يقول بجواز
تعاطي اسبابها وليس الامر كذلك فان ابي حنيفة انما يقول لو فعل مثل
هذا الفعل المحرم لترتب عليه حكمه لا انه يقول بجواز فعله ابتداء كما يقول
في البيع الفاسد لو فعل لترتب عليه حكمه بخلاف البيع الباطل لا انه يقول
بجواز الاقدام على البيع الفاسد وكما قالوا في البيع عند اذان الجمعة
انه لا يجوز فعله ولو فعل لترتب عليه حكمه ونفذ واصل ابي حنيفة ذلك
معروف وهو انه يفرق بين النهي عن الشيء لمعنى في عينه والنهي عنه لمعنى
في غيره ومن ذلك العينة وامثالها فان العينة مذمومة قال الشيخ حسام
الدين السغناقي في النهاية شرح الهداية في كتاب الكفالة وهذا النوع من
البيع ذميم اخترعه اكلة الربا وقد ذمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
بذلك فقال اذا تبايعتم بالعينة واتبعتم اذناب البقر ذللتم وظهر
عليكم عدوكم وقيل اياك والعينة فانها لعينة او مصدا وهذا الحديث
مما دهانا من البلاء ودهمنا من اللاواء واذا الناس في زماننا
اشتغلوا بالعينة فابتلوا بهذا اللعين وبعضهم اقبلوا على الجد في الزراعة
فقرعوا بقارعة ذات باس وفظاظة وعلاهم الخذول في اقتراب ابواب
السلطان فاخذوا بانواع الافتتان ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر
لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ربنا اكشف عنا العذاب انا
مؤمنون كذا ذكره الامام المرغيناني في الفوائد خصوصا في هذا الوقت
الذي نحن فيه حيث نزل بيع العينة منزلة البياعات الصحيحة
بالنسبة الى بياعات هذا الزمان فلا جرم ابتلوا ابتلاء اشد مما كان
البلاء فيمن قبلهم هذه عبارة السغناقي رحمه الله تعالى فالحيلة اذا

وفي قيل اياكم والعينة — فانها لعينة
العينة الدين — سلم من العين ويسمى بها الدرهم والعين
ونفيس الانسان بالعين — نفس العين بانسانها

كانت على تحريم حلال او تحليل حرام او ابطال حق او تحقيق باطل فهي حرام
بلا خلاف وانما الخلاف في الحيلة اذا فعلت مع كونها حراما هل يترتب عليها
الحكم ام لا فعند ابي حنيفة والشافعي رضي الله عنهما يترتب عليها الحكم خلافا لمالك واحمد
رضي الله عنهما واما قول من قال من الاصحاب ان الحيلة على اسقاط الزكاة لا تكره
لانه امتناع من الوجوب لا اسقاط بعد الوجوب يعني اذا ملك المال قبل حولان
الحول لمن يثق به ثم استرده بعد الحول فالظاهر ان هذا لم يقله ابو حنيفة فان
قولهم انه امتناع من الوجوب انما يكون الامتناع من الوجوب اذا ترك
الاكتساب اما اذا ملك النصاب ثم ملكه قبل حولان الحول لمن يثق به فقد
سعى في اسقاط الوجوب بعد انعقاد سببه فان السبب ملك النصاب النامي
ولهذا جاز تعجيل الزكاة قبل الحول والمصلحة التي شرعت لاجلها
الزكاة تفوت بفتح باب الحيل على اسقاطها وكذلك المفسدة التي حرم لاجلها
الربا لم ترتفع بالحيل على تحصيله وكذلك المصلحة التي شرع لاجلها الاستبراء
وهي خوف اختلاط المياه واشتباه الانساب تفوت بالحيلة على اسقاطه
وكذا قال ابو حنيفة ان القضاء بشهادة الزور في العقود والفسوخ ينفذ
ظاهرا وباطنا حتى لو اقام رجل شاهدي زور انه تزوج امراة حل له وطؤها
مع حرمة تعاطي ذلك السبب لانه باطل فالاثم في تعاطي السبب الباطل كما اذا
وجد السبب وجد المسبب واما ما يفعله بعض قضاة زماننا من الحكم بصحة
المعاملة وان قصد بها المراباة مع علمه بالخلاف فشيء محدث لا اصل له ولا ينبغي
ان يرفع الخلاف بل من اراد ابطال تلك المعاملة ابطلها فان قوله وان قصد
بها المراباة معناه وان قصد بها الربا ولا اعتبار للالفاظ بل العبرة بالمعاني
واي حكم اقبح من الاعانة على فعل المحرم فانه اذا قال حكمت بصحة هذا
الفعل ان قصد به تحليل ما حرم الله وتحقيق ما ابطله الله يكون حكمه
على خلاف حكم الله في هذه القضية واحل الله البيع وحرم الربا فالحاصل ان
الحيلة اذا تضمنت تحليل حرام او تحريم حلال او ابطال حق او تحقيق باطل
لا يفتي بها المفتي وان كان يترتب عليها حكمها لو فعلت فانه لا يسوغ
له الاعانة على فعل المحرم قال تعالى وتعاونوا على البر والتقوى ولا
تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد ويحجر على من
يفتي بها من المفتيين كما قال ابو حنيفة فاذا رفعت اليه قضية وهو لا يعلم
انها حيلة على ابطال حق او تحليل باطل حكم بها لانه معذور ويحكم بالظاهر
والله يتولى السرائر فمن افتى او حكم وهو يعلم بالحال فليعلم انه موقوف بين
يدي الله تعالى ومسئول فليعد للسؤال جوابا وللجواب صوابا انتهى كلام ابن

العز

العز رحمه الله تعالى وهو كلام حسن عند من تامله بالانصاف وهو
فوق المذهب بل الاصل الدين من غير خلاف فان الحيلة على استباحة المحرم
وانتهاك حرمة الله تعالى فيه امر قبيح جدا عند من لم يسكره حب الدنيا
والاكثار من الاموال قال خاتمة المحدثين الشيخ نجم الغزي الدمشقي
في كتابه حسن التنبه في التشبه ومن اعمال بني اسرائيل يعني اليهود الحيلة
في اكل ما حرم عليهم قال الله تعالى واسئلهم عن القرية التي كانت حاضرة
البحر اذ يعدون في السبت اذ تاتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم
لا يسبتون لا تاتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون روى الحاكم
باسناد صحيح عن عكرمة قال دخلت على ابن عباس وهو يقرا في المصحف
قبل ان يذهب بصره وهو يبكي فقلت ما يبكيك جعلني الله فداك
قال فقال هل تعرف ايلة قلت وما ايلة قال قرية بها ناس من اليهود فحرم
الله تعالى عليهم الحيتان يوم السبت زاد في رواية لغير الحاكم وذلك ان اليهود
امروا باليوم الذي امرتم فيه يوم الجمعة فتركوه واختاروا السبت فا
بتلوا فيه وحرم عليهم فيه الصيد وامروا بتعظيمه ان اطاعوا لم يوجروا
وان عصوا عذبوا قال الحاكم في روايته فكانت حيتانهم تاتيهم يوم سبتهم
شرعا بيض سمان كامثال المخاض فاذا كان في غير يوم السبت لم يجدوها
ولم يدركوها الا في مشقة ومؤنة شديدة فقال بعضهم لبعض او من قال
ذلك منهم لعلنا لو اخذناها يوم السبت واكلناها في غير يوم السبت ففعل
ذلك اهل بيت منهم فاخذوا وشووا فوجد جيرانهم ريح الشواء فقالوا ما
نرى اصاب بني فلان الا شيء فاخذها اخرون حتى فشا ذلك فيهم وكثر فا
فترقوا اثلاثا فرقة اكلت وفرقة نهت وفرقة قالت لم تعظون قوما
الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا فقالت الفرقة التي نهت انا نحذركم
غضب الله وعقابه ان يصيبكم بخسف وقذف او ببعض ما عنده من
العذاب والله لا نبايتكم في مكان وانتم فيه فخرجوا من السور فغدوا عليه
من الغد فضربوا باب السور فلم يجبهم احد فاتوا بسبب فاسندوه الى السور
ثم رقى راق منهم الى السور فقال يا عباد الله قردة والله لها اذناب
تعاوى ثلاث مرات ثم نزل من السور ففتح السور فدخل الناس عليهم فعرف
القردة انسابها من الانس ولم تعرف الانس انسابها من القردة قال فياتي
القرد الى نسيبه وقريبه من الانس فيحتك به ويلصق به ويقول الانسان
انت فلان فيشير براسه اي نعم ويبكي وتاتي القردة الى نسيبها فتقول
لها انت نسيبتها فلانة فتشير براسها اي نعم وتبكي فتقول لهم الانس اما انا

حذرنا لكم غضب الله وعقابه ان يصيبكم بخسف او مسخ او ببعض ما
عنده من العذاب قال ابن عباس فاسمع الله تعالى يقول فانجينا الذين ينهون
عن السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب بيئس بما كانوا يفسقون فلا
ادري ما فعلت الفرقة الثالثة قال ابن عباس وكم قد راينا من منكر فلم ننه
عنه قال عكرمة فقلت ما ترى جعلني الله فداك انهم كرهوه حين قالوا
لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا فاعجبه قولي
وامر لي ببردين غليظين فكسانيهما الحديث الثامن حم بز طس خز يعني روى
الامام احمد والبزار والطبراني في المعجم الاوسط وابن خزيمة باسنادهم
عن ابن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان
الله تبارك اي تقدس وتعظم من صفة خاصة بالله كذا في القاموس وتعالى
اي ارتفع عن ادراك العقول يحب من احب والمحبة في حق الله تعالى
لبعض الاعمال او الاشخاص كناية عن كمال الرضا بذلك والاقبال عليه ان
تؤتى بالبناء للمفعول رخصه جمع رخصة وتقدم معناها والمراد انه
تعالى يرضى من عبده المكلف ان يفعل ما رخصه له من الاحكام الشرعية اي
سهل عليه كما اي مثل ما يكره سبحانه وتعالى اي لا يحب ولا يرضى ان تؤتى
اي تفعل يعني يفعلها عبده المكلف معصيته التي نهى عنها نهي تحريم او
كراهة وفيه اشارة الى انه تعالى يحب عبده اذا فعل الافعال التي يحبها
سبحانه ويكره عبده اذا فعل الافعال التي يكرهها سبحانه وانه تعالى يحب
ما رخص في فعله كما يحب ما امر بفعله ويكره ما نهى عن فعله فاوجب
معصيته من الصغائر والكبائر زاد الراوي على قوله ان الله يحب ان تؤتى
رخصه في رواية خز اي ابن خزيمة في مسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما
كما يحب ان تترك بالبناء للمفعول معصيته بدل كما يكره ان تؤتى
معصيته والحاصل ان الرخص التي سهل الله تعالى على المكلفين في فعلها
لا يجد الحرج في نفسه بفعلها الا الذي ترك الدين للحرج وتبع
العقل والهوى قال النجم الغزي في كتابه حسن التنبه في التشبه ومن
اخلاق الشيطان اللعين كراهية الرخصة والمنع منها وهو خلاف ما يحبه
الله من العبد ثم اورد نحو ما هنا من الاحاديث ثم قال وروى ابن شيبة
عن ابراهيم النخعي قال مسح اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم على الخفين
فمن ترك ذلك رغبة عنه فانما هو من الشيطان ومن هنا قال العلماء
من وجد في نفسه كراهة الرخص فاخذه بالرخصة افضل من اخذ بالعزيمة
ومهما اخذنا بالرخصة فلا بد ان لا يفضي به الاخذ بها الى تتبع الرخص بان

ياخذ

بالاهون من كل مذهب فان هذا ابهام وهو من خطوات الشيطان انتهى
وقدمنا ما فيه من الكلام الحديث التاسع ط طب يعني روى مالك في
الموطا والطبراني في المعجم الكبير باسنادهما عن ابي الدرداء وعن واثلة
ابن الاسقع وعن ابي امامة الباهلي وعن انس بن مالك رضي الله عنهم
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب اي يرضى كمال الرضا ان تقبل
بالبناء للمفعول رخصه اي يقبلها عبده فيعمل بها ولا ينفر منها قلب العبد
فيتساهل بها ولا يعمل الا بما يشق عليه كما يحب العبد المذنب مغفرة ربه
لذنبه حتى لا يؤاخذه به يوم القيامة الحديث العاشر خ م يعني روى البخاري
ومسلم في صحيحيهما باسنادهما عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله
عنهما انه قال اخبرنا بالبناء للمفعول رسول الله صلى الله عليه
وسلم اي اخبره مخبر من الناس اني اقول والله لاصومن النهار حسبة
لوجه الله ولاقومن الليل كله ابتغاء التقرب اليه سبحانه والنجاة منه في الاخرة
ما عشت اي مدة عيشي اي بقائي في الحياة الدنيا وذكر القرطبي في
شرح مسلم قال حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما اشتهر وكثر
رواته فكثر اختلافه حتى ظن من لا بصيرة عنده انه مضطرب وليس
كذلك فانه اذا تتبع اختلافه وضم بعضه الى بعض انتظمت صورته
وتناسب مساقه اذ ليس فيه اختلاف تناقض بل يرجع اختلافه الى
ان ذكر بعضهم ما سكت عنه غيره وفصل بعض ما اجمله غيره ثم ذكر
رواية مسلم الم اخبر انك تصوم ولا تفطر وتصلي ثم قال هذا انما
فعله عبد الله رضي الله عنه بعد ان التزمه بقوله لاصومن النهار ولاقومن
الليل ما عشت كما جاء في الرواية الاخرى فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه
وسلم فحكى بعض الرواة الفعل وحكى بعضهم القول فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لعبد الله ابن عمرو والمذكور انت الذي تقول
ذلك يعني ما تقدم من قوله لاصومن النهار ولاقومن الليل
فقلت له بابي وامي اي افديك بهما قد قلته اي ذلك الذي
اخبرت به يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم فانك لا تستطيع
ذلك اي لا تقدر على فعله لان النفوس تمل بسبب نقصانها
خلقة عن كمال الطاعة فلا بد من تعهدها بنوع من حظوظها
لتستروح اليه ثم ترجع الى الطاعة بنشاط فيها ولهذا شرعت
صلاة التراويح وسميت بذلك للاستراحة فيها بين كل اربع
واربع بعدها حتى انه يكره ان لم يفعل ذلك لعدم القيام في

ذلك بالنشاط غالبا وفي رواية مسلم لا تفعل قال القرطبي نهي عن
الاستمرار في فعل ما التزمه لاجل ما يؤدي اليه من المفسدة التي نبه
عليها بقوله فانك اذا فعلت ذلك هجمت عيناك غال المغرور اي
غارتا وتحقيقه هجمت على الضرر دفعة واحدة فان الهجم هو اخذ الشيء
بسرعة بغتة ويحتمل ان يكون معناها هجمت العين عليه بغلبة النوم
لكثرة السهر السابق فينقطع عما التزم فيدخل في ذم من ابتدع رهبانية
ولم يرعها وكما قال له يا عبد الله لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك
قيام الليل وفي رواية ونفهت نفسك اي اعيت وضعفت عن
القيام بذلك كما قال في لفظ اخر نهكت نفسك فصم اي ما عسى
ان تصوم من غير تقدم عدد في نفسك عند شروعك في الصوم حتى
لا تكون داخلا تحت طاعة نفسك بل صم على حسب ما يقدره الله تعالى لك
لتكون داخلا في طاعة ربك على كل حال وافطر كذلك على حسب ما تيسر
لك من غير تقدير عدد بنفسك لتكون ربانيا لا نفسانيا وليتسهل
عليك امر الطاعة لربك فيكثر الخشوع فيها وتوافق السنة كما ذكر القرطبي
في شرح مسلم قال في سؤال شقيق لعايشة رضي الله عنها عن زمن صوم
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن مقداره فاجابت بهما فقالت كان
يصوم حتى نقول قد صام قد صام ويفطر حتى نقول قد افطر قد افطر
ومعنى هذا انه كان يصوم متطوعا فيكثر ويوالي حتى يتحدث نساؤه
وخاصته بصومه ويفطر كذلك ومثل هذا حديث ابن عباس رضي
الله عنهما كان يصوم حتى يقول القائل لا يفطر ويفطر حتى يقول القائل
لا يصوم وبمثل هذا اخبر صلى الله عليه وسلم به عن نفسه فقال بل اصوم
وافطر واقوم وانام فمن رغب عن سنتي فليس مني ونم ما عسى ان
تنام ولو في الليل كله وقم كذلك ما عسى ان تقوم ولو في الليل كله ولا
تواظب على كثرة النوم في جميع الليالي ولا كثرة القيام في جميع الليالي
بل كن مع تيسير ربك لك ما يريد ولا تدخل تحت اختيار نفسك لك
ما تريد ولا تثقل على نفسك بالكلية ولا تخفف عنها بالكلية واسلك الحالة
الوسطى يستقيم امرك وتدوم لك الطاعة وقال النووي في شرح مسلم
قال اصحابنا يعني الش فيه تكره صلاة الليل كله دائما لكل احد وفرقوا
بينه وبين صوم الدهر في حق من لا يتضرر به ولا يفوت حقا بان صلاة
الليل كله الضرر فيها متعين انتهى و ذلك لان هذا الدين يسر لا عسر فيه كما قال

في

116

في شرح البخاري عند ذكر الحديث السابق لن يشاد الدين احد الا غلبه معناه
لا يتعمق احد في الدين ويترك الرفق الا غلب الدين عليه وعجز ذلك المتعمق وانقطع
عن عمله كله او بعضه ومعنى هذا الحديث ان الدين اسم يقع على الاعمال اذا
التي توصف باليسر والعسر هي العمل والدين والايمان والاسلام بمعنى واحد
المراد منه التخصيص على ملازمة الرفق والاقتصاد على ما يطيقه العامل
ويمكنه الدوام عليه وان من شاد الدين وتعمق انقطع وغلبه الدين وقهره و
يصير الدين غالبا وهو مغلوب وصم من الشهر اي من كل شهر اردت
ان تصوم فيه ثلاثة ايام وفي رواية لمسلم من سرة الشهر قال النووي
في شرحه سرة الشيء وسطه واستحبوا ان تكون الايام الثلاثة هي ايام الثالث
عشر والرابع عشر والخامس عشر وقيل ابتداؤها الثاني عشر ولعله صلى الله عليه
وسلم لا يواظب على ثلاثة بعينها لئلا يظن تعينها وقد نبه بسرة الشهر وبحديث
الترمذي في ايام البيض على فضيلتها فقال القرطبي لم يكن صلى الله
عليه وسلم يعين لصوم الثلاثة زمانا مخصوصا من الشهر يدوم عليه و
انما كان يصومها مرة في اوله ومرة في اخره ومرة في وسطه ثم بسط الكلام
في ذلك فان الحسنة بعشر امثالها يعني كل يوم صمته من الايام الثلاثة
بعشرة ايام فهذه تمام الشهر وذلك اي صوم ثلاثة ايام من كل شهر مثل
صيام الدهر حيث كانت المواظبة على ذلك باعتبار التضعيف المذكور
وفي رواية لمسلم صم من كل عشرة ايام يوما قال القرطبي وهذا موافق للروا
ية التي قال فيها صم من كل شهر ثلاثة ايام وكذلك قوله في الرواية الاخرى
صم يوما ولك اجر ما بقي وهذا الاختلاف وشبهه من باب النقل بالمعنى
وقال بعضهم اجر ما بقي من العشر وهو تسعة وكذلك قال في قوله
صم يومين ولك اجر ما بقي من العشرين وكذلك صم ثلاثة ايام ولك
اجر ما بقي اي من الشهر وهذا الاعتبار حسن جار على قياس تضعيف
الحسنة بعشر امثالها قلت يعني قال عبد الله بن عمرو المذكور اني
اطيق من الاطاقة وهي القدرة على الشيء افضل اي اكثر من ذلك الذي
ذكره له النبي صلى الله عليه وسلم قال له النبي صلى الله عليه وسلم فصم
يوما واحدا وافطر بعده يومين وفي رواية لمسلم صم يومين وافطر
يوما قال القرطبي انه نقله من صيام ثلاثة ايام في الشهر الى اربعة فيه ومنها
الى صوم يومين وافطار يومين منها الى صوم يوم وافطار يوم وهذا محمول
على ان النبي صلى الله عليه وسلم درجه في هذه المراتب هكذا لكن
بعض الرواة سكت عن ذكر بعض المراتب اما نسيانا او اقتصارا على
قدر ما يحتاج اليه في ذلك الوقت ثم في وقت اخر ذكر الحديث بكماله قلت

اي قال عبد الله فاني اطيق افضل من ذلك اي على صوم اكثر من هذا
قال صلى الله عليه وسلم فصم يوما وافطر يوما وذلك لتاخذ قوتك الفانية
منك يوم صومك بيوم فطرك فتنشط بالفطر للصوم فذلك اي صوم يوم
وافطار يوم صيام داود النبي صلى الله عليه الصلاة والسلام وفي رواية لمسلم
فانه كان اعبد الناس قال القرطبي انما احاله على صوم داود ووصفه بانه
كان اعبد الناس لقوله تعالى فيه واذكر عبدنا داود ذا الايد انه اواب قال
ابن عباس الايد هنا القوة على العبادة والاواب الرجاع الى الله تعالى
والى عبادته وتسبيحه وفي الشرعة وشرحها والمتطوع في الصوم يختار افضل
الصيام وهو صوم داود عليه السلام وكان يصوم يوما ويفطر يوما وانما
كان ذلك افضل لكونه ابلغ في تاثير النفس لعدم الاعتياد لان الاعتياد
على الدواء يبطل اثره فاذا مرض لم ينتفع به ولان العبد فيه بين صبر
وشكر يوم فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضت على مفاتيح خزاين
الدنيا وكنوز الارض فرددتها وقلت اجوع يوما واشبع يوما احمدك اذا
شبعت واتضرع اليك اذا جعت وفي الاحياء ومن لا يقدر على صوم نصف
الدهر فلا باس بثلثه وذلك بان يصوم يوما ويفطر يومين واذا صام
ثلاثة من اول الشهر وثلاثة من الاوسط وثلاثة من الاخر فهو ثلث وواقع في
الاوقات الفاضلة وان صام الاثنين والخميس والجمعة فهو قريب من الثلث
وهو اي صوم وافطار يوم الذي هو صوم داود عليه السلام اعدل الصيام
من العدل خلاف الجور اي اكثر عدلا في معاملة النفوس من غيره لعدم
الجور عليها فيه وقال القرطبي هو اعدل الصيام من حيث حفظ القوة ووجدان
مشقة العبادة واذا كان اعدل في نفسه فعند الله افضل واحب ولا صوم
فوقه في الفضل كما جاءت هذه الالفاظ وهي كلها متقاربة في مدلولها
وهو بلا شك نقل بالمعنى ومضمون هذه الالفاظ ان هذا الصوم اعدل في
نفسه واكثر في ثوابه وفي رواية احب افضل الصيام يعني اكثر فضيلة من
المراتب المتقدمة قلت اي قال عبد الله فاني اطيق افضل من ذلك
لثقته بنفسه في الرغبة في الطاعات والاكثار منها فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا افضل من ذلك قال النووي في شرح مسلم اختلف
العلماء فيه فقال المتولي من اصحابنا يعني الشافعية وغيره هو افضل من
السرد لظاهر الحديث وغيرهم فضل السرد وحملوا الحديث على ان ذلك
في حق عبد الله بن عمرو ومن في معناه قالوا انه نهيه عن السرد ولا ارشده
الى يوم ويوم ولو كان افضل في حق الكافة لارشده اليه فان تاخير البيان

عن وقت الحاجة لا يجوز وزاد في رواية اخرى من روايات هذا الحديث
فان لجسدك عليك حقا يعني في تقويته وتنميته لتقوم به في اعمال الدنيا والاخرة
فانه يضعف من كثرة الصوم وان لزوجك اي امراتك قال في الصحاح زوج المراة
بعلها وزوج الرجل امراته قال تعالى اسكن انت وزوجك الجنة عليك حقا في جماعك لها
اعفافا لنفسك ونفسها ورجاء حصول ولد صالح بينكما يعينك ويعينها في المهمات
وان لزورك اي زائرك وهو الضيف الذي يزورك عليك حقا وذلك
بخدمته واكرامه وتانيسه وفي رواية لمسلم فان لعينك عليك حقا
ولنفسك عليك حقا وفي رواية حظا قال القرطبي اي من الرفق بهما
ومراعاة حقهما وقد سمى في الرواية الاخرى الحظ حقا اذ هو بمعناه وزاد
فان لزوجك عليك حقا ولزورك عليك حقا وفي لفظ اخر ولاهلك مكان زوجك
اما حق الزوجة فهو في الوطي وذلك انه اذا سرد الصوم ووالى القيام
بالليل منعها بذلك حقها منه واما حق الزور وهو الزائر والضيف فهو
القيام باكرامه وخدمته وتانيسه بالاكل معه واما الاهل فيعني به
هنا الاولاد والقرابة وحقهم هو في الرفق بهم والانفاق عليهم ومواكلتهم
وتانيسهم وملازمة ما التزم في سرد الصوم وقيام الليل يودي الى امتناع
تلك الحقوق كلها ويفيد ان الحقوق اذا تعارضت قدم الاولى وفي رواية
اخرى قال له النبي صلى الله عليه وسلم الم اخبر بالبنا للمفعول اي يخبرني مخبر انك
تصوم الدهر يعني كله فلا تفطر الا ايام الكراهة والمعنى انك عازم على ذلك من
قوله في الرواية السابقة والله لاصومن النهار ولاقومن الليل ما عشت وتقرا
القران يعني كله في كل ليلة من جميع الليالي بان تختمه في الصلاة وغيرها
فقلت اي قال عبد الله بلى يا نبي الله والمعنى قلت ذلك وعزمت على فعله واني
لم ارد اي اقصد بذلك المذكور من صيام الدهر وقيام وقراة القران كل ليلة الا
خيرا وهو التقرب الى الله تعالى ورجا الثواب في الاخرة لا الريا ولا السمعة ولا
الاعجاب وحب المحمدة وفيها اي في هذه الرواية قال له صلى الله عليه وسلم اقرا القران
من اوله الى اخره في كل شهر مرة وقال في شرح الشرعة وفي القنية فيه اقوال
والاحسن الختم في كل شهر مرة وفي زين العرب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعبد
الله بن عمرو بن العاص اقرا القران في كل شهر انتهى ولعل هذا وجه ما في القنية
وهو المذكور هنا قال يعني عبد الله قلت يا نبي الله انا اطيق افضل من ذلك اي اقدر
على اكثر من ذلك فضيلة قال صلى الله عليه وسلم له فاقراه اي القران كله في سبع اي سبع

ليال والمراد ايام مع لياليهن قال القرطبي قوله اقرا القران في كل شهر ثم قال بعد ذلك فاقراه في كل عشرين ثم قال اقراه في كل سبع هكذا في اكثر روايات مسلم ووقع في كتاب ابن ابي جعفر وابن عيسى زيادة قال فاقراه في عشر وبعد ذلك قال له اقراه في سبع ومقصود هذه الرواية بيان تجزية القران على ليال الشهر بالنسبة الى التخفيف والتثقيل فالمخفف يقراه في كل شهر لا اقل من ذلك والمثقل لا يزيد على سبع كما قد نهاه عنه لا تزد على ذلك اى على السبع قال القرطبي ذهب الى منع الزيادة على سبع كثير من العلما واختار بعضهم قراته في ثمان وكان بعضهم تختم في خمس واخر في ست وبعضهم يختم في كل ليلة وكان من لم يمنع الزيادة على السبع حمل قوله لا تزد على انه من باب الرفق وخوف الانقطاع فان امن ذلك جاز بنا على ان ما كثر من العبادة والخير فهو احب الى الله تعالى والاولى ترك الزيادة اخذ ابظاهر المنع واقتدا برسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرو عنه انه ختم القران كله في ليلة ولا في اقل من السبع وهو اعلم بالمصالح والاجر فضل الله يوتيه من يشاء فقد يعطي على القليل ما لا يعطي على الكثير لا سيما وقد بينت مصلحة القلة والمداومة وافة الكثرة والانقطاع وقال السيوطي في الاتقان وقد كان للسلف في قدر القراة عادات فاكثر ما ورد في كثرة القراة من كان يختم في اليوم والليلة ثمان ختمات اربعا في الليل واربعا في النهار ويليه من كان يختم في اليوم والليلة اربعا ويليه ثلاثا ويليه ختمتين ويليه ختمة وقد روت عايشة ذلك واخرج ابن ابي داود عن مسلم ابن مخراق قال قلت لعايشة ان رجالا يقرا احدهم القران في ليلة مرة او ثلاثا فقالت قروا ولم يقروا كنت اقوم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة التمام فيقرا بالبقرة وال عمران والنسا فلا يمر باية فيها استبشار الا دعا ورغب ولا باية فيها تخويف الا دعا واستعاذ ويلي ذلك من كان يختم في ليلتين ويليه من كان يختم في كل ثلاث وهو حسن وكره جماعات الختم في اقل من ذلك لما روى ابو داود والترمذي وصححه في حديث عبد الله بن عمرو مرفوعا لا يفقه من قرا القران في اقل من ثلاث واخرج ابن ابي داود وسعيد بن منصور عن ابن مسعود موقوفا قال لا تقرا القران في اقل من ثلاث واخرج ابو عبيد عن معاذ بن جبل انه كان يكره ان يقرا القران في اقل من ثلاث ويليه من ختم في اربع ثم في خمس ثم في ست ثم سبع وهذا اوسط الامور واحسنها وهو فعل الاكثرين من الصحابة وغيرهم اخرج ابو عبيد وغيره من طريق واسع بن حبان عن قيس بن ابي صعصعة وليس له غيره

انه

انه قال يا رسول الله في كم اقرا القران قال في خمس عشرة قلت اني اجدني اقوى من ذلك قال اقراه في جمعة ويلي ذلك من ختم في ثمان ثم في عشر ثم في شهر ثم في شهرين واخرج ابن ابي داود عن مكحول قال كان اقويا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرءون القران في سبع وبعضهم في شهر وبعضهم في شهرين وبعضهم في اكثر من ذلك وقال ابو الليث في البستان ينبغي للقاري ان تختم في السنة مرتين ان لم يقدر على الزيادة وقد روى الحسن بن زياد عن ابي حنيفة رضي الله عنه انه قال من قرا القران في كل سنة مرتين فقد ادى حقه لان النبي صلى الله عليه وسلم عرض على جبريل في السنة التي قبض فيها مرتين وقال غيره يكره تاخير ختمه اكثر من اربعين يوما بلا عذر نص عليه احمد لان عبد الله بن عمرو سال النبي صلى الله عليه وسلم في كم نختم القران قال في اربعين يوما رواه ابو داود وقال النووي في الاذكار المختار ان ذلك يختلف باختلاف الاشخاص فمن كان يظهر له بدقيق الفكر لطايف ومعارف فليقتصر على قدر تحصل له معه كمال فهم ما يقرا وكذلك من كان مشغولا بنشر العلم او فصل الحكومات او غير ذلك من مهمات الدين والمصالح العامة فليقتصر على قدر لا يحصل بسببه اخلال بما هو مرصد له ولا فوات كمال وان لم يكن من هولا المذكورين فليستكثر ما امكنه من غير خروج الى حد الملل او الهذرمة به في القراة وقال في شرح الشرعة وفي قاضي خان قالوا ينبغي لحامل القران ان يختم القران في كل اربعين يوما مرة واما سبب الاستحباب في خصوصية الاربعين فقد قيل لان فيه من خاصية الاستكمال ما ليس في غيره من الاعداد الا ترى ان النبي صلى الله عليه وسلم حكاية عن الله تعالى خمرت طينة ادم اربعين صباحا وقال عليه السلام ان خلق احدكم يجمع في بطن امه اربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك الحديث وقال تعالى وواعدنا موسى ثلاثين ليلة واتممناها بعشر فتم ميقات ربه اربعين ليلة وقال عليه السلام من اخلص لله اربعين صباحا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه ولما كان القران منبع جميع الحكم ينبغي للقاري ان يخلص في كل اربعين بترتيل بعض منه في كل يوم من تلك الاربعين لينبع من ينابيع الحكمة الى قلبه والى لسانه واما الاحسنية في كل شهر فلسهولة القراة وحساب كل يوم بجزء كل شهر تختم فعلى هذا لا يستحب الختم في اقل شهر وان جاز وكان النبي صلى الله عليه وسلم تختم القراة في كل عام مرة وختم في العام الذي قبض فيه مرتين وعن المرغيناني من ختم القران في السنة مرة لا يكون هاجرا فالختم في السنة سنة موكدة فاكتفاؤه عليه السلام بمرة ومرتين في السنة مع كمال رسوخه في القران وكمال تدبره لا ينافي استحباب الاكثر لغيره على ان قوله عليه السلام تعاهدوا القران وقوله استذكروا القران وغيرهما يدل على استحباب التكثير قال يعني عبد الله بن عمرو بن العاصي فشددت اى ضيقت

على نفسي في كثرة الاعمال فشدد بالبنا للمفعول اى شدد الله تعالى على بخلقه تعالى الضعف
والعجز عند دوام ما قصدت من تلك الاعمال الكثيرة وفي رواية لان اكون قبلت الثلاثة الايام
التي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احب الي من اهلي ومالي وقد كان قال لي النبي صلى الله عليه وسلم
انك لا تدري لعله يطول بك عمرك يعني فتعجز عن القيام بهذه الاعمال الكثيرة فربما نقص رجاوك
لنقصان عملك فينتقص قدرك عند الله تعالى وتسفل منزلتك لربها وتصير الاعمال الكثيرة
لسهولتها عندك عادة فلا تثاب عليها ثواب الطاعة لا لفتك لها وقلة حضورك فيها
قال يعني عبد الله فصرت اى وصلت الى الحال الذي قال لي النبي صلى الله عليه وسلم فلما
اى احببت اني كنت قبلت رخصة النبي صلى الله عليه وسلم التي رخص لي في ابتداء عمري
لاعتادي عليها فلا يتغير على حالي في انتها العمر قال القرطبي وهذا يدل من عبد الله
رضي الله عنه على انه كان قد التزم الافضل مما نقله اليه النبي صلى الله عليه وسلم والاكثر اما
بحكم التزامه الاول اذ قال لاصومن الدهر ولا قومن الليل ما عشت واما بحكم انه هو
الحال الذي فارق النبي صلى الله عليه وسلم عليه فكره ان ينقص من عمل فارق النبي صلى الله عليه وسلم
عليه فلم يران يرجع عنه وان كان قد ضعف عنه وزاد في رواية لا صام اى لا يسمى صايما من جهة
انه لا ثواب له لفعله المنهي عنه او دعا بعدم تيسير الصوم من صام الابد اى طول عمره
ولم يفطر اصلا وسوى يومي العيد وايام التشريق وفي المراة سوى ايام حيضها ونفاسها
ثلاثا اى ثلاث مرات لينا كد حكم النهي عند المخاطب ويتبين على اتم الوجوه وقال القرطبي في
حديث صوم الابد وقد سيل صلى الله عليه وسلم عن صيام الابد فقال لا صام ولا افطر يحتمل
ان يكون دعا عليه لانه اخبر عنه ويحتمل ان يكون خبرا عن انه لم يات بشي ووجه ذلك
ان من سرد الصوم صار له عادة ولم يجد له مشقة فيعود النهار في حقه كالليل في حق غيره
فكانه ما صام اذ لم يجد ما يجده الصايم ولا افطر لصورة الصوم وتكون لا بمعنى ما كما قال
الله تعالى فلا صدق ولا صلى وحمل كثير من العلما هذا على ما اذا صام الايام المحرمة فاما لو افطرها
فكرهه قوم واجازه اخرون وقال ابو الطاهر ابن بشير هو مستحب وهذا ابعدها
وقال النووي في شرح مسلم في احاديث النهي عن صوم الدهر وقد اختلف العلما فيه فذهب
الظاهرية الى منع صيامه وذهب الجمهور الى جوازه اذا لم يصم الايام المنهي عنها وهي العيدان
وايام التشريق وذهب الشافعي واصحابه الى ان صومه اذا افطر ايام المنهي مستحب اذا لم يلحقه
ضرر ولا يفوت حقا فان وجد فهو مكروه واستدلوا بحديث حمزة بن عمرو في الصحيحين
انه قال يا رسول الله اني اسرد الصوم افاصوم في السفر فقال ان شيت فصم ولو كان مكروها
لم يقره لا سيما في السفر وكان عمر يسرد الصيام وكذلك ابو طلحة وعايشة وخلايق من المسلمين
واجابوا عن حديث لا صام من صام الابد باجوبة منها انه محمول على حقيقته بان يصوم معه

العيد

كبرت ووددت
صح

العيد والتشريق وبه اجابت عايشة رضي الله عنها ومنها انه في حق من تضرر به او فوت حقا
ومنها انه لم يجد مشقة فهو خبر لا دعا وفي شرح الشرعة ولا يصوم احد الدهر كله فانه مكروه
لما روي ان عمر الفاروق رضي الله عنه قال يا رسول الله كيف من يصوم الدهر كله قال لا صام ولا افطر
يعني كانه لم يصم لانه لم يكن باذن الشارع فلا يثاب ولم يفطر ايضا وهو ظاهر واما من يفطر
الايام المنهية فلا باس له عليه لان بعض الصحابة رضي الله عنهم كان يصومه ولم
ينكر عليه النبي صلى الله عليه وسلم وذكر الشيخ الوالد رحمه الله تعالى في شرحه
على شرح الدرر قال ويكره صوم الدهر لانه يضعفه او يصير طبعا له ومبنى العبادة
على مخالفة العادة كذا في فتح القدير وزاد في رواية اخرى وكان يعني عبد الله بن
عمرو بن العاصي رضي الله عنه يقرا على بعض اهله اى زوجته السبع من القران
وهو جزء من سبعة اجزا منه بالنهار يكرره عليها ليحفظه والذي يقراه عليها
من السبع المذكور يعرضه اى ياتي به من الليل يعني في صلاة الليل ليكون ذلك الذي يقراه
على اهله بالنهار اخف عليه بالليل في الصلاة فتسهل قراته ولا يثقل عليه شي من ذلك
وفي رياض الصالحين للنووي وفي رواية قال يعني عبد الله المذكور انكحني ابي امراة
ذات حسب فكان يتعاهد كنته اى امراة ولده فيسالها عن بعلها فتقول نعم
الرجل من رجل لم يطا لنا فراشا ولم يفتش لنا كنفا منذ اتيناه فلما طال ذلك عليه
ذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال القني به فلقيته بعد فقال كيف تصوم
قلت كل يوم قال وكيف تختم قلت كل ليلة وذكر نحو ما سبق وكان يقرا على بعض
اهله السبع الذي يقراه يعرضه من النهار ليكون اخف عليه بالليل واذا اراد يعني عبد
الله المذكور ان يتقوى لضعفه بكثرة الصيام والقيام افطر اياما تزيد على يومين
واحصى اى ضبط مقدار ما افطر من الايام وصام مثلهن في باقي ما يصوم حتى لا يكون
افطر فيما مضى له من الايام شيا لصيامه بدل ذلك فتكون صيامه القضا مشغولة
بصيام عما مضى وان لم يكن له فيها صوم حاضر كراهة اى انما كان يفعل ذلك لانه كره ان
يترك شيا من العبادة التي فارق عليه النبي صلى الله عليه وسلم يعني عهد نفسه تفعله
ولا تفتر عنه في زمان النبي صلى الله عليه وسلم لانه كان يقوى عليه وفي رواية اخرى ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لعبد الله المذكور ان احب الصيام يعني الى الله تعالى على ارادة كثرة
الثواب منه تعالى عليه ورفع درجة من ياتي به لربه صيام داود عليه السلام وهو صوم
يوم وفطر يوم كما قدمناه واحب الصلاة الى الله تعالى ايضا صلاة داود عليه السلام وذلك ان

داود عليه السلام كان ينام نصف الليل الاول او الثاني ويقوم ثلثه من بعد النصف الاول
اوقبله وينام سدسه بقية النصف الاخر من اخر الليل او من اوله فيكون جملة نومه الثلثين
من الليل وقيامه الثلث ويحتمل تقديم القيام او تاخيره اوتارة وتارة وكان يصوم يوما
ويفطر يوما وهو بيان لصيام داود عليه السلام المذكور في هذه الرواية وبخارج حديث
عبد الله هذا المذكور هنا ما نقله الامام النووي في رياض الصالحين قال وعن ابي ربعي
حنظلة بن الربيع الاسيدي الكاتب احد كتاب النبي صلى الله عليه وسلم قال لقيني
ابو بكر رضي الله عنه فقال كيف انت يا حنظلة قلت نافق حنظلة قال سبحان الله ما
تقول قلت نكون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرنا بالجنة والنار كانا راي
عين فاذا خرجنا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عافسنا الازواج والاولاد والـ
والضيعات نسينا كثيرا قال ابو بكر رضي الله عنه فوالله انا لنلقى مثل هذا فانطلقت
انا وابو بكر رضي الله عنه حتى دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت نافق
حنظلة يا رسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ذاك قلت يا رسول الله
نكون عندك تذكرنا بالجنة والنار كانا راي عين فاذا خرجنا من عندك عافسنا الازواج
والاولاد والضيعات نسينا كثيرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي
بيده ان لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملايكة على فراشكم
وفي طرقكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة ثلاث مرار رواه مسلم واما اقوال الفقها
جمع فقيه وهو العالم بمذهب المجتهد في الفروع العملية والمراد فقها الحنفية
فيما يشيرون اليه من الاقتصاد في العمل فهو كثير قال في كتاب الاختيار
شرح المختار لا تجوز الرياضة اي تعليم النفس مكارم الاخلاق بتقليل الاكل والشرب
حتى يصل الى حالة تضعف معها جسده فتقل قواه الظاهرة والباطنة عن ادا الفرايض
بحيث لا يقدر يود بها قايما مع السهولة وربما لا يقدر على ضبط ركعاتها وسجداتها
وتسبيحاتها لفساد خياله وفي بعض الكتب ولا تجوز الرياضة بتقليل الاكل حتى
يضعف عن ادا العبادة وهو اعم من الفرايض فيشمل النوافل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لمعاذ بن جبل رضي الله عنه يا معاذ ان نفسك التي انت قايم بسببها في الحياة الدنيا
وهي التي تعبر عنها بقولك انا وهي المكلفة المخاطبة بالامر والنهي الحالة في الجسد حلول
ما الورد في الورد وبالموت تفارق الجسد فتشرق عليه وعلى اجزايه اذا تفرقت كما شراق
الشمس على الارض وهي في عالمها في عالم نعيم او عذاب اليم مطيتك والمطية الدابة

تمطو

تمطو في سيرها اي تسرع وانما كانت نفسه مطيته لقيامه بسببها وبقا وجوده
في الدنيا ما دام جسده محمولا بها وكونه مطيته مع انه ليس بغيرها باعتبار انقسامها
الى عالم ومعلوم فهي من حيث هي معلومة مطية لها من حيث هي عالمة فارفق بها اي
تعاهدها بما يحفظ عليها بقاها من الشهوات المباحة مقدار الحاجة وليس من
الرفق بها ان تجيعها وتذيبها حتى تضعف بقلة الا مراد فانها مخلوقة على تركيب
يقتضي المادة الطبيعية وما هي ملك يقتات بالغذا المعنوي من التسبيح والحمد
والخشوع والحضور غاية الامر انك لا تكثر عليها المادة الطبيعية حتى ترجع
بهيميه وتوسط في رعايتها لانك محتاج اليها مدة بقاك في عالم التكليف وقد
اوصاك الله تعالى بحفظها والحذر عليها حيث قال تعالى ولا تلقوا بايديكم الى
التهلكة وقال تعالى قوا انفسكم واهليكم نارا الاية ومتى تركت رعايتها وحفظها
ضعفت فانقطعت عن عبادة الله تعالى بسبب ضعفها ولا يمكنك العبادة الا
بها فيلزمك مراعاة حقوقها كما تقدم في حديث سلمان رضي الله عنه وان لنفسك عليك
حقا ولان ترك العبادة المفروضة والواجبة لا يجوز مع القدرة عليها فكذا لا يجوز
فعل ما يفضي بالفاء اي يوصل اليه اي الى ترك العبادة من عدم مراعاة له الحقوق
النفسانية قال في الشرعة وشرحها فرض الاكل من اعظم الفرايض لانه قوام
الخير كله لان تحصيل الخير انما يكون بسلامة البدن وذلك لا يتيسر الا بالاكل وعلم الاكل
والشرب مقدم على علم العبادة لان العبادة بهما تقوم كقيام الصلاة بالطهارة في
امتناعها بدونها ولكن فيه تنبيه على ان قيام العبادة بهما بحسب جري عادة
الله تعالى لا انها تمتنع بدونها عقلا وعدم تقديم فصل الاكل والشرب على فصول
العبادة مع تقدم علمها عليها لما انها مقصودة بالذات وهما من الوسايط وحكي ان رجلا
قال لابن سيرين علمني العبادة وادابها قال كيف تاكل الطعام قال اكل حتى اشبع
قال لا تاكل اكل البهايم بعد اذهب فتعلم الاكل والشرب اولا ثم تعلم العبادة وادابها
كذا في الخالصة وذكر الشيخ الوالد رحمه الله تعالى في شرحه على شرح الدرر معزيا الى الاختيار
قال بعد ذكر ذكر نحو ما تقدم فاما تجويع النفس على وجه لا يفضي الى العجز عن ادا
العبادات فهو مباح وفيه رياضة النفس وبه يصير الطعام مشتهى بخلاف الاول
فانه اهلاك للنفس وكذا الشاب الذي يخاف الشبق لا باس بان يمتنع عن الاكل ليكسر
شهوته على وجه لا يعجز عن ادا العبادات على ما قال صلى الله عليه وسلم فانه له وجا
وقال فيه ايضا اي في الاختيار شرح المختار الكسب اي تحصيل امور المعيشة على
الوجه المشروع انواع اربعة الاول فرض بحيث يثاب على فعله بالنية الصالحة

ويعاقب على تركه متى امكنه وتركه وهو الكسب اى التحصيل بقدر الكفاية اى مقدار
مايكفيه ويسد حاجته لنفسه وعياله كزوجته واولاده وابايه ومن تجب عليه نفقته
من حيث الاكل والشرب والكسوة والسكنى وقضاء ديونه فانه فرض عليه لاصحابها اذا
كان قادرا على ادايها ومتى عجز فمات وكان من نيته لو قدر لاداها لاياثم كما ذكر فى البزازية
اوايل كتاب الزكاة قال مات وعليه ديون ان كان من قصده الادا لايواخذ به يوم
القيمة لانه لم يتحقق المطل ثم قال يعنى فى الاختيار فان ترك الاكتساب مع قدرته
عليه بعد ذلك اى بعد تحصيل مقدار كفايته منه وسعه ذلك اى جاز له الترك قال
الشيخ الوالد رحمه الله تعالى فى شرحه على شرح الدرر قال محمد بن سماعة سمعت محمد بن الحسن
يقول طلب الكسب فريضة كما ان طلب العلم فريضة وهذا صحيح لما روى ابن
مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال الكسب فريضة على كل
مسلم وقال عليه الصلاة والسلام طلب الكسب بعد الصلاة المفروضة اى الفريضة
بعد الفريضة ولانه لايتوصل الى اقامة الفرض الابه فكان فرضا لانه لايمكن من اداء العبادات
الا بقوة بدنه وقوة بدنه بالقوت عادة وخلقة قال الله تعالى وماجعلناهم جسدا
لاياكلون الطعام وتحصيل القوت بالكسب ولانه يحتاج فى الطهارة الى الة الاستقاء
والانية ويحتاج فى الصلاة الى ما يستر عورته وكل ذلك انما يحصل بالكسب والرسل عليهم
الصلاة والسلام كانوا يكتسبون فادم زرع الحنطة وسقاها وحصدها وداسها
وطحنها وعجنها وخبزها ونوح كان نجارا وابراهيم كان بزازا وداود كان يصنع
الدروع وسليمان كان يصنع المكاتل من الخوص ونبينا صلى الله عليه وسلم
رعى الغنم وكانوا ياكلون من كسبهم وكان الصديق رضى الله عنه بزازا وعمر رضى الله
عنه يعمل فى الاديم وعثمان رضى الله عنه كان تاجرا تجلب الطعام فيبيعه وعلى
رضى الله عنه كان يكتسب فقد صح انه كان يواجر نفسه ولايلتفت الى جماعة انكروا
ذلك وقعدوا فى المساجد اعينهم طامحة وايديهم مادة الى ما فى ايدى الناس يسمون
انفسهم المتوكلة وليسوا كذلك متمسكون بقوله تعالى وفى السماء رزقكم وما توعدون
وهم بمعناونا وبله جاهلون فان المراد به المطر الذى هو سبب انبات الرزق
ولو كان الرزق ينزل من السما لما امرنا بالاكتساب والسعى فى الاسباب قال تعالى فامشوا
فى مناكبها وكلوا من رزقه وقال تعالى انفقوا من طيبات ما كسبتم وفى الحديث ان الله
تعالى يقول ياعبدى حرك يدك انزل عليك الرزق وقال تعالى وهزى اليك بجذع النخلة
تساقط عليك رطبا جنيا وكان تعالى قادرا ان يرزقها من غير هزها لكن امرها
ليعلم العباد ان لايتركوا الاسباب فان الله تعالى هو الرزاق ونظير هذا خلق الانسان

ضعيفا

ضعيفا فان الله تعالى قادر على خلقه لا من سبب ولا فى سبب كادم عليه السلام ويخلق
من سبب لا فى سبب كحوا وقد يخلق فى سبب لا من سبب كعيسى عليه السلام وقد
يخلق من سبب فى سبب كساير بنى ادم فطلب العبد الولد بالنكاح لاينفى كون الله تعالى
هو الخالق فكذلك طلبه الرزق باسبابه لاينفى كون الرازق هو الله تعالى والدلايل
على ذلك كثيرة والاحاديث الواردة فيه متواترة وكتابنا هذا يضيق عن استيعابها
وفى هذا بلاغ النفع كذا فى الاختيار ونحوه فى جامع الفتاوى انتهى قلت وهذا كلام فى غاية
الحسن وهو متوجه على البطالين الفارغين من الاشتغال بالخالق المشتغلين ببواطنهم
بالناس وبمراقبة شهواتهم واما من اشتغلت قلوبهم بالله تعالى وتفرغت بواطنهم
لمراقبته فى جميع احوالهم العادية بحيث استسلمت قلوبهم له وانطرحت اسرارهم
بين يديه فلم يطلبوا منه نعيما فى الاخرة ولا تخوفوا عذابا وانما يرجونه هو ويخافونه
لا ماسواه فضلا عن الرغبة فى الشهوات العاجلة فليس هذا الكلام فى شانهم وهم موجودون
فى الناس ان شا الله تعالى الى يوم القيمة ولايجوز لاحد ان يظن فى احد يراه متوكلا بلا اشتغال
بكسب فى مسجد او غيره انه هو بعينه من القسم الذى اراده الفقها فى انه اثم تارك لفرض
الاكتساب خصوصا اذا كان له عايلة فقراء محتاجون وهو مشتغل بالعبادة عن الاكتساب
فان مثل هذا يحتمل ان يكون من القسم الثانى الذى ذكرناه شغله الله تعالى عما سواه وسوء
الظن حرام والتجسس حرام ايضا بل كلام الفقها باق على حاله فى حق من كان موصوفا
بما ذكروه فيما يعلمه الله تعالى وكلامنا ايضا باق فى حق من كان موصوفا بما ذكرناه
فيما يعلمه الله تعالى والله يعلم المفسد من المصلح والنوع الثانى من انواع الاكتساب
المباح بلا اثم فيه ولا ثواب عليه وقد اشار اليه بقوله وقال فيه اى فى كتاب الاختيار
شرح المختار وان اكتسب ما يدخره اى يبقيه الى وقت الحاجة اليه من الماكل والمشرب
والملبس ونحو ذلك لنفسه وعياله ولوالى سنين مستقبلة وهو يومئذ فى سعة اى وسعة
من العيش فقد صح فى الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم ادخر قوت عياله سنة اى حولا
فلو كان ذلك مكروها لما فعله النبى صلى الله عليه وسلم وذكر المناوى فى شرح الجامع الصغير
ان من مذهب ابى ذر الغفارى رضى الله عنه انه يحرم على الانسان ادخار ما زاد على حاجته
من المال انتهى ويرد على مذهبه فعله عليه السلام وعن سفيان بن عيينة انه قال ليس شى
فى الحيوان يخبا قوته الا الانسان والنملة والفارة والعقعق ومنه الكسب المباح
اكتساب الزيادة على حاجته لاجل التجمل قال فى المبتغى بالغين المعجمة من الكسب ما
هو مباح للتجمل والتنعم حتى يبنى البنيان وينقش الحيطان ويشترى السرارى
والغلمان لقوله عليه السلام نعم المال الصالح للرجل الصالح انتهى ومحل ذلك كله اذا لم يكن

للتكبر والتفاخر والتكاثر والا فهو من قسم الحرام والاعمال بالنيات والناس فى ذلك محمولون
على المحامل الحسنة ما امكن بلا ظن سوء بهم ولا تجسس عليهم والنوع الثالث من الكسب
مستحب يعنى يثاب بفعله ولا يأثم بتركه وهو كسب الزيادة على ذلك اى على قدر الكفاية
ليواسى به اى بالزايد مما اكتسبه يقال واساه بماله مواساة اناله منه وجعله فيه
اسوة ولا يكون ذلك الا من كفاف فان كان من فضلة فليس بمواساة كذا فى القاموس
والكفاف ما كف عن الناس واغنى وهو قدر الكفاية والمراد هنا على ما يكفى حتى يواسى
بالزايد على الادنى فقيرا اى محتاجا الى ذلك من ذكر او انثى او خنثى قريب منه او بعيد
او ليجازى على قرابته اى يقابل به قريبا من اقاربه الادانى او الاباعد وهى صلة الرحم فانها
تكون بالهدية ونحوها وفى عبارة ملتقى الابحر او يصل به قريبا فانه اى كسب الزيادة
بقصد ما ذكر افضل من التخلى اى التفرغ لنفل العبادة من صلاة تطوع او قراءة قران او
نحو ذلك مما لم يفترض عليه لان منفعة النفل من العبادة تخصه فلا يثاب بها غير الفاعل لها
ومنفعة الكسب على الوجه المذكور عامة له اى للكاسب ولغيره ولا شك ان نفع المتعدى
افضل من القاصر قال صلى الله عليه وسلم خير الناس من ينفع الناس بصدقة بمال او بكلمة
حق او بمعونة على فعل خير او ترك شر او بتعليم علم نافع او بدعا واستغفار انتهى يعنى كلام
صاحب الاختيار والنوع الرابع من الكسب مكروه وهو الجمع للتفاخر والبطر وان كان من
حل فقد قال صلى الله عليه وسلم من طلب الدنيا متفاخرا متكاثرا لقى الله وهو عليه غضبان
كذا فى الاختيار وسماه فى ملتقى الابحر حراما لانه مكروه كراهة تحريم والمكروه تحريما يسمى
حراما عند محمد وقال فى شرح الشرعة ومما يجب ان يعتقد ان الكسب غير موثر فى الرزق كما
ان الشبع لا يحصل بالطعام بل يخلق الله تعالى ورب اكلة لا تشبع الاكل اذ لم يقدر الله تعالى
الشبع فيها ويقال الناس فى الكسب على خمس مراتب منهم من يرى الرزق من الكسب
فهو كافر ومنهم من يرى الرزق من الله تعالى ويرى الكسب سببا ولا يعصى الله تعالى لاجل
الكسب فهو مومن مخلص ومنهم من يرى الرزق من الله تعالى ويعصى الله تعالى من اجل الكسب
ولا يودى حقه فهو فاسق ومنهم من يرى الرزق من الله تعالى ومن الكسب فهو مشرك ومنهم
من يرى الرزق من الله تعالى ولا يدرى ايعطيه ام لا فهو منافق شاك ذكره فى مشكاة الانوار
وتنبيه الغافلين وفى الخلاصة المذهب عند جمهور العلما والفقها ان جميع انواع الكسب
فى الاباحة على السوا واختلف المشايخ فى ان الزراعة افضل او التجارة فقال بعضهم التجارة
افضل واكثر مشايخنا على ان الزراعة افضل وقال فى كتاب الفتاوى التاتارخانية فى فقه الحنفية
يكره كراهة تحريم اذ هى المحمل عند الاطلاق ان يجتمع قوم من الناس فيعتزلون فى موضع
كمسجد ونحوه ويمتنعون عن استعمال الطيبات اى الملذوذات فى الماكل والمشرب

والملابس

والملابس والمساكن والمناكح والمراكب ونحوها يعبدون الله تعالى بانواع العبادات
فيه اى فى ذلك الموضع ويفرغون انفسهم لذلك اى للعبادة فقط ليلا ونهارا دون
الاشتغال بشىء من المباحات فى بعض الاوقات فيتركون الاكتساب من الحلال
والجمعة والجماعات مع اخوانهم المسلمين فان هذا امر منهى كما سبق فى حديث عبد الله
ابن عمرو بن العاصى وغيره وكسب المال الحلال لينفق منه على نفسه وعياله ويتصدق
من فضله وكذلك لزوم صلاة الجمعة والصلوات الخمس مع الجماعات الراتبة فى المساجد
التى فى الامصار جمع مصر وهى البلاد احب من ترك ذلك والزهد اى اشد لزوما لا فتراضه
عليه فى الجمعة انتهى اى فرغ كلام التاتارخانية وفى شرح الشرعة قال عمر الفاروق رضى الله
عنه لا يقعد احدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقنى فقد علمتم ان السما لا تمطر ذهبا
ولا فضة وروى ان عيسى عليه السلام راى رجلا فقال ما تصنع قال اتعبد فقال ومن يقوتك
قال اخى قال اخوك اعبد منك ذكره فى الاحيا فان قلت هذا سوال نشا من جملة ما تقدم
يعارض ما ذكرت هنا من الاحاديث ونقلته عن الفقها من منعهم من الرياضة وكثرة
المجاهدات وترك الاكتساب ما اى الذى نقل بالبنا للمفعول اى نقله العلما فى كتبهم
فى علم الطريقة عن السلف الصالحين فى من شدة الرياضات بتقليل الاكل والشرب
قال فى شرح الشرعة ومن المريدين من رد الرياضة الى طى الايام حتى انتهى بعضهم الى
ثلاثين يوما واربعين يوما وانتهى اليه جماعة من العلما ايضا وقالوا من طوى
اربعين يوما عن الطعام ظهر له قدرة من الملكوت اى كوشف له بعض الاسرار
الالهية وقد وقف بعض من هذه الطايفة على راهب فذاكره بحاله وطمع فى اسلامه
فكلمه بكلام كثير الى ان قال له الراهب ان المسيح كان يطوى اربعين يوما وانه
معجزة لا تكون الا لنبى صادق فقال الصوفى فان طويت خمسين يوما تترك ما انت
عليه وتدخل فى دين الاسلام قال نعم فقعد لا يبرح الا حيث يراه حتى طوى خمسين
يوما فقال ازيدك ايضا فطوى ستين فتعجب منه الراهب وقال ما كنت احدا
اظن احدا يجاوز المسيح وكان ذلك سبب اسلامه وذكر القشيرى فى الرسالة ان
سهل بن عبد الله كان لا ياكل الطعام الا اكلة فى خمسة عشر يوما فاذا دخل رمضان
كان لا ياكل حتى يرى الهلال وكان يفطر كل ليلة على الماء القراح ودخل ابو تراب النخشبى من
بادية البصرة مكة فسأله احمد بن يحيى بن الجلا عن اكله فقال خرجت من البصرة
فاكلت بنباح ثم بذات عرق ومن ذات عرق اليكم فقطع البادية باكلتين وكان
ابو عثمان المغربى يقول الربانى ياكل مرة فى اربعين يوما والصمدانى فى ثمانين يوما
وذكر النجم الغزى فى كتابه حسن التنبه فيما ورد فى التشبه قال ومن هذا القبيل ما ذكر

ابو طالب المكي في القوت وابو حامد الغزالي في الاحيا عن ابي بكر رضي الله عنه انه
كان يطوي ستة ايام وعن عبد الله بن الزبير انه كان يطوي سبعة ايام وعن الثوري وابن
ادهم انهما كانا يطويان ثلاثة ايام وعن محمد بن عمر الغزي وعبد الرحمن بن ابراهيم دحيم
وابراهيم التيمي وحجاج بن فراصة وحفص العابد المصيصي والمسلم بن سعيد
وزهير البابي وسليمان الخواص وسهل بن عبد الله وابراهيم بن احمد الخواص ان
طيهم وصل الى ثلاثين يوما ومن اعجب ما في هذا الباب ما روي عن سهل بن عبد الله انه
اقتات بثلاث دراهم في ثلاث سنوات وعن الشيخ محي الدين العربي انه اقتات من
اول المحرم الى عيد الفطر بلوزة واحدة رضي الله تعالى عنه وعنهم ومن كثرة المجاهدات
في منع نفوسهم من الشهوات في المآكل وغيره قال القشيري في رسالته حكي عن ابراهيم
ابن سنان انه قال ما بت تحت سقف ولا في موضع عليه غلق اربعين سنة وكنت اشتهي
في اوقات شبعة عدس فلم يتفق وعن السري السقطي انه كان يقول ان نفسي تطالبني
منذ ثلاثين او اربعين سنة ان اغمس جزرة في دبس فما اطعمتها وقيل ان عصام بن يوسف
البلخي وجه شيئا الى حاتم الاصم فقبله فقيل له لم قبلته فقال وجدت في اخذه ذلي
وعزه وفي رده عزي وذله فاخترت عزه على عزي وذلي على ذله وقيل لبعضهم اني
اريد ان احج على التجريد فقال جرد اولا قلبك عن السهو ونفسك عن اللهو ولسانك عن
اللغو ثم اسلك حيث شئت وقال جعفر بن نصير دفع الى الجنيد درهما وقال
اشتر به التين الوزيري فلما افطر اخذ واحدة ووضعها في فمه ثم القاها وبكى وقال
احمله فقلت له في ذلك فقال هتف في قلبي هاتف اما تستحي تركتها من اجله ثم تعود
اليها ومن الاجتهاد في انواع العبادات كما روي ان اويس القرني رضي الله عنه قال
والله لاعبدن الله عبادة الملايكة فكان ليلة يقطعها قايما وليلة يقطعها ساجدا
وليلة راكعا وفي ذلك اشارة الى ان اوليا الله تعالى من بني ادم ترتبا هممهم الى التشبه
بالملايكة والاقتدا بهم والتساوي معهم في الطاعات كذا ذكره النجم الغزي وكفى به
حسن التنبه في التشبه وذكر القشيري انه قيل للجنيد رضي الله عنه ممن استفدت
هذا العلم فقال من جلوسي بين يدي الله تعالى ثلاثين سنة تحت تلك الدرجة واوما
الى الدرجة في داره ومعلوم ان ذلك كان بكثرة عباداته لله تعالى وقد كان رضي الله عنه
يدخل كل يوم حانوته ويسبل الستر ويصلي اربعماية ركعة ثم يعود الى بيته ونقل عن
ابي الحسين النوري رضي الله عنه انه كان يخرج كل يوم من داره ويحمل الخبز معه ثم يتصدق
به في الطريق ويدخل مسجدا يصلي الى قريب من الظهر ثم يفتح باب حانوته ويصوم
فكان اهله يتوهمون انه كان ياكل في السوق واهل السوق يتوهمون انه ياكل في بيته

وبقي

وبقي على هذا في ابتدايه عشرين سنة وقال يوسف بن الحسين اذا رايت المريد يشتغل
بالرخص فاعلم انه لا يجي منه شي وكان ابو حمزة الخراساني يقول كنت قد بقيت محرما في
عبا واحدا في كل سنة الف فرسخ تطلع علي الشمس وتغرب كلما احللت احرمت وعن
ابي علي الثقفي امام الوقت انه كان يقول لو ان رجلا جمع العلوم كلها وصحب طوايف
الناس لا يبلغ مبلغ الرجال الا بالرياضة من شيخ او امام او مودب ناصح ومن لم ياخذ
ادبه من استاذ يريه عيوب اعماله ورعونات نفسه لا يجوز الاقتدا به في تصحيح
المعاملات وعن ابي عبد الله بن خفيف انه كان يقول ربما كنت اقرا في ابتدا امري
في ركعة واحدة عشرة الاف مرة قل هو الله احد وربما كنت اقرا في ركعة واحدة القران
كله وربما كنت اخر اصلي من الغداة الى العصر الف ركعة كصيام الدهر اي العمر كله
وصيام الوصال اي المتابعة وايصال اليوم باليوم من غير فطر بينهما والقيام بالصلاة
في كل الليالي كما نقل عن سهل بن عبد الله التستري رضي الله عنه انه كان يقول حفظت
القران وانا ابن ست سنين او سبع سنين وكنت اصوم الدهر وقوتي خبز الشعير
اثني عشر سنة ثم عزمت على ان اطوي اطوي ثلاث ليال ثم افطر ليلة ثم خمسا ثم سبعا
ثم خمسا وعشرين ليلة وبقيت عليه عشرين سنة ثم خرجت اسيح في الارض سنين
ثم رجعت الى تستر وكنت اقوم الليل كله ذكره القشيري في رسالته وذكروا ايضا عن
ابي يزيد قال كنت اثنتي عشرة سنة حداد نفسي وكنت خمس سنين مراة قلبي وسنة
انظر فيما بينهما فاذا في وسطي زنار ظاهر فعملت في قطعه اثنتي عشرة سنة ثم نظرت
فاذا في باطني زنار فعملت في قطعه خمس سنين انظر كيف اقطع فكشف لي فنظرت
الى الخلق فرايتهم موتى فكبرت عليهم اربع تكبيرات وكان بعض المشايخ يصلي في
مسجده في الصف الاول سنين كثيرة فعاقه يوما عن الابتكار الى المسجد عايق فصلى
في الصف الاخير فلم ير بعد ذلك مرة فسيل عن السبب فقال كنت اقضي صلاة كذا
وكذا سنة صليتها وعندي اني مخلص فيها لله فداخلني يوم تاخري عن المسجد
من شهود الناس اياي في الصف الاخير نوع خجل فعلمت ان نشاطي طول عمري انما
كان على رويتهم فقضيت صلواتي والاجتناب اي التباعد عن انواع المشتهيات
اي ما تشتهيه النفوس والطيبات اي اللذايذ في الماكل والمشارب والملابس
والمراكب والمناكح والمساكن ونحو ذلك على حسب ما قدمناه عن بعض السادة
رضي الله عنهم وكذلك الختم للقران العظيم من اوله الى اخره في كل يوم مرة او مرتين
كما قدمناه بل مرات كثيرة كما نقل المناوي في شرح الجامع الصغير قال القسطلاني
واخبرني شيخ الاسلام البرهان ابن ابي شريف انه كان يقرا خمسة عشر ختمة

فی الیوم واللیلة وفی الارشاد ان النجم الاصبهانی رای رجلا من الیمن ختم فی شوط او اسبوع
وهذا لا یتسهل الا بفیض ربانی ومدد رحمانی واخبرنی بعض الثقات ان شیخنا العارف
عبد الوهاب الشعراوی ختم بین المغرب والعشا ختمتین واخبرنا الشیخ علی المرصفی
انه قرا فی ایام سلوکه فی یوم ولیلة ثلاثمایة الف ختم وستین الف ختم کل درجة الف ختم
انتهی ولا یستبعد هذا علی اولیا الله تعالی الذی غلبت روحانیاتهم علی جسمانیاتهم والروح
من امر الله وامر الله کلمح بالبصر کما اخبر تعالی وعرض کلمات القران کلها مع معانیها
فی لسان الولی کلمح بالبصر ما هو ببعید والله علی کل شی قدیر قلنا یعنی فی الجواب عن هذا السوال
المذکور من جهة المصنف رحمه الله تعالی ثلاثة اجوبة اولا ای جوابا اولا لا معارضة بین الوحی
القرانی والنبوی المتقدم بیانه فی الایات والاحادیث المقتضیة لطلب الاقتصار والتوسط
من المکلف فی الاعمال وغیره مما نقل عن السلف الصالحین مما ذکرناه من شدة الریاضات
وکثرة المجاهدات حتی نحتاج الی الجواب عن صنیع السلف فان ما ورد عن الشارع لا یعارضه
ما ورد عن غیر الشارع وانما نحن مکلفون باتباع الشارع فیما ورد عنه لا اتباع
غیره اذ الوحی اقوی من کل وجه ولا مناسبة بین الاقوی والاضعف وبین قول المعصوم
وغیر المعصوم فلا معارضة اذ المعارضة تقتضی التسویة ولا تسویة بینهما فعلیک یا ایها
المکلف ای الزم الاخذ ای التمسک بما ثبت عندک من الدین المحمدی بالکتاب والسنة یعنی بالوحی
القرانی والنبوی فابحث عن ذلک واحفظه واعمل به علی حسب ما کلفک الله تعالی
لتخرج بذلک من عهدة الخطاب واترک عنک النظر والتفحص عما ورد عن السلف الماضین من
الریاضات والمجاهدات فانهم اعلم منک باعمالهم وانت جاهل بما هم مطلعون علیه من احوالهم
فلا تقتدی بما لا تعلم ارجحیته من الاعمال واسکت عن البحث عنه طاویا عنهم بساط المقال
کما قال تعالی تلک امة قد خلت لها ما کسبت ولکم ما کسبتم ولا تسألون عما کانوا یعملون واحذر
من الطعن علی احد منهم واعتقاد مخالفته لما علمت من الکتاب والسنة فانهم اعلم منک بهما
واکثر فهما منک ومن امثالک لمعانیهما لقرب عهدهم بزمن النبوة وتنویر عقولهم بمعرفة الله
تعالی وزیادة الاتباع للسنة والاخلاص والیقین والتوحید والزهد ما لا یخطر لک ولا مثالک
ببال ولله در ابن الوردی حیث قال فی وصیته لابنه رحمهما الله تعالی لا تخض فی حق سادات مضوا
انهم لیسوا باهل للزلل وانما انت یا ایها الفقیه المسکین تعرف صحة من کیفیة الاعمال
الشرعیة استخلصت معرفتها من بین یدی اشتغالک بشهوات بطنک وفرجک لیلا ونهارا
فانت فرحان بها تظن انک بسببها صرت من العلما الکبار وساویت المتقدمین اهل العلوم
الالهامیة الوهبیة والاعمال الصالحة المرضیة المکتسبة بالارواح الامریة والنفوس
الطیبة الزکیة والاجسام المتغذیة بالحلال المطهرة عن الشبهات وعن الحرام محمیة

فاعمل

124

فاعمل بما ظهر لک ان اردت النصیحة ولا تدخل فی اعمال من هو اعلی منک من اولی الهمم الصحیحة
ومن این للعصفور ان یاکل من ماکل النسور فان حوصلته المعتادة علی الحبات الصغار
لا تشابه حوصلة النسر التی لا یقیتها غیر اللقم الکبار قد علم کل اناس مشربهم یعنی عذوبة
واجاجا ولکل جعلنا منکم شرعة ومنهاجا وثانیا ای جوابا ثانیا انا نمنع صحة الروایة عنهم
ای عن السلف الماضیین فیما ذکر من التشدیدات فی الریاضات والمجاهدات حیث
کانت تخالف عندنا ظواهر الکتاب والسنة علی حسب ما تقدم اذ لم یقع عنها ای عن
تلک الامور الواردة عنهم بین العلما الناقلین لها فی کتبهم بحث وتفتیش بل اکثرها
ای اکثر تلک الامور خال عن سند الی من نقلت عنه وان اشتمل بعضها علی السند الصحیح
بخلاف الکتاب العزیز فانه ثابت الان بالتواتر والاخبار النبویة فانه وقع فیها
من اهل الحدیث البحث والتفتیش الکثیر حتی صححوا اسنادهم فیها فلا مساواة
فی النقل بین ما لم یبحث عنه مما لم یتصل سند اکثره وبین ما بحث عنه حتی اتصل
سنده وعدلت رواته فکیف یتصور التعارض بین ما هذا شانه حتی یحتج به احد
ویترک الاحتجاج بما هو ظاهر الکتاب والسنة ولیس هذان الجوابان باقوی
من الثالث لان جمیع ما ورد عن السلف الماضیین رضی الله عنهم من التشدیدات
المذکورة والریاضات والمجاهدات لا تخالف شیا من الدین المحمدی اصلا بل هی واردة
فیه ایضا فی الکتاب والسنة فی حق من یقدر علیها ویتفرغ لها من غیر ان تکون
واجبة علیه لانها نفل زاید علی ما کلف به مثاب علیها کما ورد الاقتصاد والتوسط
فی الاعمال ایضا فی الکتاب والسنة فی حق من لا قدرة له ممن یخاف علیه الملل وفی
الدین تسهیل وتصعیب قال تعالی واتقوا الله حق تقاته وقال واتقوا الله ما
استطعتم وانزل الله تعالی فی حق وحشی قاتل حمزة قوله الا من تاب وامن وعمل
عملا صالحا فاولیک یبدل الله سیاتهم حسنات وکان الله غفورا رحیما فلما قریت
علی وحشی قال ان فی هذه الایة شروطا واخشی ان لا افی بها ولا اطیق ان اعمل عملا
صالحا فهل عندک شی الین من هذا یا محمد فانزل الله تعالی ان الله لا یغفر ان
یشرک به ویغفر ما دون ذلک لمن یشا فقال وحشی وانا لا ادری لعلی ان لا اکون
فی مشیته ولو کانت الایة ویغفر ما دون ذلک ولم یقل لمن یشا کان ذلک فهل عندک
شی اوسع من ذلک یا محمد فنزل قوله تعالی قل یا عبادی الذین اسرفوا علی انفسهم لا تقنطوا
من رحمة الله ان الله یغفر الذنوب جمیعا انه هو الغفور الرحیم فقال وحشی اما هذه
فنعم واسلم رضی الله عنه ولا شک ان الایة الاولی والثانیة اصعب من الثالثة لوجود

الشروط فيهما دون الثالثة والايات الثلاثة مما السبب فيها خاص والحكم عام
في حق وحشي وغيره من الامة الى يوم القيمة وقال تعالى في اية التيمم فتيمموا صعيدا
طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه فصعب سبحانه باشتراط اخذ جزء من الصعيد
ووضعه على الوجه واليدين وقال تعالى في اية اخرى فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا
بوجوهكم وايديكم ولم يقل منه فسهل سبحانه حيث لم يشترط اخذ جزء من الصعيد
كما قرره الفقها في التيمم حيث لم يحملوا فيه المطلق على المقيد كما هو من اصول مذهب الحنفية
وصنف الشعراوي رحمه الله تعالى كتاب الميزان فيما شدد فيه الشارع وما سهل بحسب
الاحكام في اختلاف المذاهب وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه عرضت عليه بطحا مكة
ذهبا فاباها فشدد على نفسه ولم ياخذ من ذلك ليستعين به في نصرة الحق ودفع
شر الكافرين مع انه كان ذلك العرض في ابتدا الاسلام وقد خطب صلى الله عليه وسلم في يوم
عزمه على غزوة تبوك فقال من جهز جيش العسرة اضمن له الجنة حتى جهزه
عثمان رضي الله عنه بماله فسهل على نفسه صلى الله عليه وسلم طلب الدنيا لمن تقع بذلك درجة
اصحابه وورد عنه صلى الله عليه وسلم صوم الوصال وكثرة الجوع حتى كان يربط الحجر على
بطنه عليه السلام وورد ايضا انه عليه السلام قام الليل كله حتى تورمت قدماه فقيل له في ذلك
فقال افلا اكون عبدا شكورا كما ورد في صحيح مسلم وشرحه للنووي في باب اكثار الاعمال والاجتهاد
في العبادة ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى حتى انتفخت قدماه فقيل له اتكلف هذا وقد
غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر قال افلا اكون عبدا شكورا وفي رواية حتى تفطرت
رجلاه ومعنى تشققت انتهى وكذلك ورد كثرة الصيام والقيام عن ازواجه امهات
المومنين كما تقدم في الحبل المربوط بين السارتين وانه لزينب رضي الله عنها
اذا فترت من قيام الليل تعلقت به ولو كان ذلك معصية لما فعلته وامر النبي صلى
الله عليه وسلم بحله للشفقة عليها رضي الله عنها لانه كان بالمومنين روفا رحيما
ولهذا عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما الذي سبق ذكره لما نهاه النبي صلى الله عليه وسلم
عن كثرة العبادة ثم لم يفهم انقلاب ذلك معصية بل قال لما كبر وددت اني كنت قبلت
رخصة النبي صلى الله عليه وسلم فسمى ما امره النبي صلى الله عليه وسلم به رخصة واما فعله
هو عزيمة ولم يسم ما امره به النبي صلى الله عليه وسلم هو الدين فقط ومن تامل ما سبق
من الايات والاحاديث كلها علم ان ذلك كله رحمة من الله تعالى بالامة ومن النبي صلى
الله عليه وسلم وترخيص للمومنين حتى لا يكون عليهم حرج في الدين فان قوله تعالى
لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم اي لا تعتقدوا حرمتها بانكار الرخصة لكم فيها فلو لم
تحرموها

يحرموها وتركوا تناولها زهدا في الشي الفاني لا معصية في فعلهم وكذلك قوله قل من حرم زينة
الله وقوله عليه السلام في اخر الحديث السابق فمن رغب عن سنتي فليس مني اي من لم يعتقد
جواز ما فعلته ورخصت فيه وفعل اشد منه في مقابلة قولهم فاين نحن من رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر يريدون بذلك يبطلون
الترخيص الشرعي فقال لهم عليه السلام ما قال وقوله عليه السلام في الحديث الذي سبق
ذكره ان الله يحب ان توتى رخصه كما توتى عزايمه صريح فيما قلناه فالحاصل ان السلف
الماضين رضي الله عنهم اختاروا ان يفعلوا العزايم في انفسهم لانهم اهل الهمم
والعزايم وكانوا معترفين بصحة الرخص الشرعية يفتون بها للعامة ويحرضونهم
على فعلها كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعل احيانا يامر بالرخص ويعمل هو العزايم
لنفسه كما اخبر في قضية صوم الوصال لما واصلوا مثله فنهاهم شفقة عليهم ورحمة
بهم ثم قال لهم لست كاحدكم اني ابيت عند ربي يطعمني ويسقيني وكان في عادة السلف
الماضين والعلما العاملين رضي الله عنهم انهم يشددون على انفسهم ويسهلون
على غيرهم من عباد الله تعالى شفقة على الناس وخوفا على انفسهم من التقصير
حتى نقل القشيري في رسالته عن رويم بن احمد رضي الله عنه انه كان يقول من حكم
الحكيم ان يوسع على اخوانه في الاحكام ويضيق على نفسه فيها فان التوسعة عليهم
اتباع العلم والتضييق على نفسه من حكم الورع وذكر ايضا عن النصرباذي رضي الله عنه
انه كان يقول اصل التصوف ملازمة الكتاب والسنة وترك الاهوا والبدع وتعظيم
حرمات المشايخ ورؤية اعذار الخلق والمداومة على الاوراد وترك ارتكاب الرخص
والتاويلات وقد ورد عن السلف رضي الله عنهم انهم كانوا يتركون من ورعهم
سبعين بابا من الحلال مخافة الوقوع في باب من الحرام وليس ذلك معصية في
حقهم بل اخذا بالعزيمة وذكر القشيري في باب الورع انه قال ابو بكر الصديق
رضي الله عنه كنا ندع سبعين بابا من الحلال مخافة ان نقع في باب من الحرام
وقال صلى الله عليه وسلم لابي هريرة كن ورعا تكن اعبد الناس وللطالبين وللصالحين
رضي الله عنهم في الورع امور كثيرة سلفا وخلفا لا تكاد تحصر وليس شي منها
معصية وما هي اقتصاد ولا توسط في العمل فليس الدين محصورا في ذلك حتى
يكون التعارض بل قال تعالى ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم
ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات الاية فجعل تعالى الاقتصاد
نوعا من الدين واهله بعضا ممن اصطفى سبحانه وكلام فقها الحنفية وغيرهم
في كراهة الرياضة بتقليل الاكل فيمن يوصله ذلك الى الهلاك والسلف رضي الله عنهم

عالمون بحرمة القا النفس الى التهلكة و قوتهم الروحانية التى كانوا يخرقون بها العادات
تقدر على اكثر من ذلك وكذلك من كان مثلهم والله يخلق ما يشا وايضا مذهب الحنفية
لا يقضى على مذاهب السلف وبالله التوفيق وثالثنا اى جوابا ثالثنا ان المنع الوارد فى
ظواهر الايات والاحاديث المتقدم ذكرها وفى قول الفقها ايضا عن التشديد فى
العبادة على حسب ما قدمناه معلل فى الشرع المحمدى بعلتين موجبتين لذلك
المنع عند العلما العلة الاولى المنع علة لميه اى ملمة نازلة حاصلة للمكلف فيجاف
منها على المكلف ان تقتضى منع ما هو مطلوب منه ولو فى حق البعض دون البعض
هى اى تلك العلة اللمية الا فضا بالفا والضاد المعجمة اى الايصال الى اهلاك النفس
وقد نهى الله عنه بقوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وذلك فى حق من لم يحتمل مقاساة
تلك التشديدات لعدم المتابعة لشيخ مرشد عالم بمزاج المريد وحاله كمن عمل
عمل بنفسه الرياضة المفرطة حتى وصل الى حالة لم يمكنه معها الدوام على تلك الرياضة
ولا العود الى حالته الاولى لفساد معدته واحتراق امعايه بثوران الحرارة وكثرة
الجفاف وربما جفت رطوبة دماغه ففسد خياله وقلت قواه العاقلة وهذه تهلكة
القى بيده اليها فهى منهى عنها بحكم الاية المذكورة والشيخ المرشد الكامل لا يوصل
المريد الى شئ من هذه المضار لانه عارف بالعلاج الشرعى والطبيعى فهو طبيب الاديان
والابدان وهو الوارث المحمدى وليس يخلوا عنه زمان من الازمان فاذا اسلم المريد نفسه
اليه وتادب معه فى الظاهر والباطن او قفه على ضرورة نفسه وسلك به فى
طريق الرياضة الشرعية منزلة منزلة حتى يتحقق بنفسه ويتخلص من وساوس
ظنه وحرسه فلا تفضى به تلك التشديدات حينئذ الى اهلاك النفس لانه لم يدخل
فيها بنفسه بل بالمرشد الكامل فيكون كصنيع السلف الماضين رضى الله عنهم اجمعين
حيث سلكوا فيها على ايدى المرشدين ولهذا لم ينقل عن احد منهم التضرر بشئ من ذلك
بل انتفعوا بها فى معالم الدين ولم يزل الامر كذلك عند السالكين على ايدى الكاملين
ولكن مراد الفقها التحذير فى العموم كما هو دابهم فى جميع القضايا نفعا لكافة
المكلفين او الافضا اى الايصال الى اضاعة اى تفويت الحق الواجب على العبد للغير
اى لنفسه فيما يرجع الى بقايها وبقا حواسها الظاهرة والباطنة ولعياله واولاده
واهله فى القيام عليهم وتربيتهم وخدمتهم وحفظهم والنظر فى مصالحهم فاذا كان
له من يقوم بمونة ذلك او استغنى عنه لعدم العيال والاهل ساغ له ذلك على يد
المرشد الكامل كما ذكرنا والا امتنع فى حقه واثم به او الافضا الى ترك العبادة لضعفه
عنها وفساد بنيته التى هو قايم بها فيها وما ادى الى ترك الفرض فهو حرام او الافضا

الى ترك سدا ومنها اى العبادة لضعفه فى المستقبل وفساد بنيته فيه ان لم يكن فى الحال
وهذا كله يبعد فى السلوك على يدى المرشد الكامل وانما معه السلامة فى البدن والدين
ان من الله تعالى على العبد بمعرفته والوصول اليه وتمييزه بين امثاله فى الخلقة الادمية
والطبيعة الانسانية والعلة الثانية علة انية بالتشديد اى حقيقية محققة
منسوبة الى ان المشددة النون المفيدة للتحقيق والتوكيد هى اى تلك العلة الانية
ان نبينا محمدا صلى الله تعالى عليه وسلم ارسل اى ارسله الله تعالى رحمة للعالمين كما قال
تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وقال تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه
ما عنتم حريص عليكم بالمومنين روف رحيم ومن رحمته صلى الله عليه وسلم بالعالمين الشفقة
عليهم والملاطفة بهم والتخفيف فى كل ما امرهم به ونهاهم عنه ولهذا سال ربه التخفيف
عنهم فى ليلة المعراج وراجع ربه حتى كانت خمسين صلاة فرجعت الى خمس صلوات وكان
يغضب من سوال الصحابة له عن الاحكام التى لم تشرع مخافة ان ينزل الله تعالى فيها
حكما يشق عليهم وكان يقول اتركونى ما تركتكم حتى انزل الله تعالى فى ذلك يا ايها الذين امنوا
لا تسالوا عن اشيا ان تبد لكم تسوكم الاية وقال لولا ان اشق على امتى لامرتهم بالسواك عند
كل صلاة الى غير ذلك فكان نهيه عليه السلام عن التشديدات فى الدين لكمال شفقته على
الامة حتى لا يكون عليهم حرج فى شئ من ذلك وهو مويد اى مسدد مقوى من عند الله
تعالى بالعناية والحفظ من التقصير فى الحقوق ومن لحوق الملل والسامة فى العبادة
فيقوى على ما اى امر من العبادة والطاعة لا يقوى عليه اى على ذلك الامر احاد الامة
حتى انه صلى الله عليه وسلم فى قضية صوم الوصال بين انه اقوى منهم عليه حين نهاهم عنه
فقال لست كاحدكم انى ابيت عند ربى يطعمنى ويسقينى كما ورد فى الحديث وله خصوصيات
افردت بالتصنيف تدل على قوته عليه السلام الحسية والروحانية ما لا توجد فى غيره وانه
عليه السلام اخشى اى اكثر خشية من الناس كلهم من الله تعالى واتقاهم اى اكثرهم تقوى
لربه واعلمهم بالله كما ورد ذلك فى الاحاديث عنه صلى الله عليه وسلم وقد مر بيانه فلا
يتصور عند المومنين به صلى الله عليه وسلم وبانه ناصح الامة منه عليه السلام البخل بعدم
بيان ما هو الاكمل من العبادات والطاعات وكتمان شئ مما امره الله تعالى ببيانه للامة
مما هو الكمال فى حقهم وترك النصح لهم فى تقرير ما ينفعهم عند الله تعالى ولا التوانى اى التضاعف
والتقاعس فى بيان الانفع ولا التكاسل فى ذلك ولا الجهل بالانفع لهم فى امر الدين من حيث
العلم والعمل فلو كان اى وجد فى امر العبادة والقرب من الله تعالى طريق يوصل الى شئ
من ذلك افضل لهم وانفع عند الله تعالى غير ما اى طريق هو صلى الله عليه وسلم عليه فيه
اى فى ذلك الطريق لفعله صلى الله عليه وسلم او بينه واوضحه للامة وحث اى حرض وحض

عليه عباد الله الذى ارسله الله تعالى اليهم ليهديهم اليه صراطا مستقيما لانه انما ارسل لذلك
ولهذا قال تعالى يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته
فنجزم حينيذ قطعا من غير شك ولا شبهة ان جميع ما اى الذى هو عليه النبى صلى الله
عليه وسلم اقوالا وافعالا واحوالا افضل عند الله تعالى وانفع للناس واقرب الى تحصيل
معرفة الله تعالى وتحصيل رضاه سبحانه من كل ما عداه مما عليه جميع الناس فى جميع الازمان
من عصره صلى الله عليه وسلم الى يوم القيمة والذى عليه صلى الله عليه وسلم هو ما تقدم بيانه
من امره عليه السلام للامة بالاقتصاد فى الاعمال والتوسط فى الاحوال بين الافراط والتفريط
كما هو سيرته فى الملا صلى الله عليه وسلم لتقتدى به الامة وتنقل عنه اخبار دينها كما قال
صلى الله عليه وسلم لما طاف راكبا على ناقته خذوا عنى مناسككم وقال صلوا كما رايتمونى اصلى
وهذا مقدار ما اطلع عليه علما الظاهر اهل النقل والرواية من سيرته صلى الله
عليه وسلم العامة واما سيرته الخاصة وباطنية شريعته صلى الله عليه وسلم مما لم تكن
عليه المنافقون فى زمنه صلى عليه السلام وبعده مما لم يعرفوه ليشاركوا فيه المومنين
فى الظاهر فهى اسرار هاصلى الله عليه وسلم لخواص اصحابه وهم اسرار وهالخواصهم
لانها انما توخذ وتتلقى بالاحوال الصادقة والاعمال المصحوبة بالاخلاص والتقوى والخشوع
والحضور كما قال تعالى واتقوا الله ويعلمكم الله وهى العلوم المخزونة والمعارف
الالهية اللدنية المكنونة التى اشار اليها صلى الله عليه وسلم بقوله ان من العلم كهيئة المكنون
لا يعرفه الا العلما بالله فاذا قالوه لا ينكره الا اهل الغرة بالله والمراد باهل الغرة الذين
ينكرونه علما العلم الظاهر من شريعته صلى الله عليه وسلم مما كان يعرفه المومنون والمنافقون
فى زمنه صلى الله عليه وسلم وبعده فيتساوى الفريقان فى العمل به ظاهرا ولنا رسالة صنفناها
فى اثباته ان العلم الباطن كالعلم الظاهر وعلم الاذواق كعلم الكراريس والاوراق ماخوذ
جميع ذلك من الكتاب والسنة سميناها التنبيه من النوم فى حكم مواجيد القوم
وقد قال صلى الله عليه وسلم فى حديث المعراج كما ذكره القسطلانى فى مواهبه وغيره وسالنى ربى
فلم استطع ان اجيبه فوضع يده بين كتفى بلا تكييف ولا تحديد فوجدت بردها فاورثنى
علم الاولين والاخرين وعلمنى علوما شتى فعلم اخذ على كتمانه اذ علم انه لا يقدر على حمله
احد غيرى وعلم خيرنى فيه وعلمنى القران فكان جبريل يذكرنى به وعلم امرنى بتبليغه الى
العام والخاص من امتى انتهى فانظر فانه لم يحصر صلى الله عليه وسلم العلم الحق فى العلم الذى
امره الله تعالى بتبليغه الى العام والخاص الذى هو علم الشرايع والاحكام على وجه
الاقتصاد والتوسط فى العلم الذى يعلمه علما الظاهر كما فعل اهل الظاهر القاصرون
وانما اخبر الصادق صلى الله عليه وسلم ان هناك علمين اخرين هما حق ايضا بل علوم شتى

كما قال

كما قال عليه السلام واما العلم الذى اخذ عليه كتمانه صلى الله عليه وسلم على النبوة
مما لا يعلم الا نبى ولهذا قال فيه اذ علم انه لا يقدر على حمله احد غيرى فبين بذلك وجه
اخذه عليه كتمانه فانه لا فايدة فى بيانه حيث لا يقدر احد على حمله اى العلم به فانه
لا يقدر الا نبى ولا نبى بعده صلى الله عليه وسلم واما العلم الذى خيره فيه فهو علم الولاية
وهو علم باطن الشريعة وحقيقتها واسرارها مما لا يوخذ الا بالتقوى وصفا المعاملة مع
الله تعالى المشار اليه بقوله تعالى فى الخضر وعلمناه من لدنا علما وقوله تعالى واتقوا
الله ويعلمكم الله وقول النبى صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين
ويلهمه رشده وهو العلم الموروث للعلما بالله من باطنية محمد صلى الله عليه وسلم
باسانيد الالهام ونقلة الكشف التام الى قلبه صلى الله عليه وسلم وباطن حاله كما ان العلم
الذى امره الله تعالى بتبليغه موروث عنه ايضا صلى الله عليه وسلم باسانيد الرواة ونقلة
المشايخ الموثقين الى فمه صلى الله عليه وسلم وظاهر فعله وهذا ابو هريرة رضى الله
عنه يقول حفظت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعايين من العلم اما احدهما فبثثته
واما الاخر فلو بثثته لقطع منى هذا البلعوم اى الحلقوم ومراده لقتلونى لحكمهم بكفرى
حيث لم يفهموا ما اشير اليه فى كلامى من حقايق المعانى واسرار الشريعة المطهرة فالوعا
من العلم الذى بثه هو علم الظاهر الذى تعرفه الفقها من احكام الشريعة المحمدية
والوعا من العلم الذى لم يبثه هو علم الباطن من حقايق الشريعة وما لا يعلمه الا المقربون
من الاوليا والصديقين والحاصل ان علم التقوى وهو العلم الماخوذ بالرياضات والمجاهدات
وحبس النفوس عن شهواتها بملازمة المراقبة والحضور علم صحيح ماخوذ عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو مدلول عليه عند اهله العلما به بالادلة من الكتاب والسنة
واعمال النبى صلى الله عليه وسلم واشارات اقواله واحوال الصحابة والتابعين والسلف
الصالحين كما ان العلم الظاهر الماخوذ بالقراة على المشايخ والرواية عنهم والحفظ
من الكتب علم صحيح ايضا مدلول عليه عند العلما بالادلة من الكتاب والسنة واقوال
النبى صلى الله عليه وسلم واعماله واقوال الصحابة والتابعين والسلف الماضيين واعمالهم
والله تعالى لم يقطع من الارض ولا يقطع ان شا الله علما كلا العلمين القايمين بهما
نيابة عن محمد صلى الله عليه وسلم حجة على المكلفين غير ان كل طايفة من اهل العلمين فيهم
القايمون بعلمهم على الوجه المرضى لله تعالى ولعباده وفيهم الفاسدون المفسدون
الضالون المضلون المتشبهون بالقسم الصالح ولبسوا منهم اللابسون ثوب الزور
فكما ان فى الصوفية فاسقون ملحدون جاهلون فى الفقها ايضا كذلك فاسقون كافرون
خبيثون ولكن لا يفسد بفسادهم ذلك النوع كله وتفسد تلك الطريقة التى يزعمون

انهم قايمون بها واذا علمنا هذا فلا يجوز لنا التجسس على اهل السو من كلا الفريقين
ولا الظن السيء باحد معين منهم ولكن نحذر على العموم من غير تقبيح معين في احد
ظاهرا ولا باطنا والله يعلم المفسد من المصلح فنحمل ما اي الذي روي عنهم اي عن السلف الماضين
رضي الله عنهم اجمعين من التشديدات والمجاهدات على انهم انما فعلوا ذلك التشديد
والتضييق على نفوسهم وغيرهم من اهل طريقهم مما يخالف ظاهر الحال الذي كان عليه صلى الله عليه
وسلم وامر به وبلغه للخاص والعام من الاقتصاد والتوسط في الاعمال كما ذكرنا اما
مداومة مداواة اي تطبيبا لامراض القلوب السقيمة بالغفلات والغرور
ليردوها بذلك الى الصحة والعافية فان القلوب تمرض كما تمرض الاجسام قال تعالى
في قلوبهم مرض وهولا المرضى قلوبهم المحتاجون الى مداواة تلك الامراض طايفة
من اهل العلم الظاهر غرتهم الحياة الدنيا وتلاعبت بهم الاغراض النفسانية فاعمتهم
عن سوا السبيل فلا حمية لهم بدلهم من حمية تلك التشديدات حتى تصلح ارواحهم
وتنتعش نفوسهم بروايح نسمات القبول في رياض الرضى بين اشجار الوصول
كما ذكر الشيخ عبد الروف المناوي في شرح الجامع الصغير عن ابي طالب المكي صاحب
قوت القلوب قال علم الباطن وعلم الظاهر اصلان لا يستغني احدهما عن صاحبه
بمنزلة الاسلام والايمان مرتبطا كل منهما بالاخر كالجسم والقلب لا ينفك احدهما
عن الاخر صاحبه وقيل علم الباطن يخرج من القلب وعلم الظاهر يخرج من اللسان
فلا يجاوز الاذان وهذا لا ينصرف اليه اسم العلما الذين هم ورثة الانبيا اذ هم
العلما العاملون الابرار المتقون الذين ال اليهم العلم الموروث بالصفة التي كان عليها
عند المورث لا من علمه حجة عليه وقد منعه سوء ما لديه من خبث نيته وسوء
طويته واتباع شهوته ان يلج نور العلم قلبه ويخالط لبه فاورده النار وبيس
الورد المورود قال بعضهم وهذه صفة علما زماننا تجدهم يجتهدون في تحسين
الهيئة والثياب الفاخرة والمراكب السنية فاذا نظر الى باطن احدهم وجد خوف
الرزق على قلبه كالجبال يكاد يموت من همه وخوف الخلق وخوف سقوط المنزلة
من قلوبهم والفرح بمدحهم والثناء عليه وحب الرياسة وطلب العلو والتبصبص
للظلمة والاغنيا واحتقار الفقرا والانفة من الفقر والاستكبار في موضع الحق
والحقد على اخيه المسلم والعداوة والبغضا وترك الحق مخافة الذل والقول بالهوى
والحمية والرغبة في الدنيا والحرص عليها والشح والبخل وطول الامل والاشر والبطر
والغل والغش والمباهاة والريا والسمعة والاشتغال بعيوب الخلق والمداهنة
والاعجاب بالنفس والتزين للمخلوق والصلف والتجبر وعزة النفس والقسوة

والفظاظ

والفظاظة والغلظة وسو الخلق وضيق الصدر والفرح بالدنيا والحزن على فوتها
وترك القنع والمراء والجفا والطيش والعجلة والحدة وقلة الرحمة والاتكال
على الطاعة وامن سلب ما اعطي وفضول الكلام والشهوة الخفية وطلب العز
والجاه واتخاذ الاخوان في العلانية على عداوة في السر والغضب اذا رد عليه
قوله والتماس المغالبة لغير الله والانتصار للنفس والانس بالخلق والوحشة
من الحق والغيبة والحسد والنميمة والجور والعدوان فهذه كلها مزابل
قد انضمت عليها طوية صدورهم وظاهرهم صوم وصلاة وزهد وانواع اعمال
فاذا انكشف الغطا بين يدي الله تعالى عن هذه الامور كان كمزبلة فيها انواع
الاقذار غشيت بالذبايح فانتنت فهذا عالم مراء مداهن يتصنع عند شهواته
فلم يقدر ان يخلص عمله ونفسه مقيدة بنار الشهوة وقلبه مشحون بهوى نفسه
وهذه كلها عيوب والعبد اذا كثرت عيوبه انحطت قيمته او لكون العبادة من
كثرة تمرين نفوسهم بها صارت عادة لهم اعتادوها وطبعا انطبعوا عليه فصاروا
لا يتكلفون لها كالغذا للصحيح البدن من الناس فانه ينتفع به في بدنه لبقا
صحته وياخذ منه حظه بنفس مقبلة منتهية فيتلذذون بها اي بالعباده
كما يتلذذ الصحيح البدن بغذايه كما ذكر السيوطي في كتابه بشرى الكييب
بلقا الحبيب عن ثابت البناني رضي الله عنه انه كان يقول اللهم ما كنت اعطيت
احدا من خلقك الصلاة في قبره فاعطنيها وانما قال ذلك من كمال لذته بعبادة الله
تعالى حتى اخرج ابو نعيم في الحلية عن سعيد بن جبير قال انا والله الذي لا اله الا هو
ادخلت ثابتا البناني لحده ومعي حميد الطويل فلما ساوينا عليه اللبن سقطت لبنة
فاذا به يصلي في قبره بلا اضاعة حق واجب عليهم لاحد من خلق الله تعالى ولا
ترك مداومة بل كانوا يبقون على ذلك الى الموت ولا اعتقاد من احد منهم انه
اي ما يفعله من التشديدات على نفسه والمجاهدات فيها افضل مما اي من الذي
كان عليه افضل البشر صلى الله عليه وسلم فعمل به من الاقتصاد والتوسط او
افضل من الذي قاله من ذلك وبينه للناس ولا شك ان من اعتقد رجحان عمله على عمل
النبي صلى الله عليه وسلم فهو كافر وحاشا السادة الايمة العارفين من شي من ذلك
بل دايما لا يرون اعمالهم الا مدخولة قاصرة وان بالغوا فيها ما عسى ان يبالغوا ولا
يرون انفسهم مع ذلك كله الا مذنبة عاصية كما نقل الشيخ ابن علان الصديقي رحمه
الله تعالى في شرحه على حكم ابي مدين رضي الله عنه ان الخاجة بهاء الدين نقشبند قدس الله
سره لما سيل عن الكرامات اي كرامة اعظم من اني مع هذه الذنوب الكثيرة امشي على وجه الارض

واما نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فهو بلغ الدرجة العليا من الكمال يعني فلا
يحتاج مع ذلك الى امثال هذه التشديدات والمجاهدات في النفوس مع انه
فعلها صلى الله عليه وسلم قبل نبوته وبعدها وكان يتحنث في غار حرا ويتبتل
الى الله تبتيلا ويواصل في صيامه ويتابع في قيامه ولم يسبقه احد من الامة
بكثرة عبادته اصلا فانه صلى الله عليه وسلم هو السابق في كل خصلة حميدة وانما السابقون
مقتدون به على كل حال وهي اي تلك الدرجة العليا من الكمال ان لا يمنع عن توجه القلب
الى جناب الرب شي مطلقا لا التكلم مع الخلق ولا الاكل معهم ولا الشرب ولا النوم ولا
ملامسة النسا اي جماعهن وتكون الخلطة مع الناس والعزلة عنهم سوا في عدم
اشتغال القلب بسوى حضرة القرب كما ورد عنه صلى الله عليه وسلم انه كان يدبر
الجيش وهو في الصلاة من غير ان يشتغل عنها وورد في حديث الجامع الصغير عن
عقبة بن الحارث قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرت وانا في الصلاة تبرا عندنا
فكرهت ان يبيت عندنا فامرت بقسمته ومعلوم انه مع ذلك لم يضيع الخشوع
والحضور في صلاته فاقتصاره عليه الصلاة والسلام على بعض العبادات الظاهرة في بعض
الاحيان بحسب ظاهر الحال لكونها افضل له صلى الله عليه وسلم ولامته باعتبار كمال
اتقانها بالتوجه بالكلية الى حضرة ذي الجلال باعتبار ان العبادة الباطنية اذا كثرت
قلت العبادة بالظاهر واذا كثرت بالظاهر قلت بالباطن ولا شك ان العبادة
بالباطن افضل من العبادة بالظاهر لان الظاهر تابع والباطن متبوع والاعمال بالنيات
وانما لكل امرء ما نوى فالسالكون تكثر عباداتهم اولا بالظاهر حتى يصلوا الى معرفة الله
تعالى فتقل عباداتهم بالظاهر ويصيرون يقتصرون على الفرايض والسنن وتكثر
عباداتهم بالباطن فيواجهون حضرة ذي الجلال والاكرام والنبي صلى الله عليه وسلم
من اعظم الواصلين الى معرفة الله تعالى فالغالب على اعماله الاقتصار بقوله ويعمل به
وتلذذه صلى الله عليه وسلم دايم مستمر لا يختص بالعبادات الظاهرة كتلذذ
اهل البدايات من السالكين باعمالهم البدنية ومجاهداتهم النفسانية بل كان له تلذذ
بشهود التجلي الحق سبحانه في جميع الامور العادية وساير الاحوال الكونية وقوله
صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي واني لاستغفر الله في اليوم سبعين مرة وفي رواية
ماية مرة باعتبار ترقيه صلى الله عليه وسلم في مراتب الشهود فالمرتبة العليا اذا كان
فيها صلى الله عليه وسلم يجد ما دونها غينا اي حجابا وهكذا وقد بلغ اي وصل بعض المشايخ
من الكاملين الى حيث كان له حظ اي نصيب من هذه الدرجة التي هي للنبي صلى الله عليه وسلم
بطريق الارث عنه فان العلما ورثة الانبيا حتى قال ذلك الشيخ المذكور من راني الان يعني

وانا

وانا واصل الى معرفة الله تعالى ومشغول بلذيذ شهوده في كل شي صار زنديقا اي
اقتدى بي في حالتي التي يفهمها مني وانا غير مقبل على العمل الظاهر ولا منهمك فيه لاشتغال
الباطن بما هو اكمل من ذلك وهو شهود الله تعالى ولذيذ مناجاته والاطلاع على لطايف
حقايقه واسراره في صفحات مصنوعاته فيظن اني كذلك بباطني ايضا غير معتن بالعمل
الظاهر فلا يعتني هو ايضا بالظاهر بظاهره وباطنه فيستخف بدين الله تعالى وشرايعه
فيصل الى رتبة الزندقة وهي عدم التدين بدين اصلا وذلك من اكفر الكفر ومن
راني قبل اي قبل الان وانا منهمك في العمل الظاهر مشتغل به مكثر منه لاحتجاب الله
تعالى عني بالاغيار وخلو باطني من لمعات البوارق الالهية والانوار صار صديقا لانه
يقتدي بي في هذه الحالة فيجاهد في نفسه ويكثر من العبادات والطاعات حتى يصل
الى مقام الصديقية وهي خلاصة الولاية حيث كان ذلك الشيخ المذكور في حال وصوله
الى مقام نهايته بقطعه مسافة نفسه وحصوله في حضرة ربه يقتصر من العبادات
الظاهرة على الفرايض من كل نوع من انواع العبادات والواجبات والسنن ويترك
ما عدا ذلك من النوافل المستحبات من كل نوع ويأكل المشتهيات وغيرها ويشرب
كذلك وينام كالعوام من حيث ظاهره قال النجم الغزي في كتابه حسن التنبه
في التشبه كاد ان يكون مجمعا عليه عند المحققين من الصوفية رضي الله عنهم ان العارف
لا يضره قلة العمل اذ يكون سيره قلبيا والا لم يكن متحققا بالمعرفة وقد ظفرت لذلك
بدليل من الحديث وهو ما رواه الطبراني عن عبد الله بن مسعود قال دخلت على النبي صلى الله
عليه وسلم فقال يا ابن مسعود اي عرى الايمان اوثق قلت الله ورسوله اعلم قال اوثق
عرى الايمان الولاية في الله والحب في الله والبغض في الله ثم قال يا ابن مسعود قلت
لبيك يا رسول الله قال اتدري اي الناس افضل قلت الله ورسوله اعلم قال فان افضل
الناس افضلهم عملا اذا فقهوا في دينهم ثم قال يا ابن مسعود قلت لبيك يا رسول الله
قال اتدري اي الناس اعلم قلت الله ورسوله اعلم قال ان اعلم الناس ابصرهم بالحق اذا اختلفت
الناس وان كان مقصرا في عمله وان كان يزحف على استه زحفا الحديث وكان
في حال بدايته يجتهد في العبادات والطاعات ويرتاض بانواع الرياضات فمن راى
اجتهاده في العبادة ليلا ونهارا يجتهد كاجتهاده حتى يصير بسبب ذلك
صديقا ومن راه في حال نهايته كما تقدم ينكر الاجتهاد ومن احوال الطريقة اصلا
اي من الاصل فيخشى في بابنا المجهول عليه الكفر بل يكفر ان لم ير الاعمال الظاهرة حقا
او استخف بها او باهلها بسببها كما ذكر الشيخ الوالد رحمه الله تعالى في شرحه على شرح
الدرر نقلا عن التتمة قال من اهان الشريعة او المسايل التي لا بد منها كفر وفي

المحيط من قال لفقيه يذكر شيئا من العلم او يروى حديثا صحيحا هذا ليس بشىء ردا
اوقال لاى امر يصلح هذا الكلام ينبغى ان يكون الدرهم لان العز والحرمة لا اليوم
للدرهم لا للعلم كفر اى لانه معارضة لقوله تعالى ولله العزة ولرسوله وللمومنين
وقوله سبحانه وكلمة الله هى العليا انتهى وبيانى نحو هذا ان شا الله تعالى ولو تاملت
يا ايها المذعن للحق اذا ظهر فيما كتبنا لك سابقا فى اوايل فصل الاقتصار فى العمل من
الايات القرانية والاحاديث النبوية واقوال الفقها الحنفية وتاملت ايضا ما
اى الذى نقل عنهم اى عن السلف الماضين من التشديدات فى العبادات وانواع المجاهدات
حق التامل بانصاف واذعان وجدت فى اكثرهما اى اكثر كل مما فى هذا الكتاب وما
ورد عن السلف وان لم يكن فى جميع ذلك اشارة الى هذا المعنى المذكور هنا فى هذا
الجواب الثالث المعلل بالعلتين المذكورتين فان تاملت ما سبق فى اول هذا الفصل
وجدت فيه الاشارة الى العلة الاولى واذا تاملت ما نقل عن السلف وجدت الاشارة
الى العلة الثانية واذا علمت هذا وتحققت فلا يخلوا اى لا ينفك جميع ما اى الذى نقل
عن السلف الماضين رضى الله عنهم اجمعين من التشديد فى العبادات
والتضييق على النفوس فى المجاهدات عن العلتين المذكورتين اصلا بل لابد ان يكون
سببه احدهما او كلاهما معا وهذا التحقيق فى هذه المسلة هو المحمل لما نقل عن السلف
الصحيح لذوى الافهام من سقم الاوهام والحق الصريح الواضح الذى هو لكل شبهة
فاضح والذى اجاب به النجم الغزى رحمه الله تعالى فى كتاب حسن التنبه فى
التشبه عن مثل هذا الاشكال الذى اشار اليه المصنف رحمه الله تعالى هنا والى
جوابه غير ما اجيب به هنا فقال فى بحث التخلق باخلاق الملايكة فى الاقتيات
بالذكر وهو ابلغ من الصيام وهو حال الصمدانيين الذين كانوا يطوون
الاربعينيات فاكثر منها ودونها بحيث يكون خارقا للعادة فيكتفون بالذكر
والفكر عن الطعام والشراب وذلك كله من باب خرق العادة والالتحاق بالملايكة
عليهم السلام فى هذا الخلق الشريف وعن بعض العلما العاملين انه قال انى لاقتات
بوردى من الذكر كما اقتات بالطعام والشراب وقال الشيخ العارف بالله شهاب
الدين السهروردى فى عوارف المعارف قيل لسهل بن عبد الله رضى الله عنه
هذا الذى ياكل فى كل اربعين واكثر اكلة اين يذهب لهب الجوع عنه قال يطفيه
النور قال وقد سالت بعض الصالحين عن ذلك فذكر لى كلاما بعبارة دلت
على انه يجد فى حارية ينطفى معه لهب الجوع قال وهذا واقع فى الخلق ان الشخص
يطرقه فرح وقد كان جايعا فيذهب عنه الجوع وهكذا فى طرق الخوف يقع ذلك

فان

فان قيل قد صح عن النبى صلى الله عليه وسلم انه نهى عن الوصال فى الصوم فقيل له فانك
تواصل فقال لست كاحدكم ان الله يطعمنى ويسقينى فهذا يخالفه ما تقدم فالجواب
ان هذا النهى انما هو فى مقام الدعوة العامة والتشريع لكافة الناس ولىلا يتخذ
الوصال سنة جارية يتعاطاه القادر عليه والضعيف عنه فيحتاج الى التكليف
فاما من كان يقتات بالذكر بحيث يستغنى عن الطعام والشراب فقد يقال فى حقه
باباحة الوصال له خاصة وعلى ذلك يخرج احوال من اسلفنا ذكرهم من السلف رضوان
الله عليهم اجمعين وقد حكى القاضى عياض رحمه الله تعالى عن ابن وهب واسحق بن راهويه
واحمد بن حنبل رحمهم الله تعالى انهم اجازوا الوصال وحكى ابن حزم ان ابن وضاح من المالكية
كان يواصل اربعة ايام واطلق اكثر الشافعية العبارة بكراهية الوصال واختلفوا اهل
هو كراهة تنزيه او تحريم على وجهين اصحهما الثانى وهو ظاهر كلام الشافعى رضى
الله عنه فانه قال بعد ان ذكر حديث النهى عن الوصال وفرق الله بين رسوله وبين
خلقه فى امور اباحها له وحظرها عليهم وكذلك مذهب ابى حنيفة ومالك رضى الله
عنهما وقال الحافظ العراقى فى شرح الترمذى واصرح ما يستدل به على عدم تحريم
الوصال ما رواه ابو داود باسناده الصحيح عن عبد الرحمن بن ابى ليلى قال حدثنى
رجل من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الحجامة
والمواصلة ولم يحرمهما اتقا على اصحابه فقيل له يا رسول الله انك تواصل الى السحر
فقال انى اواصل السحر وربى يطعمنى ويسقينى قلت وهنا اصل اصيل وهو
ان ادخال الطعام والشراب الى الجوف انما هو فى الاصل مباح وانما يندب تعاطيه
او يلزم اذا احتاج اليه الانسان من حيث ان يتقوت به ويتحفظ على حياته فاذا
اخذ الانسان منه حاجته وكفايته لم يحسن فى حقه ان يتناول زيادة عليها بل
اذا شبع منه حرم الزيادة عليه حذرا من الهلاك الذى من حذره الجى الى استعمال
الطعام والشراب اذا احتاج اليه فاذا كان فى عباد الله من رزقه الله تعالى حالة
شريفة كحالة الشبع بحيث لا يحصل له معها وهن فى بدنه ولا ضعف فى قواه
ولا توقان الى الطعام يشغله عن الذكر والطاعة فظاهر هذا القياس انه ما دام
غنيا عن الطعام والشراب بهذه الحالة لا نكلفه تناول شى من المطعومات ولا من
المشروبات حتى يحتاج اليه كما انا لا نطالب الشبعان ولا الريان بشىء من ذلك حتى
يحتاج اليه بل الدنيا وان كان الاصل فى مطعوماتها ومشروباتها الاباحة فان اشتغال
المقبل على الله تعالى بها اشتغال بما لا يعنيه فمقتضى طريقه ان لا يتناول منها
شيا الا ان يحتاج اليه ويضطر الى الاخذ منه فمهما اغناه الله عنه فلا يتناول اصلا

فمن رزقه الله تعالى حالة تغنيه عن الطعام والشراب وتدفع عنه المحذور والمرفوع بهما كما يدفعانه وزيادة ينبغي ان لا تكلفه بهما ولو واصل الصيام عمره ثم كان بعض
الطاوين من اهل الله تعالى اذا اطوى يتناول عند الغروب مفطرا ماولو قطرة ماء
عملا بالسنة وخروجا من الخلاف وعلى ذلك فينبغي ان يتناول عند السحر شيا ما
بنية السحور عملا بالسنة ايضا واغتناما لصلاة الله وملايكته كما في الحديث ان الله وملايكته
يصلون على المتسحرين وروى الحاكم في المستدرك عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال طعام المومنين في زمن الدجال طعام الملايكة التسبيح والتقديس
فمن كان منطقه يوميذ التسبيح والتقديس اذهب الله عنه الجوع وفي هذا الحديث
دليل لما ذكرناه من ان الله تعالى قد يهب حالة شريفة لبعض عباده تغنيهم عن الطعام
والشراب وان هذه الحالة تكون في فتنة الدجال لكافة المومنين وانما كانت حينيذ لعموم
اهل الايمان لان من فتنة الدجال ان يمر على البلدة فيقول لاهلها اعبدوني واتبعوني فان
اتبعوه امر السما فامطرت والارض فانبتت فكانوا في ارغد عيش والا امر السما ان لا تمطر
والارض ان لا تنبت وكانوا في اضيق عيش فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان هذه الفتنة
لا تضر المومنين اذا نطقوا بالتسبيح والتقديس لانهم يستغنون عما تمطره وتنبته
الارض انتهى والحاصل ان عمل الرياضة على وجه التشديد والتضييق لاهل التقوى والورع
والزهد والصبر والمراقبة لا يعترض عليهم فيها ولا يقال انها مخالفة للشرع فان غرض
الشرع ترك المودیات والمضرات وليس فيما يفعلونه مود ولا مضر في حقهم وان
كان ذلك موذيا ومضرا في حق غيرهم ممن ليس على قدمهم في الاخلاق الفاضلة والاحوال
الصادقة فلا تفرط يايها العبد المكلف من افرط اذا زاد في حقهم اي حق اهل الرياضات
والمجاهدات يعني في مدحهم والثنا عليهم حتى توصلهم الى الرفعة على الانبيا في كثرة عباداتهم
وسمو مقاماتهم فانه لا يصل ولي الى درجة نبي اصلا كما سياتي تحقيقه في محله من هذا
الكتاب ان شا الله ولا تفرط بالتشديد من التفريط وهو التقصير في حقهم باحتقارهم
اي استنقاص احد منهم كان حيا اوميتا علمت حاله اولم تعلم واتهم نفسك في القصور
عن معرفة اوليا الله تعالى ولا تسوء الظنون في احد منهم وقال الشيخ الاكبر محي الدين
ابن العربي قدس الله سره في كتابه شرح الوصية اليوسفية واحذر ان يخطر لك
خاطر ردي في احد من خلق الله تعالى كان ذلك الخلق من كان ممن احسن او اسا
فان النبي صلى الله عليه وسلم يقول طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس والغافل
لا يتفرغ الى غيره حتى يتفرغ عن نفسه ولا يتفرغ عن نفسه ابدا فانه مراقب لنفسه
ما يحدث الله فيها في كل نفس مستقبل مشتغل بما القى الله اليه في وقته فيها من الخير

هذا

هذا حظ المومن فكيف حظ المختص في الايمان بالاتباع كان الشيخ ابراهيم بن طريف رحمه الله
تعالى يقول لي يا ولدي ما ارى في العالم الا اوليا لله تعالى بالنظر الي فانه لا يخلو من يعرفني
ان يكون حامدا لما انا عليه او ذاما فان حمدني فاقول هذا ولي ما راني الا بصورته مما هو
عليه والحمد لله الذي اراني وليا من اوليايه وان ذمني اقول هذا رجل قد كشف الله له عن
عيبي ولا يكاشف الا ولي وهذا رجل يسمعني مما ينسب الي ومذكر حتى تتحفظ من هذه
الصفة فيما ينصح عباد الله الا ولي لله هذا كان اعتقاده في الخلق كلهم رحمهم الله فهكذا
فليكن المريد مع الناس فكيف مع شيخه ونقل صاحب كتاب تحفة الاكياس
في تحسين الظن بالناس ومن كلام سهل بن عبد الله التستري رضي الله عنه اسوء المعاصي سوء
الظن وغالب الناس لا يعده ذنبا ولا يستغفر منه وقال سيدي افضل الدين لو ان انسانا
احسن الظن بجميع اوليا الله تعالى الا واحدا منهم بغير عذر مقبول في الشرع لم ينفعه حسن
الظن عند الله تعالى ولذلك لا تجد وليا حقق له قدم الولاية الا وهو مصدق بجميع اقرانه
من الاوليا يختلف في ذلك اثنان كما انه لم يختلف في الله تعالى نبيان فمن اذى الاولياء
بسوظنه فقد خرج من دايرة الشريعة ومن كلام الشيخ ابي المواهب الشاذلي رضي الله عنه من
حرم احترام اصحاب الوقت فقد استوجب الطرد والمقت وذكر الشيخ الاكبر محي الدين
ابن العربي رضي الله عنه ان معاداة الاوليا والعلما العاملين كفر عند الجمهور وقال من عادا
احدا من الاوليا والعلما العاملين او الشرفا فقد عادى ايمانه وقال سيدي علي الخواص
رضي الله عنه من عادى احدا من الاوليا والعلما خالف ضرورة وفي مخالفة الولي والعالم
الضلال والهلاك انتهى وقد اطلنا الكلام في هذا المقام في كتابنا المطالب الوفية بما يفي بالمرام
والحاصل ان الانكار بالقلب او باللسان على احد من اوليا الله تعالى الذين هم العلما العاملون
وسواكانوا احيا او كانوا موتى وكلهم احيا عند من يعرفهم بحياة الله تعالى لا بانفسهم
وكلهم موتى من حياتهم بانفسهم سواعرفهم من ينكر عليهم اولم يعرفهم وانكر ما لم يعرف من
احوالهم الصحيحة وافعالهم المستقيمة عند الله تعالى فهو كفر صريح والمنكر كافر
باجماع المسلمين على مقتضى جميع مذاهب اهل الاسلام لانه انكر دين الاسلام والشريعة
المحمدية وهو لا يعرف انما انكر ذلك لجهله وغباوته بل يظن انه انما انكر امرا باطلا وفعلا
قبيحا تصوره في نفسه وحكم بانه فعل ذلك الولي او قوله وحكم بسببه على ذلك الولي بانه
ليس بولي وانه فاسق او كافر او ملحد او زنديق والولي في حقيقة امره من حيث ما
يعلمه الله تعالى منه بري من جميع ما اعتقده فيه ذلك المنكر وعمله في ذلك الذي انكره عليه
وقوله ذلك الذي انكره عليه ايضا ليس شي منهما باطلا في الشريعة ولا كفرا ولا الحادا
ولا زندقة بل ذلك الفعل طاعة وقربة الى الله تعالى وذلك القول قول حق وصواب وهو

محض ايمان وحقيقة معرفة وايقان ولكن سماه ذلك المنكر كفرا والحادا وزندقة لمحض
جهله وعناده وعدم اعترافه بالقصور عن علوم الاوليا ومعارف الصديقين وعدم
احساسه بطمس بصيرته وعمي قلبه عن ادراك مداركهم والكشف عن حقايق اسرارهم
ولمحات انوارهم فالمنكر يتقلب في اودية الكفر والضلال والالحاد والزندقة وهو معتقد
انه يتقلب في اودية الايمان والطاعة وارشاد الناس الى الاحتراز الى الخطا والضلال
والنصيحة والهدى وهو لا يشعر فكفره عند الله تعالى سيظهر له ولامثاله ممن يوافقه
على الانكار المذكور يوم القيمة يوم يقوم الناس لرب العلمين فانه الحاكم العادل
الذي يعلم المظلوم من الظالم ويعلم المحق من المبطل ولكن الان في الدنيا لا يحكم المنكر
هو بنفسه على نفسه بالكفر ولا امثاله يحكمون عليه بذلك لاصرار المنكرين كلهم على
عقيدة واحدة هي الانكار فالحكم عليهم بالاسلام مبني على مجرد زعمهم ذلك كما ان الحكم عليهم
بالكفر مبني على اعتقاد اهل الاسلام العارفين بكلام الاوليا المطلعين على احوالهم
الصحيحة المستقيمة ولا يعذرون المنكرين بالجهل لان لهم مندوحة عن الانكار
بايكال الامر الى الله تعالى والتسليم فيما لا يعرفه والاعتراف بان الله تعالى يعلم من احوال
الناس ما لا يعلم هو والجهل في الشريعة ليس بعذر في مثل هذا اذ هو مثل جهل اليهود
والنصارى والمجوس وعباد الاصنام بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من الحق والدين الصحيح
فانه ليس بعذر عند اهل التصديق بذلك كما انه ليس بعذر عند الله تعالى ايضا وان
كان عذرا عند اهل هذه الملل الباطلة بل في زعمهم ان ما انكروه هو الباطل وما
انكروا به هو الحق وحيث كان حكم المنكر على اوليا الله هو الكفر فيترتب على ذلك ما يترتب
على الكفر من الاحكام الشرعية كفسخ النكاح والاستتابة واهراق الدم ان اصر وكذلك
بقية احكام المرتد وهذا كله ان تحققنا منه وقدرنا عليه فان لم نتحقق وغاب عنا
نحكم برجوعه عنه نظير ما قال العلما في المرتد وقالوا بان انكار الردة توبة ولا نحكم
بالظن في احد ولا بالتجسس عليه انه منكر على ولي من اوليا الله تعالى اصلا كما انا
لا نسي الظن في احد انه يترك فرضا من الفروض ولا نتجسس عليه في ذلك ولكنا نحكم بما
نتحققه فيه فان الظن السو والتجسس حرمهما الله تعالى وحرمهما رسوله صلى الله
عليه وسلم فلا يترتب عليهما اذا فعلا حكم من احكام من الله تعالى كما ان النمام اذا نقل
القذف فهو فاسق بنقله ذلك لفعل الحرام فلا يترتب على قوله حكم اقامة الحد على المنقول
عنه لعدم عدالة الناقل بفسقه بنفس النقل او عدم وجود نصاب الشهادة فكذا
في التجسس وسو الظن بفسق فاعلهما فلا يقبل قوله في الشريعة ولو قبله من
لم يعلم حاله فان العدالة مشترط في الديانات وابتغ اي اطلب بين ذلك اي بين الافراط

في مدح الاوليا والتفريط في ذمهم سبيلا اي طريقا تسلكه في ظاهرك وباطنك يكون وسطا
بحيث لا تذمهم اصلا ولا تخرجهم عن كونهم عباد الله تعالى مخلوقين لا تاثير لهم في خرق
عادة ولا في عادة مطلقا بل هم كغيرهم من خلق الله تعالى في عدم التاثير في شي من الاشيا
ولكن الله تعالى فضلهم على غيرهم من خلقه بما يخلقه سبحانه وينسبهم اليهم من خوارق
العادات ومن العادات وهم ادنى من الانبيا لان ولايتهم ادنى من النبوة كما ان الايمان
ادنى من الولاية فالانبيا ثم الاوليا ثم المومنون وقل يا ايها المكلف الحمد لله بقلبك
ولسانك الحمد لله الذي هدانا اي دلنا وارشدنا لهذا الحق المبين والكلام المتين
الذي تقرر في هذا الفصل كله بل في هذا الكتاب جميعه وما كنا لنهتدي بانفسنا
الى ذلك لولا ان هدانا الله سبحانه بمحض فضله واحسانه بل كنا نضل كما ضل غيرنا
ممن يبيا ونيا في الادراك والتكليف من كل خسيس في الناس وشريف
الباب الثاني من الابواب الثلاثة التي اشتمل عليها هذا الكتاب في الامور
جمع امر وهو الشان والحال الذي يخص او يعم المهمة اي التي توقع في الهم والحزن
على فواتها او التي تفعل بالهمة والعزيمة في الشريعة الاسلامية وهي ما شرع الله لعباده
والظاهر المستقيم من المذاهب كالشرعة بالكسر فيهما كذا في القاموس المحمدية اي
المنسوبة الى محمد صلى الله عليه وسلم وهي اي تلك الامور المهمة ثلاثة امور نبين اي نشرح
ونوضح كلا اي على كل واحد منها اي من تلك الامور الثلاثة بتوفيق اي بسبب ذلك
والتوفيق خلق قدرة الطاعة في العبد من الله تعالى لنا يعني لا بحولنا ولا بقوتنا
في فصل مستقل على حدة غير تابع في بيانه لما قبله ولا لما بعده فتكون الفصول
ثلاثة الفصل الاول من تلك الفصول الثلاثة في تصحيح الاعتقاد اي ذكر الاعتقاد
الصحيح ولا يكون الا بالقلب واما ما يقال باللسان فهو حكاية الاعتقاد لا هو الاعتقاد
بنفسه فمن حفظه بلسانه وذكره ولم يكن صحيحا في القلب فليس هو بصاحب اعتقاد
صحيح بل حكى الاعتقاد الصحيح فنافق فيه فهو من المنافقين الذين يقولون بالسنتهم
ما ليس في قلوبهم سوا عرف انه كذلك او لم يعرف ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ان
الايمان ليخلق في جوف احدكم كما يخلق الثوب فاسلوا الله تعالى ان يجدد الايمان في
قلوبكم اخرجه الطبراني في المعجم الكبير والحاكم عن ابن عمر رضي الله عنهما ذكره الاسيوطي
في الجامع الصغير وقد نقل السنوسي في شرح الجزايرية عن ابن دهاق شارح الارشاد
للامام الحرمين ان النفاق على قسمين نفاق يعلمه صاحبه ونفاق لا يعلمه صاحبه
كفا قا من جهل العقايد الصحيحة وبين ذلك بيانا شافيا وتطبيقه اي الاعتقاد
بمعنى موافقته ومساواته لمذهب اي لما ذهب اليه اهل السنة اي الطريقة والسيرة

المحمدية وهى عامه شاملة للاقوال والافعال والاحوال واهل الجماعة من الاجتماع
والجماعة جماعة الصحابة والتابعين وتابعى التابعين ومن بعدهم من المتبعين
للنبى صلى الله عليه وسلم قال النجم الغزى فى حسن التنبه فى التشبه والمراد بطريق
اهل السنة والجماعة ما كان عليه النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه الكرام وهو ما عليه
السواد الاعظم من المسلمين فى كل زمان وهم الجماعة والطايفة الظاهرون على الحق
والفرقة الناجية من ثلاث وسبعين فرقة روى اصحاب السنن وصححه الترمذى
عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال افترقت اليهود على احدى
وسبعين فرقة وتفرقت النصارى على اثنين وسبعين فرقة وتفرقت امتى
على ثلاث وسبعين فرقة وروى هذا الحديث من طرق اخرى كثيرة منها رواية عبد
الله بن عمر وقال فيها كلهم فى النار الا ملة واحدة قالوا من هى يا رسول الله قال ما انا
عليه واصحابى حسنه الترمذى ومنها رواية معاوية رضى الله عنه وقال فيها اثنتان
وسبعون فى النار وواحدة فى الجنة وهى الجماعة رواه ابو داود وغيره ومنها
رواية ابن عباس رضى الله عنهما وقال فيها كلها فى النار الا واحدة فقيل وما هى
الواحدة فقبض على يده وقال الجماعة فاعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا
رواه ابن ماجة وغيره وقوله فى الاية والحديث ولا تفرقوا اى فى اصول الديانات
والاعتقاد كما روى عن ابن مسعود وغيره وقيل المعنى ولا تفرقوا متابعين
للهوى والاغراض المختلفة وعليهما فليس فى الاية نهى عن الاختلاف فى الفروع و
الاحكام اذ المنهى عنه انما هو اختلاف يودى الى افساد وتقاطع وليس ذلك الا
فى الاختلاف فى العقايد والاصول واما الاختلاف فى مسايل الاجتهاد فانه سبب
لاستخراج الحقوق والفرايض وظهور دقايق الشريعة ولم تزل الصحابة
مختلفين فى احكام الحوادث وهم مع ذلك متواصلون ~~وهم وفى اختلا~~ وفى
الحديث اختلاف امتى رحمة كما نقله خلايق من العلما منهم الشيخ نصر المقدسى
والحليمى والبيهقى وامام الحرمين ومن هذا القبيل اختلاف الايمة الاربعة رضى الله
عنهم وكلهم على هدى من ربهم ورحمة وهم مثابون ماجورون لهم اجورهم ومثل
اجور اتباعهم رضى الله تعالى عنهم ومن هذا القبيل ايضا اختلاف العلما فى العلوم
الشرعية وما يحتاج اليه فيها حيث منهم من مال الى الحديث ومنهم من مال الى
التفسير ومنهم من مال الى الفقه ومنهم من مال الى العربية وكذلك اختلاف الصوفية
رضى الله عنهم فى رياضات النفوس وتربية المريدين كل واحد منهم سلك هو
ومريده طريقة فمنهم من سلك طريقة المجاهدات ومنهم من سلك طريقة

المعاملات

المعاملات وقد قال الشيخ نجم الدين الكبرى رحمه الله تعالى الطرق الى الله عدد انفاس
الخلايق اى من حيث السلوك لا من حيث الاعتقاد فان عقايد اوليا الله تعالى
متواردة على عقيدة واحدة وهى عقيدة اهل السنة والجماعة وكذلك اختلاف
اهل الصنايع والحرف فى صنايعهم وحرفهم كل ذلك داخل فى قوله صلى الله عليه وسلم
اختلاف امتى رحمة واما اختلافهم فى الاصول فانه عذاب كما قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الجماعة رحمة والفرقة عذاب وذكر الشيخ الامام العارف بالله تعالى
احمد بن محمد المدنى المعروف بالقشاشى رحمه الله تعالى فى الجواب الشافى عن السوال
الموافى فى معنى المراد من اهل السنة والجماعة ان المخصوص بالهداية المجتمعون
على الكتاب والسنة المنتهون عن الاختلاف والفرقة الاخذون بالوارد لا بالعقل
المثير للمرآء والخصومات فى دين الله فالقايم على ذلك بشهادة من الكتاب والسنة
وهو متابعة ما عليه النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه وتابعوهم قولا وفعلا بصريح الوارد
ومحكماته ومسلما له تسليما عازلا لهواه وعقله عند ذلك هو من اهل السنة والجماعة
ومسمى بذلك بالنص المذكور وان فرط منه شى من القصور والمخالفة تداركه بالرجوع الى
الله تعالى والحكم للغالب من حاله فاذا كان الغالب المحافظة على ذلك فالحكم للغالب ثم
بسط الكلام فى بيان ان المراد من اهل السنة والجماعة من تابعوا الوارد فى الكتاب والسنة
واعتقدوه ايمانا واذعانا ولم يعتقدوا امرا مستفادا من تحكمات العقول والآرآ وان
المراد بالفرق الضالة والطوايف المبتدعة من تابعوا عقولهم وآراهم فى معانى الوارد فى الكتاب
والسنة ولم يبقوا ذلك على مراد الله تعالى ورسوله ويعتقدوه كذلك وذكر امثلة لذلك من
كلام الفريقين على مقتضى المذهبين وجملته اى جملة مذهب اهل السنة والجماعة فى العقايد
يعنى محصله وملخصه اذ لا يمكن استقصا ذلك مبسوطا فى هذا الكتاب للخروج عن مقتضى
الاختصار ان الله تعالى واحد اى موصوف بالوحدانية وهى تقال على خمسة انواع النوع
الاول الوحدانية فى الذات والمراد بها انتفا الكثرة عن ذاته تعالى بمعنى عدم قبولها
الانقسام وفى الارشاد لامام الحرمين الرب تعالى واحد والواحد فى اصطلاح الموحدين
الشى الذى لا ينقسم ولو قيل الواحد هو الشى لوقع الاكتفا بذلك والرب تعالى موجود فرد
متقدس عن قبول التبعيض والانقسام وفى بحر الكلام للامام النسفى ومعنى الواحد
الموجود الذى لا بعض له ولا انقسام لذاته فان الله تعالى واحد لا من جهة العدد
يدل عليه انه تعالى لو كان واحدا من جهة العدد لكان ابعاضا فامتنع ان يكون الها واحدا
والنوع الثانى الوحدانية فى الصفات والمراد بها انتفا النظير له تعالى والشبيه والمثيل
فى كل صفة من صفاته فيمتنع ان يكون له تعالى علوم وقدرات وارادات متعددة

متكثرة بحسب المعلومات والمقدورات والمرادات بل علمه تعالى واحد ومعلوماته
كثيرة وقدرته واحدة ومقدوراته كثيرة وارادته واحدة ومراداته كثيرة
وعلى هذا جميع صفاته وكذلك يمتنع ان يكون لغيره تعالى صفة من صفاته تعالى
او مثل صفة من صفاته تعالى او يتصف تعالى بصفة من صفات خلقه سبحانه او مثل
صفة من صفات خلقه سبحانه والنوع الثالث الوحدانية في الاسما والمراد بذلك امتناع
المشابه والمماثل له تعالى في كل اسم تسمى به سبحانه من حيث هو مسمى به وان جاز اطلاق
بعض اسمايه تعالى على غيره من خلقه والفرق بين الاسم والصفة ان الصفة تتقدم على الاسم
فالصفة اسم غير ظاهر فاذا ظهر انطلق عليه الاسم فان الرحمة كانت سابقة على الاسم الرحمن فلما
رحم على الازل تسمى رحمانا والنوع الرابع الوحدانية في الافعال وذلك وجوب انفراده تعالى باختراع
جميع الكاينات عموما وامتناع استناد التاثير لغيره تعالى في شي من الممكنات اصلا
فكل ذات من ذوات المخلوقات وكل صفة وكل اسم وكل فعل وكل حكم حادث جميع ذلك
مخلوق لله تعالى وحده لا يشاركه في شي من ذلك مشارك اصلا لا طبيعة ولا كوكب ولا
قوة ولا سبب مطلقا والنوع الخامس الوحدانية في الاحكام كما قال تعالى والله
يحكم لا معقب لحكمه والحكم هو الامر والنهي وهو واحد ولكنه كثير بالمتعلقات من
احوال المكلفين وحكمه قديم ولكنه تبين في الخلق لا حدث وهو الذي انزل الكتب
وشرع الشرايع وبعث النبيين يبلغون عنه قوله ويحكمون بحكمه فالاحكام كلها راجعة
الى قوله الحق ومستندة الى خبره الصدق وهو الذي ينفذها على يد من يشا من خلقه
في الدنيا وينفذها في الاخرة من غير واسطة وهو الذي حكم بسعادة من يسره لطاعته
وحكم بشقاوة من يسره لعداوته ومخالفته وهو الذي حكم بترتيب الاسباب وتوجيهها
الى المسببات بترتيب العادة وهو الذي حكم بالكفر على الكفار وبالايمان على المومنين
وبالفسق على الفاسقين وبالنفاق على المنافقين وبالطاعة على المطيعين
وبالاخلاص والتقوى على المخلصين والمتقين له الحكم واليه ترجعون ان الحكم الا لله
يقص الحق وهو خير الفاصلين اليس الله باحكم الحاكمين ومن احسن من الله حكما
ان ربك يقضي بينهم بحكمه ومن هنا قلنا بوحدانية الحكم لوروده كذلك في هذه الايات
وان جاز اطلاق تعدده لكثرة انواعه بكثرة متعلقاته وتمام هذه الابحاث في كتابنا
المطالب الوفية لا يشبهه سبحانه وتعالى شي اصلا وهو تاكيد لصفة الوحدانية كما
ذكرنا ثم اكد ذلك ايضا بقوله ليس سبحانه وتعالى بجسم وهو المركب من الجزء الذي
لا يتجزى وادنى التركيب من جزئين فصاعدا وعند البعض لا بد من ثلاثة اجزا لتحقق
الابعاد الثلاثة اعني الطول والعرض والعمق وفي شرح الصحايف قال اهل السنة الجسم

هو

133

هو متحيز قابل للقسمة فعلى هذا يكون المركب من جوهرين فردين جسما عندهم انتهى ومعلوم
ان كل مركب حادث والله تعالى يستحيل في حقه الحدوث فليس بجسم سبحانه ولا عرض
ايضا بالعين المهملة والرا محركة وهو ما لا قيام له بذاته والمراد ليس هو تعالى عرضا
ولا صفة من صفاته تعالى ايضا عرضا ولا اسم من اسمايه ولا فعل من افعاله ولا حكم من
احكامه لان العرض لا يقوم بذاته بل يفتقر الى محل وهو الجسم يقومه اي يجعله قايما فوجود
العرض في نفسه هو وجوده في الجسم فلو كان الله تعالى عرضا لاحتاج الى محل يقومه
فكان ممكنا لا واجبا وهو محال ولان العرض يمتنع بقاوه والا لكان المعنى البقا معنى قايما
به فيلزم قيام المعنى بالمعنى وهو محال لان قيام العرض بالشي معناه ان تحيزه تابع
لتحيزه والعرض لا تحيز له بذاته حتى يتحيز غيره بتبعيته وذلك محال على الله تعالى
الذي يجب بقاوه سبحانه ولا جوهر وهو الجزء الذي لا يتجزى عند اهل السنة والجماعة
وعند الحكما الجوهر اما جرماني مادي او روحاني مجرد عن المادة فالجرماني هو الجسم واجزاوه
الهيولى والصورة والروحاني العقول والنفوس المجردة والله تعالى يستحيل عليه
شي من ذلك كله اما عندنا فلان الجوهر جزء من الجسم والله تعالى متعال ان يكون جزءا واما
عندهم فلان الجوهر من اقسام الممكن وهو الماهية الممكنة التي اذا وجدت كانت لا في موضوع
وليس الله تعالى بممكن بل هو واجب وايضا لم يرد في الشرع اطلاق الجوهر على الله تعالى مع
تبادر الفهم على اطلاقه عند النصارى بالمعنى الذي يجب تنزيه الله تعالى عنه ولا مصور
اي ذو صورة لان ذلك من خواص الاجسام يحصل لها بواسطة الكميات والكيفيات واحاطة
الحدود والنهايات والصورة المنفية عنه تعالى سوا كانت في الظاهر او في الذهن وكان الشيخ
ابو اسحق الاسفراييني رحمه الله تعالى يقول جميع ما قاله المتكلمون في التوحيد قد جمعه اهل
الحق في كلمتين الاولى اعتقاد ان كلما تصور في الاوهام فالله تعالى بخلافه والثانية
اعتقاد ان ذاته سبحانه ليست كالذوات ولا معطلة عن الصفات ولا متناه اي لا نهاية
في زمان او مكان لان ذلك من صفات المقادير والاعداد المستحيلة عليه تعالى ولا متحيز
اي له اجزا يسمى باعتبار تاليفه منها متركبا وباعتبار انحلاله اليها متبعضا ومتجزيا لما في
كل ذلك من الاحتياج المنافي للوجوب ولا يطعم اي ياكل من طعمه كسمعه طعما وطعاما
ولا يشرب لما في ذلك من الاستمداد بغيره وهو من مقتضيات الاجسام قال
تعالى وهو يطعم ولا يطعم وقالوا في قوله تعالى الله الصمد انه الذي لا يحتاج الى الطعام
والشراب وقال البيضاوي انه السيد المصمود اليه في الحوايج من صمد اذا قصد وهو
الموصوف به على الاطلاق فانه يستغني عن غيره مطلقا وكلما عداه محتاج اليه في جميع
جهاته لم يلد لانه لم يجانس ولم يفتقر الى ما يعينه او يخلف عنه لامتناع الحاجة والفنا

عليه ولعل الاقتصار على لفظ الماضي لوروده ردا على من قال الملائكة بنات الله والمسيح
ابن الله او ليطابق قوله ولم يولد وذلك لانه لم يفتقر الى شي ولا يسبقه عدم ولم يكن له
كفوا احد اي ولم يكن له احد يكافيه او يماثله من صاحبة وغيرها قاله البيضاوي وفي حقايق
السلمي قال ابن عطا قل هو الله احد ظهر لك منه التوحيد الله الصمد ظهر لك منه المعرفة
لم يلد ظهر لك منه الايمان ولم يولد ظهر لك منه الاسلام ولم يكن له كفوا احد ظهر لك منه اليقين
وقال بعضهم الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد الذي لا نظير له في ذات ولا فعل وقال
ابو بكر الرازي سمعت ابا علي الروذباري يقول وجدنا الشرك على ثمانية انواع على النقص
والتقلب والكثرة والعدد والعلة والمعلول والاشكال والاضداد فنفى عز وجل عن
صفته وذاته نوع الكثرة والعدد بقوله قل هو الله احد ونفى النقص والتقلب بقوله
الله الصمد ونفى العلة والمعلول بقوله لم يلد ولم يولد ونفى الاشكال والاضداد بقوله
ولم يكن له كفوا احد وقال ابن عطا لم يلد دليل الفردانية ولم يولد دليل الربوبية وقال
جعفر جل ربنا ان تدركه الاوهام والعقول بل هو كما وصف نفسه والكيفية عن صفة
غير معقول فسبحانه ان تصل الفهوم والعقول الى كيفيته كل شي هالك الا وجهه
والبقاء الابدية والسرمدانية والوحدانية والمشيئة والقدرة له تبارك وتعالى قال الواسطي
نفى الحقايق والاحاطة ثم اكده بقوله لم يكن له كفوا احد فلا يشار الى ما لا كفو له بوجه كيف
يطلق اللسان بما لا كفو له ولا مثل الا الاثبات دون المباينة وكيفية الصفات ولا يتمكن
سبحانه وتعالى اي ويسكن بمكان اي في مكان وهو ما استقر عليه الجسم والحيز هو
ما ملاه الجسم فالمكان والحيز امران نسبيان من لواحق الاجسام وتوابعها حتى لو فرض
ان الاجسام لم تخلق لم يخلق المكان ولا الحيز فالمكان تستقر عليه الاجسام لا فيه
فان كانت فيه فتلك الاحياز والله تعالى يستحيل عليه ان يكون في مكان اي مكان
كان في السما والارض لان المكان لا يفتقر اليه الا الجسم والله تعالى لو افتقر الى مكان
لكان جسما ويستحيل عليه تعالى ان يكون جسما لان الاستوا في قوله تعالى الرحمن على العرش
استوى ليس معناه ان استوا الله تعالى كاستوا الاجسام لانه تعالى ليس بجسم كما
تقدم بل استوا يليق به تعالى وبكمال تنزيهه عن مشابهة كل شي قال النسفي في
بحر الكلام لان الله تعالى كان قبل ان يخلق العرش فلا يجوز ان يقال بانه انتقل الى
العرش لان الانتقال من صفات المخلوقين وامارات المحدثين والله تعالى منزه عن ذلك
ولان من قال بالاستقرار على العرش فلا يخلو اما ان يقول انه مثل العرش او العرش
مثله او العرش اكبر منه او هو اكبر من العرش واي كان فقايله كافر لانه جعل الله تعالى
محدودا وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه سيل اين كان ربنا قبل ان يخلق العرش

فقال

فقال اين سوال عن المكان وكان الله تعالى ولا مكان ولا زمان وهو الان كما كان وقالت
الجهمية ان الله تعالى في كل مكان وفي شرح العمدة وقول المعتزلة وجمهور النجارية انه تعالى
في كل مكان بالعلم والقدرة والتدبير دون الذات باطل لان من يعلم مكانا لا يقال انه في ذلك
المكان بالعلم ولا يجري اي يمر عليه سبحانه وتعالى زمان ومعنى الزمان عندنا اقتران متجدد
بمتجدد اخر فالزمان نسبة بين الشيئين المتجددين متاخرة عنهما والله تعالى ليس
بمتجدد بل هو قديم ازلي فليس للموجود الاول المتجدد الحادث اقتران به فلا زمان بينه
وكذلك للموجود الثاني وما بعده الى ما لا نهاية له من الحوادث المتجددة بل هو تعالى سابق
على كل شي من الاشيا الماضية والحالة والمستقبلة سبقا واحدا لا تفاوت فيه وليس له تعالى
جهة من الجهات الست التي هي فوق وتحت ويمين ويسار وقدام وخلف لانه تعالى ليس بجسم
حتى تكون له جهة كما للاجسام والجهة عند المتكلمين هي نفس المكان باعتبار اضافة جسم
اخر اليه ومعنى كون الجسم في جهة كونه مضافا الى جسم اخر حتى لو انعدمت الاجسام كلها لزم
من ذلك انعدام الجهات لان الجهات من توابع الاجسام واضافاتها وحيث انتفى عن الله تعالى
المكان والزمان انتفت الجهات كلها عنه تعالى ايضا لان جميع ذلك من لوازم الجسمية
وهي مستحيلة في حقه تعالى والا كان تعالى مشابها للحوادث ولا هو اي الله تعالى
في جهة منها اي من تلك الجهات الست لانه تعالى ليس بجسم ولا يحتاج الى الجهات
الا الجسم وذكر بعضهم ان جملة العالم ليس في مكان ولا جهة والا تسلسل واذا كان
هذا في جملة العالم الذي هو حادث مخلوق فكيف في الرب الخالق سبحانه وتعالى
يكون له مكان او جهة تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وفي شرح العقايد للسعد واعلم
ان ما ذكره في التنزيهات بعضها يغني عن بعض الا انه حاول التفصيل والتوضيح
في ذلك قضا لحق الواجب في باب التنزيه وردا على المشبهة والمجسمة وساير
فرق الضلال والطغيان بابلغ وجه واوكده فلم يبال بتكرير الالفاظ المترادفة
والتصريح بما علم بطريق الالتزام ولا يجب اي لا يلزم عليه تعالى شي لغيره سبحانه
من ثواب او عقاب او فعل صلاح او اصلح او فساد او افسد بل هو الفاعل العدل
العدل المختار ويخلق الله ما يشا ويختار وفي شرح الطوالع للاصفهاني واما
اصحابنا فقالوا الثواب على الطاعة فضل من الله تعالى والعقاب على المعصية
عدل منه تعالى وعمل الطاعة دليل على حصول الثواب وفعل المعصية علامة العقاب
ولا يكون الثواب على الطاعة واجبا على الله تعالى ولا العقاب على المعصية لانه
لا يجب على الله شي وكل ميسر لما خلق له فالمطيع موفق ميسر لما خلق له وهو الطاعة
والعاصي ميسر لما خلق له وهو المعصية وليس للعبد في ذلك تاثير وقال السعد

في شرح المقاصد طاعة العبد وان كثرت لا تفي بشكر بعض ما انعم الله تعالى عليه فكيف
يتصور استحقاق عوض عليها ولو استحق العبد بشكره الواجب عوضا لاستحق
الرب على ما يوليه من الثواب عوضا وكذا العبد على خدمته لسيده الذي يقوم
بمونته وازاحة علله والولد على خدمته لابيه الذي يربيه على مراعاته وتوخي
مرضاته وايضا لو وجب الثواب والعقاب بطريق الاستحقاق لزم ان
يثاب من واظب طول عمره على الطاعات والرشد والعياذ بالله تعالى في اخر الحياة
وان يعاقب من اصر دهرا على كفره واخلص الايمان في اخر عمره ضرورة تحقق
الوجوب والاستحقاق واللازم باطل بالاتفاق وقال الاصفهاني ولا يجب
عليه تعالى شي لان الوجوب حكم والحكم لا يثبت الا بالشرع ولا حاكم على الشارع
فلا يجب عليه شي ولانه لو وجب عليه شي فان لم يستوجب الذم بتركه لم يتحقق
الوجوب لان الوجوب هو كون الفعل بحيث يستحق تاركه للذم وان استوجب بتركه
الذم كان الباري تعالى ناقصا لذاته مستكملا بفعله فانه حينيذ يخلص بفعله
من المذمة وهو محال والمعتزلة اوجبوا على الله تعالى امورا منها اللطف ومنها
الثواب على الطاعات ومنها العقاب على الكباير قبل التوبة ومنها ان يفعل الاصلح
لعباده في الدنيا ومنها ان لا يفعل القبيح عقلا وقد عرفت فساد ذلك فانه لا قبيح
بالنسبة الى الله تعالى وفي شرح العقايد للسعد ثم ليت شعري ما معنى وجوب
الشي على الله تعالى اذ ليس معناه استحقاق تاركه الذم والعقاب وهو ظاهر
ولا لزوم صدوره عنه بحيث لا يتمكن من الترك بنا على استلزامه محالا من سفه
او جهل او عبث او بخل او نحو ذلك لانه رفض لقاعدة الاختيار وميل الى الفلسفة
الظاهرة العوار وقال السنوسي رحمه الله تعالى في شرح الجزايرية ان الذي اوقع المعتزلة
في الضلالات كايجاب الثواب وفعل الصلاح والاصلح على الله تعالى اعتمادهم في عقايدهم
على التحسين والتقبيح العقليين وقياسهم افعال الله تعالى واحكامه على افعال
المخلوقين واحكامهم من غير ان يكون في ذلك جامع يقتضي التسوية في الاحكام
والذي اجمع عليه اهل الحق ان الافعال كلها مستوية بالنسبة الى تعلق قدرة الله تعالى
وارادته بها وكذا هي ايضا مستوية بالنسبة الى تعلق احكامه تعالى الشرعية
بها فلا يتصف شي منها بالحسن لذاته او صفته كما لا يتصف شي منها بالقبح لذاته
وصفته فلا يجب اذا شي منها عقلا على الله تعالى ولا يستحيل وكذا لا مجال للعقول
في ادراك حكم شرعي لها فليس الحسن شرعا عندا اهل الحق الا ما قيل فيه من جهة مولانا
عز وجل افعلوه ولا القبح شرعا الا المقول فيه من جهته لا تفعلوه وتخصيص كل

واحد من الافعال بما اختص به من الاحكام لا علة له ولا غرض يبعث عليه وللشرع حكم
ان يقله نتبعه في ذلك وان سكت فلا مجال لعقولنا في ذلك اصلا ولا يحل اي يسكن
فيه سبحانه وتعالى اي في حضرة ذاته العلية او في صفة من صفاته او في اسم من
اسمايه او في فعل من افعاله او حكم من احكامه حادث من الحوادث اصلا لان
جميع الحوادث كاينة به تعالى لا بنفسها ولا بغيره سبحانه وتعالى واذا كانت به كان
هو فاعلا لها فلا يتصور ان يكون الفاعل محلا للمفعول والا لما كان فاعلا
وهو محال والحاصل انه يستحيل ان يكون الله تعالى محلا للحوادث او الحوادث
محلا له او متحدة معه او متحدا معها واذا بطل الحلول فالاتحاد بطل بالطريق
الاولى لانه اذا استحال قيامه تعالى بشي وحلوله فيه استحال اتحاده بذلك
الشي بحيث يصيران شيا واحدا والاتحاد محال مطلقا في القديم والحادث
كما ذكره المقري رحمه الله تعالى في حاشيته على شرح السنوسية والحلول على ثلاثة
انواع حلول النصارى وحلول اليهود وحلول الباطنية ومن الباطنية الدروز
والتيامنه والنصيرية وامثالهم خذلهم الله تعالى فحلول النصارى اعتقادهم
بان الاله سبحانه حال في عيسى عليه السلام حلول الصفة في الموصوف على تفصيل
ذكرناه مع رده في كتابنا المطالب الوفية وحلول اليهود اعتقادهم ان الاله
تعالى مستقر على العرش وقد تعب واعيا من خلق السموات والارض وقريب منه
اعتقاد المجسمة والمشبهة الذين يعتقدون ان الله تعالى جسم ويقولون انه
في السما واما حلول الباطنية فهو كما قال المقري رحمه الله تعالى بان الباطنية
هم القايلون بان الحق سبحانه يحل في الانسان فتنكشف له الحقايق ولا يحل
في الذات الا المعاني وهم كفار انتسبوا لاهل التصوف واخذوا ذلك من شطحات
لهم **حكيم** هو الذي يعلم المناسبة بين الاشيا بين الاشيا فيضع كل شي
موضعه ذكره النجم الغزي في حسن التنبه في التشبه وفي شرح الاسما لليافعي
رحمه الله تعالى الحكيم وصف مبالغة من الحكمة التي هي العلم فمعناه العليم او بمعنى
المحكم فهو مشتق من الاحكام وهو الاتقان او بمعنى الحاكم فهو مشتق من الحكم
الذي هو المنع لا يفعل شيا في الحس او في العقل في الدنيا او في الاخرة الا لحكمة
وهي كما قال اليافعي ترجع الى العلم بالاسرار والاحكام والى الاتقان للصنع والاحكام
والى الحكم الحق النافذ على الانام وفي القاموس الحكمة بالكسر العدل والعلم والحلم
والقران واحكمه اتقنه ومنعه عن الفساد وفايدة اي عاقبة حميدة ترجع الى
عباده لانه الغني عن العالمين **فعال** صيغة مبالغة اي كثير الفعل لما يشا

سبحانه بعباده من خير او شر او نفع او ضر وقال البيضاوى فى قوله تعالى فعال
لما يريد ما يمتنع عليه مراد من افعاله وافعال غيره بلا ايجاب لشئ من الافعال
عليه تعالى بل كل ذلك جايز فى حقه اذ لا معنى للايجاب كما قدمناه منزه سبحانه
وتعالى ازلا وابدا من التنزه وهو التباعد والاسم النزهة بالضم ونزه الرجل
ككرم وضرب تباعد عن كل مكروه فهو نزيه واستعمال التنزه فى الخروج
الى البساتين والخضر والرياض غلط قبيح كذا فى القاموس ويمكن ان يكون
له وجه بانهم كنوا به عن ذلك ومرادهم التباعد عن الهموم والاحزان بسبب
روية ذلك وتفريج الضيق عنهم او باعتبار قصدهم المكان البعيد فانه
انزه عند النفوس من القريب فسمى تنزها لانه تبعد عن الوطن عن صفات
النقصان التى توجب انحطاطا فى مراتب الالوهية كالجهل والعجز والصمم والعمى
ونحو ذلك كلها ما علم منها وما لم يعلم متصف جل وعلا ازلا وابدا بصفات الكمال
الواجبة له تعالى كالعلم والقدرة والسمع والبصر ونحوها كلها على حسب ما ورد فى الكتاب
والسنة وليس له سبحانه وتعالى كمال متوقع بصيغة اسم مفعول اى منتظر وقوعه
وحصوله يعنى كما لا حادثا لانه تعالى قديم ولا يوصف القديم بحادث والا كان تعالى
حادثا ليماثل ما اتصف به وهو محال قديم واختلفوا فى معنى القدم فقيل هو صفة
سلبية معناه سلب العدم السابق على الوجود يعنى لم يسبق وجوده تعالى عدم اصلا
وهذا هو القدم المخصوص بالالوهية واما القدم الزمانى فهو مرور الازمنة على الشئ
مع بقايه فيها كالعرجون القديم وقيل هو من الصفات النفسيه ورد بانه لو كان
كذلك لما عرى عنه موجود اذ الصفة النفسية لا تعقل الذات بدونها فيلزم ان
لا تعقل ذات شئ اصلا بدونها واللازم باطل فكذا الملزوم لان ذوات الحوادث معقولة
وليست بقديمة وقيل هو صفة معنى ثبوتى موجود زايد على الذات كالقدرة
والارادة ورد بانه يلزم عليه التسلسل باتصاف القدم بقدم وهلم جرا وقيام المعنى
بالمعنى والراجح الاول ازلى منسوب الى الازل وهو بالتحريك القدم وهو ازلى او اصله
يزلى منسوب الى لم يزل ثم ابدلت اليا الفا للخفة كما قالوا فى الرمح المنسوب الى ذى
يزن ازنى كذا فى القاموس ومعنى الازل عند المحققين حضرة الله تعالى التى هو
موجود فيها حيث لا ماضى ولا مستقبل ولا حال بالنسبة اليها ولا مكان ولا جهة
فكما ان شيا من الحوادث لا يمكن ان يوجد فيها لا يمكن ان يوجد هو سبحانه وتعالى فى الزمان
او المكان او الجهة فالزمان والمكان والجهة حضرة المخلوق وحده والازل حضرة الله
تعالى وحده فليس الله تعالى موجودا فى حضرتنا بل فى حضرته الخاصة به وهى الازل

136

د بعض الازليه والابديه

وليس شئ منا موجودا فى حضرته تعالى التى هى الازل بل جميع الحوادث موجودة فى حضرتها
الخاصة بها التى هى الزمان والمكان والجهة وفى زبدة الحقايق لعين القضاة الهمدانى
قدس الله سره من ظن ان الازلية شئ ماض فقد اخطا خطا فاحشا فحيث الازلية
فلا ماضى ولا مستقبل وهى محيطة بالآن من المستقبل كاحاطتها بالزمان الماضى من غير
فرق فليس زمن ادم عليه السلام اقرب بالازلية من زماننا هذا بل نسبة الازمنة كلها
الى الازلية واحدة ولعل نسبة الازلية الى الازمنة كنسبة العلوم مثلا الى الامكنة اذ لا
توصف العلوم بكونها قريبة من مكان او بعيدة من مكان بل نسبتها واحدة الى كل مكان
فهى مع كل مكان ومع ذلك فقد خلا عنها كل مكان وكذلك ينبغى ان يعتقد نسبة
الازلية الى كل زمان فانها مع كل زمان وفى كل زمن ومع ذلك فانها محيطة بكل زمن وسابقة
الوجود على كل زمان ولا يسعها زمن كما لا يسع العلم مكان فاذا فهمت هذه المعانى فاعلم
انه لا مغايرة بين الازلية والابدية فى المعنى اصلا بل اذا اعتبر وجود ذلك المعنى مع نسبته
الى الماضى من الازمنة استعير له لفظة الازلية وان اعتبر وجوده مع نسبته الى المستقبل
من الازمنة استعير له لفظة الابدية انتهى وهذا الكلام فى اعلى طبقات التحقيق ولا ينتفع
به الا اهل العناية والتوفيق ابدى اى منسوب الى الابد محركة وهو الدهر وجمعه اباد
وابود والدايم والقديم الازلى كذا فى القاموس ويرادف ذلك الباقى من البقا واختلف
فيه كالقدم ايضا فقيل صفة سلبية ومعناه امتناع لحوق العدم لوجوده تعالى وقيل
صفة نفسية وقيل صفة معنى ثبوتية وهما مردودان بما مر فى القدم له سبحانه وتعالى
صفات جمع صفة اصلها وصف فحذفت الواو وعوض عنها التا ثم جمعت هذا الجمع
والوصف يجمع على اوصاف وصفاته تعالى على اقسام صفات ذات وصفات افعال وصفات
نفسية وصفات سلبية وصفات معان وصفات معنوية وكلها قديمة ازلية يستحيل
حدوث شئ منها مع قيامه بذات الله تعالى ولا انفكاك لها عن ذاته تعالى اصلا فيستحيل
حدوثها وزعمت الكرامية ان له تعالى صفات حادثة وهو محال قايمة اى موجودة ثابتة
بذاته سبحانه ضرورة انه لا معنى لصفة الشئ الا ما يقوم به كما زعمت المعتزلة انه تعالى
متكلم بكلام قايم بغيره تعالى وله ارادات حادثة لا فى محل لا تلك الصفات هو سبحانه
وتعالى يعنى عين ذاته ولا غيره اى غير ذاته تعالى فلا يلزم قدم الغير ولا تكثر القدما
ورفع النقيضين فى الحقيقة جمع بينهما فهى عين الذات وغير الذات ومعناه كما قال
عين القضاة الهمدانى فى زبدة الحقايق الصفات عين الذات اذا نظر اليها من الوجه الذى
يلى الذات وعلى هذا لا يكون فيه تغاير البتة اصلا وهى غير الذات اذا نظر اليها من الوجه الذى
يلى انقسام الوجود الى الاقسام المتعددة وعلى هذا الوجه تكون الصفات متغايرة ومتعددة

ولهذا مثال واضح فان العشرة لها في ذاتها معنى مفهوم وذلك المعنى واحد لا ينقسم
ويدل عليه لفظ العشرة فاما اذا اعتبر منها نسبة الى الخمسة دل عليها بلفظ النصف
واذا اعتبر نسبتها الى العشرين دل عليها بلفظ النصف واذا اعتبر نسبتها الى الثلاثين
دل عليها بلفظ الثلث وهكذا يمكن ان يدل عليها بالفاظ اخر عند اختلاف نسبتها الى
اعداد اخر وهذه الصفات التي وصفت بها العشرة عند اختلاف تلك النسبة واحدة
من وجه وكثيرة من وجه فاذا اعتبر منها الوجه الذي يلي ذات العشرة لم يوجد فيها
تعدد واذا اعتبر منها الوجه الذي يلي اقسام الاعداد التي نسبت العشرة اليها تعددت
باعتبار تلك النسب لتعدد اعداد نسبت اليها فكذلك ذات واجب الوجود الحق
يلزمها الوحدة وكيف لا يلزمها الوحدة والاحدية التي هي اخص من الوحدة لازمة
لها اذ لا يمكن ان يوجد لغيرها من الذوات خاصيتها الموجودة لها فاذا نظرت
عين الذات الواجبة الى نفسها صادفتها متحدة غير متكثرة بوجه من الوجوه ولكن
لكثرة نسب تلك الذات الى الموجودات الاخر التي استحقت الوجود من تلك الذات
احتيج الى تغيير العبارات عنها حتى تتادى حقايق تلك النسب بواسطتها الى الافهام
واعلم بان الصفات التي هي لا عين الذات ولا غيرها انما هي الصفات الذاتية الثبوتية والصفات
المعنوية وصفات الافعال عندنا واما الصفات السلبية كليس بمركب فانها غير الذات
قطعا واما الصفات النفسية كالوجود فهي عين الذات قطعا كما اوضحناه في المطالب
الوفية هي اي الصفات يعني صفات المعاني المذكورة انها لا هو ولا غيره ثمانية الاولى
الحياة وهي صفة لله تعالى ازلية توجب صحة العلم قاله السعد وهو معنى قول السنوسي
الحياة صفة تصحح لمن قامت به ان يتصف بالادراك والحياة لا تتعلق بشيء اي لا تقتضي
امرا زايدا على قيامها بذات الحق تعالى والثانية العلم وهي صفة تنكشف بها المعلومات
عند تعلقها بها سواء كانت المعلومات موجودة او معدومة محالة كانت او ممكنة قديمة
كانت او حادثة متناهية كانت او غير متناهية جزيية كانت او كلية وبالجملة جميع ما يمكن
ان يتعلق به العلم فهو معلوم لله تعالى لا يقال يلزم على هذا التعريف الدور لان المعلومات مشتقة
من العلم وقد اخذت في تعريفه فيتوقف كل منهما على الاخر لانا نقول يمكن دفعه بان المراد بالمعلوم
ما يمكن ان يتعلق به العلم الازلي القديم او بان المراد بالمعلومات المدركات وهي انما تتوقف على
العلم بمعنى الادراك لا بمعنى الصفة الازلية القايمة بالذات العلية كما هنا او هو تعريف
لفظي فان قلت ذكر الانكشاف مشعر بسبق الخفا وهو محال عليه تعالى قلت غايته انه
تسامح مع ظهور المراد فهو كناية عن احاطة الذات القايمة بها تلك الصفة بساير المدركات
كما تسامح في توقيت التعلق بقوله عند الى اخره ذكره اللاقاني في شرح جوهرته وليس علم

العلم

131

الله تعالى مستفادا بالاكتساب ولا بالضرورة قال المقري في حاشية شرح السنوسية
ويمتنع كون علم الله تعالى بالاعتقاد او النظر او كونه كسبيا او ضروريا او بديهيا
او يقينيا لان اليقيني كما قال البيضاوي افتقار العلم لما ينفي عنه الشبهة نظرا واستدلالا
ولذا لا يوصف به العلم القديم انتهى وكذلك يمتنع في علمه تعالى ان يكون تصورا او تصديقا
لانه قديم والتصور والتصديق عرضان حادثان ينقسم اليهما علمنا الحادث فيستحيل
ان ينقسم ايضا اليهما او الى احدهما علمه القديم وهو يتعلق بجميع الموجودات والمعدومات
الواجبة والممكنة والمستحيلة ومع ذلك لا تعدد فيه ولا تكثر وتمام هذا مبسوط في
كتابنا المطالب الوفية والثالثة القدرة وهي صفة تؤثر في المقدورات عند تعلقها
بها يعني ان الذات الازلية القايمة بها صفة القدرة القديمة تؤثر في الممكنات ايجادا
واعداما على وفق ما تعلقت به ارادتها واعلم ان تعلق الارادة على وفق تعلق العلم
وتعلق القدرة على وفق تعلق الارادة ذكره اللاقاني ونقل المقري عن القرافي في شرح
الاربعين ان معنى ايجاد القدرة انها بمنزلة القلم للكاتب والموجد في الحقيقة هو الذات
وهذا على سبيل التمثيل والتقريب ولله المثل الاعلى انتهى والقدرة انما تتعلق بالممكن الذي
يقبل الوجود والعدم قبولا على السوا بحيث لا يلزم من وجوده نقصان صانعه ولا
كماله ولا يلزم من عدمه ايضا نقصان صانعه ولا كماله وهذا معنى الممكن ويسمى الجايز
ولا تتعلق القدرة بالواجب وهو ما يلزم من وجوده كمال الحق تعالى ولا بالمستحيل وهو
ما يلزم من وجوده نقصان الحق سبحانه وفصلنا هذا المبحث وغالب مباحث هذا الفصل
في المطالب الوفية والرابعة السمع وهو صفة ازلية قايمة بذاته تعالى تتعلق بالمسموعات
او بالموجودات فتدرك ادراكا تاما لا على سبيل التخيل والتوهم ولا على طريق تاثير
حاسة ووصول هواء ذكره اللاقاني والخامسة البصر وعرفه اللاقاني ايضا بانه صفة
ازلية تتعلق بالمبصرات او بالموجودات فتدرك ادراكا تاما لا على سبيل التخيل والتوهم
ولا على طريق تاثير حاسة ووصول شعاع وقال السنوسي في شرح الجزايرية والجمهور من اهل
الحق يقولون بان السمع والبصر صفتان زايدتان على العلم مباينتان له بالحقيقة وان كانا مشاركين
في انهما صفتان كاشفتان يتعلقان بالشيء على ما هو به وهذا احد قولي الشيخ ابي الحسن
الاشعري والقول الثاني على ما نقله عنه ابن التلمساني في شرح المعالم انهما من جنس العلم الا انهما
لا يتعلقان الا بالموجود والعلم يتعلق بالموجود والمعدوم والمطلق والمقيد وقال اللاقاني
ليس سمعه تعالى خاصا بالاصوات بل يعم ساير الموجودات ذواتا كانت او صفات فيسمع
ذاته العلية وجميع صفاته الازلية كما يسمع ذواتنا وما قام بنا من صفاتنا كعلومنا
والواننا وهكذا بصره سبحانه لا يختص بالالوان ولا بالاشكال والاكوان فحكمه حكم السمع

سوا بسوا فمتعلقهما واحدانتهى يعنى متعلقهما الموجودات فقط سواكانت قديمة اوحادثة
ولا يتعلقان بالمعدومات وكل وجود من الممكنات مقدر بزمن يوجد فيه سواكان
الزمان ماضيا او مستقبلا اوحالا ذلك الممكن موجود في زمانه المقدر وجوده فيه
بالنسبة الى الله تعالى المنزه عن التقيد بالزمان وان كان ذلك الممكن معدوما بالنظر الينا
اما لمضيه او لاستقباله بسبب تقيد نا نحن بالزمان الذى وجدنا فيه فيكون المراد
بتعلق السمع والبصر بجميع الموجودات تعلقهما بالموجودات التى هى موجودات بالنظر
الى صاحب السمع والبصر لا بالموجودات بالنظر الينا ولا يشترط في سمعه وبصره لان تكون
الاشيا موجودة بالنظر الينا واما المعدومات التى ما اراده الله تعالى ولا تعلقت القدرة
بايجادها في ازمنتها المقدرة لها ولا كشف عنها العلم موجودة في تلك الازمنة فلا يتعلق
بها السمع والبصر وكذلك المستحيلات بخلاف العلم فانه يتعلق بالموجود والمعدوم وقد
حققنا هذا البحث في المطالب الوفية بما يفى بالامنية والسادسة الارادة وهى
صفة قديمة تقتضى تخصيص المكونات بوجه دون وجه في وقت دون وقت وقال السنوسى
هى صفة تؤثر في اختصاص احد طرفى الممكن من وجود وعدم وطول وقصر ونحوهما بالوقوع
بدلا عن مقابله فصار تاثير القدرة فرع تاثير الارادة اذ لا يوجد مولانا عز وجل من الممكنات
او يعدم بقدرته الا ما اراد تعالى وجوده او عدمه وتاثير الارادة عند اهل الحق على وفق
العلم فكل ما علم تعالى انه يكون من الممكنات او لا يكون فذلك مراده عز وجل انتهى والارادة
تتعلق بما تتعلق به القدرة من الممكنات فقط دون الواجبات والمستحيلات كما مر
والسابعة التكوين وهو المعنى الذى يعبر عنه بالفعل والخلق والتخليق والايجاد
والاحداث والاختراع ونحو ذلك ويفسر باخراج المعدوم من العدم الى الوجود قاله
السعد في شرح العقايد وفى شرحه للمقاصد اسند القول بالتكوين الى الشيخ ابى منصور
الماتريدى واتباعه وهم ينسبونه الى قدمايهم الذين كانوا قبل الشيخ ابى الحسن الاشعرى
حتى قالوا ان قول ابى حنيفة والطحاوى له الربوبية ولا مربوب والخالقية ولا مخلوق
اشارة الى هذا ثم اطبقوا على اثبات ازلية التكوين ومغايرته للقدرة وكونه غير المكون
وان ازليته لا تستلزم ازلية المكونات انتهى وقد حققناه في المطالب الوفية والثامنة
الكلام وهو صفة ازلية قايمة بذاته تعالى منافية للسكوت الذى هو ترك الكلام مع القدرة
عليه والافة التى هى عدم مطاوعة الالة اما بحسب الفطرة كما في الخرس او بحسب
ضعفها وعدم بلوغها حد القوة كما في الطفولية ولا خلاف لارباب الملل والمذاهب
في كون البارى تعالى متكلما وانما الخلاف في معنى كلامه وقدمه وحدوثه فعند نا
كلامه ماضر وخالفنا في ذلك جميع الفرق وزعموا انه لا معنى للكلام الا المنتظم من

الحروف

الحروف المسموعة الدالة على المعنى المقصود وان الكلام النفسى غير معقول لهم
ذكره اللقانى وقال السعد في شرح العقايد كلام الله تعالى صفة واحدة متكثرة
الى الامر والنهى والخبر باختلاف التعلقات كالعلم والقدرة وساير الصفات فان كلا منها
واحدة قديمة والتكثر والحدوث انما هو في التعلقات والاضافات لما ان ذلك اليق بكمال
التوحيد ولانه لا دليل على تكثر كل منها في نفسها الذى ليس هو من جنس الحروف اللفظية
والرقمية والاصوات لانها اعراض حادثة وكلامه تعالى قديم فهو
منزه عنها ونقل المقرى عن ابن مرزوق انه قال في بعض اجوبته القران يطلق ويراد
به القراة وهى الحروف والاصوات ويطلق ويراد به المقرو وهو كلام الله الذى هو معنى
قايم بذاته تعالى وهذا قديم والاول حادث وقال امام الحرمين في الارشاد القراة
عند اهل الحق اصوات القرا ونغماتهم وهى اكسابهم التى يومرون بها في حال ايجابا
في بعض العبادات وندبا في كثير من الاوقات ويزجرون عنها اذا اجنبوا ويثابون عليها
ويعاقبون على تركها وهذا مما اجمع عليه المسلمون ونطقت به الاثار ودل عليه المستفيض
من الاخبار ولا يتعلق الثواب والعقاب الا بما هو من اكساب العباد ويستحيل ارتباط
التكليف والترغيب والتعنيف بصفة ازلية خارجة عن الممكنات وقبيل المقدورات
والقراة هى التى تستطاب من قارى وتستبشع من اخر وهى الملحونة والقويمة المستقيمة
وتتنزه عن كل ما ذكرناه الصفة القديمة ولا يخطر لمن لازم الانصاف ان الاصوات التى
يبح لها حلقه وتنتفخ على مستقر العادة منها اوداجه وتقع على حسب الايثار
والاختيار محرفا وقويما وجهوريا وخفيا ليس كلام الله تعالى فهذا القول في القراة
واما المقرو بالقراة فهو المفهوم منها المعلوم وهو الكلام القديم الذى تدل عليه العبارات
وليس منها ثم المقرو لا يحل القارى ولا يقوم به وسبيل القراة والمقرو كسبيل الذاكر والمذكور
فالذكر يرجع الى اقوال الذاكر والرب المذكور والمسبح الممجد غير الذكر والتسبيح والتمجيد
والعرب صنفت انواع الدلالات على المدلولات بالعبارات فسمت انباء الشعرا نشاء
والانباء عن الغايبات التى ليست من قبيل الكلام ذكرا وسمت الدلالة على كلام الله تعالى
بالاصوات قراة وكلام الله تعالى مكتوب في المصاحف محفوظ في الصدور وليس حالا في
مصحف ولا قايما بقلب والكتابة قد يعبر بها عن حركات الكاتب وقد يعبر بها
عن الاحرف المرسومة والاسطر المرقومة وكلها حوادث ومدلول الخطوط
والمفهوم منها كلام الله تعالى وهذا بمثابة اطلاق القول بان الله تعالى مكتوب في المصاحف
وليس المعنى بذلك اتصاله بالاجسام وقيامه بالاجرام والقران العظيم كلام الله
تعالى غير مخلوق ولم يقل القران غير مخلوق بلا قوله كلام الله ليلا يسبق الى الفهم

ان المولف من الحروف والاصوات قديم كما ذهب اليه الحنابلة وقرات بخط بعض المتاخرين
نقلا من كتاب السنة للامام ابي عبد الرحمن عبد الله بن الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه
قال عبد الله سمعت ابي يقول من قال القران مخلوق فهو عندنا كافر لان القران من علم
الله وفيه اسما الله وحدثني ابي حدثنا شريح بن النعمان اخبرني عبد الله بن نافع قال
مالك بن انس يقول من قال القران مخلوق يوجع ضربا ويحبس حتى يتوب واخرج عن عبد
الله بن المبارك من قال القران مخلوق فهو زنديق واخرج عن سفيان بن عيينة القران
كلام الله من قال مخلوق فهو كلام الله من قال مخلوق فهو كافر ومن شك في كفره فهو كافر
وحدثني محمد بن ابراهيم الدرقي حدثني يحيى بن يوسف قال حضرت عبد الله بن ادريس
فقال له رجل يا ابا محمد ان قبلنا اناسا يقولون القران مخلوق فقال من اليهود قال لا
قال فمن النصارى قال لا قال فمن المجوس قال لا قال فممن قال من الموحدين قال كذبوا
ليس هولا بموحدين هولا زنادقة من زعم ان القران مخلوق فقد زعم ان الله مخلوق
ومن زعم ان الله مخلوق فقد كفر هولا زنادقة واخرج عن وكيع بن الجراح من زعم ان القران
مخلوق فقد زعم انه محدث فيستتاب فان تاب والا ضربت عنقه وعنه من قال القران
مخلوق فهو كافر وعن يزيد بن هارون انه حلف والله الذي لا اله الا هو الرحمن الرحيم عالم
الغيب والشهادة من قال القران مخلوق فهو زنديق واخرج عن معاذ بن معاذ من قال
القران مخلوق فهو كافر وعن شبابة بن سوار وعبد العزيز بن ابان القرشي قالا القران
كلام الله ومن زعم انه مخلوق فهو كافر وعن ابن ابي مريم من زعم ان القران مخلوق فهو كافر
وعن يحيى بن معين من قال القران مخلوق فهو كافر انتهى وذكر ابن الكمال رحمه الله تعالى
في بعض رسايله ان ابا حنيفة وابا يوسف رضي الله عنهما تناظرا ستة اشهر ثم استقر رايهما
على ان من قال بخلق القران فهو كافر وقد ذكر في الاصول ان قول ابي حنيفة ان القايل بخلق
القران كافر محمول على الشتم لا على الحقيقة فهو دليل على ان القايل به مبتدع ضال لا كافر
ورؤية الله تعالى في اليقظة في الابصار جمع بصر وهو حس العين ومن القلب
نظره وخاطره كذا في القاموس والمراد الاول لانه موضع الخلاف بين اهل السنة وغيرهم
جايزة في العقل على ان معنى ~~العقل~~ ان العقل اذا خلا ونفسه لم يحكم بامتناع ان تتعلق
به تعالى رؤية الراي اذ لم يرده برهان عن ذلك وهذا لا ينافي وجوب الرؤية سمعا
لورود الكتاب والسنة بها وانعقاد الاجماع قبل ظهور المخالفين عليها قاله اللقاني
وفي شرح المقاصد للسعد ذهب اهل السنة الى ان الله تعالى يجوز ان يرى وان المومنين
في الجنة يرونه منزها عن المقابلة والجهة والمكان وخالفهم في ذلك جميع الفرق فان
المشبهة والكرامية ~~يقولون~~ انما يقولون برؤيته في الجهة والمكان لكونه عندهم

جسما

جسما تعالى الله عن ذلك ولا نزاع للمخالف في جواز الانكشاف التام العلمي ولا لنا في
امتناع ارتسام صورة من المرئي في العين واتصال الشعاع الخارجي من العين بالمرئي
او حالة ادراكية تستلزم لذلك وانما محل النزاع انا اذا عرفنا الشمس مثلا بحد
او رسم كان نوعا من المعرفة ثم اذا ابصرناها وغمضنا العين كان نوعا اخر فوق الاول
ثم اذا فتحنا العين حصل نوع اخر من الادراك فوق الاولين نسميه الرؤية ولا يتعلق
في الدنيا الا بما هو في جهة ومكان فمثل هذه الحالة الادراكية هل تصح ان تقع بدون
المقابلة والجهة وان تتعلق بذات الله تعالى منزها عن الجهة والمكان ولم يقتصر الاصحاب
على ادلة الوقوع مع انها تفيد الامكان ايضا لانها سمعيات ربما يدفعها الخصم بمنع
امكان المطلوب فاحتاجوا الى بيان الامكان اولا والوقوع ثانيا ولم يكتفوا بما يقال
الاصل في الشي سيما فيما ورد به الشرع هو الامكان ما لم ترفع عنه الضرورة او البرهان
فمن ادعى الامتناع فعليه البيان لان هذا انما يحسن في مقام النظر والاستدلال دون
المناظرة والاحتجاج وفي شرح الصحايف اتفق اهل السنة على جواز رؤية الله تعالى منزها
عن المسامتة والمحاذاة والجهة والمكان خلافا لجميع الفرق والمشبهة والكرامية
وان جوزوا رؤية الله تعالى لكنهم انما جوزوا لاعتقاد كونه تعالى جسما حاصلا في الجهة
واما بتقدير كونه تعالى منزها عن الجسمية والجهة فيحيلون رؤيته فالرؤية المجردة
عن الجسمية والمكان انما ذهب اليها اهل السنة فقط والمسامتة هي ان يكون المرئي
مقابلا للعين بحيث لو اخرج خطا مستقيما من الحدقة قايما على سطحها لمر على المرئي والمحاذاة
اعم من ذلك وهذا البحث مما ليس للعقل استقلال في اثباته والغاية فيه بيان الجواز
وتفريع قول الصادق وبيان الجواز يبطل قول المنكرين لانهم يحيلونها وبيان جواز الرؤية
على الوجه المعقول ان المشاهدة هي ادراك عين الحاضر وان الله تعالى كامل العلم لا يعزب
عنه شي ويدرك عين الاشيا لان عدم هذا النوع من الادراك نقص محال فحينئذ يدرك
عين ذاته الموجودة في الخارج فتكون عين ذاته الموجودة مشاهدة له فجاز على ذاته
الموجودة المعينة ان تكون مشاهدة فعلم ان ذاته الموجودة المنزهة عن الجسمية
والجهة قابلة للمشاهدة والقابلية لا تختلف بالقياس الى الاشيا لانها ذاتية ونسبة الذات
في اقتضا القابلية الى جميع الابصار واحدة فتكون قابلة بالنسبة الى ابصارنا والتفاوت
لو كان فانما يكون من جهة الراي بان لا يكون قويا على مشاهدته واعيننا رائية للاشيا
الممكنة الرؤية فتكون قوية على ذلك ومع خلق ~~القوة~~ تلك القوة في اعيننا والمومنون
في الخلد روحانيون كالملايكة فعلم انما جاز ان نرى الله تعالى اذا تجلى من غير اين
وجهة ومسامتة وهذا هو الوجه المعقول في بيان جواز رؤية الله تعالى وههنا وجه

اخرى منقول عن امير المومنين علي رضي الله عنه واولاده عليهم الرضوان ان لارواحنا
ادراكا اخر تدرك به الاشيا باعيانها بدون توسط الحاسة اذا تجردت الروح بالارتياض
والاعراض عن الاغراض الدنية البدنية الحيوانية واللذات الشهوانية وكذا هو تواتر
من مرتاضي الملل المختلفة في الاوقات المتغايرة انا قد ندرك بعد التصفية والتجريد
الاشيا البعيدة مع حيلولة الجبال الشاهقة والتلال العايقة ونسمع كلامهم وقد امتحن
ما اخبروا فقد اصابوا ومثل هذا التواتر يفيد اليقين وانما الارتياب في التواتر الذي صدر
من امة واحدة او وقت واحد وهذا مما اتفق عليه العقلا وايده قوله عليه السلام حكاية
عن المعراج رايت ربي بقلبي مرتين نص على الروية وخص بمرتين فخرج الكشف والعرفان
فلعل هذا هو الوجه في هذا المطلوب وفي طريق سماع الكلام بالوحي والالهام وهذا
الادراك لا يمنع ان تكون العين مع ذلك طامحة وان لم يكن لها مدخل في هذه الروية فيصدق
انا نراه باعيننا على ان البا بمعنى مع وحينيذ سقطت شبهة المعتزلة واستبعادهم
من روية ما لا يكون في جهة لان هذا انما يستبعد في الروية التي بسبب العين اذ لا بد
حينيذ من المقابلة وغيرها من الشرايط واما اذا سقطت العين عن درجة الاعتبار في
السببية وكان السبب شيا اخر غير محتاج اليها والعين مصاحبة له فمعلوم ان
امثال هذه الشرايط في حيز الاسقاط وهذا سر هذا الموضع واما روية الله تعالى في المنام
فقد حكى القول بها عن كثير من السلف وفي شرح الشيبانية لابن قاضي عجلون وقد وقع
الخلاف في روية الله تعالى في المنام فمنهم من منع لكن معظم المثبتين للروية على جوازه
من غير كيفية وجهة وحكى كثير من السلف انهم راوه عز وجل كذلك واجبة بالنقل
وهو الكتاب والسنة واجماع الامة من السلف الصالحين والخلف المتقفين الى يوم الدين
في الدار الاخرة وهي غير الدار الدنيا فيشمل ذلك ما بعد الموت الى ما لا نهاية له ومواطن الاخرة
ثلاثة عالم القبر وعالم الحشر وعالم القرار في جنة او نار والثلاثة بعد الموت وقد ورد في
الحديث قال صلى الله عليه وسلم انكم لن تروا ربكم حتى تموتوا فالموت غاية لنفي الروية في
الدنيا فاذا وجد الموت انتهى نفي الروية الممنوعة في الدنيا ومضى حكم الدنيا واتى حكم الاخرة
فمن الموتى من ينعم الله عليه بالروية عند موته ومنهم في عالم البرزخ ومنهم من لا يرى ربه الى يوم
القيمة في الموقف ومنهم من يراه بعد دخول الجنة ومنهم من لا يراه ابدا كاهل الكفر
على ما سنذكره فيرى بالبنا للمفعول اي يراه المومنون لا في مكان لانه تعالى ليس
له مكان ولا على اعتبار جهة من الجهات الست لعدم وجود الجهة في حقه تعالى كما
قدمناه من مقابلة بينه تعالى وبين الراي وهو بيان لاعتبار الجهة واتصال
شعاع تخرج من بصر الراي فيقع عليه تعالى وثبوت مسافة بينه وبين الراي

لان

140

لان هذا كله في روية الاجسام والله تعالى ليس بجسم فليست رويته كروية الاجسام
فان الروية تابعة للشي على ما هو عليه فمن كان في مكان وجهة لا يرى الا في مكان
وجهة كما هو كذلك ويرى بمقابلة واتصال شعاع وثبوت مسافة ومن لم يكن في مكان
ولا جهة وليس بجسم فرويته كذلك ليس في مكان ولا جهة ولا بمقابلة واتصال شعاع
وثبوت مسافة والا لم تكن روية له بل لغيره وقال اللاقاني في شرح جوهرته والمراد انه
ينكشف سبحانه انكشافا تاما بحاسة البصر لكل فرد فرد من المومنين وهذا مجمع عليه
في الجملة وان اختلف العلما في بعض جزيياته وافراده وزمانه ومكانه فقد قال الشيخ
عز الدين ابن عبد السلام ان الملايكة لا ترى ربها في الاخرة متمسكا بعموم قوله تعالى لا تدركه
الابصار فانه عام خص منه مومنو البشر بالنص فبقي على عمومه فيمن عداهم والحق انهم
يرونه سبحانه كما نص عليه الاشعري ووافقه البيهقي والبلقيني وجزم الجلال السيوطي
بان الجن تحصل لهم الروية في الموقف مع سابر الخلق قطعا وتحصل لهم في الجنة في وقت
ما من غير قطع بذلك واما انهم يساوون الانس في الروية في كل جمعة فالظاهر خلافه
وقد اختلف العلما في روية النسا الله تعالى في الاخرة على مذاهب ثلاثة احدها
لا يرينه لقصرهن في الخيام ولعدم تصريح الاحاديث برويتهن والثاني يرينه اخذا
من عموم النصوص الواردة في النصوص الروية والثالث يرينه في الاعياد فانه تعالى
يتجلى فيها تجليا عاما فيرينه في مثل هذه الحالة دون غيرها وبهذا جزم السيوطي وفي
المومنين من الامم السابقة احتمالان لابن ابي جمرة اظهرهما عنده مساواتهم في الروية لمومني
هذه الامة واحترز بالمومنين عن الكفار والمنافقين فانهم لا يرون ربهم يوم القيمة
لقوله تعالى كلا انهم عن ربهم يوميذ لمحجوبون وقيل انهم يرونه ثم يحجبون فيكون عليهم
حسرة والدليل على حصول الروية لاهل الجنة من القران قوله تعالى وجوه يوميذ ناضرة
الى ربها ناظرة قال في شرح الصحايف النظر اما الروية او تقليب الحدقة نحو المرى طلبا لرويته
فان كان الاول فقد حصل المطلوب وان كان الثاني تعذر الحمل ههنا حمله على ظاهره لان
تقليب الحدقة انما يكون نحو المرى الذي يكون في الجهة فلا بد من حمله على الروية واطلاق
لفظ السبب وارادة المسبب من اقوى وجوه المجاز فحينيذ يكون المراد بالنظر الروية
ولزم المطلوب وقوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة فسر جمهور ايمة التفسير
الحسنى بالجنة والزيادة بالروية وقوله تعالى كلا انهم عن ربهم يوميذ لمحجوبون فاخبر تعالى
انه حقر شان الكفار وخصهم بكونهم محجوبين فكان المومنون غير محجوبين وهو معنى
الروية قال اللاقاني وفي شرح المقاصد والنص من السنة قوله صلى الله عليه وسلم انكم سترون
ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رويته وقوله صلى الله عليه وسلم ان ادنى اهل الجنة منزلة

لمن ينظر الى جنانه وازواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة الف سنة واكرمهم على
الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية وفي حديث مسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما بين القوم وبين ان ينظروا الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن وقال
القرطبي في شرح هذا الحديث ومذهب اهل السنة باجمعهم ان الله تعالى ينظر اليه المومنون
في الاخرة بابصارهم كما نطق بذلك الكتاب واجمع عليه سلف الامة ورواه بضعة عشر من
الصحابة رضي الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم ومنع ذلك فرقا من المبتدعة منهم المعتزلة
والخوارج وبعض المرجية والعالم بفتح اللام قال السعد هو ما سوى الله تعالى
من الموجودات مما يعلم به الصانع يقال عالم الاجسام وعالم الاعراض وعالم النبات
وعالم الحيوانات الى غير ذلك فتخرج صفات الله تعالى لانها ليست غير الذات كما انها
ليست عينها بجميع اجزايه التي هي الجواهر الفردة والاعراض خلافا للفلاسفة فانهم
اثبتوا العقول والنفوس المجردة عن المادة والهيولى وجميع صفاته من التركيب
والبساطة وغير ذلك ولو افعال العباد المكلفين وغيرهم من الانسان وغيره فانها
من اجزاء العالم ايضا خيرها اى الخير منها وهو ما وافق الشريعة المحمدية وشرها
اى الشر منها وهو ما لم يوافق الشريعة المحمدية وكذلك الاختياري منها والاضطراري
حادث جميع ذلك على المعنى الذي يقصده اهل السنة وهو انه خارج من العدم
الى الوجود بمعنى كان معدوما فوجد فان الفلاسفة وان اطلقوا القول بالحدوث لما سوى
الله تعالى لكن بمعنى الاحتياج الى الغير لا بمعنى سبق العدم عليه كما ذكره السعد بخلق
اى ايجاد وتقدير الله تعالى قال في القاموس الخلق التقدير والخالق في صفاته
تعالى المبدع للشي المخترع على غير مثال سبق لا خالق لجميع ما ذكر غيره سبحانه
وتعالى ولا طبيعة ولا سبب يوثر في العالم اصلا وتقدير معطوف على بخلق الله تعالى
اى وحادث بتقدير الله تعالى ايضا ويقال له القدر بالتحريك والقدر بالسكون
ايضا وهو ما يقدره الله تعالى من القضا كذا في الصحاح وقال السعد هو تحديد
كل مخلوق بحده الذي يوجد عليه من حسن وقبح ونفع وضر وما يحويه من زمان
ومكان وما يترتب عليه من ثواب وعقاب وعلمه اى وبعلمه سبحانه ايضا وارادته
تعالى لجميع ذلك من الازل وسبق بيان العلم والارادة وقضايه جل وعلا لجميع
ما ذكر وهو حكمه الازلي بكل ما قدره في الازل فالتقدير يعين المحكوم به والقضا
هو الحكم بذلك المعين فهما رتبتان للوصف الواحد الالهي القديم الذي يستحيل
عليه التغير والتبدل فمن جهة انه حكم على الماهيات باوصافها الخاصة بها من
مقدار ومخصوص وزمان ومكان ونحو ذلك مما هو مفصل في حضرة العلم القديم

الازلى يسمى قضا ومن جهة انه تحديد وتقييد للماهيات المذكورة ببعض ما يجوز
عليها مما هو ثابت لها في حضرة العلم القديم يسمى تقديرا وقدرا وللعباد
المكلفين بالامر والنهي اختيارات جمع اختيار من اختار الشي اذا انتقاه
لانهم ينتقون بنظر عقولهم ما يترجح عندهم فعله لغرض دنيوي او اخروي
ولا جبر لاحد في فعله الاختياري اصلا وان كان الاختيار ليس موجودا فيه
بالاختيار لئلا يلزم التسلسل لافعالهم التي كلفهم الله تعالى بها وطلب منهم
الاتيان بها في الخير والانكفاف عنها في الشر بها اى بسبب تلك الاختيارات
المخلوقة لله تعالى فيهم يثابون اى يثيبهم الله تعالى يوم القيمة على ما صدر
منهم من الخير مما خلقه الله تعالى منسوبا اليهم بسبب خلق الله تعالى ارادتهم
له وعليها اى لاجل تلك الاختيارات يعاقبون اى يعاقبهم الله تعالى يوم القيمة
حيث صدر منهم بها افعال الشر خلقها تعالى لهم منسوبة اليهم بسبب خلقه
ارادتهم لها وحيث ثبت ان للانسان اختيارا خلقه الله تعالى فيه فقد انتفى
مذهب الجبرية القايلين بان الانسان مجبور على فعل الخير والشر ثم ان ذلك
الذي خلقه الله تعالى في الانسان يخلق الله تعالى عنده لا به ولا فيه ولا منه افعال
الخير والشر فينسبها للانسان فيكون اختيار الانسان المخلوق فيه بمنزلة يده
المخلوقة له بحيث لا تاثير لذلك في شي مطلقا غير مجرد قبول صحة النسبة بخلق
الله تعالى فيه صحة ذلك القبول فانتفى مذهب القدرية القايلين بتاثير قدرة
العبد في الخير والشر قال امام الحرمين في الارشاد اتفق سلف الامة قبل
ظهور البدع والاهوا واضطراب الارا على ان الخالق المبدع رب العالمين ولا
خالق سواه ولا مخترع الا هو وهذا مذهب اهل الحق فالحوادث كلها حدثت
بقدرة الله تعالى ولا فرق بين ما تعلقت قدرة العباد به وبين ما تفرد الرب تعالى
بالاقتدار عليه ويخرج من مضمون هذا الاصل ان كل مقدور لقادر فالله تعالى قادر
عليه وهو مخترعه ومنشيه والحسن منها ~~برضا الله تعالى~~ اى من افعال العباد
وهو الموافق لما اذن الله تعالى به في الشرع برضا الله تعالى الذي يرضى تعالى بفعله
من العبد او يرضى عن العبد فيخلق ذلك له والرضى ترك الاعتراض وفسره بعضهم
بالارادة من غير اعتراض ويراد فه المحبة وهذا في المحبة القديمة واما المحبة الحادثة
فهي ميل النفس الى الشي لكمال ادركته فيه بحيث تحملها على ما يقربها اليه ذكره اللقاني
وعلى هذا فيكون قوله بعد ومحبته تاكيدا للرضى بمرادفه اى بمحبته تعالى لذلك النوع

من الافعال او للعبد فيخلق له ذلك النوع من الافعال قال ابن اقبرس في فتح الصفا شرح
الشفا محبة الله تعالى للخلق هو ولة قطعا وقال لانه لا تكون عن ميل القلب ولا النفس ولا من
روية الطاعة له ولا من سبب من جنس الاسباب الموجبة لحباب الخلق بل كل صفة من اوصاف الله
تعالى من العلم والقدرة والارادة وغيرها وان اتفقت في اسما صفات خلقه فلا يشبه حقيقتها
حقيقة اوصاف الخالق حتى الوجود الذي يعم الخالق والمخلوق جميعا وذلك لان وجود الخلق
من عدم ووجود الخالق واجب لذاته ووجود كل ما سواه مستفاد منه ومن دقق النظر
علم انه ليس في الكون الا الله تعالى وافعاله منه وانه ليس في الوجود شيء ثابت الا هو وحده
لا شريك له وقرا بعضهم على الشيخ سعيد بن ابي الخير قوله تعالى يحبهم ويحبونه فقال الحق
يحبهم لانه لا يحب الا نفسه على معنى انه ليس في الكون الا هو وما سواه فهو من صنعه والصانع
اذا مدح صنعته فقد مدح نفسه فاذا لا يتجاوز نفسه لان نفسه قايمة بنفسه وما سواه
قايم به فهو لا يحب الا نفسه انتهى فمحبة الله تعالى لبعض الاعمال والاشخاص محبة منه
تعالى لمصنوعاته المتقنة المحكمة وجميع مصنوعاته متقنة محكمة فلا باعث حينيذ لمحبته
ولا غرض له فيها اصلا بل ذلك بمجرد فضل منه تعالى على ذلك المصنوع وكذلك بغضه تعالى
لبعض الاعمال والاشخاص عدل منه تعالى من غير علة ولا غرض والقبيح منها اي من افعال العباد
وهو غير الموافق لما اذن الله به ليس صادرا من المكلفين بهما اي بسبب رضا الله تعالى
ومحبته بل بغضبه تعالى سبحانه وكراهته قال ابن اقبرس في شرح الشفا اعلم ان ههنا قاعدة
شريفة ينبغي ان تعلم وهي ان الاعراض النفسانية كالفرح والرحمة والسرور والحيا والمكر
والخداع والاستهزا لها اوايل وغايات فاذا وصف الله تعالى بشي منها كان محمولا على
الغايات لا على البدايات مثلا الغضب كيفية تعرض للنفس بسببها يغلي الدم وتتحرك الروح
الى خارج دفعا للمكروه وطلبا للانتقام فابتداوه الدم وحركة الروح وغايته الانتقام من المغضوب
عليه فهو في حق الله تعالى محمول على ارادة الانتقام اذا اطلقه عليه بحسب الابتدا محال والحياء
له اول وهو الانكسار يحصل في النفس وله غرض وهو ترك الفعل فاذا اطلق على الله تعالى
حمل على ترك الفعل لا على الابتدا لانه محال عليه تعالى وعلى هذا فقس فهي قاعدة كلية وضابط
لطيف فاعلمه والثواب يوم القيمة للمومنين المطيعين فضل اي احسان وانعام من الله
تعالى على عباده والعقاب للكافرين ومن يشا من العاصين عدل منه تعالى في عباده اي انصاف
وعدم ظلم وجور من غير ايجاب من احد عليه تعالى شيا من ذلك ولا وجوب عليه تعالى بمقتضى
ربوبيته وصربوبية غيره له سبحانه ولا استحقاق من العبد لشي من ذلك اصلا وذكرنا فيما
تقدم انه قال الاصفهاني في شرح الطوالع واما اصحابنا فقالوا الثواب على الطاعة فضل من الله تعلى

والعقاب على المعصية عدل منه وعمل الطاعة دليل على حصول الثواب وفعل المعصية علامة العقاب ولا
يكون الثواب على الطاعة واجبا على الله تعالى ولا العقاب على المعصية لانه لا يجب على الله تعالى شي وكل
ميسر لما خلق له فالمطيع موفق ميسر لما خلق له وهو الطاعة وهو والعاصي ميسر لما خلق له
وهو المعصية وليس للعبد في ذلك تاثير والله مخلد المومن الموفق للطاعات في جنانه وفاء
بوعده قال عز من قايل ان الذين امنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين
فيها لا يبغون عنها حولا ويعذب المكافر المعاند المعرض عن الحق في نيرانه ابدا بمقتضى وعيده
في قوله تعالى ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها ابدا وقال
السعد في شرح المقاصد طاعة العبد وان كثرت لا تفي بشكر بعض ما انعم الله عليه تعالى فكيف
يتصور استحقاق عوض عليها ولو استحق العبد بشكره الواجب عوضا لاستحق الرب على ما يوليه
من الثواب عوضا وكذا العبد على خدمته لسيده الذي يقوم بمونته وازاحة علله والولد على خدمته
لابيه الذي يربيه وعلى مراعاته وتوفي مرضاته وايضا لو وجب الثواب والعقاب بطريق
الاستحقاق لزم ان يثاب من واظب طول عمره على الطاعات وارتد والعياذ بالله في اخر الحياة
وان يعاقب من اصر دهرا على كفره واخلص الايمان في اخر عمره ضرورة تحقق الوجوب والاستحقاق
واللازم باطل بالاتفاق كما مر والاستطاعة التي يوجد بها الفعل في الخارج مع الفعل المامور
به او المنهي عنه او المباح اي مقارنة له لا متقدمة عليه ولا متاخرة عنه وهي حقيقة القدرة التي
بها يكون الفعل لانها عرض يخلقه الله تعالى في الحيوان يفعل بها الافعال الاختيارية والجمهور
على انها شرط لادا الفعل شرعا وتطلق اي الاستطاعة المذكورة على سلامة الاسباب التي بها
حصول الامر المكلف به كاسباب العادات واسباب العبادات من حيث ما هو خارج عن
ذات المكلف وسلامة الالات التي يتانى بها تلك الاسباب كالحواس والجوارح والاعضا
من حيث ذات المكلف والحاصل ان الاستطاعة تطلق بازا معنيين المعنى الاول القدرة التي
يوجد بسببها الفعل ويحصل في الخارج وهي لا تتصور الا مقارنة له لانها عرض يستحيل بقاوه
فلو كانت قبله انعدمت عنده لامتناع بقا الاعراض فيلزم ان يحصل بدونها فيلزم الجبر
وهو ممتنع وان كانت بعده فكذلك ايضا فلم يبق الا المقارنة ولا يتصور ان تكون شرطا
للتكليف الشرعي لانه قبل الفعل وهي مقارنة للفعل فيلزم تكليف غير المستطيع والمعنى الثاني
سلامة الاسباب والالات وهي قبل الفعل وقبل الاستطاعة بالمعنى الاول وصحة التكليف
بالاحكام الشرعية تعتمد من جهة الشارع عليها اي على الاستطاعة بهذا المعنى الثاني
لا الاستطاعة بالمعنى الاول فلا يكلف الله تعالى احدا الا اذا كانت اسباب عاداته وعباداته
مهيية قابلة لاستعمالها والاته سالمة قابلة للاستعانة بها سوا وجدت فيه القدرة
التي يتيسر بها وجود الفعل او لم توجد لا يكلف بالبنا للمفعول اي لا يكلف الله تعالى العبد

العاقل البالغ بما ليس في وسعه اي طاقته وقدرته واستطاعته والوسع هنا معناه
الاستطاعة بالمعنى الثاني وهي سلامة الاسباب والالات دونها بالمعنى الاول والمراد
انه تعالى لا يكلف بالاحكام الا من تهيئت عنده اسبابها وسلمت الاتها فهو المكلف
بها وهذا معنى اقدارها عليها وانتفا الجبر عنه والعجز والقهر كما قال تعالى لا يكلف الله
نفسا الا وسعها قال السعد في عدم تكليف العبد بما ليس في وسعه سوا كان ممتنعا
في نفسه كجمع الضدين او ممكنا كجمع كخلق الجسم واما ما يمتنع بناء على ان الله تعالى علم خلافه
واراد خلافه كايمان الكافر وطاعة العاصي فلا نزاع في وقوع التكليف به لكونه مقدورا
للمكلف بالنظر الى نفسه ثم عدم التكليف بما ليس في الوسع متفق عليه لقوله تعالى لا يكلف
الله نفسا الا وسعها وانما النزاع في الجواز فمنعه المعتزلة بناء على القبح العقلي وجوزه
الاشعري لانه لا يقبح من الله تعالى شي والمقتول ميت باجله الذي قدره الله تعالى
له لان الله تعالى حكم باجال العباد على ما علم من غير تردد قال تعالى واذا جا اجلهم فلا
يستاخرون ساعة ولا يستقدمون والاجل قد يكون قتلا او غيره بمرضا وغيره وكل
ذلك بتقدير الله تعالى ووجوب القصاص والضمان على القاتل حكم شرعي لا مدخل للعقل
فيه وذلك بسبب ارتكاب المنهي عنه وكسبه الفعل الذي يخلق الله تعالى عقبيه الموت
بطريق جري العادة والاجل واحد لا كما زعم الكعبي من المعتزلة ان للمقتول اجلين
القتل والموت وانه لو لم يقتل لعاش الى اجله الذي هو الموت ولا كما زعمت الفلاسفة
ان للحيوان اجلا طبيعيا وهو وقت موته بتحلل رطوبته وانتفا حرارته الغريزيتين
واجالا احترامية بحسب الافات والامراض وفي شرح الجزايرية للسنوسي الاجل عرفا
هو منتهى زمن الحياة وسمي اجلا لانه الوقت المقدر للموت كالاوقات المقدرة لقبض
الديون ونحوها فمن قتل فاجله عند اهل الحق هو ما علم الله موته فيه وهو وقت قتله
واستدل اهل الحق على ذلك بان علم الله تعالى تعلق ازلا بالمعلومات على ما هي عليه
فيلزم ان يكون الاجل المقدر لموت كل حي واحدا لا يمكن فيه التبدل اذ تقديره انما هو
على وفق علم الله تعالى وعلمه يستحيل عليه التخلف والحرام وهو ما نص الله تعالى او
رسوله عليه السلام او اجمع المسلمون على امتناع تناوله بعينه او جنسه او اقتضى القياس
الجلي ذلك او ورد فيه حد او تعزير او وعيد شديد على موجل سوا كان تحريمه لمفسدة
او مضرة خفية كالزنا ومذكى المجوس او لمفسدة ومضرة واضحة كالسم والخمر فان
المنتفع به اما معدن او نبات او حيوان وتوابعه فالمعادن باسرها حلال الا الضار
منها على انه لا يختص بها بل لو ضر العسل بعض ارباب الامزجة الحارة حرم عليه اكله
والنبات كذلك الا ما ازال الحياة كالسم او العقل كالخمر وساير المسكرات قال بعضهم

والمحزرات

والمحزرات كالحشيشة والافيون والبنج وكذا جوزة الطيب واما الحيوان
فكل ما ورد النص على اكله فهو حلال كالبقر والغنم والابل وكل ما ورد النص على عدم
اكله فهو حرام وما لا نص فيه يرجع فيه الى ذوي الطباع السليمة من العرب فما
استخبثوه فهو حرام وما لا فحلال كذا ذكره اللاقاني في شرح جوهرته رزق بالكسر
في الاصل مصدر سمي به الشي المرزوق واما بالفتح فهو مصدر وكل اي كل واحد
من الناس والحيوان وغيرهما يستوفي اي يتناول ويستعمل رزق نفسه الذي قدره
الله تعالى له من الازل لا يتصور ان احدا ياكل رزق غيره والا لتغير مقدر الله
تعالى ولم يجر على طبق مراده سبحانه وهو محال والحاصل ان الرزق عند اهل السنة
والجماعة كل ما انتفع به الحيوان سوا كان حراما او حلالا او شبهة قال امام الحرمين
في الارشاد الرزق يتعلق بمرزوق تعلق النعمة بمنعم عليه والذي صح عندنا في معنى
الرزق ان كل ما انتفع به منتفع فهو رزقه ولا فرق بين ان يكون متعديا بما انتفاعه
وبين ان لا يكون متعديا به ثم الرزق ينقسم الى المحظور والمباح والا فان من اغتذى
بالحرام طول عمره وانصرفت انتفاعاته الى الجهات المحظورة من كل وجه يلزم
ان يقال لم يدر عليه من الله رزق وما رزقه الله تعالى قط وتلك عظيمة لا ينتحلها
متدين وعذاب مبتدا وما بعده معطوفات عليه والخبر قوله فيما سياتي كله حق
القبر قيد القبر جرى على الغالب او قبر كل انسان بحسبه وقال العلما عذاب
القبر هو عذاب البرزخ اضيف الى القبر لانه الغالب والا فكل ميت اراد الله تعالى
تعذيبه ناله ما اراد الله به قبر او لم يقبر ولو صلب او غرق في بحر او اكلته
الدواب او احرق حتى صار رمادا او ذري في الريح ومحله الروح والبدن باتفاق
اهل السنة وكذا القول في النعيم قاله اللاقاني للكافرين اي الكاين لهم كلهم
ولبعض عصاة المومنين ممن مات قبل التوبة ولم يشا الله تعالى ان يغفر له واما
من شاء له المغفرة فلا يعذبه كما قال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون
ذلك لمن يشاء وقال اللاقاني ولا يختص عذاب القبر بكافر ولا منافق بل قد يكون لعصاة
المومنين كما لا يختص بهذه الامة ايضا وقال القزويني في حاشية شرح العضد
للجلال الدواني في الاستدلال على ذلك بقوله تعالى النار يعرضون عليها الاية حيث عطف
عذاب القيمة على عرض النار غدوا وعشيا اذ منه يعلم انه غيره ولما كان نزول الاية
في شان الموتى علم ان لهم عذابا غير عذاب يوم القيمة وهو ليس الا عذاب القبر هذا وانت
تعلم انه يدل على عذاب القبر للكافرين دون المومنين لان الكلام فيهم لا في المومنين
فتامل وقوله تعالى ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين على تقدير تمامه دليله

يثبت عذاب القبر فى حق المومنين دون الكافرين انتهى فمجموع الايتين يثبت بهما
عذاب القبر للكافرين والمومنين وهو المطلوب والمراد بالاماتتين اماتة فى الدنيا
قبل القبر واماتة فى القبر بعد السوال وبالاحياتين احيا فى الدنيا قبل الموت واحيا
فى القبر للسوال وقال تعالى فى قوم نوح عليه السلام اغرقوا فادخلوا نارا والفا للتعقيب
فادخال النار عقيب الاغراق قبل البعث لا فان الادخال فى النار بعد البعث لا يكون
عقيب الاغراق وقال النبى صلى الله عليه وسلم استنزهوا من البول فان عامة عذاب
القبر منه وتنعيم اهل الطاعة من المومنين فيه اى القبر يعنى كاين ذلك فيه
بما اى بالوصف الذى يعلمه الله تعالى ويريده للعبد المومن كما قال صلى الله عليه وسلم
القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران وكما تقدم فى عذاب القبر
يقال فى نعيمه سوا قبر العبد او لم يقبر حتى لو صلب او غرق فى بحر او اكلته
الدواب او حرق وكان مومنا مطيعا كان له نعيم القبر لروحه وجسده جميعا
وقيل ان التنعيم والتعذيب انما هو على الروح وحده ويجوز ان يكون معه جزء
من البدن وسوال منكر ونكير بفتح كاف الاول وهما ضد المعروف سميا به لانهما
لا يشبه خلقهما خلق ادمى ولا ملك ولا غيرهما وهما اسودان ازرقان جعلهما الله تعالى
نكرة للمومنين ليبصره ويثبته وعذابا على غيره ذكره المناوى فى شرح الجامع الصغير
وتفصيل الكلام فى سوال القبر ذكرناه فى المطالب الوفية والبعث وهو مشتق
من بعثت الشى من مكانه اذا اثرته وهو اعادة الموتى من قبورهم كما كانوا فى الدنيا
ارواحا واجسادا والوزن وهو مساواة شى باخر بالة مخصوصة قال اللاقانى
توزن حقايق الاعمال وذواتها بان يجعل الله سبحانه تلك الاعمال اجساما نورانية
فى الحسنات وظلمانية فى السيات ثم تطرح تلك الاجسام فى الميزان الاولى فى اليمين
والثانية فى الشمال وفى شرح الشيبانية للشيخ علوان الحموى ومذهب اهل السنة
ان اقوال بنى ادم وافعالهم توزن باعتبار ان الله تعالى يخلق من اعراضها اجراما
واجساما او باعتبار الصحف المكتوبة المشتملة على السيات والحسنات وقيل
توزن الاشخاص وفى بحر الكلام قال بعضهم يوزن العبد مع عمله والكتاب
الذى كتبته الملايكة الحفظة على المكلف فى الدنيا بجميع ما فعله وقيل الذى كتب فى القبر
بنا على حديث رومان الضعيف ولا ينافى هذا ان الملايكة ترفع لكل عبد فى كل يوم وليلة
صحيفة اما لوصلها كلها فتصير صحيفة واحدة يعنى كتابا واحدا واما بنسخ ما
فى جميعها فى واحدة كما صرح به الغزالى وقال اللاقانى فان قلت دلت
الايات على ان المومن الطايع ياخذ كتابه بيمينه والكافر ياخذه بشماله فما حكم

المومن

المومن الفاسق الذى مات على فسقه دون توبة قلت جزم الماوردى بان المشهور
انه ياخذ كتابه بيمينه ثم حكى قولا بالوقف قال ولا قايل بانه ياخذه بشماله وقال
يوسف بن عمر اختلف فى عصاة المومنين فقيل ياخذوا كتبهم بيمينهم وقيل بشمالهم
واختلف الاولون فقيل ياخذونها قبل الدخول فى النار ويكون ذلك علامة على عدم
خلودهم فيها وقيل ياخذونها بعد الخروج منها ومن اهل العلم من توقف فيهم
لتعارض النصوص والسوال اى سوال الله تعالى عباده المكلفين يوم القيمة
وهو حسابهم وقد اختلف العلما فى معنى كونه تعالى محاسبا عباده على ثلاثة اقوال
احدها انه تعالى يعلمهم ما لهم وما عليهم قال الفخر الرازى بان يخلق الله سبحانه فى قلوبهم
علوما ضرورية بمقادير اعمالهم من الثواب والعقاب وثانيها ونقل عن ابن عباس
رضى الله عنهما ان الله يوقف عباده بين يديه ويوتيهم كتب اعمالهم فيها سياتهم
وحسناتهم فيقول هذه سياتكم وقد تجاوزت عنها وهذه حسناتكم وقد ضاعفتها
لكم وثالثها ان يكلم الله تعالى عباده فى شان اعمالهم وكيفية ما لها من الثواب والعقاب
قال الفخر اما بان يسمعوا كلامه القديم او يسمعوا صوتا يدل عليه يتولى تعالى خلقه
فى اذن كل واحد من المكلفين او فى محل يقرب من اذنه بحيث لا تبلغ قوة ذلك الصوت
منع الغير من سماع ما كلف به ولا شك فى صحة شهادة الاثار الصحيحة له واعلم ان
كيفيات الحساب مختلفة واحواله متباينة فمنه اليسير ومنه العسير ومنه
السر ومنه الجهر ومنه التكريم ومنه التوبيخ ومنه الفضل ومنه العدل والحوض
واحد الاحواض والحياض وهو معروف من حاضت المراة سال دمها لان الماء
يسيل اليه او من حاض الماء جمعه اشار اليه فى القاموس والمراد به هنا جسم مخصوص
طوله وعرضه سوا يغت فيه ميزابان من الجنة ذكره اللاقانى وهو حوض رسول
الله محمد صلى الله عليه وسلم الذى يكون يوم القيمة وفى شرح الجامع الصغير للمناوى قال القرطبى
لكل نبى حوض الا صالحا عليهم السلام فان حوضه ضرع ناقته قال ولم اقف على ما يرد
عليه او يشهد له لكن هذا الحديث اعنى قوله عليه السلام ان لكل نبى حوضا وانهم يتباهون
ايهم اكثر واردة وانى ارجو ان اكون اكثرهم واردة صريح فى ان الحوض ليس من الخصايص
المحمدية لكن اشتهر الاختصاص فالمختص بنبينا صلى الله عليه وسلم الكوثر الذى يصب
من مايه فى حوضه فانه لم ينقل نظيره لغيره وقال السنوسى فى شرح الجزايرية ان الحوض
ثابت باجماع اهل السنة والاحاديث الصحيحة المستفيضة شاهدة بذلك وهو حوض
كما وصفه صلى الله عليه وسلم ماوه اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل يصب فيه ميزابان
من الكوثر عليه من الاوانى عدد نجوم السما حافاته وراىحته المسك حصباوه اللولو

مطلب حوض النبى صلى الله عليه وسلم

لايظما من شرب منه ابدا ويذاد عنه من بدل وغير و الصراط وهو لغة الطريق الواضح
ولغاته الصاد والسين المهملتان والزاى وشرعا كما قال السنوسى فى شرح الجزايرية
الصرط جسر ممدود على متن جهنم يرده الاولون والاخرون لا طريق للجنة الا عليه
وهوادق من الشعر واحد من السيف على ما ورد به الحديث الصحيح واجمع عليه اهل السنة
وفى شرح الشيبانية لابن قاضى عجلون واما الصرط فهو جسر يضرب على متن جهنم يمر
عليه جميع الخلايق والنبى صلى الله عليه وسلم قايم يقول يارب سلم سلم وهو ادق من الشعر
واحد من السيف على ما ورد فى الحديث الصحيح والناس فى جوازه متفاوتون على قدر
ايمانهم واعمالهم والله تعالى يسهل الطريق على من اراد كما جا فى الخبر ان منهم من يمر كالبرق
الخاطف ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كالجواد ومنهم من يجر رجليه ومنهم من
يجر على وجهه وروى ايضا انه يكون على بعض الناس ادق من الشعر وعلى البعض مثل
الوادى الواسع وشفاعة وهى لغة الوسيلة والطلب وعرفا سوال الخير للغير
من الشفع ضد الوتر كان الشافع ضم سواله الى سوال المشفوع له من شفع يشفع
بفتح العين فيهما قاله اللاقانى الرسل اى رسل الله عليهم الصلاة من الانبيا والملايكة ايضا
فانهم رسل الله والاخيار جمع خير بالتشديد وهو ذو الخير وهم العلما والاوليا والصالحون
كما ورد فى الاخبار والاحاديث الصحيحة الدالة على ذلك واجمع عليه اهل السنة وعلى النقل
هى ففى ابن ماجة عن عثمان بن عفان رضى الله عنه يشفع يوم القيمة ثلاث الانبيا ثم
العلما ثم الشهدا وفى رواية لابى الزعرا عن عبد الله ثم ياذن الله فى الشفاعة فيقوم روح
القدس جبريل ثم يقوم ابراهيم ثم يقوم موسى عيسى او عيسى الشك من ابن الزعرا
الراوى عن عبد الله ثم يقوم نبيكم رابعا فيشفع لا يشفع احد من بعده فى اكثر مما يشفع
وهو المقام المحمود الذى قال الله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا واخرج الترمذى عن
ابى سعيد الخدرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من امتى من يشفع للغيام ومنهم
من يشفع للقبيلة ومنهم من يشفع للعصبة ومنهم من يشفع لرجل حتى يدخلوا الجنة
قال حديث حسن وفى مسند البزار عن ثابت انه سمع انس بن مالك يقول قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الرجل يشفع للرجلين والثلاثة وفى الشفا عن كعب الاحبار ان لكل
رجل من الصحابة شفاعة والحق ان الشفاعة العظمى اول المقام المحمود وربما يحسب
من الشفعا رب العالمين ففى الصحيح ثم ارجع الى ربى فى الرابعة فاحمده بتلك
المحامد ثم اخر له ساجدا فيقال لى يا محمد ارفع راسك وقل يسمع لك وسل تعطه
وسل تشفع فاقول يارب ايذن لى فيمن قال لا اله الا الله قال فيقول ليس ذلك
لك او قال ليس ذلك اليك ولكن وعزتى وكبريايى وعظمتى وجبريايى لاخرجن

من قال

من قال لا اله الا الله والمعنى لا تفضلن عليهم باخراجهم بغير شفاعة احد كما فى حديث شفعت
الملايكة وشفع النبيون وشفع المومنون ولم يبق الا ارحم الراحمين ذكره اللاقانى لاهل
الكباير من الذنوب وغيرهم قال صلى الله عليه وسلم شفاعتى لاهل الكباير من امتى وفى
الاربعين فى اصول الدين للفخر الرازى قال فى الاحتجاج على ثبوت الشفاعة انه تعالى امر محمدا
صلى الله عليه وسلم بالاستغفار للمذنبين فقال واستغفر لذنبك وللمومنين والمومنات
والفاسق مومن بدليل قوله تعالى وان طايفتان من المومنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما
فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفى الى امر الله سماه مومنا حال كونه
باغيا وقال تعالى يا ايها الذين امنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى سماه مومنا حال ما قتل النفس
بغير الحق فثبت بهذا ان الله امر محمدا صلى الله عليه وسلم بان يستغفر للفاسق ويلزم من ذلك
ان الله تعالى يقبل شفاعته عليه السلام فى الفاسق وقال تعالى فى حق الملايكة ولا يشفعون
الا لمن ارتضى وصاحب الكبيرة مرتضى عند الله لانه مرتضى بحسب ايمانه ومن صدق
عليه انه مرتضى فى الصفة الفلانية صدق عليه بانه مرتضى وقال تعالى فما تنفعهم شفاعة
الشافعين ذكر ذلك فى معرض التهديد للكفار فلو كان حال المسلم كذلك لم يبق فى هذا التهديد
فرق بين الكافر والمومن وكان تخصيص الكافر به عبثا وقال اللاقانى فى شرح الجوهرة وله
صلى الله عليه وسلم شفاعات خمس احداها وهى اعظمها واعمها شفاعة فصل القضا وهى مختصة
به صلى الله عليه وسلم وثانيتها فى ادخال قوم الجنة بغير حساب وهذه ايضا خاصة به عليه السلام
كما قاله القاضى عياض والنووى وتردد ابن دقيق العيد فى الاختصاص وتبعه ابن حجر قايلا
لا دليل عليه وثالثتها فى قوم استوجبوا النار فيشفع فيهم نبينا صلى الله عليه وسلم فلا يدخلونها
وهذه جزم القاضى عياض والسبكى بعدم اختصاصه به عليه السلام وتردد النووى فى ذلك
ورابعتها فيمن دخل النار من المومنين المذنبين وهذه وقع اطباق القوم على عدم اختصاصها
به عليه السلام حيث كان لهم عمل خير زايد على الايمان اذ الشفاعة فى اخراج من فى قلبه مثقال
ذرة من الايمان ليخرج من النار خاصة به صلى الله عليه وسلم وخامستها الشفاعة فى زيادة الدرجات
فى الجنة وزاد الاسيوطى فى شرح النقاية شفاعة سادسة وهى الشفاعة فى تخفيف العذاب عمن
استحق الخلود فى النار كما فى حق ابى طالب وفى الصحيح انا اول شافع واول مشفع وانه ذكر
عنده عمه ابو طالب فقال لعله تنفعه شفاعتى فيجعل فى ضحضاح من نار والجنة وهى
الحديقة ذات النخل والشجر كذا فى القاموس وقال اللقانى وهى لغة البستان قاله
الجوهرى وقال غيره هى ما تكاثف من الشجر وطالت اغصانه والتف بعضها على بعض وتطلق
على دار الثواب فى دار الاخرة وهى المرادة هنا بجميع انواعها وهل هى سبع جنات متجاورة
اوسطها وافضلها الفردوس وهو اعلاها فوقها عرش الرحمن ومنها تنفجر انهار الجنة

كما جا في الحديث وجنة الماوى وجنة الخلد وجنة عدن ودار السلام ودار الخلد او اربع
ورجحه جماعة اخذا من قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان ثم بعد وصفهما قال ومن دونهما
جنتان او واحدة والاسما والصفات كلها جارية عليها لتحقق معانيها فيها كلها خلاف
في ذلك كله والنار وهي جسم لطيف محرق يطلب العلو مركزا وهي مشتقة من نار
ينور اذا نفر وثار لان لها حركة واضطرابا وقد تطلق مجازا على النار المعنوية كنار الخوف
ونار المحبة كما ان اطلاقها على دار العقاب الاخروي كذلك اطلاقا لاسم الحال على المحل باعتبار
اللغة وقد اشتهر بين حملة الشرع اطلاقها عليها وعلى جميع اطباقها السبع التي اعلاها
جهنم وتحتها لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم وفيها ابو لهب ثم الهاوية وباب
كل من داخلها الاخرى على استوا كما نبه عليه ابن عطية وغيره ذكره اللقاني الموجودتان
الان في هذا الوقت قال امام الحرمين في الارشاد الجنة والنار مخلوقتان اذ لا يحيل العقل
خلقهما وقد شهد لذلك اي من كتاب الله تعالى منها قوله تعالى وجنة عرضها السموات
والارض اعدت للمتقين والاعداد يصرح بثبوت الشي وتحققه وقال تعالى ولقد راه
نزلة اخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة الماوى وتواترت الاخبار في قصة ادم عليه السلام
عن الجنة وادخال ادم اياها واخراجه عنها ووعده الرجوع اليها وكل ذلك ثابت قطعا متلقى
من فحوى الاباث والمستفيض من نقل الاثبات والثقات وقال اللقاني وملخصه ان الجنة
والنار موجودتان الان في عالم يعلمه الله تعالى الذي احاط بكل شي علما وفي الحديث انه قد
كتب الى النبي صلى الله عليه وسلم اتدعوني الى جنة عرضها السموات والارض فاين النار فقال عليه
السلام سبحان الله اين الليل اذا جا النهار وهو حديث صحيح يشهد له ما اخرجه الحاكم وصححه
عن ابي هريرة قال جا رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ارايت جنة عرضها السموات
والارض فاين النار فقال ارايت الليل اذا لبس كل شي فاين جعل النهار فقال السايل
الله اعلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم كذلك الله يفعل ما يشاء الباقيتان الى ما لا نهاية له
بحيث لا تفنيان ولا تزولان ابد الابدين ولا تفنى اهلهما اي اهل الجنة والنار بل هم
مخلدون فيهما من غير فنا ولا زوال وقال جدنا ابن جماعة المقدسي النابلسي في شرح
بدء الامالي مذهب اهل السنة ان الجنة والنار وكذا اهلهما لا يعرض لهما الفنا خلافا
للجهمية وفي شرح العقايد للسعد اي دايمتان لا يطرأ عليهما عدم مستمر لقوله تعالى
في حق الفريقين خالدين فيها ابدا واما ما قيل من انهما يهلكان ولو لحظة تحقيقا
لقوله تعالى كل شي هالك الا وجهه فلا ينافي البقا بهذا المعنى وذهبت الجهمية الى انهما
يفنيان ويفنى اهلهما وهو قول باطل مخالف للكتاب والسنة والاجماع ليس عليه
شبهة فضلا عن حجة ونقل اللقاني قال القرطبي ذكر بعض من ينتمي الى العلم انه يخرج

من النار

من النار كل كافر ومبطل وجاحد ويدخل الجنة وانه جايز في العقل ان ينقطع الغضب
فينعكس بلزوم جواز انقطاع الرحمة عمن دخل الجنة فيخرجون منها ويدخلون النار وهو
خلاف نصوص الشرع قال تعالى وما هم منها بمخرجين عطا غير مجذوذ ولا يدخلون الجنة
حتى يلج الجمل في سم الخياط وبالجملة هذا قول مخالف للقران والسنة والاجماع من الامة
والمعراج وهو السلم والمصعد وعرج عروجا ارتقى كذا في القاموس والمراد
به مطلق الانتقال صعودا حتى يشمل الاسرا فان المقدس اعلى من مكة كما قالوا
لرسول الله محمد صلى الله عليه وسلم في حال اليقظة محركة وهي نقيض النوم وقد يقظ
ككرم وفرح يقاظة ويقظا محركة وقد استيقظ كذا في القاموس بشخصه صلى الله عليه
وسلم اي صورته الجسمانية من المسجد الحرام الذي بمكة الى المسجد الاقصى ببيت المقدس
قال ابن جميل التونسي في التنوير مختصر التفسير الكبير والمراد بالمسجد الحرام الحرم
لاحاطته بالمسجد وهو قول الاكثر وقيل من المسجد بعينه وهو الظاهر والمراد
بالمسجد الاقصى هو بيت المقدس وصف بالاقصى لبعده عن مكة ثم من المسجد
الاقصى الى السما اي جنسها ليشمل السموات السبع ثم الى ما شا الله سبحانه من العلى
قال الشهاب المكي في شرح همزية الابوصيري عن بعض الايمة ان المعاريج ليلة
الاسرا عشرة سبعة في السموات والثامن الى سدرة المنتهى والتاسع الى المستوى
الذي سمع فيه صريف الاقلام في تصاريف الاقدار والعاشر الى العرش والرفرف
والروية وسماع الخطاب بالمكافحة والكشف الحقيقي وفي مواهب القسطلاني وقد
اختلف العلما في الاسرا هل هو اسرا واحد في ليلة واحدة يقظة او مناما او اسراءان
كل واحد في ليلة مرة بروحه وبدنه يقظة ومرة مناما او يقظة بروحه وجسده من
المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ثم مناما من المسجد الاقصى ثم مناما من المسجد الاقصى
الى العرش او هي اربع اسرآت ثم قال والحق انه اسراء واحد بروحه وجسده يقظة
في القصة كلها والى هذا ذهب الجمهور من علما المحدثين والفقها والمتكلمين وتواردت
عليه ظواهر الاخبار الصحيحة ولا ينبغي العدول عن ذلك اذ ليس في العقل ما
يحيله وجميع ما اي الذي اخبر به النبي صلى الله عليه وسلم من اشراط جمع شرط بالتحريك وهو
العلامة كذا في القاموس الساعة وهي الوقت الذي تقوم فيه القيمة وهي ساعة خفيفة
يحدث فيها امر عظيم ذكره المناوي في شرح الجامع الصغير من خروج الدجال من دجل كذب
او من دجل البعير طلاه بالدجيل كزبير القطران وعم جسمه لان الدجال المسيح يعم
الارض او من دجل قطع نواحي الارض سيرا او من دجل تدجيلا غطى وطلى بالذهب
لتمويهه بالباطل او من الدجال للذهب لان الكنوز تتبعه او من الدجال لفرند السيف

او من الدجالة للرفقة العظيمة او من الدجال كسحاب للسرجين لانه يغطي وجه الارض
ذكره في القاموس وفي شرح الجامع الصغير للمناوي قال البسطامي الدجال مهدي اليهود

مطلب الدجال

ينتظرونه كما ينتظر المومنون المهدي ونقل عن كعب الاحبار انه رجل طويل عريض الصدر
مطموس يدعي الربوبية معه جبل من خبز وجبل من اجناس الفواكه وارباب الملاهي

امارات خروج الدجال

جميعا يضربون بين يديه بالطبول والعيدان والمعازف والنايات فلا يسمعه
احد الا تبعه الا من عصمه الله تعالى ومن امارات خروجه تهب ريح كريح قوم عاد
ويسمعون صيحة عظيمة وذلك عند ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وكثرة الزنا وسفك

يخرج الدجال من ناحية المشرق

الدما وركون العلما الى الظلمة والتردد الى ابواب الملوك ويخرج من ناحية المشرق
من قرية تسمى سراباذين ومدينة الاهواز ومدينة اصبهان ويخرج على حمار وهو
يتناول السما بيده ويخوض البحر الى كعبيه ويستظل في اذن حماره خلق كثير ويمكث
في الارض اربعين يوما ثم تطلع السما يوما حمرا ويوما صفرا ويوما سودا ثم يصل
المهدي وعسكره الى الدجال فيلقاه ويقتل من اصحابه ثلاثين الفا وينهزم ثم يهبط
عيسى عليه السلام الى الارض وهو متعمم بعمامة خضرا متقلدا بسيف راكب على فرسه وبيده
حربة فياتي اليه فيطعنه بها فيقتله وخروج دابة الارض وتسمى الجساسة
قال النووي في شرح مسلم قيل سميت بذلك لتجسسها الاخبار للدجال وفي تحفة الحبيب
للشيخ محمد بن الشيخ علوان وما كنت اليه ظهوره من اشراط الساعة واخبرنا

بيان دابة الارض

نبينا صلى الله عليه وسلم بوقوعه وخبره صدق لا مرية فيه دابة الارض وهي دابة
راسها راس ثور وعينها عين خنزير واذنها اذن فيل وقرنها قرن ايل وصدرها
صدر اسد ولونها لون نمر وخاصرتها خاصرة هر وذنبها ذنب كبش وقوايمها
قوايم بعير بين كل مفصلين اثنا عشر ذراعا ويقال ان وجهها وجه رجل وساير خلقتها
كخلقة ونقال بان راسها يمس السحاب ورجلاها في الارض يكون لها ثلاث خرجات من
الدهر فتخرج خرجا باقصى اليمن ثم يفشوا ذكرها بالبادية ولا يدخل ذكرها مكة ثم
تخرج قريبا من مكة ثم بينا الناس في المسجد الحرام واذا بها قد خرجت ما بين الركن
الاسود الى باب بني مخزوم ثم تذهب سايحة في الارض لا يدركها طالب ولا يعجزها
هارب ومعها خاتم سليمان وعصى موسى عليهما السلام تسم الرجل في وجهه فيعرف الكافر
من المومن وقيل بانها تخرج من الصفا وتضطرب الارض من خروجها فاول ما يبدا منها
راسها ملمعة ذات وبر وريش ويقال بانها تخرج من شعب جياد فاذا خرجت تكلمت

بيان ياجوج وماجوج

بكلام عربي فصيح قيل تقول هذا مومن وهذا كافر وقيل تقول قوله تعالى ان الناس كانوا
باياتنا لا يوقنون وخروج ياجوج وماجوج وهما امتان مضرتان مفسدتان كافرتان

القول بان ياجوج وماجوج خلقوا من مني ادم المختلط بالتراب وليسوا من حوا غريب جدا لا دليل عليه

من نسل يافث بن نوح وخروجهما بعد عيسى عليه السلام والقول بانهم خلقوا من مني
ادم عليه السلام المختلط بالتراب وليسوا من حوا غريب جدا لا دليل عليه وانما يحكيه
بعض اهل الكتاب وفي التيجان ان امة منهم امنوا فتركهم ذو القرنين لما بنى السد
بارمينية فسموا لذلك الترك والديلم ذكره المناوي في شرح الجامع الصغير وفي تحفة
الحبيب ويقال انهم تسعة اعشار بني ادم واصلهما من اجيج النار وهو ضوءها وشررها
شبهوا به لكثرتهم وشدتهم وهم من اولاد يافث بن نوح والترك منهم قيل ان طايفة
منهم خرجت تغير فضرب ذو القرنين السد فبقوا خارجه فسموا الترك لانهم
تركوا خارجين وفي التواريخ ان اولاد نوح عليه السلام ثلاثة سام وحام ويافث فابو
العرب والعجم والروم سام وابو الحبشة حام والزنج والنوبة ويافث
ابو الترك والخزرج والصقالبة وياجوج وماجوج وقيل ياجوج امة وماجوج امة
كل امة اربعة الاف امة لا يموت منهم رجل الا وينظر الف ذكر من صلبه قد حملوا السلاح
وهم ثلاثة اصناف منهم مثل الارز وهو شجر معروف في الشام طوله ماية وعشرون
ذراعا ومنهم من طوله وعرضه سوا ماية وعشرون ومنهم من يفترش اذنه ويلتحف
بالاخرى لا يمرون بفيل ولا شي من انواع الوحوش الا اكلوه ومن مات منهم اكلوه
اولهم بالشام واخرهم بخراسان يشربون انهار المشرق وبحيرة طبرية ويقال ان منهم
من هو مفرط في الطول ومنهم من طوله شبر واحد ونزول عيسى بن مريم عليه السلام
من السما التي هو فيها الان وهي السما الثانية على المنارة البيضا شرقي دمشق من
غير تعيين انها منارة الجامع الاموي اذ ليس في الحديث ما يدل على ذلك فيقتل الدجال
ويبطل الجزية وحواريه يومئذ اصحاب الكهف والرقيم ويحجون معه فانهم
لم يحجوا ولم يموتوا ثم يقرر عليه السلام امور الشريعة المطهرة وتجدد لهذه الامة
امر دينها ويضعف حال الناس فلا يموت احد ولا يمرض اربعين سنة ويقول الرجل لغنمه
ولدوابه اذهبوا فارعوا وتمر الماشية بين الزرعين من غير ان توذيه ويرتفع
في زمنه اذى الموذيات من الحشرات والافاعي والسباع ويبذر الزارع مدا من القمح
فيجي منه سبعماية مد من غير حرث ويتزوج ويولد له ويمكث في الارض خمسة واربعين
سنة ويدفن في روضة المصطفى صلى الله عليه وسلم وطلوع الشمس من مغربها
فيمتنع قبول التوبة حينيذ قال العلما لان الناس حينيذ يخلص الى قلوبهم
من الفزع ما تخمد به كل شهوة وتفتر به كل قوة لتيقنهم بالقيامة كحال من حضرته
الوفاة واخذ في النزع وانتهت روحه الى حلقومه ومن هذه حاله لا تقبل له توبة
لانه عاين الحق وراى مقعده من الجنة او النار فالمشاهد لطلوع الشمس مثله وقيل

ان الحكمة في طلوع الشمس من مغربها ان ابراهيم عليه السلام قال للنمرود فان الله ياتي بالشمس
من المشرق فات بها من المغرب فبهت وانقطع وانكر الملاحدة والمنجمون عن اخرهم ذلك
وقالوا انه لا يمكن ولا يكون وانه لم تقم لابراهيم عليه السلام بذلك حجة على النمرود فيطلع
الله سبحانه الشمس يوما من المغرب ليرى المنكرون قدرته سبحانه على ذلك وان الشمس في
قبضته فهو ان شا اطلعها من المشرق وان شا اطلعها من المغرب ذكره اللاقاني ونحوه
اى مثل ذلك المذكور من با في علامات الساعة كرفع القران من الصدور والمصاحف
وهدم الكعبة والدخان والخسف الى غير ذلك مما هو مسطر في الكتب المصنفة في هذا الشان
كله اى كل ما تقدم من قوله وعذاب القبر الى هنا حق اى ضد الباطل او امر مقتضيا و
حقيقة الامر كذا في القاموس والكبيرة من الذنوب اذا فعلها المكلف والمراد الجنس
وكذلك الكباير الكثيرة اذا فعلها قال القرطبي في شرح مسلم وقد اختلف العلما قديما وحديثا
في الكباير ما هي وفي الفرق بينها وبين الصغاير فروى عن ابن مسعود رضي الله عنه ان الكباير
جميع ما نهى الله عنه من اول سورة النسا الى قوله ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه نكفر
عنكم سياتكم وعن الحسن انها كل ذنب ختمه الله بنار او غضب او لعنة او عذاب وقيل
هي كل ما اوعد الله عليه بنار او بحد في الدنيا وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما انها كل ما نهى
الله عنه وما اظنه صحيحا لانه مخالف لما في كتاب الله تعالى من التفرقة بين المنهيات
فانه قد فرق بينها في قوله تعالى ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه نكفر عنكم
سياتكم وقوله الذين يجتنبون كباير الاثم والفواحش الا اللمم فجعل من المنهيات
كباير وصغاير وفرق بينهما في الحكم لما جعل تكفير السيات في الاية مشروطا
باجتناب الكباير واستثنى اللمم من الكباير والفواحش فكيف يخفى هذا الفرق
على مثل ابن عباس رضي الله عنهما وهو حبر القران فتلك الرواية عن ابن عباس ضعيفة
او لا تصح وكذلك اكثر ما روى عنه لقد كذب الناس عليه كثيرا انتهى كلام القرطبي ويمكن
الجواب عنه بان القول بان الكباير كل ما نهى الله عنه نظر الى عظمة الناهي وهو الله حيث
عصى عن عمد وقصد مخالفة فان كانت المعصية زلة سقط بها فاعلها لجهل او غلبة
شهوة ونحو ذلك فهي اللمم المغفور مشتق من الم بالمكان اذا نزل فيه ساعة بقصد الاستراحة
ثم الانتقال عنه وكذلك فعل ما نهى الله عنه اذا لم به المكلف ساعة بقصد الاقلاع والانتقال
عنه بالتوبة من غير اصرار عليه فهو اللمم وهو السيات التي قال تعالى ان تجتنبوا
كباير ما تنهون عنه يعني الذنوب كلها مع الاصرار وقصد المداومة عليها والانهماك
فيها نكفر عنكم سياتكم يعني الماكم بها على وجه الزلة بقصد الاقلاع عنها في الحال
واستقباحها فيكون الانقسام اعتباريا كما قلنا فتصح الرواية عن ابن عباس

رضي

رضي الله عنهما بذلك ويؤيده قول امام الحرمين في الارشاد المرضي عندنا ان كل ذنب كبيرة
اذ لا تراعى اقدار الذنوب حتى تضاف الى المعصى بها فرب شيء يعد صغيرة بالاضافة
الى الاقران ولو صور في حق ملك لكان كبيرة تضرب بها الرقاب والرب تعالى
اعظم من عصى واحق من عبد بالعبادة وكل ذنب بالاضافة الى مخالفته عظيم
ولكن الذنوب وان عظمت لما ذكرنا فهي متفاوتة في رتبها فبعضها اعظم من بعض
فهذا كما ان الانبيا عليهم السلام بالفضيلة وعلو الرتبة وبعضهم اعلى من بعض
فهذا اما نرتضيه وقال اللاقاني في شرح جوهرته اختلف السلف والخلف في حد
الكبيرة وتمييزها من الصغيرة فعن ابن عباس رضي الله عنهما كل شي نهى الله عنه
فهو كبيرة وبهذا اخذ الاستاذ ابو اسحق الاسفرايني وحكاه القاضي عياض
عن المحققين احتجاجا بان كل مخالفة فهي بالنسبة الى جلال الله تعالى كبيرة وقال
الغزالي في بسيطه والضابط الشامل في حد الكبيرة انها كل معصية يقدم عليها المرء
من غير استشعار خوف وحذار ندم كالمتهاون بارتكابها والمستجرى عليها
اعتيادا فما اشعر بهذا الاستخفاف والتهاون فهو كبيرة وما يحمل عليه فلتات
النفس وفترات مراقبة التقوى ولا ينفك عن تندم يمتزج به تنغيص التلذذ
بالمعصية فهذا لا يمنع العدالة وليس هو بكبيرة وسياتي بيان افراد الكباير
والصغاير في موضع من هذا الكتاب ان شا الله تعالى لا تخرج العبد المومن من
الايمان ولو كان مصرا على فعلها لبقا التصديق الذي هو حقيقة الايمان وقال
الكرماني في شرح البخاري واما عند الخوارج فالكبيرة موجبة للكفر وعند المعتزلة
موجبة للمنزلة بين المنزلتين صاحبها لا مومن ولا كافر وهذا في ارتكابها
احترازا عن اعتقادها لانه لو اعتقد حل بعض المحرمات المعلومة من الدين ضرورة
كالخمر كفر بلا خلاف ولا تدخله تلك الكبيرة اذا فعلها وكذلك الكباير المتعددة
في الكفر كما قال تعالى وان طايفتان من المومنين اقتتلوا الاية فسماهم مومنين فعلم
ان صاحب الكبيرة لا يخرج عن الايمان ولا تخلده اى الكبيرة في النار اذا ادخلها
للتطهير ولا تحبط اى تبطل طاعته وقالت الرافضة والاباضية وبعض الخوارج
ان المذنبين من المومنين يخلدون في النار بذنوبهم وقد نطق القران بتكذيبهم
في مواضع منها قوله عز وجل ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا
ومذهب اهل الحق على ان من مات موحدا لا يخلد في النار وان ارتكب من الكباير غير
الشرك ما ارتكب وقد جات به الاحاديث الصحيحة منها قوله عليه السلام وان زنى
وان سرق كذا في شرح البخاري للعيني والله تعالى بمحض عدله لا يغفر اى لا يعفو

ولا يسامح ان يشرك به ولو كان نبيا بدليل لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين والشرك
اعتقاد المشاركة بينه تعالى وبين شيء في وصف او حكم واذا ذكر مع الكفر افترق
معناهما بانه اعتقاد المشاركة والكفر ستر الحق بالجحود والتكذيب وما في معنى ذلك
كالتهاون بالمحترم شرعا والاستهزاء به واما اذا ذكر كل واحد منهما على حدة شمل احدهما
الاخر في المعنى فمعنى الشرك هنا ما هو اعم منه ومن الكفر والزيغ والتكذيب فان الله تعالى
لا يغفر شيا من ذلك بلا توبة منه قبل الغرغرة بالايمان والتبري مما عدا دين الحق من ساير
الاديان ولا تقع الشفاعة في شيء من ذلك يوم القيمة قال اللاقاني في شرح جوهرته اما الكفر
فلا يقع منه تعالى العفو عنه للزوم الكذب في اخباره تعالى بقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به
الاية ولا فرق فيه بين الاصلي والارتداد شركا كان او غيره وعرف الشيخ ابن عرفة المالكي
الكفر بانه عدم التصديق المكمن بما علم ضرورة مجي الرسول به او فعل يدل عليه غالبا
كقتل النبي والقا المصحف في القاذورات وقال العيني في شرح البخاري والمراد بالشرك في هذه
الكفر لان من جحد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم كان كافرا ولو لم يجعل مع الله الها اخر والمغفرة منتفية
عنه بلا خلاف ويغفر اي يعفو وعلا يسامح ما دون ذلك اي دون الشرك من جميع الذنوب
الكباير والصغاير لمن يشاء المغفرة له قال العيني في شرح البخاري والمراد من هذه الاية من مات
على الذنوب من غير توبة ولو كان المراد من تاب قبل الموت لم يكن للتفرقة بين الشرك وغيره
معنى اذ التايب من الشرك قبل الموت مغفور له وقال اللاقاني اختلف في
جواز العفو عن الكباير بدون التوبة فجوزه اهل السنة والجماعة بل اثبتوا وقوعه خلافا
للمعتزلة تمسك اهل السنة على جواز العفو بان العقاب حقه سبحانه فيحسن اسقاطه
مع ان فيه نفعا للعبد من غير ضرر لاحد وبالايات والاحاديث الناطقة بالعفو والغفران
كقوله تعالى وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفوا عن السيات او يوبقهن بما كسبوا
ويعفوا عن كثير ان الله يغفر الذنوب جميعا ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك
لمن يشا ان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وفي الحديث يا عبدي لو اتيتني بقراب
الارض ذنوبا لا تيتك بمثلها مغفرة اي ما لا يحصر منها ومعنى العفو والغفران واحد
وهو ترك عقوبة المجرم والستر عليه بعدم المواخذة قال والفرق بين المعاصي يجوز
ان تغفر وبين الكفر فلا يجوز ان يغفر ان العاصي قل ما ينفك عن عقابه خوف عقاب ورجاء
رحمة وغير ذلك من خيرات تقابل ما ارتكب من المعصية اتباعا للهوى بخلاف الكافر
وايضا الكفر مذهب والمذهب يعتقد للابد وحرمته لا تحتمل الارتفاع اصلا فكذلك عقوبته
بخلاف المعصية فانها لوقت الهوى والشهوة وقال الشيخ الاكبر محي الدين ابن العربي
رضي الله عنه اعلم ان الشرك عدم لا وجود له هذا ما يتيقنه المومن بايمانه واذا كان عدما

فلا يغفره الله تعالى اذ الغفر الستر ولا يستر الا ما له وجود واما المعصية فلها وجود فيمكن
ان تتعلق المغفرة بها ويجوز العقاب من الله تعالى لعبده المكلف على فعل الصغيرة من
صغاير الذنوب ولو كان فعل تلك الصغيرة مع اجتناب جميع الكباير لان الله تعالى لا يجب عليه
شي ولا يمتنع منه شي فمجازاته لعباده دايرة بين فضله وعدله والظلم عليه محال لدخول
الصغيرة تحت قوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشا فعلقت المغفرة بالمشية فمن لم يشا
ان يغفر له يجوز ان يعاقبه على الصغيرة او على الكبيرة وقال تعالى لا يغادر صغيرة ولا كبيرة
الا احصيها والاحصا انما يكون للسوال والمجازاة وقال اللاقاني هذا الحكم مما اختلف فيه
فذهب بعض المعتزلة وجماعة من الفقها والمحدثين الى ان المكلف اذا اجتنب الكباير
كفرت صغايره قطعا ولم يجز تعذيبه عليها لا بمعنى الامتناع العقلي بل لورود الادلة السمعية
به وذهب ايمة الكلام الى ان ذلك الحكم ظني يقوى به الرجا تمسكا بانا لو قطعنا لمجتنب الكباير
بتكفير صغايره بالاجتناب لكانت له في حكم المباح الذي يقطع بانه لا تباعة فيه وذلك نقض
لعرى الشريعة واجابوا عن متمسك الاولين بان الكبيرة في الاية محمولة على الكفر لاطلاقها
والفرد عند اطلاقه يحمل على الكامل من نوعه وقد جمع الكباير باعتبار تعدد انواع الكفر
من تهود وتنصر وتمجس لو قلنا بانه ملة واحدة من حيث الحكم ولتعدده افراده القايمة
بافراد المكلفين وما ذهب اليه المتكلمون هو الذي لا غبار عليه واعلم ان النزاع هو انما هو في
قطعية التكفير وظنيته لا في جواز تكفير الصغاير باجتناب الكباير فانه ليس محل خلاف
لاحد ومبنى النزاع هل يجوز العقاب على الصغيرة او لا والحق جوازه والمراد من الاجتناب
ما يعم التوبة بعد الملابسة وقيد ابن عطية المعطلة بمن اتى بالفرايض ولفظ القران القرطبي
فدل القران على ان في الذنوب صغاير وكباير خلافا لمن قال كلها كباير وان الصغاير كاللمس والنظر
يكفر باجتناب الكباير قطعا لوعده الصدق وقوله الحق الا انه لا يجب عليه ذلك لكن بضميمة
اخرى الى الاجتناب وهي اقامة الفرايض لقوله صلى الله عليه وسلم ما من عبد يودي الصلوات
الخمس ويصوم رمضان ويجتنب الكباير السبع الا فتحت له ثمانية ابواب الجنة يوم
القيمة حتى انها لتصفق ثم تلا ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه الاية وفي مسلم عن ابي هريرة
رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات
لما بينهن اذا اجتنبت الكباير وعلى هذا جماعة اهل التاويل وجماعة الفقها وهو الصحيح في
الباب واما الكباير فلا يكفرها الا التوبة منها والاقلاع عنها والوضو يكفر الصغاير وكذا
الحج المبرور ويجوز ايضا العفو اي المسامحة عن فعل الكبيرة اي جنسها يشمل الواحدة
والكثير ولو كان ذلك العفو بلا توبة من العبد قال اللاقاني اختلف في جواز العفو عن الكباير
بدون التوبة فجوزها اهل السنة والجماعة بل اثبتوا وقوعه خلافا للمعتزلة تمسك اهل السنة

على جواز العفو بان العقاب حقه سبحانه فيحسن اسقاطه مع ان فيه نفعا للعبد
من غير ضرر لاحد وبالايات والاحاديث الناطقة بالعفو والغفران كقوله تعالى وهو الذى
يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات او يوبقهن بما كسبوا ويعفو عن كثير ان الله
يغفر الذنوب جميعا انتهى وقد سبق الكلام على هذا ومحله اذا لم يكن عن استحلال فالاستحلال
كفر لما فيه من التكذيب المنافى للتصديق وبهذا اول النصوص الدالة على تخليد العصاة
فى النار وعلى سلب اسم الايمان عنهم ذكره السعد فى شرح العقايد والله تعالى يجيب الدعوات
لعباده ويقضى الحاجات لهم تفضلا منه تعالى على عباده قال الله تعالى ادعونى استجب
لكم وقال عليه السلام يستجاب للعبد ما لم يدع باثم او قطيعة رحم ما لم يستعجل وفى رواية
يستجاب لاحدكم ما لم يعجل فيقول دعوت فلا او فلم يستجب لى وفى رواية لا يزال يستجاب
للعبد ما لم يدع باثم او قطيعة رحم ما لم يستعجل قيل يا رسول الله ما الاستعجال قال يقول
قد دعوت وقد دعوت فلم ير يستجب فيستحسر عند ذلك ويدع الدعا قال اهل اللغة
حسر واستحسر اذا اعيا وانقطع عن الشى والمراد هنا انه ينقطع عن الدعا ومنه قوله
تعالى لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون اى لا ينقطعون عنها ففيه انه
ينبغى ادامة الدعا ولا يستبطى الاجابة ذكره النووى فى شرح مسلم وقال السعد فى
شرح العقايد واعلم ان العمدة فى ذلك صدق النية وخلوص الطوية وحضور القلب لقوله عليه
السلام ادعوا الله وانتم موقنون بالاجابة واعلموا ان الله لا يستجيب الدعا من قلب غافل
لاه واختلف المشايخ فى انه هل يجوز ان يقال يستجاب دعا الكافر فمنعه الكافى الجمهور
لقوله تعالى وما دعا الكافرين الا فى ضلال ولانه لا يدعو الله تعالى لانه لا يعرفه فانه وان اقر به
فلما وصفه بما لا يليق به فقد نقض اقراره وما روى فى الحديث من ان دعوة المظلوم وان كان كافرا
يستجاب فمحمولة على كفران النعمة وجوزه بعضهم لقوله تعالى حكاية عن ابليس رب انظرنى
فقال له الله تعالى انك من المنظرين هذه اجابة واليه ذهب ابو القاسم الحكيم وابو نصر
الدبوسى قال الصدر الشهيد وبه يفتى انتهى والجواب عن الاية ان معنى كون دعايهم فى
ضلال انه يستجاب لهم فيظنون انهم على شى فيزدادون ضلالا لهم فيكون اجابة دعايهم اضلالا
لهم والله يضل من يشا ويهدى من يشا وقال النووى فى شرح مسلم بعد ذكره الاحاديث
المشتملة على الادعية وفى هذه دليل لاستحباب الدعا وهذا هو الصحيح الذى اجمع عليه العلما
واهل الفتاوى فى الامصار فى كل الاعصار وذهبت طايفة من الزهاد واهل المعارف
الى ان ترك الدعا افضل استسلاما للقضا وقال اخرون منهم ان دعا للمسلمين فحسن وان دعا
لنفسه فالاولى تركه وقال اخرون منهم ان وجد فى نفسه باعثا للدعا استحب والا فلا ودليل
الفقها ظواهر القران والسنة فى الامر بالدعا وفعله والاخبار عن الانبيا صلوات الله وسلامه
عليهم

150

عليهم بفعله والايمان بالله تعالى وبانبيايه عليهم السلام وجميع ما اخبروا عنه من الحق
يعنى التصديق بذلك بكل ذلك هو والاسلام اى التسليم والانقياد والاذعان لجميع ما ذكر واحد
باعتبار المعنى الشرعى دون المعنى اللغوى قال فى القاموس امن به ايمانا صدقه والايمان
الثقة واظهار الخضوع وقبول الشريعة والاسلام الاسم من التسليم والتسليم الرضا
واسلم انقاد وصار مسلما كاستسلم وقال القرطبى فى شرح مسلم الاسلام هو الاستسلام
والانقياد ومنه قوله تعالى قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا اى انقدنا وهو فى الشرع الانقياد
بالافعال الظاهرة الشرعية ولذلك قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه عنه انس رضى الله عنه
الاسلام علانية والايمان فى القلب ذكره ابن ابى شيبة فى مسنده والايمان لغة هو
التصديق مطلقا وفى الشرع التصديق بالقواعد الشرعية كما نبه عليه النبى صلى الله عليه وسلم
فى حديث انس هذا وقد تنا قش علما الاصول فى هذه الاسما الشرعية تناقشا لا طايل له اذا
حقق الامر فيه وذلك انهم متفقون على انها يستفاد منها فى الشرع زيادة على اصل
الوضع وهل ذلك المعنى يصير تلك الاسما موضوعة كالوضع الابتداى من قبل
الشرع او هى مبقاة على الوضع اللغوى والشرع انما تصرف فى شروطها واحكامها
هنا تناقشهم والامر قريب والحاصل ان الشرع تصرف فى حال هذه الاسما لا فى اصل
وضعها فخصص عاما كالحال فى الاسلام والايمان فانهما بحكم الوضع يعمان كل انقياد مخصوص
وكذلك فعلت العرب فى لغتها فى الاسما العرفية كالدابة فانها فى الاصل اسم لكل ما يدب
ثم عرفهم خصصها ببعض ما يدب فالاسما الشرعية كالاسما العرفية فى هذا التصرف
وقد استفدنا من هذا البحث ان الايمان والاسلام حقيقتان متباينتان لغة وشرعا
كما دل عليه حديث جبريل وغيره وهذا هو الاصل فى الاسما المختلفة اعنى ان يدل كل واحد
منها على خلاف ما يدل عليه الاخر غير انه قد توسع الشرع فيهما فاطلق اسم الايمان على حقيقة
الاسلام كما فى حديث وفد عبد القيس الوارد فى صحيح مسلم فانه اطلق فيه اسم الايمان
على ما جعله فى حديث جبريل اسلاما وكقوله عليه السلام الايمان بضع وسبعون بابا
فادناها اماطة الاذى عن الطريق وارفعها قول لا اله الا الله وقد اطلق الاسلام مريدا
به مسمى الاسلام والايمان بمعنى التداخل كقوله تعالى ان الدين عند الله الاسلام وقد اطلق
الايمان كذلك ايضا كما روى من حديث على رضى الله عنه مرفوعا الايمان اعتقاد بالقلب واقرار
باللسان وعمل بالاركان وهذه الاطلاقات الثلاث من باب التجوز والتوسع على عادة
العرب فى ذلك وهذا اذا حقق يزيح من كثير من الاشكال الناشى من ذلك الاستعمال
وهو اى ذلك الواحد الذى هو الايمان والاسلام فى الاستعمال الشرعى تصديق
النبى صلى الله عليه وسلم فى جميع ما علم بالبنا للمفعول اى علم المكلف بالضرورة اى من غير

فكر ونظر وفسره السعد فى شرح العقايد بما يجد ته الله تعالى فى نفس العالم من غير كسبه
واختياره كالعلم بوجوده وتغير احواله وذكر ايضا ان العلم الثابت بالضرورة كالمحسوسات
والبديهيات والمتواترات انتهى فالمراد بما علم بالضرورة اى بطريق التيقن والتثبت
من غير شك ولا تردد اما بسماعه من فم الرسول صلى الله عليه وسلم كالحاضرين فى زمانه عليه
السلام او بطريق تواتر الخبر عنه صلى الله عليه وسلم بمضمونه مجيئه اى مجى النبى صلى الله
عليه وسلم به من عند الله تعالى الى الخلق والاقرار اى النطق باللسان فى القادر على ذلك
متى اراد به اى بجميع ما علم بالضرورة مجى النبى صلى الله عليه وسلم به وبيان ذلك ما قال القرطبى
رحمه الله تعالى فى شرح مسلم ان الايمان بالله هو التصديق بوجوده تعالى وانه لا يجوز عليه
العدم وانه تعالى موصوف بصفات الجلال والكمال من العلم والقدرة والارادة والكلام
والسمع والبصر والحياة وانه تعالى منزه عن صفات النقص التى هى اضداد تلك الصفات
وعن صفات الاجسام والمتحيزات وانه واحد حق صمد فرد خالق جميع المخلوقات متصرف
فيها بما يشا من التصرفات يفعل فى ملكه ما يريد ويحكم فى خلقه ما يشا والايمان بالملايكة
هو التصديق بانهم عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون لا يعصون الله ما
امرهم ويفعلون ما يومرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون وانهم سفرا الله تعالى
بينه وبين رسله والمتصرفون كما اذن لهم فى خلقه والايمان بكتب الله هو التصديق
بانها كلام الله ومن عنده وان ما تضمنته حق وان الله تعالى امر خلقه باحكامها وفهم معانيها
والايمان برسل الله هو انهم صادقون فيما اخبروا به عن الله تعالى وان الله تعالى ايدهم بالمعجزات
الدالة على صدقهم وانهم بلغوا عن الله رسالاته وبينوا المكلفين ما امرهم الله بتبيانه وانه
يجب احترامهم وان لا يفرق بين احد منهم والايمان باليوم الاخر هو التصديق بيوم القيمة وما
اشتمل عليه من الاعادة بعد الموت والنشر والحشر والحساب والميزان والصراط والجنة والنار
وانهما دار ثوابه وجزايه للمحسنين والمسيين الى غير ذلك مما صح نصه وثبت نقله والايمان
بالقدر هو التصديق بما تقدم ذكره وحاصله هو ما دل عليه قوله تعالى والله خلقكم وما تعملون
وقوله انا كل شى خلقناه بقدر وقوله وما تشاون الا ان يشا الله واجماع السلف والخلف
على صدق قول القايل ما شا الله كان وما لم يشا لم يكن وقوله صلى الله عليه وسلم كل شى بقدر حتى
العجز والكيس ومذهب السلف وايمة الفتوى من الخلف ان من صدق بهذه الامور تصديقا
جزما لا ريب فيه ولا تردد ولا توقف كان مومنا حقيقة وسوا كان ذلك عن براهين قاطعة
او عن اعتقادات جازمة على هذا انقرضت الاعصار الكريمة وبه صرحت فتاوى ايمة الهدى المستقيمة
حتى حدثت مذاهب المعتزلة المبتدعة فقالوا انه لا يصح الايمان الشرعى الا بعد الاحاطة بالبراهين
القطعية العقلية والسمعية وحصول العلم بنتايجها ومطالبها ومن لم يحصل ايمانه كذلك

فليس

فليس بمومن ولا يجزى ايمانه بغير ذلك وتبعهم على ذلك جماعة من متكلمى اصحابنا كالقاضى ابى
بكر وابى اسحق الاسفراينى وابى المعالى فى اول قوليه والاول هو الصحيح اذ المطلوب من المكلفين
ما يقال عليه ايمان لقوله تعالى امنوا بالله ورسوله ومن لم يومن بالله ورسوله والايمان هو
التصديق لغة وشرعا فمن صدق بذلك كله ولم يجوز نقيض شى من ذلك فقد عمل بمقتضى ما
امره الله به على نحو ما امره الله تعالى ومن كان كذلك فقد تقصى عن عهدة الخطاب اذ قد عمل
بمقتضى السنة والكتاب ولان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه بعده حكموا بصحة ايمان كل
من امن وصدق بما ذكرناه ولم يفرقوا بين من امن عن برهان او عن غيره ولانهم لم يامروا
اجلاف العرب بترديد النظر ولا سالوهم عن ادلة تصديقهم ولا ارجوا ايمانهم حتى ينظروا
وتحاشوا عن اطلاق الكفر على احد منهم بل سموهم المومنين والمسلمين واجروا عليهم احكام
الايمان والاسلام ولان البراهين التى حررها المتكلمون ورتبها الجدليون انما احدثها المتاخرون
ولم يخض فى شى الاساليب السلف الماضون فمن المحال والهذيان ان يشترط فى صحة الايمان
ما لم يكن معروفا ولا معمولا به لاهل ذلك الزمان وهم من هم فهما عن الله واخذا عن
رسول الله وتبليغا لشريعته وبيانا لسنته وطريقته انتهى كلام القرطبى رحمه الله تعالى
وهو يقتضى عدم اشتراط النطق ايضا باللسان فى صحة الايمان وهو قول المحققين قال
الشيخ العينى فى شرح البخارى ان الايمان عند المحققين واليه ذهب الاشعرى واكثر
الايمة كالقاضى عبد الجبار والاستاذ ابو اسحق الاسفراينى والحسين بن الفضل وغيرهم
هو مجرد التصديق بالقلب اى تصديق الرسول عليه السلام فى كل ما علم مجيئه به بالضرورة
تصديقا جازما مطلقا اى سوا كان بدليل او لا فقولهم مجرد التصديق اشارة الى انه لا يعتبر
فيه كونه مقرونا بعمل الجوارح والتقييد بالضرورة للاخراج ما لم يعلم بالضرورة ان
الرسول جا به كالاجتهاديات كالتصديق بان الله تعالى عالم بالعلم او عالم بذاته والتصديق
بكونه مريا او غير مرى فان هذين وامثالهما غير داخلة فى مسمى الايمان ولهذا لا يكفر
منكر الاجتهاديات بالاجماع والتقييد بالجازم لاخراج التصديق الظنى فانه غير كاف
فى حصول الايمان والتقييد بالاطلاق لدفع وهم خروج اعتقاد المقلد فان ايمانه صحيح عند
الاكثرين وهو الصحيح وقال السعد فى شرح العقايد هذا الذى ذكره من ان الايمان
هو التصديق والاقرار مذهب بعض العلما وهو اختيار الامام شمس الايمة وفخر الاسلام
وذهب جمهور المحققين الى انه التصديق بالقلب وانما الاقرار شرط لاجرا الاحكام فى الدنيا
لما ان تصديق القلب امر باطن لا بد له من علامة فمن صدق بقلبه ولم يقر بلسانه فهو مومن
عند الله وان لم يكن مومنا فى احكام الدنيا ومن اقر بلسانه ولم يصدق بقلبه كالمنافق فبالعكس
وهذا هو اختيار الشيخ ابى منصور والنصوص معاضدة لذلك قال الله تعالى اولئك كتب فى

قلوبهم الايمان وقال تعالى وقلبه مطمين بالايمان وقال تعالى ولما يدخل الايمان فى قلوبكم وقال
النبى صلى الله عليه وسلم اللهم ثبت قلبى على دينك وقال لاسامة حين قتل من قال
لا اله الا الله هل لا شققت عن قلبه والاعمال بالجوارح خارجة عن حقيقته اى حقيقة
الايمان قال فى شرح الصحايف الايمان فى اللغة التصديق وفى الشرع تختلف فيه فقال
المحققون هو تصديق الرسول بكل ما علم بالضرورة مجيه به ويقرب من هذا ما ذهب
اليه ابو حنيفة رضى الله عنه ان الايمان هو المعرفة والاقرار اى العلم بما قال النبى صلى الله
عليه وسلم والاقرار به وقالت المعتزلة الايمان هو مجموع الطاعات ونقل عن السلف
ان الايمان هو التصديق بالجنان والاقرار باللسان والعمل بالاركان ونقل عن على رضى الله
عنه مثل ذلك وبه قال الشافعى رحمه الله تعالى هو معرفة بالقلب واقرار باللسان
وعمل بالاركان وقال الكرمانى فى شرح البخارى وذكر فى الكتب الكلامية له تفاسير فقال
المتاخرون هو تصديق الرسول بما علم مجيه به ضرورة والحنفية التصديق والاقرار
والكرامية الاقرار وبعض المعتزلة الاعمال والسلف التصديق بالجنان والاقرار باللسان
والعمل بالاركان فهذه الاقوال خمسة الثلاثة منها بسيطة وواحد منها مركب ثناى
والخامس مركب ثلاثى ووجه انحصاره اما بسيطا اولا والبسيط اما اعتقادى او قولى
او عملى وغير البسيط اما ثناى واما ثلاثى وهذا كله بالنظر الى ما عند الله تعالى اما عندنا
فالايمان هو الكلمة فاذا قالها حكمنا بايمانه اتفاقا بلا خلاف ثم لا تغفل ان النزاع فى
واما الكمال فانه لا بد فيه من الثلاث اجماعا واذا تحققت هذه الدقايق انفتح عليك
المغالق ان شا الله تعالى وحيث كانت الاعمال خارجة عن حقيقته فلا يزيد بالطاعات
ولا ينقص بالمعاصى والمخالفات قال الكرمانى فى شرح البخارى مذهب السلف ان الايمان
قول وعمل ونية ويزيد وينقص ومعناه انه يطلق على التصديق بالقلب وعلى النطق باللسان
وعلى الاعمال بالجوارح ويزيد بزيادة هذه وينقص بنقصها والكرامى المتكلمين زيادته
ونقصه قالوا متى قبل الزيادة والنقص كان شكا وكفرا وقال المحققون منهم نفس التصديق
لا يزيد ولا ينقص والايمان الشرعى يزيد وينقص بزيادة ثمراته ونقصانه وهى الاعمال
قال النووى والمختار خلافه وهو ان نفس التصديق ايضا يزيد وينقص بكثرة النظر
وتظاهر الادلة ولهذا يكون ايمان الصديق اقوى بحيث لا يتزلزل بعارض ولا يتشكك
عاقل فى ان نفس تصديق ابى بكر رضى الله عنه لا يساويه تصديق احاد الناس انتهى
ولا شك ان عدم المساواة فى القوة والضعف ليست زيادة فى حقيقة الايمان وجوهره
وانما هى زيادة فى وصفه كالانسان المريض والانسان القوى فان الانسانية فيهما على
السوا من غير زيادة فى القوى دون الضعيف والمراد بالزيادة المنفية عند القايلين بذلك

الزيادة

الزيادة فى حقيقته وجوهره دون وصفه فالخلاف لفظى والايات الدالة على زيادة
الايمان محمولة على ما ذكره ابو حنيفة رضى الله عنه انهم كانوا امنوا بالجملة ثم ياتى فرض بعد فرض
وكانوا يومنون بكل فرض خاص وحاصله انه كان يزيد بزيادة ما يجب الايمان به وهذا لا يتصور
فى غير عصر النبى صلى الله عليه وسلم قال السعد فى شرح العقايد وفيه نظر لان الاطلاع على
تفاصيل الفرايض ممكن فى غير عصر النبى صلى الله عليه وسلم والايمان واجب اجمالا فيما علم
اجمالا وتفصيلا فيما علم تفصيلا ولا خفا فى ان التفصيلى ازيد بل اكمل من الاجمالى وما ذكر من
ان الاجمالى لا ينحط عن درجته فانما هو فى الاتصاف باصل الايمان انتهى ولا يخفى ان قول ابى
حنيفة رضى الله عنه وهذا لا يتصور فى غير عصر النبى صلى الله عليه وسلم معناه زيادة الايمان
فى حق من امن من الصحابة رضى الله عنهم اجمالا بالنبى صلى الله عليه وسلم وبجميع ما جاء به من عند
الله تعالى فكان كلما جا بعد ذلك بفرض امنوا به تفصيلا فيزيد ايمانهم بالنسبة الى
ايمانهم الاول الاجمالى وبعد انقطاع الوحى بموت النبى صلى الله عليه وسلم ما بقى يتصور ذلك
واما تصوره فى كل زمان بمن لم يطلع اولا على تفاصيل الفرايض وامن بجميع ما ورد عن الله
تعالى بطريق الاجمالى وكان كلما وصل اليه الخبر بفرض امن به فيزداد ايمانه بالنظر الى ايمانه
الاول الاجمالى فهو امر نادر انما يتصور فيمن نشا منفردا من غير مخالطة اهل الاسلام فان
الفرايض مما يعلم من الدين بالضرورة بحيث يشترك فى علمها الخاص والعام على ان من كان كذلك
جاهلا بتفاصيل الفرايض ثم اطلع على تفاصيلها فازداد ايمانه بها مجملة ليس هو موضع
الخلاف فى زيادة الايمان ونقصانه بل الخلاف فى كل ايمان هل يقبل الزيادة ام لا واذا كانت
الايات دالة على زيادة الايمان فى حق الصحابة رضى الله عنهم فقط دون غيرهم لانهم المخاطبون
بذلك حيث هم الموجودون وقت نزول الوحى فلا مانع من تصور ذلك فى النادر فيمن جهل
ما علم من الدين بالضرورة من فرايض الاسلام فامن اجمالا ثم علم بذلك فامن تفصيلا
على ان قول ابى حنيفة رضى الله عنه بعدم تصوره فى غير عصر النبى صلى الله عليه وسلم مخصوص بمن تزد
ذلك فى حقهم وهم الصحابة رضى الله عنهم فانهم لا يتصور وجودهم جاهلين بالفرايض فى غير
ذلك العصر ثم يعلمون ذلك بنزوله بالوحى وان تصور فى غيرهم فيمن ذكر فان هذا القول من ابى
حنيفة رضى الله عنه صرف للايات الواردة عليه ببيان سبب نزولها من دون تعرض
لامكان تصور نحو تلك الحالة فيما بعد فلا نظر فى قوله ولا ايراد عليه والحاصل ان زيادة
الايمان ونقصانه محمولة اما على الزيادة والنقصان فى وصفه دون ذاته وجوهره واما
على ان مراد القايل بذلك الايمان المفسر عنده بالاعتقاد والقول والعمل فيزداد بزيادة العمل
وينقص بنقصانه واليه يشير كلام الماتن هنا حيث فرع بالفاء على كون الاعمال خارجة عنه قوله
بعدم الزيادة والنقصان فالخلاف فى ذلك لفظى على كل حال والايات والاحاديث الواردة فى ذلك فيها

ذكر ذلك بخرجها كل قوم بحسب ما ذهبوا اليه وهو محتمل وللاجتهاد فى ذلك مجال وليست
المسئلة مما يضر فيها الخلاف ويصح فى الشرع ان يقول فى الله من وجد اى التصديق
بقلبه والاقرار بلسانه فيه انا مومن حقا كما قال تعالى فاولئك هم المومنون حقا
وذلك لان الايمان اما ان يكون موجودا اوغير موجود فان لم يكن موجودا فهو كافر وان كان
موجودا فهو مومن وان شك فى وجوده فى وقت من الاوقات فهو كافر فيتعين على المومن
قوله انا مومن حقا لتحقق الايمان منه ولا ينبغى اى لا يحسن ولا يليق بالمومن ان يقول
انا مومن ان شاء الله تعالى باحالة كونه مومنا على مشية الله دون القطع بما هو
موجود فيه من الايمان لان هذا القول منه ان كان للشك فهو كفر لا محالة وان كان للتادب
واحالة الامور الى مشية الله تعالى او للشك فى العاقبة والمال لا فى الان والحال او للتبرك
بذكر الله تعالى والتبرى عن تزكية نفسه والاعجاب بحاله فالاولى تركه لانه يوهم الشك
ولهذا قال ولا ينبغى دون ان يقول لا يجوز لانه اذا لم يكن للشك فلا معنى لنفى الجواز
كيف وقد ذهب اليه كثير من السلف حتى الصحابة والتابعين رضى الله عنهم اجمعين ذكره
السعد فى شرح العقايد والحاصل ان الخلاف لفظى ايضا فان من منع من قوله انا مومن ان
شا الله تعالى محله اذا قصد الشك او كان قوله موهما للشك عند من لم يعرف مراده بذلك
ومن اجاز قوله انا مومن ان شا الله تعالى استند فى ذلك الى ما ورد عن السلف بما لم يثبت
عند المانع منه كما وقفت فى ذلك على رسالة من تصنيف الامام البخارى صاحب الصحيح
ذكر فيها من ورد عنه القول بذلك من الصحابة والتابعين من ايمة الدين والوارد عن السلف
مستفيض من صاحب الشرع ان لم يكن بصريح الحديث فهو بمفهومه عند الصدر الاول ومع
تعليل جواز ذلك ايضا بما ذكر من التادب مع الله تعالى واحالة الامور الى مشيته والشك فى العاقبة
والتبرك بذكر الله تعالى والتبرى من تزكية النفس والاعجاب بحالها الى غير ذلك مما علل به المجيزون
والمسئلة اجتهادية ايضا للراى فيه مجال والايمان المذكور بهذا المعنى الذى سبق بيانه
وهو التصديق بالقلب والاقرار باللسان مخلوق لله تعالى فى العبد المومن كسبى حاصل باكتسابه
واما الايمان بمعنى هداية الرب تعالى لعبده الى معرفته بلا كيف ولا كيفية فغير مخلوق لانه حينئذ
من صفات الله تعالى كما ورد فى اسما تعالى المومن بمعنى انه الهداية من الله تعالى والاهتدا من
العبد فيقال امن الرب عبده اى هداه للتصديق به وبكل ما ورد عنه فاهتدى لذلك فان
الايمان بهذا المعنى قديم لانه من صفات الله تعالى المفهومة من اسمه سبحانه المومن وصفاته
تعالى واسماوه كلها قديمة قال اليافعى فى شرح اسما الله الحسنى واما المومن فقيل معناه
المصدق لان الايمان فى اللغة التصديق يقال امن يومن ايمانا اذا صدق والرب سبحانه مصدق
نفسه ورسله بقوله الصدق فالاسم راجع الى الكلام الذى هو من الصفات القديمة وقيل المومن

معناه

معناه انه تعالى يومن عباده الابرار من الفزع الاكبر عند روية النار وعظيم الاهوال وعلى
هذا يجوز صرفه الى القول فانه تعالى يومن عباده يوم العرض الاكبر ويسمعهم قوله
الا تخافوا ولا تحزنوا ويجوز صرفه الى القدرة على خلق الامن والطمانينة فيكون من اسما
الصفات ويجوز صرفه الى نفس خلق الامن فيكون من اسما الافعال يقال امنه يومنه
اذا افاده الامن فالفاعل مومن بكسر الميم الثانية والمفعول مومن بفتحها وذكر
النجم الغزى فى حسن التنبه قال المومن هو المصدق لنفسه ولانبيايه بالمعجزات
او الذى لا يتصور الامن والامان الا من قبله ثم قال والمسلم والمومن اسمان مشتقان من
اسم الله السلام واسمه المومن وهما من خصايص هذه الامة لقوله صلى الله عليه وسلم تسمى
الله باسمين سمى بهما امتى هو السلام وسمى به امتى المسلمين وهو المومن وسمى به امتى المومنين
رواه ابن ابى شيبة وذكر الكرمانى فى شرح البخارى ان اشتقاق الايمان من الامن وامنه اذا
صدقه وحقيقته امنه التكذيب وقال التيمى الايمان مشتق من الامن لان العبد اذا
صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم امن من القتل والعذاب انتهى والحاصل ان الايمان اما
معناه التصديق او اعطا الامان من التكذيب او تحصيل الامن من القتل فى الدنيا والعذاب
فى الاخرة فيقال امن العبد بالرسول اذا صدق بجميع ما جا به او امنه من التكذيب او
امن من القتل والعذاب فما حصل للعبد من هذه المعانى الثلاثة مما سمى بسببه مومنا
فهو مخلوق فيه واما اذا جعل احد هذه المعانى اشتقاقا فالاسم الله تعالى المومن على
تقدير انه تعالى امن اى صدق بنفسه وبرسله وبما جاو به من عنده او امن عباده
المحسنين من مقابلتهم بالاساة او امن من تكذيبهم له فيما شرع لهم وذلك هو الهداية
لهم الى صراطه المستقيم فالايمان حينئذ قديم وليس بمخلوق لانه من صفات الله تعالى
وايمان المقلد من التقليد بمعنى المتابعة واصله وضع القلادة فى العنق فكان من قلد غيره
فى قول او فعل وضع التبعة فى عنق ذلك الغير فيبقى خطاوه منسوبا الى ذلك الغير وكذا اصابته
او من تقليد الولاة الاعمال فكان التابع قلد المتبوع ولاية الحكم عليه حيث تابعه فى قوله
او فعله او من قلد بالتخفيف الما فى الحوض واللبن فى السقا والشراب فى البطن يقلده بسكون
القاف جمعه فيه ثم شدد الفعل قصدا للمبالغة لان المقلد غيره يجمع عنده قول الغير او فعله
او فتلا او من قلد الشى على الشى لواه ثم شدد كذلك لان المقلد يلوى قول غيره او فعله عليه والتقليد
للغير هو اخذ قول ذلك الغير او فعله مع الجزم به والمطابقة له من غير استدلال عليه فلا
تقليد مع الشك والتردد ولا مع عدم المطابقة كمن يزعم انه مقلد لايمة المسلمين وهو
يعتقد ان لله تعالى مكانا او جهة او جسمية او ان معه موثرا فى الوجود فى الوجود فانه
ليس بمقلد لايمة المسلمين لانهم لا يعتقدون شيا من ذلك حتى يقلدهم فيه صحيح عند المحققين

من اهل السنة وان لم يكن عنده استدلال على ما قلد غيره فيه وحكاه الوزكنشي عن الايمة
الاربعة وعزاه ابن ناجي وابو الحسن الشاذلي من المالكية وغيرهم من الشافعية للجمهور
في اجرا الاحكام الدنيوية عليه اتفاقا والاخروية عند المحققين يدل عليه قوله تعالى ولا
تقولوا لمن القى اليكم السلم لست مومنا الاية وقوله صلى الله عليه وسلم من صلى صلاتنا ودخل
مسجدنا واستقبل قبلتنا فهو مسلم ولكنه يعني المقلد اثم اي عاصي بترك الاستدلال
على مسايل اعتقاده وقال بعضهم ليس باثم الا ان كان فيه اهلية لفهم النظر الصحيح
وقال بعضهم ليس باثم اصلا وان كان فيه تلك الاهلية واعلم ان بعضهم نقل عن الاشعري
والقاضي الباقلاني والاستاذ الاسفرايني وامام الحرمين والجمهور عدم صحة ايمان المقلد وانه
لا يكفي التقليد في العقايد الدينية وبالغ بعضهم فيه فحكى عليه الاجماع وعزاه ابن القصار
لمالك وقال السنوسي في شرح مقدمته ثم اختلف الجمهور القايلون بوجوب المعرفة
فقال بعضهم المقلد مومن الا انه عاص بترك المعرفة التي ينتجها النظر الصحيح
وقال بعضهم انه مومن ولا يعصى الا اذا كان فيه اهلية لفهم النظر الصحيح وقال
بعضهم المقلد ليس بمومن اصلا وقد انكره بعضهم وذهب غير الجمهور الى ان النظر
ليس بشرط في صحة الايمان بل وليس بواجب اصلا وانما هو من شروط الكمال
فقط وقد اختار هذا القول الشيخ العارف ابن ابي جمرة والقشيري وابن رشد وابو
حامد الغزالي وجماعة انتهى وقدمنا عن القرطبي ما يويد هذا وفي حاشية المقري على شرح
السنوسية قال ابن عطية في تفسيره في سورة البقرة عند قوله تعالى ولو كان اباوهم
لا يعقلون شيا ولا يهتدون وقوة هذه الاية تعطي ابطال التقليد واجمعت الامة على
ابطاله في العقايد وقال الزمخشري لا ضال اضل من المقلد وقال الفهري ناقلا عن القاضي
الباقلاني ان التقليد في اصول الدين ممتنع حيث قال المعرفة بالله تعالى على وجه الاحاطة لا
سبيل اليها فالمعتبر اذا الاقرار بالله عز وجل وبرسله من مستند جملي قال اصحابنا
والذي يصير به مومنا وهو التكليف العام ان يشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ولا نظير
له في صفاته ولا قسيم له في افعاله وان محمدا صلى الله عليه وسلم رسوله ارسله بالهدى ودين الحق
وان كل ما اخبر به صدق وهل يكتفي بذلك في التقليد او لا بد من معرفة الله تعالى على بصيرة
اختلف فيه واختار القاضي ان التقليد غير متصور في التوحيد ثم قال الفهري في موضع اخر ويكتفي
في اثبات الايمان بالعلم بالله عز وجل لا من كل وجه بل على الجملة فيعلم انه موجود ازلي غني
واحد في ذاته وصفاته والاهيته وتدبيره ليس كمثله شي وانه عادل في افعاله وان محمدا
عبده ورسوله ارسله بالهدى ودين الحق وانه صادق في جميع ما جا به صلى الله عليه وسلم
ويكفي معرفة جميع ذلك بطريق ما وفي الدلايل كثرة وكل ما سوى الله دليل عليه واما التفصيل

فمن

فمن فروض الكفاية وذكر القرطبي في شرح مسلم قال وقد اختلف المتكلمون في اول الواجبات على اقوال
كثيرة منها ما يشنع ذكره ومنها ما ظهر ضعفه والذي عليه ايمة الفتوى وبهم يقتدى كمالك
والشافعي وابي حنيفة واحمد بن حنبل وغيرهم من ايمة السلف رضي الله عنهم ان اول الواجبات
على كل مكلف الايمان التصديقي الجزمي الذي لا ريب معه بالله تعالى ورسله وكتبه وما جات به
الرسل على ما تقرر في حديث جبريل عليه السلام كيف ما حصل ذلك الايمان وباي طريق اليه توصل
واما النطق باللسان فمظهر لما استقر في القلب من الايمان وسبب ظاهر تترتب عليه
احكام الاسلام وفي ارسال الله تعالى الى عباده المكلفين الانبيا جمع نبي والرسل بضم السين
المهملة وبسكونها ايضا جمع رسول والخلاف فيهما على اربعة اقوال التباين والتوافق
والعموم والخصوص المطلق ومن وجه وقد فصلنا ذلك في كتابنا المطالب الوفية والمشهور
نسبة العموم والخصوص المطلق فكل رسول نبي ولا كل نبي رسول بالمعجزات جمع معجزة
وهي امر خارق للعادة مقرون بالتحدي مع عدم المعارضة والكتب بضم التا المثناة
الفوقية وبسكونها ايضا جمع كتاب بمعنى مكتوب من الكتب وهو الجمع لجمعه الحكم والاخبار
والاحكام والمواعظ المنزلة بالوحي الالهي مع جبريل عليه السلام عليهم اي على الانبيا والرسل
وفي الكلام اشارة الى اختيار عدم الفرق بينهما ولهذا نسب الارسال اليهما وهو مذهب المحققين
من البشر الذين هم انبيا ومرسلون وهو بيان للانبيا والرسل الى البشر الذين هم ساير
الامم وهو ارسال الجنس الى الجنس حكمة بالكسر وهي العدل والعلم واحكمه اتقنه ومنعه
عن الفساد كذا في القاموس بالغة اي عظيمة قال تعالى قال تعالى قل لو كان في الارض ملايكة
يمشون مطمينين لنزلنا عليهم من السما ملكا رسولا قال البيضاوي لتمكنهم من الاجتماع به والتلقي
منه واما الانس فعامتهم عماة عن ادراك الملك والتلقف منه فان ذلك مشروط بنوع من
التناسب والتجانس وهم اي الانبيا والرسل عليهم السلام كلهم مبرون عن الكفر بالله تعالى
وعن الكذب مطلقا اي قبل النبوة وبعدها العمد من ذلك والسهو والكذب على الله تعالى وعلى
غيره في الامور الشرعية والعادية ومبرون عن الكباير من الذنوب وعن الصغاير منها ايضا
المنفرة نعت للصغاير اي التي تنفر غيرهم من اتباعهم كسرقة لقمة من الماكولات وتطفيف
اي تنقيص حبة من الحبوب التي يبيعونها فان ذلك مما يدل على الخسة والدناة ومبرون ايضا
من تعمد الصغاير غيرها اي غير المنفرة بعد البعثة اي ارسالهم الى دعوة الخلق قال التفتازاني
في شرح المقاصد المعجزة تقتضي الصدق في دعوى النبوة وما يتعلق بها من التبليغ وشرعية
الاحكام فما يتوهم صدوره عن الانبيا عليهم السلام من القبايح اما ان يكون منافيا لما تقتضيه
المعجزة كالكذب فيما يتعلق بالتبليغ اولا والثاني اما ان يكون كفرا او معصية وهي اما ان تكون
كبيرة كالقتل والزنا او صغيرة منفرة كسرقة لقمة والتطفيف بحبة او غير منفرة ككذبة وشتمة وهم

وهم بمعصية وكل ذلك اما عمدا او سهوا وبعد البعثة او قبلها والجمهور على وجوب عصمتهم
عليهم السلام عما ينافي مقتضى المعجزة وقد جوزه القاضي زعما منه انه لا يخل بالتصديق
المقصود بالمعجزة وعن الكفر وكذا عن تعمد الكباير بعد البعثة فعندنا سمعا وعند المعتزلة
عقلا والمذهب عندنا منع الكباير مطلقا والصغاير عمدا لا سهوا لكن لا يصرون ولا يقرون
بل ينبهون فينتهون وذهب امام الحرمين منا وابو هاشم من المعتزلة الى تجويز الصغاير
عمدا لنا انه لو صدر منهم الذنب لزم امور كلها منتفية الاول حرمة اتباعهم لكنه واجب
بالاجماع وبقوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله الثاني رد شهادتهم لقوله
تعالى ان جاءكم فاسق بنبأ الاية والاجماع على ذلك لكنه منتف للقطع بان من ترد شهادته
في القليل من متاع الدنيا لا يستحق القبول في امر الدين القايم الى يوم القيامة الثالث
وجوب منعهم وزجرهم لعموم ادلة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لكنه منتف لاستلزامه
ايذاءهم المحرم بالاجماع وبقوله تعالى والذين يؤذون الله ورسوله الاية الرابع استحقاقهم
العذاب والطعن واللعن واللوم والذم لدخولهم تحت قوله تعالى ومن يعص الله ورسوله
فان له نار جهنم وقوله تعالى الا لعنة الله على الظالمين وقوله تعالى لم تقولون ما لا تفعلون
وقوله تعالى اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم لكن ذلك منتف بالاجماع ولكونه من
اعظم المنفرات الخامس عدم نيلهم عهد النبوة لقوله تعالى لا ينال عهدي الظالمين لان كل من
صدر عنه ذنب فهو فاسق وكل فاسق ظالم السادس كونهم غير مخلصين لان المذنب قد اغواه
الشيطان والمخلص ليس كذلك لقوله تعالى حكاية عن الشيطان لاغوينهم اجمعين الا عبادك
منهم المخلصين لكن اللازم منتف بالاجماع وبقوله تعالى في ابراهيم واسحاق ويعقوب انا اخلصناهم
بخالصة ذكرى الدار وفي يوسف انه من عبادنا المخلصين السابع كونهم من حزب الشيطان
ومتبعيه واللازم قطعي البطلان الثامن عدم كونهم مسارعين في الخيرات معدودين عند الله
تعالى من المصطفين الاخيار اذ لا خير في الذنب لكنه منتف لقوله تعالى في حق بعضهم انهم كانوا
يسارعون في الخيرات وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار وقال اللاقاني في شرح جوهرته
واعلم انهم عليهم السلام معصومون من الكفر قبل النبوة وبعدها بالاجماع ثم ذكر عصمتهم
من الكباير والصغاير وقد بسطنا الكلام على ذلك مفصلا في كتابنا المطالب الوفية وذكرنا
الجواب عن جميع ما وقع من الانبيا عليهم السلام مما يشبه المعاصي والمخالفات مما يطول
شرحه والحق انا نؤمن بما ورد من ذلك في الكتاب والسنة مع تنزيهنا ساحتهم عما تفهمه من
العصيان فعصيانهم طاعتنا واما طاعتهم فلا يعلم بكيفية وقوعها منهم على الوجه الذي
هم فيه من مراتب الاخلاص الخاص بهم الا الله تعالى وكذلك معصية مقاماتهم في القرب
اولهم اي اول الانبيا والرسل عليهم السلام ادم ابو البشر واخرهم وافضلهم بالاجماع محمد

نبينا

نبينا عليهما اي عليه وعلى ادم الصلاة من الله تعالى والسلام قال في شرح المقاصد واجمع المسلمون
على ان افضل الانبيا عليهم السلام محمد صلى الله عليه وسلم لان امته خير الامم بقوله تعالى كنتم خير امة
اخرجت للناس وكذلك جعلناكم امة وسطا وتفضيل الامة من حيث انها امة تفضيل
للرسول الذي هم امته ولانه مبعوث الى الثقلين وخاتم الانبيا والرسل ومعجزاته
الظاهرة باقية على وجه الزمان وشريعته ناسخة لجميع الاديان وشهادته قايمة في
القيمة على كافة البشر الى غير ذلك من خصايص لا تعد ولا تحصى وقال صلى الله عليه وسلم
انا اكرم الاولين والاخرين على الله ولا فخر ولا يعرف بالبنا للمجهول اي لا يعرف احد يقينا
اي على وجه القطع عددهم اي الانبيا والمرسلين عليهم السلام والحديث في ذلك احاد لا يفيد
القطع بل الظن وهو انه صلى الله عليه وسلم سيل عن عدد الانبيا فقال مائة الف وفي رواية
مايتا الف واربعة وعشرون الفا الرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر وفي رواية واربعة عشر
على ان الحديث متكلم فيه ايضا ولا تبطل رسالتهم اي الانبيا عليهم السلام وكذلك نبوتهم بموتهم
فهم الان رسل وانبيا عليهم الصلاة والسلام وان نسخت شرايعهم اذ لا يلزم من النسخ بطلان
الرسالة والنبوة فان قلت الى من هم الان مرسلون وفي حق احكام من هم انبيا قلت
هم مرسلون الان الى اممهم الماضين وانبيا في حق احكامهم وقد انتقلوا هم وامهم
من دار الدنيا الى البرزخ وانقطعت تكاليف اممهم بما جاؤا به لانتهاء احكام شرايعهم في
حقهم وحججهم قايمة على اممهم بالحق فاذا كان يوم القيمة ظهر ما هم الان فيه من الرسالة
والنبوة كما قال تعالى فلنسئلن الذين ارسل اليهم ولنسئلن المرسلين ولولا انهم مرسلون حتى
في يوم القيمة ما سماهم كذلك وفي عمدة الاعتقاد للنسفي قال وكل مومن بعد موته مومن حقيقة
كما في حال نومه وكذا الرسل والانبيا عليهم السلام بعد وفاتهم رسل وانبيا حقيقة لان المتصف
بالنبوة والايمان الروح وهو لا يتغير بالموت انتهى كلامه ومثل ذلك الولاية ايضا فالاولياء
بعد موتهم اوليا كما انهم في حال نومهم كذلك والنوم لا يبطل الولاية والموت كذلك فكرامات
الاوليا باقية بعد موتهم ايضا كما انها باقية في حال نومهم ومن زعم خلاف ذلك في الكرامات
فهو جاهل متعصب ولنا رسالة في خصوص اثبات الكرامة بعد موت الولي وهم اي الرسل والانبيا
عليهم السلام افضل من الملايكة عليهم السلام قال في شرح المقاصد ذهب جمهور اصحابنا والشيعة
الى ان الانبيا افضل من الملايكة خلافا للمعتزلة والقاضي ابي بكر الباقلاني وابي عبد الله الحليمي منا
وصرح بعض اصحابنا بان عوام البشر من المومنين افضل من عوام الملايكة وخواص الملايكة
افضل من عوام البشر اي غير الانبيا عليهم السلام وفي شرح الطوالع للاصفهاني ذهب الى تفضيل الانبيا
على الملايكة اكثر اصحابنا والشيعة خلافا للحكما والمعتزلة والقاضي ابي بكر الباقلاني والحليمي في الملايكة
العلوية فانهم ذهبوا الى ان الملايكة العلوية افضل من الانبيا دون الملايكة السفلية الذين نعت للملايكة

هم عباد الله تعالى من حيث انهم مخلوقون وليسوا باولاد لله تعالى والاية نزلت في خزاعة قالوا
الملايكة بنات الله فقال تعالى وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه تنزيه له عن ذلك بل عباد مكرمون
مقربون لا يسبقونه تعالى بالقول اي لا يقولون شيا حتى يقوله كما هو ديدن العبيد المؤدبين
واصله لا يسبق قولهم قوله فنسب السبق اليه واليهم وجعل القول محله واداته تنبيها
على استهجان السبق المعرض به للقايلين على الله ما لم يقله وهم بامره سبحانه يعملون
لا يعملون قط ما لم يامرهم به قاله البيضاوي لا يوصفون اي الملايكة عليهم السلام بمعصية
صغيرة ولا كبيرة لانهم كالانبيا معصومون واما كفر ابليس فانه ليس من الملايكة وان استثناه
الله تعالى منهم لانه كان من الجن ففسق عن امر ربه ولكنه لما كان في صفة الملايكة في باب العبادة
ورفعة الدرجة وكان جنيا واحدا مغمورا فيما بينهم صح استثناوه منهم تغليبا واما هاروت
وماروت فالاصح انهما ملكان لم يصدر منهما كفر ولا كبيرة وتعذيبهما انما هو على وجه المعاتبة
كما تعاتب الانبيا على السهو والزلة وكانا يعظان الناس ويقولان انما نحن فتنة فلا تكفر
ولا كفر في تعليم السحر بل في اعتقاده والعمل به كذا ذكره السعد في شرح العقايد وقال البيضاوي
وما روي انهما مثلا بشرين وركب فيهما الشهوة فتعرضا لامراة يقال لها زهرة فحملتهما على المعاصي
والشرك ثم صعدت الى السما بما تعلمت منهما فمحكي عن اليهود ولعله من رموز الاوايل وحله لا يخفى
على ذوي البصاير ولا يوصفون ايضا بذكورة ولا انوثة اذ لم يرد بذلك نقل ولا دل عليه عقل
وما زعم عبدة الاصنام انهم بنات الله محال باطل وافراط في شانهم فقال تعالى في الرد عليهم وجعلوا
الملايكة الذين هم عند الرحمن اناثا اشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون قال البيضاوي
احضروا خلق الله اياهم فشاهدوهم اناثا فان ذلك مما يعلم بالمشاهدة وهو تجهيل وتهكم
بهم ولا يوصفون ايضا باكل ولا بشرب ولوازمهما من التغوط والبول والعرق والمخاط
والريح كما قال تعالى فلما راى ايديهم لا تصل اليه نكرهم واوجس منهم خيفة قالوا لا تخف انا
ارسلنا الى قوم لوط قال البيضاوي انا ملايكة مرسلة اليهم بالعذاب وانما لم نمد اليه ايدينا لانا لا
ناكل وقال اللاقاني في شرح جوهرته فذهب جمهور المسلمين ان الملايكة اجسام نورانية لطيفة
قادرة على التشكل باشكال شريفة مختلفة مستدلين بان الرسل عليهم السلام كانوا يرونهم
كذلك انتهى وانما قوت الملايكة التسبيح والذكر لا غير فيكتفون بالذكر والتسبيح عن الطعام
والشراب كما قال تعالى يسبحون الليل والنهار لا يفترون وروى الحاكم في المستدرك عن عبد الله
ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال طعام المومنين في زمن الدجال طعام الملايكة
التسبيح والتقديس فمن كان منطقه يوميذ التسبيح والتقديس اذهب الله عنه الجوع
ورسل الملايكة عليهم السلام اي المرسلون منهم وهم الخاصة افضل من عامة البشر وهم غير الانبيا
عليهم السلام الذين نعت لعامة البشر هم افضل من عامة الملايكة كالحفظة والموكلين

بالارزاق والاجال قال في شرح الصحايف ان الانسان مركب من النفس الناطقة والبدن
والنفس الناطقة من عالم الملكوت وهي من الانوار الالهية كالملايكة وافعالها
افعال الروحانيات من العلوم والمعارف والتاثير في العالم السفلي اذا صفت
عن الكدورات الحيوانية كما سمعت من الانبيا والاوليا والبدن الة لها في اكتساب
الكمالات من التكرار الادراكات والعبادات وممارسة الخيرات فذات الانسان الذي
حصلت لنفسه كمالات غير ممكنة للمجردات بتقدير كون الملايكة مجردات اشرف والافعال الشريفة
الصادرة عنه مع عوق القوى البدنية ومنع الاضداد العنصرية افضل من افعال الملايكة
الخالية عن هذه الشوايب والانبيا موصوفون بالكمالات الروحانية من العلوم والمعارف
وخوارق العادات من التاثيرات في الاجسام العنصرية والانبا عن الغيوب فكانوا
افضل من الملايكة وذهب اكثر اهل السنة الى ان الرسل من بني ادم افضل من الملايكة الرسل وغير
الرسل والرسل من الملايكة افضل من عامة بني ادم والمتقون من بني ادم افضل من عامة الملايكة
وكرامات جمع كرامة وهي امر خارق للعادة غير مقرون بالتحدي يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح
ملتزم لمتابعة نبي من الانبيا عليهم السلام مصحوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح فامتازت
بعدم الاقتران بالتحدي عن المعجزة وبكونها على يد ظاهر الصلاح عما يسمى معونة وهي الخارق الظاهر
على ايدي عوام المسلمين تخليصا لهم من المحن والمكاره وبمقارنة صحيح الاعتقاد والعمل الصالح
عن الاستدراج وبمتابعة نبي قبله عن الخوارق الموكدة لكذب الكاذبين كبصق مسيلمة
في بير عذبة الما ليزداد ماوها حلاوة فصار ملحا اجاجا ذكره اللاقاني الاوليا الاحيا والاموات
اذ الولي لا ينعزل عن ولايته بالموت كالنبي لا ينعزل عن نبوته بالموت كما قدمناه وهم جمع
ولي وهو العارف بالله تعالى وصفاته حسبما يمكن المواظب على الطاعات المجتنب عن المعاصي
المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات ذكره السعد في شرح العقايد فبالانهماك خرج
تناول اللذات والشهوات من غير انهماك بها وتحصيلها بان كان لا يمنع نفسه من تناولها اذا
تيسرت بلا تكلف منه وكانت حلالا له حق ثابت بالنص القراني من قصة مريم عند ولادة عيسى
عليه السلام وانه كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم انى لك هذا قالت هو من
عند الله فقد كانت في كفالة زكريا عليه السلام وكان لا يدخل عليها احد غيره وكان اذا خرج من عندها
اغلق عليها سبعة ابواب واذا دخل عليها وجد عندها فاكهة الشتا في الصيف وفاكهة الصيف
في الشتا فتعجب من ذلك وسالها فاجابته بانه من عند الله وانه يرزق من يشا بغير حساب
ومن قصة اصحاب الكهف ولبثهم في الكهف سنين بلا طعام ولا شراب ومن قصة آصف بن
برخيا واتيانه بعرش بلقيس قبل ارتداد طرف سليمان عليه السلام اليه وقد تواتر في المعنى
وان كانت التفاصيل احادا كرامات الصحابة والتابعين ومن بعدهم الى وقتنا هذا من الصالحين

قاله اللاقاني وفي شرح مقاصد المقاصد للدلجي قال ولبس انكا والكرامة من اهل البدع بعجيب
اذ لم يشاهدوا ذلك من انفسهم ولم يسمعوا به من روسايهم مع اجتهادهم في العبادات
واجتناب السيات فوقعوا في اوليا الله تعالى اهل الكرامات ياكلون لحومهم ويمزقون
اديمهم جاهلين كون هذا الامر مبنيا على صفا العقيدة ونقا السريرة واقتفا الطريقة
واصطفا الحقيقه بل العجب من قول بعض فقها اهل السنة فيما روي عن ابراهيم بن ادهم رضي
الله عنه انه روي بالبصرة وبمكة يوم التروية ان من اعتقد جوازه كفر والانصاف ما قاله النسفي
وقد سيل عما قيل ان الكعبة كانت تزور احدا الاوليا هل يجوز القول به فقال نقض العادة على
سبيل الكرامة لاهل الولاية جايز عند اهل السنة من قطع المسافة البعيدة في المدة القليلة
من الزمان وقد رتب على ذلك الفقها الحنفية والشافعية كثيرا من المسايل الشرعية فقال في
فتح القدير لابن الهمام من باب ثبوت النسب قال بعض المشايخ قيام الفراش كاف ولا يعتبر
امكان الدخول بل النكاح قايم مقامه كما في تزوج المشرقي بمغربية والحق ان التصور شرط
ولذا لو جات امراة الصبي بولد لا يثبت نسبه والتصور ثابت في المغربية لثبوت كرامات
الاوليا والاستخدامات فيكون صاحب خطوة او جني وذكر ابن حجر الهيثمي الشافعي في فتاواه
انه اذا غربت عليه الشمس في بلدة وكان صاحب خطوة فحضر مطلعا اخر لم تغرب فيه بعد
ما صلى المغرب في البلد الاول لا يلزمه اعادتها وظهور الطعام والشراب واللباس من الغيب
عند الحاجة الى شي من ذلك كما وقع لكثير من الاوليا والطيران في الهوا كما نقل عن جعفر بن ابي
طالب ولقمان السرخسي وغيرهما والمشي على الما وكلام الجماد والعجما كالبهيمة والطير وغير
ذلك من انواع الخوارق للعادة الواقعة للاوليا تكريما لهم من الله تعالى ويكون ذلك اي ما كرمهم
الله تعالى به اولى لرسوله اي رسول ذلك الولي معجزة وان كان بعد موت الرسول فالمعجزة على هذا
لا يشترط لها الحياة الرسول بل تكون بعد موته ايضا وكذلك الكرامة تكون بعد موت الولي ايضا كرامة
له كما قدمناه ولا يبلغ اي لا يصل الولي درجة الانبيا اصلا فنبي واحد افضل من جميع الاوليا ولا
يصل الولي ايضا في مقام القرب من الله تعالى الى حيث يسقط عنه اي عن ذلك الولي الامر والنهي من
الله تعالى وافضلهم اي الاوليا ابو بكر الصديق رضي الله عنه ثم عمر بن الخطاب الفاروق لقب به
لان الله تعالى كان يعبد سرا قبل اسلامه فلما اسلم قال لن يعبد الله سرا بعد هذا اليوم فهو اول من اظهر
شعاير الاسلام وفرق بعزمه في الظاهر بين النور والظلام ثم عثمان بن عفان ذو النورين لجمعه
بين بنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم رقية ثم ام كلثوم تزوج اولا برقية قبل النبوة فماتت بعد ان
ولدت له غلاما سماه عبد الله ثم تزوج ام كلثوم فماتت ولم تلد له فقال النبي صلى الله عليه وسلم لو كانت
عندنا ثالثة لزوجتها عثمان ثم علي المرتضى بصيغة اسم المفعول لان الله تعالى ارتضاه للخلافة
عن رسوله صلى الله عليه وسلم بعد الخلفا الثلاثة دون باقي الامة ولان رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتضاه

خليفة

اذا غربت عليه الشمس في بلدة وكان صاحب خطوة فحضر مطلعا آخر لم تغرب فيه بعد فصلى المغرب الاول لا يلزمه اعادتها م

خليفة عنه في المدينة على اهله في غزوة تبوك وقال له انت مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي
بعدي وخلافتهم اي هولا الاربعة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت على هذا الترتيب
ايضا اي كما هي فضيلتهم كذلك ثم بعدهم في الفضيلة ساير اي بقية الصحابة رضي الله عنهم اجمعين
ونكف السنتنا وقلوبنا عن ذكرهم اي الصحابة وذكر ما جرى بينهم من الحروب الا بخير فان جميع
ما كان بينهم من الحروب كان اجتهادا منهم رضي الله عنهم وهم مثابون عليه في كل حال فمن اخطا
اثيب مرة ومن اصاب اثيب مرتين ونشهد بالجنة على وجه القطع للعشرة المبشرة
بذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم الخلفا الاربعة وطلحة والزبير وسعد وسعيد
وابو عبيدة بن الجراح وعبد الرحمن بن عوف ولبنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة
الزهرا ايضا ولابنيها من علي رضي الله عنه الحسن والحسين وغيرهم اي غير من ذكر ممن
بشرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كخديجة بنت خويلد ام فاطمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم
كما روى النسائي عن حذيفة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هذا ملك من الملايكة استاذن
ربه ليسلم علي وبشرني ان حسنا وحسينا سيدا شباب اهل الجنة وامهما سيدة نسا اهل
الجنة وفي خبر النسائي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل نسا اهل الجنة خديجة بنت
خويلد وفاطمة بنت محمد واخرج الاسيوطي في الجامع الصغير عن الديلمي في مسند الفردوس
باسناده عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شباب اهل الجنة خمسة حسن
وحسين وابن عمر وسعد بن معاذ وابي بن كعب لا نشهد بالجنة لغيرهم اي غير ما ذكر
بعينه اي بعين ذلك الغير كانسان معين من الامة فان فيه تحكما على الله تعالى واخبارا
بما لا يعلم قال الشيخ الوالد رحمه الله تعالى في كتابه الاحكام شرح درر الحكام من قطع
لاحد من ايمة الهدى بالجنة كابي حنيفة ومالك والشافعي فقد اخطا وكذلك الجنيد
وابو يزيد والشبلي ونحوهم من الصالحين انتهى كلامه فاذا لم نقطع لهم بالجنة يكون في غالب
ظننا لهم ذلك واكبر رجانا لانهم اهل صلاح وخير وقد عاشوا على هدى وماتوا كذلك لان الاصل
بقا ما كان على ما كان ولا يثبت خلاف الاصل الا بيقين ولكن لما احتمل تغير احوالهم عند الموت
تركنا القطع الى غلبة الظن والله لا يضيع اجر المحسنين وقوله بعينه احتراز عن القطع لكل مسلم
لا بعينه فان ذلك جايز من غير شبهة ثم بعد الصحابة في الفضيلة التابعون ثم تابعو التابعين
رضوان الله تعالى عليهم اجمعين والمسلمون لا بد لهم من امام اي سلطان يقمع هوى انفسهم بالزامهم
الحق قهرا عنهم قادر على تنفيذ الاحكام الشرعية فيهم لعلمه بذلك وقوته عليه بالشجاعة
والجنود مسلم اذ لا ولاية لكافر على المسلم حر لان العبد لا ولاية له مكلف اي عاقل بالغ ظاهر
غير مختف ليمكن كل احد من الرعية من الوصول اليه عند الاحتياج في شي اي من قريش
وهو اسم لاولاد النضر بن كنانة ولا يشترط ان يكون هاشميا اي منسوبا الى هاشم وهو ابو

عبد المطلب جد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللاقاني في شرح جوهرته في شروط الامام انها
خمسة الاسلام والبلوغ والعقل والحرية وعدم الفسق بجارحة او اعتقاد لان غير المكلف
من الصبي والمعتوه قاصر عن القيام بالامور على ما ينبغي والعبد مشغول بخدمة السيد
لا يتفرغ للامور مستحقر في اعين الناس لا يهاب ولا يمتثل امره وتشترط الذكورية ايضا
فلا يكون الامام امراة ولا خنثى مشكلا لانه بالنسا اشبه والنسا ناقصات عقل ودين ممنوعات
من الخروج الى مشاهد الحكم ومعارك الحرب والفاسق لا يصلح لامر الدين ولا يوثق باوامره
ونواهيه والظالم يختل به امر الدين والدنيا فكيف يصلح للولاية ومن الوالي لدفع شره اليس
بعجب استرعا الغنم الذيب واما الكافي فامره ظاهر وزاد الجمهور اشتراط ان يكون شجاعا
ليلا يجبن عن اقامة الحدود ومقاومة الخصوم مجتهدا في الاصول والفروع ان وجد والا
فامثل المقلدين ليتمكن من القيام بامر الدين ذا راى في تدبير الحروب ليلا يخبط في سياسة
الجمهور ولم يشترط هذه الثلاثة بعضهم في الامام وجوز الاكتفا فيها بالاستعانة
من الغير بان يفوض امر الحروب ومباشرة الخطوب الى الشجعان ويستفتي المجتهدين
في الدين ويستشير اصحاب الارا الصايبة في امور الملك محتجا بندرة وجودها في شخص
واحد وحينيذ فاما ان يجب نصب واجدها فيودي الى تكليف ما لا يطاق او يجب نصب
فاقدها وذلك الغالها او لا يجب لا هذا ولا ذاك فيكون اشتراطها مستلزما للمفاسد
التي يمكن دفعها بنصب فاقدها فلا تكون هذه الاوصاف معتبرة فيها ورد ما تمسك به
بانا نختار عدم الوجوب مطلقا لكن للامة ان ينصبوا فاقدها دفعا للمفاسد التي تندفع
بنصبه وقال السعد في شرح العقايد ويكون الامام من قريش ولا يجوز من غيرهم
ولا يختص ببني هاشم واولاد علي رضي الله عنهم ولا يشترط ان يكون معصوما لثبوت امامة
ابي بكر رضي الله عنه مع القطع بعدم عصمته ولا افضل زمانه لان المساوي في الفضيلة بل المفضول
الاقل علما وعملا ربما كان اعرف بمصالح الامامة ومفاسدها واقدر على القيام بمواجبها خصوصا
ونصب المفضول ادفع للشر وابعد من اثارة الفتنة ولا ينعزل عن الامامة بفسق وجور
اي ظلم لرعيته فلا يجوز الخروج عن طاعتهم بسبب ذلك فانه قد ظهر الفسق وانتشر الجور
من الايمة والامرا بعد الخلفا الراشدين والسلف كانوا ينقادون لهم ويقيمون الجمع والاعياد
باذنهم ولا يرون الخروج عليهم واخرج الاسيوطي في الجامع الصغير عن الطبراني عن ابي امامة
واسناده حسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا تسبوا الايمة وادعوا الله لهم بالصلاح
فان صلاحهم لكم صلاح وتجوز الصلاة من النفل والفرض خلف كل بر محقا بالفتح اي صالح وفاجر
اذ الاسلام كاف في امامة الصلاة فان الصحابة والتابعين كانوا يقتدون بالحجاج في
الجمعة وغيرها وكفى به فاجرا ويصلى بالبناء للمفعول اي يصلي المسلمون عليه اي على كل بر وفاجر

اذا مات مسلما ويجوز المسح وهو اصابة اليد المبتلة ونحوها العضو على الخفين الملبوسين
على طهارة تامة في الحضر يوما وليلة وفي السفر ثلاثة ايام ولياليها ولا يحرم شرب نبيذ اي
منبوذ الجر جمع جرة وهي انا من فخار ونبيذها هو نقيع التمر او الزبيب ونحوهما بان ينبذ
اي يلقى في الما فتظهر حلاوته فيه ان لم يكن مسكرا اي مغيبا للعقل او مخدرا للحواس فانه
حينيذ لا يجوز شربه وفي دعا الاحيا للاموات الاقارب والاجانب وصدقتهم عنهم نفع لهم
يصل اليهم بفضل الله تعالى قال الشيخ الوالد رحمه الله تعالى اعلم ان الانسان له ان يجعل ثواب
عمله لغيره صلاة او صوما او صدقة او قراة قران او ذكرا او طوافا او حجا او عمرة او غير ذلك عند
اصحابنا كذا في البحر وقال في خزانة الفتاوى وغيرها لو صام وصلى او اعتق او قرب شيا من
القربات ليصل ثوابه الى الميت يجوز ويصل اليه وفي اذكار النووي اجمع العلما على ان الدعا
للاموات ينفعهم ويصلهم ثوابهم واحتجوا بقوله تعالى والذين جاو من بعدهم يقولون ربنا
اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان وغير ذلك من الايات بمعناها والاحاديث المشهورة
كقوله عليه الصلاة والسلام اللهم اغفر لاهل بقيع الغرقد وقوله اغفر لحينا وميتنا وفضل الاماكن
كمكة والمدينة وبيت المقدس حق ثابت في الاخبار النبوية وكذلك المساجد الثلاثة التي تشد
اليها الرحال كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تشد الرحال الا لثلاث مساجد المسجد الحرام
ومسجدي هذا والمسجد الاقصى والعلم افضل من العقل لان العقلا انما يتميزون بالعلم مع
تساويهم في العقل كما قال تعالى يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات وقال
تعالى قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال العيني في شرح البخاري اختلفوا
في العقل فقيل هو العلم لان العقل والعلم في اللغة واحد ولا يفرقون بين قولهم عقلت وعلمت
وقيل العقل بعض العلوم الضرورية وقيل هو قوة يميز بها بين حقايق المعلومات انتهى
وتقدم هذا في صدر الكتاب فعلى الاول لا يتصور التفاضل بينهما وعلى الثاني لا شك في افضلية
العلم لانه اعم من العقل وكذلك على القول الثالث واطفال المشركين الذين ماتوا قبل البلوغ ذكورا
كانوا او اناثا لا يدرى بالبنا للمفعول اي لا يدري احد انهم بعد الموت في الجنة يخدمون اهلها
ام في النار يعذب بهم اباوهم ولا يعذبون هم فقيل انهم خدم اهل الجنة وقيل بانهم في النار
من غير عذاب كما ورد في الحديث ان الذباب كله في النار ليعذب به اهل النار زيادة على عذابهم
ولا يعذب هو وقيل في الاعراف بين الجنة والنار وقيل بالوقف فيهم وهو منقول عن ابي
حنيفة رضي الله عنه وللكفرة حفظة من الملايكة يحفظونهم حتى تنفذ فيهم اقدار الله تعالى
لانهم مكلفون بالايمان قال الشيخ الوالد رحمه الله تعالى في شرحه على شرح الدرر والاصح ان
الكافر تكتب اعماله الا ان كاتب اليمين كالشاهد على كاتب اليسار والمعدوم ليس بشي
اي لا يطلق عليه لفظ الشي الا مجازا كقوله تعالى انما قولنا لشي اذا اردناه ان نقول له كن فيكون

فسماه شيا باعتبار مايؤول اليه من الوجود والا فالمحققون على ان الشيئية ترادف الوجود
والثبوت والعدم يرادف النفي والسحر وهو اتيان نفس شريرة بخارق عن مزاولة محرم
ثم ان اقترن بكفر فكفر والا فكبيرة عند الشافعي وكفر عند غيره ذكره المناوي في شرح
الجامع الصغير واقع اي امر محقق قال النووي في شرح مسلم مذهب اهل السنة وجمهور
علما الامة على اثبات السحر وان له حقيقة كحقيقة غيره من الاشيا الثابتة خلافا لمن انكر ذلك
ونفى حقيقته واضاف مايقع منه الى خيالات باطلة لاحقيقة لها وقد ذكره الله تعالى في كتابه
وذكر انه مما يتعلم وذكر ما فيه واشار الى انه مما يكفر وانه يفرق بين المرء وزوجه وهذا كله
لايمكن فيما لاحقيقة له وحديث سحر النبي صلى الله عليه وسلم مصرح باثباته وانه اشياء
دفنت واخرجت وهذا كله يبطل ما قالوه فاحالة كونه من الحقايق محال ولا يستنكر في العقل
ان الله سبحانه وتعالى يخرق العادة عند النطق بكلام ملفق او تركيب اجسام او المزج بين
قوى على ترتيب لا يعرفه الا الساحر واذا شاهد الانسان بعض الاجسام منها قاتلة كالسموم
ومنها مسقمة كالادوية الحادة ومنها مضرة كالادوية المضادة للمرض لم يستبعد عقله ان
ينفرد الساحر بعلم قوى قتالة او كلام مهلك او مود الى التفرقة واصابة العين جارية حتى رتب
فقها الشافعية وجوب الضمان على من اتلف بها وفي شرح مسلم قال النووي في قوله صلى الله عليه وسلم
العين حق ولو كان شي سابق القدر سبقته العين واذا استغسلتم فاغسلوا قال الامام ابو
عبد الله المازري اخذ جماهير العلما بظاهر هذا الحديث وقالوا العين حق وانكره طوايف من
المبتدعة والدليل على فساد قولهم ان كل معنى ليس مخالفا في نفسه ولا يؤدي الى قلب حقيقة ولا افساد
دليل فانه من مجوزات العقول فاذا اخبر الشرع بوجوده وجب اعتقاده ولا يجوز تكذيبه
وهل من فرق بين تكذيبهم بهذا وتكذيبه بما يخبر به من امور الاخرة وقد زعم بعض الطبايعيين
من المثبتين للعين ان العاين تنبعث من عينه قوة سمية تتصل بالمعين فيهلك او يفسد
قالوا ولا يمتنع هذا كما لا يبعد انبعاث قوة سمية من الافعى والعقرب تتصل باللذيغ
فيهلك وان كان غير محسوس لنا فكذا العين ومذهب اهل السنة ان العين انما تفسد وتهلك
عند نظر العاين بفعل الله تعالى اجرى الله تعالى العادة بان يخلق الضرر عند مقابلة هذا الشخص
لشخص اخر وقد ورد الشرع بالوضو لهذا الامر في حديث سهل بن حنيف لما اصيب بالعين
عند اغتساله فامر النبي صلى الله عليه وسلم عاينه ان يتوضا رواه مالك في الموطا وصفة وضوء
العاين عند العلما ان يوتى بقدح ماء ولا يوضع القدح في الارض فياخذ منه غرفة فيتمضمض
بها ثم يمجها في القدح ثم ياخذ منها ماء فيغسل به وجهه ثم ياخذ بشماله ما يغسل به كفه
اليمنى ثم بيمينه ما يغسل به كفه اليسرى ثم بشماله ماء يغسل به مرفقه الايمن ثم بيمينه
ما يغسل به مرفقه الايسر ولا يغسل ما بين المرفقين والكفين ثم يغسل قدمه اليمنى
ثم

ثم اليسرى ثم ركبته اليمنى ثم اليسرى على الصفة المتقدمة وذلك في القدح ثم داخلة ازاره وهو الطرف
المتدلي الذي يلي حقوه الايمن وقد ظن بعض الناس ان داخلة الازار كناية عن الفرج وجمهور العلما
على ما قدمناه فاذا استكمل هذا صبه من خلفه على راسه وهذا المعنى لا يمكن تعليله ومعرفة وجهه
وليس في قوة العقل الاطلاع على اسرار جميع المعلومات فلا يدفع هذا بان لا يعقل معناه وقد
اختلف العلما في العاين هل يجبر على الوضو للمعين ام لا واحتج من اوجبه بقوله صلى الله عليه
وسلم في رواية مسلم هذه واذا استغسلتم فاغسلوا وبرواية الموطا التي ذكرناها انه صلى الله
عليه وسلم امره بالوضوء والامر للوجوب قال المازري والصحيح عندي الوجوب وكل مجتهد من
الاجتهاد وهو في اللغة تحمل الجهد اي المشقة وفي الاصطلاح استفراغ المجهود في استنباط الحكم
الشرعي الفرعي عن دليله وهو على قسمين اجتهاد مقيد ويكفي فيه الاطلاع على اصول مقلده لان استنباطه
على حسبها واجتهاد مطلق وشرطه ان يحوي علم الكتاب المتعلق بمعرفة الاحكام بمعانيه افرادا
وتركيبا فيفتقر الى مايعلم في اللغة والصرف والنحو والمعاني والبيان بسليقة او تعليم وبمعانيه
شرعا واقسامه من الخاص والعام والمجمل والمبين والناسخ والمنسوخ وغيرها وحد بطه ان
يتمكن من العلم بالقدر الواجب منها عند الرجوع وان يحوي علم السنة المتعلقة بمعرفة الاحكام
بلفظها الدال على المعنى لغة وشرعا واقسامها من الخاص والعام وغير ذلك وسندها وهو
طريق وصولها الينا من تواتر وغيرها وهذا يتضمن معرفة حال الرواة والجرح والتعديل والصحيح
والضعيف وغيرها وطريقه في زماننا الاكتفا بتعديل الايمة الموثوق بهم لتعذر الاطلاع على
حقيقة حال الرواة اليوم وان يحوي علم موارد الاجماع ليلا يخالفه في اجتهاده مصيب في
اجتهاده ابتدا اي في اول اجتهاده قبل ظهور الحكم له بالنظر الى الدليل لبذل تمام الوسع فيه
حيث ترتبت الحسنة على الاجتهاد والخطا كما قال عليه السلام لعمرو بن العاص رضي الله عنه
احكم على انك ان اصبت فلك عشر حسنات وان اخطات فلك حسنة والحسنة لا تترتب
على الحسنة من كل وجه لا يقال يجوز ان يكون ترتب الحسنة للمشقة الاجتهادية لا
للاصابة في الدليل لانا نقول الدليل اذا لم يكن شرعيا فالاخذ به ان لم يود الى العقاب فلا اقل من
ان يود الى الثواب وقد يخطي المجتهد في الانتها بالنظر الى الحكم الذي ظهر له من الدليل لان الحق واحد
معين عند الله تعالى لانه لو تعدد لزم الفساد اذا تغير الاجتهاد لان الاجتهاد الاول ان بقي
حقا لزم اجتماع المتنافيين بالنسبة اليه والا لزم النسخ بالاجتهاد وكل منهما فاسد
فالمجتهد يخطي ويصيب خلافا للمعتزلة فانهم يقولون ان كل مجتهد مصيب والحق عندهم
متعدد وتمامه في مراة الاصول شرح مرقاة الوصول والنصوص الواردة في الكتاب
والسنة تحمل على ظواهرها المفهومة من غير كلفة ان امكن ذلك ما لم يصرفها عن الظاهر دليل
قطعي كما في الايات التي تشعر ظواهرها بالجسمية والجهة ونحو ذلك والعدول اي الاعراض

عنها اي عن الظواهر مع امكانها الى معان اخرى يدعيها اهل الباطن وهم الملاحدة وباني الاخبار
عن ذلك انه كفر قال السعد في شرح العقايد واما ماذهب اليه بعض المحققين من ان النصوص
على ظواهرها ومع ذلك ففيها اشارات خفية الى دقايق تنكشف على ارباب السلوك يمكن
التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة فهو من كمال الايمان ومحض العرفان ورد النصوص
القطعية من الكتاب والسنة بانكار الاحكام التي دلت عليها كحشر الاجساد مثلا وقذف عايشة
رضي الله عنها بالزنا واستحلال المعصية صغيرة اوكبيرة اذا ثبت كونها معصية بدليل قطعي
وكان حراما لعينه كشرب الخمر واما الحرام لغيره كوطي الحايض فلا يكفر مستحله والاستخفاف
بالشريعة اي عدم المبالاة باحكامها واهانتها واحتقارها حتى ذكر في البحر شرح الكنز ان من
ترك الصلاة متعمدا غير ناو للقضا وغير خايف من العقوبات انه يكفر واليأس من رحمة
الله تعالى لانه لاييأس من روح الله الا القوم الكافرون والامن وهو عدم الخوف من
عذابه تعالى وسخطه اي غضبه لانه لا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون وتصديق
الكاهن فيما يخبره من الغيب كله كفر اي ردة عن دين الاسلام لقوله
عليه السلام من اتى كاهنا بما يقول فقد كفر بما انزل على محمد والكاهن هو
الذي يخبر عن الكواين في مستقبل الزمان ولنا رسالة في حكم التكلم بالاخبار
الزمانية سميناها اللولو المكنون في حكم الاخبار عما سيكون في شرح مسلم
للنووي كانت الكهانة في العرب ثلاثة اضرب احدها يكون للانسان ولي
يخبره بما يسترق من السمع من السما وهذا القسم بطل من حين بعث نبينا
صلى الله عليه وسلم الثاني ان يخبره بما يطرا اويكون في اقطار الارض وما خفي عنه
مما قرب اوبعد ولايبعد وجوده ونفت المعتزلة وبعض المتكلمين
هذين الضربين واحالوهما ولا استحالة في ذلك ولابعد في وجوده لكنهم
يصدقون ويكذبون والنهي عن تصديقهم والسماع منهم عام الضرب
الثالث المنجمون وهذا الضرب يخلق الله تعالى فيه لبعض الناس قوة
مالكن الكذب فيه اغلب ومن هذا الفن العرافة وصاحبها عراف وهو
الذي يستدل على الامور باسباب ومقدمات يدعي معرفتها بها وقد يعتضد بعض
هذا الفن ببعض في ذلك بالزجر والطرق والنجوم واسباب معتادة وهذه
الاضرب كلها تسمى كهانة وقد اكذبهم كلهم الشرع ونهى عن تصديقهم واتيانهم
قال في كتاب الفتاوى التاتارخانية في فقه الحنفية من قال بحدوث صفات
من صفات الله تعالى كالعلم والقدرة ونحو ذلك فهو كافر بالله تعالى ولهذا يكفر من
قال بحدوث كلام الله تعالى الذي هو القران لانه صفته تعالى وفيها اي التاتارخانية

سبيل

سبيل مصنفها رحمه الله تعالى باللغة الفارسية عن قوم من الناس ذات باري اي ذات الله تعالى
جلت قدرته محل حوادث ميكو نيد اي يقولون بان ذات الباري محل للحوادث ما حكمهم قال اي في الجواب
كافر شديد اي صاروا كافرين بلي اي بلاشك ولا ريب وفيها التاتارخانية سيل عمن قال بان الله
تعالى عالم بذاته اي ذاته علمه ولا نقول له صفة العلم قادر بذاته اي ذاته قدرته ولانقول له القدرة
وهم المعتزلة والفلاسفة نفاة الصفات هل يحكم بكفرهم ام لا قال يحكم بكفرهم لانهم ينفون الصفات
بقولهم ذلك ومن نفى الصفات فهو كافر والحاصل ان القايلين بان الصفات عين ذاته تعالى طايفتان
محققة ومبطلة فالمبطلة المعتزلة والفلاسفة لايؤمنون ان له تعالى صفات زايدة على ذاته سبحانه
عقلا بل هي عين ذاته عندهم عقلا والمحققة اهل الكمال من العارفين فانهم يقولون ان له تعالى صفات
هي عين الذات بالنظر الى الامر على ماهو عليه مما لا يعلمه الا الله تعالى وهي غير الذات بحسب
النظر العقلي وهو محض الايمان كما بسطناه وحققناه في كتابنا المطالب الوفية وفيها اي التاتارخانية
ان اعتقد ان لله سبحانه رجلا وهي الجارحة التي هي جسم مركب حيث سمع قدم الجبار الوارد في
الحديث فانه يكفر لاعتقاده في الله تعالى الجسمية اللازمة للحدوث وكذلك من اعتقد ان لله تعالى
يدا هي جارحة اوعينا حيث ورد النص بذلك فانها صفات له تعالى لايعلم بها الا هو وهي من جملة
المتشابهات والكلام فيها معروف في محله وفيها اي في التاتارخانية ومن قال بان الله تعالى
جسم لا كالاجسام يعني لا يشابه جسم من الاجسام اصلا فهو مبتدع حيث اثبت انه جسم
وهو خلاف الشرع اذ لم يرد فيه بذلك وليس بكافر لانه قال لا كالاجسام فقال بالتنزيه في
الجملة وفيها اي التاتارخانية ومن قال ان الله عالم في السماء ان اراد به اي بذلك القول المكان له
تعالى كفر لانه قول بانه تعالى جسم لا كالاجسام وهو كفر وان اراد به مجرد الحكاية عما جاء في
ظاهر الاخبار كقوله تعالى اامنتم من في السما وقوله عليه السلام ينزل ربنا كل ليلة الى سما الدنيا وغير
ذلك لايكفر لانه حكى الوارد من ذلك وان لم يكن له نية في قلبه حين قال ذلك لانوى المكان لله تعالى
ولا نوى الحكاية يكفر عند اكثرهم اي العلما وفي كتاب التخيير وهو اي الكفر الاصح وعليه الفتوى
لانه ظاهر في التجسيم كما في البزازية والمفهوم من قوله عند اكثرهم ان عند اقلهم عدم الكفر وكذلك المفهوم
من قوله الاصح ان الصحيح عدم الكفر ولايحكم بالكفر متى كان فيه خلاف ولو رواية ضعيفة اوكان
الكلام يحتمل مما معنى صحيحا وههنا يمكن حمله على نية سما العقول وهي الغيب المطلق اونحو
ذلك من التاويلات الحسنة في حق الغير ولايحكم فيه بالكفر قال في تنوير الابصار ولا يفتي بتكفير
مسلم امكن حمل كلامه على محمل حسن اوكان في كفره خلاف ولوكان رواية ضعيفة وفي جامع
الفصولين روى الطحاوي عن ابي حنيفة واصحابنا رحمهم الله تعالى انه لا يخرج الرجل من الايمان الا
جحود ما ادخله فيه ثم ما تيقن بانه ردة يحكم بها اذ الاسلام الثابت لايزول بالشك مع ان
الاسلام يعلو وينبغي للعالم اذا رفع اليه هذا ان لايبادر بتكفير اهل الاسلام مع انه يقضي بصحة

بنية

الاسلام المكره وقال النووي في اداب العالم والمتعلم من مقدمة شرح المهذب يجب على الطالب
ان يحمل اخوانه على المحامل الحسنة في كل كلام يفهم منه نقص الى سبعين محامل ثم قال ولا يعجز
عن ذلك الا قليل التوفيق وفي طبقات الشعراوي نقلا عن القرى وينى في كتابه سراج العقول عن امام
الحرمين انه كان يقول حين يسال عن كلام غلاة الصوفية لو قيل لنا فصلوا ما يقتضي التكفير
من كلامهم مما لا يقتضيه لقلنا هذا طمع في غير مطمع فان كلامهم بعيد المدرك وعير
المسلك يغترف من تيار بحار التوحيد ومن لم يحط علما بنهاية الحقايق لم يحصل من دلايل
التكفير على وثايق كما انشد بعضهم

تركنا بحار الزاخرات ورانا • فمن اين يدري الناس اين توجهنا •

وسيل الشيخ تقي الدين السبكي رحمه الله تعالى عن حكم تكفير غلاة المبتدعة واهل الاهوا المتفوهين بالكلام على الذات المقدس فقال رحمه الله تعالى اعلم ايها السايل ان كل من
خاف من الله عز وجل استعظم القول بالتكفير لمن يقول لا اله الا الله محمد رسول الله اذ التكفير
امر هايل عظيم الخطر لان من كفر شخصا فكانه اخبر ان عاقبته في الاخرة الخلود في النار ابد
الابدين وانه في الدنيا مباح الدم والمال لا يمكن من نكاح مسلمة ولا تجري عليه احكام
المسلمين لا في حياته ولا بعد مماته والخطا من ترك الف كافر اهون من الخطا في سفك
محجمة من دم امرء مسلم وفي الحديث لان يخطي الامام في العفو احب الى الله من ان يخطي
في العقوبة ثم ان تلك المسايل التي يفتى فيها بتكفير هولا القوم في غاية الدقة والغموض لكثرة
شعبها واختلاف قراينها وتفاوت دعاويها والاستقصا في معرفة الخطا من سايرصنوف وجوهه والاطلاع على حقايق التاويل وشرايطه في الاماكن ومعرفة الالفاظ
المحتملة للتاويل وغير المحتملة وذلك يستدعي معرفة جميع طرق اهل اللسان من ساير
قبايل العرب في حقايقها ومجازاتها واستعاراتها ومعرفة دقايق التوحيد وغوامضه
الى غير ذلك مما هو متعذر جدا على اكابر علماء عصرنا فضلا عن غيرهم وان كان يعجز عن
تحرير معتقده في عبارة فكيف يحرر اعتقاد غيره من عبارته فما بقي الحكم بالتكفير
الا لمن صرح بالكفر واختاره دينا وجحد الشهادتين وخرج عن دين الاسلام جملة
وهذا نادر وقوعه فالادب الوقوف عن تكفير اهل الاهوا والبدع والتسليم للقوم
في كل شي قالوه مما لا يخالف صريح النصوص وقال ابن نجيم الحنفي في البحر شرح الكنز
والذي تحرر انه لا يفتى بتكفير مسلم امكن حمل كلامه على محمل حسن او كان في كفره اختلاف
ولو رواية ضعيفة فعلى هذا اكثر الفاظ التكفير المذكورة لا يفتى بالتكفير بها وقد
الزمت نفسي ان لا افتي بشيء منها انتهى وفي شرح الدرر ثم اذا كان في المسالة وجوه
توجب الاكفار ووجه واحد يمنعه يميل العالم الى ما يمنعه ولا يرجح الوجوه على الواحد

قف على لا يفتى بالتكفير بها

لان

لان الترجيح لا يقع بكثرة الادلة ولاحتمال انه اراد الوجه الذي لا يوجب الاكفار وفيها
اي التاتارخانية لو قال هكذا بالفارسية ند مكانى اي لا مكان زتوا اي منك والخطاب
لله تعالى خالى ما في الوجود مكان خال منك اصلا نه توا اي ما انت در هيج مكانى اي في
مكان واحد فهذا كفر لان فيه نسبة المكان الى الله تعالى وهو يقتضي الجسمية في حقه
تعالى والجسمية تقتضي الحدوث وهو محال عليه تعالى وفيها اي التاتارخانية رجل قال
علم خدا اي علم الله تعالى در همه مكانى هست اي موجود هذا خطا لان فيه ايهام حلول
العلم الالهي في المكان ولكن لما كان ذلك للعلم لا للذات والعلم صفة الذات لا تفارقها اصلا
رجع معنى ذلك القول الى احاطة علمه تعالى بكل مكان فكان خطا في العبارة وليس
بكفر وفي كتاب النصاب اي نصاب الاحتساب والصواب في العبارة ان يقول قايل
ذلك القول كل شي معلوم لله تعالى فان هذه العبارة لا ايهام فيها لشي مما ذكر وفيها
اي التاتارخانية رجل وصف الله تعالى بالفوق او بالتحت بان قال انه تعالى له فوق له
بالنسبة اليه او تحت فهذا تشبيه له تعالى بالاجسام التي لها فوق وتحت فهو
تجسيم لله تعالى والتجسيم كفر كما ذكرنا وفيها اي التاتارخانية رجل
قال يجوز ان يفعل الله تعالى فعلا لا حكمة فيه يكفر لانه وصف الله تعالى بالسفه
وهو العبث واللهو وهو كفر لانه يودي الى مشابهة الحوادث بانتفا صفة الحكمة في كل
افعاله تعالى وذلك محال وفيها اي التاتارخانية ~~حداى بود~~ ولو قال خداى بود اي كان
الله تعالى وهيج نبود وما كان شي وباشد اي ويكون الله تعالى ايضا وهيج نباشد
اي ولا يكون شيا اصلا فقد قيل الشطر الثاني وهو قوله ويكون الله ولا يكون شيء اصلا
من كلام الملاحدة الكافرين بالتمسك فقط بالعلم الباطن والاستهانة بعلوم الشريعة
والدين فان ظنهم ان الجنة وما فيها من الحور العين للفنا والاضمحلال وهو كفر عند بعض
المشايخ لان فيه الرد على النصوص المقتضية بقا الجنة وما فيها وخلود اهلها من غير زوال
خطا عظيم عند البعض من العلما لاحتمال ارادة الحكاية لمعنى قوله تعالى كل من عليها فان ويبقى
وجه ربك ذو الجلال والاكرام فان كل قابل للفنا والزوال فانه في حد ذاته زايل مضمحل واما
الشطر الاول وهو قوله كان الله تعالى وما كان شي فهو حق ثابت لقوله صلى الله عليه وسلم
كان الله ولا شيء معه وهو الان على ما عليه كان اي لا شيء معه ايضا في وجوده ان ما عداه تعالى من
الاكوان ليس له مع الله رتبة الاثنينية لان وجود الاكوان به تعالى لا معه وما كان به
فهو له وفيها اي التاتارخانية من انكر القيامة او الجنة او النار او الميزان او الحساب او
الصراط او الصحايف المكتوب فيها اعمال العباد فانه يكفر لانكاره ما هو الثابت بالنصوص
القرانية والاحاديث الصحيحة النبوية واجمعت عليه الامة المرضية وفيها اي التاتارخانية

ومن قال ان الميزان الذى يكون يوم القيمة عبارة عن العدل فقط اى عدل الله تعالى
فى خلقه ولا يكون يوم القيمة ميزان حقيقى توزن به الاعمال فهو مبتدع اى احدث فى
الاعتقاد مالم يرد فى سنة النبى صلى الله عليه وسلم ولم يجتهد من دين ايمة الهدى وليس
بكافر لايمانه بالميزان فى الجملة حيث لم يكن منه صريح التكذيب للايات والاحاديث
وفيها اى التاتارخانية من انكر عذاب القبر فهو مبتدع اى صاحب بدعة فى اعتقاده
ولم يصادم انكاره خبرا متواترا حتى يكفر فان عذاب القبر ثابت بالحديث الاحاد
لا بالقران الا على احتمال فى بعض الايات كما قدمناه ولا يكفر بانكار المحتمل ومن انكر
شفاعة الشافعين يوم القيمة فهو كافر لثبوتها بالقران فى عدة مواضع وينبغى
ان لا يكفر بانكار تفاصيل الشفاعات لثبوتها بالاحاد وفيها اى التاتارخانية
ومن قال بتخليد اصحاب الكباير كالزناة وشربة الخمر ونحوهم فى النار بحيث لا يخرجون
منها ابدا فهو مبتدع لاعتقاده ما يخالف السنة مما اجمعت عليه الامة الناجية
من ان عصاة المومنين اذا ماتوا قبل التوبة كانوا فى مشية الله تعالى بدليل قوله تعالى
ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك ولا يكفر معتقد ذلك لتمسكه بظواهر
بعض الايات والاحاديث كقوله تعالى ومن يقتل مومنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها
الاية وقوله عليه السلام لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مومن وان كان تمسكهم هذا
غير صحيح الدلالة على زعمهم لارادة المستحل فى الاول او الخلود بمعنى طول المدة
لا التابيد وارادة الايمان الكامل فى الثانى او الزانى المستحل كما تقرر فى موضعه وفيها
اى التاتارخانية لو انكر روية الله تعالى بعد الدخول اى دخول اهل الجنة فى الجنة
يكفر لانكاره ما هو ثابت بالكتاب والسنة واجماع الامة اما الكتاب فقوله تعالى
وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة واما السنة فقوله عليه السلام انكم سترون
ربكم كما ترون القمر ليلة البدر وهو مشهور رواه احد وعشرون من اكابر الصحابة
رضى الله عنهم واما الاجماع فهو ان الامة كانوا مجمعين على وقوع الروية فى الاخرة وان
الايات الواردة فى ذلك محمولة على ظواهرها ثم ظهر مقالة المخالفين وشاعت شبههم
وتاويلاتهم كذا ذكره السعد فى شرح العقايد ثم ذكر فى موضع اخر منه قال والجمع بين
قولهم لا نكفر احدا من اهل القبلة وقولهم يكفر من قال بخلق القران او استحال الروية
او سب الشيخين رضى الله عنهما ولعنهما وامثال ذلك مشكل انتهى كلامه ويمكن
ان يندفع الاشكال بان قولهم بالكفر بناء على انكار الثابت بالنص القطعى وانكاره
كفر بالاجماع وقولهم بعدم الكفر فى احد من اهل القبلة بناء على ان لهم فيها قالوه تاويلا
يحتمل صرف قولهم اليه فمتى قطع نظره القايل بذلك عن التاويل كان انكاره كفرا

ومتى

ومتى اعتبر التاويل لم يكن كفرا بل بدعة اعتقادية ارايت ان جميع ما وقع فى كتب الفتاوى
من كلمات الكفر التى صرح المصنفون فيها بالجزم بالكفر لا تجوز الفتوى بشئ منها اذا كان
له تاويل يحتمل عدم الكفر او كان فيه خلاف ولو رواية ضعيفة كما قدمناه فيكون الكفر فيها
محمولا على ارادة قايلها المعنى الذى علل به الكفر فيها واذا لم تكن ارادة قايلها ذلك فلا
كفر بها وكذلك يعنى كما ذكر لو قال لا اعرف عذاب القبر فهو كافر لان انكاره لعذاب القبر
اقترن بنوع استهزاء على من ورد عنه ذلك وهو الشارع صلى الله عليه وسلم فى صرايح
الاحاديث وان كانت احادا لا يكفر منكرها لكن اذا تضمن انكارها الاستهزاء
والاستهانة بمن وردت عنه لا تعتبر هى من جهة عدم القطعية فيها ويبقى معنى
الاستهزاء والاستهانة بالشارع وذلك كفر لا محالة وفيها اى التاتارخانية يجب
اكفار القدرية وهم فرقة من الفرق الضالة وقد افترقوا الى احد عشر فرقة فى نفيهم
كون الشر بتقدير الله تعالى وهم فرقة يقال لهم الثنوية قايلون بان الله تعالى
لم يقدر الشر والمعاصى بل قالوا الخير مخلوق لله تعالى والشر مخلوق للشيطان وقد
روى اللالكائى عن رافع بن خديج رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال سيكون
فى امتى قوم يكفرون بالله وبالقران وهم لا يشعرون قال قلت يقولون ماذا يا رسول
الله قال يقولون الخير من الله والشر من ابليس وذكر الحديث كذا فى حسن التنبه
فى التشبه للنجم الغزى وفى دعواهم يعنى القدرية ان كل فاعل من حيوان وغيره
خالق فعل نفسه دون الله تعالى وهى فرقة منهم يقال لها المعمرية اصحاب معمر
ابن عباد السلمى سموا انفسهم اصحاب المعانى وهم اعظم القدرية فرية فى نفى الصفات
والقدر وقالوا ان الله تعالى لم يخلق شيا غير الاجسام والعرض من اختراعات الاجسام
اما طبعا كحرق النار او اختيارا كالحيوان يحدث الحركة ذكره فى حسن التنبه وفيها
اى التاتارخانية يجب اكفار الكيسانية وهم فرقة من فرق الشيعة اصحاب كيسان
فى اجازتهم البداء على الله تعالى يقال بدا له فى الامر بدوا وبداء او بداءة نشا له راى فيه
كذا فى القاموس وقد قالوا ما لم تقل به اليهود منعوا النسخ لزعمهم انه بداء وهو
ممتنع على الله تعالى عندهم وهذه الفرقة اجازته على الله تعالى فكفرت ويجب اكفار
الروافض فى قولهم يرجع الاموات بعد موتهم الى الدنيا ايضا ايضا وقولهم بتناسخ
الارواح اى انتقالها من جسد الى جسد على الابد وانتقال روح الاله الى الايمة الاثنى
عشر من اولاد على كرم الله وجهه وهم على المرتضى وحسن المجتبى وحسين الشهيد
وزين العابدين ومحمد الباقر وجعفر الصادق وموسى الكاظم وعلى الرضى ومحمد التقى
وعلى بن محمد التقى والحسين العسكرى ومحمد المنتظر وان الايمة المذكورين عندهم

الهة لحلول الاله فيهم وهذا كله كفر لا قتضايه انكار القيمة واعتقاد الحلول في حق
الله تعالى وبقولهم يعني الرافضة بخروج امام باطن الان وهو الامام المستنظر
عندهم وهو المهدي وتعطيلهم الامر والنهي بحيث لا يجب على احد امرا عاتهما الى ان يخرج
الامام الباطن المذكور ولا شك في ان ذلك كفر وبقولهم اي الرافضة ان جبريل عليه السلام
غلط في الوحي الى محمد صلى الله عليه وسلم دون علي بن ابي طالب رضي الله عنه حتى انهم يفضلون عليا على
النبي صلى الله عليه وسلم وهولا القوم المذكورون خارجون عن ملة الاسلام قطعا لانكارهم
نبوة محمد صلى الله عليه وسلم واحكامهم احكام المرتدين حيث يدعون الاسلام ويقولون بذلك
ويجب اكفار الخوارج وهم فرق كثيرة منهم الازارقة اصحاب نافع بن الازرق ومنهم
الاباضية اصحاب عبد الله بن اباض في اكفارهم جميع الامة حيث قالوا بكفر جميع
المسلمين وفي اكفارهم علي بن ابي طالب وعثمان بن عفان وطلحة والزبير وعايشة رضي الله
عنهم قال في حسن التنبه الازارقة اصحاب نافع بن الازرق الذين خرجوا معه
بالبصرة والاهواز وما وراءها في ايام عبد الله بن الزبير كفروا عليا رضي الله عنه
وكفروا عثمان وطلحة والزبير وعايشة وابن عباس وساير المسلمين وكفروا من قعد
عن القتال معهم واباحوا قتل اطفال مخالفيهم ونسايهم وقالوا اطفال المشركين
معهم في النار والاباضية قالوا ان مخالفتهم من اهل القبلة كفار غير مشركين ويجب
اكفار اليزيدية وهم فرقة من جملة الفرق الخوارج الاباضية في انتظار نبي من العجم
خلاف العرب بنسخ ملة محمد صلى الله عليه وسلم وينزل عليه كتاب قد كتب في السما
ينزل جملة واحدة وتترك الشريعة المحمدية ولا شك في كفرهم ولا شبهة ويجب اكفار
النجارية اصحاب الحسين بن النجار في نفيهم صفات الله تعالى كالمعتزلة وفي قولهم
ان القران جسم اذا كتب فهو عين الحبر والقرطاس عندهم وعرض بالتحريك اذا قرى
فهو عين الحروف والاصوات لان ذلك يقتضي ان يكون مخلوقا ومن قال ان القران مخلوق
فهو كافر على ما مر مقرر في موضعه وفيها اي التاتارخانية واختلف الناس اي
العلما في اكفار المجبرة وهم الجبرية الذين يقولون ان العبد مجبور وهم والقدرية
في طرفي نقيض فالقدرية يقولون ان العبد يخلق افعال نفسه والجبرية يقولون ان
كل ما يجري من افعال العبد فهو فعل الله تعالى ولا يثبتون للعبد كسبا واهل السنة
وسط بين الطريقين لا تفريط ولا افراط ويعتقدون ان الله تعالى خالق العبد
وما يعمل ويثبتون للعبد قدرة ويسمون ما يصدر عنها كسبا ومنهم من يسميه
اختيارا وقد اخطا القدرية في تسميتهم اهل السنة جبرية فمنهم اي من العلما من اكفرهم
اي المجبرة لانكارهم تكليف الله تعالى لعباده وتسفيههم ذلك ومنهم من ابى اي ترك

اكفارهم

اكفارهم لتاولهم نحو قوله تعالى الله خالق كل شي وقوله لا يقدرون مما كسبوا على شي وان كان زعمهم
فاسدا وتاويلهم باطلا لكنه درا عنهم الكفر والزمهم البدعة في الاعتقاد والزيغ عن مذهب اهل
السنة والصواب الكفار من لم ير اي يعتقد للعبد المكلف فعلا اصلا وانما افعاله كلها افعال الله
تعالى للزوم انكار التكليف الشرعي اذ لا معنى لتكليف الجماد وانما تكليفه سفه وعبث وذلك محال
على الله تعالى ويجب اكفار معمر بن عباد السلمي من القدرية ومن تابعه في قوله تعالى ان الانسان
غير الجسد الظاهر وانه اي الانسان حي بحياة له مستقلة غير حياة الجسد قادر على فعل
كل شي مختار في ذلك وانه ليس بمتحرك ولا ساكن لكونه ليس بجسم ولا يجوز عليه شي من الاوصاف
الجايزة على الاجسام من الكبر والصغر والطول والقصر والانفصال والاتصال والتحيز والمكان
والجهة فان قوله هذا تترتب عليه القبايح كثيرة والضلالات وافرة منها انكار كون هذا
الجسد المتحرك الساكن هو الانسان الذي كلفه تعالى بالشرايع والاحكام فيقتضي ذلك
انكار التكليف وهو كفر ومنها نسبة الانسانية الى الله تعالى الموصوف بما ذكر من الاوصاف
فانه تعالى حي قادر مختار ليس بمتحرك ولا ساكن ولا يجوز عليه شي من اوصاف الاجسام
ومع ذلك فهو المستولي على هذا الجسد المستجمع للانسانية التي هي صفة النفس الناطقة وهي
روح وعقل ونفس حيوانية ونفس نباتية ونفس جمادية ولا يقال انه اراد بالانسانية
الروحانية اللطيفة الحاملة للجسد التي وصفها الامام الغزالي وغيره بقوله الروح مجرد
غير حال في البدن يتعلق به تعلق العاشق بالمعشوق ويدبر امره على وجه لا يعلمه الا الله
تعالى لانا نقول انه لو اراد ذلك لما قال حي قادر مختار فان الروح لا توصف بالحياة والقدرة
والاختيارية الا باعتبار الجسد يصير حيا بالروح ويصير قادرا مختارا بها ولا وجود للارواح
المجردة عند اهل السنة اصلا بل لا بد من الاجساد اما الاجساد الدنيوية العنصرية والبرزخية
النورانية والظلمانية ومنها انه يلزم من هذا القول ان الجسد المتحرك الساكن اذا فعل من
المعاصي والكفر ما عسى ان يفعل لا يكون مواخذا بذلك اذ ليس هو الانسان والمكلف بالاجتناب
انما هو الانسان ومنها انه يلزم من ذلك عدم امكان الامتثال لامر الله تعالى والاجتناب
عن نهيه اذ الانسان المكلف بذلك غير الجسد فكيف يمتثل ويجتنب ومنها انه يلزم من ذلك
ان يكون امتثال التكاليف واجبا على الانسان بمجرد التفكر بدون فعل الجسد فاذا تفكر
امتثل تفكر اسقط عنه الامر واكتفى عن النهي وهذه كلها امور ملغية لاحكام الله تعالى
فهي موجبة للكفر ويجب اكفار قوم من المعتزلة بقولهم ان الله تعالى لا يرى شيا من الاشيا
اصلا ولا يرى بابنا للمفعول اي لا يراه احد فان الاول انكار لقوله تعالى الم يعلم بان الله يرى
والثاني انكار لروية الله تعالى في الاخرة وذلك كفر لا محالة ويجب اكفار شيطان الطاق
وهو لقب محمد بن النعمان ابي جعفر الاحول راس الفرقة النعمانية من فرق غلاة الرافضة

في قول ان الله تعالى لا يعلم شيئا الا اذا اراده وقدره فيلزم على هذا الزعم الباطل انه تعالى الا خلقه
وانه لا يعلم ذاته سبحانه ولا صفاته ولا اسماءه ولا احكامه لانه لم يقدر ذاته ولا ارادها
ولا قدر صفاته ولا اسماءه ولا احكامه ولا تعلقت ارادته بذلك لان ذاته تعالى قديمة وكذلك
صفاته واسماؤه واحكامه قديمات ازليات والقديم لا تتعلق به الاراده ولا التقدير
وهذا نفي لعلم الله تعالى الثابت بالكتاب والسنة واجماع الامة فكان كفرا وفيها اى
التاتارخانية من يقول بقول جهم بن صفوان وهو اول من قال بخلق القران كان كوفي الاصل
فصيح اللسان ولم يكن له علم ولا جالس اهل العلم بل كان يكلم المتكلمين ويجالس الدهرية
حتى شك في الاسلام ومكث اربعين يوما لا يصلي وقيل له صف لنا ربك الذي تعبده فدخل
البيت ومكث اياما ثم خرج اليهم فقال هو هذا الهواء مع كل شيء وفي كل شيء ولا يخلو منه شيء
فقتل على بدعته باصبهان فلما ضربت عنقه اسود وجهه ذكره النجم الغزي في حسن التنبه
فهو خارج عندنا معشر اهل السنة والجماعة من الدين المحمدي فلا نصلي عليه اذا مات ولا
نتبع جنازته لكفره بالله تعالى العظيم قال الامام ابو زرعة احمد الرازي حدثت عن العلا
ابن سويد قال ذكر جهم عند عبد الله بن المبارك فقال

عجبت لشيطان الى الناس داعيا ۞ الى النار واشتق اسمه من جهنم

وروى ابو نعيم في الحلية عن علي بن الحسن بن شقيق قال قال عبد الله بن المبارك

ايها الطالب علما ۞ ائت حماد بن زيد

فاطلب العلم بحلم ۞ ثم قيده بقيد

لا كثور وجهم ۞ وكعمرو بن عبيد

يعني بثور ثور بن زيد وكان هو وعمرو بن عبيد قدريين وروى ابن ابي حاتم عن سعيد
ابن احمد صاحب ابي اسحق الفزاري قال انما خرج جهم سنة ثلاثين ومائة فقال القران مخلوق
فاكفره العلما كذا في حسن التنبه واما صنف القدرية الذين يردون العلم اى علم الله تعالى
فكذلك عندنا يعني خارجين من الدين لا نصلي عليهم ولا نتبع جنازتهم اذا ماتوا لكفرهم
بذلك وتفسير اى بيان رد العلم الذي يقولون به انهم يقولون ان الله تعالى يعلم كل
شيء عند كونه اى وجود ذلك الشيء وكذلك كل شيء يكون اى يوجد عند كونه اى وجوده
وعلم الله تعالى به مقارن لوجوده فكما ان وجوده لا يتقدم عليه علمه تعالى به لا يتقدم
عليه ايضا عندهم واما الشيء الذي لم يكن اى لم يوجد فانه لا يعلم اى لا يعلمه الله تعالى حتى
يكون اى يوجد فهؤلاء القايلون بهذه المقالة الباطلة كفار حيث نفوا علم الله تعالى بالاشيا
قبل وجودها وحكموا بحدوث علمه سبحانه حيث كان مقارنا للاشيا الحادثة في الوجود
لا نتزوج من نسايهم ولا نزوجهم من نسائنا لردتهم بدعواهم الاسلام مع هذه المقالة ولا

يجوز

ولا يجوز تزوج المرتدة ولا تزويج المرتد ولا نتبع جنايزهم اذا ماتوا لكفرهم بذلك واما
المرجية من الفرق الضالة فانه ضربان ضرب منهم اى نوع منهم يقولون نرجي اى نكل امر المومنين
والكافرين الى الله تعالى من غير ان يقطعوا لاحد بثواب او عقاب فيقولون الامر عندنا فيهم
اى في المومنين والكافرين موكول الى الله تعالى يغفر للمومنين لمن يشا من المومنين والكافرين
ويعذب من يشاء من المومنين والكافرين ايضا ويقولون له اى لله تعالى الاخرة والاولى
كما قال الله تعالى وان لنا للاخرة والاولى فيفعل ما يشا ويحكم ما يريد فكما نرى انه سبحانه
وتعالى يعذب من يشا من المومنين في الدنيا وينعم من يشا من الكافرين فيها وذلك منه سبحانه
وتعالى عدل في الحكم فكذلك في الاخرة ينعم من يشا من المومنين والكافرين ويعذب من يشاء
من المومنين والكافرين فيردون حكم الاخرة والاولى اى الدنيا فهؤلا ضرب من المرجية
وهم كفار حيث انكروا وعد المومنين ووعيد الكافرين وساووا بين من لم يسا والله تعالى
بينهم حيث قال سبحانه ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام نجعل
المتقين كالفجار الى امثال ذلك من الايات والاحاديث الدالة على القطع للمومنين بالجنة
وللكافرين بالنار من غير شك ولا تردد واجمعت جماعة المسلمين على ذلك من غير شبهة
وكذلك الضرب الاخر من المرجية الذين يقولون حسناتنا التي نعملها كلها متقبلة اى
مقبولة عند الله تعالى قطعا وسياتنا التي ناتي بها جميعها مغفورة لا يؤاخذنا الله تعالى
على شيء منها لانا مومنون والايمان كاف عن جميع الطاعات والاعمال كلها التي كلف الله
تعالى بها عباده ليست بفرايض بل كلها نوافل يتخير العبد بين فعلها وتركها ولا يقرون
بفرايض الصلاة والزكاة والصيام وساير اى بقية الفرايض كالحج والجهاد وبر الوالدين
ويقولون هذه كلها فضايل زايدة من عمل بها فحسن يعني له الثواب على عمله ومن لم
يعمل بشيء من ذلك فلا شيء عليه من العقاب فهؤلا ايضا كالضرب الاول كفار لانكارهم
العقاب على السيات بوجه القطع وجحودهم الفرايض القطعية واما المرجية الذين يقولون
لا نتولى اى لا نتخذ اوليا يعني لا نساوي في الايمان المومنين المذنبين ولا نتبرا منهم ايضا
فهؤلا المبتدعة لحكمهم بان الذنوب من حقيقة الايمان بحيث يصير المذنب لا مومن خالص
ولا كافر خالص وهذا بدعة في الاعتقاد ولا تخرجهم بدعتهم هذه من الايمان الى الكفر لعدم
استلزامها جحود شيء من القطعيات واما المرجية الذين يقولون نرجي اى نفوض ونكل
امر المومنين الى الله تعالى يعفو المذنبين ويجبرهم فلا ننزلهم اى نجعلهم على وجه القطع
جنة ولا نارا ولا نتبرا منهم ونتولاهم اى نتخذهم اوليا اى مساوين لنا في الدين فهم على السنة
النبوية والطريقة المرضية فالزم قولهم وخذ به فانه حق وهم الذين اخذوا بقول الله
تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا وتمسكوا بقوله تعالى واخرون

مرجون لامر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم الاية واما الخوارج من الفرق الضالة فمن لم يرد قولهم شيا من كتاب الله تعالى وسنة نبيه القطعية وكان خطاوهم في قولهم على وجه التاويل وهو تفسير الكلام باحد محتملاته بينا ولون ان الاعمال من الفرايض وغيرها ايمان فهم يقولون ان الصلاة ايمان وكذلك الصوم والزكاة كل واحدة ايمان ايضا وكذلك جميع الفرايض من الحج والجهاد وغيرها والطاعات من الواجبات والنوافل فمن اتى بالايمان بالله تعالى وملايكته وكتبه ورسله واليوم الاخر اتى بفعل جميع الطاعات المفروضة وغيرها فهو مومن ومن ترك شيا من تلك الطاعات المفروضة كفر ويقولون الزاني يكفر حين يزني اي في وقت زناه وشارب الخمر يكفر حين يشرب اي في تلك الحالة اخذا من ظاهر قوله عليه السلام لا يزني الزاني وهو مومن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مومن وكذا يقولون في جميع ما نهى الله عنه من فعله فانه يكفر حين فعله قياسا على ما في الحديث يكفرون الناس اي المسلمين بترك العمل من فعل المنهي عنه وترك المامور به فهولا تاولوا الاخبار الشرعية واخطاوا في تاويلهم ذلك فهم مبتدعة مخالفون باعتقادهم لعقايد اهل السنة والجماعة وليسوا بكافرين فاياك يا ايها المومن المتابع لسنة النبي صلى الله عليه وسلم في الاعتقاد والقول والعمل وقولهم ذلك فتباعد عنه ولا تقل بقولهم اصلا واجتنبهم اي لا تخالطهم واحذرهم ان يفتنوك بشيء من زخارف مذهبهم وفارقهم وخالفهم تسلم منهم واما من لم ير المسح على الخفين من الروافض والشيعة ويرون المسح على ارجلهم من غير خفين فقد رغب اي اعرض عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كان المسح على الخفين من سنته عليه السلام كما وردت به الاحاديث المشهورة القريبة من التواتر فهو عندنا معشر اهل السنة والجماعة مبتدع لمخالفته السنة النبوية ولهذا لما سيل ابو حنيفة رضي الله عنه عن مذهب اهل السنة والجماعة قال هو ان تفضل الشيخين وتحب الختنين وترى المسح على الخفين فالشيخان ابو بكر وعمر والختنان عثمان وعلي رضي الله عنهم اجمعين فان الختن زوج البنت فلا تتخذه اي من لم ير المسح على الخفين اماما في صلاتك لاحتمال انه مسح على رجليه حيث يتعين عليه ذلك في مذهبه فيبطل وضوءه فلا تصح صلاته فتكون اقتديت بمحدث ولا توقره اي تعظمه ولا تختلف اي تتردد اليه فتخالطه وتجالسه فانه صاحب بدعة وقد ورد النهي عن مجالسة المبتدع في الدين ففي الحديث من انتهر صاحب بدعة ملا الله تعالى قلبه امنا وايمانا ومن اهان صاحب بدعة امنه الله تعالى يوم القيمة من الفزع ذكره في الشرعة انتهى اي كلام صاحب التاتارخانية فعليك ايها السالك في طريق الله تعالى بالجد اي الاجتهاد والتشمير اي المبادرة والمسارعة في تحصيل مقام اليقين وهو السكون والطمينان القلب بمذهب اهل السنة والجماعة والاذعان اي الانقياد والتسليم له اي للمذهب المذكور

وغاية

وغاية التيقظ من غباوة الذهول والتنبه من نوم الغفلة والتضرع اي التوسل والاستعانة بالله تعالى في احوالك كلها وامورك جميعها حتى لا تزل من الزلل وهو الخطا قدمك ولا يزول اعتقادك الحق الذي في قلبك باضلال مضل من شياطين الانس والجن وتشكيك مشكك يدخل عليك شبهة فيفسد عليك دينك ويكدر صفا مشربك فاني قد سمعت باخبار رجل احد لي عن بعض متصوفة اي مدعين التصوف وليسوا بصوفية على الحقيقة زماننا وهو عصر السبعماية الذي كان فيه المصنف رحمه الله تعالى حكى عن شيخه ان واحدا من اقاربه اي اقارب الشيخ او الحاكي يرى الله سبحانه وتعالى في كل يوم مرة او مرتين وان موسى عليه السلام مع كونه كليم الله لم يتيسر له ذلك يعني روية الله تعالى وقيل له اي قال تعالى له لن تراني حين طلب الروية بقوله رب ارني انظر اليك اعلم ان روية الله تعالى في الدنيا بالبصر جايزة من وجهين الاول قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام رب ارني انظر اليك فانه دال على جواز الروية والا يلزم الجهل او العبث على موسى عليه السلام لانه ان لم يعلم امتناعها لزم الجهل وان علم وسال لزم العبث ومثل موسى عليه السلام لا يجوز ان يكون جاهلا بوصف من اوصاف الله تعالى او يكون عابثا بالله تعالى والوجه الثاني قوله تعالى فان استقر مكانه فسوف تراني علق رويته على استقرار الجبل واستقرار الجبل ممكن والمعلق على الممكن ممكن فتكون الروية ممكنة كذا في شرح الصحايف وقال السعد في شرح المقاصد والاستدلال في الاية من وجهين احدهما انه لو لم تجز الروية لم يطلبها موسى عليه السلام واللازم باطل بالنص والاجماع والتواتر وتسليم الخصم وجه الملازمة انه كان عالما بالله تعالى وما يجوز عليه وما لا يجوز كان طلبه الروية عبثا واجتراء الايليق بالانبيا عليهم السلام وان كان جاهلا لم يصلح ان يكون نبيا وكلاهما باطل وثانيهما انه علق الروية على استقرار الجبل وهو ممكن في نفسه ضرورة والمعلق على الممكن ممكن لان التعليق ان المعلق يقع على تقدير المعلق عليه والمحال لا يقع على شيء من التقادير انتهى وحيث ثبت انها جايزة في الدنيا بالبصر فهل واقعة لاحد ام لا قال الشيخ علوان بن عطية الحموي في شرح الشيبانية اعلم ان فصل الخطاب هنا ان روية الله تعالى جايزة عقلا ولكنها مع جوازها عقلا هل هي واقعة حسا جايزة شرعا ولا هذا محل النظر والذي نراه والله اعلم بغيبه انها غير واقعة بالبصر لغير سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم سيد البشر ولو وقعت لاعطيها الكليم ومن المعلوم ان اخر مقامات الولاية اول مقامات الصديقية واخر مقامات الصديقية اول درجات النبوة واخرها اول درجات الرسالة واخرها اول درجات اولي العزم الذين من جملتهم نبيه موسى عليه السلام ولم يظفر بالروية على المشهور عند الجماهير من السلف والخلف مع اختلافهم في وقوعها وثبوتها للنبي الفاتح الخاتم صلى الله عليه وسلم ليلة الاسرا

معنوحم

فيبين منكرو من الصحابة كعايشة ومن وافقها رضي الله عنهم فقد صرحت بتكذيب من نسب
ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم كما رواه مسلم وبين معترف بها مسلم لها كابن عباس واتباعه
رضي الله عنهم وكل منهم اخبر بما وصله واعتقده فكيف يظفر بها من دونهم في الرتبة واسفل
منهم بكثير في الدرجة والمشهور عند علما الظاهر والباطن كالقشيري والغزالي وغيرهما ان الشهود
والروية انما هما بالقلب دون المقلة في هذه الدار الفانية لان البصر فان والحق باق ولا يرى الباقي
بالفاني فاذا كان يوم القيمة ركبوا تركيبا باقيا فكانت ابصارهم باقية فصح ان يرى الباقي بالباقي
ونحو هذا منقول عن الامام مالك مستحسن منه وقال الشيخ الاكبر محي الدين العربي رضي الله عنه
في كتابه انشا الجداول والدواير لكل شيء في الوجود اربع مراتب الا الله تعالى فان له في الوجود
المضاف الينا ثلاث مراتب المرتبة الاولى وجود الشي في عينه وهي المرتبة الثانية بالنظر
الى علم الحق تعالى بالمحدث المرتبة الثانية وجوده في العلم وهي المرتبة الاولى بالنظر الى علم الله
بنا والمرتبة الثالثة وجوده في الالفاظ والمرتبة الرابعة وجوده في الرقم ووجود الله سبحانه
وتعالى بالنظر الى علمنا على هذه المراتب ما عدا مرتبة العلم الثانية وجوده في عينه هذا هو
الادراك الذي حصل بايدينا اليوم ولا ادري اذا وقعت المعاينة البصرية المقررة في الشرع
هل يحصل في نفوسنا اثبات او مزيد وضوح في جنس العلم الذي بايدينا اليوم منه في علمنا به
سبحانه وتعالى فان كان كذلك فليس له الا ثلاث مراتب وان كان يوجب النظر اثباتا في الدار
الاخرة وحيث وقعت المعاينة لمن وقعت فصفه بالمرتبة الرابعة وقال في عقيدة اهل
الاختصاص من اول كتابه الفتوحات المكية متعلق رويتنا الحق تعالى ذاته سبحانه ومتعلق
علمنا به اثباته الها بالاوصاف والسلوب فاختلف فلا يقال في الروية انها مزيد وضوح
في العلم لاختلاف المتعلق وان كان وجوده عين ماهيته فلا ننكر ان معقولية الذات غير
معقولية كونها موجودة انتهى كلامه فانظر كيف فرق العلم بالله تعالى وبين رويته وقد
صرح ايضا ان الذي بايدي العارفين اليوم انما هو العلم بالله سبحانه لا رويته تعالى
والروية انكشاف اخر غير انكشاف العلم ومن اشتبه عليه الفرق سمى العلم روية وادعى
الروية في الدنيا وهو باطل وقال اللاقاني في شرح جوهرته لم تقع روية الله تعالى في الدنيا
لغيره صلى الله عليه وسلم على خلاف فيها وفي موسى عليه السلام خلاف ايضا والاصح انه لم ير
واقتضى جواب القاضي ابي بكر وحكاه ابن فورك عن الاشعري انه راى هو والجبل بخلق حياة
وروية فيه فمن ادعاها غيرهما في الدنيا يقظة فهو ضال باطباق المشايخ وفي كفره قولان
والذي جزم به الكواشي والمهدوي كفره ونقل جماعة على انها لا تحصل للاوليا في الدنيا ما
والصواب مع ناقل الخلاف نعم المنع ارجح قولي الاشعري وقد صرح ابو عمرو بن الصلاح
وابو شامة والكلاباذي بتكذيب مدعيها يقظة في الدنيا وان مدعي ذلك لم يعرف الله تعالى

قال العلاء القونوي فان صح عن احد من المعتبرين وقوع ذلك امكن تاويله ان غلبات الاحوال
تجعل الغايب كالشاهد حتى اذا كثر اشتغال السر بشي واستحضاره له صار كانه حاضر بين
يديه كما هو معلوم بالوجدان لكل احد وعليه يحمل ما نقل عن ابن عمر وغيره رضي الله عنهم انه كان يطوف
حول البيت فسلم عليه انسان فلم يرد عليه فشكاه الى عمر رضي الله عنه فقال كنا نتراءى الله تعالى
في ذلك المكان ومنه اخذ ان هذا الحال قد يتفق في زمان دون زمان ومكان دون مكان وقال
الشيخ علوان في شرح الشيبانية فكذب مدعي الروية هنا مما كاد ان يطبق عليه الخاص والعام
لاسيما ممن يكون متمسكا بالاوهام غير متخلق ولا متحقق بقواعد الاسلام ففسقه لكذبه
في دعاويه وافترايه في ما يحكيه واضح لا شك فيه واما التجلي والاستتار في اصطلاح القوم
فامرهما مشهور واما كفره وزندقته فنكله الى الله العليم بحقايق الامور على ان صاحب الانوار
صرح بكفره حيث قال في باب الردة ولو قال اني ارى الله ويكلمني شفاها كفر انتهى
والحاصل ان الاحتياط في عدم الكفر لمدعي ذلك خصوصا والمسلة اذا كان فيها خلاف
لا يفتى بالتكفير فيها كما قدمناه ولكن الكذب والفسق والضلال ثابت له ان لم يتب من دعوى
ذلك وسبب دعوى الروية عدم المعرفة بالفرق بين العلم بالله تعالى وبين رويته سبحانه
فيظن الجاهل انه اذا علمه تعالى فقد راه وربما ادعى ان روية كل موجود بحسبه فروية
الموجود الحق تعالى هي العلم به فان اعترف قايل ذلك بالروية الواردة في الشرع وانها
تكون في الاخرة على وجه لا يعلمه الان في الدنيا كان ادعاوه ذلك في الدنيا بتسمية العلم
روية مجرد اصطلاح كما هو عادة بعض الصوفية وان لم يعترف قايل ذلك بالروية الشرعية
في الاخرة وحكم بانها مثل رويته في الدنيا التي هي العلم به تعالى فهو منكر لروية الاخرة ومنكر
روية الاخرة كافر وجميع ما وقع في كلام الكاملين من ايمة الصوفية من اثباتهم روية الله
تعالى في الدنيا مرادهم به الروية القلبية وهي الشهود للتجلي الالهي من قبيل قوله السلام
في مقام الاحسان ان تعبد الله ~~كان لم تكن~~ كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك ومنه قول
الصديق رضي الله عنه ما رايت شيا الا ورايت الله قبله وقول السيد عمر رضي الله عنه ما
رايت شيا الا ورايت الله بعده وقول عثمان رضي الله عنه ما رايت شيا الا ورايت الله
معه فالاول راى الاشيا بالله والثاني راى الله بالاشيا والثالث راى الله في الاشياء
وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كان الله ولا شيء معه وهو الان على
ما عليه كان فراى الله وحده بلا شيء وورد عن باب مدينة العلم الامام علي رضي الله عنه
انه كان يقول انا لا نعبد ربا لم نره فكل من قال من الصوفية رايت الله تعالى او اني ارى الله
تعالى مراده شهود الله تعالى بعين البصيرة لا رويته سبحانه بالبصر حتى لو لم يكن اراد
ذلك يجب على السامع ان يحمل كلامه على ارادة ذلك لييلا يسيء الظن بالمسلم متى امكن حمل كلام

على محمل حسن ما لم يصرح فيقول رايت الله بعيني التي في وجهي فيحكم عليه حينئذ
بالجهل وعدم معرفة الله تعالى خصوصا اذا فضل نفسه على موسى عليه السلام بان موسى
عليه السلام ما راى الله تعالى وقيل له لن تراني وهو راى الله تعالى فان هذا كفر صريح
فان الولي لا يصل الى مرتبة النبي اصلا ولا بدايته كما قال الشيخ الاكبر رضي الله عنه في كتابه
شرح الوصية اليوسفية ولقد روينا عن ابي موسى الديبلي عن ابي يزيد البسطامي رضي
الله عنه انه سال الله تعالى روية مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له انك لا تطيق اي
نورك الذي ترى به يضعف عن ادراك ما تطلبه من ذلك مع كون الحق في هذه الحال بصره
فكيف به لو لم يكن بصره فالح في السوال قال ابو يزيد ففتح لي من ذلك قدر خرم ابرة
فلم اطق الثبوت عند ذلك واحترقت هذا قوله عن نفسه وذكر الشيخ الاكبر رضي الله عنه
ايضا في كتابه المذكور حكاية ابي يزيد في حق المريد الذي قال له بعض اصحابه لم لا تمشي
الى بيت ابي يزيد فتراه فقال المريد رايت الله واغناني فقال له الرجل لان ترى ابا يزيد
مرة خير لك من ان ترى الله الف مرة يشير الى ان الحق سبحانه في معرفة ابي يزيد اتم
منه في معرفة هذا المريد به فاراد المريد وكان صادقا ان يرى صدق هذا القايل
فاتفق ان ابا يزيد مر فقال له الرجل هذا ابو يزيد فنظر اليه ذلك المريد فمات من ساعته
فقيل لابي يزيد عنه فقال كان الحق عنده على قدره وقدرنا اعظم من قدره فهو فتنا
بالله اعظم من معرفته به فلما راى كشف الله عن بصيرته فراى الحق على قدرنا لا على قدره
فلم يطق فمات انتهى كلامه فابو يزيد مع مقامه هذا لم يقدر ان يثبت لقدر خرم ابرة
من مقام نبي الله محمد صلى الله عليه وسلم فكيف من دونه من الصوفية اذا تقرر هذا وثبت
عندك فاعلم ان مقام نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الخاتم لمقامات النبيين والمرسلين
عليهم السلام من اعلا المقامات كلها وهو الجامع لجميعها وقد ورثه في مقامه هذا اولياء
كثيرون من امته يقال للواحد منهم خاتم الولاية المحمدية وكل ولي دونه على مشرب
نبي من الانبياء وفي كل زمان ختم ولاية واوليا دونه الى يوم القيمة ان شا الله تعالى ومن
المعلوم ان جميع الانبيا عليهم السلام لم يدركوا عصر نبينا صلى الله عليه وسلم فلم يعرفوا ما هو
متحقق به من علوم ختم النبوة وانما لهم علم النبوة الخاصة بهم وقد ورثه عليه السلام
كثير من اكابر اوليا امته في علوم ختم نبوته ولم يفتهم غير النبوة فقط فيعلم الولي الوارث
الكامل المحمدي بسبب ارثه لخاتم النبوة ما لم يعلمه الانبيا الاولون وان كان النبي الواحد
منهم افضل من جميع اوليا الامة المحمدية اذ الفضيلة اختصاص الهي لا باعتبار كثرة العلم
ارايت بان الرجل افضل من المراة والحر افضل من العبد ولو كانت المراة حاوية لعلوم شتى
وكان الرجل جاهلا فانه من جهة صفة الرجولية افضل من المراة وان كانت المراة اكثر علما منه

وكذلك

وكذلك الحر الجاهل افضل من العبد العالم وان كان العبد اكثر علما منه من الحر فان الهدهد وهو
طير قال لسليمان عليه السلام احطت بما لم تحط به وجيتك من سبا بنبا يقين فقد احاط علما
بما لم يحط به سليمان عليه السلام مع انه دون سليمان بيقين وكذلك قصة الخضر مع
موسى عليهما السلام فالخضر مختلف في نبوته وموسى من اولي العزم اجماعا وقد وجد
عند الخضر علوم لم توجد عند موسى عليه السلام حتى امر موسى عليه السلام بالتعلم منه فقال
هل اتبعك على ان تعلمني مما علمت رشدا قال انك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما
لم تحط به خبرا قال ستجدني ان شا الله صابرا ولا اعصي لك امرا الاية فلم يبعد ان يوجد عند الولي
من العلم ما لم يعلمه نبي من الانبيا خصوصا على القول بولاية الخضر رضي الله عنه وانه ليس بنبي
اذا تقرر لك هذا وثبت عندك فاعلم ان من هذا القبيل قول الشيخ الاكبر رضي الله عنه خضنا
بحرا وقفت الانبياء بساحله فان البحر هو علم ختم الولاية الموروث من خاتم النبوة
محمد صلى الله عليه وسلم والانبيا وقفوا بساحل بحر خاتم النبوة بلا شبهة لانهم لم يدركوه ولما
تاخروا عنه ليخوضوا بحار علومه مثل اتباعه الوارثين ومثله قول الشيخ عمر بن الفارض
رضي الله عنه في قصيدته التائية

لقد خضت بحرا دونه وقف الاولى ... بساحله صونا لموضع حرمتي

ومثل هذا كثير في كلام الورثة المحمديين في روية الله تعالى في الدنيا التي هي بالبصيرة القلبية كما قدمناه
قد تكون في الولي الجامع اتم منها في النبي بسبب اقتباسه ذلك من مشكاة محمد صلى الله عليه وسلم
فربما قال الولي رايت ما لم يره موسى عليه السلام ويريد بقلبه لا بعينه فان الكلام السابق
ليس فيه ذكر العين والبصر اصلا لا في نفسه ولا في موسى عليه السلام ولا في الاية ذكر ذلك
فربما كان مراد القايل لمثل ما تقدم من الكلام الروية القلبية المسماة شهودا وعرفانا
ومراده ان موسى عليه السلام طلب زيادة في رويته القلبية وفي عرفانه فلم يتيسر له
لان ذلك مخصوص لخاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم وبورثته الكاملين من امته من
مشكاته عليه السلام ولهذا ورد ان موسى عليه السلام قال يا رب اجعلني من امة محمد صلى
الله عليه وسلم لما راى وصفهم عنده في التوراة المنزلة عليه فيكون ذلك قايل ذلك القول مريدا
لما ذكرنا ومتى احتمل الكلام صوابا لا يحكم فيه بالخطا والله اعلم بحقايق الاحوال والحاصل ان
مقتضى شريعتنا هذه المبنية على الكتاب والسنة ان امر الانسان اذا احتمل الخير
والشر يحمل على الخير ما امكن حتى لا يبقى له تاويل اصلا ثم ما دام ذلك الانسان مدعيا للاسلام يسلم
له كلامه فهو اعلم به ولا يقال له لست مسلما كما قال تعالى ولا تقولوا لمن القى اليكم السلم لست
مومنا الاية فاذا اعترف بالتحول عن الاسلام الى غيره يحكم عليه حينئذ بالردة كما قدمناه
فيما سبق ولا يجوز حمل كلامه على الوجه الفاسد ما دام يمكن حمله على الوجه الحق وهذا

الكلام يعنى المذكور عن بعض المتصوفة ربما يسمعه الغافل عن معرفة الله تعالى
الجاهل بمقام شهوده تعالى على حسب ما قدمناه بغتة اى من غير ان يسبق له تامل
فيه فيظن انه صحيح على حسب ما يفهمه منه فى اول وهلة او يشك فى صحته وعدم
صحته والحال ان هذا اى يعنى الكلام المذكور بحسب ما يفهمه الغافل اول ما يطرق
سمعه تفضيل لغير النبى وهو الولى على موسى بن عمران عليه السلام الذى هو نبى
ورسول ومن اولى العزم بل تفضيل لغير النبى على جميع الانبيا لان التفضيل على نبى تفضيل
على كل نبى فان روية الله تعالى على المراتب الكمالية اذ لا يراه الا من هو عنده فى اعلا مرتبة
واعلى اللذات الروحانية فانه لا لذة اعلى من لذة روية الله تعالى والتمتع بشهوده
سبحانه فاذا حصلت لاحد كان افضل عند الله تعالى ممن لم يحصل له ذلك ولم تتيسر
روية الله تعالى ايضا لاحد فى الدنيا والله اعلم بذلك سوى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
فى ليلة الاسرا والمعراج حين رقى الى السموات وقد اختلف فيها فى ثبوت ذلك له
عليه السلام كما مر بيانه وقد عرفت فيما سبق لك فى هذا الكتاب اوايل هذا الفصل ان
اعتقاد اهل السنة والجماعة نصر الله تعالى كلمتهم الى قيام الساعة ان الولى مطلقا ولو كان
فى اعلا درجات القرب الى الله تعالى لا يبلغ درجة النبى اصلا فالنبوة طور فوق طور
الولاية كما ان الولاية طور فوق طور العقل فضلا عن ان يتجاوزها اى الولى درجة النبى
وروى عن ابى يزيد البسطامى رضى الله عنه انه شبه النبوة بظرف مملوة عسلا رشحت
منه الى الخارج رشحات فهى ذوق الاوليا فى مقاماتهم وقد ذكر العلامة ابن ابى شريف
فى شرح المواقف فى علم الكلام وذكر العلامة سعد الدين التفتازانى فى شرح العقايد
المقاصد ان الاجماع منعقد بين المسلمين على ان الانبيا عليهم السلام افضل اى اكثر
فضيلة عند الله تعالى وجاها ورفعة من الاوليا رضى الله عنهم ولا يلزم من فضيلة
الانبيا على الاوليا زيادة علم الانبيا على الاوليا فان الفضيلة للنبى فى النبوة لذاتها
وهى طور مخصوص فوق طور الولاية لا فضيلتها لامر عرضى لها وهو العلم وليست
هى العلم نفسه والا لكانت تحصل بالكسب او تعظم به وهو باطل لانه مذهب
المخالفين ومذهب اهل السنة والجماعة ان النبوة موهبة من الله تعالى ولكن لك
عظمها لانها متفاوتة فان نبوة نبينا ليست كنبوة غيره والخضر ولى فى قول وهو
على علم علمه الله تعالى له لا يعلمه موسى عليه السلام كما ورد فى حديث البخارى وغيره
وقد قال تعالى عنه كما قدمناه يخاطب موسى عليه السلام وكيف تصبر على ما لم تحط به
خبرا وقال موسى عليه السلام عن نفسه للخضر رضى الله عنه هل اتبعك على ان تعلمنى مما
علمت رشدا وسبق هذا فيما ذكر السعد التفتازانى فى شرح العقايد ان تفضيل الولى

اى

اى اعتقاد انه اكثر فضيلة عند الله تعالى وجاها ورفعة على النبى مرسلا كان او لا كفر
وضلال كيف وهو اى التفضيل تحقير للنبى بالنسبة الى الولى وخرق للاجماع
حيث اجمع المسلمون على فضيلة النبى على الولى وسمعت عن بعض الصوفية من اهل
الطريقة الخلوتية ولعله سمع ذلك من بعض الجهلة المنتسبين اليهم فان كل
طايفة من الناس وكل طبقة منهم فيها كاملون وقاصرون وصالحون وفاسقون
وابرار وفجار وليس هذا امرا مخصوصا بالصوفية فقط والذم لا يقع الا على
النوع الفاسد منهم لا غير ان ما عدا محمدا صلى الله عليه وسلم من الانبيا عليهم السلام
لم يبلغوا فى حضرات الكشف والشهود مرتبة الاسم السابع من اسما الله تعالى بل
وقفوا فى الاسم السادس ولم يتجاوزوه يعنى الانبيا عليهم السلام وانا معشر الاوليا
المحمديين قد جاوزناه يعنى الاسم السادس ولعل مراده ذوق مخصوص حصل لهم
فى ذلك الاسم لم يحصل للانبيا عليهم السلام فان اذواق الانبياء فى اسما الله تعالى
من اطوار نبواتهم لا يعلم بها غيرهم واما اذواقهم عليهم السلام فى اسمايه تعالى من
اطوار ولاياتهم لانهم اوليا ايضا كما انهم انبيا فان الاوليا يعلمونها لانهم ورثوا الانبيا
فى مقامات ولاياتهم وهى العلم بالله لا مقامات نبواتهم لانقطاع النبوة دون الولاية
الى يوم القيمة فمن ورث محمدا صلى الله عليه وسلم فى مقام ولايته كان عنده من العلم ما لم
يكن عند الانبيا كلهم عليهم السلام فى مقام ولاياتهم واما مقام نبواتهم ففيها من العلوم
ما لا تعلمه جميع الاوليا اذ لا ذوق للاولياء فى النبوة وانما ذوقهم فى الولاية فقط
وهذا الكلام المذكور عن بعض الخلوتية مثل الكلام الاول ربما يسمعه الغافل بغتة
فيفتتن به ولا يعرف معناه ومعلوم ان الكلام اذا امكن ان يكون له معنى صحيح لا يحكم
بتخطية قايله لان قايله مسلم يدعى الاسلام ويتبرا من الكفر فلا يحكم عليه بما هو متبرئ
منه مع الحكم بصحة ايمان المكره والمسلم لا يكره احدا له على الكفر وانما اذا حملته
الغيرة يكره على الاسلام والحاصل ان غاية ما يكون فى هذا الكلام انه كلام غلاة الصوفية
وهم القاصرون منهم اصحاب الشطح الذين فيهم رعونة نفسانية وعندهم من نفسانيتهم
بقية واى بقية وربما قالوا ذلك فى مقام السكر والغيبة فيعذروا وسبق الكلام
من امام الحرمين فى شانهم وقال يعنى القايل الاول من الخلوتية ان ابا بكر رضى الله
عنه لم يبلغ مرتبة الارشاد الى الله تعالى والدلالة عليه وانما تجاوز مرتبة الاصحاب
اى اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وهذا الكلام تاويله ايضا كما ذكرنا فان الفضيلة ايضا
التى فى ابى بكر رضى الله عنه على ساير امة محمد صلى الله عليه وسلم ليست بالعلم وانما بشىء
وقر فى صدره شهد له النبى صلى الله عليه وسلم به وهو نفسه الزكية المخصوصة بنوع

من القرب الالهي لا يكون في الصديقين كلهم الى يوم القيمة والصديقية فيه رضي الله عنه من
جملة احواله فلا مانع ان يكون عند من هو دونه في الفضيلة من الاوليا معرفة
بكيفية الدلالة على الله تعالى وزيادة صناعة في الارشاد اليه سبحانه لم يكن ذلك عنده
رضي الله عنه فلا يلزم من ذلك نقصان فضيلة ابي بكر رضي الله عنه كما ان علي بن ابي طالب رضي
الله عنه وكرم وجهه باب مدينة العلم النبوي دون ابي بكر رضي الله عنه كما قال عليه
السلام انا مدينة العلم وعلي بابها وليست هذه المزية في ابي بكر رضي الله عنه مع انه افضل
من علي كرم الله وجهه وكذلك مزية عمر رضي الله عنه وكون الشيطان يفر من ظله
وكون رايه وافق نص الكتاب مع ان ذلك لم يكن لابي بكر رضي الله عنه وهو افضل من
عمر رضي الله عنه واما قوله بمجاوزة الاصحاب مرتبة الاصحاب فهو من قبيل قول
ابن عبد البر بانه قد يوجد في غير الصحابة من هو افضل من بعض الصحابة واستدل
على ذلك بما ورد من الاحاديث في المسالة كما ذكره في المواهب اللدنية وغيرها
وان كان الاوفق فيه ان يقال ان فضيلة الصحبة امر ذاتي ايضا لا يعادله فضيلة
اصلا واما من غير الصحبة فقد يوجد في غير الصحابة من هو افضل من بعض الصحابة
وعلى كل حال فالمتعين التاويل في كلام اهل الاسلام خصوصا اهل التصوف من فقراء
طريق الله تعالى والاعمال بالنيات وانما لكل امرء ما نوى وهذا القول المذكور في ابي بكر
رضي الله عنه على حسب ما يظهر معناه للغافل الجاهل في اول وهلة قدح في
افضل الاوليا وهو ابو بكر رضي الله عنه وطعن اي تنقيص في افاضل هذه الامة
المحمدية وهم الصحابة رضي الله عنهم اجمعين فانهم من حيث الصحبة افضل من
جميع الامة وان امكن ان يفضلهم غيرهم مطلقا كما ذكرنا بل طعن في سيدنا وسيد
الاولين والاخرين رسول الله محمد وحبيب رب العلمين صلى الله عليه وسلم حيث
كان ذلك في الانبيا وفي الصحابة وقد بين عليه السلام فضيلة الانبيا وفضيلة
الصحابة على من سواهم فيلزم تكذيبه والطعن فيه وهذا كله على حسب فهم
الغافل الجاهل الذي لا يعرف ذلك فربما يعتقد صحة القدح والطعن المذكورين
فيقع في مهواة من التلف في الدين والتحذير من ذلك بالتنبيه على مواضع الخطا
ليحترز منه لا في احد بعينه من شان العلما العاملين واما الحكم بذلك في احد معين
فهو شان الجاهلين المتعصبين بل الفاسقين الفاجرين وقد خرج اي اسند خ م
يعني البخاري ومسلما في صحيحيهما باسنادهما عن عمران بن حصين وعن ابن مسعود
رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال خير الناس قرني القرن اربعون سنة
اوعشر اوعشرون اوثلاثون اوخمسون اوستون اوسبعون اوثمانون اومائة

اومائة

اومائة وعشرون والاول اصح لقوله عليه السلام لغلام عش قرنا فعاش مائة سنة
كذا في القاموس ثم الذين القرن الذين يلونهم اي يتبعونهم بعدهم ثم القرن الذين يلونهم
اي يتبعونهم ثم يفشوا اي يظهر ويكثر الكذب في الاقوال والاحوال والاعمال وهو خلاف
الصدق في ذلك وكان هذا في اواخر القرن الثالث اواول القرن الرابع كما اخبر صلى الله
عليه وسلم فلا تعتمدوا اقوالهم اي لا تعتنوا بها ولا تصدقوها ولا تعتمدوا افعالهم
ايضا ولا تغتروا بها لان غالبها بدع وضلالات وهذا اخبار منه صلى الله عليه وسلم
عن الفرق المبتدعة والدعاة الى الضلال والمخالفين لجماعة السلف الصالحين في الاعتقاد
والاعمال لا عن مطلق الاختلاف مع الاجتماع معهم في التمسك بالكتاب والسنة
والاجماع كاختلاف المجتهدين بالعقول المنورة في مسايل الشريعة المطهرة
واختلاف الصوفية المحققين بالبصاير والقلوب في المعارف والحقايق
الملهمة المتلقاة عن علام الغيوب مع اجتماع الكل في الاسلام للامر على ما هو
عليه والاعتراف بانه على حسب استعدادهم جميع ما ذهبوا اليه وكلامنا هذا
عن المجتهدين والصوفية من حيث هم موجودون فيما يعلمهم الله تعالى الى يوم القيمة
من غير تعيين احد بعينه الا من اجمع المسلمون على علو الهمم والشهادة لهم
بالصدق في العلم والتصوف كايمة الاربعة وبقية المجتهدين الماضين ممن
انقطعت الان مذاهبهم لقلة النقلة لها وايمة التصوف الكاملين كالجنيد البغدادي
والسري السقطي ومعروف الكرخي وغيرهم من اهل الولاية ومن لم يقع الاجماع من
المسلمين على تصديقهم في مقاماتهم ومشاربهم ولم يظهر لنا نحن وجدنا كمالهم
فيما هم بصدده لا نخوض فيهم بشيء من التنقيص والاعابة وان خاض في ذلك
غيرنا ممن قبلنا ومن هو اكبر منا واما لو ظهر لنا وجدنا كمالهم وصدقهم في درجات
القرب كانوا عندنا مساوين للقسم الاول الذين اجمعت عليهم الامة وكنا في ذلك كمن
راى هلال رمضان وحده ورد قوله فانه يجب عليه الصوم ولا يباح له الافطار هذا
اعتقادنا وعملنا ما عشنا ولا نخوض مع الخايضين وخرج م يعني الامام مسلما
في صحيحه باسناده عن عايشة رضي الله عنها انه سال رجل النبي صلى الله عليه وسلم
اي الناس خير قال صلى الله عليه وسلم القرن الذي انا فيهم وهم الصحابة رضي الله عنهم
اجمعين ثم القرن الثاني الذي فيه التابعون رضي الله عنهم ثم القرن الثالث الذي فيه
التابعون للتابعين رضي الله عنهم وخرجا خ م يعني البخاري ومسلما
باسنادهما عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه انه قال يعني الخدري قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابي يا معشر الامة المتاخرين فان احدكم اي الواحد

لو انفق مثل جبل احد ذهبا يعني في سبيل الله تعالى مابلغ ذلك مد احدهم اي مد اصحابي
ولا نصيفه اي نصيف ذلك المد قال في القاموس النصف مثلثة احد شقي الشي
كالنصيف وخرج ت يعني الترمذي باسناده عن عبد الله بن مغفل انه قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله الله منصوب على التحذير اي احذروا
الله احذروا الله وكرر للتاكيد في اصحابي اي في حقهم وحق ما وقع بينهم من المخالفات
الاجتهادية والحروب المنبعثة عن الحمية الدينية في نصرة الاحكام الشرعية
لا تتخذوهم غرضا محركة وهو هدف يرمى فيه والجمع اغراض كذا في القاموس اي
لا تجعلوهم موضعا لرمي سهام الطعن فيهم منكم والاعابة عليهم من بعدي الى يوم
القيمة فمن احبهم اي الصحابة رضي الله عنهم فبحبي اي بسبب حبه لي احبهم فان من
احب احدا احب جميع من تحبه ذلك الاحد والا لم يكن يحبه ومن ابغضهم او واحدا
منهم فببغضي اي بسبب بغضه لي ابغضهم ومن اذاهم في حياتهم او بعد مماتهم
في انفسهم او اهلهم او مالهم او عرضهم او دينهم او عقلهم او مقامهم ونحو ذلك
فقد اذاني لانهم اصحابه صلى الله عليه وسلم ورفقاؤه في الدنيا والقرين على حالة قرينه
والمرء على دين خليله ومن اذاني فقد اذى الله تعالى لانه عليه السلام رسول الله تعالى وقدر
الرسول من قدر المرسل فتعظيمه من تعظيمه واهانته من اهانته ومن اذى الله
سبحانه فيوشك وشك الامر ككرم سرع كوشك واوشك اسرع السير كواشك
ويوشك الامر ان يكون وان يكون الامر ولا يفتح شينه او لغة ردية كذا في القاموس
ان ياخذه بالاهلاك والدمار وخرج م يعني مسلما في صحيحه باسناده عن انس رضي
الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر وعمر رضي الله عنهما يعني اخبر
عنهما او قال لهما مشيرا اليهما هذان سيدا كهول جمع كهل وهو من وخطه الشيب
او من جاوز الثلاثين او اربعا وثلاثين الى احدى وخمسين كذا في القاموس
اهل الجنة مع ان اهل الجنة كلهم جرد مرد ابنا ثلاث وثلاثين فكلهم كهول
وللشيخان سيادة عليهم بمقتضى هذا الحديث وحديث الحسنين انهما سيدا
شباب اهل الجنة فاهل الجنة كلهم شباب لوجود رونق ايام الشباب في صفة
كهوليتهم فهم كهول في السن وشباب في رونق الخلقة واستقامتها فاخبر النبي
صلى الله عليه وسلم عن اهل الجنة انهم كهول مرة وانهم شباب مرة اخرى وذكر المناوي
في شرح الجامع الصغير عن السمهودي ان طول ادم وكونه امرد وهو اجمل الناس ثابت
لكل من دخل الجنة فيشمل من مات صغيرا بل جاء ما يقتضي ثبوت جميع ذلك للسقط
فروى البيهقي بسند حسن عن المقداد ما من احد يموت سقطا ولا [illegible] هرما والحكمة

وانما الناس فيما بين ذلك الا بعث ابن ثلاث وثلاثين فان كان من اهل الجنة كان على
مسحة ادم وصورة يوسف وقلب ايوب ومن كان من اهل النار عظم كالجبال من الاولين
بيان لكهول اهل الجنة والاخرين الا النبيين والمرسلين فان سيادتهم لا تعادلها سيادة
وخرج ت يعني الترمذي باسناده عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ما نبي الا وله وزيران الوزير الذي يحمل الثقل ويعين بالراي من اهل
السما ووزيران من اهل الارض فاما وزيراي من اهل السما فجبريل وميكايل عليهما
السلام واما وزيراي من اهل الارض فابو بكر وعمر رضي الله عنهما وخرج خ يعني البخاري
باسناده عن محمد بن الحنفية وهو ابن الامام علي بن ابي طالب كرم الله وجهه من غير
فاطمة من جارية اخذها الامام علي رضي الله عنه من سبي بني حنيفة جماعة مسيلمة
الكذاب قلت لابي يعني عليا لعلي رضي الله عنه اي الناس خير بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ابو بكر قلت ثم من قال عمر وخشيت ان اقول ثم من فيقول عثمان قلت ثم انت قال
ما انا الا رجل من المسلمين قال العراقي في شرح الفية الحديث واختلف اهل السنة في الافضل
بعد عمر رضي الله عنه فذهب الاكثرون كما حكاه الخطابي وغيره الى تفضيل عثمان على علي رضي الله
عنهما وان ترتيبهم في الفضيلة كترتيبهم في الخلافة واليه ذهب الشافعي واحمد بن حنبل
كما رواه البيهقي في كتاب الاعتقاد عنهما وهو المشهور عند مالك وسفيان الثوري وكافة
ايمة الحديث والفقها وكثير من المتكلمين كما قال القاضي عياض واليه ذهب ابو الحسن
الاشعري والقاضي ابو بكر الباقلاني وذهب اهل الكوفة كما قال الخطابي الى تفضيل علي
على عثمان رضي الله عنهما وروى باسناده الى سفيان الثوري انه حكاه عن اهل السنة من
اهل الكوفة وحكي عن اهل السنة من اهل البصرة افضلية عثمان فقيل فما تقول
فقال انا رجل كوفي ثم قال وقد ثبت عن سفيان في اخر قوليه تقديم عثمان وممن ذهب
الى تقديم علي على عثمان ابو بكر بن خزيمة وقد جا عن مالك التوقف بين عثمان وعلي كما
حكاه المازري عن المدونة ان مالكا سيل اي الناس افضل بعد نبيهم فقال ابو بكر ثم
قال او في ذلك شك ~~ ~~ قيل له فعلي وعثمان قال ما ادركت احدا ممن اقتدي به
يفضل احدهما على صاحبه ونرى الكف عن ذلك وفي رواية في المدونة حكاه القاضي عياض
افضلهم ابو بكر ثم عمر وحكى القاضي عياض قولا ان مالكا رجع عن التوقف الى القول الاول
قال القرطبي وهو الاصح ان شا الله تعالى وخرج ت يعني الترمذي باسناده عن عايشة
رضي الله عنها انها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا ينبغي لقوم فيهم ابو
بكر ان يومهم غيره اي يصلي بهم اماما في جميع الصلوات والمعنى لا يتقدم عليه غيره من بقية
الصحابة رضي الله عنهم وفي ذلك اشارة الى انه احق بالخلافة بعد النبي صلى الله عليه وسلم

وهكذا كان لهم فانه لم يتقدم عليه احد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم واجمعت
الصحابة على خلافته من غير اختلاف بينهم في ذلك وخرج ت يعني الترمذي باسناده عنها
ايضا اى عن عايشة رضى الله عنها ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال ابو بكر سيدنا اى له السيادة
علينا بالسبق الى الاسلام واستحقاق الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاجماع
وخيرنا اى الاكثر خيرا منا واحبنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اى الذى يحبه
رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثر منا وخرج ت يعني الترمذي باسناده عن جابر بن عبد
الله رضى الله عنه انه قال عمر لابى بكر رضى الله عنهما يا خير الناس بعد رسول الله
صلى الله عليه وسلم اى الاكثر الناس خيرا ~~بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم~~ وقال في كتاب
الفتاوى التاتارخانية في فقه الحنفية لو قال رجل عمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم
لم يكونوا اصحابا للنبي صلى الله عليه وسلم لا يكفر لعدم ثبوت صحبتهم بطريق التواتر بل
بالاحاديث الاحاد ولا يكفر منكر الاحاد وانما يكون مبتدعا لمخالفته لاهل السنة
والجماعة ويستحق اللعنة التى تلحق المخالفين لمن سلك غير سبيل المومنين
ولو قال ابو بكر الصديق رضى الله عنه لم يكن من الصحابة كفر لان الله تعالى سماه
يعني ابا بكر رضى الله عنه في القران صاحبا بقوله اذ يقول يعني النبي صلى الله عليه وسلم
لصاحبه وهو ابو بكر رضى الله عنه لا تحزن ان الله معنا بالعصمة والمغفرة روى ان
المشركين طلعوا فوق الغار فاشفق ابو بكر على رسول الله فقال عليه السلام ما ظنك
باثنين الله ثالثهما فاعماهم الله عن الغار فجعلوا يترددون حوله فلم يروه ذكره البيضاوى
فقد ثبت بالنص المتواتر انه صحابى فمن انكر صحبته فقد انكر النص فيكفر وفي الفتاوى
الظهيرية لظهير الدين المرغيناني قال ومن انكر امامة ابى بكر الصديق رضى الله عنه
اى خلافته بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على الامة فهو كافر في القول الصحيح لاجماع
الامة على ذلك من غير خلاف احد يعتد به وكذلك من انكر خلافة عمر رضى الله عنه
في اصح الاقوال الا انكار الاجماع القطعى ايضا انتهى اى كلام الفتاوى الظهيرية

الفصل الثاني من الفصول الثلاثة المشتمل عليها الباب
الثاني من ابواب الكتاب الثلاثة في بيان اقسام العلوم الثلاثة المقصودة في الشرع
لغيرها من الطاعات فليس المراد منها تعلمها وانما المراد العمل بمقتضاها ولا
يمكن ذلك الا بتعلمها كالطهارة مثلا للصلاة لا يمكن عمل الصلاة بدونها وهى اى تلك العلوم
المذكورة ثلاثة انواع علوم مامور بها المكلف فيعصى بتركها وعلوم منهى عنها
فيحرم عليه تعلمها وعلوم مندوب اليها فيثاب على تعلمها ولا يعاقب على الجهل بها
النوع الاول من الثلاثة انواع في العلوم المامور بها وهو اى هذا النوع صنفان

الصنف

الصنف الاول في العلوم التى هى فروض العين بحيث اذا علمها البعض لا تسقط عن
الباقين بل هى فرض على كل احد من المكلفين بعينه وهو اى هذا الصنف من العلوم
يشمله اسم واحد وهو علم الحال اى الامر والشان الذى يتقلب فيه المكلف ليلا
ونهارا بتقليب الله تعالى له على حسب ما هو مقدر عليه في علم الله تعالى من الاقوال
والاعمال والاعتقادات تقليبا منسوبا الى المكلف نسبة حسية شرعية لا حقيقة
ايمانية قال الله تعالى فسئلوا يعني يا ايها المكلفون بالاحكام الشرعية الظاهرية
والباطنية اهل الذكر اى العلم قال ابن جميل في مختصر تفسير الرازى والمراد بالذكر
العلم اى من له علم وتحقيق ان كنتم لا تعلمون قال البيضاوى وفي الاية دليل على وجوب
المراجعة الى العلماء فيما لا يعلم وخرج مج يعني ابن ماجة باسناده عن انس بن
مالك رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل
مسلم ومسلمة وللعلم اطلاقات متباينة ويترتب على ذلك اختلاف الحد والحكم كلفظ
العالم والعلماء ومن هنا اختلفوا في فهم هذا الحديث وتجاذبوا معناه فمن متكلم
يحمل العلم على علم الكلام ويحتج لذلك بانه العلم المتقدم رتبة لانه علم التوحيد الذى
هو المبنى ومن فقيه يحمله على علم الفقه اذ هو علم الحلال والحرام ويقول ان ذلك
هو المتبادر من اطلاق العلم في علم الشرع ومن مفسر ومن محدث وامكان التوجيه
لهما ظاهر ومن نحوى يحمله على علم العربية اذ الشريعة انما تتلقى من الكتاب والسنة
وقد قال الله تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فلا بد من اتقان
علم البيان والتحقيق حمله على ما يعم ذلك من علوم الشرع كذا ذكره المناوى في شرح
الجامع الصغير وهذا المعنى الاجنبى الجامع للكل هو المناسب هنا وقال في كتاب
تعليم المتعلم ويفترض على الانسان المسلم رجلا كان او امراة طلب علم ما يقع له في
حاله اى امره وشانه في اى حال كان حال اقامة او حال سفر او حال صحة او حال
مرض وغير ذلك مما يتوالى عليه في مدة عمره فانه لا بد له اى لذلك المسلم من الصلاة
خمس مرات في اليوم والليلة فيفترض عليه علم ما يقع له في صلاته بقدر ما يودى به
فرض الصلاة من مسايل الطهارة ومعرفة اقسام المياه ومعرفة شرايط الصلاة
واركانها ويجب وجوبا دون الفرض عليه اى على ذلك المسلم علم ما يقع له في صلاته بقدر
ما يودى به الواجب من واجبات الصلاة لان علم ما يتوسل به من الشرايط والاركان
الى اقامة الفرض يكون فرضا وعلم ما يتوسل به الى اقامة الواجب الذى هو الفرض يكون
واجبا وعلى هذا ايضا علم ما يتوسل به الى اقامة السنة والمستحب يكون سنة ومستحبا
وكذلك الحكم في الصوم والزكاة ان كان له مال بان ملك النصاب من العين والماشية

والحج ان وجب اى افترض عليه بان قدر على السفر بالزاد والراحلة وكذلك الحكم فى
مسايل البيوع ان كان يتجر اى يستعمل التجارة لابد ان يتعلم احكامها المشروعة
انتهى اى ما نقله من كتاب تعليم المتعلم ثم قال يعنى صاحب تعليم المتعلم وكل من
اشتغل بشىء من المعاملات بين الناس كالاجارة والمزارعة والمساقاة والوديعة
والعارية والنكاح والطلاق والبيع والقرض ونحو ذلك وبشىء من الحرف جمع حرفة
وهى الصناعة لانه يخالط الناس فى حرفته بالضرورة يفترض عليه علم التحرز عن
تناول المال الحرام فيه اى فى ذلك الشىء الذى اشتغل به وكذلك يفترض عليه اى على
المسلم علم احوال القلب وما يعتريه من الاخلاق الجميلة لما يحترز عن ضدها
بتعلمها من التوكل على الله تعالى والانابة اى الرجوع اليه سبحانه والخشية منه
سبحانه والرضى عنه تعالى فى كل افعاله واحكامه فانه اى ذلك المسلم واقع مدة
عمره فى جميع الاحوال القلبية المذكورة وغيرها وكذلك الاحوال البدنية فى المعاملات

الصواب ان العلم باحوال القلب ...

ولا محيص له عنها كيف ما كان انتهى ما نقله عن تعليم المتعلم ثم قال يعنى فى تعليم
المتعلم ايضا ولم ينسب ذلك كله اليه مرة واحدة لنقله عنه من مواضع متفرقة
وكذلك الحكم فى ساير اى بقية الاخلاق الانسانية نحو الجود وضده البخل والجبن
بالضم وضده الجراة اى الشجاعة والتكبر وضده التواضع والعفة ويضادها
الشح والاسراف وضده التقتير اى التقليل وغيرها من انواع الاخلاق الحسنة
والسيية كالسماحة والحرص والمحبة والبغض فان الكبر والبخل والجبن والاسراف
حرام بلا خلاف ولا يمكن التحرز عنها بطريق الاكتساب الا بعلمها وعلم ما يضادها
مما ذكر حتى يكون المكلف تاركها بقصده واختياره فيكون ذلك مجاهدة منه فى نفسه
فان المجاهدة فى النفس عبادة ولا تحصل لاحد الا بالعلم وهى فرض على كل مكلف فيفترض
على كل انسان علمها ليودى به فرضها قال ابو الحسن الشاذلى رضى الله عنه من مات
ولم يتوغل فى علمنا هذا مات مصرا على الكباير قال الشيخ ابن علان الصديقى
رضى الله عنه فى شرح حكم ابى مدين قدس الله سره ولقد صدق فيما قال فاى شخص
يا اخى يصوم ولا يعجب بصومه واى شخص يصلى ولا يعجب بصلاته وهكذا ساير
الطاعات انتهى ما نقله عن تعليم المتعلم حاصله اى حاصل ما ذكر كله ان العلم
لكل حال من الاحوال تابع للمعلوم اى لحكم ذلك الحال المعلوم فان كان ذلك الحال المعلوم
فرضا او حراما ففرض اى فالعلم به فرض للامتثال فى الاول والاجتناب فى الثانى وان
كان ذلك الحال المعلوم واجبا دون الفرض او مكروها فواجب اى فتعلمه واجب للعمل
به فى الاول والكف عنه فى الثانى وان كان ذلك الحال المعلوم سنة فسنة اى فتعلمه سنة

وان

وان كان نفلا فنفل كذلك فكل حال من الاحوال حكم تعلمه مثل حكمه وكذلك الامر بالمعروف
بالمعروف والنهى عن المنكر فى الفرض فرض وكذلك فى الحرام وفى الواجب واجب وفى المكروه
مكروه وفى السنة سنة وفى النفل نفل يعنى انهما اى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر
على سبيل الكفاية اى فرض كفاية بحيث اذا قام به البعض يسقط عن الباقين وعلم الحال
بالتفصيل المذكور على سبيل العين اى فرض عين كما قدمنا ومنه اى من علم الحال اعتقاد اهل
السنة والجماعة الذى سبق ذكره فى الفصل الذى قبل هذا وكذلك منه تنويره اى انارته
بمعنى اضاءته فاذهاب ظلمة القصور فيه بالاستدلال على كل مسئلة من مسايله
للخروج عن ربقة التقليد فيه الى فضا النظر وكون علم الحال جميعه بانواعه لا يمكن القيام
به والتحرز عن المنهيات منه الا بتعلمه ومعرفة احكامه ومسايله امر محقق فى قضية
اكتسابه وتحصيله بطريق المجاهدة المفروضة كما ذكرنا والا فان التوفيق الذى
اجمع الامة على ثبوته وكونه امرا واقعا فى الخلق لمن شا الله تعالى لا يحتاج صاحبه
معه الى العلم بشىء من ذلك كله اصلا وهو خلق القدرة على الطاعة فى العبد بحيث
يصير العبد مطيعا لربه ظاهرا وباطنا ومنتهيا عما لا يرضى به ربه فى ظاهره وباطنه
بالهام من الله تعالى له ان يكون كذلك وان لم يكن له معرفة بكمال هذه الحالة عند الله
تعالى فضلا عن تحصيلها بتعلمها من غيره وهى المقصود الشرعى من المكلف سواء حصلت
بالتحصيل او بالالهام وضد هذه الحالة الخذلان والعياذ بالله تعالى فانه ضد التوفيق
وهو موجود فى الخلق ايضا كالتوفيق لمن شا الله تعالى وهو خلق القدرة على المعصية
فى العبد فيصير العبد عاصيا لربه فى ظاهره او باطنه منهمكا فى المعاصى بالهام من الله تعالى
له ايضا كما قال تعالى فالهمها فجورها وتقوىها وان لم يكن له معرفة بنقصان هذه
الحالة عند الله تعالى وهاتان الحالتان حالة التوفيق وحالة الخذلان لا يخلو عنهما
العبد اصلا فان كل انسان اما موفق او مخذول وقد يوفق فى وقت ويخذل فى وقت
وقد يوفق لعمل ويخذل عن عمل وفى كتاب مواقع النجوم للشيخ الاكبر محى الدين ابن
العربى رضى الله عنه التوفيق مفتاح السعادة الابدية والهادى بالعبد الى سلوك
الاثار النبوية والقايد له الى التخلق بالاخلاق الالهية من قام به غنم ومن فقده
حرم وهو خارج عن كسب العبد وانما هو نور يضعه الله فى قلب من اصطنعه
لنفسه واختصه لحضرته به تحصل النجاة وبه تنال الدرجات ومع انه موهوب
ونور فى قلب المومن موضوع فان ارادة العبد من جهة العلم بخصايصه وحقايقه
متعلقة بجود الله سبحانه وتعالى فى تحصيله منه والاتصاف به فقد يحصل للعبد
بتلك الارادة فيتخيل انه كسبى وان دعاه الله فيه وارادته اياه سبب فى حصوله

وما علم ان تلك الارادة التى حركته لطلب التوفيق من التوفيق فانها من اثاره ولولاه لم يكن
ذلك فان ارادة التوفيق من التوفيق ولكن لا يشعر لذلك اكثر الناس فاذا تقرر هذا
فيكون الانسان انما يطلب على الحقيقة كمال التوفيق من الموفق الواهب الحكيم ومعنى
كمال التوفيق استصحابه للعبد فى جميع احواله من اعتقاداته وخواطره واسراره
ومطالع انواره ومكاشفاته ومشاهداته ومسامراته وافعاله كلها لانه يتجزى
ويتبعض فانه معنى من المعانى القايمة بالنفس فنقصه الذى يطلق عليه انما هو ان يقوم
بالعبد فى فعل ما من الافعال ويحرمه فى فعل اخر وكذلك زيادته اسعى استصحابه
لجميع افعال العبد وقد بان علة سواله فى التوفيق من الله تعالى وتبين ان التوفيق
لم يكن عنده معدوما عند سواله لله سبحانه فيه وهو تفعيل من الموافقة وهو
معنى يقوم بالنفس عند طرو فعل من افعاله الصادرة منه على اختلافها يمنعه
من المخالفة للحد المشروع له فى ذلك الفعل لا غير فكل معنى كان حكمه هذا يسمى التوفيق
فلو وافق حال العاصى حقه المشروع لم يكن عاصيا واذا انتفت الموافقة فى حال
ما مشروع كانت المخالفة لان المحل لا يعرى عن الشىء او ضده وقد يقوم بالعبد
المومن التوفيق فى فعل ما والمخالفة فى فعل اخر فى زمن واحد كالمصلى فى الدار
المغصوبة او كمن يتصدق وهو يغتاب او يضرب احدا فى حال واحد واشباهه
فلهذا ما سال العبد الاكمال التوفيق يريد استصحابه له فى جميع احواله كلها حتى
لا يكون منه مخالفة اصلا ثم بسط الكلام ثم قال واول مقامات التوفيق الاختصاصى
اشتغالك بالعلم المشروع الذى ندبك الشارع الى الاشتغال بتحصيله واخرها حيث
يقف بك فان تممت لك المقامات حصلت فى التوحيد الموحد نفسه بنفسه الذى
لا يصح معه معقول وان نقصت لك فلك فبعض الحضرات الوجودية واللطايف
الجودية فلا حياة مع الجهل ولا مقام ثم قال فالتوفيق اذا صح وتصحيحه بتحصيل
العلم فاذا حصل له وصح توفيقه انتج الانابة والانابة منتجة التوبة والتوبة
تنتج الحزن والحزن ينتج الخوف والخوف ينتج الاستيحاش من الخلق
والاستيحاش من الخلوة والخلوة تنتج الفكرة والفكرة تنتج الحضور والحضور
ينتج المراقبة والمراقبة تنتج الحيا والحيا ينتج الادب والادب ينتج مراعات
الحدود ومراعاة الحدود تنتج القرب والقرب ينتج الوصال والوصال ينتج
الانس والانس ينتج الادلال والادلال ينتج السوال والسوال ينتج الاجابة
وتسمى جميع هذه المقامات المعرفة فى اصطلاح بعض اصحابنا والعلم فى اصطلاح
بعضهم ولا يصح شى من هذه المقامات الا بعد تحصيل العلم الرسمى والذوقى فالرسمى

ينتج الخلوة ح

تحصيل

كعلوم

كعلوم النظر وهو ما يتعلق باصطلاح العقايد وكعلوم الخبر وهو ما يتعلق بك من
الاحكام الشرعية ولا يوخذ منها الا قدر الحاجة والذوقى علم نتايج المعاملات
والاسرار وهو نور يقذفه الله تعالى فى قلبك تقف به على حقايق المعانى الوجودية
واسرار الحق فى عباده والحكم المودعة فى الاشيا وهذا هو علم الحال انتهى كلامه فاذا
تاملت قوله واول المقامات التوفيق الاختصاصى اشتغالك بالعلم المشروع وقوله
ايضا فالتوفيق اذا صح وتصحيحه بتحصيل العلم وقوله ولا يصح شى من هذه المقامات
الا بعد تحصيل العلم الرسمى والذوقى علمت بالبديهة ان الامر الذى يخرج العبد من الكفر
الى الاسلام ومن الفسق الى الصلاح توفيق من الله تعالى للعبد ايضا غير التوفيق الاختصاصى
الذى اول مقاماته الاشتغال بالعلم المشروع وغير التوفيق الصحيح من جميع وجوهه
الذى ينتج المقامات المذكورة وليس من شرط حصول هذا النوع من التوفيق للعبد
الاشتغال بالعلم المشروع بل يحصل منه من الله تعالى على العبد فينقى باطن العبد من
الاخلاق المحرمة وظاهره من الافعال المنهى عنها سوا كان للعبد شعور بذلك او لم يكن
واما التوفيق الاختصاصى الذى ينتج المقامات المذكورة فلا بد فيه من الاشتغال اولا
بتعلم القدر المهم من العلم الرسمى والذوقى ويا ليت شعرى لو انهمك الانسان طول عمره
فى الاشتغال بالرسمى الذى هو الان عند علما الظاهر كما نشاهد انهماكهم فيه ليلا ونهارا
فهل يمكن ذلك الانسان ان يعمل بمقتضى ما علمه من ذلك الا بتوفيق الله تعالى له بان يلهمه
سبحانه العمل بما علم ويقدره على ذلك واذا اخذله فلم يلهمه العمل المفروض عليه فعلا
وكفا وهو قد علمه وكذلك الواجب والمسنون فماذا ينفعه علمه بذلك وقد راينا
من يغتر بعلم الاحكام الشرعية فيعلمها ويعلمها للناس ولا يعمل بها هو فى نفسه حتى
اوقع فى قلب الجاهلين ان المقصود العلم والعمل كيف ما كان يكون فتراهم ياخذون
كلاما ويعطون كلاما وافعالهم اقبح من افعال الجاهلين وهم من اعلم العالمين
فكانهم غير مطالبين الا بالعلم فقط وكان العلم هو دخول الجنة والنجاة من النار لا غير
ولا تراهم يطالبون الناس الا بالعلم وحده فالامام يحفظ شروط الامامة وشروط
الصلاة واركانها وما لا بد له من ذلك لاحتمال ان يمتحنه احد فيجد عنده العلم بذلك
ومن لم يحفظ ذلك عندهم فصلاته باطلة سوا عمل بذلك او لم يعمل وكانه متى علم ذلك فقد
ثبت عندهم عمله بها قطعا ومتى لم يعلم ذلك فقد ثبت عندهم عدم صحة عمله بها قطعا
ولا يحتمل عندهم انه اذا لم يعلمها ان يوفقه الله تعالى للعمل بها من دون علمها فينكرون
التوفيق فى الناس قطعا واحق الناس عندهم فقها الصوفية المشغولون بذكر الله
تعالى على حسب ما اقامهم الله تعالى فيه من جهر او مخافتة ونحو ذلك مما قصدهم

به وجه الله تعالى والاعمال بالنيات فتراهم يذمونهم اقبح الذم لكونهم لم يتركوا ذكر
الله تعالى و يشتغلوا بتعلم مسايل الفقه و يتمكنوا فيها ويصير مثلهم يحفظون
كلاما يقولونه كلما ارادوا الا فتخار به فيما بينهم على بعضهم بعضا من غير عمل بذلك
فترى الرجل منهم يسهل على نفسه و يشدد على غيره بضد ما كان عليه السلف الصالحون
واذا راوا مسلة فيها وجه للتشديد وثبوا عليها واخذوها يشددون بها على امة محمد
صلى الله عليه وسلم واذا راوا مسلة فيها سهولة كتموها عن الناس واخفوها وقالوا
لا يقال هذا بين العوام فيريدون بالناس ما لا يريد الله تعالى بهم حيث قال تعالى
يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر والله بكل شئ عليم والحاصل انه يفترض
تعلم العلم الظاهر مقدار ما يحتاج اليه المكلف في اعتقاده ومعاملاته بينه وبين الله
تعالى وبينه وبين الناس لاجل ان يعمل بذلك كله و ليس العمل بمقتضى ذلك منوطا
بالتعلم وانه لا يمكن الا بالتعلم بل بتوفيق الله تعالى للعمل الصالح لمن اراده تعالى امر كاين
لا محالة الى يوم القيمة ولا فرق بين من علم جميع ذلك ومن لم يعلم شيا منه في انه
محتاج للمقصود وهو التوفيق للعمل بمقتضى العلم ومن لم يوفقه الله تعالى فهو مخذول
فكما ان من علم جميع ما يحتاج اليه من مسايل دينه ربما لا يوفقه الله تعالى للعمل بمقتضى
ذلك فيكون مخذولا كذلك من لم يعلم شيا من مسايل الدين وكان اميا لا يقرا ولا يكتب
ربما يوفقه الله تعالى للعمل الصالح فيعمل بمقتضى جميع ما تعلمه العلما وهو لا يشعر
بذلك ويكون موفقا فيكون عند الله تعالى اعظم من الاول لانه موفق والاول مخذول
وقد حرم الله تعالى التجسس وسوء الظن وكشف عورات المسلمين فكل مسلم
على هدى وتقى وان كان جاهلا بالعلم الظاهر لان المقصود التوفيق للعمل الصالح وهو
لا يقدر العالم ان يستجلب بعلمه ولا يمتنع عن الجاهل بسبب جهله والعلم غير مقصود
لذاته اصلا خصوصا علم العمل فلم يبق في العلم الا انه حجة الله تعالى على العبد ولهذا ورد في
الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اشد الناس عذابا يوم القيمة عالم لم ينفعه
علمه اخرجه السيوطي في الجامع الصغير وقال المناوي في شرحه لان عصيان العالم عن علم
ولذا كان المنافقون في الدرك الاسفل لكونهم جحدوا بعد العلم وكان اليهود شرا من
النصارى لكونهم انكروا بعد المعرفه وقال الغزالي فالعلم لا يهمل العالم بل يهلكه هلاك
الابد او يحييه حياة الابد فمن لم ينفعه علمه لا ينجو منه راسا براس هيهات فخطره عظيم
وطالبه طالب النعيم المؤبد والعذاب السرمد لا ينفك عن الملك او الهلك فهو كطالب الملك
في الدنيا فان لم تتفق له الاصابة لم يطمع في السلامة الصنف الثاني من الصنفين في
العلوم التي هي فروض الكفاية بحيث اذا علمها البعض سقط عن الباقين واذا تركها

الكل

نعم يكون موفقا لهذه الاعمال لكن هل تصح تلك الاعمال بدون العلم فيه تامل وكيف يكون اعظم عند الله مع تركه فرض العين وهو العلم المامور به وهل يستوي الذين يعلمون والذين ... المتلقي عن النبي صلى الله عليه وسلم الى غيره فينتفع به والذي لا يتعدى نوره الى الغير وهل يستوي الذين [illegible] يعلمونه والذين لا يعلمونه تامل

الكل اثموا والمتبادر ان فرض العين افضل من فرض الكفاية لانه مفروض حقا للنفس فقط
فهو اهم عندها واكثر مشقة فهو اكثر فضيلة وفرض الكفاية مفروض حقا للكافة والفاعل
من جملتهم والامر اذا عم خف واذا خص ثقل ونقل العيني في عمدة القاري شرح البخاري
عن امام الحرمين انه قال في كتابه الغياثي ان فرض الكفاية عندي افضل من فرض العين
من حيث ان فعله مسقط الحرج عن الامة باسرها و بتركه يعصي المتمكنون منه كلهم
ولا شك في عظم وقع ما هذه صفته وهو اي هذا الصنف من العلوم ما يتعلق بحال
غيره اي غير العالم اعني اي اقصد بذلك علم الفقه كله يعني المقدار الذي لا يحتاج اليه
المكلف مما زاد على الضرورة فان مقدار الحاجة هو علم الحال الذي سبق انه فرض عين
وهذا علم الزايد على ذلك لاحتياج غيره اليه بحسب حال الغير وكذلك علم التفسير
اي تفسير القران حتى لا تخلوا البلاد ممن يعرف معاني كلام الله تعالى لاحتمال ترتب
الاحوال على ذلك بعروض شبهة لاحد في معنى اية من الايات وكذلك علم الحديث اي
حديث النبي صلى الله عليه وسلم من جهة اصطلاح المحدثين وضبط متن الحديث فان فيه ما
يشتبه فلا بد ان يكون في البلاد من يعرف معاني ذلك وان كان علم الفقه على اختلاف
مذاهب المجتهدين فيه غنية اليوم للمقلدين يتعلمون منه احكام احوالهم
فيستغنون عن البحث في معاني الايات والاحاديث وكذلك تعلم الاصوليين اصول
الاعتقاد وهو علم الكلام واصول الفقه فانه لا بد من وجود من يعرف ذلك لاحتمال
ظهور مبتدع في الاعتقاد او من يشكك في مسلة من الفقه فيرد عليه بادلة الكلام
وبالقواعد الاصولية التي فرع الفقه عليها وكذلك علم القراة بمعرفة اختلاف وجوهها
وان كانت الحاجة داعية الى اتقان وجه واحد منها في اقامة الصلاة لاحتمال تصويب
اللحن في جاهل بشئ من ذلك واما علم الحساب فيحتاج اليه ايضا في كثير من المسايل الفقهية
كاموال الزكاة والديات خصوصا مسايل الفرايض والوصايا فلذا قالوا اي العلما هو
اي علم الحساب ربع العلم لانه نصف الفرايض والفرايض نصف العلم كما ورد في الحديث لان
للانسان حالة حياة وحالة موت والفرايض علم حالة الموت فهي نصف العلم فلا يبعد
ان يكون علم الحساب فرض كفاية لان قسمة التركة وان امكنت بدون معرفة علم الحساب
في غالب المسايل فبعض الوقايع من المناسخات وغيرها لا بد فيها من استعمال الصناعة
الحسابية فالامر محتاج اليه في الجملة في حق الكافة وصرح الامام ابو حامد محمد الغزالي
رحمه الله تعالى به اي بكونه فرض كفاية في كتابه الاحيا واما علوم العربية وهي اثنا عشر علما
النحو وعلم الصرف وعلم المعاني وعلم البيان وعلم اللغة وعلم الاشتقاق وعلم العروض
وعلم القافية وهذه الثمانية اصول والاربعة الباقية فروع وهي علم الخط وعلم قرض الشعر

علم

وعلم الانشا وعلم المحاضرات والتواريخ ففى كتاب بستان العارفين لابى
الليث السمرقندى رحمه الله تعالى اعلم ان العربية لها فضل على سائر اى بقية الالسنة
المختلفة وهى لسان اهل الجنة قال فى المبتغى بالغين المعجمة لسان اهل الجنة
العربية والفارسية وقيل الناس يتكلمون قبل دخول الجنة بالسريانية وبعدها فيها
بالعربية فمن تعلمها اى اللغة العربية او علمها غيره من الناس فهو ماجور اى مثاب
على ذلك لان الله تعالى انزل القران بلغة العرب كما قال تعالى قرانا عربيا غير ذى عوج
فمن تعلمها فانه يفهم بها ظاهر القران حيث هو مترجم بها واما باطنه واسراره ففهمها
موقوف على البصيرة المنورة بانوار الشهود والعيان فى مقام الاحسان وظاهر معانى
الاخبار اى الاحاديث النبوية والاثار المصطفوية انتهى اى ما نقله عن كتاب بستان
العارفين والذى يقتضيه الاصل المقرر عند العلما اعنى اى اقصد بالاصل ان ما اى الذى
يتوسل به الى تحصيل الفرض من اى نوع كان من انواع العبادات فهو فرض وكذلك فى الواجب
ما يتوسل به اليه فهو واجب وغيره اى الامر المسنون والمستحب فما يتوسل به اليهما فحكمه
كحكمهما كونها اى علوم العربية فرض كفاية لان العلوم الشرعية المترجمة من قبل الشارع الذى
هو النبى العربى صلى الله عليه وسلم متوقفة عليها فلا تفهم الا بها قال الحليمى لا ينبغى لاحد
اطلاق لسانه بتفضيل العجم على العرب بعد ما بعث الله تعالى افضل رسله من العرب
وانزل اخر كتبه بلسان العرب فصار فرضا على الناس ان يتعلموا لغة العرب ليعقلوا عن
الله امره ونهيه ومن ابغض العرب او فضل العجم عليهم فقد اذى بذلك رسول الله صلى
الله عليه وسلم لانه اسمعه فى قومه خلاف الجميل ومن اذاه فقد اذى الله تعالى ذكره
المناوى فى شرح الجامع الصغير للسيوطى النوع الثانى من الانواع الثلاثة فى العلوم المنهى
عنها فى الشرع وهو اى هذا النوع ما اى الذى زاد على قدر الحاجة من علم الكلام لتحسين
الاعتقاد على طبق مذهب اهل السنة والجماعة واقامة الادلة على ذلك عقلا ونقلا والزائد
المنهى عنه هو الخوض فى مذاهب الفرق الضالة لا بنية الرد عليهم ولا بقصد دفع شبه
المخالفين التى يوردونها فى مورد الادلة العقلية وما زاد على قدر الحاجة من علم
النجوم كالمتعلم المقدار المتعلق بالمغيبات المستقبلة والتكلم على الكواين الزمانية
اما الاول وهو ما زاد على قدر الحاجة من علم الكلام فقد قال فى الخلاصة من كتب الفتاوى
تعلم علم الكلام وهو معرفة العقايد الصحيحة عن ادلتها العقلية والنقلية وسمى
علم الكلام لان عنوان مباحثه كان قولهم الكلام فى كذا وكذا ولان مسئلة الكلام كانت
اشهر مباحثه واكثرها نزاعا وجدالا حتى ان بعض المتغلبة قتل كثيرا من اهل الحق
لعدم قولهم بخلق القران ولانه يورث قدرة على الكلام فى تحقيق الشرعيات والزام
الخصوم

الخصوم كالمنطق للفلسفة ولانه اول ما يجب من العلوم التى انما تعلم وتتعلم بالكلام فاطلق
عليه هذا الاسم لذلك ثم خص به ولم يطلق على غيره تمييزا ولانه انما يتحقق بالمباحثة
وادارة الكلام من الجانبين وغيره قد يتحقق بالتامل ومطالعة الكتب ولانه اكثر العلوم
خلافا ونزاعا فيشتد افتقاره الى الكلام مع المخالفين والرد عليهم ولانه لقوة ادلته صار
كانه هو الكلام دون ما عداه من العلوم كما يقال للاقوى الكلامين هذا هو الكلام ولانه
لابتنايه على الادلة القطعية المؤيد اكثرها بالادلة السمعية اشد العلوم تاثيرا فى القلب
وتغلغلا فيه فسمى بالكلام المشتق من الكلم وهو الجرح كذا فى شرح العقايد للسعد
والنظر اى التامل فيه اى فى علم الكلام والمناظرة اى المباحثة والمجادلة وراء قدر الحاجة
فى تحقيق المذهب الحق ورد الشبه عنه وابطال زيغ الزايغين بان زاد على ذلك قصد
استحلا مباحث الفرق الضالة ومحبة الاطلاع على مناقشتهم لاهل السنة والجماعة
منهى عنه لانه يورث الشك فى الدين ونقصان مرتبة اليقين كمن يتعب فى مداواة
نفسه وقد ضربها بالسكين وقال فى الفتاوى البزازية ودفع الخصم من المعتزلة وغيرهم
واثبات المذهب الحق بالادلة النقلية والبراهين العقلية امر مهم تحتاج بالبناء
للمفعول اليه فى نصرة الدين فليس هو من القدر المنهى عنه وفى فتاوى التاتارخانية
فى فقه الحنفية وعبارتها وفى النوازل اسم كتاب من كتب الفتاوى قال ابو نصر
من ايمة الحنفية بلغنى ان حماد بن ابى حنيفة النعمان صاحب المذهب رضى الله عنهما
كان يتكلم اى يخاصم ويجادل فى علم الكلام مع الناس فنهاه عن ذلك ابوه الامام ابو حنيفة
رضى الله عنه فقال له ابنه قد رايتك تتكلم فى علم الكلام فما بالك تنهانى عنه قال له ابوه رضى
الله عنه يا بنى كنا نتكلم فى ذلك وكل واحد منا فى حالة التكلم كان الطير على راسنا
كناية عن عدم حركة الراس فان من كان الطير على راسه لا يحرك راسه لئلا يطير الطير
عنه وهو مثل يضرب لكمال التانى فى الامور والتؤدة فيها والسكون والوقار وعدم
الاستعجال مخافة ان نزل اى نخطى فان الزلل فى هذا العلم كفر وغاية الزلل فى غيره من
العلوم انه فسق وانتم تتكلمون اليوم وكل واحد منكم يريد ان يزل اى يخطى صاحبه
ليظفر عليه بالحجة سوا كان صاحبه فى مذهبه او مذهب غيره فانه لا يجوز ارادة
الزلل والخطا لاحد مطلقا واذا اراد احدكم ان يزل اى يخطى صاحبه فقد اراد له ان يكفر
بالله تعالى ومن اراد ان يكفر صاحبه الذى يباحثه وهو من غير دينه فقد كفر هو قبل
ان يكفر صاحبه لان الرضا بالكفر كفر وعن ابى الليث الحافظ رحمه الله تعالى وهو فقيه
كان يسمى قند منقد ما فى الزمان على الفقيه ابى الليث المشهور قال من اشتغل
بالكلام اى بعلم الكلام واراد كثرة المباحثة فيه بحيث يستغرق فى ذلك غالب اوقاته

لا من تكلم فيه احيانا محي بالبنا للمفعول اى محى الناس اسمه عن العلما فلا يقال له
عالم وعن ابى حنيفة رضى الله عنه قال بكره الخوض فى علم الكلام بكثرة المباحثة فيه
والاستحلا المناقشة بمسايله مالم تقع شبهة له او لغيره فيحتاج الامر اليه حينيذ
فيجوز مقدار الضرورة فاذا وقعت شبهة وجب عليه ازالتها لئلا ترفع اليقين
من القلب كمن يكون على شاطى البحر ينبغى اى يجب عليه ان لا يوقع نفسه فى البحر
لانه هلاك له قال تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة فان وقع فى البحر بالقاء نفسه
فيه او بدون ذلك وجب علينا اخراجه من البحر فكذلك صاحب الشبهة اذا عرضت
له او اطلع انها فى غيره يجب عليه رفعها وازالتها انتهى ما نقله عن التاتارخانية
اقول يعنى مصنف هذا الكتاب رحمه الله تعالى افاد هذا الكلام المذكور انه اى علم
الكلام فرض كفاية لاجل نصرة الدين ورد شبه المخالفين وازالة ما يقع فى القلوب
مما ينقص اليقين لكن لا ينبغى ان يعلمه الانسان او يتعلمه من غيره الا كل عبد ذكي
اى صاحب ذكاء وهو الفطانة والحذق متدين اى صاحب ديانة وهى مراقبة
الله تعالى فى الاهتمام باحكامه مجد اى ساع فى تحصيل الكمال الدينى اكثر من الكمال
الدنيوى والا يكن كذلك يخاف بالبنا للمفعول عليه الميل الى المذاهب الباطلة قهرا
عنه من عدم رسوخه فى اتقان الدين ومحبة احوال المتقين قال فى شرح الدرر
روى عن الامام الشافعى رضى الله عنه انه قال لان يلقى الله عبد باكبر الكبائر خير
من ان يلقاه من علم الكلام فاذا كان هذا حال علم الكلام المتداول فى زمانهم فكيف ظنك
بالكلام المخلوط بهذيانات الفلاسفة المغمور باباطيلهم المزخرفة انتهى
قرات بخط الشيخ ابى الطيب الغزى رحمه الله تعالى ناقلا عن الشيخ ابى الحسن على
ابن احمد بن يوسف القرشى الهكارى قال انبانا الشيخ ابو عبد الرحمن السلمى اجازة
سمعت ابا نصر احمد بن حاتم السجزى يقول قيل لابى العباس بن شريح صاحب
الشافعى ما التوحيد قال توحيد اهل العلم وجماعة المسلمين اشهد ان لا اله الا الله
واشهد ان محمدا رسول الله وتوحيد اهل الباطل الخوض فى الاعراض والاجسام
وانما بعث النبى صلى الله عليه وسلم بابطال ذلك حدثنا ابو بكر الحميدى المعدل حدثنى
محمد بن عبد الله بن عبد الحكم سمعت الشافعى يقول لو علم الناس ما فى الكلام
لفروا منه كما يفرون من الاسد وباسناده عن الربيع بن سليمان سمعت الشافعى
يقول لان يلقى الله الرجل بكل ذنب ما خلا الشرك بالله خير له من ان يلقاه بشىء من
الكلام انتهى وذكر الشيخ الوالد رحمه الله تعالى فى شرحه على شرح الدرر قال روى عن
الشيخ الامام ابى اليسر انه قال نظرت فى الكتب التى صنفها المتقدمون فى علم التوحيد

فوجدت

فوجدت بعضها للفلاسفة مثل اسحاق الكندى والاسفزارى وامثالهما وذلك كله
خارج عن الدين المستقيم زايغ عن الطريق لا يجوز النظر فى ~~كتب الم~~ تلك الكتب
ولا يجوز امساكها فانها مشحونة من الشرك والضلال قال ووجدت ايضا تصانيف
كثيرة فى هذا الفن للمعتزلة مثل عبد الجبار الرازى والجبائى والكعبى والنظام وغيرهم
لا يجوز امساك تلك الكتب والنظر فيها لئلا تحدث الشكوك ويتمكن الوهم فى العقايد
وكذلك المجسمة صنفوا كتبا فى هذا الفن ~~مثل~~ مثل محمد بن هيصم وامثاله لا يحل
النظر فى تلك الكتب ولا امساكها فانهم شر اهل البدع وقد صنف الاشعرى كتبا
كثيرة لتصحيح مذهب المعتزلة ثم ان الله تعالى لما تفضل عليه بالهدى صنف
كتابا ناقضا لما صنفه اولا الا ان اصحابنا من اهل السنة والجماعة نصرهم الله
تعالى خالفوه فى بعض المسايل خطأ فمن وقف عليها فلا باس له بالنظر فى كتابه
وامساكه وعامة اصحاب الشافعى اخذوا بما استقر عليه الاشعرى وكذلك
لا باس بامساك تصانيف محمد بن عبد الله بن سعيد القطان وهو اقدم من الاشعرى
واقاويله توافق اقاويلنا الا فى مسايل قلايل لا تبلغ عشرا لكن انما يحل النظر بشرط
الوقوف على ما خولف فيه ودفع المتعنت التعمق فى الدين فلا باس به وان كان
للتخجيل وطرح صاحبه ففيه ابوس كما ذكر فى الظهيرية والحاصل انه كره
الاشتغال بعلم الكلام وتاويله عندنا كثرة المناظرة والمجادلة فيه لانه يودى
الى اثارة البدع والفتن وتشويش العقايد او يكون المناظر قليل الفهم او طالبا للغلبة
لا للحق فاما معرفة الله تعالى وتوحيده ومعرفة النبوة والذى ينطوى عليه عقايدنا
فلا يمنع منه كذا جزم به فى الملتقط وذكر فى موضع اخر وعن ابى حنيفة يكره الخوض فى
الكلام ما لم تقع شبهة فيجب له ازالتها فالمناظرة لدفع مثله بان لا يكون متبديا
او لنصرة الحق من اجل الطاعات كما فى الحاوى وقول من قال ان تعلمه والمناظرة
فيه مكروه مردود قال الله تعالى وتلك حجتنا اتيناها ابراهيم على قومه الاية دل
قوله تلك اشارة الى مناظرة فى اثبات التوحيد وجعله من حجج الله مضافا
الى نفسه على شرفه وشرف العلم بقدر شرف المعلوم والمروى عن ابى يوسف
ان امامة المتكلم وان كان بحق لا تجوز محمول على الزايد على قدر الحاجة والمتوغل
فيه كما قيل من طلب الدين بالكلام تزندق ولا يريد المتكلم على قانون الفلاسفة
لانه لا يطلق على مباحثهم علم الكلام لخروجه عن قانون الاسلام وهو من اجزا الحد
كذا فى البزازية واما الثانى وهو ما زاد على قدر الحاجة من علم النجوم ففى سنن
ابى داود عن ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعا اى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

من اقتبس هو فی الاصل اخذ القبس وهو الشعلة من النار ویراد به هنا الاستفادة
ای من استفاد علما من النجوم ای نوعا من انواع علم النجوم وهو علم واسع فیه
کتب عدیدة یتکلمون فیها علی کیفیات الاستخبار عن الکواین الزمانیة
باسباب معتادة عندهم ویتعاطون بنوع من ذلک معرفة مکان الطس وق ومکان
الضالة ومواضع الکنوز ومقادیر الاعمار وغیر ذلک مما یزعمونه وهو من الکهانة
وقد اکذبهم کلهم الشرع اقتبس ای استفاد شعبة ای قطعة من السحر وقد منا
بیانه زاد من ذلک ما ای الذی زاد فان استفاد کثیرا فقد استفاد من السحر
کثیرا وان استفاد قلیلا فقد استفاد منه قلیلا فلا فرق بینه وبین السحر فی الحکم
وقال فی کتاب الخلاصة وتعلم علم النجوم ان کان قدر ای مقدار ما یعلم به مواقیت
جمع وقت الصلاة الخمسة وبعلم جهة القبلة لا باس به یعنی هو جایز وتعلم
الزیادة علی ذلک حرام لانه من السحر انتهی کلام الخلاصة وفی شرح الشیخ الوالد رحمه
الله تعالی علی شرح الدرر وقیل فی تاویل قوله تعالی وجعلناها رجوما للشیاطین
ای جعلنا النجوم سببا لکذب المنجمین اطلق اسم الشیطان علی المنجم وسمی
هذیانه رجما من رجم بالغیب کذا فی البزازیة وفی بستان العارفین لابی اللیث
السمرقندی رحمه الله تعالی ولو تعلم من علم النجوم مقدار ما یعرف به جهة القبلة
ویعرف به امر الحساب ای حساب الاوقات والشهور والسنین فلا باس به
وهو امر مباح ولا یزید علیه ای علی ما ذکرنا اذا تعلم مقدار ما یعرف به القبلة وامر
الحساب کما ذکرنا انتهی ما نقله من بستان العارفین وفی کتاب تعلیم المتعلم
وعلم النجوم بمنزلة المرض لمن تعلمه لانه یمرض القلب فی الایمان بالغیب فیبقی
العبد اذا تعلمه یزعم فی نفسه علم ما کان قبل ذلک یکل علمه الی الله تعالی من الامور
المغیبات فتعلمه حرام لانه یضر بعالمه فی دینه لانه ینقله من الایمان بالحق
المغیب الی الایمان بالکذب الموهوم ولا ینفع اصلا والهرب عن قضا الله تعالی وقدره
غیر ممکن لمن اطلع بعلم النجوم انه یقع له فی المستقبل کذا وکذا غایته انه یبقی فی
الهم والغم وما قدره الله تعالی علیه واقع لا محالة انتهی کلامه اقول
یعنی مصنف هذا الکتاب رحمه الله تعالی فما ای الذی هو المقدار الحرام من علم النجوم
هو ما یتعلق بالاحکام فی الوقایع والنوازل المستقبلة کقولهم ای المنجمین اذا وقع
کسوف للشمس او خسوف للقمر او زلزلة للارض او نحوها کانتشار الکواکب ذوات
الاذناب وغیرها فی زمان کذا الوقت معین عندهم سیقع فی الارض کذا من غلا او رخص
او موت او حرب او نحو ذلک قال الشیخ الاکبر محی الدین ابن العربی قدس الله سره

وقضى به

فی باب

فی باب الوصایا اخر کتابه الفتوحات المکیة وایاک وتصدیق الکهان وان صدقوا
واجتنب ما استطعت علم التعالیم وهو القضا بالنجوم فانه یردی وان کان من جملة
الاسباب ولکن الوقوف عند قول الشارع هو طریق النجاة وتحصیل السعادة وما
ندندن الا علی ذلک انتهی کلامه ولنا رسالة فی تحقیق هذا المحل سمیناها اللولو المکنون
فی حکم الاخبار عما سیکون کما ذکرنا فیما تقدم واما معرفة جهة القبلة وحضور المواقیت
الزمانیة فیحصل بالعلم المسمی بالهیئة ای علم الهیئة الذی یبحث فیه عن معرفة
هیئة الافلاک وکرة العالم فلما کانا ای استقبال القبلة ووقت الصلاة المفهومان
مما ذکر شرطی ادا الصلاة کما تقرر فی موضعه لزم معرفتهما ای القبلة والوقت
بالتحری وهو بذل المجهود لنیل المقصود واصله طلب الاحری ای الاولی من الامور والامارات
ای العلامات جمع امارة وهذا العلم الذی هو علم الهیئة من جملة اسباب التحری
والمعرفة لذلک المذکور فجاز الاشتغال به والقراة فیه وتعلمه واما ان یجب ذلک
علی المکلف فلا یجب اذ لا انحصار للاسباب التی یعلم بها امر القبلة والوقت فیه
ای فی علم الهیئة ولا یلزم احدا من المکلفین الیقین ای القطع فیهما ای فی القبلة
والوقت بل یکفی فی بنیان الامور علیهما الظن ای غالبه وفی الاشباه والنظایر
ولو شک فی دخول وقت العبادة فاتی بها فبان انه فعلها فی الوقت لم یجزه اخذا
من قولهم کما فی فتح القدیر لو صلی الفرض وعنده ان الوقت لم یدخل فظهر انه قد
دخل لا یجزیه انتهی کلامه فاذا غلب علی ظنه دخول الوقت لم یکن ذلک شکا فیجزیه
وذکر فی موضع اخر قال الشک تساوی الطرفین والظن الطرف الراجح وهو ترجیح
جهة الصواب والوهم رجحان جهة الخطا واما اکبر الرای وغالب الظن فهو
الطرف الراجح اذا اخذ به القلب وهو المعتبر عند الفقها کما ذکره اللامشی
فی اصوله وحاصله ان الظن عند الفقها من قبیل الشک لانهم یریدون به التردد
بین وجود الشی وعدمه سواء استویا او ترجح احدهما ولذا قالوا فی کتاب الاقرار
لو قال له علی الف فی ظنی لا یلزمه شی لانه للشک وغالب الظن عندهم ملحق بالیقین
وهو الذی تبتنی علیه الاحکام یعرف ذلک من تصفح کلامهم فی الابواب صرحوا فی نواقض
الوضوء بان الغالب کالمتحقق وصرحوا فی الطلاق بانه اذا ظن الوقوع
لم یقع واذا غلب علی ظنه وقع وانه ای علم الهیئة یحتاج فی معرفته الی ذکاء ای
فطنة وقوة حدس ای فکر وجهاد وجد ای سعی واجتهاد کبیر وفیه الحرج فلا یقع
التکلیف به فی الشرع لکل احد الا یکلف الله سبحانه نفسا من عباده الا
وسعها ای مقدار ما تسع ای تستطیع بلا حرج علیها ولا صعوبة وایضا تحتاج معرفة

القبلة من علم الهيئة الى معرفة عرض كل بلد مما هو فيها وطوله لينحرر عنده امر قبلتها
ولا يمكن تلك المعرفة الا بتقليد من لم تعرف عدالته من واضع ذلك العلم الذى هو
علم الهيئة فان للاسلاميين فيه اوضاعا ولغيرهم كذلك ولهم ضوابط وقوانين
يعرف بها ذلك واذا كان الامر مشتبها كذلك فلا يوجب علم الهيئة العمل به على من
تعلمه لاحتمال متابعة غير الثقة فى استعمال القواعد التى وضعوها واما ساير
اى بقية علوم الفلاسفة الاولين الذين كانوا فى ايام الفترة وقبلها فالمنطق الذى
هو آلة قانونية تعصم مراعاتها الذهن عن الخطا فى الفكر وهو مقدمة
للعلوم الفلسفية يفيد التحقيق فيها داخل فى حكم علم الكلام الذى معظم
اجزائه مبنية على قواعد الفلاسفة للتمكن من الرد عليهم وعلى المعتزلة وفى حكم علم
الهندسة على حكم ما سبق بيانه مباح حيث لم يكن تحقيق الشرعيات متوقفا
عليه ولا هو مضر فيها لان المومن بالشرع لا يعلل بالعقل احكام الشرع حتى
يحتاج لعلم الميزان الذى هو المنطق ولا مانع من استعمال قواعده فى فهم بعض
المسايل فلا ينفعه ولا يضره والالهيات اى المسايل المتعلقة بالاله
من العلوم الفلسفية ما يخالف منها الشرع المحمدى كاثبات علة العلل وانكار
المعاد الجسمانى وكون الواحد لا يصدر عنه الا واحد ونحو ذلك جهل مركب
فصاحبه جاهل ويجهل انه جاهل لا يجوز تحصيله اى تعلمه وفهمه ولا النظر اى التامل
فيه الا على وجه الرد عليه من عالم متمكن قادر على الرد والقاصر لا يجوز له التعرض مطلقا
وقد استقصى بانيا للمفعول اى تتبع الرد من علما الكلام فى علم الكلام فلا حاجة الان الى
ذلك وما اى الذى يوافقه اى الشرع من الالهيات الفلسفية فداخل فى علم الكلام
ايضا ففى علم الكلام غنية عن ذلك والطبيعيات اى المسايل الفلسفية المتعلقة
بالطبيعة وما تولد منها من العناصر وما تركب من الاجسام ما خالف منها الشرع
النبوى فمبنى على المسايل الالهيات المذكورة فالتفصيل فيه كالتفصيل فيها وقد عرفت
حالها اى الالهيات بان ما خالف الشرع منها مردود وما لم يخالف الشرع لم يمنع منه لانه
اطلاع على احكام عقلية لا تصادم حكما شرعيا وذكر ابن نجيم فى الاشباه والنظاير
ان العلم قد يكون حراما وهو علم الفلسفة والشعبذة والتنجيم والرمل وعلم الطبايعيين
والسحر ودخل فى الفلسفة المنطق ومن هذا القسم علم الحرف والموسيقى انتهى وللشيخ
شهاب الدين عمر بن محمد السهروردى رحمه الله تعالى كتاب فى الرد على العلوم الفلسفية
سماه كشف الفضايح اليونانية ورشف النصايح الايمانية وذكر الشهاب ابن حجر
المكى فى فتاواه قال واما الاشتغال بالفلسفة والمنطق فقد افتى بتحريمه ابن الصلاح

وشنع

178

وشنع على المشتغل بهما واطال فى ذلك ويجب على الامام اخراج اهلهما من مدارس
الاسلام وسجنهم وكف شرهم قال وان زعم احدهم انه معتقد لعقايدهم فان حاله
يكذبه واما استعمال الاصطلاحات المنطقية فى الاحكام الشرعية فمن المنكرات
المستبشعة وليس بها افتقار الى المنطق اصلا وما يزعمه المنطقى للمنطق من
الحد والبرهان فقعاقع قد اغنى الله عنها كل صحيح الذهن لا سيما من خدم
نظريات العلوم الشرعية هذا حاصل كلامه وما ذكره فى الفلسفة صحيح ومن
ثم قال الاذرعى وما ذكرته من تحريمها هو الصحيح والصواب ونصوص الشافعى
رضى الله عنه ناصة على تقبيح تعاطيه ونقل عنه التعزير على ذلك واما ما ذكره فى
المنطق فمعارض بقول الغزالى فى مقدمة المنطق فى اول كتابه المستصفى هذه
مقدمة العلوم كلها ومن لا يحيط بها فلا ثقة له بعلومه اصلا وقوله فى المنقذ
من الضلال واما المنطقيات فلا يتعلق منها شى بالدين نفيا ولا اثباتا بل هو نظر فى
طرق الادلة والمقاييس وشروط مقدمة البرهان وكيفية تركيبها ترتيبها
وان العلم اما تصور وسبيل معرفته الحد واما تصديق وسبيل معرفته البرهان وليس
فى هذا ما ينبغى ان ينكر فانه من قبيل ما يتمسك به المتكلمون واهل النظر فى الادلة وانما
يفارقونهم فى العبارات والاصطلاحات وبزيادة الاستقصا فى التفريعات والتشعيبات
ومثال كلامهم فيه اذا ثبت كل انسان حيوان لزم منه ان بعض الحيوان انسان
وان كل من ثبت انه انسان ثبت انه حيوان ويعبرون عن هذا بان الموجبة الكلية
تلزم موجبة جزئية وهذا حق لا شك فيه فكيف ينبغى ان يجحد وينكر على انه لا تعلق
له بمهمات الدين ثم متى انكر مثل هذا لزم منه عند اهل المنطق سو الاعتقاد فى عقل
المنكر بل فى دينه الذى يزعم انه فيه ابطال مثل هذا فتامله تاملا خاليا عن التعصب
تجده رحمه الله تعالى قد اوضح المحجة واقام الحجة على انه ليس فيه شى مما ينكر ولا مما يجر
الى منكر وعلى انه ينفع فى العلوم الشرعية كاصول الدين والفقه وقد اطلق الفقها
ان ما ينفع فى العلوم الشرعية محترم ثم قال بعضهم كالاسنوى ان المنطق غير محترم
فعلمنا ان مراده المنطق الذى لا ينفع فى العلوم الشرعية او الذى يعود منه ضرر
على الدين وهذا نوع من منطق الفلاسفة يبحثون فيه عن نحو ما ذكره الغزالى
ثم يدرجون فيه البحث عن حال الموجودات وكيفية تراكيبها ومفاهيمها واعراضها
وغير ذلك مما يخالفون فيه علما الاسلام حتى انتصبوا لهم وردوا جميع مقالاتهم
القطيعة الشنيعة فمثل هذا الفن من المنطق هو الذى يحرم الاشتغال به وعليه
يحمل كلام ابن الصلاح ويدل لذلك قوله فيما مر عنه وكف شرهم وقوله وان زعم احدهم

انه غير معتقد لعقايدهم فان حاله يكذبه فعلمنا ان كلامه فى منطق له شر له شر
وله اهل يعتقدون خلاف عقايد المسلمين وهو النوع الذى ذكرته لا غير واما المنطق
المتعارف الان بين ايدى اكابر علما اهل السنة فليس فيه شى مما ينكر ولا شى
من عقايد المتفلسفين بل هو علم نظري يحتاج لمزيد رياضة وتامل يستعان
به على التحرز عن الخطا فى الفكر ما امكن فمعا ذالله ان ينكر ذلك ابن الصلاح ولا ادون
منه وانما وقع التشنيع عليه من جماعة من المتاخرين لانهم جهلوه فعادوه كما قيل
من جهل شيا عاداه وكفى به نافعا فى الدين انه لا يمكن ان ترد شبهة من شبه
الفلاسفة وغيرهم من الفرق الا بمراعاته ومراعاة قواعده وكفى الجاهل به انه لا يقدر
على التفوه مع الفلسفى وغيره العارف به ببنت شفة بل يصير نحو الفلسفى
يلحن بحجته وذلك الجاهل به وان كان من العلما الاكابر ساكت ولقد احسن القرافى
من ايمة المالكية واجاد حيث جعله شرطا من شرايط الاجتهاد وان المجتهد
متى جهله سلب عنه اسم الاجتهاد فيكون المنطق شرطا فى منصب الاجتهاد
فلا يمكن حينيذ ان يقال الاشتغال به منهى عنه او ان العلما المتقدمين كالشافعى
ومالك لم يكونوا عالمين به فان ذلك يقدح فى حصول منصب الاجتهاد لهم نعم
نعم هذه العبارات الخاصة والاصطلاحات المعينة فى زماننا لا يشترط معرفتها
بل معرفة معانيها فقط وقال السبكى ينبغى ان يقدم على الاشتغال به الاشتغال
على الكتاب والسنة والفقه حتى يتروى منها ويترسخ فى ذهنه الاعتقادات
الصحيحة ويعلم من نفسه صحة الذهن بحيث لا تتروج عنده الشبهة على الدليل
فاذا وجد شيخا ناصحا دينا حسن العقيدة جاز له الاشتغال بالمنطق وينتفع
به ويعينه على العلوم الاسلامية وهو من احسن العلوم وانفعها فى كل بحث ومن
قال انه كفر او حرام فهو جاهل فانه علم عقلى محض كالحساب غير ان الحساب لا يجر
الى فساد وليس مقدمة لعلم اخر فيه مفسدة والمنطق من اقتصر عليه ولم يكن
له سابقة صحيحة خشى عليه التزندق والتغلغل باعتقاد فلسفى من حيث
يشعر او لا يشعر قال وفصل القول فيه انه كالسيف يجاهد به شخص فى سبيل الله
ويقطع به اخر الطريق وهذا نص فيما قدمناه ان المنطق قسمان قسم منه لا يخشى
على المشتغل به شى مما ذكره والقسم الاخر هو المدرج فيه كثير من العقايد الفلسفية
ولا يجوز الخوض فيه الا لمن اتفق ما ذكره ووجد شيخا بالصفة التى ذكرها فهذا يجوز
له الاشتغال حتى بهذا القسم لانه يومن عليه ولقد اشتغل بهذا القسم كثير من الفحول
حتى احكموه وتمكنوا به من تمام الرد على الفلاسفة وتزييف مقالاتهم الباطلة انتهى كلامه

ببعض

ببعض اختصار وسبحان الله الذى لا اله الا هو المراد بالمنطق ما عرفه علماوه بقولهم
هو الة قانونية تعصم مراعاتها الذهن عن الخطا فى الفكر وهو قسم واحد لا قسمان سوا
خلطوه بالفلسفيات او تجرد عن ذلك وخلطه بالفلسفة لا يخلو اما ان تكون مسايل
الفلسفة بغيره وهو مقدمة لها فى تصنيف واحد فالمنطق هو المقدمة لا ما بعدها
كما قال السعد فى اول شرح العقايد ان علم الكلام يورث قدرة على الكلام فى تحقيق الشرعيات
والزام الخصوم كالمنطق للفلسفة ومراده ان المنطق مقدمة لعلم الفلسفة واما
ان تكون مسايله وقواعده امثالها التى تذكر فيه وشواهدها من مسايل علم الفلسفة
فهو المنطق الذى هو الة قانونية بعينه وامثاله وشواهده اذا ذكرت فيه لم تذكر
الا لايضاح قواعده وضوابطه كالنحاة لما مثلوا بقيام زيد وان كان زيد لم يقم
فان هذا الكذب لا يضر لان مرادهم ايضاح القاعدة لا غير ونحوه كثير فلا معنى
لجعله قسما اخر غير المنطق الخالى من ذلك ولين سلمنا انه قسمان كما ذكر وان المنهى
عنه القسم الممزوج بالفلسفيات ~~لا يوول~~ لانه يوول بصاحبه الى الزندقة
كما قال السبكى وقد شرط لجواز الاشتغال به تقدم الاشتغال بعلوم الدين
حتى يترسخ فيها فلا نسلم ان غير الممزوج بذلك لا يوول بصاحبه الى الزندقة
ايضا ما لم يتقدمه الاشتغال بعلوم الدين حتى يترسخ فيها لان جميع الفرق الضالة
انما خالفوا اهل السنة واختلفوا هم فيما بينهم بسبب تعلمهم هذا القسم من
المنطق الخالى من الفلسفيات واستعمال قواعده فى مسايل عقايدهم فكيف
يكون ضرره ماموناً وقد انتج فى الاسلام هذا الاختلاف العظيم والفساد الكبير
فانه كان اولا بغير اللسان العربى من استخراج الحكما اليونانيين فنقله بعض
الملوك العباسيين الى اللغة العربية وخاض فيه الاسلاميون فكثرت الفرق
الضالة وجادلوا به فى الدين كما اشار اليه ابن الشحنة فى شرح السلم والعجب
ممن جعله شرطا فى الاجتهاد فلعله يزعم ان الصحابة رضى الله عنهم كانوا
يتعلمونه من النبى صلى الله عليه وسلم او يتدارسونه بينهم لانهم كلهم مجتهدون
وقد جعله هذا القايل من شروط الاجتهاد فعند فقد العلم به يفقد الاجتهاد
وهو باطل لان الصحابة رضى الله عنهم لم يكونوا يشغلوا انفسهم بهذا الفشار
الذى اخترعته الحكما الفلاسفة فمن اعتقد فى النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يعلم
الصحابة هذه الشقاشق والهذيانات المنطقية فهو كافر لتحقيره علم النبى
صلى الله عليه وسلم معلم الخير والحق والايمان لا المعقولات التى تهدم دين الاسلام
من اصله لانه ليس مبنيا عليها بل على التسليم والاذعان فاذا تحكم بها العبد

فيه تحولت احكامه معللة بالعلل العقلية وذهبت انوار سننه بظلمات البدع
الشيطانية واعجب من هذا قوله ايضا نعم هذه العبارات الخاصة والاصطلاحات
المعينة في زماننا لا يشترط معرفتها بل معرفة معانيها فقط فانه ان اراد
بالعبارات والاصطلاحات الالفاظ فانها ليست علم المنطق وان اراد المعاني فالمعاني
ليس لها معاني وعلم المنطق ليس الا هذه الاصطلاحات والقواعد والضوابط
المفهومة من الالفاظ التي تقسيمات الادراكات العقلية ومتى لم تعتبر هذه
الاصطلاحات والقواعد والضوابط من حيث هي قواعد وضوابط فهي الادراك
العقلي وليست بعلم المنطق فان اراد بكون الامام الشافعي ومالك رضي الله
عنهما كانا يعلمان علم المنطق انهما كانا يعلمان هذه القواعد والضوابط الاصطلاحية
لا من حيث هي قواعد وضوابط اصطلاحية بل من حيث هي ادراكات عقلية
فكانه قال بان الامام الشافعي ومالكا كان لهما ادراك عقلي وهذا امر لا ينازعه
فيه احد ولا ينبغي ان يذكر لان احدا لا يتوهم عدمه وكذلك ان اريد هذا المعنى
في قول من جعل المنطق شرطا في الاجتهاد فكانه جعل الادراك العقلي شرطا
في الاجتهاد وهو امر معلوم بالبداهة اذ من لم يكن له كمال ادراك عقلي كيف يمكنه
الاجتهاد في الدين والحاصل ان كل مكلف مامور بتقوية الجزء الايماني
فيه وهو الاسلام والاذعان لجميع ما ورد عن الله ورسوله على حسب ما يعلمه
الله ورسوله وتقويته انما تكون بالامتثال للامر والاجتناب للنهي والمبالغة
في ذلك كما قال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فقد وعد الله تعالى بالهداية
للمجاهدين بامتثال امره واجتناب نهيه وهي المجاهدة الشرعية في النفس والهوى
والشيطان والدنيا فان هذه الاربعة قواطع عن القرب الى الله تعالى فمتى جاهدها
المكلف بالطاعة لله تعالى لا المخالفة لها هداه الله تعالى فعرفه به وادناه منه زلفى
وكشف له عن معاني الكتاب والسنة بطريق الفيض والالهام ما تعجز عنه
العقول والافهام وليس المكلف مامورا بتقوية الجزء العقلي منه لان تقويته
ذلك يضره في دينه لان الدين المحمدي ليس يدرك بالعقول خصوصا في مذهب
الشيخ الاشعري رضي الله عنه بان التحسين والتقبيح شرعيان لا عقليان والعقل
لا يدرك حسن شئ اصلا ولا قبحه كما هو مقرر في الاصول وهذا القسم من المنطق
ولو قلنا انه خال من الفلسفيات فانه يقوي العقل على جانب الايمان والتسليم للشرع
فيضعف الجزء الايماني التسليمي بسبب قوة جزء العقلي ان لم يذهب الجزء
الايماني بالكلية او ينقلب عقليا كما هو مشاهد في كثير من الناس نراه لا يقبل حكما من

احكام

احكام الشرع ما لم يكن امرا معقولا وللعقل مدخل في ادراكه ولهذا تكلم اهل التاويل
في المتشابهات وخاضوا فيها بالمعاني العقلية ولم يقدروا ان يومنوا بها على ما هي
عليه ولا استطاعوا ان يطمينوا قلوبهم بما يعلمه الله تعالى منها وبعلمه رسوله صلى
الله عليه وسلم لقوة الجزء العقلي فيهم بحيث غلب على نور ايمانهم فاضعفه بالكلية
فتراهم لا تقوى قلوبهم ولا تطمين نفوسهم الا اذا وافق حكم الشرع المحمدي عقولهم
واذا لم يوافقها تعبوا في الموافقة بين العقل والشرع والجزء الايماني ضعيف
فيهم جدا ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور فالحق والصواب تحريم
علم المنطق كله بقسميه المذكورين على فرض انقسامه اليهما لايصاله الى ما ذكرنا
من اعتياد المكلف استعمال نواقضه وقواعده وغلبة ذلك عليه في كل ما يريد ادراكه
من الدين مع ان الدين ليس مبني على المفهوم العقلية وان احترز متعلمه من استعماله
في ادراك الدين به فلا ينتج له حينئذ وان زعم ان له نتيجة اخرى في غير الادراك
فهو ممتنع منه فتمحض من هذا ان المنطق ضرر محض على اهل الاسلام انما
تعبث متعلموه على تعلمه حب الانفراد بعلم لا يعلمه اهل الاسلام وطلب الرياسة
به على الاقران ولهذا صرح القايل فيما تقدم بانه يكفي الجاهل به انه لا يقدر على
التفوه مع الفلسفي وغيره العارف به ببنت شفة الى اخر ما مر فانه جعل هذا العلم
الذي تعلمه موصل الى هدم القواعد الاسلامية من اصلها كما لا في الفلسفي وغيره العارف
به مع ان المومن اذل فهل مبني الناس الكفر والضلال فذلك في حقه عين الكمال
ومن المعلوم ان من قدر على ابطال المذاهب الفلسفية وغيرها مما اسس على القواعد
المنطقية بهذه القواعد المنطقية فانها لا يبطلها بما هو مبني الدين المحمدي
بل بما هو مبني تلك المذاهب الباطلة وهو العقل فلا يستطيع ابطالها بما بنيت
عليه ولين امكنه ذلك فان اهلها يجيبون عن ذلك والعقل معهم فكان لان مبنى دينهم
عليه والقواعد المنطقية تساعدهم فيجيبون عن جميع ما يرد عليهم ويعاندون
بالحماية للدين الباطل فلا يفيد ذلك الابطال شيا فان المذاهب الباطلة لا يبطلها
الا الدين الحق والقواعد الاسلامية المحمدية وليست هي العقل بل لا دخل له فيها
اصلا وانما تلقيها من الكتاب والسنة بدون استعمال قواعده بل بالايمان والتسليم
والاذعان ولهذا قال العارف بالله الشيخ ارسلان الدمشقي رضي الله عنه في رسالته
الناس تايهون عن الحق بالعقل فانظر كيف جعل العقل مضلا عن الحق لا هاديا اليه
فاذا كان مضلا فكيف يمده المكلف بتفصيل قواعد ادراكاته وضوابط نواهيه حتى
يقويه فيغلب عليه فلا يقدر بعد ذلك على رده والمطلوب منه اضعاف عقله بكثرة

نور ايمانه حتى ينفى عقله تبعا لما جاء به نبيه كما ورد في الحديث لان ينفى ما جاء به
نبيه عليه السلام تبعا لعقله وقد ورد في الكتاب والسنة طلب الايمان من المكلف
لا لتعقل كما قال تعالى فامنوا بالله ورسوله ولم يقل بما عقلوا ونحو ذلك والله يهدى
من يشا الى صرط مستقيم وان السحر وتقدم بيانه والنيرنجات وهى نوع من السحر
يسمى الدك والشعبذة ونحوهما اى نحو السحر والنيرنجات من انواع الشرور القبيحة
والمعاصى الموجبة للفضيحة فيجوز تعلمها للاحتراز عنها لا للرغبة فى علمها كما قيل
اى قال الشاعر فى مثل هذا المعنى عرفت الشر ضد الخير لا للشر اى لا لاجل الرغبة
فيه والاهتمام به لكن عرفته لتوقيه اى للاحتراز عنه ولدفعه اذا قابلنى به
احد ومن لم يعرف الشر ويتعلم طرقه المختلفة فانه يقع فيه اى فى الشر لالتباسه
عليه وعدم معرفته به واما المناظرة وهى المقابلة بالنظر العقلى والفكر فى الابحاث
العلمية من الطرفين مفاعلة لان كل واحد ينظر بعقله فى كلام الاخر والحيلة فيها
اى فى المناظرة لاجل دفعها ففى كتاب الخلاصة التمويه اى الاستطراد فى البحث
الى شى اخر بحيث ينتقل الكلام من مسلة الى مسلة اخرى ولم تكن الاولى تحققت عندهما
والحيلة فى المناظرة لطرح الخصم عنها وقطع كلامه ومنها ان يحمل احدهما الاخر
على ان يقول ما ليس بمذهبه لاجل الزام الحجة عليه وكذلك التنزل الى مذهب الخصم
له لالزامه ان تكلم معك من تناظره حال كونه متعلما اى طالبا منك التعلم والاستفادة
مسترشدا اى طالبا الرشد وهو الهداية الى الصواب وهذا معلوم بقراين الاحوال
عندك او تكلم على الانصاف لك بلا جور منه عليك فى ظهور الحق على يديك بلا تعنت
اى معاندة ومكابرة اظهارا ما ليس بحق فى صورة الحق ومنه فى الحق يكره لك حينئذ
التمويه والحيلة لتصرفه عن المبحث الذى انت تناظره فيه قبل ان يتحقق بينكما
لان فى ذلك كتمانا للدين وشحا ببيان الحق وكذا اذا تكلم معك خصمك المناظر لك حال
كونه غير مسترشد اى طالب للرشد منك لكن على الانصاف اى منصفا لك فى البحث
معك بلا تعنت منه عليك ولا معاندة فانه يكره التمويه منك والحيلة عليه فى صرفه
عن المسلة فان تكلم الانسان مع من اى الذى يريد التعنت اى المعاندة والمكابرة
وعدم التسليم للحق وان ظهر له ويريد الانسان ان يطرحه اى يقطع عليه كلامه بالنقل
الى كلام اخر او بتغطية وجه الصواب عليه فى الكلام وابهام الامر ومنه قوله تعالى
وانا او اياكم لعلى هدى او فى ضلال مبين وقول حسان رضى الله عنه فى حق النبى صلى
الله عليه وسلم يخاطب بعض الكافرين

هجوت محمدا واجبت عنه ۞ وعند الله فى ذاك الجزاء ۞

۞ اتهجوه ولست له بكفو ۞ فشركما لخيركما الفداء ۞

لا يكره وطرحه عن المناظرة حينئذ حينئذ وينبغى ان يحتال عليه كل حيلة تمكنه ليدفع
عن نفسه ارادة تعنت خصمه عليه وعناده له ومكابرته معه فى الحق ومجادلته
بالباطل كما قال تعالى وهمت كل امة برسولهم لياخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا
به الحق فاخذتهم فكيف كان عقاب لان الحيلة على الخصم لدفع التعنت منه مشروعة
سايغة فى الشرع قال صاحب الخلاصة الامام رشيد الدين البخارى رحمه الله تعالى سمعت
القاضى الامام ولعله قاضيخان صاحب الفتاوى رحمه الله تعالى يقول ان اراد المناظر
به تخجيل الخصم اى القاءه فى الخجل وهو زيادة الحياء بظهور جهله وافحامه بالادلة
يكفر لانه استهان بالدين حيث جعل مسايله الة لانفاذ حظوظ نفسه فى
خصمه واظهر بذلك التقرب والطاعة لله تعالى ولانه احب ان يزل خصمه ويخطى
ليظهر ارتفاع قدره عليه ومن احب زلة غيره فقد احب كفره فيكفر قال يعنى صاحب
الخلاصة رايت فى موضع اخر يقول القاضى الامام المذكور او غيره وعندى لا يكفر
اذا اراد تخجيل خصمه ولكنه يخشى بالبناء للمفعول اى يخاف عليه الكفر لاحتمال انه
لم يرد شيا كما ذكر فيما يوول به ذلك الى ارادة ما تقدم ما ذكر انتهى اى ما نقله عن الخلاصة
قال مصنف هذا الكتاب رحمه الله تعالى والاولى اى الاحرى والاحق فى زماننا
هذا الكثير الشر القليل الخير وهو عصر التسعماية ان لا يناظر الانسان احدا مطلقا
اذ اى لانه قلما يوجد فى طلب العلم اليوم وفى العلما من يريد بمناظرته اظهار
الصواب من غير حظ نفسانى قال الشيخ الوالد رحمه الله تعالى فى شرحه على
شرح الدرر قال مشايخنا لو ناظر مع غيره ان كان غيره متعلما مسترشدا غير متعنت
لا يحل له الحيلة لطرحه فى المناظرة معه لان ذلك يودى الى اخفا العلم وكتمانه وانه حرام
وان كان متعنتا يحل له ان يحتال كل حيلة لدفعه عن نفسه لانه من اراد زلة صاحبه
فكانما اراد تكفيره فيكفر قبل ان يكفر صاحبه ولا يجب على الفقيه كذا فى المبتغى
والاجابة عن كل ما يسال عنه غيره واجبة الا اذا علم انه لا يجيب غيره فيلزمه جوابه
لان الفتوى والتعليم فرض كفاية من المبتغى ايضا انتهى وذكر الشيخ الاكبر محى الدين ابن العربى
رضى الله عنه فى باب الوصايا اخر كتابه الفتوحات المكية قال واياك والمراء فى القران
فانه كفر بنص الحديث وهو الخوض بانه محدث او قديم وهل هو المكتوب فى المصاحف
والمتلو المتلفظ به عين كلام الله تعالى او ما هو عين كلام الله تعالى فالكلام فى
مثل هذا والخوض فيه هو الخوض فى ايات الله تعالى وهذا هو المراء والجدال

النوع الثالث من انواع العلوم الثلاثة فى بيان العلوم المندوب اليها

اى المستحبة وهى معرفة فضايل اى ما فيه فضيلة من الاعمال البدنية والقلبية
كالصدقة. نمازا دعلى الكفاية والاكثار من ذكر الله تعالى بالقلب واللسان والنظر
فى المصحف ونحو ذلك ونوا فلها اى الاعمال كصلاة الضحى وركعتى الوضوء وركعتى
المسجد وسننها الموكدة وغير الموكدة ومكروهاتها التحريمية والتنزيهية
ومعرفة فروض الكفاية بانواعها فيها اى فروض كفاية وجد القايم بها من الناس
فانها لا تبقى فروضا بعد ذلك ولا يثاب فاعلها ثواب الفرض اذا اتى بها بعد اتيان
من سقط الفرض باتيانه وانما يتنفل بها بعد ذلك فى غير صلاة ~~الجمعة~~ الجنازة قال
فى الهداية وان صلى الولى لم يجز لاحد ان يصلى بعده لان الفرض يتادى بالاول والتنفل بها
غير مشروع ولهذا راينا الناس تركوا عن اخرهم الصلاة على قبر النبى صلى الله عليه وسلم
وهو اليوم كما وضع انتهى وقد بينا هذه المسالة مفصلة سميناها غاية
الموجازة فى تكرار الصلاة على الجنازة وكذلك التعمق يقال عمق النظر فى الامور
بالغ وتعمق كذا فى القاموس والتوغل وغل فى الشئ يغل وغولا دخل وتوارى
او بعد وذهب واوغل فى البلاد والعلم ذهب وبالغ وابعد كتوغل كذا فى القاموس
والمراد هنا الاكثار فى ادلة جمع دليل فروض العين وادلة الكفاية فى وجوههما
اى وجوه ادلة الشيئين وهو اقامة الدليل على الدليل فالاول يسمى تحقيقا
والثانى تدقيقا ومنها اى من العلوم المندوب اليها علم الطب وهو العلم الذى
يبحث فيه عن امزجة الحيوان وما يعدلها قال فى بستان العارفين لابى
الليث السمرقندى رحمه الله تعالى يستحب للرجل ان يعرف من علم الطب مقدار
ما يمتنع اى يتباعد بسببه عن ما اى عن الامر الذى يضره تناوله او اهماله
بدونه من انواع الماكل والمشارب والادوية والمعالجات انتهى كلام صاحب
بستان العارفين قال مولف هذا الكتاب رحمه الله تعالى ولا يجب معرفة
هذا المقدار من الطب لان التداوى اى استعمال الدواء فى المريض لا يجب لان
حصول الشفا به امر مظنون فكم من مريض تداوى ولم يشفه الدوا وكم من
مريض شفاه الله تعالى من غير دواء والاستشفاء بالدواء نادر ولا يترتب
على النادر الوجوب قال فى كتاب الخلاصة رجل استطلق بطنه اى لم يقدر على
امساك غايطه او رمدت عيناه وغير ذلك من انواع الامراض فلم يعالج نفسه
بشئ من الدواء حتى اضعفه ذلك الداء ومات منه لا اثم عليه ولا عقاب فى الاخرة
وفرق بين هذا الحكم المذكور وبين ما اذا صام ولم ياكل الطعام ايام كثيرة
حتى مات من شدة الجوع وهو قادر على الاكل فانه ياثم حينئذ والفرق بين الامرين

ان

ان الاكل مقدار قوته فرض عين عليه لانه لان فيه شبعا من الجوع بيقين من غير شك
كما هو العادة المعروفة فاذا ترك الاستشفا بالاكل كان متلفا لنفسه مع القدرة
عليه عمدا ولا كذلك المعالجة بالدواء فى المريض لان الصحة من المرض بالمعالجة بالدوا
غير معلومة بل هى امر مظنون نادر الوقوع فلا يبتنى عليه حكم شرعى ايجابى فغاية
ما فى الباب انه يبتنى عليه الاستحباب كما ذكر وفى المواهب اللدنية روى مسلم عن جابر
مرفوعا لكل داء دواء فاذا اصيب دواء الداء برا باذن الله تعالى فالشفا متوقف على
اصابة الدواء الداء باذن الله تعالى وذلك ان الدوا قد يحصل معه مجاوزة الحد فى الكيفية
والكمية فلا ينجح بل ربما احدث داء اخر وفى رواية عبد بن حميد فى كتابه المسمى بطب
اهل البيت ما من داء الا وله دواء فان كان كذلك بعث الله عز وجل ملكا ومعه ستر
فجعله بين الدوا الداء والدواء فكلما شرب المريض من الدوا لم يقع على الدا فاذا اراد
الله برءه امر الملك فرفع الستر ثم يشرب المريض الدوا فينفعه الله تعالى به وفى حديث
ابن مسعود رفعه ان الله لم ينزل داء الا انزل له شفا علمه من علمه وجهله من جهله
رواه ابو نعيم وغيره وفيه اشارة ان بعض الادوية لا يعلمها كل احد واما قوله لكل
داء دواء فيجوز ان يكون على عمومه حتى يتناول الادواء القاتلة والادواء التى لا يمكن
طبيب معرفتها ويكون الله قد جعل لها ادوية تبريها ولكن طوى علمها عن البشر ولم يجعل
لهم اليها سبيلا لانه لا علم للخلق الا ما علمهم الله تعالى ولهذا علق صلى الله عليه وسلم الشفاء
على مصادفة الدوا وقد يقع لبعض المرضى انه يتداوى من داء بدواء فيبرا ثم يعتريه
بعد ذلك الداء بعينه فلا ينجح والسبب فى ذلك الجهل بصفة من صفات الدوا فرب مرضين
تتشابها ويكون احدهما مركبا لا ينجح فيه ما ينجح فى الذى ليس مركبا فيقع الخطا
من هنا وقد يكون متحد الكن يريد الله ان لا ينجح وهنا تخضع رقاب الاطبا وقال
فى كتاب فصول جمع فصل العمادى وهو كتاب من كتب الفتاوى فى فقه الحنفية
يشتمل على اربعين فصلا اعلم ان الاسباب جمع سبب وهو ما يتوصل به الى غيره المزيلة
للضرر فى البدن تنقسم ثلاثة اقسام الى قسم مقطوع به اى بكونه سببا موصلا
الى ازالة الضرر بحسب التكرار فى العادة ومشاهدة ذلك على الحس من دون
شك ولا شبهة لاحد فى ذلك اصلا كالماء المزيل لضرر العطش من العطشان والخبز
المزيل لضرر الجوع عن الجيعان وذلك بان يخلق الله تعالى الرى ويرفع العطش
فى باطن المستعمل لذلك عند وصول الماء الى الجوف من غير تاثير للماء فى ذلك اصلا
ولا استعانة منه تعالى بالماء على ذلك وكذلك الخبز يخلق الله تعالى الشبع عند وصوله
الى الجوف بلا تاثير من الخبز ولا استعانة به اصلا وهكذا جميع الاسباب العادية

والى قسم مظنون زوال الضرر به كالفصد والحجامة فى حق المريض المحتاج الى ذلك
فى عرف الاطبا وشرب الدوا المسهل والقابض وساير ابواب الطب المذكورة فى كتب
الطب اعنى معالجة البرودة الغالبة على مزاج الحيوان بالحرارة الغالبة فى الدواء
من مركب وبسيط كالمعاجين والعقاقير ومعالجة الحرارة الغالبة فى مزاج
الحيوان ايضا بالبرودة الغالبة فى دوا مركب او بسيط وهى الاسباب الظاهرة
اى المعلومة فى علم الطب والى قسم موهوم اى يحتمل الشفا وعدمه كالكى بالنار ولهذا
قالوا اخر الطب الكى فالكى الاخرية لانه اضعف احتمالا للشفا واما غيره من المعالجات
فهو اقرب منه الى الشفا فهو اول الطب والرقية بالضم العوذة وجمعها رقى ورقاة
رقيا فهو رقا نفث فى عوذته كذا فى القاموس اما القسم المقطوع به من الاسباب
المزيلة للضرر عن البدن فليس تركه من التوكل على الله تعالى بل تركه حرام على العبد عند
خوف الموت من العطش والجوع ونحو ذلك فان ترك هذا القسم معصية على المتعين
عليه والمتوكل على الله طاعة فليس هو من التوكل ولا التوكل منه واما القسم الموهوم من
الاسباب المذكورة فشرط حصول مقام التوكل على الله تعالى تركه اى ترك هذا القسم
لانه موهوم والتوكل مقام يقينى فينافيه الامر الوهمى اذ اى لانه به اى بترك هذا
القسم الموهوم وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم المتوكلين على الله تعالى وذلك
فى حديث صحيح بلغنا اى وصل الينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابن
مسعود رضى الله عنه انه عليه السلام قال اريت بالبنا للمفعول اى ارانى الله تعالى
الامم كلهم بالموسم متعلق باريت اى وانا فى موسم منى فرايت امتى من اولهم الى اخرهم
قد ملوا السهل والجبل فاعجبنى كثرتهم العظيمة وهيئاتهم المستقيمة فقيل اى
قال قايل لى ولعله الله تعالى ارضيت قلت نعم يعنى رضيت قال ومع هولاء
راى وفى جملتهم سبعون الفا والعموم يقتضى ان فيهم الرجال والنسا والاحرار والعبيد
والكبار والصغار يدخلون الجنة بغير حساب عليهم فيما عملوا لان عملهم لم يكن بقوة
نفوسهم بل بقوة ربهم شهودا وذوقيا فهم ربانيون لا نفسانيون كما قال تعالى
ولكن كونوا ربانيين الاية قيل اى قال بعض الصحابة منهم يعنى السبعين الفا
الذين يدخلون الجنة بغير حساب يا رسول الله قال هم الذين لا يكتوون اى لا يتداوون
بالكى اذا مرضوا ولا يرقون اى يتداوون بالرقية ولا يتطيرون اى يتشاءمون من
شىء مطلقا وعلى ربهم يتوكلون قدم الجار والمجرور لافادة الحصر اى لا على غيره فقام
عكاشة بن محصن الاسدى وكان من فضلا الصحابة توفى فى خلافة الصديق رضى
الله عنه فى زمن الردة وعمره خمس واربعون سنة فقال يا رسول الله ادع الله ان
يجعلنى

ان يجعلنى منهم اى من هولا السبعين الفا المذكورين فقال النبى صلى الله عليه وسلم
اللهم اجعله منهم فقام رجل منهم اخر من الصحابة فقال يا رسول الله ادع الله
ان يجعلنى منهم فقال عليه الصلاة والسلام سبقك بها اى بهذه الفعلة او الحالة
عكاشة المذكور وذلك لان قيامه كان ابتداء لله تعالى لا اقتدا ومتابعة
لاحد بلا لحظ نفسانى واما قيام الثانى فلعله كان لحظ نفسه حين راى عكاشة
سبقه الى هذا المقام فقصد مساواته بسعيه وهو مجرد سوال النبى صلى الله
عليه وسلم تلك الحالة فاقتدى بعكاشة فى ظاهره دون باطنه فاخبره النبى صلى
الله عليه وسلم ان عكاشة سبقه وسبقه له كان فى الظاهر والباطن اما فى الظاهر فظاهر
واما فى الباطن فلتباعده عن حظ نفسه فى طلبه ذلك وسلامة صدره من الاعتماد على
الاغيار والمنافسة فى جميع الاطوار ولهذا جميع ~~الاطوار الكمالية~~ الاحوال الكمالية لا
تحصل لعبد بنا فس فيها غيره ولا لمن يحسد او يحقد او يقصد بها التشهى او المباهاة
او الامتحان بل طريقها سلامة الصدور والنية الحسنة مع الدوام على ذلك كما قال شيخنا
الشيخ عبد القادر الكيلانى رضى الله عنه ما وصلت الى الله تعالى بقيام ليل ولا صيام نهار
ولا دراسة علم ولكن وصلت الى الله بالكرم والتواضع وسلامة الصدر وصف رسول
الله صلى الله عليه وسلم المتوكلين بترك الكى والرقية والتطير واقواها الكى فى اهمية
تركه ثم الرقية والطيرة اخر درجاتها على حسب ما ذكر فى لفظ الحديث والاعتماد عليها
اى على هذه الثلاثة او على احدها والاتكال اليها فى قصد القلب غاية التعمق فى ملاحظة
الاسباب العادية واما الدرجة المتوسطة وهى الاسباب المظنونة كالمداواة بالاسباب
الظاهرة اى المعلومة عند الاطبا اى علما الطب ففعله ليس مناقضا للتوكل على الله
تعالى بخلاف القسم الموهوم من الاسباب فان فعله يناقض التوكل بنص الحديث السابق
وتركه اى ترك القسم المظنون ليس محظورا اى ممنوعا منه حراما بخلاف القسم المقطوع به
فان تركه حرام عند خوف الموت كما مر بل قد يكون هذا القسم المظنون افضل من فعله فى بعض
الاحوال بالنسبة الى من يخاف عليه الاعتماد على الاسباب بقلبه وفى حق بعض الاشخاص
المعتمدين على غير الله تعالى غفلة منهم عن الله تعالى فتركه حينئذ افضل لتقوية القلوب
الضعيفة فى مقام اليقين فهو اى هذا القسم المظنون على درجة بين الدرجتين درجة
الفعل ودرجة التركيد ورمع المقتضى لاحدهما انتهى ما نقله عن فصول العمادى ثم هذا
التطبب المذكور حيث لاينا فى مقام التوكل على الله تعالى لا فرق فيه بين التطبب بطبيب
مسلم او كافر اذا غلب على ظن المريض انه صادق فيما يصف له من الدوا اذرب مسلم يكذب
وكافر يصدق والمعتبر غلبة المريض خصوصا بعد تجربة الحذق منه وهذا من قبيل

المعاملات وقول الكافر فيها مقبول عندنا قال في شرح الدرر وقبل قول كافر ولو
كان مجوسيا قال شريت اللحم من مسلم او كتابي فحل او من مجوسي فحرام قال في الكنز
ويقبل قول الكافر في الحل والحرمة وقال الزيلعي هذا سهو لان الحل والحرمة من الديانات
ولا يقبل قول الكافر في الديانات وانما يقبل في المعاملات خاصة للضرورة اقول ليس
الساهي صاحب الكنز لان مراده بالحل والحرمة ما يحصل في ضمن المعاملات لا مطلق الحل والحرمة
كما توهم بدليل انه قال في الكافي ويقبل قول الكافر في الحل والحرمة حتى لو كان له اجير مجوسي
فارسله ليشتري له لحما فاشترى فقال اشتريته من يهودي او نصراني او مسلم وسعه
اكله وان كان غير ذلك لم يسعه اكله ثم قال واصله ان خبر الكافر في المعاملات مقبول
بالاجماع لصدوره عن عقل ودين مانع من الكذب ومساس الحاجة الى قبوله لكثرة المعاملات
وكونه من اهل الشهادة في الجملة انتهى وتمامه هناك ولا شك ان التطبب بالكفار من هذا القبيل
فيجوز على مقتضى جوازه لا ينافي التوكل على الله تعالى ويويد هذا ما ذكره الشيخ تاج
الدين ابن عطا الله الاسكندري رحمه الله في كتابه قال ولقد بلغني عن الشيخ ابي الحسن الشاذلي
رضي الله عنه انه استدعى يهوديا كحالا ليداوي بعض من عنده فقال له اليهودي لا استطيع
ان اعالج فانه جاء مرسوم من القاهرة ان لا يداوي احد من الاطبا الا باذن من مشارف الطب
بالقاهرة فلما خرج ذلك اليهودي قال الشيخ لخدامه هيئوا الة السفر وسافر لوقته الى القاهرة
واخذ لهذا الطبيب اذنا وعاد ولم يبت بها ليلة واحدة ثم جا الى الاسكندرية فارسل الى ذلك
الطبيب فاعتذر له بما اعتذر له به اولا فاخرج له الشيخ مكتوبا بالاذن فاكثر اليهودي
التعجب من هذا الخلق الكريم انتهى وما يخالف هذا ما ذكره الشيخ عبد الوهاب الشعراوي
رحمه الله تعالى في كتابه العهود المحمدية من التنفير عن التطبب بالكفار فمحمول على من
ابتلي بضعف اليقين من عوام المسلمين فيخاف عليه ان يميل الى الطبيب اليهودي او النصراني
وربما يقع عنده الشك في عقيدته بسبب حصول الشفا على يده ويظن انه شفي بسبب
صحة دينه الباطل واما من لم يخطر له ذلك وعرف ان الاسباب كلها بيد الله تعالى وحده وانه
تعالى الشافي لا غيره ولا تاثير لكل ما سواه مطلقا وان جميع ما سواه تعالى اسباب ان شاء الله
تعالى خلق الشفا عندها لا بها وان شاء لم يخلق وكان لا فرق عنده بين الاسباب الحسنة
والقبيحة في عدم التاثير فلا شبهة في جواز التطبب بالاطبا المسلمين والكافرين والصالحين
والفاسقين ومطاوعتهم اذ اغلب على الظن صدقهم فيما لا يجب ترك واجب ولا فعل حرام
او مكروه فان قول الكافر والفاسق غير مقبول في الديانات كما صرح به الفقهاء
في كتبهم وان كان مقبولا في المعاملات كما ذكرنا اقول اي يقول صاحب متن هذا الكتاب
رحمه الله تعالى مراده يعني مراد صاحب فصول العمادي بالتوكل هنا حيث لا يكون

التطبب.

التطبيب بالاسباب الظاهرة عند الاطبا مناقضا له كماله اي التوكل الكامل اذ اي لان اصله
اي اصل التوكل على الله تعالى في جميع الامور ظاهرا او باطنا فرض عين على كل مكلف وهو
اي اصل التوكل الذي هو فرض ان يعتقد المكلف قطعا من غير شك ان لا خالق اي مقدر
وموجد ولا موثر في شي مطلقا الا الله تعالى وحده فالشفا الحاصل ليس الا منه تعالى
لذلك المرض وانه سبحانه وتعالى جرت عادته في خلقه على ربط المسببات بالاسباب
ربطا عاديا بحيث يصح تارة ويختلف اخرى من غير لزوم عقلي فالتشبث اي التمسك
والتعلق بالاسباب الظاهرة على هذا الاعتقاد لا يناقض هذا التوكل المذكور مظنونة
كانت الاسباب او موهومة لانها في اعتقاده لا تاثير لها ولو لم يعتقد هذا الاعتقاد
المذكور بل اعتقد ان الشفا حاصل من الدوا اي من تاثيره فالمظنون من الاسباب
حينئذ بل المتيقن منها اي المقطوع به كما تقدم مناقض لهذا التوكل الذي هو اصل
ايضا كما هو مناقض لكماله التوكل واما كمال التوكل اي التوكل الكامل فالاعتماد بالظاهر
والباطن والاتكال على الله تعالى بلا استقصاء اي مبالغة ولا تعمق في ملاحظة الاسباب
اي مراعاتها وتعاطيها فهذا توكل مستحب لا فرض وهو الذي يناقضه التشبث اي
التمسك بالسبب الموهوم فقط دون المظنون والمقطوع به فترك الكي والرقى مصدر
رقاه عوذه وامثالهما من الطب الموهوم مستحب لا واجب لانه لا ينافي كمال التوكل
لا اصل التوكل قال في المواهب اللدنية بعد ذكر طرف من الاحاديث الدالة على معاطاة
الدوا قال وفي مجموع ما ذكرناه من الاحاديث الاشارة الجلية الى اثبات الاسباب وان لا تنافي
التوكل كما لا ينافيه دفع الجوع والعطش بالاكل والشرب وكذلك تجنب المهلكات والدعا
بطلب الشفا ودفع المضار وغير ذلك وقد سيل الحارث بن اسد المحاسبي في كتاب
المقصد من تاليفه هل يتداوى المتوكل قال نعم فيل له من اين ذلك قال من وجود ذلك
عن سيد المتوكلين الذي لا يلحقه لاحق ولا يسبقه في التوكل سابق محمد خير البرية
صلى الله عليه وسلم قيل له ما تقول في خبر النبي صلى الله عليه وسلم من استرقى واكتوى برى
من التوكل قال برى من توكل المتوكلين الذين الذين ذكرهم في حديث اخر فقال يدخل الجنة من
امتي سبعون الفا بغير حساب واما سواهم من المتوكلين فيباح لهم الدوا والاسترقا فجعل
المحاسبي التوكل بعضه افضل من بعض وقال في التمهيد انما اراد بقوله برى من التوكل اذا
استرقا الرقيا المكروهة في الشريعة او اكتوى وهو تعلق رغبته في الشفا بوجود
الكي وكذلك قوله لا يسترقون الرقيا المخالفة للشريعة ولا يكتوون وقلوبهم معلقة بنفع
الكي ومعرضة عن فعل الله تعالى وان الشفا من عنده واما اذا فعل ذلك على ما جا في الشريعة
وكان ناظرا الى رب الدوا وتوقع الشفا من الله تعالى وقصد بذلك استعمال بدنه اذا

صح لله واتعاب نفسه وكدها في خدمة ربه فتوكله باق على حاله لا ينقص منه
الدواء شيا استدلالا بفعل سيد المتوكلين اذا عمل بذلك في نفسه وفي غيره فقد
تبين ان التداوي لاينافي التوكل بل لاتتم حقيقة التوحيد الا بمباشرة الاسباب
التي نصبها الله تعالى مقتضيات لمسبباتها قدرا وشرعا وان تعطيلها يقدح
في نفس التوكل كما يقدح في الامر والحكمة وورد في خبر اسرايل ان الخليل
عليه السلام قال يا رب ممن الدواء الدا قال مني قال فممن الدوا قال مني
قال فما بال الطبيب قال رجل ارسل الدواء على يديه وفي قوله صلى الله عليه وسلم
لكل داء دوا تقوية لنفس المريض والطبيب وحث على طلب ذلك الدوا والتفتيش
عليه فان المريض اذا استشعرت نفسه ان لدايه دواء يزيله تعلق قلبه بروح
الرجا وبرد من حرارة الياس وانفتح له باب الرجا وقويت نفسه وانبعثت
حرارته الغريزة وكان ذلك سببا لقوة الارواح الحيوانية والنفسانية
والطبيعية ومتى قويت هذه الارواح قويت القوى التي هي حاملة لها فقهرت
المرض ودفعته قال ابو الليث السمرقندي رحمه الله تعالى في كتابه بستان العارفين
واما الاخبار التي وردت عن النبي صلى الله عليه وسلم في النهي عن الرقية ونحوها فانها منسوخة
كلها الا يرى بالبنا للمفعول اي يرى الراي الى ما روى جابر بن عبد الله رضي الله عنهما
ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الرقى جميع رقية وكان عند ال اي اهل عمرو بن حزم
رقية يرقون بها عن لسع العقرب لان ذهاب من سمه فاتوا النبي صلى الله عليه وسلم
فعرضوا عليه ذلك وقالوا انك نهيت عن الرقى فقال لهم عليه السلام ما ارى به الا ان
باسا من استطاع منكم ان ينفع اخاه بشي فليفعل ولا يتاخر عن ذلك فان له فيه
الاجر عند الله تعالى فيحتمل ان النهي الوارد في ذلك عن الذي يرى العافية في الدواء
حاصلة له من نفسه اي من نفس الدوا واما اذا عرف ان العافية حاصلة من الله تعالى
والدواء سبب عادي يخلق الله تعالى العافية عنده لا به ولا فيه ولا منه لا باس به
اي بالدوا حينيذ وقال النووي في شرح مسلم ان جبريل عليه السلام رقى النبي صلى الله
عليه وسلم والاحاديث مذكورة في الرقى وفي الحديث الاخر في الذين يدخلون الجنة
بغير حساب لا يرقون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون فقد يظن مخالفا للاحاديث
ولا مخالفة بل المدح في ترك الرقى المراد بها الرقى التي هي من كلام الكفار والرقى
المجهولة والتي بغير العربية وما لا يعرف معناها فهذه مذمومة لاحتمال ان معناها
كفر او قريب منه او مكروه واما الرقى بايات القران وبالايات المعروفة فلا نهي فيه
بل هو سنة ومنهم من قال في الجمع بين الحديثين ان الجمع المدح في ترك الرقى للافضلية

وبيان

وبيان التوكل والذي فعل الرقى واذن فيها لبيان الجواز مع ان تركها افضل وبهذا
قال ابن عبد البر وحكاه عمن حكاه والمختار الاول ونقلوا الاجماع على جواز الرقى بالقران
واذكار الله قال المازري جميع الرقى جايزة اذا كانت بايات الله تعالى او بذكره وينهى
عنها اذا كانت باللغة العجمية او بما لا يدرى معناه لجواز ان يكون فيه كفر قال واختلفوا
في رقية اهل الكتاب فجوزها ابو بكر الصديق رضي الله عنه وكرهها مالك خوفا من ان تكون
مما بدلوه ومن جوزها قال الظاهر انهم لم يبدلوا الرقى فانهم لا غرض لهم في ذلك بخلاف
غيرها مما بدلوه واما نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن الرقى فاجاب العلماء عنه باجوبة احدها
كان نهى اولا ثم نسخ ذلك واذن فيها وفعلها واستقر الشرع على الاذن والثاني ان
النهي عن ذلك الرقى المجهولة كما سبق والثالث ان النهي لقوم كانوا يعتقدون منفعتها
وتاثيرها وطبعها كما كانت الجاهلية تزعمه في اشيا كثيرة قال القاضي وجا في حديث
في غير مسلم سيل عليه السلام عن النشرة فاضافها الى الشيطان قال والنشرة معروفة
مشهورة عند اهل التعزيم وسميت بذلك لانها تنشر عن صاحبها اي تخلي عنه
وقال الحسن هي من السحر قال القاضي وهذا محمول على انها اشيا خارجة عن كتاب
الله تعالى واذكاره وعن المداواة المعروفة التي هي من جنس المباح وقد اختار بعض
المتقدمين هذا فكره حل المعقود عن امراته وقد حكى البخاري في صحيحه عن سعيد
ابن المسيب انه سيل عن رجل به طب اي ضرب من الجنون او يوخذ عن امراته ايحلي عنه
او ينشر قال لا باس به انما يريدون به الصلاح فلم ينه عما ينفع وممن اجاز النشرة الطبري
وهو الصحيح قال كثيرون او الاكثرون يجوز الاسترقا للصحيح لما يخاف ان
يغشاه من المكروهات والهوام ودليله احاديث منها حديث عايشة رضي الله عنها
في صحيح البخاري كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اوى الى فراشه تفل في كفيه ويقرا قل
هو الله احد والمعوذتين ثم يمسح بهما وجهه وما بلغت يده وقد جات الاثار والاحاديث
عن النبي صلى الله عليه وسلم في الاباحة من غير كراهة الا ان يرى ان النبي صلى الله عليه وسلم
لما جرح بالبناء للمفعول اي جرحه المشركون يوم احد بضمتين اسم جبل بالمدينة
داوى جرحه بعظم قد بلي اي انحت ونفتت فذره على جرحه كالرماد ليذر على الجراحة
لينقطع دمها وروى ان رجلا من الانصار رمي بالبنا للمفعول في اكحله وهو عرق
في اليد او هو عرق الحياة ولا تقل عرق الاكحل كذا في القاموس بمشقص كمنبر
نصل عريض او سهم فيه ذلك والنصل الطويل والنصل الطويل او سهم فيه ذلك يرمى
به الوحش كما في القاموس فامر به اي بذلك الرجل النبي صلى الله عليه وسلم فكوي بالنار
على موضع الجراحة وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يرقي نفسه او غيره بالمعوذتين

وهما قل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس كما مر فى حديث عايشة رضى الله
عنها وفى حديثها ايضا عند مسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اشتكى
منا انسان مسح بيمينه ثم قال اذهب الباس رب الناس لا شافى الا انت
اشف شفا لا يغادر سقما وقال النووى فى شرح مسلم فيه استحباب مسح
المريض باليمين والدعا له وقد جاء دعوات كثيرة صحيحة جمعتها فى كتاب
الاذكار وهذا المذكور هنا هوا حسنها ومعنى لا يغادر سقما اى لا يترك والسقم
بضم السين واسكان القاف وبفتحهما لغتان وفى حديث عايشة رضى الله عنها
ايضا قال النبى صلى الله عليه وسلم باصبعه هكذا ووضع سبابته بالارض ثم رفعها
باسم الله تربة ارضنا بريقة بعضنا يشفى به سقيمنا باذن ربنا قال جمهور العلما
المراد بارضنا هنا جملة الارض وقيل ارض المدينة خاصة لبركتها والريقة اقل
من الريق ومعنى الحديث انه ياخذ من ريق نفسه على اصبعه السبابة ثم يضعها
على التراب يتعلق بها منه شئ فيمسح به على الموضع الجريح او العليل ويقول
هذا الكلام فى حال المسح قال القاضى واختلف قول مالك فى رقية اليهودى
والنصرانى المسلم وبالجواز قال الشافعى والاثار فيه اى فى تداوى النبى صلى الله عليه وسلم
ورقيته اكثر من ان تحصى وهى مفصلة فى كتب متون الحديث وشروحها انتهى
ما نقله عن كتاب بستان العارفين ثم ان عد الكى من القسم الموهوم كما مر ليس بكلى اى
بامر مطلق بل قد يكون الكى من القسم المظنون بل من القسم المتيقن به بحسب
غلبة نفعه او تحققه فلذا امر فى الشرع كما هو مذكور فى كتب الفقه بالحسم
مصدر حسمه يحسمه فانحسم قطعه بالدوا كذا فى القاموس فى قطع يد السارق
وذلك ان توضع يده بعد قطعها فى زيت مغلى على النار حتى يمتنع سيلان الدم
منه لئلا يفضى اى يوصل القطع الى الهلاك بسيلان الدم وعدم التطير من القسم الموهوم
ايضا يوهم الجواز اى جواز التطير كغيره وهما الكى والرقية كما مر بل هو اى التطير
حرام وقد اختلف بالبنا للمفعول اى اختلف العلما فى كونه كفرا حيث كان فيه نسبة
التاثير الى غير الله تعالى ذكره الامام قاضى خان فى فتاواه وغيره ايضا قال الشيخ
الوالد رحمه الله تعالى فى شرحه على شرح الدرر صاحت الطير فقال رجل يموت المريض
او خرج الى السفر فرجع لصياح العقعق كفر عند بعضهم وقيل لا كذا فى البزازية
والاصح انه لا يكفر كما فى عمدة المفتى وفى الخانية وجه القول بعدم الكفر انه انما قال ذلك
على وجه التفاول قال ابن الشحنة وعلى هذا ينبغى ان يجرى ساير احكام الفعل
بمقتضى الطيرة ويكون الخلاف واقعا فى كفره وكذا فى كل ما يقوله الانسان عند وقوع

امر من الامور التى تقول الجهلة عندها يكون كذا من الامر كما ذكر فى مسئلة صياح الهامة
وقال النووى فى شرح مسلم التطير التشاوم واصله الشئ المكروه من قول او فعل
وكانوا يتطيرون بالسوانح والبوارح فينفرون الظبا والطيور فان اخذت ذات
اليمين تبركوا به ومضوا فى سفرهم وحوايجهم فيتبشرون وان اخذت ذات
الشمال رجعوا عن سفرهم وحاجتهم وتشائموا بها فكانت تصدهم
فى كثير من الاوقات عن مصالحهم فنفى الشرع ذلك وابطله ونهى عنه واخبر انه ليس
له تاثير بنفع ولا يضر فهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم لا طيرة وفى حديث اخر الطيرة
شرك اى اعتقاد انها تنفع او تضر اذا عملوا بمقتضاها معتقدين تاثيرها
فهو شرك لانهم جعلوا لها اثرا فى الفعل والايجاد فظهر من جملة ما تقدم من
الكلام ان علم الطب ليس بفرض بل هو مستحب عندنا كما قال صلى الله عليه وسلم
لكل داء دواء فاذا اصيب دواء الداء برا باذن الله تعالى كما مر والحديث
فى مسلم وقال النووى فى شرحه وفى هذا الحديث اشارة الى استحباب الدوا وهو
مذهب اصحابنا وجمهور السلف وعامة الخلف وقال القاضى فى هذه الاحاديث
جمل من علوم الدين والدنيا وصحة علم الطب وجواز التطبب فى الجملة واستحبابه
بالامور المذكورة فى هذه الاحاديث التى ذكرها مسلم قال وفيها رد على من انكر التداوى
من غلاة الصوفية وقال كل شئ بقضاء وقدر فلا حاجة الى التداوى وحجة العلما
هذه الاحاديث ويعتقدون ان الله تعالى هو الفاعل وان التداوى هو ايضا من
قدر الله تعالى وهذا كالامر بالدعا وكالامر بقتال الكفار وبالتحصن ومجانبة
الالقا باليد الى التهلكة مع ان الاجل لا يتغير والمقادير لا تتاخر ولا تتقدم عن
اوقاتها ولا بد من وقوع المقدورات وقال الامام ابو حامد الغزالى رحمه الله
فى كتابه الاحيا اى احيا علوم الدين انه اى علم الطب فرض كفاية حتى لا تخلو
البلدة ممن يعلم ذلك فى بما يحتاج اليه فى معرفة الامزجة لتوقى المضار وجلب
المنافع مما لا تفى به التجربة خصوصا فى بعض العقاقير التى لا يعلم الناس نفعها
ولا ضررها فاذا فرغ السالك بالعبادة فى طريق الله تعالى عن تعلم فرض العين الذى
هو علم الحال كما سبق بيانه ووجد هنا من يقوم عنه بفرض الكفاية مما يتعلق
بحال غيره على حسب ما مر تفصيله او لم يوجد هناك من يقوم بذلك فحصله هو
ايضا كما حصل فرض العين فله الخيار بعد ذلك من غير حرج عليه لان الحرج مرفوع
بالنص كما قال تعالى وما جعل عليكم فى الدين من حرج ان شا اى ذلك السالك المذكور
اقبل على العبادة فاشتغل بها وانقطع اليها معرضا عما عدا ذلك ومنهمكا فى نفع نفسه

بطاعة ربه وان شا اقبل على الاشتغال بتحصيل العلم المندوب اليه المتقدم بيانه
ليكمل فى رتبة العلم ويتضلع من انواع الكمال فهذا اى المقبل على العلم المندوب
اليه زيادة على ما عنده من العلم المفروض عليه عينا وكفاية افضل عند الله تعالى من الاول
اى المقبل على العبادة بعد تعلمه ما فرض عليه عينا وكفاية لان عبادة الله تعالى
تنوا فل العلم افضل من عبادته تنوا فل العمل كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العلم
خير من العبادة وملاك الدين الورع اخرجه الاسيوطى فى الجامع الصغير
عن ابى هريرة وفى رواية العلم خير من عمل وفى رواية العلم افضل من العمل وقال
المناوى فى شرحه لان العلم مصحح لغيره مع كونه متعديا فالعبادة مفتقرة له ولا
عكس ولان العلماء ورثة الانبيا ولا يوصف المتعبد بذلك ولان العلم تبقى ثمرته
بعد صاحبه والعبادة تنقطع بموته ومن ثمه اتفقوا كما فى المجموع على ان الاشتغال
بالعلم افضل منه بنحو صلاة وصوم وقال ايضا لان فى بقا العلم احيا الشريعة وحفظ
معالم الملة ولان العابد تابع للعالم مقتد به مقلد له واجب عليه طاعته وفى
العتابى اذا خلا الزمان من سلطان ذى كفاية فالامور موكولة الى العلماء
ويلزم الامة الرجوع اليهم ويصيرون ولاة فاذا عسر جمعهم على واحد استقل
كل قطر باتباع علمايه فان كثروا فالمتبع اعلمهم فان استووا اقرع وقال
السمهودى وهذا من حيث انعقاد الولاية الخاصة فلا ينافى وجوب طاعة العلما
مطلقا فاندفع للسبكى هنا وكان الامام مالك يمتنع من الولايات فيحبس ويجرى
ومع ذلك يمتثل امره انتهى كلامه وهذا الذى ذكر من العالم افضل من العابد والعلم
افضل من العبادة محله فيما اذا علم العبد العلم المفروض عليه فرضا عينيا والمفروض
فرض كفاية كما تقدم وفيما اذا عمل بالعلم المفروض عليه واما اذا ترك العمل ولو ببعض
ما فرض عليه فليس مجرد علمه افضل من العمل المفروض وانما هذه الفضيلة
بين النفلين من العلم والعمل والفرضين منهما لمن اتى بهما ولهذا قال عليه
السلام فيما اخرجه الاسيوطى عن عبادة العلم خير من العمل وملاك الدين الورع والعالم
من يعمل وفى حديث جابر قال عليه السلام العلم علمان فعلم فى القلب فذلك العلم
النافع وعلم على اللسان فذلك حجة الله على ابن ادم الايات اى هذه الايات التى
تدل على شرف العلم وعلى فضيلته وذلك احد عشر اية من سور مختلفة الاية الاولى
من سورة البقرة وهى قوله تعالى وعلم ادم الاسما كلها اما بخلق علم ضرورى بها
او القاء فى روعه ولا يفتقر الى سابقة اصطلاح ليتسلسل والتعليم فعل يترتب
عليه العلم غالبا ولذلك يقال علمه فلم يتعلم وادم اسم اعجمى كازر وشالخ واشتقاقه

من

من الادمة او الادمة بالفتح بمعنى الاسوة او من اديم الارض لما روى عنه عليه السلام
انه تعالى قبض قبضة من جميع الارض سهلها وحزنها فخلق منها ادم ولذلك تاتى بنوه
احيانا ومن الادم والادمة بمعنى الالفة تعسف والمعنى انه تعالى خلقه من اجزاء
مختلفة وقوى متباينة مستعدا لادراك انوع المدركات من المعقولات والمحسوسات
والمتخيلات والموهومات والهمه معرفة ذوات الاشيا وخواصها واسمائها واصول
العلوم وقوانين الصناعات وكيفية الاتها قاله البيضاوى وقال الواحدى ووجه
تعليمه ادم ان خلق فى قلبه علما بالاسما على سبيل الابتدا والهمه العلم بها قال ابن عباس
علمه اسم كل شى حتى القصعة والمغرفة وقيل ان الله علم ادم جميع اللغات ثم ان اولاده تكلم
كل واحد منهم بلغة اخرى فلما تفرقوا فى البلاد اختص كل فرقة منهم بلغة فاللغات
كلها انما سمعت من ادم واخذت عنه وقال البغوى سمى ادم لانه خلق من
اديم الارض وقيل لانه كان ادم اللون وكنيته ابو محمد وابو البشر فلما خلقه الله
عز وجل علمه اسما الاشيا وذلك ان الملايكة قالوا لما قال الله انى جاعل فى الارض خليفة
ليخلق ربنا ما يشا فلن يخلق خلقا اكرم عليه منا وان كان فنحن اعلم منه لانا خلقنا
قبله وراينا ما لم يره فاظهر الله تعالى فضله عليهم بالعلم وفيه دليل على ان الانبياء
افضل من الملايكة وان كانوا رسلا كما ذهب اليه اهل السنة قال ابن عباس
ومجاهد وقتادة علمه اسم كل شى حتى القصعة والقصيعة وقيل اسم ما كان وما
يكون الى يوم القيمة وقال الربيع بن انس اسما الملايكة وقيل اسما ذريته وقيل صنعة
كل شى وقال الخازن وقيل خلق الله كل شى من الحيوان والجماد وغير ذلك وعلم
ادم اسماها كلها فقال يا ادم هذا بعير وهذا فرس وهذه شاة حتى اتى
على اخرها ثم عرضهم على الملايكة الضمير فيه للمسميات المدلول عليها ضمنا اسماء
اذ التقدير اسما المسميات فحذف المضاف اليه لدلالة المضاف عليه وعوض عنه
اللام كقوله تعالى واشتعل الراس شيبا لان الغرض السوال عن اسما المعروضات
فلا يكون المعروض نفس الاسما ولا سيما ان اريد به الالفاظ والمراد به ذوات الاشيا
او مدلولات الالفاظ وتذكيره لتغليب ما اشتمل عليه من العقلا قاله البيضاوى
وقال البغوى وانما قال عرضهم ولم يقل عرضها لان المسميات اذا جمعت من يعقل
ومن لا يعقل يكنى عنها بلفظ من يعقل كما يكنى عن الذكور والاناث بلفظ الذكور
وقال مقاتل خلق الله كل شى الحيوان والجماد ثم عرض تلك الاشخاص على الملايكة
فالكناية راجعة الى الشخوص فلذلك قال عرضهم وقال الواحدى معنى العرض فى
اللغة الاظهار ومنه عرض الجارية وعرض الجند ويقال عرضت المتاع على المبيع

اذا اظهرته للمشترى وقال الله تعالى وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا اى ابرزناها
حتى راوها وقيل ان الله تعالى خلق كل شىء الحيوان والجماد ثم علم ادم اسماءها
ثم عرض تلك الشخوص الموجودات على الملايكة ولذلك قال ثم عرضهم لانه كنى عن
المسميين والمسميات وكان فيهم من يعقل من الجن والانس والملايكة فقال
انبئونى اى اخبرونى باسماء هؤلاء الاشخاص وهذا امر تعجيز اراد الله تعالى ان
يبين عجزهم عن علم ما يرون ويشاهدون فلا يظنون انهم اعلم من الخليفة
الذى يجعله الله فى الارض قاله الواحدى وقال البيضاوى تبكيت لهم وتنبيه
على عجزهم عن امر الخلافة فان التصرف والتدبير واقامة المعدلة قبل تحقق
والوقوف على مراتب الاستعداد وقدر الحقوق محال وليس بتكليف ليكون من
باب التكليف بالمحال ان كنتم صادقين انى لا اخلق خلقا الا كنتم اعلم وافضل
منه قاله الواحدى وقال البيضاوى فى زعمكم انكم احقا بالخلافة لعصمتكم
او ان خلقهم واستخلافهم وهذه صفتهم لا يليق بالحكيم وهو وان لم يصرحوا
به لكنه لازم مقالهم والتصديق كما يتطرق الى الكلام باعتبار منطوقه يتطرق اليه
بعرض ما يلزم مدلوله من الاخبار وبهذا الاعتبار يعترى الانشاءات قالوا يعنى
الملايكة اقرارا بالعجز واعتذارا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا اى تنزيها لك وتعظيما
عن ان يعلم الغيب احد سواك وقيل تنزيها لك عن الاعتراض عليك فى حكمك قاله
الواحدى وقال البيضاوى اعتراف بالعجز والقصور واشعار بان سوالهم
كان استفسارا ولم يكن اعتراضا وانه قد بان لهم ما خفى عليهم من فضل الانسان
والحكمة فى خلقه واظهار لشكر نعمته بما عرفهم وكشف لهم ما اعتقل عليهم ومراعات
ومراعات للادب بتفويض العلم كله اليه وسبحان مصدر كغفران ولا يكاد يستعمل
الا مضافا منصوبا باضمار فعله كمعاذ الله وقد اجرى علما للتسبيح بمعنى التنزيه
على الشذوذ فى قوله سبحان من علقمة الفاجر وتصدير الكلام به اعتذار عن
الاستفسار والجهل بحقيقة الحال ولذلك جعل مفتاح التوبة فقال موسى عليه
السلام سبحانك تبت اليك وقال يونس عليه السلام سبحانك انى كنت من
الظالمين وقال الواحدى لا علم لنا قال المفسرون هذا اعتراف من الملايكة بالعجز
عن علم ما لم يعلموه وكانهم قالوا لا علم لنا الا ما علمتنا وليس هذا مما علمتنا فجاء الكلام
مختصرا انك انت العليم اى العالم الحكيم اى الحاكم تحكم بالعدل وتقضى به والحكم القضا
بالعدل ويجوز ان يكون بمعنى المحكم للاشياء كالاليم بمعنى المولم والسميع بمعنى
المسمع وقال البغوى انت العليم بخلقك الحكيم فى امرك وقال البيضاوى العليم

الذى لا يخفى عليه خافية الحكيم المحكم لمبدعاته الذى لا يفعل الا ما فيه حكمة بالغة
قال يا ادم انبئهم اى اعلمهم باسمائهم لما ظهر عجز الملايكة عن علم اسماء الموجودات
قال الله يا ادم انبئهم باسمائهم فسمى كل شى باسمه والحق كل شى بجنسه فلما
انباهم باسمائهم اى اخبرهم بتسميتها ثم قال الم اقل لكم قال الم حرف نفى وصل
بالاستفهام فصار بمعنى الايجاب والتقدير كقول جرير الستم خير من ركب المطايا
اى انتم كذلك انى اعلم غيب السموات والارض اى ما غاب فيهما عنكم وهذا كقوله ولله
غيب السموات والارض اى ما غاب فيهما ملكا وخلقا واعلم ما تبدون اى من
قولكم اتجعل فيها من يفسد فيها وما كنتم تكتمون من اضمار ابليس الكفر وقيل
ما كنتم تكتمون من قولهم لن يخلق الله خلقا افضل ولا اعلم منا قاله الواحدى وقال
البغوى قال ابن عباس هو ان ابليس مر على جسد ادم وهو ملقى بين مكة والطايف
لا روح فيه فقال لامر ما خلق هذا ثم دخل فى فيه وخرج من دبره وقال انه
خلق لا يتماسك لانه اجوف ثم قال للملايكة الذين معه ارايتم ان فضل هذا عليكم
وامرتم بطاعته ماذا تصنعون قالوا نطيع امر ربنا فقال ابليس فى نفسه
والله لين سلطت عليه لاهلكنه ولين سلط على لاعصينه قال الله تعالى
واعلم ما تبدون يعنى الملايكة من الطاعة وما كنتم تكتمون يعنى ابليس من
المعصية وقال البيضاوى استحضار لقوله اعلم ما لا تعلمون لكنه جاء به على وجه
ابسط ليكون كالحجة عليه فانه تعالى لما علم ما خفى عليهم من امور السموات
والارض وما ظهر لهم من احوالهم الظاهرة والباطنة علم ما لا يعلمون وفيه
تعريض بمعاتبتهم على ترك الاولى وهو ان يتوقفوا مترصدين لان يبين لهم
واعلم ان هذه الايات تدل على شرف الانسان ومزية العلم وفضله على العبادة
وانه شرط فى الخلافة بل العمدة فيها وان التعليم يصح اسناده الى الله تعالى وان
لم يصح اطلاق المعلم عليه لاختصاصه بمن يحترف به وان اللغات توقيفية
فان الاسما تدل على الالفاظ بخصوص او عموم وتعليمها ظاهر فى القايها على المتعلم
مبينا له معانيها وذلك يستدعى سابقة وضع والاصل ينفى ان يكون ذلك الوضع
الوضع ممن كان قبل ادم فيكون من الله وان مفهوم الحكمة زايد على مفهوم
العلم والا لتكرر قوله انك انت العليم الحكيم وان علوم الملايكة وكمالاتهم
تقبل الزيادة وانه تعالى يعلم الاشيا قبل حدوثها الاية الثانية من سورة
البقرة ايضا وهى قوله تعالى يوتى اى الله تعالى الحكمة من يشا من عباده وهى
تحقيق العلم واتقان العمل قاله البيضاوى وقال الواحدى قال ابن عباس

والمفسرون يعنى القران والفهم فيه وقيل الورع وقال البغوى قال السدى هى النبوة وقال ابن
عباس وقتادة علم القران ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله
وحرامه وامثاله وقال الضحاك القران والفهم فيه وقال فى القران مائة وتسع ايات ناسخة
ومنسوخة والف اية حلال وحرام لا يسع المومنين تركهن حتى يعلمهن وقال مجاهد هى
القران والعلم والفقه وروى ابن نجيح عنه الاصابة فى القول والفعل وقال ابراهيم
النخعى معرفة معانى الاشيا وفهمها وقال الخازن حاصل هذه الاقوال الى شيئين
العلم والاصابة فيه ومعرفة الاشيا بذواتها واصل الحكمة المنع ومنه حكمة الدابة
لانها تمنعها ومن يوت اى يوتيه الله بمحض فضله الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا تنكيره
للتعظيم وفى حقايق القران لابى عبد الرحمن السلمى قال بعضهم الحكمة العلم اللدنى وقيل الحكمة
اشارة لا علة فيها وقيل الحكمة اشهاد الحق على جميع الاحوال وقيل الحكمة تجريد السر
لورود الالهام وقال ابو عثمان الحكمة هى النور المفرق بين الالهام والوسواس سمعت
منصور بن عبد الله يقول سمعت الكتانى يقول ان الله بعث الرسل بالنصح لانفس
خلقه وانزل الكتاب لتثبتة قلوبهم وانزل الحكمة لسكون ارواحهم فالرسول
داع الى امره والكتاب داع الى احكامه والحكمة مشيرة الى فضله وقال القاسم
الحكمة ان يحكم عليك خاطر الحق ولا تحكم عليك شهوتك وقيل يوتى الحكمة من يشاء
الفهم فى كتاب الله ومن اوتى فهم كتابه اعطى حظا عظيما من قربه قاله ابن عطا وقيل
الحكمة الخشية الاية الثالثة من سورة ال عمران وهى قوله تعالى وما يعلم تاويله
الذى يجب ان يحمل عليه الا الله والراسخون فى العلم اى الذين ثبتوا وتمكنوا فيه ومن
وقف على الا الله فسر المتشابه بما استاثر الله بعلمه كمدة بقا الدنيا ووقت قيام
الساعة وخواص الاعداد كعدد الزبانية بما دل القاطع على ان ظاهره غير
مراد ولم يدل على ما هو المراد يقولون امنا به استينا فموضح لحال الراسخين اوحال
منهم كل من عند ربنا اى كل من المتشابه والمحكم من عنده قاله البيضاوى وقال البيضاوى
الواحدى وما يعلم تاويله الا الله يريد ما يعلم انقضا ملك امة محمد صلى الله عليه وسلم
الا الله لان انقضا ملك هذه الامة مع قيام الساعة ولا يعلم ذلك ملك مقرب ولا نبى
مرسل ثم ابتدا فقال والراسخون فى العلم اى الثابتون فيه والرسوخ الثبوت فى الشيء
وعند اكثر المفسرين المراد بالراسخين علما مومنى اهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام
قال ابن عباس بقولهم امنا به سماهم الله راسخين فى العلم فرسوخهم فى العلم قولهم
امنا به اى بالمتشابه كل من عند ربنا المحكم والمتشابه الناسخ والمنسوخ وما
علمناه وما لم نعلمه قال ابن عباس نزل القران على اربعة اوجه فوجه حلال وحرام

لا يسع

لا يسع احدا جهالتهما ووجه عربى يعرفه العرب ووجه تاويل يعلمه العلما ووجه
تاويل لا يعلمه الا الله فمن انتحل فيه علما فقد كذب معنى انتحل اى ادعى باطلا وقال
البغوى اختلف العلماء فى نظم هذه الاية فقال قوم الواو فى قوله والراسخون واو
العطف يعنى ان تاويل المتشابه يعلمه الله ويعلمه الراسخون فى العلم وهم مع علمهم
يقولون امنا به وهذا قول مجاهد والربيع وعلى هذا يكون قوله يقولون حالا ومعناه
والراسخون فى العلم قايلين امنا به وروى عن ابن عباس انه كان يقول فى هذه
الاية انا من الراسخين فى العلم وعن مجاهد انا ممن يعلم تاويله وذهب الاكثرون
الى ان الواو فى قوله والراسخون واو الاستيناف وتم الكلام عند قوله وما يعلم تاويله
الا الله وهو قول ابى بن كعب وعايشة وعروة بن الزبير ورواية طاوس عن
ابن عباس وبه قال الحسن واكثر التابعين واختاره الكسائى والفرا والاخفش
وقالوا لا يعلم تاويل المتشابه الا الله ويجوز ان يكون للقران تاويل استاثر الله بعلمه
لم يطلع عليه احد من خلقه كما استاثر بعلم الساعة ووقت طلوع الشمس من مغرب
وخروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام ونحو هذا والخلق متعبدون فى المتشابه
بالايمان به وفى المحكم بالايمان به والعمل ومما يصدق ذلك قراة عبد الله ان تاويله الا
عند الله والراسخون فى العلم يقولون امنا به وفى قراة ابى ويقول الراسخون فى العلم امنا به
قال عمر بن عبد العزيز فى هذه الاية انتهى علم الراسخين فى العلم بتاويل القران الى ان قالوا
امنا به كل من عند ربنا وهذا القول اقيس فى العربية واشبه بظاهر الاية والراسخون
فى العلم الداخلون فيه وهم الذين اتقنوا علمهم بحيث لا يدخل فى معرفتهم شك واصله
من رسوخ الشيء فى الشيء وهو ثبوته يقال رسخ الايمان فى قلب فلان يرسخ رسخا
ورسوخا وسيل مالك بن انس عن الراسخين فى العلم قال العالم العامل بما علم المتبع
له وقيل الراسخ فى العلم من وجد فى علمه اربعة اشيا التقوى بينه وبين الله والتواضع
بينه وبين الخلق والزهد بينه وبين الدنيا والمجاهدة بينه وبين نفسه وما
يذكر يتعظ بما فى القران الا اولوا الالباب ذووا العقول قال الخازن وهذا ثنا من الله
عز وجل على الذين قالوا امنا به كل من عند ربنا وقال البيضاوى مدح الراسخين
بجودة الذهن وحسن النظر واشارة الى ما استعدوا به للاهتدا الى تاويله وهو
تجرد العقل عن غواشى الحس الاية الرابعة من سورة ال عمران ايضا وهى قوله تعالى شهد
الله انه لا اله الا هو بين وحدانيته بنصب الدلايل الدالة عليها وانزال الايات الناطقة
بها قاله البيضاوى وقال البغوى قيل نزلت هذه الاية فى نصارى نجران فقال الكلبى قدم
حبران من احبار الشام على النبى صلى الله عليه وسلم فلما ابصرا المدينة قال احدهما لصاحبه

ما اشبه بهذه المدينة بصفة مدينة النبي الذي يخرج في اخر الزمان فلما دخلا عليه عرفاه
بالصفة فقالا له انت محمد قال نعم قالا وانت احمد قال انا محمد واحمد قالا فانا نسألك
عن شيء فان اخبرتنا به امنا بك وصدقناك قال سلا قالا اخبرنا عن اعظم شهادة في كتاب الله
تعالى فانزل الله هذه الاية فاسلم الرجلان شهد الله اي بين الله لان الشهادة تبيين
وقال مجاهد حكم الله و قيل اعلم الله انه لا اله الا هو قال ابن عباس خلق الله الارواح قبل
الاجساد باربعة الاف سنة وخلق الارزاق قبل الارواح باربعة الاف سنة فشهد
لنفسه بنفسه قبل ان خلق الخلق حين كان ولم يكن سما ولا ارض ولا بر ولا بحر
والملايكة اي وشهدت الملايكة قيل معنى شهادة الله الاخبار والاعلام ومعنى شهادة
الملايكة والمومنين الاقرار واولوا العلم يعني الانبيا عليهم السلام وقال ابن كيسان يعني
المهاجرين والانصار وقال مقاتل علما مومني اهل الكتاب عبد الله بن سلام واصحابه
وقال السدي والكلبي يعني علما المومنين قايما بالقسط مقيما للعدل في قسمه وحكمه
وانتصابه على الحال من الله ذكره البيضاوي وقال البغوي اي قايم بتدبير الخلق كما
يقال فلان قايم بامر فلان اي مدبر له ومتعهد لاسبابه قايم بحق فلان اي مجازله فالله
جل ذكره مدبر رازق مجاز بالاعمال الاية الخامسة من سورة ال عمران ايضا وهي قوله
تعالى ولكن كونوا ربانيين جمع رباني وهو المنسوب الى الرب بزيادة الالف والنون
كاللحياني والرقباني وهو الكامل في العلم والعمل قاله البيضاوي وقال الواحدي
اي معلمين وقيل فقها علما حلما فالرباني المنسوب الى الرب على معنى التخصيص بعلم الرب
اي بعلم الشريعة وصفات الرب وقال المبرد الربانيون ارباب العلم وقيل الرباني الذي
يرب العلم ويرب الناس اي يعلمهم ويصلحهم وعلى هذا القول الرباني من الرب الذي هو
بمعنى التربية وقال البغوي اختلفوا في الرباني قال علي وابن عباس والحسن كونوا فقها علما
وقال قتادة حلما علما وقال سعيد بن جبير العالم الذي يعمل بعمله وعن سعيد بن جبير
عن ابن عباس فقها معلمين وقيل الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره وقال
عطا علما حكما نصحا لله في خلقه قال ابو عبيدة سمعت رجلا عالما يقول الرباني العالم
بالحلال والحرام والامر والنهي العارف بانبا الامة ما كان وما يكون وقيل الربانيون فوق
الاحبار والاحبار فوق العلما والربانيون الذين جمعوا مع العلم البصارة بسياسة
الناس قال المورج كونوا ربانيين ربانيين لربكم من الربوبية كان في الاصل ربي فادخلت
الالف للتفخيم ثم ادخلت النون لسكون الالف كما قيل صنعاني وبهراني وقال المبرد
هم ارباب العلم سموا به لانهم يربون العلم ويقومون به ويربون المتعلمين بصغار العلوم
قبل كبارها وكل من قام باصلاح شيء واتمامه فقد ربه يربه واحدها ~~كما قالوا~~ ربان كما قالوا

ربان وعطشان وشعبان وغرثان ثم ضمت اليه يا النسبة وحكى عن علي انه قال هو الذي
يرب علمه بعمله قال محمد بن الحنفية يوم مات ابن عباس اليوم مات رباني هذه الامة وقال
ابو عبد الرحمن السلمي قال الواسطي كونوا ربانيين تملكون الاشيا ولا يملككم شي وقال
جعفر كونوا مستمعين بسمع القلوب وناظرين باعين الغيوب وقال ابن عطا اخرجهم
بهذا الخطاب عما خاطبهم به من العبودية وقيل في قوله كونوا ربانيين جذبهم بهذا
من الافتخار بالطين الى الافتخار بالحق وقال الجنيد اخرجهم من الكون جملة وجذبهم
الى الحق اشارة وقال الشبلي الرباني الذي لا ياخذ العلوم الا من الرب ولا يرجع في بيانه
الا الى الرب عز وجل وقال الحريري كونوا ربانيين اي سامعين من الله تعالى ناطقين
بالله تعالى بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون بسبب كونكم معلمين الكتاب
وبسبب كونكم دارسين له فان فايدة التعليم والتعلم معرفة الحق والخير للاعتقاد
والعمل قاله البيضاوي وقال البغوي بما كنتم اي بما انتم كقوله تعالى من كان في المهد
صبيا اي من هو في المهد وقرا ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي تعلمون بالتشديد
من التعليم وقرا الاخرون بالتخفيف من العلم وبما كنتم تدرسون اي تقراون وقال
وقال الواحدي اي بكونكم عابدين بالكتاب وبكونكم دارسين له وقيل كونوا معلمي
الناس بعلمكم ودرسكم علموا الناس وبينوا لهم ومن قرا تعلمون بالتشديد من التعليم
فالمعنى بكونكم معلمين اي علموا الناس الكتاب وبينوا لهم صفة محمد صلى الله عليه وسلم
وما فيه الحق والصواب حتى تستحقوا هذه الصفة وتكونوا معلمين وقال الخازن
اي كونوا ربانيين بسبب كونكم عالمين ومعلمين وبسبب دراستكم الكتاب فدلت
الاية على ان العلم والتعلم والدراسة يوجب كون الانسان ربانيا فمن اشتغل
بالعلم والتعليم لا بهذا المقصود ضاع علمه وخاب سعيه الاية السادسة من سورة
طه وهي قوله تعالى وقل رب زدني علما اي سل الله زيادة العلم بدل الاستعجال
اي استعجاله صلى الله عليه وسلم في تلقي الوحي من جبريل فان ما اوحي اليك تناله لا محالة
قاله البيضاوي وقال الخازن علما فيه التواضع لله والشكر له والمعنى زدني علما
الى ما علمت فان لك في كل شيء علما وحكمة وقيل ما امر الله رسوله صلى الله عليه وسلم
بطلب الزيادة في شي الا في العلم وكان ابن مسعود اذا قرا هذه الاية قال اللهم زدني
ايمانا ويقينا وقال الشيخ عز الدين ابن عبد السلام زدني علما حفظا وقيل قرانا وقيل
ادبا لان علم الشرع لا يحتاج الى الالتماس او بقصص الانبيا ومنازل الاوليا او بحال امتي
بعدي او صبرا على الطاعة والجهاد لانه يسهل بزيادة العلم وحقيقته العلم بالله لانه
لا يتناهى وقال صلى الله عليه وسلم كل يوم لا ازداد فيه علما بالله تعالى فلا بورك لي في طلوع

شمس ذلك اليوم وقال ابو عبد الرحمن السلمي وقل رب زدني علما قال بعضهم اجعلني
عالما بك جاهلا بما سواك وهو زيادة العلم وقال محمد بن الفضل زدني علما بنفسي
وما تضمره من الشر والمكروه والعذرة فوم بمعونتك في مداواة كل شي منها بدوائها
الاية السابعة من سورة العنكبوت وهي قوله تعالى وتلك الامثال اي الاشيا يعني
امثال القران التي شبه بها احوال كفار هذه الامة باحوال كفار الامم المتقدمة قاله
الخازن نضربها للناس تقريبا لما بعد من افهامهم وما يعقلها الا العالمون الذين
يتدبرون الاشيا على ما ينبغي وعنه عليه السلام انه تلى هذه الاية فقال العالم من عقل
عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه ذكره البيضاوي وقال الشيخ عز الدين ابن
عبد السلام العالمون الموصدون وقال ابو عبد الرحمن السلمي قال سهل اي ولا يثبتها الا
العالمون به وباسمايه وصفاته لانهم علما النسبة والباقون علما المنهج والعالم على
الحقيقة يحجزه علمه عن كل ما لا ينتجه العلم الظاهر الاية الثامنة من سورة الروم
وهي قوله تعالى ان في ذلك اي في اختلاف السنتكم والوانكم كما ذكر في الاية قبله لايات
للعالمين لا يكاد يخفى على عاقل من ملك او انس او جن وقرا حفص بكسر اللام ويؤيده
قوله وما يعقلها الا العالمون قاله البيضاوي الاية التاسعة من سورة فاطر
وهي قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلما اذ شرط الخشية معرفة المخشي
والعلم بصفاته وافعاله فمن كان اعلم به فهو اخشى منه ولذلك قال عليه الصلاة والسلام
اني اخشاكم لله واتقاكم له وتقديم المفعول لان المقصود حصر الفاعلية ولو اخر لانعكس
الامر وقرئ برفع اسم الله ونصب العلما على ان الخشية مستعارة للتعظيم فان
المعظم يكون مهيبا قاله البيضاوي وقال الخازن قال ابن عباس يريد انما يخافني من
خلقي من علم جبروتي وعزتي وسلطاني وقيل عظموه وقدروا قدره وخشوه
حق خشيته ومن ازداد به علما ازداد به خشية وعن عايشة رضي الله عنها
قالت صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم شيا فرخص فيه فتنزه عنه قوم فبلغ
ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فخطب فحمد الله ثم قال ما بال اقوام يتنزهون عن
الشي فوالله اني لاعلمهم بالله واشدهم له خشية قولها فرخص فيه اي لم يشدد فيه
قولها فتنزه اي تباعد عنه وكرهه قوم وعن انس رضي الله عنه قال خطب رسول الله
صلى الله عليه وسلم خطبة ما سمعت مثلها قط فقال لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا
ولبكيتم كثيرا فغطى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم ولهم خنين والخنين
بالخا المعجمة هو البكا مع غنة وانتشاق الصوت من الانف وقال مسروق كفى
بخشية الله علما وكفى بالاغترار بالله جهلا وقال رجل للشعبي افتني ايها العالم

فقال

191

الشعبي انما العالم من خشي الله عز وجل وقال مقاتل اشد الناس خشية اعلمهم به
وقال الربيع بن انس من لم يخش الله فليس بعالم وفي حاشية شيخ زاده على تفسير
البيضاوي في سورة البقرة قال وظاهر قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلما يدل على
انه ليس للجنة اهل الا العلما لان كلمة انما للحصر فهذه الاية تدل على ان خشية الله
تعالى لا تحصل الا للعلما والاية الثانية وهي قوله تعالى ذلك لمن خشي ربه دالة على ان الجنة
لاهل الخشية وكونها لاهل الخشية ينافي كونها لغيرهم فقد مجموع الايتين على انه ليس
لاهل الجنة اهل الا العلما واعلم ان هذه فيها تخويف شديد وذلك لانه ثبت ان
الخشية من الله تعالى من لوازم العلم بالله فعند عدم الخشية يلزم عدم العلم
بالله وهذه الدقيقة تنبهك على ان العلم الذي هو سبب القرب من الله تعالى هو
الذي يورث الخشية وان انواع المجادلات وان دقت وعظمت اذا خلت عن افادة
الخشية كانت من العلم المذموم وفي حاشية الشيخ جمال خليفة على البيضاوي
انما يخشى الله من عباده العلما اي العلما بالله دون غيرهم وهم الذين علموه تعالى بجلال ذاته
وكمال صفاته وقوة افعاله وعلموه انه كم اهلك من عباده ولم يبال وسينتقم من كثير من العباد
يوم القيمة ولا يبال وما يقال من الاية تدل على ان الخشية في العلما ولا تدل على ان كل عالم فيه
خشية مدفوع بان ماخذ الاشتقاق يفيد العلية وفي الكشاف في سورة النازعات لان الخشية
لا تكون الا بالمعرفة قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلما اي العلما به وذكر الخشية لانها
ملاك الامور من خشي الله اتى منه كل خير ومن امن اجترأ على كل شر ومنه قوله عليه السلام من
خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل الا دلاج السير اول الليل وفي حاشية جمال خليفة ايضا عند
قوله تعالى وهم من خشيته مشفقون خص بذلك العلما قال تعالى انما يخشى الله من عباده
العلما يعني لكون الخشية مشتملة على معنى التعظيم خص بها العلما وقصرها فيهم بانها لان
التعظيم يصدر بعد معرفة قدر الشي وعظمه فالعلما هم العالمون بجلال الله وجماله
وعظمته وكماله فمن ذلك علم ان العلما من هم ومن يقال له عالم وقال الشيخ عز الدين ابن
عبد السلام في تفسيره العالم بالله يسلم له حاله فمن اقتفاه في حاله زل والعالم بامر الله
يقلد في قاله فمن احتذاه في فعاله ذل والجامع لهما عز مناله فمن انتشاه في كماله جل
الاية العاشرة من سورة الزمر وهي قوله تعالى قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون
نفي لاستوا الفريقين باعتبار القوة العلمية على وجه ابلغ لمزيد فضل قاله البيضاوي
وقال الخازن يعلمون اي ما وعد الله من الثواب والعقاب وقيل الذين يعلمون عمار واصحابه
والذين لا يعلمون ابو حذيفة المخزومي وقال الشيخ عز الدين ابن عبد السلام الذين يعلمون
انهم ملاقوا ربهم او يعلمون فيعلمون يعني غيرهم او يعلمون ما لهم في الطاعة وعليهم

في المعصية وعكسها مفهوم نزلت في عمار وابي حذيفة بن المغيرة الاية الحادية عشر من سورة
المجادلة وهي قوله تعالى يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات بالنصر وحسن
الذكر في الدنيا وايوايهم غرف الجنان في الاخرة ذكره البيضاوي وقال الشيخ عز الدين يرفع
الله الذين امنوا بعلمهم وايمانهم في الاخرة او في الدنيا اي تفاوت المنازل على مقدار تفاوت الدرجات
والذين اوتوا العلم درجات ويرفع العلما منهم خاصة درجات بما جمعوا من العلم والعمل
فان العلم مع علو درجته يقتضي العمل المقرون به مزيد رفعة ولذلك يقتدى بالعالم
في افعاله ولا يقتدى بغيره وفي الحديث فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على ساير
الكواكب ذكره البيضاوي وقال الخازن اي يرفع الذين اوتوا العلم من المومنين بفضل علمهم
وسبقهم درجات على من سواهم في الجنة وقيل يقال للمومن الذي ليس بعالم اذا انتهى الى
باب الجنة ادخل ويقال للعالم قف واشفع للناس قال الحسن قرا ابن مسعود وقال يا ايها
الناس افهموا هذه الاية لترغبكم في العلم فان الله يقول يرفع المومن العالم فوق الذي ليس
بعالم درجات وقيل ان العالم يحصل له بعلمه من المنزلة والرفعة ما لا يحصل لغيره
لانه يقتدى بالعالم في اقواله وافعاله كلها وعن معاوية بن ابي سفيان قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وعن ابن عباس مثله اخرجه
الترمذي وروى البغوي بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم مر بمجلسين في مسجده مجلس يدعون الله ويرغبون اليه والاخر يتعلمون
الفقه ويعلمونه ويرغبون اليه فقال كلا المجلسين على خير واحدهما افضل من صاحبه اما
هولا فيدعون الله ويرغبون اليه واما هولا فيتعلمون الفقه ويعلمون الجاهل فهولا افضل
انما بعثت معلما ثم جلس فيهم الاخبار اي هذه الاخبار الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
في فضيلة العلم وهي ثلاثة عشر حديثا الحديث الاول د ت يعني روى ابو داود والترمذي
باسنادهما عن كثير بن قيس رضي الله عنه انه قدم رجل من المدينة المنورة على ابي الدردا رضي الله عنه
وهو يومئذ بدمشق الشام فقال له ابو الدردا ما اقدمك يعني اي شيء كان سبب قدومك
يا اخي قال اقدمني حديث بلغني انك تحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ابو
الدردا اما جيت لحاجة غير هذا قال لا قال اما قدمت من بلدك لتجارة قال لا قال يعني الرجل
ما جيت الا في طلب هذا الحديث اي في سماعه منك قال ابو الدرداء فاني قد سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول من سلك طريقا سوا كان مسافرا ودون مدة السفر ولو في مصر او قرية
ولو خطوة او خطوتين يبتغي اي يطلب ويقصد فيه اي في سلوكه ذلك علما نافعا كعلم معرفة الله
تعالى على مذهب اهل الحق من العارفين والعلما اهل الورع والدين وعلم الكتاب والسنة وعلم
الشرايع والاحكام والعلوم الموصلة الى فهم الكتاب والسنة بنية فهم ذلك بها لا العلم المحض

كعلم الكلام

كعلم الكلام للمجادلة وعلم الشرايع للمباهاة ونحوها والعلوم الموصلة للمقصود لا بنية الوصول
كعلوم العربية لذاتها فان الاشتغال بها لذاتها قاطع عن الاهم وموجب للغي وورود دعوى العلم
مع الجهل بالمقصود سلك الله تعالى به اي بذلك العبد طريقا موصلا الى الجنة وهو ذلك الطريق الذي
سلكه فانه يصل بسبب سلوكه فيه الى دخول الجنة في يوم القيمة لكثرة ما يحصل له من الثواب
الجزيل والاجر الجليل وان الملايكة يعني الحفظة الموكلين بالعبد او اعم منهم لتضع اي ترسل
عن الطيران اجنحتها كما قال تعالى جاعل الملايكة رسلا اولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع وذلك كناية
عن عدم فرارها منه او تواضعها له او سيره بالها ما او بسط اجنحتها بمسها ليمسها با قدامه
تبركا به وفيه اشارة الى فرار الشياطين عنه اذ لا يجتمع الشيطان والملك في الاستيلا والحضور
وقال النجم الغزي في حسن التنبه في التشبه ان معنى بسط اجنحة الملايكة التلطف
وارادة الخير ودفع السوء وفي حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يوما ونحن عنده طوبى للشام ان ملايكة الرحمن باسطة اجنحتها عليه رواه
الامام احمد والترمذي وصححه هو وابن حبان والحاكم رضى اي لاجل رضا بها لطالب العلم
النافع كما ذكرنا وان العالم بالعلم النافع ليستغفر اي يطلب من الله تعالى المغفرة
له جميع من في السموات والارض من الملايكة وغيرهم من الحيوان والنبات والجماد
حتى الحيتان جمع حوت وهو السمك في الماء وفي رواية يستغفر له كل شيء وحتى
الحيتان في البحر قال الحليمي يحتمل ان معنى استغفارهم له ان يكتب الله له بعدد كل
من انواع الحيوانات الارضية استغفارة مستجابة وحكمته ان صلاح العالم منوط
بالعالم اذ بالعلم يدري ان الطير لا يوذى ولا يقتل الا لاكله ولا يذبح ما لا يوكل لحمه
ولا يعذب طير ولا غيره بجوع ولا ظما ولا يجلس في حر ولا برد لا يطيقه وان قرار
الحيتان البحر في الما اذا لم تكن اليها حاجة واجب وانه لا يجوز التلهي باخراجها
من الماء والنظر الى اضطرابها من غير قصد اكلها واذا اصيدت للاكل يجب الصبر
عليها لتموت ولا يجوز فتحها بعصى وحجر الى غير ذلك ذكره المناوي في شرح الجامع الصغير
وفضل العالم بالعلم النافع مع العمل به على العابد اي العامل من غير علم بمجرد توفيق الله تعالى
له الى تصحيح العمل بلا علم كما قدمناه اذ لو بطل عمله لم يكن عابدا فلا فضيلة له اصلا كفضل
القمر المشرق نوره في ظلمة الليل على ساير اي بقية الكواكب اي النجوم التي في السما فانها لها
نور ولكنه لا يظهر مع ظهور نور القمر فكذلك العابد الموفق للعبادة نور عمل صالح ولكنه
لا يظهر مع ظهور نور العالم العامل بعلمه فانه عابد وزيادة ان العلما بالعلم النافع العاملين
بعلمهم لانهم الموفقون للاعمال الصالحة دون الخزولين الذين علمهم حجة عليهم ورثة
جمع وارث فحظهم من العلم على قدر قربهم بالمتابعة الانبيا فانهم عليهم السلام كانوا

عالمين للعلوم النافعة الشرعية عاملين بها في الفرايض والنوافل فكذلك اتباعهم قال
المناوى في شرح الجامع الصغير في حديث العلما مصابيح الارض وخلفا الانبيا وورثتي
وورثة الانبيا وما سماهم ورثة الانبيا الا لمداناتهم لهم في الشرف والمنزلة لانهم
القوام بما بعثوا من اجله كذا في الكشاف ومعجزات الانبيا عليهم السلام ضربان احدهما
الوحي بواسطة الملك والثاني خرق العوايد كانقلاب العصا حية وفلق البحر واحيا
الموتى ونبع الماء من بين الاصابع وافضل الناس من ورث منهم الامرين جميعا
فورثوا في مقابلة الوحي الالهام والعلوم وتبيين ما اتت به الانبيا عليهم السلام
من الكتب بما جعل في قلوبهم من النور وورثوا في مقابلة الخوارق والايات الكرامات
وبذلك سموا ابدال النبيين لانهم بدل منهم قال بعضهم ومن ولي هذا المنصب فارتقى من
مقام الولاية الى مقام الوراثة عظمت عداوة الجهال له لعلمهم بقبيح افعالهم وقصورهم
عن معارج رتب الكمال وانكارهم لما وافق الهوى من اعمالهم انتهى ومن هنا خوض السفلة
ورعاع المتفقهة في حق الشيخ الاكبر محي الدين ابن العربي والشيخ شرف الدين
ابن الفارض والعفيف التلمساني وابن سبعين ونحوهم بما لا يجوز فهو الفقيه المحجوب
يحجب عالم الخلق عن اسرار عالم الامر الذي هو كلمح البصر وخاضوا في فهم كلماتهم بما هم
محجوبون منه وافتروا عليهم في نسبة المعاني الفاسدة التي تخالف الشريعة اليهم
وسووا بينهم وبين الباطنية والزنادقة والملحدين ولم يقدروا من كثرة جهلهم وشدة
عباوتهم مع دعواهم العلم ان يفرقوا بين كلام الكفار فوسوسوا في صدور عامة
المومنين الذين هم خير منهم وافسدوا عليهم اعتقادهم في اوليا الله تعالى وحرموهم
التماس بركاتهم واوقعوهم في الانكار عليهم وعرضوهم لغضب الله تعالى وحرمانه
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ان الانبيا عليهم السلام لم يورثوا دينارا ولا درهما
انما ورثوا العلم النافع وحده فمن اخذ به اي تعلمه فقد اخذ بحظ وافر اي نصيب وافر
اي زايد من الكمال والمدد الالهي قال المناوى في شرح الجامع الصغير يعني ان جميع الانبيا
عليهم السلام لم يورثوا شيا من الدنيا لعدم صرفهم هممهم الى اكتسابها واعراضهم عن الجمع
والادخار واشتغالهم بما يوصل الى دار القرار لكن لا ينتقل الشي الى الوارث الا بالصفة
التي كانت كان عليها عند المورث قال الغزالي لا يكون العالم وارثا لنبيه الا اذا اطلع على
جميع معاني الشريعة حتى لا يكون بينه وبينه الا درجة النبوة وهي الفارقة بين الوارث
والمورث اذ المورث هو الذي حصل المال له واشتغل بتحصيله واقتدر عليه والوارث
هو الذي لم يحصله لكن انتقل اليه وتلقاه عنه الحديث الثاني طب يعني روى الطبراني
باسناده عن ابن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

افضل

افضل العبادة التي يعبد الله تعالى بها الفقه اي الفهم في دين الله تعالى وهو معرفة النفس
ما لها وما عليها اعتقادا وعملا وغلب في عرف المتاخرين على معرفة الاحكام العملية
عن ادلتها التفصيلية وافضل الدين اي الشرع المحمدي الورع وهو ترك المشتبهات ما
يحتمل ان يكون حراما او مكروها مما ينقبض منه قلب المومن زيادة على ترك المحرمات
والمكروهات الحديث الثالث طط يعني روى الطبراني في الاوسط باسناده عن عبد الله
ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال قليل العلم النافع مع العمل به
والاخلاص فيه خير من كثير العبادة الموفق صاحبها لها على وجه الصحة من دون علم
فان العالم العامل صاحب فضيلتين والعامل الموفق صاحب فضيلة واحدة فهو دون
الاول الحديث الرابع طط يعني روى الطبراني ايضا في الاوسط باسناده عن ابن عباس
رضي الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جا اي حضر اجله اي وقت
موته وهو يطلب العلم النافع يقصد العمل به لقي الله تعالى في يوم القيمة كما ورد في
خبر اخر ان الله تعالى يقيض له في قبره من يعلمه ولم يكن بينه وبين النبيين الا درجة
النبوة فان النبوة وهبية لا كسبية وقد انسد بابها وما بقي الا الولاية وهي تحصيل العلم
النافع والعمل به ثم حصول علوم الالهام ببركة الاخلاص في العمل كما قال تعالى واتقوا
الله ويعلمكم الله فاذا مات طالب ذلك قبل تحصيل مقصوده لا يحشره الله تعالى يوم القيمة
الا من اعلى العلما الحديث الخامس طك يعني روى الطبراني في الكبير باسناده عن ثعلبة
انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى للعلما العاملين المخلصين يوم
القيمة اذا قعد سبحانه وتعالى اي انكشف للخلق متجليا على كرسيه الذي وسع السموات
والارض من غير كيفية ولا استقرار لانه تعالى ليس بجسم ولا عرض لفصل عباده اي قطع
الخصومات بين بعضهم بعضا لظهور فضله تعالى عليهم وعدله فيهم اني لم اجعل علمي
اي علمكم بي وباحكامي وحكمي وحلمي اي تخلقكم باخلاقي كما ورد تخلقوا باخلاق الله وفي حديث
الجامع الصغير ان لله تعالى مائة خلق وسبعة عشر خلقا من اتاه بخلق منها دخل
الجنة فيكم الا وانا اريد ان اغفر لكم جميع ذنوبكم فلا اواخذكم بذنب منها ولا ابالي بذلك
اي لا اهتم به لسهولته علي الحديث السادس صف يعني روى الاصفهاني باسناده الى ابي
امامة رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجا بالبنا للمفعول والمراد
يوم القيمة بالعالم العامل المخلص في عمله والعابد الموفق للعمل الصالح مع الاخلاص
بلا علم فيقال للعابد المذكور ادخل الجنة لان نفعه قاصر عليه فادخله الجنة ويقال
للعالم المذكور قف حتى تشفع للناس لان نفعه متعدي الى غيره فهو ينفع نفسه وغيره
في الدنيا فينفع نفسه وغيره كذلك في الاخرة الحديث السابع صف يعني روى الاصفهاني

ايضا باسناده عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما انه قال قال النبي صلى الله
عليه وسلم فضل العالم المذكور على العابد المذكور سبعون درجة ما بين كل درجتين
حضر بضم الحا المهملة وسكون الضاد المعجمة الفرس وهو ارتفاعها في العدو وكالاحضار
والفرس محضير لا محضار او لغة كذا في القاموس سبعين عاما ولعل السبعين في
الموضعين للتكثير لا للعقد كما في قوله تعالى ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله
لهم وذلك اي سبب فضيلة العالم على العابد لان الشيطان يبتدع البدعة للناس اضلالا
لهم بها بان يوقعها في قلب احد من الغافلين ويزين لهم عملها ويغطي عليه قبحها فيبصرها
العالم بنور علمه النافع وعمله الصالح فينهى عنها فينفع بذلك نفسه وغيره والعابد
الموفق بلا علم مقبل على عبادة ربه مشتغل بها لا يتوجه اليها اي الى تلك البدعة فلا يعرفها
لينتهي عنها وان عرفها بنور عمله الصالح فانتهى عنها هو في نفسه فانه لا يتفرغ لينهى
عنها غيره فنفعه قاصر عليه لا يتعدى الى غيره الحديث الثامن قطن هق يعني
روى الدارقطني والبيهقي باسنادهما عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
ما عبد بالبنا للمفعول اي ما عبد الله تعالى احد بشيء من انواع العبادات في ظاهره وباطنه
افضل من فقه اي فهم في دين الله تعالى مع العمل بذلك والاخلاص فيه ولفقيه اي والله
لفقيه والفقيه هو العالم باحكام الله تعالى عليه وعلى غيره في الظاهر والباطن العامل
بعلمه المخلص فيه واحد فكيف باثنين فاكثر اشد اي اكثر امتناعا وتباعدا على
الشيطان الذي يريد اغواءه واضلاله من امتناع وتباعد الف عابد الف عابد موفق
للعمل الصالح بلا فقه ولا فهم لان معه اي الفقيه نور العلم زيادة على نور العمل الصالح
فله نوران فهو اكثر امتناعا واحتما من ظلمة الشيطان ممن لهم نور واحد وهم العابدون
المنورون بالعمل الصالح ولكل شيء عماد اي عمود يرتفع بنيانه به ويعتمد عليه وعماد
الدين اي الشرع المحمدي الفقه اي الفهم في كتاب الله تعالى وسنة رسوله اعتقادا وعملا
وقال ابو هريرة رضي الله عنه والله لان اجلس ساعة وهي جزء من اجزاء الجديدين
والوقت الحاضر والجمع ساعات وساع كذا في القاموس فافقه اي اصير فقيها
فاهما في دين الله تعالى احب الي من ان احيي ليلة القدر اي اقطعها بالتهجد والعبادة مع
ان ليلة القدر خير من الف شهر وفي رواية اخرى ليلة من الليالي الى وقت طلوع الصباح
لان فقه الساعة نور ينتفع به صاحبه بالعمل والاخلاص وغير صاحبه ايضا بالارشاد
والدلالة واحيا الليلة نور ينتفع به صاحبه فقط والامر المتعدي افضل من القاصر
الحديث التاسع ت يعني روى الترمذي باسناده عن ابي امامة رضي الله عنه انه ذكر للنبي
بالبنا للمفعول والذكر بعض الناس لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجلان من اصحابه

احدهما

احدهما عابد اي موفق للعمل الصالح بلا علم والرجل الاخر عالم اي موفق للعمل الصالح مع العلم
النافع فقال عليه الصلاة والسلام فضل اي فضيلة العالم العامل بالاخلاص على العابد الموفق
بلا علم الى العمل بالاخلاص كفضلي اي فضيلة النبي صلى الله عليه وسلم على ادناكم اذ العمل الصالح يجمعهما
ويمتاز النبي صلى الله عليه وسلم بالعلم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه وتعالى وملائكته عليهم السلام واهل السموات من الملائكة
المجردين للعبادة واهل الارض من جميع انواع الحيوانات والنباتات والمعادن والانس
والجن حتى النملة الكائنة في جحرها بضم الجيم وبالحا المهملة قال في القاموس الجحر
بالضم كل حفرة تحتفره الهوام والسباع لانفسها والحيتان جمع حوت وهو السمك في
البحر يصلون اي يدعون له ويستغفرون ويثنون على معلم الناس من المومنين
والكافرين الخير اي الخير الطاعة بامتثال الاوامر واجتناب النواهي قطعا او ظنا
بالخطاب او بالكتاب اذا كان قصده بذلك التقرب الى الله تعالى لا الى المال والجاه الحديث
العاشر مج يعني روى ابن ماجة باسناده عن عثمان بن عفان رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال يشفع يوم القيمة في المذنبين من المسلمين الانبيا عليهم
السلام لانهم الاصل في ارشاد الناس وتعليمهم الخير فهم اول شافع في المبتلين بالمعاصي
دون الكفر ثم يشفع بعدهم العلما بالعلم النافع مع العمل الصالح والاخلاص والا كانوا
فاسقين عاصين فيحتاجون الى شفاعة غيرهم فيهم ثم يشفع بعدهم الشهدا جمع
شهيد والشهادة مقام من مقامات القرب الى الله تعالى وتحصل باسباب ظاهرة كالقتل
ظلما ويسمى شهيد الدنيا كما هو مفصل في كتب الفقه واسباب باطنة كالعشق مع العفة
والصبر والموت ببعض الامراض كوجع البطن ونحوه ويسمى شهيد الاخرة على حسب
ما هو مقرر في موضعه وانما تاخر الشهدا عن العلما لانهم انما امتازوا في مقامهم
بالعلما فهم اتباع العلما المذكورين الحديث الحادي عشر طك يعني روى الطبراني
في الكبير باسناده عن معاوية رضي الله عنه انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول يا ايها الناس انما يحصل العلم النافع للعمل به مع الاخلاص بالتعلم اي الدراسة
على المشايخ او السماع منهم بقصد العمل به مع الاخلاص فيه لا بقصد غير ذلك ولهذا
كثير ممن لم يرد في وقت التعلم او السماع العمل بالعلم مع الاخلاص لا يتعلم غير صورة
المسالة ويفوته روحها وسرها وحكمتها ويحرم بركتها ولا يتحقق بشيء منها غير انه
يتخيل بعقله صورتها الظاهرة فقط فتكون عنده قشرة بلا لب فلا يكبر في نفسه العمل
بها حينئذ لانه لم يرد ذلك حين التعلم فتبقى حجة عليه لا له وربما كان تخيله صورتها
سببا لانكاره بها واعتراضه على اهل العمل الصالح من الابرار والمقربين وهو لا يشعر

لا سنيلا الغي ورعلى قلبه وتراكم ظلمات الجهل المركب في نفسه فيضل عن الصراط المستقيم
كما نراه في كثير من متفقهة زماننا وانما الفقه اى الفهم في الدين المحمدى اعتقادا وعملا
بالتفقه اى لمى التفهم بقوة نوع الخشوع والاخلاص والتقوى لا التفكر والتامل بالنفس
المدعية الاستقلال باطنا لتراكم ظلمات الغفلة والغرور والدعاوى الباطلة مع الاصرار
على بغض الصالحين واحتقار مقامات المقربين فان ذلك التفكر لا ينتج الا الضلال
والغى والطمس والعمى ومن يرد الله تعالى به خيرا من خيور الدنيا والاخرة يفقهه
اى يفهمه سبحانه وتعالى بمحض فضله عليه في علوم الدين اى الشريعة المحمدية واسند
هنا التفقيه الى الله تعالى وقبله التفقه الى النفس لان النفس اذا تفقهت بنور
الخشوع والاخلاص متبراة من حولها وقوتها كما ذكرنا كان الله تعالى هو الذى يفقهها
فيصح الاسنادان وانما يخشى اى يخاف خوف هيبة واجلال لا خوف عقاب فهو خوف
الخواص والثانى خوف العوام ولهذا قال عليه السلام في صهيب الرومى رضى الله عنه
نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه يعنى لو لم يخفه خوف عقاب لم يعصه هيبة
له واجلال فقد نفى عنه خوف العقاب واثبت له خوف الاجلال والارهاب الله
وفى تقديم المفعول اشارة الى الحصر اى لا غيره وفى ضمنه الاهتمام والتعظيم من عباده
الانس والجن والملايكة وغيرهم العلما اى العارفون به سبحانه من حيث ذاته
العلية وصفاته السنية واسماوه القدسية وافعاله البهية واحكامه الفضلية
والعدلية وتقدم الكلام على هذه الاية الحديث الثانى عشر بو بعض روى ابن عبد البر
باسناده عن معاذ رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا يا معشر
المكلفين العلم النافع بنية العمل به مع الاخلاص فان تعلمه كذلك لله تعالى والجار
والمجرور متعلق بقوله خشية اى خشية لله سبحانه لا لغيره كما قال تعالى ولا يخشون
احدا الا الله الاية وطلبه على الوصف الذى ذكرنا عبادة ومذاكرته كذلك بنية افادته
واستفادته للعمل والاخلاص فالفرق بين التعلم والمذاكرة اذا التعلم لمن لا يعلم والمذاكرة
البحث مع من يعلم لسماع من لا يعلم او زيادة فايدة بتقوية في دليل او تثبت من
نسيان تسبيح اى تنزيه وتقديس لله تعالى لانها اما في مسئلة اعتقادية تتعلق
بجناب الله تعالى او عظيم شانه سبحانه او مسئلة عملية تتعلق بجزيل ثوابه
وجليل نعمه او ما يسوق الى شى من ذلك وما عداه فليس من العلم النافع بل من
المضر الذى استعاذ منه النبى صلى الله عليه وسلم بقوله اللهم انى اعوذ بك من علم لا ينفع
والبحث اى التكلم من الجانبين بنية اظهار الحق للعمل به مع الاخلاص عنه اى عن
العلم النافع كما ذكرنا جهاد في النفس وفى الغير من جهة الموصوف بالنية الحسنة فاجره

اجر

اجر المجاهد في سبيل الله تعالى واما من جهة من لم يكن موصوفا بما ذكرنا فهو
جهاد في سبيل الشيطان فهو من حزب الشيطان وحزب الشيطان هم الخاسرون
والمخلص لا يظن سوءا بغيره لان الاصل الكمال في الامة الموثقة بقوله تعالى كنتم خير
امة اخرجت للناس ولا تحيق المكر السيى الا باهله وتعليمه اى العلم النافع لمن لا يعلمه
من الناس صدقة عليه وبذله اى ايراده لاهله المستعدين لقبوله والمتصفين به قربة
اليهم لانه اى العلم المذكور معالم جمع معلم قال في القاموس معلم الشى كمقعد مظنته وما
يستدل به كالعلامة الحلال من الاعتقاد والقول والعمل والحرام كذلك فان الحلال والحرام
مما ذكر لا يعلم الا بالعلم فالعلم علامة على ذلك اى دلالة عليه وبيان له ومنار وهو الجبل وما
يوضع بين الشيئين من الحدود ومحجة الطريق وموضع النور سبل جمع سبيل وهو
الطريق اهل الجنة اى احد الطرق الموصلة الى الجنة لانها تعلم به وهو اى العلم المذكور الانيس
لصاحبه وسامعه في حالة الوحشة والصاحب الملازم للمتعبد في حال الغربة عن الاوطان
او عن الاقران والامثال كما ورد في حديث الجامع الصغير طوبى للغربا قالوا يا رسول الله من
هم قالوا ناس صالحون في اناس سوء كثير من يعصيهم اكثر ممن يطيعهم وفى رواية من يبغضهم
اكثر ممن يحبهم والمحدث اى المنادم لصاحبه فيما بينه وبين نفسه في الخلوة في حالة الانفراد
عن الناس والدليل اى الدال المرشد على السراء اى ما يسر العبد والضراء اى ما يسوءه مما يتعلق
بامور الدنيا والاخرة فيعلم به صاحبه ما ينفعه وما يضره من جميع الامور والسلاح الذى
يقاتل به على الاعداء في الدين بالزام الحجج وابطال المذاهب الباطلة في الدنيا باخماد الحسدة
والمبغضين والزين اى الزينة والحلية والهيبة الحسنة عند لقاء الاخلاء جمع خليل وهم الاصحاب
والاخوان يرفع الله تعالى به اى بالعلم المذكور في الدنيا بالتقدم على غيرهم وفى الاخرة بالمراتب
العالية اقواما وضعه فيهم بمحض فضله عليهم واحسانه اليهم فيجعلهم سبحانه في انواع الخير
قادة جمع قايد اى دعاة اليه يجذبون الناس بسلاسل الحجج والبينات الى نعيم الجنات كما
ورد في حديث الجامع الصغير قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عجب ربنا من قوم يقادون
الى الجنة في السلاسل وفى رواية البخارى عجب الله من قوم يدخلون الجنة في السلاسل وايمة
جمع امام يعنى يقتدى غيرهم بهم ويتابعهم ليصير مثلهم تقتص بالبنا للمفعول وبالصاد
المهملة اى تتبع قال في القاموس قص اثره قصا وقصيصا تتبعه اثارهم في زمانهم بالافواه
او الكتابة وكذلك بعد موتهم كما دونوا اخبار الصالحين الماضيين وذكر واسيرتهم الحسنة
ويقتدى بالبنا للمفعول بفعالهم قال في القاموس فعال كسحاب اسم الفعل الحسن
والكرم او يكون في الخير والشر وهو مخلص لفاعل واحد واذا كان فاعلين فهو فعال بالكسر
وهو ايضا جمع فعل انتهى والمعنى انهم يبينون الدين المحمدى للناس باقوالهم وافعالهم

كما كانت الانبيا عليهم السلام يفعلون كذلك فلو لم يكونوا عاملين بعلومهم لا يقتدى
بافعالهم فيخرجون عن هذا الوصف المذكور وينتهي بالبنا للمفعول اي يتوصل الجاهلون
الى معرفة ارايهم فيقفون عندها ولا يتجاوزونها ان قصروا الفلاح والاراء جمع راى وهو
الاعتقاد ترغب الملايكة عليهم السلام في خلتهم اى محبتهم وصحبتهم فلا يفارقونهم فيلهمونهم
الخير ويحذرونهم من الشر وفي القاموس الخلة بكسر هي الصداقة والاخا والخلة
ايضا الصديق للذكر والانثى والواحد والجمع والخل بالكسر والضم الصديق المختص
او لا يضم الا مع ود يقال كان لى ودا وخلا والخليل الصادق او من اصفا المودة واصحها
وباجنحتها اى الملايكة تمسحهم وهو كناية عن الهامهم ما به ترقى كتايفهم فيطيرون
الى فضا الملكوت الاعلى ليستغفر اى يطلب المغفرة من الله تعالى لهم عن جميع ذنوبهم
كل شى رطب اى روحانى ويابس اى جسمانى والمراد جميع الاشياء وحيتان اى اسماك
البحر وهوامه اى البحر وهى بقية حيوانات البحر وسباع اى وحوش البر بالفتح
ضد البحر وانعامه جمع نعم بالتحريك وقد يسكن عينه وهى الابل والشاء او خاص بالابل
ويجمع على اناعيم كذا في القاموس لان العلم مع العمل به والاخلاص فيه حياة القلوب
من موت الجهل ومصابيح جمع مصباح وهو السراج الابصار جمع بصر يعنى ضياءها
ونورها التى تبصر به من الظلم جمع ظلمة فكل شى يخفى ينكشف بالعلم يبلغ اى يصل العبد
بالعلم الى منازل الاخيار جمع خير قال في القاموس الخير الكثير الخير كالخير ككيس وجمعه
اخيار وخيار او المخففة في الجمال والميسم والمشددة في الدين والصلاح والدرجات
العلا اى الرفيعات في الدنيا والاخرة والتفكر فيه اى في العلم المذكور يعدل ثواب الصيام
لانه امساك عن التفكر في غيره فهو حبس النفس على التفكر فيما يرضى الله تعالى كالصايم
يحبس نفسه عن الاكل والشراب والجماع ومدارسته اى قراته على المشايخ للحفظ والاتقان
ومطالعته للفهم والايقان تعدل ثواب القيام بالتهجد خصوصا اذا كانت في الليل
وقد صفا الذهن وراقت البصيرة به اى بالعلم توصل الارحام بتعليمه لاقاربه واهله
نسا ورجالا فيكون في ذلك صلة رحم لهم وبه يعرف اى يتميز الحلال والحرام من كل اعتقاد
وقول وعمل وهو اى العلم امام العمل لانه متقدم عليه تقدم الامام على المقتدى والعمل
تابعه اى تابع العلم متاخر عنه يلهمه بالبنا للمفعول اى يلهمه الله تعالى السعدا جمع سعيد
وهو من سبقت له الحسنى من الله تعالى فكان من اهل اليمين ويحرمه اى يحرمه الله تعالى
الاشقيا جمع شقى وهو من حقت له الكلمة الازلية انه من اهل النار فكان من اهل الشمال
الحديث الثالث عشر مج يعنى روى ابن ماجة باسناده عن ابى ذر رضى الله عنه انه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا اباذر لان اللام للقسم المقدر تقديره والله لان تغدوا

اى تذهب

اى تذهب في وقت الغدوة وهى بالضم البكرة او ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس كالغداة وغدا
عليه غدوا وغدوة بالضم واغتدا بكر كذا في القاموس فتتعلم بالتشديد وحذف احدى التايين
تخفيفا والاصل تتعلم اية واحدة من القران بنية ان تقراها في الصلاة او في غيرها وتعلمها لغيرك
او لتفهم معناها فتتعظ به او تستنبط منه ان كنت من اهل الاستنباط خير لك عند الله تعالى
من ان تصلى ماية ركعة من النافلة لان نفل الركعات قاصر ونفع تعلم الاية متعدى وقد تقع
فرضا بخلاف النافلة من الصلاة ولان تغدوا اى تذهب بكرة النهار فتتعلم اى فتتعلم بابا اى
نوعا من انواع العلم وفيه اشارة الى ان تعلم طرف من المسئلة لا يكون كذلك ما لم تتم بجميع
اطرافها فلا يبقى منها طرف الا تعلمته كمسئلة صحة الصلاة فانها متوقفة على جميع تعلم
جميع شروطها واركانها بتفاصيل اللحاث في ذلك عمل بالبنا للمفعول اى سوا عمل غيرك
به اى بذلك الباب من العلم الذى تعلمته انت للعمل به مع الاخلاص او لم يعمل بالبنا للمفعول
ايضا اى ترك العمل به غيرك وضعفت رغبة الناس في القيام به خير لك من ان تصلى لله تعالى
الف ركعة من النافلة خصوصا اذا نوبت بتعلم ذلك الباب احيا سنة درستها الناس وتركوا
العمل بها فعملت بها انت لارشادهم الى ذلك وسبقهم الى فعل الخير وحثهم عليه اقوال اى هذه
اقوال الفقها اى علما الاحكام الشرعية في بيان فضيلة العلم قال في كتاب فتاوى الخلاصة سيل
ابوبكر من فقها الحنفية رحمهم الله تعالى عن قراة القران للمتفقهة اى الطالبين لمعرفة الفقه
بقصد العمل به مع الاخلاص هى افضل عند الله تعالى ام درس اى مدارسة بمعنى قراة ومطالعة
علم الفقه قال المسؤل حكى عن ابى مطيع البلخى رحمه الله تعالى انه قال النظر اى التامل والتفهم
في كتب اصحابنا وهى كتب علم الفقه من غير سماع من مدارسة غيره افضل من قيام الليل ولم يقل افضل
من قراة القران احتراما للقران والا فان قراة القران في غير الصلاة مستحبة والنظر في كتب علم الفقه
لاكتساب الفوايد قد يكون فرضا اذا احتاج للعمل المفروض وعن الامام ابى بكر محمد بن الفضل البخارى
رحمه الله تعالى انه سيل عن الفقيه اى المشتغل ليلا ونهارا بمطالعة مسايل الفقه ومراجعة احكام
الشريعة للعمل بها في فرايضه والانتها عن ما نهى عنه ولتعليم غيره هل يترك ذلك ويصلى صلاة التسبيح
المذكورة في كتب الفقه قال في الجواب تلك اى صلاة التسبيح طاعة العامة فانهم لا يقدرون
على طاعة الاشتغال بعلوم الشرايع والاحكام ونشرها وافادتها للتعلم للخاص والعام ولا
شك ان ذلك افضل من صلاة التسبيح لانها نفع قاصر وهو متعدى فقيل له فلان الفقيه وذكر
له اسمه يصلى صلاة التسبيح قال هو عندى محسوب من جملة العامة حيث ترك النفع
المتعدى الى الغير واشتغل بالنفع القاصر على النفس وهى طريقة العوام انتهى ما نقل عن
الخلاصة وفي كتاب التجنيس تاليف الامام الفرغانى مولف الهداية رحمه الله تعالى الرجل اذا
تعلم بعض القران وهو مقدار ما يحتاج اليه بان تعلم قدر الفرض للقراة في الصلاة وذلك اية

طويلة او قصيرة عند ابي حنيفة رضي الله عنه او ثلاث ايات قصار او اية طويلة عندهما حبيبه
رحمهما الله تعالى وتعلم قدر الواجب وهو فاتحة الكتاب ومعها سورة او ثلاث ايات قصار
او اية طويلة وتعلم قدر السنة وهو نحو الاربعين اية من طوال المفصل من الحجرات الى البروج
ونحو العشرين اية من اوساط المفصل من الطارق الى لم يكن وصورة من قصار المفصل
من الزلزلة الى اخر القران ولم يتعلم الكل اى كل القران فان الصحابة رضي الله عنهم لم يكونوا كلهم
يعلمون كل القران وانما غالبهم كان يعلم البعض دون البعض فاذا وجد ذلك الرجل فراغا
بان وجد وقتا خاليا من الاشتغال بالفرايض والواجبات والسنن الموكدات كان حينيذ
تعلم جميع القران له افضل من صلاة التطوع بليل ونهار وذلك لان حفظ القران كله اى تعلم
قراته على ظهر القلب او من المصحف صحيحا مجودا على الامة فرض كفاية اذا قام به البعض
سقط عن الباقين فالسابق بذلك هو الفرض والباقون متنفلون به لكنهم متى سعون الى سقوط
الفرض بالتالى منهم اذا مات السابق او نسي فكان افضل ولان نفعه متعدى بالتعليم بخلاف
صلاة التطوع وتعلم احكام الفقه مقدار ما يهمه منه في عباداته ومعاملاته اولى من ذلك
كله لما فى افتراضه عليه وكذا الزايد على ما يهمه لتعليم غيره انتهى ما نقله عن التجنيس وفيه اى فى التجنيس
ايضا طلب العلم بالدين المحمدى اعتقادا وعملا والفقه اى الفهم والتامل بالاخلاص فى ذلك كله
والعمل به اى بما فقهه من ذلك بالتيقن به فى الاعتقاد واشتغال الجوارح بتعاطيه فى الاعمال
اذا صحت اى قويت وثبتت النية اى قصد القلب على التقرب بذلك كله الى الله تعالى من غير التفات
الى ما سواه اصلا افضل عند الله تعالى من جميع اعمال البر بالكسر اى الخير كنوافل
الصلوات والصيام والصدقة والحج لقوله اى النبي عليه الصلاة والسلام ما عبد بالبنا للمفعول
الله تعالى بشى من العبادات افضل من فقه اى فهم فى الدين المحمدى اعتقادا وعملا بقصد العمل
بذلك مع الاخلاص ولانه اى طلب العلم النافع المذكور اعم نفعا اى من جهة النفع لان نفعه
يرجع اليه اى الى المتعلم المذكور بالعمل به على وجه الاخلاص والى غيره ايضا بتعليم الغير ونفع
غيره اى غير طلب العلم من ساير الاعمال الصالحة يرجع الى العامل بذلك خاصة دون غيره وان كان
فى الاعمال ايضا يرجع الى الغير مثل ثواب العامل اذا ارشد ذلك الغير اليها ودله عليها فان الدليل الدال
على الخير له مثل ثواب فاعله لا ينقص من ثواب فاعله شيا على ما ورد فى الحديث ولكن ذلك الثواب
الذى يحصل للدال اذا عمل المدلول بذلك الخير ثواب غير حاصل له باختياره وربما كان له بعد موته
ايضا زيادة على ثواب الدلالة الاختيارى فليس مثل الثواب الذى يحصل للمتعلم على فعله الاختيارى
فانه مضاعف له دون الاول وقد يكون فرضا فثوابه اكثر على كل حال قال العبد الضعيف
يعنى الامام الفرغانى صاحب التجنيس عصمه اى حفظه الله تعالى من الزلل فى القول
والعمل ورحمه الله تعالى وكذا الاشتغال بالزيادة من العلم النافع مع الاخلاص فيه بعد ما

تعلم العبد قدر ما يحتاج اليه فى اعتقاده وعباداته ومعاملاته افضل
من الاشتغال بنوافل العبادات اذا كان لا يدخل عليه اى على ذلك المشتغل بالزيادة
النقصان فى فرايضه الفعلية كالمفروضات من العبادات والتركية كالاجتناب
عن المحرمات وكذلك فى فعل واجباته وترك مكروهاته التحريمية وفعل سننه
وترك مكروهاته التنزيهية وهو الصحيح من الاقوال لما قلنا من ان نفع ذلك
اعم من غيره وصحة النية المتقدم ذكرها هى ان يطلب العبد به اى بطلب العلم معرفة
ظهور وجه اى ذات الله تعالى الموجودة متوجهة على شيئته الهالكة وكذا شيئية
كل شى وهذا مقام المقربين و يطلب حصول النجاة له من ~~النجاة~~ الله تعالى والنعيم
المقيم فى الدار الاخرة من غير عذاب يسبق وهو مقام الابرار ادنى من الاول ولا ينوى
به اى بطلب العلم المذكورة طلب حصول الدنيا له وهى الاموال وما يتوصل اليه بها من الحظوظ
العاجلة قبل يوم القيمة وقيل اذا اراد ان يصحح نيته فى طلب العلم المذكور ينوى الخروج بالعلم
المذكور من الجهل فى نفسه وينوى منفعة الخلق اى المخلوقات بتعليمهم ذلك والحكم عليهم به
على وجه العدل فى بنى ادم وغيرهم وينوى احيا اى بقاء ذكر العلم النافع فى الارض حتى لا يندرس
فتجهله الناس انتهى ما نقله من التجنيس وفى كتاب بستان العارفين فاذا لم يقدر العبد على
تصحيح النية فى طلب العلم بان كانت حظوظ نفسه غالبة عليه وشهواته متحكمة من قلبه
وحب المال والجاه مقيدا له فالعلم النافع حينيذ افضل له من تركه وان طلبه من غير اخلاص
ولا بنية العمل به لانه فى حالة تركه تجتمع فيه ظلمة حظوظه وشهواته وغفلاته وعدم
اخلاصه مع جهله ايضا بما فيه نجاته من ذلك فتبقى حالته ظلمات بعضها فوق بعض
واما اذا اشتغل مع ذلك بتعلم العلم النافع قلت ظلماته وخفت غفلاته والشر بعضه اهون
من بعض ولانه اى من لم يقدر على ردع نفسه عن السوء فى طلب العلم اذا تعلم العلم النافع فانه
يرجى له ولو بعد حين ان يصحح العلم نيته فيجعلها خالصة لله تعالى قال مجاهد من التابعين
رحمه الله تعالى طلبنا العلم النافع وما لنا فيه كثير من النية الصالحة فى طلبه بل قليل منها لانه غالبا
يكون فى رعونة الشباب وجهل الحداثة ثم رزق الله تعالى قلوبنا بعد ذلك فيه تصحيح النية
وصدق الهمة خصوصا اذا وصل العبد الى سن الشيخوخة وانطفى توقد نيران اماله
انتهى ما نقله من بستان العارفين وفيه اى فى بستان العارفين ايضا قال بعضهم وهو سفيان
الثورى رحمه الله تعالى تعلمنا العلم النافع فى بداية الامر لغير وجه الله تعالى فابى اى امتنع
العلم النافع علينا ان يكون الا لله تعالى فكان فى اخر الامر لوجه الله تعالى غيرة من الله تعالى على العلم
النافع ان يكون على غير وجهه وفى غير اناثه وذلك بان يصرف الله تعالى وجوه الناس عن اعتبار
ذلك العلم فيبقى صاحبه بينهم مهانا فينقطع طمعه فيهم بسبب علمه ذلك فيخلص فيه ونحو ذلك

من الصوارف الجارية على مقتضى الحكمة الالهية والظاهر من قول هذا البعض ان مراده بالعلم
الذى اما ان يكون الا لله تعالى العلوم الزاجرة عن اقتراف الذنوب الظاهرة والباطنة التى فيها قصد
غير وجه الله تعالى كعلوم المواعظ والمناهى والترهيب فان عالمها لا يزال ينظمها بالنية الفاسدة
حتى تصح نيته فيها فى الغالب اذا طال به المدا بدليل قوله اى صاحب بستان العارفين فيما
سبق قريبا حيث قال فانه يرجى ان يصحح العلم نيته ومعلوم ان العلم الذى يصحح
النية هو العلم الزاجر دون غيره واذا اخذ الانسان حظا اى نصيبا وافرا اى كثيرا من علم الفقه
ينبغى اى يستحب له ان لا يقتصر على معرفة علم الفقه فقط ولكن ينظر اى يقرا ويتامل
فى علم الزهد وهو علم التصوف الذى يعرف منه امراض القلب وادويتها لينقطع عنه الاخلاق
المذمومة ويتصف بالاخلاق المحمودة وينظر فى كلام الحكما الالهيين العارفين بالله تعالى
الذين اتاهم الله تعالى الحكمة كما قال سبحانه يوتى الحكمة من يشاء ومن يوت الحكمة فقد اوتى
خيرا كثيرا الاية وهى علوم الالهام والحقايق الالهية لا علوم الفلسفة وحكمة العين
فانها علوم محرمة كما سبق بيانه ومن اجل الحكما الالهيين الشيخ الاكبر محى الدين ابن العربى
والشرف ابن الفارض والعفيف التلمسانى وابن سبعين وغيرهم رضى الله عنهم من
العارفين المحققين فان كلامهم انفع شى للفقيه اذا سلك به فى معرفة اسرار فقهه
ولكن بعد اعتقادهم ومحبتهم ونبذ كلام من تكلم فيهم بسوء من اهل الجهل والغباوة الذين هم
ليسوا على طريقهم ولا يعرفون اصطلاحهم فان من جهل شيا عاداه ولا عبرة بنقل المنكرين عليهم لكلامهم
وزعمهم انهم فهموه لانهم لو فهموه لما ظهر من تقريرهم لها كفرا وضلالا بل كان يظهر ايمانا وتوحيدا
ولكن كل انا بالذى فيه ينضح وانتنهم لما تنجست بكفر الانكار على اولياء الله تعالى وبغضهم
والتعصب عليهم كان كل كلمة من كلام اهل الله تعالى اذا دخلت ذلك الانا النجس تنجست به وكانت
ايمانا فى الانية الطاهرة فصارت كفرا فى الانية النجسة القذرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله
ما يشا ولا قطع عندنا بيقا المنكرين على انكارهم لاحتمال توبتهم قبل الموت فلا طعن فيهم الا بحسب
كلامهم حال صدوره منهم ان صح عنهم انظر الى هذا الامام فى علمى الظاهر والباطن سيد المتاخرين
الشيخ شهاب الدين احمد بن علان الصديقى البكرى المكى النقشبندى رضى الله عنه فانه نقل
فى كتابه شرح حكم العارف بالله تعالى الشيخ ابى مدين التلمسانى قدس الله سره قال دعوى النفس
ينشا من عجبها وهو اشد المهلكات كما شهد بذلك سيد الكاينات حيث قال ثلاث منجيات
وثلاث مهلكات فاما المنجيات فتقوى الله فى السر والعلانية والقول بالحق فى الرضا والسخط
والقصد فى الغنى والفقر واما المهلكات فهوى متبع وشح مطاع واعجاب المرء بنفسه
وهى اشدهن فمن كان عنده اشد المهلكات كيف يتوقع الشفا من ادوية الطاعات فلذلك
قال الشيخ ابو الحسن الشاذلى رضى الله عنه من مات ولم يتوغل فى علمنا هذا مات مصرا

على

مطلب من اجل الحكما الالهيين الشيخ الاكبر محى الدين العربى والشرف بن الفارض

على الكبائر ولقد صدق فيما قال فاى شخص يا اخى يصوم ولا يعجب بنفسه بصومه واى شخص
يصلى ولا يعجب بصلاته وهكذا ساير الطاعات الا ان تحل عليه عناية مولاه بمعرفة اداب الحرمة
من مجالسة اطبا القلوب وحلول عنايتهم عليه حتى تمحق العجب الذى حل به من تلك الطاعات
ولا يعجب بعد ذلك الا بفضل مولاه كما قال فى الحكم العطايية لا تفرحك الطاعة بانها برزت
منك وافرح بها بانها برزت من الله تعالى اليك قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو
خير مما يجمعون فلا تفرح يا اخى ولا تعجب الا بنواله ولا تعجب الا من يعلمك العلوم التى تقربك
الى حضرة كماله وينظر فى شمايل اى اوصاف الصالحين المتقدمين رضى الله عنهم ويتامل
ما كانوا فيه من العلم والعمل والتقوى والورع ويقلدهم فيما يمكنه من ذلك فان الغيث اوله
قطر ثم ينسكب ولا تمانعه الوساوس والياس من السير على سيرهم ولا ينتقد
عليهم ولا يلتفت الى غمز ورمز فيهم ولا طعن طاعن كما لا يلتفت الى طعن الرافضة
والخوارج فى الصحابة والخلفا الموفقين رضى الله عنهم اجمعين والله يهدى من يشا الى صراط
مستقيم فان الانسان اذا تعلم علم الفقه وحده ولم ينظر فى علم الزهد وعلم الحكمة الالهية
وهى علوم مواجيد القوم من الصوفية المحققين كما ذكرنا فما فهمه من ذلك على طبق
الكتاب والسنة حمدهم عليه وما خفى ودق اسلمه لاهله واعترف هو بالقصور فى نفسه
عن فهمه ولو كان من اعلم علما الظاهر فان لكل مجال رجالا وان لكل مقام مقالا ولا يعجب بنفسه
ولا يغتر بعلمه فانه يهلك من حيث لا يشعر قساوة اى عتا وصلب قلبه فكان
كالصخر لا تؤثر فيه المواعظ ولا الحكم وجمدت بصيرته فلا يقدر يفهم بها شيا سوى ظاهر
من الحياة الدنيا وتتسلط عليه بسبب ذلك الوساوس الشيطانية فيقع فى اهل الله تعالى
واوليايه بما هم بريئون منه ويجحد الدين الخالص وطريق التقوى القلبية التى قال الله تعالى
فانها من تقوى القلوب فيهلك فى مهواة من التلف والقلب القاسى الذى لا يلين للحق
بعيد من الله سبحانه مطرود عن ابواب فضله وانعامه انتهى ما نقله من كتاب بستان
العارفين وانما كان هذا المقدار المذكور من النظر فى علم الزهد والحكمة كما بينا مستحبا مما
ينبغى تعلمه للفقيه ولم يكن فرضا عليه لان القلوب البشرية قد تكون مطبوعة على الرقة
واللين والخشوع وسلامة النية وحسن القصد والتواضع والاعتقاد فى كلام الصالحين
والتسليم لهم من غير فهم لكلامهم بلا شك فيهم ولا تردد فيستغنى الفقيه بذلك عن النظر
فى علم الزهد والحكمة ولا يحتاج ان ينظر فيه كما على ذلك غالب العوام ممن لم يجتمع باحد
من المنكرين على احد من الاوليا المحققين او اجتمع بهم ولم يقدروا ان يوسوسوا فى صدره
بحمله على الانكار على احد اصلا وسلمه الله منهم ومن لم يكن مفطورا على ما ذكرنا من سلامة الصدر
والاعتقاد الحسن ونحوه احتاج الى النظر المذكور لعله يوجب له شيا من ذلك فان القلوب

بيد الله تعالى لانه دخل تحت تكليف العبد حتى يصلحها فلا معنى لايجاب ذلك عليه ولكن من
اكثر من استعمال الدواء النافع فلابد ان ينجح له ولو بعض شفاء فالاشتغال به اهم من تركه
والله الموفق وفى الشرعة وشرحها قال ويقتبس يعنى المتعلم من كل فن حظا كافيا لحاجته ولا
يقتصر على البعض وعلى القدر الغير الكافى منها فقد قيل من طلب الله تعالى بعلم الكلام وحده
بلا استعانة بغيره من العلوم تزندق اى انكر الوحدانية واليوم الاخر اذ يغلب على قلبه
حينئذ ادلة المبطلين فلا يقدر ان يخلصه منها فيعتقد على مقتضاها ومن طلب الله بالزهد
وحده بلا شئ من العلوم ابتدع لعدم علمه الطريق المسنون ومن طلب الله تعالى بالفقه وحده
تفسق بان صار خارجا عن الطريق الموصل الى معرفة الله تعالى اذ لا يتخلص من التقليد ولا
يميز ما يصلح القلب مما يفسده من الصفات الباطنة قال ابو الليث رحمه الله تعالى من تعلم علم
الفقه ولم ينظر فى علم الزهد والحكمة يسود قلبه ومن تفنن بان تعلم الفنون تخلص عن
التزندق والابتداع والتفسق ويكون فى طلبه على صرط مستقيم فاذا كان الحال اى الشان
هذا اى قسوة القلب فى علم الفقه وحده مع شرف الفقه مع لانه معرفة الاحكام الشرعية
للعمل بها مع الاخلاص ولا يمكن العمل بها مع الاخلاص الا لصاحب علم الزهد والحكمة
فما ظنك بساير اى بقية العلوم التى هى دون علم الفقه مما هى وسايل اليه غير العلوم
الزاجرة للعبد عن المخالفات كعلوم العربية ونحوها فانها توجب قسوة القلب والبعد
عن الله تعالى بالطريق الاولى لكل من اقتصر عليها فى الاشتغال ولم ينظر فى علم الزهد
والحكمة وفى كتاب التجنيس لصاحب الهداية رجل تفقه اى تعلم الفقه ثم اشتغل بعد
ذلك بالعبادة لله تعالى مع الاخلاص والورع وامتنع بسبب ذلك عن التعليم للناس فان
كان الناس استغنوا عنه بغيره من العلماء المعلمين لغيرهم اجزاه اى كفاه ذلك الغير
عن تعليم الناس لانه فرض كفاية وقد قام به البعض فسقط عن الباقين كما فعل ابو
سليمان داود بن نصير الطاى نسبة الى قبيلة طى فانه تعلم العلم عن ابى حنيفة رضى الله عنه
ثم اشتغل بعد ذلك بالعبادة واعتزل جميع الناس ولم يشتغل بالتعليم لاحد قال
ابو على الدقاق رحمه الله تعالى كان سبب زهد داود انه كان يمر ببغداد يوما فنحاه المطرقون
بين يدى حميد الطوسى فالتفت داود فراى حميدا فقال داود أُفٍّ لدنيا سبقك بها حميد
فلزم البيت واخذ فى الجهد والعبادة وقال بعضهم ان سبب زهده انه كان يجالس ابا
حنيفة رضى الله عنه فقال له ابو حنيفة يوما يا ابا سليمان اما الاداة فقد احكمناها
فقال له داود فاى شئ بقى فقال العمل به فقال داود فنازعتنى نفسى الى العزلة فقلت
لنفسى حتى تجالسهم ولا تتكلم فى مسئلة فجالستهم سنة لا اتكلم فيها فى مسئلة وكانت
المسالة تمر بى وانا الى الكلام فيها اشد نزاعا من العطشان الى الماء ولا اتكلم به ثم صار

امره

امره الى ما صار ذكره القشيرى فى رسالته وكان هذا الامر لداود رحمه الله تعالى لانه اخذ
بالافضل من الاحوال واى كان التعليم للغير افضل عند الله تعالى لان نفعه اوفى اى ازيد من
نفع العابد فلا يكون حينئذ به اى بالاشتغال بالعبادة وترك التعليم باس اى كراهة بل ترك
للافضل فان التعليم مع العبادة من اخلاق النبيين عليهم السلام انتهى ما نقله عن التجنيس
والحاصل ان العبادة المتعدية الى الغير اى التى تتعلق بها صحة عبادة الغير وهى عبادة
التعليم للغير العلم النافع افضل من العبادة القاصرة على نفع العابد بها نفسه لان خير
الناس اكثرهم خيرا من ينفع الناس بالتعليم للخير ثم العبادة المتعدية الى الغير نوعان
نوع اخروى اى منسوب الى الاخرة لتعلقه بالنفع فى الاخرة فقط وهو افضل من جميع
اعمال البر اى الخير والصلاح اذ اى لانه هو عمل الانبيا والمرسلين عليهم السلام فانهم كانوا
يعلمون الناس الشرايع والاديان بعد التوحيد والعقايد ويعلمونهم الاخلاق الحسنة
ويحذرونهم عن الاخلاق السيئة وبه اى بهذا النوع من العبادة المتعدية فضلوا على غيرهم
من جهة العمل وهم افضل من غيرهم بالنبوة قطعا خرج لهم بالتشديد اى اسند ديلمى
يعنى ابا منصور الديلمى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه
قال من تعلم بابا من العلم النافع اى مسلة بتمامها ليعلم الناس ذلك الباب الذى تعلمه وفيه
اشارة الى ان النية الصالحة لابد منها فى ثواب العمل وان المعلم للناس لا يلزم ان يكون عالما
جميع ابواب العلم بل يجوز لمن يعلم بابا من الابواب ان يعلمه لغيره وان الذى علم بعض
المسالة كمن علم شروط الصلاة فقط ولم يعلم اركانها لا ينبغى له ان يعلم غيره حتى يستوفى
علم مسالة الصلاة كلها يعنى ما يهم منها دون جميع فروعها فمسلة الصلاة مثلا باب من
العلم اعطى اى اعطاه الله تعالى من الاجر ثواب سبعين صديقا بكسر الدال المهملة مشددة
يعنى ثواب السبعين غير مضاعف ولهم مضاعف ولعل السبعين للتكثير لا للعدد كما
فى نظايره ولذا قال فى كتاب التجنيس اذا تعلم رجلان علما من العلوم النافعة علم الصلاة
او غيره كعلم الصوم او الزكاة او الحج وكان احدهما يتعلم ذلك العلم ليعلم الناس ما تعلمه
اى بنية ذلك والاخر انما تعلم ليعمل به اى بما تعلمه فالذى يتعلم العلم المذكور ليعلم غيره افضل
من الذى يتعلم ليعمل به هو لنفسه لان منفعته اى يعلم غيره اكثر للناس من منفعة الذى
يتعلم ليعمل به فى نفسه وابلغ اى اعظم فى امر الدين المحمدى لنشره احكام الله تعالى واظهاره
شرايع الاسلام وحماية الحق عن اهل الباطل ونصرة المومنين على اعدايهم من الوساوس
النفسانية والعصبة الشيطانية انتهى ما نقله عن التجنيس ونوع اخر دنيوى اى منسوب
الى الدنيا لحصول الانتفاع به فى الدنيا كالصدقة المفروضة وغيرها فان الذى ياخذها
ينتفع بها فى الدنيا والمعطى ينتفع بها فى الاخرة فهى نفع متعدى دنيوى لا اخروى والنوع

الاول اخروى لانه ينتفع به الذى يتعلم فى الاخرة كما ينتفع المعلم فى الاخرة ايضا والاعانة على
حوايج الدنيا والاخرة فى غير المعصية والدلالة على كل نفع دنيوى او اخروى والشفاعة فى
الخير والصلاح وبنا القناطر من ماله فوق الانهار العظام او فى الطرق الصعبة السلوك
على المارة ونحوها من بنيان السبلانات والسقابات والمساجد والمكاتب وتسوية الطرق
اى الطرق جمع طريق اى ازالة النلعة منها وتنقية الاحجار وقلع الصخور واماطة اى رفع
الاذى كالقمامات والشوك والنجاسات عنها عن الطرق بالنية الخالصة لوجه الله تعالى فى
جميع ذلك والا كان معصية بالريا والسمعة والعجب والمباهاة فهذا النوع الثانى من
العبادة المتعدية متوسط فى الثواب عند الله تعالى بينهما اى بين النوع الاول وبين
العبادة القاصرة فيكون حينيذ دون النوع الاول الذى هو تعليم العلم النافع للغير
فانه افضل من الكل وفوق العبادة القاصرة لتعدى نفعه الى الغير دون العبادة القاصرة
التى هى كالصلاة والصوم فرضا ونفلا والذكر والدعاء ونحو ذلك من ساير العبادات البدنية
فلذا اى لكون العبادة المتعدية افضل من القاصرة كان الاشتغال بامر النكاح اى الوطى
الحلال بعقد او ملك يمين لمن يقدر على ذلك بلا حرج عليه او على المراة وكان الكسب للمال
الحلال من الوجوه الشرعية فيمن تيقن ذلك ويقدر عليه لاجل التصدق بما زاد على
الكفاية افضل من التخلى اى الانقطاع للعبادة والاشتغال بها لان فى النكاح حصول
الذرية الصالحة ولو بالاسلام والايمان واعفاف نفسه وامراته وقطع تشوفهما الى
السوء وفى التصدق سد خلة الفقرا واغنا فاقتهم فعليك يا ايها السالك فى طريق الله تعالى
بالجد اى السعى والاجتهاد والمواظبة من غير فتور فى تحصيل العلم النافع بنية
العمل به مع الاخلاص واترك كل من يفندك عنه ويصرف همتك فى الاشتغال بما لا يعنيك
من فشارات الدنيا وضلالات الغرور واذا علمت ذلك فلا تصغ اى تميل وتلتفت الى
ترهات اى اباطيل جهلة الطايفة المتصوفة فى زماننا هذا وهو عصر التسعمائة
فان الصوفية فى كل زمان فيهم جهلة وفيهم علما عارفون كما ان الفقها كذلك فيهم فسقة
مكبون على اكل الحرام وفيهم صالحون زاهدون وكذلك المفسرون والمحدثون وساير
انواع العلما حتى الجنود والعساكر والملوك والقضا والامرا واهل الاسواق فيهم
الصالحون وغيرهم فى كل زمان والنوع الفاسد منهم هو المذموم فقط دون النوع الصالح
ولا يعمم فى الذم او المدح الا الجاهل يقولون يعنى جهلة المتصوفة العلم حجاب ويعنون
بذلك ان اشتغالهم بالعلم يوجب تركهم الاشتغال بما هم فيه من شهود الله تعالى على
زعمهم ذلك وما عرفوا ان بالعلم يزداد شهودهم وتكمل معرفتهم به سبحانه ويرسخون
فى مقام اليقين ولكنهم نظروا الى كيفية اشتغال اهل الغفلة بالعلم فانهم يشتغلون به

وهم

وهم مصرون على الريا والعجب والكبر والحقد والمنافسة بل على المعاصى والمخالفات
واكل الحرام فحسبوا ان العلم اورثهم ذلك وانما العلم نور ولكن اهل الغفلة هم المتدنسون
باوساخ الذنوب والقبايح ومقالة هولا الجهلة من المتصوفة ليست فى زمان المصنف
رحمه الله تعالى فقط بل فيما قبل ايضا كما ذكر الشيخ الاكبر محى الدين ابن العربى قدس الله سره
فى كتابه مواقع النجوم بعد ان مدح العلم كثيرا ثم قال وانما اكثرنا هذا فى العلم لان فى زماننا قوما
لا يحصى عددهم غلب عليهم الجهل بمقام العلم ولعبت بهم الاهوا حتى قالوا ان العلم حجاب
ولقد صدقوا فى ذلك لو اعتقدوه اى والله حجاب عظيم يحجب القلب عن الغفلة والجهل
واضداده يعنى اضداد العلم من الظن والشك والوهم فما اشرفها من صفة حبانا الله تعالى
بالحظ الوافر منها وكيف لا يفرح بهذه الصفة ويهجر من اجلها الكونان ولها شرف فان
كبيرا ان عظيمان الشرف الواحد ان الله سبحانه وصف بها نفسه والشرف الاخر انه مدح
بها اهل خاصته من انبيايه وملايكته عليهم السلام ثم من علينا سبحانه ولم يزل ما نا بان
جعلنا ورثة انبيايه فيها فقال صلى الله عليه وسلم العلما ورثة الانبيا وانه يعنى العلم يحصل
المعبر بالكشف وهو بلوغ ماورا المحسوس من عوالم الغيب وطريقه صفا السريرة
من الاشتغال بالاغيار ودوام الذكر والخشوع قال العفيف التلمسانى قدس الله سره
فى شرح منازل السايرين للهروى رحمه الله تعالى فى المكاشفة انها بلوغ ماورا الحجاب من المشاهدة
الالهية بخلاف المكاشفة الصورية وهى كشف الصور مثل الاخبار بوقت قدوم الغايب
والاخبار بما ورا الجدار مما لم يشاهده بالحس ونحو ذلك وهى ليست فى طريق الله تعالى بل
هى قاطعة عنه ولذلك لم يختص بها ملة دون اخرى انتهى والعلم الذى يحصل بالمكاشفة حيث
قلنا بحصوله بها علم المعارف الالهية والحقايق الربانية لا علم كيفية الاعمال الظاهرة ومعرفة
الاحكام الشرعية فان هذا العلم لا يحصل الا بالتعلم والا لاستغنت الخلق عن الانبيا والكتب
بالمكاشفة وهو باطل وان كان بعض الاوليا يلهمه الله تعالى الحق والصواب بشى منه فيوافق
ما عند العلما منه فى اقواله واعماله واحواله واعتقاداته بطريق العناية له من الله تعالى فهو
نادر فلا نطعن فى احد بعينه من المتصوفة الذين تركوا التعلم واشتغلوا بالذكر فعساه
يكون وافق الحق من علم العلما فى جميع اموره هداية له من الله تعالى وان كنا نقول لابد من
التعلم ولا يحصل هذا العلم الا بالتعلم فان قولنا هذا على وجه العموم من غير خصوص فى احد
والكف منا عمن وجدناه ترك التعلم لاحتمال المذكور على وجه الخصوص فى شخص معين
او اشخاص معينين وعلى هذا يحمل كلام المصنف رحمه الله تعالى هنا وفى نظايره من ابحاث
هذا الكتاب فلا حاجة فى تحصيل العلم مع نورانية الكشف الى الكسب اى المطالعة والقراة
على المشايخ والمذاكرة فانه اى هذا القول من جهلة المتصوفة فى حق علم الشرايع والاحكام بطريق

الاطوا في كل احد لا الندرة القليلة في بعض من يعتني بهم الحق تعالى كما ذكرنا كذب محض
لانه لم يقع للجميع بل انما وقع لاهل التوفيق و العناية بالموافقة في الاعمال الصالحة كما وقع
لاويس القرني رضي الله عنه مع وجوده في زمان النبي صلى الله عليه وسلم ولم يجتمع بالنبي عليه السلام
استغنا بالامداد الباطني المحمدي له عن الاخذ من حيث الظاهر ومن كان موفقا كذلك لا يعرف
صور المسايل ولا مواضع استنباطها ولا يدريها اذا سيل عنها وانما يوفقه الله تعالى للعمل بها
على وجه الصواب من غير شعور منه بذلك وليس هذا المقدار علما حتى يكون الكشف موصلا اليه
بلا اكتساب ولا تعلم ولا دراسة وهو ضلال ايضا في حق من لم يكن على الوصف الذي ذكرناه من
الموفقين فانه يكون مخذولا حينيذ لا عنده توفيق من الله تعالى والهام للحق ولا له اشتغال
واكتساب للعلم النافع الذي ربما وفقه الله تعالى للعمل به على وجه الاخلاص فنجى وسعد
وليس هذا الوصف مخصوصا باحد بعينه نتجسس عليه ونحتقره بسبب عدم تعلمه
للعلم في الظاهر لاحتمال التوفيق في الباطن لعين الصواب وانما هذا حكم منا ومن المصنف رحمه الله
تعالى على وجه العموم ليحترز العبد من مواضع الهلكة ولا نسي الظن ايضا باحد معين
كما قال تعالى والله يعلم وانتم لا تعلمون وهو ضلال ايضا للغير ممن لم يكن على الوصف المذكور
ممن يعلمه الله تعالى بلا تجسس منا ولا سوظن باحد معين اصلا ونؤول كل خطا وجدناه
في كلام مسلم من المسلمين كما قال الامام النووي رضي الله عنه في ادب العالم والمتعلم من مقدمة شرح
المهذب يجب على الطالب ان يحمل اخوانه على المحامل الحسنة في كل كلام يفهم منه نقص الى سبعين
محملا ثم قال ولا يعجز عن ذلك الا كل قليل التوفيق انتهى كلامه واذا وجدنا احدا ممن ترك العلم
الظاهر من المتصوفة وغيرهم من المسلمين فلا نسله عن شيء من احكام الله تعالى اصلا فان من
اراد تجهيل غيره في العلم فهو كافر بالله تعالى كما تقدم بيانه فاذا سالناه فوجدناه لم يعلم ما سالناه
عنه يحتمل ان الله تعالى يوفق له الى العمل بمقتضاه بلا تعلم من العلما فان التوفيق لا بد منه
لمن علم ولمن لم يعلم وليس العلم بالحكم الشرعي مقتضيا للعمل به وحاملا على العمل قطعا بدون توفيق
من الله تعالى فكم من عالم لم يوفقه الله تعالى للعمل بما علمه فهو مخذول وكم من جاهل وفقه الله
تعالى للعمل الصالح بطريق الالهام والعناية فهو خير من ذلك العالم المخذول وان لم يكن له علم بما
علمه ذلك العالم ولا يعلم بتفاصيل امور الناس على ما هم عليه الا الله تعالى وانما للعلما النصح
والتحذير بلا اساة ظن ولا تجسس ولا امتحان لاحد معين اصلا وهذه احوال العلما العاملين
واما علما القيل والقال من غير تقوى ولا خوف من الله تعالى فهم على غير ما ذكرنا فان العلم النافع
بنية العمل به مع الاخلاص فيه فرض على كل مكلف لتوقف صحة العمل المفروض عليه في العادة
المطردة بحسب الظاهر فلو وفق الله تعالى العبد لذلك العمل المفروض على وجه الصحة بدون
العلم لم يكن العلم فرضا عليه اذ ليس هو فرضا لذاته بل لغيره كالطهارة شرط لصحة الصلاة فهي
فرض

فيه ان التاويل بالحسن انما هو عند التحمل وعدم صراحة الخطاء لعدم مراد النووي هذا تامل

فرض لغيرها لا لذاتها فلو حصلت من غير تحصيل لها حصل المقصود منها كمن وقع في ما
فانه يخرج طاهرا حيث يعم الما موضع الحدث منه فتصح صلاته بتلك الطهارة وان
لم تقع عبادة مثابا عليها كما قال فقهاونا وانه اي العلم انما يحصل بالتعلم وان لم يكن مقصودا
لذاته فلا يكون عالما الا اذا تعلم وقد يكون عاملا بمجرد التوفيق من غير علم فيحصل المقصود
فلا يبقى العلم فرضا حينيذ كمن وقع في ماء حيث قلنا بحصول الطهارة له فلا تبقى الطهارة
عليه فرضا لما قاله النبي عليه الصلاة والسلام كما سبق في الحديث انما العلم بالتعلم وان ماخذه
اي العلم كتاب الله تعالى وهو القران العظيم وسنة حبيبه اي حبيب الله محمد صلى الله عليه
وسلم لما بينا في هذا الكتاب سابقا في فصل الاعتصام بالكتاب والسنة فليس ماخذ العلم
الكشف يعني العلم المذكور على حسب ما قررناه وان الصحابة رضي الله عنهم خير هذه الامة بشهادة
النبي صلى الله عليه وسلم في قوله خير القرون قرني الحديث وافضلها اي افضل الامة علما وعملا وانهم
اجتهدوا اي بذلوا وسعهم في استنباط الاحكام من الادلة الشرعية واختلفوا فيما بينهم في
جزييات القضايا واستدلوا بالكتاب والسنة على ما ذهبوا اليه من المذاهب ولم يقل احد منهم
الهم بالبنا للمفعول اي القي الي من الالهام وهو الالقا في القلب من غير تفكر انه اي الفعل الفلاني نحو
حرام او حلال او غير ذلك من فرض او واجب او مكروه فكيف يترك من دونهم التمسك بالكتاب والسنة
والاستدلال بهما ويكتفي عن ذلك بالكشف والالهام وان كان ذلك ممكنا باعتبار حصول التوفيق
له من الله تعالى والتوفيق هو ان يخلق الله تعالى فيه القدرة على الطاعة والكف عن المعصية
من غير علم منه بذلك او مع العلم وليس من شرط التوفيق حصول العلم كما انه ليس من شروط
حصول العلم التوفيق للعمل به كما قدمناه ولهذا قال الجنيد رضي الله عنه كما نقله عنه القشيري في
رسالته في باب الارادة ان المريد الصادق غني عن علم العلما وذكر في اواخر الرسالة في باب الوصية
قال هذا احمد بن حنبل رحمه الله تعالى كان عند الشافعي رحمه الله تعالى فجا شيبان الراعي فقال احمد
اريد يا ابا عبد الله اريد ان انبه هذا على نقصان علمه ليشتغل بتحصيل بعض العلم فقال الشافعي
لا تفعل فلم يقنع فقال لشيبان ما تقول فيمن نسي صلاة من خمس صلوات في اليوم والليلة
ولا يدري اي صلاة نسيها ما الواجب عليه يا شيبان فقال شيبان يا احمد هذا قلب غفل عن الله
فالواجب ان يودب حتى لا يغفل عن مولاه بعده فغشي على احمد فلما افاق قال له الشافعي الم اقل
لك لا تحرك هذا وشيبان الراعي كان اميا فان ادعوا اي هولا الجهلة المستغنون بالكشف عن تعلم
الاحكام الشرعية حتى يصيروا بذلك عالمين بها على زعمهم انهم كوشفوا اي كاشفهم الله تعالى بذلك
ووصلوا منه الى ما لم يصل اليه الصحابة رضي الله عنهم وان امكن ذلك بان يكاشفوا بالاسرار ويصلوا
الى حقايق المعارف كما قدمناه في ان رتبة العلم والكشف قد يكون فيها بعد الصحابة من هو افضل
من الصحابة ما عدا فضيلة الصحبة بل قد يوجد في غير النبي من العلم ما لا يوجد في النبي خصوصا

فيه انه يلزم اخذه من افواه المشايخ

على القول بولاية الخضر مع انه اعلم من موسى عليه السلام وقول الهدهد احطت بما لم تحط به
مع انه طير وسليمان نبي عليه السلام وان كانت هذه الاحاطة في امر دنيوي لكنه علم في الجملة
وليست النبوة هي العلم بل هي امر اختصاص واما خصوص مسايل الحلال والحرام على الكيفية
التي يعلمها اهل الاستنباط من الفقها وترتيب الادلة على ذلك ومعرفة هذا الاصطلاح المخصوص
المعلوم فيما بين العلما فلابد فيه من التعلم والاخذ عن المشايخ فهم مبتدعون حيث
زعموا معرفة هذا العلم على هذا الاصطلاح المخصوص بمجرد الكشف والالهام من غير تعلم
خارجون عن مذهب اهل السنة والجماعة من حيث هذا الاصطلاح المخصوص الذي
تدونت فيه الان مذاهب اهل الاسلام ولم يعلم على اليقين صحة مرادهم ولو سيل احدهم عن
شي من الاخلاق المذمومة مثل الريا والكبر والعجب والحسد والحقد وعن معرفة علاجها
اي مداواتها وعن شي من الاخلاق الحميدة مثل النية اي قصد الخير في كل عمل والتوبة والتوكل
والصبر والرضا بالقضا والشكر وعن طريق تحصيلها او تقوية ضعيفها بهت في ذلك ولم
يقدر على الجواب عنه وخجل منه وخلط في كلامه اي جا بالهذيان وتكلم بالشطح اي بالكلام
الذي فيه الغلو والخروج عن الحدود والطامات اي الزخارف الباطلة ولا يستطيع ان
يجيب الجواب الذي اصطلحت عليه علما هذا الشان من التقرير والبيان وان كان هو في نفسه
متصفا بجميع تلك الاخلاق الحسنة متباعدا عن جميع الاخلاق المذمومة بمجرد توفيق الله
تعالى والله على كل شي قدير فيكون كشيبان الراعي كما قدمنا ولعمري هذا الاصطلاح المخصوص
الان عند الفقها وغيرهم من العلما لو سيل عنه ابو بكر الصديق رضي الله عنه لما عرفه لخصوص
هذا الاصطلاح وربما اعياه ما هو متصف به من الطاعات والاخلاق الحسنة والتباعد
عن الاخلاق المذمومة فضلا عن احاد الامة ويا ليت شعري من علم ذلك كله وبينه وقرره
ولم يكن عنده توفيق من الله تعالى للعمل بمقتضاه والتخلق به ماذا يفيده من النتيجة غير علمنا
للقيام به كله من حيث ما يعلم الله منه كذلك من علم ذلك كله وبينه لنا يحتمل انه منافق فيه
وانه يحفظه مجرد كلام وهو غير عامل به ولا يجوز سوء الظن باحد معين ولا التجسس
عليه ولا كشف ستر الله تعالى عنه ولا فضيحته بل يحمل على احسن المحامل ولكن الفقها
يحذرون الناس على العموم وينصحونهم موعظة وتنبيها بل لو سيل عن فرايض الصلاة
والوضو والاستنجا تحير واضطرب ولم يات بجواب اصلا بل بعضهم ممن لا يمكن
الاطلاع عليه بخصوصه لتاويلنا كل ما صدر عنه من الخطا وجوبا علينا ذلك كما مر عن النووي
رحمه الله تعالى لم يصح اعتقاده بعد على طريقة اهل السنة والجماعة وبعض من جهله بالله ان الله
في السما وانه سبحانه على صورة مخصوصة وبعضهم يعتقد ان الله لا يريد القبايح والمعاصي
من غير شعور منه ان ذلك مذهب المعتزلة وبعضهم يعتقد انه موجد لفعله كذلك من

غير

فيه ان المراد عدم العرفان عن اصل ما سئل وعدم الجواب عن عين ما سئل بان لفظه كانه لا عدم العلم والجواب على اصطلاح الفقها وهذا المراد غير خفي على ان رح لكنه يمليه الى هؤلاء المتصوفة فانهم قد كثر في مواضع عديدة ما فيه خلط وسد باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وحيا... الى ما يوجب امرا عظيما
سيد محمد الفقير

فيه ان العصر وفيه وعلمهم وفطنه م

فيه ان قراءة هؤلاء الطائفة يوجب الله ذلك للكسل لا للعجز فالقطعي لمه تكاسل وكذا ان يتبادر الى الطلب استقرائي فلا بد في السند من تحقق الوقوع
محمد الفقير

غير شعور بالخطا واكثرهم يصلون بلا تعديل اركان فتنقص صلاتهم وان لم نعلمهم باعيانهم الا اذا
توصلنا الى ذلك بالتجسس والاستكشاف عن استار الله تعالى عليهم وهو مذموم فهم عندنا امور
كلية لا نعلم جزئياتها يقينا والظن السو مرذول فالنصح للعموم ولا تجويد اي تصحيح وتحسين
قران مع احتمال العجز منه عن تعلم ذلك فلا اثم كما قال عليه السلام اذا قرا القاري فاخطا او لحن
او كان اعجميا كتبه الملك كما انزل اخرجه الاسيوطي في الجامع الصغير ومع وجود هذه الفضايح
فيهم عندمن يعلمها يدعون انهم واصلون بما هم به جاهلون مكاشفون بذلك فهيهات هيهات ان يصلوا
الى معرفة جميع ذلك الا بالتعلم من المشايخ نعم انهم واصلون الى الشيطان الذي غرهم فادعوا ما ليس
عندهم مغرورون بامانيه اي بما يلقي اليهم من تمني ما لا يحصل لهم الا بالتعلم عاملون بوساوسه
التي يلقيها في صدورهم ولا نحن نبعد ان يقع لبعضهم كشف حسي لبعض الاشيا عن امور محسوسة
تتعلق بالاكوان من الاخبار عن شي فيكون كذلك وهو الكشف الصوري كما مر ونحوه اي نحو الكشف
الحسي من بعض المنامات والتخيلات والواردات الغيبية والهواتف من خوارق العادات
بمقتضى الرياضات التي يعملونها من تصفية الباطن والتجرد عن العلاقة البشرية او اراءة الشيطان
لهم طيرانا في الهوا برفع بعضهم او نقله من مكان الى مكان باسرع زمان او الاتيان بما يريدونه
مكرا بهم واستدراجا من الله تعالى ليزدادوا اثما كما نقل نظير ذلك عن بعض الكفرة المرتاضين
اي المتحذين الرياضة كما قال الشيخ الاكبر رضي الله عنه في كتابه يشجون المشجون عالم الصفا
حجاب لانه به يكون الكشف وهذا بيتا ركنا فيه الرهبان وانما نفضل عليهم بعالم الترقية فيظنون
انه اي ما يقع لهم من ذلك كرامة من الله تعالى وولاية لهم منه تعالى كما يقع للاوليا المقربين
فيغترون به فيهلكون ولا يشعرون وكل هذا محتمل في امورهم التي تظهر لهم ويحتمل انها امور
صحيحة صادرة بمحض تكريم الله تعالى لهم وليس للشيطان سبيل عليهم حيث كانوا مستقيمين
في باطن الامر مما خفي على غيرهم والتوفيق محيط بهم وعناية الله تعالى تحفظهم والله ساترهم
في كل حال فلا قطع بالسوء في احد منهم على التعيين كما قدمناه وقد سمعت يا ايها السالك سابقا
في اخر فصل البدع قول سلطان العارفين بالله تعالى ابي يزيد طيفور البسطامي رضي الله عنه لو
نظرتم الى رجل اعطي من الكرامات يعني خوارق العادات حتى تربع في الهوا بين السما والارض
فلا تغتروا به وتنسبوا اليه الولاية حتى تنظروا كيف تجدونه عند الامر والنهي الوارد ذلك عليه
من الله تعالى تكليفا له وحفظ الحدود التي حدها الله تعالى له واداء احكام الشريعة انتهى قول
ابي يزيد رضي الله عنه والمراد نظر ذلك منه بلا تجسس عليه ولا ظن فيه بل على وجه التحقيق بالثبوت
الشرعي كالشاهد في الزنا بحيث يرى ذلك مثل الميل في المكحلة ويستر ذلك عليه لان ستر الشهادة
في الحدود افضل كما قاله الفقها مع تحقق الاجنبية في المزني بها ومتى احتمل الامر الخير وجب
الحمل عليه فلم يكن الراي راي ما يخالف الشريعة قال الشيخ الاكبر رضي الله عنه في شرح الوصية اليوسفية

ولا يخفى لو به ذلك غرضا دا عا فعالمهم الظاهرة على خلاف الغوايش الشرعية وان اتفق باطنهم ويشهد قولهم وقد سمعت انا كما خلاف خلاف في شرح
سيد محمد الفقير

وان استتر الولى بامر فى الظاهر عند العامة انه منتهك فيه حرمة شرعية فالغلط فى نظرهم لا فى
نفس الامر وبعيد ان يقع مثل هذا من كبير فى الطريق متمكن ولا من صاحب حال تشغله فان
صاحب الحال تحت حكم حاله فلا يقوم له حال فى الستر ولا فى الظهور فيتخيل الاجنبى ان ذلك
الولى قصد الستر بما ظهر منه مما ظاهره منكر وباطنه معروف وليس كذلك فما اتى هذا
الولى الا لامر صحيح محمود فى الشرع لو انصف هذا الناظر كرجل شرب كاس خمر فى ناظر عين
الحاضر لعلمه بخمرية ذلك الكاس وهو يشرب ما يجوز له شربه ولا يعلم ذلك الحاضر حتى
يناوله اياه منه ان اعتنى به اذا لم يخطر له ستر حاله فيبشر به الاجنبى شرابا حلالا فالاجنبى
الذى لا يعلم ذلك محمود عنده اى عند نفسه فى انكاره موف لمقامه والولى محمود فى فعله
اذا لم يقصد الستر فان قصد الستر بمثل هذا فهو مذموم فى الطريق بل لا يقع مثل هذا من
ولى فى العموم وقد يقع من ولى فى الخصوص من اصحابه اختبارا منه لصدق دعواهم
فى التسليم له فنعوذ بالله تعالى من شرورهم اى شرور هولاء الجاهلين بالعلم الظاهر
المحتمل ان يكونوا كما وصفهم وان يكونوا موفقين للهدى والرشاد مما لا يعلمه منهم الا الله تعالى
وشرور اقوالهم وافعالهم التى لا تدخل فى الموازين الشرعية التى تعلمها العامة من علما الرسوم
وغيرهم فقد يقعون فى ذمهم وهم على حالة مرضية فيعادون احباب الله تعالى وهم
لا يشعرون ولا عذر بالجهل فى الشريعة وقد يقعون فى مدحهم وهم على حالة غير مرضية
فيحبون اعدا الله تعالى ويوالونهم فلا يوافقون الامر على ما هو عليه وان كان ذلك غير موجب
للاثم بخلاف الاول فان النبى صلى الله عليه وسلم كان يوالى المنافقين الذين اسلموا بظواهرهم
وكفروا ببواطنهم ويقسم لهم فى الغنايم ويعاملهم معاملة المسلمين فلو كان فى ذلك اثم ما فعله
عليه السلام ولما جات به الشريعة واما نسبة الشر والسوء الى البرى منه من ذلك بمجرد صدور
احتمال ذلك منه بعلامة ونحوها فلم يقع منه عليه السلام ولا من اصحابه بعده ولا اذن به
لاحد كيف وقد قال عليه السلام ادرءوا الحدود بالشبهات وقال امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا
ان لا اله الا الله فاذا قالوها فقد عصموا منى دماهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله وغير ذلك
من الاحاديث فالمومن يسعه ما وسعه النبى صلى الله عليه وسلم فانهم على حسب الاحتمال المذكور
شياطين الانس لظهورهم بالوسوسة فى صدور الناس وقطاع طريق الله تعالى لالتباس
الطريق بسبب ذلك على ضعفة السالكين وخصما حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم لمخالفتهم
لشريعته مع زعمهم موافقتها وهذا كلام الفقيه الخايف على الامة ان تضل باحتمال الخطا
فيمن يحتمل ذلك فيهم وان كان الله تعالى يضل من يشا ويهدى من يشا والتسليم اسلم والله اعلم

الفصل الثالث

تمام الفصول الثلاثة التى اشتمل عليها الباب الثانى من ابواب
الكتاب الثلاثة وهو اطول الفصول لانه المقصود بالتصنيف فى بيان التقوى اى الشرعية

الاحتراز

الاحتراز بحسب الطاقة من غضب الله تعالى بمعونة الله لا بالنفس والا كانت شركا خفيا وهو
ثلاثة انواع النوع الاول من ذلك فى فضيلتها اى التقوى اعلم يا ايها السالك فى طريق الله تعالى بالعلم
والعمل مع الاخلاص اولا اى قبل الشروع فى المقصود انى اردت ان اورد فى هذا الفصل جميع الايات
القرانية الدالة على فضيلة التقوى فوجدتها اى الايات تجاوزت اى فاتت فى الكثرة مائة وخمسين
اية ووجدت صريح الامر من الله تعالى للعباد فيها اكثر من اربعين اية فاقتصرت من الايات
المكررات على اية واحدة ولم اراع ترتيب المصحف فى تقديم الايات المتقدمات وتاخير المتاخرات
كما راعيت ذلك فيما سبق فى فصل الاعتصام وفصل الاقتصاد وفصل العلوم تقديما للمناسبة
المعنوية اى من حيث المعنى بين الايات فانه الاولى بالاعتبار فى التصانيف الايات اى هذا بيان
الايات الواردة فى فضيلة التقوى الاية الاولى من سورة الحجرات وهى قوله تعالى ان اكرمكم عند الله
اتقاكم فان التقوى بها تكمل النفوس وتتفاضل الاشخاص فمن اراد شرفا فليلتمس منها كما قال
عليه السلام من سره ان يكون اكرم الناس فليتق الله وقال يا ايها الناس انما الناس رجلان مومن
تقى كريم على الله وفاجر شقى هين على الله قاله البيضاوى وقال الشيخ عز الدين اتقاكم اخوفكم
له واعلمكم بطاعته روى انه لما كان يوم الفتح امر عليه الصلاة والسلام بلالا ان يوذن على ظهر
الكعبة فقال عتاب بن اسيد الحمد لله الذى اكرم اسيدا حتى لا يرى هذا اليوم وقال الحارث بن
هشام اما وجد محمد غير هذا الغراب الاسود وقال سهيل بن عمرو ان يكره الله شيا يغيره وقال
ابو سفيان لو قلت شيا لاخبر به رب السما فنزلت هذه الاية وقال الواحدى اخبرنا عبد
الرحمن بن عبدان وذكر اسناده عن ابى هريرة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله يقول
يوم القيمة امرتكم فضيعتم ما عهدت اليكم فيه ورفعتم انسابكم فاليوم ارفع نسبى واضع
انسابكم اين المتقون ان اكرمكم عند الله اتقاكم وروى باسناده عن سعيد المقبرى قال سال رجل
ابن مريم اى الناس افضل فاخذ قبضتين من تراب فقال اى هاتين افضل الناس خلقوا من
تراب فاكرمهم اتقاهم وقال قتادة اكرم الكرم التقوى والام اللوم الفجور الاية الثانية من
سورة المايدة وهى قوله تعالى انما يتقبل الله من المتقين للمعاصى والمخالفات فان الطاعة
لا تقبل الا من مومن متقى قال الخازن يعنى ان حصول التقوى شرط فى قبول الاعمال فلذلك كان
احد القربانين مقبولا فى قصة قابيل وهابيل دون الاخر ولان التقوى من اعمال القلوب وكان
قد اضمر قابيل فى قلبه الحسد لاخيه على تقبل قربانه وتوعده بالقتل فقال انما اوتيت من قبل
نفسك لانسلاخها من لباس التقوى وانما يتقبل الله من المتقين وقيل يحتمل ان يكون خطابا للنبى
صلى الله عليه وسلم فكانه تعالى بين للنبى صلى الله عليه وسلم انه انما لم يتقبل قربان قابيل لانه لم يكن متقيا
وانما يتقبل الله من المتقين وقال الواحدى قال ابن عباس قال له هابيل انما يتقبل الله ممن كان
زاكى القلب والمعنى من المتقى للمعاصى وقال البيضاوى وفيه اشارة الى ان الحاسد ينبغى له ان يرى

حرمانه من تقصيره ويجتهد في تحصيل ما به صار المحسود محظوظا لا في ازالة حظه فان ذلك مما
يضره ولا ينفعه وقال ابن جميل في التنوير مختصر التفسير الكبير للرازي وانما تقبل قربان هابيل
لتقواه قال تعالى ولكن يناله التقوى منكم والتقوى في القلب ولها صفات منها ان يكون على خوف
من تقصيره في تلك الطاعة فيجتهد في تحصيلها منه وان يجتهد في اخلاص النية وان لا يكون
لغير الله فيه شركة وما اصعب مراعاة هذه الشرايط الاية الثالثة من سورة الانفال وهي قوله
تعالى ان اولياوه الا المتقون من الشرك الذين لا يعبدون غيره قاله البيضاوي وقال
الواحدي المتقون من الكفر والشرك والفواحش انتهى وفي مرجع هذا الضمير قولان احدهما انه راجع
الى المسجد الحرام قال الخازن قال الحسن كان المشركون يقولون نحن اوليا المسجد الحرام فرد الله تعالى
عليهم بقوله وما كانوا اولياءه يعني ليسوا اوليا المسجد الحرام ان اولياوه الا المتقون ولكن اكثرهم
لا يعلمون يعني ولكن اكثر المشركين لا يعلمون ذلك وقال البيضاوي وما كانوا اولياه مستحقين ولاية
امره مع شركهم وهو رد لما كانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشا وندخل من
نشاء ولكن اكثرهم لا يعلمون ان لا ولاية لهم عليه كانه نبه بالاكثر ان منهم من يعلم ويعاند اواراد
به الكل كما يراد بالقلة العدم والثاني انه راجع الى الله حيث ذكر في الاية قبله وقد اشار اليه البيضاوي
بقوله وقيل الضميران لله يعني ضمير وما كانوا اولياءه وضمير ان اولياوه الاية الرابعة
من سورة الجاثية وهي قوله تعالى والله ولي اي متول لجميع امور المتقين يعني المومنين الذين
اتقوا الشرك قاله الواحدي وقال البيضاوي وان الظالمين بعضهم اوليا بعض اذ الجنسية علة
الانضمام فلا توالهم باتباع اهوايهم والله ولي المتقين فواله بالتقى واتباع الشريعة الاية
الخامسة من سورة براة وهي قوله تعالى ان الله يحب المتقين من اتقى الله في ادا فرايضه
والوفا بعهده لمن عاهده قاله الواحدي وقال الخازن يعني انه تعالى يحب الذين يوفون
بالعهد اذا عاهدوا ويتقون نقضه الاية السادسة من سورة النجم وهي قوله تعالى فلا تزكوا
انفسكم فلا تثنوا عليها بزكا العمل وزيادة الخير او بالطهارة عن المعاصي والرذايل قاله البيضاوي
وقال الشيخ عز الدين ابن عبد السلام لا تمدحوها بالطهارة او لا تدعوا طاعة بلا عمل وقيل لا تخبروا
بخير عملتموه وقال الواحدي قال الحسن علم الله من كل نفس ما هي صانعة والى ما هي صايرة
فلا تزكوا انفسكم لا تبروها عن الاثام ولا تمدحوها بحسن اعمالها يدل على هذا ما روي ان زينب
بنت ابي سلمة قالت سميت برة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تزكوا انفسكم الله اعلم بالبر منكم وقال
الخازن وقيل في معنى الاية هو اعلم بكم ايها المومنون علم حالكم من اول خلقكم الى اخر يومكم
فلا تزكوا انفسكم ريا وخيلا ولا تقولوا لمن لم تعرفوا حقيقته انا خير منك وانا ازكى منك
او اتقى منك فان العلم عند الله وفيه اشارة الى وجوب خوف العاقبة فان الله يعلم عاقبة
من هو على التقوى وهو قوله هو اعلم بمن اتقى اي بمن بر واطاع واخلص العمل وقيل في معنى

الاية

204

الاية فلا تزكوا انفسكم اي لا تنسبوها الى زكا العمل وزيادة الخير والطاعات وقيل لا تنسبوها
الى الزكاة والطهارة من المعاصي ولا تثنوا عليها واهضموها فقد علم الله الزكي منكم والتقي
اولا واخرا قبل ان يخرجكم من صلب ابيكم ادم وقبل ان تخرجوا من بطون امهاتكم قيل نزلت في
ناس كانوا يعملون اعمالا حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا فانزل الله فيهم
هذه الاية وقال ابو عبد الرحمن السلمي في حقايق القران قال ابو عثمان من علم من اين هو
والى اين هو وما هو في الوقت علم انه ليس بمحل التزكية ومع هذا هو مخاطب بقوله فلا
تزكوا انفسكم بماذا يزكي نفسه باخلاقه ام بافعاله ام باقواله ام باحواله كلا لكن نفسه
هي الامارة بالسوء الى اي جانب ابصر راى نقص الرق وذل العبودية الاية السابعة من سورة
البقرة وهي قوله تعالى واعلموا ان الله مع المتقين بالعون والنصرة كما ذكره الواحدي وقال
البيضاوي فيحرسهم ويصلح شانهم الاية الثامنة من سورة طه وهي قوله تعالى والعاقبة
للتقوى اي العاقبة المحمودة لذوي التقوى قاله البيضاوي وقال الشيخ عز الدين ابن عبد
السلام اي وحسن العاقبة لاهل التقوى بحذف المضافين وقال الخازن والعاقبة الجميلة
المحمودة لاهل التقوى قال ابن عباس للذين صدقوك واتبعوك واتقوني الاية التاسعة
من سورة القصص وهي قوله تعالى والعاقبة للمتقين اي العاقبة المحمودة للمتقين ما لا يرضاه
الله كما قاله البيضاوي وقال الشيخ عز الدين اي حسن العاقبة وقيل الثواب وقيل الجنة وقال
الخازن اي العاقبة المحمودة لمن اتقى عقاب الله باداء اوامره واجتناب معاصيه وقال الواحدي
قال الكلبي وهم الذين اتقوا الكباير والفواحش وقال قتادة اي الجنة للمتقين وهم الذين
اتقوا عقاب الله باداء فرايضه واجتناب معاصيه الاية العاشرة من سورة الزخرف وهي قوله
تعالى والاخرة عند ربك للمتقين عن الكفر والمعاصي وفيه دلالة على ان العظيم هو العظيم في الاخرة
لا في الدنيا واشعار بما لاجله لم يجعل ذلك للمومنين حتى يجتمع على الايمان وهو انه تمتع قليل
بالاضافة الى ما لهم في الاخرة مخل به في الاغلب لما فيه من افات قل من يتخلص عنها قاله البيضاوي
وقال الواحدي والاخرة يعني الجنة عند ربك للمتقين خاصة لهم وقال الامام الخازن والاخرة يعني
الجنة خاصة للمتقين الذين تركوا الدنيا عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ما اخرجه الترمذي وقال حديث حسن
غريب الاية الحادية عشر من سورة ص وهي قوله تعالى وان للمتقين لحسن مآب مرجع كما قال البيضاوي
وقال الشيخ عز الدين منقلب وقال الخازن اي احسن مرجع ومنقلب يرجعون وينقلبون اليه
في الاخرة الاية الثانية عشر من سورة ال عمران وهي قوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم قال ابن عباس
لا تصروا على الذنب اذا اذنب احد فليسرع الرجوع ليغفر الله وقيل الى التوبة من الزنا وشرب الخمر
وفي الكلام محذوف على تقدير وسارعوا الى موجب مغفرة من ربكم قاله الواحدي وقال البغوي اي بادروا

اي وسابقوا الى الاعمال التي توجب المغفرة وقال ابن عباس الى الاسلام وروي عنه
الى التوبة قاله عكرمة وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه الى اداء الفرايض وقال ابو
العالية الى الهجرة وقال الضحاك الى الجهاد وقال مقاتل الى الاعمال الصالحة وروي عن
انس بن مالك رضي الله عنه انها التكبيرة الاولى وقال ابن جميل في التنوير مختصر
التفسير الكبير للرازي والمعنى سارعوا الى ما يوجب المغفرة وتمسك بها من قال
ان الامر للفور قال ابن عباس رضي الله عنهما هو الاسلام ووجهه ان التنكير في مغفرة
للتعظيم فيكون موجبها عظيما وهو الاسلام وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه هو
الاخلاص كانه المقصود من العبادات وقيل الصلوات الخمس وقيل جميع الطاعات
وقال البيضاوي وسارعوا بادروا واقبلوا الى مغفرة الى ما يستحق به المغفرة كالاسلام
والتوبة والاخلاص وقرا نافع وابن عامر سارعوا بلا واو وجنة اي وسارعوا الى
جنة وانما فصل بين المغفرة والجنة لان المغفرة هي ازالة العقاب والجنة هي حصول
الثواب وفيه اشعار بانه لا بد من المسارعة الى التوبة الموجبة للمغفرة وذلك بترك
المنهيات والمسارعة الى الاعمال الصالحة المودية الى الجنة قاله الخازن عرضها السموات
والارض اي عرضها كعرضها وذكر العرض للمبالغة في وصفها بالسعة على طريقة التمثيل
لانه دون الطول وعن ابن عباس كسبع سموات وسبع ارضين لو وصل بعضها ببعض
قاله البيضاوي وقال الواحدي قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد لرجل واحد منا ولابيه
وقال كريب ارسلني ابن عباس الى رجل من اهل الكتاب اساله عن هذه الاية فاخرج اسفار موسى
فنظر فقال تلفق كما يلفق الثوب فاما طولها فلا يقدر احد قدره وقال الجنان اربع
جنة عدن وهي الدرجة العليا وجنة الفردوس وجنة النعيم وجنة الماوى كل جنة منها
كعرض السموات والارض لو وصل بعضها الى بعض وقال ابن جميل في التنوير والمعنى كعرض
السموات لان عرض السموات لا يكون عرض الجنة اي لو جعلت السموات والارض طبقا طبقا
بحيث تكون كل واحدة سطحا ووصل البعض بالبعض كان ذلك مثل عرض الجنة وقيل
المراد المبالغة في وصف سعة الجنة كقوله خالدين فيها ما دامت السموات والارض
وانما خص العرض بالذكر لان الظاهر ان الطول اعظم كقوله بطاينها من استبرق تنبيها
بها على الظهاير التي هي اعلا وقال البغوي اي عرضها كعرض السموات والارض كما قال
في سورة الحديد وجنة عرضها كعرض السما والارض اي سعتها وانما ذكر العرض على المبالغة
لان طول كل شي في الاغلب اكثر من عرضه يقول هذه صفة عرضها فكيف طولها قال
الزهري انما وصف عرضها فاما طولها فلا يعلمه الا الله تعالى وهذا على التمثيل لا انها
كالسموات والارض لا غير معناه كعرض السموات السبع والارضين السبع عند ظنكم

كقوله

كقوله تعالى خالدين فيها ما دامت السموات والارض يعني عند ظنكم والا فهما زايلتان
وروي عن طارق بن شهاب ان ناسا من اليهود سالوا عمر بن الخطاب وعنده اصحابه وقالوا
ارايتم قولكم وجنة عرضها السموات والارض فاين النار فقال لهم عمر اذا جا الليل فاين النهار واذا
جا النهار فاين الليل يكون الليل فقالوا انه لمثله في التوراة ومعناه انه حيث يشا الله فان
قيل قد قال الله تعالى وفي السما رزقكم وما توعدون واراد بالذي وعدنا الجنة فاذا
كانت الجنة في السما فكيف يكون عرضها السموات والارض قيل ان باب الجنة في السما
وعرضها السموات والارض كما اخبر وسيل انس بن مالك رضي الله عنه عن الجنة في السما
ام في الارض قال واي ارض وسما تسع الجنة قيل فاين هي قال فوق السموات السبع
تحت العرش وقال قتادة كانوا يرون ان الجنة فوق السموات السبع وان جهنم تحت
الارضين السبع وقال ابن جميل في التنوير فان قيل انتم تقولون ان الجنة في السما فكيف
تكون كعرض السما فالجواب المراد انها فوق السموات وتحت العرش ولما قيل لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فاين النار فقال سبحان الله فاين الليل اذا جا النهار والمراد والله اعلم
ان الفلك اذا دار حصل النهار في جانب من العالم والليل في جانب ضده فكذلك الجنة في العلو
والنار في السفل واما على قول من يقول ان الله تعالى يخلقها يوم القيمة فلا يبعد ان
يخلق الجنة في مكان السموات والنار في مكان الارض وقال الخازن روي ان هرقل ارسل
الى النبي صلى الله عليه وسلم انك كتبت تدعوني الى جنة عرضها السموات والارض فاين النار
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله فاين الليل اذا جا النهار اعدت اي هييت
للمتقين الشرك والفواحش وقال الخازن فيه دليل على ان الجنة والنار مخلوقتان الان
وقال البيضاوي وفيه دليل على ان الجنة مخلوقة وانها خارجة عن هذا العالم الاية الثالثة
عشر من سورة مريم وهي قوله تعالى تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا اي نجعلها
ثواب اعمالهم اي جزاوها وعاقبتها لانه باق بعد فان ولان الارث اطيب مال واهناه
وقيل يرثون ما اعد للكفار اذ لو امنوا الا الكفر موت وقوله تقيا اي موحدا او من الشرك
والكباير قاله الشيخ عز الدين ابن عبد السلام وقال ابن جميل في التنوير واشير بتلك الى الجنة
لانه غايبة واستعير الميراث لاهلها لانها باقية لهم كما يبقى على الوارث مال المورث
او هي ارث عن الكفار لانهم لو امنوا لاستحقوها ولان تقواهم اورثهم اياها قال
القاضي المرتكب للكباير الفاسق ليس بمتق فلا يدخل الجنة بالاية والجواب انها تدل على
ان المتقي يدخلها اما ان غير المتقي فلا يدخلها فلا يدل عليه او من اتقى الكفر يصدق عليه
انه متق فتتناوله الاية فينعكس الدليل عليهم الاية الرابعة عشر من سورة الزمر
وهي قوله تعالى وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة اسراعا بهم الى دار الكرامة وقيل

سيق مراكبهم اذ لا يذهب بهم الا راكبين قاله البيضاوى زمرا جماعات فى تفرقة ذكره الشيخ
عز الدين وقال البيضاوى افواجا متفرقة بعضها فى اثر بعض على تفاوت مراتبهم
فى الشرف وعلو الطبقة وهى الجمع القليل جمع زمرة واشتقاقها من الزمر
وهو الصوت اذ الجماعة لا تخلوا عنه او فى قولهم قولهم شاة زمرة قليلة الشعر
ورجل زمر قليل المروة حتى اذا جاوها وفتحت ابوابها جواب اذا والواو مقحمة
وقيل للحال اى جاوها مفتحة لا يوقفون وقيل واو الثمانية والجواب محذوف اى
فازوا ونالوا المنى وفايدة الحذف تعظيم الامر وقيل الجواب وقال لهم باقحام الواو
ذكره الشيخ عز الدين وقال البيضاوى حذف جواب اذا للدلالة على ان لهم حينيذ من
الكرامة والتعظيم ما لا يحيط به الوصف وان ابواب الجنة تفتح لهم قبل مجييها
غير منتظرين وقال لهم خزنتها سلام عليكم امنة من الله لكم ان ينالكم بعدها مكروه او
اذى قاله العز بن عبد السلام طبتم طهرتم من دنس المعاصى ذكره البيضاوى وقال
الخازن اى ابشروا بالسلامة من كل الافات طبتم قال ابن عباس رضى الله عنهما معناه
طاب لكم المقام وقيل اذا قطعوا النار حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص
بعضهم من بعض حتى اذا هذبوا وطيبوا دخلوا الجنة فيقول لهم رضوان واصحابه
سلام عليكم طبتم وقال الشيخ عز الدين طبتم بطاعة الله او عن الخبايث او للجنة او طابت
اعمالكم فطاب مثواكم فادخلوها خالدين مقدرين الخلود والفا للدلالة على ان طبتم
سبب لدخولهم وخلودهم وهو لا يمنع دخول العاصى بعفوه لانه يطهره قاله
البيضاوى وقال الخازن وقال على رضى الله عنه اذا سيقوا الى الجنة فاذا انتهوا اليها
وجدوا عند بابها شجرة يخرج من تحتها عينان فيغتسل المومن من احداها فيطهر
ظاهره ويشرب من الاخرى فيطهر باطنه وتتلقاهم الملايكة على ابواب الجنة فيقولون
لهم سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين الابتين اى اقرا الايتين بعد هذه الى اخر السورة
وذلك قوله تعالى وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوا من الجنة
حيث نشا فنعم اجر العاملين وترى الملايكة حافين من حول العرش يسبحون
بحمد ربهم وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العلمين الاية الخامسة عشر من سورة
يوسف عليه السلام وهى قوله تعالى ولدار الاخرة يعنى الجنة وانما اضاف الدار الى
الاخرة وان كانت هى هى لان العرب تضيف الشى الى نفسه كقولهم حق اليقين والحق
هو اليقين نفسه قاله الخازن وقال البيضاوى ولدار الحالة او الساعة او الحياة
الاخرة خير من الدنيا للذين اتقوا الشرك والمعاصى افلا يعقلون هذا فيومنوا
ويتقوا الشرك عن ابى سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لشبر من الجنة

خير

قلولهم

خير من الارض وما فيها ذكره الواحدى وقال البيضاوى افلا يعقلون فيستعملون
عقولهم ليعرفوا انها خير وقرا نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بالتا حملا على قوله
قل هذه سبيلى يعنى قل لهم افلا تعقلون الاية السادسة عشر من سورة يوسف عليه السلام
ايضا وهى قوله تعالى ولاجر الاخرة يعنى لثواب الاخرة خير اى افضل من اجر الدنيا قاله
الخازن وقال الواحدى اى ما يعطى الله تعالى من ثواب الاخرة خير مما يعطى المومنين
فى الدنيا والمعنى ان ما يعطى الله يوسف عليه السلام فى الاخرة خير مما اعطاه فى الدنيا وكذلك
غيره ممن يسلك طريقه فى الصبر على المكاره للذين امنوا وكانوا يتقون الشرك والفواحش
لعظمه ودوامه قاله البيضاوى اى لعظم اجر الاخرة ودوامه كان خيرا وقال الخازن
يعنى يتقون ما نهى الله عنه الاية السابعة عشر من سورة الشعرا وهى قوله تعالى وازلفت
الجنة للمتقين قال ابن عباس رضى الله عنهما قربت الجنة لاوليا قال ابو اسحق تاويله
انه قرب دخولهم اياها ونظرهم اليها ذكره الواحدى وقال الشيخ عز الدين وازلفت
اى تزلف يوميذ حتى يشموا من المحشر ريحها وقال ابن جميل فى التنوير معنى ازلفت قربت
وذلك زيادة لنعيم هولاء وقال البيضاوى فى ازلفت بحيث يرونها من الموقف
فيتبجحون بانهم المحشورون اليها الاية الثامنة عشر من سورة محمد صلى
الله عليه وسلم وهى قوله تعالى مثل الجنة اى صفتها قال سيبويه حيث قال المثل
هو الوصف فمعناه وصف الجنة وذلك لا يقتضى مشابهة وقيل الممثل به محذوف
غير مذكور والمعنى مثل الجنة مثل عجيب وشى عظيم قاله الخازن التى وعد المتقون
قال الكلبى ومقاتل هم امة محمد صلى الله عليه وسلم يتقون الشرك ذكره الواحدى الاية
التاسعة عشر من سورة النحل وهى قوله تعالى ولنعم دار المتقين دار الاخرة
فحذفت لتقدم ذكرها وقوله جنات عدن خبر مبتدا محذوف ويجوز ان يكون
المخصوص بالمدح قاله البيضاوى وقال الواحدى هذا كما تقول نعم الدار دار تنزلها
قال ابن جميل فى التنوير والمخصوص بالمدح محذوف اى ولنعم دار المتقين دار
الاخرة ثم ابتدا جنات عدن اى هى جنات عدن او جنات هو المخصوص بالمدح
ومعنى عدن الاقامة وقال الخازن دار المتقين الجنة وقال الحسن هى الدنيا لان اهل
التقوى يتزودون فيها الى الاخرة والقول الاول اولى وهو قول جمهور المفسرين
لان الله فسر هذه الدار بقوله جنات عدن يعنى بساتين اقامة من قولهم عدن
بالمكان اى اقام به يدخلونها يعنى تلك الجنات لا يرحلون عنها ولا يخرجون منها تجرى
من تحتها الانهار يعنى تجرى الانهار فى هذه الجنان تحت دورها وقصورهم
ومساكنهم وقال ابن جميل فى التنوير والمعنى ان لهم ابنية وان الانهار تجرى من تحتها

لهم فيها اي في تلك الجنات ما يشاؤون يعني مما تشتهي الانفس وتلذ الاعين مع زيادات
على ذلك وهذه الحالة لا تحصل لاحد الا في الجنة لان قوله لهم فيها ما يشاؤون يفيد
الحصر وذلك يدل على ان الانسان لا يجد كل ما يريد في الدنيا قاله الخازن وقال البيضاوي
وفي تقديم الظرف يعني الجار والمجرور تنبيه على ان الانسان لا يجد جميع ما يريده
الا في الجنة كذلك يجزي الله المتقين اي هكذا يكون جزاء المتقين ثم عاد الى وصف المتقين
فقال الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يعني مؤمنين طاهرين من الشرك قال مجاهد
زاكية اقوالهم وافعالهم وقيل ان قوله طيبين كلمة جامعة لكل معنى حسن فيدخل
فيه انهم اتوا بكل ما امروا به من فعل الخيرات والطاعات واجتنبوا كل ما نهوا عنه من المكروهات
والمحرمات مع الاخلاق الحسنة والخصال الحميدة والمباعدة عن الاخلاق المذمومة
والخصال المكروهة وقيل معناه ان وفاتهم تكون طيبة سهلة لانهم يبشرون عند
قبض ارواحهم بالرضوان والجنة والكرامة فيحصل لهم عند ذلك السرور والفرح
والابتهاج فيسهل عليهم قبض ارواحهم ويطيب لهم الموت على هذه الحالة قاله
الخازن وقال ابن جميل في التنوير قوله طيبين يفيد معاني كثيرة فيندرج فيها اتيانهم
بالمامورات واجتنابهم المنهيات وانهم طاهرون من المعصية طيبة نفوسهم بالموت
قيل المراد وفاة الموت وقيل وفاة الحشر لقوله ادخلوا الجنة والاكثر على الاول وانهم
لما بشروا بالجنة صاروا كانهم دخلوها وقال البيضاوي طيبين طاهرين من
ظلم انفسهم بالكفر والمعاصي وقيل فرحين ببشارة الملائكة اياهم بالجنة او طيبين بقبض
ارواحهم لتوجه نفوسهم بالكلية الى حضرة القدس يقولون سلام عليكم لا يحيقكم بعد
مكروه وقال الخازن تسلم عليهم الملائكة او تبلغهم السلام من الله ادخلوا الجنة بما كنتم
تعملون يعني في الدنيا من الاعمال الصالحة وقال البيضاوي ادخلوا الجنة حين تبعثون
فانها معدة لكم على اعمالكم وقيل هذا التوفي وفاة الحشر لان الامر بالدخول حينئذ وقال
الخازن فان قلت كيف الجمع بين قوله تعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وبين قوله
صلى الله عليه وسلم لن يدخل احدا منكم عمله الجنة قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا
الا ان يتغمدني الله منه بفضل ورحمة اخرجه في الصحيحين من حديث ابي هريرة قلت
قال الشيخ محي الدين النووي في شرح مسلم اعلم ان مذهب اهل السنة انه لا يثبت بالعقل
ثواب ولا عقاب ولا ايجاب ولا تحريم ولا غير ذلك من انواع التكليف ولا تثبت هذه
الاشيا كلها ولا غيرها الا بالشرع ومذهب اهل السنة ايضا ان الله تعالى لا يجب عليه شيء
بل العالم ملكه والدنيا والاخرة في سلطانه يفعل ما يشا فلو عذب المطيعين والصالحين
وادخلهم النار كان ذلك عدلا منه واذا اكرمهم ورحمهم وادخلهم الجنة فهو فضل منه ولو نعم

الكافرين

الكافرين وادخلهم الجنة كان له ذلك ولكنه تعالى اخبر وخبره صدق انه لا يفعل
هذا بل يغفر للمؤمنين ويدخلهم الجنة برحمته ويعذب الكافرين ويدخلهم النار عدلا
منه واما المعتزلة فيثبتون الاحكام بالعقل ويوجبون ثواب الاعمال ويوجبون
الاصلح في خبط طويل لهم تعالى الله عن اختراعاتهم الباطلة المنابذة لنصوص الشرع
وفي ظاهر الحديث دلالة لاهل الحق انه لا يستحق احد الثواب والجنة بطاعته واما
قوله تعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وتلك الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون ونحوها
من الايات التي تدل على ان الاعمال يدخل بها الجنة فلا تعارض بينها وبين هذا الحديث بل
معنى الايات ان دخول الجنة بسبب الاعمال ثم التوفيق للاعمال والهداية للاخلاص فيها
وقبولها برحمة الله تعالى وفضله فيصح انه لم يدخل بمجرد العمل وهو مراد الحديث
ويصح انه دخل بالاعمال اي بسببها وهي من الرحمة والله اعلم الاية العشرون من
سورة الدخان وهي قوله تعالى ان المتقين في مقام اي في موضع اقامة وقرا نافع وابن
عامر بضم الميم امين يامن صاحبه عن الافة والانتقال قاله البيضاوي وقال الواحدي
امنوا فيه الغير من الموت والحوادث والمقام المجلس كقوله ومقام كريم وقال
الشيخ عز الدين مقام امين مكان مامون من الموت او من الشيطان والاحزان او من
الغير والمحن والعذاب في جنات وعيون بدل من مقام جي به للدلالة على نزاهته
واشتماله على ما يستلذ به من الماكل والمشارب قاله البيضاوي يلبسون من سندس
واستبرق السندس مارق من الحرير والاستبرق ما غلظ منه معرب او مشتق
من البراقة ذكره البيضاوي وقال الشيخ عز الدين السندس مارق من الديباج مما
يلبس والاستبرق ما غلظ منه مما يفترش وقال الخازن فان قلت كيف ساغ ان يقع
في القران العربي المبين لفظ اعجمي قلت اذا عرب خرج من ان يكون اعجميا لان معنى التعريب
ان يجعل عربيا بالتصرف فيه وتغييره عن منهاجه واجرائه على اوجه الاعراب متقابلين
اي يقابل بعضهم بعضا وقال الشيخ عز الدين متقابلين بالمحبة غير متدابرين بالبغض
والحسد او في المجالس وقال البيضاوي متقابلين في مجالسهم ليستانس بعضهم ببعض
كذلك اي الامر كذلك او اثبناهم مثل ذلك وقال الخازن اي كما اكرمناهم بما وصفنا من الجنات
والعيون واللباس كذلك اكرمناهم وزوجناهم بحور عين اي قرناهم بهن ليس هو من عقد
التزويج وقيل جعلناهم ازواجا لهن اي جعلناهم اثنين اثنين والحور هن النسا
النقيات البياض وقيل التي يحار الطرف من بياضهن وصفاء لونهن وقيل الحور
الشديدات بياض العينين وقال الشيخ عز الدين العين جمع عيناء وهي العظيمة العينين
من النسا يدعون فيها بكل فاكهة يطلبون ويامرون باحضار ما يشتهون من الفواكه

لا يتخصص شي منها بمكان ولا زمان وقال الشيخ عز الدين بكل فاكهة نوع مما اشتهوه
منها امنين من الضرر قاله البيضاوي وقال الخازن اى من نفادها ومن مضرتها
وقيل امنين فيها من الموت والاوصاب والشيطان وقال الشيخ عز الدين امنين من غايلتها
وغب اداها ونفادها لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى اى لا يذوقون في الجنة الموت
البتة سوى الموتة التى ذاقوها فيها وقيل الا بمعنى لكن وتقديره لا يذوقون فيها الموت
لكن الموتة الاولى قد ذاقوها فيها وقيل انما استثنى الموتة من موت في الجنة
لان السعداء حين يموتون يصيرون بلطف الله الى اسباب الجنة يلقون الروح والريحان
يرون منازلهم في الجنة فكان موتهم في الدنيا انهم في الجنة لاتصالهم باسبابها ومشاهدتهم
اياها قاله الخازن وقال الشيخ عز الدين الا الموتة الاولى اى سوى ما ذاقوه كقوله
الا ما قد سلف وقيل بعدها والعرب تضع الكلمة مكان غيرها اذا تقارب معناهما
وقيل بمعنى لكن الموتة الاولى فقد ذاقوها ووقاهم عذاب الجحيم فضلا من ربك اى
اعطوا كل ذلك عطاء وتفضلا منه قاله البيضاوي وقال الخازن يعني كلما وصل اليه المتقون
من الخلاص من عذاب النار والفوز بالجنة انما حصل لهم ذلك بفضل الله تعالى وفعل ذلك
بهم تفضلا منه ذلك هو الفوز العظيم لانه خلاص عن المكاره وفوز بالمطالب قاله البيضاوي
الاية الحادية والعشرون من سورة الطور وهي قوله تعالى ان المتقين في جنات ونعيم
في اية جنات واى نعيم او في جنات ونعيم مخصوصة بهم فاكهين ناعمين متلذذين
قاله البيضاوي وقال الخازن معجبين بذلك ناعمين بما اتاهم ربهم لى من الخير والكرامة
ووقاهم ربهم وصرف عنهم عذاب الجحيم كلوا واشربوا اى يقال لهم ذلك هنيئا اى مأمون
العاقبة من التخمة والسقم قاله الخازن وقال البيضاوي اى اكلا وشربا هنيئا او طعاما
وشرابا هنيئا وهو الذى لا تنغيص فيه بما كنتم تعملون بسببه او بدله وقيل الباء زائدة
وما فاعل هنيئا والمعنى هناكم ما كنتم تعملون اى جزاؤه وقال الخازن بما كنتم تعملون
اى في الدنيا من الايمان والطاعة متكئين على سرر مصفوفة اى موضوعة بعضها
الى بعض وزوجناهم بحور عين اى صيرناهم ازواجا بسببهن الاية الثانية والعشرون
من سورة المرسلات وهي قوله تعالى ان المتقين اى الذين اتقوا الشرك في ظلال
جمع ظل وهو ظل الاشجار وعيون اى في ظلها عيون ماء قاله الخازن وفواكه مما يشتهون
مستقرون في انواع الترفه قاله البيضاوي كلوا واشربوا اى ويقال لهم ذلك وهذا
القول يحتمل ان يكون من جهة الله تعالى لا بواسطة وما اعظمها من نعمة وان يكون من
جهة الملائكة على سبيل الاكرام هنيئا اى خالص اللذة لا يشوبه تنغيص بما كنتم تعملون
اى في الدنيا من الطاعات قاله الخازن انا كذلك نجزى المحسنين في العقيدة ذكره

البيضاوي

البيضاوي وقال الخازن قيل المقصود منه تذكير الكفار ما فاتهم من النعم العظيمة ليعلموا
انهم لو كانوا من المتقين المحسنين لفازوا بمثل ذلك الخير العظيم الاية الثالثة والعشرون
من سورة النبا وهي قوله تعالى ان للمتقين الذين لم يجعلوا لله شريكا مفازا فوزا بالجنة ونجاة
من النار ثم فسر ذلك الفوز فقال حدائق واعنابا يعني اشجار الجنة وثمارها قاله الواحدى
وقال البيضاوي مفازا فوزا وموضع فوز والحدائق والاعناب بساتين فيها
انواع الاشجار المثمرة بدل من مفازا بدل الاشتمال او البعض وقال الخازن الحدائق جمع
حديقة وهي البستان المحوط فيه نخل وكواعب جمع كاعب يعني جوارى نواهد
قد تكعبت ثديهن اترابا اى مستويات في السن وقال الشيخ عز الدين كواعب نواهد
وعذارى اترابا اقرانا مستويات على سن واحد متصافيات متواخيات وقيل
لذات على سن ثماني عشرة سنة وكاسا دهاقا ملأى متتابعة صافية وقال الخازن
قال ابن عباس مملوءة مترعة وقيل متتابعة وقيل صافية وقال الواحدى عن مسلم
ابن قسطاس قال دعا ابن عباس غلاما فقال اسقنا دهاقا فجاء الغلام بها ملأى فقال
ابن عباس هذا الدهاق وقال سعيد بن جبير ومجاهد هي المتتابعة لا يسمعون فيها
اى في الجنة وقيل في حالة شربهم لان اهل الدنيا يتكلمون بالباطل في حالة شربهم لغوا
اى باطلا من الكلام ولا كذابا اى تكذيبا والمعنى انه لا يكذب بعضهم بعضا ولا ينطقون
به قاله الخازن وقال الواحدى قال ابن عباس وذلك ان اهل الدنيا اذا شربوا الخمر تكلموا
بالباطل واهل الجنة اذا شربوا لم يتكلموا عليها بشيء يكرهه الله تعالى جزاء من ربك قال
الزجاج المعنى جازاهم بذلك جزاء وكذلك عطاء اى واعطاهم عطاء حسابا قال ابو عبيدة كافيا
وقال ابن قتيبة كثيرا يقال احسبت فلانا اى اكثرت له واعطيته ما يكفيه قال الزجاج
اى في ذلك الجزاء كل ما يشتهون الاية الرابعة والعشرون من سورة البقرة وهي قوله تعالى
وتزودوا فان خير الزاد التقوى وتزودوا لمعادكم التقوى فانه خير زاد وقيل نزلت في اهل
اليمن كانوا يحجون ولا يتزودون ويقولون نحن متوكلون فيكونون كلا على الناس
فامروا ان يتزودوا ويتقوا الابرام في السوال والتثقيل على الناس قاله البيضاوي وقال
البغوى نزلت في ناس من اهل اليمن كانوا يخرجون الى الحج بغير زاد ويقولون نحن متوكلون
ويقولون نحن نحج بيت الله افلا يطعمنا فاذا قدموا مكة سالوا الناس وربما يفضى
بهم الحال الى النهب والغصب فقال الله جل ذكره وتزودوا اى ما تتبلغون به
وتكفون به وجوهكم قال اهل التفسير الكعك والزبيب والسويق والتمر ونحوها فان
خير الزاد التقوى من السوال والنهب وقال الواحدى فان خير الزاد التقوى يعني ما تكفون
به وجوهكم عن السوال وانفسكم عن الظلم فهذا نوع تقوى وقال الخازن وقيل في معنى

الاية وتزودوا من التقوى فان الانسان لابد له من سفر في الدنيا ولا بد فيه من زاد ويحتاج
فيه الى الطعام والشراب والمركب وسفر من الدنيا الى الاخرة ولا بد فيه من زاد ايضا وهو
تقوى الله تعالى والعمل بطاعته وهذا الزاد افضل من الزاد الاول فان زاد الدنيا يوصل
الى مراد النفس وشهواتها وزاد الاخرة يوصل الى النعيم المقيم في الاخرة واتقون اي
ثم وخافوا عقابي وقيل معناه واشتغلوا بتقواي وفيه تنبيه على كمال عظمة الله
عز وجل يا اولي الالباب اي يا ذوي العقول الذين يعلمون حقايق الامور وقال البيضاوي
فان قضية اللب خشية الله وتقواهم حثهم على التقوى ثم امرهم بان يكون المقصود
بها هو الله فيتبروا من كل شي سواه وهو مقتضى العقل المعرى عن شوايب الهوى
فلذلك خص اولي الالباب بهذا الخطاب الاية الخامسة والعشرون من سورة الاعراف
وهي قوله تعالى ولباس التقوى خشية الله وقيل الايمان وقيل السمت الحسن وقيل
لباس الحرب قاله البيضاوي وقال ابن جميل في التنوير وفي اللباس قولان احدهما
انه الملبوس لانه الحقيقة وفيه وجوه احدها ان المراد اللباس المتقدم يعني في الاية
قبله يا بني ادم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سواتكم وريشا ولباس التقوى واعيد ذكره
لاضافته الى التقوى وللاخبار عنه بانه خير رد الما كانوا يعتقدون في الطواف عراة
الثاني المراد ما يلبس في الحروب للوقاية الثالث المراد ما يعد من اللباس للصلاة
القول الثاني انه مجاز قيل هو الايمان وقيل العمل الصالح وقيل العفاف والتوحيد
لان المومن مستور وان عري من الثياب والفاجر مكشوف العورة وان كان كاسيا وقيل
هو الحيا وقيل هو ما يظهر على الانسان من السكينة والعمل الصالح وقال الخازن اختلف
العلما في معناه فمنهم من حمله على نفس الملبوس فاختلفوا ايضا في معناه فقال ابن
الانباري لباس التقوى هو اللباس الاول يعني المذكور في الاية قبله وانما اعاده
اخبارا ان ستر العورة من التقوى وذلك خير وقيل انما اراده ليخبر عنه بانه
خير لان العرب في الجاهلية كانوا يتعبدون بالتعري وخلع الثياب في الطواف بالبيت
فاخبر ان ستر العورة في الطواف هو لباس التقوى وذلك خير وقال زيد بن علي لباس
التقوى الات الحروب التي يتقى بها في الحروب كالدرع والمغفر ونحو ذلك وقيل
لباس التقوى هو الصوف والخشن من الثياب التي يلبسها اهل الزهد والورع
وقيل هو ستر العورة في الصلاة واما من حمل لباس التقوى على المجاز فاختلفوا في
معناه فقال قتادة والسدي لباس التقوى هو الايمان لان صاحبه يتقي به من النار
وقال ابن عباس لباس التقوى هو العمل الصالح وقال الحسن هو الحيا لانه يحث على
التقوى وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه لباس التقوى هو السمت الحسن وقال

عروة

عروة بن الزبير لباس التقوى خشية الله وقال الكلبي هو العفاف فعلى هذه
الاقوال ان لباس التقوى خير لصاحبه اذا اخذ به مما خلق الله له من لباس التجمل وزينة
الدنيا وهو قوله تعالى ذلك خير يعني ان لباس التقوى خير من لباس الجمال والزينة وقال
الواحدي والمعنى لباس التقوى خير لصاحبه اذا اخذ به واقرب له الى الله مما خلق له من
اللباس والرياش للتجمل الاية السادسة والعشرون من سورة الحجرات وهي قوله تعالى
اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى جربها ومرنها عليها او عرفها كاينة للتقوى خالصة
لها فان الامتحان سبب المعرفة اللام صلة محذوف او للفعل باعتبار الاصل او جرب
قلوبهم بانواع المحن والتكاليف الشاقة لاجل التقوى فانها لا تظهر الا بالاصطبار
عليها او اخلصها للتقوى من امتحن الذهب اذابه وميز ابريزه من خبثه قاله
البيضاوي وقال الواحدي قال الفرا اخلص الله قلوبهم للتقوى كما يمتحن الذهب بالنار
فيخرج جيده من رديه ويسقط خبثه وعلى هذا تقدير الكلام امتحن الله قلوبهم فاخلصها
للتقوى فحذف الاخلاص لدلالة الامتحان عليه ولهذا قال مقاتل ومجاهد
وقتادة اخلص الله قلوبهم الاية السابعة والعشرون من سورة الحج وهي قوله
تعالى ومن يعظم شعاير الله فانها من تقوى القلوب شعاير الله المعالم التي ندب الله
تعالى اليها وامر بالقيام بها واحدتها شعيرة كالصفا والمروة من شعاير الله
والذي يعني به ههنا البدن قاله الزجاج وقال البيضاوي شعاير الله دين الله
او فرايض الحج ومواضع نسكه او الهدايا لانها من معالم الحج وهو اوفق لظاهر
ما بعده وتعظيمها ان يختارها حسانا سمانا غالية الاثمان روي انه عليه الصلاة
والسلام اهدى ماية بدنة فيها جمل لابي جهل في انفه برة من ذهب وان عمر
اهدى نجيبة طلبت منه بثلثماية دينار فانها من تقوى القلوب فان تعظيمها من افعال
ذي تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات والعايد الى من وذكر القلوب لانها
منشا التقوى والفجور والامرة بهما وقال الواحدي يعني بتعظيم شعاير الله
استعظام الهدايا والضحايا والشعاير جمع شعيرة وهي البدن يقال اشعر الرجل
بدنته اذا جعل عليها علامة ليعلم انها وجبت بدنة وهو مذهب الشافعي رضي الله عنه
في الابل والبقر بجرح سنامها من الجانب الايمن وهي مستقبلة القبلة كما فعل رسول
الله صلى الله عليه وسلم واما الغنم فانها ضعيفة لا تحتمل الاشعار والشعيرة بمعنى
المشعرة فانها قال الفرا اريد فان الفعلة كما قال ان ربك من بعدها لغفور رحيم
قال ابن عباس يريد من التقوى الذي اتقاه المتقون واضاف التقوى الى القلوب
لان حقيقة التقوى تقوى القلوب كما يروى في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال

التقوى ههنا واشار الى صدره وقال ابن جميل في التنوير والشعا ير ما ينصب اعلا ما
لشئ قيل هو عام وقيل هو افعال الحج وقيل الهدايا وتعظيمها بان يعتقد الطاعة في التقرب
وبان يختارها عظيمة سمينة ولا يماكس في ثمنها وكذلك الاضحية والرقبة ومعنى فانها من
تقوى القلوب اى فان تعظيمها من افعال ذوى تقوى القلوب فحذفت هذه المضافات
لان المعنى يدل عليها واضيفت الى القلوب لانها محل الاخلاص وبالغ سبحانه في تعظيم الهدايا
ابعادا عن عادات الجاهلية وقال الشيخ عز الدين تقوى القلوب خلاصها وقيل قصد
الثواب الاية الثامنة والعشرون من سورة براة وهي قوله تعالى افمن اسس بنيانه
اى بنيان دينه على تقوى من الله ورضوان خير على قاعدة محكمة هي التقوى من الله
وطلب مرضاته بالطاعة قاله البيضاوى وقال الواحدى البنيان مصدر يراد به
المبنى ههنا والتاسيس بنيانه فتولى ذلك غيره بامره كان كبنيانه والمعنى المؤسس
بنيانه متقيا يخاف الله ويرجوا ثوابه ورضوانه خير ام المؤسس بنيانه غير متق
وهو قوله ام من اسس بنيانه على شفا جرف هار الاية وقال الخازن افمن اسس
بنيان دينه على قاعدة قوية محكمة وهي الحق الذى هو تقوى الله تعالى ورضوانه
خير ام من اسس دينه على اضعف القواعد واقلها بقاء وثباتا وهو الباطل والنفاق
الذى مثله مثل بنا على غير اساس ثابت الاية التاسعة والعشرون من سورة
الاعراف وهي قوله تعالى ورحمتى وسعت كل شئ في الدنيا المؤمن والكافر المكلف وغيره
فساكتبها فساثبتها في الاخرة للذين يتقون الكفر والمعاصى قاله البيضاوى
وقال الواحدى قال الحسن وقتادة ان رحمته وسعت في الدنيا البر والفاجر
وهي يوم القيمة للمتقين خاصة وقال عطية العوفى ان الكافر يرزق ويدفع عنه
بالمؤمن لسعة رحمة الله للمؤمن فيعيش فيها فاذا صار الى الاخرة وجبت للمؤمنين
خاصة كالمستضئ بنار غيره اذا ذهب صاحب السراج بسراجه قال قام
رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلاة وقمنا معه فقال اعرابى وهو في الصلاة
اللهم ارحمنى ومحمدا ولا ترحم معنا احدا فلما سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للاعرابى
لقد تحجرت واسعا يريد رحمة الله عز وجل رواه البخارى وقال قتادة وابن عيينة
في قوله ورحمتى وسعت كل شئ قال ابليس انا من ذلك الشئ فانزل الله فساكتبها للذين
يتقون الى اخر الاية فتمنتها اليهود والنصارى وقالوا نحن نؤمن بالتوراة والانجيل
ونؤدى الزكاة فاختلسها الله من ابليس واليهود والنصارى وجعلها لهذه الامة
خاصة فقال الذين يتبعون الرسول النبى الامى وهو نبيكم كان اميا لا يكتب وقال
الخازن فرحمة الله تعالى عمت البر والفاجر في الدنيا وهي للمؤمنين خاصة في الاخرة

وقيل

210

وقيل للمؤمنين خاصة في الدنيا والاخرة ولكن الكافر يرزق ويدفع عنه ببركة المؤمن
لسعة رحمة الله فاذا كان يوم القيمة وجبت للمؤمنين خاصة وتقدم هذا في
الاعتصام بالسنة الاية الثلاثون من سورة البقرة وهي قوله تعالى هدى للمتقين
اى هو هدى يعنى القران اى رشد وبيان لاهل التقوى والهدى ما يهتدى به الانسان
قاله البغوى وقال البيضاوى يهديهم الى الحق والهدى في الاصل مصدر كالسرى
والتقى ومعناه الدلالة الموصلة الى البغية لانه جعل مقابل الضلالة قال تعالى
لعلى هدى او في ضلال مبين ولانه لا يقال مهدى الا لمن اهتدى الى المطلوب واختصاصه
بالمتقين لانهم المهتدون به والمنتفعون بنصه وان كانت دلالته عامة لكل ناظر
من مسلم او كافر وبهذا الاعتبار قال هدى للناس اولانه لا ينتفع بالتامل فيه
الا من صقل العقل واستعمله في تدبر الايات والنظر في المعجزات وتعرف النبوات
فانه كالغذاء الصالح لحفظ الصحة فانه لا يجلب الصحة نفعا ما لم تكن الصحة حاصلة
واليه اشار بقوله وننزل من القران ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا
خسارا ولا يقدح ما فيه من المجمل والمتشابه في كونه هدى لما لم ينفك عن بيان تعيين المراد
منه والمتقى اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة وهو في عرف الشرع
اسم لمن يقى نفسه عما يضره في الاخرة وله ثلاث مراتب الاولى التوقى عن العذاب المخلد
بالتبرى عن الشرك وعليه قوله تعالى والزمهم كلمة التقوى والثانية التجنب عن كل ما يؤثم
من فعل او ترك حتى الصغاير عند قوم وهو المتعارف باسم التقوى في الشرع وهو المعنى
بقوله تعالى ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا والثالثة ان يتنزه عما يشغل سره عن الحق
ويتبتل اليه بشراشره وهو التقوى الحقيقى المطلوب بقوله تعالى يا ايها الذين امنوا
اتقوا الله حق تقاته وقد فسر قوله تعالى هدى للمتقين على الاوجه الثلاثة وقال البغوى
قال ابن عباس المتقى من يتقى الشرك والكباير والفواحش وهو ماخوذ من الاتقاء واصله
الحجز بين شيئين ومنه يقال اتقى بترسه اى جعله حاجزا بين نفسه وبين ما يقصده
وفي الحديث كنا اذا احمر الباس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم اى اذا اشتد الحرب
جعلناه حاجزا بيننا وبين العدو فكان المتقى يجعل امتثال امر الله والاجتناب
عما نهى عنه حاجزا بينه وبين العذاب قال عمر بن الخطاب لكعب الاحبار حدثنى عن
التقوى فقال هل اخذت اى سلكت طريقا ذا شوك قال نعم قال فما عملت فيه قال حذرت
وتشمرت قال كعب ذلك التقوى وقال ابن عمر التقوى الا ترى نفسك خيرا من احد
وقال عمر بن عبد العزيز التقوى ترك ما حرم الله واداء ما افترض الله فما رزق الله بعد
ذلك فهو خير الى خير وقيل هو الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الواحدى والمراد

بالمتقين في هذه الاية المومنون الذين اتقوا الشرك وجعلوا ايمانهم حاجزا بينهم وبين
الشرك كانه قال القران بيان وهدى لمن اتقى الشرك وهم المومنون وخص المومنون
بان الكتاب بيان لهم دون الكفار الذين لم يهتدوا بهذا الكتاب لانتفاعهم به دونهم
كقوله تعالى انما انت منذر من يخشاها وكان صلى الله عليه وسلم منذرا لمن يخشى
ولمن لم يخش وقيل معناه هدى للمتقين والكافرين فاكتفى باحد الفريقين عن الاخر كقوله تعالى
سرابيل تقيكم الحر واراد الحر والبرد فاكتفى بذكر احدهما الاية الحادية والثلاثون من سورة
البقرة وهي قوله تعالى وموعظة للمتقين اى المومنين من امة محمد صلى الله عليه وسلم
وقال البيضاوي للمتقين من قومهم يعني بني اسرايل اولكل متق سمعها وقال الواحدي
نهيا وعبرة لامة محمد صلى الله عليه وسلم ان يتجاوزوا ما حد لهم الاية الثانية والثلاثون
من سورة الانبيا عليهم السلام وهي قوله تعالى وذكرى للمتقين اى الكتاب الجامع
لكونه فارقا بين الحق والباطل وضيا يستضا به في ظلمات الحيرة والجهالة
وذكرا ايتعظ به المتقون اوذكر ما يحتاجون اليه من الشرايع وقال ابن جميل في التنوير
وخص الذكر بالمتقين لانهم المنتفعون به وقال الخازن يعني يتذكرون بمواعظه
ويعملون بما فيه الاية الثالثة والثلاثون من سورة البقرة وهي قوله تعالى
يا ايها الناس اعبدوا ربكم يا ايها الناس عموم في كل مكلف من مومن وكافر قال ابن
عباس يا ايها الناس خطاب اهل مكة ويا ايها الذين امنوا خطاب اهل المدينة
ومعنى اعبدوا ربكم اى وحدوا ربكم واخضعوا له بالطاعة ولا يجوز ذلك الا لمالك الاعيان
قاله الواحدي وقال البغوي قال ابن عباس كلما ورد في القران من العبادة فمعناها
التوحيد وقال البيضاوي فالناس يعم المومنين الموجودين وقت النزول
لفظا ومن سيوجد لما تواتر من دينه عليه السلام ان مقتضى خطابه واحكامه
شامل للقبيلين ثابت الى قيام الساعة الا ما خصه الدليل وما روي عن علقمة والحسن
ان كل شيء نزل فيه يا ايها الناس فمكي ويا ايها الناس فمدني ان صح رفعه فلا يوجب
تخصيصه بالكفار ولا امرهم بالعبادة فان المامور به هو المشترك بين بدء العبادة
والزيادة فيها والمواظبة عليها فالمطلوب من الكفار هو الشروع فيها بعد الاتيان
بما يجب تقديمه من المعرفة والاقرار بالصانع فان من لوازم وجوب الشيء وجوب ما لا يتم
الا به وكما ان الحدث لا يمنع وجوب الصلاة فالكفر لا يمنع وجوب العبادة بل يجب
رفعه والاشتغال بما عقبه ومن المومنين ازديادهم وثباتهم عليها اى العبادة
وانما قال ربكم تنبيها على ان الموجب للعبادة هي الربوبية الذي خلقكم الخلق ابداع
شيء لم يسبق اليه ولم يكن وكل شيء خلقه الله فهو مبديه اولا على مثال سبق اليه قاله

الواحدي

الواحدي وقال البيضاوي الخلق ايجاد الشيء على تقدير واستواوا صله التقدير يقال
خلق النعل اذا قدرها وسواها بالمقياس والذين من قبلكم متناول كلما يتقدم الانسان
بالذات اوالزمان وقال الواحدي ومعنى الاية ان الله تعالى احتج على العرب بانه خالقهم
وخالق من قبلهم لانهم كانوا مقرين بذلك لقوله تعالى ولين سالتهم من خلقهم ليقولن الله
فقيل لهم اذ كنتم معترفين بانه خالقكم فاعبدوه فان عبادة الخالق اولى من عبادة
المخلوقين من الاصنام لعلكم تتقون حال من الضمير في اعبدوا كانه قال اعبدوا ربكم
راجين ان تنخرطوا في سلك المتقين الفايزين بالهدى والفلاح المستوجبين لجوار الله
تعالى نبه به على ان التقوى منتهى درجات السالكين وهو التبري من كل شيء سوى الله
تعالى الى الله وان العابد ينبغي ان لا يغتر بعباده ويكون ذا خوف ورجاء كما قال تعالى
يدعون ربهم خوفا وطمعا يرجون رحمته ويخافون عذابه وقيل تعليل للخلق اى خلقكم
لكي تتقوا كما قال وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وهو ضعيف اذ لم يثبت في اللغة
مثله والاية تدل على ان الطريق الى معرفة الله تعالى والعلم بوحدانيته واستحقاقه
للعبادة النظر في صنعه والاستدلال بافعاله وان العبد لا يستحق بعبادته عليه
ثوابا فانها لما وجبت عليه شكرا لما عدده عليه من النعم السابقة فهو كاجير
اخذ الاجر قبل العمل قاله البيضاوي وقال الواحدي قيل ان لعل تكون ترجيا وتكون
بمعنى كي وقيل لعل كلمة ترجية وتطميع اى كونوا على رجا وطمع ان تتقوا بعبادتكم
عقوبة الله ان تحل بكم كما قال في قصة فرعون لعله يتذكر او يخشى كانه قال اذهبا انتما
على رجايكما وطمعكما والله تعالى من وراء ذلك عالم بما يوول اليه امره وقال البغوي لعلكم
تتقون لكي تنجوا من العذاب وقيل معناه كونوا على رجا التقوى بان تصيروا في
ستر ووقاية من عذاب الله وحكم الله من ورايكم يفعل ما يشا كما قال فقولا له قولا
لينا لعله يتذكر او يخشى اى ادعوه الى الحق وكونوا على رجا التذكر وحكم الله من ورايه
يفعل ما يشا قال سيبويه لعل وعسى حرفا ترجي وهما من الله واجب انتهى
وهذه اشارة الى ان فرعون تذكر وخشي قطعا تصديقا لرجا الله تعالى منه ذلك وهو
يقتضي قبول ايمانه كما جزم به الشيخ الاكبر محي الدين ابن العربي رضي الله عنه وتابعه
عليه الجلال الدواني في رسالة له في ذلك وغيره ايضا الاية الرابعة والثلاثون من سورة
البقرة وهي قوله تعالى واذكروا ما فيه ما في الكتاب ادرسوه ولا تنسوه وتفكروا ما فيه
فانه ذكر بالقلب او اعملوا به لعلكم تتقون لكي تتقوا المعاصي او رجا منكم ان تكونوا
متقين قاله البيضاوي وقال البغوي اذكروا وادرسوا وقيل احفظوا لكي تنجوا من
الهلاك في الدنيا والعذاب في العقبى فان قبلتم والا رضختكم بهذا الجبل واغرقتكم في

جزم الشيخ الاكبر محي الدين ابن العربي
وتبعه الجلال الدواني
وغيره

هذا البحر واحرقتكم بهذه النار فلما راوا ان لا مهرب لهم منها قبلوا وسجدوا وجعلوا
يلاحظون الجبل وهم سجود فصارت سنة في اليهود لا يسجدون الا انصاف
وجوههم ويقولون بهذا السجود رفع عنا العذاب وقال الواحدي المعنى احفظوا
ما في التوراة من الحلال والحرام واعملوا بما فيه وقيل واذكروا ما فيه من الثواب
والعقاب لكي تتقوا محارمي فتتركوها فتنجوا من العذاب والهلاك في الدنيا والاخرة
الاية الخامسة والثلاثون من سورة البقرة ايضا وهي قوله تعالى ولكم في القصاص
حياة يا اولي الالباب اي بقا وذلك ان القاصد للقتل اذا علم انه اذا قتل يقتل
يمتنع عن القتل فيكون فيه بقاوه وبقاء من هم بقتله وقيل في المثل القتل
قلل القتل وقيل معنى الحياة سلامته من قصاص الاخرة فانه اذا اقتص منه
حي في الاخرة قاله البغوي وقال الواحدي وقيل جعل الله هذا القصاص حياة
وعبرة لاهل السفه والجهل من الناس فكم من رجل قد هم بداهية لولا
مخافة القصاص لوقع بها ولكن الله حجز بالقصاص عباده بعضهم عن بعض
وهذا قول اكثر اهل التفسير والنصارى كانوا يقتلون بالواحد الاثنين والعشرة
والماية فلما قصروا على الواحد بالواحد كان في ذلك حياة وقال لا يقتل الا القاتل
بجنايته وقال البيضاوي هذا كلام في غاية الفصاحة والبلاغة من حيث
جعل الشيء محل ضده وعرف القصاص ونكر الحياة ليدل على ان في هذا
الجنس من الحكم نوعا من الحياة عظيما وذلك لان العلم به يردع القاتل عن
القتل فيكون سبب حياة نفسين ولانهم كانوا يقتلون غير القاتل والجماعة
بالواحد ~~فتثور~~ فتثور الفتنة بينهم فاذا اقتص من القاتل سلم الباقون
ويصير ذلك سببا لحياتهم وقرئ في القصص اي فيما قص عليكم من حكم القتل
حياة او في القران حياة للقلوب يا اولي الالباب ذوي العقول الكاملة ناداهم
للتامل في حكمة القصاص من استبقاء الارواح وحفظ النفوس لعلكم تتقون
في المحافظة على القصاص والحكم به والاذعان له او عن القصاص فتكفوا عن القتل
الاية السادسة والثلاثون من سورة البقرة ايضا وهي قوله تعالى يا ايها الذين امنوا
كتب عليكم الصيام مصدر صام كالقيام من قام واصله في اللغة الامساك
عن الشيء والترك له وقيل للصمت صوم لانه امساك عن الكلام قال الله تعالى
اني نذرت للرحمن صوما يقال صام النهار اذا قام قايم الظهيرة وصامت الريح
اذا ركدت وصام الفرس اذا اقام على غير اعتلاف فهذا اصله في اللغة وفي الشريعة
هو الامساك عن الطعام والشراب والجماع مع اقتران النية في وقت مخصوص

اي فرض

وهو

وهو من طلوع الفجر الى غروب الشمس واجماع المفسرين على ان هذا الصيام صيام
شهر رمضان وكان الفرض في ابتداء الاسلام صوم يوم عاشورا وثلاثة ايام من كل
شهر فنسخ ذلك بصيام شهر رمضان قبل قتال بدر بشهرين قاله الواحدي كما كتب
على الذين من قبلكم يعني الانبيا والامم من لدن ادم وفيه توكيد للحكم وترغيب في الفعل
وتطييب على النفس ذكره البيضاوي وقال البغوي واختلفوا في هذا التشبيه
قال سعيد بن جبير كان صوم من قبلنا من العتمة الى الليلة القابلة كما كان في ابتداء
الاسلام وقال جماعة من اهل العلم اراد ان صيام رمضان كان واجبا على النصارى كما
فرض علينا فربما كان يقع في الحر الشديد والبرد الشديد وكان يشق عليهم في اسفارهم
ويضرهم في معايشهم فاجتمع راي علمايهم ورؤسايهم على ان يجعلوا صيامهم
في فصل من السنة بين الشتا والصيف فجعلوه في الربيع وزادوا فيه عشرة
ايام كفارة لما صنعوا فصار اربعين ثم ان ملكا لهم اشتكى فيه فجعل لله عليه ان
هو بري من وجعه ان يزيد في صومهم اسبوعا فبري فزاد فيه اسبوعا ثم
مات ذلك الملك ووليهم ملك اخر فقال اتموه خمسين يوما وقال مجاهد اصابهم
موتان فقالوا زيدوا في صيامكم فزادوا عشرة قبل وعشرا بعد قال الشعبي لو صمت
السنة كلها لافطرت اليوم الذي يشك فيه فيقال من شعبان ويقال من رمضان وذلك
ان النصارى فرض عليهم شهر رمضان فصاموا قبل الثلاثين يوما وبعدها يوما ثم لم
يزل الاخر يستن بسنة القرن الذي قبله حتى صار الى خمسين يوما فذلك قوله كما كتب
على الذين من قبلكم لعلكم تتقون يعني الصوم لان الصوم وصلة الى التقوى لما فيه
من قهر النفس وكسر الشهوات وقيل لعلكم تحذرون عن الشهوات من الاكل والشرب
والجماع وقال الواحدي وقيل لتتقوا المعاصي فان الصيام وصلة الى التقى لانه
يكف الانسان عن كثير مما تطلع اليه النفس من المعاصي وقال الخازن وقيل معناه
لعلكم تتقون ما فعله النصارى من تغيير الصوم وقيل لعلكم تنتظمون في زمرة
المتقين لان الصوم من شعارهم الاية السابعة والثلاثون من سورة البقرة
ايضا وهي قوله تعالى كذلك اي مثل هذا البيان الذي ذكر يبين الله اياته للناس
اي معالم دينه واحكام شرعته لعلهم يتقون اي لكي يتقوا ما حرم عليهم فينجوا
من العذاب قاله الخازن وقال البيضاوي لعلهم يتقون مخالفة الاوامر والنواهي
الاية الثامنة والثلاثون من سورة الانعام وهي قوله تعالى وانذر به الضمير
لله تعالى وقيل للقران وهو الظاهر لان التخويف انما يقع بالقول الذين يخافون ان
يحشروا الى ربهم قيل هم الكفار لانه صلى الله عليه وسلم كان يخوفهم بالاخرة وقد يقع في قلوبهم

ان ذلك حق ولان المومنين يتيقنون الحشر فلا يوصفون بانهم تخافونه وقيل هم المومنون لانهم يوقنون بالبعث ويخافون من العذاب منه وقيل يتنا ول الجميع لانهم لانه صلى الله عليه وسلم مبعوث للجميع وماموربا لتبليغ وخص الذين يخافون لان انتفاعهم به اشد فيحملهم على اعداد الزاد له قاله ابن جميل فى التنوير وقال الواحدى يريد المومنين يخافون يوم القيمة وما فيها من الاهوال علما بانه سيكون وقال الخازن وقيل معنى يخافون يعلمون والمراد بهم كل معترف بالبعث من مسلم وكتابى وقال البيضاوى هم المومنون المفرطون فى العمل او المجوزون للحشر مومنا كان او كافرا مقرا به او مترددا فيه فان الانذار ينجع فيهم دون الفارغين عنه الجازمين باستحالته ليس لهم من دونه اى دون الله ولى اى قريب ينفعهم ولا شفيع يعنى يشفع لهم قاله الخازن وقال ابن جميل فى التنوير فان كانوا يعنى الذين يخافون ان يحشروا هم الكفار فظاهر وان كانوا هم المومنين لم ينافى مذهبنا فى اثبات الشفاعة لانها انما تكون باذنه فهى فى الحقيقة منه وقال الواحدى لان شفاعة الرسل والملايكة للمومنين انما تكون باذن الله لعلهم يتقون كى يخافوا فينتهوا عما نهيتهم الاية التاسعة والثلاثون من سورة الانعام ايضا وهى قوله تعالى ذلكم يعنى عدم اتباعكم السبل المختلفة والاهوا المضلة والبدع المردية وصاكم الله تعالى به من لطفه بكم ورافته لعلكم تتقون الضلال والتفرق عن الحق قاله البيضاوى وقال الخازن يعنى الطرق المختلفة والسبل المضلة وقال ابن جميل فى التنوير اى المعاصى والضلالات الاية الاربعون من سورة المايدة وهى قوله تعالى اعدلوا يعنى فى اوليايكم واعدايكم قاله البغوى وقال الواحدى اعدلوا فى الولى والعدو هو اقرب للتقوى اى العدل اقرب لاتقا النار وقال الخازن امر الله بالعدل فى كل احد القريب والبعيد والصديق والعدو وقال ابن جميل فى التنوير هو اقرب للتقوى اى اقرب للاتقا من المعاصى او من عذاب الله وان كان هذا فى العدل مع الكفار فكيف به مع المومنين الاية الحادية والاربعون من سورة البقرة وهى قوله تعالى وان تعفوا اقرب للتقوى هذا خطاب للرجال والنسا جميعا ومعناه عفو بعضهم عن بعض ادعى الى اتقا معاصى الله لان هذا العفو ندب فاذا انتدب اليه علم انه لما كان فرضا اشد استعمالا قاله الواحدى الاية الثانية والاربعون من سورة البقرة ايضا وهى قوله تعالى ولو انهم يعنى اليهود امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران واتقوا يعنى اليهودية والسحر وما يوثمهم لمثوبة من عند الله خير اى لكان ثواب الله اياهم خيرا وقال الواحدى المثوبة كالثواب ومعنى الاية ان ثواب الله لهم

لوامنوا

213

لوامنوا خير من كسبهم بالكفر والسحر وقال البيضاوى ولو انهم امنوا بالرسول والكتاب واتقوا بترك المعاصى كنبذ كتاب الله واتباع السحر لمثوبة من عند الله خير وتنكير المثوبة لان المعنى لشىء من الثواب خير الاية الثالثة والاربعون من سورة ال عمران وهى قوله تعالى وان تصبروا على عداوتهم يعنى المنافقين او على مشاق التكاليف وتتقوا موالاتهم او ما حرم الله عليكم لا يضركم كيدهم شيا بفضل الله وحفظه الموعود للصابرين والمتقين ولان المجد فى الامر المتدرب بالاتقا والصبر يكون قليل الانفعال جريا على الخصم قاله البيضاوى وقال الخازن وان تصبروا على اذاهم وقيل على طاعة الله وما ينالكم فيها من شدة وتتقوا اى تخافوا ربكم وقيل ما نهاكم عنه وتتوكلوا عليه لا يضركم اى لا ينقصكم كيدهم اى عداوتهم ومكرهم شيا لانكم فى عناية الله وحفظه وقال الواحدى وان تصبروا على ما تسمعون من اذاهم وتتقوا مقاربتهم فى دينهم والمحبة لهم لا يضركم كيدهم شيا ضمن الله للمومنين النصر ان صبروا واعلمهم ان عداوتهم وكيدهم غير ضار لهم الاية الرابعة والاربعون من سورة ال عمران ايضا وهى قوله تعالى بلى تصديق لوعد الله اى بلى يمدكم وقيل بلى ايجاب لما بعد ان يعنى يكفيكم الامداد بهم فاوجب الكفاية وهو متعلق بالايات قبله ان تصبروا اى على لقاء عدوكم وتتقوا يعنى معصية الله ومخالفة نبيه صلى الله عليه وسلم وياتوكم يعنى المشركين قاله الخازن من فورهم هذا قال ابن عباس والحسن وقتادة واكثر المفسرين من وجههم هذا وقال مجاهد والضحاك من غضبهم هذا قاله البغوى وقال الواحدى واصل الفور غليان القدر يقال فارت القدر تفور فورا ثم يقال للغضبان فار فايره اى اشتد غضبه يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملايكة لم يرد خمسة الاف سوى ما ذكر فى الاية قبله من ثلاثة الاف بل اراد معهم مسومين اى معلمين قرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم بكسر الواو وقرا الاخرون بفتحها فمن كسر الواو اراد به سوموا خيلهم ومن فتحها اراد به انفسهم والتسويم الاعلام من السومة وهى العلامة واختلفوا فى تلك العلامة قال عروة بن الزبير كانت الملايكة على خيل بلق عليهم عمايم صفر وقال على وابن عباس كانت عليهم عمايم بيض قد ارسلوها بين اكتافهم وقال قتادة والضحاك كانوا قد اعلموا بالعهن فى نواصى الخيل واذنابها وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه يوم بدر سوموا فان الملايكة قد تسومت بالصوف الابيض فى قلانسهم ومغافرهم قاله البغوى وقال الخازن روى ابن الجوزى فى تفسيره عن جبير بن مطعم عن على بن ابى طالب رضى الله عنه قال بينا انا امتح

من قليب بدر جات ريح شديدة لم ار اشد منها ثم جات ريح شديدة لم ار اشد منها
الا التي هك قبلها ثم جات ريح شديدة لم ار اشد منها الا التي قبلها فكانت الريح الاولى
جبريل نزل في الفين من الملايكة وكان بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وكانت
الريح الثانية ميكايل نزل في الفين من الملايكة وكانوا عن يمين رسول الله صلى الله
عليه وسلم والريح الثالثة اسرافيل نزل في الف من الملايكة عن يسار رسول الله صلى
الله عليه وسلم وكنت عن يساره وهزم الله اعداءه الاية الخامسة والاربعون
من سورة ال عمران ايضا وهي قوله تعالى وان تصبروا على الاذى الذي ينالكم
وتتقوا بترك المعارضة والمعاصي قاله الواحدي وقال الخازن الخطاب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين يعني وان تصبروا على اذاهم وتتقوا فيما
امركم به ونهاكم لان الصبر عبارة عن احتمال الاذى والمكروه والتقوى عبارة عن
الاحتراز عما لا ينبغي فان ذلك مما يعني الصبر والتقوى من عزم الامور من معزومات
الامور التي يجب العزم عليها او مما عزم الله عليه اي امر به وبالغ فيه والعزم
في الاصل ثبات الراي على الشي نحو امضايه قاله البيضاوي وقال البغوي من عزم
الامور اي من حق الامور وحزمها قال عطا من حقيقة الايمان وقال الواحدي
مما يعزم عليه من الامر لظهور رشده وقال الخازن اي من صواب التدبير
الذي لا شك فيه ولا ينبغي لعاقل تركه واصله من قولك عزمت عليك ان تفعل كذا
اي الزمتك ان تفعله لا محالة ولا تتركه وقيل معناه فان ذلك مما قد عزم عليكم
فعله اي الزمكم الاخذ به الاية السادسة والاربعون من سورة النسا وهي قوله
تعالى وان تصلحوا ما كنتم تفسدون وتتقوا فيما يستقبل فان الله كان غفورا
رحيما يغفر لكم ما مضى قاله البيضاوي الاية السابعة والاربعون من سورة المايدة
وهي قوله تعالى ولو ان اهل الكتاب امنوا صدقوا بمحمد صلى الله عليه وسلم واتقوا
اليهودية والنصرانية لكفرنا عنهم سياتهم التي عملوها قبل ان تايهم والمعنى
محونا ذنوبهم التي سلفت بالايمان بك قاله الواحدي وقال البيضاوي امنوا
بمحمد وما جا به واتقوا ما عددنا عليهم من معاصيهم ونحوه لكفرنا عنهم سياتهم
التي فعلوها ولا نواخذهم بها ولادخلناهم جنات النعيم ولجعلناهم من الداخلين
فيها وفيه تنبيه على عظم معاصيهم وكثرة ذنوبهم وان الاسلام يجب ما قبله
وان جل وان الكتابي لا يدخل الجنة ما لم يسلم وقال ابن جميل في التنوير هذا ترغيب
في الانابة وبيان لسعة رحمته وانهم لو رجعوا لقبلوا ولسعدوا في الاخرة باسقاط
عقابهم المشار اليه بقوله لكفرنا عنهم سياتهم وبايصال الثواب المشار اليه بقوله

ولادخلناهم جنات النعيم ومعنى اتقوا اتوا بالايمان للتقوى لا لغرض اخر كفعل المنافقين
الاية الثامنة والاربعون من سورة الاعراف وهي قوله تعالى ولو ان اهل القرى يعني القرى
المدلول عليها بقوله وما ارسلنا في قرية من نبي وقيل مكة وما حولها قاله البيضاوي وقال
الواحدي في قوله تعالى وما ارسلنا في قرية قال ابن عباس يريد في مدينة والقرى في كتاب
الله المداين امنوا واتقوا مكان كفرهم وعصيانهم قاله البيضاوي وقال الواحدي قال
ابن عباس وحدوا واتقوا الشرك وقال الخازن امنوا بالله ورسوله واطاعوه فيما امرهم
به واتقوا ما نهى الله عنه وحرمه عليهم وقال ابن جميل المعنى ان المهلكين لو اتوا
بالايمان واتقوا المناهي لفتحنا عليهم بركات من السما والارض لنالتهم بركات السماء
من الامطار والرياح اللواقح وغير ذلك والارض من النبات والحيوان وغير ذلك قاله
ابن جميل وقال البيضاوي لوسعنا عليهم الخير ويسرناه لهم من كل جانب وقيل المراد
المطر والنبات وقال الواحدي قال ابن عباس يريد الامطار والخصب وكثرة المواشي
والانعام وقال الخازن فبركة السما المطر وبركات الارض النبات والثمار وجميع
ما فيها من الحيوان والانعام والارزاق والامن والسلامة من الافات وكل ذلك من فضل
الله تعالى واحسانه على عباده واصل البركة ثبوت الخير الالهي في الشيء وسمي المطر
بركة السما لثبوت البركة فيه وكذا ثبوت البركة في نبات الارض لانه نشا عن بركات
السما وهي المطر وقال البغوي اصل البركة المواظبة على الشيء اي تابعنا عليهم بالمطر
من السما والنبات من الارض ورفعنا عنهم القحط والجدب ولكن كذبوا يعني فعلنا
بهم ذلك ليومنوا فما امنوا ولكن كذبوا يعني الرسل فاخذناهم يعني بانواع العذاب
بما كانوا يكسبون بسبب كسبهم الاعمال الخبيثة وقال الواحدي فاخذناهم بالجدوبة
والقحط بما كانوا يكسبون من الكفر والمعصية الاية التاسعة والاربعون من سورة
الانفال وهي قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان تتقوا الله يعني بطاعته وترك معاصيه قاله
الخازن وقال الواحدي باجتناب الخيانة يجعل لكم فرقانا هداية في قلوبكم تفرقون
بها بين الحق والباطل او نصرا يفرق بين المحق والمبطل باعزاز المومنين
واذلال الكافرين او مخرجا من الشبهات او نجاة مما تحذرون في الدارين او ظهورا
يشهر امركم ويبث صيتكم من قولهم بت افعل كذا حتى سطع الفرقان اي الصبح
قاله البيضاوي وقال الواحدي فرقا بين حقكم وباطل من يبغيكم السوء من اعدايكم بنصره
اياكم عليهم وقيل فرقانا نجاة يعني يفرق بينكم وبين ما تخافون فتنجون والفرقان
مصدر كفرق وقال الخازن يعني يجعل لكم نورا وتوفيقا في قلوبكم تفرقون به
بين الحق والباطل والفرقان اصله الفرق بين الشيين لكنه ابلغ من اصله لانه

يستعمل في الفرق بين الحق والباطل والحجة والشبهة قال مجاهد جعل لكم مخرجا
في الدنيا والاخرة وقال مقاتل مخرجا في الدين من الشبهات وقال محمد بن اسحق فصلا
بين الحق والباطل يظهر الله به حقكم ويطفي بطلان من خالفكم وقيل يفرق بينكم وبين
الكفار بان يظهر دينكم ويعليه ويبطل الكفر ويوهيه ويكفر عنكم سياتكم ويسترها
ويغفر لكم بالتجاوز والعفو عنها وقيل السيات الصغاير والذنوب الكباير وقيل
المراد ما تقدم وما تاخر لانها في اهل بدر وقد غفرها الله لهم قاله البيضاوى
وقال الواحدى يمحوا عنكم ما سلف من ذنوبكم والله ذو الفضل العظيم اى انه يملك
الفضل العظيم فاكتفوا بطلب ما عنده دون غيره وقال البيضاوى تنبيه على ان
ما وعده لهم على التقوى تفضل منه واحسان وانه ليس مما يوجب تقواهم عليه
كالسيد اذا وعد عبده انعاما على عمل وقال الخازن لانه هو الذى يفعل ذلك بكم
فله الفضل العظيم عليكم وعلى غيركم من خلقه ومن كان كذلك فانه اذا وعد بشى
وفى به قيل انه يتفضل على الطايعين بقبول الطاعات ويتفضل على العاصين بغفران
السيات وقيل معناه ان بيده الفضل العظيم فلا يطلب من غيره الاية الخمسون
من سورة النور وهى قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله فيما يامر به او في
الفرايض والسنن قاله البيضاوى وقال الواحدى قال ابن عباس فيما ساءه وسره
وقال مقاتل في امر الحكم ويخش الله في ذنوبه التى عملها ويتقه فيما بعد فلم يعص
الله والمعنى يتق عذاب الله بطاعته وقال البيضاوى ويخش الله على ما صدر
عنه من الذنوب ويتقه فيما بقى من عمره وقال ابن جميل ويخش الله فيما صدر
عنه ماضيا ويتقه في المستقبل وهذه الاية جامعة لكل ما ينبغى للمومن ان يفعله
فاولئك هم الفايزون بالنعيم المقيم قاله البيضاوى وقال الخازن اى الناجون
الاية الحادية والخمسون من سورة الطلاق وهى قوله تعالى ومن يتق الله في الحرام
والمعصية يجعل له مخرجا الى الحلال والطاعة قاله العز بن عبد السلام وقال
الواحدى قال اكثر المفسرين نزلت في عوف بن مالك الاشجعى اسر العدو ابنا له
فاتى النبى صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك وشكى اليه الفاقة ايضا فقال له اتق الله
واصبر واكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله ففعل الرجل ذلك فبينما هو في بيته
اذ اتاه ابنه وقد غفل عنه العدو فاصاب ابلا وجاء بها الى ابيه فذلك قوله تعالى
ويرزقه من حيث لا يحتسب وعن ابن عباس قال غفل عنه العدو فاستاق
غنمهم فجاء بها الى ابيه وهى اربعة الاف شاة فنزلت وقيل اصاب غنما ومتاعا
ثم رجع الى ابيه فانطلق ابوه الى النبى صلى الله عليه وسلم واخبره الخبر وساله ايحل

له ان ياكل ما اتى به ابنه فقال له النبى صلى الله عليه وسلم نعم وقال ابن مسعود ومن
يتق الله يجعل له مخرجا هو ان يعلم انه من قبل الله وان الله رازقه وقال الربيع
ابن خثيم يجعل له مخرجا هو انه يعلم انه يجعل له مخرجا من كل شى ضاق على الناس
من كل شدة وقيل مخرجا عما نهاه عنه قاله الخازن وقال الواحدى وعن ابن عباس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يتق الله يجعل له مخرجا من شبهات الدنيا
ومن غمرات الموت وشدايد يوم القيمة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اكثر
الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا وقال البيضاوى وعنه عليه
الصلاة والسلام انى لاعلم اية لو اخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله فما زال
يقروها ويعيدها الاية الثانية والخمسون من سورة الطلاق ايضا وهى قوله تعالى
ومن يتق الله في احكامه فيراعى حقوقها قاله البيضاوى وقال الواحدى في جميع
ما امره فيه بطاعته يجعل له من امره يسرا يسهل عليه امر الدنيا والاخرة وقال
البيضاوى يسهل عليه امره ويوفقه للخير الاية الثالثة والخمسون من سورة الطلاق
ايضا وهى قوله تعالى ومن يتق الله في احكامه فيراعى حقوقها ذكره البيضاوى وقال
الواحدى ومن يتق الله بطاعته يكفر عنه سياته من الصلاة الى الصلاة ومن الجمعة الى الجمعة
ويعظم له في الاخرة اجرا وقال البيضاوى يكفر عنه سياته فان الحسنات يذهبن السيات
ويعظم له اجرا بالمضاعفة الاية الرابعة والخمسون من سورة الاحزاب وهى قوله تعالى
يا ايها الذين امنوا اتقوا الله في ارتكاب ما يكرهه فضلا عما يوذى رسوله وقولوا قولا سديدا
قاصدا الى الحق من سد يسد سدادا والمراد النهى عن ضده قاله البيضاوى وقال الخازن
قال ابن عباس صوابا وقيل عدلا وقيل صدقا وقيل هو لا اله الا الله وقال الشيخ عز الدين
ابن عبد السلام او صوابا في شان محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هو التوحيد وقيل هو القول
القول الذى يوافق ظاهره باطنه وما اريد به وجه الله يصلح لكم اعمالكم يتقبل
طاعتكم ويوفقكم لصالح الاعمال وقال الخازن قال ابن عباس يتقبل حسناتكم وقال
البيضاوى يوفقكم للاعمال الصالحة او يصلحها بالقبول والاثابة عليها الاية الخامسة
والخمسون من سورة ال عمران وهى قوله تعالى واتقوا الله فيما نهيتم عنه لعلكم تفلحون
راجين الفلاح قاله البيضاوى وقال الخازن لكى تسعدوا بثوابه في الاخرة وقيل ان الفلاح
سمى يتوقف على التقوى وقال ابن جميل التقوى هنا واجب لان الفلاح يتوقف
عليه فلو لم يتق زال الفلاح الاية السادسة والخمسون من سورة ال عمران ايضا وهى
قوله تعالى فاتقوا الله لعلكم تشكرون اى اتقوا عقاب الله بالعمل بطاعته قاله الواحدى
وقال البيضاوى تشكرون ما انعم عليكم بتقواكم من نصره او لعلكم ينعم عليكم فتشكرون

فوضع الشكر موضع الانعام لانه سببه الاية السابعة والخمسون من سورة الحجرات
وهي قوله تعالى واتقوا الله فلا تعصوه ولا تخالفوا امره قاله الخازن وقال البيضاوي
اتقوا الله في مخالفة حكمه والاهمال فيه لعلكم ترحمون على تقواكم الاية الثامنة والخمسون
من سورة المايدة وهي قوله تعالى وتعاونوا اي ليعن بعضكم بعضا على البر والتقوى
قيل البر متابعة الامر والتقوى مجانبة النهي وقيل البر الاسلام والتقوى السنة قاله
البغوي وقال الخازن يعني ليعن بعضكم بعضا على مايكسب البر والتقوى قال
ابن عباس البر متابعة السنة وقال البيضاوي على العفو والاغضا ومتابعة
الامر ومجانبة الهوى وقال ابو عبد الرحمن السلمي في حقايق القران قيل البر ما وافقك
عليه العلم من غير خلاف والتقوى مخالفة الهوى وقيل البر ما اطمان اليه قلبك من غير ان
ينكره بجهة ولا سبب وقال بعضهم تعاونوا على البر والتقوى وهو طاعة الاكابر من
السادات والمشايخ ولا تضيعوا حظوظكم منهم ومن معاونتهم وخدمتهم وقال
سهل البر الايمان والتقوى السنة الاية التاسعة والخمسون من سورة العلق وهي
قوله تعالى او امر بالتقوى اي تقوى الله قال الواحدي يعني بالاخلاص والتوحيد الاية
الستون من سورة النسا وهي قوله تعالى ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم
يعني اليهود والنصارى واصحاب الكتب القديمة قاله الخازن وقال البغوي يعني
اهل التوراة والانجيل وساير الامم المتقدمة في كتبهم وقال البيضاوي من متعلقة
بوصينا او باوتوا ومساق الاية لتاكيد الامر بالاخلاص واياكم يعني ووصيناكم
يا اهل القران في كتابكم قاله الخازن وقال البيضاوي واياكم عطف على الذين ان اتقوا
الله بان اتقوا الله ويجوز ان تكون ان مفسرة لان التوصية بمعنى القول وقال البغوي
اي وحدوا الله واطيعوه وقال الخازن اي بان تتقوا الله وهو ان توحدوه وتطيعوه
وتحذروه ولا تخالفوا امره والمعنى ان الامر بتقوى الله شريعة قديمة اوصى الله بها
جميع الامم السالفة في كتبهم الاية الحادية والستون من سورة المايدة وهي قوله تعالى
قال اتقوا الله يعني قال عيسى لهم اي للحواريين القايلين له هل يستطيع ربك ان ينزل
علينا مايدة من السماء قال اتقوا الله اي اتقوا ان تسالوا شيا لم تساله الامم قبلكم قاله
الواحدي وقال الخازن قال يعني عيسى عليه السلام مجيبا للحواريين اتقوا الله ان
كنتم مومنين يعني اتقوا الله في هذا السوال ان كنتم مومنين لانه سوال تعنت وقيل
امرهم بالتقوى ليحصل لهم هذا السوال ومعنى ان كنتم مومنين مصدقين فلا تشكوا
في قدرة الله تعالى وقيل معناه اتقوا الله ان تسالوا شيا لم يسا له احد من الامم قبلكم
فنهاهم عن اقتراح الايات وقال البيضاوي اتقوا الله من امثال هذا السوال ان كنتم
مومنين

مومنين بكمال قدرته وصحة نبوتي او صدقتم في ادعا الايمان وقال ابن جميل في التنوير
وقوله لهم اتقوا الله يحتمل لا تطلبوا هذا الطلب انه تعنت وقد تقدمت معجزات
كثيرة ويحتمل استعينوا على هذا بالتقوى كقوله ومن يتق الله يجعل له مخرجا فاجعلوا تقواكم
وسيلة الى ذلك الاية الثانية والستون من سورة ال عمران وهي قوله تعالى يا ايها الذين
امنوا اتقوا الله حق تقاته حق تقواه ما يجب منها وهو استفراغ الوسع في القيام
بالواجب لا محالة والاجتناب عن المحارم كقوله فاتقوا الله ما استطعتم وعن ابن
مسعود ان يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وقيل هو ان ينزه
الطاعة عن الالتفات اليها وعن توقع المجازات عليها قاله البيضاوي وقال
الواحدي لما نزلت هذه الاية شق على المسلمين مشقة شديدة ولم يطيقوا ذلك
فانزل الله تعالى على نبيه فاتقوا الله ما استطعتم يقول ما اطقتم فلم يكلف
العباد من طاعته وعبادته الا ما استطاعوا فنسخت هذه الاية ما كان
قبلها وجا رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اوصني قال عليك بتقوى الله
فانه جماع كل خير وعليك بالجهاد فانه رهبانية المسلمين وعليك بذكر الله
وتلاوة كتابه فانه نور لك في الارض ونور لك في السماء واخزن لسانك
الا من خير فانك بذلك تغلب الشيطان وقال الخازن قال مقاتل بن حبان كان
بين الاوس والخزرج عداوة في الجاهلية وقتال فلما هاجر رسول الله صلى
الله عليه وسلم الى المدينة اصلح بينهم فافتخر بعد ذلك منهم رجلان وهما
ثعلبة بن غنم من الاوس واسعد بن زرارة من الخزرج فقال الاوسي
منا خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين ومنا غسيل الملايكة ومنا عاصم بن ثابت
ابن افلح حمي الدبر ومنا سعد بن معاذ الذي اهتز العرش له ورضي
الله بحكمه في بني قريظة وقال الخزرجي منا اربعة احكموا القران ابي بن كعب
ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وابو زيد ومنا سعد بن عبادة خطيب
الانصار ورييسهم فجرى الحديث بينهما فغضبا وانشدا الاشعار وتفاخرا
فجا الاوس والخزرج ومعهم السلاح فاتاهم النبي صلى الله عليه وسلم
فاصلح بينهم وانزل الله هذه الاية يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته
واختلف العلما في هذا القدر من هذه الاية هل هو منسوخ او لا على
وجهين احدهما انه منسوخ وذلك انه لما نزلت هذه الاية شق ذلك على
المسلمين وقالوا يا رسول الله ومن يقوى على هذا فانزل الله تعالى الناسخ
هو قوله تعالى في سورة التغابن فاتقوا الله ما استطعتم وهذا قول ابن عباس

وسعيد بن جبير وقتادة وابن زيد والسدى والوجه الثانى انها
محكمة غير منسوخة وهو رواية عن ابن عباس ايضا وبه قال طاوس
وموجب هذا الاختلاف يرجع الى معنى الاية فمن قال انها منسوخة قال
حق تقاته هو ان ياتى العبد بكل ما يجب لله ويستحقه فهذا يعجز العبد
عن الوفاء فتحصيله ممتنع ومن قال بانها محكمة قال ان حق تقاته
اداء ما يلزم العبد على قدر طاقته فكان قوله فاتقوا الله ما استطعتم مفسرا
لحق تقواه لا ناسخا ولا مخصصا فمن اتقى الله ما استطاع فقد اتقاه حق تقواه
وقيل معنى حق تقاته كما يحق ان يتقى وذلك بان يجتنب جميع معاصيه وقيل
فى معنى قول ابن مسعود هو ان يطاع فلا يعصى هذا صحيح والذى يصدر من
العبد على سبيل السهو والنسيان غير قادح فيه لان التكليف فى تلك
الحال مرفوع عنه وكذلك قوله وان يشكر فلا يكفر وذلك واجب على العبد
عند خطور ما انعم الله عليه بالبال فاما عند السهو فلا يجب عليه وكذلك قوله
وان يذكر فلا ينسى فان هذا انما يجب عند الدعا والعبادة لا عند السهو والنسيان
الاية الثالثة والستون من سورة التغابن وهى قوله تعالى فاتقوا
الله ما استطعتم اى ما اطقتم وهذه الاية ناسخة لقوله تعالى اتقوا الله
حق تقاته قاله الخازن وقال البيضاوى اى ابذلوا فى تقواه
جهدكم وطاقتكم وقال العز بن عبد السلام ما استطعتم اى جهدكم وما
اطقتم لو بلغه وسعكم وقيل ان يطاع فلا يعصى وقيل فى التطوعات وقيل
نسخ هذا قوله تعالى حق تقاته لما اشتد عليهم بان قاموا حتى ورمت اقدامهم
وتقرحت جباههم اى بقدر طاقتكم فما من خصلة من خصال الخير اكثر
ذكرا وثناء عليها اى مدحا لها فى كتاب الله تعالى من خصلة التقوى لانها كلمة
جامعة لكل خير فتامل يا ايها السالك فيما كتبنا لك من الايات الكريمة
ثم اشار الى ما تقدم ذكره من الايات فقال كيف كان المتقى عند الله تعالى
اكرم اشارة الى الاية الاولى من قوله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم وكان
مقبول الطاعة اشارة الى الاية الثانية من قوله سبحانه انما يتقبل الله من
المتقين وكان وليه اى ولى الله تعالى اشارة الى الاية الثالثة والرابعة
من قوله تعالى ان اولياؤه الا المتقون والله ولى المتقين وكان حبيبه اى
حبيب الله تعالى اشارة الى الاية الخامسة من قوله تعالى ان الله يحب المتقين
وكيف كان الله تعالى له وليا ومحبا ومزكيا اى مطهرا من الاخلاق الذميمة

بالاخلاق

217

بالاخلاق الحميدة وناصرا فى الدنيا والاخرة اشارة الى الاية السادسة والسابعة
من قوله تعالى فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى واعلموا ان الله مع المتقين
وكيف كان له اى للمتقى العاقبة الحسنة والمنقلب المرضى والاخرة الصالحة
وحسن مآب اى مرجع الى الله تعالى اشارة الى الاية الثامنة والتاسعة
والعاشرة والحادية عشر من قوله تعالى والعاقبة للتقوى والعاقبة للمتقين
والاخرة عند ربك للمتقين وان للمتقين لحسن مآب وكيف اعدت له اى للمتقى
الجنة واورثت له ايضا وازلفت اى قربت ووعدت له اى وعده الله تعالى بها
وكانت له دارا اشارة الى الاية عشر وما بعدها الى الاية الثالثة والعشرين
وكيف كانت التقوى للاخرة زادا ولباسا اشارة الى الاية الرابعة
والعشرين والخامسة والعشرين من قوله تعالى وتزودوا فان خير
الزاد التقوى ولباس التقوى ذلك خير وكيف اضيفت اى التقوى
الى الرئيس على جميع الاعضاء الاشرف من غيره وهو القلب وامتحن اى ذلك
الرئيس بها اشارة الى الاية السادسة والعشرين والسابعة والعشرين
من قوله تعالى اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى ومن يعظم شعائر
الله فانها من تقوى القلوب وكيف جعلت اى التقوى سببا للخيرية
فى كل عمل صالح وكتابة اى الزام الله تعالى الرحمة لنفسه فى حق عباده اشارة
الى الاية الثامنة والعشرين والتاسعة والعشرين من قوله تعالى افمن اسس
بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير ورحمتى وسعت كل شئ فساكتبها
للذين يتقون وكيف خص لها اى لاجل التقوى كون كتابه تعالى هدى
وموعظة وذكرى فانه لولا التقوى فى المتقين ما كان كتاب الله تعالى هدى
وموعظة وذكرى لهم اشارة الى الاية الثلاثين والحادية والثلاثين والثانية
والثلاثين من قوله تعالى هدى للمتقين وموعظة للمتقين وذكرى للمتقين
وكيف جعلت اى التقوى غاية اى منتهى مقام للعبادة والذكر والقصاص
والصيام من العباد والتبيين من الله تعالى والانذار من النبى صلى الله
عليه وسلم والتوصية منه تعالى والعدل والعفو من العباد اشارة الى
الاية الثالثة والثلاثين من قوله تعالى يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم
والذين من قبلكم لعلكم تتقون الى الاية الحادية والاربعين وكيف كانت اى
التقوى شرطا وسببا للمثوبة من عند الله تعالى ودفع الكيد من الاعداء
والامداد بالملايكة واتيان اى فعل ما يجب العزم عليه من الامور وحصول

المغفرة للعباد والرحمة لهم بالوعد الصادق من الله تعالى وتكفير اى
تغطية السيات من الذنوب وادخال الجنة وفتح البركات من السماء
والارض والتفرقة بين الحق والباطل فى كل اعتقاد وقول وعمل والفوز
بالسعادة الابدية والخروج من المضايق الدنيوية والاخروية وحصول
الرزق للعبد من حيث لا يحتسب وجعل اليسر من كل امر عسير واعظام
الاجر من الله تعالى واصلاح العمل فى الظاهر والباطن وحصول الفلاح فى
الدنيا والاخرة وحصول الشكر لله تعالى وهذا كله اشارة الى الاية الثانية
والاربعين من قوله تعالى ولو انهم امنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير
لو كانوا يعلمون الى الاية السادسة والخمسين وكيف امر الله تعالى
بالتعاون عليها اى على التقوى ومدح الامر بها من الناس ووصى بالبنا
للمفعول اى وصى الله تعالى بها اى بالتقوى الاولون والاخرون من
ساير الامم وجعلت اى التقوى مقتضى الايمان وهو مشروط بها
وامر بالبنا للمفعول اى امر الله تعالى عبده بتحصيل حقيقتها اى التقوى
وتحصيل كمالها بقدر الاستطاعة وهذا اشارة الى الاية السابعة
والخمسين من قوله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى الى الاية الثالثة
والستين فيا ايها الطالب للاخرة من اصحاب الهمم العلية والسالك فى
طريقها اى الاخرة دون المتمنى لذلك المنهمك فى شهواته وغفلاته ان
كنت صادقا فى دعواك الطلب والسلوك اكبب عليها اى التقوى بمعنى
لازمها ولا تنفك عنها وصر عاشقا مستهترا مستديما لها اى للتقوى
بحيث لا يعوقك عنها عايق من جميع امورك اصلا ولو اجتمعت الانس
والجن على ذلك العايق وقصدوا ان يعوقوك به لا يقدروا من كثرة حرصك
وشدة مواظبتك ولكن الله سبحانه لا يمنعه مانع عما يريد ولو حرص العبد
ابلغ حرص فانه يضل بمحض عدله من يشاء من عباده ولو اجتهد فى
الهداية ما عسى ان يجتهد ويهدى بخالص فضله من يشا من عباده ولو
اجتهد فى الضلالة ما عسى ان يجتهد بيده سبحانه وتعالى الخير المحض
واما الشر فهو بيد النفوس والشر والنفوس بيده جل وعلا فالخير منه
بلا واسطة والشر منه ايضا لكن بواسطة وهو معنى قوله تعالى ما اصابك
من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك ومعلوم ان نفسه من الله
فالشر منه تعالى ايضا بواسطة النفس وهو سبحانه وتعالى على كل شئ محسوس

او معقول

او معقول او غير ذلك مما يعلمه تعالى قدير يفعل ما يشا ويحكم ما يريد
الاخبار اى هذا بيان الاخبار يعنى الاحاديث والاثار النبوية الواردة فى
بيان فضيلة التقوى وهى سبعة احاديث الحديث الاول حد يعنى روى
الامام احمد بن حنبل رضى الله عنه باسناده عن ابى ذر الغفارى رضى الله عنه
ان النبى صلى الله عليه وسلم قال له اى لابى ذر انظر يعنى يا ابا ذر فانك لست بخير
من احمر ولا اسود اى من الناس كلهم لان الوان الوجوه خمسة الحمرة والبياض
والصفرة والسواد والسمرة فالبياض والصفرة من الحمرة لان البشرة البيضا
اذا غلب دمها فهى الحمرة واذا اعتدل فهى الصفرة والسمرة من السواد لان البشرة
السودا اذا غلب دمها كانت سوادا واذا اعتدل فهى السمرة فالاحمر والاسود
اصلان فى الوان الوجوه الانسانية او الاحمر الانس لغلبة الدم فى الاجسام
الترابية والاسود الجن لغلبة النار فى الاجسام الهوائية المحترقة او الاحمر
سكان المدن والقرى والاسود سكان البوادى او الاحمر النسا لراحتهن
والاسود الرجال لتعبهن فى المعيشة وتقديره الشخص الاحمر والاسود
الا ان تفضله اى تصير فاضلا عليه اى على كل واحد من الاحمر والاسود بالتقوى
اى امتثال الاوامر واجتناب النواهى مع اخلاص كما قال تعالى ان اكرمكم عند الله
اتقاكم الحديث الثانى هق يعنى روى البيهقى باسناده عن جابر بن عبد الله
رضى الله عنه انه قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وسط ايام التشريق
وهى ثلاثة ايام اليوم الثانى من ايام النحر والثالث والرابع فقال يا ايها الناس ان ربكم
يعنى الذى هو مالك جميع اموركم فى ظواهركم وبواطنكم واحد لا شريك له فانتم كلكم
كلكم من حيث انكم مخلوقاته متساوون كما قال سبحانه ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت
الا كلمة استفتاح للتنبيه وافادة التحقيق لا فضل لعربى اى منسوب الى
العرب وهو المتقن للتكلم باللغة العربية بلا تكلف على عجمى منسوب
الى العجم خلاف العرب ولهذا كان ابراهيم الخليل عجميا وابنه اسمعيل
عليهما السلام عربيا كما قال العلما ولا اعتبار فى ذلك بالنسب بل باللغة
من غير تكلف كما بسطناه فى كتابنا المطالب الوفية وفى حسن التنبه للنجم
الغزى قال اللسان هو الفارق بين العرب والعجم ومن ثم ورد فى الحديث
من تكلم بالعربية فهو عربى ولا فضل ايضا لعجمى على عربى فان اللسان هو الفارق
بين العربى والعجمى وانما يظهر منه الكلام والكلام غير مقصود لذاته بل لما
يوصل اليه من رضوان الله تعالى بمعرفة احكامه سبحانه والعمل بها ولا فضل

ايضا لشخص احمر على شخص اسود ولا لشخص اسود على شخص احمر او المعنى
لا فضل لانسي على جني وبالعكس او لساكن المدن والقرى على ساكن البوادى
وعكسه او للنسا على الرجال او بالعكس كما مر وان اباكم يا ايها الناس
واحد وهو ادم عليه السلام ولم يذكر حوى لانها من ادم ايضا كما ان ربكم
واحد فكيف يفضل احد على احد الا بالتقوى اى الاحتراز من الله تعالى بامتثال
اوامره القطعية والظنية ونواهيه كذلك ان اكرمكم اى اكثركم كرما وشرفا
ورفعة عند الله تعالى فى الدنيا والاخرة اتقاكم اى اكثركم تقوى الا بالتخفيف
للاستفتاح هل بلغت بالتشديد بداى او صلت اليكم ما امرنى الله تعالى
بايصاله من بيان الاحكام وهو استفهام تقريرى قالوا اى الصحابة الحاضرون
رضى الله عنهم بلى يا رسول الله يعنى بلغت ما امرت بابلاغه الينا قال
صلى الله عليه وسلم فليبلغ اى ليوصل الحق من غير كتمان الشاهد اى الحاضر
عندنا الان او الفاهم للحكم الشرعى الغايب عنا او عن فهم الحكم وفيه حث
على رواية الحديث وحفظه وضبطه ثم التحدث به لاهله وكذلك العلم
الشرعى بعد اتقانه الحديث الثالث هق طط طص يعنى روى البيهقى والطبرانى
فى معجمه الصغير والاوسط باسنادهما عن ابى هريرة رضى الله عنه قال
انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيمة امر الله تعالى
مناديا من الملايكة او غيرهم ينادى فى عالم المحشر بين الخلايق الا انى جعلت
بينكم نسبا وجعلتم انتم فيما بينكم نسبا اخر غير نسبى الذى جعلته
فجعلت ان اكرمكم اى اشرفكم وارفعكم اتقاكم اى اكثركم اتقا واحترازا
من المخالفات بامتثال الطاعات فابيتم اى امتنعتم من ذلك الذى جعلته
بكونكم لم تعتبروه فى الدنيا فلان باعتبار كونه ابن فلان اى ابن عالم او شريف

الا ان يقولوا فى اعتبار نسبكم الذى جعلتموه بينكم فى الدنيا

او ولى او ملك عادل او امير كريم ونحو ذلك خير من فلان باعتبار كونه
ابن فلان اى ابن من هو ادنى فى الناس وان كان الابنان متساويين فى
الجهل او فى العلم او الثانى اتقى من الاول او بالعكس من غير اعتبار جانب
التقوى التى اعتبرها الله تعالى فاليوم اى يوم القيمة ارفع نسبى الذى جعلته
فيكم وهو نسب التقوى الذى فيه برا النبى صلى الله عليه وسلم سلمان الفارسى
من نسب الفرس والحقه بنسب العرب الذى هو نسبه عليه الصلاة والسلام
حيث قال سلمان منا ال البيت وفى كتاب النحل عن جعفر الخالدى رحمه الله تعالى
انه قال رايت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقلت يا رسول الله العن الحلاج

فقال لا

فقال لا الحلاج منا فانظر كيف نسب التقوى الحق الحلاج بالنبى صلى الله عليه وسلم
وان اختفى نسب تقواه عمن حكم بقتله فان الله يحكم بين عباده فيما كانوا
فيه يختلفون واضع اى اخفض فلا اعتبر نسبكم الذى اعتبرتموه انتم فى
الدنيا اين المتقون اى الموصوفون بالتقوى المنتسبون بنسبى الذى
جعلته بينكم والتقدير لاجازيهم خير الجزا او اين هم منكم الحديث الرابع
حد يعنى روى الامام احمد بن حنبل رضى الله عنه باسناده عن ابى ذر الغفارى
رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال له ستة ايام كل يوم يكرر عليه
قوله اعقل اعقل امر من العقل وهو الفهم والتامل يا ابا ذر ما يقال لك
بعد من العلم والحكمة فلما كان فى اليوم السابع قال له النبى صلى الله عليه وسلم
اوصيك بتقوى الله تعالى اى الاحتراز منه بدوام امتثال امره واجتناب
نهيه مع الاخلاص فى سر اى خفى امرك اى شانك وحالك وعلانيته اى علانية امرك
يعنى جهره وهو استوا الباطن والظاهر فى التقوى واذا اسات الى احد مطلقا
فاحسن اى اعقب تلك الاساة بالاحسان اليه ولا تتركه يسخط عليك فربما
يدعو الله فى شان مضرتك فيجيبه ولا تسالن احدا اى لا تطلب من احد شيئا
مطلقا اكتفا منك بالله سبحانه فانه تعالى يقول اليس الله بكاف عبده وان
سقط اى وقع من يدك الى الارض وانت على الدابة سوطك وهو ما يضرب به الانسان
غيره من عصا ونحوها فلا يطلب من غيره مناولته له بل ينزل هو فيتناوله بيده
اكتفا بما يمده الله تعالى به من المعونة فى ظاهره وباطنه ولا تقبض امانة اى وديعة
لاحد فانه يلزمك حينيذ حفظها وربما ~~فرطت~~ فرطت فتضمن وهذه كلها
امور ندب اليها الشارع صلى الله عليه وسلم تعليما للطريق الاقوى فيما فيه تفريغ
القلب لمراقبة الرب على كل حال الحديث الخامس قش يعنى روى القشيرى
باسناده عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه انه اى الشان جا رجل الى النبى
صلى الله عليه وسلم فقال له يا نبى الله اوصنى فقال له النبى صلى الله عليه وسلم
عليك اسم فعل بمعنى الزم بتقوى الله يقال عليك به اى الزمه ولا تفارقه
فانه اى فعل التقوى جماع اى اجتماع كل خير من خيور الدنيا والاخرة
الحديث السادس مج يعنى روى ابن ماجة باسناده عن ابى امامة رضى الله
عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يقول ما استفاد المرء اى الانسان رجلا
كان او امراة بعد تقوى الله سبحانه فى الظاهر والباطن خيرا من زوجة اى
منكوحة بعقد وقد يراد بها مطلق المقارنة له كقوله تعالى وزوجناهم بحور

عين اى قرناهم نهى وقوله احشروا الذين ظلموا وازواجهم وما كانوا
اى قرناءهم فتشمل الزوجة هنا المملوكة تمثلا بملك اليمين صالحة اى ممتثلة
لما امرها الله تعالى به مجتنبة لما نهاها عنه سبحانه ان امرها الرجل اطاعته
ولا تعصى امره وان نظر اليها سرته اى اوقعت السرور فى قلبه من كمال
حسنها وجمالها وان اقسم عليها فى شى ابرته اى امضت يمينه ولا تحنثه من كثرة
محبتها له وان غاب عنها فى سفر ونحوه نصحته اى حفظته ولم تخنه فى
نفسها بان صانت عرضها ومروتها وفى ماله فتحرسه ولا تبذر فيه الحديث
السابع طب يعنى روى الطبرانى باسناده عن ابن عباس رضى الله عنهما انه
قال اقبل نبى الله محمد صلى الله عليه وسلم من سفر غزاة او من سفر سرية وهى قطعة
من الجيش يقال خير السرايا اربعمائة رجل كذا فى الصحاح فدعا ابنته فاطمة
الزهرا رضى الله عنها حتى جاءت فقال صلى الله عليه وسلم يا فاطمة اشترى نفسك من
الله اى من عذابه واليم عقابه فانى لا اغنى عنك اى لا انفعك من الله تعالى شيأ كما
قال تعالى يوم لا تغنى نفس عن نفس شيا والامر يومئذ لله وقال صلى الله
عليه وسلم لنسوته اى لنسايه وهن زوجاته عليه السلام مثل ذلك يعنى اشترين
انفسكن من الله فانى لا اغنى عنكن من الله شيا وقال مثل ذلك ايضا لعترته
بالتاء المثناة الفوقية اى ذريته واقاربه وهم الحسن والحسين وحمزة
والعباس وعلى وابن عباس رضى الله عنهم ثم قال عليه السلام ما بنوا هاشم
وهم اولاد عبد المطلب اعمام النبى صلى الله عليه وسلم وعماته وكانت اعمامه اثنى
عشر عما اولاد عبد المطلب وابوه عبد الله ثالث عشرهم وهم الحارث وابو طالب
واسمه عبد مناف والزبير ويكنى ابا الحارث وحمزة وابو لهب ويكنى واسمه
عبد العزى والغيداق ومقوم وضرار والعباس وقثم وعبد الكعبة وحجل
بتقديم الجيم وهو السقا الضخم وقال الدارقطنى بتقديم الحا وهو المعتمد
والخلخال ويسمى المغيرة وقيل كانوا احد عشر فاسقط الغيداق وحجلا وقيل
تسعة فاسقط قثم وعبد الكعبة وعماته عليه السلام بنات عبد المطلب بن هاشم
ست عاتكة واميمة والبيضا وهى ام حكيم وبرة وصفية واروى ولم يسلم منهن
الا صفية ام الزبير بلا خلاف واختلف فى اروى وعاتكة ذكره القسطلانى
فى مواهبه باولى اى احق الناس ان يدعوهم الناس بامتى اى يسموهم بامة
الاجابة لى حيث انى منهم ومن نسلهم وهم اهلى ان اولى اى احق الناس كلهم ان يدعوا
بامتى المجيبين لى فيما جيتهم به المتقون اى المحترزون من غضب الله

هكذا فى التلاوة
يوم لا تملك نفس لنفس شيا

تعالى بامتثال اوامره واجتناب نواهيه ولا قريش اسم للقبيلة كلها وهم قريش
ابن مالك بن النضر بن كنانة جد النبى صلى الله عليه وسلم واصله من القرش وهو دابة
عظيمة من دواب البحر تمنع السفن من السير فى البحر وتدفع السفينة فتلقيها
وتضربها فتكسرها وقال المطرزى هى سيدة الدواب البحرية واشدها وكذلك
قريش سادات الناس ذكره الدميرى فى حياة الحيوان باولى اى احق الناس ان يسموا
بامتى المطيعين لى اذ لا اعتبار لنسب القرابة من غير اتباع ان اولى الناس اى احقهم
ان يسموا بامتى امة الاجابة المتقون ولا الانصار وهم اهل اليمن الذين امنوا
بالنبى صلى الله عليه وسلم وهم قبيلتان الاوس والخزرج رضى الله عنهم ومنهم اهل
الصفة الذين عاتب الله تعالى فيهم نبيه عليه السلام بقوله تعالى ولا تطرد
الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه الاية باولى الناس اى
احقهم ان يسموا بامتى المنقادين لدعوتى ان اولى الناس اى احقهم بامتى المتقون
انما انتم خطاب لجميع من ذكر فى هذا الحديث متولدون من رجل وهو ادم عليه
السلام وامراة وهى حوى عليها السلام وانتم بامعشر من ذكر كجمام بالضم وهو
ما يملا الصاع من المكيلات كالبر والشعير والعدس ونحوها والصاع ما يسع
الفا واربعين درهما من ماش او عدس والمعنى انكم متساوون كلكم فى المقدار مثل
المكيلات المتساوية التى تدخل فى الكيل فيعرف مقدارها به ولا تحتاج الى الوزن
لعدم التفاوت بينها فى الثقل والاكتناز ثم بينه بقوله عليه السلام بعده ليس
لاحد على احد فضل اى فضيلة الا بالتقوى لله تعالى فان الفضايل والمزايا عند الله
تعالى معتبرة بها والاحاديث الواردة عن النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا الباب اى
باب فضيلة التقوى كثيرة جدا مذكورة فى كتب الحديث والاستدلال بنظر العقل
ايضا يدل على افضلية التقوى من غيرها من ساير الطاعات التى هى نوافل العبادات
لان التخلية بالخاء المهملة وهى التزيين والتحسين بعد التخلية بالخاء المعجمة
اى الازالة للموانع والتزيين بعد التطهير فان الثوب النجس غسله اولى
من تبخيره فالاول اى التحلية بالمهملة والتزيين بدون الثانى اى التخلية بالمعجمة
والتطهير لا يفيد شيا اصلا ولا ينتج غير التعب والنصب كما ان من ابقى الفارة
مثلا الميتة فى البير ثم نزح جميع ما به فانه لا يطهر ما لم يخرج الواقع اولا
ثم ينزع منه عشرين دلوا فقط فانه يطهر وكذلك من ابقى نجاسات المعاصى
والمخالفات ولم يغسلها بالتوبة ويحافظ على التوقى منها بامتثال الاوامر واجتناب
النواهى ماذا تنفعه النوافل من الطاعات والزوايد من المندوبات والمستحبات

يكون عليه الديون الكثيرة وهو يكثر من الصدقات وعكسه وهو الثاني بدون الاول
يعني التخلية بالمعجمة والتطهير بدون التحلية بالمهملة والتزيين فانه يفيد
لوجود الاصل في مراتب الكمال كمن غسل الثوب اولا فانه ادرك درجة من درجة
كماله فاذا بخره بعد ذلك بالبخور حصلت له درجة اخرى من الكمال وهكذا المتقي
اولا في درجة كمالية اولى فاذا تنفل بالعبادات وتطوع حصل على درجة
اخرى فهي اي التقوى الاساس لجميع خصال الخير الاعتقادية والحالية والقولية
والعملية كالخشوع والصبر والذكر والايثار فخذها اي التقوى يا ايها السالك يعني
واظب عليها بقوة اولا وامر ثانيا ليتعدى نفعك فترقى في مقام قربك كما قال
تعالى ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون والعالم
الرباني المنسوب الى الرب لقيامه به في كل حال بخلاف العالم النفساني وهو القايم
بنفسه من جهله وغفلته فومك الذين انت فيهم ان ياخذوا باحسنها
اي بما اشتملت عليهم عليه التقوى من احسن الخصال التي كلفوا بالقيام بها
فان فيها اي في التقوى سعادة الدارين اي الدنيا والاخرة والفوز اي الظفر
والحصول بالحياتين اي الحياة الحسية بالارزاق المعاشية والحياة
المعنوية بالارزاق المعادية او الحياة الانسانية بالامدادات الربانية
والحياة الحيوانية بالامدادات النفسانية او الحياة الكونية والحياة الازلية
او الحياة الدنيوية والحياة الاخروية بسرها اي التقوى بمعنى جعلها
مبسرة الله تعالى لنا واعلم انه اي الله تعالى هو البر بالفتح اي المحسن المتفضل
الرحيم والجواد من الجود وهو العطا الكريم الذي لا يخيب راجيه ولا
يخسر مناجيه النوع الثاني من الانواع الثلاثة في تفسيرها اي التقوى
وهو بيان معناها لغة وشرعا قدم معناها اللغوي لانه عام ومعناها
الشرعي خاص والعام جزء الخاص والجزء مقدم فقال هي اي التقوى في اللغة
اي لغة العرب مشتقة من قولك وقاه وقيا ووقاية صانه كوقاه والتوقية
الكلاءة والحفظ واتقيت الشيء وتقيته حذرته والاسم التقوى اصله تقيا
قلبوه للفرق بين الاسم والصفة كذا في مختصر القاموس فاتقى يتقي اصله
اوتقي يوتقي على افتعل فقلبت الواو بالانكسار ما قبلها وابدلت منها
التا وادغمت فلما كثر استعماله على لفظ الافتعال توهموا ان التا من نفس الحرف
فجعلوه اتقى يتقي بفتح اليا فيهما ثم لم يجدوا له مثالا في الكلام يلحقونه به فقالوا
اتقى يتقي مثل قضى يقضي كذا في الصحاح والوقاية بالكسر والفتح فرطا اي كثرة

الصيانة

الصيانة مصدر صانه صونا وصيانة حفظه اصلها اي التقوى وقيا بالقصر
مصدر وقاه كما مر قلبت واوها التي هي فا الكلمة تا مثناة فوقية كما قلبت الواو تاء
في تكلان اصله وكلان مصدر وكل الامر الى الله تعالى فوضه اليه وتجاه اصله
وجاه لانه من المواجهة وقلبت يا وها اي يا وقيا واوا ايضا فصارت تقوى كما
قلبت اليا واوا في بقوى بفتح البا الموحدة قال في الصحاح ابقيت على فلان اذا رعيت
عليه ورحمته يقال لا ابقى الله عليك ان ابقيت علي والاسم منه البقيا وكذلك
البقوى بفتح البا والفها اي الف التقوى للتانيث مثل الف حبلى فهو اسم ممنوع
من الصرف بعلة واحدة فيه تقوم مقام علتين وهي الف التانيث المقصورة
وذلك لقوله تعالى افمن اسس بنيانه على تقوى بالقصر بلا تنوين لانه ممنوع من
الصرف من الله الى اخر الاية ولو كان مصروفا لكان منونا والتقوى في اصطلاح
الشريعة المحمدية لها معنيان المعنى الاول عام اي شامل لاكثر مما يشمله المعنى
الثاني وهو الصيانة اي الحفظ والاجتناب اي التباعد عن كل امر مضر في الدار
الاخرة فله اي لهذا المعنى العام الذي للتقوى عرض بفتح العين المهملة
وسكون الرا سعة وكثرة عريض فعيل نعت له مشتق منه اي واسع كليل
اليل ومنه قوله تعالى دعاء عريض يقبل ذلك العرض الزيادة بحسب المحافظة
على الانواع الخيرية والنقصان بحسب تركها بعضها ففي الناس تقي واتقى
بخلاف المعنى الثاني الخاص الاتي فانه لا يقبل الزيادة والنقصان فلصاحبه
تقوى ومن نقص شيا منه كان فاسقا ادناه اي اقل ذلك العرض بمعنى الوسع
الذي للتقوى بحيث لا ادنى منه الاجتناب اي التباعد عن الشرك بالله تعالى
اي اعتقاد وجود اله اخر مع الله تعالى او مشابهة شي له تعالى في ذاته او صفة
من صفاته او فعل من افعاله باعتقاد وجود موثر في ملك الله تعالى من دونه
سبحانه المخلد نعت للشرك اي المقتضي لخلود اي دوام صاحبه الذي مات عليه
في النار اي نار جهنم بحكم عدل الله تعالى وصدق وعيده وهذا النوع من الشرك
يسمى الشرك الجلي واما الشرك الخفي فهو الغفلة عن الله تعالى باعتقاد نسبة
الوجود استقلالا الى الاسباب ايضا فهو كفر خفي وليس بظاهر لصاحبه
ولا لغيره فلا حكم له في الشرع اذ الشرع انما يحكم على الظاهر فقط من كل امر دون
الباطن المغيب الذي لا يعرفه احد ولا يتحققه صاحبه ولا غيره وانما حكمه في حقيقة
الشريعة المتلقاة بالالهام في الكتاب والسنة دون اجتهاد فكري وتامل عقلي
كما هو معروف عند اهل المعرفة والفتح الرباني مثل حكم الشرك الجلي من غير فرق بينهما

كما بينته في كتابي حمزة ورنة الالحان بشرح رسالة الشيخ ارسلان واعلاه اي اعلا
العرض المذكور التنزه اي التباعد عما اي عن كل شي يشغل سره اي قلب العبد عن
ظهورات الحق تعالى باثار تجلياته الجلالية والجمالية والتبتل اي الانقطاع اليه
سبحانه وتعالى بشراشره اي بكليته قال في مختصر القاموس الشراشر النفس
والاثقال والمحبة وجميع الجسد وهو اي هذا الاعلى من المعنى الخاص للتقوى هو
معنى التقوى الحقيقي في علم الطريقة المحمدية المراد بقوله تعالى اتقوا اي معشر
المكلفين الله تعالى بامتثال اوامره واجتناب نواهيه مع الاخلاص حق تقاته
بحيث لا يصدر منكم فتور في الخدمة ولا تقصير في شكر النعمة والمعنى الثاني للتقوى
خاص وهو ما لا بد منه في النجاة من الله تعالى يوم القيمة وهو المعنى المتعارف في الشرع
المحمدي اي يعرفه العلما والمتعلمون المراد لهم عند الاطلاق اي اطلاق لفظ التقوى
وعدم وجود القرينة التي تكون في الكلام فتشير الى ارادة المعنى الاول العام اعني
اي اقصد بهذا المعنى الخاص المذكور صيانة النفس اي حفظها عما تستحق اي
تستوجب به اي بسببه العقوبة من الله تعالى في يوم القيمة من فعل معصية
وترك طاعة ثم بينه بقوله فاجتناب الكباير من الذنوب امر لازم لا بد منه
فيه اي في هذا المعنى الخاص للتقوى بالاتفاق بين العلما لان مرتكب الكبيرة فاسق
والفسق ينافي التقوى واما ارتكاب الصغاير من الذنوب فقيل لا اي ليس بلازم
في هذا المعنى الخاص للتقوى لانها اي الصغاير مكفرة بصيغة اسم المفعول
عن مجتنب الكباير بنص قوله تعالى ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه نكفر عنكم
سياتكم ويلزم من اجتناب الكباير المواظبة على الطاعات وقد ورد في الحديث
ان الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن
اذا اجتنب الكباير فيكون اجتناب الكباير مكفرا للصغاير بسبب هذه الطاعات
لا نفس الاجتناب وحده هو المكفر ولهذا يجوز عندنا العقاب على الصغيرة
ولو مع اجتناب الكباير خلافا للمعتزلة كما مر بيانه فالحديث يشرح
الاية فلا يستحق بها اي بسبب الصغيرة العقوبة لتكفيرها عنه بفعل
الطاعة في حالة اجتناب الكباير وقيل نعم اي اجتناب الكباير لازم في هذا
المعنى الخاص للتقوى لان بعض المفسرين للقران المبين حمل الكباير الواقعة
في الاية الكريمة وهي قوله تعالى ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه نكفر عنكم سياتكم على
انواع الشرك بالله تعالى لان اكبر الكباير الشرك فيحمل عليه عند الاطلاق وقد قوبل
فيه الجمع بالجمع فانقضى انقسام الاحاد اي كل واحد من المامورين بالاجتناب

يجتنب

يجتنب كبيرته التي هي الشرك ومعلوم ان الاسلام يجب ما قبله فمن اجتنب كفره
وشركه كفرت عنه ذنوبه ولهذا قوبلت الكباير بالسيات الشاملة لجميع الذنوب
فلم يتعين التكفير للصغاير حينئذ باجتناب الكباير وفي تفسير البغوي
واختلفوا في الكباير التي جعل الله اجتنابها تكفير الصغاير واطال في تقرير
ذلك ثم قال وقيل الكباير الشرك وما يودي اليه وما دون الشرك فهو من السيات
قال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ثم قال
نكفر عنكم سياتكم اي من الصلاة الى الصلاة ومن الجمعة الى الجمعة ومن رمضان الى رمضان
كما روي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول الصلوات الخمس
والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن اذا اجتنبت الكباير
وفي التنوير مختصر التفسير الكبير لابن جميل التونسي الاكثر على انه سبحانه
لم يميز جملة الكباير ويعينها قالوا لان تمييزها وتعيينها مع اخباره ان اجتنابها
يكفر الصغاير اغراء بالاقدام على الصغاير وذلك قبيح لا يليق بالحكمة اما اذا
لم يميزها فتجويز كون المعصية كبيرة زاجر عن الاقدام عليها قالوا وذلك كاخفاء
ليلة القدر وساعة الجمعة والصلاة الوسطى ووقت الموت وقد سبق في الفصل
الاول من الباب الثاني ان العقاب جايز كما قررناه هناك ولو مع اجتناب الكباير
عند اهل السنة والجماعة خلافا للمعتزلة فكيف يكون مجرد اجتناب الكباير
هو المكفر للصغاير انما المكفر مع الاجتناب فعل الطاعات كما ذكرنا قال ابن جميل
في التنوير والمعنى اذا اتيتم بجميع الواجبات واجتنبتم جميع الكباير كفرنا عنكم
بقية السيات ومن المعلوم ان عدم السبب الواحد لا يوجب عدم المسبب
بل ههنا سبب اخر سوى السبب الاصلي وهو فضل الله وكرمه ورحمته قل بفضل
الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا وايضا لم يثبت تغايرهما اي الصغاير والكباير
بالذات بحيث يتميز احدهما عن الاخر بالنص القاطع للخلاف حتى قال سفيان الثوري
رحمه الله تعالى الكباير ما كان فيه المظالم بينك وبين العباد والصغاير ما كان
بينك وبين الله تعالى لان الله كريم يغفر واحتج بما روي عن انس بن مالك قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي مناد من بطنان العرش يوم القيمة يا امة
محمد ان الله عز وجل قد عفا عنكم جميعا المومنين والمومنات تواهبوا المظالم
وادخلوا الجنة برحمتي وقال مالك بن مغول الكباير ذنوب اهل البدع والسيات
ذنوب اهل السنة وقيل الكباير ذنوب العمد والسيات الخطا والنسيان وما اكره
عليه النفس المرفوعة عن هذه الامة وقيل الكباير ذنوب المستحلين مثل ذنب

ابليس والصغاير ذنوب المستغفرين كلهم مثل ذنب ادم عليه السلام وقال
السدي الكباير ما نهى الله عنه من الذنوب الكبار والسيات مقدماتها وتوابعها
وما يجتمع فيه الصالح والفاسق مثل النظر واللمسة والقبلة واشباهها
قال النبي صلى الله عليه وسلم العينان تزنيان واليدان تزنيان والرجلان تزنيان
ويصدق ذلك الفرج او يكذب به وقيل الكباير ما يستحقره العباد والصغاير ما
يستعظمونه فيخافون مواقعته كما روي عن انس قال انكم لتعملون
اعمالا هي ادق في اعينكم من الشعر وكنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
من الموبقات ذكره البغوي وعلى التسليم اي تسليم ثبوت التغاير بالذات لم يعلم
بالبنا للمفعول يقينا اي لم يعلم احد على وجه التيقن والتحقق عدد الكباير كم هي
حتى قيل انها سبع وقيل سبعون وقيل سبعماية وقيل غير ذلك كما ذكر البغوي
عن عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الكباير الاشراك بالله وعقوق الوالدين
وقتل النفس ويمين الغموس وعن عبد الرحمن بن ابي بكر عن ابيه قال
النبي صلى الله عليه وسلم الا انبيكم باكبر الكباير ثلاثا قالوا بلى يا رسول الله قال
الاشراك بالله وعقوق الوالدين وجلس وكان متكيا قال الا وقول الزور
فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال اجتنبوا السبع الموبقات قالوا يا رسول الله وما هن قال الشرك بالله
والسحر وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق واكل الربا واكل مال اليتيم والتولي
يوم الزحف وقذف المحصنات المومنات الغافلات وعن سعيد بن
جبير ان رجلا سال ابن عباس عن الكباير اسبع هي قال هي الى السبعماية اقرب
الا انه لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار وقال كل شي عصي الله
به فهو كبيرة فمن عمل منها شيا فليستغفر فان الله لا يخلد في النار من هذه
الامة الا راجعا عن الاسلام او جاحدا فريضة او مكذبا بقدر وفي التنوير
مختصر التفسير الكبير وعن ابن عباس كل ما نهى عنه من اول النسا الى ثلاث
وثلاثين اية فهو كبيرة لقوله عقيبه ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه وقد قال
النبي عليه الصلاة والسلام فيما خرجه ت يعني الترمذي وحسنه بالتشديد
اي قال هو حسن والحديث الحسن دون مرتبة الصحيح وهو قسمان
احدهما الحديث الذي لا يخلو رجال اسناده من مستور لم تتحقق اهليته
غير انه ليس مغفلا كثير الخطا فيما يرويه ولا هو متهم بالكذب في الحديث
اي لم يظهر منه تعمد الكذب في الحديث ولا سبب اخر مفسق ويكون متن الحديث

مع ذلك قد عرف بان روي مثله او نحوه من وجه اخر او اكثر حتى اعتضد بمتابعة
من تابع راويه على مثله او بما له من شاهد وهو ورود حديث اخر نحوه فيخرج
بذلك عن ان يكون شاذا او منكرا والقسم الثاني ان يكون راويه من المشهورين
بالصدق والامانة غير انه لا يبلغ درجة رجال الصحيح لكونه يقصر عنهم في الحفظ
والاتقان وهو مع ذلك يرتفع عن حال من يعد ما ينفرد به من حديثه منكرا ذكره
العراقي في شرح الفيته وخرجه ايضا مج يعني ابن ماجة وايضا حك يعني الحاكم
وصححه اي قال هو صحيح والحديث الصحيح ما اتصل سنده وعدلت نقلته وسلم
من الشذوذ والعلة القادحة عن عطية رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال لا يبلغ اي يصل العبد ان يكون من المتقين لله تعالى في ظاهره
وباطنه حتى يدع اي يترك ما لا باس اي شدة في الدين به اي بسببه من الامور
الجزيية حذرا اي لاجل الحذر عما به باس اي شدة دينية من الامور المحظورة
في الشرع يقول العبد الضعيف وهو مصنف متن هذا الكتاب عصمه
اي حفظه الله تعالى هذا الحديث المذكور هنا اخيرا نص صريح من النبي صلى
الله عليه وسلم في لزوم اجتناب الصغاير من الذنوب لانها اي الصغاير بعد
حصول الاغماض عنها اي الخفا فيها وعدم الظهور والتميز ومساعدة
الخصم القايل بذلك كما مر فيما قاله مما لا باس به لخفة الجناية فيها بالنسبة
الى الكباير بل يريد يعني هذا العبد الضعيف بقوله كلمة ما الواقعة في قوله
عليه السلام كما سبق في الحديث ما لا باس به عامة شاملة لكل ما فيه احتمال
الحرمة من المشتبهات وما فيه الافضا اي الايصال الى الحرام ايضا مثل النظر
بشهوة ونحوه لعموم ما الثانية الواقعة في الحديث المذكور ايضا ثانيا في
قوله عليه السلام عما به باس الحرام مفعول المصدر فانه اذا كان ما به باس هو
الحرام القطعي كان ما لا باس به هو المشتبه والموصل الى الحرام القطعي واما
الحلال الخالص عن شبهة من اشتباه حرمة او ايصال اليها فلا يتناوله اي عموم
ما لا باس به عرفا اي في عرف الشرع اذ لا يطلق على الحلال الخالص ما لا باس به في اصطلاح
الفقها وان تناوله لغة اي من حيث صحة الكلام لان الحلال الخالص ما به باس خرج
خ م يعني البخاري ومسلما باسنادهما عن النعمان بن بشير رضي الله عنه انه قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الحلال وهو ضد الحرام لغة وشرعا بين اي ظاهر
واضح لا يخفى حله وهو ما نص الله تعالى او رسوله عليه السلام او اجمع المسلمون
على تحليله بعينه او جنسه ومنه ما لم يرد فيه منع في اظهر الاقوال والحرام بين

اى واضح لا يخفى حرمته وهو ما نص او اجمع على تحريمه بعينه او جنسه او على
ان فيه عقوبة او وعيدا وبينهما اى بين الحلال والحرام الواضحين مشتبهات
اى امور مشتبهة بغيرها لكونها غير واضحة الحل والحرمة لتجاذب الادلة
وتنازع المعانى والاسباب فبعضها يعضده دليل الحرمة والبعض بالعكس ولا
مرجح لاحدها الا خفى خفا ومن المشتبه معاملة من فى ماله حرام فالورع تركه وان حل
ثم الحصر فى الثلاثة صحيح لانه نص او اجماع على الفعل فالحلال او على المنع
جزما فالحرام او سكت او تعارض فيه نصان ولا مرجح فالمشتبه لا يعلمهن كثير
من الناس اى من حيث الحل والحرمة لخفا نص او عدم صراحته او تعارض نصين
وانما يوخذ من عموم او مفهوم او قياس او استصحاب او لاحتمال الامر فيه
الوجوب والندب والنهى والكراهة والحرمة او لغير ذلك وما هو كذلك انما يعلمه قليل
من الناس وهم الراسخون فان تردد الراسخ فى شئ لم يرد به نص ولا اجماع اجتهد
بدليل شرعى فيصير مثله وقد يكون دليل غير خال من الاحتمال فيكون الورع تركه
كما قال فمن اتقى اى احترز من الشبهات المذكورة استبرا بالهمز وقد يخفف
اى طلب البراة لدينه من الذم الشرعى وعرضه يصونه عن الوقيعة فيه بترك الورع
الذى امر به فهو هنا الحسب او النفس لانها التى يتوجه اليها المدح والذم
ومن وقع فى الشبهات يعنى فعلها وتعودها وقع فى الحرام اى يوشك ان يقع
فيه لانه حام حول حريمه وقال وقع دون يوشك ان يقع كما قال فى المثبتة
به الاتى لان من تعاطى الشبهات صادف الحرام وان لم يتعمده اما لاثمه
بسبب تقصيره فى التحرى او لاعتياده فى التساهل وتجريه على شبهة بعد
اخرى الى ان يقع فى الحرام او تحقيقا لمداناة الوقوع كما يقال من اتبع هواه
هلك وسره ان حمى الملوك محسوسة يحترز عنها كل بصير وحمى الله لا يدركه
الا ذو البصاير ولما كان فيه نوع خفا ضرب المثل بالمحسوس بقوله كما
لراعى اصله الحافظ لغيره ومنه قيل للوالى راعى والعامة رعية وللزوج
راعى ثم خص عرفا بحافظ الحيوان كما هنا يرعى حول الحمى وهو المحظور
على غير مالكه يوشك بكسر الشين المعجمة يسرع ان يقع فيه اى تاكل ماشيته منه
فيعاقب شبه اخذ الشهوات بالراعى والمحارم بالحمى والشبهات بما حوله ثم اكد
التحذير من هذا المعنى بقوله الا حرف افتتاح قصد به امر السامع بالاصغاء
لعظم موقع ما بعده وان لكل ملك من ملوك الدنيا حمى يحميه عن الناس ويتوعد
من قرب منه باشد العقوبات الا وان حمى الله محارمه اى المحارم التى حرمها واريد به هنا

ما يشمل

ما يشمل المنهيات وترك المامورات ومن دخل حمى الله بارتكاب شئ منها استحق العقاب
ومن قاربه يوشك الوقوع فيه فالمحافظ لدينه لا يقرب مما يقرب الى الخطيئة والقصد
اقامة البرهان على تجنب الشبهات وانه اذا كان حمى الملك يحترز منه خوف عقابه
فحمى الحق اولى لكون عذابه اشق ولما كان التورع يميل القلب الى الصلاح وعدمه
الى الفجور اردفه ذلك بقوله الا وان فى الجسد اى البدن مضغة اى قطعة لحم
بقدر ما يمضغ لكنها وان صغرت حجما عظمت قدرا ومن ثم كانت اذا صلحت
بفتح اللام انشرحت بالهداية صلح الجسد كله اى استعملت الجوارح فى الطاعات
لانها متبوعة له واذا فسدت اى اظلمت بالضلالة والجهالة فسد الجسد كله
باستعماله فى المنكرات والمخالفات الا وهى اى تلك المضغة القلب سمى به لانه
محل الخواطر المختلفة الحاملة على الانقلاب او لانه خالص البدن وخالص كل شئ
قلبه او لانه وضع فى الجسد مقلوبا وخص ذلك لانه مبدا الحركات البدنية والارادات
النفسانية فان صدرت عنه ارادة صالحة تحرك البدن حركة صالحة او ارادة
فاسدة تحرك حركة فاسدة فهو ملك والاعضاء رعيته وهى تصلح بصلاح الملك
وتفسد بفساده واوقع هذا عقب قوله الحلال بين اشعارا بان اكل الحلال ينوره
ويصلحه والشبه تقسيه وتظلمه كذا فى شرح الجامع الصغير للمناوى وايضا
المعنى اللغوى للتقوى كما مر مرعى اى ملاحظ فى المعنى الشرعى لها ما امكن اى
مقدار الامكان حتى لا يخرج الشرع بالكلية عن قانون اللسان العربى لانه ورد
عن الله تعالى مترجما به وفرط الصيانة الذى هو معنى التقوى فى اللغة كما سبق
يقتضى الاجتناب عن الصغاير من الذنوب وعن الشبهات ايضا اى كما يقتضى
الاجتناب عن الكباير لكن الاحتراز عن جميع الشبهات فى الاعمال وغيرها لا يمكن
فى هذا الزمان لغلبة الشبهات وعسر التجنب عنها على ما سيجئ بيانه ان شاء الله تعالى
فى الفصل الثانى من الباب الثالث اخر الكتاب فخرج من لزوم الاجتناب
فى التقوى ما عدا الشبهة القريبة من الحرام وهى الشبهة التى يرجح فيها الحلال
والشبهة التى فيها الحلال والحرام سوا كما بينته مفصلا فى كتابى المطالب الوفية
لان الطاعة لله تعالى انما تكون بقدر الطاقة وعلى حسب الاستطاعة من غير
حرج كما قال تعالى فاتقوا الله ما استطعتم وقال وما جعل عليكم فى الدين من
حرج فتعين لزوم اجتناب كل حرام وكل مكروه تحريما فى تحقق التقوى للمكلف
وما عدا ذلك فلا يلزم اجتنابه ولا يطعن وجوده فى التقوى هذا المذكور ما
اى الذى عندك فى بيان التقوى والعلم الحقيقى بمعنى ذلك على مراده سبحانه عند الله

تعالى النوع الثالث بقية الانواع الثلاثة في مجاريها اي التقوى يعني
مواضع جريانها من اعضا المكلف اعلم يا ايها السالك ان التقوى لا تحصل
الا باجتناب المنكرات القطعية والظنية والمنهي عنها من قبل الشارع
وهي المكروهة كراهة تحريم واتيان المعروفات الاعتقادية والعملية والمامور
بها من الفروض والواجبات وكل ذلك مع الاخلاص واليقين اذا ترك المامور
به من الاعتقاد والعمل مما يستحق اي يستوجب العبد به اي بسببه من الله
تعالى العقوبة في يوم القيمة ولكن المتبادر للاذهان منها اي من التقوى
ومن الذنوب التي تركها كناية عن التقوى في اول السماع لذلك عند اطلاق
الذنوب الوجوديات اي المنسوبة الى الوجود اذ هي وجود معنى من المعاني
كالزنا وهو في الشرع وطي مكلف ناطق طايع في قبل مشتهاه خال عن ملك
وشبهته في دار الاسلام او تمكينه من ذلك او تمكينها وشرب الخمر وهو التي من
من ما العنب اذا غلا واشتد وقذف بالزبد وحرم قليلها وكثيرها لعينها
وهي نجسة نجاسة مغلظة كالبول ويكفر مستحلها ويحد شاربها وان لم يسكر
منها وشارب غيرها ان سكر ولا يوثر فيها الطبخ كذا في تنوير الابصار
لا الذنوب العدميات اي المنسوبة الى العدم لانها عدم شيء مثل ترك الصلاة
وترك الصوم ونحو ذلك فلذا اطر بعد بالبنا للمفعول بمعنى الترك للصلاة والصوم
وغيرهما من جملة الكباير كما سياتي في عدها مع كونه اي الترك المذكور من الكبر
الكباير لانه ترك فروض قطعية فلنذكر الان الذنوب الوجوديات ذكرا مفصلا
ثم نذكر الذنوب العدميات بعد ذلك ذكرا ~~مفصلا~~ مجملا فنقول الفعل المنكر بصيغة
اسم المفعول اي الذي ينكره الشرع ولا يقر فاعله عليه اما مخصوص ظهوره
بعضو معين من اعضا المكلف او لا خصوص له بعضو دون عضو والاول
اي المخصوص بعضو معين في الغالب من الناس يكون في ثمانية مواضع
وقد يكون في غير الغالب اكثر من ذلك كالظهر في حمل محرم به والجنب في الميل
به عن طاعة الله الاول قلب والمراد به اللطيفة الروحانية المنفوخة
في الجسم الصنوبري المودع في جانب اليسار من تجويف الصدر الجسماني
من الانسان والثاني اذن والمراد بها القوة المودعة في العصب المفروش
في مقعر الصماخ والثالث عين والمراد بها القوة المودعة
في العصبتين المجوفتين اللتين تتلاقيان ثم تفترقان فتتاديان الى العينين
والرابع لسان والمراد به القوة المودعة في الجرم المتصل بالفم الذي يقرع الخارج

ص

من الجوف فتظهر عنه صور الحروف الخ والخامس يد والمراد بها القوة المودعة
في العضو المعروف للتصرف فيما يمكن بها والسادس بطن والمراد به القوة
المودعة في الباطن لطبخ الغذاء وتقسيمه في البدن والسابع فرج وهو آلة
الرجل والمراة والمراد به القوة المودعة في ذلك لحصول الجماع والثامن رجل
والمراد بها القوة المودعة في العضو المعروف للمشي ونحوه ولا دخل لهذه
الاعضا في اقتراب الذنوب من دون القوى المثبتة فيها فالعمدة فيها على تلك
القوى لا لخصوص تلك الاعضا اذ قد تكون في الحيوانات فلا يصدر منها شيء من
الذنوب لعدم وجود القوى المخصوصة فيها فاذا كان وان كان فيها قوى ايضا ولكن
ليست من جنس ما في الانسان فعلى السالك في طريق الله تعالى ان يحفظ كل عضو من
اعضايه من كل معصية تصدر منه مع المواظبة على ذلك حتى يكون ذلك الحفظ
له ملكة اي قوة راسخة في نفسه لا يتكلف لها اصلا من كثرة الرياضة والمجاهدة
الشرعية فينخرط اي فيرسل يقال خرط الابل في المرعى والدلو في البير ارسلهما في سلك
اي خيط المتقين لله تعالى فلا بد حينيذ من ذكر تسعة اصناف ثمانية في الاعضاء
المذكورة الثمانية والتاسع في جملة البدن من دون عضو مخصوص الصنف الاول
من الاصناف التسعة في بيان منكرات القلب اي ما ينكره الشرع من احواله وافاته
اي القلب جمع افة وهي العاهة المفسدة له اعلم ان اصلاحه اي القلب بازالة ما يفسده
اهم من كل شيء ولهذا قدمه على بقية الاعضا اذ هو ملك في مدينة الانسانية
مطاع امره ونهيه على كل حال نافذ الحكم في جميع البدن والاعضا كلها رعيته تابعة
له لا تخالف شيا من احكامه عليها وخدم بالتشديد جمع خادم له في تحصيل مراداته
وقضا حاجاته فلذا قال النبي صلى الله عليه وسلم كما ورد في الحديث السابق الا ان
في الجسد مضغة الخ الحديث الى اخره واصلاحه اي القلب تخليته اي تبعيده
وتخليصه عن جميع الاوصاف الذميمة اي المذمومة عقلا وشرعا وتحليته
اي تزيينه بالاوصاف الحميدة اي المحمودة في العقل والشرع فلا بد حينيذ
من ذكر قسمين ليتضح منهما بيان ذلك القسم الاول من القسمين في تفسير معنى
الخلق بضم الخا واللام ويجوز اسكانها قال الراغب الخلق والخلق بالفتح
والضم في الاصل بمعنى واحد كالشرب والشرب لكن خص الخلق الذي بالفتح
بالهيئات والصور المدركة وخص الخلق الذي بالضم بالقوى والسجايا المدركة
بالبصيرة ذكره القسطلاني في مواهبه وفي بيان منشاه اي الامر الذي ينتشي منه
في الانسان وفي تقسيمه الى الخلق المذموم والخلق الممدوح وفي طريق ازالة الاول

اى الخلق المذموم وطريق علاجه اى مداواته وتدبيره حتى يرتفع عن صاحبه اجمالا
اى على وجه الاجمال لا التفصيل لانه يطول وفى كيفية تحصيل الثانى اى الخلق الممدوح
فيمن لم يكن حاصلا وفى كيفية ابقائه اى الخلق الممدوح حتى لا يزول عن صاحبه
وفى حفظ صحته اى دوام متانته وصلابته وتقويته لينمو ويزداد اجمالا ايضا
اى بطريق الاجمال على وجه الاختصار فنقول فى بيان ذلك الخلق بضمة او
بضمتين كما مر ملكة اى قوة راسخة فى النفس تصدر عنها اى عن تلك الملكة الافعال
النفسانية من اعتقاد او قول او عمل بسهولة اى لطف ولين من غير روية بالتشديد
من روى فى الامر نظر وتفكر والاسم الروية وفى الصحاح الروية التفكر فى الامر
جرت فى كلامهم غير مهموزة انتهى وهو تعريف للخلق المطلق المذموم والممدوح
لان الافعال الانسانية عامة فى الاعتقاد الحق او الباطل والقول الحق او الباطل
والعمل الحق او الباطل ويمكن تغييره اى الخلق بان يصير ممدوحا بالمعالجة
والرياضة النفسانية بعد ان كان مذموما او يصير مذموما بالتدرج فى السوء
ومعاشرة اهل الفساد بعد ما كان ممدوحا لورود الشرع المحمدى به اى بالتغيير
المذكور حيث امر الله تعالى به ونهى عباده واغراهم على امور وحذرهم
عن امور وما ذلك الا لاكتساب العقلاء من كل ملة على ذلك ولهذا كانت الرياضة
والتجريد عن الشواغل الدنيوية والعلايق الجسمانية امرا عظيما عند جميع الملل
للتخلى عن الاخلاق الردية والتحلى بالاخلاق الفاضلة المرضية والتجربة حاكمة
بصحة ذلك ايضا كما هو الواقع عند اهل هذا الشان وفى المواهب اللدنية وقد
اختلف هل حسن الخلق غريزة او مكتسب وتمسك من قال بانها غريزة بحديث
ابن مسعود رضى الله عنه ان الله قسم بينكم اخلاقكم كما قسم ارزاقكم الحديث
رواه البخارى وقال القرطبى الخلق جبلة فى نوع الانسان وهم فى ذلك متفاوتون
فمن غلب عليه شئ منها كان محمودا والا فهو المامور بالمجاهدة فيه حتى يصير
محمودا وكذلك ان كان ضعيفا فيرتاض صاحبه حتى يقوى وقد وقع فى حديث
الاشج انه صلى الله عليه وسلم قال له ان فيك لخصلتين يحبهما الله الحلم والاناة قال
يا رسول الله قديما كانا فى او حديثا قال قديما قال الحمد لله الذى جبلنى على
خلقين يحبهما الله رواه احمد والنسائى وصححه ابن حبان فترديد السؤال
وتقريره عليه يشعر بان فى الخلق ما هو جبلى وما هو مكتسب وقد كان صلى الله
عليه وسلم يقول اللهم كما حسنت خلقى فحسن خلقى اخرجه احمد وصححه ابن حبان
وعند مسلم فى حديث دعاء الافتتاح واهدنى لاحسن الاخلاق لا يهدى لاحسنها

الا انت

الا انت ولما اجتمع فيه صلى الله عليه وسلم من خصال الكمال ما لا يحيط به
حد ولا يحصره عد اثنى الله تعالى عليه فى كتابه الكريم فقال وانك لعلى
خلق عظيم وكلمة على للاستعلاء فدل اللفظ على انه مستعل على هذه
الاخلاق مستول عليها وتختلف الاستعدادات من الناس فيه اى
فى تغيير الخلق بحسب الامزجة القوية والضعيفة وعلى مقدار الهمم
يكون اكتساب الكمال ومنشاؤه اى موضع ابتداء انشاء الخلق فى الانسان
ممدوحا كان او مذموما قوى جمع قوة النفس الانسانية وهى اى
تلك القوى منقسمة الى ثلاث قوى القوة الاولى النطق الذى به الانسان
يفارق جميع الحيوان وهو قوة الادراك اى الشعور والاحساس بالاشيا
وهو على ثلاث مراتب مرتبة الاعتدال وهى الوسطى كما قيل خير الامور
اوساطها ومرتبة الزيادة ومرتبة النقصان وهما الافراط والتفريط فاعتداله
اى النطق هو الحكمة اى دال على وجودها فى الانسان وهى ملكة اى قوة راسخة
للنفس الانسانية تدرك اى النفس بها اى بتلك القوة الصواب فى كل شئ من الخطا
كما قال تعالى يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا وافراطه
اى النطق والافراط تجاوز الحد فى الامر كذا قاله ابن فارس فى مجمل اللغة الجربزة
بالجيم فالراء فالباء الموحدة فالزاى قال فى الصحاح رجل جربز بالضم بين
الجربزة بالفتح اى خب وهو القربز ايضا وهما معربان وفى مختصر
القاموس جربز الرجل ذهب وانقبض او سقط والجربز بالضم الخب
الخبيث وهى اى الجربزة ملكة ادراك اى قوة شعور بالاشيا زائدة تدعوا
اى توصل صاحبها الى اطلاع عقله على ما لا يمكن غيره معرفته من دقايق
العلوم كالمتشابهات من الكتاب والسنة وبحث القدر بالتحريك اى قدر
الله تعالى بمعنى تقديره سبحانه للاشيا مما نصب عليه علامات كونية يمكن ان
يتوصل بها الى معرفة ذلك كصفاء الاذهان فى العاقلين والاشارات الفلكية
فى المنجمين ونحو ذلك او يصدر بها اى بسببها من العبد افعال اختيارية
او اضطرارية يتضرر الغير بها كما هو عادة اهل المكر والدهى والخديعة
من الفجار المتجردين فى الاحوال الدنيوية وتفريطه اى النطق وهو
النقصان والتضييع البلادة وهى ضد الذكاء وقد بلد بالضم فهو بليد وتبلد
تكلف البلادة وتبلد اى تردد متحيرا كذا فى الصحاح وفى مختصر القاموس
والمبلود المعتوه والبليد لا ينشطه تحريك وهى اى البلادة ملكة يقصر بها

اى بسببها صاحبها عن ادراك الخير والشر من كل نوع من انواع الاحوال
الكونية الدنيوية والاخروية فيلزم من قصوره فى ذلك عدم نشاطه اليه والقوة
الثانية الغضب وهو ضد الرضا وهواى الغضب حركة النفس الحيوانية
دفعا اى لاجل الدفع للمنافر فى الحال او المآل من جميع الامور وللغضب
ايضا اعتدال وافراط وتفريط فاعتداله الشجاعة وهى ملكة راسخة فى النفس
بها يقدم الانسان على امور مهولة تسهل عليه وتصعب على غيره ينبغى اى يليق
بحاله ان يقدم عليها حيث هو كفو لها قادر على دفعها وافراطه اى الغضب التهور
وهو الوقوع فى الشىء بقلة مبالاة يقال فلان متهور كذا فى الصحاح وهو اى
التهور ملكة بها يقدم الانسان على امور مهولة يصعب عليه الاقدام عليها
لا ينبغى له اى لا يليق بحاله لضعفه عنها ان يقدم عليها ولكن حمله على ذلك نقصان
حاله بالنسبة الى الشجاع وتفريطه اى الغضب الجبن بالضم وهو مصدر الجبان
وهو هيئة راسخة فى النفس بها اى بسببها تحجم احجم عنه كف او نكص هيبة
كذا فى مختصر القاموس وفى المجمل احجمت عن الشى اذا انكصت عنه وحجم طرفه
عن الشى اذا صرفه عن مباشرة ما ينبغى له اى يليق بحاله الاقدام عليه لكفاءته
فى ذلك وقدرته عليه والقوة الثالثة الشهوة وهى حركة النفس الحيوانية
طلبا اى لاجل طلبها للملايم اى الامر المناسب لها مما تجد فيه حظا عاجلا ولها
اعتدال وافراط وتفريط ايضا فاعتدالها اى الشهوة العفة بالكسر وهى ملكة بها
يباشر الانسان اى يفعل الامور المشتهيات له بمقتضى نفسه وطبعه على وفق
اى موافقة احكام الشرع المحمدى من غير مخالفة فى شى اصلا وعلى وفق المروة
ايضا قال فى الصحاح المروة الانسانية ولك ان تشدد وفى المجمل المروة مهموزة
كمال الرجولية ولا فعل له وافراطها اى الشهوة الشره مصدر شره كفرح
غلبه حرصه فهو شره وشرهان كذا فى مختصر القاموس والفجور وهو الكذب
والانبعاث فى المعاصى كذا فى المجمل وفى الصحاح فجر فجورا اى فسق وفجر
اى كذب واصله الميل والفاجر المايل وهو اى افراط الشهوة المذكور ملكة بها
يتناول الانسان انواع المشتهيات مطلقا اى سواء كانت حلالا او حراما
من غير مبالاة وتفريطها اى الشهوة الخمود فى طبيعة النفس وهو اى الخمود
ملكة بها يقصر الانسان لضعف فى البنية او كبر او مرض او خوف ونحوه
عن استيفاء ما ينبغى له من المشتهيات المباحة فى الشرع بسبب انطفاء نار
القوة الشهوانية والاوساط وهى الاعتدالات فى هذه القوى الثلاث المذكورة

وهى

وهى الحكمة والشجاعة والعفة تحصل فى الانسان باستخدام الاول وهو النطق
الاخيرين وهما الغضب والشهوة والمراد باستخدامهما قهرهما واذلالهما بحيث لا يبقى
لهما اثر اصلا فى النفس حتى تتمكن القوة النطقية فى الحقيقة الانسانية وهى
طريقة السالك بالمجاهدة والاطراف تحصل فى الانسان وهى الجربزة والبلادة
والتهور والجبن والشره والخمود باستخدامهما اى الاخيرين وهما الغضب والشهوة
اياه اى الاول وهو النطق بمعنى بقهره واذلاله واستيلائهما عليه بالغلبة والاطراف
المذكورة مطلقا اى على اى وجه كانت حاصلة فى الانسان وكذلك الاوساط المذكورة
المشوب اى المخلوط بها غرض اى مقصد فاسد كما اذا قصد بالحكمة حصول الجاه
فى الدنيا وبالشجاعة ظهور الصيت او تشفى النفس وبالعفة الكبر او ثنا الناس
ونحو ذلك فانها رذايل حينئذ لا محامد فصاحبها مذموم بها لا محمود عليها لغرضه
الفاسد فكل خلق مذموم من الاخلاق الانسانية كالحسد والبغض والحقد
والريا والتكبر ونحوها فانه ناش اى منتش فى الحقيقة الانسانية متولد منها اى من
الاطراف المذكورة منفردة كانت موجودة فى الانسان تلك الاطراف اى واحد منها
او مجتمعا فيه بعضها كالاثنين منها او الثلاثة او كلها وهى الستة المذكورة وعلاجه اى الخلق
المذموم الناشى فى الانسان من الاطراف المذكورة واحدها الكلى اى العام فى كل فرد فرد
من افراد الانسان الذى يوجد فيه ذلك الخلق المذموم وفى كل فرد فرد من الاخلاق
المذمومة الاجمالى اى المجمل دون المفصل معرفة حقايق الامراض التى هى الاخلاق
المذمومة وسماها امراضا لما ذكر لها العلاج وهو المداواة اذ من لم يعلم حقيقة المرض
ما هو لا يمكنه مداواته ومعرفة غوايلها اى الامراض جمع غايلة وهو الشر الباطن
فيها والمراد ما تعقبه من النتايج الفاسدة والمهالك المردية ومعرفة اسبابها
اى الامراض جمع سبب وهو الموصل اليها ومعرفة اضدادها اى الامراض اى ما يضادها
من العافية والصحة المرغوب فيها وفوايدها اى الاضداد وهى ما يترتب على حصولها
من المنافع والكمال واسبابها اى الاضداد وهو ما يتوصل به اليها ثم بعد ذلك معرفة
وجود الامراض المذكورة فى نفسه وتكون باربعة امور الاول بالتفتيش عليها وهو
الطلب مع البحث يقال فتشت الشى فتشا وفتشته تفتيشا والتامل فى احوال النفس
بعد التفرغ لذلك عن جميع الشواغل لانه اهم من كل شىء والثانى اختيار اى قصد خرمة
من اى شيخ كامل وعالم عامل ينبهه اى يوقظ الانسان على عيبه الذى فيه
وهو غير مطلع عليه من اصدقا جمع صديق اى محبين الصدق وهو ضد الكذب
وهم اهل الشفقة والمرحمة على امة محمد صلى الله عليه وسلم الناصحين لهم الخايفين

عليهم من كل سوء والثالث تفحص مصدر تفحص قال في مختصر القاموس فحص
عنه كمنع بحث كتفحص وافتحص قول اعدايه اى عن قولهم فيه فانهم ينظرون الى
عيوبه فقط دون محاسنه فيكشفون ما يرونه منها ويذكرونه بها اى بتلك العيوب
بين الناس بقصد تحقيره فيتفحص عن معانى كلامهم فيه ويرجع الى نفسه فينصفهم
فى ذلك فانه يعرف الامراض النفسية بهذه الكيفية والرابع النظر الى الناس
فى اختلاف طبقاتهم الاعلى منهم والادنى والمساوى وتامل اختلاف احوالهم ليعرف
المذموم منها والممدوح فانهم مراة له ينظر نفسه فيهم لانه مثلهم فى الصورة
الانسانية كما ورد المرء مراة اخيه وهم ايضا تذكرة اى مذكرون باقوالهم واحوالهم
الحسنة والقبيحة لكل طالب لمعرفة الحق والعمل به مستبصرا اى راغبا فى
تحصيل البصيرة المنورة بانوار التوفيق والهداية ثم بعد ذلك تمييز اسبابها
اى الامراض وهى الامور الموصلة الى تلك الامراض ثم بعد ذلك ازالة تلك الاسباب
بالكلية لتنقطع مادة الامراض من اصلها وارتكاب اى الاتصاف بصفة الفضيلة
المقابلة لتلك الاسباب المذكورة والتكلف اى اتعاب النفس فى تحصيلها اى الفضيلة
المذكورة اذ اى لان الامراض البدنية تعالج بالبنا للمفعول اى يعالجها الاطبا ويداووا
بالاضداد فالحرارة تعالج بالبرودة واليبوسة تعالج بالرطوبة وهكذا فكذلك
الامراض النفسانية تعالج باضدادها كما ان الصحة البدنية تحفظ بالبنا للمفعول
على صاحبها بالانداد اى الامثال وهى الامور المناسبة للاعتدال الملايمة للخلقة التركيبية
المستقيمة ثم بعد ذلك التعنيف اى اللوم والزجر للنفس بالتعيير اى نسبة
العار اليها والتوبيخ لها اى اللوم والتهديد فى السر وهو الخفية والعلانية اى
ظاهر الحال بصريح المقال ثم انه لا ينسى الرذيلة المقابلة للفضيلة المذكورة فليتحفظ
عنه حتى لا يتجاوز عن الفضيلة الى الطرف الاخر وهو الرذيلة فان المحفوظ يسهل
الاحتراز عنه ثم بعد ذلك فعل الرياضات جمع رياضة وهى تمرين النفس وتعليمها
الامر المشق عليها شيا فشيا الشاقة صفة للرياضة اى المتعبة كالنذور لله تعالى
بانواع القربات الكثيرة والايمان بالفتح اى الحلف على افعال الطاعات العظيمة
والعهود المواثيق الشديدة على التزام الاعمال الشاقة على النفس من قبيل ما نقل
القشيرى فى رسالته عن ابى يزيد البسطامى رضى الله عنه انه قيل له ما لقيت فى سبيل الله
فقال ما لا يمكن وصفه فقيل له ما اهون مالقى نفسك منك فقال اما هذا نعم دعوتها
الى شى من الطاعات فلم تجبنى فمنعتها الماء سنة وقال ايضا منذ ثلاثين سنة اصلى
واعتقادى ونفسى كل صلاة اصليها كانى مجوسى اريد ان اقطع زنارى حتى تذعن

اى النفس بمعنى تذل وتنقاد الى ما هو اسهل منها اى من هذه الاشيا الشاقة عليها بالطيب
اى اللذاذة من قولهم طاب الشى اذا راق وحسن ومنه الاطيبان الاكل والجماع
قال فى الصحاح شى طياب بالضم اى طيب جدا وتقول هذا شراب مطيبة للنفس اى
تطيب النفس اذا شربته والسهولة منها فى ذلك من غير نفرة ولا كراهة وبعد ذلك
استماع ما ورد من الاخبار النبوية والاثار المروية فى ذم الخلق سوء الخلق اجمالا
وتفصيلا فان فى ذلك تربية النفرة عن الاخلاق السيئة فى النفس ومحبة الاخلاق
الحسنة ورؤية الكمال فيها والثانى اى ذم سوء الخلق تفصيلا سيجى فى القسم الثانى من
هذا البحث من هذا البحث الذى هو ذم سوء الخلق ان شا الله تعالى واما الاول اى ذم
سوء الخلق اجمالا فمنه اذ هو كثير وارد فى الاخبار النبوية وغيرها ما خرج بالتشديد
اى روى صف يعنى الاصفهانى باسناده عن ميمون بن مهران رضى الله عنه انه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من ذنب من الذنوب اعظم عند الله تعالى اى اكبر
جرما من سوء الخلق اى العادة القبيحة اذا اعتادها العبد وانطبع عليها وذلك
ان صاحبه اى صاحب سوء الخلق لا يخرج من ذنب بالتوبة منه والاقلاع منه الا
وقع فى ذنب اخر فلا يكاد يتخلص من الذنوب وخرج اى روى طط يعنى الطبرانى
فى المعجم الاوسط باسناده عن عايشة رضى الله عنها انها قالت قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الشوم وهو ضد اليمن والبركة ومعناه الشر سوء الخلق لانه
لا ياتى بخير فى الدين ولا فى الدنيا طط صف يعنى روى الطبرانى فى معجمه
الاوسط والاصفهانى باسنادهما عن عايشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم
انه قال ما من شى من المخلوقين الا له توبة مقبولة عند الله تعالى من الذنب
اذا الم به الا صاحب سوء الخلق من الناس ثم بينه بقوله فانه لا يتوب من ذنب
اذنبه الا عاد اى رجع فى ذنب اخر شر منه بسبب سوء خلقه وقبيح عادته
طب طس هق يعنى روى الطبرانى فى معجمه الكبير وفى معجمه الاوسط
والبيهقى باسنادهما عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم الخلق الحسن من اخلاق الانسان يذيب اى يذهب ويمحق الخطايا
اى الذنوب من الكباير والصغاير المتوصل به الى نيل اكمل الطاعات وارفع
القربات كما يذيب الما الجليد اى الماء الجامد اذا وضع عليه والخلق السوء
يفسد اى يبطل الاعمال الصالحة كما يفسد الخل الحامض العسل الحلو
اذا وضع فوقه المتقدم ذكرها بين الافراط والتفريط وهى الحكمة والشجاعة
والعفة الكاينة فى استعمالها عن الغرض الفاسد اى القصد السوء فضايل

والاوساط م

يفضل بها الانسان على غيره لا رذايل فكل خلق محمود فانه ناشى فى الانسان منها
اى من هذه الاوساط فى حال كونها منفردة اى متفرقة تظهر فى الانسان واحدة فواحدة
فيكون ذلك الخلق المحمود صادرا عن واحدة منها فقط او مجتمعا بعضها مع بعض
بحيث يصدر ذلك الخلق عن ثنتين منها او من مجموعها اى كلها المسمى ذلك المجموع
فى الشريعة بالعدالة وهى استقامة الدين والسيرة وحاصلها كيفية راسخة فى النفس
تحمل على ملازمة التقوى والمروة وترك البدعة والمعتبر فيها رجحان الدين والعقل
على الهوى والشهوة ولما كانت العدالة هيئة خفية نصب لها العلامات هى
اجتناب اربعة امور وان اثم بمعصية لان فى اعتبار الكل سد باب العدالة
الاول الكباير الثانى الاصرار على الصغاير فقد قيل لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة
مع الاستغفار والثالث الصغاير الدالة على خسة النفس كسرقة لقمة والتطفيف
بحبة والرابع المباح الدال على ذلك كاللعب بالحمام والاجتماع مع الاراذل والاكل والبول
على الطريق ونحو ذلك كذا فى مراة الاصول فمن حصل له ذلك الخلق المحمود بكسب
اى بسعى وتحصيل او طبع بان كان مجبولا عليه فليحفظه ليلا يتبدل فيه بضده
بملازمة اهله اى من فيهم ذلك الخلق ليدوم عليه خلقه بسببهم فان الصاحب
يقتدى بصاحبه والمجاورة توجب الاشتراك فى المجاورة وملازمة صحبة الاشرار
البعيدين عن الاخلاق الحميدة فان صحبتهم تزيل عنه ذلك الخلق المحمود وتثبت فيه
ضده واياه اى ليحذر من حصل له ذلك الخلق المحمود والاسترسال اى من المداومة
فى الامور الملاهى اى المشغلة للقلب من تحصيل الكمال والمزاح مصدر مزح كمنع
مزحا ومزاحة ومزاحا بضمهما كذا فى مختصر القاموس وفى الصحاح المزح الدعابة
وقد مزح يمزح والاسم المزاح بالضم والمزاحة ايضا واما المزاح بالكسر فهو مصدر
مازحه وهما يتمازحان والمرا اى المجادلة مع الغير فى العلم او الدنيا وليرض
اى يذلل من ارض المهر رياضا ذلله فهو رايض واستراضت النفس طابت
وراوضه داراه كذا فى مختصر القاموس نفسه اى ذاته ليدوم عليه ذلك الخلق
المحمود بوظايف اى امور راتبة علمية كقراءة العلوم والتدريس فيها ومطالعة
ابحاثها وتصنيف مسايلها ونسخ كتبها ووظايف عملية كالاشتغال بنوافل
الصلوات والصيام والحج والصدقات وزيارة الصالحين احيا واموانا وخدمتهم
ونحو ذلك ثم بين رياضة نفسه بقوله فليتذكر يتذكر ولا ينسى جلالته اى عظمة ذلك
الخلق المحمود ودوامه اى دوام ذلك الخلق فانه من اشرف الامور وصفايه له
من كدر ضده وحقارة الدنيا بالنسبة الى الاخرة فانها لا توازن عند الله تعالى جناح

بعوضة

علم ح

بعوضة وزوالها السريع فكانك بها ولم تكن ونكدها الكثير اى عسرها وشدتها على
اهلها وباستماع معطوف على ملازمة ما اى الذى ورد من الايات القرانية
والاخبار النبوية فى مدح حسن الخلق فانه منشط للمحافظة على ما حصل له
من ذلك الخلق المحمود اجمالا اى بطريق الاجمال وتفصيلا اى بطريق التفصيل والثانى
اى ما ورد تفصيلا سيجئ بيانه فى هذا الكتاب ان شا الله تعالى ومن الاول اى مما ورد
اجمالا قول الله تعالى فى حق النبى صلى الله عليه وسلم انك يا محمد والله لعلى خلق عظيم
اى مستعل عليه مالك له لا هو مالك لك وهذا غاية الكمال ان يملك المقامات ويكون
فيها على حسب ما يريد عظيم قال الحليمى وانما وصف خلقه بالعظيم
مع ان الغالب وصف الخلق بالكرم لان كرم الخلق يراد به السماحة والدماثة
ولم يكن خلقه صلى الله عليه وسلم مقصورا على ذلك بل كان رحيما بالمومنين رفيقا بهم
شديدا على الكفار غليظا عليهم مهيبا فى صدور الاعدا منصورا بالرعب منهم
على مسيرة شهر فكان وصف خلقه بالعظم اولى ليشمل الانعام والانتقام
وقال الجنيد رضى الله عنه وانما كان خلقه صلى الله عليه وسلم عظيما لانه لم تكن له
همة سوى الله تعالى وقيل لانه عليه السلام عاشر الخلق بخلقه وباينهم بقلبه ذكره
القسطلانى فى مواهبه وتقدم بسطه فى شرح الديباجة وقول النبى صلى الله عليه وسلم
فيما خرجه اى رواه طك يعنى الطبرانى فى معجمه الكبير عن انس بن مالك رضى الله
عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد المومن ليبلغ اى ينال بحسن خلقه
الذى يتخلق به عظيم درجات الاخرة اى مراتبها العالية وشرف المنازل فى
دار الجنان والحال انه اى ذلك العبد لضعيف العبادة اى قليلها فلا تصيره قلة
عبادته لله تعالى مع حسن خلقه وانه اى العبد ليبلغ بسوء خلقه اسفل دركة
وهى واحدة دركات النار منازل اهلها والنار دركات والجنة درجات والقعر
الاخر درك ودرك قاله ابن فارس فى المجمل فى جهنم ويقابله وان كان كثير العبادة
لانه يهدمها فى الحال بسوء خلقه فهيهات ان تبقى له عبادة مع ذلك فان الريا والسمعة
والعجب والغيبة من محبطات العمل كما سيأتى بيانها ان شا الله تعالى وهى من
الاخلاق السيئة حد هق حك يعنى روى الامام احمد بن حنبل والبيهقى والحاكم
رضى الله عنهم باسانيدهم عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول بعثت اى بعثنى الله تعالى الى الامة لاتمم لها مكارم الاخلاق فان فيهم
بعضها كالكرم الذى فى العرب والشجاعة التى فى قريش والرقة التى فى اليمن ونحو ذلك
فانه عليه السلام كمل لهم ما كان ناقصا فيهم من انواع الخلال الاخلاق الكريمة وزاد

في رواية جابر رضي الله عنه ان الله بعثني بتمام مكارم الاخلاق وكمال محاسن
الافعال فجميع الاخلاق الحميدة كلها كانت فيه صلى الله عليه وسلم فانه ادب القران
كما قالت عايشة رضي الله عنها كان خلقه القران ولما كان عرفان قلبه عليه السلام
بربه عز وجل كما قال عليه السلام بربي عرفت كل شي كانت اخلاقه اعظم خلق
فلذلك بعثه الى الناس كلهم ولم يقصر رسالته على الانس حتى عمت الجن ولم يقصر
على الثقلين حتى عمت جميع العالمين فكل من كان الله ربه فمحمد رسوله
وكما ان الربوبية تعم العالمين فالخلق المحمدي يشمل جميع العالمين ذكره القسطلاني
في مواهبه عن الحرالي طب ز يعني روى الطبراني والبزار باسنادهما عن انس بن
مالك رضي الله عنه انه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ذهب صاحب حسن الخلق
اي ظفر وفاز بخير الدنيا والاخرة لحصوله على ما يتوصل به الى المنافع الدنيوية
والاخروية وهو الخلق الحسن اذ به يراعي حقوق الله تعالى عليه وحقوق الناس
فيسلم من المطالبة بشي من ذلك طط يعني روى الطبراني في الاوسط باسناده عن ابي
هريرة رضي الله عنه انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما حسن بالتشديد
الله تعالى اي جعل حسنا خلق بفتح فسكون اي خلقة صورة رجل من الناس
وخلقه بضمة او ضمتين اي طبيعته وعادته فيطعمه اي الله تعالى النار في
الاخرة بادخاله فيها وتعذيبه بها اذ حسن خلقته تحببه الى الناس وحسن
طبيعته يحببه الى الله تعالى والى الناس فيكمل له محبة الله تعالى له ومحبة
الناس فيسعد في الدنيا والاخرة فلا يدخل النار نار الدنيا التي هي نار الغضب من
الناس عليه مع بقية المخلوقات ونار الاخرة ايضا التي تتسعر بغضب الرحمن هق
يعني روى الطبراني باسناده عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا ابا هريرة عليك بحسن الخلق اي خذه والزمه بالحفظ بلا مفارقة
قال ابو هريرة له عليه السلام وما حسن الخلق يعني اي شي هو يا رسول الله قال له
النبي صلى الله عليه وسلم حسن الخلق ثلاث خصال الاولى تصل اي تواصل وتخالط
بالنصح والاخلاص من قطعك اي قاطعك وباعدك وهجرك من الناس اذا
علمت رغبته فيك مع كراهة بداءته لك بالمودة تكبرا منه او حقدا عليك لتذل
له او لتتادب معه لا اذا علمت عدم رغبته في صحبتك فانه تعريض منك للجدال
والمماراة او علمت عدم عود المودة بينكما او كان يترتب على ذلك ارتكاب معصية
منكما او منه فان في الوصل حينئذ قطعا في الباطن والثانية تعفو اي تصفح عن من
ظلمك من الناس بمنعك حقك عليه من مال او منصب شرعي او خدمة او

تادب او نحو ذلك اذا لم يترتب على عفوك عنه تجرية عليك او على غيرك او كان
في مواخذتك له حق الشرع والا كان في عفوك عنه ظلم له والثالثة تعطي مالا او علما
او وفاء بعهد من حرمك اي منعك من شي من ذلك اذا لم يكن فيه اعانة على معصية
والا كان حرمانا منك له لا اعطا فعليك يا ايها السالك في طريق الله تعالى بتخلية اي
تفريغ قلبك عن الرذايل التي الاخلاق المذمومة وتحليته اي قلبك بالفضايل التي هي
الاخلاق المحمودة فان التصوف عبارة عنهما اي عن التخلية والتحلية اذ لانه قيل في تفسيره
عند اهله هو الخروج من كل خلق دني اي سافل مذموم والدخول في كل خلق
سني اي عالي محمود وهو قول الامام ابي محمد الحريري وقد سيل الجنيد رضي الله عنه
عن التصوف فقال هو ان يميتك الحق عنك ويحييك به وسيل عمرو بن عثمان المكي
عن التصوف فقال ان يكون العبد في كل وقت بما هو اولى في الوقت وقال محمد
ابن علي القصاب التصوف اخلاق كريمة ظهرت في زمان كريم من رجل كريم مع قوم
كرام وقال معروف الكرخي رضي الله عنه التصوف الاخذ بالحقايق والياس مما في ايدي
الخلايق ذكره القشيري في رسالته القسم الثاني من القسمين اللذين لابد منهما في بيان الاخلاق
الذميمة اي المذمومة وتفسيرها اي البحث عن معناها وذكر غوايلها اي افاتها ومفاسدها
التي تترتب عليها وذكر علاجها اي مداواتها تفصيلا اي على وجه التفصيل اعلم
يا ايها السالك اني تتبعتها اي الاخلاق الذميمة فوجدتها ستين خلقا الخلق
الاول من الاخلاق الستين المذمومة الكفر بالله تعالى والعياذ اي الالتجاء بالله
تعالى منه وهو اعظم المهلكات في الدنيا والاخرة على الاطلاق اذ لا معصية اقبح منه
فنقول في بيانه وبالله سبحانه لا بغيره التوفيق لنا على ما نشرع فيه هو اي الكفر
في اللغة والشرع عدم الايمان عمن اي عن عبد من شانه ان يكون مومنا فلا يوصف
به الجماد ونحوه لانه ليس من شانه عند العقلاء ان يكون مومنا فعدم ايمانه لا يسمى كفرا
وكذلك غير المكلف من بني ادم كالصغير والمجنون لا يوصف بالكفر لعدم وصف
بالايمان لانتفاء التمييز والايمان هو التصديق بالقلب اي اعتقاد القلب الصدق
على وجه القطع والجزم بجميع ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من عند الله تعالى الى
الخلق والاقرار باللسان به اي بجميع ذلك المذكور عند عدم المانع من الاقرار حقيقة
كالخرس وحكما كخوف القتل او اتلاف عضو منه فيما اذا اكره على الكفر وقلبه مطمين
بالايمان او عند عدم المانع حكما فقط بان كان غير خايف لو اتى بالاقرار بلسانه لكن
لا يمكنه لوجود المانع الحقيقي وهو الخرس فانه معذور في ترك الاقرار حينيذ كما
اذا عدم المانع حقيقة فقط في القادر على النطق اذا كان مكرها على اظهار الكفر

بقتل او قطع عضو له فانه معذور ايضا في ترك الاقرار وتفسير الكفر بالانكار لشيء
مما علم من الدنيا بالضرورة ليس بجامع لخروج الشك وخروج خلو اي فراغ الذهن
اي الخاطر عنه اي عن الكفر فان الشك كفر وكذلك خلو الذهن وهو عدم التصديق والتكذيب
معا وبقاء الذهن خاليا عنهما فانه كفر ايضا في غير اهل الفترة مع انهما ليسا بانكار فعلى
مقتضى التعريف الاول للكفر يكون بينهما اي بين الكفر والايمان تقابل العدم
والملكة اي القوة الراسخة فان هذا التقابل من جملة المتنافيات وهو عدم الملكة
عما من شانه ان يكون متصفا بها كالعمى والبصر فان بينهما تقابل العدم والملكة اذ العمى
عدم البصر عما من شانه ان يكون متصفا به فلا يقال للجدار اعمى لانه لا يقال له بصير
وعلى مقتضى التعريف الثاني للكفر يكون بين الكفر والايمان تقابل التضاد فان
الضدين هما الامران الوجوديان اللذان بينهما غاية الخلاف بحيث لا يجتمعان وقد
يرتفعان كالسواد والبياض ولعل مراد المصنف رحمه الله تعالى هنا بالتضاد مطلق
التنافي بين الامرين فيشمل النقيضين كالحركة والسكون ووجود زيد وعدمه فانهما
لا يجتمعان ولا يرتفعان والكفر والايمان بالتفسير الثاني كذلك والكفر بالله تعالى
ثلاثة انواع النوع الاول كفر جهلي اي منسوب الى الجهل وهو عدم العلم بالحق
وسببه الموصل اليه عدم الاصغاء اي الاستماع لتقرير الدين من ائمة الاسلام
وعدم الالتفات اي ذلك بالتعلم من اهله وعدم التامل في الايات اي العلامات المنصوبة
في الافاق وفي الانفس على الحق وفي الدلايل الشرعية المقررة في الكتاب والسنة ككفر
الكافرين من العوام المشتغلين بالدنيا المعرضين عن الاشتغال بالدين فلا
يعرفون شيئا من العلوم العقلية ولا النقلية والجهل هو الخلق الثاني من الاخلاق
الستين المذمومة التي هي افات القلب اي مهالكه ومفاسده وهو اي الجهل عدم العلم
عمن اي عن الشخص الذي من شانه ان يكون عالما فلا يقال للجماد والحيوان جاهل لانه
لا يقال له عالم فبينهما تقابل العدم والملكة وهو اي الجهل نوعان النوع الاول جهل بسيط
اي غير مركب لان صاحبه يجهل فقط ولا يجهل انه يجهل بل يعلم انه يجهل واصحابه
اي المتصفون بهذا النوع منه كالانعام اي البهايم او الابل والبقر والغنم او الابل
اي الابل فقط وانما شبهوا بهم لفقدهم ما به يمتاز اي يفترق الانسان عنها اي عن
الانعام من العلم والادراك بل هم اي اصحاب الجهل البسيط اضل اي اكثر ضلالة
من الانعام لتوجهها اي الانعام نحو اي جهة كمالاتها بالانقياد الى ما هي مامورة
بان تنقاد له من نوع الانسان وهي مسخرة له تحت ملكه وتصرفه دون الانسان
الجاهل فانه غير منقاد لله تعالى الذي هو مامور بالانقياد اليه فيما وجب اي افترض

الجهل صح

على المكلف

على المكلف علمه مما اي من العلوم التي سبق ذكرها حرم جهله وما لا يجب عمله فلا يحرم جهله
وعلاجه اي مداواة الجهل البسيط بعد معرفة غوائله اي افاته ومهالكه ومعرفة فوايد
العلم مما اي الفوايد التي سبق ذكرها في فضل العلم المتقدم بيانه والتعلم اذ لا انفع للجهل
من التعلم فانه دواؤه المجرب ودرياقه الموصوف له عند المفرب وقد يحصل للانسان
بسبب تعارض الادلة العقلية عنده حين يريد استعمالها لاجل التلفيق قياس عقلي
يثبت به مسئلة نظرية او يرد على مبتدع جهل بالامر على ما هو عليه يسمى ذلك
الجهل حيرة ويسمى شكا ويسمى ترددا ويسمى توقفا وذلك لعدم القطع فيه بشيء
فعلاجه اي مداواته ليزول بالكلية ممارسة اي مداناة ومداولة القوانين العقلية
اي القواعد الكلية وامثلتها كالمنطق وسبق الكلام عليه وغيره من علم الكلام
والحكمة اليونانية وان كان ذلك محظورا عليه فان مراده تحقيق المسئلة النظرية
بعلم حكم العقل فيها او يرد على المبتدعة من جنس كلامهم لا ليعتقد ما انتج له
نظره العقلي وقياسه الفكري من ذلك فان الايمان بما تضمنه الكتاب والسنة
على حسب ما يعلمه الله تعالى من ذلك ويعلمه رسوله هو مبنى الدين المحمدي وبعد
حصوله لا حرج في مقارعة اهل الاعتزال وغيرهم بالادلة النظرية بنية ردهم
الى الطريقة الاسلامية حتى يطلع ذلك الجاهل المتحير على وجود شرط كان اهمله هو
او كان اعتبره ولم يكن عند اصحاب القوانين العقلية معتبرا في احد متعلق بيطلع
الدليلين المتعارضين عنده فيزول التعارض فالحيرة تزول ايضا وهي هذا النوع
من الجهل المذكور وتعارض الادلة الشرعية من الكتاب والسنة والاجماع والقياس
الجلي والقياس الخفي المسمى بالاستحسان فقد لا يمكن دفعه اي ازالة ذلك التعارض
بترجيح احد الدليلين على الاخر ولا بد ان يكون الدليلان المتعارضان ظنيين اذ لا يقع
التعارض بين القطعيين لامتناع وقوع المتنافيين فلا يتصور الترجيح لانه
فرع التفاوت في احتمال النقيض فلا يكون الا بين الظنيين كذا في مراة الاصول
ثم بين عدم امكان الدفع بقوله بان لا يعلم التاريخ اي تقدم زمان وجود احد
الدليلين على الاخر اذ لو علم التاريخ لحمل على النسخ كما في معارضة الكتاب او السنة
للسنة ولم يعلم التاريخ فان علم حمل على النسخ لامتناع حقيقة التعارض في
الكتاب والسنة لانه انما يتحقق اذا اتحد زمان ورودهما والشارع منزه عن
تنزيل دليلين متناقضين في زمان واحد بل ينزل احدهما سابقا والاخر لاحقا
ناسخا للاول لكنا اذا جهلنا التاريخ توهمنا التعارض واذا علمنا المتقدم والتاخر
حملنا عليه وامتنع الترجيح بالاسباب المرجحة لاحد الدليلين على الاخر كوجوه الترجيح

حينئذ واذا زال التعارض صح

الكاينة في الكتاب كترجيح النص على الظاهر والمفسر على النص والمحكم على المفسر
ونحو ذلك والترجيح في السنة كالترجيح بفقه الراوي والمشهور من الرواية
على الاحاد وترجيح المسموع من النبي صلى الله عليه وسلم على ما يحتمل السماع كما اذا
قال احدهما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الاخر قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم وترجيح الحظر على الاباحة وما يوافق القياس وما لا يوافقه والترجيح
في القياس بقطعيه حكم اصله وقوة ظن دلايله الظنية وبمشاركة الفرع للاصل
في نوع الحكم والعلة ثم في نوع العلة ثم في نوع الحكم وبقطعية العلة كالمنصوصة
والمجمع عليها وتمامه مفصل في الاصول وحيث جهل التاريخ وامتنع الترجيح
بما ذكر فيوجب التعارض المذكور الشك والتوقف في الحكم فلا يقطع فيه بشيء
فلذا توقف بعض المجتهدين من ايمتنا وغيرهم في بعض المسايل الشرعية
كايمتنا الثلاثة وهم ابو حنيفة وابو يوسف ومحمد رحمهم الله حيث توقفوا
في سور اي بقية الماء القليل في الاناء ونحوه حيث وضع فيها فم البغل والحمار
ووصل اليها شيء من لعاب احدهما فان الماء يصير مشكوكا في طهوريته حينيذ
وقيل في طهارته وسبب ذلك تعارض الاخبار والاثار وامتناع القياس فقد روى
انس ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن اكل لحوم الحمر الاهلية وروى ايضا انه عليه السلام
قال كل من سمين مالك لما قال له لم يبق من مالي الا هذه الحميرات وروى عبد
الله بن ابي اوفى انه عليه السلام حرم لحوم الحمر الاهلية يوم خيبر وروى غالب بن ابجر
انه عليه السلام اباحها فاوجب ذلك اشتباها في لحمه ويلزم منه الاشتباه في سوره
لان لعابه متولد منه فاخذ حكمه وتعارض الاثار بقول ابن عمر رضي الله عنهما
ان سور الحمار نجس وقول ابن عباس رضي الله عنهما انه طاهر وامتناع القياس انه
لا يمكن الحاقه بالهرة لانه ليس مثلها في الطواف ولا بالكلب للضرورة ولا
الحاق لعابه بلحمه او لبنه في اوضح الروايتين وان روى عن محمد انه طاهر ولا يوكل لان
فيه ضرورة الاختلاط ولا بعرقه الطاهر في ظاهر الرواية لان الضرورة فيه اكثر
كذا في مراة الاصول وكتوقف ابي حنيفة رضي الله عنه في اطفال المشركين هل هم
في الجنة ام في النار مع ابايهم وقد رايت في المنام رؤيا تدل على ترجيح القول
بانهم خدام اهل الجنة ذكرتها في كتابي النوافح الفايحة بروايح الرؤيا الصالحة
وتوقفه ايضا في ~~دهر منكر اي بصيغة التنكير~~ رضي الله عنه في وقت الختان
في اي سنة من عمر الصغير وتوقفه ايضا في دهر منكر اي بصيغة التنكير كما اذا
حلف لا يكلمه دهرا فما المراد به وفي شرح الدرر قال ابو حنيفة دهر منكر لا ادري ما

هو

232

هو اي باي شيء يقدر من الزمان وعندهما نصف سنة كحين وزمان والدهر معرفا يراد
به الابد عرفا انتهى والتوقف في مثل ذلك لا يكون الا من كمال العلم والورع وقد جمع
بعضهم المواضع التي توقف فيها الامام ابو حنيفة رضي الله عنه بقوله

من قال لا ادري بما لم يدره • فقد اقتدى في الفقه بالنعمان
في الدهر والخنثى كذاك جوابه • ومحل اطفال ووقت ختان

واوصلها بعضهم الى ثمانية في قوله

ورع الامام الاعظم النعمان • سبب التوقف في جواب ثمان
سور الحمار بفاضل جلالة • وثواب جني على الايمان
والدهر والكلب المعلم ثم مع • ذرية الكفار وقت ختان

وذكر الحدادي في شرح القدوري انها اربعة عشر مسلة وفي خزانة الفتاوى الدهر
ومحل الاطفال ووقت الختان واذا بال الخنثى من الفرجين معا وان الملايكة افضل
من الانبيا ومتى يصير الكلب معلما وسور الحمار ومتى تطيب الجلالة ومثله في عمدة
المفتي ثم قال وتوقفه في هذه المسايل من جلالة قدره وعلو امره في العلم وغاية ورعه
في الزهد حيث توقف ولم يجازف والتوقف عند عدم الدليل نوع علم قال الله تعالى
ولا تقف ما ليس لك به علم وهذا المقدار في الينابيع ايضا ثم قال وتوقف ابي حنيفة
رضي الله عنه في هذه المسايل من غاية معرفته بالاحكام وغاية ورعه في الدين
اذ لو لاح له وجه جلي لحكم به ولتلقاه الناس منه بالسمع والطاعة كما تلقوا منه
ساير الاحكام واقتدوا به وما من احد من الناس احاط بالعلوم كلها كما نطق به
الكتاب بقوله تعالى وما اوتيتم من العلم الا قليلا ولان هذا من سير الانبيا عليهم
السلام الا ترى ان النبي صلى الله عليه وسلم سيل عن افضل البقاع قال لا ادري حتى هبط
جبريل عليه السلام فاخبره بان افضل البقاع المساجد وكذلك سيل عن اولاد المشركين
قال الله اعلم بما كانوا عاملين اذ خلقهم الى غير ذلك مما توقف فيه صلوات الله عليه
وقال الشيخ ابو الدر رحمه الله تعالى في شرحه على شرح الدرر قال محمد كان الامام يقف
في اطفال المشركين والمسلمين والمختار ان التوقف في اطفال المسلمين مردود فانهم
في الجنة واختار البعض في اطفال المشركين انهم خدام اهل الجنة كذا في البزازية وذكر
ايضا والدرر رحمه الله تعالى ان اقصى وقت الختان اثنى عشر حولا واما اقل وقته فقال
ابو حنيفة لا علم لي به ولم يرد عن ابي يوسف ومحمد فيه شيء واختلف المشايخ
فيه بعضهم قالوا سبع سنين وبعضهم تسع سنين وبعضهم عشر سنين وبعضهم
لم يوقتوا وقتا بل قالوا اذا كان بحال يطيق الالم يختن والا فلا كما في الذخيرة

وقال ابو الليث المستحب عندى اذا بلغ سبع سنين تختن فيما بينها وبين عشر
كما في الينابيع ومجمع الفتاوى ويكره الترك الى وقت البلوغ كما في السراج الوهاج
والنوع الثاني جهل مركب من جهل وجهل انه جهل وهو اعتقاد بالقلب غير
مطابق لما هو عليه بان يجهل الامر ويجهل انه يجهل ذلك الامر وهو شر من الجهل
الاول البسيط لكونه جهلين والاول جهل واحد وهو مرض من امراض القلوب
مزمن اى باق الازمنة الطويلة قل ما يقبل العلاج اى المداواة كما روى ان عيسى
ابن مريم عليه السلام قال داويت الاكمه والابرص واحييت الموتى واما الجهل
المركب فقد اعياني دواوه لان صاحبه اى الجهل المركب يعتقد انه اى ان الجهل
المركب علم وكمال فيه لا انه جهل ومرض فلا يطلب ازالته عنه ولا علاجه لا تكاره
انه مرض الا ان يطلع على فساده اى كونه فاسدا بغتة من تلقا نفسه اذ لا يسمع كلام
احد في ذلك بعناية الله تعالى له اى بسبب ذلك ان تداركه الله تعالى والامات على
جهله والنوع الثاني من انواع الكفر الثلاثة كفر جحودى اى منسوب الى الجحود
وهو الانكار وعنادى اى منسوب الى المعاندة وهى المفارقة والمجانبة والمعارضة
بالخلاف كالعناد كذا في مختصر القاموس وسببه اى الكفر الجحودى العنادى ثلاثة
اشيا الاول الاستكبار اى التكبر في النفس وسيجى بيان التكبر في هذا الكتاب ان
شا الله تعالى ككفر فرعون وملايه اى قومه فانهم كانوا متكبرين في نفوسهم عن
متابعة موسى عليه السلام والانقياد للحق الذى جابه اليهم فحملهم التكبر على الجحود
والعناد مع علمهم بالحق في قصة السحرة وغيرها من بقية الايات البينات لقوله
تعالى في حقهم فاستكبروا اى عن النزول للحق المبين والاذعان له
وكانوا قوما عالين اى مترفعين متكبرين فقالوا من فرط استكبارهم وعنادهم
انومن لبشرين موسى وهارون عليهما السلام مثلنا اى كل واحد منهما مشابه لنا في
البشرية وقومهما اى والحال ان قومهما وهم بنوا اسرايل لنا عابدون اى لواحد
منا وهو فرعون بناء على زعمهم الوهيته او مطيعون قال ابو عبيدة العرب
تسمى كل من دان لملك عابدا له وقال المبرد العابد المطيع والخاضع وقوله تعالى
وجحدوا بها اى بايات الله المبصرة واستيقنتها اى تحققتها انفسهم ظلما
اى تجاوزا عن الحد وعلوا يعنى استعلاء بالباطل وبما لا يجب من تعدى الحق تجبرا
وتكبرا قال المبرد يقال فلان اذا ترفع وطغى وتجاوز ومنه قوله تعالى الا
تعلوا على اى لا تطغوا وتتكبروا ذكره الواحدى في البسيط والسبب الثاني خوف
عطف على الاستكبار اى وسببه ايضا خوف عدم وصول الرياسة اليه اى الجاه والرفعة

في الحياة الدنيا او خوف زوالها اى الرياسة ككفر هرقل وهو ملك الروم المسمى قيصر
فانه كان عالما بان نبينا صلى الله عليه وسلم حق ولكن منعه من الاسلام والمتابعة خوفه
على زوال ملكه وذهاب رياسته فاختار البقاء على الكفر لاحتمال زوال سلطانه بالانقياد
لغيره فانه روى ان النبي صلى الله عليه وسلم كتب الى قيصر المدعو بهرقل ملك الروم يوم
ذلك ثم قال بعد تمام كتابة الكتاب من ينطلق بكتابي هذا الى قيصر وله الجنة فقالوا
وان لم يصل يا رسول الله قال وان لم يصل فاخذه دحية بن خليفة الكلبى وتوجه الى مكان
فيه هرقل بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع
الهدى اما بعد فانى ادعوك بدعاية الاسلام اسلم تسلم يوتك الله اجرك مرتين فان
توليت فان عليك اثم الاريسيين ويا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سوا بيننا وبينكم ان لا نعبد
الا الله ولا نشرك به شيا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا
بانا مسلمون رواه البخارى ولما قرا كتاب النبي صلى الله عليه وسلم غضب ابن اخى قيصر
غضبا شديدا فقال ادن الكتاب فقال له وما تصنع به فقال انه بدا بنفسه وسماك
صاحب الروم فقال له عمه والله انك اضعيف الراى اتريد ان ارمى كتاب رجل ياتيه
الناموس الاكبر او كلاما هذا معناه وقال ان ارمى بكتاب ولم اعلم ما فيه لين كان رسول
الله انه لاحق ان يبدا بنفسه ولقد صدق انا صاحب الروم والله مالكى ومالكه
ثم امر بانزال دحية واكرامه الى ان كان من امره ما ذكره البخارى في حديثه كذا في المواهب
اللدنية وفي صدر الحديث ما يدل على ان دحية رضى الله عنه مبشر بالجنة ايضا
كالعشرة المبشرين بها وحب الرياسة الدنيوية احترازا عن الاخروية فان
طلبها من الخير والصلاح هو الخلق الثالث من امراض القلب اى من الاخلاق
الستين المذمومة المردية له وهى اى الرياسة الدنيوية ملك بكسر اللام اى سلطان
القلوب لتملكها لقلوب الناس وقهرها لها وتسمى اى الرياسة جاها من الوجاهة
وهى الصدارة والتقدم على الغير وشرفا اى رفعة وصيتا بالكسر وهو الذكر الحسن
والثنا الجميل ت س يعنى روى الترمذى والنساى باسنادهما عن كعب
ابن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما ذيبان تثنية ذيب وهو حيوان معروف
جايعان ارسلا اى دخلا بلا منع احد في قطيع غنم بافسد اى اكثر افسادا لها
اى للغنم من افساد حرص المرء اى شدة محافظته ومحالبته واجتهاده على المال
وعلى الشرف اى الجاه والرفعة لدينه فان افساد حرصه على المال وحرصه على الشرف
اكثر من افساد الذيبين الجايعين لتلك الغنم هق يعنى روى البيهقى باسناده عن
انس رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسب بالسكون امرء

اي يكفيه من الشر والسوء الامن عصمه اى حفظه الله تعالى من ذلك ان يشير اى
اشارة الناس اليه تعظيما له بالاصابع احتشاما عن التصريح باسمه في دينه
الحق اى بسبب ذلك كقوله عليه السلام دخلت النار امراة في هرة اى بسببها
وكذلك في دنياه الواسعة وجاهه ومنصبه دنيا يعني روى ابو منصور الديلمي
باسناده عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
حب الثنا اى المدحة وجميل الذكر الصادر من الناس في مقابلة صفة حميدة منه
او فعل حسن يعمى العين والقلب عن عيوب الناس ومقابح الطبيعة والخصال
الردية ويصم عن سماع الحق من الناصحين له وسببه اى حب الرياسة ثلاثة انواع
احدها التوسل اى التوصل بالجاه الذى يوجب ثنا الناس ومدحتهم له الى ما حرم اى حرمه
الله تعالى من مشتهيات النفس ومراداتها كالاستطالة على من دونه والترفع
على ضعفا الدنيا ونيل الاموال الكثيرة من غير حلها وايقاع الهيبة والخوف في قلوب
الناس ونحو ذلك وهذا النوع من حب الرياسة حرام لانه وسيلة الى حرام وثانيها
اى الثلاثة انواع التوسل به اى بحب الرياسة الى اخذ الحق الذى له على الغير من
الغير اذ من لا جاه له ممتهن في الناس لا يكاد يقدر على الوصول الى حقه اذا ترتب له
على احد خصوصا في البلاد التى يضعف فيها الانصاف ويقل العدل والى تحصيل المرام
اى المقصود المستحب كالتمكن بذلك من اظهار نعمة الله تعالى عليه من الاموال
ببذل الصدقات وبنيان المساجد والسبلات والطرقات او المرام المباح
كالتبسط بانواع المآكل والمشارب والمناكح والمساكن ونحوها او الى دفع الظلم
من الظالمين عنه او عن غيره ودفع الشواغل العايقة له وتحصيل التفرغ للعبادة
والطاعة او التوسل الى تنفيذ الحق اى اظهاره والزام الغير به واعزاز اى نصرة الدين
المحمدى واصلاح الخلق اى الناس المرتكبين للمفاسد بالامر لهم بالمعروف والنهى لهم
عن المنكر فان الجاه والشرف يعين على قبول القول وتصديق الخبر والمبادرة الى الانقياد
فهذا النوع من حب الرياسة ان خلا عن قصد المحظور اى الممنوع شرعا
كالريا بان كان صاحبه مخلصا في ذلك قاصدا وجه الصواب وعن التلبيس عليه
بان يلتبس عليه الريا ونحوه بغيره وعرف نفسه فتحقق منها صرفها في المقاصد
المذكورة وعن ترك الواجب والسنة بان خلا من ذلك ولم يترتب عليه شى منه فجايز
لا حرمة فيه بل مستحب حينئذ لايصاله الى فعل المستحب قال الله تعالى حكاية
عن العباد الصالحين واجعلنا للمتقين من بعدنا اماما يقتدون بنا فيه التقوى
فان منصب الامامة رياسة وجاه ورفعة وحيث خلا من قصد فاسد كان

طاعة

طاعة فصح طلبه وساغ لهم دعا الله تعالى في تحصيله ومنه قول سليمان عليه
السلام رب هب لى ملكا لا ينبغي لاحد من بعدى وان لا اى وان لم يكن كذلك فلا يجوز
لانه يكون حينئذ لغرض محظور او تلبيس حاله عليه او ترك طاعة فيكون حراما
او مكروها والقصد الحسن مع ذلك لا تاثير له لان النية الحسنة لا توثر في المحرمات
ولا في المكروهات بحيث تجعلها طاعات وثالثها اى الانواع التلذذ به اى الرياسة
نفسه تاكيد له احترازا عن التلذذ بعوارضه اللازمة له من قضا الاغراض والمقاصد
النفسانية وظنه اى حب الرياسة كمالا وهذا النوع المذكور كحب المال الكثير للتمتع بصرفه
في وجوه الاغراض النفسانية والتلذذ به اى بالمال فان خلا اى التلذذ بحب الثنا وحب
المال عن المحظور اى المنهى عنه فليس بحرام لعدم ترتب حرام عليه ولكنه مذموم
في رتبة الكمال لاخلاله بها لكون صاحبه مقصور الهمة اى العزم والهمة على
مراعات خواطر الخلق ولاجل خوف تاديته اى ايصال ذلك النوع المذكور
من حب الرياسة الى المرايات اى التصنعات لاجلهم اى الخلق والى النفاق لهم
باظهار ما ليس فيه من انواع الكمالات لاقتناص اى صيد شوارد القلوب من الخلق
والتلبيس عليهم في الاقوال والافعال والاحوال والخدعة لهم في التوصل الى مقصده
منهم والكذب عليهم في الامور التى تعجبهم والعجب بنفسه ونحوها من الحسد والبغض
والحقد وعلاجه اى حب الرياسة ان يعلم العبد انه لا ليس بكمال حقيقى بل الكمال
ان كان فيه كنوع المستحب فانه بالعرض لا بالذات لفنايه اى سرعة زواله وكدورته
اى عدم صفايه لاحد اصلا فان جميع القلوب لا تجتمع على الثنا على احد من غير طعن
فيه اصلا كما بسطته في خاتمة كتابى الرد المتين ومعرفة غوايله اى افاته ومفاسده
المذكورة من مراعاة الخلق ومراياتهم ونفاقهم وان يعمل ما يسقط الجاه والرفعة له
عن قلوب الخلق من الامور الخسيسة غير الشنيعة المباحة غير المحرمة ولا المكروهة
ليستتر بها عن عيوب الناس فيسلم من اقبالهم عليه كما روى ان بعض الملوك
المتقدمين قصد زيارة بعض الزهاد من اهل السلوك في طريق الله تعالى فلما
علم ذلك الزاهد بقربه اى الملك منه استدعى اى طلب لنفسه طعاما وبقلا واخذ يأكل
ذلك بشره اى نهمة وتكالب ويعظم اللقمة التى يضعها في فمه ليتستر بذلك عن
عين الملك فيترك اعتناده به فيصفو اله وقته من اكدار اعتقادات الغافلين
وسوالهم اقتراحات المحجوبين فلما نظر اليه الملك وهو يفعل ذلك الامر المباح
سقط ذلك الزاهد من عينه اى الملك وانصرف الملك وتركه على حاله فقال الزاهد
بلسانه او بقلبه الحمد لله الذى صرفك عنى حيث اراحه الله تعالى منه ومن تشهيه

عليه بقلبه الغافل وبصيرته المطموسة وحماه من رق جميله وفتنة مودته قال الشيخ الاكبر محي الدين ابن العربي قدس الله سره في شرح الوصية اليوسفية في معنى تستر الولي والصورة التي ظهر فيها هذا الولي من احواله ايضا فما ظهر بخلاف احواله وانما ظهر بخلاف الحال الذي تعتقده العامة في الولي انه حال له ولا يخفى ولي حاله عن الناس الا بدخوله مداخلهم في عاداتهم مما لا تنتهك فيه حرمة شرعية فلا يرى العامة من هذا الولي الا ما اعتادته من العامة فلا يتميز لهم حال الولي المتوهم في نفوسهم فيكون سترا لهم على هذا الحال المتوهم فما استتر ايضا الا كما له فان استتر بامر في الظاهر عندهم انه منتهك فيه حرمة شرعية فالغلط في نظرهم لا في نفس الامر ويبعد ان يقع مثل هذا من كبير في الطريق متمكن ولا من صاحب حال لشغله فان صاحب الحال تحت حكم حاله فلا يقوم له خاطر في الستر ولا في الظهور وانما هو بحكم ما يصرفه فيه حاله وانما يقع الستر من الاكابر بالمباحات والعادات التي لا يقدح الشرع فيها خاصة فان اتفق ان يظهر عند الناظر ان ذلك فيه انتهاك حرمة مشروعة فما هو مقصود لذلك الولي وانه جاري على عادته في ذلك مع الله تعالى وان شغله في ذلك الوقت مع الله بحكم ما اعتاده منه لا مع الخلق فيتخيل الاجنبي ان ذلك الولي قصد الستر بما جرى منه مما ظاهره منكر وباطنه معروف ولبس كذلك فما اتى هذا الولي الا امر صحيح محمود في الشرع لو انصف هذا الناظر كرجل شرب كاس خمر في ناظر عين الحاضر لعلمه بخربة ذلك الكاس وهو محو يشرب ما يجوز له ولا يعلم ذلك الحاضر حتى ينبا وله اياه منه ان اعتنى به اذا لم يخطر له ستر حاله فيبشي به الاجنبي ~~الذي لا يعلم ذلك~~ شرابا حلالا فالاجنبي الذي لا يعلم ذلك محمود عنده في انكاره موف لمقامه والولي محمود في فعله اذا لم يقصد التستر فان قصد التستر بمثل هذا فهو مذموم في الطريق بل لا يقع مثل هذا من ولي في العموم وقد يقع من ولي في الخصوص من اصحابه اختبارا منه لصدق دعواهم في التسليم له هذا اما لا يمنعه وهذا وعلى هذا يكون تجلي الحق تعلى يتجلى يوم القيمة في الصورة المنكرة اختبارا للادباء المتحققين بالامانة هل يعاملونه في ذلك الموطن بالمعاملة التي يستحقها الاله او يسكتوا عن ذلك فلا ينكرون وكذلك ~~ينكرون~~ يفعلون كما فعل قضيب البان مع احمد البزار حين ظهر له في صورة مختلفة والصورة واحدة واحمد يتعجب فلما اكمل شهوده بحسب ما اراده قضيب البان قال له يا احمد من هو قضيب البان الذي لا يصلي ويترك ما فرض الله عليه والله يا احمد ما تركت فريضة تعينت للمصلي وانما الامر كما رايت اخبرني بذلك احمد بالموصل في الموضع الذي ابصر منه

ذلك

235

ذلك وهو عند باب تربة جرجيس النبي عليه السلام فلهذا قلنا قد يظهر الولي لبعض اخوانه بشيء من ذلك تعليما واختبارا ولم يقصد قضيب البان بما يظهر للعامة منه التستر عنهم وانما الحال اعطاه ذلك فلم يكن يبالي بما تعتقده الناس فيه واقوى الطرق اي انجح العلاج في قطع الجاه وازالته بالكلية الاعتزال اي الانفراد وحده عن الناس الى موضع الخمول اي نسيان ذكره وانصراف شهرته كالقرى البعيدة عن الامصار ورؤس الجبال ومنقطعات القفار فيقنع بالقليل مما تنبته الارض والثمار المباحة واقل امر في ذلك ان يلازم بيته فلا يخرج الا مقدار الضرورة كالجمعة والعيد كما روى الحاكم في مستدركه عن ابن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا رايت الناس قد مرجت عهودهم وخفت اماناتهم وكانوا هكذا وشبك بين انامله فالزم بيتك واملك عليك لسانك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر وعليك بخاصة امر نفسك ودع عنك امر العامة اخرجه الاسيوطي في الجامع الصغير والذي ينبغي للعاقل الموفق في هذا الزمان ان يعمل بهذا الحديث بل من المتعين عليه ذلك ليسلم له دينه ودنياه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم واما الجاه الحاصل للعبد بلا حب منه له ولا حرص منه عليه للذته للذة العاجلة وهي لذة الدنيا بان لم يكن غرضه ذلك فليس هو بمذموم شرعا وعقلا وعرفا لانه من اقامة الله تعالى للعبد فيما اراد سبحانه فاي جاه كان في الدنيا اعظم من جاه الانبيا عليهم السلام وجاه الخلفا الراشدين وهم اصحاب نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ابو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم اجمعين فان جاههم كان اعظم جاه ورفعتهم اكمل رفعة ومقامهم في الناس اعلى مقام ولكن من غير حب لذلك ولا حرص على حصوله لاجل اللذة الدنيوية ولا فرح به وانما كان ذلك لهم معونة في نشر الدعوة الى الله تعالى ونصرة الدين وحماية الاسلام والسبب الثالث للكفر الجحودي خوف الذم من الناس والتعيير اي الحاق العار منهم بصاحبه ككفر ابي طالب ابي الامام علي كرم الله وجهه وهو عم النبي صلى الله عليه وسلم وقد روي ان قريشا اجتمعوا الى ابي طالب وارادوا برسول الله صلى الله عليه وسلم سوا فقال في ذلك ابو طالب

والله لن يصلوا اليك بجمعهم ... حتى اوسد في التراب دفينا
فاصدع بامرك ما عليك غضاضة ... وابشر بذاك وقر منه عيونا
ودعوتني وزعمت انك ناصحي ... ولقد صدقت وكنت ثم امينا
وعرضت دينا لا محالة انه ... من خير اديان البرية دينا
لولا الملامة او حذاري سبة ... لوجدتني سمحا بذاك مبينا

فان كفره كان كفر جحود مخافة الذم والتعيير من قومه كما تشير اليه هذه الابيات
من شعره وهو اى خوف الذم والتعيير الخلق الرابع من الاخلاق الستين المذمومة
من جملة منكرات القلب اى اخلاقه المذمومة والخلق الخامس من الاخلاق الستين
المذمومة حب المدح من الناس والثنا منهم وهما اى خوف الذم والتعيير وحب المدح
والثنا كحب الرياسة السابق بيانه سببا اى من جهة السبب فان اسباب حب الرياسة
ثلاثة كما مر فكذلك هي ايضا اسباب خوف الذم والتعيير وحب المدح والثناء
وحكما اى من جهة الحكم فان احكام حب الرياسة ثلاثة ايضا الحرمة والجواز
وخلاف الاولى وهما كذلك وعلاجا اى من جهة العلاج فان علاج حب الرياسة ثلاثة
اشيا ايضا كما مر وعلاجهما مثل ذلك ايضا غير ان السببين الاولين من اسباب حب
الرياسة كما مر وهما التوسل بالجاه الى المحرمات والتوسل به الى اخذ الله الحق في
الاول اى في خوف الذم والتعيير عدم التوسل بالجاه الى المحرمات وعدم التوسل بذلك
الى اخذ الحق مخافة ان يكون التوسل المذكور داعيا الى الذم والتعيير واما في الثاني
الذى هو حب المدح والثنا فالسببان الاولان فيه على بابهما والسبب الثالث
في الاول الذى هو خوف الذم والتعيير التألم اى وجود الالم بشعور اى ادراك
النقصان في النفس بان يجد في حاله نقصا فيخاف الذم بذلك والتعيير به وعدم
معطوف على التالم ملك القلوب اى قلوب الناس بعني دخولها تحت طاعته وعدم
ملك الحشمة اى الهيبة فيها اى في القلوب فيحمله ذلك على خوف الذم والتعيير
فلو شعر من نفسه بالكمال وملك القلوب بالرياسة والاجلال ووقعت له الهيبة
في قلوب الرجال ما خاف الذم والتعيير وعلاجه اى علاج خوف الذم والتعيير
ان تخطر في قلبك اى خاطرك بان تقول لنفسك ان الذام لى اى الذى يذمني من الناس
ان كان صادقا في ذمه لى فقد عرفني بنقصان نفسي وذكرني مقابحها ونبهني على
عيبي لاحذر منه فان كان ذلك العيب ممكن الزوال بالمجاهدة والرياضة فاجتهد
يا ايها المذموم في ازالته عنك فهو اى ذمه لك نعمة انعمها الله تعالى عليك اذ نبهك على
عيبك اخوك المسلم غيرة عليك توجب تلك الفرح منك بها وتوجب الحب منك له
والثنا عليه والمكافاة اى المجازاة بالخير لمعطيها وهو الذى ذمك ولو وصلية
اراد ذلك الذام لى قدحي اى شتمي وطعني اى انتقاصي بين الناس اذ اى لان نيته
ذلك لا تؤثر تلك النية منه فيها اى في تلك النعمة المذكورة اى تمنعها وترفعها ولا تخرجها
اى النعمة من ان تنفع لى في الدنيا والاخرة ونظير هذا ما قاله الشيخ الاكبر محي الدين ابن
العربى رضى الله عنه في شرح الوصية اليوسفية ان الشيخ ابراهيم بن طريف رحمه الله تعالى

كان يقول

كان يقول لديا ولدى ما ارى في العالم الا وليا لله تعالى بالنظر الى فانه لا يخلوا من
يعرفني ان يكون حامدا لما انا عليه او ذاما فان حمدنى فاقول هذا ولى ما رانى الا
بصورته مما هو عليه والحمد لله الذى ارانى وليا من اوليايه وان ذمني اقول
هذا رجل قد كشف الله له عن عيبى ولا يكاشف الا ولى وهذا رجل يسمى بها بنسب
الى ويذكر حتى نتحفظ من هذه الصفة فما بنصح عباد الله الا ولى هذا اعتقاده
في الخلق كلهم رحمه الله تعالى ورضى عنه وقدمنا هذا بل تزيد تلك النعمة على
نفع لصيرورة ذمه لى حينئذ اى حين اذا اراد قدحي وطعني لمزا اى استهزاء
على وسخرية بى وغيبة لى فيكون مهديا الى بعض حسناته ومنقذا الى منجيا من
بعض ذنوبى كما ورد ان من اغتاب غيره من الناس ذهبت حسناته الى صحايف
ذلك الغير حتى لا تبقى له حسنة ثم تكتب سيات الغير في صحيفته وذكر القشيرى
في رسالته ان مثل الذى يغتاب الناس كمثل من نصب منجنيقا يرمى به حسناته شرقا
وغربا يغتاب واحراخراسانيا واخر حجازيا واخر تركيا فيفرق حسناته فيقوم
ولا شيء معه وقيل يوتى العبد يوم القيمة كتابه ولا يرى فيه حسنة فيقول اين
صلاتى وصيامى وطاعتى فيقال ذهب عملك كله باغتيابك للناس وقيل من
اغتيبت بغيبة غفر الله نصف ذنوبه وقيل يعطى الرجل كتابه فيرى فيه حسنات
لم يعملها فيقال له هذا بما اغتابك الناس وانت لا تشعر وذكرت الغيبة عند
ابن المبارك فقال لو كنت مغتابا لاغتبت والدى لانهما احق بحسناتى وقيل
للحسن البصرى ان فلانا اغتابك فبعث اليه طبق حلوى وقال بلغني انك اهديت الى
حسناتك فكافيتك فتضاعف اى تزايد النعمة المذكورة بسبب اهداء بعض
الحسنات والانقاذ من السيات فتصير نعمة اخرى فاين الالم الداعى الى حب
المدح والثنا فانه يرتفع حينيذ وان لم يمكن زواله اى ذلك العيب بالمجاهدة
بان صار امرا ضروريا تحصل لى النعمة الثانية وهى نعمة اهداء الحسنات او
الانقاذ من السيات وان كان ذلك الذام لى كاذبا في ذمه لى فقد بهتني اى اتى
بما يبهتني اى يجعلنى حايرا متفكرا عند سماعه مما انا برئ منه وهو البهتان اقبح
من الغيبة واضر نفسه بما اتى به في حقي وحصل لى من الذم النعمة الثانية اى
اهداء حسناته او الانقاذ من سياته حصولا اكثر في الاهدا واعظم في الانقاذ من
القسم الاول الذى كان فيه صادقا فالالم الحاصل للانسان من الذم الذى له من غيره
انما يحصل لمن قصر نظره اى التفاته على طلب الدنيا فقط فيخاف ان يذهب عنه بذلك
جاهه فيها واما طالب الدار الاخرة فالمراتب العالية فيها فالحاصل له بذلك الذم من الغير

الفرح والنشاط لاعانته بذلك فيما هو بصدده من انزواء الدنيا عنه وقطع
العلايق والعوايق وحثه على كراهة البقا في دار الفنا وتكثير حنينه واشتياقه
الى دار الانصاف والاسعاف والانعام والدوام مع اخوان الصفا وخلان
المودة والوفا المعترفين بالكمال والمنصفين على كل حال والسبب الثالث في حب
المدح والثنا شيان الاول التلذذ بشعور اى ادراك النفس الكمال فيها بتعريف
المادح لها والمثنى عليها اذا لم تكن النفس شاعرة بذلك او تذكيره اى المادح بذلك اذا
كانت النفس ناسية ذلك الكمال في المدح الصدق اى المطابق للواقع واما الكذب
فلا تعريف فيه ولا تذكير وانما فيه مجرد التغرير والثاني التلذذ بشعورها اى
النفس ملك قلب المادح اى انقياده اليها واطاعته لها وسببيته اى سببية ملك
قلب المادح لملك قلوب الاخرين اى الباقين من الناس ولملك حشمها اى
حيا قلوب الاخرين وانقباضها منه تواضعا وانكسارا وعلاج الشي الثاني من
الشيين الذين هما السبب الثالث المذكور لحب المدح والثنا وهو التلذذ بشعور
النفس ملك قلب المادح وسببية ذلك لملك بقية القلوب سبق بيانه في علاج خوف
الذم والتعيير وذلك ان تحضر قلبك ان الذام ان كان صادقا فقد عرفني الى اخره
وعلاج الشي الاول الذي هو المتلذذ بشعور النفس الكمال بتعريف المادح او تذكيره
في الصدق كما مر ان كان الكمال الذي شعرت به النفس دنيويا اى منسوبا الى الدنيا
بان كان من احوالها كالجاه والرفعة وكثرة الاموال والخدم فكالثاني اى فعلاجه
كعلاج الثاني وهو علاج خوف الذم والتعيير السابق بيانه وان كان الكمال اخرويا اي
منسوبا الى الاخرة فالعلم اى فعلاجه العلم النافع وهو علم الشريعة والدين المحمدي
والعمل به فقط مع الاخلاص والورع فانه بذلك يكشف عن عيوب نفسه فلا يشعر
بكمال فيها اصلا وخيريتهما اى العلم والعمل يعني كونهما خيرا لا شرا ونفعهما لصاحبهما
وهذا جواب عن سوال مقدر تقديره انا نجد العلم والعمل في اناس في زماننا ولا يكونان فيهم
علاجا لمدح المدح والثنا فاجاب ذلك موقوفة على استجماع الشرايط لهما كالاخلاص
لله تعالى فيهما فان العلم بغير اخلاص شر محض لاخير فيه وضرر خالص لانفع فيه وكذلك
العمل بلا اخلاص شر وضرر والعمل الدايم في امتثال الاوامر واجتناب النواهي وعدم مراي
مع عدم الاحباط اى بطلان ذلك بالكفر بالله تعالى الى الموت على ذلك اذ من حبط عمله لا
انتفاع له به وان كان مخلصا فيه والا اى وان لم يكن العلم والعمل كذلك فينقلبان اى
العلم والعمل شرا وضرا على صاحبهما فيوجبان له الما اى وجعا وحزنا اى غما وكربا في الدنيا
والاخرة وهي اى الشرايط المذكورة مجهولة من صاحب العلم والعمل مشكوكة يحتمل ان تكون

موجوده

موجودة فيه وان تكون معدومة بل هي مظنونة في احد من الناس غالبا اى في غالب الناس
ممن يدعى العلم والعمل لان النفس الامارة بالسوء في غالب الناس وشياطين الانس والجن
الذي يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا صارفة عنها اى عن الشروط المذكورة
فسببيتهما اى العلم والعمل للخشية من الله تعالى والوجل اى الخوف منه تعالى
اولى اى احرى واحق واقرب الى الصواب منها اى من سببيتهما اى سببية
العلم والعمل للفرح بهداية الله تعالى وعنايته والامن منه سبحانه عند سالك
طريق الاخرة وهو العبد المفتقر الى الله تعالى في سره وجهره فانه تعالى يقول
ان الله لا يحب الفرحين وقال تعالى فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون
فالفرح والامن تبعيد عن طريق الحق بخلاف الخشية والوجل فلذا قال الله تعالى
انما يخشى الله من عباده العلماء به سبحانه فالخشية من اوصاف العلماء بالله تعالى
فالعلم سبب الخشية وفسر رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى والذين يوتون
ما اتوا اى يفعلون ما يفعلونه والحال ان قلوبهم وجلة اى خايفة بالذين يعملون الاعمال
الصالحات والعمل سبب الوجل وسيجي بيان ضرر المدح والثنا مفصلا في ذكر افات
اللسان ان شا الله تعالى النوع الثالث من انواع الكفر كفر حكمي اى منسوب الى الحكم لانه انما
كان كفرا بحكم الظاهر فقط لدلالته عليه وهو اى الكفر الحكمي ما اى قولا او فعل
جعله اى حكم به من حيث فهمه عنه الشارع اى من شرع الاحكام اى بينها
وهو الله تعالى كما قال سبحانه شرع لكم من الدين الاية او النبي صلى الله عليه وسلم
لانه المبلغ ذلك الينا عنه تعالى كما قال تعالى يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من
ربك امارة اى علامة على التكذيب بما يجب التصديق به من الحق كاستخفاف اى
استهانة واحتقار ما يجب تعظيمه على المكلفين من الله تعالى بيان لما فان من
اتى بما هو استخفاف به سبحانه من قول او فعل كفر ان لم يحتمل التاويل وكتبه
تعالى كالتوراة والانجيل والزبور والفرقان وبقية الصحايف المنزلة على الانبيا
عليهم السلام وملايكته سبحانه كعزرايل وغيره ورسله من الانبيا ومن
الملايكة عليهم الصلاة والسلام واليوم الاخر وهو يوم القيمة وما فيه من الحشر
والصرط والميزان والجنة والنار وغيرها والشريعة المحمدية وعلومها
كعلم التوحيد والمعرفة والفقه والتفسير والحديث فان هذا كله جعله
الشرع عبارة عن التكذيب فمن اتى بشيء من ذلك فقد حكم الشرع بكفره ان لم يحتمل
اتيانه بذلك تاويلا غير الاستخفاف وان احتمل فلا كفر كما سبق بيانه والرضى بكفر
نفسه فانه كفر مطلقا سوا ظهر منه ما يدل على استحسانه اولا قال ابو منصور

والمصرا بحكم الشرع باسم

الماتريدي رحمه الله تعالى انما يكون الرضى بالكفر كفرا اذا رضى بكفر نفسه
لا بكفر غيره ذكره المناوى فى شرح الجامع الصغير والرضى بكفر غيره مسلما كان
الغير او كافرا اصليا او مرتدا استحسانا اى على وجه الاستحسان له اى لذلك
الكفر بالاتفاق لان استحسان ما قبحه الشرع تكذيب للشرع والرضا بكفر غيره مطلقا
اى سوا استحسنه له او لا كفر عند البعض اى بعض العلما قال فى شرح الدرر والرضا
بكفر نفسه كفر بالاتفاق واما الرضا بكفر غيره فقد اختلفوا وذكر شمس الاسلام
خواهر زاده فى شرح السير ان الرضا بكفر الغير انما يكون كفرا اذا كان يستجيز الكفر
او يستحسنه اما اذا لم يكن كذلك ولكن احب الموت او القتل على الكفر لمن كان شريرا
موذيا بطبعه حتى ينتقم الله منه فهذا لا يكون كفرا ومن تامل قوله تعالى ربنا اطمس على
اموالهم واشدد على قلوبهم فلا يومنوا الاية يظهر له صحة ما ادعينا وعلى هذا اذا دعا على
ظالم وقال اماتك الله على الكفر او سلب الله عنك الايمان فلا يضره ان كان مراده
ان ينتقم الله منه على ظلمه وايذايه الخلق قال صاحب الذخيرة وقد عثرنا على الرواية
عن ابى حنيفة ان الرضا بكفر الغير كفر من غير تفصيل وذكر والدى رحمه الله تعالى فى
شرحه على شرح الدرر قال وفى السير الكبير مسلة تدل على ان الرضا بكفر غيره ليس بكفر
وصورتها المسلمون اذا اخذ واكافرا اسيرا وخافوا ان يسلم فلكموه اى سدوا فمه
بشىء كيلا يسلم او ضربوه حتى يشتغل بالضرب فلم يسلم فقد اساؤا فى ذلك ولم يقل
فقد كفروا واشار شمس الايمة السرخسى الى ان هذه المسلة لا تصلح دليلا لانا وليها
ان المسلمين لا يعلمون انه يسلم حقيقة ولكن يظهر الاسلام تقية لينجوا من شر القتل
فلا يكون هذا رضى منهم بكفر غيرهم كذا فى الفصول العمادية وجامع الفصولين
لكن اجيب عنه بانا مكلفون باتباع الظاهر قال الله تعالى ولا تقولوا لمن القى اليكم
السلم لست مومنا وقال عليه السلام لمن انكر كونه اتيا بكلمة الاخلاص بقلبه هلا شققت
قلبه فالكلام ظاهر فى عدم الايمان متحقق ومع ذلك لم يجعله كفرا وقد قال تعالى حاكيا
عن موسى عليه السلام واشدد على قلوبهم فلا يومنوا حتى يروا العذاب الاليم ومعلوم
ان الايمان بعد معاينة العذاب لا يقبل وقد قصه الله تعالى من غير انكار فهل هذا الا دعا
بالكفر الى الموت والانسان انما يدعوا بما يحب ويطلب بوقوعه دل على ان الرضا بكفر غيره
اذا كان مستقبحا للكفر لا يكون كفرا كما فى البزازية وفيها ايضا ويجوز ان يكون كلام المشايخ
الرضا بالكفر كفر محمولا على هذا وهو الصحيح كما فى جامع الفتاوى ومنية المفتى والتكلم
بما يوجبه اى الكفر من غير احتمال اصلا ولو بوجه ضعيف طايعا بلا اكراه من غير
سبق اللسان الى ذلك عالما بانه كفر لصحة القصد الى ما ينافى الايمان فانه كفر بالاتفاق

واما

واما اذا كان جاهلا به اى بالكفر وقد تكلم به كما ذكر فهو كفر ايضا عند عامة العلما اى اكثرهم
باعتبار الحكم الظاهر لا بالنظر الى ما عند الله تعالى فتنبنى عليه الاحكام فى الظاهر والله اعلم
يتولى السراير وكذا الفعل الذى يوجب الكفر اذا فعله عمدا عالما بانه كفر فهو كفر بالاتفاق
وان كان جاهلا بانه كفر فهو كفر عند عامتهم دون البعض ولو كان هزلا ومزاحا بضم
الميم اى لعبا بلا اعتقاد مدلوله اى ما دل ذلك الفعل عليه بل مع اعتقاد خلافه اى خلاف
مدلوله بقلبه فانه يكفر به اى بذلك الفعل عند الله تعالى ايضا كما يكفر به عندنا فلا يفيده
فى عدم الكفر اعتقاد الحق بقلبه لان ذلك الفعل جعل كفرا فى الشرع فلا تعمل النية فى
تغييره وفى الاشباه والنظاير واما الكفر فيشترط له النية لقولهم ان كفر المكره
غير صحيح واما قولهم اذا تكلم بكلمة الكفر هازلا يكفر انما هو باعتبار ان عينه
كفر كما علم فى الاصول من بحث الهزل وسببه اى سبب التكلم بما يوجب الكفر
وفعل ما يوجبه قصد اظهار الظرافة فى الكلام قال فى مختصر القاموس الظرف
الكياسة ظرف ككرم ظرفا وظرافة فهو ظريف او الظرف انما هو فى اللسان او هو
حسن الوجه والهيية او يكون فى الوجه واللسان او البراعة وذكا القلب او الحذق
او لا يوصف به الا الفتيان الازوال اى الشجعان والفتيات الزولات لا الشيوخ
واظهار البلاغة فى العبارات وهى الفصاحة فيها مع مطابقتها لمقتضى الحال قال
فى مختصر القاموس البليغ الفصيح يبلغ بعبارته كنه ضميره وقصد اتيان
اى فعل الامر الغريب ليتعجب منه الناس وتطييب المجلس اى جعله طيبا
لشرح الصدور والامتلا بالسرور واضحاك الحاضرين فى ذلك المجلس بالهزل
اى اللعب والهزء اى السخرية والمزاح ليتقرب بذلك الى محبة المغنى ورين من
ابنا الدنيا ويحظى عندهم بالاقبال عليه منهم او سببه شدة الغضب منه على احد
من الناس وشدة الضجر اى القلق والجزع على فوات حظه بالحقد على الغير
المحظوظ فيحاكيه ويسخر منه ويضحك عليه عدوه وغير عدوه وبالجملة السبب
فى ذلك الخفة فى العقل والشره اى الحرص على التكلم الكلام فى كل شىء والمحاكاة
للغير وعدم حفظ اللسان اى امساكه عن كل ما يريد التكلم فيه وعدم حفظ
الاعضا من الحركات الغير منتظمة شرعا وعدم المبالاة اى الاعتنا والاحتفال فى امر
الدين بالتساهل فى ذلك وعلاجه اى دوا التكلم بما يوجب الكفر وفعل ما يوجبه
ان يعرف العبد اولا اى فى ابتداء الامر افات الكفر بعد الايمان اى ما يترتب عليه من
المفاسد من حبط اى بطلان الطاعات اى العبادات كلها البدنية والمالية والمركبة
منهما وذهاب عقد النكاح على امراته اى بطلان ذلك وانفساخه وحل دمه اى اباحة

قتله وحرمة اكل ذبيحته اي ما ذبحه من الحيوان الماكول اللحم والعذاب المخلد الى الابد
في النار يوم القيمة لو مات مصرا عليه بدون التوبة منه وان يعرف ثانيا افات
اللسان اي مفاسده ومضاره مما سيجئ بيانه ان شا الله تعالى في محله ثم بعد ذلك
ملازمة الصمت اي السكوت عن الكلام وملازمة السكون اي عدم الحركة وحفظ
اللسان عما لا يعني من الكلام وحفظ الاعضا عن الحركات الخارجة عن قانون
الانتظام الشرعي ودوام الجد في كل الامور وترك الهزل اي اللعب وترك
الهزء اي السخرية ونحو ذلك من الاسباب المودية الى سخافة العقل وقلة
المروة وعدم الاهتمام بالمحافظة على حدود الشريعة كالجلوس في الاسواق
ومخالطة الفساق والمتابعة لاهل السفه في الاقوال والاعمال والاخلاق وبعد
ذلك الدعا اي الطلب بالافتقار والانكسار والتضرع اي التوسل لله تعالى في ان
يحفظه في ظاهره وباطنه من الكفر الموجب للشقا الابدي خصوصا الدعا الذي
رواه ابو موسى الاشعري رضي الله تعالى عنه كما خرجه حد طب يعني الامام احمد
ابن حنبل رحمه الله تعالى والطبراني باسنادهما قال ابو موسى الاشعري رضي الله تعالى عنه
خطبنا اي خطب فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال في خطبته يا ايها الناس
اتقوا هذا الشرك احترزوا منه وتباعدوا عنه واشار اليه لكمال معرفته به واطلاعه
عليه وتوقيه له فكانه محسوس مشار اليه فانه اخفى عند النفوس المشتغلة
بغير الله تعالى من دبيب النمل وفي رواية الجامع الصغير للاسيوطي الشرك
في امتي اخفى من دبيب النمل على الصفا وقال الشارح المناوي وفي رواية النملة
بالافراد لانهم ينظرون الى الاسباب كالمطر مثلا فيغفلون عن المسبب ومن وقف مع الاسباب
فقد اتخذ من دون الله اوليا فلا يخرج عنه المومن الا بهتك حجب الاسباب ومشاهدة
الكل من رب الارباب واشار بقوله على الصفا الى انهم وان ابتلوا به لكنه متلاش فيهم
لفضل يقينهم فانه وان خطر لهم فهو خطور خفي لا يوثر في نفوسهم كما لا يوثر دبيب
النمل على الصفا بل اذا عرض لهم خطرات الاسباب ردتها صلابة قلوبهم بالله فقال له
اي للنبي صلى الله عليه وسلم من اي انسان او الذي شا الله تعالى له ان يقول وقول هو وكيف
نتقيه اي الشرك الخفي يعني نحترز منه وهو اخفى من دبيب النمل يا رسول الله
فان الاحتراز منه امر صعب جدا وهو اصعب انواع مجاهدة النفس قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم قولوا متوسلين الى الله تعالى في دفع ذلك عنكم فانه لا بد فع
العظيم الا العظيم اللهم اي يا الله انا نعوذ اي نلجا ونحتمي بك ان نشرك بك شيا نعلمه
من الاشيا المحسوسة والمعقولة وهو الشرك الجلي ونستغفرك اي نطلب منك

المغفرة

المغفرة لما اي للشي الذي لا نعلمه من الاشيا المجعولة اسبابا شرعية او عادية
او عقلية وهو الشرك الخفي ولنا كلام على الشرك الجلي والخفي ذكرناه في كتابنا خمرة
الحان ورنة الالحان شرح رسالة الشيخ ارسلان وخرجه ايضا ابو يعلى يعني
ابا يعلى باسناده من حديث حذيفة اليمان رضي الله عنه وزاد فيه يقول كل
يوم ثلاث مرات اللهم الى اخره وغايلة اي افة ومفسدة الكفر العظمى حرمان
دخول الجنان والعذاب المويد اي الذي لا نهاية له في النيران جزا على
نيته انه لو بقي في الدنيا الى الابد كان كافرا فجزا الابدي الذي مثله جزاوفاقا
وسبب الايمان في مقابلة سبب الكفر الحكمي كما مر النظر اي الفكر المرتب في النفس
على وجه يوصل الى معرفة المقصود والتامل في الايات اي العلامات الدالة على وجود
الباري تعالى كما قال سبحانه ومن اياته الليل والنهار والشمس والقمر ومن اياته خلق
السموات والارض واختلاف السنتكم والوانكم الى غير ذلك والدالة على اتصافه سبحانه
وتعالى باوصاف الكمال كالقدرة والارادة والعلم وغيرها وعلى تنزهه اي تباعده
سبحانه عن صفات النقصان كالعجز والاكراه والجهل ونحو ذلك والدالة ايضا على
نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهي المعجزات فانها من ايات الله تعالى وسبب الايمان
ايضا تيقن اي تحقق ثبوت التابيد اي الخلود الى الابد في عذاب النار للعبد
ان مات على الكفر بالله تعالى ومات على الانكار اي الجحود لشي مما وجب الايمان
به وسببه ايضا رجا اي طمع العبد في دخول الجنة دار القرار اي التي لا خروج
لمن دخلها منها اصلا فالخوف والرجا سببان للايمان لان الخوف يقوم به على
المطلوب والرجا يرغبه في جناب المحبوب وفايدته اي الايمان العظمى النجاة
من التابيد المذكور اي الخلود في النار والفوز اي الظفر بالدخول ~~المذكور~~ المزبور
اي المكتوب من الزبر وهو الكتابة يعني دخول الجنة دار القرار رزقنا واياكم
وتقديره هذه الفايدة وحذف المفعول للعلم به الكريم وهو الله تعالى الموصوف
بالكرم الغفور اي الموصوف بالمغفرة والخلق السادس من الاخلاق الستين
المذمومة اعتقاد البدعة اي الاعتقاد الذي هو بدعة كاعتقاد الفرق الضالة
ما ليس بحق انه حق اذا لم يكن موجبا للكفر والا كان كفرا فيدخل في الكفر وسببه
اي اعتقاد البدعة اتباع الهوى اي الانقياد مع خاطر النفس كيف ما طلبت من
غير التفات الى امر الله تعالى والاعتماد على العقل ولهذا صنف له الحكما الفلاسفة
علم المنطق ليضبطوا قواعد المعقولات لان اعتمادهم على العقل ولم يحتج الشرعيون
الى تلك القواعد المنطقية لاتباعهم للشرع دون العقل والاعجاب بالراي اي رويته

الخير ومود الى الفجور وهو الفسق والانبعاث في المعاصي وحمى من حميته حماية
اى دفعت عنه وهذا شيء حمى على فعل اى محظور لا يقرب واحميت المكان جعلته
حمى وفي الحديث لا حمى الا لله ورسوله كذا في الصحاح للحرام اى المحرم شرعا فمن اقتحم
ذلك الحمى قارب الحرام ودنى منه واوشك ان يقع فيه ومأوى اى مكان للآلام اى
الاوجاع الدنيوية والاخروية والاثام اى الذنوب لان متبع هوى النفس في المباحات
كلما فقد شهوته تألم فاقتحم المخالفات وزادت تسخطاته على الاقدار فكثرت معاصيه
وصاحبه اى هوى النفس في المباحات خسيس دنى اى خبيث البطن والفرج
ماجن كذا في مختصر القاموس لئيم من اللوم ضد الكرم لوم ككرم فهو لئيم وجمعه
لئام ورذيل اى حقير بل هو لخسيس الشهوة اى لشهوته التي هي كشهوة الخنثى بل
خادم مطيع لا يخالف ولا يمانع وعبد ذليل كلما ظهرت له شهوة في شيء استملكت
عقله واسرت لبه وقادته بازمة الطمع اليها حتى توردته عليها وانشدوا الى اهل الهوى
في ذلك مما يناسب هذا قول الشاعر نون الهوان اى الحقارة والذل من الهوى اى
المحبة للاشيا والميل النفساني اليها مسروقة يعني اصل الهوى الهوان اخذت
النون منه ووضعت في الهوان فصريع اى مصروع وهو المطروح على الارض هوان
كل هوى اى ميل الى شيء مطلقا صريع اى مطروح هوان اى حقارة وذل لانه اسير
ذلك الشيء الذي يهواه والاسير مهان على كل حال ومقابله اى مقابل اتباع الهوى بمعنى
خلافه وضده المجاهدة في طريق الله تعالى وهي اى المجاهدة فطم فطمه يفطمه قطعه
والصبي فطمته عن الرضاع فهو مفطوم وفطيم وانفطم عنه انتهى كذا في مختصر القاموس
النفس اى قطعها عن جميع المألوفات اى ما اعتادت عليه فاستلذت به من كلام دنيوى
وحملها اى النفس يعني اقهارها واجبارها على خلاف هواها اى مرادها العاجل
في عموم الاوقات فهي اى المجاهدة بضاعة وهي اسم لطائفة من مال الرجل وابضعت
واستبضعت الشيء جعلته بضاعة كذا في المجمل العباد جمع عابد يعني ملكهم
الذي يتاجرون به فيكتسبون خير الدنيا والاخرة ورأس مال الزهاد جمع
زاهد وهو المعرض بقلبه عن الدنيا وما فيها ومدار اى مابد ورعليه امر صلاح
النفوس البشرية وتذليلها اى جعلها ذليلة منقادة لصاحبها وملاك تقوية
الارواح ملاك الامر وملاكه بالفتح والكسر ما يقوم به ويقال القلب ملاك الجسد يعني
ان المجاهدة تتقوى بها الارواح على التجرد من ظلمة الاشباح وملاك تصفيتها
اى الارواح من اكدار الطبيعة واوساخ القطيعة وملاك وصولها اى حضرة ذي الجلال
والاكرام فعليك اى الزم ايها السالك في طريق الله تعالى بالتشمر اى المبادرة والمسارعة في

منع

منع النفس عن الهوى وحملها اى اجبارها على المجاهدة المذكورة ان شئت اى اردت من
الله تعالى حصول الهدى لك اى الوصول الى جنابه عز وجل والتمتع بلذيذ مناجاته
وخطابه قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا اى لاجلنا كما ورد دخلت النار امراة
في هرة ففي للسببية لنهدينهم سبلنا اى طرقنا الموصلة الينا بمعنى نفتح لهم ابواب
حضراتنا حتى يدخلوا منها الينا وقال تعالى ومن جاهد في نفسه بحملها على مشقات
التكليف فانما يجاهد لنفسه اى لاجل نفسه حتى تنصلح بذلك ان الله سبحانه لغني
عن العلمين كلهم فلا يحتاج الى مجاهدة احد ثم اعلم ان المذموم في اتباع الهوى في الامور
المباحات كما ذكر الاصرار اى الدوام والاستمرار عليه اى على اتباع الهوى في المباحات واما
اتباع الهوى في المباحات احيانا بلا مواظبة عليه فما هو بمذموم اذ طبع البشر الذي
جبل عليه لا يتحمل المخالفة لحظوظ نفسه الكلية بحيث لا يبقى لها حظ نفس في شيء اصلا
فانه خروج عن البشرية والتحاق بالملايكة وهو امر لا يدوم للبشر وهو ممتنع عليه شرعا
لافساده البنية العنصرية المادية ولانه يودى الى الغلو في الدين والافراط اى
المبالغة فيه قال تعالى يا ايها الذين امنوا لا تغلوا في دينكم وقدمر في فصل الاقتصاد
في العمل انه اى الغلو والافراط منهى عنه وسبق هناك ما فيه من الكلام ولانه يورث الملالة
والسامة اى التكاسل والتقصير المودية اى الموصلة بعد ذلك الى عدم المداومة
على الطاعة المذموم ذلك العدم جدا اى ذما قويا في العبادة شرعا ولهذا قال النبي صلى
الله عليه وسلم يا ايها الناس خذوا اى اعملوا من الاعمال الصالحة ما تطيقون اى تقدرون على
المداومة عليه بلا تكلف ومشقة فان الله تعالى لا يمل اى لا يسام من مجازاتكم واثابتكم
على طاعاتكم حتى تملوا اى تساموا من كثرة الاعمال فتقللوا منها او تتركوها فيقلل لكم
الثواب او يتركه مجازاة لكم وقال الكلاباذى في شرح الاثار الملال تكره يعرض للانسان
من عمل يعمله واذى يلحقه منه وتعب يصيبه فيصبر عليه ويتحمل التعب فيه حتى
يضجر ويسام فيترك ذلك العمل استثقالا له ويرفضه تضجرا منه وسامة له وهو شيء
يعرض للطبع بعد ايثاره للشيء ورغبته فيه وهذه صفة الانسان المطبوع
على طبايع مختلفة واوصاف متباينة واخلاق متغايرة والله عز وجل يجل عن هذه
الاوصاف ويتعالى عنها علوا كبيرا فالملال ليس بصفة له ولا يجوز معناه المفهوم
عندنا من اوصاف من يلحقه الملال من المحدثين عليه وهو صفة للانسان المطبوع
الذي يضعف عن تحمل ما يعرض له ويثقل عليه ويوده الشيء ويوذيه فمعنى قول
النبي صلى الله عليه وسلم ان الله لا يمل حتى تملوا ليس على الغاية والتوقيت فيوصف
تعالى بهذه الصفة في وقت او عند امر بل هو على النفي عنه التبرية له منه فيجوز ان يكون

معنى قوله حتى تملوا وتملوا بل تملوا اى لا يمل وتملون ولا يمل بل تملون كانه يقول
الملال لكم صفة وهذه صفة لاحقة بكم اذا تكلفتم الاعمال واكرهتم عليها نفوسكم وتحملتم
ما يلحقكم من التعب فيه وصبرتم عليه فيوشك ان تضعف عنها قواكم فتستثقلوها وتضجروا
منها فترفضوها استثقالا لها واستعراضا منها وزهدا فيها ورغبة عنها وبغضا لها فلا
تعودوا اليها والله تعالى جده لا تصيبه هذه الافات ولا تعترض له العوارض فلا
يصرفكم عما تكلفون ولا ينهاكم عما تعملون ولا يحول بينكم وبينها كراهة لها واستثقالا منه
اياها وبغضا لها بل يصيبكم ذلك فتتركون عبادة ربكم وتستثقلون خدمة مولاكم وتبغضون
طاعة ربكم كما قال النبى صلى الله عليه وسلم ان هذا الدين متين فاوغل فيه برفق ولا تبغض
الى نفسك عبادة الله فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى ويجوز ان يكون معنى
قوله ان الله لا يمل حتى تملوا اى لا يترك ثوابكم والاقبال عليكم وقبولا لاعمالكم المدخولين
فيها ما لم تملوا طاعته وتستثقلوا خدمته وتبغضوا عبادته كانه يقول ان الله عز وجل
يقبل عليكم وان قصرتم فى عبادته ويقبل يسير اعمالكم ويثيبكم عليها الجزيل ما دمتم فيها
راغبين ولها مريدين وبنياتكم اليها قاصدين وان لم تبلغوا ارادتكم فيها ومقاصدكم
منها وانما يترك ثوابكم والاقبال عليكم والقبول لكم اذا اعرضتم عنها ومللتموها وسبق
ذكر هذا وان احب الاعمال اى الطاعات الى الله تعالى ما اى عملا والعمل الذى دام اى واظب
عليه صاحبه وان قل اى كان قليلا خرجه اى هذا الحديث خ م يعنى البخارى ومسلما باسنادهما
عن عايشة رضى الله عنها وفى رواية اخرى لمسلم فى صحيحه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
خذوا من العمل ما تطيقون اى تقدرون على القيام به بلا مشقة ليدوم لكم فوالله اقسم
عليه السلام تاكيدا للكلام لا يسام الله سبحانه وتعالى حتى تساموا اى لا يمل حتى تملوا ومر
ما فيه وعن على رضى الله عنه انه اى عليا كرم الله وجهه قال وهو موقوف عليه فاما
حديث محذوف الاسناد او اثر من اثار على رضى الله عنه المستنبطة من حكمة
الباهرة روحوا من الترويح والارتياح وهو النشاط قال فى الصحاح اراحه الله
فاستراح واراح الرجل رجعت اليه نفسه بعد الاعيا القلوب يعنى ابعثوا فيها
النشاط بمعاطاة ما يلايم النفوس فى بعض الاحيان من التخفيف عليها من العبادة
واعطا بعض الغرض المباح فانها اى القلوب اذا اكرهت بالبنا للمفعول اى قهرت
وجبرت على الاعمال عميت اى تعبت واستثقلت الاعمال وابغضتها وعن ابى الدرداء
رضى الله عنه انه قال انى لاستجم بالجيم نفسى اى اطلب لها الراحة والنشاط قال فى
المجمل الجمام الراحة باللهو المباح كانشاد الشعر والغنا لنفسه لاذهاب الوحشة
به عنها والمزاح والمداعبة فى بعض الاوقات بما لا كذب فيه ليكون ذلك عونا اى معينا لى

على

على النشاط فى الاقدام على العمل الحق وعن ابن الانبارى فى الموقف عن ابى بكرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذامة وفى هذامة يعنى القران والشعر ذكره السيوطى
فى الجامع الصغير وذكر المناوى فى شرحه قال يشير به الى انه ينبغى للطالب عند وقوف
ذهنه ترويحه بنحو شعر او حكايات فان الفكر اذا اغلق ذهل عن تصور المعنى وذلك
لا يسلم منه احد ولا يقدر انسان على مكابدة ذهنه على الفهم وغلبة قلبه على التصور لان القلب
مع الاكراه اشد نفورا وابعد قبولا وفى الاثر ان القلب اذا اكره عمى ولكن يعمل على دفع ما طرا
بترويحه بشعر او نحوه من الادب يستجيب له القلب مطيعا قال الشاعر

وليس بمغنى فى المودة شافع ؛ اذا لم يكن بين الضلوع شفيع

وقال الحكما ان لهذه القلوب تنافرا كتنافر الوحش فتالفوها بالاقتصاد فى التعليم والتوسط
فى التقويم لتحسن طاعتها ويدوم نشاطها وهذا يسمى عندهم بالتحميض وكان ابن عباس
رضى الله عنهما يقول لاصحابه اذا داموا فى الدرس احمضوا اى ميلوا الى الفاكهة وهاتوا
من اشعاركم فان النفس تمل كما تمل الابدان وفى صحف ابراهيم عليه السلام على العبد ان يكون
له ثلاث ساعات ساعة يناجى فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يخلى
فيها بين نفسه ولذاته فيما يحل ولا يحرم وحينئذ اى حين اذ كان ترويح النفوس
امرا مطلوبا فى الشرع لا بد احيانا اى فى بعض الاوقات من غير مداومة ان يتناول العبد
من المشتهيات المباحات كالماكل اللذيذ والمشرب والملبس ونحو ذلك استراحة
من التعب الحاصل للنفوس من مشقة التكليف وتحرزا اى امتناعا عن لحوق السامة
اى الملل والكسل وتحريكا اى توصلا للنشاط على العبادة خصوصا من ابتلى بالوسواس
فان علاجه الشهوات المباحة قال فى شجون المسجون للشيخ محى الدين ابن العربى قدس
الله سره الشهوة تطفى نار الفكرة الردية كما تطفى نور الفكرة الصالحة فاجتنبها داء
واستعملها دواء فلهذا اى لاجل ما ذكر قال الامام حجة الاسلام ابو حامد الغزالى رضى الله عنه
لو سكن نشاطه اى العابد وضعفت رغبته فى العبادة وعلم من نفسه ان الترفه اى الراحة
والتنعم قال فى مختصر القاموس الرفاهة والرفاهية مخففة والرفهنية رغد الخصب
ولين العيش رفه عيشه ككرم وهو رفيه ورافه ورفهان ومترفه مستريح
متنعم ورفه الرجل لان عيشه بالنوم او الحديث اى الكلام المباح او المزاح اى المداعبة
فى ساعة من الزمان يرد نشاطه الذى صعب عليه رجوعه فذلك افضل له عند الله
تعالى فى شريعته من اداء الصلاة مع الملال اى الكسل كما قيل لسفيان بن عيينة رضى الله
عنه المزاح سبة فقال بل سنة ولكن من يحسنه ذكره المناوى فى شرح الجامع الصغير
ففى الحقيقة هذا الاتباع هو الاتباع للشرع المحمدى لا للهوى النفسانى المحض اى الخالص

فاراحة الجسد بالنوم متعينة على من لم يمكنه اداء الصلاة من غلبة النعاس عليه قال في
تنوير الابصار ولو اشتبه على مريض اعداد الركعات والسجدات لنعاس يلحقه
لا يلزمه الاداء وذكر الشيخ الوالد رحمه الله تعالى في شرحه على شرح الدرر قال لو غلبه النوم
تكره له التراويح كذا في جامع الفتاوى والمجتبى والخانية والمفتاح بل ينصرف حتى
يستيقظ لان في الصلاة مع النوم تهاونا وغفلة وترك التدبر ويكره للمقتدي ان يقعد
في التراويح فاذا اراد ان يركع يقوم لان فيه اظهار التكاسل بالصلاة والتشبه بالمنافقين
قال الله تعالى واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى ويكره عد الايات والركعات في التراويح
لما فيه من اظهار الملالة وكذا يكره ان يقولوا عند الجوع والعطش ليت هذا لم يكتب
علينا كذا في الخانية وقال تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى
تعلموا ما تقولون قال البيضاوي ولا تقوموا اليها وانتم سكارى من نحو نوم او
خمر حتى تنتبهوا وتعلموا ما تقولون في صلاتكم وقال البغوي قال الضحاك بن مزاحم
اراد به سكر النوم نهى عن الصلاة عند غلبة النوم كما روى عن هشام بن عروة عن ابيه عن
عايشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نعس احدكم وهو يصلي
فليرقد حتى يذهب عنه النوم فان احدكم اذا صلى وهو ينعس لعله يذهب يستغفر
فيسب نفسه وقال ابن جميل التونسي في مختصر تفسير الرازي وقيل هو سكر
النوم قاله الضحاك لان اللفظ يحتمله لان السكر سد الطريق ولا شك ان عند النوم
تمتلي مجاري الروح من الابخرة الغليظة فلا ينفذ الروح الباصر واذا احتمله
اللفظ فقوله صلى الله عليه وسلم اذا نعس احدكم وهو في الصلاة فليرقد حتى يذهب
عنه النوم لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه يدل عليه والعجب بمعنى الاعجاب بالراي
المذكور فيما مر سيجي بيانه في محله من هذا الكتاب ان شا الله تعالى واما التقليد المذكور
فيما سبق فهو الخلق الثامن من الاخلاق الستين المذمومة من افات اي مفاسد القلب
ومهالكه وهو اي التقليد الاقتدا بالغير اي المتابعة لغيره في العمل او القول
او الاعتقاد بمجرد حسن الظن بذلك الغير من غير حجة اي دليل وبرهان عنده على
صحة ذلك من الغير ومن غير تحقيق في نفسه اي بصيرة كاشفة عن صدق ذلك الغير
فيما قلده فيه ومتى وجد في العبد دليل او كشف قلبي على صحة ما فيه الغير من المعاملة
فتبعه فيها فهو على بصيرة من امره لا مقلد لغيره بل موافق لذلك الغير في السير في طريق
الله تعالى كما ورد الرفيق قبل الطريق وذا اي التقليد للغير لا يجوز اي يحرم وقيل لا يصح
على خلاف في ذلك مفصل في شرح المقدمة السنوسية للمصنف في العقايد اي الاعتقادات
الدينية بل لا بد في ذلك من نظر اي تامل بالبصيرة واستدلال بالعقل على كل مسالة من ذلك

ولو

ولو على طريقة الاجمال من غير تفصيل كما بيناه في كتابنا المطالب الوفية قال الله تعالى اثباتا
لدليل وجوب النظر والاستدلال قل انظروا ماذا في السموات والارض اي تاملوا ما
وضعه الله تعالى فيهما من العلامات الواضحات على كماله تعالى وبديع صفاته واستدلوا
بذلك عليه سبحانه والايات فيه اي في وجوب النظر والاستدلال وفي ذم المقلدين لغيرهم
في الاعتقاد كثيرة جدا والاجماع منعقد عليه اي على وجوب النظر والاستدلال وسبق
الكلام في الاكتفا بمجرد الايمان والتصديق من غير نظر ولا استدلال وقد ذكرناه في كتابنا
فتح المعبد المبدي والمقلد في الاعتقاد اثم لترك الواجب عليه وهو النظر والاستدلال
كما سبق وان كان ايمانه التقليدي صحيحا نافعا له في الشرع عندنا خلافا لمن قال المقلد
كافر واما التقليد للغير في الاعمال البدنية فجائز بالاجماع فيقلد المكلف لمن كان عدلا
غير فاسق مجتهدا في الدين غير مقلد فيه ولا يلزمه ان يقلد مجتهدا مخصوصا بل يجوز
له تقليد من شا من الايمة الاربعة في كل حادثة تقع له من غير تلفيق لتواتر مذاهبهم
الان لا ما سواها من مذاهب السلف رضي الله عنهم كما بيناه في خلاصة التحقيق في
بيان التقليد والتلفيق ولكن لما انقطع الاجتهاد المطلق من العلما منذ زمان طويل
لضعف الهمم في جمع شروط الاجتهاد واما الاجتهاد المقيد بتخريج المسايل او
تصحيحها الذي هو اجتهاد القضا والفتوى فهو موجود ان شا الله الى يوم القيمة
قال في شرح مرقاة الاصول وشرط مطلقه اي الاجتهاد ان يحوي علم الكتاب
بمعانيه لغة وشرعا واقسامه وعلم السنة بمتنها وسندها وموارد الاجماع
ووجوه القياس بشرايطها واحكامها واقسامها والمقبول والمردود منها وقال
في المجتهد المطلق هو المستقل بالمذهب كابي حنيفة والشافعي ومالك واحمد وفي
المجتهد المقيد يكفي الاطلاع على اصول مقلده لان استنباطه على اصوله حسبها
انحصر طريق معرفة مذهب المجتهد المطلق المقلد بصيغة اسم المفعول اي الذي
يقلده في نقل كتاب معتبر من كتب مذهب ذلك المجتهد المطلق اي تعتبره علما ذلك المذهب
متداول اي مستعمل مفرق بين العلما الثقات اي العدول المعتمد عليهم في ذلك
المذهب مصحح ذلك الكتاب من تحريف النساخ وغلطهم لمن قدر على مطالعته اي ذلك الكتاب
المعتبر واستخراجه اي استكشاف خفايا مسايله ودقايق فوايده وفي اخبار عدل
واحد موثوق به عند الناس في علمه وعمله فيخبر بمذهب ذلك المجتهد في خصوص
مسئلة او اكثر او صحة ما في كتاب جامع لمسايل ذلك المذهب وحيث انحصر طريق
معرفة مذهب المجتهد فيما ذكر فلا يجوز لاحد من المكلفين العمل بكل كتاب في نفسه
وفي الفتوى والقضا لغيره لعدم اعتبار ذلك الكتاب او لعدم تداوله بين العلما الثقات

والجهل تحال مصنفه لا يضره اذا اعتبرته العلما وتداولوه بينهم ولا يجوز العمل
ايضا بقول كل من تزى بزى بالكسر اى هيئة العلما فان فيهم الجاهلين القانعين
من العلم بمجرد الزى وفيهم الفاسقون الذين لا يبالون بالكذب وغيره فلا بد مع العلم
من التقوى ومقابل اعتقاد البدعة المذكور اعتقاد اهل السنة والجماعة المتقدم
بيانه وسببه اى اعتقاد اهل السنة والجماعة التمسك بالسنة المحمدية وهى
الاقوال والاعمال والاحوال الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وما كانت عليه
الصحابة رضى الله عنهم من السيرة الحسنة واجماع الامة من التابعين وتابعى
التابعين والعلما العاملين فى كل زمان الى يوم القيمة ان شا الله تعالى وسببه
ايضا ترك الهوى اى الميل النفسانى الى الحظوظ العاجلة وترك الاعجاب بالراى اى
راى نفسه مع النظر اى الفكر المرتب فى النفس والاستدلال اى اقامة الدليل على
المطلوب او التقليد فى الاعتقاد لصاحبه اى صاحب النظر والاستدلال ولو مع
اثم اى حرمة فى التقليد لترك النظر والاستدلال كما مر والخلق التاسع من الاخلاق
الستين المذمومة الريا وفيه اى فى الريا سبعة مباحث يتحقق بها القصد فى بيانه
المبحث الاول فى تعريفه لتضبطه النفس فتحترز منه اذ ما لا يعرف لا يمكن الاجتناب
عنه وفى تقسيمه اى بيان اقسامه هو اى الريا ارادة نفع العبد نفسه فى الدنيا فيتوصل
الى ذلك النفع بعمل الاعمال التى توصل الى الاخرة او بتعلم دليله اى دليل عمل الاخرة
وهو العلم الذى يبحث فيه عن العمل الصالح او اعلامه اى تعليمه يعنى تعليم عمل
الاخرة احدا من الناس فيكون الريا بثلاثة اشيا اجمالا بعمل الاخرة وبتعلمه وبتعليمه
للغير وسياتى تفصيل ذلك بالخمسة التى بها الريا فى المبحث الثانى من غير اكراه اى
اضطرار ملجى اى موصل بالضرورة والقهر الى ارادة نفع الدنيا بشئ من الثلاثة
المذكورة باعث ذلك الاكراه على نفسه اى نفس ما ذكر هنا فى تعريف الريا كالمضطر الى
الطعام او الشراب فى حال المخمصة اذا علم انه ان عمل اعمال الاخرة او تعلم من احد
اعمال الاخرة او علم ذلك لاحد حصل له من متاع الاخرة ما يسد جوعته ويدفع عنه
الهلاك فاتى بواحد من الثلاثة لارادة نفع الدنيا على الوجه المذكور فانه ليس
بمراء لامكانه احيا مهجته بهذا المقدار فهو واجب عليه وفى كتاب الرعاية لابى
عبد الله الحارث بن اسد المحاسبى قال الريا ارادة العبد العباد بطاعة الله عز
وجل والدليل على ذلك من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها
وهم فيها لا يبخسون الى قوله وباطل ما كانوا يعملون فروى عن معاوية بن ابى سفيان
ومجاهد فى تفسير هذه الاية قالا هم اهل الريا وقوله عز وجل والذين يمكرون السيات

لهم

لهم عذاب شديد ومكر اولئك يبور قال مجاهد هم اهل الريا ووصف الله عز وجل قلوب
المخلصين ان الريا ارادة غير الله فضوها الله عز وجل وقصدوا اليه بها فقال يطعمون
الطعام الى قوله لوجه الله لا نريد منكم جزا ولا شكورا وقال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه
فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا فاخبر الله تبارك وتعالى بقوله من كان يريد
الحياة الدنيا وزينتها من اراد بعمله الحياة الدنيا وزينتها حبط عمله الذى يريد به الدنيا
والزينة عند اهلها والايات فى ذلك كثيرة واما السنة فقول النبى صلى الله عليه وسلم حين سيل
فقيل له يا رسول الله فيم النجاة فقال ان لا تعمل بطاعة الله تريد بها الناس وروى ابو هريرة
فى حديث الثلاثة المقتول فى سبيل الله والقارئ للقران والمتصدق بماله ان النبى صلى الله عليه وسلم
قال يقول الله عز وجل لكل منهم لما قال قتلت فى سبيلك وقال الاخر قرات كتابك وقال الاخر
تصدقت فيقول الله عز وجل كذبت بل اردت ان يقال فلان عالم قارئ ويقال للاخر بل اردت
ان يقال فلان شجاع ويقال للاخر بل اردت ان يقال فلان جواد فقد قيل قال النبى صلى الله عليه وسلم
فاولئك اول ثلاثة يدخلون النار فاخبر النبى صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل بريائهم احبط
اعمالهم وان الريا ارادة الناس بطاعة الله تعالى وضده اى الريا الاخلاص بالعمل لله تعالى
وهو اى الاخلاص تجريد قصد العبد التقرب الى الله تعالى بالطاعة التى يفعلها عن قصد
نفع الدنيا بها والاعلام معطوف على طاعة الله السابق اى وباعلام احد من الناس طاعة
الله تعالى كما سبق فى الريا ويثمر اى الاخلاص الاحسان فى العمل وهو اى الاحسان ان
تعبد الله تعالى كانك اى وانت فى حالة تشبه حالة انك تراه سبحانه وتعالى فتكون
عبادتك له على الكشف والشهود لا على الغفلة كما ورد فى حديث جبريل الثابت فى الصحيحين
الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك قال القرطبى فى شرح مسلم
الاحسان مصدر احسن يحسن احسانا ويقال على معنيين احدهما متعد بنفسه كقولك
احسنت كذا وفى كذا اذا حسنته وكملته وهو منقول بالهمزة من حسن الشئ وثانيهما
متعد بحرف جر كقولك احسنت الى كذا اى اوصلت اليه ما ينتفع به وهو فى هذا الحديث
بالمعنى الاول لا بالمعنى الثانى اذ حاصله راجع الى اتقان العبادات ومراعات حقوق
الله تعالى فيها ومراقبته واستحضار عظمته وجلاله حالة الشروع وحالة الاستمرار
فيها وارباب القلوب فى هذه المراقبة على حالين احدهما غالب عليه مشاهدة الحق فكانه
يراه ولعل النبى صلى الله عليه وسلم اشار الى هذه الحالة بقوله وجعلت قرة عينى فى عبادة
ربى وثانيهما لا ينتهى الى هذه الحالة لكن يغلب عليه ان الحق سبحانه وتعالى مطلع عليه
ومشاهد له واليه الاشارة بقوله تعالى الذى يراك حين تقوم وتقلبك فى الساجدين وبقوله
تعالى وما تتلوا منه من قران ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه

والصواب انه معطوف على نفع الدنيا ...

وهاتان الحالتان ثمرة معرفة الله تعالى وخشيته ولذلك فسر الاحسان في حديث
بقوله ان تخشى الله كانك تراه فعبر عن المسبب باسم السبب توسعا وقد يطلق
الريا في عرف الشرع على حب العبد المنزلة العالية وقصدها اى المنزلة في قلوب
الناس ليحمدوه ويعظموه على ذلك باعمال الدنيا فيرائي العبد ببدنه وبزيه وبقوله
وبعمله وبغيره من الصحابة والقرابة فيرائي بالطاعة بهذه الخمسة اشيا وكذلك اهل الدنيا
يراوون بالدنيا بهذه الخصال الخمس الا ان ذلك ايسر من الريا بالطاعة قاله المحاسبي في
الرعاية وهذا ريا اهل الدنيا وهو مذموم ايضا لانه يجر الى الريا بالدين فلا يزال العبد
يلبس الثياب الفاخرة ليظهر لغيره انه غنى ويكثر التملق للاخوان حتى يقبل عليه ليظهر
للغير انه كريم له اصدقا كثيرون ونحو ذلك مما لا دخل فيه للدين وانما هو ريا بالدنيا للدنيا
حتى يصير بذلك يرائي بدينه في الدنيا وهو الشرك الاصغر والريا الاول وهو ارادة
نفع الدنيا بعمل الاخرة كما مر بقسميه الاتيين ريا اهل الدين لانه ريا بالدين وهو
ارادة المخلوقين بطاعة الله تعالى ثم بين القسمين بقوله فالقسم الاول وهو
ارادة غير الله تعالى بالطاعة ان لم تقارنه ارادة نفع الاخرة بان كان ارادة نفع الدنيا
فقط فريا محض اى خالص وان قارنته اى ارادة نفع الاخرة فكان مجموع ارادة نفع الدنيا
وارادة نفع الاخرة فريا تخليط وهو ثلاثة اقسام اما ارادة نفع الدنيا غالب على ارادة
نفع الاخرة وهو القسم الاول او ارادة نفع الدنيا مساو لارادة نفع الاخرة وهو القسم
الثاني او ارادة نفع الدنيا مغلوب بارادة نفع الاخرة وهو القسم الثالث فالجملة من
اقسام الريا خمسة هذه الثلاثة والقسمان الاولان الريا المحض وريا اهل الدنيا
والمراد منه اى الريا بجميع اقسامه الخمسة حصول نفع الدنيا فقط او مع نفع الاخرة
والذى يراد منه ذلك اما خالق او مخلوق ونفع الدنيا الذى عليه مدار الريا اما جاه
يحصل له من غيره كمنصب ونحوه او مال من اى نوع كان او قضا شهوة من ماكل او غيره
من حلال وغيره او دفع ضرر عنه او عن احد اتباعه بقرابة او غيرها يسير لان الضرر
لو كان كبيرا كان مضطرا اليه فلا يكون ريا وكل اى كل واحد منها اى من هذه الاشيا المذكورة
اما ان ياتى به العبد للتوسل الى عمل الاخرة فقط او لا بل الى عمل الدنيا فقط او اليهما معا
والاول وهو ارادة نفع الدنيا للتوسل به الى عمل الاخرة اذا كان ريا من الخالق سبحانه
وتعالى فانه ليس برياء ياثم عليه صاحبه والا فهو داخل في تعريف الريا السابق بيانه
لورود صلاة الاستسقا اى طلب السقيا يعنى المطر فان ذلك ارادة نفع الدنيا من الله
تعالى بعمل الاخرة لكن للتوسل بذلك المطر الى عمل الاخرة كالوضو والاغتسال بالما واحيا
النبات للاقتيات ونحو ذلك وصلاة الاستخارة فان فيها ارادة نفع الدنيا من الله تعالى بعمل

الاخرة

245

الاخرة ولكن للتوسل بذلك الى عمل الاخرة من تيسير مونة المعيشة لتسهل عليه الطاعة والاحتراز
عن الشر في المخالفات الشرعية او نحوها وصلاة الحاجة يريد بها نفع الدنيا بعمل الاخرة لكنه يتوسل
يتوسل بذلك الى انقطاع تشوفه الى امور الدنيا بحصول حاجته ونحوها من مواظبة ارباب
الوظايف الشرعية كالامامة والخطابة على وظيفتهم لاجل نفع الدنيا وكذلك تعليم القران للاطفال
بقصد نفع الدنيا اذا كان يتوسل بذلك النفع الدنيوى الى عمل الاخرة كالانفاق على نفسه
لاعفافها عن السوال في العاجز عن الكسب وتفريغ القلب لعبادة الله تعالى عن ظلمة
الاكتساب ونحو ذلك وغيره اى غير ما يتوسل به الى عمل الاخرة مما ذكر وهو ما يتوسل به الى
عمل الدنيا فقط او اليهما معا كله بجميع اقسامه المفهومة مما ذكر ريا ياثم فاعله وان كان
قصد العامل اعلام الغير بعمله باعثا لذلك العامل على مجرد الاظهار اى اظهار عمله لذلك
الغير للاقتدا اى متابعة الغير له في ذلك العمل ونحوه من النية الصالحة كقصد الشكر لله
او الرد على المخالفين له بنية نصرة الحق لا باعثا على نفس العمل ليحمده عليه ذلك الغير
فليس ذلك الاعلام برياء بل هو طاعة لله تعالى يثاب عليها قال الامام المحاسبي في
الرعاية اظهار العمل ليقتدى به كفعل الانصارى الذى جا بالصرة فتتابع الناس بالعطية
لما راوه فقال النبي صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة فعمل بها كان له اجرها واجر
من اتبعه فهل تجرى الاعمال هذا المجرى من الصلاة والصيام والحج والغزو وغيره اما
الصدقة فان الناس فيها متقاربون في القدوة لانها عطف ورحمة واغاثة الملهوف
فاذا اظهر العبد ذلك لغيره كان فيه حط حض لغيره وترغيب في الصدقة الا انه
لا ينبغى لعبد ان يتعرض لاظهارها حتى يعلم انه قد اراد الله عز وجل بذلك وانه لا يجزع
من ان اسرها والا احب اظهارها لقلة القنوع بعلم الله عز وجل ومحبة منه ان يعلم الناس
بصدقته ولكن جزعا ان يفوته عظيم الاجر ان يصيبه في غيره مع اجره على صدقته فلم يقنع
لله عز وجل باجر الصدقة وحدها حتى احب ان يحض بفعله عليها غيره ليوجر فيها مع
اجره وفي الصدقة معنى خاصة يسترها خير من القدوة به اذا كان المتصدق
عليه يوذيه ذلك ويكرهه فترك اذى المومن افضل وقد اختلف في قوله تعالى بالمن والاذى
فقال قوم هو ان تحدث بما تصدقت به عليه فيبلغه فيوذيه وقال اكثر العلما هو ان
يوذيه بفعلك وفي الصوم والصلاة والحج والغزو لا احبه لاحد ولم اجد عامة الناس
يفعلونه الا الرجل القوى الصادق الارادة القوى على الخطرات في العمل وبعد ما يفرغ
من العمل لا من عليه ان يتبعه ابليس بخطرة في حالة غفلته فيصرعه فلا باس باظهاره
للقدوة وتحذر الغفلة والسهو ولا يظهر ذلك الا لمن يقتدى به ويضعه موضع القدوة
والذى امر به الناس ان يخفوا ذلك ما استطاعوا لان النفس خدوع والشيطان مرصد بمكيدته

وقد كان الرجل يرفع صوته ليحرك بعض جيرانه في جوف الليل وذلك اذا اقوى عزمه وهان
عليه حمد من سمعه ولبس له رغبة في علمهم به اكثر من ثواب الله ان يصيبه في تحريكه اياهم
على طاعة ربه عز وجل واما الغزو فذلك عمل ظاهر فالمسارعة فيه للقدوة افضل
اذا قوى العزم ان يشد الرجل قبل القوم فيحض على القتال ويبعث من معه على
الشد معه فذلك افضل لانه لم يخرج من سر الى علانية وانما خرج من علانية الى علانية
لان مقامه ذلك علانية فكلما حض غيره بفعله كان افضل ولو خفى له الشد والكر على العدو
كان ممن وهب الله عز وجل له القوة على نفي الخطرات وهو من المحق وفيمن عند من
حضره ممن يقتدى به ويجركهم فعله كان افضل ان يظهر ذلك ولا يخفيه ليحض على
قتال العدو لينصر الله عز وجل بذلك على الاعدا ويعز به الدين ثم ايهما افضل عمل العلانية
للقدوة ام عمل السر وقد اختلف في ذلك فقالت فرقة من اهل العلم عمل السر افضل
من عمل العلانية للقدوة وغيرها وعمل العلانية للقدوة افضل من عمل العلانية لغير
القدوة وقالت فرقة عمل السر افضل من عمل العلانية لغير القدوة وعمل العلانية
للقدوة افضل من عمل السر ولولا ان عمل القدوة افضل ما حض النبي صلى الله عليه وسلم على
ذلك وانما حضهم ليفعلوا ما يستن به وذلك لا يكون الا علانية وحضهم على عمل
العلانية لهذا المعنى واخبرهم ان لهم اجرهم واجر من اتبعهم فذلك دليل على ان اجرهم
بالحض والترغيب افضل من عمل السر الى عمل العلانية واخبرهم ان لهم اجرهم واجر غيرهم
وقد علموا من قبل ان عامل السر له اجره وحده فذلك يبين ان عمل القدوة افضل من عمل
السر وقد روى في بعض الحديث ان عمل السر يضاعف على عمل العلانية بسبعين ضعفا
والمبحث الثاني من المباحث السبعة فيما اي في الامر الذي يحصل به الريا من العبد
وهو اي الذي به الريا خمسة اشيا الاول البدن اي بدن العبد وذلك اي حصول الريا
به يكون باظهار النحول اي الضعف والسقم عليه ليدل ذلك منه على قلة الاكل وعلى شدة
الاجتهاد والمكابدة في العبادة وعلى غلبة خوف القلب من اهوال الاخرة واظهار معطوف
على اظهار الاول الاصفرار في لون الوجه والاعضا ليدل ذلك الاصفرار منه على سهر الليل
وعلى كثرة الحزن من التقصير في تكاليف الدين المحمدي واظهار ذبول ذبل البقل
يذبل ذبلا وذبولا اي ذوى وكذلك ذبل بالضم واذبله الحر كذا في الصحاح والمراد هنا
الارتخا واليبوسة الشفتين وكذلك اظهار خفض اي ترقيق الصوت ليدل ذلك منه على
وجود الصوم وكثرته وعلى ضعف صوته من الجوع وعلى وجود وقار اي تعظيم الشرع
المحمدي عنده ومثل ذلك في حصول الريا بالبدن حلق الشارب ليظهر به المواظبة على السنة
واطراق اي طاطاة الراس في حالة المشي والجلوس ليظهر اعراضه عن الناس وكفه عن روية

عيوبهم

عيوبهم وعن تتبع عوراتهم والهدو اي السكون في اعضايه في حالة وجود
الحركة منه بمشي وغيره ونحو ذلك من غض بصره وسواد بيته ليظهر انه محترز من محارم الله تعالى
وربا اهل الدنيا بالبدن حاصل باظهار السمن فيه واظهار صفا اللون اي عدم تغيره وكدوراته
واعتدال اي استقامة القامة بلا اعوجاج فيها وحسن الوجه اي نضارته واشراقه
ونظافة البدن من الوسخ ونحوها كاظهار القوة والصلابة في الامور من غير مبالاة في حمل
شي او مصارعة احد ليتقرب بذلك الى حصول الدنيا والذكر الجميل والشي الثاني مما يكون به
الريا الزي بالكسر الهية كلبس الصوف في المتشبه بالصوفية وتشميره اي الصوف يعني
جعله مرتفعا الى قريب من نصف الساق كما ورد في الحديث ازرة المومن الى انصاف
ساقيه ولبس غليظ الثياب اي الثخين منها ولبس المرقع اي الموضوع فيه رقعة اي
قطعة على رقعة ولبس الطيلسان بفتح اللام واحر الطيا لسة والهاء في الجمع للعجمة
لانه فارسي معرب كذا في الصحاح وهو ردا مدور يوضع على الراس والمنكبين
ليظهر بذلك للغير انه كان متبعا للسنة النبوية عاملا بها ولتنصرف اليه الاعين من
الناس اي تميل عن الميل الى غيره بسبب تميزه عن غيره بذلك وكذلك لبس الثياب المخرقة
اي البالية المتقطعة والثياب الوسخة اي التي فيها الوسخ ولم تغسل منه ليدل غيره
به اي بما ذكر على استغراق قلبه الهم اي الاهتمام والاعتنا بالدين الاسلامي ومهمات
احكامه وعلى عدم التفرغ من الاشتغال بالمهمات الدينية للخياطة في المخرق
والغسل في الوسخ او ليدل بذلك على التواضع وعلى كسر النفس والفقر والزهد في الدنيا
الفانية وهو بحيث لو كلف بالبنا للمفعول اي كلفه احد ان يلبس ثوبا وسطا لا اعلى
قيمة ولا ادنى نظيفا اي خاليا من الوسخ لكان ذلك عنده بمنزلة الذبح له لخوف
اي لاجل خوفه ان يقول الناس عنه اذا راوه كذلك قد رغب في الدنيا اي اقبل عليها
ورجع عن الزهد فتسقط منزلته عندهم ويقل اعتباره ومنهم اي من المرايين من يريد
القبول عند اهل الدنيا من الملوك والاغنيا من الامرا والقضاة وغيرهم وعند اهل الصلاح
ايضا فلو لبس الثياب الخلقة اي المخرقة البالية والثياب الوسخة لاجل مقابلة اهل
الصلاح بها ازدرته اي احتقرته واستهانت به اهل الدنيا ممن ذكر ولو لبس الثياب
الفاخرة الغالية الاثمان لاجل مقابلة اهل الدنيا بها ردته اهل الدين والصلاح ولا
يقبلونه ولا يعلم عندهم زهده وصلاحه ومراده ان يعلم عند الفريقين فيطلبون
الاصواف الرقيقة والاكسية جمع كسا وهو ما يكتسيه الانسان اي يلبسه
الرفيعة ضد الغليظة مما قيمتها قيمة ثياب الاغنيا وهيئتها هيئة ثياب الصلحا
ونظير هذا ما ذكر الشيخ الاكبر محي الدين ابن العربي قدس الله سره في كتابه روح القدس قال

سا
محا الجمع

باجماع من القوم ان الموت الاخضر عندهم طرح الرقاع بعضها على بعض وذلك
بشعارهم رضى الله عنهم فقام هولا وقالوا انما لنا اسم مرقعة خاصة ولم يلحظوا ما
اريد بها فتانقوا فى الثياب المطرحة للاعلام المشهرة وخاطوها على وزن معلوم
وترتيب منظوم تساوى مالا وافسد واعليها ثيابا وسموها مرقعة فيلتمسون
اى يطلبون بذلك ~~القول~~ الفعل القبول والحظوة عند الفريقين فريق اهل الصلاح
وفريق اهل الدنيا ولو كلفوا اى كلفهم احد لبس ثوب خشن اى غليظ النسج او ثوب
وسخ لكان ذلك عندهم كالذبح للواحد منهم خوفا من السقوط من اعين الملوك واعين
الاغنيا الذين يرونهم بعيون المهابة والاجلال ولو كلفوا لبس مايلبسه الاغنيا
من الثياب الغالية الاثمان لعظم عليهم ذلك خوفا من ان يقال اى يقول عنهم الناس قد
رغبوا فى الدنيا بعد زهدهم فيها ومخافة ان لا يعلم اى يعلمهم احد انهم من اهل الدين
المحمدى والصلاح والزهد فى متاع الدنيا وريا اهل الدنيا فى الزى والهيئة انما يكون بالثياب
النفيسة اى الغالية الاثمان والمراكب جمع مركب وهو كل ما يركب من فرس ونحوها الرفيعة
اى العالية القدر عند اهل الدنيا والمساكن اى البيوت ونحوها الواسعة ليعظمهم بسبب
ذلك الملوك والاغنيا وتهابهم الفقرا والمساكين وهم مع ذلك يلبسون فى بيوتهم الثياب
الخشنة ولا يخرجون بها الى الناس والشى الثالث مما به الريا القول اى الكلام باللسان كالوعظ
للناس بذكر ما يصلحهم فى امور دينهم والنطق بالحكمة اى التكلم بالمعارف والاسرار والحقايق
الالهية والنطق بالوارد من الاثار والاخبار عن الصحابة والتابعين اظهارا منه لغزارة
اى كثرة العلم ودلالة على شدة العناية اى الاعتنا باحوال السلف الصالحين وتحريك معطوف
على النطق بالحكمة اى وكتحريك الشفتين العليا والسفلى بالذكر لله تعالى والامر اى وكالامر
بالمعروف للناس والنهى لهم عن المنكر بمشهد من الخلق اى بحيث يشهده الناس
ويرونه واظهار اى وكاظهار الغضب للمنكرات التى يفعلها الناس اى لاجلها واظهار الاسف
اى الحزن الشديد على مفارقة اى اقتراف بمعنى اكتساب الناس للمعاصى وترقيق الصوت
اى تليينه وتحزينه بقراة القران ليدل بذلك كله على الحزن من تضييع الحقوق الشرعية
الواجبة عليه وعلى الخوف من الله تعالى بسبب ذلك وادعا معطوف على ترقيق الصوت
حفظ القران اى قوله فى الناس انى احفظ القران وحفظ الحديث النبوى ليعظمه الناس
وادعا لقا الشيوخ المشهورين افتخارا بهم وذكر ما فعله من الطاعات ولم تعلم به
الناس فيعلمهم بذلك وهو السمعة لترتفع منزلته عندهم فينال غرضه من الدنيا
والرد على من يروى اى ينقل الحديث النبوى بيانا لخلل فى نقله ذلك بنحو نقصان فى الرواية
او احد الرواة او بيان خلل فى صحته اى الحديث او فى لفظ بنحو تصحيف ليعرف انه بصير

اى

247

اى عالم محقق بالاحاديث النبوية فيصير مرجعا فيها فينال غرضه من الدنيا وكالمجادلة
اى المناظرة بجدال وخصام فى الابحاث العلمية على قصد افحام اى الزام الخصم ليظهر
للناس قوته اى تحقيقه ومتانته فى العلم وفى الدين المحمدى ونحو ذلك مما يكون بالقول
من الامور الدينية التى يريد بها الدنيا كرغبة احد بقصد التقرب الى محبته ونيل
غرضه منه بذلك والخطابة فى الجمع والاعياد بقصد اظهار الفضيلة وريا اهل الدنيا
بالقول يكون بالاشعار جمع شعر وهو الكلام الموزون المقفى يعنى بانشايه او
بانشاده وبايراد الامثال جمع مثل بالتحريك وهو التشبيه واظهار البلاغة
والفصاحة فى المخاطبات والرسايل لاظهار المزية على الغير والشى الرابع مما به الريا العمل
بالجوارح كتطويل المصلى القيام فى صلاته والركوع فيها والسجود فيها وفى السهو والتلاوة
وتعديل الاركان والطماينة بقدر تسبيحة فى القيام والركوع والسجود والقعود
واطراق اى طاطاة الراس فى الصلاة وترك الالتفات فيها بوجهه واظهار الهدو
والسكون بلا اضطراب ولا حركة لاظهار الخشوع فى الصلاة وتسوية القدمين فى القيام
من غير تقديم ولا تاخير فيهما وتسوية البدن بلا اعوجاج فى الوقوف فى محضر اى موضع
حضور الناس ليروه كذلك فيمدحوه ويعظموه دون الخلوة يعنى بترك ذلك فى
حالة الخلوة لعدم احتياجه اليه حينيذ وقس انت يا ايها السالك عليها اى على ما ذكر
من اعمال الصلاة ساير العبادات كاعطا الزكاة واداء الحج والعمرة وغير ذلك وريا اهل
الدنيا بالعمل بالاعضا يكون بالتبختر ويقال البخترة وهى مشية حسنة فيها هز
المنكبين والاختيال وهو الخيلا والخيلا بالضم والكسر بمعنى الكبر تقول منه اختال
فهو ذو خيلا اى ذو كبر وتقريب الخطا جمع خطوة فى المشى والاخذ باطراف الذيل
لاظهار الترف والخفة والنشاط ونحوه كوضع اطراف القدم والاصابع على الارض
فى المشى ورفع الراس وابدا الصدر فى السير بين الناس اظهارا للظرافة والفخر
والرياسة والشى الخامس مما به الريا الاصحاب الذين يختلط بهم ويجالسهم والزايرون
له النازلون عليه فى نحو قرية او بلدة كمن يفرح بكثرتهم ليكبر جاهه عند الناس ويعظم
قدره ومشيهم اى الاصحاب خلفه عند ذهابه الى الجمعة والعيدين او لمكان الدرس
والذكر او الدعوة اى الضيافة وريا هى غيره بهم اى يفاخره لتعظم منزلته عند الغير
فينال غرضه من الدنيا ولا يذهب الى شى من ذلك وحده ليقال انه مرشد الى طريق الله
كامل فى مرتبة الارشاد له اتباع كثيرة فتقبل عليه الناس فيعظمونه وريا اهل الدنيا
بالاصحاب والزايرين ليقال عنه انه ذو قدرة على تحصيل كل ما يريد من المصالح والنتايج
الدنيوية والمناصب والوظايف وانه ذو ثروة وهى كثرة العدد من الناس والمال كذا

في مختصر القاموس وذ وعبيد وذ وخدم كثيرة فتنصرف اليه النفوس بالاجلال
والتعظيم المبحث الثالث من المباحث السبعة فيما له اى لاجله يكون الريا من العبد
وهو اى ما لاجله الريا الجاه اى القدر والمنزلة عند الناس واستمالة القلوب الى محبته
وتعظيمه ومدحه والثنا عليه اما لذاته اى لذات ماذكر بان كان يحب نفس الجاه واستمالة
القلوب الى محبته وتعظيمه ومدحه والثنا عليه اما لذاته اى ذات ماذكر بان كان يحب
نفس الجاه واستمالة القلوب واما للتوسل به اى بما ذكر الى فعل معصية كشرب خمر او زنا
او غصب او رشوة ونحو ذلك او مباح كنكاح امراة او شراء دار او لذيذ ماكل او
مشرب او طاعة في اعتقاده بان كان غيره ينكر عليه فعلا من الافعال هو طاعة لله
تعالى في مذهبه وقد تكون هذه الثلاثة المذكورة اغراضا مقصودة من الريا بغير توسط
قصد جاه اولا ثم هي ثانيا فتلك اى جملة ما لاجله يكون الريا اربعة اقسام ذات الجاه
واستمالة القلوب والثلاثة الباقية ولكل اى لاجل كل واحد منها يقع للعبد الريا ان
اى ريا اهل الدين وريا اهل الدنيا اما القسم الاول اى الريا لذات الجاه واستمالة القلوب
ريا اهل الدين فكمن يقصد بعبادته من صلاة ونحوها ان يشتهر بين الناس بالزهد في الدنيا
والارشاد للمتعلمين وكثرة المريدين وكثرة الاحباب له والاصدقا وكمن يمشي في الاسواق
ونحوها فيطلع عليه الناس فيترك العجلة في المشي كيلا يقال عنه انه من اهل اللهو
اى الغفلة والاشتغال بزخارف الدنيا والسهو عن ادراك خفايا الامور لا من اهل الوقار
اى الحشمة والهيبة ومنهم اى من اهل الريا بذات الجاه في الدين من اذا سمع هذا اى
قول الناس انه من اهل اللهو والسهو استحيا من الناس ان يخالف مشيته في الخلوة
اى اذا كان وحده مشيته بمرئ من الناس اى في موضع تراه الناس مخافة ان يعلم
الناس انه متصنع لهم فيكلف نفسه المشية الحسنة بالتؤدة والوقار في الخلوة
ايضا اى كما يكلف نفسه ذلك بين الناس حتى اذا راه الناس بغتة من غير تصنع
منه لم يفتقر الى التغيير في مشيته ويظن انه تخلص به اى بهذا الصنيع من الريا
والحال انه قد تضاعف اى تكثر به رياوه فانه انما يحسن مشيته في خلوته ليكون
كذلك اى حسن المشية في الملا اى بين الناس لا لحياء عنده من الله تعالى حتى
ينتفي الريا عنده حينئذ وكذلك من يسبق منه الضحك فهو اعنم لسماع كلام مضحك
او روية شيء مضحك ويظهر التوبيد وامنه المزاح اى اللعب فيخاف ان ينظر بالبنا
للمفعول اى ينظر اليه الناس بعين الاحتقار له فيتبع ذلك الضحك بالاستغفار
اى طلب المغفرة من الله تعالى عن ذلك وباظهار تنفس الصعدا بالضم والمد تنفس
ممدود كذا في الصحاح ويقال في اثناء ذلك ما اعظم غفلة الادمي عن مراقبة احوال نفسه

ای یظهر

ومراعاة

ومراعاة ادابها والله تعالى يعلم منه انه لو كان في خلوة بحيث لا يراه احد لما كان يثقل
عليه ذلك الضحك وانما يخاف ان ينظر اى ينظر اليه الناس لا بعين التوقير اى التعظيم
والاجلال وكالذى يرى جماعة من الناس يتهجدون اى يصلون بالليل بعد النوم فالتهجد
اخص من صلاة الليل لانه الغا الهجود الذى هو النوم او يصومون صيام النفل او يتصدقون
صدقة النافلة فيوافقهم في فعلهم ذلك خيفة ان ينسب عندهم او عند غيرهم الى الكسل
في طاعة الله تعالى او يلحق بالعوام الذين لا زيادة عمل لهم ولو خلا بنفسه لكان لا
يفعل شيا منه اى من ذلك كله وكالذى يعطش يوم عرفة وهو تاسع ذى الحجة او يوم
عاشورا وهو عاشر المحرم فلا يشرب ذلك اليوم الما اصلا ولا ياكل شيا الى اخر النهار
خوفا من ان يعلم الناس انه غير صايم في ذلك اليوم فان صومه مستحب وان اضطر اليه
الى انه غير صايم بان ساله احد ولا يمكنه الكذب خوفا على سقوط منزلته عند السايل
ذكر لنفسه عذرا يمهد له اولوية افطاره ذلك اليوم تصريحا اى بطريق التصريح
من غير كناية او تعريضا بالعذر اى اشارة اليه بان يتعلل بمرض هو فيه اقتضى ذلك
المرض فرط العطش فحمله على الافطار ذلك اليوم او يقول افطرت تطييبا لقلب فلان
ويذكر صديقا له او استاذا او ابا او نحو ذلك وقد لا يذكر ذلك العذر متصلا بشربه
الما كيلا يظن بالبنا للمفعول اى يظنه احد انه يعتذر ريا وينكشف امره في ذلك ولكنه
يصبر على ظهور عدم الصوم منه للناس ذلك اليوم ثم يذكر عذره بعد ذلك في معرض
اى مناسبة حكاية يحكيها عن غيره مثل ان يقول ان فلانا ويذكر احد الكرما والكبرا
محب للاخوان شديد الرغبة في ان ياكل الانسان من طعامه ولا يرضى ان احدا يحضر
سفرته ولا ياكل منها وقد الح اليوم على واكثر في الطلب مني ان افطر ولم اجد بدا
اى عوضا قال في الصحاح وقولهم لا بد من كذا كانه قال لا فراق منه ويقال
البد العوض من تطييب قلبه بافطاري فافطرت ومثل ان يقول في اعتذاره عن الافطار
ذلك اليوم ان امي ضعيفة اى رقيقة القلب مشفقة على اذا اتى في اذى مشقة
بحيث تظن اني لو صمت يوما مرضت من ذلك فلا تدعني اى تتركني ان اصوم فلذلك
افطرت واما المخلص في ذلك فلا يبالي كيف نظر الخلق اليه اى على اى وجه كان نظرهم اليه
فان لم يكن له رغبة في الصوم ذلك اليوم وقد علم الله تعالى ذلك اى عدم رغبته منه فلا يريد
هو ان يعتقد غيره منه ما يخالف علم الله تعالى فيكون حينئذ ملبسا على ذلك الغير
وان كان له رغبة في الصوم طمعا في ثواب الله تعالى عليه قنع بعلم الله تعالى ذلك منه
ولم يشرك فيه اى في الله تعالى غيره فلم يكن حريصا على اطلاع غير الله تعالى عليه الا ان
يخطر له ان في اظهاره اى الصوم واطلاع غير الله تعالى عليه اقتدا اى متابعة غيره له فيه

قوله وان اضطر اليه
الظاهر ان الضمير
في اليه راجع الى الشرب
فليتامل

فيظهر صومه حينئذ بنية اقتدا الغير ليكون له مثل ثواب ذلك الغير زيادة على ثوابه
هو بصومه واما الريا لذات الجاه واستمالة القلوب ريا اهل الدنيا فهو كمن يريد باظهار
الشجاعة للناس والاقدام في الحرب وحسن التدبير في احوال الجنود الامارة مفعول
يريد يعني ان يصير اميرا والوزارة بان يصير وزيرا ونحوهما من بقية المناصب
واما القسم الثاني وهو الريا للتوسل به الى معصية ريا اهل الدين فكمن يرائي بعبادته
من صلاة ونحوها ويظهر للناس التقوى اي الاحتراز عن المعاصي ويظهر الورع
وهو التدقيق في امتثال الامر واجتناب النهي والامتناع من اكل الشبهات جمع
شبهة وهي ما يشبه الحرام وليس بحرام ليعرف بالبنا للمفعول اي يعرفه الناس بالامانة
ومراعاة الحقوق من غير تضييع شي منها فيولى بالبنا للمفعول اي يوليه الامام القضا
على الناس او النظر في الاوقاف او النظر في مال الايتام او يودع بالبنا للمفعول اي
يودع الناس عنده الودايع فيأخذها بلا حق ويجحدها على اهلها ولا يعترف
لهم بها وكمن يظهر للناس زي اي هيئة التصوف من التعمم بالصوف ولبس المرقعات
واخذ العكاز ونحو ذلك ويظهر هيئة الخشوع كاطاطاة الراس واخفاء
الصوت وغض البصر وعدم الالتفات الى شي ونحو ذلك ويظهر كلام الحكمة كعلوم التوحيد
والمعرفة على سبيل الوعظ للناس والتذكير لهم ليتحبب بذلك الى امراة فتحبه
تحبه فيجتمع معها او الى غلام فيصير يحبه ويجتمع معه لاجل الفجور بتلك المراة
او ذلك الغلام وكمن يحضر مجلس العلم او يشرع في قراة العلم على المشايخ وكذلك من
يحضر حلق جمع حلقة الذكر التي للصوفية بملاحظة اي بسبب نظره الى النسوان
والصبيان الحسان الذين يحضرون هناك فينظر نظر شهوة وميل الى مماسة
ونحوها واما النظر المجرد عن ذلك فليس بمعصية قال الغزالي رحمه الله تعالى ان
المحبة قد تكون لذات الشي لا لاجل قضا الشهوة منه وقضا الشهوة لذة اخرى
والطباع السليمة قاضية باستلذاذ النظر الى الانوار والازهار والاطيار المليحة
والالوان الحسنة حتى ان الانسان ليتفرج عنه الهم والغم بالنظر اليها لا لطلب حظ
وراء النظر كذا ذكره الشيخ عبد الرؤف المناوي في شرح الجامع الصغير عند الكلام
على حديث كان يعجبه صلى الله عليه وسلم النظر الى الخضرة والماء الجاري اي كان يحبه
مجرد النظر اليهما ويلتذ به فليس اعجابه بهما لياكل الخضرة او يشرب الماء او لينال
منهما حظا سوى نفس الروية انتهى وكذلك هنا النظر المجرد عن قصد المعصية
ليس بمعصية واما ريا اهل الدنيا كمن يظهر للناس الشجاعة باقدامه في الحروب
والمخاصمات وحسن السياسة بتدبيره ونظره السديد وحسن الضبط بعدم

تضييع

تضييع شي من امور الدنيا واتقان الحساب ليصل بذلك الى ولاية منصب من مناصب الدنيا
او وصاية على مال ايتام او نحوهما كوكالة عن احد او خدمة كبير من اهل الدنيا فيتمكن
بذلك بسبب ذلك من اتيان المحرمات المشتهيات له كالزنا وشرب الخمر ونحو ذلك
واما القسم الثالث وهو الريا للتوسل به الى مباح فكمن يرائي بعبادته غيره من الناس
ليبذل له ذلك الغير الاموال حيث يراه مستحقا روى ابو طالب المكي في القوت عن
عبيد بن ابي واقد عن عثمان بن ابي سليمان قال كان رجل يخدم موسى عليه السلام
فجعل يقول حدثني موسى كليم الله حتى اثرى وكثر ماله وفقده موسى عليه السلام
دهرا فجعل موسى عليه السلام يسال عنه فلا يحس منه اثرا حتى جا رجل ذات
يوم وفي يده خنزير في عنقه حبل اسود فقال له موسى اتعرف فلانا قال نعم
هو هذا الخنزير فقال موسى يا رب اسالك ان ترده الى حاله الاول حتى اساله مم
اصابه هذا فاوحى الله اليه لو دعوتني بالذي دعاني ادم فمن دونه ما اجبتك فيه
ولكني اخبرك انما صنعت به هذا لانه كان يطلب الدنيا بالدين كذا ذكره النجم الغزي
في حسن التنبه ولو كان المسخ في هذه الامة كما كان في الامم السالفة لرايت ممن يطلب
الدنيا بالدين خنازير كثيرا ولكن المسخ الان وقع في القلوب لا في الصور
الظاهرة وترغب في نكاحه اي تزوجه النسا لرويتهن كمال عبادته ويسارع في
خدمته وقضا حاجته الناس حيث يرونه اهلا للخدمة والتبرك به وكمن يخفف
الصلاة ويترك التعديل للاركان ويترك الاداب المطلوبة للصلاة في حال الخلوة
ويطيلها اي الصلاة ويراعي التعديل لاركانها ويحفظ الاداب فيها على وجه الاتقان
لها في الملا اي في جماعة الناس فرارا بذلك الفعل وتباعدا عن ايذاء الناس اي عن
ان يوذيهم بمذمته وغيبته بالكسر اي ذكره بسو في غير حضرته لا طلبا بذلك للمدح
منهم اي من الناس ولا ثوابا اي من جهة الثواب على ذلك من الله تعالى وقد وجدنا
طايفة ممن يزعمون العلم يتباعدون عن المعاصي مخافة ذم الناس لهم والوقوع
في غيبتهم وهم يصرحون بذلك ويعتقدون ان تباعدهم عن المعاصي بذلك القصد طاعة
منهم لله تعالى حتى انهم اذا توهموا من احد معصية اوردوا له قولهم رحم الله امرا
جب الغيبة عن نفسه على وجه الاحتجاج بهذا القول زاعمين انه حديث وان
معناه صحيح ويحثون الناس على ما هم فيه من اجتناب المعاصي مخافة الغيبة
والمذمة ويعلمون الناس الريا ويحملونهم عليه بلا نكير منهم على ذلك ولا حول
ولا قوة الا بالله العلي العظيم ولين سلمنا انه حديث وان معناه صحيح فان معناه رحم
الله امرا ترك المعصية لله تعالى فكان ذلك سببا منه الى جب اي قطع الغيبة عنه

لانه ترك المعصية لاجل جبه الغيبة عنه اى قطعها من الناس وكمن يصلى صلاة او يقرا
شيا من القران او يهلل برفع صوته لاخذ المال من غيره بان يقصد ان يراه الغير اهلا
لاعطايه الصدقة ومستحقا لها لاقباله على الطاعة والتلذذ به اى بالمال الذى اخذه
بصرفه فى مشتهيات نفسه وكالمثال الاخير للثانى من اقسام الريا المذكور فيما مر
وهو ان يظهر الشجاعة وحسن السياسة والضبط ليصل الى ولاية ووصاية او نحوهما
ثم ليصل بما تحصل له من ذلك الى المشتهيات النفسانية من المباحات واما القسم الرابع
وهو الريا ليتوسل به الى الطاعة فى اعتقاده فكالمثال الثانى للثالث من اقسام الريا السابق
ذكره وهو ان يخفف الصلاة ويترك التعديل والاداب فى الخلوة ويطيلها ويراعى التعديل والاداب
فى الملا اذا كان غرضه بذلك صيانة اى حفظ الناس عن المعصية وهى الوقوع فيه بالغيبة
والذم فان صيانتهم عن ذلك طاعة فى اعتقاده لا فى اعتقادهم لانهم مستحلون غيبته
ومصرون عليها وكالمتعلم يرائى معلمه بطاعته لله تعالى كصلاته وصيامه لينال بذلك
عند المعلم له رتبة اى مزية عظيمة فيتعلم منه اى من معلمه علما نافعا له فى اعتقاده هو
وربما كان مضرا له فى اعتقاد معلمه لعدم استعداده له بالتقوى وكالولد يرائى بعمله
ابويه ليميل اليه قلب ابويه ويشفقان عليه فيكون بارا اى محسنا لهما ولو اطلعا على ريايه
فى ذلك لسخطا عليه حيث لم يبلغ مرادهما منه وكمن يرائى بعبادته عند الاغنيا من التجار وغيرهم
لينال منهم مالا ويتخذه عدة عنده للعبادة يستعين به فيها او يرائى بعبادته عند الامرا
والوزرا من اكابر الدولة وعند القضاة واهل الحل والعقد من ولاة المناصب لينال بذلك
منهم جاها فى الدنيا بين الناس ومنصبا عاليا ليتفرغ به اى بسبب ذلك الجاه والمنصب للعبادة
والطاعة ودفع الشواغل الدنيوية عنه ودفع الظلم عن المظلومين بالشفاعة والموعظة
او لينفذ به اى بالجاه والمنصب عند الناس قوله الحق فى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر
فيسمعون منه ذلك ويقبلونه وكمن تعطى له بالبنا للمفعول اى يعطى الناظر له دراهم مسماة
فى كل شهر او سنة او جمعة او يوم عينها واقف من المسلمين او غيره اى غير واقف كاحد
من الناس ليقرا جزءا من كلام الله تعالى كل يوم فى الجامع الفلانى او المدرسة الفلانية او
المدفن الفلانى او فى اى مكان كان من غير تعيين مكان او حتى يصلى كذا ركعة عشرة او ماية
او يسبح كذا تسبيحة او يهلل او يكبر كذلك او يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم او يدرس فى
العلم او تعليم القران ويعطى ثوابه الحاصل له بسبب ذلك للمعطى من الواقف او غيره او
لاحد ابويه اى المعطى المذكور فيفعل ذلك فيفعل ذلك المسكين الذى اقدم على شرط هذا
الوقف الفاسد والصدقة الفاسدة بقصد تحصيل ذلك المبلغ من الدنيا المعين له لتلك العبادات
المذكورة ويجتهد فى عملها طمعا منه للمال المذكور ليجعله عدة له وقوة للعبادة والطاعة ويظن من

جهله

مطلب يتعلق بالوقف

جهله انه اى المال المذكور حلال له وان ثوابه على ذلك يصل الى الآمر المذكور وانه فى طاعة مع
انه فى ريا وما عبد الله بتلك العبادات الا لاجل المال المذكور وهو فى معصية ظاهرة واثم قبيح
فاى ثواب له حتى يجعله لغيره واما الاوقاف الان والصدقات الجارية على قراءة الاجزاء القرانية
واجزاء صحيح البخارى ومسلم ومعلومات المؤذنين والمدرسين فى الجوامع والمدارس ونحوها
فهى موقوفة على كل من يفعل هذه العبادات فى هذه المواضع المخصوصة لا بشرط ان يكون ثوابها
للواقف والمتصدق بذلك بل للواقف والمتصدق ثواب الصدقة بذلك على القايمين بهذه العبادات
وثواب اعمالهم على ذلك كله لهم لا للواقف والمتصدق وانما هذه الوظايف اعانة لهم على طاعة
الله تعالى فقط فليست من هذا القبيل الذى اشار اليه المصنف رحمه الله تعالى الا اذا شرط
الواقف او المتصدق ان ثواب هذه العبادات تكون له فى مقابلة ما عينه من المال فهو امر باطل
حينيذ وفعله حرام بهذه النية وكمن يصلى او يهلل او يفعل نوعا من الطاعات فى الملا
بين الناس لمجرد اراءة الناس ذلك ليقتدوا اى يتابعوه ويتعلموا منه كيفية العمل الصالح
وتحثهم على ذلك ويصير سببا لطاعتهم لله تعالى ولو لم يره الناس لم يفعل شيا من ذلك وهذا
الفعل ايضا اى كالذى قبله ريا مذموم بخلاف ما لو كان قصد الاقتدا باعثا على مجرد الاظهار
اى اظهار العمل ليقتدى به غيره لا على الاحداث اى احداث العمل ليقتدى به غيره وكان بحيث
لو انفرد وحده ولم يطلع عليه غيره لم يعمل فانه اى قصد الاقتدا الباعث على مجرد الاظهار حينيذ
ليس بريا لان العمل لولا قصد الاقتدا كان موجودا منه بل هو مستحب حينيذ لان
فيه عملا وتعليما فهو افضل من العمل فقط وريا اهل الدنيا فى هذا القسم يكون باظهار الشجاعة
ونحوها كالكرم والبشاشة ليصل بذلك الى حصول ولاية اى منصب دنيوى لينفذ احكام
الشرع باقواله وافعاله ويصلح الناس بتقويم اعوجاجهم وبرفع الظلم عنهم والمنكرات
من بينهم المبحث الرابع من المباحث السبعة فى بيان الريا الخفى عن صاحبه الذى هو فيه
فلا يتنبه اليه الا بتدقيق النظر والتامل فى احوال نفسه وفى ذكر علاماته ليتوصل بها العبد
الى معرفته فى نفسه فلا يشتبه عليه الحال اعلم ان الريا قد يكون جليا واضحا وقد سبق
ذكره وقد يكون خفيا دقيقا يصل من الخفا والدقة الى ان يكون اخفى من دبيب النملة
اى حركة مشيها على حجر ونحوه فيحتاج هذا الريا الخفى حينيذ فى معرفته عند العبد الى
علامات يعرف بها وهى كثيرة منها ان يسر العبد اى يحصل له السرور والفرح باطلاع الناس
على طاعته وبثنايهم ومدحهم له فتنبسط نفسه لذلك وتنشط به من غير ان يلاحظ فى حال
سروره بذلك اقتدا غيره به اى متابعته له فى تلك الطاعة التى فعلها فيكون سروره لحصول
طاعة الغير او يلاحظ حصول اطاعتهم لله تعالى فى مدحهم له حيث نشر وافضلية
المسلم وانصفوا فى كماله ورؤية مزيته والفرح بخصوصيته التى اختصه الله تعالى بها

وتركوا حسدهم له فيها وجاهدوا انفسهم في الاعتراف له بذلك مع ان النفوس مجبولة على
حب الترفع على الاقران وفي محبتهم للمطيع لله تعالى فانها طاعة منهم او يستدل به اى
باطلاع الناس على طاعته ومدحهم له على حسن صنع الله تعالى معه وحسن نظره
سبحانه له حيث ستر عنه القبيح من الاعمال واظهر الجميل منها لغيره فيكون فرحه
حينئذ بجميل نظر الله تعالى له لا بحمد الناس لاعماله والثنا منهم على افعاله وقيام
المنزلة له في قلوبهم ورفعة شانه عندهم وقد قال الله تعالى قل بفضل الله اى احسانه
واكرامه بالعناية والتوفيق للعلم والعمل وبرحمته سبحانه التى صار بها العبد اهلا لفيض
الكمال عليه فبذلك فليفرحوا لان الفرح بذلك طاعة وقال تعالى بعده هو خير مما يجمعون
اى من جميع ما في نفوسهم من الاغراض الفاسدة وفي ايديهم من متاع الدنيا او يستدل
باظهار الله تعالى الفعل الجميل له وستر الفعل القبيح عليه في الدنيا انه تعالى كذلك يفعل
به اى بالعبد في الاخرة كما جا في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث قتادة عن صفوان بن
محرز المازني قال بينما انا امشي مع عبد الله بن عمر اخذ بيده اذ عرض له رجل فقال يا ابا
عبد الرحمن كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في النجوى يوم القيمة فقال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تبارك وتعالى ليدني منه المومن فيضع عليه
كنفه ويستره من الناس فيقول اتعرف ذنب كذا اتعرف ذنب كذا فيقول نعم يا رب
حتى اذا قرره بذنوبه وراى في نفسه انه قد هلك قال له يا عبدي اني لم استرها عليك في الدنيا
الا وانا اريد ان اغفرها لك اليوم فيعطى كتاب حسناته واما الكافر والمنافق فيقول
الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين وعن شيبة الحضرمي انه
شهد عروة بن الزبير يحدث عمر بن عبد العزيز عن عايشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ثلاث استشهد عليهن والرابعة لو شهدت رجوت ان لا اثم لا يجعل الله تبارك وتعالى
من له سهم في الاسلام كمن لا سهم له وسهام الاسلام الصلاة والصيام والصدقة ولا يتولى الله
تبارك وتعالى عبدا في الدنيا فيوليه غيره في الاخرة ولا يحب قوما احد الا جا معهم يوم القيمة
والرابعة لا يستر الله تبارك وتعالى على عبد في الدنيا الا ستر الله تبارك وتعالى عليه في الاخرة
ذكره الخرايطي في مكارم الاخلاق فان السر ورأى سرور العبد باحد هذه الاربعة التي هي ملاحظة
اقتدا غيره به وملاحظة اطاعتهم لله تعالى في مدحهم للمطيع ومحبتهم له والاستدلال بذلك
على حسن صنع الله تعالى به ونظره اليه والاستدلال باظهار الجميل وستر القبيح عليه في الدنيا
انه يعامله في الاخرة كذلك حق لا شبهة فيه لا يدل شي من ذلك على الريا ولكن كثيرا ما اى في
اكثر الاوقات يداخله تلبيس فيشتبه الامر في ذلك عليه فليكن على بصيرة من حاله ومنها
اى من علامات الريا الخفي ان تحب ان يوقره الناس اى يعظموه ويثنوا عليه بما فيه من الاوصاف

الجميلة

الجميلة وبما ليس فيه من ذلك ويحب ان ينشطوا اى يسارعوا في قضا حوايجه بلا تاخر منهم ويحب
ان يسامحوه اى الناس في البيع والشرا ويحب ان يوسعوا له في المكان اذا دخل عليهم فيه فان
قصروا فيه اى في شي من ذلك مقصر ثقل ذلك التقصير على قلبه وعظم عليه ووجد لذلك التقصير
استبعادا في نفسه واستيحاشا كانه كان نفسه تتقاضى اى تقتضى شيا فشيا وتطلب
الاحترام والتعظيم من الناس على الطاعة والاعمال الصالحة التى اخفاها عن الناس ولو
لم يكن سبقت منه تلك الطاعة التى فعلها خفية عنهم لما كان يستبعد ذلك التقصير
منهم في حقه ومهما لم يكن وجود العبادة عنده كعدمها على حد سوا فيما يتعلق بالخلق
اى المخلوقات لم يكن وجود العبادة خاليا عن شوب اى اختلاط خفي لا يكاد يتنبه
له صاحبه من الريا ومهما ادركت النفس تفرقة بين ان يطلع على عبادته انسان من
بني ادم بحيث يعقل ذلك ويعرفه له او بهيمة من البهايم لا تعقل ذلك ولا تعرفه
له ففيه اى في عمله شعبة اى نوع من الريا ولكنها خفية عنه الا ان تقارنه اى تقارن
فرقة بين الاطلاعين المذكورين الملاحظة لاقتدا غيره به او طاعة غيره لله تعالى
في مدحه ومحبته له او الاستدلال بذلك على حسن صنع الله تعالى به واظهار الجميل عنه وستر
القبيح السابقان قريبا وقليل ما هم اى اهل الملاحظة والاستدلال المذكورين فليكن
العبد على بصيرة في ذلك وحذر من التلبيس عليه في احواله واعماله فان الله قد للاحوال
والاعمال الظاهرة والباطنة بصير كما قال الله تعالى والله بكل شي بصير لا يخفى عليه سبحانه
قليل من ذلك ولا صغير كما قال سبحانه الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ومنها اى من
علامات الريا الخفي انه لو كان له اى للانسان صاحبان احدهما غني والاخر فقير ووجد عند
اقبال الغني عليه زيادة هزة اى نشاط وارتياح وسرور واستبشار في نفسه للاكرامه
والاحتفال بقدومه عليه الا اذا كان في صاحبه الغني زيادة علم ليس في صاحبه الفقير
فاحتفل به لاجلها او زيادة ورع او صداقة سابقة بينهما او نحوها من رغبة في توبته
من بدعة او فسق او لاجل شفاعة عنده في دفع مظلمة او لخوف منه فمن كان استروحه
اى ميله واقباله الى مشاهدة الاغنيا اكثر من الفقرا بدون ماذكر من احد الوجوه فهو مراء
وما فعله ريا ومن العلامات على وجود الريا الخفي المختصة بالواعظ الذي يذكر الناس
امور المعاد ويحثهم ويزجرهم بالترغيب والترهيب والعالم الذي يعلمهم الاحكام الاعتقادية
والعملية والشيخ الذي يربيهم في سلوك طريق الله تعالى بالتقوى وبيان ذلك انه اى كل
واحد ممن ذكر لو ظهر له من الناس من هو احسن منه وعظا من طلاقة اللسان وكمال الحفظ
والنصح التام [illegible] واغزر اى اكثر علما بزيادة اطلاع على العلوم الشرعية واعرف بالتربية
في مقام السلوك ووجد الناس اشد له اى لذلك الظاهر الاحسن منه قبولا واعتناء به

ووجدهم تركوه وذهبوا الى ذلك الاحسن منه ساءه اى احزنه فعلهم ذلك او احزنهم ذلك
الاحسن وحسده على كماله فان هذا دليل على كونه مرائيا ولكن رياؤه خفى عنه نعم لا باس
بالغبطة فى الحسد وهى ان يتمنى مثل النعمة التى وجدها على غيره من دون زوالها عنه وفيه
اشارة الى ان الاولى ترك الغبطة ايضا وقد صرح بذلك المحاسبى فى الرعاية لئلا تتعود النفس
الحسد قال الشيخ الاكبر محى الدين ابن العربى رضى الله عنه فى كتابه لا ما لا يعول عليه
فى النصايح الحسد فى الخير لا يعول عليه لئلا يعتاده الطبع ومنها اى من العلامات على
الريا الخفى المختصة بمن ذكر ان الاكابر من الناس كاهل المناصب والتجار اذا حضروا
مجلسه يتغير فى الحال كلامه على عما كان عليه قبل ذلك تصنعا منه لهم واستمالة لقلوبهم
بذكر ما يناسبهم من الكلام نعم لو زاد على كلامه الاول ما يتعلق باصلاحهم من بيان النصايح
والمواعظ والاحكام بلطف منه فى خطابهم ورفق ولين ليستدرجهم من اصرارهم
وفسقهم الى التوبة من ذنوبهم والصلاح من فسادهم لحسن ذلك الفعل منه وكمل موقعه
ولكن ذلك محل تلبيس على النفوس فليحترز الموفق منه فان اشتبه الامر عليه واشكل
الحال فلينظر الى الخلق كلهم بعين واحدة فلا يميز غنيا لغناه من فقير لفقره ولا كبيرا
من صغير ويعامل الكل معاملة واحدة فانه يسلم من الريا الخفى ان شاء الله تعالى واعلم ان
هذه العلامات المذكورة هنا للريا الخفى انما هى علامات للسالك فى حق نفسه لا فى حق
غيره ولهذا علقها بالمقاصد القلبية التى لا يعلمها غير صاحبها فلا يجوز اعتبار تلك العلامات
فى حق الغير لانها قد تتخلف فى البعض لان مقاصد القلوب لا تحصى وظن السوء بالمسلم
حرام وكذلك التجسس عنه والاستكشاف عن عوراته وتتبع العلامات لفضيحته
بها كما سياتى بيانه ان شاء الله تعالى المبحث الخامس من المباحث السبعة فى بيان
احكام الريا وما هو مذموم منه شرعا وما هو غير مذموم اعلم ان الريا بعمل الدنيا
على حسب ما سبق بيانه لا يحرم فعله على المكلف ان خلا عن التلبيس على الناس فى امر
الدين والتزوير عليهم فيه ولم يتوسل اى يتوصل ذلك المراى به اى بعمل الدنيا الى فعل المنهى عنه
نهى تحريم او كراهة ولكن ان كان ذلك الريا بعمل الدنيا للحظ اى النصيب الذى تطلبه النفس
العاجل قبل يوم القيامة فمذموم شرعا كما قال تعالى فى حق الكافرين وقالوا عجل لنا
قطنا قبل يوم الحساب وقال ايضا ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا
والا اى وان لم يكن للحظ العاجل فمستحب يثاب عليه لما بينا فيما مر فى حب الرياسة
من ان التوسل به الى اخذ الحق وتحصيل المرام المستحب او المباح او دفع الظلم والشواغل
والتفرغ للعبادة او الى تنفيذ الحق واعزاز الدين واصلاح الخلق بالامر بالمعروف والنهى عن
المنكر فهذا ان خلا عن المحظور كالريا والتلبيس وترك الواجب والسنة فجائز بل مستحب

وقد

قوله فلا يجوز اعتبار تلك العلامات فى حق الغير فيه نظر لانه اذا دل له ادلة واضحة وعلامات ظاهرة على وجود تلك العلامات فى الغير فكيف لا يجوز اعتبار تلك العلامات فى الغير ... لا يكون سوء ظن بمسلم ... فافهم

وقد سبق شرحه واما الريا بالعبادة وطاعة الله تعالى فحرام كله اجماعا بل ان كان الريا
فى اصل العبادة وطاعة الله تعالى فحرام كله اجماعا بل ان كان الريا فى اصل العبادة اى فى
وجودها لا فى تحسينها كمن يصلى الفرض عند الناس اذا كان بينهم ولا يصلى اصلا اذا كان
وحده فى الخلوة فكفر اى ذلك الريا عند البعض من العلما لانه عبادة غير الله تعالى قال
فى كتاب الفتاوى التاتارخانية فى فقه الحنفية وفى كتاب الينابيع شرح القدورى
قال ابراهيم بن يوسف لو صلى الانسان ريا اى لاجل ان يراه غيره من الناس فلا اجر اى ثواب
له على تلك الصلاة وعليه الوزر اى الاثم لانه فعل معصية لا طاعة وقال بعضهم اى بعض
العلما يكفر لعبادته غير الله تعالى انتهى ما نقله عن التاتارخانية وممن قال بكفره
اى كفر من صلى ريا الفقيه ابو الليث السمرقندى رحمه الله تعالى ذكره اى هذا القول فى كتاب
تنبيه الغافلين واغلظ اى شدد فيه اى فى المراى بصلاته حيث جعله منافقا تاما
اى كاملا فى نفاقه يكون يوم القيمة فى الدرك وهو اقصى قعر الشئ الاسفل صفة له كائنا
من النار اى نار الاخرة مع آل اى اتباع فرعون وهامان وزير فرعون وهو فرعون موسى
قال ابن الجوزى والفراعنة ثلاثة فرعون الخليل واسمه سنان وفرعون يوسف واسمه
الريان وفرعون موسى واسمه الوليد بن مصعب ذكره المناوى فى شرح الجامع الصغير
وكون غرضه اى المراى بالعبادة منه اى من الريا حصول الطاعة لله تعالى المترتبة على
ريايه بتلك العبادة كصيانة الناس اى حفظهم عن الغيبة اى الوقوع فى حقه بالسوء
فى غيبته وكقصد تحصيل العلم النافع بسبب ذلك الريا بالتقرب الى من يعلمه ذلك وتحصيل
بر الوالدين اى طاعتهما والاحسان اليهما وتحصيل المال عدة للعبادة اى استعانة به
فيها وقوة به عليها وتفرغا لها عن اشتغال الدنيا ودفعا لمانعها اى العبادة من الكسب
وغيره وكتحصيل الجاه اى رفعة الشان والقدر بالمناصب الدنيوية كذلك اى عدة للعبادة
وقوة عليها وتفرغا لها ودفعا لمانعها فبعد تسليم صدقه اى المراى فيما ذكر لا يفيد غرضه
المذكور شيا ولا يجعله اى الريا بالعبادة حلالا لانه اى غرضه المذكور تلبيس عليه وكذب
فى احواله فعلى اى منسوب الى الفعل وهو عدم مطابقة الفعل للواقع للكذب قولى
وصورة استهانة اى تهاون واستهزاء اى سخرية لله تعالى من حيث انه عبد غير الله
تعالى ثم صرف ذلك الى الله تعالى فكان فيه صورة المستهين والمستهزى بالله تعالى
لا حقيقة ذلك ان حقيقته كفر لا محالة بخلاف ما لو كان قصده من عبادته التى عبد الله
تعالى بها ومن طلبه بها اى بتلك العبادة حصول المال والجاه المذكورين اى اللذين
يستعين بهما على العبادة ابتداء اى فى ابتداء الامر من الله تعالى بدون قصد غيره تعالى
بذلك ثم قصده تعالى بما يحصل من ذلك الغير ولم يرد بذلك اراءة الناس بان يروه

واسماعهم بان يسمعوا به فانه اى هذا القصد من العبادة حلال له حينئذ لا رياء كما
سبق اى مثل ما سبق فيمن اراد اراءة الناس وغرضه بذلك صيانة الناس عن غيبته
ونحو ما ذكر لانه اى قصد عبادة الله تعالى ابتداء ليس فيه تلبيس ولا صورة استهانة
كما فى الاول نعم لو كان مقصوده اى المراءى بعبادته منها اى من المال والجاه الحظ العاجل
اى الغرض النفسانى فى الحياة الدنيا فرياء حينئذ حيث لم يقصد بهما الاستعانة على
طاعة الله تعالى ونحو ما سبق لاجل فعله لانه جعل عبادة الله تعالى آلة للتوصل الى
غرض نفسه وشبكة للدنيا يصيد بها الحطام العاجل وقد وضعها اى العبادة الله
تعالى النفع الاخرة لا لنفع الدنيا وفيه اى فى طلب نفع الدنيا بها قلب اى عكس الموضوع
الذى وضعه الله تعالى حيث حكم به فى الشرع فلا يفيد فى انتفاء الريا كون ارادته المال
والجاه من الله تعالى لا من الخلق حيث قصد بها تحصيل غرضه الدنيوى من حظه
العاجل قال الله تعالى ومن كان يريد حرث الدنيا الحرث الكسب وجمع المال كذا فى
مختصر القاموس وفى الصحاح الحرث كسب المال وجمعه وفى الحديث احرث لدنياك
كانك تعيش ابدا نؤته منها اى من الدنيا وماله فى الاخرة من نصيب حيث تعجل نصيبه
فى الدنيا بطلب منه ولا ينتفى نصيبه من الاخرة الا بذنب سبق منه فى الدنيا وهو طلبه
للدنيا من الله تعالى بعمل الاخرة واما بيان تاثيره اى الريا فى الطاعة وعبادة الله تعالى
فالمغلوب من ريا التخليط كما سبق اى الذى غلب فيه قصد عبادة الله تعالى على قصد
غير ذلك فكان قصد الغير مغلوبا بقصد عبادة الله تعالى ينقص اجرها اى ثواب الطاعة
فلا يبقى كاملا فى الاخرة ولا يبطلها اى الطاعة والريا المساوى اى ما تساوى فيه قصد
عبادة الله تعالى مع قصد غير ذلك والريا الغالب اى ما غلب فيه ارادة غير الله تعالى
بعبادته على ارادة الله تعالى تعالى والريا المحض اى الذى فيه ارادة غير الله تعالى
فقط بالعبادة يبطلها اى الطاعة لعدم وجود النية فيها حيث قصد بفعلها
غير وجه الله تعالى وهى اى النية فيها حيث قصد شرط فى صحة كل عبادة من حيث
انها اى تلك العبادة عبادة وهى الصحة الشرعية احتراز عن الصحة بمعنى وجود الافعال
فى الحس والعرف كالوضو بلا نية فانه ليس بعبادة وان صحت به الصلاة لانه شرط
لها والشروط يراعى حصولها لا تحصيلها كالغسل وستر العورة وغسل النجاسة
المانعة ونحو ذلك قال فى الاشباه والنظاير وفى بعض الكتب ان الوضو الذى ليس
بمنوى ليس بماموربه لكنه مفتاح للصلاة ونقل ابن امير حاج فى شرح منية المصلى
عن الخلاصة انه يجزى الوضو والغسل بغير نية الا ان الكرخى اشار فى كتابه الى ان الوضو
بغير نية ليس الوضو الذى امر به الشرع واذا لم ينو فقد اساء واخطا وخالف السنة

وهكذا

وهكذا قال المتقدمون من اصحابنا لا يثاب ولا يصير مقيما للوضو الماموربه قال وفى
هذا اشارة الى ان المراد به غير ماموربه فى الصورة المذكورة كونه غير ماموربه على وجه
الاستنان لا على وجه الايجاب والا لم يكن الوضو العارى عن النية مجزيا بحيث تصح
الصلاة به والغرض خلافه وليس ببدع كون الماموربه يراد به هذا المعنى فان الامر
بالشىء كما يكون على سبيل الايجاب يكون على سبيل الاستحباب وبه يندفع ما لعله يقال
قد ثبت باعترافكم انه لا يكون اتيا بالوضو الماموربه الا بالنية افتراض النية له لان
الوضو المبيح للصلاة ونحوها انما هو الوضو الماموربه لا غير الماموربه لان المراد
بالوضو الماموربه الذى تتوقف الاباحة عليه وتمامه هناك لقوله اى النبى صلى
الله عليه وسلم انما الاعمال معتبرة شرعا بالنيات اى مقاصد القلوب ولكل امرء اى انسان
ما نوى لا ما عمل بلا نية رواه اى هذا الحديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكان يخطب به عمر وقدمه البخارى فى اول صحيحه وتكلم عليه شراحه
بما يطول ذكره وهذا حديث مشهور وهو دون المتواتر قريب منه عند ابى حنيفة
ومتواتر عند ابى يوسف واجاد حكما عند محمد ذكره والدى رحمه الله تعالى فى اوايل شرحه
على شرح الدرر والمشهور ما رواه واحد عن واحد فى القرن الاول ثم اشتهر فى القرن
الثانى والثالث فصار يرويه جماعة عن جماعة والمتواتر ما رواه جماعة عن جماعة
فى القرون الثلاث والاحاد ما رواه واحد عن واحد فى القرون الثلاث والخلاف فى
مقدار عدد التواتر يفيد معرفة الاحاد لانه ما عداه على ما ذكر فى موضعه من علم اصطلاح
الحديث خرجه اى هذا الحديث الايمة الستة البخارى ومسلم والترمذى وابن ماجة
والبيهقى وابن حبان كل امام منهم خرجه فى صحيحه الا مالك بن انس رضى الله عنه فانه
لم يذكره فى كتابه الموطا وفى الاشباه والنظاير قال فخر الدين حديث انما الاعمال بالنيات
انه من باب المقتضى اذ لا يصح بدون تقدير لكثرة وجود الاعمال بدونها فقدروا
مضافا اى حكم الاعمال وهو نوعان اخروى وهو الثواب واستحقاق العقاب ودنيوى
وهو الصحة والفساد وقد اريد الاخروى بالاجماع للاجماع على انه لا ثواب ولا عقاب
الا بالنية فانتفى الاخر ان يكون مرادا اما لانه مشترك ولا عموم له او لاندفاع الضرورة
به من صحة الكلام به فلا حاجة الى الاخر والثانى اوجه لان الاول لا يسلمه الخصم لانه
قايل بعموم المشترك فحينئذ لا يدل على اشتراطها فى الوسايل للصحة ولا على المقاصد
ايضا وانما اشترطت فى العبادات بالاجماع او بآية وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين
له الدين والاول اوجه لان العبادة فيها بمعنى التوحيد بقرينة عطف الصلاة والزكاة
والنية فى اللغة مطلق القصد نوى الشى ينويه قصده وفى الشريعة هى ارادة المسلم

المميز العالم بالمنوى فلا تصح نية الكافر ولا الصبي غير المميز ولا المجنون ولا الجاهل
بفرضية الصلاة مثلا كما بسطه في الاشباه والنظاير التقرب الى الله تعالى بالعمل المشروع
فعله فرضا كان او غيره الباعثة نعت للارادة اى التى تبعث او تحث وتحض عليه اى
على التقرب بالعمل المتصلة تلك الارادة باوله اى العمل حقيقة كمقارنة نية الصلاة
بالقلب مع التكبير باللسان او حكما كمن نوى الصلاة مع الامام في بيته ثم مشى الى المسجد
ولم يشتغل بعمل يدل على الاعراض عن الصلاة حتى كبر خلف الامام ولم يستحضر النية ثانيا
كفته النية الاولى وكانت مقارنة لتكبيره حكما وكنية الزكاة اذا كانت في وقت عزل
ما وجب عليه ثم عند ادايها الى الفقير لم يستحضر النية كانت النية السابقة مقارنة للادا
حكما فصح اداوه وكنية صوم الغد اذا كانت بعد غروب الشمس فاذا طلع الفجر وامسك
بلا نية كفته نيته من الليل فهي مقارنة للامساك حكما وقوله الارادة احتراز عن مجرد
التلفظ باللسان من غير قصد القلب فانه ليس بنية ولا يلزم التلفظ مع قصد القلب قال
في الاشباه والنظاير لا يشترط مع نية القلب التلفظ في جميع العبادات ولذا قال في المجمع
ولا معتبر في اللسان وهل يستحب التلفظ او يسن او يكره اقوال اختار في الهداية الاول
لمن لم تجتمع عزيمته وفي فتح القدير لم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه التلفظ
بالنية لا في حديث صحيح ولا ضعيف وزاد ابن امير حاج انه لم ينقل عن الايمة الاربعة
وفي المفيد كره بعض مشايخنا النطق باللسان وراه الاخرون سنة انتهى وعلل الكراهة
ابن امير حاج بان النية عمل القلب والله مطلع على الضماير فالا فصاح في حقه عبث
وفي الاشباه والنظاير محل النية القلب في كل موضع ولا يكفي التلفظ باللسان دونه
وفي القنية والمجتبى من لا يقدر ان يحضر قلبه لينوي بقلبه او يشك في النية يكفيه
التكلم بلسانه لا يكلف الله نفسا الا وسعها وقال ابن امير حاج في شرح منية المصلي
والعبد الضعيف له في هذا نظر لان اقامة فعل اللسان في هذا مقام عمل القلب عند العجز
عنه بدلا منه لا يكون بمجرد الراى لان الابدال لا تنصب بالراى وقد يسقط الشرط عند
عدم القدرة عليه الى بدل وقد يسقط المشروط بواسطة عدم القدرة على شرطه فاثبات
احد هذه الاحتمالات دون الباقي يحتاج الى دليل واين الدليل هنا على اقامة فعل
اللسان مقام فعل القلب في خصوص هذا الامر من الشارع فليتامل واحترز
عن حديث النفس فانه ليس بارادة لانه مجرد عرض المعنى على القلب والارادة ميل
الى الفعل فهي رجحان المعنى المعروض وقوله التقرب احتراز عن الريا المحض فانه
لا تقرب فيه الى الله تعالى اصلا وقوله الباعثة احتراز عن القصد للتقرب الى طاعة الله
المساوى للقصد الى غيره وعن القصد للتقرب الى الله تعالى المغلوب بالقصد الى غيره

سبحانه

سبحانه وقوله المتصلة باوله احتراز عن الامل اى ترجى الفعل ونحوه كالوعد به فان
من اراد جزما اى قطعا بلا تردد صلاة الظهر مثلا غدا ونحوها كالعصر والمغرب فامل
اى غير والامل اى ترجى ان يصلي الظهر في غد لا انه ناو ذلك وان اراد ذلك جزما ايضا بشرط الصلاح
له بوجود بقية الشروط كالطهارة ودخول الوقت واستقبال القبلة وبشرط
الاستثناء بان قال ان شاء الله تعالى فغير امل لتلك العبادة ان تكون في الوقت الذي عينه
وغير ناو لها ايضا حتى لا يجوز اى لا يصح شروعها ذكر بتلك الارادة السابقة مع الفاصل
القاطع الدال على الاعراض عن العبادة المرادة وكذا لا يجوز بارادة بعد الشروع في العبادة
لعدم وجود الاتصال المشروط وقوله حقيقة او حكما يعني الارادة المتصلة باول العمل
اتصالا حقيقيا او اتصالا حكميا هي النية كما ذكر ليدخل فيه اى في تعريف النية نية الزكاة
كما قدمناه عند العزل اى عزل ما وجب قال الشيخ الوالد رحمه الله تعالى في شرحه على شرح
الدرر او نية مقارنة لعزل ما وجب عليه اداوه من المال فانه اذا عزل من النصاب قدر
الواجب ناويا للزكاة وتصدق الى الفقير بلا نية سقط زكاته عنه لان الاصل وان كان الاقتران
بالاداء كساير العبادات الا ان الدفع يتفرق فيحرج باستحضار النية عند كل دفع فاكتفى
بوجودها حالة العزل دفعا للحرج كتقديم النية في الصوم وهذا لان العزل فعل منه
فجازت النية عنده بخلاف ما اذا نوى ان يؤدى الزكاة ولم يعزل شيا فجعل يتصدق شيا فشيا
الى اخر الصدقة ولم تحضره النية حيث لم يجزه عن الزكاة لان نيته لم تقترن بفعل ما فلا
تعتبر كذا في التبيين ونية الصوم بعد الغروب اى غروب الشمس كما سبق الى نصف
النهار وفي شرح الدرر الى الضحوة الكبرى لا عندها فان النهار الشرعي من الصبح الى الغروب
والضحوة الكبرى منتصفه فوجب ان توجد النية قبلها لتكون موجودة في اكثر النهار
فتكون موجودة في كله حكما وهذا هو الاصح لا ما قيل الى الزوال لانه منتصف نهار اعتبر
من طلوع الشمس الى غروبها في ادا صوم شهر رمضان وصوم النذر المعين بزمان مخصوص
وصوم النفل والاصل في النية المقارنة للادا وانما جاز التقديم للضرورة والضرورة موجودة
في حق يوم الشك وفي حق المجنون والمغمى عليه اذا افاق نهارا وفي حق المسافر اذا قدم
نهارا ولا تندفع هذه الضرورة الا بجواز النية المتاخرة ولا فرق في ذلك بين المسافر والمقيم
والصحيح والسقيم وبعد الغروب الى طلوع الفجر اى او طلوعه في غيرها اى غير الثلاثة المذكورة
وهي ثلاثة اخرى صوم قضاء رمضان وصوم النذر المطلق وصوم الكفارات وهو
انواع كفارة اليمين والظهار والافطار والقتل خطا وجزاء الصيد وفدية الاذاء
في الاحرام وتاخير نية الصلاة الى حد الركوع عند الامام الكرخي رحمه الله تعالى على وجه
اى في رواية ضعيفة قال في الاشباه والنظاير عن الخلاصة اجمع اصحابنا ان الافضل

فى النية ان تكون مقارنة للشروع ولا يكون شارعا بمتاخرة لان ما مضى لا يقع عبادة لعدم
النية فكذا الباقى لعدم التجزى ونقل ابن وهبان اختلافا بين المشايخ خارجا عن المذهب
موافقا لما نقله عن الكرخى من جواز التاخير عن التحريمة فقيل الى الثنا وقيل الى التعوذ وقيل
الى الركوع والكل ضعيف والمعتمد انه لا بد من القران حقيقة او حكما كما فى الجوهرة لا معتبر
بقول الكرخى والامل الرجا يقال امل خيره يامله املا وكذلك التاميل كذا فى الصحاح وهو اى
الامل الخلق العاشر من الاخلاق الستين من افات القلب المفسدة له وتعريفه انه ارادة
اى الرغبة فى الحياة الدنيا لبقا فيها للوقت المتراخى اى المتطاول المدة بالحكم الالهى وهو
القضا السابق بمقدار العمر فى الدنيا اعنى اى اقصد ذلك بلا استثنا اى قول ان شا الله تعالى
فانه يصير دعا حينيذ ولا شرط صلاح اى نية فعل خير فى المستقبل ولهذا قال ابن الجوزى
الامل مذموم الا للعلما فلولاه ما صنفوا ذكره المناوى فى شرح الجامع الصغير وغوايله
اى الامل يعنى افاته ومفاسده اربعة اشيا الاول الكسل فى الطاعة اى طاعة الله تعالى
بالتثقيل من الفرايض والواجبات والتقاعس عن السنن والمستحبات والتكره
فى اجتناب المحرمات والمكروهات وتاخيرها اى الطاعة بان يخرجها عن الوقت المستحب
او وقت ادايها ولا يهتم بها ولا يحتفل بفعلها فتكون موخرة عنده عن اشغال الدنيا
فلا ياتى بها الا بعد الفراغ من مصالحه والثانى تسويف اى مطل قال سيبويه سوف كلمة
تنفيس فيما لم يكن بعد الا ترى انك تقول سوفته اذا قلت له مرة بعد مرة سوف
افعل ولا يفصل بينها وبين نفعل لانها بمنزلة السين فى سنفعل وقولهم فلان يقتات
السوف اى يعيش بالامانى والتسويف المطل كذا فى الصحاح التوبة من الذنوب بان يوخرها
عن وقت الامكان وتركها اى التوبة راسا والثالث قسوة القلب اى صلابته وشدته بعدم
ذكر الموت وعدم ذكر ما بعده اى الموت من اهوال النزع والقبر والقيامة والرابع الحرص
اى الرغبة والطمع والمكابدة على جمع الدنيا من انواع الاموال والاشتغال بها اى بالدنيا
عن الاخرة فلا يزال الا الامل اى ذو الامل يشتغل ظاهره وباطنه طول عمره بجمع الدنيا وتكثيرها
اى زيادتها وتنميتها خوفا من ضعف الشيخوخة ومقاساة المرض ونحوهما كما بعد
الفقر والحاجة وفا قة اولاده بعده فمنهم من اى من المومليين من يهيى اى يدخر لنفسه
وعياله كفاية عشر سنين من النفقة ومنهم من يدخر كفاية خمسين سنة ومنهم من يدخر
اكثر من ذلك ومنهم اقل منه حتى ان بعض الناس بدمشق الشام سمعت انه فى سنة الغلا
ادخر لنفسه وعياله من جميع انواع ما يوكل شيا كثيرا ثم قال قد استرحنا الان من مونة
الماكل واطمان قلبه فاتفق انه مات بعد ايام فاستخرج كل ما ادخره لتلك السنة وبيع
فى تركته ولم ياكل منه شيا قال مشايخ الصوفية اهل العلم والعمل من اعد من القوت والنفقة

كفاية سنة لعياله ولنفسه لا يلام شرعا ولا عرفا وذكر المناوى فى شرح الجامع الصغير
ان مذهب ابى ذر الغفارى رضى الله عنه انه يحرم على الانسان ادخار ما زاد على حاجته من
المال وفى حياة الحيوان وعن سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى انه قال ليس شى يخبا قوته الا
الانسان والعقعق والنمل والفار وبه جزم فى الاحيا فى كتاب التوكل وعن بعضهم ان
البلبل يحتكر ويقال للعقعق مخابى الا انه ينساها ولا يخرج الانسان الذى اعد كفاية سنة
عن التوكل على الله تعالى بذلك الاعداد والادخار لما روى فى الخبر ان النبى صلى الله عليه وسلم
ادخر لازواجه رضى الله عنهن قوت سنة فلذا اى لاجل ذلك قال بعض الفقها من
الشافعية او غيرهم انه اى الادخار من الحوايج الاصلية للانسان التى لا بد له منها وذلك
القدر المدخر لا يعتبر من الغنى المانع من اخذ الزكاة ونحوه وقد اشار الى هذا الامام نجم
الدين ابو احمد بن الرفعة الشافعى فى شرح التنبيه فى مذهب الشافعية حيث قال
الذى يملك عشرين دينارا لو كان يتجر ودخله من الربح لا يفى بخرجه فهو من المساكين
فى الحال وان كان ما فى يده يكفيه لسنة فالمرعى ان يتمول مقدارا ينتظم له منه دخل يفى
بخرجه على ممر الزمان وان كان لا يحسن تصرفا فالاقرب فى ذلك ان يملك ما يكفيه فى العمر
الغالب والظاهر عندى ان لا يزاد على نفقة سنة وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه كان يدخر لاهله قوت سنة وان المجاعة اذا عظمت لا يدخر الانسان لنفسه وعايلته
الا قوت سنة فيجب التعويل على هذا وان كان الاصح عندنا ان ما زاد على قوت شهر من المال
المدخر يعتبر فى حصول الغنى فلا يجوز له اخذ الزكاة ونحوها قال الشيخ الوالد رحمه الله
تعالى فى شرحه على شرح الدرر رجل اشترى طعاما للقوت بمقدار ما يكفيه شهرا يساوى
مايتى درهم فصاعدا لا باس ان يعطى له من الزكاة لانه مستحق لحاجته وان كان اكثر من
الشهر لا يعطى لان الشهر هو الوسط فيما يدخر الناس لانفسهم قوتا فكان مشغولا بحاجته
واما من لا عيال له اى زوجة واولاد وكل من يمونهم وينفق عليهم لزوما او تبرعا فله ان
يدخر لنفسه قوت اربعين يوما وان كان اقل مدة الاحتكار المكروه اربعين يوما لقوله
صلى الله عليه وسلم من احتكر الطعام اربعين يوما يطلب القحط فعليه لعنة الله والملايكة
والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا فالصرف النفل والعدل الفرض ولا يكره
ولا يكره احتكار الشخص غلة ارضه لان حق العامة لا يتعلق بها الا ترى ان له ان لا يزرع
فكذا له ان لا يبيع كذا ذكره الشيخ الوالد رحمه الله فى شرحه على شرح الدرر فيكون ذلك فى
معنى الادخار اربعين يوما لا الاحتكار وان لم يكن من غلة ارضه ولا من مجلوبه ومعلوم
ان المدخر لنفسه لم يقصد الاحتكار فلا كراهة فيه قال الوالد رحمه الله تعالى وفى الكفاية
هذا اذا كان على قصد الاحتكار وتربص الغلا وقصد الاضرار بالناس اما اذا لم يكن شى

من ذلك فهو محمود لان الكاسب صديق الله وان ادخر زمانا زايدا عليه اى على الاربعين يوما لم يكن
ذلك احتكارا لما ذكرنا ولكنه خرج من التوكل على الله تعالى اقول يعنى مصنف هذا الكتاب
رحمه الله تعالى مرادهم بالتوكل الذى خرج عنه التوكل الكامل الذى هو من اوصاف الكاملين
من اهل الله الصالحين النفل اى المستحب الذى هو ورع فى الدين لا اصل التوكل الفرض الذى
يأثم بتركه لما بينا فى فصل العلم كما سبق من انه يفترض عليه علم احوال القلب من التوكل
والانابة والخشية والرضا فانه واقع فى جميع الاحوال وتقدم الكلام على ذلك واما ارادة
الانسان طول الحياة اى البقاء فى الدنيا بالاستثناء اى قوله ان شاء الله تعالى وبانضمام شرط الصلاح
اى قصد الخير فى المستقبل لزيادة العبادة اى الاكثار منها فليس ذلك بامل مذموم وكيف
يكون مذموما وحكمه خلود المومن فى الجنة بلا نهاية مع ان اعماله متناهية فيجازى بغير
متناه على متناه باعتبار قصده انه يعيش كثيرا فى الدنيا ويعبد الله تعالى على مقدار ما يبقى
فيها ونيته انه لو بقى فيها الى ما لا نهاية له لعبد الله تعالى الى ما لا نهاية له فيجازيه الله تعالى
بغير متناه فعلا على غير متناه حكما جزاء وفاقا والاعمال بالنيات وانما لكل امرء ما نوى
ونظيره خلود الكافر فى النار يوم القيمة بل هو اى هذا الامل مندوب اليه يثاب عليه
فى الاخرة يعنى روى الترمذى باسناده عن ابى بكرة رضى الله عنه ان رجلا قال يا رسول
الله اى الناس خير اى اكثر فضيلة عند الله تعالى واعظم اجرا قال صلى الله عليه وسلم من
طال عمره اى مدة بقايه فى الدنيا ومع طول عمره حسن عمله فى طاعة الله تعالى فان طول
العمر فى طاعة الله تعالى من خلع النبيين والمرسلين واكثر منة يمن الله تعالى بها على
عباده المومنين ثم قال ذلك الرجل فاى الناس شر اى اكثر نقيصة عند الله تعالى واعظم
وزرا قال صلى الله عليه وسلم من طال عمره ومع ذلك ساء اى قبح وخبث عمله فى معاصى الله
تعالى ومخالفاته فان طول العمر فى غضب الله تعالى وسخطه من خلع ابليس والشياطين
والعياذ بالله تعالى وذكر النجم الغزى فى حسن التنبه فى التشبه قال روى الامام احمد باسناد
صحيح وابن حبان والبيهقى عن ابى هريرة والحاكم وصححه عن جابر قالا قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الا انبيكم بخيركم قالوا نعم قال خياركم اطولكم اعمارا واحسنكم اعمالا
وروى ابو يعلى باسناد حسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انبيكم بخياركم قالوا
بلى يا رسول الله قال خياركم اطولكم اعمارا اذا سددوا احدهق يعنى روى الامام احمد
والبيهقى باسنادهما عن جابر رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تتمنوا الموت لانفسكم من نكد معيشة او قلة منصف فان هول المطلع بالتشديد
وصيغة اسم المفعول قال فى المجمل المطلع المأتى يقال اى مطلع هذا الامر اى مأتاه
وفى مختصر القاموس يقال اطلع على باطنه ظهر وعرف وقول عمر رضى الله عنه لا فتديت به

من هول المطلع تشبيها لما يشرف عليه من امر الاخرة بذلك شديد لا اشد منه قال
ابو عبد الله الحارث بن اسد المحاسبى رضى الله عنه فى كتابه الرعاية لحقوق الله عز وجل
وقد روى ان الموت اشد من ضرب بالسيوف ونشر بالمناشير وقرض بالمقاريض
لان ذلك كله انما يالمه البدن بالروح فاذا كان الروح هو المباشر بالاخذ والجذب والنزع
فذلك امر واشد وانما صار المضروب بالسيف وغيره يستغيث ويصيح لان القوى
بعد فيه واللسان مطلق وانما انقطع صوت الميت لان الالم والكرب قد بالغ فيه
وتصاعد وغلب على كل موضع منه فهد كل قوة وكسر كل جارحة وتغشى العقل
وقلص اللسان وابكمه فان فضلت فيه فضل قوة سمعت له خوار الجذب روحه وعلوا
وانينا لروحه وغرغرة لروحه فى حلقه قد تغير لذلك لونه حتى ظهر عليه اصل
لونه الذى منه خلق وعليه طبع فرايت كالتراب على وجهه وجذب كل عرق منه على حياله
حتى ترتفع الحدقتان الى الجفون وتقلص اللسان الى اصله وجفت الشفتان وقلصتا
وارتفعت الانثيان الى الحالبين ومن المراة الثديان حتى لا يبقى الا قلهما وجفت
الاعصاب ويبست فلا تسال عن بدن مجدول تجذب عروقه واعضاوه وينشر ته
حتى يموت عضوا عضوا كل عضو على حياله يجد العضو الباقى الم العضو الميت الماضى
فتخضر انامله واظفاره ثم تبرد ساقاه ثم فخذاه مع سكرات وكرب تغشاه كرب بعد
كرب وسكرة بعد سكرة مع نزعة وجذبة حتى تبلغ الحلقوم فعند ذلك تنقطع المعرفة
عن الدنيا واهلها وتبدو له صفحة وجه ملك الموت فلا تسال عن طعم مرارة الموت وكربه
حين تبالغت فيه الكرب واجتمعت فيه السكرات ويبين ذلك ما روى عن جابر
ابن عبد الله عن النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض الحديث ان نفرا من بنى اسرايل مروا بمقبرة فقال
بعضهم عن بعض لو دعوتم الله ان يخرج لكم من هذه المقبرة ميتا تسالونه فدعوا الله عز
وجل فاذا هم برجل خلاسى يعنى اختلط بياض شيبه بالسواد بين عينيه اثر
السجود وقد خرج من قبر من تلك القبور فقال يا قوم ماذا اردتم منى لقد ذقت
الموت منذ خمسين عاما ما سكنت من قلبى حرارة الموت وروى مكحول عن النبى
صلى الله عليه وسلم انه قال لو ان الشعرة من شعر الميت وضعت على اهل السموات
والارض لماتوا جميعا لان فى كل شعرة الموت ولا يقع الموت ولا يحل بشئ الا مات وروى
ايضا لو ان قطرة من الم الموت وضعت على جبال الدنيا كلها لذابت وروى ان الله عز وجل
قال لابراهيم عليه السلام لما مات يا خليلى منت قال يا خليلى مت فقال ثلاثا وبردها
عليه ثلاثا قال يا خليلى كيف وجدت الموت قال يا خليلى كسفود محمى جعل فى
صوف رطب ثم جذب قال اما انا فقد هوناه عليك وروى ان موسى عليه السلام لما صار

روحه الى الله عز وجل قال له ربه يا موسى كيف وجدت الموت قال وجدت نفسي كالعصفور
حين يقلى على المقلى وهو لا يموت فيستريح ولا ينجوا فيطير وعنه ايضا انه قال وجدت
نفسي كشاة حية تسلخ بيد القصاب وروى عن عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم انه قال
لقد خفت الموت مخافة اوقفتني مخافة الموت على الموت وان من السعادة العبد
ان يطول عمر العبد في الحياة الدنيا ويرزقه الله تعالى مع الانابة اى الرجوع عن حظوظ
نفسه الى طاعة الله تعالى بامتثال الامر واجتناب النهى فاذا مات بعد ذلك جاته
البشرى من الله تعالى ان قد رضى عنه وان له الجنة اليها منقلبه فلا تسال عن فرح
قلبه حينئذ وسروره نفسه وتحقيق رجايه وحسن ظنه بربه وامنه على يديه من
اهوال مبعثه وموقفه ولذلك يقول عز من قايل ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا
تتنزل عليهم الملايكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التى كنتم توعدون فقيل
في التفسير ان ذلك عند الموت تقول له الملايكة لا تخف ما امامك من الاهوال ولا تحزن
على ما خلفت وابشر بالجنة التى كنت توعد فيا له من قلب ما افرحه حين يسمع البشرى
بالجنة من ملايكة ربه عز وجل فهذا يوم راحته وفوزه وسروره ولهذا كان يحمل
وروى انه قيل لبعض العباد على م تحل قال على راحة الموت وروى عن الحسن انه
قال ليس للمومن راحة دون الموت الا في لقاء ربه عز وجل ومن كانت له راحة
في لقا الله عز وجل فكان قدوم الموت عليه هو يوم سروره وفرحه وامنه وعزه وشرفه
ذكره المحاسبى في الرعاية ت يعنى روى الترمذى باسناده عن عمرو بن عنبسة رضى
الله عنه انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من شاب شيبة في الاسلام اى ابيضت
شعرة واحدة من شعر بدنه وهو مسلم كانت له تلك الشعرة نورا يضئ يوم القيمة
د يعنى روى ابو داود باسناده عن عبيد بن خالد انه اى الشان اخى يقال اخاه
مواخاة واخا والعامة تقول واخاه وتاخيا على تفعلا تفاعلا وتاخيت اخا اى اتخذت
اخا كذا في الصحاح رسول الله صلى الله عليه وسلم بين رجلين من الصحابة رضى الله عنهم
في الغزوة ليكونا متعاونين على البر والتقوى ونصرة الحق فقتل احدهما في تلك
الغزاة ومات الاخر بلا قتل بعده بجمعة اونحوها فصلينا عليه اى على الذى مات
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قلتم يعنى في صلاتكم عليه فقالوا دعونا الله تعالى
له وقلنا في ذلك اللهم اى يا الله اغفر له ذنوبه والحقه بصاحبه في مرتبة الشهادة التى
حصلت لصاحبه دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاين صلاته يعنى صلاة
الذى مات بعد صلاته اى صلاة الذى قتل فان الذى مات قد عاش بعد الذى قتل
بجمعة فاين صلاته التى زادت على صلاة المقتول بجمعة واين صومه الذى صامه

الميت قضا

ذلك م

قضا ان كان في رمضان او نفلا في غيره بعد صومه اى صوم المقتول شك شعبة
رحمه الله تعالى في قوله وصومه بعد صومه هل هى من قول النبى صلى الله عليه وسلم
او من زيادة الراوى واين عمله اى الذى مات بعد عمله اى المقتول فان بينهما اى بين الميت
الزايد عملا والمقتول الانقص منه اى بين الصلاتين والصومين والعملين من التفاوت
ما بين السما والارض من الرفعة والانخفاض فدل الحديث على ان طول العمر ولو بجمعة
او يوم افضل من قصره بنحو ذلك لكثرة الاعمال الصالحة فيه وسبب الامل
اى الموصل اليه المقتضى له ثلاثة امور الاول حب الدنيا فان من احبها استلذ بذكرها
ومرورها في خاطره فينسى الموت ويصير قاطعا بدوام البقا ولو مدة يسيرة
وذلك هو البقا الامل والثانى الغفلة والذهول عن قرب الموت ودنوه منه لاستغراق
القلب بشهواته والثالث الاغترار من غره يغره غرا وغرا وغرة بالكسر خدعه
واطمعه بالباطل كذا في مختصر القاموس بالصحة اى العافية والقوة والشباب وهو
الحداثة وكذلك الشبيبة وهو خلاف الشيب يقال شب الغلام يشب بالكسر شبابا
وشبيبة واشبه الله كذا في الصحاح وعلاجه اى دوا الامل ازالة اسبابه الثلاثة
المذكورة فيزول الها كلها عن العبد يزول الامل ويتهيى للموت في كل نفس اما حب الدنيا
فسيجى بيانه ان شا الله تعالى في محله من هذا الكتاب واما البواقى وقياسه الباقيات
ولكن لما اشتمل كل منهما على انواع من ذلك جا بصيغة الجمع فالغفلة جزيية وكلية وضعيفة
وقوية والاغترار كذلك فبالمداومة على ذكر الموت من غير فتور عنه وذكر قربه من العبد
وذكر مجيه بغتة البغت ان يفجاك الشى تقول بغته اى فاجاه ولقيته بغتة اى فجاة
كذا في الصحاح على حين غفلة منه وفي الرعاية للمحاسبى في مباشرة الذكر القلب يذكر
الموت قال تفرغ قلبك حتى تذكره من ذكر كل شى الا من ذكره فاذا ذكرته كذلك باشر
ذكره قلبك اذ لا شى فيه غيره ولن تلبث ان يتبين ذلك عليك في بدنك كما وصف الله عز وجل
قلب ام موسى حين فرغ من كل شىء الا من ذكر موسى ثم قال ان كادت لتبدى به قال تقول
وابناه فاخبر ان فوادها لما فرغ من كل شى الا من ذكر موسى كادت ان تبدى به فيكون في ذلك
ما تحاذر وما يهلكه فكيف لا يظهر ولا يتبين على من فرغ قلبه الا من ذكر الموت وما يرجوا
منه وفيه نجاته فمن فرغ قلبه من ذكر كل شى الا من ذكر الموت غلب على قلبه من الهم والحزن
والغم ما يكاد يجد طعم الموت منه كما روى عن عيسى عليه السلام انه قال لقد خفت الموت
خوفا اوقفنى خوفى من الموت على الموت فمن باشر ذكر الموت قلبه انكسر عن الدنيا
فواده وقل فيها سروره وفرحه وندم كما قال ابو الدردا من باشر ذكر الموت قلبه قل
في الدنيا حسره وسروره وفرحه وبالمداومة على ان الصحة من الاسقام والشباب اى

فقال تعالى واصبح فواد ام موسى فارغا فارغا قال من كل شى الا من ذكر موسى صح

حداثة السن لا يمنعه اى الموت بل موت الشبان اكثر فى بعض الاحيان من موت الشيوخ
خصوصا بمرض الطاعون ونحوه من الامراض الدموية السايرة فى الشبان اكثر من الشيوخ
كما ان موت الصبيان فى بعض الازمان ايضا اكثر من موتهما اى الشبان والشيوخ
قال النجم الغزى رحمه الله تعالى فى حسن التنبه فى التشبه فعلى الشاب ان يغتنم
ايام الشباب والصحة عملا بقوله صلى الله عليه وسلم لرجل وهو يعظه اغتنم خمسا قبل
خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك
وحياتك قبل موتك صححه الحاكم من حديث ابن عباس على شرط الشيخين ومهما حصلت
من الشاب زلة فلا ينبغى له التمادى فى الضلال وتاخير التوبة بل يبادر اليها
فانه ربما اخذ على غرة فجاة وليعتبر بمن يموت شابا وليس كل الاموات شيوخا
بل اكثرهم غير الشيوخ ولا شك ان من اهل النار شيوخا ومنهم شبانا وكم من صحيح
فى بدنه يموت فجاة او بمرض سريع ويبقى المريض الذى اشرف على الموت حيا بعده
اى بعد ذلك الصحيح الذى مات سنين كثيرة وهو معروف واقع بين الناس ومن
اقوى علاجه اى الامل استماع بقراته او قراة غيره ما ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم
فى مدح ذكر الموت وفى ذم طول الامل وقد ذكرهما المصنف رحمه الله تعالى حيث
قال هذا مدح ذكر الموت وفيه خمسة احاديث الاول دنيا يعنى روى ابن ابى الدنيا
باسناده عن انس رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثروا من
ذكر الموت اى تذكره او النطق به فانه اى ذكر الموت يمحص الذنوب اى يمحوها ويزيلها
باعتبار ما يوجب من الخوف والندم والفرار الى الله تعالى والتوبة والاستغفار ويزهد
الناس اى يحملهم على الزهد فى الدنيا اى الاعراض عنها بالقلب الحديث الثانى مج يعنى
روى ابن ماجة باسناده عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم فى تشييع جنازة لبعض الصحابة رضى الله عنهم فجلس النبى صلى الله
عليه وسلم على شفير اى حافة القبر وفى مختصر القاموس الشفير ناحية الوادى
من اعلاه وفى المجمل شفير كل شى حرفه كالنهر وغيره فبكى صلى الله عليه وسلم بكاء شديدا
حتى بل الثرى اى التراب من دموعه مقابلة منه صلى الله عليه وسلم بكمال الحزن لما كشف
له من تلك الحضرة التى تجلى عليه الحق تعالى بها فى مقام الموت والقبر لاعطاء كل
حضرة الهية ما تقتضيه من الحقوق لانه الانسان الكامل صلى الله عليه وسلم وليس
بكاؤه حزنا من الموت واشفاقا على نفسه وتاسفا على مفارقة الدنيا فان هذا الامر
بعيد من احوال الكاملين ثم قال صلى الله عليه وسلم يا اخوانى لمثل هذا يعنى الموت وما
يكشف لمن حل به من الامور الالهية والتجليات الربانية فاعدوا اى تهيئوا واستحضروا

ولانها ونواهيه الحديث الثالث طب يعنى روى الطبرانى باسناده عن عمار رضى الله عنه
ان النبى صلى الله عليه وسلم قال كفى بالموت واعظا اى حسب الموت ان يكون واعظا للانسان
يامره بالطاعات لمولاه الباقى وينهاه عن معاصيه وفى كتاب سجون المسجون
للشيخ الاكبر محى الدين ابن العربى قدس الله سره قال اذا اشتبه عليك امر فلم تعلم
هل هو مما يجب ان ترغب فيه او عنه فاخطر ببالك حضور باعث الموت اذ لا
محيص عنه ولا مهلة فان كان ذلك الامر مما يبقى معك فى ذلك الان فابق معه او
مما يفارقك ففارقه انتهى فالموت كاشف لك عن مشكلات الدين فهو واعظ لك
ناصح على كل حال وكفى باليقين بالله تعالى انه حافظ رازق هادى الى غير ذلك من
اسمايه تعالى الجارية على مقتضى حاجات النفوس غنى لا فقر معه الى غيره كما
قال تعالى اليس الله بكاف عبده الحديث الرابع حب يعنى روى ابن حبان باسناده
عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثروا
يا معشر المومنين ذكر اى تذكر او النطق بلفظ هاذم بالذال المعجمة اى قاطع
قال فى المجمل الهذم القطع ويقال سيف مهذم مثل مخذم وهذام اى قاطع
اللذات جمع لذة والمراد بها الشهوة الحاصلة بسبب الحياة الدنيا من شهوة
ماكل ومشرب وملبس ومركب ومنكح ومسكن ونحو ذلك فان الموت يقطعها
كلها ويستانف لذات اخرى غيرها لمن كان من اهل السعادة او يبدلها بالالام
او يبدلها بالالام والاوجاع لمن كان من اهل الشقاوة يعنى الموت تفسير من الراوى
فانه اى الموت ما ذكره احد وهو فى ضيق من امور الدنيا ومصايبها الا وسعه
بالتشديد اى جعل ذلك الضيق واسعا حيث يذهب عنه وينشرح له الصدر
ويتبدل الحال القبيح بالحال الحسن ولا ذكره احد وهو فى سعة من احوال
الدنيا وشهواتها العاجلة ولذايذها الفانية الا ضيقها اى جعل تلك السعة
ضيقا وذلك البسط قبضا وتلك الافراح اتراحا عليه اى على ذلك الحديث الخامس
دنيا طص يعنى روى ابن ابى الدنيا والطبرانى فى المعجم الصغير عن ابن عمر رضى
الله عنهما انه قال قال اتيت النبى صلى الله عليه وسلم حادى عاشر رجال عشرة
اى واحدا من عشرة فقام رجل من الانصار رضى الله عنهم فقال يا رسول الله
من اكيس الناس اى اكثرهم كياسة والكيس خلاف الحمق رجل كيس ورجال
اكياس كذا فى المجمل والمراد به المسرع النشيط الى تحصيل ما ينفعه عند الله تعالى
وعند الخلق ومن احزم الناس من الحزم وهو جودة الراى وفى مختصر القاموس
الحزم ضبط الامر والاخذ فيه بالثقة كالحزامة قال صلى الله عليه وسلم اكثرهم

ذكر

اى اكثر الناس ذكرا للموت اى تذكراله اونطقا به واكثرهم استعدادا اى تهيئة
للموت بايفاء الحقوق الواجبة عليه للحق وللخلق واستبرا الذمم منهم فى كل ما
ظلمهم وتحسين السريرة والعلانية على طبق ما يرضى به الله تعالى واتخاذ
الكفن والقبر لنفسه قال الشيخ الوالد رحمه الله تعالى فى شرحه على شرح
الدرر ومن حفر لنفسه قبرا قبل موته فلا باس به ويوجر عليه هكذا
عمل عمر بن عبد العزيز والربيع بن خيثم وغيرهم كذا فى التاتارخانية لكن
فى جامع الفتاوى ان عمر رضى الله عنه راى رجلا عنده مسحاة يريد ان يحفر
قبرا لنفسه فقال رضى الله عنه لا تعد قبرا لنفسك واعد نفسك للقبر
انتهى ولعل وجهه معارضة قوله تعالى وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا
وما تدرى نفس باى ارض تموت اولئك اى المذكورون هم الاكياس جمع
كيس اى انا شطون الى العمل الصالح المسرعون الى راحة الاخرة بالتقوى
ذهبوا اى فازوا وظفروا واستشرف الدنيا من جهة عزهم بتقواهم فيها ومراعاتهم
مرضاة ربهم وكرامة الاخرة اى مراتبهم العالية فيها مع النعيم المقيم هذا
ذم اى تقبيح وتخبيث طول الامل فى الحياة الدنيا للعبد المومن وهو مشتمل
على ثلاثة احاديث الاول دنيا هق يعنى روى ابن ابى الدنيا والبيهقى باسنادهما
عن ام المنذر انه اطلع اى ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات عشية قال الجوهرى
فى الصحاح واما قولهم ذات مرة وذو صباح فهو من ظروف الزمان التى لا تتمكن
تقول لقيته ذات يوم وذات ليلة وذات غداة وذات العشا وذات مرة وذات
الزمين وذات العويم بالتصغير فى الزمان والعام وذات صباح وذات مسا
وذات صبوح وذات غبوق فهذه الاربعة للاربعة بغيرها وانما سمع
فى هذه الاوقات ولم يقولوا ذات شهر ولا ذات سنة الى الناس فقال يا ايها
الناس الا تستحيون من الله سبحانه وتعالى اى يا خذكم الحياء وهو انقباض
النفس منه سبحانه قالوا اى الناس وما ذلك اى عدم الاستحياء من الله تعالى
يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم تجمعون من الاموال الكثيرة ما لا تاكلون
وتاملون اى تتمنون وترتجون من مناصب الدنيا وشهواتها ما لا تدركون
لعدم نهاية ما تؤملونه فكل واحد يومل ما هو اعلى مما هو فيه فاذا ادرك
ذلك واطمانت نفسه به امل ايضا ما هو اعلى مما هو فيه وهكذا فلا يدرك ما
يومله لعدم الانحصار فى امر واحد وتبنون من البيوت والقصور ما لا
تسكنون مما هو زايد على حاجتكم الضرورية وما تموتون وتتركونه لغيركم

ن حفر لنفسه قبرا قبل موته فلا باس ويوجر عليه

وهذا كله ان كان من مال حلال بقصد مباح فان كان من مال حرام او بقصد معاطاة
حرام فيه فلا شبهة فى الحرمة وشوم ذلك على صاحبه قال الشيخ عبد الرءوف
المناوى فى شرح الجامع الصغير وفى الحديث اتقوا الحجر الحرام فى البنيان
فانه اساس الخراب والمراد خراب الدين او الدنيا بقلة البركة وشوم البيت
المبنى به او اساس خراب البنا نفسه بان يسرع اليه الخراب فى امد قريب ولو
لم يبن به لم يخرب سريعا بل يطول بقاوه لينتفع بغلته من بعد بانيه قال
الزمخشرى مكتوب فى الانجيل الحجر الواحد فى الحايط من الحرام عربون الخراب
وقال وهب بن منبه وجدت فى بعض كتب الانبيا عليهم السلام من استغنى
باموال الفقرا جعلت عاقبته الفقر واى دار بنيت بالضعفا جعلت
عاقبتها الخراب وورد فى غير ما اثران البنا اذا كان من حرام لم يطل تمتع
صاحبه به بل فى خبر رواه الحاكم من حديث امير المومنين المرتضى ان
لله عز وجل بقاعا تسمى المنتقمات فاذا كسب الرجل المال من حرام سلط
الله عليه الما والطين ثم لا يمتعه به وذهب بعضهم الى ان المراد بالبنيان
كل امر اسسه وبناه من دينه ودنياه اذا كان امداده وانفاقه من حرام
افمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير ام من اسس بنيانه على شفا
جرف هار الحديث الثانى دنيا طب نعيم هق يعنى روى ابن ابى الدنيا والطبرانى
وابو نعيم والبيهقى باسنادهم عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه انه اى الشان
اشترى اسامة بن زيد من زيد بن ثابت رضى الله عنهما وليدة اى جارية
وجمعها ولايد بماية دينار من ذهب موجلة عليه الى مضى شهر قال ابو سعيد
رضى الله عنه فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الا تعجبون من
اسامة بن زيد المشترى تلك الجارية الى شهر ان اسامة لطويل الامل فى
الحياة الدنيا والذى نفسى بيده قسم منه صلى الله عليه وسلم بربه ما طرفت
عيناى طرف بصره يطرف طرفا اذا اطبق احد جفنيه على الاخر الواحدة من
ذلك طرفة يقال اسرع من طرفة عين كذا فى الصحاح الا ظننت ان شفرى تثنية
شفر بالضم اصل منبت الشعر فى الجفن كذا فى مختصر القاموس لا يلتقيان
بحيث ينطبقان على العين حتى يقبض الله تعالى روحى فاموت فى مقدار طرفة
عين ولا رفعت طرفى اى الاعلى والطرف هو العين ولا يجمع لانه فى الاصل مصدر
يكون واحدا ويكون جماعة وقال تعالى لا يرتد اليهم طرفهم كذا فى الصحاح وظننت
انى واضعه الى الاسفل حتى اقبض بالبنا للمفعول اى يقبض الله تعالى روحى

فى الحديث اتقوا الحجر الحرام فى البنيان فانه اساس الخراب

فاموت في الحال ولا لقمت اي وضعت في فمي لقمة من الماكل الا ظننت
اني لا اسيغها ساغ الشراب سوغا سهل مدخله وسغته اسيغه لازم
متعد كذا في مختصر القاموس حتى اغص بها اي اشرق ولا ادخلها في حلقي
من سرعة ملاقاة الموت لي وهجومه علي ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم
يا بني ادم ان كنتم تعقلون اي من اهل العقل فعدوا اي احسبوا وافرضوا
انفسكم من جملة الموتى الذين تقدموا عليكم لانكم صايرين الى ما هم فيه
وذايقون من الموت ما ذاقوا وحق الذي نفسي بيده يقلبها كيف شاء
وهو الله تعالى انما توعدون بالبنا للمفعول اي يعدكم الله تعالى من وقوع
الموت بكم في قوله سبحانه قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم وغير
ذلك ايضا من الوعد والوعيد لات اي حاضر لكم مهيا لكم لا براده عليكم
وما انتم في وقوع ذلك بكم بمعجزين بممتنعين عنه قال تعالى اينما
تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وفي الرعاية للامام
المحاسبي روى عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما ان ابراهيم
صلى الله عليه وسلم كان رجلا غيورا وكان له بيت يتعبد فيه فاذا
خرج اغلقه فاغلقه ذات يوم وخرج ثم رجع فاذا هو برجل في جوف
البيت فقال من ادخلك داري فقال ادخلنيها ربها قال انا ربها قال
ادخلنيها من هو املك بها مني ومنك قال فمن انت من الملايكة قال انا ملك
الموت قال يا ملك الموت اتستطيع ان تريني الصورة التي تقبض فيها نفس
المومن قال نعم فاعرض عني فاعرض عنه ابراهيم ثم التفت اليه فاذا هو
شاب فذكر من حسن وجهه وحسن ثيابه وطيب ريحه قال يا ملك
الموت لو لم يلق المومن عند الموت الا صورتك كان حسبه من ذلك ثم قال
يا ملك الموت اتستطيع ان تريني الصورة التي تقبض فيها نفس الفاجر
او الكافر قال لا تطيق ذلك يا ابراهيم قال بلى قال فاعرض عني فاعرض
عنه ابراهيم ثم التفت فاذا هو اسود قايم الشعور اسود الثياب منتن
الرايحة يخرج من فيه ومناخره لهيب النار والدخان فغشي على ابراهيم
عليه السلام ثم افاق وقد عاد ملك الموت الى صورته الاخرى فقال يا ملك
الموت لو لم يلق الفاجر عند موته الا صورة وجهك هذه كان حسبه ذلك
وروى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان داود عليه السلام كان رجلا غيورا
فكان اذا خرج غلق الابواب وغلق الابواب ذات يوم وخرج فاشرفت

امراة

امراة من نسايه فاذا هي برجل في الدار فقالت من ادخل هذا الرجل لين
جا داود ليلقين منه عنتا فجا داود فراه فقال من انت قال انا الذي
لا اهاب الملوك ولا يمنع مني الحجاب قال فانت اذا والله ملك الموت
قال فرمل داود عليه السلام مكانه وروى ان عيسى بن مريم عليه السلام
مر بجمجمة فضربها برجله وقال تكلمي باذن الله فقالت يا روح الله انا
ملك زمان كذا وكذا بينا انا جالس في ملكي على تاجي على سرير ملكي حولي
جنودي وحشمي اذ بدا لي ملك الموت فزال كل عضو مني على حياله ثم خرجت
نفسي اليه فيا ليت ما كان من تلك الجموع كانت فرقة ويا ليت ما كان من
ذلك الانس كان وحشة الحديث الثالث د نيا يعني روى ابن ابي الدنيا عن
الحسن رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكلكم الهمزة
للاستفهام يحب ان يدخل الجنة في يوم القيمة قالوا نعم يا رسول الله قال صلى
الله عليه وسلم قصروا الامل اي اجعلوه قصيرا ولا تطيلوه في الحياة الدنيا
واجعلوا اجالكم اي اوقات موتكم بين ابصاركم بحيث لا تغفلون عنها
فان اعمالكم تزكوا حينيذ فتصلحون لدخول الجنة واستحيوا من الله حق
الحيا اي الحيا التام وهو مراقبة الله تعالى في الاعمال كلها وشهوده تعالى على
كل حال واما حكم الامل في الشريعة فقد اشار اليه بقوله فالامل المذكور ان كان
للتلذذ اي تلذذ النفوس بالمحرمات كان ينوي شرب الخمر واستماع الملاهي على
ذلك والظلم فحرام على كل مكلف والا بان كان لاجل التلذذ بالمباحات فليس
بحرام ولكنه مذموم جدا اي ذما قويا ولو وصلية كان اي الامل لتكثير
الطاعات والعبادات بان امل حصول الدنيا ليستغني فيتصدق ويفعل
الخيرات للافات وهي الغوايل الاربعة السابقة في اوايل بحث الامل الكسل
في الطاعة وتاخيرها وتسويف التوبة وتركها وقسوة القلب بعدم
ذكر الموت وما بعده والحرص على جمع الدنيا والاشتغال بها عن الاخرة
ولانه اي الامل يستلزم الطمع المذموم في الشرع وهو الطمع في الدنيا وشهواتها
بخلاف الطمع في الدين والتقوى وتحصيل الخيرات فانه لا قناعة في الاعمال
الصالحة وهو اي الطمع المذموم معناه ارادة الحرام من كل شي الملذ اي الذي فيه
لذة للنفس او ارادة الشي المخاطر بصيغة اسم الفاعل اي الموقع في الخطر
لجره الى الخطر وهو بالتحريك الاشراف على الهلاك اعني اي اقصد بالشي المخاطر
النوافل من العبادات اذا كانت موصلة الى العجب والتكبر فيمن لم يوفق

والمباحات من امور الدنيا لايصالها الى نسيان الاخرة وهو اى الطمع المذموم
الخلق الحادى عشر من الاخلاق الستين من افات القلب اى مفاسده
التى تهلكه هق حك يعنى روى البيهقى والحاكم باسنادهما عن سعد
ابن ابى وقاص رضى الله عنه انه اى الشان جا رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله اوصنى قال عليك بالاياس اى الزمه وهو القنوط وقطع
الامل مما اى من الاموال التى فى ايدى الناس فلا ترجى منهم ان يعطوك
شيا منها واياك والطمع اى احذر منه وتباعد عنه فانه اى الطمع الفقر
اى الاحتياج النفسانى والاضطرار المطلق الحيوانى الحاضر المهيى المعجل
والمعجل وصل فى كل ما شرعت فيه من الصلوات المفروضة وغيرها صلاة
انسان مودع للصلاة اى موفق بمفارقتها وعدم العود اليها فان من كان
كذلك فانه يتقن الصلاة غاية ما فى جهده لانها اخر صلاته واياك وما اى
القول او الفعل الذى يعتذر منه بالبنا للمفعول اى يحتاج الانسان ان ياتى
بالعذر منه لغيره اذا صدر بسببه من الانسان فى حق ذلك الغير نقص او
هضم جانب او اساءة ادب اى تباعد عن اتيان مثل ذلك فانك تحتاج الى الا
عتذار عنه لغيرك بعد وقوعه فربما يقبل ذلك الغير عذرك وربما لا يقبله وقد
اشار الى حكم الطمع بقوله فطمع الانسان فى الشى الحرام عليه حرام عليه ذلك الطمع
فيه وطمع الانسان فى الشى المخاطر اى الموصل الى الخطر من النوافل والمباحات
ليس بحرام لان ما طمع فيه ليس بحرام بل ربما اوصل الى الحرام لان صاحبه على
خطر الحرام ولكنه اى الطمع فى الشى المخاطر مذموم جدا اى ذما قويا فربما اوقع
فى الحرام واقبح انواع الطمع المذموم الطمع فى تحصيل شى من الناس وهو اى
الطمع المذكور ذل اى حقارة وهوان فى نفس الانسان اذا قابل المطموع فيه
من الاغنيا والاكابر ينشا ذلك الذل اى يتولد فى الانسان من شره الحرص
اى المحافظة الى بالقلب على طلب الدنيا ومن البطالة اى عدم اشتغال القلب بخدمة
الرب سبحانه ومن الجهل اى عدم العلم بحكمة الله تعالى الكاينة فى الحاجة اى
احتياج الانسان الى التعاون من الناس فى بعضهم بعضا فان الله تعالى
بعظيم حكمته قسم الناس الى خادم ومخدوم والمخدوم ايضا خادم من وجه
والخادم مخدوم من وجه ايضا فالخادم ارباب الصنايع يخدم بعضهم بعضا
بصنايعهم ويخدمون من لا صنعة له ايضا والعساكر يخدمون الا صرا
والاعدا بتبليغهم الحق والرعايا بالمقابلة عنهم والمخدوم الاكابر والاعيان

في كل

فى كل طبقة من طبقات الناس وهم يخدمون الخادمين ايضا كالملوك
يخدمون الرعايا بالتدبير والحماية والقضاة والامرا يخدمون الناس بفصل
القضايا والعلما يخدمون الناس ببيان الاحكام والنصيحة فمن علم حكمة الله
تعالى فى احتياج الناس الى التعاون ببعضهم بعضا ترك الطمع فيما عند غيره
من الناس لعلمه بحاجة الغير اليه كما هو محتاج الى الغير وضد الطمع المذموم
التفويض الى الله تعالى وهو ارادة ان يحفظ الله تعالى عليك مصالحك كلها
الدنيوية والاخروية فيما اى فى الامر الذى لا تامن فيه الخطر اى الاشراف على الهلاك
لوجود ذلك فيه اعنى النوافل والمباحات المشتملة على ذلك فان كان فيه
اى فى التفويض صلاحك فى الامور يسرك الله تعالى معه اى سهل عليك
كل خير والا بان كان لا صلاح لك فيه منعك الله تعالى معه من كل خير فاذا
فوضت امرك الى الله تعالى وكان فى التفويض اليه صلاح احوالك عنده سهل
الله تعالى عليك ويسر لك كل خير واذا لم يكن صلاحك فى التفويض منعك الله
تعالى به من كل خير قال الله تعالى حكاية عن مومن ال فرعون وهو اسمه ايلى او غريب
موحد وقيل موسى كما اشار اليه البيضاوى وافوض امرى اى شانى كله الى الله
ليعصمنى من كل سوء ان الله بصير بالعباد فيحرسهم ويعطيهم ما يريد فوقاه
الله سيات ما مكروا اى ال فرعون والمكر الخديعة انظر يا ايها الانسان كيف عقب
الله تعالى فى كلامه القديم التفويض اليه سبحانه بالوقاية حيث كان فى الكلام
فا التعقيب وهو اى التفويض مقام يقام فيه العبد بتوفيق الله تعالى وحسن
عنايته شريف لصاحبه مزية على غيره يدل على حسنه النقل كما ورد فى
الايات والاحاديث والعقل ايضا فان العبد العاجز عن التاثير فى كل شى
لا يليق به الا التسليم وايكال الامور كلها الى مولاه القادر المؤثر فى كل شى،

المبحث السادس من المباحث السبعة فى بيان امور مترددة
بين الريا والاخلاص الذى هو ضده او مترددة بين الريا والحيا اى الاستحيا
من الله تعالى يدخل فى كلا الجانبين اى جانب الريا او جانب الاخلاص وكذلك
فى جانب الريا او جانب الحيا تلبيس اى تغليط وتدليس ابليس وهو الشيطان
قال فى مختصر القاموس ابلس يبس وتحير ومنه ابليس فلنقدم على بيان
الناس هذه الثلاثة بعضها بعض مقدمة لها فى بيان كيفية دفع شر
الشيطان الموكل بكل انسان وابطال حيله وتشتد اليها اى الى هذه المقدمة
الحاجة اى حاجة كل مكلف فى امر التقوى لله تعالى فى جميع مجاريها اى التقوى

خصوصا في الاخلاص في الاعمال فنقول في بيان ذلك فنقول وبالله لا بغيره
التوفيق الى سلوك طريق التحقيق المذهب المختار عند ايمة السلوك في
الصراط المستقيم فيه اي في دفع شر الشيطان وحيله الجمع بين الاستعاذة
بالله تعالى من شره باللسان والمحاربة بالقلب فنستعيذ اي نطلب الاستعاذة
بمعنى الحماية والحفظ بالله تعالى اولا اي قبل المحاربة من شره المتعدي الينا
بالوسوسة كما امر الله تعالى به حيث قال سبحانه واذا قرأت القران فاستعذ
بالله من الشيطان الرجيم فان الشيطان كلب سلط اي سلطه الله تعالى علينا
ليستفز من استطاع منا ويجلب علينا بخيله ورجله فعلينا الرجوع
اي الالتجا الى ربه الذي خلقه واضله ليجعله سببا لاضلال غيره ليصرفه
عنا كما سلطه علينا فانه بيده يقلبه كيف شاء ثم نحاربه ثانيا حيث نستخف
اي نتهاون بدعوته لنا الى السو ولا نلتفت اليها وننفيها من خاطرنا
اي نجحدها وننكرها كلما وردت منه علينا ولا نشتغل بالمحاربة له بقلوبنا
اولا والجواب عن دعوته ووسوسته فانه اي الشيطان بمنزلة الكلب النابح
من النباح وهو صوت الكلاب كلما اقبلت عليه لتزجره عن نباحه ولج بك
كوجل ولعا محركة استخف واولعه به اغراه به كذا في مختصر القاموس
ولج اي استطال بالنباح عليك وان اعرضت عنه وتشاغلت عن الالتفات
اليه سكت عنك فان اعرضنا عن الشيطان وتشاغلنا بغيره ولم يسكت
عنا وعن الولع بنا بوسوسته بل تغلب علينا بالتسويل والوسواس
علمنا انه اي الشيطان ابتلا اي امتحان من الله تعالى لنا ليبرى بالبنا المفعول
اي يرى الله تعالى الناس صدق مجاهدتنا في انفسنا الجهاد الاكبر وقوتنا
على دفع شر عدونا الشيطان كما ان الله تعالى سلط علينا اعدانا الكفار المحاربين لنا مع قدرته سبحانه على كفاية امرهم ودفع شرهم عنا من
غير مخاصمة ولا محاربة ولا مجادلة ولكن انما فعل ذلك سبحانه ليكون لنا
حظ اي نصيب من الجهاد الاصغر ومن الصبر على مقاساة كيد الكفار
ومعاناة حرب الاشرار قال الله تعالى ام حسبتم يا ايها المؤمنون ان
تدخلوا الجنة التي وعدكم ربكم والحال انه لما اي لم ولكن نفي لما متصل
بالحال ولم نفيها منقطع يعلم الله عندنا اي بالنسبة الى ظهوره لنا في
شهودنا له وهو عالم من الازل ولكن بالنسبة اليه تعالى من حيث رتبته
الغيبية الذين جاهدوا الجهاد الاكبر او الجهاد الاصغر منكم يا معشر

المومنين

المومنين ويعلم الصابرين على مقاساة كيد نفوسهم التي هي اعداوهم ال
الباطنية وكيد الكفار الذين هم اعداوهم الظاهرية وايضا كما ان الشيطان
بمنزلة الكلب النابح فلا نشتغل بالمحاربة والجواب له فقط من دون الاستعاذة
اولا وهي ذكر الله تعالى فانه قد يشتبه علينا خاطر يخطر في بالنا لا ندري انه
شر من الشيطان القاه لنا او خير من غيره اي غير الشيطان كالملك والرب
والشيخ فان الخاطر الرباني والخاطر الملكي وخاطر الشيخ كلها خير فعلينا
المحاربة بالاحتجاج والمدافعة في ذلك الخاطر والقهر للنفس في كفها عنه
وتباعدها منه والدوام اي المداومة على ذكر الله تعالى باللسان في اي ذكر
كان كالتهليل والتكبير والتسبيح والتحميد فبأي من ذلك بما يجد نفسه
تتأثر به وتخشع له والقلب باجراء ذلك عليه او الفكر في جلال الله ومعرفة
وساوسه اي الشيطان اي ما يوسوس به من الشر الذي يلبسه بالخير والخير
الذي يريد به الشر ومعرفة مكايده اي ما يكيد به الانسان من زخرفة الدنيا
في عينه وتزيين الباطل لنفسه فلا بد اولا اي قبل الشروع في شي من ذلك المذكور
من معرفة منشأ اي موضع انشا الخواطر فيه ومن تمييز خيرها اي الخواطر
من شرها فيفرق بين ما هو الخير منها وما هو الشر اما الخواطر نفسها فهي اثار
جمع اثر يجدثها الله تعالى في قلب العبد المكلف وغيره تبعثه اي تحمله باختياره
على الافعال وعلى التروك في الخير والشر وهي جمع ترك بمعنى الكف وهو فعل
في المعنى ولهذا كلف به ويثاب عليه بخلاف الترك بمعنى العدم فانه غير مكلف
به فلا ثواب فيه قال في الاشباه والنظاير ترك المنهي عنه لا يحتاج الى نية
للخروج عن عهدة المنهي واما لحصول الثواب بان كان كفا وهو ان تدعوه النفس
اليه قادرا على فعله فيكف نفسه عنه خوفا من ربه فهو مثاب والا فلا ثواب
على تركه فلا يثاب على ترك الزنا وهو يصلي ولا يثاب العنين على ترك الزنا ولا الاعمى
على ترك النظر المحرم اما ابتدا اي من غير واسطة شي مطلقا فيقال له الخاطر
فقط اي لا اسم له غير ذلك وهو مشتق من خطر اذا مر بسرعة وانقضى وعلامته
اي الخاطر كونه قويا بلا ضعف فيه مصمما من التصميم وهو المضي في الامر
بمعنى من غير تردد فيه وكونه في الاصول اي اصول الدين وما تبنى عليه الشرايع
من قطعيات الاعتقادات وفي الاعمال الباطنة كالزهد وضده والصبر وضده
وكذلك التوكل والتفويض ونحو ذلك مع اضدادها وعلامته ايضا ان يكون
خيرا اذا كان عقيب اجتهاد اي بذل جهده في رضا ربه وعقيب طاعة صورة

منه لربه سبحانه اكراما من الله تعالى له بذلك فيسمى ذلك الخاطر حينئذ هداية
من الله تعالى للعبد وتوفيقا له ولطفا به وعناية اى اعتنا به قال الله تعالى
والذين جاهدوا فينا اى بذلوا جهدهم فى امتثال اوامرنا واجتناب نواهينا
لنهدينهم سبلنا اى طرقنا الموصلة الينا وذلك بان يعقب ذلك خواطر هداية
وتوفيق ولطف وعناية فيعلمهم كيف الوصول اليه ويدلهم به عليه فيكشف
لهم عما استتر على غيرهم فيعرفونه ذوقا وشهودا ويستغنون عن حكايته
وقال تعالى والذين اهتدوا اى عملوا بطاعته وامتثلوا احكامه شرعه
زادهم هدى بان اعقب ذلك فيهم خواطر حسنة تدلهم على كيفية القرب اليه
سبحانه وتوصلهم الى شهوده ذوقا وكشفا او ان يكون شرا اذا كان عقيب
ذنب صدر من ذلك العبد كبيرة كان او صغيرة اهانة لذلك العبد من الله
تعالى واحتقارا له وعقوبة عاجلة فى الدنيا فيسمى ذلك الخاطر خذلانا
والخذلان ترك العون وهو ضد التوفيق واضلالا اى اضاعة وتخييبا
وفى كتاب سجون المسجون للشيخ الاكبر محى الدين ابن العربى قدس الله سره
قال اعلم ان الخواطر تعرض على القلب وتنجلى بسرعة فهى مما يخص القلب ومما
هو خارج عن قدرة الانسان فالخاطر هو ما لا يثبت الا ان يربطه الانسان
والراتب هو من الرواتب التى تلزم القلب لزوما راتبا لا تكاد تقلع عنه والعقايب
هى ما تعقب افعالا من الانسان فالخاطر فالخواطر اذا امدت بالفكر تادت الى
الرواتب واذا امدت بالعزم تادت الى العقايب فان اعرض عن الخواطر مرت
كما تمر الريح فلا يكون لها اثر فالعقايب قد تحدث على سبيل الجزاء لانها تحدث
بعقب الرواتب التى ربطها الفكر ولقد كانت اولا خواطر وهذا يعطى وجوب
ملازمة القلب لانه باب الهوى والضلال وصاحب الكسب ولكن يواخذكم
بما كسبت قلوبكم ولما كان ابتدا كل شىء انما هو من جهة القلب وهو من جهة
هذا الخاطر المتقلب الذى من اجله سمى القلب قلبا وان انضاف ذلك الى غيره فى سبب
التسمية واما ان يكون ذلك بواسطة ملك من الملايكة موكل من الله تعالى على ابن
ادم جاثم جثم الانسان والطاير والنعام والخنفس واليربوع يجثم جثما
وجثوما فهو جاثم وجثوم لزم مكانه فلم يبرح او وقع على صدره او تلبد
بالارض كذا فى مختصر القاموس وفى المجمل الجاثم اللاطى بالارض على اذن قلبه
اليمنى واذنى القلب فى اعلاه يقال له اى لذلك الملك الملهم ويقال لدعوته تلك
اى ما يدعو به الانسان فى باطنه الالهام ولا تكون تلك الدعوة منه الا الى خير محض

لانه من امر الله تعالى تنزله بامر الله وامر الله كله خير وعلامته اى خاطر الملك
وهو الالهام كونه مترددا لانه يرد من الملك على الانسان كالناصح لم يدله
على الخير برفق ولين من غير قهر ولا اجبار وكونه فى الفروع اى فروع الشريعة
دون اصولها وفى الاعمال الظاهرة التى بالجوارح وبلا سبق اى تقدم طاعة
من العبد لله تعالى او معصية من العبد له تعالى فى الحال الاغلب لدعوتها الى
المعصية متعلق بالاغلب اى فيما اذا غلبت الدعوة الى المعصية فى باطن العبد
فالخواطر حينئذ تسمى عقايب لا خاطر ملك او كان ذلك بواسطة طبيعة مجبول
عليها ذلك العبد مايلة الى الشهوات العاجلة يقال لها اى لتلك الطبيعة النفس
الحيوانية ولدعوتها الى ما هى مايلة اليه من الشهوات هوى بالقصر وجمعه اهوا
كما ان الهوا ممدود ما بين السما والارض وجمعه اهوية ذكره فى الصحاح ولا
تكون دعوة النفس الا الى شر لانها طبيعة ظلمانية لا يصدر منها الا ما هو من جنسها
وهو الظلمة وعلامته اى خاطر النفس كونه مصمما اى قاطعا بالامر من غير تردد
راتبا اى متكررا بالامتثال لانه عرض لا بقا له على حالة واحدة يشبه الجامد وليس
بجامد وان لا يضعف لشدته وصلابته ولا يقل بذكر الله تعالى بل يبقى كما هو
عليه او يكون ذلك بواسطة شيطان من الجن مسلط من الله تعالى على ابن ادم
يجرى فيه مجرى الدم جاثم اى لاطى على اذن قلبه اى قطعته الزايدة اليسرى يقال
له اى لذلك الشيطان المذكور الوسواس اى الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة
واما المصدر فبالكسر كالزلزال والمراد به الموسوس وسمى بفعله مبالغة الخناس
الذى عادته ان يخنس اى يتاخر اذا ذكر الانسان ربه كذا فى تفسير البيضاوى
ويقال لدعوته اى لما يلقيه فى صدور الناس الوسوسة وهى حديث النفس
والشيطان بما لا نفع فيه ولا خير كالوسواس كذا فى مختصر القاموس وعلامته
اى خاطر الشيطان كونه مترددا فى الامر غير قاطع به ومضطربا فيه وكونه بلا
سبق ذنب من العبد فى الاكثر من احوال الناس وربما كان جزاء على ذنب سبق
منه وان يقل ذلك الخاطر ويضعف بذكر الله تعالى لانه به يشرق القلب فتنطرد
ظلمة الوسوسة الشيطانية ويكون خاطر الشيطان شرا فى الاغلب من الاحوال
وقد يكون خيرا مفضولا اى ادنى من غيره يامره به الشيطان تلبيسا عليه ليمنعه بذلك
عن الخير الفاضل اى الاعلى من الاول فيحرمه الفضيلة التامة او يجره بذلك الى اقتراف
ذنب عظيم من حيث لا يشعر وعلامته اى خاطر الشيطان الذى يكون خيرا مفضولا
لمنع الفاضل او جر الذنب العظيم ان يكون قلبك فيه اى فى ذلك الخاطر المذكور مع

نشاط اي رغبة فيه لا مع خشية اى خوف منه ان يترتب عليه شئ ومع عجلة
في انفاذ مقتضاه لا مع تان وتمهل في ذلك ومع امن ان يكون خديعة لا مع
خوف من ذلك ومع عمى القلب عن العاقبة التي تعقبه مما يترتب على العمل
بمقتضاه لا مع بصيرة في حال عاقبة ذلك وفي سجون المسجون للشيخ الاكبر محى
الدين ابن العربي رضى الله عنه قال من الخواطر ما يعرض من جهة المزاج ميلا
الى ما يوافق فهذا اذا تمكن سمى شهوة وضده نفرة ومنه ما يعرض لنيل رتبة
فاذا تمكن سمى همة ومنه ما يعرض باعثا على الفعل فاذا تمكن سمى مشية ومنه
ما يعرض باستعجال اللقا فاذا تمكن سمى شوقا ومنه ما يعرض بتثبت حكم او شئ
على ما هو عليه فاذا تمكن سمى علما وان كان مترددا سمى شكا فان عرض بذكر
ما لا حقيقة له على سبيل الثبات سمى جهلا ولجميع الاخلاق والخصال خواطر
متى تمكنت سميت باسما تخصها واعلم ان منزلة الخاطر منزلة سماع صوت يقرع
سمعك ويمر وتمر عنه فكما لا يلزمك سماع ما يكون من كذب او محال اثما ولا
يلحقك في ذلك لوما ولو كان ذلك بالعكس فانه لا يفيدك مجرد سماعك اياه اجرا
اذا لم تقصد لشئ من ذلك فكذلك الخواطر اذا لم تتبعها بالك ولم تعد اليه
لا يعقبها شئ وانما يجتهد الصديقون فيما يقوى فيهم خواطر الخير ويقطع
عنهم خواطر الشر لانها ازمة القلوب وفواتح الاعمال ان الذين اتقوا اذا مسهم
طايف من الشيطان تذكروا اى اقتدوا بالذكر وهو القران فاذا هم مبصرون
فاذا ابصروا انفهوا انفسهم والطيف اول النزغة مثل ما يعرض منه بالطيف
الذى هو خيال يرى في النوم لا حقيقة له ينسب الى المحبوب صورة ما فافهم
هذا جيدا س ت يعني روى النساى والترمذى باسنادهما عن ابن مسعود
رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في القلب اى قلب العبد لمتان
تثنية لمة يقال اصابته من الجن لمة اى مس كذا في مختصر القاموس ثم
فسرهما بقوله عليه السلام لمة اى مسة من الملك واحد الملايكة بايعاد
بالخير عاجلا واجلا وهو حسن الرجا بالله تعالى وتصديق بالحق من
مذهب اهل السنة والجماعة ولمة اى مسة من العدو الذى هو الشيطان
بايعاد بالشر مما يودى الى الياس والقنوط من رحمة الله تعالى وتكذيب بالحق
كعقايد اهل الضلال والبدع ونهى عن الخير من الاعمال الصالحة والعقايد
الصحيحة والاقوال المستقيمة د نيا يعني روى ابن ابى الدنيا باسناده عن
انس رضى الله عنه انه اى النبي عليه الصلاة والسلام قال ان الشيطان يعني

الموكل

يعني الموكل بالانسان واضع خرطومه الخرطوم كزنبور الانف او مقدمه
او ما ضممت عليه الحنكين كالخرطم كذا في مختصر القاموس على قلب ابن ادم
من ذكر وانثى وخنثى فان ذكر ابن ادم الله تعالى خنس الشيطان يقال
خنس عنه يخنس تاخر وفي المجمل الشيطان خناس لانه يخنس اذا ذكر الله
عز وجل والخنس الذهاب في خفية وخنس الرجل تاخر واخنسته انا
وان نسى ابن ادم الله تعالى التقم الشيطان قلبه اى صار قلبه لقمة في فم الشيطان
فهو متمكن من الوسوسة له بحيث لا محيص له عنها واما علامة وقوع خاطر
الشر في القلب مطلقا اى سوا كان من قبل النفس او الشيطان وعلامة وقوع خاطر
الخير فيه ايضا كذلك اى مطلقا سوا كان من قبل الرب سبحانه او الملك فلمعرفتهما
وادراك التمييز بينهما اربعة موازين مرتبة فلا يعدل الى الثاني الا اذا تعسر
عليه الاول وهكذا الثالث والرابع الميزان الاول عرضه اى الخاطر على الشرع المحمدى
بمقتضى مذهب من المذاهب الاربعة الان فقط او غيرها من مذاهب السلف
لمن ثبت ذلك عنده بشروطه فان وافق جنسه اى جنس الشرع بان كان جزيا
من جزييات مسلة كلية من مسايل الاحكام الشرعية فخير لموافقته للحق وان كان
ضده اى غير موافق لذلك فشر لانه باطل والميزان الثاني عرضه اى الخاطر على عالم
من علما الاخرة وهم علما الشرايع والاحكام اصولا وفروعا العاملون بعلومهم
ظاهرا وباطنا لا علما الدنيا الذين يعلمون الشرايع والاحكام اصولا وفروعا
ليتوصلوا بذلك الى جمع الاموال من الناس واخذ الوظايف والمدارس وتولية
القضا والمناصب وقصدهم الترفع على الناس والتكبر على الجاهلين يعلمون العلم
النافع ولا يعملون به فينقلب عليهم مضرا ويصير سببا لهلاكهم وهو
حجة عليهم بين يدى الله تعالى فكلما ازدادوا علما ازدادوا مقتا عند الله تعالى
وغضبا وسخطا منه تعالى عليهم فعلومهم نافعة في نفسها وهم متضررون
بها فتحبث منهم وهي طيبة في نفسها وهي عليهم عمى فكلما تعلموها وعلموها كانوا
في معصية يتقلبون وهم لا يشعرون لقصدهم بذلك غير وجه الله تعالى فمثالهم فمثال
من يصلى صلاة بغير طهارة فيخشع في صلاته ويطيل فيها الركوع والسجود وقراة
القران مع غاية الاتقان فان صلاته تلك كلها معصية من اولها الى اخرها لانها
بغير طهارة مع القدرة على الطهارة والتقصير عنها وكذلكهم جميع اشتغالهم
بالعلوم النافعة وغيرها من تعلم وتعليم معاصى وذنوب وخطايا واثام
يقترفونها بالليل والنهار حيث لم يقصدوا بذلك وجه الله تعالى بل كان قصدهم

بما ذكرنا وهم قاطعون ان ما هم فيه طاعة مثابون عليها فهم يتقربون الى الله تعالى
بمعاصيه يستحلون ما هم فيه من الريا والعجب والتكبر فعليهم من الله تعالى
ما يستحقون وما اكثر وجودهم في هذا الزمان ولا نعين احدا منهم بلساننا ولا
بقلبنا والله يعلم المفسد من المصلح فمن عرض خاطره على احد منهم اضلوه
بضلالهم وكذلك من اطاعهم فيما يقولونه وينصحون به الامة على زعمهم فهم الغافلون
المغفلون لغيرهم قال تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان
امره فرطا وعلى مرشد اى السلوك في طريق الله تعالى كامل في صفة الارشاد مان
كان يعلم الشرايع المحمدية مع الحقايق الالهية ان وجد ذلك المرشد الكامل والمراد
ان ظفر به الانسان والا فهو موجود في الارض الى يوم القيمة ان شا الله تعالى ولا
تخلوا البلاد منه اصلا ولكن المحروم من الاعتقاد شيطانه الذى يبغضه الى
العباد فهو حجابه المتين على قلوب الغافلين فان قال ذلك العالم من علماء
الاخرة والمرشد الكامل هو خير فخير وان قال هو شر فشر لانه امين الله تعالى
على الاحكام والوحي ببيان الحلال والحرام فان علمه محيط بالظاهر والباطن
وهو المحقق المعتبر قوله في جميع المواطن صح
والميزان الثالث عرضه اى الخاطر على الصالحين من عباد الله تعالى وهم القايمون
بما امرهم الله تعالى به المنتهون عما نهاهم عنه مع الاخلاص والزهد والورع
بتوفيقه لهم من الله تعالى ولم يتوصلوا الى ذلك بدراسة علم ولا بعمل نفساني بل
بسلامة الصدور وفراغ السر بريئة من كل دنس وعيب ولا شعور لهم من انفسهم
بما هم فيه من الكمال والتقوى فان كان في فعله الذى خطر له ان يفعله اقتداء
بهم اى متابعة لهم فخير حيث وافق فيه فعل اهل العناية والتوفيق وان
لم يكن في فعله الذى خطر له ان يفعله اقتداء بهم بل اقتدا بالطالحين جمع طالح
وهو خلاف الصالح كذا في الصحاح وفي مختصر القاموس الطلاح ضد الصلاح
فشر لانهم مخذولون فمن اقتدى بهم كان مخذولا مثلهم والميزان الرابع عرضه
اى الخاطر على النفس اى نفسه والهوى اى هوى نفسه وهو الميل الى الشهوات
والحياة الدنيا والحظ العاجل فان وجد نفسه تنفر عنه اى عن مقتضى ذلك الخاطر
نفرة طبع اى بمقتضى طبيعتها من غير تكلف منها في ذلك لا نفرة خشية اى خوف
من الله تعالى عرضت لها من سماع الوعظ وتذكر الوعيد او روية العبرة فخير
لانها مجبولة على السوء والشر فاذا نفرت من شيء كان ذلك الشيء غير مجانس
لها فيكون خيرا لا محالة وان مالت اى النفس اليه اى الى مقتضى ذلك الخاطر ميل
طبع اى هوى وشهوة فانها مجبولة على ذلك بلا تكلف لا ميل رجا من الله تعالى

لان ميل الرجا عرضي فيها لانه لا يكون الا من سماعها بالملذايذ الاخروية وتذكر
الوعيد ومطالعتها سعة كرم الله تعالى والامر العرضي ليس في الجبلة فلا كشف له
عن شيء لانه لا يغيرها عما طبعت عليه من السوء فشر ذلك الامر الذى مالت اليه
اذ النفس اذا خليت اى تركت وطبعها اى مع طبعها من غير ما يعرض لها لامارة
باللام الموطية للقسم كثيرة الامر لصاحبها بالسوء والشر كما قال تعالى ان النفس
لامارة بالسوء واما حيل جمع حيلة الشيطان اى شيطان كل انسان الموكل
به من الله تعالى ليظهر كماله بالمخالفة او نقصانه بالمطاوعة كما قال تعالى وقيضنا
لهم قرناء فزينوا لهم ما بين ايديهم وما خلفهم وقال تعالى في حق قرين المومن فاطلع
فراه في سواء الجحيم قال تالله ان كدت لتردين ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين
ومخادعاته جمع مخادعة من خدعه كمنعه ختله واراد به المكروه من حيث لا
يعلم والاسم الخديعة والخداع ككتاب المنع والحيلة كذا في مختصر القاموس
في الطاعة اى طاعة الانسان لله تعالى فمن سبعة اوجه اولها ان ينهاه اى
الشيطان عنها اى عن طاعة الله تعالى فان عصمه اى الانسان الله تعالى بمعنى
حفظه وحماه من كيد الشيطان رده اى رد الانسان نهي الشيطان عن الطاعة في
باطنه فيخاطب نفسه بنفسه فان الشيطان لا يكلم الانسان الا بنفس الانسان
فنفس الانسان لباس الشيطان وهي حجابه وهي مظهره لانه من ورايها
يوسوس لها حيث هو قرينها من اصل الخلقة ولا ينفك عنها الا بالموت ولهذا
كانت امارة بالسوء وليست هي هو كما ان القارورة من الزجاج الصافي اذا وضع
فيها مداد اسود تكون سودا بسبب ما وراها وهي بيضا في نفسها حتى لو
زال منها المداد الاسود وغسلت رجعت الى بياضها وصفايها وهي غير المداد
الموضوع فيها فكذلك حال النفس وشيطانها وصورة الرد بان قال الانسان
لشيطانه انى محتاج الى ذلك اى طاعة الله تعالى جدا اى احتياجا قويا كثيرا
اذ لا بد من التزود اى اخذ الزاد وهو طعام المسافر والمراد هنا العمل الصالح
اشارة الى عموم بقا الانسان في الدنيا لانه في مرحلة من مراحل السير الى الله تعالى
فهو في سفر حتى يصل اليه تعالى كما قال سبحانه وان الى ربك المنتهى من هذه الدنيا
الفانية اى الزايلة المضمحلة للاخرة الباقية التي لا انقضا لها فان سمع الشيطان
هذا القول من الانسان لا يمكنه رده ولا الطعن فيه فيتركه ويعدل الى امر غيره
اشار اليه بقوله ثم يامره اى الانسان شيطانه بالتسويف اى المطل في اخذ الزاد
من الدنيا الى الاخرة فيقول له لا تعجل في اخذ ذلك فانه لا يفوتك لانك في اول عمرك

وينسبه احتمال الموت في كل نفس يتنفسه في الليل والنهار فان عصمه الله تعالى
اى حفظ تعالى الانسان من شيطانه وحماه من كيده ومخادعته رده اى رد ذلك
التسويف بان قال للشيطان ليس اجلى اى وقت انقضاء عمرى في الحياة الدنيا
بيدى بل بيد الله تعالى فلا اقدر ان اطيله ولا ان اقصره ولا اعلم متى يكون ايضا
فيحتمل ان يكون قريبا ولا شعور لى بذلك وكم من انسان مات بلا مرض على غرة من
الحياة على انى ايضا ان سوفت اى مطلت عمل اليوم الذى انا مكلف به الى غد فعمل
الغد المتوجه على في غد متى اى في اى يوم اعمله فان لكل يوم من ايام عمرى عملا
مخصوصا به لا يسقط عنى بعمل يوم غيره فان شيطانه ينكف عنه بذلك القول
ثم يلتفت اليه من وجه اخر فيحثه ويامره بالعجلة اى الاستعجال في اتمام
الاعمال حيث لم يمكنه ان يحمله على تركها ولا على تسويفها فيقول له اى للانسان
في نفسه عجل في صلاتك ونحوها من الاعمال لتتفرغ لكذا وكذا من امور الدنيا
وشهواتها فان عصمه الله تعالى من شره رده عما امره به بان قال له قليل العمل
من الطاعة والعبادة مع وجود التمام فيه خير عند الله تعالى من كثيره اى كثير
العمل مصحوبا بالنقصان فيه كما ورد في الحديث صل صلاة مودع ثم اذا انكف عنه
من هذا الوجه يامره اى الشيطان لذلك الانسان باتمام العمل الذى شرع فيه على وجه
الكمال مع المراياة فيه بان يقول له في نفسه اتقن عملك حتى يراك الناس فيحمدونك
على المحافظة في العبادة وينسبون اليك الورع والتقوى فيرتفع جاهك عندهم
فان عصمه اى حفظه الله تعالى من ذلك رده بان قال للشيطان الناس لا يقدرون
من قبل انفسهم على نفع ولا على ضر كما قال تعالى ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا
ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا واذا لم يملكوا ذلك لانفسهم فلا يملكونه لغيرهم
بالاولى واذا صدر منهم شئ من ذلك لم يكن من قبل انفسهم وانما هم فيه اسباب لا
تاثير لهم كالميزاب يجرى فيه ماء المطر وهو من الله عز وجل كما قال تعالى قل كل من عند
الله افلا تكفيني روية الله تعالى اى اعتقاد انه سبحانه هو النافع لمن يشاء بما يشاء
الضار لمن يشاء بمن يشاء وحده لا شريك معه في شئ من ذلك اصلا ثم يظهر له من وجه
اخر اذا راى الوجه الاول اشد عليه فيخدعه ويوقعه في العجب بنفسه وسياتي
بيان العجب ان شاء الله تعالى فيقول له ما ايقظك اى ما اشد يقظتك واقوى فطنتك
وما اعقلك اى ما اكثر عقلك حيث تنبهت من نوم الغفلة لما لم ينتبه له غيرك
من الناس فعرفت ما لم يعرفوا وفهمت ما لم يفهموا وارتقيت ما لم يرتقوا اليه فان
عصمه الله تعالى من شر ذلك رده في الحال بان قال له المنة اى الاحسان والجميل

على

على الله تعالى وحده في جميع ذلك دونى اذ ما هو فى من الكمال انعام من الله
على واكرام منه سبحانه لى فليس ذلك فى منى ومن تحصيلى فهو سبحانه الذى
خصنى بتوفيقه دون غيرى وجعل لعملى عنده قيمة عظيمة بفضله واحسانه
لا باستحقاق لذلك ولولا فضله سبحانه على واحسانه الى لما كان له اى لعملى
قيمة اصلا في جنب اى ناحية نعمة الله تعالى على وجنب معصيتى اى مخالفتى
له سبحانه وتعالى عن عمد فماذا استحق عليه مع ذلك ثم يقول للانسان
شيطانه اذا ايس منه من تلك الوجوه اجتهد انت يا ايها الانسان في طاعة
الله تعالى وعبادته في حالة السر حيث لا يراك احد فان الله تعالى سيظهره
اى يظهر ذلك الاجتهاد منك للناس فيرونه ويجعلك سبحانه شريفا
خطيرا اى لك شرف وخطر بالتحريك اى رفعة وهيبة بين الناس واراد الشيطان
بذلك القول الذى وسوسه اليك ضربا اى نوعا من انواع الريا الخفى الذى لا يتنبه
اليه كثير من الناس كما سبق بيانه فان عصمه الله تعالى من ذلك الوسواس رده بان قال
لشيطانه انما انا عبد الله تعالى وهو سبحانه سيدى ومولاى وله التصرف في شانى كله
دون ارادتى وامرى جميعه بيده ان شاء اظهر حالى للناس وما انا عليه من الاعمال
وان شاء اخفى عنهم ذلك ولكنا واراهم ما انا فيه من المساوى والمقابح والعيوب
وان شاء جعلنى عندهم خطيرا اى ذا خطر اى رفعة وهيبة وجاه ورياسة
وان شاء جعلنى بينهم حقيرا ذليلا ملوما مذموما وذلك موكول اليه تعالى لانه القادر
عليه دونى ولا ابالى انا اى لا التفت ولا اعبا ان كان تعالى يظهر ذلك للناس ويكشفه لهم
او لم يظهره بان ستره على واخفاه فليس بايديهم اى الناس شئ مما انا طالبه من النفع ولا
مما احاذره من الضرر ثم يقول للانسان شيطانه اخرا اى في اخر الامر لا حاجة لك الى
هذا العمل الذى انت تعبان في تحصيله لانك ان خلقت اى خلقك الله تعالى
سعيدا من الازل في حضرة علمه القديم فان ذلك كاين لا محالة فاذا لم تعمل لم يضرك
ترك العمل لانه لا يرفع سعادتك المقدرة لك عند الله تعالى وان خلقت اى خلقك الله تعالى
شقيا من الازل كان ذلك لا محالة ايضا فاذا عملت لم ينفعك العمل ولا يدفع عنك
الشقاوة المقدرة عليك ففيم اصلها فيما اى في اى شئ حذفت الف ما الاستفهامية
لدخول حرف الجر عليها كقوله تعالى عم يتساءلون وبم يرجع المرسلون تجتهد اى في تحصيل
اى شئ والامر ليس تمامه اليك ولا تصرف لك فيه والحكم لله تعالى عليك من الازل
لا يتغير ولا يتبدل فكيف تتعب في امر لا ينتج تعبك وكيف تترك راحتك اى الراحة
التى تقدر على الظفر بها في الحياة الدنيا وتضر نفسك بالمشقة والتعب والنصب في

العبادات والطاعات فان عصمه اى عصم الله تعالى ذلك الانسان من شيطانه
رده اى رد عليه ما قاله له بان قال فى رده عليه انما انا عبد لله تعالى والواجب
على العبد امتثال امر سيده فعلا للمامورات وكفا عن المنهيات والرب سبحانه
وتعالى اى المالك لجميع العبيد المربى لهم ليوصلهم الى ما خلقهم له من خير وشر
ونفع وضر والرب اعلم بربوبيته التى هى ملكه لهم وتصرفه فيهم من الازل
حيث لم يكونوا شيا مذكورا فانه سبحانه يحكم عليهم ما يشا من شقاوة وسعادة
ويفعل بهم ما يريد من خير وشر وعطا وحرمان لا يسال عما يفعل وهم
يسالون والله يحكم لا معقب لحكمه ويناسب هذا ما ذكره المناوى فى شرح الجامع
الصغير عن الماوردى قال من الاجوبة المسكتة ان ابليس ظهر لعيسى عليه السلام
فقال الست تقول انه لن يصيبك الا ما كتب الله لك قال نعم قال فارم
بنفسك من ذروة هذا الجبل فانه ان يقدر لك السلامة سلمت قال يا ملعون ان
لله تعالى ان يختبر عباده وليس للعبد ان يختبر ربه ولانى ينفعنى العمل
الصالح يوم القيمة عند الله تعالى بنفع الله تعالى لى به لا بنفع العمل لى بنفسه
كيف ما اى على اى حالة كنت فى اخر عمرى او فى حضرة علمه سبحانه وتقديره الازلى
وفى شرح المناوى على الجامع الصغير وقد اختلف السلف فمنهم من راعى حكم
السابقة وجعلها نصب عينه ومنهم من راعى حكم الخاتمة وجعلها نصب
عينه قيل والاول اولى لانه تعالى سبق فى علمه الازلى سعيد العالم وشقيه ثم
رتب على هذا السبق الخاتمة عند الموت بحسب صلاح العمل وفساده عندها
وعلى الخاتمة سعادة الاخرة وشقاوتها ان كنت سعيدا احتجت اليه اى العمل
الصالح لزيادة الثواب عند الله تعالى يوم القيمة فان الزيادة مطلوبة للنفوس
مرغوب فيها وان كنت شقيا فكذلك اى احتجت الى العمل الصالح ايضا وان
لم انتفع به لئلا الوم نفسى يوم القيمة على تركى له ولهذا سمى الله تعالى يوم القيمة
يوم الحسرة ويوم التغابن لتحسر الناس فيه على التقصير فى العمل وغبن بعضهم
بعضا فى ذلك اى مخادعتهم فيه على ان الله تعالى لا يبها فبنى على فعل الطاعة
والعبادة بكل حال والعمل ان لم ينفعنى لا يضرنى مثل ترك العمل فانه ان لم يضرنى
لا ينفعنى واذا استويا عندى فكيف اختار الترك على الفعل ولا مخاطرة فى
الفعل وانما المخاطرة فى الترك والعاقل يترك ما فيه المخاطرة وياتى ما لا مخاطرة
فيه على انى ايضا ان دخلت النار فى يوم القيمة بنا على سوء الخاتمة والعياذ بالله
تعالى وانا اليوم مطيع لله تعالى كان ذلك احب الى من ان ادخلها اى النار بسبب

الختم

الختم بالكفر وانا الان عاص له سبحانه من قبيل قول القايل

منى ان تكن حقا تكن احسن المنى والا فقد عشنا بها زمنا رغدا

فكيف ادخلها وانا مطيع الان ووعده سبحانه وحق لمن اطاعه بدخول الجنة والنعيم
المقيم وقوله صدق كما قال سبحانه ومن اصدق من الله قيلا وقد وعد جل وعلا عباده
المومنين على فعلهم الطاعات بالثواب فى الاخرة كما هو صريح الايات القرانية
والاحاديث النبوية فمن لقى الله تعالى من عباده اى مات على الايمان الصحيح والطاعات
المقبولة فى الشرع لن يدخل النار فى القيمة البتة اى قطعا بلا شبهة ويدخل الجنة
التى اعدها له فى الاخرة لوعده تعالى الصادق الذى وعده اياه والله لا يخلف الميعاد وان
كان ذهاب الايمان قبيل الموت وتبدله بالكفر امرا ممكنا ولكن ليس كل ممكن
واقعا والاصل بقا ما كان على ما كان واليقين المحقق الان لا يزول بالشك والاحتمال
قبل الموت ولذا اى ولكون وعده سبحانه صادقا لا ريب فيه قال الله تعالى حكاية عن
اهل الجنة وقالوا الحمد لله اى الشكر له الذى صدقنا وعده الذى وعدنا اياه بدخول
الجنة وايضا ان الله تعالى مسبب اى واضع الاسباب بحيث تترتب عليها افعاله
سبحانه من خير وشر ونفع وضر فان لكل واحد منها سببا موضوعا بالوضع
الالهى الربانى بحيث لا يكاد يتخرم اصلا وقد جرت عادته سبحانه وتعالى فى
عالم الدنيا وفى عالم الاخرة على ربط حصول الاشيا باسباب وضعها لها ظاهرة
معروفة عند الناس كالغيث اى المطر سبب موضوع للنبات من الارض
والجماع من الذكر سبب موضوع للولد من الانثى من كل نوع من انواع الحيوان
وفصل الصيف وهو احد فصول السنة سبب موضوع لينع اى استواء
وانضاج ينع الثمر كمنع حان قطافه كاينع الثمار جمع ثمر محركة وهو
حمل الشجر وقد قال الله تعالى وتلك الجنة التى اورثتموها اى اورثكم الله تعالى اياها
عمن خالفكم فى دينكم الحق ممن ماتوا على الكفر والعياذ بالله تعالى كما اورثهم
النار عنكم حيث متم على الايمان فان لكل واحد من الفريقين مقعدا فى الجنة ومقعدا
فى النار فيتوارثان فى مقاعدهما جميعا اى بسبب الذى او شى كنتم فى الحياة الدنيا
تعملون اى تعملونه من الطاعات والعبادات وقال تعالى ام نجعل الذين
امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض اى نحكم على من اتقى ربه بالعمل
الصالح على من فجر بمخالفة امر ربه بحكم واحد فان هذا ممتنع منا لان كلا السببين
من التقوى والفجور يقتضى ما هو له من النعمة والنقمة فان لم تزل اى ترتفع
هذه الوسوسة المذكورة الحاصلة للانسان من شيطانه بامثال هذه الاجوبة

ام نجعل المتقين كالفجار

التي ذكرها ويعود الوسواس من الشيطان ايضا لصاحبه من وجه اخر بان يقول
له ان الاعمال من العبادات والطاعات ايضا مقدرة علينا من الله تعالى فلا نقدر نحن
على مخالفة تقدير الله تعالى الذي قدره علينا من الازل لانه نافذ فينا لا محالة
ان شئنا وان ابينا قال فان قدر الله تعالى لنا الاعمال الصالحة وحكم بايجادها
لنا من الازل ان تكون في اوقاتها المعلومة وقدر لنا السعي لها اي لاجتهاد
في تحصيلها والقصد اليها بالاهتمام فيها حصلت تلك الاعمال الصالحة منا في
اوقاتها المقدرة فيه من الازل وظهرت منا بالسعي في تحصيلها والقصد الى
الاتيان بها على طبق ما هو مقدر علينا من ذلك لا محالة ولا شبهة ولا نترد د
اصلا وان لم يقدر الله تعالى علينا ذلك من الازل استحال اي امتنع عقلا وشرعا
وجودها اي الاعمال المذكورة اذ لا خالق الا الله تعالى ولا مقدر غيره سبحانه
ولا محيص لنا عن قضايه وتقديره فنحن مجبورون ايضا مضطرون
مقهورون على العمل ان كان التقدير السابق بالعمل وعلى الترك اي ترك العمل ان
كان التقدير السابق بالعمل لترك فلا يفيد احراصع ذلك القيل والقال وهما
اسمان لقول الخير وقول الشر قال في مختصر القاموس القول في الخير والقيل
والقالة في الشر فقل يا ايها الانسان لشيطانك الذي وسوس اليك هذه المقالة
ان الله تعالى وان كان خالقا افعال العباد كلها من خير وشر ونفع وضر وغيرها
اي غير الافعال ايضا كذوات العباد وصفاتهم لا خالق لكل شيء غيره سبحانه لكن
مع ذلك للعباد اختيارات جمع اختيارة وهي فعلة مرة من الاختيار وهو
ايثار احد الشيئين على الاخر جزئية اي متشخصة فيهم وربما يسمى جزءا
اختياريا لكونه من جملة اجزاء الانسانية داخل في حقيقة الانسان الكاملة
كاليد والرجل للبدن فلو لم يخلقه الله تعالى للانسان نقص الانسان فيسقط عنه
التكليف اذ لا تكليف الا بالجزء الاختياري مع ان ذلك الجزء لا تاثير له في شيء اصلا
ولكن به تتم الخلقة فيتوجه التكليف وارادات جمع ارادة قلبية اي منسوبة
الى القلب قابلة تلك الاختيارات والارادات للتعلق بان يعلقها الله تعالى
بكل واحد من الضدين الطاعات والمعاصي فاذا علقها الله تعالى بالطاعات
سمي توفيقا وهداية واذا علقها الله تعالى بالمعاصي تسمى خذلانا وضلالة
والله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يسال عما يفعل فلا يقال له لم علقت هذا الاختيار
وهذه الارادة من العبد بالطاعة وعلقت هذا الاختيار وهذه الارادة من العبد
الاخر بالمعصية وهم يسالون عن كل ما صدر عن اختيارهم وارادتهم من الطاعة والمعصية

والصواب اى للاختيارات الجزئية [illegible]

لكونهم غير مجبورين عليها ولا مضطرين اليها وليس لها اي للطاعات والمعاصي التي
تتعلق تلك الاختيارات والارادات بكل منها وجود في الخارج عن الذهن حال تعلقها
بها حتى يحتاج ذلك الوجود الى الخلق اي الايجاد ويتعلق الخلق بها اي بالطاعات
والمعاصي اذ الخلق ايجاد المعدوم فما اي الذي او شيء لا يوجد في حال الاختيار والارادة
لا يكون مخلوقا بهما فلا يكون مريدها اي الطاعات والمعاصي خالقها اي موجدها
من العدم بمجرد اختياره وارادته لها اذ لا وجود لها في الخارج حتى يكون خالقها
خلافا للقدرية مجوس هذه الامة القايلين بان الانسان خالق لافعال نفسه
وقد جعلها اي اختيارات العباد وارادتهم الله تعالى شرطا عاديا اي بحسب
جريان عادته بين عباده لخلقه سبحانه وتعالى اي لكونه خالقا افعال العباد
فلا تخلق العباد افعالهم بل الله تعالى يخلقها لهم ويخلق فيهم اختيارات لها
وارادات ليكلفهم بذلك بمنزلة الاسباب العادية كالسكين للقطع والنار للحرق
وكون افعال العباد بعلم الله تعالى وارادته سبحانه وتقديره وكتبه اي كتابه
في اللوح المحفوظ لا يستلزم ذلك كون صدورها اي تلك الافعال من العباد بالجبر
اي القهر لهم في ذلك كما اذا علم زيد جميع ما يفعله عمرو يوما من الايام فاراده اي
اراد زيد ما يفعله عمرو وكتبه في قرطاس فهل يكون عمرو المذكور في فعله ذلك
مجبورا من زيد حيث اراد له زيد ان يفعل ما اراد هو فعله وكتبه زيد في قرطاسه
وهل ارادة زيد وكتابته لما فعله عمرو جابرة لعمرو على ذلك الفعل وهل يكون
له اي لعمرو ان يقول لزيد فعلت انا ما اي الذي فعلت من ذلك لعلمك اي لاجل
علمك بذلك وارادتك له وكتبك اياه عندك يعني حملني على ما فعلت علمك وارادتك
وكتابتك ومعلوم انه ليس له ان يقول ذلك لزيد ولا حمله على الفعل علم زيد به
وارادته وكتابته فان عمروا فعله اي ذلك الفعل باختياره لا بجبره واضطراره
وارادته لا باكراه له من غيره والفاعل بالاختيار والارادة غير مجبور ولا مكره على
الفعل لان عمروا فعل ذلك لا لاجل علم زيد بانه يفعل ذلك وارادته لذلك وكتبه
له عنده واذا كان كذلك فلا يتصور فيه اي علم زيد وارادته لذلك وكتبه له في اللوح
المحفوظ ليس بجبر للعبد على فعله ذلك الذي فعله العبد باختياره وارادته
وعلى وفق هذا ما روي عن عمر رضي الله عنه انه اتي بسارق فقال ما حملك على السرقة
فقال قضاء الله وقدره فقطع يده وحبسه ثم اتي به فجلده فقال قطعت يدك
لسرقتك وجلدتك لكذبك على الله تعالى وذلك لان علمه تعالى وتقديره لا يخرجان
العبد الى الجبر والاضطرار ولا يسلبان عنه الاختيار كما روي ان شيخا من اهل الشام

حضر صفين مع على رضى الله عنه فقال له اخبرنا يا امير المومنين عن مسيرنا الى الشام
اكان بقضا الله تعالى وقدره فقال له نعم يا اخا اهل الشام والذى فلق الحبة وبرا النسمة
ما وطينا موطنا ولا هبطنا واديا ولا علونا تلعة الا بقضا من الله تعالى وقدر فقال
الشامى فعند الله تعالى احتسب عناى يا امير المومنين وما اظن ان لى اجرا
فى سعى اذا كان الله تعالى قضاه على وقدره فقال رضى الله عنه ان الله تعالى قد اعظم
الاجر على مسيركم وانتم سايرون وعلى مقامكم وانتم مقيمون ولم تكونوا فى شى من احوالكم
حالاتكم مكرهين ولا اليها مضطرين ولا عليها مجبورين فقال الشامى وكيف ذلك
والقضا والقدر ساقانا وعنهما كان مسيرنا وانصرافنا فقال رضى الله عنه ويحك
يا اخا اهل الشام لعلك ظننت قضا حتما لازما وقدرا حاتما جازما لو كان كذلك لبطل
الثواب والعقاب وسقط الوعد والوعيد والامر من الله تعالى والنهى وما كان المحسن اولى بثواب
الاحسان من المسى ولا المسى بعقوبة الذنب من المحسن تلك مقالة عبدة الاوثان
وحزب الشيطان وخصما الرحمن وشهد الزور وقدرية هذه الامة ومجوسها
ان الله تعالى امر عباده تخييرا ونهاهم تحذيرا وكلف يسيرا ولم يكلف عسيرا ولم
يرسل الانبيا لعبا ولم ينزل الكتاب عبثا ولا خلق السموات والارض وما بينهما باطلا
ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار فقال الشامى فى القضا والقدر اللذان
ساقانا وكان مسيرنا بهما وعنهما فقال رضى الله عنه الامر من الله تعالى بذلك ثم تلا
وكان امر الله قدرا مقدورا فقام الشامى فرحا مسرورا لما سمع من المقال وقال
فرجت عنى يا امير المومنين فرج الله عنك وقال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه لرجل
ساله عن القدر فقال الله تعالى لا يطالب بما قضى وقدر وانما يطالب بما نهى وامر
وهذه الاشارة على طبق قول على رضى الله عنه الامر من الله تعالى بذلك كذا ذكره ابن
كمال باشا رحمه الله تعالى فى رسالته فى القضا والقدر ثم بسط الكلام فى هذا المقام فتدبر
ما ذكرنا هنا من التبيين وكن من الشاكرين لله تعالى على ذلك وهذا الجواب المذكور
فى المتن هو الجواب الحاسم اى القاطع من حسمه يحسمه فانحسم قطعه فانقطع
ثم كواه لئلا يسيل دمه وحسم فلانا الشى منعه اياه كذا فى مختصر القاموس لهذه
الوسوسة الشيطانية المذكورة وهو معنى قول السلف الماضيين رضى الله عنهم اجمعين
فى مسلة افعال العباد انها لا جبر اى قهر على العبد فيها من الله تعالى كما هو مذهب الجبرية
ولا تفويض فيها ايضا للعبد من الله تعالى بحيث يستقل بالافعال كما هو مذهب
القدرية ولكن فيها للعبد امر اى شان من الله تعالى وهو تكوين ازلى قديم للفعل
فى وقت وجوده من غير مشاركة للعبد فى ذلك اصلا مع ايجاد اختيار وارادة فى العبد

لذلك

269

لذلك الفعل هما شرط تكليفه بذلك الفعل فى الخير والشر بين امرين هما جبره على اختيار ذلك الفعل
وارادته له وتفويض ذلك الفعل اليه بحيث يستقل به حيث خلقه الله له على طبق
اختياره وارادته الحاصل ان هذا القول معناه ان الله تعالى خالق افعال العباد وحده
لا شريك له فى ذلك اصلا ولكن يخلقها للعباد مقارنة للاختيارات العباد وارادتهم
لها قبل وجودها بحيث هى صادرة منهم تخلق الله تعالى وحده لا باختياراتهم وارادتهم
هم لها وهو قول الماتريدية لان اختياراتهم وارادتهم لها حاصلة منهم قبلها
فلا تكون صادرة منهم بها واما على مقتضى قول الامام ابى الحسن الاشعرى
رحمه الله تعالى القايل فى مسلة افعال العباد بالجبر المتوسط بين الجبر الضعيف
الذى فى قول الماتريدية المذكور فانه جبر فى الاختيار فقط وليس الفعل بالاختيار
حتى يكون فيه جبر بل بقدرة الله تعالى وحده فلا جبر فى الفعل الا من جهة الاختيار
فقط وبين الجبر المحض الذى هو قول الفرقة الجبرية من المعتزلة وقال النجم
الغزى فى حسن التنبه واما الجبرية فهم الذين يقولون ان العبد مجبور وهم والمعتزلة
فى طرفى نقيض فالمعتزلة يقولون ان العبد يخلق افعال نفسه والجبرية يقولون
ان كل ما يجرى من افعال العبد فهو فعل الله تعالى ولا يثبتون للعبد كسبا واهل
السنة وسط بين الطريقين لا تفريط ولا افراط ويعتقدون ان الله تعالى خالق
العبد وما يعمل ويثبتون للعبد قدرة ويثبتون لقدرته اثرا ما فى الفعل وسموا
ذلك الفعل كسبا ومنهم من يسميه اختيارا وقد اخطوا المعتزلة فى تسميتهم اهل
السنة مجبرة ثم الجبرية منهم خالصة لا يثبتون للعبد فعلا ولا قدرة على الفعل
اصلا ومتوسطة يثبتون للعبد قدرة غير موثرة اصلا انتهى يعنى لا بطريق
الحقيقة كالقدرية ولا السببية كاهل السنة اعنى اى اقصد بالجبر المتوسط
على قول الاشعرى كون افعال العباد صادرة منهم باختيارهم اى بواسطة اختيارهم
وان لم يكن لاختيارهم تاثير فى ذلك بخلاف مذهب الماتريدية فان عندهم افعال
العباد صادرة منهم بقدرة الله تعالى مقارنة لاختيارهم لا بواسطة اختيارهم
لان اختيارهم فيهم قبل ان يخلق الله تعالى لهم الافعال فقد يوجد الاختيار ولا
يخلق الله تعالى لهم الافعال وقد يخلق الافعال ولا اختيار فيهم ولا ينافى كون الاستطاعة
مع الفعل فان الاختيار اذا كان مسابقا صالحا للتعلق بالضدين لا يكون استطاعة
حتى يتعلق وتعلقه مقارن للفعل فلا استطاعة مع الفعل لا صادرة منهم
بالاضطرار كما تقول الفرقة الجبرية من المعتزلة فانه اى قول الاشعرى رحمه
الله تعالى المذكور جبر محض حيث كانت افعال العباد بواسطة اختيارهم الذى

والصواب قول الجبرية تامل

ولكن الاختيار الذى فيهم من الله تعالى بالجبر والاضطرار لهم فافعالهم خلقها الله تعالى
لهم بواسطة اختيارهم الذى هم مجبورون فيه فافعالهم مجبورون فيها واما
على قول الماتريدية فانهم وان كانوا ايضا مجبورين فى اختيارهم ولكن افعالهم ليست
مخلوقة فيهم لله تعالى بواسطة اختيارهم حتى يكون ذلك جبرا لهم فى افعالهم بل مخلوقة
فيهم من الله تعالى ابتداء بلا واسطة شى ولا يصح القول بانهم مجبورون فيها لسبق
خلق الاختيار فيهم من الله تعالى بها فهم فى حال خلقها مختارون اذ الاختيار سابق عليها
باق بتكرار الامثال لانه عرض متكرر الى وقت خلقها لا مجبورون بخلاف مذهب
الاشعرى فان الاختيار عنده مقارن لخلق الافعال اذ هو واسطة عنده فى خلق الافعال
وهو مجبور فى الاختيار فيلزم ان يكون مجبورا فى الافعال كذلك عنده فنحن
عنده مختارون فى افعالنا لخلق الله تعالى الافعال لنا بواسطة مقارنة خلق الاختيار
للافعال فينا مضطرون مجبورون فى اختيارنا الذى به وجدت افعالنا فافعالنا
موجودة بالجبر والاضطرار فهذا معنى الجبر المتوسط الذى عند الاشعرى رحمه الله تعالى
فلا محيص اى فرار من هذه الوسوسة الشيطانية المذكورة فيما سبق على قول الاشعرى
بل هو مما يزيدها ويوكدها اذ فيه الرجوع الى الجبر وهو اى قول الاشعرى مخالف
لقول السلف الذى مر ذكره بانه لا جبر ولا تفويض ولكن امر بين امرين اذ لا فرق
بينه اى بين قول الاشعرى وبين الجبر المحض فى الحقيقة وان كان الفرق بينهما
بثبوت الاختيار بين الجبر فيه والجبر فى الافعال فهو اختيار بين جبرين ولنا
ولنا فى تخريج قول الاشعرى رحمه الله تعالى كلام كثير ذكرناه فى المطالب الوفية وفى
رسالتنا تحريك سلسلة الوداد فى مسئلة خلق افعال العباد فاى نفع للعبد فى
وجود اختيار له اضطرارى فيه فانه لا يزيل عن العبد اسم المجبور المضطر فى
حقيقة الامر وان كان فى الظاهر يزيله لان الموصوف بالاختيار لا يكون موصوفا
بالجبر من جهة كونه موصوفا بالاختيار وانما قد يكون موصوفا بالجبر من جهة نفس
اختياره ان كان اختياره فيه بطريق الجبر كما هنا واما قوله يعنى الاشعرى رحمه الله تعالى
فى كون الاختيار عنده بطريق الجبر من الله تعالى فى العبد انه لو كان اختيار العبد فيه
باختيار ايضا فيلزم ان يكون للاختيار اختيار فيدور اى يرجع الاختيار الثانى الى الاول
او الى اكثر من ذلك ثم يرجع الى الاول ايضا او يتسلسل بان يتوقف الاختيار على اختيار اخر
والاخر على اخر الى ما لا نهاية له والدور والتسلسل باطلان فمنقوض هذا القول منه باختيار
الله تعالى للاشيا فانه اختيار وليس موجودا عن اختيار ايضا لان الله تعالى يختار الاشيا
ولا يختار الاختيار ان يختار حتى يلزم الدور او التسلسل فجوابه اى جواب ما الزمه

الاشعرى

الاشعرى من لزوم الدور او التسلسل فى اختيار العبد هو جوابه اى جواب ما لزم من الدور
والتسلسل فى اختيار الله تعالى وحله اى حل الاشكال فى لزوم الدور او التسلسل
فى اختيار الله تعالى ان الفاعل المختار اى المتصف بالاختيار للاشيا ان كان فاعلا مختارا
قصدا اى بقصد ان يكون فاعلا مختارا واصالة اى بطريق الاصالة فى وصف كونه كذلك
فلا بد له اى لذلك المختار المتصف بالاختيار من اختيار اخر يكون به فاعلا مختارا
باختيار ان يكون كذلك وهكذا فيدور او يتسلسل مغاير ذلك الاختيار له اى لاختياره
الذى كان به فاعلا مختارا سابق ذلك الاختيار الاول عليه اى على اختياره الثانى بالضرورة
اذ لا يكون متاخرا عنه لانه فاعل مختار باختيار ان يكون كذلك فلا بد ان يكون اختياره ان
يكون كذلك متقدما على كونه كذلك واما ان كان الفاعل المختار المتصف بالاختيار متصفا بكونه
فاعلا مختارا ضمنا اى فى ضمن كونه فاعلا مختارا لا بقصد ان يكون كذلك وتبعا لكونه
فاعلا مختارا فان الفاعل المختار متصف باختيار كونه فاعلا مختارا فى ضمن كونه فاعلا
مختارا وتبعا له فلا يلزم ان يكون للاختيار اختيار فلا دور ولا تسلسل وكذلك الله
تعالى فاعل مختار لكل شىء وفى ضمن ذلك موصوف باختيار كونه فاعلا مختارا لكل
شىء والا لزم ان يكون مجبورا فى اختياره فيدخل اختياره تحت الجبر فلا يكون
اختيارا حقيقيا وهو محال لانه يلزم منه حدوث القديم بل يكون اختيار الله
تعالى للشىء المقصود اختيارا اى وصفا بصفة الاختيار لنفسه ضمنا اى فى ضمن
اختياره للشىء المقصود والتزاما اذ يلزم من اختياره شيا ان يكون اتصف بكونه
اختيار ان يختار ذلك الشىء والا كان مجبورا فى اتصاف كونه اختيار ذلك الشىء والجبر
على الله تعالى محال لعدم الجابر فى حقه سبحانه ببرهان الوحدانية كما يشهد له اى
لما ذكر الوجدان اى الادراك والذوق من كل انسان قال الخيالى فى حاشية شرح العقايد
الاختيار بمعنى الارادة صفة من شانها ان تتعلق بكل من الطرفين بلا داع ومرجح فيكون
الاختيار من الله تعالى لا يستلزم الجبر كما ان صدور ارادته تعالى عن ذاته بالايجاب
لا ينافى كونه تعالى فاعلا مختارا بالاتفاق انتهى وفى الفتوحات المكية للشيخ الاكبر
محى الدين ابن العربى قدس الله سره اقول بالحكم الارادى لكنى لا اقول
بالاختيار فان الخطاب بالاختيار الوارد انما ورد من حيث النظر الى الممكن مع
عن علته وسببيته وقال فى الباب السابع عشر واما العلم بكونه مختارا فان الاختيار
تعارضه احدية المشية فنسبته الى الحق اذا وصف به انما ذلك من حيث ما هو الممكن
عليه لا من حيث ما هو الحق عليه قال تعالى ولكن حق القول منى وقال تعالى افمن حقت
عليه كلمة العذاب وقال ما يبدل القول لدى وما احسن ما تمم به هذه الاية وما انا بظلام

للعبيد وهنا نبه على سر القدر وبه كانت الحجة البالغة على خلقه وهذا هو الذى يليق بجناب
الحق والذى يرجع الى الكون ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها فما شا ولكن استدراك للمتوصل
فان الممكن قابل للهداية والضلالة من حيث حقيقته فهو موضع الانقسام وعليه
يرد التقسيم وفى نفس الامر ليس لله فيه الا امر واحد هو معلوم عند الله من جهة حال
الممكن انتهى فالاختيار على هذا فى حق الله تعالى معناه الارادة الجازمة باحد طرفى
الممكن من غير تردد اصلا كما هو فى اختيار العبد كذلك ولا يلزم من ذلك الجبر لانتفاء
الاباية قال فى الفتوحات المكية الجبر لا يصح عند المحقق لكونه لا ينافى صحة الفعل للعبد
فان الجبر حمل الممكن على الفعل مع وجود الاباية من الممكن والجماد ليس بمجبور
لانه لا يتصور منه فعل دلالة عقلى محقق مع ظهور الاثار وقال فى الباب الثالث والسبعين
المجبور فى اختياره لا يثنى عليه بالاختيار الامع رفع العلم عنه ما لجهل بالجبر فى ذلك
الاختيار سو لان الاختيار يناقض الجبر فيعلم الانسان عند ذلك ما هو المراد بالجهل
بالاختيار ويرى انه ما ثم فى الوجود الا الجبر من غير اكراه فهو مجبور غير مكره انتهى
وهذا لا ينافى الاول لانه مبنى على عدم اشتراط الاباية فى معنى الجبر بخلاف الاول ومعنى
الاباية مواعى ولو تقديرا فيعتبر تارة موجودا فلا جبر فى الممكن والواجب ولا
يعتبر اخرى فالجبر فى الممكن على كل حال دون الواجب لامتناع الجابر فى حقه ولما
لزم من كون المختار مختارا لنفسه ان يكون اختياره فيه ترجيح بلا مرجح حيث لم يكن
اختياره باختيار منه ايضا دفعه بقوله والترجيح فى الشى بلا مرجح له من غيره جايز
بلا امتناع عند المتكلمين اى علما الكلام فى حق الفاعل المختار فاختياره كاف فى الترجيح
اذ هو من صفات ذاته فلا يحتاج الى سبق مثله وانما الممتنع عند المتكلمين الترجح
اى كون الشى راجحا بنفسه بلا مرجح له من غيره فيجوز اى يصح من غير امتناع ان تتعلق
الارادة من الفاعل المختار بشى من الاشيا وترجح بها احد طرفى الممكن بلا مرجح
له غير تلك الارادة ولا تحتاج الارادة الى مرجح يرجح مقتضاها على غيره لاقتضائها
ذلك الترجيح لذاتها وبلا داع من الغير يدعو الى ما اختاره ~~بنفسه~~ اى ترجيح ذلك
الشى سوى تلك الارادة فلا يرد على كون المختار مريدا لما اختاره بنفسه لا بمرجح كما ذكر
ان تعلق الارادة بترجيح احد طرفى الممكن لا بد له اى لذلك التعلق من مرجح من الغير
ثم ينقل الكلام الى ذلك المرجح فان كان من خارج عن ذلك التعلق يلزم منه الايجاب بان يكون
ترجيحا بطريق الايجاب من موجب له غير ممكن فتنتفى الارادة والاختيار عن
الفاعل المريد المختار وان كان المرجح من نفس المريد بان كان هو رجح مقتضى
ارادته بنفسه تنقل الكلام عليه اى على كون المرجح من نفسه انه لا يخلو اما ان يكون

الترجيح

الترجيح بالاختيار او بالاضطرار فيلزم على ذلك اما الدور او التسلسل حيث يلزم ان
يكون الاختيار مرجحا بالاختيار وهكذا الى ما لا نهاية له او عايدا الى الاول او يكون
الاضطرار مرجحا بالاضطرار كذلك بطريق الدور او التسلسل وذلك محال او يلزم منه
الايجاب ونفى الارادة والاختيار وجوابه ما سبق بيانه فاذا تمهد اى تقرر
وتحرر لك ايها الانسان هذه المقدمة المذكورة فى دفع الشيطان وحيله
فلنشرع الان فى بيان المقصود من الامور المترددة بين الريا والاخلاص
او الريا والحيا فنقول بمعونة الله تعالى من جملة الامور المترددات بين
الريا والاخلاص ان الرجل اى الانسان فيشمل الذكر والانثى والخنثى مع امثالهما
قد يبيت مع قوم اى رجال او اعم من ذلك فيقومون للتهجد اى القاء
الهجود وهو الصلاة بعد النوم اخص من صلاة الليل لانها تكون قبل النوم وبعده
كل اى فى كل الليل او بعضه اى الليل وهو اى ذلك الرجل ممن اى من بعض اناس
لا يقوم ذلك البعض اصلا اى ليس عادته الصلاة بالليل عجزا او كسلا او ممن يقوم
قليلا من قيامهم اى قيام ذلك القوم بان كان عادته الصلاة فى بعض الليل فاذا راهم
اى راى ذلك القوم انبعث اى ظهر نشاطه بالصلاة ليلا او بكثرة ذلك للموافقة
لذلك القوم الذين كان معهم فراهم كذلك حتى يزيد على معتاده من اصل القيام
ومن كثرته وكذلك اى مثل ذلك فى التردد بين الريا والاخلاص قد يقع للانسان
فى موضع يصوم اهله تطوعا اى نفلا او يكثرون من ذلك فينبعث نشاطه
اى تتحرك همته فى موافقتهم على الصوم المذكور فيفعل مثلهم ولم يكن ذلك من عادته
فربما يظن انه اى نشاطه لما ذكر من الصلاة والصوم ريا وان الواجب عليه ترك
الموافقة حينئذ لم يكن ذلك من عادته وقد اتى به موافقة لهم وليس الامر كذلك
اى كما يظن على الاطلاق بل له تفصيل يظهر منه الفرق بين الريا والاخلاص ينبغى
بيانه وهو قوله فان كان نشاطه ذلك فى موافقتهم فى الصلاة والصوم لزوال
الغفلة عن قلبه اى لاجل ذلك بمشاهدة اى بسبب معاينة الغير الذين راهم
نشطوا للتهجد والصوم وقد اقبلوا على الله تعالى مخلصين له الدين واعرضوا عن
النوم بالتهجد وعن الاكل بالصيام او كان نشاطه لاجل اندفاع العوايق عنه من
استيلا الشهوات والانهماك فى المخالفات ولاجل اندفاع الاشغال الدنيوية التى
فى بيته مثل تمكنه اى استراحته وتمدده على فراشه وثيره اى موطاه وثيره
اوطاه وفقد وثير كثوم او تمكنه من التمتع بزوجته متى شا او امته اى جاريته
او المحادثة اى المكالمة والمنادمة باهله اى مع اهله واقاربه والاشتغال

باولاده تربية وانفاقا وحساب معاملته مع الغير كالبيوع والمداينات او
نشاطه لمفارقة النوم فادركه السهر والقلق لاستنكاره الموضع الذى اعتاد النوم
فيه فاستوحش لمخالفة عادته او كان نشاطه بسبب اخر غير ما ذكر كانشراح
صدره لذلك حبا فى مساواة غيره ورغبة فى اتباع الاصحاب والاخوان فيغتنم
لاجل ذلك زوال النوم عنه للقيام الى التهجد واذا كان فى منزله ربما يغلبه النوم
فلا يقدر على القيام بالليل او يكسل عن ذلك و يشتغل عنه بامراض فى مهمات
بيته وقد يعسر عليه الصوم اذا كان فى منزله بين اهله ومعه اطايب جمع
طيب بمعنى لذيذ الاطعمة جمع طعام وهو ما يوكل فاذا اعوزته اعوزه الشئ
احتاج اليه تلك الاطعمة الطيبة التى فى منزله لم يشق عليه اى لا يتعبه الصوم
فهذه الامور المذكورة فى التهجد والصوم وامثالها فى بقية العبادات ليست
برياء لعدم قصد غير الله تعالى فعليه اى يتعين عليه الموافقة للغير فى ذلك
والعمل مثله ولا يلتفت لوسواس الشيطان له ليثبطه عنه والشيطان عند ذلك
الحال المذكور ربما يصد الانسان بوسواسه عن العمل بمقتضى ما نشط اليه
ويقول له لا تعمل عند الناس ما اى العمل الذى لا تعمل فى بيتك فانك ان عملت ذلك
فتكون مرائيا فيترك الانسان عمله لذلك فلا ينبغى له ان يلتفت الى هذا الوسواس
الموجب للحرمان من العمل الصالح وان كان نشاطه الحاصل له بمشاهدة الغير طلبا
منه بذلك لمحمدتهم اى محمدة الغير من الناس الذين راهم يفعلونه كذلك او خوفا
من ذمهم له حيث نشطوا للعبادة ولم ينشط هولها وخوفا من نسبتهم اياه
الى الكسل فى طاعة مولاه لا سيما اى خصوصا اذا كانوا يظنون من قبل انه يقوم بالليل
او يصوم تطوعا لله تعالى فلا تسمح نفسه اى لا ترضى بان تسقط هى من اعينهم فيرون
حالها دون احوالهم فيريد بذلك ان يحفظ منزلته فى قلوبهم ليهابوه ويعظموه بينهم
وعند ذلك قد يقول له الشيطان فى نفسه صم صل او صم فانك مخلص فى كل ما تعمل
من الطاعات وانما كنت لا تصلى فى بيتك ولا تصوم ولا تكثر من العبادات لكثرة العوائق
لك عن ذلك والشواغل الدنيوية فاذلك ريا فلا يجوز له ان يزيد عند الغير على معتاده
من ذلك اذا كان فى بيته لانه يعصى الله تعالى بطلب محمدة الناس على عبادة ربه
او دفع ذمهم عنه بذلك ودفع سقوط منزلته عندهم بطاعة الله تعالى لانه اى هذا
الصنيع منه ريا فى عبادة الله تعالى محظور اى ممنوع منه شرعا والعلامة الفارقة بينهما
اى بين الريا وعدمه فى العمل ان يعرض الانسان على نفسه انها اى نفسه لو رات هؤلاء الذين
يعتنهم فى عملهم يصلون ويصومون من حيث لا يرونه بان كان يراهم هو من وراء

حجاب

حجاب بينه وبينهم هل كانت تسخو اى تسمح نفسه بالصلاة والصوم فان
كان تسخو بذلك فاخلاص عمله لا ريا فيه فحينئذ يوافقهم اى الجماعة الذين
راهم يفعلون ذلك فيعمل مثلهم ولا يبالى او كانت نفسه لا تسخو بشئ من ذلك
ويثقل عليها العمل لعدم اطلاعهم اى تلك الجماعة عليها فرياء عمله فحينئذ لا يزيد
من العمل على المعتاد الذى كان يفعله فى منزله لانه يزيد ريا لا اخلاصا والريا
معصية يجب تركها ومن ذلك المذكور الذى فيه تفصيل فتارة يكون اخلاصا وتارة
يكون ريا بالقصد والنية الاستغفار بان يقول بلسانه استغفر الله ونحو ذلك
والاستعاذة نحو اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وكذلك قوله الحمد لله رب العلمين
وسبحان الله والله اكبر الى غير ذلك من الاذكار عند الناس بحيث يسمعونه فقد يكون
قال ذلك لخاطر خوف من الله تعالى خطر فى نفسه ولاجل تذكر ذنب فعله ولاجل
تندم عليه اى على ذلك الذنب وهذا طاعة لانه توبة واقلاع ورجوع وقد يكون
ذلك القول منه للمراياة اى بقصد ان يراه الغير مستغفرا او مستعيذا ونحو ذلك فيكون
معصية يجب اجتنابها فراقب يا ايها الانسان قلبك اى احرسه واحفظه وميز بينهما
اى بين الاخلاص والريا لعلامة السابقة المذكورة وامثالها من علامات اخرى غير ذلك
ربما كشفت لك وعرفك الله تعالى بها فى نفسك مثل كونك لو ذموك على ذلك العمل
يثبت عليه او لو علمت عدم رضاهم به فعلته ونحو ذلك فان كان عملك لله
اى لاجل الله فامضه اى فافعله والا اى وان لم يكن لله بان كان لغير الله
فاحذر منه ولا تفعله فانك ان فعلته فعلت معصية لا طاعة كالصلاة
بلا طهارة فانها معصية والاخلاص للعبادات كالطهارة للصلاة اجماعا كما
قال تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين الاية ومن ذلك المذكور
ايضا اظهار الطاعة للناس ليروها منه فيكون فان الباعث عليه اى على الاظهار
قد يكون قصد الاقتداء به اذا راوها منه فيكون اظهارها بقصد ان يروها فيقتدون
به افضل عند الله تعالى من الاخفاء لها حق يعنى روى البيهقى باسناده عن ابن
عمر رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم قال عمل السر اى العمل الذى يعمله الانسان
من طاعة الله تعالى سرا افضل اى اكثر ثوابا عند الله تعالى من عمل العلانية اى من
العمل الذى يعمله علانية اى ظاهرا بحيث يراه الناس حيث لا نية له زايدة على قصد
مجرد العمل لله تعالى فان السر ابعد من الريا واقطع لتشوق المحمدة من الناس
واقوى للنفس على الاخلاص وانفى للعجب والسمعة اذ ربما ينساه فلا يبقى فى باله فيكون
ممن رفع عمله الى حضرة ربه فلا يرى نفسه الا مقصرة مذنبة والاعلان بالعمل ضد

ذلك في بما يبقى عمله نصيب عينه لعدم رفعه حيث يضرب به وجهه كالمسيء
صلاته على ما ورد في الحديث فتفتخر نفسه به وتتكبر على غيرها ويترتب على ذلك
مفاسد كثيرة وعمل العلانية اي بحيث يراه الناس افضل عند الله تعالى من عمل السر
بحيث لا يراه احد لمن اراد الاقتداء اي يقتدي به غيره فيكون اظهار العمل الصالح حينئذ
اكثر ثوابا من اخفائه لان فيه النفع المتعدي الى الغير وهو اقتداء الغير به فله ثواب به
وثواب من عمل به الى يوم القيمة وفي هذا الحديث اشارة الى ان من سن سنة حسنة فله
ثواب من عمل بها الى يوم القيمة زيادة على ثواب عمله هو بها وكذلك في السنة السيئة
عليه وزر من عمل بها زيادة على وزره هو محله اذا كان في وقت عملها مريد الاقتداء
به في ذلك والا فله ثواب عمله فقط وعليه وزره هو فقط كما بحثناه فيما سبق وهذا
اي كون عمل العلانية افضل لمريد الاقتداء به لا يكون الا في حق الانسان المقتدى به
بصيغة اسم المفعول كالفقيه والمحدث والواعظ وكذلك العامي المعروف بين
العامة بحفظ المسايل من العلما ونحو ذلك واما غير المقتدى به من العامة فعمل
السر في حقه افضل وقد يكون الباعث للانسان على اظهار الطاعة قصد الريا
ليراه الناس فيمدحونه على ذلك فيكون الاخفا متعينا على كل حال وللابليس اللعين
تلبيس اي تخليط على الانسان في كلا الجانبين اي جانب الاخلاص وجانب الريا بحيث
لا يكاد يتميز كمال التمييز احدهما من الاخر فعليك اي الزم التيقظ وهو ضد الغفلة
فان اشتبه عليك الامر اي دخل في اشتباه فلم يتبين لك انك مخلص او مراي فعليك
اي الزم الاخفا للاعمال الصالحة فانه لا ضرر عليك فيه اي في الاخفا اي قطعا من غير
شبهة بخلاف الاظهار فانه يحتمل ان يكون فيه ضرر بقصد الريا وقد التبس عليك الا
ان يكون الاظهار في العمل الصالح واجبا عليك او سنة مثل الصلاة مع الجماعة في الصلوات
الخمس وكذلك الجمعة والعيدين والاذان والاقامة والامامة ونحو ذلك وفي شرح
الوصية اليوسفية للشيخ الاكبر محي الدين قدس الله سره قال كان الشيخ ابو مدين رضي
الله عنه يقول لاصحابه اظهروا خرق العادات لعلة الطاعات منكم واشهروها
كما ان العصاة في هذا الزمان يتظاهرون بالمخالفات فاجعلوا كلمة الله هي العليا
ولا تطفؤا نور الله بالاخفا اغير الله تدعون ان كنتم صدقين وكان رضي الله عنه لا يبقي ا
عليه كتابا في كتاب الريا وكتاب السماع فكان يقول في كتاب الريا انه يولد الريا والتدقيق
فيه يحكمه في قلب العامل ولا عامل الا الله فان الله تعالى يقول والله خلقكم وما تعملون
فبماذا تراي والعمل ليس لك وكذلك اظهروا في العامة وتحدثوا بما يعطيكم الله تعالى
من الكرامات في بواطنكم وظواهركم تكونون في ذلك ممن اطاع امر الله تعالى فان ذلك من

البتة صح

اكبر

اكبر النعم على العبد والله يقول واما بنعمة ربك فحدث وقال صلى الله عليه وسلم التحدث
بالنعم شكر فكما تحدث العامة بنقيض ذلك فخا لفوهم ونبهوهم ان جميع ما يتقلبون
فيه انما هو من الله تعالى نعم وان كانت رزايا فهي طريق الى الاجور التي تحصل لهم
فهي طريق النعم محققة وان كانت غير رزايا فهي نعم معجلة ينبغي الشكر عليها فان
الله تعالى يقول ولين شكرتم لازيدنكم فعلى كل حال اظهار الدين اعلى من اخفائه
فما شرع الله الصلاة في مساجد الجماعات والندا في الصوامع والحج وامر بالاهلال فيه
كل ذلك ليظهر دين الله تعالى وتعلوا كلمة الله تعالى وحسن هذه الافعال كلها
اذا فعلتها لامرين الواحد لامر الله تعالى لك بتحسين اعمالك والثاني ليقتدي بك من
يراك ممن لا يعلم او يتنبه الغافل الذي يعلم ويتذكر ولتكن في عبادتك في السر والعلن
على السوا وهذه الطريقة طريقة الاكابر ومن ذلك الامر المذكور ايضا التحدث بين الناس
بما فعله من الطاعات بعد الفراغ منها فانه يحتمل الاخلاص ويحتمل الريا وحكمه
اي التحديث حكم اظهار نفسه اي نفس ما فعله من الطاعات فانه ان قصد الاقتدا
به فيه كان افضل من ترك التحديث وان قصد طلب المحمدة عند الناس والثنا عليه
كان معصية الا انه اي التحدث اذا تطرق اي توصل اليه الريا بان تحدث بقصد الريا
لم يوثر ذلك الريا في افساد العبادة الماضية التي تحدث بها بل يكون تحديثه معصية
جديدة تجددت بعد مضي الطاعة على الاخلاص فياثم بها وقال المحاسبي في رعايته
حديث عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم من رايا الناس رايا الله به ومن سمع الناس
سمع الله به وروى ابن عباس وجندب عن النبي صلى الله عليه وسلم مثل ذلك انتهى وهو يقتضي
انه لا فرق بين الريا والسمعة فكما ان الريا عمل لغير الله تعالى مفسد فكذلك السمعة
مفسدة للعمل السابق ولكن ربما يقال بان الريا قال قارن العمل فافسده والسمعة
بعد تمام العمل فلا تفسده لمضيه على الصحة وكذلك العجب بالعمل معصية جديدة
ايضا وان قارنت العمل فلا تفسده وسياتي العجب في محله ان شا الله تعالى وبالجملة
الاخفا في العبادات التي لا يلزم اظهارها اي لا يضطر المومن الى اظهارها في الشرع
افضل اي اكثر فضيلة عند الله تعالى من الاظهار لبعد ذلك عن المفاسد المترتبة
على الاظهار الا عند التيقن بلا شك منه بقصد التعليم اي ارادة الانسان بذلك الاظهار
تعليم الغير كيفية العبادة وقصد الاقتدا به اي المتابعة له في تلك العبادة فالاظهار
لتلك العبادة بحيث يراها الغير منه حينئذ افضل من اخفائها وقس يا ايها الانسان
على هذه المسايل امثالها من العبادات المترددة بالقصد بين الاخلاص والريا ومن
جملة مكايد الشيطان اللعين للانسان ان الرجل قد يكون له ورد بكسر الواو اسم

للجزء من القران ثم اطلق عند العلما على كل جزء من ذكر الله تعالى او الصلاة او القران او
العلم ونحو ذلك لانه يرد به على القلب ما يرد من الفيض ولا رتواء القلب به من عطش
الغفلة عن الله تعالى معين عنده من تلقين شيخ او تعليم عالم كصلاة الضحى كل
يوم وصلاة التهجد كل ليلة فيقع ذلك الرجل في جملة قوم من الناس لا يفعلونهما
اي صلاة الضحى والتهجد فيتركهما اي الصلاتين خوفا على نفسه من دخول الريا
عليها فهذا الفعل غلط منه ومتابعة للشيطان حيث يريد ان يقطعه عن عبادة
الله تعالى اذ اي لان مداومته على ورده المعين السابقة منه قبل ان يدخل في القوم
دليل على وجود الاخلاص منه في ذلك الورد فمجرد وقوع خاطر الريا في القلب حال
اجتماعه بالقوم بلا اختيار منه لذلك ولا قبول له ليس يضار له شيا ولا فيه نوع
ريا ولا هو بامر مخل بالاخلاص الذي له في العمل وحده فترك العمل بين القوم
الذين يرونه لاجله اي لاجل ما ذكر موافقة للشيطان في ان ذلك ريا وتحصيل لغرضه
اي الشيطان فان غرضه قطع العبد عن عبادة الرب نعم الواجب عليه اي على ذلك الانسان
ان لا يزيد بين القوم على عمله المعتاد له وهو في منزله وحده ان لم يجد من القوم
باعثا على الزيادة دينيا اي من جهة الدين كزيادة عملهم على عمله المعتاد فاراد محا
نستهم او في ذلك تنشيط لهم الى العمل الصالح اذا كان لهم فتور عنه وقد
يتركهما اي صلاة الضحى والتهجد لا خوفا من وقوعه في الريا بل خوفا من ان يتسبب
بين الناس الى الريا وخوفا ان يقال عنه انه مراي اي صاحب ريا وهذا الصنيع
منه عين الريا اذ تركه ذلك من اجل الناس لا من اجل الله تعالى لانه ترك صلاة الضحى
والتهجد خوفا من سقوط منزلته عندهم اي القوم الذين يرونه وفيه اي في هذا القصد
منه ايضا زيادة على المراياة بالترك لاجلهم سوء الظن بالمسلمين من اهل القبلة
وسو الظن معصية كما سياتي في محله وقد يوقع الشيطان بالوسوسة في قلبه
اي قلب الانسان ان تركه اي العمل لاجل صيانتهم اي القوم الذين يرونه وحفظهم
عن معصية الغيبة منهم له على ذلك العمل انه ما فعله الا ريا لاجلهم لا للفرار اي
الهروب عن ذمهم له وسقوط منزلته عندهم وهذا القصد منه ايضا سو الظن
بهم اي بذلك القوم وسو الظن حرام وايضا صيانة الغير عن فعل المعصية
انما تحسن من الانسان في ترك الامور المباحات التي هو مخير فيها بين الفعل والترك
فلا ثواب فيها ولا عقاب لا ترك المستحبات التي يثاب بفعلها ولا يكره تركها والسنن
التي يثاب بفعلها ويكره تركها فان صيانة الغير عن المعصية بتركها لا يحسن
شرعا من المكلف لفوات الثواب في حقه وارتكاب المكروه والغير مكلف بردع

نفسه

نفسه عن الغيبة والدخول فيما لا يعلمه ويحرم عليه الظن والتجسس عن عورة
غيره وكل واحد مكلف بما حكم الله تعالى عليه لا بما حكم به على غيره ومن هذا القبيل
اي من جملة هذه المسايل المتجانسة والقبيل في الاصل اسم لجماعة من الثلاثة فصاعدا
من قرى شتى وربما كانوا من اب واحد كذا في مختصر القاموس ترك الانسان السواك
في الوضو وغيره من المواضع المطلوب فيها شرعا وترك لبس الطيلسان بفتح اللام
واحد الطيالسة والها في الجمع للعجمة لانه فارسي معرب كذا في الصحاح وهو رداء يوضع
على الراس ويرسل من الاطراف وترك المشي حافيا كما هو صنيع السلف رضي الله عنهم
وترك ركوب الحمار الوارد في فعل النبي صلى الله عليه وسلم والسلف الصالحين ونحوها
من امور السلف الماثور عنهم وكان تركه لشي من ذلك صيانة لالسنة جمع لسان
الناس عن وقوعهم في الغيبة في حقه لعلمه منهم انهم يحملون ذلك منه على المراياة
وانه فعل ذلك لاجلهم فيغتابونه من اجل ذلك منه على المراياة فيتركه حفظا عليهم
من غيبته فلا يحسن منه ذلك لان فيه الالتفات الى الناس في حال عبادة ربه
وفيه ترك السنة الماثورة من السواك والطيلسان وركوب الحمار وغيرها وفيه
سو الظن منه بالمسلمين انهم يغتابونه وعدم المداومة على ترك السنة بل استحسانه
اي الترك وعدها اي السنة عيبا منه في ذلك الوقت ونقصانا في دينه محافظة
على دين غيره وهذه الاشيا المذكورة من المفاسد المترتبة على صيانة الغير عن الغيبة
تكفي لزجر الانسان العاقل عن الصيانة المذكورة مع ان الاغلب على الانسان
بحسب المعروف من العادة البشرية ان تركه اي ترك ما ذكرنا ناشي من لحوق الريا
له خصوصا النفوس الغافلة عن شهود الله تعالى القاصرة عن معرفته سبحانه
فان ما عندها الا المعاصي في صور الطاعات وهي لا تشعر بذلك لعدم البصيرة الصحيحة
وقوله اي التارك المذكور بانه ترك خوفا على الناس من الوقوع في حقه بالغيبة كذب
منه ونفاق اي ابطان خلاف ما اظهره في حق الناس فنعوذ بالله تعالى منها اي
من هذه الاشيا المذكورة وقد يتردد الامر الواحد بين الثلاث الريا والاخلاص
والحيا وفي الرعاية للمحاسبي قد اكثر الناس في الحيا فكل مداهن ومراي يدعي الحيا
والصادق يدعي الحيا والحيا كله خير قال صلى الله عليه وسلم الحيا شعبة من الايمان
وقال ان الله عز وجل يحب الحي الحليم فالحيا فعل من الطبيعة الكريمة يخص الله عز وجل
بها من يشاء من خلقه ينفع العاصي والمطيع اما المطيع فهو زايل عن كل خلق دني
واما الفاسق فلم يجمع مع فسقه فسوقا وتهتكا فالحيا عن غريزة كريمة فعند
يجد العدو الدعا الى الريا فان اطاعه العبد اعتقد الريا واعتل بالحيا وصدق

قد هاجه اولا الحيا ثم خطر العدو بالريا فقبله فكان مرائيا اذ انتقل من الحيا
الى الريا وقد يهيجه ان يريد الله عز وجل فيضم الى الحيا الاخلاص لله عز وجل فان
فان فعله للحيا او تركه لغير ذكر اخلاص ولا ريا ولا كاد يكون ذلك فهو حينئذ لقول النبى
صلى الله عليه وسلم الحيا خير كله وقوله صلى الله عليه وسلم لا ياتى الا بخير وانه شعبة
من الايمان ما لم يكن شيا اولى به فيه الحيا من الله عز وجل بالحيا من كل خلق دنى
فى دين او دنيا ومثاله كرجل يطلب منه صديقه له قرضا اى مالا يستقرضه منه
وذلك الرجل لا يستحيى يسخوا اى لا تسمح نفسه باقراضه شيا الا انه يستحيى من
رده اى من التصريح له بانه لا يقرضه مراعاة لصداقته ويعلم ذلك الرجل انه لو ارسله
اى ذلك المستقرض على لسان غيره من الناس ليقرضه لا يستحيى منه ذلك الغير ولا
يقرض ذلك الرجل معطوف على لا يسخوا ريا اى على وجه الريا ولا يطلب باقراضه
الثواب من الله تعالى ايضا حتى يكون على وجه الاخلاص فله اى هو مخير عند ذلك بين ثلاثة
اشيا هو فاعل واحدا منها لا محالة فلا يختار الا الاصلح له بينه اما ان يشافه صديقه
بالرد الصريح ويقول له لا اقرضك فينسب عند صديقه وعند الناس الى قلة الحيا
او يتعلل فى عدم اقراضه بكذب بان يقول له ليس معى مال ونحوه او بنوع تعريض
بان يقول ليس فى يدى شى ويقصد حقيقة اليد لا الملك او ليس عندى مال ويقصد من
النوع الفلانى فيا ثم بالكذب لانه حرام او يسى اى لا يحسن فى معاملته مع صديقه
حيث احتال عليه بالمعاريض فى الكذب الا ان توجد حاجة اى يلجيه الامر الى التعريض
بالكذب لعلمه بمطل صديقه او بطمعه فى ماله وعدم وفايه حقه ونحو ذلك فيباح
التعريض له بالكذب حينئذ او يعطى معطوف على ان يشافه اى يقرض صديقه ما طلبه
منه لمجرد الحيا اى لا يحمله على الحيا منه فقط بلا ريا ولا اخلاص او يعطى له القرض لهيجان
خاطر الريا فى قلبه وذلك بان يقول فى نفسه انه اى صديقك ينبغى ان يعطى بالبناء
للمفعول القرض حتى يثنى عليك بين الناس ويحمدك عندهم وينشروا اسمك بينهم بالسخا
اى الكرم والمسامحة او حتى لا يذمك صديقك على ترك اقراضه وينسبك الى البخل
وسو المعاملة منه او يعطى لهيجان باعث الاخلاص فى القلب يعنى طلب الثواب
من الله تعالى وذلك الباعث هو ان الصدقة اذا كانت منه انما تكون بواحدة اى بقطعة
واحدة مثلا من الفضة والقرض بثمانية عشر درهما مثلا ففيه اى فى القرض اجر اى ثواب
عند الله تعالى عظيم حيث انتفع منه المستقرض بما هو اكثر من انتفاعه بما قل
من الصدقة فان النفوس فى الغالب تسمح بثمانية عشر قرضا ولا تسمح بدرهم صدقة
لثواب القرض اكثر من ثواب الصدقة لقضا حاجة اخيه وفيه ايضا ادخال سرور

عظيم

عظيم على قلب صديق مضطر الى ذلك وقد تجتمع هذه الاشيا الثلاثة الريا والاخلاص
والحيا فى غير مسئلة القرض ايضا او تجتمع اثنان من الاشيا الثلاثة كالريا والاخلاص
او الريا والحيا او الاخلاص والحيا وحكم التساوى عنده بين الاشيا الثلاثة اذا
اجتمعت فى امر واحد فى انه مخير بين ان ياتى بواحد منها فيكون اختار مقتضاه من
الاثم او غيره وحكم الطرفين اى الشيين من الاشيا الثلاثة اذا اجتمعا فى امر واحد قد
بينا فى مسئلة القرض المذكورة ومن ذلك اى مما اجتمعت فيه الاشيا الثلاثة ايضا ترك
المكلف الذنوب الحالية اى المنسوبة الى حاله هو فى نفسه احترازا عن الذنوب المتعلقة
بغيره كالغيبة والنميمة والظلم ونحو ذلك لانها قد تكون لغرض التقرب الى غيره من الناس
او نحو فامنه فيتصور فيها اكثر مما ذكر وقد يراد بالحالية الذنوب التى فى الحال لا الماضية
والمستقبلة فان ذلك كناية عن الندم والعزم على عدم العود فانه اى ترك الذنوب
المتعلقة بحاله هو فقط كترك شرب الخمر وترك تناول الحرام المبذول له ونحو ذلك
او الذنوب التى فى الحال قد يكون ذلك الترك لله تعالى اى لاجله سبحانه فيكون على وجه
الاخلاص وعلامته اى الترك لله تعالى تركها اى الذنوب المذكورة فى وقت الخلوة اى
الانفراد بنفسه عن الناس ايضا كما تترك بين الناس وقد يكون ذلك الترك للحيا
اى الانقباض من الناس اذا راوه فاعلا لتلك الذنوب وقد يكون ذلك الترك لئلا
يقتدى به اى بنا بعد غيره من الناس فى فعل تلك الذنوب فيعظم اثمه عند الله تعالى
بسبب ذلك لان من فعل معصية فاقتدى به غيره فعليه اثمه واثم من فعل
بتلك المعصية الى يوم القيمة كما سبق بيانه او يصغر فى عينه اى عين غيره من الناس
فلا يقتدى ذلك الغير به ولا يقبل ذلك القول الغير قوله الذى يقوله فى العلم
والنصيحة والوعظ فيحرم بالبنا للمفعول اى يحرمه الله تعالى بسبب ذلك عن
ثواب الاصلاح للناس الوارد فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم قوله لان يهدى الله على
يديك رجلا خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت اخرجه السيوطى فى الجامع الصغير
من رواية الطبرانى عن ابى رافع وقد يكون لئلا يقصد بالبنا للمفعول اى يقصده الناس
بشر وهو ضد الخير يعنى لئلا يوذوه بسبب ريبتهم ذلك منه او لئلا يذمه اى
يسبه ويشتمه الناس فيعصون الله تعالى بسبب ذلك وعلامته اى علامة كراهة
ذمهم له ان يكره ذمهم اى الناس لغيره اذا سمعه منهم ايضا اى كما يكره ذمهم له
او لئلا يتاذى اى يتضرر طبعه بذم الناس له فربما يتكلم فيهم من الذم ما لا
يريد ان يتكلمه فان فيه اى فى تاذى طبعه بذلك الشعور من نفسه بالنقصان فيها
وذلك يودى الى اطالة اللسان فى حق الغير وتالم القلب بالذم من الناس له

والاولى ان ينوى فى الترك الاخلاص ولا يلتفت الى الاعتبار الغالب والمغلوب بنية
المعطوف عليه

والاولى فى المبحث الخامس للريا تامل

ليس بحرام عليه وانما يحرم عليه تالم القلب بالذم اذا اداه اي اوصله الى ما لا يجوز
له قوله ولا فعله من اذية الغير قال المحاسبي في الرعاية ينبغي للمسلم ان يكره ذم
المسلمين له وقد يكرهه على وجوه قد يكره ذمهم خشية ان يكون ذلك دليلا على ذم
الله عز وجل لقول النبي صلى الله عليه وسلم انتم شهود الله في الارض هذا ما لم يعتدوا
ويظلموا في ذمهم ويكذبوا وكراهة ان يغيروا قلبه فيشغلوه عن ربه عز وجل او يجي
منهم اليه ما لا يحل له فيعصي الله عز وجل فيهم بقلبه او بجوارحه واشفاقا عليهم
ان يعصوا الله عز وجل فيه والذي هو اقل ذلك وهو مباح ان يكره ان يغتم بما يسمع
ويشق عليه لانه مخالف للطبع فلا يكاد ان يمتنع ان يهيج الغم بسمعه ما يكره من القول
فيه فليس عليه في ذلك جناح ان يكره ما يشق عليه فيما يهيج من فعل طبعه وان لا يحب
ان يغتم وان ذموه فاغتم لما هاج من الطبع فلا باس به ما لم يكن انما يكره الذم او يغتم
له جزعا ان يزول عنه الحمد بالطاعة ومحبة ان يثنوا عليه بالورع ويبروه على الورع
ويا كل بدينه فلا يحب ان يقولوا عليه غير ذلك فيزول عنه الثنا بعمله والبر على طاعة
فاذا كان ذلك فقد نقص في دينه لانه وان لم يراى في طاعة الله عز وجل في ذلك ولم
يجزع من ذلك ان لا يتم له الثنا على طاعة الله تعالى وسلم من ذلك وشغله مع السلامة من
الريا غم ذمهم اذا كانوا صادقين فيه عن الغم لله فقد نقص وغبن بل ما يرضى كثير
من الناس بالغم بزوال الثنا بالدين حتى يبتدى اعمالا اخر لم يكن يعملها يزيل ذلك الذم عنه
والخروج الى الاعتذار بالكذب والتصنع جزعا من زوال الثنا والمومن لا يطلب بطاعة
الله عز وجل حمدا من المخلوقين ولا يكتسب ذمهم ولا يحبه لان فيه شغل عقله ومحنة
له لعله ان يخرج الى ما لا يحل له ويكره عصيان المسلمين فيه بالطاعة يريد الله عز وجل
بها ولا يريد بها العباد وذم العباد لا يحبه ولا يكتسبه ولا يطلبه ويحب ان لا يعصوا
الله عز وجل فيه ولا يشغلوه عن ربه عز وجل وان يسلم في دينه ويسلم عليهم نعم كمال
الصدق من العبد في ان يزول اي يبعد عن روية الخلق بحيث لا ينظر اليهم اصلا فيستوي
عنده ذامه منهم ومادحه فلا يبغض ذمهم ولا يحب مدحهم لعلمه يقينا ان الضار له
ولغيره وكذلك النافع في الدنيا والاخرة هو الله تعالى وحده لا شريك له ولعلمه ان العباد
كلهم عاجزون من انفسهم عن الضر والنفع في كل حال وذلك اي كمال الصدق المذكور
قليل وجوده في الناس جدا بحيث هو في البعض النادر من الناس وفي الرعاية للمحاسبي
رحمه الله تعالى قال ومعنى حتى يكون حامده وذامه في الحق سوا ان يستوي حامده
وذامه لنفسه للاخلاص والصدق لله عز وجل والزهد في حمد من لا يضره ولا ينفعه
لان الخلق كلهم عبيد لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا فهم لغيرهم اولى ان لا يملكوا له ضرا

ولا نفعا

ولا نفعا فزهد في حمدهم ولم يبال بذمهم واستوى ذلك عنده لنفسه اذ الامر في المنفعة
والمضرة واحد وذمهم لا يوجب ضررا وحمدهم لا يوجب منفعة كما يروى ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال له رجل وهو شاعر بني تميم يا رسول الله ان حمدي زين وان ذمي شين
قال كذبت ذلك الله عز وجل فلما استيقن المومن وعلم وصدق ان الله عز وجل اله
واحد وكل ما سواه مالوه مربوب مدبر مصنوع لا يقدر ان يحدث في ملك مولاه ما لا
يريد ولا يكون الا ما اراد خلع من قلبه رجا من لا يملك له ضرا ولا نفعا وخوفه
واستوى عنده حمد المخلوقين وذمهم اذ كانوا بهذه المنزلة ولم يستو عنده حمد الخالق
وذمه اذ الملك له كله والمنفعة والمضرة من تدبيره وصنعه فما حمده الهه من
الفعل امل فيه الثواب في عاجل الدنيا واجل الاخرة وذلك اعظم المنفعه وما ذمه
عليه الهه من الفعل عظم عليه وخاف عقابه في الدنيا والاخرة اذ لا مالك لهما غير مولاه
والهه الجليل وما حمده الخلق او ذموه يستوي عنده اذ لا ملك لهم في المنفعة
ولا في المضرة في الدنيا ولا في الاخرة مما لم يرد مولاه ولم يشا او يترك الذنوب المذكورة
لئلا يشغل قلبه الفارغ من السو بذمهم اي الناس له اذا راوه فاعلا بالذنوب واذا
اشتغل قلبه بذمهم فلا يتفرغ لبعض العبادات من صلاة وصوم ونحوها ويبقى قلبه
مشغولا بالذم حينئذ وهو لا يريد ذلك فيترك الذنوب لاجل هذا فان بعض الناس
ممن استلذ بعبادة الله تعالى قد يفعل بعض الذنوب احيانا ولا يترك بعض الطاعات
اي لا يسهل عنده ترك ذلك وان كان بعض الطاعات نفلا غير فرض ولا واجب
فكيف لا يترك الذنوب اذا كان ذلك الترك لا يشغل قلبه عن بعض الطاعات بذم
الناس له على فعل الذنوب وقد يكون ترك الذنوب لئلا تظهر منه المعصية
للناس فتضعف عند الناس ويستخفون بها فيكثر منهم ارتكابها خ م يعني
روى البخاري ومسلم باسنادهما عن ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا يعني قال فيه
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا واسطة كل امتي يعني امة الاجابة وهم
المومنون به صلى الله عليه وسلم معافى بصيغة اسم المفعول اي ذلك الكل عافاهم الله
تعالى من البلا النازل والعذاب العاجل الا المجاهرين منهم بالمعاصي والمخالفات
فان الله تعالى مبتليهم بالبلا والعذاب والمحن والفتن او يترك الذنوب لئلا يهتك
اي يكشف ستر الله تعالى بعدم احترامه سبحانه فان العظيم اذا خولف في امره
ونهيه سهلت مخالفته وزال احترامه من القلوب فيخاف ان يهتك الله تعالى ستره
بين عباده في الدنيا وفي يوم القيمة م يعني روى مسلم في صحيحه باسناده عن ابي هريرة
رضي الله عنه مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما ستر الله تعالى على عبد في الدنيا

يعني معصية ولم يصرح بها لارادة العموم فيها وفي كل عيب الا ستر الله تعالى
عليه في الاخرة ذلك الذنب وذلك العيب الذى ستره عليه في الدنيا ومفهومه انه اذا
فضحه في الدنيا فضحه في الاخرة وفضيحة الزاني في الدنيا اذا اقيم عليه الحد بحضور
جماعة من المسلمين كما قال تعالى وليشهد عذابهما طايفة من المومنين فضيحة
في الاخرة ايضا ولكن بالتوبة والتطهير اذ الفضيحة لم تقع الا بذلك في الدنيا لا بالجنا[ية]
والتعبير ولا يلزم من ستر المعصية في الاخرة انتفا العذاب عليها فمن ستره الله
تعالى في الدنيا وكان يزني او يشرب الخمر او يسرق خفية بستره في الاخرة كذلك
فيعذبه خفية ان شا سبحانه وتعالى ومن هتكه في الدنيا يهتكه في الاخرة ايضا
فيعذبه على روس الاشهاد بمقتضى مفهوم النقيض من هذا الحديث وقد يكون ترك
العبد للذنوب ليرى الناس اى يحملهم على روية انه ورع اى متصف بالورع وهو
اجتناب المشتبهات من الامور فضلا عن المحرمات وانه خايف من الله تعالى
وليس هو في نفس الامر كذلك بل لا ورع عنده ولا خوف له من الله تعالى ولكن
له طمع وخوف من الناس فهذا الوجه من القصد ريا محظور اى ممنوع منه
شرعا محرم عليه يأثم به وجميع ما قبله كله من تلك الوجوه المذكورة امر جايز
وليس برياء ولا بمحظور وحكم الريا الممتزج بالاخلاص في مسلة ترك الذنوب
ان استويا او غلب الريا او غلب الاخلاص معلوم مما سبق من الكلام في اوايل مبحث
الريا وستر العبد لما فعله من الذنوب الماضية عن الناس ليلا يعلموا بها وعدم
ذكرها للغير او تذكرها في نفسه مخرج على هذه الوجوه المذكورة فقد يكون لله تعالى
من قبيل قول الشيخ ابي الحسن الشاذلي قدس الله سره قرات ليلة قل اعوذ برب
الناس فقيل لي شر الوسواس وسواس يدخل بينك وبين حبيبك يذكرك افعالك السيية وينسيك
الطافه الحسنة ويقلل عندك ذات اليمين ويكثر عندك ذات الشمال ليعدل بك
عن حسن الظن بالله وكرمه الى سو الظن بالله ورسوله فاحذرك هذا الباب
فقد اخذ منه خلق كثير من العباد والزهاد واهل الطاعة والسداد وقد يكون للحيا
من الناس وقد يكون ليلا يقتدى به غيره فيعظم اثمه الى اخر ما تقدم من الوجوه
وقد يكون ريا وقد يكون ممتزجا ومن امثلة المتردد بين الريا بقصد مرحة الناس
له والحيا من الناس بان احتمل واحدا منهما ان يمشي رجل بين الناس على حالة العجلة
اى الاستعجال فيرى واحدا من الكبرا جمع كبير وهو ذو الجاه والغنى والمنصب
في الدنيا فيعود من عجلته في المشي الى الهون واى السكون فيه والطمانينة او يضحك رجل
بين الناس فيرى واحدا من الكبرا فيرجع الى الانقباض ويترك الضحك في الحال

والاغلب

والاغلب من الحالين فيهما اى في هاتين المسلتين الريا للناس دون الحيا منهم
لان الحيا في الاكثر انما يكون من فعل القبايح والذنوب وهو اى الحيا فيهما اى في مسلة
سرعة المشي والضحك محمود ولو كان الحيا من الناس لا من الله تعالى فان الحيا خير كله
وسيجي بيان ذلك في بحث الوقاحة والحيا ان شا الله تعالى واما الحيا من فعل الامور
المندوبات اى المستحبات والسنن والواجبات فمذموم في الشرع جدا اى ذما قويا
لانه استحياء من الحق والله لا يستحي من الحق وانما يكون الاستحياء من الباطل
ويسمى ذلك الحيا عجزا بينا في القدرة وضعفا بينا في القوة وخورا بفتح الخا المعجمة
والواو اى لينا وتقصيرا بينا في الشدة والاقدام على الامور العظام كمن يستحي
اى يدركه الحيا من الوعظ لغيره اى الترغيب في الطاعات والترهيب من المخالفات
ومن الامر للغير بالمعروف والنهي للغير عن المنكر ومن الامامة ومن الاذان ونحوها
كقراة القران وتعلم العلم والذكر والتسبيح فالقوي في امر دينه يوثر اى يقدم الحيا من
الله تعالى على الحيا من الناس فلا يترك لاجل الحيا من الناس شيا من الطاعات المذكورة
وغيرها قال المحاسبي في الرعاية قد يترك التعلم لما يحتاج اليه ولا يسال عنه كراهة
ان يسال عن امر فيقال هذا لا يحسن مثل هذا فيدع الحق ان يطلبه والحرام ان يسال عنه
وهو يعلم انه يحتاج اليه ثم توهمه نفسه ان ذلك منه حيا وانما منه ريا ولو كان حياء
لكان من الله عز وجل احق ان يستحيا زعم انه يستحي من الناس ان يطلب الحق
فيعلموا بذلك فيفطنوا لجهله ولا يستحي من الله وقد علم ان الله يعلم انه يدع الحق
ان يتعلمه ويطلبه وهذه الاخلاق كلها تتشعب من الكبر والعجب وغيره وقد
تهيج عن الريا كما روى عن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تطلبوا
العلم لتباهوا به العلما ولا لتماروا به السفها ولا لتجروا ابصار الناس اليكم وقال
كعب يأتي على الناس زمان يتغايرون فيه على العلم كما يتغايرون فيه على النساء
فذلك حظهم المبحث السابع اخر الجاث الريا السبعة في علاج اى معالجة
ومداواة الريا ليزول عن العبد الذى ابتلاه الله تعالى به وذلك العلاج يتوقف
على معرفة اسبابه اى الريا جمع سبب وهو ما يوصل الى الريا ومعرفة غوايله
اى افاته ومفاسده ومضراته ومعرفة اسباب ضده اى ضد الريا وهو الاخلاص
ومعرفة فوايده اى فوايد ذلك الضد فاسبابه اوايله وغوايله اواخره وكذلك اسباب
ضده اوايله وفوايده اواخره ولا علاج الا بعد معرفة اوايل الداء واخره واوايل
العافية واواخرها فاضطر اللام في المعالجة الى معرفة ذلك كله اما اسباب الريا فقد
عرفتها اى من الكلام الذى سبق في المبحث الثالث وبيان ذلك انها اى اسباب

الريا حب الجاه اى العز والرفعة وحب المنزلة اى المرتبة العالية فى قلوب الناس
حتى يمدحونه بما فعله ومالم يفعله من الخير ولا يذ مونه على ما يفعله من السوا ما ذلك
المدح وترك الذم لذاته اى لاجل ذات ماذكر لكونه يحب مدح نفسه وترك
ذمها او للتوسل اى التوصل به اى بذلك المدح وترك الذم الى غيره اى غير ذلك من
الحظوظ النفسانية والمراتب الدنيوية والطمع معطوف على حب الجاه لما فى ايدى
الناس من الاموال والاملاك اى يرجوا ان يحصل له شى منها وكذلك الفرار اى الهروب
والتباعد عن الم الذم الذى يدركه من كلام الناس والم الجهل الذى يقاسيه فى عدم
معرفته بالعلوم الناقعة واما غوايله اى الريا فقد قال الله تعالى فمن كان يرجوا لقاء
ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا فقد سمى الله تعالى الريا شركا والمراءى
اشرك فى عبادة ربه ما قصده من تلك الامور النفسانية يعلى يعنى روى ابو يعلى
باسناده عن ابن مسعود رضى الله عنه انه اى النبى صلى الله عليه وسلم قال من احسن اى اتقن
الصلاة المفروضة او النافلة حيث يراه الناس اى فيما بين الناس وهم يرونه واساءها
اى لم يتقنها ولم يكمل اركانها وسننها ومستحباتها حين يخلوا بنفسه فى مكان ليس
فيه احد فتلك الحالة منه استهانة اى اذلال وتحقير استهان بها ربه تبارك وتعالى
حيث لم يعتبره سبحانه فلم يتقن عبادته بحيث لا يراه غيره تعالى واعتبر الناس فاتقن
العبادة بحيث يرونه وهو ريا محض مالم يكن انما اتقنها بين الناس بقصد تعليم
كيفية للغير الاتقان للغير مع قصد وجه الله فى ذلك او كان فارغا عن الاشغال فى المكان
الذى يراه الناس فيتفرغ للاتقان وان كان فى مكان خلوته اشتغل بنوع اخر من العبادة
كالعلم ونحوه او الكد على عايلته حد يعنى روى الامام احمد بن حنبل باسناده عن محمود
ابن لبيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اخوف اى اكثر خوفا مضافا الى ما اى خوفى
الذى اخاف عليكم الشرك بالله تعالى الاصغر بالنسبة الى الشرك الاكبر الذى هو عبادة الاوثان
ونحوه قالوا يعنى الصحابة الحاضرين عنده عليه السلام وما الشرك الاصغر يا رسول
الله قال الريا اى اداء العبادة لغير وجه الله تعالى بقصد ان يراه غيره فيمدحه على ذلك
يقول الله عز وجل فى يوم القيمة للمرائين اذا جزى الناس اى ادى الجزاء اليهم باعمالهم
اذهبوا ايها المراءون الى الناس الذين كنتم تراءون اى تعملون عبادتى بحيث يرونكم فى الدنيا
فانظروا هل تجدون عندهم جزاء لكم على اعمالكم لاجلهم ومعلوم انهم لا يقدرون على جزائهم
كما قال تعالى يوم لا تجزى نفس عن نفس شيئا ففى هذا الصنع كمال التبرى منهم والتوبيخ لهم
والتقريع عليهم دنيا يعنى روى ابن ابى الدنيا باسناده عن جبلة اليحصبى رضى الله عنه عن النبى
صلى الله عليه وسلم انه قال ان المراءى اى الذى يعمل العبادات ليراه الناس فيمدحونه على ذلك

ينادى بالبنا للمفعول اى يناديه الله تعالى او ملك من الملايكة او يناديه المخلص فى عمله يوم
القيمة على رءوس الاشهاد بين الخلايق يا فاجر من الفجور وهو الامعان فى المعاصى وفجر
فسق وكذب وكذّب وخالف كذا فى مختصر القاموس يا غادر من الغدر ضد الوفا يا كافر
من الكفر ضد الايمان او الكفران ضد الشكر يا خاسر من الخسران وهو ضد الربح خسر كفرح
وضرب خسرا وخسرانا ضل اى ضاع وذهب عملك الذى عملته فى الدنيا وقصدت به غير وجه
الله تعالى وحبط اى بطل اجرك الذى ترجوه على عملك من الله تعالى اذهب فخذ اجرك على عملك ممن
كنت فى الدنيا تعمل عبادة الله تعالى له اى لاجله من الناس رغبة فى مدحهم وحبا فى ثنايهم عليك
ز يعنى روى الحافظ البزار باسناده عن الضحاك رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله تعالى يقول انا خير شريك يعنى اكثر خيرا من شريك اشركه معى عبدى فى ملكى فمن اشرك
اى جعل بزعمه ودعواه الباطلة اذ فى الحقيقة لا شريك له سبحانه معى فى تدبير شى ما شريكا
فاعتقدوا انه يوثر فى نفع او ضرر فهو اى ذلك المشرك منسوب يوم القيمة لشريكى على انه الهه
يعبده من دون الله تعالى ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم بعد فراغه من حكايته قول الله تعالى
يا ايها الناس اى المكلفون بامر الله تعالى ونهيه اخلصوا اعمالكم اى اجعلوها خالصة لوجه
الله تعالى ولا تعملوها لاجل غيره سبحانه فان الله تعالى لا يقبل من الاعمال التى يعملها العبد
الا ما اخلص له سبحانه وتعالى اى عمل لاجله تعالى بلا قصد مخلوق اصلا ولا تقولوا هذا
اى فعل الصدقة على الاقارب او الصلة لهم مثلا بنحو تحية وسلام وهدية وكلام لله تعالى
اى تقربا اليه سبحانه وللرحم اى القرابة ايضا فانها اى تلك الصدقة والصلة انما هى للرحم فقط وليس
لله تعالى منها شى ان وقع الشركة فيها بين ارادة الله وجه الله تعالى وارادة صلة الرحم لاجل
المخلوق فلا اخلاص فى ذلك لله تعالى ولا تقولوا هذا الفعل الجميل من الطاعة لله تعالى ولوجوهكم
وجه القوم كبيرهم والمعنى لمراعاة خواطر بعضكم فانها اى الطاعة التى اتيتم بها لوجوهكم اى
لاجل اكابركم وليس لله تعالى فيها اى فى تلك الطاعة شى لشركة غيره معه سبحانه فيها وفى
الرعاية للامام المحاسبى رحمه الله تعالى قال الريا على وجهين احدهما اعظم واشد والاخر
هو اهون وايسر وكلاهما ريا فاما الوجه الذى اشد الريا واعظمه فارادة العبد العباد
بطاعة الله لا يريد الله بذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم فى حديثه ان لا تعمل بطاعة الله
تريد الناس وكما قال فى الثلاثة الذين قال الله عز وجل لهم انما اردتم ان يقال وهم المقتول
فى سبيل الله والقارى للقران والمتصدق بماله فقال انهم ارادوا العباد ولم يذكر انهم ارادوا
الله عز وجل مع ارادتهم لخلقه وذلك عند الله عظيم وقال ابو هريرة رضى الله عنه ان النبى
صلى الله عليه وسلم قال فى حديث الثلاثة وخط على فخذ ابى هريرة وقال يا ابا هريرة اولئك
اول خلق تسعر بهم جهنم يوم القيمة فذلك اعظم الريا عند الله عز وجل وروى شداد

اى جم

ابن اوس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اخوف ما اخاف على امتي الريا وروي عنه ايضا انه قال
رايت النبي صلى الله عليه وسلم يبكي فقلت ما يبكيك قال امر تخوفته على امتي الشرك اما انهم
لا يعبدون صنما ولا شمسا ولا قمرا ولا حجرا ولا وثنا ولكن يراوون باعمالهم فكان اخوف
ما خاف عليهم صلى الله عليه وسلم الريا واما الوجه الاخر الذي هو ادناه واسيره فارادة
العباد بطاعة الله عز وجل وارادة ثواب الله يجتمع في القلب ارادتان ارادة المخلوقين
وارادة ثواب الخالق فهو ادنى الريا وهو الشرك بالارادة في العمل لان الاول اراد الناس
ولم يرد الله عز وجل وهذا اراد الله عز وجل والناس بعمله فاشرك في عمله بطلب محمدة الناس
وطلب حمد الله عز وجل وكذلك روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يقول
انا اغنى الشركاء عن الشرك من عمل لي عملا اشرك فيه غيري فانا منه بري وهو للذي اشركه
وقال طاووس ومكحول ومجاهد وعبد الكريم بن ابي المخارق ان رجلا جا الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال يا رسول الله الرجل يحب ان يتصدق ويحب ان يوجر ويحمد وقال بعضهم
الرجل يقاتل ليوجر ويحمد فلم يرد عليه صلى الله عليه وسلم حتى نزلت عليه هذه الاية فمن كان
يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا فانزلها الله تعالى جوابا لقول
السايل اذ سال عمن اراد الله واراد حمد المخلوقين وروى القاسم بن مخيمرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال قال لا يقبل الله عز وجل عملا فيه مثقال حبة من خردل من رياء وقال عمر رضي الله عنه لمعاذ
ابن جبل وراه يبكي ما يبكيك قال حديث سمعته من صاحب هذا القبر سمعته يقول ان ادنى
الريا شرك وحديث يروى ان ايسر الريا شرك وقال ابن ابي مغيث او غيره لسعيد بن المسيب
قال احدنا يصطنع المعروف يحب ان يوجر ويحمد فقال له ابن المسيب اتحب ان تمقت
قال لا قال فاذا عملت لله عز وجل عملا فاخلصه وقال رجل لعبادة بن الصامت اقاتل
بسيفي في سبيل الله اريد وجه الله عز وجل ومحمدة المومنين قال لا شي لك حتى ساله
ثلاث مرات كل ذلك يقول له لا شي لك ثم قال له في الثالثة ان الله عز وجل يقول انا اغنى الشركا
عن الشرك من عمل لي عملا فاشرك فيه معي شيا تركت نصيبي لشريكي وذكر الله عز وجل
قول من رضي عنه من المومنين لا نريد منكم جزا ولا شكورا فنفوا عن قلوبهم ان يريدوا الله
عز وجل وخلقه وقال الضحاك لا يقولن احدكم هذا لله ولوجهك ولا يقول هذا لله وللرحم
فان الله عز وجل لا شريك له وضرب عمر رضي الله عنه رجلا بالدرة ثم قال له اقتص قال لا
بل ادعها لله ولك فقال عمر ما صنعت شيا اما ان تدعها لي فاعرف ذلك واما ان تدعها لله وحده
قال فقد تركتها لله وحده قال فنعم اذا فدلت هذه الاثار على ان اعظم الريا ارادة العباد بطاعة
الله وان ادناه ارادة المخلوقين وارادة ثواب الله عز وجل فتعالى الله عما يشركون والايات
القرانية والاحاديث النبوية في ذم الريا بنوعيه الاعلى والادنى كثيرة جدا لا حاجة الى
ذكرها

ذكرها جميعا اي جميعها فالتنوين عوض عن المضاف اليه ههنا اي في هذا الكتاب وفيما ذكرنا
في هذا المحل من ذلك كفاية اي ما يكفي للمسلم العاقل المقبل على اخرته واصلاح حاله بل العمل
بجهده يهتدي اي يتوصل اليه اي الى ذم الريا تاكيد اللايم الوارد في الشرع تاييد اله
بقليل التفات اي نظر وتامل منه في ذم الريا اذ لا اي لان معنى الريا في الشرع جعل العبد
المكلف عبادة الله تعالى الواجبة عليه او المندوبة له فعلا وتركا الموضوعة شرعا
لتعظيمه اي الله تعالى والتقرب اليه سبحانه وسيلة مفعول الجعل اي موصلة الى غيرهما
اي غير التعظيم والتقرب من الاغراض النفسانية والحظوظ الشهوانية وفيه اي في ذلك
الجعل المذكور قلب الموضوع في الشرع لعبادة الله تعالى وعكس المشروع اي المبين
في ملة الاسلام وتلبيس اي تغطية وايهام على الغير باعلام الناس انه يقصد بالعبادة
التي يفعلها تعظيم الله تعالى والقربة اليه سبحانه مع انه في حقيقة الامر ليس حاله كذلك
بل انما يقصد بها اي بعبادة الله تعالى التقرب اليهم اي الناس والتحبب لهم اي ليحبوه
ويعظموه او لينال منهم غرضه من الدنيا والجاه والرياسة فلو ان الناس علموا نيته
اي قصده من عبادة الله تعالى لمقتوه اي ابغضوه ونفروا منه وهجروه وربما علموا
بذلك في زماننا هذا في بعض الاشخاص ممن يواظب على العبادة والطاعة ويمقتونه
ويهجرونه او البعض منهم ولا يعلم السبب في ذلك ونحن نجد الان في بلادنا دمشق
الشام بان الرجل الصالح الولي يقدم علينا وهو ظاهر الصلاح حسن السيرة والسريرة
فربما يخرج للقايه غالب الناس ممن يعتقد الصالحين والاوليا ويعظمونه ويتباركون
به ويقبلون عليه ويهدون اليه الهدايا العظيمة ويحتلفون به في مدة قليلة او كثيرة
فيرى نفسه على خلاف ما كان عليه من قبل ذلك اذ غالب القادمين لم يكونوا من اهل النعم
ولا ممن تبسط في المعيشة فيعجبه اقبال الناس عليه واحتفالهم به فيركن الى ذلك
ويميل قلبه فيفسد عليه حاله الذي كان فيه ويتبدل حسن نيته وقصده
بضد ذلك فتتركه الناس ويعرضون عنه لي ويتهم اياه بخلاف حالته الاولى وعلى
النقيض من صلاح قلبه اما باحساس يلقيه الله تعالى في قلوبهم او بروية بعض
العلامات في الظاهر فربما يغضب على الناس ويقول اهل هذه البلاد لا حقيقة عندهم
ولا تمام مودة فيهم ولا يحفظون العهد لاحد وربما قال ذلك غيره لما راه من اعراضهم
عنه بعد اقبالهم الكثير عليه وليس الامر كذلك وانما لو راجع ذلك الرجل نفسه وانصف
لوجد قلبه تغير فغير الله تعالى عليه قلوب الناس وهذه محنة شديدة للقادمين
على بلادنا من الصالحين وفتنة كبيرة لهم وكم راينا من صالح فسد حاله في اقل من قليل
بالسبب المذكور ومن ذلك ما هو واقع الان من علما زماننا انهم يتعلمون العلم الظاهر

وبيالغون في ادراك ابحاثه وتحقيق مسايله وتحصيل كتبه ثم يسافرون الى بلاد السلطان
يقصدون تحصيل الوظايف واخذ المدارس وربما يعاكس الله تعالى عليهم الامور فلا يوصلهم
الى اغراضهم من ذلك فيذمون حاشية السلطان ويقدحون في ولاة الامور ويقولون عنهم
انهم لا يحبون العلما ولا يعظمون الصلحا ويقولون لا يروج في هذا الزمان الا الدرهم والدينار
وان العلم غير معتبر والدين محتقر وهم في حقيقة الامر انما طردوهم ولم يعتبروهم لسوء
ما جاوبه من قصد غير وجه الله تعالى بعلومهم التي هي من اشرف العبادات واكمل الطاعات
وربما صرحوا بذلك فقالوا اننا ما تعبنا وتركنا اوطاننا وسافرنا الى بلاد الغير
الا لقصد اخذ الوظيفة الفلانية والمدرسة الفلانية بعلمنا ونحن العلما والمحققون
ولم يعتبرونا ولا التفتوا الينا وحرمونا من قصدنا ومرادنا ونحن لاي شي تعلمنا
العلم فالتجارة اولى بنا حينيذ وجزى الله تعالى كل خير لمن كان سببا لحرمان مثل
امثال هولا العلما صورة الفسقة حقيقة الذين جعلوا علومهم مصيدة للحطام
وشبكة للاقتناص الحلال والحرام ولا اثاب الله تعالى من سعى لهم في اعطا وظيفة
او تولية او مدرسة وسلطهم على اضلال الامة بتعليم الناس علوم القال والقيل
من غير عمل ولا نية صالحة وتعليم الناس بحالهم وافعالهم الغرور والتكبر
والحسد والبغض والحقد والتعصب وتاسيس الغفلة في قلوب العوام وتاكيدها
وازالة الخشوع من القلوب ورؤية الغير حقيرا ذليلا بسبب ما هم فيه من الخيل
المسومة والبيوت المزخرفة والخدم والحشم وهذا في زماننا كثير في كل بلاد وربما
تعودت طلبتهم وتلامذتهم السير على سيرهم ليصلوا الى ما وصلوا هم اليه
فتسلسل فسادهم في الجيل بعد الجيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم والله
سبحانه وتعالى عالم بها اي بنيتهم وقصدهم فهو سبحانه بالمقت اي البغض والغضب
لذلك المراي اولى من مقت الناس العالمين بذلك باعلام الله تعالى لهم ببعض العلامات
وان كان الذي ينبغي للناس حمل مثل هولا على المحامل الحسنة وعدم مقتهم ولكن لما كثر
منهم هم عدم حمل الناس الا على السوء وعدم التاويل لغيرهم بسوء من قول احد او فعله
سلط الله تعالى عليهم الناس يعاملونهم بجنس ما هم فيه مما يعاملون الناس به والامر كله
لله وفيه اي في الجعل المذكور الذي هو معنى الريا استهانة اي تحقير واذلال وازدراء بالله
تعالى حيث لم يجعله الله تعالى اهلا لاخلاص العبادة له سبحانه دون قصد غيره بها
فكانما غيره بيده نفع او ضرر مع ايمانهم بان النافع الضار هو الله تعالى وحده
العياذ بالله تعالى منها اي من تلك الاستهانة المذكورة واقل ما في الريا من القبايح انه
صورة تلبيس وتزوير على الناس وعبادة لغير الله تعالى بمنزلة الشرك معه
سبحانه

سبحانه في الالوهية فهذا المعنى المذكور كاف في التحريم اي لو لم يكن في الريا غيره لكان
يكفي في ثبوت حرمة الريا فان التلبيس من المومن على غيره قبيح جدا وناهيك بقبح الشرك بالله
تعالى وجبا ثمه شرعا وعقلا فلهذا حرم اي الريا كله اي بجميع انواعه وان تفاوت احاده
اي وقع الفرق بين اقسامه في غلظة التحريم وخفته اي التحريم على ما سبق في المبحث
الخامس في بيان احكام الريا فغاية الريا اي مفسدته وضرره استحقاق العذاب
الاليم اي الموجع في الاخرة من الله تعالى ولم يقطع بالعذاب وانما قال استحقاقه
لاحتمال العفو عنه فان اصحاب الكباير عذابهم غير مقطوع بوقوعه عند اهل السنة
وانما هم مرجون الى امر الله تعالى ان شاء عذبهم وان شاء غفر لهم ما عدا الكفر كما قال تعالى
ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا وقد سبق هذا في فصل الاعتقاد
وابطال العمل في الدنيا او نقص اجره اي ثوابه على ما تقدم بيانه في المبحث الخامس
واما سبب الاخلاص الذي هو ضد الريا اي المعنى الموصل الى حصوله فالايمان بالله
تعالى انه هو الخالق الرازق المحي المميت النافع الضار وحده لا شريك له ووجوبه
اي الايمان او الاخلاص فان اعتقاد الوجوب سبب حصول الاخلاص حيث انه
لا محيص للمكلف عنه في كل عمل وتوقف قبول كل عمل عليه اي على الاخلاص عند الله
تعالى لانه التقوى القلبية كما قال تعالى انما يتقبل الله من المتقين واما فوايده اي
الاخلاص فمنها موافقة كيفية امر الله تعالى له في جميع العبادات فقد قال الله تعالى
وما امروا اي المكلفون من بني ادم الا ليعبدوا الله في جميع انواع عباداتهم التي
كلفوا بها في الشرع مخلصين في تلك العبادات له سبحانه وتعالى وحده لا لغيره
الدين اي الانقياد والامتثال بان يكون انقيادهم له تعالى وامتثالهم لامره ونهيه
من اجله سبحانه وتعالى لا من اجله ومن اجل غيره او من اجل غيره فقط وان كان
نفس العبادة له تعالى لا لغيره ومنها ان الانقياد الخالص والامتثال المقصود منه
وجه الله تعالى لا غير في كل عبادة فعلية او تركية كالصلاة وترك شرب الخمر لا يكون
ذلك الا لله تعالى وحده دون غيره كما قال تعالى الا لله اي لا لغيره الدين اي الانقياد
في كل طاعة الخالص من شايبة قصد الغير ومنها حصول رضوان الله تعالى حسبما
يعني روى ابن حبان والحاكم باسنادهما عن انس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال من فارق الدنيا اي مات على الاخلاص في جميع اعماله الظاهرة والباطنة
لله تعالى وحده لا شريك له واقام الصلاة اي اتى بها مستقيمة بجميع كمالاتها واتى الزكاة
على وجه الاخلاص في ذلك كله وانما خص الصلاة والزكاة بالذكر دون الصوم والحج وغيرهما
من العبادات مع دخول ذلك في مقتضى ذكر الاخلاص اذ لا اخلاص الا في عمل اهتماما

بالصلاة المتكررة في كل يوم وليلة وبالزكاة التي هي مالية محضة فتشق على النفوس
اكثر من الحج اذ يمكن في الحج قضاء غرض نفساني كالتجارة والنزهة فيخف على النفس
دون الزكاة فانها ثقيلة وان فسر الاخلاص بالايمان اقتضى نفي شركة الغير في العبادات
ايضا فارقها اى الدنيا يعني مات والله تعالى عنه راض ومن رضى الله عنه عفا عنه واكرمه
وادخله الجنة حك يعني روى الحاكم باسناده عن معاذ بن جبل رضى الله عنه انه
قال حين بعث بالبنا للمفعول اى بعثه النبي صلى الله عليه وسلم حاكما الى بلاد اليمن يا رسول
الله اوصني اى اذكر لي وصية احفظها عنك واعمل بها قال له النبي صلى الله عليه وسلم
اخلص دينك اى انقيادك وامتثالك لاوامر الله تعالى ونواهيه فلا تعمل عملا
الا لوجه الله تعالى لا لغيره يكفيك في حصول الزلفى لديه سبحانه ورفع درجتك
عنده العمل القليل ولا تحتاج مع ذلك الاخلاص الى الكثرة عمل هق يعني روى البيهقي
باسناده عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول طوبى بالضم فعلى من الطيب قلبوا الياء واوا للضمة قبلها ويقال طوبى
لك وطوباك بالاضافة قال يعقوب ولا تقل طوبيك باليا وطوبى اسم شجرة في الجنة
كذا في الصحاح وفي الاتقان للسيوطي اخرج ابن ابي حاتم عن ابن عباس قال طوبى اسم
الجنة بالحبشية واخرج ابو الشيخ عن سعيد بن جبير قال بالهندية للمخلصين في طاعة
الله تعالى اولئك مصابيح جمع مصباح وهو شعلة القنديل الهدى ضد الضلال
وهم العلما العاملون بعلومهم يهدون الامة باقوالهم وافعالهم الى رضوان الله
تعالى وغير المخلصين بخلاف ذلك فهم دعاة الضلال يوصلون الامة باقوالهم وافعالهم
الى غضب الله تعالى وسخطه لعدم عملهم بعلمهم فتراهم يعلمون الحق ولا يعملون به
ويعلمون الحرام ويفعلونه ويدعون الناس الى الاقتدا بهم والى اتباع ارائهم المستخلصة
من عصارات الافكار الدنسة بمخالفة امر الله تعالى ونهيه فهم الائمة الضالون
المضلون فالوبال كل الوبال على من وافقهم ولو في امر مشروع فانهم لا يفعلونه على
وجهه المشروع لعدم الاخلاص والكمال كل الكمال لمن وافق العلما العاملين المخلصين
فانهم انوار الله تعالى في ارضه لنفع خلقه ينجلى اى ينكشف عنهم كل فتنة اى محنة وبلية
ظلما اى مظلمة فكلما اظلمت ليالي الفتن والمحن في الناس اشرقت انوارهم وتلالات شموسهم
واقمارهم حفظوا الله تعالى في الرخا فحفظهم في الشدة وكانوا له مراقبين على كل حال
فالعناية الالهية تحفهم وتشملهم وغيرهم ممن لم يعمل بعلمه من علما القيل والقال تستهويهم
الفتن وتوقعهم في الشكوك والاوهام وتستولى عليهم المحن والبلايا فلا تتسع لها
صدورهم فيبقون في الهموم والغموم والتسخط على الله تعالى والغضب من الله تعالى

عليهم

عليهم والمكالبة على الدنيا والتحاسد فيها والتباغض والغرور والغفلة وكل خلق
سو فهم اضر الناس على الامة طب يعني روى الطبراني باسناده عن ابي الدرداء رضى
الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الدنيا في حقيقتها قولان للمتكلمين احدهما
ما على الارض مع الهوا والجو والثاني كل المخلوقات من الجواهر والاعراض قبل
الدار الاخرة قال النووي هو الاظهر ذكره العيني في شرح البخاري ولعل المراد بالدنيا
هنا جوف فلك القمر فقط مع العناصر الاربعة الارض والما والهوا والنار بقرينة
قوله بعده وما فيها ملعونة اى مطرودة عن مشابهة الله تعالى وكذلك كل شيء
لقوله تعالى ليس كمثله شيء فتدخل الاخرة كذلك ولكن لما كانت الاخرة غير ساترة
لوجه الله تعالى الذي كل شيء هالك الا وجهه هو لم تكن ملعونة والدنيا سترت وجه
الحق تعالى بها وبما فيها فهي ملعونة هي وما فيها ثم قال عليه السلام ملعون ما فيها
اى مما على وجه الارض وفي الما والهوا والنار من المواليد لعدم مشابهة شيء منها
لله تعالى فهي مطرودة عنه تعالى لسترها له وايقاع القاصرين في الشرك مع الله تعالى
والتشبيه له والتجسيم والحكم عليه سبحانه بما هو حكم عليها من نسبة المكان والزمان
والجهات والصور والكيفيات كل ذلك صدر من طرف الدنيا في حق اهل الغفلة عنه
سبحانه وتعالى فكيف لا تكون الدنيا ملعونة ملعون ما فيها وما القى الناس في الكفر
والشرك والضلال والزيغ والمعاصي والمخالفات والبدع الا الدنيا وما فيها مما تولد منها الا
ما اى الشيء الذي ابتغى بالبنا للمفعول اى طلب وقصد به اى بسببه او بمصاحبته وجه الله
تعالى القديم الذي قال سبحانه كل شيء هالك الا وجهه فان كل شيء طلب به وقصد
تحقيق معرفة الوجه الالهي فانه وان كان من جملة الدنيا ولكنه غير ملعون لعدم
ايصاله الى شيء من المفاسد المذكورة وقال الشيخ الاكبر محي الدين ابن العربي قدس الله
سره في كتابه شرح الوصية اليوسفية واعلم ان الدنيا نعمت مطية المومن العارف عليها
يبلغ الخير كله وبها ينجوا من الشر كله وهي من جملة ما اختبر الله تعالى بها عباده المومنين
المدعين فمن تعشق بوجه الحق منها فيه وقبلها على حد ما اعلمناه فقد فاز فوزا
عظيما بما فاز به خاصة اهل الله ومن تعشق بها من غير روية ذلك الوجه خيف عليه
ان يشترك معها وكذلك الكون كله اذا عرض عليك الدنيا والاخرة ومحمودة ومذمومة
فما من صورة تظهر في العالم محسوسة او محد متخيلة بالخيال في المتصل والمنفصل
او معلومة الا ولها روح هو حياة تلك الصورة وذلك الروح هو المعبر عنه بوجه
الحق منها وليس الغرض الا العلم بذلك الوجه دنيا واخرة وحسا وعلما وخيالا وقال
الكلاباذي في شرح الاثار عن جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الدنيا ملعونة

ملعونة ما فيها الا ما كان منها لله عز وجل يجوز ان يكون معنى الدنيا في هذا الحديث
ملاذ النفوس وشهواتها وجمع حطامها وزهرتها وما ذكر الله عز وجل في قوله زين
للناس حب الشهوات من النسا والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل
المسومة والانعام والحرث وحب البقا فيها فتكون هذه الاشيا هي الملعونة اذا كانت
للنفوس وشهواتها ولذة الطبع والتلهي بها والشغل فيها والحب لها ولم تكن لله تعالى
ولا فيه لان الدنيا في الحقيقة هي الحياة الاولى التي يليها الموت والفنا والاخرة هي الحياة
الباقية التي ليس لها زوال ولا فنا فيجوز ان يكون معنى قوله الدنيا ملعونة اي متروكة
مرفوضة وما فيها اي ما في الحياة الاولى من هذه الشهوات والملاذ والحطام وما ذكر في
الحديث ملعون اي متروك يجب تركها ورفضها والاعراض عنها فان الله تعالى على هذا
حث واليه ندب وفيه رغب وعنها زهد فقال انما مثل الحياة الدنيا كما انزلناه
من السما وقال انما الحياة الدنيا لعب ولهو وقال فلا تغرنكم الحياة الدنيا وقال ليبلوكم ايكم
احسن عملا روي عن ابن عباس ايكم احسن للدنيا تركا وعنها اعراضا الا ما كان منها
لله وهو ما كان عدة للطاعة لله وعونا على اقامة ما امر الله به وتجوز ان يكون معنى
متروكة اي هي متروكة الانبيا والاوليا والافاضل من الناس فانهم تركوها ورفضوها
واعرضوا عنها فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ان لهم الدنيا ولنا الاخرة وما انا والدنيا وما
مثلي ومثل الدنيا الا مثل راكب نزل تحت شجرة ثم سار وتركها هق حك يعني روى
البيهقي والحاكم باسنادهما عن ابي ذر الغفاري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال قد افلح اي اصاب الفلاح وهو الفوز والنجاة والبقا في الخير من اخلص
قلبه اي فرغه عن كل ما في الدنيا والاخرة للايمان بالله تعالى اي التصديق به
والاذعان والانقياد اليه بالكلية وجعل قلبه بالتكلف اولا حتى يزول التكلف
ويبقى ذلك سهلا عليه سليما من الحسد والحقد والبغض والغرور والغفلة والامن
من الله تعالى والياس من رحمته وظن السو به او باحد من الناس وجعل لسانه
صادقا فلا تحدث بكذب اصلا وجعل نفسه مطمينة اي ساكنة غير مضطربة
بوعد الله تعالى وتجزيل ثوابه من غير شك عندها ولا تردد في حكم من احكام الله تعالى
اصلا وجعل خليقته اي طبيعته وعادته مستقيمة على صراط الله المستقيم من غير
اعوجاج ولا ميل مع الهوى اصلا وجعل اذنه مستمعة للقول الحق من كل من قاله
كاينا من كان كما روي عن علي رضي الله عنه انه كان يقول انا نعرف الرجال بالحق لا نعرف الحق
بالرجال ومن كلام بعضهم اسمع لما قال ولا تسمع لمن قال وجعل عينه ناظرة الى ايات
الله تعالى التي في الافاق وفي الانفس لا تنظر الا نظر الاعتبار في كل شي فاما الاذن فقمع

بكسر

بكسر القاف وفتح الميم وهو الذي يصب فيه الدهن ويجوز فيه كسر القاف وسكون الميم
ذكره الفارابي في ديوان الادب وقال ابن فارس في المجمل القمع معروف يقال قمع وقمع
وفي الحديث ويل لاقماع القول وهم الذين يستمعون القول ولا يعون فتكون اذانهم
كالاقماع التي لا يبقى فيها شي انتهى فمعنى كون الاذن قمعا انها فارغة تقبل ان تعي كل
شي يلقى اليها من الغير من شر او خير والعين مقرة اي معترفة مصرحة بما يوعى القلب
اي تحفظ وتجمع من الخير والشر وقد افلح اي فاز بالسعادة الابدية والدولة السرمدية
من جعل قلبه واعيا اي حافظا مراقبا لجناب الحق تعالى ففايدة الاخلاص المستفادة
من هذه الاخبار امور رضا الله تعالى عن العبد المخلص وقبول العمل منه والنجاة
من كل هول والفلاح اي الفوز يوم القيمة وكذلك الحماية من الشيطان في الدنيا كما قال تعالى
حاكيا عنه لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين وغير ذلك من الفوايد العظيمة
والنتايج الجسيمة فاذا تمهد اي تقرر وتحرر لك هذا الكلام في بيان اسباب الريا وغوايله
واسباب ضده الذي هو الاخلاص وفوايده فعلاج اي مداواة مرض الريا يكون على
ضربين اي قسمين اي القسم الاول قطع عروقه اي الريا كناية عن ازالة اطرافه وجوانبه
واستيصال اي استقصاء اصوله بالقطع بحيث لا يبقى له اصل ولا فرع بالكلية وذلك
القطع والاستيصال يكون بازالة اسبابه اي الريا المذكورة فيما تقدم وتحصيل ضده وهو
الاخلاص واصل اسبابه اي الريا المتقدم ذكرها حب الدنيا فان من احب شيا سعى
في اسباب تحصيله فاذا وجد عمل العبادة من جملة اسباب تحصيله توصل بذلك الى تحصيله
وحب اللذة اي الشهوة العاجلة بحيث يستملكه الميل اليها فلا يجد له محيصا عن التوجه
الى اسباب تحصيلها وترجيحها اي الدنيا على الاخرة من جهة انها حاضرة والاخرة غايبة
والنفس مشغوفة بحب العاجل فهذا الصنيع من العبد المكلف غاية الحماقة اي قلة
العقل ونهاية البلادة اي العته وعدم النشاط فان الدنيا كدرة من الكدر ضد الصفا
وذلك لما هو ممزوج فيها من الخير والشر والنفع والضر والالم واللذة والفرح والحزن
والعز والذل والموت والحياة الى غير ذلك مما يعتري الخلق ولا يبقى فكر واحد من هذه
المتقابلات يكدر صفو الاخر حتى يزيله ويرفعه ثم يزول هو بضده من اول حياة
العبد الى مماته سوا كان العبد ملكا او غيره غنيا او فقيرا كبيرا او صغيرا سريعة الزوال
اي الانقضا والاضمحلال فليس فيها شي يبقى اصلا والاخرة صافية فاهل الجنة في
نعيم فقط لا يكدرهم شي ولا يمتزج عليهم حالهم بضده واهل النار في عذاب دايم لا يشوبه
نعيم اصلا فلا مزج عليهم ايضا باقية لا زوال لنعيمها ولا لعذابها والخلق المكلفون وغيرهم
كلهم عاجزون عن التاثير في كل شي لا يقدرون على التاثير في شي اصلا وان كانت افعالهم

الاختيارية منسوبة اليهم شرعا فهى كنسبة اعضايهم اليهم ولا يملكون لانفسهم ولا لغيرهم نفعا ولاضرا بل النافع الضار هو الله تعالى وحده بهم وبغيرهم لهم ولغيرهم فعليك ايها العاقل اى الواجب عليك ان تقنع اى تكتفى بعلم الله تعالى عبادتك اى اطلاعه عليها ولا تطلب مع ذلك علم غيره تعالى بها من ساير المخلوقين فانه لا فايدة لذلك فان المخلوق لا ينفع ولا يضر والله تعالى هو النافع الضار والعاقل لا يطلب الا علم النافع الضار واطلاعه عليه دون علم العاجز الحقير الذى لا قدرة له على نفع ولا ضر فان اطلاعه لا يجدى شيا قال الله تعالى اليس الله بكاف عبده انجادا وامدادا ولا يحسن بالمولى ايكال عبده الى غيره ما لم يتكل العبد بنفسه فيكون مغضبا لمولاه متعرضا لطرده وهو العبد الابق عن باب مولاه وعليك ايها العاقل ايضا ان تذكر وتكرر على قلبك بتامل وتفهم غوايل الريا اى افاته ومفاسده وفوايد الاخلاص المذكورتين اى الغوايل والفوايد والعلاج اى المداواة للريا العملى اى المنسوب الى العمل فى مقابلة ما ذكر من العلاج القلبى بمجاهدة النفس فى استحضار المعانى المذكورة اخفا العمل بحيث لا يراه احد واغلاق الباب كباب خلوته اى بيته حتى ينقطع عنه مخالطة الناس بالكلية فلا يمكن احدا التوصل الى الاجتماع به الا ما لزم اظهاره كالصلاة مع الجماعة وحضور الجمعة والعيدين والحج ونحو ذلك والضرب اى القسم الثانى من علاج الريا دفع ما يخطر فى باله من الريا فى الحال قبل ان يتشبع الخاطر فى النفس فيصعب عليه دفعه باستحكامه ودفع ما يعرض منه اى من خاطر الريا فى اثنا العبادة كالصلاة ونحوها فعليك ايها العاقل فى اول كل عبادة اى طاعة لله تعالى امتثالا كانت او اجتنابا ان تفتش قلبك لتكون فى تلك العبادة على حالة حسنة وتخرج عنه اى عن قلبك خواطر الريا بالكلية وتقرره اى القلب بمعنى تثبته من القرار وهو الثبات على الاخلاص لله تعالى فى تلك العبادة وتعزم عليه اى على الاخلاص من غير تردد منك فيه من اول تلك العبادة الى ان تتم اى تفرغ تلك العبادة وفى الاشباه والنظاير قال ومن الغريب ما فى المجتبى ولا بد من نية العبادة وهى التذلل والخضوع على ابلغ الوجوه ونية الطاعة وهى فعل ما اراد الله تعالى منه ونية القربة وهى طلب الثواب بالمشقة فى فعلها وينوى انه يفعلها مصلحة له فى دينه بان تكون اقرب الى ما وجب عنده من الفعل واداء الامانة وابعد عما حرم عليه من الظلم وكفران النعمة ثم هذه النيات من اول الصلاة الى اخرها خصوصا عند الانتقال من ركن الى ركن ولا بد من نية العبادة فى كل ركن والنفل كالفرض فيها الا فى وجه وهو ان ينوى فى النوافل انها لطف فى الفرايض وتسهيل لها انتهى وهذه النيات هى الاخلاص من اول العبادة الى اخرها لكن الشيطان المقارن لك لا يتركك بلا وسواس يفسد به عليك عملك لانه عدو مبين بل يعارضك كلما قصدت خواطر الاخلاص بخطرات

الريا

الريا فى قلبك وهى اى خواطر الريا ثلاثة خواطر مرتبة واحدا بعد واحد على الترتيب المذكور هنا الخاطر الاول العلم اى علمك باطلاع الخلق على العمل الذى تعمله او رجاوه اى رجاوك اطلاع الخلق عليك ثم الخاطر الثانى الرغبة اى رغبتك فى حمدهم اى مدحهم لك وفى حصول المنزلة العالية لك عندهم بحيث يشيرون اليك بالانامل ويراجعونك فى مهماتهم ثم الخاطر الثالث قبول النفس اى نفسك له ثم الخاطر الثالث قبول النفس اى نفسك له اى للريا بسبب ما فيه من لذة اطلاع الخلق والمدح وحصول المنزلة والركون اى الاعتماد بالقلب اليه بحيث لا يكاد يفارقه ولا ينفك عنه وعقد اى ربط الضمير اى القلب على تحقيقه اى اثبات حقيقته فى النفس فعليك يا ايها العاقل رد كل منها اى من هذه الخواطر الثلاثة اما رد الخاطر الاول فبان تقول من خطر له هذا الخاطر الاول ما يعنى اى شى لك وللخلق يعنى اى نفع يحصل لك منهم واى ضر يندفع عنك بهم والنافع والضار هو الله تعالى وحده علموا اى الخلق بما انت فيه من الطاعة لله تعالى او لم يعلموا اذ لك ان الله تعالى عالم بحالك كيف ما كنت وهو الخالق لكل شى لا خالق سواه فاى فايدة تحصل لك فى علم غيره وجاك وكل احد غيره سبحانه عاجز لا يقدر على شى وهو تعالى القادر على كل شى واما رد الخاطر الثانى فبتذكرك افات اى مفاسد الريا المتقدم ذكرها وتذكر تعرضه اى العبد بسبب ذلك للمقت اى بغض الله تعالى له فيثير اى يهيج ذلك التذكر فى قلب العبد كراهية للريا اى نفرة منه فى مقابلة الرغبة منه فيه تدعو تلك الكراهية الى الابا اى الامتناع منه فى مقابلة القبول له وهو الخاطر الثالث فينئذ فيندفع الخاطر الثالث بما اندفع به الخاطر الثانى والنفس من عادتها لا محالة انها دايما تطاوع اقوى الشيين المتقابلين فى الخير والشر فمتى تقوى عندها خاطر الخير اطاعته او تقوى خاطر الشر اطاعته فلا بد فى رد خواطر الريا الثلاثة المذكورة من ثلاثة امور كل امر فى مقابلة خاطر المعرفة بان الله تعالى عالم بحاله فى مقابلة العلم باطلاع الخلق والكراهية لمدحهم فى مقابلة الرغبة والابا عن قبول الريا فى مقابلة قبول النفس له وقد يشرع العبد المومن فى فعل العبادة على عزم الاخلاص لله تعالى من غير قصد شى مما سواه ثم يرد على قلبه خاطر الريا فجاة فيقبله وروده بغتة اى على حين غفلة ولا يحضره فى ذلك الوقت واحد من وجوه الرد الثلاثة المذكورة بسبب امتلا القلب قبل ذلك بحب الحمد من الناس له وخوف الذم منهم واستيلاء الحرص فى حب الدنيا عليه فتعزب اى تبعد وتغيب حينئذ عن القلب افات اى مفاسد الريا المتقدم ذكرها فينساها ولا يتذكر شيا منها حتى يكون رادعا له عن الريا فلم تظهر منه الكراهية للريا التى هى احد اسباب الرد المذكورة لانها اى الكراهية ثمرة المعرفة بان الله تعالى عالم بحاله فهو مكتف بعلم الله وحده وقد

المذكورة صح

يتذكر افات الريا فيعلم ان الخاطر الذى خطر له بسبب حب الحمد وخوف الذم واستيلاء
الحرص عليه هو خاطر الريا وانه اى خاطر الريا يعرضه بالتشديد اى يجعله عرضة اى معرضا
لسخط الله تعالى وغضبه ولكن لا تحصل له الكراهية للريا ايضا لشدة شهوته لشىء من
الدنيا فيغلب هواه عقله اى يصير هواه غالبا على عقله ولا يقدر على ترك لذة الحال اى
الحاضرة فى ذلك الوقت فيستلذ بالشهوة التى عرضت له فى وقته ذلك وهى لذة محرمة
فيسوف اى يماطل بالتوبة منها ولا يقلع عنها فى الحال من استحكام سلطانها على قلبه
او يتشاغل عن الفكر فى ذلك اى فى شىء من افات الريا لشدة استيلا الشهوة عليه فيدخل
الريا فى اعماله فى كل ذلك وهو لا يشعر به فكم من عالم بكثير من العلوم مشهور بها عند الخاص
والعام لم يكن مهذب النفس بالرياضة الشرعية سالكا مسالك السادة الايمة المتصفين
بالاخلاق المحمدية المتباعدين عن الاخلاق الشيطانية والبهيمية يحضره اى يخطر له
فى نفسه فيقوله فى مجلس علمه بين الناس او على كرسى وعظه ويكون لا يدعو الى قوله
اى قول ذلك الكلام فى ذلك الموضع الا الريا ليقال عنه انه عالم محقق او عامل بعلمه او
صالح زاهد متعفف او نحو ذلك وهو يعلم ذلك اى ان قصده الريا بقوله ولكنه يستمر عليه
مصرا مستكبرا فى نفسه عن تركه ولا يكرهه اصلا كما قال الشيخ العارف الكامل ابو
الحسن الشاذلى قدس الله سره من مات ولم يتوغل فى علمنا هذا مات مصرا على الكباير
انتهى ولا شك ان الريا من جملة الكباير فاى عالم من العلماء ولم يتوغل فى علوم الصوفية
بحيث يعرفها ويسلك فيها بنفسه على منهج الاستقامات وهو مصر على الكباير من ريا
وحسد وتكبر ومكر وخديعة وغير ذلك فتكون الحجة اى حجة الله تعالى يوم القيمة
عليه اى على ذلك العالم اوكد من الحجة على الجاهل اذ اى لانه قبل داعى الريا اى خاطر الريا الذى
خطر له ولم يكرهه مع علمه به اى بانه خاطر ريا وعلمه بغايلته اى مفسدته وما يترتب عليه
من القبايح وقد تحضر فى نفس العبد المعرفة بان الله تعالى عالم بحاله كيف كان والكراهية

كلام حق

له ايضا معا فى وقت واحد بحيث يتخيلهما ولكن لا يحصل له الاباء اى الامتناع عن خاطر
الريا بل يقبل داعى الريا ولا يمنعه من قبوله معرفته به وكراهته له ويعمل به الاعمال
التى هى فى الظاهر طاعات الله تعالى وعباداته لكون الكراهية للريا ضعيفة لا قوة فيها
بالاضافة وفى نسخة بالنسبة الى قوة الشهوة الغالبة عليه لشىء من امور الدنيا ولقوة
الرغبة الداعية له الى الاسترسال مع هوى نفسه كما هو الغالب فى زماننا على اكثر
علما الوقت المتصدرين لافادة الطلبة فضلا عن غيرهم الا من حفظه الله تعالى بتهذيب
نفسه باداب الصوفية اهل العلم النافع والعمل الرافع وهذا العبد الذى هذه صفته
ايضا لا ينتفع فى دينه لكراهيته للرياء اذ اى لان الغرض منها اى من الكراهية للرياء

صرفه

صرفه اى العبد او الريا من الفعل اى فعل الريا او فعل الطاعة فاذا بالتنوين اى فحينئذ
حيث كان الامر كذلك لا فايدة لاحد الا فى اجتماع الامور الثلاثة المتقدم ذكرها فى رد
خواطر الريا وهى المعرفة بعلم الله تعالى به والكراهية للريا والاباء اى الامتناع منه
فاذا اجتمعت هذه الامور الثلاثة فى احد من الناس فقد برى من الريا ومتى تخلف
واحد منها فقد يبقى الريا ولا يزول فلا يكون لما وجد منها فايدة اصلا ومجرد خطور
خاطر الريا فى قلب العبد وميل الطبع اليه وحبه له ومنازعته اى مخاصمته ومدافعته
اياه بحيث كلما خطر له دفعه وازاله فيخطر له كذلك وهكذا يبقى فى منازعته وتحت
ترداده من غير قبول له لا يضر ذلك العبد اصلا اذا لم يكن منه قبول له وركون اى اعتماد
عليه بالاختيار اى القصد منه والارادة اذ ليس فى وسع اى قدرة العبد المكلف
منع الشيطان الموكل به عن نزغاته بالغين المعجمة اى القا الوساوس اليه ولا فى
وسعه قمع اى قهر واذلال الطبع اى الطبيعة وهى السجية التى جبل عليها الانسان
من الاخلاق التى لا تزايله حتى يترتب على ذلك المنع والقمع انه لا يميل الى الشهوات ولا
ينزع بالعين المهملة اى يشتاق من نزع نزوعا اشتاق اليها الى الشهوات وانما غايته
اى العبد المكلف ان يقابل شهوته الثايرة فيه بكراهية منه لها وابى واباء اى امتناع
عنها بمقدار طاقته وعدم اجابة لها استفادها اى الكراهية والابا وعدم الاجابة من علم
الدين المحمدى الذى هو عالم به فاذا فعل العبد ذلك الفعل المذكور الذكا هو كناية عن هذه
الامور الثلاثة فهو الفعل الذى هو الغاية اى غاية ما يمكنه فى ادا ما كلف اى كلفه الله تعالى
به ثم اذا فرغ ذلك العبد من عمله الذى خلصه من الريا واكمله طاعة لله تعالى فعليه بعد
ذلك ان لا يتحدث به عند احد من الناس ولا يظهره لاحد اصلا الا اذا امن على نفسه من
لحوق الريا له وقصد بالتحدث والاظهار اقتدا الغير من الناس به فى موضع مظنته
اى مظنة الاقتدا به بان كان عالما كبيرا او زاهدا شهيرا من راه قلده واقتدى به او كان
السامع له والراى ممن يقتدى بغيره ويتابع غيره فى الصلاح والدين ومع ذلك يكون
فى حال التحدث والاظهار وجلا اى محترزا متحذرا من عمله ذلك ان يكون سببا لهلاكه فى الاخرة
بين يدى الله تعالى خايفا ان يدخله اى عمله من الريا الخفى الذى سبق بيانه ما اى نوعا
منه لم يقف عليه اى لم يعرفه فيكون عمله ذلك مردودا عليه غير مقبول منه ممقوتا اى
مبغوضا بسببه لله تعالى والعياذ بالله من ذلك ويكون ايضا هذا الخوف المذكور
فى دوام اى فى مدة وجود عمله ذلك وبعده اى بعد عمله ذلك لا فى ابتدا العمل فقط ثم
زال ذلك الخوف عنه فى وقت العمل وبعده بل ينبغى للعبد المكلف ان يكون متيقنا
اى قاطعا جازما فى الابتدا اى فى ابتدا عمله انه مخلص لله تعالى فى ذلك العمل ما يريد

بعمله الا وجه الله تعالى اى الا التقرب اليه سبحانه بعمله حتى ينكشف له وجه الله تعالى
الى كل شى فيزول الشى الهالك من عين بصيرته ويظهر له وجه الحق تعالى فيشهد الله تعالى
فى كل شى من حكم قوله تعالى كل شى هالك الا وجهه وقوله تعالى فاينما تولوا فثم وجه الله
وهو اخلاص الصوفية المشتق لهم هذا الاسم من اهل الصفة الذين هم الانصار حيث
اخبر تعالى عنهم بقوله يريدون وجهه وعاتب نبيه عليه السلام فى حقهم بقوله
سبحانه ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه الاية حتى توجد
منه النية المطلوبة فى الطاعة والعبادة اذ اى لان هى اى النية معناها العزم اى القصد
الجازم على ايقاع الفعل المصمم اى القاطع الباعث اى الموصل الى وجود الفعل فلا تجتمع
النية المذكورة مع الشك اى التردد فى الفعل والاحتمال اى امكان وجود الفعل وعدم وجوده
فلا بد من الايقان بالطاعة وانه يعملها لوجه الله تعالى فاذا شرع فى الطاعة على اليقين من
الاخلاص فيها ومضت عليه لحظة من الزمان يمكن فيها ان تعرض له الغفلة عن
الاخلاص والنسيان له جاز الخوف عليه فى تلك اللحظة اى من شائبة اى مخالطة
خفية غير ظاهرة له من الريا والعجب فتفسد عليه اخلاصه فى عمله واما اولوية
اى كون الاولى فى حق العبد المكلف غلبة الخوف من الله تعالى ان يكون فى عمله رياء على الرجا
منه تعالى بعدم الريا او العكس هو الاولى بغلبة الرجا على الخوف فقد اختلف اقوال
المشايخ من العلما فيها اى فى الاولوية من ذلك المذكور حتى قال بعضهم ينبغى ان يغلب
بالتشديد اى يجعل غالبا الرجا على الخوف لانه اى العبد المكلف الداخل فى العبادة
استيقن اى تحقق يقينا انه دخل فى عبادته باخلاص لله تعالى فى ذلك
ولكنه شك اى تردد بعد ذلك فى زواله اى الاخلاص فمن جملة قواعد الشرع
كما ذكرها فى الاشباه والنظاير وغيره ان اليقين لا يزول بالشك والشك
لا يرفع حكم اليقين والاخلاص عنده يقين فلا يزول بالشك فيه فالرجا
غالب على الخوف اذ هو مقتضى امر متيقن به وهو الاخلاص والخوف مقتضاه
امر مشكوك فيه وهو الريا فبذلك اى بسبب التيقن بالاخلاص تعظم لذاته
اى العبد المكلف فى المناجاة بينه وبين الله تعالى وفى الطاعات التى
يفعلها لله تعالى وخوفه اى العبد يعنى الخوف الحاصل عنده لاجل ذلك
الشك فى لحوق الريا له جدير اى اولى واحق بان يكفر اى يستر اثم خاطر الريا
ان كان ذلك الخاطر قد سبق منه وهو غافل عنه لا يشعر به وفى الرعاية لابى
الحارث المحاسبى رحمه الله تعالى لا يجوز ان يدخل فى العمل ولا يدرى ما يريد
فعليه ان يكون متيقنا بانه قد اراد الله عز وجل بذلك العمل والا لم يدخله

فاذا

فاذا علم انه قد اخلص واراد الله عز وجل دخل فى العمل على ذلك فاذا مضى عليه من
الاوقات ولو كطرف العين مما يمكن المخلوق فيه النسيان والسهو فالخوف اولى به
لانه لا يدرى لعله قد خطرت بقلبه خطرة ريا او عجب او كبر او غيره فقبلها وهو ناس لا
يذكر انها ريا فيكون مشفقا خايفا فاذا كان شاكا فى عمله فكيف يرجوا على الشك ويومل
الرضى من الله عز وجل اما الشك فى انه لا يدرى دخل العمل بالاخلاص ام لا فلا يجوز فى ذلك
الشك اذ قد علم انه قد دخل وقد اراد الله عز وجل وحده واما شك خوفا من ان يكون
قد احصى الله عز وجل عليه قبول خطرة نسيها هو ولم يفطن لها فنعم والخوف على عمله
والوجل والاشفاق من اجل ذلك والرجا والخوف على العمل ان يكون عمله لله او لغير
الله ويستويان فامله فى الله عز وجل ضعيف فكيف ينعم بطاعة الله ويجد
حلاوتها بل الامل والرجا اغلب واكثر لانه قد استيقن انه قد دخله بالاخلاص
لله عز وجل ولم يستيقن انه رايا بشىء منه فالاخلاص عنده يقين والريا
هو منه فى شك فخوفه ان كان خالطه ريا كان ذلك الخوف مما يرجو به ان يصفيه
الله عز وجل له لاشفاقه على ما لا يعلم فبذلك يعظم رجاوه وان لم يكن
خالطه ريا فذلك زيادة على عمله وعبادة منه وكلما اشفق ازداد يقينا
بالطاعة واملا فى الله عز وجل اذا يقن انه دخله بالاخلاص وختمه
بالاشفاق والوجل من علم الله تعالى فبذلك يعظم رجاوه واملة وينعم
بطاعة ربه عز وجل والمنقول عن اكثر المشايخ من الصوفية وغيرهم
ان الاولى غلبة الخوف فانه على العبد ان يكون مقصرا فى اعماله والريا فيها
حتى نقل عن السيدة العارفة بالله تعالى رابعة العدوية رضى الله تعالى
عنها حين قيل لها بم اى باى شى واصلها ما الاستفهامية دخل عليها
حرف الجر فحذفت الفها كقوله تعالى بم يرجع المرسلون وقوله عم يتساءلون
ترجين اى باى سبب يحصل لك الرجا من الله تعالى انها قالت فى الجواب
باياسى اى قنوطى من الانتفاع بشى من جل اى عظم عملى فيا سى من
الانتفاع باعظم اعمالى سبب لرجاى من الله تعالى ان ينفعنى اكمل الانتفاع
مع انها رضى الله عنها كانت تقول ما عبدتك خوفا من نارك ولا رغبة فى جنتك
وانما عبدتك تقربا الى وجهك الكريم فعملها هذا الذى كانت تخلص فيه
كانت تخاف ان يكون قد داخله الريا فكانت تيأس من الانتفاع
به فى الاخرة ويعظم بذلك رجاوها فى الله سبحانه وتعالى وقال
المصنف لهذا الكتاب كتاب الطريقة المحمدية رحمه الله تعلى

والذى عندى من العلم فى هذه المسئلة ان اختلاف ذلك اى اولوية ترجيح الخوف والرجا
معتبر باختلاف الاشخاص واختلاف الاحوال ايضا فان المبتدى من السالكين وكل
من فيه اى فى نفسه بقية من اثار العجب باعماله والامن من لحوق المكر به والغرور
بما يفعله من الطاعات اعتمادا عليها وابطالة اى ترك الاشتغال بخدمة مولاه ينبغى
لهما اى للمبتدى ولمن فيه تلك البقية المذكورة غلبة الخوف على قلبهما بكون الرياء
فى عمله وانه غير مقبول عند الله تعالى وينبغى لغيرهما اى غير من ذكر وهو العارف
المنتهى ومن لا بقية عنده من الاخلاق الذميمة غلبة الرجاء من الله تعالى ان يكون خلا
عمله من الريا وقبل عند الله تعالى او المساواة بين الخوف والرجا فى ذلك والعلم عند الله
تعالى فيما هو الاولى من غير قطع بشىء من ذلك ومن غلبة الخوف ما نقل عن حضرة
الخواجة بها الدين نقشبند قدس الله سره لما سيل عن الكرامات قال اى كرامة
اعظم من انى مع هذه الذنوب الكثيرة امشى على وجه الارض والله اعلم بالصواب
والخلق الثانى عشر من الاخلاق الستين المذمومة التى هى افات القلب
ومفاسده الكبر بكسر الكاف وسكون الموحدة وهو العظمة والتجبر
وفيه اى فى الكبر خمسة مباحث ستاتى مفصلة ان شا الله تعالى المبحث
الاول من المباحث الخمسة فى تفسير الكبر وتفسير ضده ومناسبهما
اى الكبر وضده وحكمهما اى الكبر وضده والمناسب لهما اما الكبر فمعناه
هو الاستروح اى طلب الراحة وتحصيل النشاط والركون اى الاعتماد والميل
الى روية النفس فى مرتبة فوق مرتبة الشخص المتكبر عليه فلابد له
اى للكبر منه اى من المتكبر عليه حتى يسمى كبرا بخلاف العجب فانه لا يحتاج
الى من يعجب عليه حتى يسمى ~~كبرا بخلاف العجب~~ عجبا بل متى ما اعجبته
نفسه كان عجبا والكبر حرام بالاجماع ورذيلة عظيمة اى نقيصة وخصلة
دنية من العباد المخلوقين واما الكبر من الله الخالق فهو صفة كمال
فهو الخالق البارى المتكبر وضده اى الكبر الضعة بمعنى التواضع
وهى اى الضعة الركون الى روية النفس اى نفسه فى مرتبة دون مرتبة
غيره من الناس وهى فضيلة مثاب عليها عند الله تعالى عظيمة
حيث كانت صادرة من المخلوق واظهار الكبر من النفس على الغير
سوا كان ذلك الكبر موجودا فى النفس حقيقة ولكنه اظهره منها او معدوما
ليس موجودة فى النفس ولكنه اظهره منها وسوا كان ذلك الكبر حقا
بان كان من الله تعالى او من العبد على المتكبرين او كان باطلا وسواء
كان

286

كان بقول صريح او اشارة او فعل فهو تكبر اى تفعل ومعناه تكلف الكبر
وفى الله تعالى الاتصاف به من الازل والاستكبار يختص بالباطل فلذا اى
لكونه يختص بالباطل لا يوصف الله تعالى به وانما يوصف به المخلوق لان
تكبره تعالى بحق دون ما عداه بخلاف التكبر فان الله تعالى يوصف به
على معنى المتصف بالكبريا قال النجم الغزى فى حسن التنبه المتكبر
هو الذى يرى الكل حقيرا بالاضافة الى ذاته ولا يرى الكبريا الا لنفسه
فاذا كانت الروية صادقة كان التكبر حقا ولا يتصور ذلك على الاطلاق
لغير الله تعالى وان كانت الروية كاذبة كان التكبر باطلا وهو التكبر المذموم
والتكبر من المخلوق حرام لانه عظيم الافات عنه تتشعب اكثر البليات
يستوجب به من الله تعالى سرعة العقوبة والغضب لان الكبر لا يحق الا
لله عز وجل ولا يليق ولا يصلح لمن دونه اذ كل شىء سواه عبد مملوك وهو
الملك الا له القادر فعظم عند الله تعالى الكبر ذنبا اذ كان لا يليق بغيره واذا
فعل العبد ما لا يليق الا بالمولى اشتد غضب المولى عليه كذا فى رعاية المحاسبى
الا على المتكبر من الناس فانه قد ورد فيه اى فى التكبر على المتكبر انه صدقة
من الانسان على المتكبر ليكشف عنه عن قبيح صنعه ويعامله من جنس
عمله وفى حسن التنبه للنجم الغزى قال وقد يكون التكبر من العبد بقصد
تنبيه المتكبر عليه لا بقصد رفعة النفس فيكون محمودا كالتكبر على الجهلا
والاغنيا قال يحيى بن معاذ الرازى التكبر على من تكبر عليك بماله تواضع
والا التكبر على العدو كيوم الفتال لنصر كلمة الله تعالى واعزاز الملة
الاسلامية والا التكبر عند الصدقة على الفقرا زكاة كانت او غيرها اظهارا
للاستغناء عما احتاجت اليه الفقرا حتى لا يظهر للفقراء بقا تعلق القلب منه
بما دفع اليهم من المال يعنى روى ابو داود باسناده عن جابر بن عبد
الله رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول فاما الخيلا
اى التبختر فى المشى والتكبر والتعاظم التى يحب الله تعالى اى الخصلة
التى يحبها الله تعالى فاختيال الرجل نفسه اى اعجابه بها وهزة
المنكبين فى مشيته عند القتال مع اهل الحرب واختياله عند اداء
الصدقة الى الفقراء قال المصنف رحمه الله تعالى ولعل المراد بالاختيال
اى التكبر عند اداء الصدقة اظهار الغنى من المعطى للفقراء واظهار عدم
الالتفات منه الى ما اعطاه لهم من المال واظهار استصغاره اى المال واستقلاله

اى رويته حقيرا قليلا ليقصده اى المال او المعطى الفقرا ويرغبون في
تناوله بنشاط منهم وامن يحصل لهم من المن اى من المعطى لهم عليهم وهو
تعداد النعمة والتذكير بها ومن الاذى من المعطى لهم بتوبيخهم على تناول
الصدقة والاحتياج اليها والاهانة والاذلال بسبب ذلك والا التكبر الحاصل
بالمراياة اى بسبب الريا باسباب الدنيا وامتعتها اى باظهار ذلك للناس فقط
بدون الكبر فى النفس فانه ليس بحرام وان كان مذموما لانه نوع من التكبر
وقد مر فى الكلام على الريا وسيجى ان شا الله تعالى قريبا فى اقسام الكبر والتكبر
واظهار الضعة اى انخفاض الجانب والتذلل للناس بما دون مرتبته
قليلا حيث هو اعلا رتبة من حالته تلك التى اظهرها تواضع محمود فى الشرع
وان كان اظهار الضعة بما دون مرتبته كثيرا بان ترك الاحتشام اصلا
وهو من اهل الاحتشام فتملق اى فذلك تملق مذموم شرعا لان فيه
اذلال النفس واهانتها بلا فايدة دينية الا فى طلب العلم اذا تملق لشيخه
الذى يتعلم منه العلم النافع للعمل به مع الاخلاص فيه عندى يعنى روى ابن عدى
باسناده عن معاذ بن جبل وعن ابى امامة رضى الله عنهما مرفوعا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال ليس معدودا من اخلاق المومن التملق
وهو كثرة التواضع والمبالغة فيه الا فى طلب العلم فانه مطلوب من المومن
لينال غرضه من العلم كما قيل لا ينال العلم مستحى ولا متكبر وفى كتاب تعليم
المتعلم التملق مذموم من كل احد مع كل احد الا فى طلب العلم فانه ينبغى
لطالب العلم ان يتملق لاستاذه الذى يتعلم منه ولجميع شركايه عند
ذلك الاستاذ وهم المتعلمون ولا يتكبر على احد منهم ليستفيد منهم ما
هو بصدد تحصيله من العلم لانه قد يكون منهم عند ذلك الاستاذ
من هو اسبق منه ولا يتكبر فيمقتوه فيحرم الفايدة انتهى ما نقله من
تعليم المتعلم وان كثر ذلك التملق منه فتذلل من الذل وهو الاهانة
والحقارة بسببه فهو حرام عليه فعله الا لضرورة دعته الى ذلك بان
خاف من ذلك ظالما وسارقا او داعرا ونحو ذلك فتملق له وتذلل بين
يديه لكف اذاه عنه فهو جايز وهو اى التذلل للمخلوقات هو الخلق
الثالث عشر من الاخلاق الستين المذمومة التى هى افات القلب ومثال
ذلك كالعالم من علما المسلمين اذا دخل عليه رجل اسكاف اى صنعته
عمل النعال فتنحى اى تحول ذلك العالم له اى لاجل دخول ذلك الاسكاف

عليه

عليه عن مجلسه الذى كان جالسا فيه تعظيما له واجلسه اى العالم لذلك
الاسكاف فيه اى فى موضعه ثم تقدم ذلك العالم وسوى اى وضع مستويا له
اى للاسكاف نعله الذى يمشى به وعدا اى اسرع ذلك العالم الى باب الدار
اى داره خلفه اى خلف ذلك الاسكاف ليشيعه ويوانسه ويوادعه وليس
لذلك الاسكاف مزية من علم ولا صلاح ولا زهد ولا خصلة عظيمة من خصال
الدين فقد تخاسس ذلك العالم اى فعل ما فيه الخسة فى النفس والدناءة فى
الهمة والنقصان فى المروة وتذلل باهانة نفسه مع المهان وتحقيرها مع
الحقير واما تواضعه اى العالم له اى للاسكاف انما يكون بالقيام لاجله واظهار
البشر عند لقايه والاقبال عليه والرفق به فى وقت السوال اى سواله حاجته من
ذلك العالم واجابة دعوته حتى لا يرده خايبا منها والسعى اى المبادرة والمسارعة
فى قضا حاجته وان لا يرى نفسه خيرا منه لان الامور بخواتيمها ولا يدرى احد
بماذا يختم الله تعالى له فرب عالم يختم له بسوء ورب جاهل تختم له بخير
ولا تدرى نفس ماذا تكسب غدا ولا يحقره اى لا ينظر اليه بعين الاحتقار
لكونه ذلك اسكافا وهو كونه عالما ولا يستصغره ويعظم هو نفسه
بالنسبة اليه ومنه اى من التذلل المذموم السوال اى الطلب من الناس لمن
له فى ملكه قوت يومه اى مقدار ما يقيته فى ذلك اليوم ويكفيه وفيه اشارة
بذكر القوت الى انه لا يشترط ان يكون له مقدار ما يريد من شهوات نفسه
وانما الشرط ان يكون عنده ما يدفع به الهلاك ويقيم بنيته من القوت
من اى طعام كان لنفسه اى السوال لاجل نفسه وكذلك لاجل عياله اذا
لم يكن قادرا على الاكتساب واما لو قدر عليه فلا يسال ولو لم يكن له قوت
يومه وسيجى بيان هذه المسلة ان شا الله تعالى فى افات اللسان ومن
جملة السوال الذى هو من التذلل اهدا قليل من الهدية لاخذ شىء كثير من
الهدية فى مقابلة ذلك كما يفعل بالبنا للمفعول اى يفعله الناس فى دعوة
اى ضيافة العرس ودعوة اى ضيافة الختان للاولاد فان العادة جرت
فى بعض البلاد باهداء شىء قليل والمقصود منه دفع شىء كثير عوضا عنه من مال
المهدى له ولمن يريد اتخاذ غنم او نخل فلعل العادة فى ذلك جرت فى بعض البلاد
القرى بعمل ضيافة واهداء شىء اليه قيل اى قال بعض المفسرين فيه
اى فى هذا الاهداء المذكور والاستهداء نزل قوله تعالى نهيا عن ذلك ولا
تمنن باهداء شىء لاحد او عمل ضيافة له تستكثر بذلك ما يقابله من العوض

شرح قوله تعالى

ومنه اي من التذلل الذهاب الى الضيافة اي ضافة كانت والى وصية الميت اي ما وصى
به ان يتخذ بعد موته للفقرا وغيرهم بلا دعوة اي طلب منهم لك الى الحضور وهو التطفل
بلا استيذان ذكره يعني روى ابو داود باسناده عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما
انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعي بالبنا للمفعول اي دعاه احد لضيافة
العرس فلم يجب بان ياتي الى حيث دعي فقد عصى الله تعالى وعصى رسوله
صلى الله عليه وسلم ايضا لان ضيافة العرس تعمل لاظهار الفرح بمقتضى احلال الله
تعالى ما حرمه من الفرج قال في شرعة الاسلام وشرحها ومن حقوق الاسلام
القديمة اجابة الدعوة حتى قال بعضهم انها واجبة وفي الحديث من لم يجب بضم
حرف المضارعة وكسر الجيم الدعوة فقد عصى الله تعالى ورسوله فهي سنة موكدة
قريبة من الواجب اذا كانت الدعوة دعوة النكاح وقيل هي واجبة وغيرها مستحبة
اذا كانت موافقة لما سمع انفا ثم ذكر بعد ذلك انه لا يجيب الى طعام البخيل
وفي الحديث طعام الجواد دواء وطعام البخيل داء اي مرض ولا الى طعام صنع
ريا وسمعة ولا الى مايدة يدار عليها الخمر او بعدها ولا الى طعام الفاسق فلا يرد
احد دعوة اخيه حذرا عن العصيان او ترك الاستحباب والافضل ان يجيب
اذا كانت وليمة يدعى فيها الغني والفقير لان النبي صلى الله عليه وسلم قال لو دعيت
الى كراع لاجبت ولو اهدي الى ذراع لقبلت ومن دخل الى بيت الضيافة على
غير دعوة دخل سارقا فما ياكله حرام لانه بلا اذن صاحب الضيافة وخرج مغيرا
اي غاصبا اسم فاعل من الاغارة فمن يعطيه شيا كانه يعطي السارق والمغير
واما اعطا اهل الدعوة بعضهم بعضا فمبني على العادة ولا باس به كذا في شرح
الشرعة ومنه اي من التذلل الاختلاف اي كثرة التردد والذهاب الى مجالس القضاة
والامرا جمع قاض وامير فالقاضي حاكم الشرع والامير حاكم السياسة والعمال اي عمال
القضاة والامرا وهم النواب في المناصب الدينية والدنيوية والاغنيا كالتجار
ونحوهم طمعا اي لاجل الطمع لما في ايديهم من الاموال بلا ضرورة داعية الى ذلك
التردد والذهاب اليهم ومنه اي من التذلل السجود الى جهة الارض والركوع
خفض الظهر مع الراس مقدار ركوع الصلاة والانحنا لا الانخفاض القليل
بالظهر والراس للكبرا جمع كبير وهو صاحب الجاه والرياسة عند الملاقاة اي
الاجتماع بهم وعند السلام عليهم وعند رده اي السلام اذا سلموا هم عليه وفي الاشباه
والنظاير ان سجد للسلطان ان كان قصده التحية والتعظيم دون الصلاة لا يكفر
اصله امر الملايكة بالسجود لادم عليه السلام وسجود اخوة يوسف عليه السلام ولو اكره

على

على السجود للملك بالقتل فان امره به على وجه العبادة فالافضل الصبر كمن اكره
على الكفر وان كان للتحية فالافضل السجود انتهى ومعلوم ان من لقي احدا
من الاكابر فحنى له راسه او ظهره ولو بالغ في ذلك فمراده التحية والتعظيم دون
العبادة له فلا يكفر بهذا الصنيع وحال المسلم مشعر بذلك على كل حال واما العبادة
فلا يقصدها الا كافر اصلي في الغالب ولكن التملق الموصل الى هذا المقدار من التذلل
مذموم ولهذا جعله المصنف رحمه الله تعالى من التذلل الحرام ولم يجعله كفرا واذا
كان الاكابر يتضررون بترك ذلك لهم ممن يلقاهم على وجه التحية والتعظيم
فربما يصلون الى مضرة من تركه لهم عند لقايهم ويتاذى التارك من قبلهم بنوع
من الاذى جاز فعله كما قال الشيخ احمد بن حجر المكي في فتاواه والانحنا البالغ
حد الركوع لا يفعل لاحد كالسجود ولا باس بما نقص من حد الركوع لمن يكرم من اهل
الاسلام واذا تاذى مسلم بترك القيام فالاولى ان يقام له فان تاذيه بذلك مود الى
العداوة والبغضا وكذلك التلقيب بما ليس له من الالقاب والاصل في ندب القيام لاهل
الفضل قوله صلى الله عليه وسلم حين قدم سيد الانصار سعد بن معاذ قوموا الى سيدكم
والخطاب للانصار او للكل وقد صنف النووي رحمه الله تعالى جزءا فيه وذكر
الاحاديث الواردة فيه واحكامها وما يتعلق بها قال ابن عبد السلام وغيره
وقد صار تركه في هذه الازمنة موديا الى التباغض والتقاطع والتحاسد فينبغي
ان يفعل لهذا المحذور وقد قال صلى الله عليه وسلم لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا
وكونوا عباد الله اخوانا كما امر الله فهو لا يومر به بعينه بل يكون تركه صار وسيلة
الى هذه المفاسد في هذا الوقت ولو قيل بوجوبه لم يكن بعيدا لان تركه صار اهانة
واحتقارا لمن اعتيد القيام له ولله تعالى احكام تحدث عند حدوث اسباب
لم تكن موجودة في الصدر الاول وعلى القيام ومحبته للتعاظم والكبر حمل قوله
صلى الله عليه وسلم من احب ان يتمثل له الناس قياما فليتبوا مقعده من النار
اعاذنا الله تعالى من ذلك وكذلك القيام اي الوقوف بين يدي الظلمة فانه من جملة
التذلل الحرام فلا يجوز الا لضرورة دعته الى ذلك كخوف منهم ان لم يفعل ذلك بين
يديهم وكذلك تقبيل ايديهم وتقبيل ثيابهم من جملة التذلل الحرام فلا يباح لمن لم
يخف من ايذايهم ان يفعل ذلك معهم وليس منه اي من التذلل مباشرة الانسان
اعمال البيت اي بيته وان كان له خدمة يخدمونه وحاجاته اي البيت ككنس
البيت وطبخ الطعام وحمل المتاع بيده من السوق الى البيت ولبس الخشن من
الثياب والخلق اي البالي المتقطع منها والثوب المرقع والمشي حافيا بلا نعلين

ولعق الاصابع بعد الاكل ولعق القصعة واكل ما سقط على الارض من الطعام
كفتات المايدة والتقاط دقاق الخبز ونحوه من دقاق بقية الاطعمة من وسط
السفرة المبسوطة على الارض لوضع الطعام عليها او من جوانبها ومن فوق الحصير
والبساط والارض ومجالسة المساكين ومخالطتهم قال ابن رجب رحمه الله تعالى
في رسالته شرح حديث اختصام الملا الاعلى وحب المساكين قد وصى به النبي صلى
الله عليه وسلم غير واحد من اصحابه قال ابو ذر وصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان احب المساكين وان ادنو منهم خرجه الامام احمد وخرج الترمذي عن عايشة
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لها يا عايشة حبي المساكين وقربيهم فان الله يقربك
يوم القيمة ويروى ان داود عليه السلام كان يجالس المساكين ويقول يا رب مسكين
بين مساكين ولم يزل السلف الصالح يوصون بحب المساكين كتب سفيان الثوري
الى بعض اخوانه عليك بالفقرا والمساكين والدنو منهم فان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يسال ربه حب المساكين ومعاطاة انواع الكسب بنفسه من البيع والشرا
واجارة نفسه للاعمال المباحة يخدم فيها كرعي الغنم وسقي البستان والكرم وعمل
الطين والبنا في البيوت ونحوها وحمل الحطب للناس بالاجرة على ظهره او ظهر دابته
والاحتطاب من اشجار البادية ثم بيع ذلك في السوق فان كل ذلك وامثاله تواضع
محمود في الشرع وليس بتذلل مذموم وقد فعله الانبيا عليهم السلام وفعله الاوليا
ايضا رحمهم الله تعالى واكثره اي التواضع في مثل ذلك صدر عن سيد المرسلين صلوات
الله عليه وعليه وعليهم الصلاة والسلام اجمعين وصحابته المكرمين رضوان الله عليهم
اجمعين وفي الشرعة فقد كان ادريس عليه السلام خياطا يخيط الثياب وكان داود
عليه السلام يعمل الدروع من الحديد وكان الخليل ابراهيم عليه السلام يحرث ويحرث
له وكان يتجر في البز ايضا واول من نسج الثوب ابانا ابونا ادم عليه السلام وكان عيسى عليه
السلام يخصف النعل ويرقعه وكان نوح عليه السلام نجارا وصالح عليه السلام
كان ينسج الاكسية بيده وكان رعي الغنم من داب الانبيا عليهم السلام وكان نبينا صلى
الله عليه وسلم يرعى الغنم لاهل مكة على قراريط قبل الوحي وفي الرعاية للمحاسبي وقال
النبي صلى الله عليه وسلم انما انا عبد اكل بالارض والبس الصوف واعتقل العنز والعق
اصابعي واجيب دعوة المملوك فمن رغب عن سنتي فليس مني وفي الحديث انه
من حمل لاهله الفاكهة والشي فقد بري من الكبر والحديث عن ابي سنان انه قال
له رجل هات حتى احمل عنك اللحم فقال لا ثم قرا ان الله لا يحب المستكبرين وذكر
المناوي في شرح الجامع الصغير عن ابن القيم ان النبي صلى الله عليه وسلم باع واشترى

وشراوه

وشراوه اكثر واجر واستاجر واجارة اكثر وضارب وشارك ووكل وتوكل وتوكيله
اكثر واهدى واهدي له ووهب واتهب واستدان واستعار وضمن عاما وخاصا ووقف
وشفع فقبل تارة ورد اخرى فلم يغضب ولا عتب وحلف واستحلف ومضى في يمينه
تارة وكفر اخرى ومازح وورى ولم يقل الا حقا وهو القدوة والاسوة والتجنب
اي الاحتراز والتباعد منه اي من التواضع المذكور والتانف اي التنزه عنه والترفع
كبر من اخلاق الجبارين مذموم شرعا واما اذا لم تجر عادته بذلك وكان يستوحش
من مباشرة شي منه لا لمعنى التكبر عنه في نفسه وانما الحيا يلحقه منه ومشقة فهو
في فسحة من تركه وليس في حقه من اخلاق الجبارين حينيذ ولكن كثيرا من الناس
بجهلهم اي بسبب جهلهم حسن المباشرة لتلك الاشيا يعكسون الامر فيرون
مباشرتها هي الحال المذموم ومن يتعاطاها بنفسه فهو بينهم الملوم اصلحنا الله
واياهم ووفقنا لما هو المطلوب منا من الاعمال والعلوم المبحث الثاني من
المباحث الخمسة في اقسام الكبر الذي هو صفة مذمومة واقسام التكبر الذي
هو اظهار تلك الصفة المذمومة للغير وافاتهما اي مفاسدهما وما يترتب
على وجودهما في الانسان فمنه اي من هذا المبحث يعرف العلاج اي مداواة
الكبر والتكبر الجملي اي الذي هو على وجه الاجمال دون التفصيل قد عرفت
في المبحث الاول انه لا بد للكبر والتكبر من احد متكبر بصيغة اسم المفعول
عليه فهو وصف اضافي وهو اي المتكبر عليه اما الله تعالى وهو افحش انواع
الكبر ان يتكبر الانسان على ربه مثل نمرود المدعي الالوهية من دون الله تعالى
وقد ارسل الله تعالى اليه ابراهيم الخليل عليه السلام فكذبه وهم باحراقه حتى
انجاه الله تعالى منه حيث حدث نفسه من كمال تكبره على الله تعالى ان يقاتل
رب السماء عز وجل فاتخذ النسور وطار بها في جو السما فكان اذا رمى السهم
نحو السما يعود اليه مخضبا بالدم فظن انه قتل رب السما جهلا منه وعنادا
وكفرا حتى ارسل الله تعالى اليه البعوضة فهلك بها ومثل فرعون المدعي الربوبية
من دون الله تعالى حيث قال انا ربكم الاعلى وقد ارسل الله تعالى اليه موسى
وهارون عليهما السلام فكذبهما حتى اغرقه الله تعالى وقومه في البحر واما رسول
محمد عليه الصلاة والسلام وقد تكبر عليه جبارون كثيرون كبعض الكفرة من قومه حيث
قالوا في حقه كما قصه الله تعالى علينا اهذا الذي بعث الله رسولا على وجه
الاستحقار له والتكبر عليه وقالوا ايضا لولا نزل هذا القران الذي قد جاء به
من عند ربه على رجل من القريتين مكة والطايف عظيم غير هذا النبي استحقارا له عليه

السلام واستصغارا لشانه تكبروا منه عليه قال الواحدى يعنون الوليد بن المغيرة
بمكة وعروة بن مسعود الثقفى بالطايف واما ساير الخلق اى المخلوقات فالمتكبرون
والمتكبر عليهم منهم كثير من رجال ونسا وغايلة اى افة ومفسدة الكبر والتكبر
منازعة العبد المملوك العاجز الضعيف الذى لا يقدر على شى مما كسب مطلقا لله
فى مقابلة العبد المالك فى مقابلة المملوك القهار القادر فى مقابلة العاجز القوى
فى مقابلة الضعيف على كل شى فى مقابلة الذى لا يقدر على شى فى صفة متعلق بالمنازعة
لا تليق تلك الصفة الا بجلاله تعالى وهى صفة الكبر والتكبر والتادية معطوف
على منازعة العبد اى الايصال الى مخالفته تعالى فى اوامره سبحانه ونواهيه التى كلف
بها عباده كابليس اللعين حين امر بالسجود لادم عليه السلام فابى واستكبر وجحد
فضيلة ادم عليه السلام قال ااسجد لمن خلقت طينا وقال ايضا انا خير منه خلقتنى من نار
وخلقته من طين وظن لعنه الله ان النار لارتفاعها ولطافتها وسرعة حركتها افضل
من الما والتراب وما علم ان الله تعالى فضل الما والتراب وحكم بان الطهارة لا تكون الا بهما
بالما اولا واذا لم يوجد فبالتراب فبذلك تحصل الطهارة من الاحداث والاخباث
فاذا سمع المتكبر الحق من المتكبر عليه استنكف انف وامتنع واستكبر من قبوله
لان قبوله منه يقتضى ضد ما هو فاعله من التكبر فيدعوه الى الاعتراف بفضيلته عليه
والتكبر مقتضى نفى تلك الفضيلة وتشمر اى تهيا واستعد لجحده اى انكاره وابطاله
ويكفيك يا ايها العبد المنصف فيه اى فى حق المتكبر قوله تعالى ساصرف اى بعد تحقق
التكبر منهم عن شهود اياتى جمع اية وهى العلامة الواضحة الدالة على الله تعالى او عن
معانى ايات القرانية الذين يتكبرون اى يظهرون الكبر على بعضهم بعضا فلا يقبلون الحق
من بعضهم بعضا فى الارض من بنى ادم وغيرهم كالجن والشياطين بغير الحق بل بالباطل
الذى فى نفوسهم وهو الجهل والغرور وحظ النفس والحسد والبغض والحقد ونحو ذلك
واما اذا تكبر والحق ~~و~~ بالحق الذى عندهم على من لم يقبله منهم من المغرورين فهو
تكبر على متكبر فهو صدقة كما مر وقال تعالى كذلك يطبع الله اى يختم ويربط فلا يكاد
يحيى الله بعد له سبحانه على كل قلب متكبر جبار من الجبر بمعنى القهر فاذا ختم سبحانه
على القلب يطبقه فلا يكاد ينفتح لموعظة واعظ ولا تلج فيه العبرة والنصيحة ولا يرعوى
للحق ولا يعرف الصواب من الخطا وقال تعالى عن ابليس اللعين ابا اى امتنع من السجود
لادم عليه السلام واستكبر اى تكبر بالباطل وكان من جملة الكافرين د يعنى روى ابو داود
باسناده عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى الكبريا
وهو الرفعة فى الشرف ردائى اسم لما يوضع على الظهر والكتفين والصدر والعظمة اى الهيبة والجلال

ازارى

ازارى اسم لما يكون من السرة الى ما تحت الركبة والسر فى هذا ان الكبريا ضد التواضع ووصف الكبريا
ساتر للرب سبحانه وتعالى وحاجب له عن علم عبده به سترا وحجبا من قبل العبد لا من قبل الرب سبحانه
لانه تعالى لا يستره شى ولا تحجبه شىء من كمال عظمته والله تعالى منه ما يمكن ان يعرف وهو مقدار
استعداد العباد فى تجليه على كل شىء ومنه ما لا يمكن ان يعرف وهو ادراك كنه ذاته وكنه صفاته
جل وعلا فالكبريا ساتر له سبحانه جميعه عن علم عبده كما يستر الردا اللابسه على الشى به المطلق فى حقه تعالى
فيستر ما يمكن ان يعرف منه سبحانه فكانه محل العورة وما يستر محل العورة من الانسان يسمى
ازارا فاذا ارتفع حجاب الكبريا عن العبد وهو تكبر العبد على الرب بدعواه وجود نفسه مع وجود
ربه مع ان وجوده فى وجود ربه عدم صرف لانه الوجود المخلوق بمعنى المفروض المقدر ووجود
ربه هو الوجود الخالق بمعنى الفارض المقدر ودعواه الصفات والاسما مع صفات ربه واسمايه
مع ان صفاته واسماه فى صفات ربه واسمايه عدم صرف كذلك ودعواه الافعال كذلك فاذا تواضع
العبد للرب زال ما لم يكن من بصيرة العبد وهو وجود العبد واضمحلت صفاته واسماوه فظهر
له وجود الرب سبحانه وتعالى وظهرت صفاته تعالى واسماوه فارتفع ردا الكبريا عن الله تعالى بسبب
تواضع العبد لله تعالى وبقى ازار العظمة لا يرتفع الا للوارث الواحد المحمدى الجامع وهو صاحب
مقام الذات الراجع الى البقا بعد الفنا فالكبريا ردا ساتر للظهور فى عالم الملا الاعلى والعظمة ازار ساتر
للظهور فى عالم الملا الاسفل وهو محل النتاج ومستقر الجنة والنار فمن نازعنى اى خاصمنى وجادلنى
فى دعوى واحد منهما اى الكبريا او العظمة قذفته فى النار ولا ابالى بما فعلته معه فهو فى نار
البعد
~~العبد~~ والطرد عن شهوده تعالى فى الدنيا ونار العقوبة فى الاخرة م ت يعنى روى مسلم والترمذى
باسنادهما عن ابن مسعود رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة من كان فى قلبه
مثقال ذرة اى هذا القدر اليسير من كبر عن قبول الحق الواجب قبوله فهو عبد الكافر لعدم
قبوله الايمان بان يجحد شيا مما يجب الايمان به اى شى كان او المراد تكبر الفاسق بنفسه على ابناء
جنسه فكونه لا يدخل الجنة يعنى مع السابقين الاولين او بدون العذاب فى النار او المراد من
تكبر متشبها بالله تعالى وهو معنى المنازعة لله تعالى فى ذلك فيكفر بذلك لدعوى الالوهية فلا يدخل
الجنة فقال رجل من الصحابة رضى الله عنهم ممن كان حاضرا ان الرجل منا يحب ان يكون ثوبه حسنا
اى من احسن الثياب ونعله حسنا اى من احسن النعال وتقديره فهل ذلك من الكبر قال
صلى الله عليه وسلم ان الله جميل اى موصوف بالجمال المطلق يحب الجمال فى كل شى فاذا احب الرجل ان
تكون جميع اموره حسنة كان متخلقا بخلق من اخلاق الله تعالى وهو امر محمود وحب لا مذموم
واستعمل الحسن فى الرجل والجمال فى الله للفرق بينهما فان الحسن بالعرض والجمال بالذات وكل
حسن له جمال دون العكس فما بالعرض الظاهر يراه الرجل فيحبه وما بالذات الباطن يراه الله
تعالى فيحبه وكل شى له جمال بالذات فالله يحبه ولهذا اوجده ودبره وقد يكون له حسن بالعرض

الظاهر فيحبه الرجل ايضا وقد لا يكون له حسن فلا يحبه الرجل ثم قال صلى الله عليه وسلم الكبر بطر
الحق ضد الباطل والرب سبحانه وتعالى والبطر بحركة قلة احتمال النعمة والطغيان فيها وكراهة
الشي من غير ان يستحق الكراهة وبطر الحق ان يتكبر عليه فلا يقبله كذا في مختصر القاموس وغمط
الناس وغمط الناس بالعين المعجمة والطا المهملة وفعله غمط كضرب وسمع استحقرهم
وغمط العافية لم يشكرها والنعمة بطرها وحقرها كما في مختصر القاموس ت يعني روى الترمذي
باسناده عن ثوبان رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات وهو برئ من الكبر
في ظاهره وباطنه ومن الغلول اي الخيانة يقال غل واغل خان او خاص بالفي ومن الدين
بفتح الدال المهملة القرض دخل الجنة وفي شرح الجامع الصغير للمناوي الدين بفتح الدال المشددة
قال ابن العربي الدين عبارة عن كل معين يثبت في ذمة الغير للغير موجلا او حالا اما برائته من الكبر
ومن الغلول فلانهما حرامان عليه واما برائته من الدين فلخلوصه منه من حقوق العباد فان
نفسه تحبس عن دخول الجنة حتى يقع القصاص بالحسنات والسيئات وقد اخرج الاسيوطي
في الجامع الصغير عن ابي نعيم في المعرفة عن مالك بن يخامر القضاعي عن معاذ عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال الدين شين فالاول بالفتح والثاني بالكسر يعني يعيب الدين وينقصه
واخرج الاسيوطي ايضا عن الحاكم في المستدرك عن ابن عمر رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الدين راية الله في الارض فاذا اراد ان يذل عبدا وضعها في عنقه وفي شرح المناوي قال وذلك
بايقاعه في الاستدانة ويترتب عليها الذل والهوان ولهذا تكرر في عدة احاديث استعاذة
المصطفى عليه السلام منه فان قيل اذا كان الدين كذلك فكيف استدان المصطفى صلى الله عليه وسلم
قيل انما تداين في ضرورة ولا خلاف في عدم ذمه للضرورة فان قيل لا ضرورة لان الله تعالى
خيره ان تكون بطحا مكة له ذهبا اجيب بانه خيره فاختار الاقلال والقنع وما عرض عنه زاهدا
فيه لا يرجع اليه فالضرورة لازمة واخرج الاسيوطي ايضا عن البيهقي في شعب الايمان عن ابن عمر
رضي الله عنهما عنه صلى الله عليه وسلم انه قال الدين دينان فمن مات وهو ينوي قضاه فانا وليه ومن
مات ولا ينوي قضاه فذاك الذي يوخذ من حسناته ليس يومئذ دينار ولا درهم ومن هذا ما نقله في
البزازية اوايل كتاب الزكاة قال مات وعليه ديون ان كان من قصده الاداء لا يواخذ به يوم
القيمة لانه لم يتحقق المطل واخرج الاسيوطي ايضا عن الديلمي في مسند الفردوس عن عايشة
رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الدين هم بالليل ومذلة بالنهار واخرج ايضا في مسند
الفردوس عن عايشة قال عليه السلام الدين ينقص من الدين والحسب وفي شرح المناوي قال فانه
ربما جر الى التسخط بالقضا او الى الاحتيال بتحصيل شي من غير حل ليرضي به رب الدين او نحو ذلك
كله حط من الديانة ومن الحسب بالتحريك اي انه عز ربه وهذا وما قبله مسوق للتنفير من
الاستدانة والزجر عن مقارفة ما يودي اليها و قال المناوي ايضا والقصد بهذه الاخبار الاعلام بان

الدين حـ

الدين مكروه لما فيه من تعريض النفس للمذلة فان دعت اليه ضرورة فلا كراهة بل قد يجب ولا لوم
على فاعله واما بالنسبة الى معطيه فمندوب لانه من الاعانة على الخير هق يعني روى البيهقي
باسناده عن انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان في النار توابيت جمع تابوت
واصله تابوه ولغة الانصار بالهاء كذا في مختصر القاموس وفي صحاح الجوهري التابوت
اصله تابوه مثل ترقوه وهو فعلوه فلما سكنت الواو انقلبت هاء التانيث تاء قال
القاسم ابن معن لم تختلف لغة قريش والانصار في شي من القران الا في التابوت فلغة
قريش بالتاء ولغة الانصار بالهاء يجعل بالبنا للمفعول واجاعلها هو الله تعالى حقيقة
وملايكة العذاب مجازا فيه اي في كل واحد من تلك التوابيت المتكبرون اي كل واحد
من المتكبرين فيقفل عليهم كل تابوت منها فيكونون في غم التوابيت زيادة على غم
جهنم طب يعني روى الطبراني باسناده عن عبد الله بن سلام انه مر بالسوق وعليه
اي على ظهره حزمة حطب يحملها الى بيته فقيل له اي قال له بعض من راه ما يحملك
على هذا الفعل اي يلجيك اليه ويضطرك له والحال انه قد اغناك الله تعالى عن هذا
الفعل قال في الجواب اردت ان ادفع بهذا الفعل الكبر عن نفسي سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول لا يدخل الجنة من في قلبه خردلة من الكبر لفسقه بارتكابه
ذلك فيحرمه الله تعالى دخول الجنة مع السابقين الاولين م يعني روى مسلم باسناده
عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا ينظر الله تعالى
اليهم يوم القيمة يعني نظر رحمة ولطف وانعام واحسان والا فلا يغيب عن نظر الله
تعالى احد مطلقا ولا يزكيهم اي يحمدهم ويثني عليهم بصالح الاعمال بين الخلايق يوم
المحشر او لا يطهرهم من اوساخ ذنوبهم ومآثمهم ولهم عنده عذاب اليم اي مليم
موجع الاول شيخ اي كبير في السن ومع ذلك هو زان اي يفعل الزنا مع كبر
سنه وضعف شهوته وقلة رغبته طبيعته في جماع النسا بالنسبة الى الشاب
القوي الشهوة الزايد الرغبة في جماع النسا فان الشاب اخف اثما في الزنا بالنسبة
الى الشيخ الكبير المذكور كما قال السبكي رحمه الله تعالى في قصيدته النونيه

هب الشبيبة تبدي عذر صاحبها ما عذر اشيب يستهويه شيطان

والثاني ملك اي سلطان كلامه نافذ في رعيته على كل حال ومع ذلك هو كذاب اي
كثير الكذب تخبر عن الامر على خلاف ما هو عليه فان احد الرعية اذا كذب ربما كان
الحامل له على ذلك رغبته في امر او توصله الى غرض فذنبه في ذلك اخف من ذنب من
هو موفر الدواعي حاصل على جميع اغراضه والثالث عايل اي فقير محتاج الى
التواضع بين الناس فيحسنون اليه ويحظى عندهم ومع ذلك هو مستكبر اي متكبر

حك يعنى روى الحاكم باسناده عن طارق رضى الله عنه انه خرج عمر بن الخطاب رضى الله
عنه اى سافر الى بلاد الشام وكان فى زمان خلافته رضى الله عنه وطارق معه قال
طارق ومعنا ابو عبيدة بن الجراح احد العشرة المبشرة بالجنة رضى الله عنهم
فاتوا فى طريقهم بقرب الشام الى مخاضة من الماء والطين وعمر رضى الله عنه على
ناقة له فنزل عن ناقته وخلع نعليه خفيه من رجليه فوضعهما على عاتقه واخذ
بزمام ناقته فخاض فى تلك المخاضة حتى قطعها وقال له ابو عبيدة رضى الله عنه
يا امير المومنين انت تفعل هذا يعنى مرورك فى المخاضة حافيا وخفاك على عاتقك
وزمام ناقتك بيدك مع انك امير المومنين وخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما يسرنى اى يفرحنى هذا الصنع منك ان اهل البلد اى بلد الشام وكانت يومئذ مع
الكفار قبل فتحها استشرفوك اى اشرفوا عليك من حصونهم وقصورهم يرونك
على هذه الحالة فقال له عمر رضى الله عنه اوه كجير وحيث واين يعنى مثلثه
الها مع سكون الواو ويجوز فيها ايضا اه واوه بكسر الها والواو المشددة واو
بحذف الها واوه بفتح الواو المشددة واوه بضم الواو واه بكسر الها منونة واو
بكسر الواو منونة وغير منونة كلمة تقال عند الشكاية والتوجع كذا فى مختصر
القاموس ولم يقل ذا اى هذا الكلام الذى قلته احد غيرك من الاصحاب يا ابا عبيدة
جعلته اى هذا الكلام الذى قلته لى نكالا اى عقوبة وعبرة والنكال اسم لكل عقوبة
تنكل الناظر من فعل ما جعلت العقوبة جزاء عليه ومنه النكول عن اليمين وهو
الامتناع واصله من النكل وهو القيد وجمعه يكون انكالا كذا فى مختصر القاموس
تفسير البغوى لامة محمد صلى الله عليه وسلم انا كنا من قبل فيما نحن فيه الان اذل قوم
بسبب الكفر وعبادة الاصنام وتعاطى المفاسد فى الجاهلية فاعزنا الله تعالى بالاسلام
ولا اعز اعز من عز الاسلام فمهما نطلب العز بغير ما اعزنا الله تعالى به اذلنا الله تعالى
اخبار او دعا ت يعنى روى الترمذى باسناده عن عمرو بن شعيب عن ابيه شعيب
عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يحشر المتكبرون اى يحشرهم الله تعالى
بمعنى يجمعهم فى ارض المحشر يوم القيمة امثال الذر اى على مقادير الذر وهى
الصغار من النمل فى صورة الرجال وكذلك فى صورة النسا ايضا فى مقابلة ما صغروا
الناس فى الدنيا بتكبرهم عليهم يغشاهم اى يشملهم ويغطيهم الذل اى المهانة والحقارة
من كل مكان يتوجهون اليه يساقون الى سجن فى جهنم يقال له بولس بضم البا وفتح
اللام كذا فى القاموس يعلوهم نار الانيار اى نار النيران كذا فى النهاية لابن الاثير
وفى القاموس النار تجمع على انيار يسقون بالبنا للمفعول من عصارة اهل النار

طينة

طينة الخبال كسحاب صديد اهل النار والسم القاتل والهلاك والعنا والتعب م يعنى
روى مسلم باسناده عن محمد بن زياد انه قال كان ابو هريرة رضى الله عنه يستخلف
بالبنا للمفعول اى يستخلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم واليا على المدينة فى غيبة الرسول
عليه السلام فيأتى بحزمة الحطب الى بيته يحملها على ظهره فيشق السوق اى يمر بها
بين الناس وهم يفسحون له يمينا وشمالا وهو يقول عن نفسه جا الامير يعلمهم
بمكانته بينهم ليتنبه له ذو حاجة فيقضيها له وليفسح له بسرعة فيمضى فى مهماته
من امور الناس او نحو ذلك وفى رواية اخرى يقول لهم طرقوا اى خلوا الطريق
فلا تضيقوه وافسحوا فيه للامير عن نفسه حتى ينظر الناس اليه عند تلك المقالة
متعجبين من صدور تلك الحالة خ يعنى روى البخارى باسناده عن ابن عمر رضى الله عنهما
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما رجل ممن كان قبلكم يعنى من الامم الماضية
يجر ازاره على الارض من الخيلا اى التكبر خسف به اى خسف الله تعالى به فى الارض
من سو عمله ذلك فهو يتجلجل الى يوم القيمة قال ابن شميل يعنى يتحرك فيها اى فى
الارض والجلجلة حركة مع صوت اى يسوخ فيها حين يخسف به ذكره الهروى فى
الغريبين ت يعنى روى الترمذى باسناده عن جبير بن مطعم انه قال يقولون
اى الناس فى بالتشديد اى مجموع فى ذاتى التيه بالكسر الصلف والتكبر تاه يتيه
تكبر فهو تايه وتيهان والحال انى قد ركبت الحمار وما انفت من ركوبه ولبست الشملة
وهى كسا يوتزر به كذا فى المجمل وحلبت الشاة بيدى من غير استنابة احد فى ذلك والحال
انه قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فعل هذا الفعل بان اتى بهذه الامور الثلاثة
فليس فيه من الكبر شى حيث فعل ما يفعله ادنى الناس ولم يترفع عن شى من ذلك
ولعل الشملة متخذة من الصوف كما ورد فى حديث الجامع الصغير من رواية ابى نعيم
فى الحلية والبيهقى فى شعب الايمان عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم براءة من الكبر لبس الصوف ومجالسة فقرا المومنين وركوب الحمار
واعتقال العنز وقال المناوى فى شرح هذا الحديث ولفظ رواية البيهقى لباس
الصوف يعنى بقصد صالح لا لاظهار التزهد وايهام مزيد التعبد ومجالسة فقرا
المومنين بقصد ايناسهم والتواضع معهم ونحو ركوب الحمار ركوب برذون
حقير واعتقال العنز وفى رواية البعير يعنى اعتقاله ليحلب لبنه والمراد ان
فعل هذه الاشيا بنية صالحة يبعد صاحبها عن التكبر المبحث الثالث من المباحث
الخمسة فى اسباب وجود الكبر فى النفس والتكبر الذى هو اظهاره للغير اعنى
اى اقصد بالاسباب ما اى الامر الذى يحصل به الكبر والتكبر وفى العلاج اى المداواة

للكبر والتكبر التفصيلي نعت للعلاج وهي اى الاسباب المذكورة سبعة اسباب للكبر
والتكبر وانما هي اسباب باعتبار الجهل الغالب في الانسان المقارن بصيغة اسم
المفعول نعت للجهل يعني الجهل الذى قارنه الانسان بها اى بتلك الاسباب لا انها
اى تلك الاسباب في انفسها اسباب بلا جهل قرنه الانسان بها تامة غير محتاجة الى
في السببية الى غيرها وعلل موجبة للكبر والتكبر من غير انضمام شي اخر اليها
فسببيتها اى تلك الاسباب المذكورة في الحقيقة اى في باطن الامر راجعة الى الجهل
فقط لا الى تلك الاسباب التى قرن الانسان بها جهله فعلاجها اى مداواة تلك
الاسباب المذكورة ازالتها ازالته اى الجهل وسنبينه اى علاج اسباب الكبر والتكبر
قريبا ان شا الله تعالى السبب الاول للكبر والتكبر العلم مطلقا سواء كان بالمعقولات
او بالمنقولات وهو اعظم الاسباب الداعية للكبر والتكبر والمراد ما عدا العلم النافع
وهو المقرون بالعمل الصالح مع الاخلاص فانه ليس من اسباب الكبر والتكبر بل من
اسباب الضعة والتواضع وهو الممدوح شرعا الذى ينصرف اليه اسم العلم عند
الاطلاق والفضيلة الواردة في الايات والاحاديث انما هي له دون الاول المذموم
فانه العلم المضر الذى استعاذ منه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله اللهم انى اعوذ بك من علم
لا ينفع وهو حجة على صاحبه ولو لم يورثه الا الكبر والتكبر لكفاه ذما في الشرع وهو
حرام تعلمه من جهة انه موصل الى الحرام الذى هو الكبر والتكبر والعلم المطلوب تعلمه
شرعا هو العلم النافع لا غير واشدها اى الاسباب واصعبها على النفوس علاجا
اى مداواة لان قدر العلم من حيث هو مع قطع النظر عن متعلقه عظيم عند الله تعالى
كما قال تعالى قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال تعالى يرفع
الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات وعند الناس ايضا فان جاه العلم مشهور
بينهم وريا سته قايمة دايمة على كل حال وقد سمعت في الفصل الثانى من الباب
الثانى ما ورد من الايات والاحاديث في فضله اى العلم وفي الحث اى الحض
والامر بانزعاج على تعلمه وكونه فرضا على العين او الكفاية كما سبق تفصيله فلا مجال
لقلعه اى العلم من اصله اى لا يسع الانسان ان ينهى عنه مطلقا بل ينهى عن الوصول
به الى الكبر والتكبر ولا مجال للحث على ترك تعلمه لان فايدته عظيمة في معرفة القيام
بخدمة الرب سبحانه ان ساعده التوفيق بخلق القدرة على الطاعة وعلى التجنب عن
المخالفة وان صحبه الخذلان والعياذ بالله تعالى كان صاحبه من اشقى الخلق وقال
المحاسبى في الرعاية العلم كما قال وهب كالغيث ينزل من السما حلوا صافيا فتشربه
الاشجار بعروقها فتحوله على قدر طعومها فتزداد المرة مرارة وتزداد الحلوة حلاوة

ويكثر

ويكثر ما وردها بالحلاوة ويكثر ما المرة بالمرارة فكذلك العلم تحفظه الرجال فتحوله على
قدر هممها واهوايها فيزيد المتكبر كبرا لان من كانت همته الكبر وهو جاهل فاذا حفظ
العلم وجد ما يتكبر به فازداد كبرا واذا كان الرجل جاهلا وهو يخاف من الله عز وجل
ويعلم ان حجة الله تعالى له لازمة وان كان جاهلا فاذا حفظ العلم وفهمه ازداد خوفا
ووجعا كما قال ابو الدرداء رضي الله عنه من ازداد علما ازداد وجعا فاذا ازداد
وجعا لعظم الحجة عليه لما علمه الله عز وجل ازداد ذلا وتواضعا واشفاقا وخوفا واذا
كانت همته وهواه الدنيا والتعظم ازداد بالعلم كبرا وانفاقا وحقرية لمن دونه
فازداد على من هو مثله ومن فوقه كبرا وانفا وحبا للغلبة فانما علاجه اى العلم الذى هو
اعظم اسباب الكبر والتكبر بمعرفتين لشيئين عظيمين احدهما اى معرفة فضله اى العلم
انما هو اى ذلك الفضل بمقارنة النية الصالحة في ابتداء تعلمه بان لا يقصد بتعلمه تحصيل
الوظايف والمدارس ولا اقبال الناس عليه وسوق الدنيا اليه ولا تحصيل المعيشة به
والاكان ياكل بدينه ولا ان يمدح بالعلم وينتشر ذكره به وانما يقصد بذلك التقرب الى الله
تعالى وتخليص نفسه من غايلة الجهل ومضرة الهوى ومفسدة الشيطان وغرور
الدنيا وفضله ايضا بالمواظبة على العمل به مع الاخلاص وان لم يعمل به مخلصا فلا فضيلة
لعلمه بل هو اخس من الجاهل واحقر منه وبالرغبة في نشره اى العلم بتعليمه للمتعلمين
وافادته للسايلين لله تعالى بلا طمع له في حصول نفع له من الناس ولا دفع ضرر عنه
بذلك ولا طمع اخذ مال من احد عليه اى على العلم ونشره وتعليمه والا اى وان لم يكن الامر
كذلك فينقلب العلم وبالا عليه ولا يكون له نفعا فيصير بسببه حينئذ اخس اى
احقر مرتبة من الجاهل الذى لا يعلم شيا واشد عذابا منه يوم القيمة لاقتحامه المعاصى
عن علم بها والجاهل يقتحمها عن جهل فانتهاك العالم لحرمات الله تعالى اذا عصاه سبحانه
ابلغ من انتهاك الجاهل لها على القول الاصح في ان عذاب العالم على المعصية اشد من عذاب
الجاهل كما ان ثوابه على الطاعة اعظم من ثواب الجاهل فكيف يليق بالعالم الذى ينقلب
علمه وبالا عليه لفساد نيته وخبث طويته وسوء حالته فيوجب له زيادة العذاب
على المعصية اكثر من الجاهل عليها ان يتكبر به اى بعلمه ذلك الذى هو به خاسر لا كاسب
عليه اى على الجاهل ويدل على هذا المعنى ما خرج بالتشديد اى اسند ت يعنى روى
الترمذى عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من تعلم علما اى علم كان
من علوم المعقول او المنقول لغير الله تعالى اى لاجل التوصل به الى غيره سبحانه او تعلمه
لاجل الله تعالى ثم اراد به غير الله تعالى بعد ذلك فليتبوأ مقعده اى موضع قعوده
من النار اى نار الاخرة بوأه الله منزلا اى الزمه اياه واسكنه اياه وتبوأ من الجنة حيث

ان صح

نشا اى فتخذ منها منازل ومنه الحديث فليتبوا مقعده من النار اى لينزل منزله
منها ذكره الهروى فى الغريبين واما قولهم تعلمنا العلم لغير الله فابى ان يكون الا لله
فقد ذكر ابن عطا الله فى لطايف المنن قال وقد تجاربت الكلام انا وبعض من يشتغل
بالعلم فى انه ينبغى اخلاص النية فيه وان لا يشتغل به الا لله فقلت له الذى يفهم العلم
لله هو الذى اذا قلت له غدا تموت لم يضع الكتاب من يده وربما غر الغافل قول
من طلبة العلم قول من قال طلبنا العلم لغير الله فابى ان يكون الا لله وليس فى قول
هذا القايل ما يستروح به من طلب العلم للرياسة والمنافسة وانما اخبر هذا القايل
عن امر من به عليه وفتنة سلمه الله تعالى منها لا يلزم ان يقاس عليه فيها غيره
وذلك بمثابة من به مرض مزمن فى المعا اعياه علاجه وضاق منه خلقه فاخذ
خنجرا وضرب به مراق بطنه ليقتل نفسه فصادف ذلك المعا فقطعه فخرج
الدا منه فهذا لا يستصوب العقلا فعله وان نجحت عاقبته وليست سلامة العواقب
رافعة للعتب عن الملقين انفسهم الى التهلكة ليس المغرر محمودا وان سلما
د يعنى روى ابو داود باسناده عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من تعلم علما عقليا او نقليا من شان ذلك العلم انه يبتغى بالبنا للمفعول
اى يطلب به اى بذلك العلم وجه الله تعالى بان كان علما موصلا الى معرفة الله تعالى
من العلوم الشرعية الذاتية والمادية لا يتعلمه ذلك العلم له الا ليصيب اى يدرك
به غرضا اى مقصدا وحظا نفسانيا فى الحياة الدنيا يعنى كانت نيته ذلك فى حال
تعلمه لم يجد عرف بفتح العين المهملة وسكون الرا الجنة يوم القيمة حين تجد
عرفها المخلصون يعنى يجد ريحها وفى المجمل العرف الارج الطيب وفى مختصر
القاموس العرف الريح طيبة او منتنة واكثر استعماله فى الطيب طك يعنى روى
الطبرانى فى المعجم الكبير باسناده عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم علما هذه الامة رجلان اى ينقسم العلما كلهم الذين هم موجودون
فى هذه الملة الاسلامية الى يوم القيمة الى قسمين القسم الاول رجل اتاه الله تعالى علما
فبذله اى دفعه للناس بان علمه لهم ونصحهم به ولم ياخذ عليه اى على ذلك العلم شيا
منهم طمعا اى من جهة الطمع فى اموالهم وما تملكه ايديهم بان كان مخلصا لوجه الله تعالى
فى تعليمه لهم ووعظهم وتذكيرهم فان اهدوا اليه شيا من طيب نفس منهم قبله
ولا يرده عليهم وان لم يصبه منهم شى لا يعتب عليهم ولا يتطلب منهم شيا اصلا
ولم يشتر به اى بذلك العلم ثمنا شريت المتاع اشريه اذا اخذته بثمن واعطيته بثمن
فهو من الاضداد وانما ساغ ان يكون الشرا من الاضداد لان المتبايعين تبايعا الثمن

والمثمن

والمثمن وكل من العوضين مبيع من جانب ومشترى من جانب كذا فى المصباح المنير
والمعنى هنا ولم يبعه بثمن من اثمان الدنيا واموالها بل طلب بذلك الجزا من الله تعالى
يوم القيمة فذلك الرجل هو الذى يستغفر اى يطلب المغفرة من الله تعالى له من
جميع ذنوبه التى يفعلها حيتان جمع حوت قال فى المصباح الحوت العظيم
من السمك وهو مذكر وفى التنزيل فالتقمه الحوت والجمع حيتان وفى مختصر
القاموس الحوت السمك وجمعه احوات وفى الصحاح الحوت السمكة والجمع
الحيتان انتهى فقد اطلق فى السمك والسمكة ولم يقل العظيم ولا العظيمة فيشمل
الكبير والصغير من السمك وفى المجمل كما فى المصباح من التقييد بالعظيم والمناسب هنا
فى الحديث الاطلاق البحر وفى معناه حيتان النهر ايضا والحوض ولعل ذكر البحر لجريه
على الغالب فى وجود الحيتان ودواب البر وهو خلاف البحر وهى انواع الوحوش
والطير فى جو السما وهو ما بينها وبين الارض والطير جمع طاير مثل صاحب
وصحب وراكب وركب وجمع الطير طيور واطيار وقال ابو عبيدة وقطرب ويقع
الطير على الواحد والجمع وقال ابن الانبارى الطير جماعة وتانيثها اكثر من التذكير
ولا يقال للواحد طير بل طاير وقل ما يقال للانثى طايرة كذا فى المصباح وفى حديث
الجامع الصغير للسيوطى من رواية ابن عبد البر عن انس قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم وان طالب العلم يستغفر له كل شى حتى الحيتان
فى البحر قال المناوى فى شرحه لهذا الحديث عن الحليمى يحتمل ان معنى استغفارهم له
ان يكتب الله له بعدد كل من انواع الحيوانات الارضية استغفارة مستجابة وحكمته
ان صلاح العالم منوط بالعالم اذ بالعلم يدرى ان الطير لا يوذى ولا يقتل الا لاكله
ولا يذبح ما لا يوكل لحمه ولا يعذب طير ولا غيره بجوع ولا ظما ولا يجلس فى حر او برد
لا يطيقه وان اقر ار بينا ان البحر فى الما اذا لم تكن اليها حاجة واجب فانه لا يجوز التلهى
باخراجها من الماء والنظر الى اضطرابها فى البر من غير قصد اكلها واذا صيدت للاكل
يجب الصبر عليها لتموت ولا يجوز فتحها بعصا او حجر الى غير ذلك والقسم الثانى رجل
اتاه الله سبحانه علما فبخل به عن عباد الله تعالى الطالبين له منه ولم يبذله لاحد من
الناس بل كتمه فى وقت الحاجة اليه واخذ عليه من الناس شيا من المال طمعا اى على وجه
الطمع لا على وجه العفة كما سبق وشرى اى باع به ثمنا بان دفعه واخذ المال من
الناس فى مقابلته ولم يجعله لوجه الله تعالى فذلك الرجل هو الذى يلجم بالبنا للمفعول
اى يلجمه الله تعالى يوم القيمة بلجام من نار اللجام للفرس قيل عربى وقيل معرب والجمع
لجم مثل كتاب وكتب والجمت الفرس الجاما جعلت اللجام فى فيه كذا فى المصباح وينادى

في المعلم

منادى منا يوم القيمة على روس الخلايق زيادة فضيحة له والمنادى ملك من ملايكة الله
تعالى هذا الرجل الذى اتاه الله علما فبخل به عن عباده اى الله تعالى ولم يسمح به لهم
لا بتفهيم ولا بتحرير واخذ عليه المال طمعا فى الدنيا وشرى به ثمنا قليلا بمقابلته
بالدنيا وقال الشيخ تاج الدين ابن عطا الله تعالى الاسكندرى فى لطايف المنن
اما علم تكون معه الرغبة فى الدنيا والتملق لاربابها وصرف الهمة الى اكتسابها والجمع
والادخار والمباهات والاستكثار وطول الامل ونسيان الاخرة فما ابعد من هذا
العلم علمه من ان يكون من ورثة الانبيا وهل ينتقل الشى الموروث الى الوارث الا بالصفة
التى كان بها عند الموروث عنه ومثل من هذه الاوصاف اوصافه من العلما كمثل الشمعة
تضى على غيرها وهى تحرق نفسها جعل الله العلم الذى علمه من هذا وصفه حجة عليه
وسببا فى تكثير العقوبة لديه ولا يغرنك ان يكون به انتفاع للبادى والحاضر فقد قال
صلى الله عليه وسلم وان الله ليويد هذا الدين بالرجل الفاجر ومثل من يتعلم العلم
لاكتساب الدنيا وتحصيل الرفعة فيها كمثل من رفع العذرة بملعقة من ياقوت
فما اشرف الوسيلة وما اخس المتوسل اليه ومثل من قطع الاوقات فى طلب العلم
فمكث اربعين سنة او خمسين سنة يتعلم العلم ولا يعمل به كمثل من قعد هذه المدة
يتطهر ويجدد الطهارة ولم يصل صلاة واحدة اذ مقصود العلم العمل كما ان المقصود
بالطهارة وجود الصلاة وذلك اى الالجام المذكور يوم القيمة ومناداة المنادى من حين
الشروع فى حسابه حتى يفرغ من الحساب الذى يحاسبه الله تعالى اياه ويحتمل ان يكون
المعنى حتى يفرغ الله تعالى من حساب الخلايق كلهم خ م يعنى روى البخارى ومسلم
باسنادهما عن اسامة بن زيد رضى الله عنهما انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول يوتى بالرجل يوم القيمة فيلقى فى النار فتندلق اندلق السيف اى السيف من
غمده خرج من غير ان يسل واندلق السيل اقبل كذا فى المصباح اقتاب بطنه
الاقتاب الامعاء واحدها قتب وقد يونث الواحد بالها فيقال قتبة وتصغيرها
قتيبة وبها سمى كما فى المصباح فيدور بها اى فى النار كما يدور الحمار فى الرحا
اى حول الطاحون ليديرها بقوة دورانه فيجتمع اليه اهل النار المعذبون فيها
فيقولون له يا فلان ويذكرون اسمه مالك يعنى اى امر لك اى اصابك من الامور
العظيمة حتى تفعل هكذا الم تكن تامر الناس بالمعروف وتنهى الناس عن المنكر
فى الحياة الدنيا وتقديره فكيف وقعت فى منكر او صلك الى هذا الحال فيقول لهم
بلى كنت امر بالمعروف للناس ولا اتيه اى لا افعل انا المعروف الذى امر به وانهى الغير
عن المنكر واتيه اى افعل المنكر الذى انهى كنت انهى غيرى عنه وزاد على ذلك فى رواية

مسلم قال يعنى اسامة بن زيد رضى الله عنهما راوى هذا الحديث وانى سمعته اى النبى عليه
الصلاة والسلام يقول مررت ليلة اسرى بى اى اسرى الله تعالى بى باقوام من امتى تقرض
اى تقطع شفاههم جمع شفة وهى غطا الفم بمقاريض جمع مقراض بكسر الميم من
القرض وهو القطع من نار فى جهنم قلت من هولا اى الذين اراهم كذلك يا جبريل قال
خطبا جمع خطيب يقال خطيب القوم لمن كان هو المتكلم عليهم والمراد علما امتك الذين
يقولون للناس ما لا يفعلون هم بانفسهم من الاحكام والمواعظ طب نعم يعنى
روى الطبرانى وابو نعيم باسنادهما عن انس بن مالك رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم
انه قال الزبانية من زبنت الشى زبنا اذا دفعته فانا زبون وقيل للمشترى
زبون لانه يدفع غيره عن اخذ المبيع ومنه الزبانية لانهم يدفعون اهل النار اليها
كذا فى المصباح اسرع اى اكثر مسارعة الى اخذ فسقة جمع فاسق وهو المصر على فعل
الحرام من القرا جمع قارى وهو الذى يقرى القران منهم اى من الزبانية انفسهم الى اخذ
عبدة جمع عابد كطلبة جمع طالب الاوثان الاصنام فيقولون اى فسقة القرا يبدا بابنا
للمفعول بنا قبل اخذ عبدة الاوثان وهم كفار ونحن مسلمون ونقرا القران فيقال لهم
تغليظ الجناية عليكم بسبب انكم علمتم الحق وما عملتم به وعباد الاصنام لم يعلموا الحق
وليس ذنب من يعلم كمن اى كالذى اذنب وهو لا يعلم فان من لا يعلم ذنبه اخف من ذنب
من يعلم قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر اولوا الالباب
حك يعنى روى الحاكم باسناده عن انس رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
العلما بالشريعة المحمدية اعتقادا وعملا امنا جمع امين الرسل اى رسل الله عليهم الصلاة
والسلام على نصح العباد اى عباد الله تعالى ما لم يخالطوا اى فى مدة عدم مخالطتهم السلطان
اى من له سلطنة على الناس من ملك او امير او وزير ونحوهم والقضاة والنواب والمفتيون
فى زماننا هذا فى معنى السلطان لمشاركتهم الامرا وحكام السياسة فى احوال العامة
وما لم يدخلوا الحى فى امور الدنيا فاذا دخلوا فى امور الدنيا وتنازعوا مع الناس فى امور
تناول الدرهم والدينار زيادة على قدر الحاجة وخالطوا السلطان وكذلك كل حاكم كما ذكرنا
فقد خانوا الرسل عليهم السلام الذين امنوهم على نصح عباد الله تعالى واذا خانوا الرسل فقد
خانوا الله تعالى المرسل للرسل الذى امن الرسل عليهم السلام على نصح عباد الله فامنوا
هم العلما على ذلك فاعتزلوهم يا ايها المكلفون ولا تخالطوهم لبلا يعلموكم الخيانة
فى الدين التى هى وصفهم وتسرى حالتهم فيكم فاذا تعلمتم العلم منهم كنتم مثلهم علما خاينين
للرسل فى اماناتهم ولهذا نرى على غالب الطلبة الذين يقرون العلم على العلما الذين
هذا الوصف المذكور وصفهم احوالهم كاحوالهم واقوالهم كاقوالهم وهم مضمرون فى

فى نفوسهم اذا تعلموا العلم ان يكونوا كمشايخهم فى مخالطة السلطان ومداهنة حكام الزمان
وجمع الدنيا من اى وجه كان ولا كمال لهم فى عيونهم الا بهذه الحالة فهى مناهم فى ساير
الاحيان فانصح نفسك يا ايها المكلف واياك والقراة على احد منهم واعتزلهم كما امرك
نبيك بذلك صلى الله عليه وسلم ولا تشتغل بقراة العلم الا على العلما العاملين اهل الورع
والدين وان كانوا اقل علما من الاولين فان البركة فى علومهم والنفع فيها لكافة
المسلمين ز يعنى روى البزار باسناده عن معاذ بن جبل رضى الله عنه انه قال
تعرضت او تصديت الشك من الراوى لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى قصدت
اساله وهو يطوف بالبيت فى مكة المشرفة فقلت له يا رسول الله اى الناس شرا
اى اكثر شرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اى يا الله اغفر اى اغفر لنا ولمن
سال هذا السوال غفرا حيث كان السوال يتضمن التجسس عن الناس وذكر
مساويهم وسوء الظن بهم ونسبة الشر اليهم وان لم يكن السوال عن احد بعينه
منهم سل عن الخير اى عن اكثر الناس خيرا ولا تسال عن الشر ثم قال صلى الله عليه وسلم
فى جوابه بعد تعليمه كيفية السوال الحسن وانما اجابه لان فى سواله فوايد مهمة
ومقاصد جمة وفى حسن التنبه للنجم الغزى رحمه الله تعالى قال حذيفة بن اليمان
رضى الله عنه كان الناس يسالون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت اساله
عن الشر مخافة ان اقع فيه وعلمت ان الخير لا يسبقنى وفى رواية عنه فعلمت
ان من لا يعرف الخير لا يعرف الشر شرار الناس فى كل زمان شرار العلما اى الشرار
من العلما فان العلما بهم صلاح الناس وارشاد شرارهم الى التقوى والدين وازالة
الفساد منهم فاذا فسدت العلما المصلحون للناس كانوا شرار الناس كما ان الملح
الذى به اصلاح الاطعمة اذا فسد فسدت الاطعمة بفساده وكان فساده اشر فساد
لان فساد الاطعمة ينصلح بالملح واما الملح فلا ينصلح فساده اصلا طص هق يعنى
روى الطبرانى فى المعجم الصغير والبيهقى باسنادهما عن ابى هريرة رضى الله عنه
انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد الناس عذابا يوم القيمة فى نار جهنم
عالم بالشريعة المحمدية لم ينفعه علمه بان كان لا يعمل به ولا تخشع له جوارحه
فتتحرك للاقبال على الاخرة ولا يستحى من الله تعالى ان يصف الدوا النافع لعباده
وهو بينهم مريض مدنف حد هق يعنى روى الامام احمد بن حنبل والبيهقى باسنادهما
عن منصور بن زاذان انه قال نبيت اى انبانى بمعنى اخبرنى بعض من ينقل ذلك عن
النبى صلى الله عليه وسلم لان مثل هذا لا يعلم الا بالوحى وهو مخصوص بالانبيا عليهم السلام
ان بعض من يلقى بالبنا للمفعول اى يلقيه الله تعالى فى النار يوم القيمة يتاذى اهل النار

اى

اى يصيبهم اذى من ريحه المنتن الذى يفوح منه فيقال له والقايل بعض اهل النار ويلك
من الويل وهو حلول الشر والتفجيع يقال ويله وويلك وويلى فى الندبة وويل كلمة
عذاب وواد فى جهنم او بير او باب لها كذا فى مختصر القاموس ما يعنى اى شى كنت تعمل
فى الحياة الدنيا حتى استوجبت هذا العذاب الذى يصيبنا منه ضرر اما يكفينا ما
اى الذى نحن فيه من العذاب حتى ابتلينا اى ابتلانا الله تعالى بك وبنتن ريحك يفوح
علينا فنجد منه الالم الشديد زيادة على عذابنا فيقول لهم كنت فى الحياة الدنيا عالما اعلم
الناس العلوم الشرعية ولا اعمل انا بذلك الذى اعلمه للغير فلم انتفع بعلمى شيا
هق حب يعنى روى البيهقى وابن حبان باسنادهما عن ابى الدرداء رضى الله عنه
انه قال لا يكون المرء اى الرجل بفتح الميم وضمها لغة فان لم تات بالالف واللام قلت
امرء وامران والجمع رجال من غير لفظه والانثى امراة بهمزة وصل وفيها
لغة اخرى مراة وزن تمرة وتجوز نقل حركة هذه الهمزة الى الراء فتحذف
فتبقى مرة وزان سنة كذا فى المصباح عالما اى لا يسمى بهذا الاسم فى اصطلاح
الشرع حيث ورد اسم العالم او ذو العلم فى الكتاب او السنة كما كان ذلك
معروفا فى الكتاب او السنة الصدر الاول حتى يكون ذلك العالم بعلمه عاملا
وان لم يكن عاملا بعلمه فهو جاهل لا عالم لغلبة احكام الهوى والنفس عليه
ولهذا اسم العالم الوارد فى الايات والاحاديث المقتضى للمدح والثنا لا يشمل
ابليس اللعين مع انه كثير العلم بجميع الشرايع والاديان بل بالمذاهب والخلافات
كما صرح بذلك الشعراوى فى بعض كتبه لعدم عمله بشى من ذلك اصلا لكفره
بالله تعالى فكذلك لا يشمل كل عالم غير عامل بعلمه حك يعنى روى الحاكم باسناده
عن انس رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون اى يوجد
فى اخر الزمان عباد بالتشديد جمع عابد وهو الذى يفعل عبادة الله تعالى
اى امتثال امره واجتناب نهيه جهال جمع جاهل من الجهل ضد العلم يعنى يعبدون
الله تعالى على زعمهم ذلك من غير علم بالعبادة فلا يعلمون الاوامر الالهية ولا
النواهى ويزعمون انهم يعملون على مقتضى ذلك من غير علم به فيبتدعون
ما ليس فى الدين من الزيادة والنقصان استحسانا بعقولهم وهم يظنون ان
ذلك شرع الله تعالى وانهم لا يحتاجون الى التعلم فيضلون انفسهم وغيرهم وعلماء
جمع عالم وهو العارف باحكام الله تعالى اعتقادا وعملا فساق اى يرتكبون المحرمات
ويصرون على المعاصى والمخالفات ولا يعملون بمقتضى علمهم المشتمل على بيان الفرايض
والواجبات والمحللات والمحرمات على طبق الايات البينات والاحاديث النبويات

واقوال الائمة الثقات مج يعني روى ابن ماجة باسناده عن ابي سعيد رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كتم علما وكان ذلك العلم مما اي من نوع من العلوم ينفع الله تعالى به عباده في امر الدين المحمدي كعلم التوحيد او الفقه ونحو ذلك بخلاف العلوم التي لا نفع فيها في الدين كالقدر الزايد على الحاجة من علوم العربية الجم اي الجمه الله تعالى يوم القيمة بلجام من نار بان يدخل في فمه ذلك اللجام ليتعذب به في موضع جنايته وهو فمه ويمنعه من النطق به عقوبة له من الله تعالى على كتمان الحق في محل الاحتياج اليه نـ طط يعني روى البزار والطبراني في المعجم الاوسط عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يظهر الاسلام اي سوف يشتهر ويتضح وينتشر هذا الدين المحمدي في اقطار الارض من الطول الى العرض ويغلب على ساير الاديان وفي المصباح ظهر الشي يظهر ظهورا برز بعد الخفا ومنه يقال ظهر في راي اذا علمت ما لم تكن علمته وظهرت عليه اطلعت عليه وظهرت على الحايط علوت ومنه قيل ظهر على عدوه اذا غلبه حتى تختلف اي يتردد التجار فيأتون ويذهبون ومنه قوله تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة اي يجي هذا في اثر هذا في البحر فيسافرون باموالهم ويوثرون السفر فيه على السفر في البر من كثرة الامن بظهور الاسلام وانتصار اهله واخماد الكفار حتى بصير واذمة للمسلمين فلا يفدرون ان يخيفوا طريق البحر وحتى يخوض اي يدخل يقال خاض في الامر دخل فيه الخيل معروفة وهي مونثة ولا واحد لها من لفظها والجمع خيول قال بعضهم ويطلق الخيل على العراب وعلى البراذين وعلى الفرسان وسميت خيلا لاختيالها وهي اعجابها بنفسها مرحا ومنه يقال اختال الرجل وبه خيلا وهو الكبر والاعجاب كذا في المصباح في سبيل اي طريق الله تعالى يعني في مرضاته سبحانه والمعنى يكثر تردد الخيل والفرسان في غمرات الحروب لكثرة الجهاد في اعدا الله تعالى وهو سبب كثرة الامن المذكور ثم يظهر اي يتبين بعد الخفا او يغلب بعد الذل والحقارة وهو اخبار عن تحول الحال الاول في الاسلام الى ضده وقد اتى بثم الدالة على الترتيب والتراخي في المدة للاشارة الى تاخر الحال الثاني عن الاول في الزمان قوم اي جماعة يقرون القران ويبالغون في حروفه وتصحيح كلماته شاردين عن معانيه المقصودة وعن العمل باحكامه طـ والاتعاظ بمواعظه والانتباه لحكمه واسراره الكثيرة المعدودة ولهذا يقولون من كثرة جهلهم بالحق واداب الدين وتكبرهم على المسلمين من اقرا اي احسن قراة للقران العظيم منا يريدون بذلك الازرا على الناس والتهكم فيمن لم يتقن قراة القران مثل ما

ما اتقنوا هم وهذه الحالة التي اتقنوها هم وصرفوا في تحصيلها غالب اوقاتهم ليست بامر مفروض عليهم وقد وقعوا بسببه في احتقار المسلمين وسوء الظنون فيهم فان الواجب على القاري ان يتعلم من علم التجويد للقران المجيد مقدار ما يمتنع به من اللحن الجلي المخل بالمعنى المفسد للمبنى واما ما زاد على ذلك من الترقيق والتفخيم والمدود والادغام فهو امر مستحب كما صرح بذلك الشيخ علي القاري الحنفي المكي في شرح منظومة ابن الجزري في علم التجويد حيث قال القران وصل الينا من الله متواترا من اللوح المحفوظ على لسان جبريل عليه السلام وبيان النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه رضي الله عنهم وتعلم التابعين ثم اتباعهم منهم وهلم جرا الى مشايخنا رحمهم الله تعالى متواترا هكذا بوصف الترتيل المشتمل على التجويد والتحسين وتبيين مخارج الحروف وصفاتها وساير متعلقاتها التي هي معتبرة في لغة العرب الذي نزل القران العظيم بلسانهم لقوله تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه فينبغي ان يراعي جميع قواعدهم وجوبا فيما يغير المبنى ويفسد المعنى واستحبابا فيما يحسن به اللفظ ويستحسن به النطق حال الاداء وانما قلنا بالاستحباب في هذا النوع لان اللحن الخفي لا يعرفه الا مهرة القرا من تكرير الراات وتطنين النونات وتغليظ اللامات في غير محلها وترقيق الراات في غير موضعها لا يتصور ان يكون فرض عين يترتب العقاب على فاعله لما فيه من حرج عظيم وقد قال تعالى وما جعل عليكم في الدين من حرج ولا يكلف الله نفسا الا وسعها وقال الشيخ جلال الدين السيوطي رحمه الله تعالى في كتابه الاتقان في علوم القران التحقيق وهو اعطاء كل حرف حقه من اشباع المد وتحقيق الهمزة واتمام الحركات واعتماد الاظهار والتشديدات وبيان الحروف وتفكيكها واخراج بعضها من بعض بالسكت والترتيل والتوءدة وملاحظة من الوقف بلا قصر ولا اختلاس ولا اسكان محرك ولا ادغامه وهو يكون برياضة الالسن وتقويم الالفاظ ويستحب الاخذ به على المتعلمين من غير ان يتجاوز فيه الى حد الافراط بتوليد الحروف من الحركات وتكرير الراات وتحريك السواكن وتطنين النونات بالمبالغة في الكيفيات كما قال حمزة لبعض من سمعه يبالغ في ذلك اما علمت ان فوق البياض برص وما فوق الجعودة قطط وما فوق القراة ليس بقراة انتهى ولا يغرنك قول ابن الجزري في منظومته اذ واجب عليهم محتم الى اخره فان الشيخ علي القاري رحمه الله تعالى يقول في شرحه ثم الوجوب الشرعي ما يثاب على فعله ويعاقب على تركه والعرفي ما لا بد منه في فعله ولا يستحسن تركه فيجب حمل كلام المصنف يعني ابن الجزري رحمه الله تعالى على المعنى الاصطلاحي وهو لا ينافي الوجوب الشرعي في بعض الصور ولا يجوز حمله على المعنى الشرعي لان معرفة جميع ما في هذه المقدمة

ليس من هذا القبيل الا اذا حمل على وجوب الكفاية ولا يحرك ايضا قول ابن الجزري
والاخذ بالتجويد حتم لازم قال على القاري في شرحه فالاظهر ان المراد بالحتم هنا ايضا
الوجوب الاصطلاحي المشتمل على بعض افراد من الوجوب الشرعي لا الجمع بين الحقيقة
والمجاز واستعمال المعنيين بالاشتراك كما ذهب اليه الشراح يعني لمقدمة ابن الجزري
من الشافعية فان اللحن على نوعين جلي وخفي فالجلي خطا يعرض للفظ ويخل بالمعنى
والاعراب كرفع المجرور ونصبه ونحوهما سوا تغير المعنى به اولا والخفي خطا
يخل بالعرف كترك الاخفا والاقلاب والاظهار والادغام والغنة وكترقيق المفخم
وعكسه ومد المقصور وعكسه وامثال ذلك ولا شك ان هذا النوع مما ليس بفرض
عيني يترتب عليه العقاب الشديد وانما فيه خوف العقاب والتهديد واما تخصيص
الوجوب بقراة الفاتحة كما ذكره بعض الشراح يعني لكلام ابن الجزري فليس مما يناسب
المرام في هذا المقام وقال ابن الجزري من لم يجود القران اثم قال على القاري في شرحه اي
من لم يصحح كما في نسخة صحيحة بان يقراه قراة مخلة بالمعنى او الاعراب كما صرح به
الشيخ زكريا خلافا لما اخذه بعض الشراح يعني للجزرية منهم ابن المصنف على وجه
العموم الشامل للحن الخفي فانه لا يصح كما لا يخفى وفي شرح على القاري المذكور كلام اخر
في مواضع منه صريحة بما ذكر وفي كتاب لطايف الاشارات في علم القراات للامام
القسطلاني رحمه الله تعالى قال اعلم ان طلب حفظ القران العظيم وسرعة سرده والاجتهاد
في تحرير النطق بلفظه والبحث عن مخارج حروفه وصفاتها والرغبة في تحسين الصوت
به وان كان مطلوبا حسنا ولكن فوقه ما هو اهم منه واتم واولى وهو فهم معانيه
والتفكر فيه والعمل بمقتضاه والوقوف عند حدوده وقد روينا في فضايل القران لابي
عبيد القاسم بن سلام عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة في قوله تعالى الذين اتيناهم الكتاب
يتلونه حق تلاوته قال يتبعونه حق اتباعه وعن الشعبي في قوله تعالى فنبذوه وراء
ظهورهم قال اما انه كان بين ايديهم ولكنهم نبذوا العمل به قال الغزالي اكثر الناس منعوا
من فهم القران لاسباب وحجب سدلها الشيطان على قلوبهم فعميت عليهم عجايب
اسرار القران اولها ان يكون الهم منصرفا الى تحقيق الحروف باخراجها من مخارجها قال
وهذا يتولى حفظه شيطان وكل بالقرا ليصرفهم عن فهم معاني كلام الله تعالى فلا يزال
يحملهم على ترديد الحرف فيخيل اليهم انه لم يخرج من مخرجه فهذا يكون تامله مقصورا على
مخارج الحروف فاني تنكشف له المعاني واعظم ضحكة للشيطان من كان مطيعا لمثل هذا
التلبيس ثم قال وتلاوة القران حق تلاوته ان يشترك فيه اللسان والعقل والقلب فحظ اللسان
تصحيح الحروف وحظ العقل تفسير المعاني وحظ القلب الاتعاظ والتاثر والانزجار

والايتمار

والايتمار فاللسان يرتل والعقل يترجم والقلب يتعظ وقال حذيفة رضي الله عنه
ان اقرا الناس المنافق الذي لا يدع واوا ولا الفا يلفت بلسانه كما تلفت البقرة الخلا
بلسانها لا يجاوز ترقوته وقال صاحب الغريبين في الحديث هلك المتنطعون هم
المتعمقون الغالون الذين يتكلمون باقصى حلوقهم ماخوذ من النطع كعنب وهو الغار
الاعلى من الفم قال وفي حديث حذيفة من اقرا الناس منافق لا يدع منه واوا ولا الفا
يلفت بلسانه كما تلفت البقرة بلسانها الخلا اي يلويه يقال لفته وفتله اي لواه والخلا
الرطب من الكلا وذكر النجم الغزي في حسن التنبه قال روى الامام احمد والطبراني في
الكبير عن عقبة بن عامر والبيهقي عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اكثر منافقي امتي قراوها وروى الفريابي عن عمر رضي الله عنه قال ان اخوف ما اخاف
عليكم ثلاثة منافق يقرا القران لا يخطي فيه واوا ولا الفا يجادل الناس انه اعلم منهم
ليضلهم عن الهدى وزلة عالم وايمة مضلون ويقولون ايضا من يعني اي انسان
اعلم اي اكثر علما منا من يعني اي انسان افقه اي اكثر فقها اي فهما في الدين منا وهذا
القول منهم اما بصريح اللسان او هم مضمرون له في نفوسهم ولهذا تراهم لا يثبتون لاحد
غيرهم فضيلة وكلما ذكرت فضيلة لاحد من الناس اخذوا في ردها وذم ذلك الرجل وذكر
عيوبه ليبطلوا ان يكون له فضيلة في العلم فيشاركهم في فضيلتهم وهم مرادهم الانفراد
بذلك وحدهم بلا مشاركة احد لهم في ذلك اولئك منكم اي مسلمون ليسوا من اليهود ولا من
النصارى من هذه الامة اي ليسوا من الامم الماضية واوليك هم وقود بفتح الواو وهو
الحطب النار اي نار جهنم طب يعني روى الطبراني عن مجاهد عن ابن عمر رضي الله
عنهما انه قال لها اي ابن عمر قال لا اعلمه اي هذا الحديث الا عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه اي النبي صلى الله عليه وسلم قال من يعني اي انسان قال اني عالم وصرح بنسبة العلم
اليه بلسانه فهو جاهل لا يعلم ما العلم فهو يحفظ بعض المسايل فيظن انه صار عالما
بها والعلم هو النور الذي يقذفه الله تعالى في القلب فيكشف به العبد عن كل شيء
ولا يخفى عليه بسببه امر من الامور مطلقا ويكشف به عن نفسه فيراها جاهلة
قاصرة عاجزة مذنبة حقيرة فلا يدعي لنفسه علما وانما العلم عند الله كما قال تعالى
والله يعلم وانتم لا تعلمون وفي الحديث المومن ينظر بنور الله وقال المصنف رحمه
الله تعالى ولا ارى عالما منصفا يعني من علما زمانه اذا نظر وتامل في احواله اي احوال
نفسه واعماله التي يعملها في اليوم والليلة يحكم لنفسه انها بريئة اي مبرية من هذه
الافات اي المفاسد المذكورة في هذه الاحاديث والاخبار الماثورة بل الظن الغالب
عندنا ان يحكم ذلك العالم عليها اي على نفسه بها اي بهذه الافات الواردة في الاثار او يحكم

على نفسه ببعضها اى بعض تلك الافات فتكبره اى ذلك العالم على غيره حينيذ بالعلم
الذى يعلمه جهل منه محض اى خالص وثانى المعرفتين فى علاج العلم الذى هو اعظم اسباب
الكبر والتكبر ان يعرف الانسان ان الكبر فى النفس الصادر من العباد المخلوقين على بعضهم
بعضا حرام بالاجماع وانه اى التكبر لا يليق الا بالله تعالى لانه سبحانه هو الكبير الحقيقى
الذى لا يشبه كبره كبر شىء محسوس ولا معقول فليس من قبيل الاجسام ولا
من قبيل الاعراض وانه اى الكبر صفة قديمة مختصة به اى بالله تعالى لا يشاركه فيه
غيره اصلا وقوله بالبنا للمفعول ان العالم الذى يتكبر بعلمه على غيره جرى من الافات
اى المفاسد المذكورة للعلم فى الاحاديث والاخبار السابقة وان لعلمه الذى يتكبر
به فضلا اى مزية ورفعة على علم غيره فعلمه انما يورث له خشية اى خوف اجلال
لا خوف عقوبة من الله تعالى فكيف يمكنه ان يتكبر به على غيره قال الله تعالى انما يخشى
الله من عباده العلما به سبحانه وهم العارفون المحققون كما سبق بيانه ويورث
تواضعا اى انخفاضا لعباد الله تعالى لا يورث جراة اى سلطة على الله تعالى مع عدم
حيا منه سبحانه ولا يورث امنا بلا خوف منه تعالى ان يسلبه ما اعطاه كما قال سبحانه
لا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون ولا يورث كبرا على عباده اى عباد الله تعالى وعجبا
اى اعجابا عليهم فلذا اى فلكون الامر كذلك صار الانبيا عليهم الصلاة والسلام متواضعين
لعباد الله تعالى غير متكبرين عليهم خاشعين لله تعالى من غير جراة عليه سبحانه
ولا امن منه وعلمهم به تعالى اورثهم الخشية منه والهيبة له والعظمة عندهم لجلاله
لم يكن اى يوجد فيهم كبر على احد من عباد الله تعالى ولا عجب اى ترفع وتكبر ويقال
اعجب زيد بنفسه بالبنا للمفعول اذا ترفع وتكبر كذا فى المصباح المنير فحق العبد المخلوق
ان لا يتكبر على احد من العبيد المخلوقين مثله لانهم كلهم عبيد مولى واحد وهو خالقهم
فان نظر العبد الى جاهل يقول هذا عصى الله تعالى بجهل منه وانا عصيته سبحانه وتعالى
بعلم فهذا الجاهل اعذر اى اكثر عذرا منى فهو افضل منى واكرم على الله تعالى كما قال تعالى
ان اكرمكم عند الله اتقاكم ولم يقل تعالى ان اكرمكم عند الله اعلمكم وان نظر الى عالم من علما المسلمين
يقول هو فى نفسه هذا علم من علوم الدين المحمدى والالة الشرعية ما لم اعلم انا فكيف اكون
انا مثله فى العلم فضلا عن الزيادة عليه وان نظر الى احد اكبر منه سنا اى عمرا يقول فى نفسه
انه اطاع الله تعالى قبلى فقد سبقنى بالايمان والعمل الصالح وان نظر الى انسان صغير يعنى
اصغر منه فى السن يقول انى عصيت الله تعالى قبله فهو اعلى منى حيث لم تصدر منه
المعصية فى وقت صدورها منى وان نظر الى مساويه اى الى احد بينا وبينه سنا اى عمرا يقول
فى نفسه انا اعلم بحالى من غيرى ولا اعلم حاله اى حال هذا المساوى لى فى السن والمعلوم اولى

بالتحقير على المعاصى التى صدرت منه من المجهول الذى لا تعلم معاصيه ومما يناسب هذا ما ذكره
المحاسبى فى الرعاية قال اعلم ان الناس عندك فرقتان فرقة لا مستورة لا تعرف منها
سوءا ولا جرما فتلك الفرقة افضل منك عندك اذا لم تتبين منها مكروها والفرقة الثانية
مختلفون فى ذلك فمنهم من هو عندك مهتوك فى ذنب او ذنبين او اكثر من ذلك الا انه
اقل فيما يتبين لك من نفسك من عدد الذنوب فى طول عمرك فهو لا ايضا افضل منك عندك
ان كنت تعرف من نفسك اكثر مما تعرف منهم وفرقة قد ظهر لك منها من الذنوب اكثر واعظم
مما ظهر لك من نفسك فاما الكثرة فلا تقدر ان تحصيها من غيرك كما تعرفها من نفسك لانك خال
بنفسك فى كل حال فى عمرك كله ولا تقدر ان تصحب غيرك فى طول عمرك فلا تفارقه كما لا تقدر
ان تفارق نفسك ولا تطلع على سرايره وضميره كاطلاعك على سراير نفسك وضميرها
فذنوبك عندك اكثر من ذنوب غيرك واما العظم فقد يظهر لك من غيرك كالقتل والسرقة
والزنا وغيره من غيرك فقد يكون بعض من ظهر لك ذلك منه ليس عنده من المعرفة والعلم
ما عندك فالحجة عليك اعظم منها عليه والحساب عليك فى سوال القيام بالعلم اشد فانت
تخاف على نفسك العذاب على قدر تضييعك مع العلم والمعرفة فتنفى عنك الكبر بذلك
وقد يكون بعض من ظهر لك ذلك منه له من العلم ما لك واكثر وقد ظهر لك منه من الذنوب
اعظم مما اتيت فهو لله جل جلاله اعظم عصيانا منك فالذى عليك فيه ان تعرف نعمة الله
عز وجل عليك اذ عصمك من مثل عمله وتغضب عليه لله عز وجل وتجانبه وتحقره غضبا
لربك ولا تنس الخوف على نفسك حتى ترى انك ناج وانه هالك دونك وانت لا تدرى
بما يختم لك ولا بما يختم له وانما وكلت بالخوف على نفسك من ذنبك ولم توكل بالخوف
عليه من ذنبه الا من طريق الاشفاق عليه فاما ما ندبت اليه ووجب عليك فهو
ان تخاف الله عز وجل وترهبه وتتوب اليه وتخاف ان لا يقبل منك صالح عملك لما
سلف من ذنوبك ولما تخاف ان يكون قد دخل عليك فى عملك من الافات التى تفسده
وان تخاف من سوء عواقب الخاتمة وسابق العلم فيك فانما امرت ووجب الخوف
على نفسك لانك الماخوذ بذنبك لا بذنب غيرك الا تسمع الله عز وجل يقول ولا تزر
وازرة وزر اخرى ومن عمل صالحا فلنفسه ومن اسا فعليها ولا تكسب كل نفس الا عليها
فانت لا تدرى لعل الله عز وجل ان يكون قد غضب عليك فانت عندك شغل من الخوف
على غيرك ولا تدرى بما يختم لك وكم من قد رايته راحما لغيره من المسرفين على انفسهم
قد رجع الى المعاصى وتاب المرحوم عنده ورجع حتى مات هو على شر احواله ومات
الاخر على الطاعة والتشمير لان الله عز وجل قد غيب علم عواقب الامور واعمال العباد
عنهم فلا يدرى احد منهم الا الرسل الذين بين لهم فلا يدرى العبد على ما يموت وباى حال

تختم له بها فالخوف على نفسك اولى بك من الخوف على غيرك واذا نظرت الى الغير بعين
الازدرا والحقرية وقد غلب على قلبك انك الناجى وانك خير منه على كل حال لا تذكر ما
سلف من ذنوبك ولا بما يختم لك فحينيذ تجمع بين غضب الله عز وجل والكبر اوانفت
ان تقبل منه حقا او تودى اليه حقا اوجبه الله عز وجل له عليك وقد قطع قلبك عليه
بالهلاك وغلب عليه النجاة لك فحينيذ قد تكبرت عليه فاعجبت بنفسك وقد روى
عن وهب بن منبه انه قال ماتم عقل امرء حتى تكون فيه عشر خصال فعد تسع خصال
حتى بلغ العاشرة فقال والعاشرة واما العاشرة التى ساد بها مجده وعلا بها ذكره
انه يرى الناس كلهم خيرا منه وانه شر منهم حالا فقال يرى ولم يقطع ثم فسر ذلك فقال
وانما الناس عنده فرقتان او رجلان ففرقة هى افضل منه وارفع وفرقة هى شر منه
وادنى فهو متواضع الفرقتين جميعا بقلبه ان راى من هو خير منه شكره وتمنى ان يلحق
به وان راى من هو شر منه قال لعل هذا ينجوا واهلك انا افلا تراه خايفا من العاقبة
ثم قال ولعل بر هذا باطن فذلك خير له لا يدرى لعل عنده خلقا كريما فيما بينه وبين
ربه عز وجل يشكره له فيرحمه به فيتوب عليه ويختم له باحسن الاعمال ثم قال ويرى
انا ظاهر فذلك شر لى فلا يامن ان لا يكون سلم فيما اظهر من الطاعة ان يكون قد دخلها
من الافات وما يحبطها ثم قال فحينيذ كمل العقل وخلد وساد اهل زمانه وان نظر ذلك
العبد الصالح الى رجل مبتدع اى مرتكب بدعة فى العمل او فى الاعتقاد كالقدرى والجبرى
والمعتزلى او الى رجل كافر يهودى او نصرانى لا يتكبر بنفسه على احد منهما اصلا
ويقول فى نفسه ما يعنى اى شى يدريني من ادراه اذا اعلمه لعله اى ذلك المبتدع
او الكافر يختم له بالاسلام ويختم لى بما هو عليه الان من البدعة والكفر فلا يتكبر على واحد
منهما مع البغض لهما والغضب عليهما لله تعالى لا لحظ النفس وفى رعاية المحاسبى قد
تبين لى كيف اجانب الكبر على اهل المعاصى من المسلمين فاخبرنى عن اهل البدع الذين
يتدينون بغير السنة ويضلون العباد عن الله عز وجل اعدا سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم
همتهم اطفا نورها واحيا الضلالة ومذلة اهل الحق واعزاز اهل الكذب والافتراء بالتاويل
على الله عز وجل وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم قال ان اهل البدع يجب عليك البغض لهم
والمجانبة الامن وجب عليك حق تؤديه اليه فتؤديه اليه وقلبك له مبغض ومنه نافر
كاينا من كان الا ان قلبك لا ينسى ما ورطت فى رقبتك من الذنوب وما تقدم فيك من علم
علام الغيوب بالشقا او السعادة او سوء الخاتمة وتعلم مع ذلك ان الله عز وجل قد فضلك
عليهم بما عصمك منه من التدين بادينهم غير غافل حتى تقطع انك خير منهم فى الاخرة ترى انك
ناج وهم الهالكون وقد غيب الله عز وجل عنك العلم فيك وفيهم من ترى منهم على اى حال يموت

وعلى اى حال تموت ولعله لا يغفر لك ولا له فتدخلان النار جميعا فان كان عاقبة امرك دخول
النار فعندك شغل عن استصغاره والظن فى نفسك انك خير منه فاذا دنت لله عز وجل
ببغضه ومخالفته وعلمت ما من الله عز وجل به عليك مما عصمك مما يتدين به ولم يغفل
قلبك حتى يغلب عليه انك ناج وهو هالك فقد تكبرت فى نفسك فاغتررت بربك فان قلت
ان اهل البدع وان كانوا ضلالا فانهم معتقدون للتوحيد ولكن ارايت من لا شك فيه انه
عدو لله عز وجل كافر به ان مات على كفره فهو فى النار لا يرحمه الله عز وجل ابدا فلا يمتنع
قلبى من ان اعلم انى خير منه وانه هالك لا محالة وانه ليس عنده من الخير مثقال يرضى الله عز وجل
به مثقال خردلة قال هو كما ذكرت الا ان يمن الله عز وجل عليه بالتوبة قبل الموت فان من عليه بذلك
فهو احق بالتفضيل عليه والا فهو الظالم الخاسر فاما الكبر على احد من الناس فلا يجوز لك فانت
لا علم لك لعله ان يموت اعبد اهل زمانه وتموت انت اكفر اهل زمانك فكن لذلك متخوفا
ومما يدلك على ذلك ان الله عز وجل بعث نبيه صلى الله عليه وسلم فاجابه اول ما دعا
الى توحيده قوم وتاخر عن الاجابة اخرون فكان ممن اجابه ابو بكر الصديق رضى الله عنه
وعلى وبلال وغيرهم وعمر وغيره كفار فقد كان من اسلم مع النبى صلى الله عليه وسلم مثل عمرو بن
عنبسة وبلال وغيره ينظرون الى عمر ويعرفون انه ضال كافر ولا يدرون بما يختم له
فوهب الله عز وجل له الاسلام حتى فاق كل من اسلم قبله الا ابا بكر وحده فلم يكونوا يعلمون
ما يكرمه الله عز وجل به وكانوا مومنين وكان هو كافرا ثم اسلم ففضلهم وكذلك غيره
ممن تقدم اسلامه وتاخر اسلام اخر بعده الى عصرنا هذا فقد ارتد قوم اسلموا على عهد
النبى صلى الله عليه وسلم فقتلوا كفارا يوم الردة واسلم من كان كافرا وهم مومنون فحسن
اسلامهم ثم قتلوا مومنين شهدا فاذا كنت متخوفا على نفسك الخاتمة والعاقبة لا يغلب
على قلبك نجاتها البتة وانك لعلك ميت على كفره فقد نفيت الكبر ولم تغتر ولم
تامن على نفسك من التغيير والزوال اللذين يورثانك العذاب والعقاب ولا قوة
الا بالله العلى العظيم واذا نظر ذلك العبد الصالح الى كلب او الى خنزير او الى حية او الى
عقرب او نحوها من جميع الموذيات يقول فى نفسه هذا لم يعص الله تعالى فلا عتاب
اى ملامة فى الاخرة عليه ولا عقاب عليه فيها ايضا واما انا فقد عصيته اى الله تعالى فانا
مستحق لهما اى للعتاب وللعقاب من الله تعالى فهذه الاشيا خير منى وذكر القشيرى
فى رسالته فى ترجمة حمدون القصار انه قال من ظن ان نفسه خير من نفس فرعون
فقد اظهر الكبر والحاصل انه ينبغى للعبد الصالح ان لا يرى نفسه خيرا من غيره اى غير
غيره كان كما ذكر فيكون بسبب ذلك مصروف الهم اى الهمة الى تهذيب نفسه مشغول
القلب فى جميع اوقاته بعيبه لخوفه لعاقبته ان يكون شرا عن عيب غيره من الناس

فلا يتفرغ من نفسه حتى يصرف همته الى اصلاح غيره ويشغل قلبه بعيوب الناس فان
قلت سؤال نشا من عدم التكبر على المبتدع والكافر كما سبق فكيف ابغض المبتدع
في الدين المحمدي والكافر بغضا كائنا في الله تعالى اى في سبيله لا في سبيل النفس والغرض
العاجل والهوى وقد امرت بالبنا المفعول اى امرني الله تعالى به اى بالبغض المذكور كما قال
تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله الاية وقال
تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اوليا تلقون اليهم بالمودة وكيف انهاهما
اى المبتدع والكافر عن المنكر اللذين هما مرتكبان له وهو البدعة في الدين والكفر بالله
تعالى ورسله مع مصاحبة روية نفسي دونهما حتى لا اكون متكبرا عليهما قلت
في الجواب عن ذلك تبغض يا ايها المكلف المبتدع والكافر وتنهى كل واحد منهما عن منكره
لمولاك اى لاجل امر ربك اذ اى لانه امرك مولاك وهو الله تعالى بهما اى بالبغض والنهي
لهما لا لنفسك اى لاجل غرضها وارتفاعها عليهما بسبب اتباعها للسنة وايمانها بالله
تعالى ورسله والحال انك انت فيهما اى في وقت البغض والنهي المذكورين لا ترى نفسك
ناجيا من الهلاك عند الله تعالى لانك لا تدعي ما عنده تعالى من احوالك المستقبلة
وترى صاحبك المبتدع او الكافر الذي تبغضه وتنهاه هالكا عند ربه لعدم علمك
باحواله المستقبلة بل يكون خوفك على نفسك بما اى بسبب الذي علم الله تعالى من
خفايا ذنوبك التي لا تعلمها انت وهو العالم بها سبحانه اكثر من خوفك عليهما اى على
المبتدع والكافر مع الجهل عندك بالخاتمة اى خاتمة امرك وخاتمة امرهما ايضا فربما
كانت خاتمتك على الشقا وخاتمتهما على السعادة وانت لا تدري بذلك فتكون انت
في حال بغضهما ونهيهما كغلام ملك اى سلطان امره ذلك الملك بمراقبة ولده اى ولد
الملك وامره باظهار الغضب عليه وضربه اى الولد مهما اساء اى فعل السوء فيغضب
ذلك الغلام عليه اى على ولد الملك ويضربه عند فعل ذلك الولد الاساة امتثالا اى على
وجه الامتثال لامر مولاه الذي هو ذلك الملك وتقربا من الغلام له اى لذلك الملك
به اى بالامتثال المذكور بلا تكبر من الغلام عليه اى على ولد الملك بل هو اى الغلام متواضع
له اى لولد الملك يرى قدره اى قدر ولد الملك عند مولاه الذي هو ذلك الملك فوق قدر
نفسه فكذلك انت يا ايها العبد الصالح يجب عليك ان تنظر الى العبد المبتدع والى الكافر
وتقول في نفسك ربما كان قدره اى قدر كل واحد منهما عند الله تعالى اعظم من قدري لما سبق
في علم الله تعالى وتقديره وقضايه لهما اى للمبتدع والكافر من حسن العاقبة بالموت على
الطاعة الالهية والسنة النبوية في سابق الازل ولما سبق من سوء العاقبة والعياذ
بالله تعالى فيه اى في الازل وانا غافل عنه اى عن سوء العاقبة فتغضب على المبتدع والكافر

وتنهى

٣٥١

وتنهى كل واحد منهما عن منكره لحكم الامر الالهي لك بذلك محبة اى على وجه المحبة لمولاك سبحانه
وتعالى الذي لا يسأل عما يفعل اذ اى لانه جرى اى وقع وصدر من المبتدع والكافر ما يكرهه
سبحانه وتعالى مع وجود التواضع منك لمن يجوز ان يكون اقرب الى الله تعالى منك عنده
في الاخرة وهو المبتدع والكافر والسبب الثاني للكبر والتكبر العبادة لله تعالى والورع
وهو الاحتراز عن الشبهات وفضول الحلال فان الرجل العابد لله تعالى الورع في احواله
ظاهرا وباطنا قد يتكبر في نفسه على الرجل الفاسق وهو تارك العبادة والمرتكب للحرام بل
قد يتكبر ايضا على من لا يعمل مثل عمله من النوافل الزايدة ومن الاحتراز عن تعاطي الشبهات
وهي ما اشبه الحرام وليس بحرام والاحتراز عن فضول الحلال وان كان عابدا ورعا ولكن دون
عبادته وورعه وهذا التكبر ايضا من الجهل الغالب على الانسان اذ قد يكون العمل القليل
افضل من الكثير باعتبار العامل كما ورد في الحديث ركعة من عالم بالله خير من الف ركعة
من جاهل بالله اخرجه السيوطي في الجامع الصغير فقد يكون الذي عمله قليل اعلم بالله منه
فثوابه على عمله القليل خير من ثواب الاول على عمله الكثير فعلاجه اى هذا التكبر
بالعبادة والورع ايضا اى مثل علاج السبب الاول الذي هو العلم كما مر معرفتان الاولى
معرفة ان افضل العبادة والورع انما يكون باستجماعهما اى العبادة والورع الشرايط
التي ذكرها الفقها في صحة العبادة وذكرت للورع في كتب العلما للفرق بين الورع
والوسوسة واستجماع الاركان المذكورة للعبادة في كتب الفقه وللورع في كتب
الغزالي وغيرها ومجانبتهما اى مباعدة العبادة والورع المفسدات للعبادة مما
ذكره الفقها وللورع مما يخرجه الى الوسوسة قال الامام العيني في شرح صحيح البخاري
عند حديث الحلال بين والحرام واما ما يخرج الى باب الوسوسة من تجويز الامر البعيد
فهذا ليس من الشبهات والمطلوب اجتنابها يعني في باب الورع وقد ذكر العلما له
امثلة قالوا هو ما يقتضيه تجويز امر بعيد كترك النكاح من نسا بلد كبير خوفا ان
يكون له فيها محرم وترك استعمال ماء في فلاة لجواز عروض النجاسة وغسل ثوب
مخافة لحوق نجاسة عليه لم يشاهدها الى غير ذلك مما يشبهه فهذا ليس من الورع وقال
القرطبي بل الورع في مثل هذا وسوسة شيطانية اذ ليس فيه من معنى الشبهة شيء
وسبب الوقوع في ذلك عدم العلم بالمقاصد الشرعية وسياتي بيان الوسوسة في اخر
الكتاب ان شا الله تعالى ومجانبتهما اى المكروهات التحريمية والتنزيهية المذكورة في الفقه
ومقارنتهما اى العبادة والورع النية الصادقة لله تعالى من غير باعث دنيوي يبعث
على فعلهما والاخلاص وهو تخليصهما من غرض نفساني دنيوي او اخروي والتقوى في فعلهما
اى الاحتراز عن الخطرات النفسانية والتوقي من ايقاعهما على وجه الشهوة الخفية

او الجلية وصونهما اى حفظ العبادة والورع عن جميع المحبطات للثواب والمبطلات
المحصلات للصحة على حسب ما هو مفصل فى علم الفقه مما يبطل كل عبادة وحصول هذه
الامور باسرها اى جميعها فى العبادة والورع من امثالنا المقصرين الذين كلما ارادت
همتهم ان تلحق بالسابقين فى عباداتهم وورعهم اقعدتها فترات اهل الكسل
المخالطين لنا وربطتها عن المسير على سير الاوائل عادات اهل الزمان التى تدعوا
اليها همم اهل الدنيا بالصريح والكناية ولقد كنت فى بداية الامر منقطعا عن
عن الامثال من كثرة الاشتغال بالعبادة والزهد فقال لى يوما بعض المغرورين
بالعلم فى بلادنا ما هذه المكابدة على العبادة الا دليل على وجود الزيغ والبدع
فان اهل السنة والجماعة متوسطون فى العمل واراد بذلك تثبيطى عما انا فيه
وكان بعضهم يعيب على حالتى ويقول لى صنيع الرهبان كثرة العبادة وانا
محتمل جميع ذلك حتى من الله تعالى بالتوفيق متعسرة لا يكاد يمضى فيها
الا الموفق بل متعذرة من كثرة الموانع من الناس لا سيما الاخلاص لله تعالى وحده
فى العبادة والورع بلا غرض دنيوى ولا اخروى والتقوى فى الظاهر والباطن
فلذا اى لتعسر ذلك وتعذره قال الله تعالى فلا تزكوا انفسكم اى لا تمدحوها
بانها ازكى من غيرها اى اشرف واطهر هو سبحانه وتعالى اعلم منكم بل لا علم لكم
انتم اصلا الا بما علمكم كما يريد تعالى بمن اتقى ظاهرا وباطنا التقوى المشروعة
حال كون الله تعالى منبها للمكلفين بان تزكية اى مدح النفس بالنفس انما تكون
بالتقوى كما قال تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم وانها اى التقوى لا يعلم كنهها
وحقيقتها الموجودة فى العبد الا الله تعالى والعبد علم له بكنه ما فيه وحقيقته
وانما يظن ان وجدت فيه وان لم توجد واهل اليقين بالله اشتغلوا بما يقينهم
به عن حالتهم التى هم فيها فهم يعلمون كنه نفوسهم وحقيقتها ولا يعلمون
احوالها السنية الموصلة لهم الى معرفة كنهها وحقيقتها فلا يرون احوالها
ليتكبروا بها والمعرفة الثانية مثلها اى المعرفة الثانية التى سبقت فى سبب
العلم فتذكرها وهى ان يعرف العبد ان الكبر من العباد حرام وانه لا يليق الا بالله
تعالى وانه صفة مختصة به تعالى الى اخر ما تقدم ذكره كما فى الرعاية للمحاسبى قال يعترض
للعامل اذا كان عالما او لم يكن عالما انه يحتقر من دونه ممن لا يعمل مثل عمله كان اعلم
منه او اجهل منه ان كان اجهل منه قال فى نفسه مضيع جاهل وان كان اعلم منه قال فى نفسه
الحجة عليه عظيمة وهو مضيع للعمل فيحتقر من دونه فى العمل وينظر اليهم بالازدراء
ويتعظم عليهم وينقبض عنهم ليبدءوه بالسلام ولا يبدأهم ويبروه ولا يبرهم ويزوروه

ولا

علاجان اخران للتكبر بالعلم والعبادة
الاول علمه بعصيانه اذا فعل ذلك
والثانى علمه بالنصوص معجبه لذلك
الفعل وبيانه ما ذكر
صح

ولا يزورهم ويعودوه ولا يعودهم يريد ان ياخذ بفضله عليهم ويستهم ويستخدم
من خالطه منهم ويسخره ويانف ان يعظوه لانه فوقهم فى العمل وهم مضيعون مفرطون
فان بدا احد منهم بالسلام او رد عليه او قاومه او داخله او اجابه الى دعوته راى انه قد
صنع اليهم معروفا وانه قد فعل بهم ما لا يستحقونه عنده عن مثله ولكن يفعل
ذلك عنده لفضله عليهم فقد تفضل عليهم بذلك عند نفسه وينظر اليهم بالاستصغار
والى نفسه بالتعظيم ويرجو لنفسه اكثر مما يرجو لهم ويخاف عليهم اكثر مما يخاف
على نفسه بل لا يكاد اذا راهم او ذكرهم ان يذكر الخوف على نفسه ولا يذكر الخوف الا الخوف
عليهم يرى انهم هالكون قد اتاه من الله تعالى الامان بانه لا يعذبه وذلك هو الهلاك
منه الا ترى الى قول النبى صلى الله عليه وسلم اذا سمعتم الرجل يقول هلك الناس
فهو اهلكهم يرويه عنه ابو هريرة رضى الله عنه وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم
لانه متكبر مزدر بخلقه مغتر بالله عز وجل امن غير خائف فاخرجه كبره وحقريته
الى هذه الاخلاق المذمومة عند الله تعالى وكذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم
كفى بالرجل من الشر ان يحقر اخاه المسلم لان الحقرية لهم اخرجته الى هذا كله فاذا نظر
اليهم بالاستصغار وخاف عليهم اكثرها ولم يخف على نفسه الا اقلها ورجا لنفسه
اكثر مما يرجو لهم ونظروا اليهم بالتعظيم والى انفسهم بالاستصغار وخافوا
على انفسهم اكثر مما يخافون عليه بل يظنون انه ناج وانهم هالكون ورجوا له اكثر
مما يرجون لهم كانوا هم لله عز وجل اعبد واطوع فيه منه فيهم فقد تعرض للمقت
من الله عز وجل وحبط الاجر فى الاخرة وان يسلبه الله عز وجل ما تكبر به عليهم
من العمل وقد تعرضوا هم للرحمة من الله عز وجل بتواضعهم وحبه له واستصغارهم
انفسهم وتعظيمهم له لانه يانف من مجالستهم والكينونة معهم وهم يتقربون الى الله
عز وجل بقربه والدنو منه ولولا حب الله عز وجل وتعظيمه ما احبوه ولا عظموه فقد
عظموه واحبوه لحب الله عز وجل ورجا القربة من الله عز وجل به فقد تعرضوا للرحمة
والمغفرة وان ينقلهم الله عز وجل الى مقامه فى العبادة والاجتهاد وتعرض هو لحبط
عمله وان ينقله الله عز وجل الى شر الاحوال اذ تكبر بما من الله عز وجل به عليه من العمل
وحقر عباده وانف منهم واغتر بالله عز وجل وجعل الخوف منه عليهم ونسى نفسه
ان يكون عليها اشفق واخوف فلا يؤمن ذلك عليه كما يروى ان رجلا ذكر للنبى صلى
الله عليه وسلم فاقبل ذات يوم فقالوا يا رسول الله هذا الذى ذكرناه لك فقال انى ارى
فى وجهه سفعة من الشيطان فسلم ووقف على النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه فقال
له النبى صلى الله عليه وسلم اسالك بالله حدثت نفسك انه ليس فى القوم افضل منك فقال

اللهم نعم فيرى كانه الناجى من بينهم لفضله عليهم مشمئزا ينقبض عنهم كانه يمن
عليهم بعمله كما قال الحارث بن جرى بن الزبيرى صاحب النبى صلى الله عليه وسلم يعجبنى
من القرا كل طلق مضحاك فاما الذى تلقاه ببشر ويلقاك بعبوس يمن عليك
بعمله فلا اكثر الله فى المسلمين مثل هذا ولو كان الله عز وجل يرضى هذا من احد ما قال
لنبيه صلى الله عليه وسلم واخفض جناحك للمومنين وقال الله عز وجل فبما رحمة من
الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ووصف اولياءه الذين يحبهم
ويحبونه فقال اذلة على المومنين اعزة على الكافرين فلا قدر عند الله تعالى لمن
تكبر على عباده عابدا كان او عالما ومن العباد قوم ضلال قد جمعوا مع الضلال الكبر
لا يرون احدا يقول بالحق على الله عز وجل غيرهم وانه لا مهتد فى الارض غيرهم جهلا
بالله عز وجل واعترارا وتكبرا على عباده كما روى العباس عن النبى صلى الله عليه وسلم
انه قال يكون قوم يقرون القران لا يجاوز تراقيهم وحناجرهم وفى حديث اخر يقولون
قد قرانا القران فمن اقرا منا ومن اعلم منا ثم التفت الى اصحابه فقال اولئك منكم ايها
الامة واولئك هم وقود النار والسبب الثالث للكبر والتكبر النسب واخو الانساب
وانتسب الى ابيه اى اعتزى والحسب بالتحريك ما يعده الانسان من مفاخر ابايه
ويقال حسبة دينه ويقال ماله والرجل حسيب وقد حسب بالضم حسابة
مثل خطب خطابة قال ابن السكيت الحسب والكرم يكونان فى الرجل وان لم يكن له اباء
لهم شرف قال والشرف والجد لا يكونان الا بالاباء كذا فى الصحاح وفى المصباح المنير
والحسب بفتحتين ما يعد ما يعد من المآثر وهو مصدر حسب وزان شرف
شرفا وكرم كرما وقال الازهرى الحسب الشرف الثابت له ولابايه ماخوذ من الحساب
وهو عد المناقب لانهم كانوا اذا تفاخروا احسب كل واحد مناقبه ومناقب ابايه
ومما يشهد لقول ابن السكيت المذكور قول الشاعر

ومن كان ذا نسب كريم ولم يكن ٭ له حسب كان اللئيم الذمما

فجعل الحسب فعال الشخص مثل الشجاعة وحسن الخلق والجود والكبر بهما اى
بالنسب والحسب ناش عن الجهل بنفسه وبما ينبغى ان يكون فيه من الاخلاق وبربه
وبادبه مع ربه وبامثاله من جميع المخلوقين وانهم مساوون له لان الخالق واحد
ايضا كما نشا السببان المتقدمان عن الجهل لانه اى المتكبر بالنسب والحسب تعزز
فى نفسه على امثاله من الناس بكمال غيره من ابايه واجداده وبمآثرهم ومحامدهم
لا بكمال نفسه ومآثرها ومحامدها ولذا قيل اى قال الشاعر لين فخرت يقال فخرت به
فخرا من باب نفع وافتخرت مثله والاسم الفخار مثل كلام وهو المباهات بالمكارم والمناقب

من حسب

من حسب ونسب وغير ذلك اما فى المتكلم او فى ابايه كذا فى المصباح باباء جمع اب ذوى
جمع ذى بمعنى صاحب شرف بالتحريك وهو العلو وشرف فهو شريف وقوم شرفاء
واشراف لقد صدقت فى ان لهم شرفا وهم شرفا ولكن بيس هى كلمة ذم ونعم كلمة مدح
يقال بيس الرجل زيد وبيست المراة هند وهما فعلان ماضيان لا يتصرفان
لانهما ازيلا عن موضعهما فنعم منقول من قولك نعم فلان اذا اصاب نعمة وبيس
منقول من بيس فلان اذا اصاب بوسا فنقلا الى المدح والذم فشابها الحروف
فلم يتصرفا كذا فى الصحاح ما اى الذى ولم يقل من لزيادة الذم بقلة العقل فان
ما لما لا يعقل ومن لمن يعقل ولدوا اى الاباء المذكورون وقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم فيما اخرجه اى رواه عنه م اى مسلم فى صحيحه باسناده عن ابى هريرة
رضى الله عنه من ابطا اى تاخر يقال ابطا الرجل اى تاخر مجيئه وبطى مجيئه
بطا من باب قرب وبطاة بالفتح والمد فهو بطى فعيل كذا فى المصباح به عمله بحيث
لم يلحق باصحابه الهمم السابقين الى الهدى واتباع طريق الامم لم يسرع به نسبه
الى ادراكهم نسبه الشريف من قبل ابايه انظر يا ايها المفتخر بنسبه الى ابن ادم قابيل
وكان ابنه لصلبه وهو الذى قتل اخاه هابيل والى ابن نوح عليهما اى على ادم ونوح
السلام من الله تعالى كنعان وهو اسم ابن نوح وقيل انه كان ابن زوجته وفى
الاتقان للسيوطى ان ابن نوح اسمه يام هل نفعهما عند الله تعالى نسبهما حيث
هما من اولاد الانبياء ثم انظر يا ايها المتكبر بالنسب الى نسبك الحقيقى الذى هو
سبب لوجودك فى الدنيا فان اباك القريب اليك باستيلاده لك من امك وهو الباقى
بالحياة ان كان حيا نطفة اى قطرة منى من ابيه الذى هو جدك مذرة بالذال
المعجمة اى فاسدة يقال مذرت البيضة والمعدة مذرا فهى مذرة من باب تعب
فسدت وامذرتها الدجاجة افسدتها كما فى المصباح وجدك اى ابو ابيك البعيد
اى الذى بعد عنك وهو الجد الاعلى الذى قدماه اوادم عليه السلام لانه تعالى خلقه
من تراب ثم قال له كن فيكون تراب لفنايه وتفرق اجزايه فى قبره ذليل بعد
ذهاب عزه الذى كان له وانت الان تفتخر به فكيف يليق بك مع ذلك التكبر مع
على امثالك بالنسب والكل بنو ادم وحواء والسبب الرابع للكبر والتكبر الجمال
يقال جمل الرجل بالضم والكسر جمالا فهو جميل وامراة جميلة قال سيبويه الجمال رقة
الحسن والاصل جمالة بالهاء مثل صبح صباحة لكنهم حذفوا الهاء تخفيفا لكثرة
الاستعمال كذا فى المصباح وفى المجمل الجمال ضد القبح ورجل جميل وجمال وذلك اى
الجمال اكثر ما يجرى اى يوجد فى النسا وقد يكون فى الرجال ايضا وانجذاب القلوب

ابيه في النسا هو الاصل لانه فيهن لحكمة التناسل واذا انجذبت القلوب الى الغلمان
الحسان كان ذلك لتشبههم بالنسا فيه وكان مذموما لخلوه عن حكمة التناسل
وهذا المحو التكبر بالجمال ايضا كالتكبر بالنسب جهل محض اذ هو اى الجمال فان
اى مضمحل كل يوم شيا فشيا سريع الزوال لانه عرض ذاهب لا تنظر يا ايها
المتكبر بالجمال الى ظاهرك المزخرف بزينة الحياة الدنيا ونضارة الشباب
وترف العيش نظرا اي مثل نظر البهايم التي لا تعقل نفسها ولا غيرها وهي جمع بهيمة
والبهيمة كل ذات اربع قوايم ولو في الماء او كل حي لا يميز كذا في مختصر القاموس
وانظر مع نظرك الى الظاهر الى باطنك ايضا الذى هو نفسك وما اشتملت عليه
من الاخلاق الحسنة او السيئة نظر العقلا اى مثل نظرهم فانهم يتاملون
احوالهم ظاهرا وباطنا ويتفكرون في امورهم التي هم عليها اولك اى مبتدا وجودك
يا ابن ادم نطفة مذرة اى فاسدة منتنة مستقذرة كما قال تعالى الم نخلقكم من
ما مهين خرجت تلك النطفة من مجرى البول وهو ذكر ابيك الذى يجرى فيه
بوله ودخلت تلك النطفة في مجرى اخر وهو فرج امك واختلطت تلك النطفة
باخرى وهي نطفة امك واختلطت ايضا بما في امك من دم الحيض ثم خرجت تلك
النطفة منه اى من مجرى البول الاخر وهو فرج الام مرة اخرى كما خرجت من مجرى بول
ابيك وهو ذكره واخرك يا ابن ادم وهو منتهى حالك اذا مت وخرجت من الدنيا
ودفنت في قبرك جيفة وهي الميتة من الدواب والمواشي اذا انتنت والجمع جيف
مثل سدرة وسدر سميت بذلك لتغير ما في جوفها كذا في المصباح قذرة من القذر
بالذال المعجمة وهو الوسخ وقد يطلق القذر على النجس كما قال النبي صلى الله عليه وسلم
لما خلع نعليه اخبرني جبريل ان بهما قذرا كما في المصباح وانت بينهما اى بين اولك واخرك
وهو حال حياتك الدنيا حمال العذرة وزان كلمة وهي الخرء والغايط في امعايك
جمع معا وهو المصران وقصره اشهر من المد وجمعه امعا مثل عنب واعناب
وجمع الممد وامعية مثل حمار واحمره كذا في المصباح والبول في مثانتك
وهي بالثا المثلثة مستقر البول من الانسان والحيوان وموضعها من الانسان
فوق المعا المستقيم ومن المراة فوق الرحم والرحم فوق المعا المستقيم كما في المصباح
والمخاط في انفك جامد وسايل والبزاق ويقال بالسين والصاد المهملتين ايضا
في فيك اى في فمك والوسخ المنتن في اذنك والدم في عروقك والصديد وهو الدم
المختلط بالقيح الذى كانه الما في رقته والدم في شكله وزاد بعضهم فقال اذا اختثر
فهو مدة واصد الجرح بالالف صار ذا صديد كذا في المصباح تحت بشرتك اى

ظاهر

304

ظاهر جلدك والصنان بالضم قال في المصباح هو الذفر تحت الابط وغيره واصن
الشيء بالالف صار له صنان تحت ابطك كلما عرقت تحركت رايحته المنتنة وتغسل
الغايط والبول الخارجين منك كل يوم دفعة او دفعتين بيدك وتتردد الى الخلاء
وهو ممدود المتوضا والخلا ايضا المكان الذى لا شيء به كذا في الصحاح كل يوم
لاجل قضا حاجتك مرة او مرتين او اكثر وكل هذا المذكور سبب الضعة بفتح
الضاد المعجمة وكسرها اسم من وضع في حسبه بالبنا للمفعول فهو وضيع اى
ساقط لا قدر له كذا في المصباح والذل والحيا فضلا عن ان يكون سببا من اسباب الكبر
والخيلا وفي الرعاية للمحاسبي قال لقمان لابنه يا بني ما للفقرا والكبر وصدق رحمه
الله تعالى من كان اصله مما يداس بالاقدام ومع ذلك انه خمر طينته حتى صار
حما مسنونا كيف يتكبر واصله دني وضيع عند الخلق لانه اذا اراد الرجل ان يصغر
بقدر غيره قال لانت اهون علي من التراب الذى اطاه بقدمي ولانت انتن
من الجماد فاصل ابن ادم التراب الذى يوطا بالاقدام حما مسنون قد اسن
انتن ثم صار بعد الاصل نطفة قذرة ومنها فصله واذا عير الرجل الرجل واراد
ان يصغر قدره قال لا اصل لك ولا فصل والاصل عند العرب الجد والفصل الاب
فمن كان اصله التراب وفصله النطفة لان جده من تراب واباه من نطفة وهو بعد
ابيه من نطفة فالاصل يوطا بالاقدام والنطفة تغسل منها الاجساد والثياب
فخلق من دناة وضعف واقذار الا تسمع الى قول الله عز وجل قتل الانسان ما اكفره
من اى شيء خلقه من نطفة خلقه وقال من ماء مهين وقال النبي صلى الله عليه وسلم
يقول الله عز وجل ايعجزني وانما خلقته من مثل هذه وبزق النبي صلى الله عليه
وسلم في كفه فخلق الانسان من اقذار وسكن في اقذار وخرج من اقذار لانه خرج
من صلب ثم من ذكر مجرى البول الى رحم خرج منه من مخرج القذر كما قال ابو بكر الصديق
رضي الله عنه قال انس بن مالك رضي الله عنه كان ابو بكر يخطبنا فيقول في خطبته
خرج احدكم من مخرج البول مرتين حتى يقذر الى احدنا نفسه فاول ابن ادم تراب
ثم نطفة موات ثم علقة موات ثم مضغة موات ثم جسم موات لا يسمع ولا يبصر
ولا ينطق ولا يعقل ولا يتحرك لما به من الذلة والمهانة ثم نفخ فيه الروح ثم اخرج الى
الدنيا بعد ما نقله من هذه الاحوال فاخرجه حيا ضعيفا صغيرا قليلا ثم وكل به
الاقذار الرجيع في بطنه والبول في مثانته والمخاط في انفه والبزاق في فمه والوسخ
في اذنيه ثم النتن والاقذار تسرع اليه ان تهاون بنفسه ان يغسلها او ينظفها
صار انتن من الدواب ووكلت به الامراض والطباع المختلفة المتضادة لا تفارقه

من المرة والبلغم والريح والدم وهو مع ذلك عبد ذليل امره الى غيره يجوع كرها
مقهورا ويعطش كرها مقهورا ويغلبه النوم كرها مقهورا لا يملك لنفسه ضرا
ولا نفعا يقلب في المكروهات يريد من نفسه ما لا يقدر عليه يريد ان لا يجوع ولا
يعطش ولا يظما ولا يمرض فينزل به من ذلك خلاف مراده ويريد ان يذكر الشيء
فينساه ويريد ان ينسى الشيء فيذكره ثم هو مع ذلك لا يامن ان يكون تلفه فيما
يريد ويحب ولعله ان يكون تلفه في شبعة او نومة فلا يقوم منها عبد مملوك ذليل
يقلبه غيره لا يامن في ليله ونهاره ان يسلب سمعه وبصره وجميع جوارحه او بعض
ذلك حتى يرد الى بعض احواله في بدايته من العمى او الصمم او البكم او الجهل حتى
يذهب عقله وقد رالله عز وجل فعل ذلك بكثير من خلقه ثم هو مع ذلك لا يضر بقلبه
ولا يحرك جارحة من جوارحه ولا يكتسب ولا ينفق ولا ياكل ولا يشرب الا وعليه
من يحصي ذلك عليه كله حتى يحاسب به وينظر فيه ثم هو مع ذلك لا يامن ان يسلب
ملكه فعليه في ملكه مالك ولبس لنفسه بمالك ولا على ما اراد فيها بقادر وهو مع
ذلك مخالف لمالكه ومولاه غير شاكر وناس غير ذاكر له وقد ركب كثيرا مما نهاه
الله عز وجل عنه وضيع كثيرا مما امره به وقد استوجب بذلك من العذاب ما ان لم
يعف عنه كانت الخنازير والكلاب خيرا منه وافضل وانظف واطهر واطيب
وارفع لان الخنازير تصير ترابا وهو يصير معذبا ابدا لو وجد الخلا يق
نتنه لماتوا من نتنه ولو راوه لصعقوا من وحشة خلقته ولو
قطر قطرة من شرابه الذي يشرب به ويفزع اليه ليسكن به عطشه على جبال
الدنيا لاذابتها مخلد في غاية الذل والخضوع والمسكنة والهوان والعذاب
فمن هو في الدنيا بهذا الوصف واعظم منه قد وجب في رقبته واستحقه وحكم
عليه به كيف يكون ذله وتواضعه كيف ينبغي لمن كان هذا الوصف قد وجب عليه
ان ينقلب بين العباد هل يمتنع هذا ان عقل ان يكون في نفسه ذليلا مهينا
والسبب الخامس للكبر والتكبر القوة في البدن وشدة البطش وهو الاخذ
بعنف وبطشت اليد اذا عملت فهي باطشة كذا في المصباح والتكبر بهما اي بالقوة
والشدة جهل ايضا من الانسان كالتكبر بالاسباب المذكورة اذ الحمار والبقر
والجمل والفيل كل ذلك اقوى من الانسان اي اشد قوة منه وصلابة في الاعضا
واي افتخار للانسان في صفة تسبقك اليها البهايم المذكورة وغيرها فيها ثم انها
اي تلك القوة تزول بحمى يوم والحمى فعلى غير منصرفة لالف التانيث والجمع
حميات واحمه الله بالالف من الحمى فحم بالبنا للمفعول وهو محموم كذا في المصباح

وفي

وفي حديث الجامع الصغير للسيوطي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمى حظ كل مومن
من النار وحمى ليلة تكفر خطايا سنة مجرمة قال المناوي في شرحه مجرمة بضم الميم
وفتح الجيم وشد الراء يقال سنة مجرمة بالجيم اي تامة كذا في مسند الفردوس وذلك
لانها تهد قوة سنة فقد قال بعض الاطبا من حم يوما لم تعاوده قوته الى سنة فجعلت
مثوبته على قدر رزيته وقيل لان للانسان ثلاثماية وستين مفصلا وهي تدخل في الكل
فيكفر عنه بكل مفصل ذنوب يوم وقيل لانها تو ثر في البدن تاثيرا لا يزول
بالكلية الا الى سنة ونحوها اي الحمى كيفية الامراض فلا تقدر انت يا ايها الانسان المتكبر
بها على حفظها اي القوة الذاهبة عنك ولا على تحصيلها اذا كانت غير حاصلة لك بل هي
اي القوة فيك كظل زايل اي منقضي شيا فشيا اوبالاضافة كظل شي زايل من طير
يطير في الهوا فيظهر ظله زايل مثله ونحو ذلك ونوم نايم اي انسان او غيره نام
ثم انقضى نومه ونسي عنه فاستيقظ كانه لم ينم والسبب السادس للكبر
والتكبر المال وهو معروف يذكر ويونث هو المال وهي المال ويقال مال الرجل يمال
مالا اذا كثر ماله فهو مال وامراة مالة وتمول اتخذ مالا ومولهه غيره والمال
عند اهل البادية النعم كذا في المصباح والتلذذ بمتاع الدنيا والمتاع في اللغة كل
ما ينتفع به كالطعام وغيره واثاث البيت واصل المتاع ما يتبلغ به من الزاد
وهو اسم من متعته بالتثقيل اذا اعطيته ذلك والجمع امتعة كما في المصباح
والسبب السابع للكبر والتكبر الاتباع جمع تبع بالتحريك قال في المصباح تبع زيد
عمرا تبعا من باب تعب مشى خلفه او مر به فمضى معه والمصلي تبع للامامه والناس
تبع له يكون واحدا وجمعا ويجوز جمعه على اتباع مثل سبب واسباب من البنين
بيان للاتباع وهم جمع ابن والاقارب جمع قريب يقال زيد قريبي وهند قريبتي
وهم الاقربا جمع قريب والاقارب والاقربون وهن القرايب كما في المصباح
والغلمان جمع غلام وهو الابن الصغير ويطلق على الرجل مجازا باسم ما كان عليه كما
يقال للصغير شيخ مجازا باسم ما يوول اليه ويراد به هنا الخادم والجواري جمع جارية
وهي الامة والتلامذة جمع تلميذ وهو الطالب للتعليم والتقرب من السلطان ومن
ولاته وهم الوزرا والامرا وقضاته جمع قاض ونحوهم وهذان اي المال والاتباع
اقبح انواع اسباب الكبر لانه اي التكبر بسببهما تكبر بما هو خارج عن ذات الانسان
غير جزء منه ولا صفة له كالاسباب المتقدمة سريع الزوال عن صاحبه ولهذا قالوا
انما سمي المال مالا لانه يميل بسرعة عن صاحبه الى غيره بالتصرف فيه وسريع الانقلاب
عنه الى غيره فقد تنفر عنه الاتباع لفتنة او فقر او موت يشترك فيه اي في ذلك الذي

تكبر به اليهود والنصارى وهم كافرون فلا يوجب ذلك رفعتهم في الناس فكم من
كافر له مال كثير واتباع كثيرون لو هلك ماله اي ذلك المتكبر به او اتباعه الذين
تكبر بهم او عزل بالبنا للمفعول او مات سنده اي من يستند اليه من السلطان
او الوالي او القاضي كان ذلك المتكبر حينئذ اذل الخلق اي المخلوقات واحقرهم بين
الناس فاف بالتشديد يقال افا له وافة له اي قذرا له والتنوين للتنكير
وافة وتفة وقد افف تافيفا اذا قال اف قال الله تعالى فلا تقل لهما اف وفيه
ست لغات حكاها الاخفش كذا في الصحاح وفي مختصر القاموس ولغاتها
اربعون لشرف يتكبر به الانسان يسبقك يا ايها المسلم به اليهود فيكون
عندهم اعظم مما يكون عندك وهو المال والاتباع واف لشرف ياخذه السارق
من صاحبه في لحظة وهو المال ثم ان للتكبر فقط من حيث هو تكبر في نفسه
مع قطع النظر عما يوجبه في الظاهر من الاسباب المذكورة ثلاثة اسباب اخر غير
السبعة المذكورة خفية لا تكون الا في نفس المتكبر تدعو الى التكبر بالاسباب
السبعة المذكورة لا يكاد يطلع عليها غير صاحبها الذي هو فيه السبب الاول
الحقد بالكسر قال في المصباح هو الانطواء على العداوة والبغضاء وحقد عليه
من باب ضرب وفي لغة من باب تعب والجمع احقاد كالذي يتكبر على من يرى
في بصيرته انه مثله في العلم او الصلاح او الدنيا او فوقه اي اعلا منه في شيء من
ذلك ونحوه ولكن قد غضب عليه بسبب من الاسباب سبق منه في حقه كايذاء له
بكلمة ونحوها فاورثه ذلك السبب حقدا عليه ورسخ في قلبه بغضه بذلك السبب
ولا بد ان يكون دينيا ان لو كان دينيا كامره له بمعصية او نهيه عن طاعة كان
محمودا في تكبره عليه بذلك وحقده عليه فلا تطاوعه نفسه مع ذلك ان يتواضع له
اصلا وتحمله ذلك الحقد على رد الحق والصواب اذا جا من جهته اي المحقود عليه
وتحمله على الانفة اي الامتناع والتباعد من قبول نصحه اي نصح المحقود عليه
وتحمله على ان يجتهد اي يبذل قدرته في تحصيل التقدم عليه اي على المحقود عليه
فيما علم انه مثله فيه او فوقه مما ذكر وغيره كالاخلاق والصنايع والسبب الثاني
الحسد للغير وسياتي بيانه فانه اي الحسد يدعو اي يوصل الى جحد اي انكار الحق
والى التكبر على المحسود مع معرفته اي الحاسد بفضله اي المحسود عليه اي الحاسد
وعلاج اي مداواة التكبر على الغير بهذين السببين ازالتهما اي الحقد والحسد
ويجي بعد هذا بيان ذلك ان شا الله تعالى مفصلا في بحث الحقد والحسد والسبب
الثالث الريا وسبق بيانه حتى ان الرجل ليناظر اي يباحث في العلم من الناس من يعلم

انه افضل منه بعلامة لا تخفى على الفاضل ومع ذلك ليس بينهما معرفة سابقة
ليكون عنده بسبب ذلك ما يقتضي تكبره عليه ولا بينهما حقد ولا حسد ايضا ولكن
يمتنع ذلك الرجل من قبول الحق من غيره ويتكبر عليه خيفة ان يقول الناس اذا راوه
يناظره ويعترف له بالحق انه اي ذلك الغير افضل منه اي من الرجل المناظر ولو خلا ذلك
الرجل معه اي مع ذلك الغير بنفسه حيث لا احد مطلع عليهما لكان لا يتكبر عليه بل
يتواضع له ويقبل منه الحق وقد يكون الباعث على التكبر المراياة باسباب الدنيا
كمن يلبس في بيته اذا كان خاليا من الناس ما لا يلبس من الثياب عند الناس
تكبرا عليهم وقد يستنكف اي يمتنع انفة واستكبارا من حمل حوايجه من ملبس وماكل
ومشرب ونحو ذلك اذا كان بين الناس ويحمل جميع ذلك اذا كان وحده في الليل
وحيث لا يراه الناس فيكون فعله ذلك تكبرا على غيره المبحث الرابع من المباحث
الخمسة في علامات الكبر والتكبر التي يستدل بها على وجوده في الانسان بالنظر
اليه ليعرف ذلك هو من نفسه او يعرفه منه غيره غالبا اعلم ان الكبر قد تخفى
على صاحبه الذي هو موجود فيه حتى يظن صاحبه انه بري منه اي الكبر فلا بد من
بيان اخلاق اي عادات المتكبرين على غيرهم حتى يعرض كل سالك من الناس نفسه
عليها اي الاخلاق المذكورة فيميز السالك الامر الخبيث من الامر الطيب فلا يغره
اي يحيره ويضله الغرور من الشيطان او الهوى او الدنيا وهي اخلاق كثيرة ولهذا
لم يعدها لامكان الزيادة على ما ذكر ولكنه قال فمنها اي من اخلاق المتكبرين
ان يحب قيام الناس له ليظهر شانه بذلك عند غيره في مجامع الناس وغيرها وقد
يحب قيام الغير له لما اعتاده من صغره حيث كان من اولاد الاكابر فيستوحش
اذا ترك احد القيام له ولا يخطر التكبر في باله وقد يحب القيام له ليرغم انف من
يخالفه في الدين اذا راوا الناس يقومون له ويعظمونه وقد يحب القيام له ليظهر
تعظيمه عند القاصرين فيمتثلون قوله في نصحهم في الدين وليس ذلك حينئذ
من اخلاق المتكبرين والاعمال بالنيات وانما لكل امرء ما نوى ولا يعلم ما في
القلوب غير علام الغيوب او يحب قيام الناس بين يديه وان لا يبسا ووه
في الجلوس تعظيما منهم لنفسه واظهارا لشرفه عليهم بين الناس واما لو احب ذلك
تعظيما منهم لشرف العلم المشتمل عليه فليس ذلك بمذموم كما ذكره العيني رحمه الله
تعالى في شرح البخاري عن اسحاق السعيدي انه قال كنت ارى يحيى القطان يصلي
العصر ثم يستند الى اصل منار مسجده فيقف بين يديه علي بن المديني والشاذكوني
وعمرو بن علي واحمد بن حنبل ويحيى بن معين وغيرهم يسالونه عن الحديث وهم

قياما على رجلهم الى ان تجي صلاة المغرب ولا يقول لاحد منهم اجلس ولا يجلسون
هيبة له ولد سنة عشرين ومائة وتوفي في سنة ثمان وتسعين ومائة بلا وجدان
كراهة من نفسه لا تكلف له فيها لهذا الحب المذكور من حب قيام الغير له وقيامهم
بين يديه بل كان ذلك الحب منه بقبول وركون اليه في نفسه فهو من اخلاق
المتكبرين حينئذ فان وجد كراهة لحب ذلك وعدم اجابة للحب المذكور في نفسه
فميل طبيعي بسبب اعتياده على ذلك او وسوسة منها او جبنها خفة عقله لا يضر ان
اى الميل والوسوسة اذ لا تكبر فيهما حينئذ كما ذكرنا في الكلام السابق على الريا حيث
ان منه ما لا ضرر فيه ومنها اى من اخلاق المتكبرين ان لا يمشي الانسان الا ومعه غيره
من عبده او تلميذه او صاحبه يمشي خلفه او محاذيا له لئلا يراه الناس وحده فيحق
فيحتقرونه ولا يعظم في اعينهم وقد يكون ذلك على سبيل العادة منه يجد الوحشة
اذا مشى وحده لانطباعه على المشي مع الغير فلا يكون تكبرا وقد يكون خوفا على
نفسه من عدو او داعر او سفيه ينتهك حرمته ويوذيه اذا وجده وحده فلا
يكون تكبرا ايضا ديلم حم مج يعني روى الديلمي والامام احمد بن حنبل وابن ماجة
باسانيدهم عن ابي امامة انه اى النبي عليه الصلاة والسلام خرج يوما من الايام يمشي
الى البقيع وهو في الاصل المكان المتسع ويقال الموضع الذي فيه شجر وبقيع الغرقد
بمدينة النبي عليه الصلاة والسلام كان ذا شجر مه وزال وبقي الاسم وهو الان مقبرة وبالمدينة
ايضا موضع يقال له بقيع الزبير كذا في المصباح والمراد هنا المقبرة المعروفة فتبعه
اصحابه اى بعضهم فوقف في الطريق وامرهم ان يتقدموا عليه من المشي ومشى هو خلفهم
فسيل اى ساله سايل منهم او من غيرهم عن سبب ذلك الوقوف وامره لهم بالتقدم عليه
فقال عليه السلام اني سمعت خفق نعالكم اى خلفه ليلحقوا به في مشيهم فيذهبوا معه حيث
ذهب وفيه اشارة الى انه صلى الله عليه وسلم لم يلتفت الى خلفه ليراهم لاحقين به وانما
استدل على ذلك بسماعه خفق نعالهم من خلفه لانه عليه السلام كان اذا التفت التفت
جميعا كما نقل في شمايله النبوية فاشفقت اى حذرت واحترزت قال في المصباح
اشفقت من كذا بالالف حذرت ان يقع في نفسي شي من الكبر حيث يجد نفسه متقدما
عليهم وهم متاخرون عنه مع انه عليه السلام متقدم عليهم كلهم ظاهرا او باطنا على كل حال
لانه معلم الخير والدال على سبيل الهدى ولكن اراد تعليم التواضع وكيفية الاحتراز
من الكبر لامته ارشادا لهم وهداية كما كان في دعايه صلى الله عليه وسلم اللهم طهر قلبي من النفاق
وعملي من الريا ولساني من الكذب وعيني من الخيانة فانك تعلم خاينة الاعين وما
تخفي الصدور كما رواه الخطيب في التاريخ عن ام معبد الخزاعية اخرجه السيوطي

في الجامع

في الجامع الصغير وكثير مثل هذا تعليما منه صلى الله عليه وسلم لامته كيف يدعون الله تعالى
ويسترشدون الى سبيل الهدى وان كان هو عليه السلام معصوما من النفاق والريا والكذب
والخيانة بالاجماع ومنها اى من اخلاق المتكبرين ان لا يزور غيره من الناس لعظمه هو
في نفسه وحقارة الغير عنده وان كان يحصل من زيارته هو لذلك الغير خير كثير
له بالتماس البركة من الغير او تحصيل الفوايد العلمية او الدنيوية منه او خير
كثير لغيره من تعليم التواضع لذلك الغير ونحو هذا فانه تكبر على الغير واما
لو لم يزر غيره لاشتغاله هو في نفسه بعلم او عبادة او مخافة الوقوع في غيبة
او مداهنة او لئلا يثقل ذلك على الغير او نحو ذلك فليس بتكبر ومنها اى من اخلاق
المتكبرين ان يستنكف اى يمتنع ويتباعد في نفسه من جلوس غيره من الناس بالقرب
منه مخافة ان يساويه في المجلس وهو عند نفسه اكبر منه ولا يرضى في نفسه الا ان يجلس
ذلك الغير بين يديه متادبا معه كمال الادب فهو تكبر واما لو اراد ذلك من الغير ليكمل
امداد الغير من الله باحترام المشايخ وتادبهم في حضرتهم وكان هو من المشايخ النافعين
للناس بتعليم العلم او التسليك في طريق الهدى فلا تكبر في ذلك ومنها اى من اخلاق
المتكبرين ان يتوقى اى يحترز ويتجنب مجالسة المرضى جمع مريض والمعلولين
اى من فيهم علة من العلل لنقصانهم عنده وارتفاعه عليهم بالعافية مما ابتلاهم الله
تعالى به ويتحاشى اى يتباعد عنهم فلا يقربهم ولا تطله يقبلهم ويعرض عنهم كلما راهم
استكبارا واستعظاما ومثل ذلك الاستنكاف عن مجالسة الفقرا والمساكين كما ذكر
الشيخ عبد الرحمن بن رجب رحمه الله تعالى في كتابه اختيار الاولى في شرح حديث اختصام
الملا الاعلى قال فان المستكبر لا يرضى مجالسة المساكين حتى ان بعض علماء السوء
كان لا يشهد الصلاة في جماعة خشية ان تزاحمه المساكين في الصف ويمتنع
بسبب هذا الكبر خير كثير جدا فان مجالس الذكر والعلم يقع فيها كثيرا مجالسة المساكين
فانهم اكثر اهل هذه المجالس فيمتنع المستكبر من هذه المجالس بتكبره وربما كان المسموع
منه الذكر والعلم من جملة المساكين فيانف اهل الكبر من التردد الى مجلسه لذلك فيفوتهم
خير كثير وقد اخبر الله تعالى عن المشركين انهم قالوا لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين
عظيم يشيرون الى عظماء مكة والطايف كعتبة بن ربيعة واخيه شيبة ونحوهما
من صناديد قريش وثقيف ذوي الاموال والشرف فيهم ممن كان اكثر مالا من محمد صلى
الله عليه وسلم واعظم رياسة عندهم ورد عليهم سبحانه بانه يقسم رحمته كما يشا وانه كما رفع
درجات بعضهم على بعض في الدنيا فكذلك يرفعها في الاخرة وان رحمته بالنبوة والعلم
والايمان خير مما يجمعون من الاموال التي تفنى فهو يخص بهذه الرحمة الدينية من يشاء

ويرفعه على اهل النعم الدنيوية وقد خص محمدا صلى الله عليه وسلم بما لم يشاركه غيره
من هذه النعم كما قال تعالى له وانزل الله تعالى وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك
ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما وقد كان على بن الحسين تجلس فى مجلس زيد
ابن اسلم فيعاتب على ذلك فيقول انما يجلس المرء حيث يكون له فيه نفع او كما قال
يشير الى انه ينتفع بسماع ما يسمعه من العلم والحكمة وزيد بن اسلم ابوه مولى
لعمر وعلى بن الحسين سيد بنى هاشم وشريفهم ولما اجتمع الزهرى وابو حازم الزاهد
بالمدينة عند بعض بنى امية لما جاء وسمع الزهرى كلام ابى حازم وحكمته اعجبه ذلك وقال
هو جارى منذ كذا وكذا وما جالسته ولا عرفت ان هذا عنده فقال له ابو حازم اجل انى
من المساكين ولو كنت من الاغنيا لعرفتنى فوبخه بذلك وفى رواية عنه انه قال له
لو احببت الله احببتنى ولكنك نسيت الله فنسيتنى يشير الى ان من احب الله
تعالى احب المساكين من اهل العلم والحكمة لاجل محبته الله تعالى ومن غفل عن الله تعالى
غفل عن اوليايه من المساكين فلم يرفع بهم راسا ولم ينتفع بما اختصهم الله عز وجل
به من الحكمة والعلوم النافعة التى لا توجد عند غيرهم من اهل الدنيا وقد كان علماء
السلف ياخذون العلم عن اهله والغالب عليهم المسكنة وعدم المال والرفعة فى الدنيا
ويدعون اهل الرياسات والولايات فلا ياخذون عنهم ما عندهم من العلم بالكلية ومنها
اى من اخلاق المتكبرين ان لا يتعاطى بيده شغلا من اشغال الدنيا فى بيته اصلا استعظاما
واستكبارا فى نفسه عن مقارفة ذلك ومساواة الناس فيه فيكل ذلك كله الى خدمه
وغلمانه واما لو ترك ذلك عجزا منه لمرضه او كبر سنه او لاعتياده على عدم اتقان العمل
بنفسه ونحو ذلك فليس بتكبر ومنها اى من اخلاق المتكبرين ان لا يحمل متاعه من السوق
الى بيته بنفسه بل يتخذ له من يحمل ذلك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل هذه
المنفيات اى التى امتنع منها المتكبرون فلم يفعلها له اخرج السيوطى فى الجامع الصغير
باسناده الى الحاكم عن عايشة انه كان صلى الله عليه وسلم يخيط ثوبه ويخصف نعله ويعمل
ما يعمل الرجال فى بيوتهم وباسناده الى ابن عساكر عن ابى ايوب كان صلى الله عليه وسلم يركب
الحمار ويخصف النعل ويرقع القميص ويلبس الصوف ويقول من رغب عن سنتى
فليس منى ومنها اى من اخلاق المتكبرين ان يستنكف اى يمتنع عن لبس الدون
اى القليل القيمة من الثياب مخافة ان تنقص عظمته من قلوب الناس وتقل
هيبته عندهم اما اذا كان يحافظ بذلك على مروة امثاله حتى لا يستخف به خصوصا
من نفعه متعدى الى غيره وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما خرجه اى رواه د
يعنى ابا داود باسناده عن ابى امامة رضى الله عنه البذاذة وهى التواضع فى اللباس

والبذاذة القهر ورثاثة الهيئة يقال رجل باذ الهيئة وفى هيئته بذاذة وهى ترك
مداومة التزلق والزينة كذا ذكره الهروى فى الغريبين من الايمان بالله تعالى اى
محسوبة منه لان مقتضاها تعليم النفس التصديق بما قدره الله تعالى وقضاه
من حسب الحال والرضى عنه تعالى بما قسمه من الرزق مساواة للفقرا والمساكين
لئلا يتميز عنهم وقد يصل الى حالتهم بعد حين فيكون متهيئا للفقر والمسكنة برثاثة
الهيئة ومنها اى من اخلاق المتكبرين ان يستنكف اى يمتنع ويتجنب عن دعوة
اى ضيافة الفقير من الناس لا عن دعوة اى ضيافة الغنى منهم والشريف اى صاحب
الشرف فان الفقرا افضل من الاغنيا وفى طعامهم البركة وجبر قلوبهم وفى اجابة
دعوتهم كسر صولة النفس الامارة بالسوء من نفوس الاغنيا كما قال ابن رجب فى كتابه
اختيار الاولى ان مجالسة المساكين توجب رضا من يجالسهم برزق الله عز وجل
وتعظم عنده نعمة الله عز وجل عليه بنظره فى الدنيا الى من هو دونه ومجالسة الاغنياء
توجب السخط فى الرزق ومد العين الى زينتهم وما هم فيه وقد نهى الله عز وجل نبيه
صلى الله عليه وسلم فقال تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحيوة
الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى وقال النبى صلى الله عليه وسلم انظروا الى من هو
دونكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فانه اجدر ان لا تزدروا نعمة الله عليكم وقال
ابو ذر اوصانى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان انظر الى من هو دونى ولا انظر الى من فوقى
واوصانى ان احب المساكين وادنو منهم وكان عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود
يجالس الاغنيا فلا يزال فى غم لانه لا يزال يرى من هو احسن منه لباسا ومركبا ومسكنا
وطعاما فتركهم وجالس المساكين فاستراح من ذلك وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم
انه نهى عايشة رضى الله عنها عن مخالطة الاغنيا وقال عمر رضى الله عنه اياكم والدخول
على اهل السعة فانه مسخطة الرزق وذكر ابن رجب قبل ذلك فى فضيلة الفقرا قال
وكذلك قال هرقل لابى سفيان لما ساله عن النبى صلى الله عليه وسلم وهل يتبعه اشراف
الناس او ضعفاؤهم فقال بل ضعفاؤهم فقال هرقل اتباع الرسل وهم افضل من الاغنيا
عند كثير من العلماء او اكثرهم وقد دل على ذلك ادلة كثيرة منها قول النبى صلى الله عليه وسلم
حين مر به الغنى والمسكين فى المسجد هذا يعنى المسكين خير من ملء الارض من مثل
هذا يعنى الغنى وقد خرجه البخارى ومنها اى من اخلاق المتكبرين ان يستنكف اى يمتنع
عن قضاء حاجة الاقربا له والرفقا اى الاصحاب فى السوق تعاظما فى نفسه عن مثل ذلك
خصوصا شراء الاشيا الخسيسة اى الدنية القليلة القيمة كالصابون للغسل به والكبد
والكرش من الغنم والبقر والابل وغيرها للاكل والحنا للاختضاب بها والنورة والمصطكى

والمشط للانتفاع بذلك واما اذا كان لا يحس شراء ذلك بنفسه بان كان من اهل
البيوت نشا على ان لا يباشر ذلك بنفسه فلو باشرها وجد في نفسه مشقة عظيمة غير
مخافة سقوط جاهه عند من يراه فذلك امر طبيعي وليس بتكبر ومنها اى من اخلاق
المتكبرين ان يثقل عليه في نفسه تقدم الاقران اى المماثلين له في العلم او الدين او الجاه او
المنصب او الحرفة ونحوه عليه في المشي والجلوس فلا يرضى ان يكون بحيث اذا مشى
او جلس مقترنا باحدهم اى احد الاقران ان يمشي هو خلفه اى خلف ذلك المماثل له ويجلس
تحته متصلا به اى لا صقا بجانبه لرؤيته في ذلك كمال الحقارة له وكمال التعظيم لذلك
القرين ولا تسمح نفسه بهذا الامر فان اتفق له مثل ذلك في مشي او جلوس فاما ان يذهب
وحده او يفارق ذلك المجلس فلا يمشي مع القرين المماثل له اصلا ولا يجلس معه او
يبعد عنه اى عن قرينه في المشي وفي الجلوس بحيث يكون بينهما اشخاص كثيرون فاصلون
ممن بيان للاشخاص يعلم كل احد من الناس انهم اى تلك الاشخاص ادون منه
في المرتبة والمزية ليظهر للناس انه اختار التواضع على التكبر اذ لو كان متصلا
بقرينه المماثل له ومع ذلك موخرا عنه في المشي والجلوس لظن بالبنا للمفعول اى ظن
الناس انه ادون منه في الرتبة وهو عند نفسه انه اعلى منه ومنها اى من اخلاق المتكبرين
عدم قبول الحق عند مناظرة اى مباحثة ومجادلة الاقران اى الامثال في العلم من
صاحبه وان علم ان قوله هو الحق وان الذى قاله هو بنفسه باطل وعدم الاعتراف لصاحبه
بخطايه اذا اظهر له وعدم الشكر منه اى المدح والثنا له اى لصاحبه المناظر معه اذا اظهر
له ان الحق مع صاحبه اما لعدم الاصغاء اى الاستماع وعدم التامل في كلامه
اى كلام صاحبه احتقارا منه لصاحبه ان يستمع لكلامه وتياملها واستصغارا
له اى لصاحبه حيث هو يرى نفسه اعظم قدرا من صاحبه او عنادا اى اصرارا
على الباطل بلا رجوع عنه ومكابرة اى نصرة للباطل وتقوية له مع العلم به فكل
هذه الاخلاق المذكورة ان كان شي منها في الملا اى بين الناس ففيه رياء حيث يحب
ان يظهر للناس الكمال ويغطي عنهم النقصان فيتحلى بما ليس فيه وان كان ذلك فيه
اى في الملا وفي الخلوة ايضا اذا كان هو وصاحبه فقط فكبر اى استنكاف عن قبول
الحق والاعتراف وهو المذموم المبحث الخامس تمام مباحث الكبر والتكبر في
بيان اسباب الضعة بالفتح والكسر كما مر وهو سقوط المنزلة عند الناس
والتواضع اى فيما يوصل الى ذلك حتى ينتفي الكبر والتكبر وفي فوايدهما اى الضعة
والتواضع اما الاولى وهي الاسباب الموصلة الى ذلك فهي جملة امور منها معرفة
نفسه من اين خلقت الى اين يكون مصيرها فان اول ابن ادم تراب ثم نطفة ثم

علقة

علقة ثم مضغة ثم جسم جماد ثم نفخ الروح ووكلت به الامراض والطبايع الى ان كان
اخره الموت والبلا وتفرق الاجزا والاعصاب واذا كان في عمل غير صالح كان في عذاب
واهانة وقال المحاسبي في الرعاية ارايت من وجب عليه حكم الف سوط وهو في سجن
ينتظر العرض ان يخرج فيمضي فيه من الضرب ما قد حكم عليه به كيف ذلته في السجن
وتوقعه في كل وقت ان يخرج الى العرض فيمضي فيه الحكم افليس هو في الدنيا وهي
السجن وقد وجب عليه العذاب لا يدري متى يخرج من الدنيا الى العرض فيحكم
عليه بالعذاب الا ان يعفو الكريم فهو مع ما قد وجب عليه يتوقع الموت فالموت
خاتمة عيشته لانه قد علم ان اخر حياته الى الموت فيعاد كما كان بدء خلقه ميتا بعد
ان كان حيا الم تسمع الى قولهم ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين اى كنا امواتا
في اصلاب ابائنا ثم احييتنا ثم امتنا بعد الحياة فيصير ميتا كما بدا الله خلقه فيعمى بعد
البصر ويصم بعد السمع ويبكم بعد النطق وتقطع اوصاله ويصير جيفة تقذره
الدواب والخلايق ثم يبلى فينخر عظمه ويصير ترابا الا عجب ذنبه كما قال النبي صلى
الله عليه وسلم يبلى من ابن ادم كل شي الى عجب ذنبه فيصير معدوما بعد ان كان موجودا
ثم يحييه الله تعالى بعد طول البلا فيخرجه الى اهوال القيامة فتحدق به كلها من سما
ممزقة وارض مبدلة وجبال مسيرة ونجوم منتثرة وشمس وقمر مطموسين
زفير جهنم في سمعه وركوب الصراط لا بد له ان يركبه بضعفه ثم يعرض على مولاه
فيسايله عن كل عمله فيصرفه الى عذاب لا ينقطع في غاية الهوان والذل والخضوع
فاذا تذكر العبد وتفكر كيف كان بدوه وما اصله وفصله وما يصير اليه من الموت
والبلى وما بعد الموت مما يعاين من الاهوال وما يخاف ان يصير اليه من العذاب
زال عنه الكبر ولزمه الخضوع والذلة والتواضع للمولى والشكر للمنعم والانكسار
للخوف من العذاب ومثال ذلك كرجل لم يزل عند نفسه من بني هاشم اخبره بذلك
والده وكذب في خبره فكانت نخوة الهاشمية في نفسه متعظم متكبر بحسبه
يحقر من دونه ويفتخر عليه لانه لا يشك ان الذى حدثه به والده عن اصله وحسبه
فصدقه فيه فبينا هو في نخوته وكبره وتعظمه اذا تاه رجلان او عدة رجال ممن
يثق بهم ولا يشك في صدقهم اصدق عنده من ابيه وابر عن علم بخبرونه لكبر اسنانهم
وقديم معرفتهم باصله فاخبروه بينهم وبينه انه من الخزرج او النبط او السند
فصدقهم ولم يشك في قولهم وان اباه قد كذب واخبره بالباطل هل كان يمتنع ان يذل
في نفسه وتنكسر تلك النخوة من قلبه وان اظهر غير ذلك اذا ايقن انه على خلاف ما كان
يرى ويظن فكذلك ابن ادم يتكبر ويتعظم حتى كانه ليس اصله من التراب والنطفة

والضعف والمهانة والذلة والمسكنة واذا تفكر وصدق نفسه لم يمتنع ان يذل في نفسه
وينكسر عن نخوته وكبره ومثل حياته وصحته وما يتقلب فيه من ملكه وغناه مثل رجل
كان عند نفسه حرا لا يشك فيه مات والداه واورثاه مالا كثيرا فكان يتعظم و يتكبر
لشبابه وحسن حسبه وهيئته وغناه وملكه وهو مع ذلك في سعة من المنازل والنظافة
والطيب والمنعة والحرز والامن فبينا هو كذلك متكبر متعظم في نفسه اذ قدم عليه
قادم من بعض البلدان فاخذه فاقام عليه البينة العادلة بان ابويه كانا مملوكين له
وان ما كان في ايديهما من مال فهو له فحكم عليه الحاكم بذلك وعلم هذا ايضا صدق ذلك
واطمان قلبه الى ما شهدت به الشهود هل كان يمتنع هو في نفسه ان تزول عنه
نخوته وكبره اذ قد علم انه مملوك ليس لنفسه بمالك ولا لما في يديه من المال وان مولاه
ان اراد ان ياخذه اخذه منه وانه لا يقدر ان يفعل شيا الا باذنه وارادته فكذلك ابن ادم اذا
تكبر وتعظم وهو ناس لحالته التي وضع بها ومنها معرفة عيوبه اي الانسان ومعرفة
غوايل اي مفاسد وافات الكبر ومعرفة فوايد التواضع وفضايله اي التواضع من بيان
للفضايل كونه اي التواضع من اخلاق اي طبايع وعادات الانبيا عليهم الصلاة والسلام
ومن اخلاق الاوليا والعلما الصالحين رضي الله عنهم اجمعين وكونه محمودا عند الله تعالى
فان الله تعالى يحب التواضع من العبد ويكره التكبر من العبد وكونه سببا لرفعة الدرجات
للعبد المتواضع في اعلا عليين اسم منزلة من منازل الجنة كما اخرج السيوطي عن ابي نعيم
في الحلية باسناده عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تواضع
لله رفعه الله وكان القياس الذي ينبغي فعله لكل انسان ان ينزل العبد نفسه منزلته التي
هو فيها باقامة الله تعالى لا دونها بان تحتقر نفسه ولا فوقها بان يعظم نفسه ونجعلها
كالشجاعة من شجع بالضم قوي قلبه واستهان الحروب جراة واقداما فهو شجيع وشجاع
كذا في المصباح فانها حالة متوسطة بين التهور من تهور الرجل في الامر وقع فيه
بقلة مبالاة كذا في مختصر القاموس مخ والجبن من جبن وزان قرب فهو جبان اي
ضعيف القلب وامراة جبان ايضا وربما قيل جبانة كذا في المصباح وكذلك العفة بالكسر
من عف عن الشي يعف من باب ضرب امتنع عنه فهو عفيف كذا في المصباح فانها حالة متوسطة
ايضا بين الشره بالهامن شره على الطعام شرها فهو شره من باب تعب حرص اشد الحرص
كما في المصباح والخمود من خمدت النار ماتت فلم يبق شي منها وقيل سكن لهيبها وبقي جمرها
كذا في المصباح والمعنى موت الشهوة وسكون لهيبها في النفس بالكلية وكذلك السخاء بالمد
الجود والكرم وفي فعله ثلاث لغات سخي وسخت نفسه فهو ساخ من باب علا
والثانية سخي يسخى من باب تعب فهو سخ منقوص والثالثة سخو يسخو مثل

قرب يقرب سخاوة فهو سخي كذا في المصباح فانه حالة متوسطة ايضا بين البخل وهو في
الشرع منع الواجب وعند العرب منع السايل مما يفضل عنده كما في المصباح والاسراف
مصدر اسرف اذا جاوز القصد والسرف بفتحتين اسم منه فان خير الامور اوساطها
فالطرف العالي مذموم والسافل مذموم والوسط محمود ولهذا كان القلب من كل شي
خيرا من الطرفين لانه في الوسط وهو الاصل ومنه الصلاح والفساد في الطرفين لكن لما
كانت النفس من الانسان مايلة بالطبع من غير تكلف الى العلو اي الارتفاع على الغير
والتكبر عليه كان الاحوط اي الاولى والاحق والانسب اي الاكثر مناسبة ولياقة حطها
اي النفس عن مرتبتها التي اقامها الله تعالى فيها حطا قليلا بحيث اذا التفتت
بنظرها الى احوالها وجدتها قاصرة ووجدت حظها من طاعة الله تعالى ناقصا
اذ ربما لا يدري الانسان مرتبتها اي النفس لاشتغاله بقضاء شهواتها وتنفيذ
مراداتها فينزل نفسه فوقها اي فوق مرتبتها غفلة منه عنها وحبا منه للعلو
اي الارتفاع والشموخ على الاقران اذ حب الشي يعمي عن ذلك الشي فلا يدع البصر
يرى عيوب ذلك الشي ويصم الاذن فلا يدعها تسمع بعيوب ذلك الشي من احد
هذا الكلام كله في اسباب التواضع قدمها لطول الكلام في اسباب الضعة واما الكلام
في اسباب الضعة فالاولى اي الاحق والاحرى ان يرى نفسه في كل وقت ادنى من كل مخلوق
مخافة ان ~~تشمخ عليه~~ تشمخ عليه نفسه فلا يقدر ان يردها عن التكبر على احد من الخلق
وهذا الصنيع داب اي عادة السلف الصالحين من الصحابة والتابعين والايمة المجتهدين
والصوفية العارفين رضي الله عنهم اجمعين حتى قال الشيخ ابو بكر الشبلي رضي الله عنه
ذلي عطل ذل اي تحقيري نفسي بنفسي ذل اليهود فلم يترك لليهود ذلا بالنسبة الى ذلي
وهو عدم رؤية نفسه خيرا من احد مطلقا كما تقدم ذكره وقال الشيخ ابو سليمان الداراني
رضي الله عنه لو اراد جميع الخلق ان يضعوني ادنى اي اقل مما في نفسي من الضعة اي الذل
والهوان ما قدروا عليه اي على وضعي كذلك لوضعه نفسه ادنى من كل احد ورؤيته ذاته
احقر من كل حقير فان اختلج اي اضطرب وتحرك في قلبك يا ايها الانسان انه كيف يتصور
ان يرى الانسان نفسه المومنة بالله تعالى ادنى من فرعون وابليس الكافرين به سبحانه
فقل ان الله تعالى خذلهما معوله اي اقدرهما على فعل الكفر والغي واضلهما اي حيرهما ولم يهدهما
فوقعا اي فرعون وابليس فيما وقعا فيه من الكفر والضلال والاكفار للغير والاضلال له
ووفقني اي اقدرني بفضله وهداني اي دلني وارشدني للايمان به وبرسله وانبيايه
وما جاء وبه الى الخلق والطاعة اي العمل الصالح فلو انه سبحانه وتعالى عكس الحال
بان خذلني واضلني ووفق فرعون وابليس وهداهما لعكس بالبنا للمفعول اي لكان

يمكن ذلك من غير امتناع على الله تعالى ولا نقصان في ملكه وليس اجتناب نفسي
اي تباعدها عنهما فعلا اي فرعون وابليس من جهة ذاتها حتى تكون محمودة على ذلك
يليق بها ان تتكبر به على غيرها بل ذلك الاجتناب من محض عناية الله تعالى بها وخالص
فضله عليها واحسانه اليها كما قال تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من
احد ابدا الاية وانا اعلم من نفسي الخبايث الكثيرة في الاحوال والاقوال والافعال والعيوب
العظيمة في الظاهر والباطن ما لا اعلم منهما اي من فرعون وابليس لغيبتهما عني وبعدهما
مني ومعرفتي بنفسي وحضورها عندي اقرب الي من كل شي لا تفارقني اصلا والمعلوم
خبايثه وعيوبه ادنى منزلة من المشكوك في كثرة خبايثه وعظم عيوبه ومن المجهول
في كل وقت حاله على اي امر هو من شدة الخبث وغزارة العيب ولا اعلم كيف اموت
لان ذلك موكول الى الله تعالى ويحتمل والعياذ بالله تعالى ان اموت على الكفر به سبحانه او
بشي مما وجب الايمان به فاشاركهما اي فرعون وابليس في العذاب المخلد في جهنم الى ابد الابدين واذكر
الان ما ورد من الاحاديث النبوية والاخبار في فضايل التواضع ليكون ذلك من جملة
الاسباب الموجبة له فـ يعني روى ابو داود باسناده عن عياض رضي الله عنهما عن النبي
صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى اوحى الي بواسطة الملك او بلا واسطة كما قال تعالى فاوحى
الى عبده ما اوحى ولعل الاطلاق وعدم ذكر الملك لانه كان وحيا بلا واسطة ان تواضعوا
يا معشر المكلفين اي لا يرى احدكم نفسه اكبر من غيره حتى لا يبغي اي يتعدى احد منكم
على احد ولا يفخر اي يتعاظم ويتفاخر احد منكم على احد وفي حديث الجامع الصغير برواية
البيهقي في شعب الايمان عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعظم في الدنيا
فهو يتقحم في النار يعني من تعظم على غيره فهو واقع في نار الاخرة بتعظمه ذلك وهو لا يشعر
به لغفلة نفسه عنه واشتغالها بحظها منه فاذا مات على تلك الحالة وجد نفسه في النار
طب يعني روى الطبراني باسناده عن ركب المصري انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
طوبى قيل من الطيب ومعنى طوبى لهم ان لهم العيش الطيب وقيل خير لهم واصلها طيبى
فقلبت اليا واوا لمجانسة الضمة كذا في المصباح لمن تواضع اي خفض جناحه ولين
جانبه لكل احد في غير منقصة تكون منه تنقصه في دينه ومروته وذل اي خضع
في نفسه لكل من راه من غير مسئلة اي طلب وتامل شيء من احد وانفق مالا جمعه
من وجوه الحل في غير معصية لله تعالى واما من جمع المال من الحرام على حسب ما يعلم
لمباشرته ذلك فانه لا يقدر ان ينفقه في طاعة اصلا الا بحسب ما يظهر له انها طاعة
فيترتب على انفاقه من المال الحرام في طاعة الله تعالى اذا تصدق به انه يطلب بذلك
الثواب منه سبحانه فيكفر على ما قاله ابن وهبان في منظومته وغيره والاثم لا شبهة فيه

ولعل

ولعل النبي في ذلك قوله صلى الله عليه وسلم اوحى الله الى داود ان قل للظلمة لا يذكروني فاني
اذكر من يذكرني وان ذكري اياهم ان العنهم اخرجه السيوطي في الجامع الصغير برواية
ابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما فان ذكر الله تعالى يكون بالقول
وبالفعل كالصدقات والمبرات والظلمة مامورون بارضا خصومهم في الدنيا
فان دفع درهم حرام الى صاحبه الذي اخذه منه بلا حق شرعي فرض عين عليه
فهو افضل من الصدقة بالف درهم او اكثر فاذا عدلوا عن ذلك الى الصدقة لم تقبل
منه فان الله تعالى لا يقبل الصدقات من الحرام كما قال سبحانه انما يتقبل الله من المتقين
وليس هذا الامر في حق الظلمة مخصوصا بالحكام والقضاة في زماننا فقط بل كذلك
العلما اذا اكلوا اوقاف المدارس ولم يدفعوها لمن عينها لهم الواقف والتجار واهل
الاسواق اذا خانوا احدا ممن يشتري منهم بدرهم ولم يدفعوه اليه بان لبسوا
عليه سلعة ولم يذكروا له عيبها حتى اشتراها بازيد مما كان يشتريها لو ذكر واله
العيب ونحو ذلك فهم ظلمة ايضا لو تصدقوا بما علموا انه حرام لعنوا لذكرهم الله
تعالى بمعصيته قال المناوي رحمه الله تعالى في شرح هذا الحديث من الجامع الصغير
قال حجة الاسلام هذا في عاص غير غافل في ذكره فكيف اذا اجتمعت الغفلة والعصيان
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ورحم اهل الذلة والمسكنة من الفقرا والمساكين
فلم يتجبر عليهم ولم يتكبر وبش في وجوههم وقضى حوايجهم واحسن اليهم وخالط
اهل الفقه في الدين واهل الحكمة الالهية وهم العلما بعلم الظاهر وعلم الباطن يعني
العارفين باحكام الشريعة واسرارها العاملين بعلمهم مع الاخلاص اهل الكشف
الروحاني والقلب النوراني لا من علمهم في السنتهم فقط من علما الاحكام الشرعية
بلا عمل بغالبها المنكبين على حطام الدنيا لا يفرقون بين حلالها وحرامها مع علمهم
بالحرام والحلال فكان الحلال عندهم ما حل في ايديهم والحرام ما حرموا منه
فان مخالطة هولا مفسدة في الدين وجالبة للضلال في جميع المسلمين طوبى لمن طاب
اي حسن على الوجه الشرعي كسبه اي ماله الذي يكتسبه في دنياه من حرفة ونحوها
وصلحت اي لم تفسد سريرته وهي ما يكتمه في باطنه ويقال سره ايضا كما قال الشيخ
عبد القادر الكيلاني قدس الله سره ما وصلت الى الله بقيام ليل ولا صيام نهار ولا
دراسة علم ولكن وصلت الى الله بالكرم والتواضع وسلامة الصدر وكرمت هي من
كرم الشي نفس وعز فهو كريم علانيته اي ظاهر حاله بان كانت الطاعة في ظاهره
كما هي في باطنه ولم يتدنس ظاهره بشيء من الخصال الذميمة فكان ظاهره نفيسا
عزيزا وعزل اي رفع واذهب عن الناس من المسلمين والمعاهدين من اهل الكفر

شره فلم يوذ احدا بلسانه ولا بيده مع قدرته على ذلك والا كان عجزا لا كفا فلا ثواب له عليه كما قالوا في العينين لا يثاب على ترك الزنا والاعمى كذلك لا يثاب على ترك النظر المحرم كذا بينه في الاشباه والنظاير طوبى لمن عمل بعلمه الذي علمه الله تعالى اياه اما من حيث الاعتقاد فهو بصدق النفس فيما يعتقده ومجانبة المكذب كمن يقول لا حول ولا قوة الا بالله مثلا او يعتقد ذلك بقلبه وحوله وقوته بنفسه لا بربه من كثرة غفلته عن ربه فهو غير عامل بعلمه من حيث الاعتقاد وكذلك اذا قال لا موثر الا الله تعالى او اعتقد ذلك وهو غافل عما قال واعتقد من غير ان يشهد ذلك في نفسه فيبنى اموره على كثرة الموثرين غير الله تعالى لاستيلاء الغفلة عليه فهو غير عامل بعلمه ايضا من حيث الاعتقاد واما من حيث الاعمال بالجوارح فعدم العمل بالعلم ظاهر في ذلك لا يخفى على كل احد وانفق على الفقرا والمساكين الفضل اى ما زاد على حاجته من ماله الحلال اذ الحرام هو مشغول الذمة به فلا خير في انفاقه بل الفرض عليه اعطاوه لصاحبه وامسك الفضل اى ما زاد على قدر الحاجة من قوله اى كلامه فلم يتكلم بفضول الكلام كما ورد في الحديث من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه حب يعني روى ابن حبان باسناده عن ابي سعيد رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من تواضع لله تعالى بان امتثل امره واجتنب نهيه في ظاهره وشهد قيومية الله تعالى عليه بما كسبت نفسه في باطنه درجة بان كان في مرتبة الصالحين ومقام من مقاماتهم كمقام الزهد او التوكل او الورع او الصبر او الشكر او الرضا من حيث الباطن وفي طاعة من الطاعات القولية او الفعلية من حيث الظاهر رفعه الله تعالى عنده سبحانه في حضرة القرب لديه درجة اي منزلة من منازل الصديقين وحالا من احوال اهل المعرفة واليقين شيا فشيا حتى يجعله سبحانه وتعالى في اعلا اى ارفع عليين ومن تكبر على الله تعالى بمجانبة امره ومقاربة نهيه والغفلة في الباطن عن شهود قيوميته سبحانه درجة بان اتى بابا من ابواب المعاصي والشرور وانقحم معرك الغفلات والضلالات يضعه الله تعالى اى يخفض قدره عنده سبحانه فلا يبالي باى شي يقابله من السوء في الدنيا والاخرة درجة اى حالا من احوال اهل الضلال والعقوبة حتى يجعله الله سبحانه وتعالى في اخر امره في اسفل سافلين من منازل النار في الاخرة والتكبر على الغير من ابنا جنسه والتواضع لهم من جملة نهي الله وامره فهو داخل فيما ذكره ولاجله سبق الكلام في هذا المقام طط يعني روى الطبراني في الاوسط عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال قال عليه الصلاة والسلام من تواضع لاخيه المسلم اى اخيه

في الكلام

في الاسلام وان لم يكن في النسب يعني خضع له وذل في طرق مرضاته الشرعية رفعه الله تعالى اى جعله مرتفعا عنده تعالى وعند الناس واعزه في الدارين واعلا قدره عند الثقلين ومن ارتفع اى تكبر عليه اى على اخيه المسلم والمراد بالباطل واما لو كان ارتفاعه عليه بحق كما ورد ان التكبر على المتكبر صدقة فتكبر عليه لتكبره هو من قبل فليس هذا بمذموم وضعه الله تعالى اى جعله وضيعا في الناس حقيرا ذليلا وقد يكون سبب التواضع للناس السخرية اى الاستهزا به بان يكثر من المزاح معهم حتى يسخروا منه فيصير له بذلك تواضع في نفسه وهو مذموم لانه اذلال النفس بغير مقتضى شرعي وهو حرام كما مر بيانه والنفاق اى اظهار العداوة له بان يصير ذلك سببا لتواضعه له في نفسه والريا اى اظهار الخير والصلاح للناس مع اضمار الشر والفساد فان الانسان قد يتوصل بذلك الى حصول التواضع في نفسه للغير وهو مذموم ايضا والطمع في مال الغير فقد يوصل الى التواضع ايضا وهو مذموم كذلك والخوف من الغير قد يدعو الى التواضع له فيكون اى التواضع الحاصل بسبب من هذه الاسباب رذيلة اى منقصة ومهانة بحسب العارض وهو الامر المذكور من سخرية ونفاق وريا وطمع وخوف وحسب الكيف اى الكيفية لا بحسب الذات فان التواضع في ذاته صفة محمودة ولكن اذا عرض له شي من هذه العوارض وتكيف بواحدة من هذه الكيفيات فكان مسببا عن واحد من الاسباب المذكورة فهو ذل للنفس واهانة لها في غير امر مشروع فهو من الخبائث المستكنة في النفس الامارة بالسوء فعليك اى فخذ والزم نفسك يا ايها العبد المومن بصيانته اى التواضع عنها اى عن هذه الاسباب الخسيسة الرذيلة والخلق الرابع من الاخلاق السيئة المذمومة العجب بضم العين المهملة وسكون الجيم قال في الصحاح قد اعجب فلان بنفسه يعني بالبنا للمفعول فهو معجب برايه وبنفسه والاسم العجب بالضم وقولهم ما اعجبه برايه شاذ لا يقاس عليه وفي المصباح واعجب زيد بنفسه بالبنا للمفعول اذا ترفع وتكبر وهو اى العجب استعظام العمل الصالح الذي عمله يعني روية عظيما وذكره باللسان او بالقلب بمعنى استحضار حصول شرفه اى شرف ذلك العمل الصالح على غيره من الاعمال شرفا حاصلا بشيء اى بسبب شي دون الله تعالى من النفس العاملة له او من الناس المعينين لها في عمله وقد يطلق اى العجب على مطلق استعظام النعمة التي انعم الله تعالى بها على العبد من فعل طاعة وترك معصية وفق الله تعالى العبد اليها فاستعظمها ذلك العبد وكذلك نعمة العطية من الدنيا الحلال ونعمة العافية ونحو ذلك والركون اى الاعتماد بالقلب اليها اى تلك النعمة مع نسيان العبد اضافتها اى غفلته عن نسبة تلك النعمة الى حضرة المنعم الحقيقي وهو الله تعالى فان الاشتغال بالنعمة عن المنعم عجب مذموم وغفلة صاحبها ملوم وضده

عشر ج

اى العجب ذكر باللسان او بالقلب المنة اى النعمة من الله تعالى على العبد
وهو اى ذكر المنة ان يذكر بلسانه او بقلبه انه اى ذلك العبد قايم بتوفيق الله تعالى
فى فعل كل طاعة وترك كل معصية وانه اى الله تعالى هو الذى شرفه اى شرف ذلك
بخلق العمل الصالح له ومن عليه به وعظم سبحانه بمحض فضله عليه ثوابه فى الاخرة
وقدره اى جاهه ومنزلته وهذا الذكر لمنة الله تعالى فرض عين عليه عند تحرك دواعى
اى موجبات ومقتضيات العجب فى نفسه وسبب العجب اى الامر الداعى اليه فى الحقيقة
اذ فى ظاهر الحال ما سياتى الجهل بربه وبنفسه المحض اى الخالص او الغفلة
عن الله تعالى والذهول عن شهوده بايثار الحياة الدنيا فعلاجه اى دواوه
الجملى اى طريق الاجمال دون التفصيل معرفة ان كل شى بخلق الله تعالى وارادته
سبحانه حتى افعال المكلفين يخلقها الله تعالى عند جزمهم الاختيارى لا به
ولا فيه ولا تاثير لهم اصلا فى خير ولا شر وان كل نعمة انعمها الله تعالى على العبد
مما من عقل وعلم وعمل وجاه ومال وغيرها كعافية وامن وحفظ ونصرة من
الله تعالى وحده لا من غيره ولا منه تعالى بمعونة غيره اصلا قال المحاسبى فى
الرعاية يروى عن ابن ابى الزناد عن موسى بن عقبة عن كريب عن ابن عباس انه
قال ما اصاب داود عليه السلام الذنب الا بالعجاب اعجبه من نفسه ان قال
يارب ماياتى من ليلة الا وانسان من ال داود قايم ولا ياتى يوم ~~من ال~~ الا وانسان
من ال داود صايم وفى حديث حجاج ما تمر ساعة من ليل ولا نهار الا وعبد من ال
داود يعبدك اما يصلى واما يصوم واما يذكرك فاضاف العمل بالليل والنهار
الى ال داود وهو كان اولهم فى ذلك واقومهم به وداعيهم اليه ومقومهم عليه
فاستعظم ذلك لان قوله ما تاتى ليلة مستعظما لذلك لان العرب لا تعرف فى لغتها
مثل هذا الا لاستعظام الشى من نفسه فاضاف العمل اليها وحمدها عليه وقول الله
عز وجل له يدل على ذلك قال ابن عباس فاوحى الله عز وجل اليه يا داود ان ذلك لم يكن
الا بى ولولا عونى اياك ما قويت على ذلك وسا كلك الى نفسك وفى حديث اخر وعزتى
وجلالى لاكلنك الى نفسك فلو كان ذاكر النعمة التى كان لها ناسيا ووكله الى نفسه
التى اضاف العمل اليها وحمدها عليه فكان بعملها معجبا وسماه ابن عباس معجبا
من نفسه واخبر انه اصاب الذنب من اجل عجبه بطاعة الله عز وجل انتهى قول
المحاسبى رحمه الله تعالى وعجب داود عليه السلام بالطاعة وهو انه فعلها بنفسه
ولم يكن ذاكر النعمة انه فعلها بمعونة ربه وتقويته له عليها لم يكن مثل عجب غيره
ممن ليس بنبى بطاعته فانه عليه السلام اعجب بطاعته وطاعته فعلها بنفسه

فى

317

فى شهوده انها قايمة بربه لانه برى من الشرك الخفى لعصمته عليه السلام فكان هذا
عجب المعصومين واما عجب غيرهم فهو فعلهم الطاعة بنفوسهم ونفوسهم مستقلة
عندهم فى زعمهم حال فعلهم بها فهو من قبيل قولهم حسنات الابرار سيات المقربين
وفى الرعاية ومن ذلك ما قال الله سبحانه فى يوم حنين لاصحاب النبى صلى الله عليه وسلم
وهم خير عصابة على الارض بل لا عصابة تعبد الله عز وجل غيرهم ومن تبعهم غضاب
لله عز وجل ينصرون دين الله تعالى مستجمعون لقتال اعدائهم الله عز وجل
فقال الله عز وجل ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيا وضاقت عليكم
الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين وذلك ان قايلا قال منهم لن تغلب اليوم من قلة
فلما اعجبوا بكثرتهم واتكلوا على قوتهم ونسوا الله تعالى فى ذلك رفع فى ذلك الوقت النصر
عنهم ليعلمهم ان كثرتهم لن تغنى عنهم شيا وان الله عز وجل هو الناصر الغالب لهم عدوهم
ثم عطف الله عز وجل عليهم بالنصر اكراما لنبيه صلى الله عليه وسلم ولهم ونصر الدينه فانزل
بذلك قرانا يعرفهم به ما كان منهم وما قال من قال منهم وروى عن ابن عيينة ان ايوب
عليه السلام قال الهى انى ابتليتنى بهذا البلا وما ورد على امر الا اثرت هواك على هواى
فنودى من غمامة بعشرة الاف صوت يا ايوب انى ذلك اى من اين لك ذلك فاخذ رمادا
فوضعه على راسه وقال منك يارب افلا ترى رجوعه عما قال وعن نسيانه ان يضيف النعمة
العمل الى ربه عز وجل ففزع الى الذكر بالذل والاستكانة والاقرار بالنعمة انها من الله
عز وجل فقال منك يارب وعلاجه الجملى ايضا التنبه والتيقظ بذكره اى الله تعالى
واحضاره سبحانه وتعالى بالبال اى فى الخاطر من حيث انه تعالى هو الخالق لذلك العبد
ولجميع اعماله ظاهرا او باطنا واما سبب العجب فى الظاهر فهو اسباب الكبر السبعة
السابقة ذكرا وتبيينا والعلاج للعجب التفصيلى يعرف بالبنا للمفعول اى يعرفه كل
احد مما سبق من الكلام فى علاج الكبر فعلى السالك فى طريق الله تعالى اى الواجب عليه
الشكر لنعمة المنعم والاشتغال به دون روية النعمة والاشتغال بها على كل ما وجد
فيه من النعم التى انعمها الله تعالى عليه من علم وعمل وغيرهما والشكر على توفيق الله تعالى
له الى فعل تلك النعم واتمامها من غير وجود مفسد لها وعونه فيها ونصره على
وسواسه ليلا يخالطها فيشككه فيها او ينقص ثوابها او على القواطع لها من امور
الدنيا ومقتضيات الهوى والنفس وخلقه اى ايجاده سبحانه لجميع ذلك الموجود فى
العبد من الخير واعطايه تعالى اياه له اى للعبد بمحض فضله واحسانه ومن اقوى
العلاج فى نفى العجب معرفة افاته اى العجب وهى كثيرة وتكفيك يا ايها السالك انه اى
العجب سبب الكبر فى النفس على الغير قال المحاسبى فى الرعاية رايت اكثر العلما يسمى من

بروية م

تكبر معجبا ويصف العجب بصفة الكبر فان بدو الكبر العجب فعن العجب يكون اكثر
الكبر فمن ثم سمي بالكبر ولا يكاد المعجب ان ينجو من الكبر فلما كان العجب هو الذي اخرج
الى الكبر وعنه كان سمي به ودلت اخلاق الكبر عليه لانه قد يستعظم ما اعطى من دين
او دنيا ولا يتعظم به على احد فذلك العجب اذا نسي نعمة امنة الله عز وجل بذلك فاذا تعظم
به على غيره وانف منه وحقره فقد تكبر لانه اذا اعجب بنفسه ثم نظر الى غيره فقال في
نفسه انا خير منه محتقرا له مزريا به سمي حينئذ الكبر عجبا من اجل انه هو اهاجه على
الكبر ولبس الكبر هو العجب وسبب نسيان الذنوب والمخالفات ونسيان نعم
الله تعالى على ذلك العبد الحاصلة له بالتوفيق لها من الله تعالى والتمكين له من الاتيان
بها مع عجز امثاله عنها وعدم توفيقهم وتمكينهم من بعضها وسبب الامن اي عدم الخوف
من مكر الله تعالى بالعبد من حيث لا يشعر او من حيث يشعر ومن عذابه سبحانه وسبب
ان يرى اي رؤيته ان له اي لذلك العبد عند الله تعالى منة عليه تعالى وحقا مستوجبا
لكمال الجزاء من الله تعالى باعماله اي العبد التي هي نعمة عليه من نعمه سبحانه وتعالى وعطية
للعبد من عطاياه عز وجل ويدعو اي العجب الى ان يزكي اي العبد نفسه اي يمدحها ويثني
عليها وذلك معصية بقوله تعالى فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى ويمنعه اي العجب
يمنع العبد من الاستفادة من غيره ومن الاستشارة المطلوبة شرعا في كل امر مهم فيوجب
ذلك بقاء جهله وفساد اموره ولو لم يكن في المشورة حكمة عظيمة وسر باهر لما قال
تعالى للملائكة اني جاعل في الارض خليفة فقال الملائكة ما قالوا من بقية الاية حتى قال
البيضاوي وفائدة قوله هذا للملائكة تعليم المشاورة انتهى وقد امر نبيه صلى الله عليه وسلم
بها في قوله سبحانه وشاورهم في الامر فالمشورة سنة الله ورسوله فمن تركها ندم ولا
ينجح امره في الغالب زهق يعني البزار والبيهقي باسنادهما عن انس رضي الله عنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاث اي من الخصال التي تعتري الانسان فيجاهد نفسه
فيها ويتوقاها او يهمل نفسه فتوبقه ولهذا قال مهلكات اي موصلة الى الهلاك في الاخرة
الاولى شح اي بخل بالواجب عليه وهو الزكاة او الفطرة او الاضحية او نفقة الزوجة والقريب
والرقيق وذوي الحاجة المضطر مطاع اي ذلك الشح اطاعته النفس واطمانت اليه
وانقادت على مقتضاه ولم تخالفه فان خالفته فلا ضرر في منازعته لها باطنا
والثانية هوى اي ميل نفساني الى الحظوظ العاجلة من الغفلات والشهوات في حل او حرمة
متبع اي ذلك الهوى اتبعته النفس على حسب ما دعاها اليه واستسلمت له ولم تتعاص عليه
فان اعرضت عنه لا يضرها منازعته لها في الباطن والثالثة اعجاب المرء اي الانسان
رجلا كان او امراة بنفسه اي من جهة علم او عمل او راي او عقل او اتقان حرفة او جاه او شجاعة

وقوة وعافية ونحو ذلك فمتى اعجب الانسان بشيء من ذلك هلك وكان ما اعجب به سبب
دماره وخسارته وعنه اي عن انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
لو لم تذنبوا اي تفعلوا الذنوب باختياركم لخشيت عليكم ما هو اكبر من ذلك اي من الذنوب
كلها العجب العجب بتكرار اللفظ للتاكيد فان حكمة تقدير الذنوب على العبد المطيع لله
تعالى حتى تنكسر بها نفسه من اعجابها باعمالها الصالحة وينتفي عنه التكبر بها على غيره
واقبح انواع العجب الذي يصدر من العبد العجب بالراي اي العقل والتدبير ورجل ذو
راي اي بصيرة وحذق في الامور كذا في المصباح الخطا ضد الصواب فيفرح به ويصر
اي يداوم ويلازم عليه اي على ذلك الراي الخطا ولا يتركه مع ان له به كمال الضرر في الدنيا
والدين ولا شعور له بذلك من حماقته وزيادة جهله ولا يسمع في تركه نصح ناصح له من
الناس بل ينظر الى غيره من الناصحين وغيرهم بعين الاستجهال اي النسبة الى الجهل
وانهم كلهم جاهلون وما تنبه احد غيره لذلك الراي اصلا قال الله تعالى افمن زين بالبناء للمفعول
اي زين الله تعالى له حقيقة او الشيطان مجازا سوء عمله من كل امر منكر شرعا وعرفا
فراه حسنا بان اراه الله تعالى ذلك السوء حسنا لانه لا يملك السمع والابصار والافئدة الا
الله تعالى لا غيره كما قال سبحانه امن يملك السمع والابصار الاية وقال تعالى وهم يحسبون
اي يظنون من انطماس بصائرهم وعمى قلوبهم انهم يحسنون صنعا اي ما يصنعونه
من الاعمال حسن وهو قبيح ولكنهم لا يشعرون وجميع اهل البدع والضلال من المسلمين
انما اصروا عليها اي على بدعهم لعجبهم بارائهم التي راوها حقا من مذاهبهم الفاسدة
وفي الرعاية للمحاسبي والعجب بالراي اي الخطا بلا خذلان فما كان في الضلال والبدع فبلية
وخذلان وما كان في الاحكام فقد يكون خذلانا واثما وقد يكون نقصا في الدين دون الاثم
فاذا كان الراي على غير الكتاب والسنة والاجماع فعن العجب كان وهو الذي اهلك عامة
العباد حتى ضلوا وكفروا وابتدعوا واخطوا في دين الله عز وجل وقد ذمه النبي صلى الله عليه وسلم
واخبر انه يغلب على اخر هذه الامة وعنده يكونون قد عموا وصموا فلا ينتفعون بموعظة
قال ابو ثعلبة الخشني سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله عز وجل عليكم انفسكم لا يضركم
من ضل اذا اهتديتم قال يا ابا ثعلبة ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر فاذا رايت شحا
مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذي راي برايه فعليك نفسك فاخبر
ان معنى هذا اذا غلب اهل الدنيا ايثار الدنيا والعجب برايهم وذم اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
العجب بالراي والعمل بعدهم واخبروا ان فيه الهلكة التي اليها وصف الله عز وجل من
قال عليه بغير الحق فقال وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وقال تعالى افمن زين له سوء
عمله فراه حسنا فاخبر ان القوم معجبون بما يتدينون به من الضلال والكفر والكذب

على الله عز وجل وكذلك جميع اهل البدع لولا انهم معجبون برايهم ما اعتقدوا البدع
وما اقاموا عليها فبالاعجاب بالراى الخطا هلك عامة الكفار واهل البدع من اهل
الاسلام واهل الخطا فى الفتوى لانهم تاولوا فاعجبهم بتاويلهم وظنوا انه الحق اليقين
وقاسوا على غير القياس فاعجبوا بقياسهم وظنوا انهم قد اصابوا الحق وقد تركوه
واذا نوا بغيره وخالفوه وعلاج هذا النوع من العجب وهو العجب بالراى اعسر على الانسان
واصعب عليه من علاج بقية الانواع اذ صاحبه اى هذا النوع يظنه اى يظن رايه
الخطا علما صحيحا لا جهلا فجهله مركب لانه يجهل ويجهل انه يجهل لا جهله بسيط والجهل
المركب لا دواله ويظنه نعمة عليه من الله تعالى يشكر الله تعالى عليها لا يظنه نقمة من الله
تعالى حتى يرجع عنه ويظنه صحة فى بصيرته وكما لا فى حالته لا مرضا فى قلبه
يتداوى منه فلا يطلب العلاج منه ولا يصغى اى يستمع الى الاطبا الروحانيين الذين
يعلمون امراض القلوب وبداوونها ولا يقبل منهم اقوالهم فيه ولا يصدقهم وهم علما
اهل السنة والجماعة نصر الله كلمتهم الى قيام الساعة وفى الرعاية للمحاسبى وينفى
العبد العجب بالراى الخطا بتهمته نفسه وبتركه الاستحسان لشئ من رايه الا بدليل
بين وحجة واضحة من الكتاب والسنة او قياس عليهما فى تاويل او استنباط حكم
فى نازلة وتهمتها بمعرفة ما بنيت عليه فى الخلقة ان من شانها السهو والغفلة
ولما جرت منها من كثرة غلطها وكثرة ولهها وسوء تاويلها ما لا يحصى مرارا كثيرة
فى كل ذلك يرى انه مصيب ثم يتبين له انه قد غفل وغلط وكان استحسانه من قبل
الهوى وتزيين الشيطان ولو لم يبعثه على تهمتها الا ما يعرف من عامة الخلق
من غلطهم وقولهم فى دين الله بغير الله وكلهم يقصدون الحق وقد علم ان النفوس
طبعها بعضه قريب من بعض والمزين لهم واحد وهو الشيطان فاذا ثبت
فى قلبه هذه المعرفة بنفسه اتهمها فاذا اتهمها لم يعجل بما يستحسن دون
النظر فى كتاب الله عز وجل والسنة ومسايلة اهل البصيرة ولم يزل ذلك شان
الصالحين العارفين بانفسهم لم يزالوا متهمين لرايهم خايفين منهم ابن مسعود
اختلفوا اليه فى امراة مات عنها زوجها ولم يدخل بها ولم يسم لها صداقا
فلم يجبهم مخافة الخطا فى اجابتهم عما سالوه ثم لما لم يجد بدا من القول فيها قال اقول
فيها برايى فان كان صوابا فمن الله عز وجل وان كان خطا فمن نفسى وروى عن ابى بكر
الصديق رضى الله عنه مثل ذلك قال عمر رضى الله عنه ان الراى كان من رسول الله صلى
الله عليه وسلم صوابا لان الله عز وجل كان يريه وهو منا الظن والتكلف وقال ابو سعيد
قال الله عز وجل لهم وهم اصحاب نبيه صلى الله عليه وسلم لو يطيعكم فى كثير من الامر لعنتم فكيف

بمن

بمن دونهم من الناس وقال قتادة فى قوله تعالى لو يطيعكم فى كثير من الامر لعنتم فانتم
اطيش احلاما فاتهم رجل رايه وانتصح كتاب ربه عز وجل وقال ابن مسعود ايها
الناس اتهموا الراى فلقد رايتنى وانا اهم ان اضرب بسيفى فى معصية الله عز وجل
ومعصية رسوله وقال سهل بن حنيف ايها الناس اتهموا رايكم وقال عمر رضى الله عنه
اتهم رجل رايه فلقد رايتنى يوم ابى جندل ولو اقدر لرددت على رسول الله صلى الله
عليه وسلم يعنى يوم صلح النبى صلى الله عليه وسلم لقريش يوم الحديبية والاحاديث فى ذلك
كثيرة الخلق الخامس عشر من اخلاق الستين المذمومة الحسد وفيه ليتبين على
وجه الكمال اربعة مباحث المبحث الاول من المباحث الاربعة فى تفسيره اى الحسد
وذكر ضده اى ضد الحسد وذكر مناسبتهما اى مناسبة الحسد وضده وحكمها
اما تفسيره فهو ان يقال الحسد ارادة زوال نعمة الله تعالى من علم او جاه او مال او عمل
او عافية ونحو ذلك عن احد من الناس مما يبان النعمة اى من امر له اى لذلك الاحد فيه
اى فى ذلك الامر صلاح دينى كالعلم والعمل ونحوهما او صلاح دنيوى كالمال والجاه ونحوهما
من غير ضرر فى ذلك الامر يلحق ذلك الاحد فى الاخرة ليخرج من الحسد ما لو راى احدا
فى معصية يراها صاحبها نعمة عليه فاراد زوالها عنه لضررها له فى الاخرة او ارادة
عدم وصولها اى تلك النعمة اليه اى الى ذلك الاحد اذا لم تكن موجودة عنده فلا يريد
وجودها له فان ذلك حسد ايضا وحبه معطوف على ارادة زوال نعمة الله يعنى
الحسد ايضا حبه اى حب الحسد من غير انكار له بالقلب كمن راى احدا يحسد احدا
على شئ فاحب ذلك الحسد ولم ينكره فانه حاسد ايضا ولو وقع اى الحسد فى قلبك
يا ايها العبد من غير اختيار منك له ووجدت الانكار منك لوقوعه اى الحسد فيه اى فى
قلبك من غير ان تقصد ذلك الانكار فلا باس به اى بالحسد حينيذ بالاتفاق من العلما
لانك لا تملك ما يقع فى قلبك ان لا يقع فيه وتملك ان لا تعتبره ولا تجرى على مقتضاه فتكلف
بذلك فى جميع المعاصى والحسد منها فان لم تجد فى قلبك الانكار لوقوعه او وقع اى الحسد
فى قلبك باختيار منك وارادة زوال لنعمة الله تعالى عن احد او ارادة عدم وصول نعمة
الله تعالى الى الغير فان عملت بمقتضاه اى الحسد بان سعيت فى زوال نعمة غيرك عنه
او فى عدم وصولها اليه او ظهر اثره اى الحسد فى بعض الجوارح اى الاعضا منك من
لسانك او غمز عينك او اشارة يدك او نحو ذلك فحسد حرام عليك بالاتفاق من دون خلاف
وان لم تجد انكاره ووقع باختيارك ولكن لم تعمل بمقتضاه ولم يظهر عليك اثره اصلا
فى جارحة من جوارحك وكان الموجود فى القلب منك نفسه اى الحسد فقط من غير زيادة
اثر فحسد اختلفوا اى العلما فى حرمته عليك وكون صاحبه الذى هو فى قلبه اثما يستحق العقوبة

من الله تعالى عليه في الاخرة ومختار الامام حجة الاسلام محمد الغزالي رحمه الله تعالى حرمته
اي الحسد وان لم يكن ظاهرا اثره ولا عاملا بمقتضاه حيث هو موجود في القلب لانه من
الذنوب القلبية فلا يحتاج الى انضمام فعل بالجوارح اليه في الاثم به قال المحاسبي في الرعاية
في باب الرد على من قال ان الحسد بالجوارح وانه لا يضر اذا كان في القلب ما لم يبده بفعل
جارحة معنى قول الحسن وسيل عن الحسد فقال غمة فانه لا يضرك ما لم تبده فمعنى ذلك
صحيح لانه اذا غمه ولم يبده فلم يدع ابداه الا من كراهية له فالكراهية منعته ان يبديه
فيستعمله بلسان او جارحة ولو انه لم يبال ان يبديه ولم يغمه كما قال الحسن ولكن
لم يجد له موضعا ولا احدا يبديه اليه وقد يكره ويسوءه ما انعم الله به عليه وتحب زوال ذلك
عنه لكان حاسدا لان الحسد انما هو بالقلب وان لم يستعمله باللسان او البدن كان اعظم
لاثمه كما فعل اخوة يوسف بيوسف فاذا استعمله بالكذب عليه والغيبة له او الكلام او
الوقيعة فيه عند من يقبل منه فيحرمه الخير من علم يعلمه او صلة يصله بها او معونة
يعينه بها او الدعا عليه او الاذاله بالجوارح وذلك كله بالحسد ولكن عمل عن الحسد بعثت
عليه الحسد حتى استعمل جوارحه بما يكره الله عز وجل فيمن حسده ولو كان هذا هو الحسد
لكان هذا الفعل من العباد لرغبة او خوف او طلب دنيا حسدا كله فكان جميع اساءة
العباد بعضهم لبعض حسدا وكانت معاصي العباد بعضهم لبعض حسدا فلم يعص
احد في احد الا بحسده وهذا مما لا يقول به احد بعلم او بعقل فالحسد بالقلب وكذلك
وصفه الله عز وجل من الحاسدين فقال ان تمسسكم حسنة تسوهم وقال ما يود الذين
كفروا من اهل الكتاب الاية وقال ودت طايفة من اهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون
الا انفسهم وما يشعرون وقال ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا
من عند انفسهم فوصف الحسد بكراهة القلوب للحسنات التي يمن بها على المومنين من
نصر او فتح او خير وحب ان يزول عنهم ايمانهم فاضاف الله عز وجل الحسد الى فعل القلب
ووصفه به وهو بالقلب دون الجوارح وظن اي لم يقطع ادبا منه في الدين وجريا على
طريقة المتقين هذا الفقير يعني مصنف هذا الكتاب عدمها اي الحرمة خلاف ما اختاره
الغزالي بعد رحمهما الله تعالى لقوله صلى الله عليه وسلم ثلاث من الخصال المذمومة لا ينجو اي لا يسلم
منهن احد من الناس اصلا الاولى الظن في الغير انه فاعل شر والثانية الطيرة وزان
عنبه وهي التشام اسم من تطير من الشي واطير منه كذا في المصباح والثالثة الحسد
وساحدثكم بالمخرج اي الامر الذي تخرجون به من ذلك الذي لا يسلم منه احد اصلا اذا عملتم
بمقتضاه اذا ظننت اي وقع الظن الذي لا بد ان يقع في قلبك فلا تحقق اي تتبعه وتصدقه
في الغير وتجري على حسبه كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والظن فان الظن اكذب

الحديث

316

الحديث اخرجه الاسيوطي في الجامع الصغير واذا تطيرت اي تشامت في شي فامض
في امرك ولا تلتفت الى ما تطيرت به واذا حسدت احدا فلا تبغ عليه اي لا تات بفعل من
افعال جوارحك ومقتضى الكلام اذا وقع الحسد في قلبك فاجهد نفسك في ازالته
ولا تبغ على المحسود بابقايه في قلبك فتاثم بذلك خرجه اي هذا الحديث دنيا يعني ابن ابي
الدنيا وحمل الامام الغزالي رحمه الله تعالى هذا الحسد الوارد في الحديث على حب الطبع
بان الطبع يقتضي محبة زوال النعمة عن عدوه لزوال نعمة العدو يعني ما يقع في القلب
بدون اختيار مع الكراهة له من جهة الدين والعقل حتى لا يكون بغيا باستحكامه
في القلب اي مذكور له وجه للصحة اذ الحسد حقيقة موجود في الارادة التي هي
ضد الكراهة فلا يجامعها اي الكراهة يعني لا يجتمع معها لان الضدين لا يجتمعان الا اذا
اريد بالكراهة ~~نفي الارادة~~ محاولة نفي الارادة لا اجتماعها معها حيث كانت الارادة
بمقتضى الطبع فيتم كلام الغزالي حينيذ كما لا تجامع الشهوة اعني حب الطبع المذكور
ضدها اي ضد الشهوة الذي هو النفرة الا اذا اريد بالنفرة نفي الشهوة لا كونها معها
فيتوجه قول الغزالي رحمه الله تعالى بخلاف كل اي كل واحدة من الحالتين الاوليين
في العبارة السابقة اللتين هما عدم العمل بمقتضاه وعدم اظهار اثره اصلا
فانه اي كل واحدة منهما يجامع كلا من الحالتين الاخريين اللتين هما حب الطبع
لزوال نعمة العدو والكراهة لذلك من جهة الدين والعقل والاوليان اللتان هما
عدم العمل بمقتضاه وعدم اظهار اثره اصلا اختياريتان اذ للعبد تصرف فيهما يمكن
ان يعمل بمقتضى ما في قلبه من الحسد وان يظهر اثره ويمكنه ان لا يعمل ولا يظهر اثر
الحسد اصلا والاخريان اللتان هما حب الطبع لزوال نعمة العدو والكراهة لذلك
من جهة الدين والعقل اضطراريتان لا يدخلان تحت اختيار العبد وتصرفه فلا
يمكنه ان يرفع حب طبعه ولا ان يكره ذلك باختياره لا توصفان هاتان الاضطراريتان
بالحل والحرمة لانهما ليستا من كسب العبد ولا مما كلفه الله تعالى بهما وقوله عليه الصلاة
والسلام في الحديث المذكور فلا تبغ مشتق من البغي الذي هو فعل الجوارح
لا القلب يقال بغى على الناس بغيا ظلم واعتدى فهو باغ والجمع بغاة كذا في المصباح
وسيل الحسن البصري رحمه الله تعالى عن معنى الحسد فقال هو غمة اي حيرة ولبس والجمع
غمم لا تضرك يا ايها المومن شيا ما دامت في قلبك مخفية ما لم تبد اي تظهر يعني بقول
او فعل ويمكن ان يكون معناه لا تضرك ضررا ظاهرا بان تترتب عليك قصاصا او حدا قذفا
او تعزيرا ونحوها بان تحملك على قتل المحسود او قذفه او شتمه وعلى معنى ما فسره به
الامام المحاسبي رحمه الله تعالى في الرعاية كما قدمناه لا تضرك ما دامت في قلبك وكرهتها فلم تظهرها

غير موجه ح

بقول او فعل فعدم اظهارها دليل على كراهتها فاذا كرهها لا تضره نظير جميع الخواطر
السيئة اذا وقعت في القلب فكرهها القلب فانها لا تضره ومثل ذلك الكفر والشرك بالله
تعالى اذا خطر في النفس فكرهته النفس فانه لا يضرها فلا دليل في قول الحسن رضي الله عنه
على المدعى و قال الامام المحاسبي رحمه الله تعالى في اخر مبحثه في هذه المسلة وانما فسرت ذلك لان
طايفة تقول ان الحسد انما يضر اذا استعمله العبد بجوارحه وتحتج بحديث الحسن هذا
فمذهب قولها ان الحسد بالجوارح لا بالقلب وقد دلنا الله عليه انه بالقلب واستعماله
بالجوارح عملا عنه الا ترى ان الله عز وجل يقول ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا
فذكر بذلك ان الحسد في النفس دون الجوارح واستعماله بالجوارح عمل عن الحسد
لا الحسد بنفسه انتهى كلامه والمحاسبي امام جليل من رجال الرسالة القشيرية وهو متقدم
على الامام الغزالي رحمهما الله تعالى ولعل ماخذ الغزالي منه ومتابعته له ولقوله عليه الصلاة
والسلام ان الله تجاوز لامتي اي بما محاها فلم يكتب عليها عفوا منه ورحمة عما اي عن الخاطر الفاسد
الذي حدثت به انفسها ما لم تكلم بحذف احدى التاءين تخفيفا او تعمل به اي تجري على
مقتضاه بالجوارح وتظهر اثره عليها فيواخذها به حينيذ قلت لو حمل هذا الحديث على
مقتضى ظاهره لكان الكفر والشرك والتكبر والعجب ونحو ذلك من الذنوب التي تتم بمجرد القلب
ولا تحتاج الى القول ولا العمل قد تجاوز الله تعالى عنها للامة وهو باطل فلا بد ان يكون معناه
ما حدثت به انفسها مما يقع في القلب بلا اختيار من الانسان فان كان يتم بمجرد القلب
من اخلاق القلب الستين المذمومة المذكورة في هذا الكتاب لا ياثم الا بقبولها بالقلب او
الجريان على مقتضاها بالظاهر وان كان لا يتم بمجرد القلب كالزنا والسرقة والشتم والقذف
ففي ذلك يقال ما لم تكلم او تعمل به كما ورد في الحديث خرجه اي هذا الحديث خ م يعني البخاري ومسلم
باسنادهما عن ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير واسطة
قال الانصاري الحلبي في مختصر شرح الامام النووي على صحيح مسلم في قوله صلى الله عليه وسلم
ان الله تجاوز لامتي ما حدثت به انفسها ضبطوا انفسها بالنصب والرفع وهما ظاهران والنصب
اظهر لقوله في الحديث ان احدنا يحدث نفسه ومن رفع يريد بغير اختياره كما قال تعالى
ونعلم ما توسوس به نفسه وفي المفهم شرح صحيح مسلم للقرطبي وقوله صلى الله عليه وسلم
ان الله تجاوز لامتي عما حدثت به انفسها روايتنا نصب انفسها على انه مفعول حدثت وفي حدثت
ضمير فاعل عايد على الامة واهل اللغة يقولون انفسها بالرفع على انه فاعل حدثت يريدون
بغير اختيار قاله الطحاوي رحمه الله تعالى والمعنى بذلك ان الذي لا مواخذة به هو الاحاديث
الطارية التي لا ثبات لها ولا استقرار في النفس ولا ركون اليها وهذا نحو ما قاله القاضي ابو بكر
في قوله صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل اذا هم عبدي بحسنة فانا اكتبها له حسنة ما لم يعمل

فاذا

فاذا عملها فانا اكتبها له عشرا واذا هم بسيئة فانا اغفرها له ما لم يعملها فاذا عملها فانا
اكتبها له سيئة واحدة قال القاضي ان الهم هنا ما يمر بالفكر من غير استقرار ولا توطين
فلو استمر ووطن قلبه عليه لكان ذلك هو العزم المواخذ به او المثاب عليه بدليل قوله صلى
الله عليه وسلم اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قالوا يا رسول الله هذا
القاتل فما بال المقتول قال انه كان حريصا على قتل صاحبه ولا يقال فهذه المواخذة هنا
انما كانت لانه قد عمل بما استقر في قلبه من حمل السلاح عليه لا بمجرد فرض القلب لانا نقول
هذا فاسد لانه صلى الله عليه وسلم قد نص على ما وقعت المواخذة به واعرض عن غيره فقال
انه كان حريصا على قتل صاحبه فلو كان حمل السلاح هو العلة للمواخذة اوجز بها لما سكت
عنه وعلق المواخذة على غيره لان ذلك خلاف البيان الواجب عند الحاجة اليه والذي صار اليه
القاضي هو الذي عليه عامة السلف واهل العلم من الفقها والمحدثين والمتكلمين ولا يلتفت
الى من خالفهم في ذلك فزعم ان ما يهم به الانسان وان وطن عليه لا يواخذ به متمسكا في ذلك
بقوله تعالى ولقد همت به وهم بها وبقوله صلى الله عليه وسلم ما لم يعمل او يتكلم به ومن لم
يعمل بما عزم عليه ولا نطق به فلا يواخذ به وهو متجاوز عنه والجواب عن الاية ان من الهم
ما يواخذ به وهو ما استقر واستوطن ومنه ما يكون احاديث لا تستقر فلا يواخذ بها
كما شهد به الحديث وما في الاية من القسم الثاني لا الاول وفي الاية تاويلات هذا احدها
وبه يحصل الانفصال عن قوله ما لم يعمل اذ توطن النفس عليه عمل فيواخذ به وحمله
اي هذا الحديث وهو قوله عليه السلام ان الله تجاوز لامتي ما حدثت بها انفسها ما لم
تكلم به او تعمل به من الامام حجة الاسلام الغزالي رحمه الله تعالى على ميل الطبع بلا
اختيار وهي الخواطر السيئة التي تقع في النفس من غير الشدايد والمحن انتهى وليس
في ذلك تكليف بمقتضى خطا ولا نسيان ولا ما لا اختيار فيه والوجه الثالث ان ذلك
الحمل اي الذي قاله الامام الغزالي رحمه الله تعالى في ارادة ميل الطبع بلا اختيار انما يصح
على رواية رفع قوله في الحديث انفسها بانه فاعل حدثت واما على رواية نصبها
اي حدثت الامة به انفسها على انه مفعول لحدثت فلا اي فلا يصح الحمل المذكور اذ الرفع
اي رفع انفسها دال على وجود ذلك التحدث بطريق الاضطرار والنصب في انفسها
دال على ان ذلك بطريق الاختيار وهما روايتان صحيحتان كما قدمناه ويمكن ان الامة تحدث
نفسها بحديث هي مضطرة فيه اذ ليس هو حديث باللسان حتى يلزم الاختيار فيكون
في الحديث الاضطرار على كلا الروايتين قال في مختصر شرح النووي على صحيح مسلم قوله صلى
الله عليه وسلم ان الله تجاوز لامتي ما حدثت به انفسها ما لم يتكلموا او يعملوا به وفي الحديث
الاخر اذا هم عبدي قال المازري رحمه الله تعالى مذهب القاضي ابي بكر ان من عزم على معصية

317

بقلبه ووطن نفسه عليها اثم في عزمه ويحمل ما وقع في عزمه انها احاديث على ان ذلك فيمن لم
يوطن نفسه على المعصية وانما مر بفكره من غير استقرار ويسمى هذا هما ويفرق بين
الهم والعزم وخالف القاضي كثير من الفقهاء والمحدثين قال القاضي عياض عامة السلف
واهل العلم على ما ~~بين الهم والعزم وخالف القاضي كثير من الفقها~~ ذهب اليه القاضي
ابو بكر لظواهر النصوص من الكتاب والسنة الدالين على المواخذة باعمال القلوب
كقوله تعالى ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين امنوا الاية وقوله تعالى اجتنبوا
كثيرا من الظن والايات كثيرة فيه وقد اجمع العلما على تحريم الحسد واحتقار المسلمين
وارادة المكروه بهم وغير ذلك من اعمال القلوب انتهى ما في شرح صحيح مسلم وهو الحق
الذي لا ريب فيه كما قال تعالى ام يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم
يكتبون والوجه الرابع ان اخر الحديث المذكور وهو قوله عليه السلام ان الله تجاوز لامتي
واخره قوله ما لم تكلم او تعمل به يعني في ذلك الحمل اي الذي قاله الغزالي رحمه الله تعالى لانه اي اخر
الحديث يفيد معنى الغاية وهي انتفا التجاوز فتقدير معنى الحديث عفا الله تعالى عن امتي
كلما حدثت به انفسها الى ان يظهر اثره اي اثر ما حدثت به على الجوارح من الامة اما بالتكلم
باللسان او بالعمل بالاركان التي هي الاعضا الظاهرة واذا كان الامر كذلك فيدخل في العفو
الكلي الذي هو معنى التجاوز الوارد في الحديث الهم والعزم بالقلب على المعصية بعد ميل الطبع
اليها فلا يكون العبد مواخذا بميل طبعه الى المعصية ولا بالهم والعزم عليها بقلبه ايضا
اذا لم يتكلم او يعمل به اي بالهم والعزم بان كان مجرد هم وعزم بقلبه من دون قول ولا عمل والمراد
بالتكلم تكلم هو اثر من اثاره اي اثار الهم والعزم بالقلب ومقتضى من مقتضياته لا مطلق
التكلم بشي لا مناسبة له بذلك الهم والعزم كالغيبة بذكر مساوي الغير ونشر مقابحه والقدح
اي الطعن والسب اي الشتم في الحسد للغير بالقلب وفي سوء الظن بالغير وكذلك المراد
بالعمل عمل هو من اثار ذلك الهم والعزم كالسعي في اضراره وسلب نعمته وضربه واهانته
فان قلت ان مجرد اعتقاد الكفر والبدعة بالقلب حرام لا يعفى عنه فلم لا يكون مجرد سوء الظن
والحسد بالقلب ونحوهما من الحقد والبغض كذلك اي حرام لا يعفى عنه مع ان كلا منهما اي من
اعتقاد الكفر والبدعة وسوء الظن والحسد بالقلب فعل قلبي منسوب الى القلب وفيه
اعتراف منه بان الحسد فعل قلبي اي مما يتم بالقلب وهو خلاف مدعاه فما الفرق بينهما
حيث حرم الاولان بمجرد القلب واشترط مع الاخرين فعل اللسان او الجوارح قلت الاولان
اي اعتقاد الكفر واعتقاد البدعة قبحهما وحرمتهما لذاتهما وقبح ما نحن فيه من سوء
الظن والحسد وحرمته لسببية العمل القبيح اي لان العمل القبيح مسببا عن ذلك وهنا
فرق بما هو المحل المتنازع فيه فان اشتراط انضمام العمل القبيح الى فعل القلب هو الذي

فيه

فيه النزاع فلا يصلح وجها للفرق بين اعتقاد الكفر والبدعة ومجرد سوء الظن والحسد
بالقلب في حرمة الاولين واباحة الاخرين بل الكل حرام من غير شرط زايد كما قدمناه خصوصا
والمصنف رحمه الله تعالى في صدد بيان الامراض القلبية والاخلاق الستين المذمومة التي
تعتري القلب واشتراط العمل بالجوارح في بعضها يخرج ذلك عن كونه مما يعتري القلب ~~واشتراط~~
~~العمل بالجوارح في بعضها يخرج ذلك عن كونه مما يعتري القلب~~ بل فعل الجوارح عمل اخر
مذموم كما لا يخفى على الفطن اللبيب وقال المحاسبي في الرعاية فالحسد كما اخبرتك بالقلب
واستعماله بالجوارح عمل عنه ولو كان استعماله بالجوارح حسدا لكانت الغيبة حسدا
والكذب حسدا والضرب حسدا والقتل حسدا والسرقة حسدا وذلك كله معاصي
وقد تكون عن الحسد وعن الكبر وعن الرياء وعن حب الدنيا وعن خوف الفقر فقد اخطا من
تاول ذلك وخرج من معقول الدين فاذا تجرد اي سوء الظن والحسد عنه اي عن العمل القبيح
باللسان او بالجوارح ولم يفض اي يوصل اليه اي الى العمل القبيح لا يبعد ان ترتفع عنه الحرمة
والاثم وهذا اشارة منه الى عدم القطع به كما يرشد الى ذلك قوله في صدر هذا المبحث ونظن
هذا الفقير عدمها لا سيما اي خصوصا في امة محمد صلى الله عليه وسلم التي هي خير امم بنص
قوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس لتشريف علة لهم للخيرية حبيبه اي حبيب الله
تعالى وتكريم صفيه تعالى اي صفوته من خلقه وهذا الامر كله مسلم في المعصية التي
لا تتم بمجرد الهم والعزم بالقلب بل لابد فيها من عمل الجوارح واما ما يتم بمجرد ذلك فاذا عمل
بجوارحه كان عمله معصية اخرى والمعصية بالقلب على حالها فيسقط اعتبار القلب في الشرع
مطلقا ويبقى قوله تعالى ولكن يواخذكم بما كسبت قلوبكم لا معنى له الا بتاويل بعيد
وكذلك قوله تعالى الا من اتى الله بقلب سليم وقوله تعالى اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر
قلوبهم حيث كانت طهارة القلب ونجاسته سواء وكما ان الكفر نجاسة فكذلك المعصية
وفي الاشباه والنظاير وحاصل ما قالوه ان الذي يقع في النفس من قصد المعصية
على خمس مراتب الهاجس وهو ما يلقى فيها ثم جريانه فيها وهو الخاطر ثم حديث النفس
وهو ما يقع فيها من التردد هل يفعل او لا ثم الهم وهو ترجيح قصد الفعل ثم العزم
وهو قوة ذلك القصد والجزم به فالهاجس لا يواخذ به اجماعا لانه ليس من فعله
وانما هو شي ورد عليه لا قدرة له على دفعه ولا صنع والخاطر الذي بعده كان قادرا على دفعه
بصرف الهاجس اول وروده ولكن هو وما بعده من حديث النفس مرفوعان بالحديث
الصحيح واذا ارتفع حديث النفس ارتفع ما قبله بالاولى وهذه الثلاث لو كانت في
الحسنات لم يكتب له بها اجر لعدم القصد واما الهم فقد بين في الحديث الصحيح ان الهم
بالحسنة يكتب حسنة والهم بالسيئة لا يكتب سيئة وينظر فان تركها لله كتبت حسنة

والهم بالسيئة لا يكتب سيئة وان فعلها كتبت سيئة واحدة والاصح فى معناه
انه يكتب عليه الفعل وحده وهو معنى قوله واحدة وان الهم مرفوع واما العزم
فالمحققون على انه يواخذ به ومنهم من جعله من الهم المرفوع وفى البزازية
من كتاب الكراهية هم بمعصية لا ياثم ان لم يصمم عزمه عليه وان عزم ياثم اثم العزم
لا اثم العمل بالجوارح الا ان يكون امرا يتم بمجرد العزم كالكفر انتهى ومقتضاه ان يكون كالكفر
الحسد وسوء الظن والحقد والبغض والتكبر ونحو ذلك فياثم فيها بالعزم من دون الجوارح
فعل الجوارح نعم قصد المعصية وهمها لا سيما العزم المصمم على الفعل قلما يوجد
ذلك بدون الاثر على الجوارح وهذا مسلم فى القصد المضاف الى المعصية على انه غيرها مما
لا يتم بمجرد العزم بالقلب واما القصد الذى هو المعصية كالحسد ونحوه فلو وجد معه
اثر بالجوارح كان معصية اخرى غيره ولا يتوقف وجود معصية على وجود معصية اخرى
وللكلام ايضا ان الكمال المطلوب شرعا وعقلا ان يخلى اى يفرغ الانسان قلبه عن جميع
العزايم اى المقاصد المصممة الفاسدة والصفات الخبيثة الرذيلة وتحليه اى القلب
يعنى يزينه بالنيات الصالحة والصفات الحميدة واما الريا بالقلب بطاعته التى عملها
او دليلها وهو العلم بها الموصل اليها وان كان امرا محرما يتم بالقلب فلا ينفك عن عمل بمقتضاه
ولذلك سمى ريا ليراه الغير وعمل القلب وحده لا يراه الغير فلا بد من عمل ظاهر يراه غيره
فان الاجتناب عن بعض الشبهات وكان الغرض فى ذلك ليرى الناس انه ورع اى صاحب
تورع كف خبر ان اى امساك الجوارح الظاهرة عنها اى عن الشبهات وهو عملها اى
الجوارح والذكر القلبى وهو قصد ان يراه الناس والتفكر فى ذلك عمل قلبى وكلاهما عمل
بمقتضى الريا اما القصد القلبى انه عمل بمقتضى الريا فظاهر لانه هو الريا وحده كما تقدم
بيانه من المصنف رحمه الله تعالى فى الكلام على الريا واما كف الجوارح فكونه يسمى ريا
غير ظاهر اذ لو كان مخلصا فيه بقلبه فلا يسمى ريا بظاهره بل هو عمل دائر بين ان يكون
صاحبه مخلصا فيكون طاعة او مرائيا فيكون معصية اخرى غير الريا والريا معصية
اخرى غيره ولهذا يقال صلى ريا فالصلاة عمل بالجوارح والريا عمل بالقلب وان كان الريا
لا بد له من عمل يقصد به غير وجه الله تعالى فذلك العمل غير داخل فى مسمى الريا والاثم
والعقاب فى الاخرة واقع على عمل القلب الذى هو الريا بالاستقلال وعلى صورة الطاعة
الخالية من الاخلاص كالصلاة بلا طهارة حتى ان الريا قد يكون بغيره كالربا بالاصحاب
والزابرين كما تقدم بيانه من المصنف رحمه الله تعالى ولا اقترانه بعمل منه اصلا واما
كف الحسود الجوارح عن الجريان على مقتضى حسده من ايذاء المحسود باللسان وغيره
فليس بعمل بمقتضى حسده بل عمل بضد مقتضاه لان فى ذلك سلامة المحسود منه

فهو

فهو مخرج للحسد عن الاثم والذم على مقتضى ما ذهب اليه المصنف رحمه الله تعالى وان
كان فيه تسهيل عظيم للامة ولكنه يصادم النصوص القطعية فلا يكون صحيحا واما
الكبر والعجب الحاصلان بالقلب فقط فمن قبيل اعتقاد الكفر والبدعة فى انهما قبيحان
لذاتهما وحرمتهما لذاتهما ومن تامل الحسد وحده مثلهما فانه قبيح لذاته وحرمته
لذاته لانه متولد من الكبر والعجب قال المحاسبى فى الرعاية الحسد المحرم يكون من الكبر
والعجب والحقد للعداوة والبغضاء والريا وحب المنزلة والرياسة ان لا يعلوه غيره
وشح النفس بالخير على الغير والله تعالى اعلم تفويض من المصنف رحمه الله تعالى الامر الى
علم الله تعالى انصاف منه فى الدين وسلوكه فى سبيل المتقين وان لم ترد بارادتك الانسان زوال
النعمة عن الغير ولكن اردت لنفسك نعمة اخرى مثلها ونعمة الغير تبقى على الغير فهو
حسد غبطة ومنافسة ليست بحرام عليك قال فى المصباح المنير الغبطة حسن
الحال وهى اسم من غبطته غبطا من باب ضرب اذا تمنيت مثل ما ناله من غير ان تريد
زواله عنه لما اعجبك منه وعظم عندك وفى الحديث اقوم مقاما يغبطنى فيه الاولون
والاخرون وهذا جائز فانه ليس بحسد فان تمنيت زواله فهو الحسد وقال الامام
المحاسبى فى الرعاية الحسد الذى ليس بمحرم المنافسة لقول الله عز وجل وفى ذلك
فليتنافس المتنافسون وقال سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة وقال سارعوا الى
مغفرة من ربكم وجنة ولا تكون المسابقة من العبد الا ان يسابق غيره وقال على رضى
الله عنه وذكر العامل لله فقال ويباهى العباد بعبادة ربه عز وجل يعنى ينافسهم
كما ترى العبدين من عبيد اهل الدنيا يتباهيان عند مولاهما اى لا يحظى احدهما قبل الاخر
جزعا ان يسبقه الى محبة مولاه ويقصر هو عنها فتكون منزلته عند مولاه احسن
من منزلة الاخر نفاسة ان يسبقه الى الحظوة قال النبى صلى الله عليه وسلم لا حسد الا
فى اثنتين ينهى عن الحسد ويخبر انه لا يجوز عند الله الا فيهما فقوله الا فى اثنتين
ان الحسد فيهما جائز رجل اتاه الله مالا فسلط عليه هلكته فى الحق ورجل اتاه الله
علما فهو يعمل به ويعلمه الناس ثم فسر فى حديث ابى كبشة الانصارى رضى الله عنه كيف
ذلك الحسد فقال النبى صلى الله عليه وسلم مثل هذه الامة مثل اربعة رجل اتاه الله
عز وجل مالا ولم يؤته علما ورجل اتاه الله علما ولم يؤته مالا فيقول رب العلم لو ان لى مثل
مال فلان كنت اعمل فيه بمثل عمله فهو فى الاجر سواء ويقول رب المال لو ان لى مثل علم فلان
كنت اعمل فيه بمثل عمله فذلك هو الحسد الذى هو منافسة جد الا ان يلحق به وغمه
ان يكون دونه ولم تحب له شرا وقد تسمى العرب الحسد المحرم منافسة لانهما
جميعا فى اللغة حسد فيقول الرجل للرجل نفست على اى حسدتنى وقال قثم بن العباس

والمطلب بن ربيعة بن الحارث لما ارادا ان يأتيا النبي صلى الله عليه وسلم فيسالانه
ان يؤمرهما على الصدقة لعلي رضي الله عنهم حين قال لهما لا تذهبا اليه فانه لا يؤمركما
عليها فقالا ما ذا الا نفاسة منك والله لقد زوجك ابنته فما نفسنا ذلك عليك
اي هذا منك حسد وما حسدناك على تزويجك فاطمة فالمنافسة في اللغة
مشتقة من النفاسة بل هذا النوع من الحسد مندوب اليه في الامر الديني بل قد
يكون فرضا كما قال الشيخ المحاسبي في الرعاية فان كان الذي راى بغيره من النعم
فيما افترض الله عز وجل وانتهى عما حرم الله عز وجل فحسده على ذلك واحب ان
يكون مثله وتمنى ذلك وسال الله عز وجل كان ذلك عليه فرضا واجبا ان يحاسده
على ذلك ليؤدي فرض الله عز وجل لانه ان لم يغتم ويغتفر ويحزن لتخلفه عمن
قام بفرض الله عز وجل عليه واجتنب ما نهى عنه ولم يحب ان يكون مثله كان
عاصيا مقيما على تضييع الفرائض وركوب المحارم ولا يغتم بتركها ولا يحب ان
يطيع الله عز وجل كما اطاعه الورعون في القيام بحقه وان كان ما راى لغيره من
نعم الدين فضلا تطوعا فاغتم ان يقصر عن منزلته واحب ان يلحق به ويكون
مثله وذلك فضل منه وتطوع اذا احب ان يتقرب الى الله عز وجل كما تقرب غيره
واغتم ان يقصر عن القربة الى الله عز وجل بما يحب من طاعته وهو حرص على الدنيا
مذموم شرعا في الامر الدنيوي وسيجيء بيانه في الحرص ان شاء الله تعالى قال المحاسبي
في الرعاية وان كان ما راى بغيره من النعم مباحا له فيما يتقلب فيه من لذته ونعيمه
بالفضول فيما احل له فاغتم ان لا يكون مثله واحب ان يلحق به فهو سع عليه كما
وسع على من نافسه وان يلحق به فيكون متنعما مثله فذلك مباح له وليس بمحرم
عليه الا انه نقص عن الفضل ومن الزهد الا ان يخرج الى السخط على الله عز وجل وليس
محبته تلك بسخط وان كان محبته نقصا من الفضل وان كان ما يرى من غيره محرما
لا يحل له كالتنعم به الحلال وانفاقه المال فيما لا يحل والعمل بالمعاصي في التلذذ
بها فاغتم ان لا يكون مثله واحب ان يكون مثله فذلك منه لا يجوز له ولم تحسده
الحسد المحرم من قبل الغش ولكنه حسده حسد منافسة في الحرام الذي لو كان مما
نافسه فيه او طاعة لجاز ذلك الحسد له وانما اتى مما لا يجوز له من قبل محبته الحرام
وان لم يكن في النعمة التي حسدته عليها صلاح لصاحبها بل فيها فساد او معصية
فاردت زوالها عنه اي عن صاحبها او اردت عدم وصولها اي تلك النعمة اليه اي الى
صاحبها فذلك امر حسن وليس بحسد بل هو ناش من غيرة بفتح الغين المعجمة
اي انفة وامتناع المومن لله تعالى اي لاجله سبحانه مندوب اليه شرعا خ يعني روى

البخاري

البخاري باسناده عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله
تعالى يغار وان المومن يغار وان غيرة الله ان ياتي المومن ما حرم الله تعالى عليه من
الافعال والاقوال والاحوال وقال النووي في شرح مسلم والغيرة بفتح الغين وهي في
حقنا الانفة والاستنكاف واما في حق الله تعالى فقد فسرها بقوله صلى الله عليه وسلم
وغيرة الله ان ياتي المومن ما حرم الله تعالى عليه اي غيرة الله تعالى عليه منعه وتحريمه
والغيرة في الاصل قبل استعمالها في حق الله تعالى كراهية مشاركة الغير
في حق من الحقوق وغيرة الله تعالى منعه سبحانه عبيده المكلفين من الاقدام
على الفواحش جمع فاحشة وهي كل فعلة بالغ فاعلها في قبحها لان فيه اي في
الاقدام المذكور مشاركة الله تعالى بان يفعل ذلك العبد ما يريد من غير تعبد اي
تذلل وتقيد بامر ونهي من غيره كما ان الله تعالى كذلك لا يتقيد بامر غيره ولا نهيه
وغيرة المومن لنفسه اي لاجلها هيجان اي حركة واضطراب وانزعاج من قلبه
يحمله ذلك الهيجان والانزعاج على منع الحريم اي الاهل من الزوجة والبنات
والبنين والاخوات ونحوهم واصله ما حول الشيء من الحقوق والمرافق التابعة
له قال في المصباح وحريم الشيء ما حوله من حقوقه ومرافقه سمي بذلك لانه يحرم
على غير مالكه ان يستبد بالانتفاع به من مفارقة الفواحش ومقدماتها اي ما يوصل
اليها من قول او فعل لان فيه اي الهيجان والانزعاج المذكور كراهية الاشتراك مع الغير
في الاهل بفاحشة او مقدماتها وهذه الغيرة من المومن على اهله واجبة عليه شرعا
لصيانة الاهل بها وبقاء المروة بها وحفظ العرض من الطرف فيه طرفه وطرف اهله
م يعني روى مسلم باسناده عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال قال سعد بن عبادة
رضي الله عنه يا رسول الله لو وجدت مع اهلي اي زوجتي او بنتي او اختي ونحوها
من محارمه رجلا اجنبيا منها لم امسه اي لا ادخل عليه سوءا بقول او فعل
حتى اتي الحاكم الشرعي في حقه باربعة شهداء يشهدون عليه بالزنا كما في رفع موضعه
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم اي الامر الشرعي كما قلت قال سعد رضي الله عنه
كلا اصلها للزجر والردع ومعناها في هذا المحل توكيد الكلام وتقويته والذي
بعثك بالحق لا اني كنت لاعاجله بالسيف اي اسارع اليه به قبل ذلك اي قبل ان
اتي بالشهداء الاربعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجماعة الانصار رضي الله
عنهم اسمعوا الى ما يقول سيدكم اي من له السيادة عليكم كما قال عنه في حديث اخر
قوموا لسيدكم انه لغيور اي كثير الغيرة اي الحماية والامتناع من الامور الدنية
المقتضية لقلة المروة وهي صفة حميدة في موضعها وانا اغير اي اكثر غيرة منه اي من

يحل له لان السخط منا فيه لانه يجب السبق والنعم بجلال الله عز وجل صح

بيان الحهام

قوله كما قال عنه في حديث اخر الخ يتامل فانهما اثنان سعد بن عبادة المذكور هنا وسعد بن معاذ وكلاهما سيدا الانصار وابن معاذ هو الذي قال في حقه قوموا الخ

سعد رضي الله عنه والله تعالى اغير اي اكثر غيرة مني وفي شرح الاثار للكلاباذي عن
المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ان سعد بن عبادة يقول
لو وجدت مع امراتي رجلا لضربته بالسيف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتعجبون من
غيرة سعد فوالله لانا اغير من سعد والله اغير مني ومن غيرة الله انه حرم الفواحش
ما ظهر منها وما بطن ولا شخص اغير من الله ولا شخص احب اليه العذر من الله
فمن اجل ذلك بعث المرسلين مبشرين ومنذرين ولا شخص احب اليه المدح من
الله ولذلك وعد الجنة يجوز ان يكون معنى قوله عليه السلام لا شخص اغير من الله
لا ينبغي لشخص ان يكون اغير من الله اي لا يكون العباد الذين هم اشخاص اغير من
الله الذي ليس بشخص لان الله تعالى لا يوصف بالشخص تعالى عن ذلك علوا كبيرا
ويجوز ان يكون كانه يقول ليس من حق من يرتفع ويعظم قدره ويشرف مرتبته
ان تكون اغير من الله والله تعالى على جلالته وكبريائه وشدة غيرته يمهل عباده في
مواقعتهم الفواحش ولا يعاجلهم بالعقوبة عليها ولا ينبغي لعبد ان يترفع عن
الامهال وترك معاجلة العقوبة لغيرته فيقتل من يواقع الفاحشة ويأتيها
ولكن يمهل الى ان يطلق له الامر من الله تعالى في قتله فان اطلق له الامر والا امهل وتربص
وان كان يشتد به الغيرة وذلك ان سعدا كان سيد قومه وشريف الخزرج وسيدها
والرفيع القدر فيها ومن كان كذلك فهو اقدر على معاجلة العقوبة اذ لا يكاد يخاف
تبعتها والشخص ما ارتفع ونما وتزايد فكانه يقول من كانت رفعته وشرفه
وجلالة قدره بالتزايد والنمو والارتفاع من حالة الانخفاض فلا ينبغي ان يتجاوز الحد
الذي حد له والوقت الذي يجوز له ان يواقع بالعقوبة مواقع الفاحشة فان الله
تعالى اجل واعظم واعلى وغيرته اشد وهو مع هذا يمهل مواقع الفاحشة ولا
يعاجله فالشخص اولى بترك معاجلة العقوبة والدليل على هذا التاويل رواية
ابي هريرة رضي الله عنه وذكر الحديث الاول عن سعد بن عبادة رضي الله عنه ثم قال
فدل هذا الحديث على انه اراد معاجلة العقوبة قبل وقتها لغيرته ولم يخف التبعة
فيها لشرفه في قومه فكان النبي صلى الله عليه وسلم اخبر انه اغير من سعد واشرف
وابلغ سوددا منه وهو ينتهي الى الحد المحدود في الغيرة ولا يعاجل بالعقوبة
مواقع الفاحشة قبل وقته والله اغير مني واعلى واجل وهو لا يعاجل بالعقوبة
وفي رواية خ يعني البخاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتعجبون من غيرة سعد
والله لانا اغير منه اي من سعد والله تعالى اغير مني لا احد اغير من الله تعالى ومن
اجل ذلك اي كثرة غيرته سبحانه حرم الفواحش على عباده المكلفين ما ظهر منها وما بطن

فهو

شفقة

شفقة عليهم ورحمة بهم ان يقارفوها فيقعوا في النار فغار عليهم من ذلك فحرمها وقد
تطلق الغيرة على كراهية المراة اشتراك الغير من زوجة اخرى او امة في بعلها اي زوجها
وهذه الغيرة مذمومة م يعني روى مسلم باسناده عن عايشة رضي الله عنها ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم خرج من عندها ليلا قالت فغرت اي اخذتني الغيرة عليه صلى
الله عليه وسلم ان يكون خرج الى احدى نسائه فجاء فراى ما اصنع اي الذي اصنعه من
الغيرة اي مقتضياتها من الكلام ونحوه وفي شرح مسلم للنووي في قوله صلى الله عليه وسلم
لعايشة رضي الله عنها اني لا علم اذا كنت عني راضية واذا كنت علي غضبى الى قولها والله
يا رسول الله ما اهجر الا اسمك قال القاضي مغاضبة عايشة رضي الله عنها للنبي صلى الله
عليه وسلم من الغيرة التي عفي عنها للنساء في كثير من الاحكام لعدم انفكاكهن عنها
حتى قال مالك وغيره من علماء المدينة يسقط عنها الحد اذا قذفت زوجها بالفاحشة
على جهة الغيرة قال واحتج بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ما تدري الغيراء اعلى
الوادي من اسفله ولولا ذلك لكان على عايشة رضي الله عنها من الحرج ما فيه لان الغضب
على النبي صلى الله عليه وسلم وهجره عظيمة كبيرة ولهذا قالت ما اهجر الا اسمك فدل على ان
قلبها وحبها كما كان وانما الغيرة في النساء لفرط المحبة فقال صلى الله عليه وسلم ما لك
يا عايشة اغرت بهمزة الاستفهام فقالت وما لي لا يغار مثلي بمحبة لك كمال المحبة
على مثلك محبوب من اعظم المحبوبين فقال لها عليه الصلاة والسلام لقد جاءك شيطانك
اي المقارن لك قالت يا رسول الله او معي شيطان يقارنني قال صلى الله عليه وسلم نعم
اي معك شيطان قلت اي قالت عايشة للنبي عليه السلام ومعك ايضا انت شيطان
يا رسول الله قال نعم اي معي شيطان ولكن اعانني الله تعالى عليه حتى اسلم بفتح الميم
اي صار مسلما وفي كتاب احكام المرجان في احكام الجان لابي عبد الله محمد بن عبد الله
الشبلي الحنفي رحمه الله تعالى قال روى مسلم واحمد وغيرهما من حديث عايشة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم خرج من عندها ليلا قالت فغرت عليه قال فجاء فراى ما اصنع
فقال ما لك يا عايشة اغرت فقلت وما لي لا يغار مثلي على مثلك فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم افاخذك شيطانك قلت يا رسول الله ومعي شيطان قال نعم ومع كل
انسان قلت ومعك يا رسول الله قال نعم ولكن ربي عز وجل اعانني عليه حتى اسلم
وفي لفظ اخر اعانني عليه فاسلم قال ابو سليمان الخطابي عامة الرواة يقولون فاسلم
على مذهب الماضي يريدون ان الشيطان قد اسلم الا سفيان بن عيينة فانه يقول
فاسلم من شره وكان يقول لا يسلم قال ابو الفرج بن الجوزي وقول ابن عيينة حسن
وهو يظهر اثر المجاهدة لمخالفة الشيطان الا ان حديث ابن مسعود كانه يرد قول ابن

عيينة وهو ما رواه احمد بن حنبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد
الا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملايكة قالوا واياك يا رسول الله قال
واياي ولكن الله تعالى اعانني عليه فلا يامرني الا بحق وفي رواية ما من احد الا وقد وكل
به قرينه من الجن قالوا وانت يا رسول الله قال وانا الا ان الله تعالى اعانني عليه فاسلم
فليس يامرني الا بخير انفرد باخراجه مسلم قال ابن الجوزي وظاهره اسلام الشيطان
ويحتمل القول الاخر قلت وقد ورد اسلام القرين النبوي صريحا لا يحتمل التاويل
فروى الحافظ ابو نعيم في كتاب الدلايل قال حدثنا ابراهيم بن محمد بن يحيى النيسابوري
وابراهيم بن عبد الله قالا حدثنا محمد بن حموية بن عاد وحدثنا محمد بن ابراهيم
حدثنا عبد الله بن محمد بن الفرج قالا حدثنا محمد بن الوليد بن ابان ابو جعفر بمكة
حدثنا ابراهيم بن صرمة حدثنا يحيى بن سعيد عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلت على ادم بخصلتين كان شيطاني كافرا
اعانني الله عليه حتى اسلم وكن ازواجي عونا لي وكان شيطان ادم كافرا وزوجته
عونا على خطيئته فهذا صريح في اسلام قرين النبي صلى الله عليه وسلم وان هذا خاص
بقرين النبي صلى الله عليه وسلم وحديث ابي الازهر الانصاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان اذا اخذ مضجعه من الليل قال بسم الله وضعت جنبي اللهم اني اعوذ بك
من واخسئ شيطاني وفك رهاني وثقل ميزاني واجعلني في الندي الاعلى
وهذا عندنا والله اعلم كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل اسلام شيطانه قال
النووي رحمه الله تعالى في شرح مسلم بفتح الميم ورفعها وهما روايتان مشهورتان
فمن رفع قال معناه اسلم انا من شره وفتنته ومن فتح ان القرين اسلم من الاسلام
وصار مومنا فلا يامرني الا بخير واختلفوا في الارجح منهما فقال الخطابي الصحيح
المختار الرفع ورجح القاضي عياض الفتح وهو المختار لقوله صلى الله عليه وسلم
فلا يامرني الا بخير واختلفوا على رواية الفتح قيل اسلم بمعنى استسلم وانقاد وقد
جاء هكذا في غير مسلم فاستسلم وقيل معناه صار مسلما مومنا وهذا هو الظاهر
وغيرة المومن لله تعالى كراهية المعصية ان تقع من نفسه او من غيره وكراهية
ما لا يحبه الله تعالى فلا يكاد يريد ان يعصي الله تعالى ولا غيره اصلا وهذه غيرة
واجبة عليه وضد الحسد الذي تقدم بيانه النصح والنصيحة للغير يقال نصحت
لزيد انصح له نصحا ونصيحة هذه اللغة الفصيحة وعليها قوله تعالى ان اردت
ان انصح لكم وفي لغة يتعدى بنفسه فيقال نصحته وهو الاخلاص والصدق في
المشورة والعمل والفاعل ناصح ونصيح والجمع نصحا ونصحة تشبيها بالنصحا

كذا

كذا في المصباح وهي اي النصيحة ارادة بقا نعمة الله تعالى على كل احد مما له فيه
صلاح اي منفعة في دينه او دنياه الحلال او ارادة حدوثها اي النعمة المذكورة للغير
وان لم تثبت قلت في معنى النصيحة هي ارادة الخير للغير اي غير كان من اصدقايه
او اعدايه مومنا او كافرا وهي نصيحة واجبة على العبد لان ضدها الحسد المحرم حرم
بعينه روى مسلم عن تميم الداري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الدين
المعهود بانه دين الحق هو النصيحة قلنا لمن يا رسول الله قال هو النصيحة بارادة

لله

ما يريده تعالى من امتثال اوامره واجتناب نواهيه قطعا وظنا ولكتابه بالوقوف
عند احكامه والاعتبار بحكمه ومواعظه وقصصه ولرسوله بقبول جميع ما جاء به
من الحق واتباع سنته والاهتدا بهديه ولايمة المسلمين جمع امام وهو المقتدى
به كالصحابة والتابعين والمجتهدين بمحبتهم وموالاتهم والاقتدا بهم والملوك
والسلاطين والامرا والقضا بطاعتهم فيما يوافق الدين المحمدي وعامتهم اي المسلمين
بامتثال اقوال العلما منهم الناقلين الينا كلام المجتهدين من غير زيادة ولا نقصان
وبالمحافظة على تربية العوام بالتعليم والموعظة وتبيين الحق باللسان والكتابة
بالتصنيف ونسخ تصنيف الغير وفي جامع الاثار للكلاباذي عن القعقاع عن ابي صالح
عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة ان الدين
النصيحة قيل لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولايمة المسلمين ولعامتهم
قال ابو الحسن بن ابي ذر النصح في الجملة عندي هو فعل الشي الذي به الصلاح والملايمة
ماخوذ من النصاحة وهي السلوك التي يخاط بها وتصغيرها نصيحة تقول العرب
هذا قميص منصوح اي مخيط ونصحته نصحا اذا خطته وانما اختلف النصح في الاشيا
لاختلاف احوال الاشيا فالنصح لله عز وجل هو وصفه بما هو اهله وتنزيهه عما ليس
باهل له عقدا وقولا والقيام بتعظيمه والخضوع له ظاهرا وباطنا والرغبة في محابه
والبعد من مساخطه وموالاة من اطاعه ومعاداة من عصاه والجهاد في رد العاصين
الى طاعته قولا وفعلا وارادة والنصيحة لكتابه اقامته في التلاوة وتحسينه عند
القراة وتفهم ما فيه واستعماله والذب عنه من تاويل المحرفين وطعن الطاعنين
والنصيحة للرسول صلى الله عليه وسلم موازرته ونصرته والحماية من دونه حيا وميتا
واحيا سنته بالطلب واحيا طريقته في بث الدعوة وتاليف الكلمة والتخلق بالاخلاق
الطاهرة والنصيحة للايمة معاونتهم على ما تكلفوا القيام به في تنبيههم عند الغفلة
وتقويمهم عند الهفوة وسد خلتهم عند الحاجة ونصرتهم في جمع الكلمة عليهم ورد

القلوب النافرة اليهم والنصيحة لعامة جماعة المسلمين الشفقة عليهم وتوقير كبيرهم ورحمة صغيرهم وتفريج كربهم والسعي فيما يعود نفعه عليهم في الاجل ودعوتهم الى ما يسعدهم وتوقي ما يشغل خواطرهم ويفتح باب الوساوس عليهم وان كان في نفسه حقا حسنا ومن النصيحة للمسلمين برفع مونة بدنه ونفسه وحوايجه عنهم طب يعني روي الطبراني باسناده عن حذيفة رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لا يهتم اي يصرف همته ويشغل نفسه با مر المسلمين ارشادا وتعليما وحماية وفصلا بين خصومهم بالقضا تبرعا وتاديبا لسفهايهم سياسة فليس منهم اي من المسلمين لانه اما غاش لهم او ساع في حظوظ نفسه او غير مبال باحكام الله ورسوله وليست هذه صفات المسلمين ومن لم يصبح ويمسي اي يدوم ليلا ونهارا ناصحا بالقلب والقول والعمل لله تعالى ولرسوله ولكتابه ولامامه اي الذي يقتدى به من عالم او حاكم ولعامة المسلمين اي جميعهم فليس منهم اي من المسلمين بل هو خارج عنهم فاسقا عاصيا

المبحث الثاني من المباحث الاربعة في بيان غوايل الحسد غايلة من غاله غولا من باب قال اهلكه واغتاله قتله على غرة والاسم الغيلة بالكسر والغايلة الفساد والشر وغايلة العبد فجوره واباقه ونحو ذلك والجمع الغوايل وقال الكساءي الغوايل الدواهي كذا في المصباح ومنه اي من هذا المبحث الثاني يعرف بالبنا للمجهول اي يعرف الانسان العلاج اي المداواة لداء الحسد الاجمالي اي بطريق الاجمال وهي اي غوايل الحسد ثمانية امور الامر الاول افساد الطاعات بجميع انواعها على المكلف بعد صحتها كما ورد في ظاهر الاحاديث د يعني روي ابو داود باسناده عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اياكم والحسد اي احذروا منه واحترزوا من دخوله في قلوبكم فان الحسد والقياس فانه ولكنه وضع الظاهر موضع المضمر تعظيما لشانه في الضرر وتقبيحا لمفسدته كقوله تعالى حتى اذا اتيا اهل قرية استطعما اهلها والقياس استطعماهم تشنيعا لحال اهل تلك القرية ياكل الحسنات اي يذهبها ويفنيها كما تاكل النار الحطب اليابس او قال عليه السلام العشب وهو الكلا فان النار تحرق ذلك بحرارتها ومثله الحاسد يحرق حسناته بحرارة نار حسده التي اشتعلت في قلبه والمراد باكل الحسد للحسنات اكل الاضعاف جمع ضعف بالكسر وهي الزيادات التي يزيدها الله تعالى للعامل المخلص على ثوابه المعين في حق الكل كما قال تعالى والله يضاعف لمن يشا لا نفس الحسنات التي وعد العاملين بها اذ لا حبط للعمل بالمعاصي عند اهل السنة خلافا لمن حكم بالكفر بالمعاصي من المعتزلة فاوجب بذلك احباط العمل ويمكن

ان

ان يراد ان الحسد ياكل الحسنات بنفسها ولا يفسد الاعمال فتبقى العبادات صحيحة موجبة لسقوط الفرض عن ذمة المكلف ولكن يبطل ثوابها وفي الاعمال المنسوبة فاعلها متبع للسنة الا انه لا ثواب له بعلمها او المراد تاديته اي الحسد الى الكفر باعتقاد انه حلال او الاستخفاف به وعدم المبالاة بحرمته وعدم الخوف فيه من الله تعالى ونظيره من ترك الصلاة متعمدا غير ناوي للقضاء وغير خايف من العقوبة فانه يكفر كما في البحر شرح الكنز والكفر محبط للعمل قطعا فلا اشكال ت يعني روي الترمذي باسناده عن الزبير بن العوام رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دب اي سرى ووصل اليكم ايها الامة داء اي مرض الامم قبلكم وهو الحسد للغير على النعمة والبغضاء بعضكم بعضا وهي اي هذه الخصلة الحالقة بالحاء المهملة اما بالتخفيف مركبة من همزة الاستفهام وما النافية لافادة التحقيق مثل الا قال السيوطي في الاتقان همزة الاستفهام اذا دخلت على النفي افادت التحقيق نحو اليس ذلك بقادر اني لا اقول هي تحلق اي تمحق وترفع الشعر كما يقال حالق راسه يحلقه

ولكن تحلق اي تمحق وترفع

الدين فتوصل الى اذهاب الدين بالكفر والاعتراض على الله تعالى في القلب او في اللسان فان الحسد والبغضاء اذا استحكم كل واحد منهما في العبد يحمله من كثرة الغيظ على المحسود والمبغوض على استحلال الدم والعرض والمال ان لم تداركه العناية من الله تعالى قال المناوي في شرح الجامع الصغير قال في المناهج ولا حيلة في دفع الحسد حتى اعرف بعض الناس بذل جهده في استجلاب دواعي التالف واسباب كف التنكر مع شخص من اقرانه فلم يجد ولم يفد والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتى تومنوا بالله تعالى وبكتبه ورسله واليوم الاخر والقدر خيره وشره منه تعالى ولا تومنون بشي من ذلك حتى تحابوا فلا يبغي بعضكم على بعض وتجروا في المعاملة بينكم على مقتضى ايمانكم بالله وكتبه ورسله واليوم الاخر وتقدير الخير والشر منه تعالى فترضوا بما قسم الله لكم وما قدر عليكم من جميع احوالكم الا ادلكم على ما تحابون اي تحابكم او الذي تحابون به من الخصال الحميدة افشوا اي اعلنوا ولا تنسوا السلام باللسان عند اللقاء بينكم ايها المسلمون فلا يمتنع كبير من السلام على صغير ولا يحقر نفسه الصغير من السلام على الكبير وافشوا الامانة والسلامة من الغدر والخيانة والسوء وكل ما نهى عنه الشارع من بعضكم في حق بعض ظاهرا وباطنا فيما بينكم لانكم اهل ملة واحدة هي الاسلام فلا يليق بكم شي من السوء في حق بعضكم بعضا ومن قال بلسانه السلام عليكم ولبس في قلبه الامان لهم من كل سوء فهي تحية في الظاهر دون الباطن والامر الثاني الافضاء اي الايصال الى فعل المعاصي فان الحسد موصل اليها في حق المحسود اذ لا يخلو الحاسد عن الغيبة للمحسود والكذب عليه والسب له والشماتة

به عادة اى بحسب العادة الجارية بين الناس قال المحاسبي في الرعاية يكون من الحسد
على الرياسة والمنزلة عند الناس بالعلم فيورث رد الحق وتركه على علم كما تفرق اهل
الكتاب حسدا منهم ان يعلوا بعض بعضهم على بعض في العلم كل واحد تحسد صاحبه
على الرياسة ان تكون له دونه وكذلك المنزلة عند الناس فرد الحق ان يغلبه و ابتدع
فقال بغير الحق ليتبعه الناس على ما هو خلاف قول من يحسده وخطاه فيما يقول
وان كان حقا و اظهر ان الحق في غيره ليصد الناس عنه ويطفى نوره حسدا ان ترتفع
منزلته او يخضع له فيكون عليه رئيسا كما كفرت علما اليهود بالنبي صلى الله عليه وسلم
وهم يعرفون انه فرجا بالحق من عند الله عز وجل حسدا ان يرسبوه عليهم وتذهب
رياستهم في اليهود فيكونوا اتباعا بعد ما كانوا متبوعين وكذلك في العبادة يكره
ان يرأس بها فوقه ويعظم فوقه فيقع العالم في العالم والعابد هو في العابد
خوفا ان يرأس عليه او يكون فوقه ويعظمه الناس ويحب ان يهتك الله عز وجل ستره
وان يعصي الله عز وجل فيفتضح بذلك وان يخطى على الله في دينه ويقول عليه بغير الحق
ليلا تثبت له رياسة ولا تقوم له منزلة فيحب ان ينزل به كل ما فيه زوال للرياسة
عنه والتعظيم من الناس وكذلك في الرياسة والمنزلة في عين العامة يتحاسد الصاحبان
في الحب والمنزلة عند من يصحبانه فيحب احدهما ان لا يفضله في عمل ولا علم ولا يرفعه
عليه ويخطيه فيما يقول ويحب ان يهتك ستره عند صاحبه ويقع فيه ويفطنه
الى سو الظنون به ويضع امره لان يكون احب اليه منه وان يكون الحب والمنزلة
له عنده دون صاحبه وكذلك الشجيعان في الحرب يحب احدهما الاخر ويقع فيه
ليلا يعلوه في المنزلة عند من يعرفهما فيعظم بذلك دونه فيقع فيه حسدا ويبغضه
الى غيره ويجبنه عند اللقا في الحرب وقد يكون الحسد عن الحقد والعداوة والبغضا
فهو اشد الحسد وذلك ما وصفه الله عز وجل عن الكفار وعداوتهم وبغضهم للمومنين
فقال واذا لقوكم قالوا امنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم
ان الله عليم بذات الصدور وقال ان تمسسكم حسنة تسوهم وان تصبكم سيئة
يفرحوا بها فالمبغض لا يحب ان لا يرى لمن يبغض نعمة عليه من الله عز وجل ويحب
ان يراه باسوا الحال في الدين والدنيا فان نزلت به نعمة ساته وكرهها ولو قدر ان يزيلها
عنه لازالها فيتمنى لمن يعاديه البلايا ويكره ما به من النعم ويحب ان تزول عنه
ويفرح لما نزل به من بلا وضر والمبغض المعادي لا ينفك من الحسد والشماتة
الا من عصمه الله عز وجل وقد يكون عن الحسد الذي عن العداوة والبغضا القتل واخذ
المال والسعاية بمن يحسده وهتك ستره وغير ذلك فالمبغض حسده ابغض اعظم
الحسد

الحسد واشره طب يعني روى الطبراني باسناده عن ضمرة بن ثعلبة رضي الله عنه
انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال الناس بخير اى امضين على انفسهم
واموالهم وادیانهم واعراضهم واهلهم واولادهم ما لم يتحاسدوا اى يقع الحسد من
بعضهم في البعض ويبغي بعضهم على بعض بسبب الحسد وربما يفضي بهم ذلك الى
ان يقتل بعضهم بعضا وياخذ بعضهم مال بعض ويخوض بعضهم في اديان البعض
الاخر واعراضهم ويسري ذلك الى انتهاك حرمات بعضهم بعضا في الاهل والاولاد
ويدفع المحسودون عن انفسهم ضرر الحاسدين فيزول الامن من بينهم وتقع
العداوات والفتن والمحن والمخاصمات والمنازعات وتنفر قلوب بعضهم عن البعض
بسبب الحسد فيكون ذلك سببا لهلاكهم ودمارهم في الدنيا والاخرة والاثم الثالث
حرمان الشفاعة من النبي صلى الله عليه وسلم للحاسد يوم القيمة طب يعني روى الطبراني
باسناده عن عبد الله بن بسر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ليس مني اى من اهل سنتي
ذو اى صاحب حسد لغيره ولا ذو نميمة اى نقل الكلام السوء بين الناس من بعضهم
في حق البعض للاضرار ولا ذو كهانة اى سحر وتنجيم ولا انا منه ايضا اى انا بري من
حالته وسيرته وذلك لان من هذا وصفه ساع في الناس بالفساد والدمار وايقاع الناس
في البلايا والمصايب والتحريش بينهم باسوء وحالة النبي صلى الله عليه وسيرته وسنته
كانت للاصلاح بين الناس وتاليف القلوب النافرة وجمعها على الهدى فلا يمكن ان
احدى الحالتين مباينة للاخرى مباينة كلية فلا جرم كان كل واحد منهما بريئا
من الاخر وحالته مباينة لحالة الاخر وذلك يوجب حرمان الشفاعة في القيامة لقوله
عليه السلام من ترك سنتي اى سيرتي وحالتي التي كنت عليها لم تنله شفاعتي وان كان
الايمان باقيا عليه ولكنه مبتدع بترك السنة النبوية والسيرة المحمدية ثم تلا اى قرا
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد قوله ذلك المذكور قوله تعالى والذين يوذون المومنين
الاية منصوب بتقدير اقرا او اكمل الاية وذلك قوله تعالى والذين يوذون المومنين
والمومنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا وهو وعيد شديد في حق
من يوذي المومنين بايقاع السوء بينهم وحسدهم والبغي عليهم وتحريش العداوة
بينهم وذكرهم بما ليس فيهم من الشرور والمعايب والاثم الرابع دخول النار من غير
حساب مع اول داخل اليها زيادة في عقوبتهم لفظاعة جرمهم وقبح معصيتهم بحيث
اربت حالتهم الشنيعة وازدادت خبثا على احوال كل من يستحق دخول النار من العصاة
نظير السبعين الفا الذين يدخلون الجنة من غير حساب مع السابقين الاولين زيادة
في ثوابهم بشرف احوالهم وعظم اعمالهم الصالحة بالنسبة الى بقية اهل الجنة وذلك ماخوذ

من هذا الحديث الذى هو ديلم يعنى روى ابو منصور الديلمى باسناده عن ابن عمر وانس بن
مالك رضى الله عنهم انه اى كل واحد من ابن عمر وانس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ستة يدخلون النار فى يوم القيمة قبل الحساب عليهم فيما فعلوه من الجنى والشر
بستة اى بسبب ستة اعمال عملوها من اعمال السوء قيل اى قال قايل يا رسول الله
من هم اى هولاء الستة الذين يدخلون النار قبل الحساب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الامرا جمع امير من الامارة وهى الولاية يعنى الحكام على الناس الماموربن من السلاطين
برعاية امور العامة ونوابهم بالجور اى القايمون بالظلم والتعدى فى المسلمين والمعاهدين
والثانى العرب بالتحريك ويجوز اسكان الرا وضم العين المهملة وهو اسم مونث ولهذا
يوصف بالمونث فيقال العرب العاربة والعرب العربا وهم خلاف العجم ورجل عربى
ثابت النسب فى العرب وان كان غير فصيح واعرب بالالف اذا كان فصيحا وان لم يكن
من العرب كذا فى المصباح بالعصبية وهى الاجتماع على الباطل وفى الصحاح والتعصب
من العصبية والعصبة من الرجال ما بين العشرة الى الاربعين والعصابة الجماعة
من الناس والخيل والطير واعصوصب اليوم اشتد ويوم عصيب وعصبصب
اى شديد وفى المصباح عصب القوم بالرجل عصبا من باب ضرب احاطوا به لقتال
او حماية انتهى ولعل المعنى ان العرب يكثر فيهم التعصب والاجتماع على الامور
الباطلة كما يقع بين الطايفتين القيسية واليمنية من الحروب والمقاتلات على
الجهالة والبطالة حتى ان كل طايفة منهما اتخذوا لهم علامة يعرفون بها فاذا التقى كل
واحد بصاحبه قاتله ولم تزل الفتن بسبب ذلك ثايرة بينهم والحروب واقعة
حتى فشا ذلك وصار فى العجم ايضا وحكم العلما بانهم لا يغسلون ولا يصلى عليهم اذا قتلوا
بذلك قال فى النوازل وجعل مشايخنا المقتولين بالعصبية فى حكم اهل البغى يعنى اذا
قتلوا فى الحرب لا يغسلون ولا يصلى عليهم وقيل يغسلون من غير صلاة عليهم وفى
المغنى جعل الدورازى والكلاباذى كالباغى وكذا الواقفون الناظرون اليهما
ان اصابهم حجر او غيره وماتوا فى تلك الحالة ولو ماتوا بعد تفرقهم يصلى عليهم كذا فى
غرر الاذكار ذكره والدى رحمه الله تعالى فى شرحه على شرح الدرر والثالث الدهاقين
جمع دهقان معرب يطلق على رييس القرية وعلى التاجر وعلى من له مال وعقار وداله
مكسورة وفى لغة تضم ودهقن الرجل وتدهقن كثر ماله كذا فى المصباح ولعل المراد
روسا القرى ومشايخها بالكبر اى بسبب التكبر على غيرهم من الناس والرابع التجار
بضم التاء مع التثقيل وبالكسر مع التخفيف تجر تجرا من باب قتل واتجر وتاجر والاسم التجارة
كذا فى المصباح وفى مختصر القاموس التاجر الذى يبيع ويشترى بالخيانة اى بسبب

الخيانة للناس فى بيعهم وشرايهم بتلبيس السلع عليهم وادخال الغش فى اموالهم والكذب
فى المرابحة معهم والتولية والوضيعة والخامس اهل الرستاق اى اهل القرى قال فى المصباح
الرستاق معرب ويستعمل فى الناحية التى هى طرف الاقليم والرزداق بالزاى والدال مثله
والجمع رساتيق ورزاديق وفى الصحاح الرستاق فارسى معرب الحقوه بقرطاس ويقال
رزداق ورسداق ورستاق والجمع الرساتيق وهى السواد بالجهل اى بسبب غلبة
الجهل عليهم فلا يعرفون الخير ليفعلوه ولا الشر ليتوقوا عنه وانما يغلب عليهم اتباع
عقولهم فيما تدرك من التحسين والتقبيح فى الاقوال والاعمال والاحوال فهم الهمج من
الناس وعالمهم جاهل غيرهم لعدم رغبة اصحاب العلم والديانة فى السكنى عندهم من بعدهم
عن الهمم الصالحة وغباوتهم وقساوة قلوبهم والسادس العلما بالعلوم العقلية والنقلية
والرياضة اصحاب الفنون الكثيرة على اختلاف طبقاتهم بالحسد اى بسبب كثرة الحسد
فيما بينهم كما روى الحاكم فى تاريخه عن جبير بن مطعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
شهادة المسلمين بعضهم على بعض جايزة ولا تجوز شهادة العلما بعضهم على بعض لانهم
حسد اخرجه السيوطى فى الجامع الصغير وفى شرحه للمناوى قال الحسد بضم الحا والتشديد
بضبط المصنف اى هم اشد على الحسد بعضهم لبعض ولهذا قال ابن عباس رضى الله عنهما
انهم يتغايرون تغاير التيوس فى الزريبة ومن هذا القبيل ما قيل عدو المرء من يعمل
بعمله وقال المحاسبى فى الرعاية وانزل الله عز وجل العلم ليجمعهم ويولف بينهم على طاعته
فامرهم ان يجتمعوا بالعلم ويتالفوا به ولا يتفرقوا فتحاسدوا واختلفوا وتفرقوا حسدا
بينهم كل اراد ان تكون له الرفعة والرياسة وان لا يكون تابعا لغيره وان يقبل قوله منهم
ويتبع واحب ان يزول غيره عن الرفعة وكره رفع المنزلة له فرد بعضهم على بعض وخالف
بعضهم بعضا بغيا كما قال الله عز وجل وما اختلف فيه الا الذين اوتوه من بعد ما جاتهم البينات
بغيا بينهم قيل فى التفسير حسدا وقال وما تفرقوا الا من بعد ما جاهم العلم بغيا بينهم فتركوا
الحق وعاندوه حسدا بينهم قال ابن عباس كانت اليهود قبل ان يبعث النبى صلى الله عليه وسلم
اذا قاتلوا قوما قالوا نسالك بالنبى الذى وعدتنا ان ترسله وبالكتاب الذى تنزله
الا ما نصرتنا فكانوا ينصرون فلما جا النبى صلى الله عليه وسلم من ولد اسماعيل وعرفوه
كفروا به بعد معرفتهم به انه الذى كانوا يستنصرون الله عز وجل به فقال الله تعالى وكانوا
من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين
بيسما اشتروا به انفسهم ان يكفروا بما انزل الله بغيا اى حسدا بينهم وقالت صفية
بنت حيى للنبى صلى الله عليه وسلم جا ابى وعمى يوما من عندك فقال ابى لعمى ما تقول فيه قال
اقول انه النبى الذى بشر به موسى قال فما ترى قال ارى معاداته ايام الحياة وبذلك وصفهم الله

عز وجل انهم على علم كفروا فقال يعرفونه كما يعرفون ابناهم وقال وهم يكتمون الحق وهم
يعلمون وروى وهب بن منبه ان الله عز وجل قال لموسى عليه السلام الحاسد عدو لنعمتى
راد القضاى ساخط لرزقى الذى قسمت لعبادى غير ناصح لهم والامر الخامس الافضاء
اى الايصال الى اضرار الغير اى ايذ المحسود بما يقدر عليه الحاسد وفى شرح الجامع الصغير
للمناوى قالوا كلها عظمت الشماتة فيه واقول كما قال شيخنا الشعراوى رحمه الله تعالى
من اعظم نعم الله على ان حكمى بين الحسدة كبهلوان يمشى على الحبل بقبقاب وجميع الاعدا
والحساد والمتعصبين من اهل مصر واقفون تحتى ينتظرون لى زلقة لا نزل الى الارض
متقطعا فما تغيب الشمس على او تطلع كل يوم وانا لم اقع فى شى يشمتون بى فيه وما
فى عينى قطرة فلذا اى لان الحسد يفضى الى ايصال الضرر الى المحسود امر الله تعالى نبيه
صلى الله عليه وسلم بالاستعاذة من شر الحاسد فى قوله تعالى ومن شر حاسد اذا حسد
وانما قال تعالى اذا حسد ولم يقل ان حسد لتحقق وقوع الحسد من الغير فان اذا
للتحقيق وان للشك كما امرنا بالاستعاذة بالله تعالى من شر الشيطان قال تعالى واما
ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله وقال تعالى واذا قرات القرآن فاستعذ
بالله من الشيطان الرجيم وقال النبى عليه الصلاة والسلام استعينوا اى اطلبوا الاعانة
على قضا الحوايج الدنيوية والاخروية بالكتمان اى اخفا المهمة فى كل امر تهتمون به
ولا تصرحوا لكل احد بما تريدون فعله من حوايجكم فان كل ذى اى صاحب نعمة من
نعم الدين او الدنيا محسود على تلك النعمة خرجه اى رواه طط دنيا يعنى الطبرانى
فى معجمه الاوسط وابن ابى الدنيا باسنادهما عن معاذ رضى الله عنه مرفوعا الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم والامر السادس التعب والهم الملازم للحاسد من غير فايدة ولا نفع له
بذلك فى الدنيا ولا فى الاخرة بل مع وزر اى اثم وعقوبة ومعصية اى مخالفة لامر الله تعالى
قال ابن السماك رحمه الله تعالى لم ار ظالما لغيره اشبه الناس بالمظلوم من كثرة تعبه
وهمه وحزنه من الحاسد لغيره على نعمة الله تعالى نفس بفتحتين وهو نسيم الهوا
والجمع انفاس وتنفس اجتذب النفس نحيا شيمه الى بطنه واخرجه ونفس الله
كربته كشفها كذا فى المصباح والمراد تحسر وتلهف وتاوه دايم اى ملازم له وعقل هايم
اى مدهوش متحير لا يكاد يهتدى الى الصواب فى شى من الامور مطلقا وغم اى حزن لازم
لا يفارقه اصلا والامر السابع عمى القلب بسبب اشتغاله بالحسد وانصراف همة النفس
اليه حتى يكاد صاحبه لا يفهم حكما من احكام الله تعالى وان قرر له على اوضح الوجوه لان قلبه
اعمى لا نور فيه يبصر به الحق لانطماسه بظلمة الحسد قال سفيان رضى الله عنه لا تكن
حاسدا لغيرك على نعمة انعمها الله تعالى عليه تكن سريع الفهم فى كل ما تجده من العلوم ولا

يعس

يعسر عليك شى البتة والامر الثامن الحرمان من كل ما يتمناه والخذلان عدم النصرة وهو
ضد التوفيق ومعناه تيسير اسباب الشر والسو فى كل حال قال فى المصباح خذلته
اذا تركت نصرته واعانته وتاخرت عنه والاسم الخذلان فلا يكاد يظفر بمراد من مراداته
اصلا ولا يكاد ينصر بالبنا للمفعول اى ينصره الله تعالى على عدو من اعدايه مطلقا فلذا
قيل اى قال بعضهم الحسود اى الكثير الحسد للناس لا يسود اى لا يصل الى مرتبة السيادة
على احد اصلا بل حاله فى انخفاض دايما وامره فى نقصان المبحث الثالث من المباحث الاربعة
فى العلاج اى المداواة للحسد وازالته من القلب العلمى نعت للعلاج اى المنسوب الى العلم
والعملى اى المنسوب الى العمل اما العلاج الاول وهو العلمى فبيانه ان تعلم ان الحسد
ضرر عليك شديد فى الدنيا والدين اى دنياك ودينك وانه اى الحسد لا ضرر فيه اى فى الحسد
على المحسود فيهما اى فى الدنيا والدين اصلا بل ينتفع المحسود به اى بالحسد منك له فيهما
اى فى الدنيا وفى الدين اما ضرره اى الحسد لك فى الدين اى دينك فلانك بالحسد اى بسببه
سخطت قضا الله تعالى عليك بعدم تلك النعمة وعلى المحسود بوجود تلك النعمة له
وكرهت نعمته سبحانه التى قسمها لعباده تعالى كما قال فى كلامه القديم نحن قسمنا بينهم
معيشتهم فى الحياة الدنيا وكرهت عدله عز وجل فيك حيث منعك ما لا تستحقه عليه
من تلك النعمة التى تفضل بها على غيرك واستنكرت ذلك الفعل منه تعالى بك اى استوحشت منه
وغششت غشه غشا من باب قتل والاسم غش بالكسر لم ينصحه وزين له غير المصلحة كذا
فى المصباح رجلا من المومنين وهو الذى حسدته وتركت نصحه بارادتك ابقا نعمته عليه
والغش بالكسر حرام على المسلم لكل احد من خلق الله تعالى والنصيحة واجبة على حسب القدرة
واما ضرر الحسد لك فى الدنيا فغم وحزن وضيق نفس بسكون الفا انثى ان اريد به الروح وان
اريد الشخص فمذكر والجمع انفس ونفوس كذا فى المصباح ومعنى ضيق النفس عدم اتساعها
للامور ويمكن ان يراد ضيق نفس بفتح الفاء وهو الهوا الخارج من الفم الداخل فيه وضيقه
عسر خروجه ودخوله من ضعف البنية بكثرة حصر الطبيعة من نكاية الحسد قال المحاسبى
فى الرعاية ينفى الحسد المحرم بيسير من الامران تعلم انك قد غششت من تحسده من
المسلمين وتركت نصيحته وشاركت اعدائه ابليس والكفار فى محبتهم للمومنين
زوال النعمة عنهم وكراهة ما انعم عليهم به وانك قد سخطت قضا الله عز وجل الذى
قسم لعباده فاذا علمت ما قد دخل عليك من هذا الضرر العظيم بغير منفعة فى دين
ولا دنيا ردك ذلك عن الحسد ان كنت مومنا بالله عز وجل خايفا على نفسك من غضبه
وعقابه فلم تتعرض لوجوب غضبه عليه من غير احراز منفعة فى دين او دنيا صارت اليك
ولا هى اليك صايرة لو زالت النعمة عمن تحسده لانها ان زالت عنه لم تصر اليك فلا تتعرض

لهذا الضرر العظيم الذى يوجب سخط الله عز وجل بغير منفعة فى دين ولا دنيا نالها
مومن ولا عاقل وانما مثل الحاسد فيمن عاداه او باهاه او تكبر عليه او تعجب عليه
او تفضل عليه مثل رجل اراد ان يرمى عدوا له بحجر فلما رماه به رجع الحجر على عين الرامى
فاصابها فاعاد الرمى فرجع الحجر ايضا على عينه فاصابها حتى فعل ذلك مرارا كل ذلك لا يصيب
عدوه ويرجع الحجر عليه فيقع بعينه وكذلك ان رماه بسهم او بغيره كل ذلك يرجع الى
عينه ولا يصيب عدوه فلم يك هذا ابدا يرمى عدوه وقد علم وتبين له انه لا يصيب عدوه
وانما يصيب نفسه فكذلك الحاسد قد كان فى نعمة قبل ان يحسد من حسد وهى نعمة
السلامة من الحسد فلما حسده واحب زوال النعمة عنه زالت عن الحاسد النعمة التى كانت
عليه وهى نعمة السلامة من الحسد فتزول عنه سلامته من الحسد ونصحه للمومنين
وينزل به من الاثم والمكروه اعظم مما اراد بمن يحسده وتبقى النعمة على المحسود لم تزل
عنه قال الله عز وجل يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم فهل بينك وبين الرامى بالحجر لعدوه
ان رجع الحجر على عينيه فرق بل انت اعظم بلاء وضررا لانك اذا حسدته فقد تعرضت
لسخط الله عز وجل واثمت ولم تزل عنه النعمة ورجع عليك عقوبة الاثم فصارت
فى عينك قد عميت بها وكتبت عليك اثم توخذ به فى الاخرة وتستوجب به غضب
الله عز وجل فلو رجع الحجر على عينك بدل الاثم كان خيرا لك لان عينك ذاهبة بالموت
والبلى لا محالة واثم الحسد لا يبلى ولا يمحى حتى يوقفك الله عز وجل عليه ويسايلك
عنه فايهما ابين حالك ام حال من رجعت رميته الى عينه ولم يصب عين عدوه هو ايسر
منك حالا وانت اشد منه بلا وضررا اذ لم تزل النعمة عمن حسدته وزالت عنك
النعمة التى كانت عليك من سلامة قلبك من الحسد للمومنين فانزلت بنفسك ما اردته
بغيرك او اكثر ولم يرك الله عز وجل فيه الذى تحب وابقى النعمة عليه على الرغم منك والجزع
منك وما دخل عليك من الضرر فى دنياك اعظم عليك ان لم تخف الاخرة اذ نزل الغم
بقلبك كلما رايت به حسنة اغتممت بها وتعذب قلبك بالغم بها والله عز وجل ينعمه
بطاعته او بالدنيا ويعذب قلبك بحسده فانت مغموم ومهموم ورفعت نفسك
بنعيم غيرك بغير منفعة دخلت عليك فانزلت بنفسك الغم واثمت وتعرضت العذاب
والعقوبة فلن يجهل هذا الوصف عاقل ولا يقيم على الحسد بعد هذا الوصف لبيب
اذا تفكر عقل ما يضره مما ينفعه اذا كان مومنا بل لو ان الكافرين تدبروا هذا
الوصف لردعهم ذلك عن الحسد وان كانوا لا يومنون بالبعث والحساب ان علموا ان
قلوبهم معذبة بالغموم لنعم الله تعالى على خلقه والنعم على المنعم عليه جارية غير زايلة
فلم يعطوا ما ارادوا وعذبوا انفسهم بالغم وتنعم اولئك بما يتعذبون به فاذا كانوا لا يومنون

بالبعث

327

بالبعث يحرف هذا الوصف الا ردعه عن الحسد ان كان له عقل من اجل دنياه دون
اخرته فكيف من امن بالبعث وعلم ان فى الحسد الاثم الكثير وانه لا يا من غضب الله
عز وجل فى ذلك فذلك اولى ان لا يعترض الحسد بقلبه بخطرة فضلا عن القبول له واما
انه اى الحسد منك لا ضرر على المحسود منه فيهما اى فى الدنيا والدين فظاهر لا خفاء
فيه لان النعمة لا تزول عنه بحسدك له ولا يا ثم هو به اى بحسدك له قال المحاسبى
فى الرعاية وايس من ذلك كله ان لو كان الذى تحسده ابغض الناس اليك واشدهم عداوة
لك انه لا تزول النعمة عنه بحسدك له لان الله عز وجل لو اطاع الحاسدين فى المحسودين
لما ابقى عليهم نعمة ولكن يمضى نعمه وقسمه لعباده ولا ينظر الى حسد الحاسدين ولو
فعل بالمحسودين ما يحب الحاسدون لما ابقى على النبيين صلوات الله وسلامه
عليهم اجمعين نعمة ولا فقر الاغنيا لحسدهم لهم ولا اضل المومنين لحسد الكافرين لهم
ولكن الحسد على الحاسدين ضرره عليهم والنعم جارية على من اراد الله عز وجل ان يتمها
يتممها عليه الى الوقت الذى اراده وقدره ولا ينظر الى حسد الحاسدين الا ترى الى قوله
عز وجل ودت طايفة من اهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون الا انفسهم فمحبتهم
ان يضل المومنون ضلوا بتلك المحبة لان تلك المحبة منهم ضلال لانهم احبوا ان يرجع
المومنون ضلالا وذلك هو الضلال فمن احب ان يكفر بالله عز وجل فهو كافر فازدادوا
كفرا بحسدهم مع غشهم للنبى صلى الله عليه وسلم وللمومنين واما انتفاعه اى المحسود
بحسدك له فى الاخرة فهو انه مظلوم من جهتك حيث اعتديت عليه بحسدك
له واردت زوال نعمة الله تعالى عنه لا سيما ان اخرجك اى اوصلك الحسد له الى القول
فى عرضه ودينه والفعل المؤذى له بالغيبة له وهتك ستره بين الناس ونشر معايبه
والقدح اى الطعن والانتقاص فيه ونحوها من السعى فيه الى الظلمة والتعاون
عليه بالباطل فهذه الامور التى تشتفى بها انت قلبك منه وتبرد غلة حسدك وتسكن
حرارة غيظك منه هى كلها هدايا فاخرة تهديها انت ايه اى الى المحسود فينتفع
بها فى الاخرة عند الله تعالى ولا يضيعه الله تعالى اصلا ولا يضيعه واما انتفاع المحسود
فى الدنيا بحسدك له فلان اهم اغراض الخلق مساة اى ادخال السوء على الاعدا لهم
وغمهم اى ايقاعهم فى الغم والحزن وقد اوقعك المحسود فى الغم والهم وادخل عليك
المساة بحسدك له وهو لا يشعر فقد انتفع فى الدنيا بما هو غرض اهل الدنيا من اعدايهم
بلا قصد منه لذلك واما العلاج للحسد العملى اى المنسوب الى العمل فهو ان يكلف اى يسد
نفسه نقيض مقتضاه اى الحسد فان بعثه اى الحسد على القدح اى الطعن فيه
اى فى المحسود والانتقاص له كلف لسانه المدح له حتى يكون عاملا بما يردع نفسه

عليهم

ويزجرها وان بعثه الحسد على التكبر اى على المحسود الزم نفسه التواضع له اى للمحسود والاعتذار اى اظهار العذر باللسان اليه اى الى المحسود من كل ما يتضرر به من الحاسد وان بعثه الحسد له على كف اى امساك الانعام عليه اى على المحسود بان كان يجرى عليه جراية احسان من علوفة او هدية او اطعام او صدقة ونحو ذلك فوقع فى قلبه الحسد له على نعمة وجده فيها الزم نفسه الزيادة فى الانعام على ما كان يبديه اليه من قبل وان بعثه الحسد له على الدعاء عليه اى على المحسود دعى الله تعالى له بزيادة النعمة التى حسده فيها واكره نفسه على ذلك كله وان لم تطعه لبعد اوى بعد بذلك داء حسده فيبرا ان شا الله تعالى المبحث الرابع تمام المباحث الاربعة التى فى الحسد فى بيان العلاج القلعى للحسد اى الذى يقلع الحسد ويزيله فلا يبقى له اثر فى النفس وهو اى هذا العلاج المذكور يحتاج الى معرفة اسبابه اى الحسد ثم اباحتها ازالتها اى الاسباب من القلب وهى اى اسباب الحسد الموصلة اليه ستة اسباب السبب الاول التعزز فى النفس وهو ان يثقل عليه اى على الانسان الحاسد لغيره ان يترفع عليه غيره من الناس اى يصير ارفع منه قدرا واعظم شرفا فاذا اصاب اى نال وحاز بعض امثاله اى اقرانه ممن هو فى رتبته ولاية اى منصبا من المناصب الدنيوية او الدينية او اصاب علما من العلوم الشرعية او العقلية ونحوها او اصاب مالا من اى نوع كان يخاف ذلك الانسان الحاسد ان يتكبر عليه اى على ذلك المحسود مثل عادته وهو اى المحسود لا يطيق تكبره اى الحاسد عليه ولا يهضم ذلك ولا تسمح نفسه اى نفس المحسود باحتمال صلفه اى الحاسد قال فى الصحاح وزعم الخليل ان الصلف مجاوزة قدر الظرف والادعا فوق ذلك تكبرا فهو رجل صلف وقد تصلف وتفاخره عليه اى على المحسود فليس غرضه اى الحاسد ان يتكبر من اول وهلة عليه اى على المحسود بل غرضه اى الحاسد ان يدفع كبره اى المحسود عنه ويرضى اى المحسود بمساواته اى مساواة الحاسد وزيادته اى الحاسد عليه اى على المحسود من غير تكبر يصدر من المحسود على الحاسد فان اراد اى الحاسد عدم وصوله اى المحسود الى تلك النعمة التى هو فى صدد حصولها له او اراد زوالها اى تلك النعمة عن المحسود حال كون تلك النعمة مقيدة بالافضاء اى الايصال بالمحسود الى التكبر على الحاسد فليس هذا الحسد لما مر فى المبحث الاول من ان هذا غيرة المومن لله تعالى مندوب اليه وان اراد الحاسد زوال النعمة عن المحسود مطلقا من غير قيد انها تفضى بالمحسود الى الكبر فحسد مذموم لعدم التيقن من الحاسد فى تلك النعمة بالفساد للمحسود واحتمال الفساد لا عبرة به لانه مجرد وهم وامكان اى ولا مكان التقييد لتلك النعمة بالافضا الى الكبر فى نظر الحاسد بان يتامل ما يترتب على تلك النعمة للمحسود وما يوصل المحسود اليه من الفتن فيصرف حسده بذلك الى الغيرة

عليه

والارا ارجاع ضمير عليه وهو ولا يطيق ونفسه وعكسه اى الثانى الى الحاسد وضمير تكبره وتكبره وصلفه وتفاخره الى المحسود يعلم بالتامل والفكر الثاقب فليت شعرى لم سها الشارح وتغفل عن الارجاع عليه

السيد عمر النقيب

عليه بقلبه فيتخلص من مفسدة الحسد المحرم الى الغيرة المندوبة والسبب الثانى التكبر من الحاسد على غيره فان من فى طبعه وعادته بلا تكلف التكبر على انسان واستصغاره اى ذلك الانسان بمعنى رؤيته صغيرا واستخدامه اى طلب الخدمة منه فاذا نال ذلك الانسان نعمة من الله تعالى دنيوية او دينية خاف ذلك الحاسد ان لا يحتمل ذلك الانسان تكبره اى تكبر ذلك الحاسد عليه حسب طبعه وعادته وخاف الحاسد ان يترفع ذلك المحسود اى يجد نفسه رفيعا عن متابعته اى متابعة الحاسد وعن خدمته فيريد الحاسد زوالها اى تلك النعمة عن المحسود لما ذكر وعلاجه اى التكبر سبق فى ابحاث التكبر مفصلا والسبب الثالث سببية نعمة الغير اى كون نعمة الغير سببا لفوت مقصوده اى الحاسد وذلك الامر المذكور يختص بمتزاحمين اى شخصين من الناس يتزاحمان على حصول مقصود واحد فان كل واحد منهما يحسد صاحبه فى كل نعمة يكون زوالها اى تلك النعمة عن المحسود عونا اى معينة له اى للحاسد فى حصول الانفراد له بمقصوده من تلك النعمة فهذا الحسد يكون بين الامثال والاقران من الناس فى اى رتبة كانوا من اهل الدنيا او اهل الدين كالضرات جمع ضرة قال فى المصباح ضرة المراة امراة زوجها والجمع ضرات على القياس وسمع ضرائر كانه جمع ضريرة مثل كريمة وكرائم والاخوة جمع اخ يقصدون اى مجموع الضرات والاخوة بتغليب المذكر على المونث المنزلة العالية فى قلب الزوج راجع الى الضرات وقلب الابوين اى الاب والام بتغليب المذكر ايضا وهو لف ونشر مرتب وتلامذة جمع تلميذ استاذ واحد فى اى مرتبة كان من مراتب الناس ولو اصحاب الحرفة والكتابة ومريدى جمع مريد وحذفت نون الجمع للاضافة الى شيخ واحد فى سلوك طريق العلم والعمل وندما جمع نديم الملك بكسر اللام اى السلطان وخواصه اى الملك اى من يختص به من الخدمة والاتباع ووعاظ جمع واعظ وهو من يذكر الناس بامور دينهم وينذر عاصيهم ويبشر مطيعهم فيحثهم على العمل الصالح بلدة واحدة من بلاد الاسلام وطلاب جمع طالب ولاية اى منصب وقضا وتدريس اى فى مدرسة وتولية او قاف على جامع او تكية او جهة من جهاتها اى الاوقاف كاستيجار قرية من قرى الوقف ونحو ذلك وماله اى مرجع هذا السبب المذكور حب المال وحب الرياسة على الغير والسبب الرابع مجرد حب الحاسد الرياسة على غيره كمن يريد ان يكون عديم النظير اى لا نظير له اى مشابه فى فن من الفنون العلمية او غيرها ويغلب عليه حب الثنا اى المدحة من الغير له فاذا سمع بنظير اى مشابه له موجود فى اقصى اى ابعد العالم بفتح اللام ساءه اى احزنه ذلك اى وجود ذلك النظير له واحب موته اى موت ذلك النظير حتى يبقى هو وحده منفردا فى ذلك الفن واحب زوال النعمة التى بها يشاركه ذلك النظير فى المنزلة التى هو فيها من شجاعة او علم او عبادة او صناعة او جمال او ثروة اى غنا وكثرة مال

والسبب الخامس خبث النفس من الحاسد وشحها اي النفس بالخير فلا تكاد تسمح
به لعباد الله تعالى فانك يا ايها الانسان تجد من لا يشتغل برياسة وتكبر وطلب مال
اذ لا همة له في تحصيل شي من ذلك ولكنه اذا وصف بالبنا للمفعول اي وصف احد عنده
حسن حال عبد من عباد الله تعالى في نعمة نالها فضلا من الله تعالى عليه يشق اي يصير
مشقا عليه اي متعبا عليه اي على الذي نجده لا يشتغل بما ذكر ذلك الوصف للغير بحسن الحال
واذا وصف اي وصف واصف له اضطراب اي اختلال في امور الناس وعدم جريانها على الاعتدال
والصحة وادبارهم اي رجوع احوالهم الى عكس ما يريدون وفوات مقاصدهم فرح به اي
بذلك الوصف المذكور مع انه لم يسبق له عداوة مع الناس اصلا فهو ابدا اي دايما يحب
الادبار اي تعاكس الامور وعدم الاقبال لغيره من الناس ويبخل بنعمة الله تعالى
التي ليست منه وليس له فيها تعلق على عباده اي الله تعالى الذين ليس بينهم وبينه
عداوة دنيوية ولا دينية ولا رابطة بشركة في مال او استيلا منهم على ملكه او خصوصية في
شي مطلقا وهذا اخبث الحسد اذ لا سبب له الا مجرد خبث النفس وكثرة سوها واعسره
اي اعسر الحسد ازالة عن صاحبه وعلاجا لانه طبع وجبلة اي عادة مستحكمة بلا تكلف
من صاحبه فيه قال في المصباح في الجبلة بكسرتين وتثقيل اللام الطبيعة والخليقة
والغريزة بمعنى واحد وجبله الله على كذا من باب قتل فطره عليه وشي جبلي منسوب الى
الجبلة كما يقال طبيعي اي ذاتي منفعل عن تدبير الجبلة في البدن بصنع بارئها ذلك تقدير العزيز
العليم يكاد يستحيل في العادة زواله عن صاحبه من كمال لزومه له الا بعناية من الله تعالى
وسابقة حسنى والسبب السادس الحقد وهو الانطوا على العداوة والبغضا وحقد عليه
من باب ضرب وفي لغة من باب تعب والجمع احقاد كذا في المصباح وفي مختصر القاموس
حقد كضرب وفرح حقدا وحقادا امسك عداوته في قلبه وتربص لفرصتها والحقود
الكثير الحقد وجمع الحقد احقاد اي الحقد الخلق السادس عشر من الاخلاق الستين المذمومة
التي هي افات القلب اي مفاسده ومهالكه وفيه اي الحقد ثلاث مقالات المقالة الاولى من
المقالات الثلاثة في تفسيره اي الحقد وحكمه اي اثره الثابت له شرعا هو اي الحقد ان يلزم بضم
اليا من الزمه الحق كلفه اياه نفسه استثقال احد اي نسبته الى الثقل عليه ويلزم نفسه
النفار اي التباعد عنه بحيث لا يكاد يقبله ويلزم نفسه البغض له وارادة الشر والسوء
به كلما راه او خطر في باله وحكمه اي الحقد ان لم يكن بظلم اي بسبب ظلم اصابه اي الحاقد
منه اي من المحقود عليه في ماله او عرضه او دينه او اهله بل كان بحق اي بسبب حق
وعدل من المحقود عليه للحاقد كالامر بالمعروف والنهي عن المنكر الصادر من المحقود عليه
في حق الحاقد على الوجه المشروع بطريق العموم على جهة الستر له دون الفضيحة وقصد

وهو

التحكم

329

التحكم فيه فحرام اي حقده حرام على الحاقد وان كان الحقد بسبب ظلم اصاب الحاقد من المحقود عليه
او بسبب حق كامره بالمعروف ونهيه عن المنكر على وجه الخصوص والمقارعة في وجهه
تبكيتا له بقصد فضيحته والتحكم فيه والارتفاع عليه فليس ذلك الحقد بحرام حينيذ فان لم
يقدر اي الحاقد على اخذ الحق من المحقود عليه فيما ظلمه به في الدنيا فله اي يجوز له التاخير الى
يوم القيمة وابقا الحقد عليه في نفسه وله العفو عنه ايضا وهو اي العفو افضل من بقاء الحقد
عليه قال الله تعالى وان تعفوا اي عفوكم عمن ظلمكم اقرب اي اكثر قربا للتقوى من بقية الاعمال
الصالحة وقال تعالى خذ العفو اي استعمل المسامحة والصفح عمن اساء اليك وقال تعالى والعافين
عن الناس اي المسامحين لكل من ظلمهم من الناس وقال تعالى وليعفوا وليصفحوا اي يتركوا
المجازاة لمن تعدى عليهم وظلمهم الا تحبون ان يغفر الله لكم فكما تحبون ذلك اذا اذنبتم
مع الله تعالى فاغفروا انتم لمن اذنب معكم واسا في حقكم ذنوبه واصفحوا عنه يصفح
الله عنكم رب بعنبر وى مسلم والترمذي باسنادهما عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال ما نقصت بتشديد القاف صدقة واجبة او نافلة من مال في المعنى الذي
هو مناط البركة والخير وان نقصته في الحس الذي هو مناط التكاثر والتفاخر وما زاد الله
تعالى عبدا من عباده بعفو عمن ظلمه الا عزا اي رفعة شان في الدنيا والاخرة وما تواضع
عبد من عباد الله تعالى لغيره الا رفعه الله تعالى على جميع اقرانه بين اهل زمانه وان قدر
ذلك الحاقد على المحقود عليه بسبب ظلمه للحاقد فله العفو عنه ايضا كما له التاخير
الى يوم القيمة وهذا العفو مع القدرة افضل من العفو الاول مع عدم القدرة اي اكثر ثوابا
منه وله الانتصار اي استيفا حقه اي الحاقد من المحقود عليه ولكن من غير زيادة على مقدار
حقه وهو العدل ضد الظلم المفضول اي الذي غيره افضل منه كما ذكر لكن قد يكون هذا
العدل المفضول افضل من العفو عن الظالم بعارض اي بسبب امر عارض مثل كون
العفو من المظلوم سببا لتكثير ظلمه اي الظالم لخبثه يتجرى على ظلم الناس والتعدي عليهم
خصوصا اذا سمع الظالم ان المظلوم رجل صالح يسامح من ظلمه فيتقوى الظالم بذلك على
ظلم ذلك الرجل الصالح وكل رجل صالح مثله وكون الانتصار على الظالم باستيفا الحق منه
سببا لتقليله اي الظلم من الظالم او هدمه بالتوبة منه والرجوع عنه او نحو ذلك مما
يترتب على الانتصار من المظلوم على الظالم وعدم المسامحة له كما ذكره الشيخ علوان الحموي
في شرح تائية ابن حبيب الصفدي قدس الله سره ان من مناقب ابن حبيب المذكور انه كان
يحب الانتصار فاذا قدر عفا اخبرني بذلك سيدي مسعود المغربي وذكر ان بعض علما الرسم
شنع عليه ونسبه الى امر هو منه بري قال فذهب الشيخ ونحن معه الى دار الحكم بدمشق
وكافلها اذ ذاك سفيان في دولة قانصوه الغوري فشكى الشيخ الى النايب والتمس منه احضار

خصمه فلما حضر ولم يبق الا ايقاع العقوبة استتابه وعفا عنه وهكذا شيم كبار الاوليا يحبون الانتصار لحق الله تعلى فاذا قدر احدهم عفا ولقد شاهدنا هذا ايضا في شيخنا السيد الشريف يعني ابن ميمون المغربي شيخ الشيخ علوان رضي الله عنهما ووجه ذلك ان افضل الفضل عند الحدة وافضل العفو عند القدرة وان زاد المظلوم الذي قدر على استيفا حقه من ظالمه فاستوفى اكثر من مقدار حقه منه فجور ايضا اي ففعله جور وظلم منه في حق ظالمه قال الله تعالى ولمن انتصر بعد ظلمه اي على من ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل اي طريق الى اللوم على انتصارهم المذكور الى قوله تعالى الامور وذلك قوله تعالى بعد ذلك انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق اولئك لهم عذاب اليم ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور وقوله تعالى ولا يجرمنكم شنان قوم على ان لا تعدلوا ~~اعتدوا على ان لا~~ عداه بعلى لتضمنه معنى الحمل والمعنى لا يحملنكم شدة بغضكم للمشركين على ترك العدل فيهم فتعتدوا عليهم بارتكاب ما لا يحل كمثلة وقذف وقتل نساء وصبية ونقض عهد تشفيا مما في قلوبكم ثم قال تعالى اعدلوا هو اقرب للتقوى اي العدل اقرب للتقوى صرح لهم بالامر بالعدل وبين انه بمكان من التقوى بعد ما نهاهم عن الجور وبين انه مقتضى الهوى واذا كان هذا العدل مع الكفار فما ظنك بالعدل مع المومنين كذا في تفسير البيضاوي المقالة الثانية من المقالات الثلاث في بيان غوايله اي الحقد يعني مفاسده وشروره وهي اي غوايل الحقد احد عشر شيا الاول من غوايل الحقد الحسد الذي تقدم بيانه فالحسد من نتايج الحقد والحقد من نتايج الغضب فالحسد فرع الغضب والغضب اصل اصله كما هو مذكور في كتب القوم والثاني من غوايل الحقد الشماتة بما اصابه اي الغير من البلا اي الفرح والسرور والضحك به اي بذلك الغير قال في المصباح شمت به يشمت اذا فرح بمصيبة نزلت به والاسم الشماتة واشمت الله به العدو وفي الصحاح الشماتة الفرح ببلية العدو ويقال شمت به الكسر يشمت شماتة وبات فلان بليلة الشوامت اي بليلة يشمت الشوامت وهي اي الشماتة الخلق السابع عشر من الاخلاق الستين المذمومة دت يعني روى ابو داود والترمذي باسنادهما عن واثلة بن الاسقع رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تظهر بضم التا المثناة الفوقية من اظهر الشي ابرزه وابانه بعد الخفا الشماتة اي الفرح والسرور عند روية المصيبة والبلية باخيك في النسب او في الاسلام او الشخص الذي هو مناسب لك في القرابة او الدين ذكرا كان او انثى صغيرا او كبيرا او ان كان بينك وبينه عداوة فلا تشمت به ولا تفرح ببليته فانك لو عقلت مبتلى بالعافية مثله كما هو مبتلى بالمصيبة والجنى بلاء والشر بلاء وكذلك الحسنات والسيات كما قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون وقال تعالى

وبلوناهم

وبلوناهم بالحسنات والسيات لعلهم يرجعون فيعافيه الله تعالى من بليته التي كان فيها ويبتليك انت بها بتلك البلية التي شمت به فيها فينقله من بلاء هو مصيبة الى بلا هو عافية من تلك المصيبة وينقلك انت ايضا من بلا هو العافية من تلك المصيبة الى بلا هو تلك المصيبة فلا محيص من البلا اصلا كما قال تعالى انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه ولو خلا احد من البلا لكان احق بذلك الانبياء عليهم السلام لانهم اشرف الخلق عند الله تعالى ومع ذلك فقد ورد في الحديث الانبيا اشد الناس بلا الانبياء ثم الامثل فالامثل فالفرح بمصيبة العدو امر مذموم جدا في ملة الاسلام خصوصا اذا حملها اي تلك المصيبة التي اصابت عدوه على انها كرامة نفسه اكرمه الله تعالى بها حيث اصاب عدوه بالمصايب وعلى انها اجابة اي قبول دعايه على عدوه بل الواجب عليه ان يخاف من تلك المصيبة التي اصابت عدوه ان تكون مكرا من الله تعالى له اي لذلك الذي فرح بمصيبة عدوه ويحزن من اصابة تلك المصيبة لعدوه ويدعوا الله تعالى بازالة بلايه اي بلاء عدوه وان يخلفه اي ذلك اي ذلك العدو الله تعالى خيرا مما فات بسبب تلك المصيبة الا ان يكون ذلك العدو ظالما لذلك الذي فرح ولغيره فاصابه بلا من الله تعالى يمنعه ذلك البلا من الظلم ويكون ذلك البلا لغيره اي غير ذلك الظالم من بقية الظلمة بالتحريك جمع ظالم كطلبة جمع طالب عبرة اي اتعاظا قال في المصباح الاعتبار يكون بمعنى الاختبار والامتحان مثل اعتبرت الدراهم فوجدتها الفا ويكون بمعنى الاتعاظ نحو قوله تعالى فاعتبروا يا اولي الابصار والعبرة اسم منه قال الخليل العبرة والاعتبار بما مضى اي الاتعاظ والتذكر وجمع العبرة عبر مثل سدرة وسدر ونكالا يقال نكل به ينكل من باب قتل نكلة قبيحة بالضم اصابه بنازلة ونكل به بالتشديد مبالغة والاسم النكال كذا في المصباح ففرحه بمصيبة عدوه حينئذ انما كان بزوال الظلم الظاهر من ذلك العدو لا بذلك البلا النازل بالعدو فيجوز بلا شبهة والثالث من غوايل الحقد هجره اي المحقود عليه بتركه وعدم الالتفات اليه وعداوته وهو اي هجر المومن وعدا ونه الخلق الثاني عشر من الاخلاق الستين المذمومة د يعني روى ابو داود باسناده عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل لمومن ان يهجر اي يترك ويقاطع مومنا مثله فوق ثلاث من الايام وخرج بقيد المومن الكافر فانه مهجور شرعا فاذا مرت به اي بالمومن الهاجر لمثله ثلاث من الايام فليلقه فعل مضارع مجزوم بلام الامر من اللقا وهو الاجتماع اي فليجتمع مع مهجوره وليسلم عليه اذا راه فان الهجر يزول بذلك ونحوه فان رد اي المهجور السلام عليه اي على الهاجر له الذي سلم عليه فقد اشتركا اي الهاجر والمهجور

في الاجر بامتثال امر الشارع في اللقيا والسلام لزوال الهجر بينهما
وان لم يرد اي المهجور السلام عليه اي على هاجره وكذلك بالعكس
اذا اسلم المهجور على الهاجر فقد باء اي رجع تارك الرد بالاثم
وحده دون الاخر وزاد في رواية اخرى لهذا الحديث فمن هجر يعني
اخاه المومن فوق ثلاث من الايام دخل النار لفعله معصية الهجر
للمسلم ومقاطعته المقتضية ذلك هذا اي الهجر المومن المذموم
شرعا محمول على الهجر لاجل الدنيا عداوة نفسانية بحظوظ
شهوانية واما الهجر بين المسلمين الواقع لاجل الاخرة في ترك
الامر النافع فيها ولاجل المعصية الذي يوجب استحقاق العقاب
ولاقامة التاديب في حق الغير المقصر في مراعات الادب مع من
يجب الادب معه فجائز اي الهجر لاجل شي من ذلك بل هو مستحب من
غير تقدير بمدة معينة لوروده اي لورود هجر المومن لمصلحة
دينية عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة رضوان الله عليهم اجمعين
قال المناوي في شرح الجامع الصغير ومن المصلحة ما جاء من هجر بعض السلف لبعض
فقد هجر سعد بن ابي وقاص عمار بن ياسر وعثمان عبد الرحمن بن عوف وطاووس
وهب بن منبه والحسن بن سيرين الى ان ماتوا وهجر ابن المسيب اباه وكان زياتا
فلم يكلمه الى ان مات وكان الثوري يتعلم من ابن ابي ليلى ثم هجره فمات ابن ابي ليلى فلم يشهد
جنازته وهجر احمد بن حنبل عمه واولاده لقبولهم جائزة السلطان والرابع من
غوائل الحقد استصغاره اي المحقود عليه يعني رؤيته صغيرا حقيرا وهو اي
الاستصغار من التكبر على الغير وقد مر بيانه والخامس من غوائل الحقد افضاؤه
اي الحقد يعني ايصاله الى الكذب عليه اي على المحقود عليه في دينه او عرضه او نحو ذلك
ونسبته الى ما هو بري منه بالافترا والبهتان والسادس من غوائل الحقد
افضاؤه الى غيبته اي المحقود عليه والتكلم فيه بين الناس بما يسوءه والسابع
من غوائل الحقد افضاؤه الى افشائ اي اظهار سره اي المحقود عليه وهتكه بين الناس
بما لا يريد افشاءه وذكر عيوبه ومقابحه عندهم والثامن من غوائل الحقد افضاؤه
الى الاستهزاء به اي بالمحقود عليه بالسخرية منه والضحك عليه بين الناس والتاسع
من غوائل الحقد افضاؤه الى ايذائه اي المحقود عليه بالسعي به الى الحكام والتعاون عليه
عند الظلمة وحمل الناس على الانكار على احواله وتنفير اصحابه عنه وتبغيضه الى من يحبه
بغير حق موجب لذلك بل بمجرد الظلم والتعدي او افضاؤه الى اكثر منه اي من الايذاء او هو

الافضا

331

الافضا الى اهراق دمه بالباطل او الجائه الى الردة عن الاسلام والعياذ بالله تعالى
او اللحوق بدار الحرب ونحو ذلك من عظائم الامور والعاشر من غوائل الحقد
افضاؤه الى منع حقه الواجب له شرعا من صلة رحم كالابن يحقد على ابيه فيمنعه
بره والقريب يحقد على قريبه فيمنعه صلة رحمه وقضا دين وجب عليه للحاقد
للمحقود عليه فيمنعه منه ورد مظلمة كغصب وسرقة وخيانة في وديعة
ونحوها وجب حقا للمحقود عليه فيمنعه منه والحادي عشر من غوائل الحقد منعه
اي الحقد عن مغفرة صاحبه فان الله تعالى لا يغفر لمن حقد على اخيه المسلم طكط
يعني روى الطبراني في معجمه الكبير والاوسط عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث اي من الخصال من لم يكن اي يوجد فيه واحدة منهن
فان الله تعالى يغفر له ما سوى ذلك اي غير هذه الخصال الثلاثة من جميع الذنوب
لمن يشا سبحانه وتعالى الخصلة الاولى من مات لا يشرك بالله تعالى شيئا اي لا يعتقد
مشاركة شي مطلقا مع الله تعالى في مشابهة ذاته او صفة من صفاته او فعل من
افعاله والخصلة الثانية لم يكن ساحرا من جملة السحرة فان السحر كفر عند ابي حنيفة
رضي الله عنه اذا اعتقد انه يوثر بسحره قال في البزازية من كتاب الحدود الساحر
اذا ادعى انه يخلق ما يفعل يقتل ان لم يتب وكذا الساحرة ان اعتقدت ذلك بالاثر
وان كانت المرتدة لا تقتل وفي المبتغي بالغين المعجمة والساحرة تقتل اذا كانت
تعتقد انها هي الخالقة لذلك وتصير مرتدة لقول عمر رضي الله عنه اقتلوا الساحر
والساحرة والساحر على اقسام ساحر كافر يدعي انه خلق لما فعله فيستتاب
ان تاب عن دعواه ويخلى سبيله وان لم يتب يقتل لانه مرتد وساحر يسحر وهو
جاحد لا يدري كيف يفعل ولا يقر به فلا يستتاب ويقتل والصحيح انه
يستتاب والثالث ساحر بالامتحان والتجربة غير معتقد لذلك ليس بكافر
اذا تقدم منه الاسلام والخصلة الثالثة من لم يحقد على اخيه المسلم اي لم يضمر له البغض
والعداوة طط يعني روى الطبراني في الاوسط عن جابر رضي الله عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال يعرض بالبنا للمفعول من عرضت الشي عرضا من باب ضرب
فاعرض هو بالالف اي اظهرته وابرزته فظهر هو وبرز وعرضت المتاع
للبيع واظهرته لذوي الرغبة ليشتروه وعرضت الجند امررتهم ونظرت اليهم
لتعرفهم كذا في المصباح الاعمال التي يعملها المكلفون من الخير والشر والمعنى ان
الملائكة الموكلين بها تعرضها على الله تعالى يوم الاثنين ويوم الخميس خصوصية
فضيلة لهذين اليومين دون ايام الاسبوع وان كان يوم الجمعة افضل الايام

والمعنى ان الملائكة الموكلين بها تعرضها على الله تعالى يوم الاثنين ويوم الخميس خصوصية فضيلة لهذين اليومين دون ايام الاسبوع

فقد يوجد في المفضول ما ليس في الفاضل فمن مستغفر من ذنوبه في يوم من الايام
فيعرض على الله تعالى عمله ومن جملة عمله ذنوبه واستغفاره منها فيغفر اي يغفر الله
تعالى له فضلا منه تعالى وان لم يات ببقية شروط التوبة غير الاستغفار فقط ومن
تايب اي فاعل جميع شروط التوبة فيتاب اي يتوب الله تعالى عليه فيقبل توبته ويرد
بالبنا للمفعول اي يرد الله تعالى اهل الضغاين جمع ضغينة وهي الحقد واضمار
البغضا والعداوة فلا يقبل منهم الله تعالى استغفارهم من ذنوبهم ولا توبتهم منها
بضغاينهم اي بسبب ما في صدورهم من تلك الضغاين حتى يتوبوا منها اي من الضغاين
طط يعني روى الطبراني في الاوسط عن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال يطلع من اطلعت زيدا على كذا مثل اعلمته وزنا ومعنى فاطلع على افتعل
اي اشرف عليه وعلم به كذا في المصباح الله تعالى الى جميع خلقه اي يتجلى عليهم تجليا
مخصوصا فيعرفه من يعرفه ويجهله من يجهله ليلة النصف من شعبان يعني من
اول الليلة الى اخرها والا فهو يتجلى كل ليلة اذا كان ثلث الليل الاخير كما ورد في حديث اخر
فيغفر سبحانه وتعالى بمحض فضله لجميع خلقه اي يقبل استغفارهم وتوبتهم قطعا
وفي غيرها من الليالي على الاحتمال الا المشرك بالله تعالى او مشاحن من الشحناء وهي
العداوة والبغضا وشحنت عليه شحنا من باب تعب حقدت كذا في المصباح فان
المشرك والمشاحن ما داما كذلك لا يقبل منهما الاستغفار والتوبة من الذنوب
في تلك الليلة فكيف في غيرها من الليالي وفي اقتران المشاحنة بالشرك زيادة تقبيح
لها وكمال زجر عنها وفي رواية هق يعني البيهقي عن عايشة رضي الله عنها ويوخر اي يوخر
الله تعالى اهل الحقد اي اضمار العداوة والبغضا كما هم فيبقيهم على ذنوبهم ولا يغفر
لهم حتى يدعوا الحقد ويتركوه من صدورهم ويتوبوا منه المقالة الثالثة تمام
المقالات الثلاث في بيان سبب الحقد وهو اي سبب الحقد الغضب على الغير يكون
سببا للحقد عليه فانه اي الغضب اذا لزم كظمه كظمت الغيظ كظما من باب ضرب وكظوما
امسكت نفسك على صفح او غيظ وفي التنزيل والكاظمين الغيظ وربما قيل كظمت على
الغيظ وكظمني الغيظ فانا كظيم ومكظوم كذا في المصباح بعجزه اي بسبب عجز صاحب
الغضب عن التشفي بمن غضب عليه يقال اشتفيت بالعدو وتشفيت به من
شفى الله المريض يشفيه من باب رمى شفاء فاه لان الغضب الكامل كالداء فاذا ازال
بما يطلبه الانسان من عدوه فكانه برئ من دايه كذا في المصباح في الحال اي وقت الغضب
بسبب رفعة شانه او غيبته عنه او احتمايه بغيره رجع ذلك الغضب الى الباطن
اي صدر صاحبه واحتقن فيه اي في باطن صاحبه يعني اجتمع قال في المصباح حقنت

الانسان

الماء في السقاء حقنا من باب قتل جمعته فيه فصار اي ذلك الغضب حقدا
بسبب الاحتقان وعدم الخروج وفيه اي الغضب خمس مقامات المقام
الاول من المقامات الخمس قال في المصباح قام يقوم قوما وقياما انتصب
واسم الموضع المقام بالفتح واقمته اقامة واسم الموضع المقام بالضم في تفسير
الغضب اي بيان معناه وذكر اقسامه اعلم ان الغضب وهو غليان دم القلب
لدفع الموذيات عنه او عن غيره قبل وقوعها اي الموذيات ولطلب التشفي والانتقام
ممن فعل الاذى بعد وصولها اي الموذيات اليه او الى غيره ليس بمذموم شرعا
بل هو اي الغضب حينئذ امر لازم لان به يحفظ على الانسان الدين والدنيا بحسب
الامكان فلا يقدر ان يبطله احد فيها ومنه اي من الغضب الشجاعة الممدوحة
عقلا وشرعا وعرفا وهي الشجاعة في نصرة الحق وقمع الباطل وانما المذموم من
الغضب طرفاه فالطرف الاول تفريطه اي التقصير فيه وضعفه وهو الطرف
الادنى المسمى بالجبن بالضم مصدر جبن جبنا وزان قرب قربا وجبانة بالفتح
وفي لغة من باب قتل فهو جبان اي ضعيف القلب وامراة جبان ايضا وربما قيل
جبانة كذا في المصباح وهو اي الجبن الخلق التاسع عشر من الاخلاق الستين
المذمومة وذلك اي الجبن مذموم جدا في الشرع لانه يثمر اي ينتج عدم الغيرة
بالفتح اي الامتناع من الامور الدنية او قلة الانفة اي الحمية اي الانفة والاحتفاظ
على الزوجة والامة والاقربا المحارم وغيرهم وخسة النفس اي حقارتها قال في
المصباح خس الشيء يخس من باب ضرب وتعب خساسة حقر فهو خسيس واحتمال
الذل والضيم اي الضرر في غير محله بان كان في طلب الدنيا زيادة على قدر الضرورة
او في منافسة الاقران وحب الشهوات والخور بالتحريك من خار يخور ضعف فهو
خوار والسكوت عند مشاهدة اي معاينة وتحقق المنكرات اي الاشيا المحرمة
الصادرة من المكلفين باختيارهم من غير احتمال عدمها عند الراي المشاهد لذلك
اذا كان حاكما مامورا برعاية احوال العامة او غيره ممن يقدر على ذلك بلا لحوق ضرر عليه
في منكر مجمع عليه لاحتمال تقليد الفاعل لمن يقول بالجواز ولو من غير الايمة الاربع فان
عمل الانسان لنفسه بقول مجتهد غير الاربعة جايز دون الفتوى به لغيره كما قال المناوي
في شرح الجامع الصغير نعم يجوز لغير عامي من الفقها تقليد غير الاربعة في العمل لنفسه ان
علم نسبته لمن يجوز تقليده وجمع شروطه ذكره عنده ذكر قبل ذلك انه يمتنع تقليد
غير الاربعة في القضا والافتا انتهى فمن ينكر على غيره يشترط فيه ان يكون عالما بالمذاهب
الاربعة وغيرها ايضا حتى يعلم الخلاف بين المجتهدين المتقدمين في المناكر فلعل الفعل الذي

يراه ذلك المشاهد له منكرا على مقتضى مذهبه قلد فاعله مذهبا غير مذهب الرائي المشاهد
وهو لا يعلم ولا يلزمه سؤاله ولا يلزم الاخبار من الفاعل ايضا وربما يكون الفاعل مجتهدا
ولا علم للمنكر به فانه ليس من شرط الاجتهاد ان يكون معلوما للغير فيكون المنكر لم يصادف
بانكاره الحق فيأثم وهو لا يشعر ولا يلزم الفاعل تعريفه بحاله بل اللازم على كل انسان
تحسين الظن باخيه المسلم ما امكن وتاويل جميع احواله ويجب عليه ستر عوراته
وعدم فضيحته ولو عند نفسه فلا يترك نفسه تتحقق بمعصية غيره حتى لا يكون
مقرا الغيره على المعصية ولا فاضحا له والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم قال الله تعالى
وليجدوا اى الكافرون والمنافقون ومثلهم اصحاب المناكر المجمع عليها المكشوفة بلا
احتمال تاويل عند العالم المحقق العارف بالاقوال كلها فيكم غلظة اى شدة وقوة وكثرة
انكار عليهم حينئذ حتى يدعوا مناكرهم ويرجعوا الى دينهم الحق وفي قوله وليجدوا فيكم
غلظة اشارة الى انكم لا تتعرضوا لهم بذلك ابتدا اذا كتموا امورهم عنكم حتى لا تاثموا
بتجسسكم عليهم وكشف عوراتهم التي انتم مامورون بسترها في اهل المعصية وانما
اذا اقبلوا عليكم وتعرضوا لكم بمناكرهم فاظهروا لهم الغلظة والشدة وقوة الانكار
لما هم عليه حتى يتوبوا ويرجعوا ولا تكونوا انتم تعرضتم لكشف عوراتهم ولا فضيحتهم
بل هم الذين فضحوا انفسهم بتعرضهم لكم وقال تعالى في اقامة حد الزنا ولا تاخذكم بهما
اى بالزاني والزانية رافة وشفقة ورحمة في دين الله فان هذه شفقة مذمومة
لانها تضر بالمشفوق عليه فتلقيه في عذاب الاخرة ومثل ذلك ساير المناكر على
التفصيل الذي ذكرناه ولا يكاد يوجد قايم به على الوجه الشرعي في هذا الزمان بل الاكثر
في زماننا طالبون الرياسة والاشتفاء من اعدايهم بحيلة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
وهو امر شنيع في الدين ولهذا تراهم يصدفون الله عن المناكر الكبار في انفسهم وفي
اتباعهم واصحابهم من التكبر والعجب والحسد والاعتدا واحتقار الناس ونحو ذلك
ويحتسبون في المناكر الصغار والبغي ورحسو نفوسهم وحب المحمدة والتهالك
على الدنيا من غير مبالاة بحرام وحلال ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وقال الله
تعالى عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم الرضوان اشداء على الكفار رحما
بينهم الاية اى اكمل الاية وبقيتها قوله تعالى تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله
ورضوانا سيماهم في وجوههم من اثر السجود وكذلك اوصاف المومنين القايمين بالامر
بالمعروف والنهي عن المنكر الى يوم القيمة اصلحوا انفسهم اولا ثم اقبلوا على اصلاح غيرهم
فكانوا اشداء على الكفار رحما بينهم يحتفظون على غيرهم من المومنين في فعل الذنوب كما
يحتفظون على انفسهم بلا تكبر ولا تجبر على احد ولا مداهنة ولا خيانة هو طط يعني

روى

روى البيهقي والطبراني في الاوسط عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال خير
امتي اى اكثرهم خيرا احداؤها اى الامة جمع حاد بالتشديد وهو الموصوف بالحدة قال
في الصحاح الحدة ما يعتري الانسان من النزق والغضب تقول حددت على الرجل احد
حدة وحدا واحتد فلان من الغضب فهو محتد وفي الجامع الصغير للسيوطي برمز
الطبراني في الاوسط عن علي رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خيار امتي
احداؤهم الذين اذا غضبوا رجعوا قال المناوي في شرح هذا الحديث قال الفاكهي يشتبه
على كثير من الناس الحدة بسوء الخلق والفارق المميز ما ختم به هذا الحديث وهو قوله
الذين اذا غضبوا رجعوا فالرجوع والصفا هو الفارق وصاحب الخلق السوء يحقد
وصاحبها لا يحقد والغالب ان صاحبها لا يغضب الا لله وقدم في الحسد ما ورد في
حق الغيرة من الكلام مما يناسب هنا في الجبن فينبغي للجبان في معالجة الجبن ان
يعالج نفسه بايقاعها اى نفسه عمدا منه فيما يخاف ويفر اى يهرب منه كالحروب ومخاصمة
الاقران والعبور وحده في مواضع الوحشة بشرط امنه على هلاك نفسه او اذهاب عقله
بان يعلم من نفسه انه يحصل له بذلك مجرد انزعاج في نفسه والا فهو القا بنفسه الى التهلكة
وهو حرام لان حفظ نفسه وعقله واجب عليه واليه الاشارة بقوله بتكلف اى مشقة عليه
مرة بعد مرة اخرى حتى تعتاد نفسه على الهجوم وقوة القلب واسماعها اى نفسه معطوف
على ايقاعها غوايل الجبن اى مفاسده ومضاره وفوايد الشجاعة وتذكيرها اى نفسه بذلك
كرارا جمع كرة ومرارا جمع مرة حتى يزول اى الجبن عنه ويقوى غضبه في نفسه والطرف
الثاني للغضب افراطه اى الكثرة منه وزيادته وغلبته عليه وسرعته اليه وشرته في
النفس وهو الطرف الاعلى المسمى بالتهور وهو الوقوع في الشي بقلة مبالاة يقال فلان
متهور كذا في الصحاح وهو اى التهور الخلق العشي ون من الاخلاق السنيئة المذمومة
وثمرة اى نتيجة التهور في صاحبه الحدة والعنف بالضم ضد الرفق قال في المصباح عنف
به وعليه عنفا من باب قرب اذا لم يرفق به فهو عنيف وضده اى التهور الحلم بالكسر
وهو اى الحلم ملكة اى قوة راسخة في النفس مضافة الى الطمانينة اى سكون القلب
قال في المصباح اطمان القلب سكن ولم يقلق والاسم الطمانينة عند محركات الغضب
اى الامور المقتضية له وعدم هيجانه اى الغضب معطوف على ملكة الطمانينة الا بسبب
قوي يقتضي الغضب فيهيج مع الحلم ايضا فلا يمنع وجود الحلم وتمكن معطوف على
عدم هيجانه اى امكان دفعه اى الغضب عنده اى عند السبب القوي له اذا هاج بلا
تعب يلحقه في ذلك الدفع وحاصله ان الحلم كناية عن هذه الامور الثلاثة عن ملكة الطمانينة
عند محركات الغضب وعن عدم هيجان الغضب الا بسبب قوي وعن تمكن دفع الغضب

اذا هاج عند السبب القوى بلا تعب ويثمر اى الحلم يعنى ينتج اللين مع الناس اى السهولة
فى مخالطتهم والرفق بهم فى جميع الامور والتهور مرض عظيم الضرر على صاحبه ربما
اهلك صاحبه فى الدنيا والاخرة اذا لم يحفظه الله تعالى صعب العلاج اى المداواة فلا بد
من شدة المجاهدة فى النفس والتشمير وهو السرعة فى الامر والخفة فيه ومنه قيل
شمر فى العبادة اذا اجتهد وبالغ كذا فى المصباح والسعى اى المسارعة فيه اى فى علاج
التهور وعلاجه اى التهور يكون باربعة اشيا بالعلم والعمل وازالة السبب الداعى
الى التهور وتحصيل الضد فى النفس وهو الحلم فلنبينن الان كل واحد منها اى من
هذه الامور الاربعة بمقام على حدة وهى مندرجة فى المقامات الاربعة الباقية من
المقامات الخمسة التى فى الغضب وقد تقدم المقام الاول من الخمسة ثم قال بعده المقام
الثانى من المقامات الخمس فى العلاج اى المداواة للغضب والتهور العلمى اى المنسوب الى العلم
وهو اى هذا العلاج العلمى نافع قبلها اى قبل الغضب الغضب والتهور فيدفع كل واحد
منهما وحين الهيجان ايصالهما بالتذكر بنفسه او بالتذكير من غيره له ان لم يشتد اى يقوى
الغضب والتهور جدا اى كثيرا والا اى اشتد فلا يفيد فيه العلاج العلمى حينيذ بل قد
يضر فيه ذلك ويكون اى العلاج العلمى كالوقود اى الاشتعال والالتهاب للنار وهو
اى العلاج العلمى معرفة افاته اى الغضب والتهور يعنى مفاسده ومضاره ومعرفة
فوايد كظم اى امساك الغيظ اما افاته اى مفاسد الغضب والتهور فاربعة امور الامر
الاول افساد راس الطاعات وهو الايمان لانه ينبنى عليه جميع الطاعات فهو
بمنزلة الراس والطاعات كلها بمنزلة الجسد هو طك يعنى روى البيهقى والطبرانى
فى الاوسط (في الكبير) عن بهز بن حكيم عن ابيه عن جده عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال الغضب يفسد
الايمان بالله تعالى وبكتبه ورسله واليوم الاخر كما يفسد الصبر بفتح الصاد المهملة
وكسر البا الموحدة هذا الشى المر المعروف وفى المصباح الدوا المر فى الاشهر وسكون
البا للتخفيف لغة قليلة ومنهم من قال لم يسمع تخفيفه فى السعة وحكى ابن السيد فى
كتاب مثلث اللغة جوازا لتخفيف العسل الحلو المراد بالغضب الذى يفسد
الايمان الغضب فيما لا ينبغى من حظوظ النفس وشهوات الدنيا او صدوره اى الغضب
فيما ينبغى من امور الدين اكثر من حيث التكرار واشد من حيث المقدار مما ينبغى
فهو التهور المذموم وكثيرا ما يطلق الغضب فى الاحاديث والاثار وغيرها عليه اى
على التهور للمراد اصل الغضب الذى هو مجرد غليان دم القلب على الاطلاق لما مر فى
مقام تفسيره انه امر لازم لا لحفاظ الدين والدنيا وقد صدر هذا الغضب المعتدل
عن النبى صلى الله عليه وسلم مرارا كثيرة عند محله وهو الغضب عند انتهاك حرمات الله تعالى

ووجه افساد الايمان بالغضب كما ورد فى الحديث انه اى الشان كثيرا ما يصدر
من الانسان عن شدة الغضب قول او فعل يوجب الكفر يضطره الى ذلك حنقه وغيظه
فيفسد ايمانه والامر الثانى خوف المكافاة من الله تعالى اى يخاف عليك صاحب الغضب
ان يكافيك الله تعالى اى يعاملك بمثل عملك مع غيرك فان قدرة الله تعالى عليك اعظم من
قدرتك انت على هذا الانسان فلو امضيت غضبك عليه ولم تراقب الله تعالى الذى
خلقك وخلقه لم تامن ان يمضى الله تعالى ايضا غضبه عليك يوم القيمة او فى الدنيا
ومن اراد ان يعامله الله تعالى بالرحمة فليعامل هو عباد الله تعالى بالرحمة والامر الثالث
حصول العداوة لك ممن غضب عليه فيتشمر اى يتهيى ذلك العدو لمقابلتك اى مخاصمتك
ومنازعتك والسعى منه فى هدم اى ابطال اغراضك اى مقاصدك ومراداتك والشماتة
اى الفرح والسرور بمصايبك وبلاياك فيشوش من شوش عليه الامر تشويشا خلطه
عليه فتشوش قاله الفرابى وتبعه الجوهرى وقال بعض الحذاق هى كلمة مولدة
والفصيح هوشت وقال ابن الانبارى قال ايمة اللغة انما يقال هوشت وتبعه
الازهرى وغيره كذا فى المصباح عليك معادك اى اخرتك فلا يكاد يبقى لك عملا صالحا
او يدع قلبك يصفو العمل صالح من تسلطه عليه بقوله وفعله واضطرار الامر بك الى
مرافعته والجاية عن نفسك ومعاشك ايضا فانه يصير مكدرا لا يكاد يصفو لك من
الانكاد فلا تتفرغ مع ذلك للعلم والعمل وتذهب ايامك فى المحال والامر الرابع قبح صورتك
عند الغضب من حمرة عينيك بعد حسن سوادها وبياضها وتنفيخ اوداجك وظهور
زرقتها بعد سكونها ولطافة لونها وتغير لون وجهك بعد كمال صفايه وسريان
الرعشة والاضطراب فى لحيتك واعضايك بعد ذلك الوقار وتكلمك بما لا ترضى
ان تتكلم به قبل ذلك وارتفاع صوتك بعد لطافته وظرافة المنطق ومشابهتك
للكلب الضارى من ضرى بالشى ضريا من باب تعب وضراوة اعتدى واجترى عليه
كذا فى المصباح والسبع العادى من عدا عليه يعدو عدوا وعدوا وعدوانا وعدواء
بالفتح والمد ظلم وتجاوز الحد وهو عاد والجمع عادون مثل قاض وقاضون وسبع
عاد وسباع عادية كذا فى المصباح واما فوايد كظم الغيظ فسبعة اشيا الشى الاول اعداد
اى تهيية قال فى المصباح اعددته اعدادا هياته واحضرته الجنة له اى لكاظم الغيظ
قال الله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين
الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين
والكاظمين الغيظ اى الممسكين عليه الكافين عن امضايه مع القدرة من كظمت القربة
اذا ملاتها وشددت راسها والعافين عن الناس التاركين عقوبة من استحقوا مواخذته

وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان هولاء في امتي قليل الا من عصم الله وقد كانوا كثيرا في الامم
التي مضت ذكره البيضاوي والشيء الثاني التخيير اي جعل الخيرة له في الحور جمع حوراء
من حورت العين حورا من باب تعب اشتد بياض بياضها وسواد سوادها ويقال
الحور اسوداد المقلة كلها كعيون الظباء قالوا وليس في النساء حور وانما قيل ذلك في النساء
على التشبيه وفي مختصر العين ولا يقال للمراة حوراء الا للبيضاء مع حورها كذا في
المصباح العين بالكسر جمع عيناء وهي المراة الحسنة العينين مع سعتهما د ت
يعني روى ابو داود والترمذي باسنادهما عن سهل بن سعد رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من كظم اي امسك غيظا في نفسه اصابه من احد من الناس او شيء
من الاشياء وهو يستطيع اي يقدر على ان ينفذه بالذال المعجمة اي يمضيه فيمن صدر له
الغيظ من قبله دعاه اي ناداه الله تعالى يوم القيمة باسمه من غير واسطة نداء
مرتفعا على روس الخلايق اي من الجهة العليا تنويها له واعتناء به حتى يخيره في اي
الحور جمع حوراء شاء اي اراد فيعطيه ذلك وفيه اشارة الى ان الحور انواع وان الكاظم
الغيظ يخير في اي الانواع يشاء دون غيره من اهل الجنة خصوصية له والشيء الثالث
دفع عذاب الله تعالى عنه كما دفع غضبه لاجل الله تعالى طط يعني روى الطبراني في
الاوسط باسناده عن انس رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من دفع عن نفسه غضبه على احد من الناس فلم يجر على مقتضاه خوفا من غضب
الله تعالى ان يدركه دفع الله تعالى عنه عذابه في يوم القيمة فلا يدركه غضب الله تعالى
ولا يمسه عذابه والشيء الرابع عظم الاجر اي الثواب له عند الله تعالى يوم القيمة مج
يعني روى ابن ماجة باسناده عن ابن عمر رضي الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما من جرعة من جرعت الماء جرعا وهو الابتلاع والجرعة من الماء كاللقمة
من الطعام وهو ما يجرع مرة واحدة واجترعه مثل جرعته وتجرع الغصص
مستعار من ذلك مثل قوله فذ وقوا كناية عن النزول به والاحاطة كذا في المصباح
اعظم اجرا اي ثوابا عند الله تعالى يوم القيمة من جرعة غيظ اي تجرعه وحبس النفس
عن الجريان على مقتضاه كظمها اي تلك الجرعة عبد مسلم من عباد الله تعالى ابتغاء
اي لاجل ابتغاء اي طلب وجه الله تعالى لا طمعا في الجنة ولا في النجاة من النار والشيء
الخامس حفظ الله تعالى في جميع المخاوف في الدنيا والاخرة لذلك العبد الذي كظم غيظه
والشيء السادس رحمته تعالى للكاظم الغيظ على كل حال من احواله والشيء السابع محبته
تعالى للكاظم الغيظ حك يعني روى الحاكم باسناده عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث اي من الخصال المحمودة من كن اي وجدن

باجاد

335

باجاد الله تعالى فيه اواه اي اسكنه الله تعالى في كنفه بفتحتين وهو الجانب
والجمع اكناف مثل سبب واسباب واكتنفه القوم كانوا منه يمنة ويسرة كذا في
المصباح ولعل المعنى ادخله في حمايته وحفظه وعنايته في الدنيا والاخرة وستر
عليه عيوبه وغفر ذنوبه برحمته وفضله واحسانه وادخله في محبته اي جعله محبا
له سبحانه وتعالى الخصلة الاولى صفة من اي الذي او عبد اذا اعطي بالبناء للمفعول
اي اعطاه الله تعالى على يد سبب من اسبابه وحذف مفعول الفعل قصدا للعموم شكر
الله تعالى على ذلك اي اثنى عليه الثناء الجميل بقلبه او بلسانه او باركانه والثانية صفة
من اذا قدر على من ظلمه واذنب في حقه غفر اي سامح عن الظلم وصفح عن الذنب والثالثة
صفة من اذا غضب على احد فتر اي ضعف غضبه في الحال ولم يعامله بمقتضى
الغضب هذه الفوايد السبعة المذكورة لكظم الغيظ حاصلة بمجرد اي بسبب مجرد
الكظم للغيظ وان لم يقترن به عفو عنه واما اذا عفى عمن جاء الغيظ منه معه اي مع
الكظم فاكثر فوايد واعظم عوايد فانك يا ايها المغتاظ اذا عفوت عمن اغتظت منه
مع عجزك الملازم لك لانك مخلوق مثله ومع احتياجك الى حسناته والى من يحمل سيئاتك
اذا وقع القصاص بينكما يوم القيمة فالله تعالى اولى اي احق واحرى ان يعفو اي
يتجاوز عن ذنوبك مع قدرته عليك وعلى غيرك وغنايه عنك وعن غيرك ويدل عليه
اي على ان الله تعالى يعفو عنك اذا عفوت عمن ظلمك قوله تعالى وليعفوا اي عمن ظلمهم
قال في المصباح عفا المنزل يعفو عفوا وعفاء بالفتح والمد درس وعفته الريح
يستعمل لازما ومتعديا ومنه عفا الله عنك اي محا ذنوبك وليصفحوا يقال صفحت
عن الذنب صفحا من باب نفع عفوت عنه وصفحت عن الامر اعرضت عنه وتركته كذا في
المصباح الا تحبون ان يغفر الله لكم اي يعفو عنكم ويصفح عن ذنوبكم فمن عفا عن
غيره وصفح عن ذنب غيره معه عفا الله عنه وصفح عن ذنبه المقام الثالث من المقامات
الخمس في العلاج العملي اي المنسوب الى العمل في مرض الغضب والتهور بعد الهيجان هاج
الشيء هيجانا وهياجا بالكسر ثار وهجته يتعدى ولا يتعدى وهيجته بالتثقيل
مبالغة كذا في المصباح اي ثوران الغضب والتهور وهو اي العلاج العملي اربعة اشياء
اما الشيء الاول فهو التوضي اي فعل الوضوء بالماء المطلق د يعني روى ابو داود
باسناده عن عطية انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الغضب من الشيطان اي يقع في
القلب من وسوسته وتسويله وان الشيطان خلق من النار اي النار هي العنصر
الغالب فيه على بقية عناصره الثلاث الماء والهواء والتراب كما ان الادمي خلق من تراب
اي اغلب عناصره التراب والا فالعنصر الواحد لم يخلق منه حيوان ولا نبات

بيان العملي

ولا جماد بمفرده مالم تنضم اليه بقية العناصر وحرارة الغضب والتهور الواقعة
في القلب شبيهة بالنار التي يبثها الشيطان بسبب اصل طبيعته وخلقته وانما
تطفا النار بالماء كما هو المعروف فاذا غضب احدكم فليتوضأ اي يفيض الماء على اعضاء
وضوئه كما اذا اراد الصلاة وهو محدث ولعل هذا الوضوء مطلوب من صاحب
الغضب والتهور على الفور قبل سكون غضبه وتهوره سواء كان محدثا او لم يكن محدثا
ولو كان جنبا صلى به صلاة او لم يصل ولا يكفي عنه التيمم لعدم عند عدم الماء لفوات
المقصود منه فان برودة الماء تطفي حرارة الغضب والتهور ولا كذلك المسح بالصعيد
ولهذا قال وانما تطفا النار بالماء واما الشيء الثاني فهو الجلوس وهو غير القعود فالجلوس
هو الانتقال من سفل الى علو والقعود هو الانتقال من علو الى سفل فعلى الاول
يقال لمن هو نائم او ساجد جلس وعلى الثاني لمن هو قائم اقعد وقيل يقال جلس
متكيا بمعنى الاعتماد على احد الجانبين وقال الفارابي وجماعة الجلوس نقيض القيام
فهو اعم من القعود وقد يستعملان بمعنى الكون والحصول فيكون بمعنى واحد
ومنه يقال جلس متربعا وقعد متربعا وجلس بين شعبها اي حصل وتمكن كذا
في المصباح وفي مختصر القاموس القعود والقعد الجلوس او هو من القيام والجلوس
من الضجعة ومن السجود انتهى ولعل المراد هنا الجلوس من القيام كما يدل عليه الحديث
الاتي والاضطجاع وضع الجنب بالارض وهو مصدر اضطجع واضجع والاصل
افتعل لكن من العرب من يقلب التاء ضادا ويدغمها في الضاد تغليبا للحرف الاصلي
وهو الضاد ولا يقال اطجع بطاء مشددة لان الضاد لا تدغم في الطاء فان الضاد اقوى
منها والحرف لا يدغم في اضعف منه وما ورد شاذ لا يقاس عليه كذا في المصباح د
يعني روى ابو داود باسناده عن ابي ذر رضي الله عنه انه قال قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا غضب احدكم اي اصابه الغضب من شيء لا بد بيده وهو قائم على قدميه فليجلس
اي يقعد من قيامه فان ذهب عنه الغضب والا اي وان لم يذهب عنه فليضجع اي يضع
جنبه على الارض ولعل المراد انه يغير هيئة جسده بالانتقال من حالة عالية الى
حالة اسفل منها حتى يقرب الى الارض فيرجع الى اصله وهو التراب فيتذكر انه لا ينبغي
له الغضب لانه تراب ذليل وانما الغضب لا يليق بالقدير الجليل فيقرب الى الارض بالقعود
من القيام ثم اذا لم يتذكر يقرب ايضا بالاضطجاع من القعود ولان الاضطجاع حالة
الميت ففيه تذكير بالموت لازالة الغضب الذي لا يصلح الا للحي الذي لا يموت
واما الشيء الثالث فهو الاستعاذة استعذت بالله معاذا وعياذا اعتصمت
وتعوذت به كذا في المصباح خ م يعني روى البخاري ومسلم باسنادهما عن سليمان

ابن صرد

336

ابن صرد انه قال استب رجلان اي سب احدهما الاخر يعني شتمه وطعن فيه عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن عنده اي عند الرسول عليه السلام فبينما يسب
احدهما صاحبه حال كونه مغضبا قد احمر وجهه من ثوران حرارة الغضب
بسبب غليان دم القلب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعلم كلمة لو قالها
اي صاحب الغضب لذهب عنه الذي يجد في نفسه من الغضب الثاير فيه بسبب
وسوسة الشيطان وبث الحرارة النارية في قلبه لو قال بلسانه ملاحظا معنى
ذلك بقلبه اعوذ اي اعتصم والتجي بالله عز وجل من شر الشيطان الرجيم
اما ابليس اللعين الذي سلط ذريته على بني ادم باذن الله تعالى يزينون لهم
الباطل ويغوونهم واما احد ذريته المنتشرة في الارض واما القرين الملازم
للانسان يجري منه مجرى الدم فيكون لكل انسان شيطان على حدة اذا تعوذ
بالله تعالى يتعوذ منه وابليس اللعين كان شيطان ادم عليه السلام الذي وسوس
له فاوقعه في الخطيئة وهو ابو الشياطين كلهم كما ان ادم عليه السلام ابو البشر
كلهم ذهب عنه اي عن صاحب الغضب ما يجد في صدره من ذلك واما الشيء الرابع فهو
دعاء لله تعالى مخصوص اذا قاله الانسان بحضور وخضوع مع ملاحظة معناه
اذهب الله تعالى عنه الغضب والتهور وطابت نفسه سني يعني روى ابن
السني باسناده عن عايشة رضي الله عنها قالت دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
يعني معاشر نسايه رضي الله عنهن وانا غضبى اي قد اصابني الغضب من بينهن
فاخذ صلى الله عليه وسلم بطرف المفصل وهو وزان مسجد احد مفاصل الاعضاء
وبا تيك بالام من مفصله اي منتهاه كذا في المصباح من انفي الانف المعطس و
والجمع اناف على افعال وانوف وانف مثل فلوس وافلس وانف الجبل ما خرج
منه كذا في المصباح والماخوذ طرف انفها المستدق موضع اجتماع الجليدات
الثلاث ففركه اي حكه وحته بيده صلى الله عليه وسلم وانما فعل ذلك ليريها ان
الغضب مما لا ينبغي لها فانه لا يكون الا بعروض الشمم والشمخ بالانف تكبرا
واعتزازا والانسان مخلوق من التراب لا يليق ان يصدر منه نحو ذلك فاوقع
الالم بالانف كسر الصولة الغضب وتذكير الذل الذي سيكون لكل انسان عند لقاء
ربه والكشف عن سطوات الهيبة بحيث يرغم انف العبد اي يضعه في الرغام وهو
التراب الذي يداس بالاقدام ثم قال لي يا عويش بالتصغير والترخيم بفتح الشين

وضمها على لغة من ينتظر ولغة من لا ينتظر واصله يا عايشة قولي اي في حالة غضبك اللهم
اي يا الله اغفر لي اي استر وامح عني ذنبي الذي فعلته باختياري وهو كل ذنب صدر منها
فان المغفور له مطهر من الاخلاق الذميمة التي منها الغضب واذهب عني غيظ قلبي
الذي هو سبب للغضب مني بان تقدرني على عدوي بالحق فانتقم منه في مرضاتك لا لحظ نفسي
او ترزقني المسامحة عمن ظلمني والصفح عنه بخلوص سريرة او تنسيني اسباب غيظي
بالاشتغال بخدمتك واجرني اي احمني واحفظني من الشيطان اي شيطاني المقارن لي الذي
هذا الغضب من وسوسته وتسويله المقام الرابع من المقامات الخمس في العلاج الغضب
والتهور القلعي اي الذي يقلع ذلك من اصله وهو اي العلاج القلعي انما يكون بازالة السبب
اي سبب الغضب والتهور وهو اي سبب ذلك الغضب والتهور الحرص بالصاد المهملة من
حرص عليه حرصا من باب ضرب اذا اجتهد والاسم الحرص بالكسر كذا في المصباح اي الاجتهاد
والتكالب على طلب الجاه اي الشرف والارتفاع والمرتبة العالية ووجود التكبر والعجب
في نفسه وصاحب احد هذه الثلاثة اي الحرص على الجاه او التكبر او العجب يغضب اي
يتسارع اليه الغضب بادنى شيء من الاشيا صدر له من غيره يوهم عنده نقصا فيه
يعني في مقامه ومنزلته عند الناس مما لا يغضب به اي بذلك الشيء غيره من الناس ممن ليس
فيه واحد من الثلاثة المذكورة عادة اي بحسب جريان العادة مما يعرفه الناس وعلاجها
اي هذه الثلاثة طلب الجاه الذي هو حب الرياسة الدنيوية والتكبر والعجب سبق بيانه
عند ذكرها مفصلة والمزاح معطوف على الحرص على الجاه الذي هو سبب الغضب والتهور
وفي الصحاح المزح الدعابة وقد مزح يمزح والاسم المزاح بالضم والمزاحة ايضا
واما المزاح بالكسر فهو مصدر مازحه وهما يتمازحان والهزل من هزل في كلامه هزلا
من باب ضرب مزح كذا في المصباح والهزء من هزئت به اهزء مهموز من باب تعب
وفي لغة من باب نفع سخرت منه والاسم الهزء وتضم الزاي وتسكن للتخفيف كذا في
المصباح والتعيير بالعين المهملة من العار وهو كل شيء يلزم منه عيب او سبة وعيرته
كذا وعيرته به قبحته عليه ونسبته اليه يتعدى بنفسه وبالبا قال المرزوقي في
شرح الحماسة والمختار ان يتعدى بنفسه كذا في المصباح والمماراة المجادلة والمضادة
اي المخاصمة والمنازعة والظلم بالقول كالكذب عليه اي على الغير والغيبة للغير اي ذكره
في غيبته بما يكرهه والنميمة اي نقلك كلام السوء الصادر من احد في حق غيره الى ذلك الغير
على وجه الافساد والشتم للغير او الظلم بالفعل كالضرب الصادر منك للغير واخذ

المال بلا حق ومنع حقه المترتب له عليك وهذه الاشيا كلها المذكورة تورث الغضب
والتهور اي توجده وتوقعه في النفس لا كثر الناس ما عدا الاقل منهم ممن لا يبالي بشيء
من ذلك فعليك يا ايها الانسان بالاجتناب اي التباعد عنها اي هذه الاشيا الا ان
تتيقن من نفسك بلا شك تحمله اي الغير لهذه الاشيا منك وحلمه عليك اي صفحه عنك
ومسامحته لك فلا باس عليك حينئذ بما حل اي جاز في الشرع منها اي من هذه الاشيا
المذكورة كالمزاح والهزل بالحق والصدق والمماراة لنصرة الحق والضرب للتعزير
ممن يقيمه قليلا دون الكثير من ذلك فان كثرة المزاح تذهب بماء الوجه وفي شرح المناوي
للجامع الصغير قيل لابن عيينة رحمه الله تعالى المزاح سبة فقال بل سنة ولكن من يحسنه
واما اذا صدرت هذه الاشيا المذكورة من غيرك فيك اي في حقك فعليك الحلم اي
الصفح والمسامحة للغير في ذلك والعفو عنه فان لم تقدر على ذلك من نفسك فالصبر
عن مقابلته بمثلها والكظم للغيظ والانتصار بما يحل لك من ذلك وان لم تقدر على ما ذكر
لك فلا تذهب الى مكان يصدر فيه شيء من ذلك في حقك ولا تجلس اذا ذهبت بلا شعور
منك بذلك في مظانها اي في المواضع التي تظن ان يوجد شيء منها فيه وان وقعت في مجلسك
او مجلس غيرك بغتة اي مفاجاة من غير حساب منك لها ففر اي اهرب من ذلك المجلس
ولا تجلس فيه فرارك اي هربك من الاسد اي السبع الضاري مخافة ان يهلك مع
الهالكين وان لم تقدر على الفرار فاشغل نفسك عن ذلك بفكر في علم او ذكر بالقلب او باللسان
او شهود قدرة الله تعالى في شيء ونحو ذلك من الشواغل الشرعية واحوال هذه الاشيا
من المزاح والكذب والغيبة والنميمة وغيرها سيجي بيانه ان شا الله تعالى في مواضعه
من هذا الكتاب ومن اشد بواعث اي اسباب الغضب والتهور ~~شجاعة ورجولية~~
عند الجهال من الناس تسميتهم اي الجهال اياه اي الغضب والتهور شجاعة ورجولية
وعزة نفس وكبر همة وغيرة بالغين وحمية اي بواحد من هذه الاسما او بها كلها
حتى تميل النفس اليه اي الى الغضب والتهور المسمى بهذه الاسما الشريفة وتستحسنه
وهي لا تعرف الفرق بينه وبين المسمى بهذه الاسما من الاخلاق الحميدة وقد تقدم
الفرق في مواضعه وقد يتاكد ذلك اي تسميته بهذه الاسما عند النفس لحكاية شدة
الغضب عن الاكابر من الصحابة والتابعين كعمر بن الخطاب وغيره رضي الله عنهم
في معرض بفتح الميم وكسر الرا اي موضع ظهور المدح لهم وفي المصباح المعرض وزان
مسجد موضع عرض الشيء وهو ذكره واظهاره وقلته في معرض كذا اي في موضع ظهوره

فذكر الله ورسوله انما يكون في معرض التبجيل والتعظيم اي في موضع ظهور ذلك
والقصد اليه وهذا الان اسم الزمان والمكان من باب ضرب ياتي على مفعل بفتح الميم
وكسر العين يقال هذا مصرفه ومنزله ومضربه اي موضع صرفه ونزوله وضربه
الذي يضرب فيه والنفوس كلها مايلة بالطبع الى التشبه بالاكابر من الكاملين على
حسب ما تستطيع وهذا الامر خطا وجهل من الجهال بل هو اي ما يحصل في النفس
من الغضب والتهور من نقص قلب ونقصان عقل لا شجاعة ورجولية الا ترى ان
المريض اسرع غضبا من الصحيح لانحصار نفسه بسبب المرض ونقصان ادراكه لفتور
عقله بكثرة الوجع والالم والمراة اسرع غضبا من الرجل لضعف نفسها وقلة عقلها
والشيخ اي الكبير في السن اسرع غضبا من الكهل لنقصان الادراك بضعف قواه الظاهرة
والباطنة من الهرم والشيخوخة ومنه اي من اشد بواعث اي اسباب الغضب
والتهور الامر للغير بالمعروف في الشريعة المحمدية والنهي للغير عن المنكر فيها
من قول او فعل او حال فانه سبب داع الى ثوران الغضب والتهور في القلب خصوصا
اذا كان ذلك الامر والنهي بالخرق وهي النزاقة والعنف وهو الشدة والغلظة وعدم
الرفق وعدم اللين وعدم السهولة على الغير وعدم الاضافة اي عدم نسبة ذلك اي
الامر والنهي الى الشارع الذي شرع الاحكام اي بينها للمكلفين وهو الله تعالى حقيقة
ورسوله صلى الله عليه وسلم مجازا بان جعل الذي امر ونهى لنفسه غرضا ولم يتبرا من
الحظوظ النفسانية باخلاص قلبه وصدق نيته وعزمه على ذلك بحيث يصير
قايما في ذلك بالنيابة عن الله ورسوله حسبما اقامه الله تعالى بقوله سبحانه وايتمروا
بينكم بمعروف اي فليامر بعضكم بعضا ومتى اضاف ذلك الى الشارع لزمه ان يامر وينهى
كما امر الشارع ونهى والشارع عمم في امره ونهيه ولم يخصص احدا ولا شافه احدا
بامر يخصوصه ولا بنهي ولا كشف ستر عاص ولا فاسق مع علم الشارع بكل فرد فرد
من اشخاص المكلفين والقران العظيم هو امر الله تعالى ونهيه والاحاديث النبوية
هي امر النبي صلى الله عليه وسلم ونهيه وليس في شي من ذلك تخصيص احد بعينه بامر ولا
نهي ولا في شي من ذلك فضيحة احد بعينه وذكر الامام ابو بكر محمد بن جعفر بن محمد بن سهل
السامري الخرايطي في كتابه مكارم الاخلاق باسناده عن مسلم بن صبيح عن مسروق عن
عايشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بلغه عن قوم شي قال
ما بال اقوام يقولون كذا وكذا وذكر ايضا باسناده عن حماد بن زيد عن سالم العلوي عن

انس

انس بن مالك رضي الله عنه ان رجلا جا فقعد في مجلس النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه
وعليه اثر صفرة فلما قام قال النبي صلى الله عليه وسلم لو امرتم هذا ان يدع هذه الصفرة وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يواجه احدا في وجهه بشي وذكر الخرايطي ايضا في كتابه
المذكور باسناده عن ابي صالح عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من ستر على مسلم
ستره الله في الدنيا والاخرة وروي باسناده عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه انه قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يرى امرؤ من اخيه عورة فيسترها عليه الا
دخل الجنة وذكر ايضا باسناده عن ابي هريرة رضي الله عنه قال دخل اعرابي المسجد
ورسول الله صلى الله عليه وسلم فيه فقال اللهم اغفر لي ولمحمد ولا تغفر معنا لاحد
فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لقد احتظرت واسعا ثم ولى فلما كان في
ناحية المسجد فشج يبول فصاح به الناس فكفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
عنه ثم قام اليه فقال انما بني هذا المسجد لذكر الله والصلاة فيه وانه لا يبال فيه
ثم دعا بسجل من ماء فصبه على بوله قال يقول الاعرابي بعد ان فقه فقام
الي بابي وامي فلم يسب ولم يضرب ولم يونب وكذلك اذا كان ذلك الامر والنهي في
الملا اي بين الجماعة من الناس فانه فضيحة له وهتك ستر لا نصيحة فيظن
المخاطب بذلك الامر والنهي انه اي الامر والنهي توبيخ وتعيير بالعيوب من عند نفس
المتكلم بذلك لا من عند الشارع بسبب الغرض النفساني القايم في قلب المتكلم
بالامر والنهي لغيره ويظن اي المخاطب انه اي المتكلم بذلك يريد به اي بالامر والنهي له
اللمز اي الاعابة عليه والتحقير له والطعن فيه لا انه يريد النصح له فيغضب ذلك المخاطب
لجهله بمقصود المتكلم حيث خفي عليه قصده وعلاجه اي مداواة هذا الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر الذي هو سبب لغضب الغير بالامر والنهي له التكلم بالامر بالمعروف
والنهي عن المنكر باللين اي السهولة والرفق من غير تغليظ ولا تعنيف كما ذكره
الخرايطي في مكارم الاخلاق باسناده عن عبد الرحمن بن عبد الله بن ابي مليكة سمعت
ابن شهاب قال سمعت عروة قال سمع ابا هريرة سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول
ان الله رفيق يحب الرفق ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف وذكر باسناده عن عروة
عن عايشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله يحب الرفق في الامر كله
والاضافة اي نسبة ذلك الامر والنهي الى الشارع وهو الله تعالى او نبيه صلى الله
عليه وسلم اما بالتصريح بذلك بلسانه او باضمار ذلك بقلبه واخلاص النية في التبري

من نسبة ذلك لنفسه حتى لايكون تحكما بالنفس فى مخلوق مثله وغالب من يامر بالمعروف
وينهى عن المنكر فى زماننا هذا تاخذ نفوسهم امر الله تعالى ونهيه لعباده وتحتال
به على التحكم فى نفوس المكلفين وتمشية اغراضها فيهم من حب الرياسة واستماع القول
وان لايرد احد عليهم كلامهم فيظهر امرهم ونهيهم فى صورة توبيخ للناس وتعنيف وتعيير
لاهل المعاصى والمخالفات فيقبح امتثاله فى قلوب اهل المعاصى ويرضون بالبقا
على معاصيهم والاصرار عليها ولا يرضون لانفسهم بالاطاعة لهولا الامرين بالمعروف
والناهين عن المنكر لمقاصدهم الخبيثة ونياتهم القبيحة وهذا الحال ظاهر منهم عند
غالب الناس ولاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم والتكلم مع المامور والمنهى فى حالة
السر اى الخفية بحيث لايشعر به احد من الناس ولا اسر من ادماجه فى جملة الناس
وعدم تعيينه بعينه كما كان يفعل صلى الله عليه وسلم فى قوله ما بال اقوام يقولون
كذا وكذا ولا يواجه احدا فى وجهه بشئ كما قدمناه ان امكن بان وجده مع قوم فخاطبهم
وهو من جملتهم وتعلم مصدر تعلم زيد المسلة صار عالما بها الشرايع اى الاحكام
الشرعية منه بان نساله عن حكم الله تعالى فى مسلة هو تاركها تريد امره بها بالمعروف
او فاعلها تريد نهيه بها عن المنكر بحيث لايشعر بك احد كما اذا اردت ان تنهاه عن الزنا
مثلا وانت متحقق وقوعه فيه فتساله عن حكم الله تعالى فى الزانى وتتعلم منه ذلك واما
اذا غضب مع العلم بمعصيته وقدرته كما انت عليه ونهيته على الصفة المذكورة
فمن الريا الذى هو متصف به كان غضبه او من الكبر او من العجب وعلاجه هو علاج الريا
والكبر والعجب على ما تقدم بيانه ومنه اى من اشد بواعث اى اسباب الغضب والتهور الظن
وهو خلاف اليقين الخطا اى الذى هو ليس بصواب فى حال احد من الناس راه يكلم
امراة او غلاما فظنه فى خيانة وسو وفاحشة او راه يمشى مع سارق او ظالم فظنه
كذلك فتحرك غضبه وهاج تهوره بما راى وكذلك عدم فهم مراد المتكلم من معنى كلامه
كمن سمع غيره يقول ففهم منه معنى فاسدا وغرضا باطلا او راى عبارة فى كتاب من كتب
الايمة ففهم منها سوا وضلالا ومن ذلك ما يقع من كثير من علما العلم الظاهر الذين
لايعرفون من العلم الباطن ولاذرة المغرورين بالحياة الدنيا وزينتها فانهم اذا نظروا
فى كتب المحققين من اهل المعرفة بالله تعالى فهموا من كلامهم الكفر والضلال
فطعنوا فيهم وكفروهم ولم يسلموا للقوم العارفين علومهم التى جهلها هولا الرعاع
القاصرون كما وقع من المنكرين على ابن العربى وابن الفارض وابن سبعين

مطلب ما ال شارح الى الفاظ ابن عربى

والعفيف

مطلب متعلق بالعلم الباطن والظاهر

والعفيف التلمسانى والجيلى والجلال الرومى وامثالهم فان من انكر عليهم فقد
انكر العلم الباطن ومن انكر العلم الباطن فقد انكر اسرار الشريعة المحمدية
فهو مبتدع ضال وانما هو مومن بحسب ظاهر الشريعة كايمان الفاسق
وقد ذكر الاسيوطى فى الجامع الصغير برمز ابن ابى شيبة والحكيم عن الحسن
مرسلا وبرمز الخطيب فى تاريخه عن جابر رضى الله عنه قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم العلم علمان فعلم فى القلب فذلك العلم النافع وعلم على اللسان فذلك
حجة الله على ابن ادم وذكر الاسيوطى ايضا برمز الديلمى من مسند الفردوس عن
على رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم علم الباطن سر
من اسرار الله تعالى وحكم من حكم الله يقذفه فى قلوب من يشا من عباده وذكر
الشيخ المناوى رحمه الله تعالى فى شرحه الجامع الصغير عن الامام مالك رضى الله
عنه انه قال علم الباطن لا يعرفه الا من عرف الظاهر فمتى علم علم الظاهر وعمل
به فتح الله عليه علم الباطن ولا يكون ذلك الا مع فتح قلبه وتنويره وقال ايضا
ليس العلم بكثرة الرواية انما العلم نور يقذفه الله فى القلب يشير الى علم الباطن
وقال التونسى اجتمع العارف على وفا قدس الله سره والامام البلقينى رحمه
الله تعالى فتكلم على معه بعلوم بهرت عقله فقال البلقينى من اين لك هذا
يا على قال من قوله تعالى واتقوا الله ويعلمكم الله وقال ابو طالب المكى رحمه الله تعالى
علم الباطن وعلم الظاهر اصلان لا يستغنى احدهما عن صاحبه بمنزلة الاسلام
والايمان مرتبط كل منهما بالاخر كالجسم والقلب لا ينفك احدهما عن صاحبه
وقيل علم الباطن يخرج من القلب وعلم الظاهر يخرج من اللسان فلا يجاوز الاذان
وهذا لا ينصرف اليه اسم العلما الذين هم ورثة الانبيا اذ هم العلما العاملون الابرار
المتقون الذين ال اليهم العلم الموروث بالصفة التى كان عليها عند المورث لا من علمه
حجة عليه وقد منعه سو حالا دية من خبث نيته وسو طويته واتباع شهوته
ان يلج نور العلم قلبه ويخالط لبه فاورده النار وبيس الورد المورود وذكر
المناوى ايضا عن الغزالى رحمه الله تعالى انه قال علم الاخرة قسمان علم مكاشفة
وعلم معاملة وعلم المكاشفة هو علم الباطن وذلك غاية العلوم وقد قال بعض
العارفين من لم يكن له نصيب منه يخاف عليه سوء الخاتمة وادنى النصيب منه
التصديق به وتسليمه لاهله وقال بعضهم من كان فيه خصلتان لم يفتح عليه منه شئ

بدعة اوكبر ومن كان محبا للدنيا مصرا على الهوى لم يتحقق به وقد
يتحقق بساير العلوم وهو عبارة عن نور يظهر فى القلب عند تطهيره
من الصفات المذمومة وهذا هو العلم الخفى الذى اراده المصطفى صلى
الله عليه وسلم بقوله ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه الا اهل المعرفة
بالله انتهى كلامه وربما يتوهم احد من علما الظاهر المحجوبين القاصرين
بان قول الامام مالك رضى الله عنه ان علم الباطن لا يعرفه الا من عرف
علم الظاهر فيظن ان مراده بعلم الظاهر ما هم عليه اليوم علما الظاهر من
تعلم القيل والقال بلا عمل ولا ارادة عمل فيتوغلون فى الاطلاع على فروع
ومسايل نادرة الوقوع ولو وقعت لوجد لها من يعلمها ويستخرجها
من موضعها ويجيب عنها فيجعلون علمهم الذى هم الان يتصيدون به
حطام الدنيا من ايدى الظلمة وغيرهم شرطا فى معرفة العلم الباطن وهذا
زعم باطل انما مراد الامام مالك رضى الله عنه ما يعرف من احوال اهل
زمانه ان الرجل يجب عليه ان يتعلم مقدار ما هو بصدده من العمل المفروض
والمسنون لاقامة احوال دينه لا المقدار الزايد على ذلك وهذا القدر من علم
الظاهر معلوم فى هذا الزمان لغالب العوام حصل لهم بالسماع من المدرسين
والوعاظ وغيرهم من العلما ولو لم يحصل لهم لامكن تحصيله فى زمان يسير وربما
يحسن علما السوء على الناس وينسبوهم الى الجهل به واوجبوا عليهم دوام
التعلم منهم تحقيرا للمسلمين واذلالا لجماعة المومنين يتحكموا فى احوالهم ويا تمروا
على امورهم ويرفعوا انفسهم عليهم والله يعلم المفسد من المصلح فعلى المتكلم اى
الواجب عليه التبيين اى الاظهار والايضاح لمراده والتفسير لمعانى
كلامه وان لا يترك من جهده شيا فى ذلك التقريب فاذا فهم بعد ذلك كله احد
السوء والباطل من كلامه فلا لوم عليه ان اللوم على الفاهم القاصر الذى يدخل
فيما لا يعرف ولا يعترف بالقصور كعلما الظاهر القاصرين مع علما الباطن العارفين
فانهم طعنوا فيما لا يعرفون وانكروا ما هم عنه قاصرون وكل من ادعى منهم
معرفة العلم الباطن كان اخذه ذلك عن قاصر اخر مثله او عن مطالعة كتب القوم
بلا فتح ربانى ولا نور رحمانى فيظنوهم بقصوره انه زاحم الصالحين فى علومهم الماخوذة
بطريق الفتح واليقين وهواجس عقله فى فهم كلامهم كما هو كذلك فى فهم كلام الله ورسوله

على تقدير الاظهار والايضاح و[الاظهار] اما على تقدير عدم التبيين وصاحب العبارة فاللوم على المتكلم وصاحب الدرك من كتب الائمة كفصوص ... المخالفة للشرع الملحق بالكلمات ... عمر العمر الخرتى المطهر

ومن

ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور ويجب على المكلف ايضا الاحتراز عن
وقوع الاجمال فى كلامه الا ان خاطب بذلك من يعرف اصطلاحه فى مرامه او كان قبل
اجماله تفصيل او بعده كما هو واقع فى كتب المحققين من اهل المعارف واليقين
ويجب عليه ايضا احتمال الاذى ممن تعرض له من جهله به فطعن فيه وقذفه
واحتقره ما لم يسع فى ابطال طريقه الحق ويحاول صرف القلوب المنتفعة به عنه
فانه لا حرمة له عنده حينيذ لانه قاطع طريق والواجب على السامع لذلك الكلام
الذى لم يفهمه التثبت اى التانى فى عدم التخطية له من اول وهلة والتامل للكلام
واساة ظنه بنفسه وحسن الظن بالمومنين خصوصا العارفين منهم الكاملين ولا
يعتقد انهم كافرون بمجرد فهمه الكفر من كلامهم ويؤول الكلام ما استطاع ويكثر
سواد المسلمين بادخال الناس فى الاسلام ويقلل سواد الكافرين ولا يسمح بمن ظاهره
الاسلام ان يعطيه الكفار بمجرد فهمه الخطا من كلامه وان اشتبه عليه الامر ولم يقدر
على فهم الحق والصواب فالاستفسار من صاحب الكلام ان كان حيا وان مات فمن علماء
طريقه الموجودين او من احد اتباعه او ممن يفهم كلامه لا العجلة فانها من الشيطان
كما ذكر الخرايطى فى مكارم الاخلاق عن سعد بن سنان عن انس بن مالك رضى الله عنه عن
النبى صلى الله عليه وسلم قال التانى من الله والعجلة من الشيطان وفى رواية يونس عن الحسن
ان نبى الله صلى الله عليه وسلم قال ان التبيين من الله والعجلة من الشيطان فتبينوا
ولا سوء الظن باهل الاسلام فانه حرمان من كل خير فى الدنيا والاخرة ومنه اى من اشد
بواعث الغضب والتهور الفعل الضار بالانسان او بماله الصادر من الغير خطا كمن
يرمى الى صيد فى مكان فيقع على انسان او ماله كدابته او عبده او جمله او ثوبه او نحو ذلك
او على احد اقاربه او اصحابه او مالهم فيتلف ذلك الشىء الذى اصابه السهم فعليه اى على الرامى
التثبت اى التانى فى وقت الرمى مرة اخرى حتى يعتاد الاصابة وعدم الخطا وعليه
الاحتياط اى ترك الرمى الى جهة يحتمل فيها اصابة احد فى رمى اخر والواجب على المجنى
عليه وهو الذى اتلف الرمى عضوه او ماله او لاحد اقاربه او اصحابه العفو اى المسامحة
وترك الغضب والتهور وان لم يقدر على ذلك لشحه على الخير فى نفسه فالتضمين اى اخذ
ضمان ما اتلفه الرمى من الرامى على وفق اى موافقة الشرع المحمدى من غير جور ولا
تعد لا التهور لانه مذموم ومنه اى من اشد البواعث على الغضب والتهور حب الدنيا اى
الاموال والتصرف بها فى شهوات النفوس واغراضها والحرص عليها اى الدنيا فان الرجل قد

يسال اى يطلب من رجل اخر غنى شيا من الدنيا فلا يعطيه ذلك المسول حاجته
فيغضبان اى السايل والمسول من اجل حب الدنيا والحرص عليها منهما وسيجي علاجه
اى علاج حب الدنيا فى موضعه من هذا الكتاب ان شا الله تعالى فان كان غضبه
اى السايل بمجرد رد كلامه وعدم اجابته الى مرامه فمن التكبر او العجب الحاصل
فى نفسه وعلاجه علاجهما كمن يغضب على احد عند رد شفاعته فى امر مباح
او حرام فان غضبه يكون من التكبر او العجب وسبق علاجهما ومنه اى من
اشد البواعث على الغضب والتهور الغدر وهو نقض العهد والميثاق الذى اخذه
احدهما على صاحبه بلا ايذان اى اعلام او من احدهما بذلك وهو اى الغدر الحادى
والعشرون من الاخلاق السيئة المذمومة التى هى افات اى مفاسد القلب
م يعنى روى مسلم باسناده عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لكل غادر لوا وهو العلم دون الراية والجمع الوية كذا فى المصباح
وانما كان له لوا لاظهار غدره بين اهل الموقف وفضيحته وزيادة تعذيبه
عند استه والاست العجز ويراد به حلقة الدبر تحتمل ان يكون ذلك اللوا ممسوكا
له من عند دبره بيد ملك من ملايكة الله تعالى او هو يمسكه بيده الملوية اشتمل الى
ذلك الموضع اشارة الى ادباره وتنكيس حاله وقبيح امره يرفع بالبنا للمفعول
اى ذلك اللوا باذن الله تعالى له اى للغادر بقدر غدره وفايدة الرفع كثرة الفضيحة
له بين الخلايق فمن عظم غدره رفع لواوه اكثر فكثرت فضيحته ومن كان غدره
ادنى من ذلك رفع لواوه اقل فقلت فضيحته فان الشى كلما ارتفع راته الناس اكثر
ومما يدل على انه هو الذى يحمل لوا غدره يوم القيمة ما ذكره الخرايطى فى مكارم الاخلاق
باسناده عن رفاعة عن عمرو بن الحمق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من امنه رجل
على دمه فقتله فانه يحمل لوا غدره يوم القيمة وهو اى الغدر حرام وضده اى
ضد الغدر واجب على المكلف وهو اى ضده حفظ العهد والميثاق وعند
الحاجة الى نقضه اى ابطاله وجب ايذانه اى اعلامه بذلك ومن حفظ العهود
الواجبة حفظ عهود المشايخ لمن عاهد شيخا فى سلوك طريق الله تعالى فالواجب
عليه المحافظة على عهده وفى شرح الجامع الصغير للمناوى قال وهل للمريد ان يجالس
غير شيخه فيه خلاف قال بعضهم اذا ظهر للمريد ان الشيخ الاخر ممن يقتدى به فله ذلك
وقال الاخرون لا كما لا يكون المكلف بين رسولين مختلفى الشرايع والمراة بين زوجين

وهذا

وهذا اذا كان مريد تربية فان كان مريد صحبة البركة فلا مانع من الجمع لانه ليس تحت
حكمهم لكن لا يجى منه رجل فى الطريق وقال بعض الصوفية ينبغى لمن يخدم كبيرا كاملا
ثم فقده ان لا يصحب الا من هو اكمل منه والا جعل صحبته مع الله انتهى كلامه وهذا
كله من المحافظة على عهود المشايخ ولا يجوز نقضها بتحويلها للشيخ او لمن ينتسب اليه
او تحريك خاطر الشيخ بسوحيا كان او ميتا فانه غدر والغدر حرام كما ذكر ومنه
اى من اشد بواعث الغضب والتهور الخيانة فى الدين والدنيا وهو اى فعل الخيانة
الخلق الثانى والعشرون من الاخلاق السيئة المذمومة وهو اى فعل الخيانة
ايضا حرام مثل الغدر المذكور وضده اى ضد فعل الخيانة وهو الامانة وهو واجب
على المكلف حد ز طط حب يعنى روى الامام احمد بن حنبل والبزار والطبرانى
فى الاوسط وابن حبان باسنادهم عن انس رضى الله عنه انه قال قلما فعل ماض
وما كافة له عن طلب الفاعل فلا فاعل له ولم تكف ما من الافعال عن عمل الرفع
الا ثلاثة قل وطال وكثر نحو قل ما يسمح زيد وطال ما صحبتك وكثر ما قلت كذا
خطبنا اى كلمنا بما يسمى خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم الا قال فى خطبته لا
ايمان اى تصديق بالله وبكتبه ورسله واليوم الاخر وتقدير الخير والشر منه
لمن لا امانة له وهى مصدر امن بالكسر امانة فهو امين يقال امن زيد الاسد
امنا وامن منه مثل سلم وزنا ومعنى والاصل ان يستعمل فى سكون القلب ذكره
فى المصباح والمعنى ان من لا امانة له عند الله تعالى بان خالف امره ونهيه وعند
وعند الناس بحيث لا تامن الناس من شره لا ايمان له بما ذكر فى حقيقة الامر وان
حكم له بالايمان فى الظاهر كايمان المنافق جريا على قضية الحكم الشرعى وفى كتاب
مكارم الاخلاق للخرايطى عن زادان عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال
القتل فى سبيل الله كفارة كل ذنب الا الامانة وان الامانة الصلاة والزكاة والغسل
من الجنابة والكيل والميزان والحديث واعظم من ذلك الودايع وعن زادان ايضا
عن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان القتل فى سبيل الله
يكفر الذنوب كلها او قال يكفر كل شى الا الامانة قال يوتى بصاحب الامانة فيقال
له اد امانتك فيقول اى رب وقد ذهبت الدنيا فيقال اذهبوا به الى الهاوية فيذهب
به اليها فيهوى فيها حتى ينتهى الى قعرها فيجدها كهيئتها فياخذها فيحملها على
عاتقه ثم يصعد بها فى نار جهنم حتى اذا راى انه قد خرج زلت بها يهوى وهو فى اثرها

ابد الابدين والامانة في الصلاة والامانة في الوضوء والامانة في الحديث واشد
ذلك الودايع وعن ايوب عن هشام ان عمر رضي الله عنه قال لا تغرني صلاة امرء ولا صومه
من شاء صام ومن شاء صلى لا دين لمن لا امانة له وعن ابي صالح عن ابي هريرة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المومن من ايتمنه الناس على دمايهم واموالهم
وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال اول ما تفقدون من دينكم الامانة
واخر ما تفقدون الصلاة وسيصلي قوم لا دين لهم وعن عمر رضي الله عنه قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من ايتمنه رجل على دمه فقتله فانا منه بريء
وان كان المقتول كافرا ولا دين لمن لا عهد له اي لا يحفظ العهد لمن عاهده فان
الوفا بالعهد من اوثق عرى الاسلام وقد روى الخرايطي في مكارم الاخلاق باسناده
عن ميمون بن مهران قال ثلاث تودى الى البر والفاجر الرحم تصلها برة كانت او
فاجرة والعهد تفي به للبر والفاجر والامانة تودها الى البر والفاجر وتجري
الامانة والخيانة في القول ايضا فقد يحفظ الامانة في قوله وقد يخون فيه كما
يجري ذلك في الفعل د يعني روى ابو داود باسناده عن ابي هريرة رضي الله عنه
انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المستشار اسم مفعول من استشرته
في كذا وشاورته راجعته لارى رايه فيه فاشار على بكذا اراني ما عنده فيه من
المصلحة وكانت اشارة حسنة والاسم المشورة فيها لغتان سكون الشين
وفتح الواو والثانية ضم الشين وسكون الواو وزان معونة يقال هي من شار
الدابة اذا عرضه في المشوار ويقال من شرت العسل تشبيه حسن النصيحة
بشرب العسل كذا في المصباح موتمن اي قوامنه من استشاره على نصيحته
فالواجب عليه اداء الامانة بلا خيانة وبذل النصيحة ومن افتى بالبناء للمفعول
اي افتاه احد من الناس في واقعة له استفتاه عنها فافتاه من استنباط
العقل بالقياسات العادية بغير علم شرعي من الكتاب والسنة واجماع الامة
والقياس المستنبط من واحد منها للمجتهد كان اثمه حيث اخطا في عمله على
من افتاه بلا علم لا عليه هو اذا لم يقصر في الاستفتاء من العلماء وما اكثر الجهلة
الذين يفتون بغير علم في زماننا هذا وقد اخبر المعصوم صلى الله عليه وسلم عن هذا
بما رواه الخرايطي في مكارم الاخلاق باسناده عن سعيد بن ابي سعيد المقبري عن
ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سياتي على الناس زمان

يكذب

يكذب فيه الصادق ويصدق فيه الكاذب ويخون فيه الامين ويوتمن فيه الخاين
وتنطق فيه الرويبضة قالوا وما الرويبضة قال السفلة من الناس او السفيه
من الناس يتكلم في امر العامة ومن اشار على اخيه المسلم بامر من امور الدنيا او الاخرة
يعلم ذلك الذي اشار ان الرشد اي الصلاح في غيره اي غير ذلك الامر الذي اشار به فقد
خانه اي خان اخاه في المشورة ولم ينصحه ومنه اي من اشد بواعث الغضب والتهور
ايضا خلف بالضم اسم من اخلف الرجل وعده بالالف وهو مختص بالاستقبال
كذا في المصباح الوعد وعده وعدا يستعمل في الخير والشر يعدى بنفسه وبالباء
فيقال وعده الخير وبالخير وشرا وبالشر وقد اسقطوا لفظ الخير والشر
وقالوا في الخير وعده وعدا وعدة وفي الشر وعده وعيدا فالمصدر فارقا واوعده
خيرا وشرا بالالف ايضا وقد ادخلوا الباء مع الالف في الشر خاصة كذا في المصباح
وهو الخلق الثالث والعشرون من الاخلاق الستين المذمومة وضده اي ضد
خلف الوعد انجاز مصدر انجزته اذا عجلت له يعدى بالهمزة وبالحرف
ايضا فيقال نجزت به ومصدر نجز نجزا من باب قتل عجل والنجز مثل قفل اسم
منه كذا في المصباح الوعد والوفا به اي بالوعد قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لم
اصلها ما بالالف للاستفهام ولما دخل عليها حرف الجر حذفت الفها قال الاسيوطي
في كتابه الاتقان هي في ما الاستفهامية وتجب حذف الفها اذا جرت وابقاء الفتحة
دليلا عليها فرقا بينها وبين الموصولة نحو عم يتساءلون فيم انت من ذكراها لم تقولون
ما لا تفعلون بم يرجع المرسلون تقولون بالسنتكم ما اي الذي لا تفعلون اي
لا تفعلونه وهذا وارد في كل قول يخالف العمل من وعد بالخير قاله بلسانه ولم يف
به ومن علم شرعي قرره بلسانه ولم يعمل بمقتضاه ومن نصيحة ذكرها لغيره وخالفها هو
ونحو ذلك كبر مقتا اي من جهة المقت يقال مقته مقتا من باب قتل ابغضه
اشد البغض عن امر قبيح كذا في المصباح عند الله ان تقولوا يعني قولكم وهو فاعل
كبر ما اي الحد الذي لا تفعلون اي لا تفعلونه وفي المصباح والخلف في الوعد عند العرب
كذب وفي الوعيد كرم قال الشاعر

وانى وان اوعدته او وعدته ، لمخلف ايعادي ومنجز موعدي

ولخفاء الفرق في مواضع من كلام العرب انتحل اهل البدع مذاهب لجهلهم باللغة العربية
وقد نقل ان ابا عمرو بن العلاء قال لعمرو بن عبيد وهو طاغية المعتزلة لما انتحل القول

بوجوب الوعيد قياسا على الجهمية من العجمة انبئت ابا عثمان ان الوعد غير الوعيد
ويمكن الفرق بان الوعد حاصل عن كرم وهو لا يتغاير فناسب ان لا يتغير ما حصل
عنه وفرق بعضهم فقال الوعد حق العباد على الله تعالى ومن اولى بالوفا من الله
والوعيد حق الله تعالى فان عفا فقد اولى الكرم وان واخذ فبالذنب ثم يعنى
روى مسلم باسناده عن ابي هريرة رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اية اى علامة المنافق قال ابن الانبارى فى تسمية المنافق منافقا
ثلاثة اقوال احدها انه سمى بذلك لانه يستر كفره فاشبه الداخل فى النفق وهو
السرب وثانيها انه شبه باليربوع الذى له جحر يقال له القاصعا واخر يقال له
النافقا فاذا اخذ عليه من احدهما خرج من الاخر وكذلك المنافق يخرج من الايمان
من غير الوجه الذى يدخل فيه وثالثها انه شبه باليربوع من جهة ان اليربوع
يخرق فى الارض حتى اذا قارب ظاهرها ارق التراب فاذا ارابه ريب رفع التراب
براسه فخرج فظاهر جحره تراب وباطنه حفر وكذلك المنافق ظاهره الايمان
وباطنه الكفر ذكره القرطبى فى المفهم ثلاث اى من الخصال المذمومة وان صام ذلك المنافق
وصلى فرضا او نفلا وزعم بلسانه او قلبه انه مسلم قال القرطبى فى المفهم وظاهر
هذا الحديث ان من كانت هذه الخصال الثلاث فيه خرج عن الايمان وصار فى النفاق
الذى هو الكفر الذى قال فيه مالك رضى الله عنه النفاق الذى كان على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم هو الزندقة عندنا اليوم وليس الامر على مقتضى هذا الظاهر
وذكر الوجه فيه قيل هذا فى حديث لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مومن ونحوه
فقال وقد اختلف العلما فى ذلك فقال حبر القران عبد الله بن عباس رضى الله
عنهما ان ذلك محمول على المستحل لتلك الكباير وقيل معنى ذلك ان مرتكب تلك
الكباير يسلب عنه اسم الايمان الكامل او النافع الذى يفعل صاحبه الانزجار
عن هذه الكباير وقال الحسن يسلب عنه اسم المدح الذى به يسمى اوليا الله المومنون
ويستحق اسم الذم الذى يسمى به المنافقون والفاسقون وفى البخارى عن ابن عباس
رضى الله عنهما ينزع عنه نور الايمان وروى فى ذلك حديثا مرفوعا فقال من زنى نزع
الله نور الايمان من قلبه فان شاء ان يرده اليه رده وكل هذه التاويلات حسنة
والحديث قابل لها وتاويل ابن عباس هذا احسنها ثم قال ولما استحال حمل هذا
الحديث على ظاهره على مذهب اهل السنة اختلف العلما فيه على اقوال احدها ان

هذا

هذا النفاق هو نفاق العمل الذى سال عمر حذيفة رضى الله عنهما لما قال له هل تعلم فى
شيا من النفاق اى من صفات المنافقين الفعلية ووجه هذا ان من كانت فيه هذه
الخصال المذكورة كان ساترا لها ومظهر النقايضها فصدق عليه اسم منافق وثانيها
انه محمول على من غلبت هذه الخصال عليه واتخذها عادة ولم يبال بها تهاونا واستخفافا
بامرها فاين من كان هكذا كان فاسد الاعتقاد غالبا فيكون منافقا خالصا وثالثها
ان تلك الخصال كانت علامة المنافقين فى زمانه فان اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم
كانوا مجتنبين لتلك الخصال بحيث لا تقع منهم ولا تعرف فيما بينهم وبهذا قال
ابن عباس وابن عمر رضى الله عنهم وروى عنهما فى ذلك حديث وهو انهما اتيا النبى صلى
الله عليه وسلم فسالاه عن هذا الحديث فضحك النبى صلى الله عليه وسلم فقال ما لكم
ولهن انما خصصت بهن المنافقين انتم من ذلك برءاء الخصلة الاولى انه
اذا حدث احدا بحديث فى الدين او الدنيا كذب فى حديثه والخصلة الثانية انه اذا
وعد احدا من الناس بوعد فى خير نوى ان يخلف ثم اخلف فى وعده واما خلف الوعيد
فى الشر فهو من الكرم واذا لم ينو الاخلا فحين وعد فهو جايز كما ياتى والخصلة
الثالثة انه اذا اوتمن بالبنا للمفعول اى ايتمنه احد من الناس على نفسه او ماله
او اهله او ايتمنه الله تعالى على علم او عمل او مال او عاقبة او رفعة قدر ونحو ذلك
خان فى الامانة فلم يحفظها لصاحبها خ م يعنى روى البخارى ومسلم باسنادهما
عن ابن عمرو بن العاصى رضى الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اربع يعنى من الخصال الذميمة من كن فيه من الناس كان منافقا خالصا اى محضا
لا شايبة اخلاص فيه عنده ومن كانت فيه خصلة واحدة منها اى من الخصال الاربعة
كان فيه خصلة واحدة من النفاق لا انه منافق محض حتى يدعها اى تلك الخصلة فيرجع
الى اخلاصه وبراءته من النفاق وقال القرطبى فى المفهم وكونه صلى الله عليه وسلم ذكر فى حديث
ابى هريرة ان علامة المنافق ثلاث وفى حديث ابن عمرو انها اربع يحتمل ان يكون ذلك لانه
صلى الله عليه وسلم استجد من العلم بخصال المنافقين ما لم يكن عنده فاما بالوحى واما
بالمشاهدة لتلك منهم وعلى مجموع الروايتين تكون خصالهم خمسة الكذب والغدرة
والاخلاف والخيانة والفجور فى الخصومة ولا شك فى ان للمنافقين خصالا اخر مذمومة
كما قد وصفهم الله تعالى حيث قال واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراون الناس
ولا يذكرون الله الا قليلا فيحتمل ان يقال انما خصت تلك الخصال الخمس بالذكر لانها اظهر عليهم

من غيرها عند مخالطتهم للمسلمين اولا نها هي التي يضرون بها المسلمين ويقصدون بها
مفسدتهم دون غيرها من صفاتهم الخصلة الاولى انه اذا ائتمن على شئ خان فيه والثانية
انه اذا حدث كذب في حديثه والثالثة انه اذا عاهد احدا بعهد غدر في عهده فلم يوفه
والرابعة انه اذا خاصم غيره فجر اي مال عن الحق واحتال في رده وابطاله قال الهروي
اصل الفجور الميل عن القصد ذكره القرطبي في المفهم فالوعد لاحد في امر من الامور بنية
الوفا اي الخلف فيه كذب عمد حرام الا في الثلاث التي يجوز فيها الكذب كما سياتي بيانه
ان شا الله تعالى في افات اللسان فان خلف الوعد فيها عمدا كذب جايز واما الوعد بنية
الوفا به فجايز اي مباح ثم انه اي الوفا بالوعد لا يجب عند اكثر العلما بل يستحب فيكون
خلفه مكروها تنزيها لا تحريما لان فيه ترك مستحب وفي عمدة القاري شرح البخاري للعيني
الحنفي رحمه الله تعالى وقال العلما يستحب الوفا بالوعد بالهبة وغيرها استحبابا
موكدا ويكره اخلافه كراهة تنزيه لا تحريم ويستحب ان يعقب الوعد بالمشية
ليخرج عن صورة الكذب ويستحب اخلاف الوعيد اذا كان المتوعد به لا يترتب على
تركه مفسدة بدليل قوله صلى الله عليه وسلم اذا وعد الرجل لغيره بوعد ونوى اي قصد
في حالة الوعد ان يفي بوعده فلم يف به لتعذر ذلك عليه او تعسره اولم تسمح به نفسه
فلا جناح عليه في ذلك وفي رواية اخرى فلا اثم عليه وانما الاثم اذا نوى ان يخلف
حين وعد كما ذكرناه في المنافق رواه اي هذا الحديث د ت يعني ابا داود والترمذي
باسنادهما عن زيد بن ارقم وعن الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه ومن تبعه من الايمة
الوفا بالوعد واجب على المكلف والخلف حرام مطلقا اي سوا كان في امر الدنيا والدين
نوى الخلف اولم ينو ففيه اي خلف الوعد شبهة الخلاف بين الايمة وفيه ايضا
اية اي علامة النفاق كما مر وشان اي عادة العبد السالك في طريق الله تعالى بالاحتياط
والورع الاجتناب من الخلاف اي الاحتراز منه ان يقع في منهي عنه عند القايل به ولو
غير مذهبه والاخذ بالوفاق اي الامر المتفق عليه بين الايمة ومنه اي من اشد
بواعث الغضب والتهور التكلم وعرض بالعين المهملة اي اظهار وابراز الحاجة لمشغول
اي لانسان مشغول بمهم اي امر يهمه اولانسان مهموم اي في هم او مغموم
في غم او محزون في حزن فلم يلتفت الى تلك الحاجة فيغضب صاحبها بسبب ذلك حيث
كانت ضرورية له ومنه اي من اشد بواعث الغضب والتهور ما صدر اي صار ووقع
من صبي صغير لا يعقل او من مجنون او معتوه او حيوان له او لغيره مما اي من الشئ

الذي يتاذى اي يتضرر به كبكا كثير من الصبي الصغير وشتم من المجنون والمعتوه
وعثار من الحيوان كالفرس ونحوه قال في المصباح عثر الرجل في ثوبه يعثر والدابة
ايضا من باب قتل وفي لغة من باب ضرب عثارا بالكسر وفي ق في مختصر العين
بالمصدر فقال عثر الرجل عثورا وعثر الفرس عثارا فيغضب من يوجد بحضرته
شئ من ذلك وربما يشتم الصبي او امه او اباه والمجنون والمعتوه والحيوان او
صاحبه ويلعن هولاء وربما يضرب من ذكر وهذا من اقبح انواع الغضب
والتهور ومنشاوه اي سبب ظهوره في الانسان خبث الطبع ورداة النفس
ولقد ورد في الحديث عن انس رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اني لادخل في الصلاة وانا اريد ان اطيلها فاسمع بكا الصبي فاتجوز في
صلاتي مما اعلم من شدة وجد امه ببكايه اخرجه الامام احمد في مسنده والبخاري
ومسلم في صحيحيهما وابن ماجة ذكره السيوطي في الجامع الصغير وقال المناوي
في شرحه مع علمه صلى الله عليه وسلم بان بكا الطفل وصراخه ينفعه كما قال ابن القيم
نفعا عظيما فانه يروض اعضاه ويوسع امعاه ويفسح صدره ويسخن دماغه
ويحمي مزاجه ويثير حرارته الغريزية ويحرك طبيعته لدفع ما فيها من الفضول
ويدفع فضلات الدماغ الى غير ذلك مما هو معروف مشهور انتهى كلامه واذا كان
النبي صلى الله عليه وسلم لا يغضب بذلك وان ترتب عليه ايجاز صلاته وشغل قلب
امه عنها فكيف يليق بغيره ان يغضب منه او من امثاله من افعال غير المكلف
ولهذا كان منشاوه خباثة الطبيعة ومنشا ضده في اهل الكمال طهارة
الطبيعة وسلامة السيرة والسريرة واقبح من هذا الغضب غضب من يغضب
على جماد كحجر ونحوه بسقوطه عليه وعدم قراره اي الجماد كطين ونحوه وضعه على جدار
فلم يستقر او عدم انقطاعه اي الجماد غليظ قطعه بسكين فلم ينقطع او عدم
انكساره في شئ اراد كسره او نحوه مثلا شيا فيغضب على ذلك الجماد ويشتمه بل
ربما يضرب به على الارض او بشئ ويتلفه مع علمه بانه لا حياة له ولا شعور عنده
ولا تاذي اي تضرر له وفي المثل اندم من الكسعي قال الميداني في جامع الامثال
هو رجل من كسعة واسمه محارب بن قيس ومن حديثه انه كان يرعى ابلا له بواد
معشب فبينا هو كذلك اذ ابصر نبعة في صخرة فاعجبته فقال ينبغي ان يكون
هذا قوسا فجعل يتعهدها ويرقبها حتى اذا ادركت قطعها وجففها فلما جفت

قد منها قوسا ثم دهنها وخطمها بوتر ثم عمد الى ما كان من براتها فجعل منه
خمسة اسهم ثم خرج حتى اتى قترة على موارد حمر فكمن فيها فمر قطيع
فرمى عيرا منها فامخطه السهم انفذه فيه واجازه واصاب الجبل فاورى
نارا فظن انه اخطاه ثم مكث على حاله فمر قطيع اخر فرمى عيرا منها فامخط
السهم وصنع صنع الاول ثم مكث على حاله فمر قطيع اخر فرمى عيرا فامخطه
السهم وصنع صنع الثانى ثم مكث مكانه فمر به قطيع اخر فرمى عيرا منها
فصنع صنع الثالث ثم مر به قطيع اخر فرمى عيرا منها فصنع صنع الرابع
فانشا يقول

ابعد خمس قد حفظت عدها	احمل قوسى واريد ردها
اخزى الاله لينها وشدها	والله لا تسلم عندى بعدها
ولا ارجى ماحييت رفدها	

ثم عمد الى قوسه فضرب به حجرا فكسرها ثم بات فلما اصبح نظر فاذا الحمر
مطروحة حوله مصرعة واسهمه بالدم مضرجة فندم على كسر القوس
فشد على ابهامه فقطعها و اقبح منه من يغضب على فعل نفسه كالعثار
فى المشى وعدم احسان اى اتقان شىء يصنعه بيده فيسب نفسه على ذلك
ويلعنه ويضربه بيده او بعصا ونحو ذلك وربما اوصله الغضب الى ان يقتل
نفسه او يلقيها من شاهق وهو حرام بخلاف من يغضب على نفسه لعصيانه
لله تعالى اى لاجل عصيانه له به او لاجل كسله فى طاعة الله تعالى و لاجل تركه
بعض النوافل فيحمل عليها اى على نفسه امورا من طاعة الله تعالى شاقة اى
متعبة له وربما يحلف على ان تفعل نفسه تلك الامور الشاقة والنوافل
الكثيرة او ينذر على نفسه ان فعلت معصية كذا ان يصوم عشرة ايام ونحو
ذلك او يتصدق او يصلى وقد راينا من يفعل ذلك من اخواننا المومنين
وهذا الغضب حسن وهو غيرة بالفتح اى حمية دينية يثاب عليها
واقبح من هذا الغضب المذكور كله من يغضب على الله تعالى فى اوامره له ونواهيه
القطعية او الظنية فيقول ليت الله تعالى لم يامر الخلق بالامر الفلانى ولم
ينههم عن الشىء الفلانى ونحو ذلك قال والدى رحمه الله تعالى فى كتابه الاحكام تمنى
ان لا يكون الخمر حراما او صوم رمضان فرضا لا يكفر ولو تمنى ان لا يكون الله تعالى

حرام

حرم قتل النفس بغير حق او الظلم يكفر وكذا اكل مالم يكن مباحا فى وقت من الاوقات
لانه تمنى ماليس بمستحيل فى الاول وتمنى ماهو مستحيل فى الثانى وتمنى ما كان حلالا
لا يلزم الكفر وتمنى ماليس بحلال يلزم الكفر وعلى هذا اذا تمنى حل المناكحة بين الاخ
والاخت لا يكفر كذا فى البزازية وغيرها لانه تمنى ماليس بمستحيل لان ذلك كان حلالا
فى الاول والحاصل ان ما كان حلالا فى زمان ثم صار حراما فتمنى ان لم يكن حراما
لا يكفر كذا فى الفصول وعن الشيخ الامام ابى بكر محمد بن الفضل لو قال ليت صوم رمضان
لم يكن فرضا ان قال ذلك من اجل انه لا يمكنه اداء حقوقه لا يكفر وفى الفصول انه الصواب
مع ذكره اختلاف المشايخ فى كفره او يغضب على الرسول عليه الصلاة والسلام
فى سننه التى سنها للامة وكثيرا ما يقع هذا الغضب بعد وقوع الغضب منه
على شىء من الاشيا المامور بها او المنهى عنها و بعد قول غيره من الناس له
هذا اى ما تتركه امر الله تعالى لك او هذا اى ما تفعله نهيه اى الله تعالى لك
او هذه سنة نبيه اى الله عليه اى على النبى الصلاة والسلام فلذا قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم كما مر فى الحديث السابق الغضب يفسد الايمان كما يفسد
الصبر العسل فنعوذ اى نلتجى ونحتمى بالله تعالى من شر انفسنا الموصلة
لنا الى مثل ذلك واما الغضب من العبد المومن عند روية المعاصى ورؤية المنكرات
المجمع على حرمتها الظاهرة التى لا تحتمل التاويلات فمحمود فى الشرع لانه غضب فى الله
تعالى وحمية اى نصرة للدين المحمدى ولكن بشرط الاعتدال فى الغضب وعدم
التهور فيه وعدم تجاوز الحد المشروع فى القول كالتصريح بذلك بين الناس وكشف
عورة العاصى وفضيحته وهتك ستره خصوصا بالتجسس عليه واساءة
الظن فى حقه قبل روية المنكر وتحققه منه على وهلة وشتمه وقذفه والطعن
فى نسبه او دينه كيا كافر ويا منافق ويا زانى ويا لوطى ويا سارق فان هذه
الامور كلها حرام على من راى المنكر وتحققه فى العصاة ان يقابلهم بها فيحمله
الغضب عليها فيكون تهورا مذموما بل يكتفى فى الغضب بنحو قوله للفاسق
الذى راه على المعصية المجمع على حرمتها ولم يمكنه تاويل ذلك لانكشافه له يا جاهل
ويا احمق ان احتيج اى احتاج ذلك الانسان الذى راى المعصية اليه اى الى ذلك
القول بان عاند العاصى ولم ينفك عن معصيته ولم يسترها عند الناس ولم يمكن
ازالتها وسترها قهرا عنه وان لم يحتج الى ذلك فلا يجوز ايضا و بشرط عدم تجاوز الحد

المشروع في الفعل ايضا كالضرب الشديد لمن راه على معصية ولم يفرغ منها والضرب
الجارح اى المودى الى الجراحة والضرب المتلف اى المودى الى الهلاك والتلف فانه
حرام بل يكتفى في ذلك بنحو الجذب باليد والتفريق بينه اى العاصى وبين المعصية
المجمع على حرمتها التى لا يمكن تاويلها المصر على بقايها واظهارها الا ان لا يمكن تفريقه
بدون الضرب فيقتصر على قدر الضرورة من الضرب وهذا المقدار المفرق بين
العاصى والمعصية وهذا كله في اهل الاحتساب على الناس كالحكام ونوابهم
ولكل احد في وقت روية المنكر المجمع على حرمته الذى لا يحتمل التاويل قال في كتاب
الحدود من البزازية نص ايمة خوارزم ان اقامة التعزير حال ارتكاب الفاحشة
يجوز لكل احد انتهى وعن ظهير الدين المرغينانى راى غيره على فاحشة موجبة
للتعزير فعزره بغير اذن المحتسب فللمحتسب ان يعزر المعزر ان عزره بعد
الفراغ منها اشارة الى انه لو عزره حال كونه مشغولا بها فله ذلك وانه حسن
لان ذلك نهى عن المنكر وكل احد ماموربه وبعد الفراغ ليس بنهى لان النهى عما مضى
لا يتصور فيتمحض تعزيرا وذلك الى الامام وكثير من المحتسبين جمع محتسب
من احتسبت عليه كذا اذا انكرته عليه قال ابن دريد واحتسبت له بكذا اجرا
عند الله والاسم الحسبة بالكسر وهى الاجر والجمع الحسب وفلان محتسب
البلد ولا تقل محسبه ويقال انه لحسن الحسبة في الامر اذا كان حسن التدبير
له كذا في الصحاح يخطون في هذا اى انكار المنكرات فيفرطون من افرط افراطا اسرف
وجاوز الحد كذا في المصباح في الحسبة اى انكارهم على اهل المعاصى ويحتسبون عليهم
وياخذون في امرهم بالظنون والعلامات الوهمية ويبالغون في فضيحتهم وهتك
استارهم والوقوع فيهم بالقذف والشتم فلا يفى خيرهم الذى يزعمونه بشرهم الذى فعلوه
المقام الخامس تمام المقامات الخمسة التى في الغضب في بيان الحلم الحلم وهو
ضد التهور وهو اى الحلم افضل من كظم الغيظ لانه اى كظم الغيظ تحلم اى تكلف الحلم بعد
هيجان الغضب محتاج ذلك التحلم الى مجاهدة كثيرة في النفس واما الحلم فهو عدم الهيجان
في الغضب بالكلية فلا تكلف فيه على النفس وهو اى الحلم دال في الانسان على كمال العقل
حيث لم يغضب مع وجود اسباب الغضب من كثرة ادراكه الامور وشدة تانيه
في استقبال الوقايع والنوازل واصطباره عليها ودال على انكسار قوة الغضب في
الطبيعة الانسانية وعلى خضوعه اى الغضب اى تذلله وانقياده للعقل بحيث

يدخل

يدخل تحت تصريف العقل له ان شا ارسله وان شا امسكه وفيه اى الحلم ثلاثة
مقاصد ينحصر الكلام عليه فيها المقصد الاول من المقاصد الثلاثة
في فوايد الحلم اى نتايجه وثمراته وهى اى فوايده اربعة امور الامر الاول
محبة الله تعالى لصاحب الحلم صعف يعنى روى الاصفهانى باسناده عن
عايشة رضى الله عنها انها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
وجبت اى لزمت وثبتت محبة الله تعالى المحمولة على غايتها وهى الاقبال
والتقريب وايصال الاحسان والانعام على من اغضب بالبنا للمفعول اى اغضبه
احد بقول او فعل او فوات مطلوب او وقوع في مكروه ونحو ذلك فحلم اى لم
يغضب وسكنت نفسه استسلاما وانقيادا منه لمجارى الاقدار الالهية طب
يعنى روى الطبرانى باسناده عن فاطمة رضى الله عنها انها قالت قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان الله تعالى يحب الحيى الحليم الحيى فعيل بمعنى فاعل مبالغة من
الحيا وهو الانقباض والانزوا في النفس يقال استحييته واستحييت منه
الحليم اى الكثير الحلم المتعفف من عف عن الشى يعف من باب ضرب عفة
بالكسر وعفافا بالفتح امتنع عنه فهو عفيف وتعفف كذلك كما في المصباح
ويبغض اى الله تعالى وبغضه تعالى محمول على غايته ايضا وهى الاعراض والابعاد
وايصال الضرر والعذاب اليه في الدنيا والاخرة البذى فعيل من بذا على قومه
يبذو وبذاء بالفتح والمد سفه وافحش في منطقه وان كان كلامه صدقا
فهو بذى على فعيل وامراة بذية كذلك كما في المصباح الفاحش من فحش الشى
فحشا مثل قبح وزنا ومعنى وهو فاحش وكل شى جاوز الحد فهو فاحش
وافحش الرجل اتى بالفحش وهو القول السيء وجابا لفحش مثله ورماه بالفاحشة
وافحش بالالف ايضا بخل كذا في المصباح السايل اى الطالب من غيره عرض الدنيا
الملحف اى الملح على الناس في سواله منهم من الحف السايل الحافا الح والامر الثانى
كونه اى الحلم زينة للانسان ومطلوبا من الامة لمحمد نبينا عليه الصلاة والسلام
د نيا يعنى روى ابن ابى الدنيا باسناده عن ابن عيينة رضى الله عنه انه قال كان من دعاء
النبى صلى الله عليه وسلم اللهم اى يا الله اغننى من اغناه اذا جعله غنيا بالعلم اى بسبب
وجود العلم النافع وهو علم الشريعة المحمدية قولا وعملا واعتقادا مع الاخلاص
والمراقبة لله تعالى بحيث تقع في القلب الخشية من الله تعالى وتتزين فيه

بالخشوع والخضوع وهو قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلما فيستغني صاحبه
به عن جميع الدنيا واهلها والاخرة واهلها ولا يصير له احتياج الا الى الله تعالى ولا
افتقار الا اليه في جميع اموره لا العلم المضر الذي صاحبه كلما ازداد منه فقد ازداد
احتياجا الى الدنيا والى اهلها والى الاخرة والى اهلها ونسي الله تعالى وتربى في قلبه الكبر
والعجب والحسد والجور والبغض والامل فانه العلم الذي تعوذ منه النبي صلى الله
عليه وسلم بقوله اللهم اني اعوذ بك من علم لا ينفع وان كان ظاهره بحثا وتكلما في
احكام الله تعالى وفي نقير بوشرايع الاسلام وعقايد الايمان فان الباعث على بيان
ذلك كله امر الدنيا من حب الرياسة وتحصيل شهوات النفوس وغير ذلك وزيني
من الزينة وهي التحسين في الظاهر والباطن بالحلم في كل امر وكرمني اي اجعلني
مكرما معظما عندك وعند الخلق بالتقوى لك وجملني اي اجعلني جميلا من الجمال
وهو رقة الحسن بالعافية اي الصحة والسلامة في بدني وفي ديني وفي عقلي وفي
عرضي وفي مالي وفي اهلي واولادي والامر الثالث كونه اي الحلم قرين العلم اي
مقارنا له في كثير من الاخبار وكونه مامورا به في الشرع سني يعني روى ابن السمعني
باسناده عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اطلبوا ايا معشر المكلفين العلم النافع كما ذكرنا واطلبوا ايضا مع العلم السكينة
بالتخفيف المهابة والرزانة والوقار وحكي في النوادر تشديد الكاف قال ولا يعرف
في كلام العرب فعيله مثقل الاهذا الحرف شاذا كذا في المصباح والحلم لينوا اي اخفضوا
جنابكم لمن تعلمون بضم التا اي تعلمونه العلم او الحرفة ونحو ذلك ولمن تعلمون
انتم منه ذلك ولا تكونوا من جبابرة جمع جبار وهو الذي يجبر غيره على الامر الذي
يريده اي يقهره العلما فيغلب جهلكم بمقتضى نفوسكم لقصد التحكم في الغير حلمكم
عن الغير وملاطفتكم به والامر الرابع رفع الدرجات اي المراتب في الدنيا والاخرة
وشرف البنيان اي الخلقة الانسانية قال الهروي في الغريبين من قولهم بنى لحمه
طعامه يبنيه بنا اذا عظم من الاكل قاله ابو زيد وانشد

بنى السويق لحمها واللت ... كما بنى بخت العراق القت

انتهى كلامه او البنيان المنزل والبيت يقال بنيت البيت وغيره ابنيه والبنيان
ما يبنى كذا في المصباح فهو من اطلاق المصدر على اسم المفعول ومعلوم ان
البيت يشرف بساكنه والمنزل بنازله والبنيان بصاحبه او المراد بنيان الدين

من قوله

من قوله تعالى افمن اسس بنيانه قال البيضاوي بنيان دينه ثم قال في قوله لا يزال
بنيانهم الذي بنوا اي بناوهم الذي بنوه مصدر اريد به المفعول وليس بجمع ولذلك
قد تدخله التا ووصف بالمفرد انتهى ويمكن ان يراد بالبنيان المعنى المصدري
اي شرف السعي في تحصيل الكمال ورفع الهمة في ادراك اشرف الخصال طب زيعني
روى الطبراني والبزار باسنادهما عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه انه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا بالفتح والتخفيف للتنبيه فتدل على تحقيق
ما بعدها قال في المغني ويقول المعربون فيها حرف استفتاح فيبينون مكانها
ويهملون معناها كذا في الاتقان انبيكم اي اخبركم معاشر المومنين بما يشرف
الله تعالى به من الشرف وهو العلو شرف فهو شريف البنيان اي الانسان
المبني من اجزا الارض في ظاهره ومن الاخلاق المختلفة في باطنه او منزله
وماواه او بنيان دينه او سعيه واهتمامه بالامور ويرفع به الدرجات اي
الاحوال والمقامات قالوا نعم يا رسول الله قال تحلم من حلم بالضم حلما بالكسر
صفح وستر فهو حليم كذا في المصباح على من جهل عليك اي سفه واجترا كذا
في المصباح وفي الصحاح استجهله استخفه وتعفو اي تصفح عن من ظلمك فلا
تواخذه ولا تطالبه بظلامتك في الدنيا والاخرة وتعطي من حرمك اي منعك ولم
يعطك وحذف المفعول لقصد العموم وتصل من قطعك اي فارقك واعرض عنك
المقصد الثاني من المقاصد الثلاثة في فوايد ثمرته اي الحلم اعني بالثمرة التي
للحلم اي نتيجة اللين اي السهولة والرفق ضد العنف وهي اي فوايد ذلك
خمسة اشيا الشي الاول حرمت النار عليه اي على صاحب اللين والرفق في الامور
ت يعني روى الترمذي باسناده عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الا هي حرف استفتاح وتنبيه اخبركم ايها المومنون
بمن يحرم اي يمتنع على النار اي نار الاخرة وبمن يحرم اي يمتنع عليه النار فلا تمسه
ولا تمسه على كل انسان قريب اي من كل احد بسبب مخالطته فلا تشمم عنوه ولا تكبر في
نفسه هين هان الشي هونا من باب قال لان وسهل فهو هين ويجوز التخفيف فيقال
هو هين لين واكثر ما جا المدح بالتخفيف وفي التنزيل يمشون على الارض هونا اي رفقا
وسكينة كذا في المصباح سهل ضد صعب يقال هو سهل الخلق والشي الثاني اليمن
اي البركة يقال يمن الرجل على قومه ولقومه بالبنا للمفعول فهو ميمون ويمنه

الله يمنه يمنا من باب قتل اذا جعله مباركا كما في المصباح طط هق يعني روى
الطبراني والبيهقي باسنادهما عن عايشة رضي الله عنها انها قالت قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم الرفق اي السهولة واللين يمن اي بركة على صاحبه واذا خالو الخرق
بالضم يقال خرق خرقا من باب قتل اذا عمل شيا فلم يرفق فيه فهو اخرق والانثى خرقا
مثل احمر وحمرا والاسم الخرق بالضم وسكون الرا شوم اي شر ورجل مشوم
غير مبارك وتشام القوم به مثل تطيروا به كذا في المصباح والشي الثالث عدم
الحرمان اي الامتناع عن الخير في الدنيا والاخرة د يعني روى ابو داود باسناده
عن جرير رضي الله عنه انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من يحرم
بالبنا للمفعول اي يمنع بمعنى يحرمه الله تعالى ويمنعه الرفق اي اللين والسهولة
في كل امر يحرم بالبنا للمفعول ايضا اي يحرمه الله تعالى الخير كله ما ظهر منه وما
بطن والشي الرابع زين صاحبه اي الحلم بمعنى ليس بشين عليه بل زينة له
والشي الخامس محبة الله تعالى له اي للحليم م يعني روى مسلم باسناده عن عايشة
رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الرفق ضد العنف لا يكون في شيء من
امور الدنيا والاخرة الا زانه اي جعله زينا حسنا ولا ينزع بالبنا للمفعول اي الرفق
عن شي من امور الدنيا والاخرة الا شانه اي عابه والشين خلاف الزين كذا في المصباح
وفي رواية اخرى ان الله تعالى يحب الرفق في الامور كلها ويعطي اي الله تعالى على الرفق
من الثواب ما لا يعطي على العنف اي الشدة وعدم الرفق وهو بضم العين وفتحها
وكسرها والضم افصح واشهر ومعنى يعطي على الرفق اي يثيب عليه ما لا يثيب على
غيره وقال القاضي معناه يتاتى به من الاغراض ويسهل به من المطالب ما لا يتاتى بغيره
ذكره النووي في شرح مسلم وما لا يعطي على ما سواه اي العنف من الاحوال والحاصل ان
احوال المكلف في مباشرته امور دينه وامور دنياه ثلاثة احوال حال الرفق وهو
السهولة واللين في معاملته مع الله تعالى ومع الخلق من غير تكلف في نفسه ولا مشقة
عليه وهو قوله عليه السلام انا واتقيا امتي برآء من التكلف ومن غير اتعاب منه لغيره
في امر بمعروف ولا نهي عن منكر ولا ادخال حرج في ذلك على احد وانما امره بالمعروف للغير
ونهيه عن المنكر بسهولة ولين وسعة صدر وتحمل اذية وصبر على المعاندة والمجافاة
وهذه هي الحالة المحمودة التي يعطي بها الله تعالى من الثواب على جميع الاعمال ما لا يعطي
بغيرها من الحالتين الاخرتين على كل الاعمال وحال العنف وهو الشدة والصعوبة والغلظة

والفظاظة

والفظاظة في المعاملة مع الله تعالى ومع الخلق بتكلف في النفس ومشقة عظيمة
واتعاب للغير وتشديد على الخلق في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وتعسير ذلك
وتهويله كما هي طريقة علما زماننا اليوم ووعاظهم يفتشون في الكتب الفقهية
وغيرها فان وجدوا امسلة فيها سهولة على الناس اخفوها وكتموها ولا ينقلونها
واذا وجدوا امسلة فيها تشديد على الناس وتصعيب عليهم اظهروها ونقلوها
وحفظوها وقاموا يشددون بها على امة محمد صلى الله عليه وسلم ويضيقون
بها عليهم ولا يؤولون لاحد من الناس امرا يحتمل الخطا ويؤولون لانفسهم كل ذلك
ولا يحسنون ظنونهم بالناس بل يقبحونها ويطعنون في الزمان واهله وهم يحسنون
ظنونهم بانفسهم ولا يرون انفسهم الا خيرا من غيرهم ولا يرون غيرهم الا فاسقا او جاهلا
او مبتدعا او كافرا اصلحنا الله واياهم وحال الاعتدال بين الرفق والعنف وهو حال
غالب الناس في معاملته مع الله تعالى ومعاملته مع الخلق المقصد الثالث تمام
المقاصد الثلاثة التي في الحلم في بيان طريق تحصيل الحلم وهو اي طريق تحصيل الحلم
التحلم اي تكلف الحلم اعني حمل النفس اي اكراهها على كظم اي امساك الغيظ الذي عنده مرة
بعد مرة اخرى بالتكلف في ذلك التحمل الحمل للنفس حتى تكون اي حمل النفس المذكور
ملكة اي قوة راسخة في النفس وطبعا من غير تكلف فيه مسمى بالحلم فتستنق عليه
النفس وتطمين هذه الطبيعة فلا تتحول عنه طب قطن يعني روى الطبراني والدارقطني
باسنادهما عن ابي الدرداء رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انما العلم يحصل بالتعلم من المشايخ شيا فشيا سوا كان علم الدين او علم الدنيا واما
الفتح الرباني والفيض الرحماني على قلوب بعض الناس ممن لم يقرا ولم يتعلم من احد
بل وفقه الله تعالى للعمل الصالح على الاخلاص واليقين فلا بد ان فيه تعلما من جناب
الحق تعالى بواسطة ملك الالهام يقرنه الله تعالى كما تتعلم اهل الضلالة والغواية
انواع الشرور والفسوق من غير معلم في الظاهر بل بواسطة شيطان يقرنه الله
تعالى بهم قال تعالى فالهمها فجورها وتقواها ولا بد في ذلك من التعلم من الغير البتة
لكن قد يظهر التعلم من الغير اذا كان المعلم منه ظاهرا وقد يخفى التعلم من الغير
اذا كان المعلم خفيا ولهذا لم يقل انما العلم بالتعلم يعني من الغير الظاهر وقال
بالتعلم اي من مطلق الغير ظاهرا كان او خفيا ويؤيد هذا ما ذكره الاسيوطي في الجامع
الصغير برمز الحلية لابي نعيم عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

من زهد في الدنيا علمه الله بلا تعلم وهداه بلا هداية وجعله بصيرا او كشف عنه العمى
وانما الحلم بالتحلم ايضا اى تكلف ذلك في النفس شيا فشيا ومن تحرى اى قصد وطلب الخير
من الله تعالى في كل امر شرع فيه يعطه بالبنا للمفعول اى يعطيه الله تعالى اياه ومن
يتوق اى يتجنب الشر في جميع اموره ويتحفظ منه يوقه بالبنا للمفعول اى يوقيه الله
تعالى اياه ويحفظه منه وعن بعض السلف الماضين رضى الله عنهم اجمعين
انه قال انى حصلت بالتشديد اى تعلمت الحلم ولم يكن عندى بمساكنة اى بسبب
مساكنة يعني اشتراكى في المسكن اى المنزل مع انسان متهور اى شديد
الغضب بذى اى سفيه اللسان فاراه يغضب على ويكثر من شتمى وقذفى مرة
مديدة اى طويلة وكنت اصبر على اذاه اى اضراره لى واكظم اى امسك واحبس غيظى
منه في نفسى حتى صار كظمى للغيظ ملكة اى قوة راسخة في نفسى لا اتكلف له وهكذا
اى مثل هذا الصنع طريق تحصيل الانسان كل خلق حسن كالتواضع والسخاء والشجاعة
وغير ذلك اعنى اى اقصد بقولى ذلك الممارسة اى المخالطة اصلها من قولهم
مرست التمر مرسا من باب قتل د لكته في الماحتى تتحلل اجزاوه ثم استعمل
في كل دخول في امر ومباشرته على وجه الاختبار شيا فشيا الكثيرة بالتكلف
اى حمل النفس واكراهها الى ان يكون ذلك الخلق الحسن كيفية راسخة في النفس
وهي الملكة المذكورة وكذا اى مثل ذا طريق ازالة كل خلق سيى مذموم كاين في النفس
كالكبر والجبن والبخل اعنى اى اقصد بذلك الممارسة اى المخالطة الكثيرة بالمواظبة
على ترك مقتضاه اى مايقتضيه اى يطلبه ذلك الخلق المذموم بان يعامل غيره
بالتواضع والكرم والشجاعة ويكلف نفسه ذلك الى ان تزول تلك الملكة الردية
اى المودية بمعنى المهلكة باذن الله تعالى اى بارادته وامره وترسخ الملكة الحسنة
والطبيعة المستقيمة الخلق الرابع والعشرون من الاخلاق الستين المذمومة
سو الظن يقال اسات به الظن وسوت به ظنا يكون معرفة مع الرباعى ونكرة
مع الثلاثى ومنهم من يجيزه نكرة فيهما وهو خلاف احسنت به الظن كذا في
المصباح بالله تعالى بان يظن ان الله تعالى لا يرزقه او لا يحفظه ولا ينصره ونحو
ذلك وفي البسيط تفسير الواحدى في قوله تعالى من كان يظن ان لن ينصره الله
الاية قال ومذهب مجاهد والضحاك ان الهاء كناية عن من في قوله من كان قال
مجاهد من كان يظن ان لن ينصره الله ان لن يرزقه الله وهذا القول هو اختيار ابى

من المعاملة القبيحة وعلى العمل بضده اى ضد ذلك الخلق المذموم صح

عبيدة

عبيدة قال ابن قتيبة على هذا القول كانه يريد من كان قانطا من رزق الله
ورحمته فليفعل ذلك الذى ذكره من الاختناق ولينظر هل يذهب كيده اى حيلته
غيظه لتاخير الرزق عنه وقوله مايغيظ يعني خيفة ان لا يرزق وهذا ذم
على سو الظن بالله تعالى وذكر قبل ذلك في قوله فليمدد بسبب الى السما ثم ليقطع
اى فليجعل في سما بيته اى سقفه حبلا ثم ليختنق فذلك قوله ثم ليقطع ومعنى
فليقطع فليختنق في قول جميع المفسرين وسو الظن ايضا بالمومنين مطلقا
نسا ورجالا وصغارا وكبارا وعواما وخواصا بمجرد اى بسبب مجرد الوهم
بالتحريك قال ابن خطيب الدهشة في كتابه مصباح المنير وهمت الى الشى
وهما من باب وعد سبق القلب اليه مع ارادة غيره ووهمت وهما مثل غلط
يغلط غلطا وزنا ومعنى او بمجرد الشك وهو الارتياب قال ايمة اللغة الشك خلاف
اليقين فقولهم خلاف اليقين هو التردد بين شيين سوا استوى طرفاه
او رجح احدهما على الاخر قال تعالى فان كنت في شك مما انزلنا اليك قال المفسرون
اى غير مستيقن وهو يعم الحالتين وقال الازهرى في موضع من التهذيب
الظن هو الشك وقد يجعل بمعنى اليقين وقال في موضع الشك اضطراب القلب
والنفس كذا في المصباح فانه في سو الظن المذكور حرام قال الله تعالى يا ايها الذين
امنوا اجتنبوا اى تباعدوا تباعدا كثيرا من الظن فلا تبنوا احكامكم عليه وابنوها
على اليقين او غلبة الظن ان بعض الظن اثم اى وقوع في الذنب وهو الظن السو
في الله تعالى وفي المومنين م يعني روى مسلم باسناده عن ابى هريرة رضى الله
عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اياكم والظن اى احذروا اتباع الظن
او احذروا سو الظن بمن لا يسا الظن به من العدول والظن تهمة تقع في القلب
بلا دليل قال الغزالى وهو حرام كسو القول لكن لست اعنى به الا عقد القلب
وحكمه على غيره بالسو واما الخواطر وحديث النفس فعفو بل الشك عفو
ايضا فالمنهى عنه ان تظن والظن عبارة عما تركن اليه النفس ويميل اليه القلب
وسبب تحريمه ان اسرار القلوب لا يعلمها الا علام الغيوب فليس لك ان تعتقد
في غيرك سوا الا اذا انكشف لك بعيان لا يحتمل التاويل فعند ذلك لا تعتقد الا ما
علمته وشاهدته فما لم تشاهده او تسمعه ثم وقع في قلبك فان الشيطان يلقيه

وهو يعم الحالتين وقال جماعة وقال ابن فارس الظن يكون شكا ويقينا ويقال الشك صح

اليك فينبغي ان تكذبه فانه افسق الفساق وقال العارف زروق انما ينشا الظن الخبيث عن القلب الخبيث لا في جانب الحق ولا في جانب الخلق فان الظن اكذب الحديث اي حديث النفس لانه بالقا الشيطان في نفس الانسان قال الغزالي رحمه الله من مكايد الشيطان سو الظن بالمسلمين ان بعض الظن اثم ومن حكم بشي على غيره بالظن بعثه الشيطان على ان يطول فيه اللسان بالغيبة فيهلك او يقصر في القيام بحقوقه او ينظر اليه بعين الاحتقار ويرى نفسه خيرا منه وكل ذلك من المهلكات ولا تجسسوا بالجيم اي لا تتبعوا فواحش الناس بلطف كالجاسوس قال الزمخشري ان لا يترك عباد الله تحت ستره فيتوصل الى الاطلاع عليهم والتفتيش عن احوالهم وهتك الستر حتى ينكشف لك ما كان مستورا عنك ويستثنى منه ما لو تعين طريقا الى انقاذ محترم من هلاك او نحوه كان يخبر ثقة بان فلانا خلا برجل ليقتله او امراة ليزني بها فيشرع التجسس كما نقله النووي عن الاحكام السلطانية واستجاده ولا تحسسوا بالحا المهملة اي لا تطلبوا الشي بالحاسة كاستراق السمع وابصار الشي خفية وقيل الاول التفحص عن عورات الناس وبواطن امورهم بنفسه او بغيره والثاني ان يتولاه بنفسه وقيل الاول يختص بالشر والثاني اعم ولا تنافسوا بالفا والسين المهملة من المنافسة وهي الرغبة في الشي والانفراد به ومنه وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ولا تحاسدوا اي لا يتمنى احدكم زوال النعمة عن غيره وهو قريب من التنافس ولا تباغضوا اي لا تتعاطوا اسباب البغض لانه لا يكتسب ابتدا ولا تدابروا اي تقاطعوا من الدبر فان كلا منهما يولي صاحبه دبره سوا كان ذلك محسوسا بالابدان او معقولا بالعقايد والارا والاقوال وكونوا عباد الله بحذف حرف الندا اي يا عباد الله اخوانا اي اكتسبوا ما تصيرون به اخوانا مما ذكر وغيره فاذا تركتم ذلك كنتم اخوانا واذا لم تتركوه صرتم اعدا كذا ذكره المناوي في شرح الجامع الصغير وقال النووي في شرح مسلم ومعنى كونوا عباد الله اخوانا اي تعاملوا وتعاشروا معاملة الاخوة ومعاشرتهم في المودة والرفق والملاطفة والتعاون في الخير ونحو ذلك مع صفا القلوب والنصيحة بكل حال وقال بعض العلما وفي النهي عن التباغض اشارة الى النهي عن الاهوا المضلة الموجبة للتباغض وقال في معنى قوله فان الظن اكذب الحديث المراد النهي عن ظن السو قال الخطابي هو تحقيق الظن وتصديقه دون ما يهجس في النفس فان ذلك لا يملك

ومراد الخطابي ان المحرم من الظن ما يصر صاحبه عليه ويستقر في قلبه دون ما يعرض في القلب ولا يستقر كما امركم اي على الصفة التي امركم الله تعالى بها ان تكونوا عليها المسلم اخو المسلم اي اخوة دينية وهي اعظم من النسبية والاخوة من النسب يدل عليه قوله تعالى انما المومنون اخوة بدليل عدم التوارث عند وجودها نسبا وفقدها دينا والاجنبيان اذا اتفقا في الاسلام ورث احدهما من الاخر اما باسلام احدهما على يد الاخر كما كان اولا ثم نسخ او لعموم الدين عند فقد القرابة كما ورث الشافعي رحمه الله تعالى المسلمين لاجتماعهم في الاسلام كذا ذكره جدنا العلامة بن جماعة النابلسي المقدسي في شرحه على الاحاديث الاربعين النووية وقوله هي اعظم من النسبية اي الاخوة النسبية وهي اخوة الرضاع وقوله كما كان اولا ثم نسخ هذا على مذهبه رحمه الله تعالى وهو مذهب الامام الشافعي رضي الله عنه لا توريث بولا الموالاة خلافا للامام ابي حنيفة رضي الله عنه وقوله كما ورث الشافعي المسلمين يعني في تقديمه بيت المال على ذوي الارحام في الميراث والا فالامام ابو حنيفة رضي الله عنه في مذهبه توريث المسلمين بعضهم من بعض ايضا ولكن بعد انتفا قرابة ذوي الارحام كما هو مقرر في موضعه لا يظلمه لان الظلم حرام من الكافر فالمسلم اولى قاله جدنا ابن جماعة رحمه الله تعالى ولا يخذله قال العلما الخذل ترك الاعانة والنصر ومعناه اذا استعان به في دفع ظالم ونحوه لزمه اعانته اذا امكنته ولم يكن له عذر شرعي ذكره النووي في شرح مسلم وقال جدنا ابن جماعة رحمه الله تعالى اي لا يترك نصرته مع القدرة عند الحاجة وعنه صلى الله عليه وسلم انصر اخاك ظالما او مظلوما وسوا كان الخذل لان دينويا او دينيا انتهى وقوله عليه السلام انصر اخاك ظالما اي بان تكفه عن ظلمه وتمنعه منه فتنصره بذلك على نفسه وشيطانه وهواه وفي شرح الجامع الصغير للمناوي رحمه الله روى الامام احمد والطبراني مرفوعا لا يشهد احدكم قتيلا لعله ان يكون مظلوما فيصيبه السخط وروى الطبراني والبيهقي مرفوعا لا يقفن احدكم موقفا يقتل فيه رجل ظلما فان اللعنة تنزل على من حضره حين لم يدفعوا عنه وخرج عن ذلك من قتل بسيف الشرع او جلد في زنا لقوله تعالى وليشهد عذابهما طايفة من المومنين ولا يحقره بالقاف والحا المهملة اي لا يحتقره فلا يتكبر عليه ويستصغره ويستقله ورواه بعضهم لا يخفره بضم اليا وبالخا المعجمة والفا اي لا يغدر بعهده ولا ينقض امانه والصواب المعروف هو الاول وروي لا يحتقره وهذا يرد الرواية الثانية كذا في شرح النووي على صحيح

مسلم التقوى ههنا ثلاثا اى قالها ثلاث مرات ويشير صلى الله عليه وسلم فى كل مرة الى
صدره الشريف يريد بذلك ان محل التقوى القلب الذى هو فى الصدر لان حقيقة التقوى
اجتناب عذاب الله تعالى بفعل المامورات واجتناب المحظورات ومادة ذلك
وهو الخوف الحامل على ذلك الاجتناب فى القلب قاله جدنا ابن جماعة رحمه الله تعالى
وقال النووى فى شرح مسلم معناه ان الاعمال الظاهرة لا يحصل بها التقوى وانما تحصل
بما يقع فى القلب من عظمة الله تعالى وخشيته ومراقبته بحسب الباء زائدة للتاكيد
وحسب باسكان السين امرء اى رجل والانثى امراة اى يكفيه من الشر ان يحقر
اخاه المسلم مثله وكل المسلم على المسلم حرام اى كل شئ منسوب الى المسلم حرام
على المسلم مثله ان ينتهكه دمه حرام فلا يجوز قتله ولا قطع عضو منه وعرضه
حرام فلا يجوز الفسق به ولا قذفه ولا شتمه ولا انتقاصه وماله حرام فلا يجوز اخذه
بغصبه ولا سرقته ولا نهبه ولا خيانته ولا مضاررته ولا بربا فيه ولا بمكس
ولا قمار وقال جدنا ابن جماعة رحمه الله فان قلت كيف جعل الثلاثة حقيقة
المسلم قلت لشدة اضطراره اليها اما الدم فلان به حياته والمال مادة الدم فهو
مادة حياته والعرض به قيام الصورة المعنوية فان قلت لم اقتصر على هذه
الثلاثة قلت لان ما سواها فرع عنها وراجع اليها ان الله لا ينظر الى اجسادكم
ولا الى صوركم واعمالكم ولكن ينظر الى قلوبكم معنى نظر الله تعالى مجازاته ومحاسبته
اى انما يكون ذلك على ما فى القلب دون الصور الظاهرة ونظر الله تعالى ورؤيته
محيطة بكل شئ ومقصود الحديث ان الاعتبار فى هذا كله بالقلب وهو من نحو
قوله صلى الله عليه وسلم الا وان فى الجسد مضغة الحديث ذكره النووى فى شرح مسلم
ولنا فى هذه التتمة من الحديث كلام اخر ذكرناه فى كتابنا المطالب
الوفيه وزاد اى الراوى فى رواية اخرى لهذا الحديث ولا تناجشوا من النجش وهو
ان يزيد هذا على هذا وذاك على ذاك فى البيع وقيل المراد بالحديث النهى عن اغراء بعضهم
بعضا على الشر والخصومة ذكره المناوى فى شرح الجامع الصغير قال النووى فى شرح
صحيح مسلم وقال القاضى يحتمل ان يكون المراد بالتناجش هنا ذم بعضهم بعضا والصحيح
انه التناجش المذكور فى البيع وهو ان يزيد فى السلعة ولا رغبة له فى شرائها وزاد
فى رواية خ يعنى البخارى فى صحيحه ولا يخطب الرجل على خطبة بكسر الخاء المعجمة
اخيه بان يخطب امراة فيجاب فيخطبها اخر فظاهره ولو كان الاول فاسقا حتى ينكح

اويترك

او يترك اى يترك الخاطب الخطبة فان تركها جاز لغيره خطبتها وان لم ياذن له وظاهر
ذكر الاخ اختصاص النهى بما اذا كان الخاطب مسلما فان كان كافرا لم تحرم لكن الجمهور
على ان ذكر الاخ غالبى والنهى للتحريم لا للتنزيه اتفاقا ذكره المناوى فى شرح الجامع الصغير
واما اهل المعصية والفسوق المجاهرين بتقدير اعنى اى الذين يجاهرون بفعل المعاصى
ولا يستترون منها بين الناس تجاهرا لا يمكن ان يجد له الانسان غير المعادى لهم تاويلا حسنا
اصلا او دلت عليه اى على فعلهم المعاصى والفسوق قرائن جمع قرينة وهى المقارنة للشئ بحيث
تدل عليه يعنى العلامة المفهمة له تفيد تلك القرائن اى العلامات غلبة الظن القريبة من
اليقين وفى ذكر القرائن اشارة الى ان القرينة الواحدة لا تكفى فى ذلك الحكم ولا بد ان تكون تلك
القرائن ظاهرة بحيث لا تدفعها التاويلات من غير المعادى لهم واما المجاهرة التى يمكن ان يجد
لها تاويلا حسنا غير المعادى لهم فليست بمجاهرة وكذلك القرائن التى تحتمل التاويلات عند
غير المعادى لهم ليست بقرائن معتبرة هنا فى افادة غلبة الظن وانما شرطنا غير المعادى
لهم لان المعادى لهم من قبل والمبغض لهم يسمى مطلق ظهور ما يتوهمه معصية منهم
مجاهرة بالمعاصى ويستفيد غلبة الظن بمعاصيهم ومقابحهم وعيوبهم بادنى قرينة بل لا يتوقف
عند قرينة اصلا فلا اعتبار بحكمه بالمجاهرة ولا بغلبة ظنه واذا اشكل الامر يوتى برجل اجنبى
لا غرض له ولا اطلاع عنده على شئ من ذلك ويسال عما يظهر له من المجاهرة المذكورة وغلبة الظن
بالقرائن فيتوجه الحكم على مقتضى ما يراه وانما شرطنا هذا لانا نجد فى زماننا جماعة من المتفقهة
وغيرهم يتعصبون على احد من الناس ويقولون هذا يتجاهر بالمعاصى بسبب اغراض
نفوسهم ليديروا عليه الحكم بالتقبيح والفساد بينهم وننظر نحن الى حاله بلا غرض نفسانى
فلا نجده متجاهرا بما يقولون اصلا وانما مراده سترة الحال وكذلك نجدهم يحكمون
بوجود المعصية فى احد بقرائن يستفيدون ذلك منها بسبب اغراضهم وننظر
نحن فلا نجد تلك القرائن لشدة خفائها والقرينة الخفية لا تعرف الا بنوع من التجسس
وهو حرام فلا اعتداد بها فعلينا بعد ذلك ان نبغضهم اى نبغض اهل المعصية والفسوق
حيث تجاهروا بذلك فلم تخف معصيتهم علينا اصلا وغلب على ظننا معصيتهم بالقرائن الواضحة
لنا ولغيرنا بغضا كائنا فى دين الله تعالى اى نتقرب بذلك الى الله تعالى ونحن مخلصين
فيه لوجه الله سبحانه لا فى طريق هوى نفوسنا وتشفى غيظنا منهم وليس الا البغض بالقلب
لا التقبيح عليهم باللسان وانتقاصهم بين الناس واذا كان الامر كذلك فليس هذا من سوء
الظن المذموم فى شئ وهو امر لا يتفق فى الغالب الا لمن تقيد بعيوب الناس واشتغل

لعل هذا الكلام من ارشح بعد تمام غفلته منه الآية التربيلي

بالتفتيش على ذلك وترك الاشتغال بعيوب نفسه كماهو الغالب على اهل هذا
الزمان واما المشتغلون بتنقية نفوسهم من العيوب الذين لايكادون يتفرغون
لعيوب غيرهم فانهم فى معزل من هذه المضايق وهم السعدا فى الدنيا والاخرة واذا
سالتهم لاتجدهم يعرفون العيوب على وجه التحقيق الافى نفوسهم واما فى غيرهم فانهم
يقولون لك اننا نظن ذلك ونتوهمه ولانعرفه على وجه التحقيق لااخلا الله تعالى الارض
منهم ولامن امثالهم واما الاولون المنتقدون على الخلق المتجسسون على عيوب
امة محمد صلى الله عليه وسلم الذين لايتركون سترالله تعالى على عاص ولا فاسق فلااكثرالله
تعالى منهم ولامن امثالهم على وجه الارض فانهم اسسوا البدع والضلالات فى قلوب
الناس ولاحول ولاقوة الابالله العلى العظيم ويدل على هذا اى على ان ماذكر لبس من سو
الظن فى شى حيث استند الى مجاهرة واضحة او غلبة ظن بقراين مكشوفة قوله تعالى
فمالكم يايها المؤمنون فى المنافقين اى الذين اظهروا الايمان وابطنوا الكفر فى قلوبهم
فئتين اى فمالكم تفرقتم فى امر المنافقين فئتين اى فرقتين ولم تتفقوا على كفرهم ذكره البيضاوى
الاية اى اكمل الاية وذلك قوله تعالى بعد ذلك والله اركسهم بما كسبوا اى ردهم الى حكم الكفرة
او اركسهم بان صيرهم للنار واصل الركس رد الشى مقلوبا اتريدون ان تهدوا من اضل الله ومن
يضلل الله فلن تجد له سبيلا وفى التنوير مختصر التفسير الكبير لابن جميل التونسى قيل
سببها ان ناسا مسلمين قدموا فاقاموا بالمدينة زمانا ثم سالوا الاذن من النبى صلى الله عليه وسلم
فى ان يخرجوا للصحرا فاذن لهم فلحقوا بالمشركين فاختلفوا فيهم فقال بعضهم لوكانوا مسلمين
لصبروا معنا وقال اخرون لا ننسبهم الى الكفر بذلك فنزلت وعن ابن عباس رضى الله عنهما نزلت
فى قوم اظهروا الاسلام بمكة وكانوا يعينون المشركين على المؤمنين وقيل نزلت فى الذين تخلفوا
عن النبى صلى الله عليه وسلم يوم احد وقالوا لونعلم قتالا لاتبعناكم فاختلفوا فيهم ورده بعضهم
بقوله فلاتتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا وقيل نزلت فى العرنيين الذين حاربوا وقتلوا مولى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت فى اهل الافك والمعنى مالكم صرتم فئتين بل ينبغى ان تقطعوا
بكفرهم وقوله والله اركسهم بما كسبوا اى ردهم الى احكام الكفار من الذل والصغار بما اظهروا من
الارتداد لانهم باظهارهم الاسلام كان يحرم قتالهم انتهى فدل ذلك على ان المجاهرة بالمعصية او
ظهور العلامات الواضحة على ذلك يوجب الحكم بثبوت ذلك عند من ظهر له وبان عنده فيترتب
عليه جواز البغض لهم واساءة الظن بهم ولايكون مذموما حينئذ مثل ما وقع من المنافقين
فى زمان النبى صلى الله عليه وسلم حيث تجاهروا بكفرهم وظهرت منهم العلامات على ذلك فاختلف

المسلمون

المسلمون فى حالهم فانزل الله تعالى هذه الاية ردفيها على من لم يحكم بكفرهم واوجب
الحكم بالكفر عليهم حيث اظهروه واتضحت علاماته منهم وعلى القول الاول حرمة
سو الظن بالمؤمنين بمجرد الوهم او الشك كما سبق انما يحرم ذلك اذا ظهر اثره
اى اثر سو الظن الذى فى القلب على الجوارح اى الاعضا بان عمل بمقتضى ذلك فى حق من
اسا الظن به ولو باستطالة اللسان فى عرضه ودينه واستنقاصه بين الناس قال سفيان
الثورى رضى الله عنه الظن يعنى مايقع فى القلب من نسبة الغير الى السو وتطمين اليه
النفس ظنان اى هو على قسمين احدهما اثم اى ذنب ومعصية وهو ان تظن السو فى غيرك
وتتكلم به عند الناس والقسم الاخر ليس باثم وهو ان تظن السو فى احد ولاتتكلم به قاله
فى شرح صحيح مسلم ونقل القاضى يعنى القاضى عياض عن سفيان انه قال الظن الذى ياثم به
هوما ظنه وتكلم به فان لم يتكلم لم ياثم وهذا القول هو المختار يعنى عند المصنف رحمه الله تعالى
وقد سبق الكلام نظير ذلك فى الحسد وسبق ما فيه من البيان وعلى هذا لاتتم حرمة سو الظن
فى الله تعالى ولافى المؤمنين بمجرد القلب بل لابد من اضافة النطق باللسان اليه فلا يتم جعله
من امراض القلب بل من امراض اللسان وهو خلاف الظاهر واطلاق الايات والاحاديث
تابى ذلك وضد سو الظن بالله تعالى وبالمؤمنين حسن الظن بالله تعالى وبالمؤمنين اما
بيان حكم الاول اى حسن الظن بالله تعالى فواجب على المكلف اذا كان تائبا من معاصيه
قايما بطاعاته وعباداته واما اذا كان مقيما على المعاصى منهمكا فى فعل المنكرات فحسن
ظنه بالله تعالى وترك الخوف منه سبحانه حرام عليه حينئذ لانه غرور بالله تعالى قال
الامام المحاسبى فى الرعاية واما الغرة من عوام المسلمين وعصاتهم فهى خدعة من النفس والعدو
بذكر الرجا والجود والكرم يطيبون بذلك انفسهم فيزدادون بذلك جراة فيقيمون بذلك
على معاصى الله عز وجل يظنون ان ذلك رجا منهم كما قال وهب بن منبه لابنه يابنى اياك
والغرة بالله عز وجل فان الغرة بالله عز وجل المقام على معصيته وتمنى مغفرته فيقيمون
على المعاصى ويتمنون المغفرة والرحمة ويظنون ان الذى طيب انفسهم الرجا وانما طيب
انفسهم الغرة فتمنوا وظنوا ان ذلك منهم رجا لربهم عز وجل كما قال سعيد بن جبير الغرة بالله المقام
على معصية الله عز وجل وتمنى مغفرته تعالى وانما الرجا لله عز وجل فى معنيين احدهما حسن الظن
بالله عز وجل حيث وضعه الله عز وجل لانه رجى المذنبين من عباده ان لا يقنطوا وان يتوبوا الى
الله من ذنوبهم فقال ياعبادى الذين اسرفوا على انفسهم لاتقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب
جميعا انه هو الغفور الرحيم وقال وانيبوا الى ربكم واسلموا له وقال وانى لغفار لمن تاب وامن

وعمل صالحا فهذا احد المعنيين ورجا الجنان والمنازل العالية والقربة منه والرفعة
في الدرجات العاملين له من عباده فقال قد افلح المومنون الذين هم في صلاتهم خاشعون
الى قوله اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون وقال انما
توفون اجوركم يوم القيمة فاخبر ان الثواب والجزا اجور العمال على الاعمال ليرجوا
ذلك الجزا فيعملوا تلك الاعمال رجاان ينالوا ذلك الثواب ثم اخبر انهم الراجون دون المغترين
فقال ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله
فاخبر ان العاملين هم الراجون لرحمة الله سبحانه لا المغترين فالمغتر بذكر الرجا يظن ان
الغرة منه رجا فيقيم على معاصي الله عز وجل ويظن ان ذلك حسن الظن بالله عز وجل كما
قال وهب بن منبه حسن الظن بالله ما جانب الغرة وقيل للحسن رحمه الله تعالى قوم
يقولون نرجو الله ويضيعون العمل فقال هيهات هيهات تلك امانيهم يترجحون فيها
من رجا شيا طلبه ومن خاف شيا هرب منه م يعني روى مسلم باسناده عن جابر رضي الله عنه
انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموتن احدكم يعني اذا كان تايبا من ذنوبه مقبلا
على طاعاته غير مقصر في العمل الصالح جهد طاقته وهو يرى نفسه مع ذلك مقصرة في العبادة
الا وهو يحسن الظن اي ظنه بالله تعالى ان الله تعالى يقبل اعماله ويعفو عن تقصيره فيها وفي
شرح مسلم للنووي قال العلما هذا تحذير من القنوط وحث على الرجا عند الخاتمة واما اذا كان مصرا
على المعاصي من غير توبة ومات على ذلك فتحسين ظنه بالله تعالى هو الغرور به سبحانه وان كانت
مغفرة الذنوب كلها ممكنة للعبد من غير توبة ولكن رجا ذلك هو الغرور بالله تعالى وهو معصية
اخرى تحتاج الى ~~توبة اخرى~~ مغفرة ايضا والنبي صلى الله عليه وسلم لم يامر بمعصية فمن مات
وهو مصر على الذنوب بلا توبة ومع ذلك كان له حسن ظن في الله تعالى ان يغفر له بلا توبة
كان حسن ظنه معصية اخرى منه هي الغرور بالله تعالى فيكون في مشية الله تعالى ان
شا عفا عنه وان شا عذبه كما هو الحكم في عصاة المومنين اذا ماتوا قبل التوبة واما اذا مات
وهو مصر على الذنوب بلا توبة وهو خايف من الله تعالى بلا رجاء ولا حسن ظن فيه سبحانه
فانه لا غرور له بالله تعالى وخوفه من الله تعالى بسبب اصراره على الذنوب طاعة في حقه
كما ان التايب من ذنوبه رجاوه وحسن ظنه في الله تعالى طاعة في حقه خ م ت يعني روى
البخاري ومسلم والترمذي باسنادهم عن ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال الله عز وجل انا عند ظن عبدي بي يعني العبد المومن اذا عمل عملا صالحا وظن انه يقبله منه
ويجازيه عليه الجزا العظيم فانه يفعله معه كذلك وان عمل سوا واصر على ذلك بلا توبة

وظن

وظن انه يعذبه عليه ويعاقبه في الاخرة فانه يفعل معه كذلك وان ظن انه يثيبه ويعفوا
عنه ويسامحه وان مات مصرا على ذلك بلا توبة فان كان معتقدا ان الحرام صار حلالا
له او استخف بمحرمات الله تعالى ولم يبال بها فهو كافر فلا يعتبر ظنه في الله تعالى فانه
من جملة الكافرين الذين يظنون بالله الظنون كما قال تعالى في حقهم وذلكم ظنكم الذي
ظننتم بربكم ارداكم فاصبحتم من الخاسرين ومن تامل ما في الحديث من قوله انا عند ظن عبدي
بي وفهم معنى الاتصاف بصفة العبودية والاضافة الى الله تعالى علم ما قلناه فان عبد
الهوى ليس عبد الله وكذلك عبد الدرهم وعبد الدينار كما قال النبي صلى الله عليه وسلم تعس عبد
الدرهم تعس عبد الدينار تعس عبد الخميصة الحديث وعبد الله تعالى محفوظ بعناية الله
تعالى من شوم الذنوب والاصرار عليها لانه دايم التوبة كما قال تعالى ان الله يحب التوابين
وذكر النووي في شرح مسلم قال القاضي عياض ظن عبدي بي بالغفران له اذا استغفر والقبول اذا
تاب والاجابة اذا دعا والكفاية اذا طلب الكفاية وقيل المراد به الرجا وتاميل العفو وهذا
اصح د يعني روى ابو داود باسناده عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال حسن الظن من حسن العبادة قال المناوي في شرح الجامع الصغير يعني اعتقاد
الخير والصلاح في حق المسلمين عبادة ويجوز ان يكون المراد حسن الظن بالله تعالى حم حب
هق يعني روى الامام احمد بن حنبل وابن حبان والبيهقي باسنادهم عن واثلة بن الاسقع
رضي الله عنه انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى انا عند ظن عبدي
المومن التايب من ذنوبه المقبل على طاعة ربه بي ان ظن بي خيرا فله ذلك الخير وان ظن شرا
فله ذلك الشر وهو حث على الرجا وحسن الظن بالله تعالى لمن كان من اهل الاعمال الصالحة
واما ~~الاحمق~~ العاصي المصر على المخالفة فذلك غرور بالله تعالى في حقه لا رجا وحسن ظن بالله
تعالى كما ذكرنا طب يعني روى الطبراني باسناده عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال والذي
لا اله غيره اي اقسم وحق الله الذي لا اله غيره لا يحسن بالضم من احسن عبد مومن تايب
صالح بالله تعالى الظن انه يقبله ويتفضل عليه بالرحمة والمغفرة اذ الكافر والعاصي والفاسق
متى احسن ظنه بالله وهو مصر على كفره ومعصيته وفسقه كان مغرورا بالله تعالى حتى
يسلم ويتوب من معصيته وفسقه فيذهب عنه الغرور الا اعطاه اي الله تعالى فضلا منه واحسانا
ظنه اي مظنونه من القبول والتفضل بالرحمة والمغفرة وكان ذلك حقا من الله تعالى بان اي بسبب
ان الخير كله بيده سبحانه وتعالى هق يعني روى البيهقي باسناده عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم امر الله تعالى يوم القيمة واتى بصيغة الماضي لتحقق الوقوع او لانطوا

بعناية الله تعالى من شوم الذنوب والاصرار عليها لانه دايم التوبة كما قال تعالى ان الله يحب التوابين صح

الزمان فی حق الله تعالی وفی نظر النبی صلی الله علیه وسلم حین شهد بذلک باشهاد الله تعالی
له فان الشی الموجود فی الزمان المستقبل یجوز ان یکشف الله تعالی عنه موجودا فی زمانه
کهیئته اذا وجد بلا فرق لمن هو موجود فی زمان قبله من الناس وغیرهم بحیث یراه
موجودا علی ما هو علیه فی وقته المستقبل ومع ذلک هو معدوم بالنسبة الی الوقت
الذی وقعت الرویة فیه کما رای النبی صلی الله علیه وسلم جماعة من امته لیلة المعراج ولم
یکونوا خلقوا بعد فراهم موجودین کذلک فی وقت وجودهم ومثله کشف الاولیا فیجوز
التعبیر عن المستقبل الذی لم یخلق بعد ولم یوجد بصیغة الماضی بهذا الاعتبار ونظیره
قوله تعالی حکایة عن یوم القیمة واذ قال الله یا عیسی ابن مریم الایة وهو کثیر فی القران
والاحادیث بعبد من عباده الی النار ای نار جهنم بسبب تقصیره فی الطاعة وعدم اخلاصه
فی العبادة کلها وتخلیطه فی العمل فلما وقف ذلک العبد علی شفتها ای النار یعنی حافتها
التفت ذلک العبد فقال اما بالتخفیف تحقیق للکلام الذی یتلوه تقول اما ان زیدا
عاقل تعنی انه عاقل علی الحقیقة لا علی المجاز وتقول اما والله قد ضرب زید عمروا
کذا فی الصحاح والله یا رب ان کان ظنی بک لحسن وقد خرجت من الدنیا علی ذلک فقال
الله تعالی للملایکة ردوه عن النار الی الجنة انا عند ظن عبدی المومن التایب الصالح بی
وان کان مقصرا فی کمال الطاعة والعبادة بحسب طاقته واما الثانی وهو حسن الظن
بالمومنین فمندوب الیه ای مستحب فیما یشک بالبنا للمفعول ای یشک الانسان یعنی
یتردد من امرهم ای المومنین ویحتمل ای امرهم عنده الصلاح والفساد واذا کان حسن
ظنه بهم مع هذه الحالة مندوبا الیه فلا یلزم ان یکون ضده وهو سوء الظن جایزا بل هو
حرام کما مر وترکهم حتی اشکل علیه امرهم بلا حسن ظن ولا سوء ظن هو الواجب علیه خصوصا
فی حق الانسان المسلم الظاهر العدالة ای الذی عدالته ظاهرة وهی الاستقامة فی السیرة
والدین وضدها الفسق والکامل منها رجحان جهة الدین والعقل علی طریق الهوی والشهوة
حتی اذا ارتکب کبیرة او اصر علی صغیرة سقطت عدالته وفی قوله الظاهر العدالة اشارة الی
ان حقیقة العدالة باطنا غیر مشروطة بل یکفی ما ظهر منها لا حاجة الا انصاف فحمله علی الفساد
فی حال من احواله حرام وحمله علی الصلاح امر مستحب وترکه متی لم یمکن ذلک واجب الخلق الخامس
والعشرون من الاخلاق الستین المذمومة التطیر مصدر تطیر من الشی واطیر منه والطیرة
وزان عنبة الاسم منه وهی التشاوم وکانت العرب اذا ارادت المضی لامر مرت بمجاثم الطیر
واثارتها لتستفید هل تمضی او ترجع فنهی الشارع عن ذلک وقال لا هامة ولا طیرة

وقار

354

وقال انوا الطیر فی وکناتها ای مجاثمها کذا فی المصباح وهو ای التشاوم حرام د
یعنی روی ابو داود باسناده عن ابن مسعود رضی الله عنه ان رسول الله صلی الله علیه
وسلم قال الطیرة وفی شرح مسلم للنووی انها بکسر الطا وفتح الیا علی وزن العنبة هذا
هو الصحیح المعروف فی روایة الحدیث وکتب اللغة والغریب وحکی القاضی عیاض
وابن الاثیر ان منهم من سکن الیا والمشهور الاول قالوا وهی مصدر تطیر طیرة
قالوا ولم یجی فی المصادر علی هذا الوزن الا تطیر طیرة وتخیر خیرة بالخاء المعجمة
وجا فی الاسما حرفان ایضا وهما شی طیبة ای طیب والتولة بکسر التا المثناة
فوق وضمها وهی نوع من السحر وقیل یشبه السحر وقال الاصمعی هو ما تحبب
به المراة الی زوجها والتطیر التشاوم واصله الشی المکروه من قول او فعل او مرئی
وکانوا یتطیرون بالسوانح والبوارح فینفرون الظبا والطیور فان اخذت
ذات الیمین تبرکوا به ومضوا فی سفرهم وحوایجهم فیستشرون بها وان اخذت ذات
الشمال رجعوا عن سفرهم وحوایجهم وتشاموا بها وکانت تصدهم فی کثیر من الاوقات
عن مصالحهم فنفی الشرع ذلک وابطله ونهی عنه واخبر انه لیس له تاثیر بنفع ولا یضر
شرک بالله تعالی قالها ثلاثا ای ثلاث مرات ای اعتقاد انها تنفع او تضر اذا عملوا
بمقتضاها معتقدین تاثیرها فهو شرک لانهم جعلوا لها اثرا فی الفعل والایجاد ذکره
النووی فی شرح مسلم وما منا ای ولیس احد محسوبا من جملتنا معاشر المومنین الا
بالتشدید من یتطیر ای یقع فعل التطیر فی قلبه ای التشاوم ولکن بالتشدید للاستدراک
الله سبحانه بمحض فضله یذهبه ای فعل التطیر بالتوکل علیه سبحانه
فالتوکل علی الله تعالی والتفویض الیه علاج الطیرة وفی حیاة الحیوان للدمیری قال
الخطابی معنی الحدیث ما منا الا من یعترضه التطیر ویستولی علی قلبه الکراهة فیه فحذفه
اختصارا للکلام واعتمادا علی فهم السامع قال البخاری کان سلیمان بن حرب ینکر هذا
ویقول هذا لیس من قول النبی صلی الله علیه وسلم وکانه من کلام ابن مسعود رضی الله عنه
خ یعنی روی البخاری باسناده عن ابی هریرة رضی الله عنه ان النبی صلی الله علیه وسلم قال لا عدوی
هی اسم من قول العرب ان الجرب لیعدی ای یجاوز صاحبه الی من قاربه حتی یجرب فیقال
اعداه بالالف کذا فی المصباح وفی الصحاح العدوی ما یعدی من جرب او غیره وهو مجاوزته
من صاحبه الی غیره یقال اعدی فلان فلانا من خلقه ومن علة به او جرب وفی الحدیث لا
عدوی ای لا یعدی شی شیا وقال النووی فی شرح صحیح مسلم المراد به نفی ما کانت الجاهلیة

تعتقده وتزعمه ان المرض والعاهات تعدى بطبعها لا بفعل الله تعالى ولا طيرة اى
ليس لها تاثير ينفع ولا يضر رد الما كانت الجاهلية تعتقده من التطير كما ذكرنا
ولا هامة الهامة من طير الليل وهو الصدا وتزعم الاعراب ان روح القتيل تخرج فتصير
هامة اذا لم يدرك ثاره فيصيح على قبره اسقونى اسقونى حتى يثار به وهذا مثل
يراد به تحريض ولى القتيل على طلبه فجعله جهلة الاعراب حقيقة كذا فى المصباح
وفى شرح مسلم للنووى قال وفيه تاويلان احدهما ان العرب كانت تتشاءم بالهامة
وهى الطاير المعروف من طير الليل وقيل هى البومة قالوا كانت اذا سقطت على دار
احدهم يراها ناعية له نفسه او بعض اهله وهذا تفسير مالك بن انس رضى الله
عنه والثانى ان العرب كانت تعتقد ان عظام الميت وقيل روحه تنقلب هامة وهذا
تفسير اكثر العلما وهو المشهور ويجوز ان يكون المراد النوعين فانهما جميعا
باطلان فبين النبى صلى الله عليه وسلم ابطال ذلك وضلالة الجاهلية فيما تعتقد من ذلك
وهى الهامة بتخفيف الميم على المشهور الذى لم يذكر الجمهور غيره وقيل بتشديدها
قاله جماعة وحكاه القاضى عن ابى زيد الانصارى الامام فى اللغة ولا صفر فيه
تاويلان ايضا احدهما تاخيرهم المحرم الى صفر وهو النسا الذى كانوا يفعلونه وبهذا
قال مالك وابو عبيدة والثانى ان الصفر دواب فى البطن وهى دود وكانوا يعتقدون
ان فى البطن دابة تهيج عند الجوع وربما قتلت صاحبها وكانت العرب تراها اعدى
من الجرب وهذا التفسير هو الصحيح وبه قال مطرف وابن وهب وابن حبيب
وابو عبيد وخلايق من العلما فيتعين اعتماده ويجوز ان يكون المراد هذا والاول جميعا
وان الصفرين جميعا باطلان لا اصل لهما ولا تعريج على واحد منهما وزاد الراوى
فى رواية اخرى وفر من المجذوم اى من به دا الجذام كما تفر من الاسد قال القاضى
عياض وقد اختلفت الاثار عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قصة المجذوم فثبت عنه الحديثان
وهما حديث مسلم كان فى وفد ثقيف رجل مجذوم فارسل اليه النبى صلى الله عليه وسلم
انا قد بايعناك فارجع وحديث البخارى فر من المجذوم فرارك من الاسد وعن جابر رضى
الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم اكل مع المجذوم وقال كل ثقة بالله وتوكلا عليه وعن عايشة
رضى الله عنها قالت كان لنا مولى مجذوم فكان ياكل فى صحافى ويشرب فى اقداحى وينام
على فراشى وذهب عمر رضى الله عنه وغيره من السلف الى الاكل معه وروا ان الامر باجتنابه
منسوخ والصحيح الذى قاله الاكثرون ويتعين المصير اليه انه لا نسخ بل يجب الجمع

يبين

يبين الحديثين ويحمل الامر باجتنابه والفرار منه على الاستحباب والاحتياط لا للوجوب
واما الاكل معه ففعله لبيان الجواز قال القاضى عياض قال بعض العلما فى هذا الحديث
وما فى معناه دليل على انه يثبت للمراة الخيار فى فسخ النكاح اذا وجدت زوجها مجذوما
او وجدت بها جذام واختلف اصحاب الشافعى واصحاب مالك فى ان امته هل لها
منع نفسها من استمتاعه اذا ارادها قال القاضى ويمنع من المسجد والاختلاط بالناس
قال وكذلك اختلفوا فى انهم اذا كثروا هل يومرون ان يتخذوا لانفسهم موضعا منفردا
خارجا عن الناس ولا يمنعون من التصرف فى منافعهم وعليه اكثر الناس ام لا يلزمهم
التنحى قال ولم يختلفوا فى القليل منهم يعنى انهم لا يمنعون من صلاة الجمعة مع الناس
ويمنعون من غيرها قال ولو استضر اهل قرية فيها جذمى بمخالطتهم فى الما فان قدروا على
استنباط ما بلا ضرر امروا به والا استنبطه لهم الاخرون او اقاموا من يستقى
لهم والا فلا يمنعون ذكره النووى فى شرح مسلم واما فى مذهبنا فلا يفسخ النكاح بعيب
احد الزوجين د يعنى روى ابو داود باسناده عن قطن بن قبيصة عن ابيه انه قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول العيافة بالعين المهملة والفا من عفت الطير
اعيفها عيافة اذا زجرتها ومنه حديث ابن سيرين وذكر شريحا فقال كان عايفا وكان
قايفا اراد انه كان صادق الحدس وهذا كما تقول ما هو الا ساحر اذا كان رفيقا
وما هو الا كاهن كاهن اذا كان يصيب بالظن والعايف الذى يعيف الطير
اى يزجرها ويعتبرها باسمايها واصواتها ومساقطها والقايف الذى يعرف الاثار
والشبه ذكره الهروى فى الغريبين والطيرة هى ما ذكرنا والطرق بالسكون الضرب
بالحصا وهو ضرب من التكهين والطراق المتكهنون والطوارق المتكهنات
كذا فى الصحاح وفى الغريبين للهروى قال ابو عبيد الطرق الضرب بالحصا
واصل الطرق الضرب وبه سميت مطرقة الصايغ وقال ابو زيد الطرق ان
يخط الرجل باصبعين ثم باصبع ويقول ابنى عيان اسرعا البيان من الجبت
بالجيم والبا الموحدة والتا المثناة الفوقية وهى كلمة تقع على الصنم والكاهن
والساحر ونحو ذلك وهذا ليس من محض العربية كذا فى الصحاح وفى الغريبين
للهروى قال ابن عرفة كل ما عبد من دون الله فهو جبت وقيل الجبت والطاغوت
الكهنة والشياطين خ م يعنى روى البخارى ومسلم باسنادهما عن ابن عمر رضى الله
عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا عدوى قال القاضى عياض واختلفوا

في قوله صلى الله عليه وسلم لاعدوى فقيل هو نهي عن ان يقال ذلك او يعتقد وقيل هو خبر
اي لا تقع عدوى بطبعها كذا في شرح النووي لمسلم وذكر ايضا في قول الاعرابي يا رسول الله
فما بال الابل تكون في الرمل كانها الظبا فيجي البعير الاجرب فيدخل فيها فيجربها كلها قال
فمن اعدى الاول معناه ان البعير الاول الذي جرب من اجربه وانتم تعلمون وتعترفون
ان الله تعالى الذي اوجد ذلك فيه من غير ملاصقته لبعير اجرب فاعلموا ان البعير الثاني والثالث
وما بعدهما انما جرب بفعل الله تعالى وارادته لا بعدوى تعدى بطبعها ولو كان الجرب بالعدوى
بالطبع لم يجرب الاول لعدم المعدي في الحديث بيان الدليل القاطع لابطال قولهم في العدوى
بطبعها ولا طيرة كما قدمناه وانما الشوم وهو الشر ورجل مشوم غير مبارك وتشام
القوم به مثل تطير وابه كذا في المصباح في ثلاث من الاشيا الاول في الفرس ويشمل
البراذين والعتاق والثاني في المراة الزوجة والامة والثالث في الدار المملوكة او
المستاجرة او المستعارة وفي رواية عن ابن عمر رضي الله عنهما انه قال ذكر والشوم
اي من كان حاضرا في ذلك المجلس عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال عليه الصلاة والسلام
ان كان الشوم في شي ففي الدار والمراة والفرس وفي رواية مسلم الشوم في الدار والمراة والفرس
وفي رواية وانما الشوم في ثلاثة في المراة والفرس والدار وفي رواية ان كان الشوم في شي
ففي الفرس والمسكن والمراة وفي رواية ان كان في شي ففي الربع والخادم والفرس ذكره النووي
في شرح مسلم د يعني روى ابو داود باسناده عن انس رضي الله عنه انه قال قال رجل يا رسول
الله انا كنا في دار كثير فيها عددنا وكثير فيها اموالنا فتحولنا الى دار اخرى غير الدار الاولى فقل
فيها عددنا وقلت فيها اموالنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذروها اي اتركوها يعني
الدار الاولى د ميمة اي مذمومة عندكم اختلفوا يعني العلما الذين تكلموا على معنى هذه
الاحاديث في تطبيق اي مطابقة وموافقة قوله عليه الصلاة والسلام انما الشوم في ثلاث
وبقية الروايات لعموم قوله عليه الصلاة والسلام الطيرة شرك وقوله ايضا لا طيرة فان ظاهر
هذه الاحاديث متناقض قال بعضهم اي بعض العلما شوم الثلاث اي الفرس والمراة
والدار بطريق الفرض والتقدير بدليل الرواية الاخرى المذكورة وهي قوله عليه السلام
ان كان الشوم في شي ففي الدار والمراة والفرس اي ان فرضنا وقدرنا انه موجود في شي فهو
في هذه الاشيا الثلاثة والروايات يفسر بعضها بعضا وقال بعضهم اي العلما شوم
المراة سوخلقها اي قبح طبيعتها وعادتها وشوم الفرس شموسها شمس الفرس يشمس
ويشمس ايضا شموسا وشماسا بالكسر استعصى على راكبه فهو شموس وخيل شمس

مثل

مثل رسول ورسل ولا يقال فرس شموص بالصاد كذا في المصباح وشوم الدار ضيقها
اي كونها ضيقة على ساكنها وسو جارها اي الدار فانه من شومها ايضا وقيل شوم المراة
اي الزوجة غلا مهرها وقيل ان لا تلد بان تكون عاقرا وكذلك شوم الامة غلا قيمتها
او كونها لا تلد وشوم الفرس ان لا يغزى بالبنا المفعول عليها اي لا يغزوا يعني يذهب الى
الغزاة بها صاحبها وقال بعضهم ان هذه الاشيا الثلاثة الفرس والمراة والدار والخادم
ايضا في الرواية التي ذكرناها مخصوصة اي مستثناة من الطيرة المنهي عنها ويقويه اي هذا
القول قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الاخر المذكور قريبا ذروها ذميمة في الدار التي
شكى منها اهلها ويكون شومها اي هذه الاشيا الثلاثة المذكورة وكذا الرابع باذن اي
بامر وارادة الله تعالى وبخاصته اي بسبب خاصية وضعها الله تعالى فيها كالادوية
المضرة فانها تضر بسبب الخاصية الموضوعة فيها على معنى ان الله تعالى يخلق الضرر عند
تلك الخاصية لا بالاستعانة بها بل بملابستها ومصاحبتها مثل بقية الاسباب العادية
والعين فانها حق كما ورد في الحديث وقد جعلها الله تعالى سببا لخلق الضرر في المعيون بسبب
ما فيها من الخاصية كما مر بيانه في محله من هذا الكتاب لا بطبعها من دون الله تعالى وقال
النووي في شرح صحيح مسلم اختلف العلما في هذا الحديث فقال مالك وطايفة هو على ظاهره
وان الدار قد يجعل الله تعالى سكناها سببا للضرر او الهلاك وكذا اتخاذ المراة المعينة
او الفرس او الخادم وقد يحصل الهلاك عنده بقضا الله تعالى وقدره ومعناه قد يحصل
الشوم في هذه الثلاث كما صرح به في رواية ان يكن الشوم في شي وقال الخطابي وكثيرون
هو في معنى الاستثنا من الطيرة اي الطيرة منهي عنها الا ان تكون له دار يكره سكناها او امراة
يكره صحبتها او فرس او خادم فليفارق الجميع بالبيع ونحوه وطلاق المراة وقال اخرون شوم
الدار ضيقها وسو جيرانها واذاهم وشوم الخادم سو خلقه وقلة تعهده لما فوض اليه
وقيل المراد بالشوم هنا عدم الموافقة وكذا اختلفوا يعني العلما في تطبيق اي مطابقة وموافقة
قوله عليه الصلاة والسلام فيما مر من الحديث وفر من المجذوم كما تفر من الاسد وقوله عليه
الصلاة والسلام لا يورد بكسر الرا ممرض على مصح بكسر الرا وكسر الصاد المهملة ومفعول
يورد محذوف اي لا يورد ابله المراض قال العلما الممرض صاحب الابل المراض والمصح
صاحب الابل الصحاح فمعنى الحديث لا يورد صاحب الابل المراض ابله على ابل صاحب الابل
الصحاح كذا في شرح مسلم للنووي خرجه اي هذا الحديث خ م يعني البخاري ومسلم
باسنادهما عن ابي هريرة رضي الله عنه لعموم قوله عليه الصلاة والسلام فيما مر من الحديث

وشوم المراة عدم ولادتها وسلاطة
لسانها وتعرضها للريب وشوم الفرس ان
لا يغزى عليها وقيل حرانها وغلاء ثمنها
صح

لاعدوى فان اكثرهم حملوا الحديثين الاولين حديث فر من المجذوم وحديث لا يورد ممرض
على مصح نفيا اى حفظا الاعتقاد لانه ربما اصاب ابله المرض بفعل الله تعالى وقدره الذى اجرى
به العادة لا بطبعها فيحصل لصاحبها ضرر بمرضها وربما حصل له ضرر اعظم من ذلك باعتقاده
العدوى بطبعها فيكفر كما قالوا فى الطاعون وهو الموت من الوبا والجمع طواعين وطعن
الانسان بالبنا للمفعول اصابه الطاعون فهو مطعون كذا فى المصباح والوبا مهموز
مقصور وممدود لغتان القصر افصح واشهر واما الطاعون فهو قروح تخرج من
الجسد فيكون فى المرافق والاباط والايدى او الاصابع وساير البدن ويكون معه ورم
والم شديد وتخرج تلك القروح مع لهيب ويسود ما حواليه او يخضر او يحمر حمرة
بنفسجية كدرة ويحصل معه خفقان القلب والقى واما الوبا فقال الخليل وغيره
هو الطاعون وقال اخرون هو كل مرض عام والصحيح الذى قاله الاكثرون انه مرض
الكثيرين من الناس فى جهة من الارض دون ساير الجهات ويكون مخالفا للمعتاد من
الامراض فى الكثرة وغيرها ويكون مرضهم نوعا واحدا بخلاف ساير الاوقات فان امراضهم
فيها مختلفة قالوا فكل طاعون وبا وليس كل وبا طاعونا قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم فى الطاعون انه رجز ارسل على بنى اسرايل او على من كان قبلكم فاذا سمعتم
به بارض فلا تقدموا عليه واذا وقع بارض وانتم فيها فلا تخرجوا فرارا منه وفى رواية
ان هذا الوجع والسقم رجز عذب به بعض الامم ثم بقى بعد بالارض فيذهب المرة ويأتى
المرة فمن سمع به بارض فلا يقدمن عليه ومن وقع بارض وهو بها فلا يخرجه الفرار منه
وفى هذه الاحاديث منع القدوم على بلد الطاعون ومنع الخروج منه فرارا من ذلك اما
الخروج لعارض فلا باس به قال القاضى عياض هو قول الاكثرين حتى قالت عايشة رضى
الله عنها الفرار منه كالفرار من الزحف قال ومنهم من جوز القدوم عليه والخروج منه
فرارا قال روى هذا عن عمر بن الخطاب وانه ندم على رجوعه من سرغ بسين مهملة مفتوحة
ثم را ساكنة ثم غين معجمة وهى قرية فى طرف الشام مما يلى الحجاز وعن ابى موسى الاشعرى
ومسروق والاسود بن هلال انهم فروا من الطاعون وقال عمرو بن العاص فروا من هذا الرجز
فى الشعاب والاودية ورؤس الجبال فقال معاذ بل هو شهادة ورحمة وتاول هولاء
النهى على انه لم ينه عن الدخول عليه والخروج منه مخافة ان يصيبه غير المقدور لكن مخافة
الفتنة على الناس لئلا يظنوا ان هلاك القادم انما حصل بقدومه وسلامة الفار انما
كانت بفراره قالوا وهو من نحو النهى عن الطيرة والقرب من المجذوم قالوا وقد جاء عن ابن

مسعود

مسعود رضى الله عنه قالوا الطاعون فتنة على المقيم والفار اما الفار فيقول فررت
ونجوت واما المقيم فيقول اقمت فمت وانما فر من لم يات اجله واقام من حضر اجله
والصحيح ما قدمناه من النهى عن القدوم عليه والفرار منه لظاهر الاحاديث الصحيحة
قال العلما وهو قريب المعنى من قوله صلى الله عليه وسلم لا تتمنوا لقا العدو وسلوا الله
العافية واذا لقيتموهم فاصبروا كذا فى شرح صحيح مسلم للنووى وقال بعضهم
فى التطبيق بين الاحاديث فى المجذوم والممرض بالعدوى بالحمل فى العدوى على ان المنفى
التعدية اى مجاوزة ما يعدى من صاحبه الى غيره بالطبع اى بتاثيره من دون قدرة
الله تعالى كما يعتقده اصحاب الطبيعة من الفلاسفة واما التعدية باذن اى امر الله
تعالى وارادته وخلقه اى تقديره وايجاده سبحانه فجايز ذلك لا منع منه وارتضاه اى
هذا القول الامام التورپشتى رحمه الله تعالى لما فيه من التوفيق بين الاحاديث
المذكورة التى ظاهرها التناقض وبينها اى الاحاديث وبين قول الاطبا حيث ذهبوا
الى ان العلل جمع علة علّ الانسان بالبنا للمفعول مرض ومنهم من يبنيه للفاعل
من باب ضرب فيكون المتعدى من باب قتل فهو عليل والعلة المرض الشاغل والجمع
علل مثل سدرة وسدر كذا فى المصباح السبع نعت للعلل تتعدى اى تتجاوز من
صاحبها الى غيره الاول الجذام من الجذم بالفتح وهو القطع من باب ضرب يقال جذم
الانسان بالبنا للمفعول اذا اصابه الجذام لانه يقطع اللحم ويسقطه وهو مجذوم قالوا
ولا يقال فيه من هذا المعنى فهو اجذم وزان احمر كذا فى المصباح والثانى الجرب يقال جرب
البعير وغيره جربا من باب تعب فهو اجرب والجرب خلط غليظ يحدث تحت الجلد من مخالطة
البلغم الملح للدم ويكون معه بثور وربما حصل معه هزال لكثرته كذا فى المصباح
والثالث الجدرى بفتح الجيم وضمها واما الدال فمفتوحة فيهما قروح تنفط عن
الجلد ممتلية ماء ثم تنفتح وصاحبها جدير مجدر ويقال اول من عذب به قوم فرعون
ثم بقى بعدهم كذا فى المصباح والرابع الحصبة وزان كلمة واسكان الصاد لغة بثور
تخرج بالجسد ويقال هى الجدرى والخامس البخر يقال بخر الفم بخرا من باب تعب
انتنت ريحه فالذكر ابخر والانثى بخرا والجمع بخر مثل احمر وحمرا وحمر والسادس
الرمد رمدت العين رمدا من باب تعب فالرجل ارمد والانثى رمدا مثل احمر وحمرا والسابع
الامراض الوبايية اى المنسوبة الى الوبا بالهمز مرض عام يمد ويقصر كذا فى المصباح
وذلك كالطاعون والحمى الوبايية والنزلات الدموية فيكون هذه العلل السبع متعدية

من صاحبها الى الغير انما ذلك بطريق جريان عادة الله تعالى فالله تعالى هو الخالق
المؤثر بقدرته في ذلك لا غيره قال القاضي عياض قال بعض العلما الجامع لهذه الفصول
السابقة في هذه الاحاديث انها ثلاثة اقسام احدها ما لم يقع الضرر به ولا اطردت به
عادة لا خاصة ولا عامة فهذا لا يلتفت اليه وانكر الشرع الالتفات اليه وهي الطيرة
والثاني ما يقع عنده الضرر عموما لا يخصه ونادرا لا متكررا كالوبا فلا يقوم عليه ولا يخرج
منه والثالث ما يخص ولا يعم كالدار والفرس والمراة فهذا ابيح الفرار منه وضد الطيرة
الفال مهموز ويجوز ترك همزه وجمعه فؤول كفلس وفلوس قال العلما يكون الفال
فيما يسر وفيما يسوء والغالب في السرور والطيرة لا تكون الا فيما يسوء قالوا
وقد تستعمل مجازا في السرور يقال تفاءلت بكذا بالتخفيف وتفالت بالتشديد وهو
الاصل والاول مخفف منه ومقلوب عنه كذا في شرح مسلم للنووي فالطيرة فيما يسوء
والفال فيما يسر ولهذا كان ضدها وحد فسره النبي صلى الله عليه وسلم بالكلمة الصالحة
والحسنة والطيبة كما ياتي وهو اي الفال مستحب لان النبي صلى الله عليه وسلم كان
يحبه كما سنذكره في بعض الروايات وكان يعجبه عليه السلام خ م يعني روى البخاري
ومسلم باسنادهما عن انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا عدوى
ولا طيرة ويعجبني الفال قالوا وما الفال قال كلمة طيبة وفي رواية لا طيرة ويعجبني

خيرها الفال فقيل يا رسول الله وما الفال قال كلمة صالحة يسمعها احدكم وفي رواية ولا طيرة صح

الفال الكلمة الحسنة الكلمة الطيبة في رواية واحب الفال الصالح قال العلماء انما
احب الفال لان الانسان اذا امل فايدة الله تعالى وفضله عند سبب قوي او ضعيف
فهو على خير في الحال وان غلط في جهة الرجا فالرجا له خير واما اذا قطع رجاه وامله
من الله تعالى فان ذلك شر له والطيرة فيها سوء الظن وتوقع البلا ومن امثال التفاول
ان يكون له مريض فيتفال بما يسمعه فيسمع من يقول سالم او يكون طالب حاجة
فيسمع من يقول يا واجد فيقع في قلبه رجا البرء والوجدان ذكره النووي في شرح
مسلم ت يعني روى الترمذي باسناده عن انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان يعجبه اذا خرج لحاجة ان يسمع من غيره قول يا راشد من الرشد وهو
الصلاح وهو خلاف الغي وهو اصابة الصواب يا نجيح من النجح يقال انجحت الحاجة
انجاحا وانجح الرجل ايضا اذا قضيت حاجته والاسم النجاح بالفتح كذا في المصباح والمعنى
اذا سمع احدا ينادي بهذين الاسمين من سمي بهما او وصف بهما او احدهما فيتفاءل
بذلك في رشد حاجته ونجاحها اي قضايها د يعني روى ابو داود باسناده عن عروة بن

عامر

358

عامر رضي الله عنه انه قال ذكرت الطيرة بالبنا للمفعول اي ذكرها احد من
الحاضرين عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام احسنها
اي احسن الطيرة بحسب اصل معناها العام الذي هو التشاوم قال
الدميري في حياة الحيوان الطيرة التشاوم بالشي قال تعالى وان تصبهم
سيية يطيروا بموسى ومن معه الا انما طايرهم عند الله اي شومهم جا من قبل
الله وهو الذي قضى عليهم بذلك وقدره الفال لانه مخصوص بما يسر ولا ترد
اي الطيرة بمعنى ترجع مسلما عما شرع فيه من سفر ونحوه فاذا ردته زاعما
ما كانت عليه الجاهلية من التاثير في الشوم بطبعها فليس ذلك بمسلم
بل يكفر حينيذ ويويده ما ذكره الدميري في حياة الحيوان عن التمهيد لابن
عبد البر من حديث المقبري عن ابن لهيعة عن ابي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله

عن ابن هبيرة

ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من رجعته الطيرة
عن حاجته فقد اشرك قالوا وما كفارة ذلك يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم
ان يقول احدهم اللهم لا طير الا طيرك ولا خير الا خيرك ولا اله غيرك ثم يمضي
لحاجته انتهى وذكر والدي رحمه الله تعالى في شرحه على شرح الدرر قال
صاحب الطير فقال رجل يموت المريض او خرج الى السفر فرجع لصياح
العقعق كفر عند بعضهم وقيل لا كذا في البزازية ونحوه في فصول العمادي
والخلاصة وجامع الفتاوى وغيرها والاصح انه لا يكفر كما في عمدة المفتي وفي
الخانية وجه القول بعدم الكفر انه انما قال ذلك على وجه التفاول قال ابن
الشحنة وعلى هذا ينبغي ان يجري ساير احكام الفعل بمقتضى الطيرة ويكون
الخلاف واقعا في كفره وكذا في كل ما يقوله الانسان عند ~~ما يكون~~ وقوع امر
من الامور التي تقول الجهلة عندها يكون كذا من الامر كما ذكر في مسئلة
صياح الهامة اي البومة وقد علل في مثل ذلك في البزازية بانه ادعى الغيب
فتامله انتهى ولعل قول الخانية في تعليل عدم الكفر انه على وجه التفاول اي من غير
قطع بذلك بل مع الاحتمال عنده ومسئلة البزازية في صياح الهامة وانه
يدل على موت المريض او صاحب الدار يكفر اذا قطع به من غير شبهة عنده
لانه يدعي الغيب فيكفر بدعواه ذلك واذا راى احدكم اي من الطيرة والتطير شيا
ما يكرهه في دنياه او دينه فليقل استحبابا اللهم اي يا الله لا ياتي بالحسنات

اى الحالات الدنيوية والاخروية الا انت ولا يدفع السيات من ذلك الا انت ولا حول
لنا ولا لشى مطلقا ولا قوة كذلك الا بك وفى شرح الجامع الصغير للمناوى قال الحرالى
القوة وسط ما بين الحول وظاهر القدرة لان اول ما يوجد فى الباطن
من همة العمل يسمى حولا ثم ما يحس به فى الاعضا مثلا يسمى قوة وظهور العمل
بصورة البطش والتناول يسمى قدرة ولذلك كان فى كلمة لا حول ولا قوة الا بالله
رجع بالامور والاعمال الظاهرة الى مسند امر الله تعالى وقال الدميرى فى حياة
الحيوان اعلم ان التطير انما يضر من اشفق منه وخاف واما من لم يبال به ولم
يعا نه فلا يضره البتة لا سيما ان قال عند روية ما يتطير به او سماعه اللهم
لا طير الا طيرك ولا خير الا خيرك ولا اله غيرك اللهم لا ياتى بالحسنات الا انت ولا
يذهب بالسيات الا انت ولا حول ولا قوة الا بك واما من كان معتنيا بها فهى اليه
اسرع من السيل الى منحدر قد فتحت له ابواب الوسواس فيهما يسمعه ويراه
ويفتح له الشيطان منها المناسبات البعيدة والقريبة فى اللفظ والمعنى ما يفسد
عليه دينه وينكد عليه عيشه قال ابن عبد الحكم لما خرج عمر بن عبد العزيز من
المدينة قال رجل من لخم نظرت فاذا القمر فى الدبران فكرهت ان اقول له فقلت
الا تنظر الى القمر ما احسن استواءه فى هذه الليلة فنظر عمر فاذا هو فى الدبران
فقال كانك اردت ان تعلمنى انه فى الدبران انا لا نخرج بشمس ولا قمر ولكن
نخرج بالله الواحد القهار قال ابن خلكان ومن قبيح ما وقع لابى نواس ان جعفر
ابن يحيى بنى دارا استفرغ فيها جهده فلما كملت وانتقل اليها فصنع فيها
ابو نواس قصيدة امتدحه بها اولها

اربع البلى ان الخشوع لبادى ۞ عليك وانى لم اخنك ودادى
سلام على الدنيا اذا ما فقدتم ۞ بنى برمك من رائحين وغادى

فتطير منها ابن برمك وقال نعيت لنا انفسنا يا ابا نواس فما كانت الا مديدة
حتى اوقع بهم الرشيد وصحت الطيرة فظهر مما ذكر ان المراد بالفال حيث
هو جايز الفال المحمود اى الذى يوقع السرور فى القلوب ليس الفال الذى يفعل
فى زماننا فيتطلبون به معرفة الحال من الخير او الشر كانه استكشاف عن
الغيب مما يسمونه فال القران او فال دانيال او نحوهما من الكتب المصنفة فى
استخراج ذلك والزايرجات الموضوعة للاطلاع على الاحوال المستقبلة

وقد صنفت رسالة فى حكم التكلم بالعلوم الجفرية والاشارات الحرفية
سميتها اللولو المكنون فى حكم الاخبار عما سيكون بل هى من قبيل
الاستقسام بالازلام جمع زلم بفتح اللام وبضم الزاى وتفتح القدح
بالكسر وهو السهم قبل ان يراش ويركب نصله وكانت العرب فى الجاهلية
تكتب عليها الامر والنهى وتضعها فى وعا فاذا اراد احدهم امرا ادخل يده
واخرج قدحا فان خرج ما فيه الامر مضى لقصده وان خرج ما فيه النهى
كف كذا فى المصباح وقد نهى الله تعالى عن فعل ذلك فى القران العظيم فلا يجوز
استعمالها اى هذه الاشيا المذكورة التى هى من قبيل الاستقسام بالازلام
ولا اعتقادها حقا كيف وان فيها الخبر عن الغيب ولا يعلم الغيب الا الله
فمن ادعاه بالاستقلال لنفسه من دون علامة او غلبة ظن بفراسة
ونحوها فقد كفر وفيها ايضا التطير اى التشاوم بالقران العظيم الذى هو
شفا لما فى الصدور نعوذ بالله تعالى من ذلك الادعا للغيب والتشاوم
بالقران وقال والدى رحمه الله تعالى فى شرحه على شرح الدرر وفى التحفة
اخذ الفال من المصحف مكروه كذا ذكره القهستانى يعنى كراهة تحريم لانها
المحمل عند الاطلاق عندنا وفى حياة الحيوان للدميرى جزم الامام العلامة
ابن العربى فى الاحكام فى سورة المايدة بتحريم اخذ الفال فى المصحف ونقله
القرافى عن الامام العلامة ابى الوليد الطرطوشى واقره واباحه ابن بطه من
الحنابلة ومقتضى مذهب الشافعى كراهته يعنى كراهة تنزيه لانها المحمل
عند الاطلاق عنده وحكى الماوردى فى كتاب ادب الدنيا ان الوليد بن يزيد
ابن عبد الملك تفال يوما فى المصحف فخرج له قوله تعالى واستفتحوا وخاب
كل جبار عنيد فمزق المصحف وانشا يقول

اتوعد كل جبار عنيد ۞ فها انا ذاك جبار عنيد
اذا ما جيت ربك يوم حشر ۞ فقل يا رب مزقنى الوليد

فلم يلبث الا اياما يسيرة حتى قتل شر قتلة وصلب راسه على قصره ثم على
سور بلده وانما الفال هو التيمن والتبرك بالكلمة الحسنة التى يراها مكتوبة
او يسمعها الموافقة للمراد والمطلوب له كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كالراشد والنجيح كما سبق ويلحق بها اى الكلمة الحسنة روية

الصالحين والايام الشريفة ونحوهما من الاوقات المباركة والاماكن الميمونة
اذا ساقه الله تعالى الى شئ من ذلك وهو فى طلب حاجته فليس فيه اى شئ مما
ذكر الحكم على الغايب عنه من الاحوال بل فيه مجرد طلب الخير ورجا حصول المراد
والبشارة بذلك من الله تعالى قال الدميرى فى حياة الحيوان روى البزار عن
بريدة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم امر بحلاب لقحة فقام رجل فقال له
ما اسمك فقال مرة فقال صلى الله عليه وسلم اقعد فقام اخر فقال ما اسمك فقال
يعيش قال عليه الصلاة والسلام احلب ورواه مالك عن يحيى بن سعيد ان النبى
صلى الله عليه وسلم اتى بلقحة تحلب فقال عليه الصلاة والسلام من يحلب هذه فقام
رجل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اسمك قال مرة قال صلى الله عليه وسلم
اجلس ثم قال عليه الصلاة والسلام من يحلب هذه فقام رجل فقال ما اسمك قال
صلى الله عليه وسلم اجلس ثم قال من يحلب هذه فقام رجل فقال ما اسمك قال
يعيش قال عليه الصلاة والسلام احلب ثم روى عن يحيى بن سعيد ان عمر بن الخطاب
رضى الله عنه قال لرجل ما اسمك فقال جمرة قال ابن من قال ابن شهاب قال ممن قال
من الحرقة قال اين مسكنك قال بحرة النار قال بايها قال بذات لظى فقال له عمر رضى
الله عنه ادرك اهلك فقد احترقوا قال فكان كما قد قال عمر رضى الله عنه وفى السيرة
انه صلى الله عليه وسلم لما خرج الى بدر مر بجبلين فسال عن اسمهما فقيل احدهما
مسلح والاخر مخرئ فعدل عن طريقهما وليس هذا من الطيرة التى نهى عنها صلى الله
عليه وسلم بل من كراهة الاسم القبيح فقد كان صلى الله عليه وسلم كتب الى امرائه
اذا ابردتم الى بريدا فابردوه حسن الوجه حسن الاسم وفى حديث البراء ومالك
زيادة رواها ابن وهب وهى فقام عمر رضى الله عنه فقال لا ادرى اقول ام اسكت
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قل فقال كيف نهيتنا عن الطيرة وتطيرت فقال
صلى الله عليه وسلم ما تطيرت ولكنى اثرت الاسم الحسن الخلق السادس والعشرون
من الاخلاق الستين المذمومة البخل والتقتير اى التقليل على نفسه وغيره وهو
اى البخل والتقتير ملكة اى قوة راسخة فى النفس مضافة الى امساك المال حيث
اى فى الموضع الذى يجب على الانسان اى يتعين عليه من قبيل عموم المجاز للاستعمال
الوجوب فى الشرعى والعرفى لا متناعه عندنا بذله اى المال يعنى اعطاه الى الغير بحكم
الشرع كالزكاة والفطرة ونفقة الزوجة والقريب او بحكم المروة كالصدقة النافلة

وهدية

وهدية الاقارب والجيران والاصحاب وهو اى المروة ترك المضايقة
على نفسه وغيره من عايلته واقاربه وجيرانه وترك الاستقصا اى المبالغة
فى الاشيا المحقرات اى القليلة اليسيرة فيما يجب عليه الغير او يمسكها عن الغير
وذلك اى ترك المضايقة والاستقصا يختلف باختلاف الاشخاص المنفقين
من جهة كثرة العايلة وقلتها وبعض الاماكن دون بعض والمنفق عليهم ايضا
وباختلاف الاحوال كحال الغلا والرخص والسفر والاقامة من الاقارب له
بيان للاشخاص والاجانب عنه فقد يترك المضايقة فى حق الاقارب ويفعلها
فى الاجانب فيما عدا الواجب وحال الغنا وحال الفقر فى المنفقين والمنفق
عليهم ونحو ذلك من حال القنع وغيره وحال الاكابر من الناس والاصاغر منهم
واشد البخل الامساك عن نفسه بان لا يسمح فى نفسه ان ياكل من ماله او يلبس
منه او يتداوى اذا مرض منه وقيل يسمى هذا البخل شحا وفى الصحاح الشح البخل
مع حرص تقول شححت بالكسر تشح وشححت ايضا تشح وتشح ورجل شحيح
وقوم شحاح واشحة وفى المجمل لابن فارس الشحيح البخيل والشح البخل
مع حرص وفى مختصر القاموس الشح مثلثة البخل والحرص الخلق السابع
والعشرون من الاخلاق الستين المذمومة الاسراف والتبذير وهو
اى الاسراف والتبذير ملكة اى قوة راسخة فى النفس مضافة الى بذل المال
حيث اى فى الموضع الذى يجب على المكلف امساكه فيه بحكم الشرع عليه بذلك
كشرا الالات فسق وفجور واعطا لمن يستعين به على ذلك او بحكم
المروة كدفعه للاجانب والتصدق به عليهم وترك الاقارب والجيران
المحاويج وهى اى المروة المذكورة رغبة صادقة منسوبة للنفس مستغرقة
مستغرقة لجهدها فى الافادة اى اعطا المال للغير بقدر ما يمكن من
وسعها وطاقتها والفتوة هى الكرم كذا فى مختصر القاموس والفتى
وهو السخى الكريم يقال هو فتى بين الفتوة وقد تفتى وتفاتى والجمع
فتيان وفتية وفتو على فعول وفتى مثل عصى كذا فى الصحاح اخص منها
اى من المروة المذكورة لاستعمالها فى البذل مطلقا وهو اى ذلك الاخص
الذى هو الفتوة كف الاذى عن الغير وبذل الندا بالفتح اى العطا والجود والصفح
اى المسامحة والمجاوزة عن العثرات اى الزلات من الغير وستر العورات بحيث

لا تخزى احدا ولا يفضحه ولو اطلع على عيوبه ومقابحه وهما اى الاسراف
والتبذير فى كل حالة مخالفة لامر الشرع الشريف حرامان لا يجوز فعلهما
وفى كل حالة مخالفة لمقتضيات المروة مكروهان تنزيها اى الى الحل
اقرب وضدهما مبتدا اى ضد الاسراف والتبذير وهو اى ذلك الضد
الوسط بالتحريك اى المعتدل يقال شى وسط اى بين الجدى والردى كذا فى
المصباح بين ذينك تثنية ذا اسم اشارة للمفرد المذكر الطرفين الاول
التفريط اى التقصير والثانى الافراط اى الاكثار مع الميل الى البذل اى العطا
السخا خبر المبتدا والجود اى فهو اى السخا والجود ملكة بذل اى اعطا المال
بذلا زايدا على الواجب عليه شرعا او عرفا لنيل اى حصول الثواب او نيل فضيلة
الجود اى الكرم ونيل تطهير النفس عن رذالة البخل لا لغرض اخر غير ما ذكر مع
الاحتراز عن الاسراف قال الله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة اى مربوطة مشدودة
الى عنقك من كثرة البخل مخافة ان تغلط فتعطى اذا كانت مرسلة ولا تبسطها
اى يدك كل البسط فى الاعطا والكرم فتقعد ملوما اى كثير اللوم والعتاب من
الغير لك على اسرافك محسورا اى كثير التحسير من غيرك لك يقال حسرت على
الشى حسرا من باب تعب والحسرة اسم منه وهى التلهف والتاسف وحسرته
بالتثقيل اوقعته فى الحسرة كذا فى المصباح وقال الله تعالى والذين اذا انفقوا
على انفسهم او غيرهم نفقة واجبة او نافلة لم يسرفوا فى ذلك ولم يقتروا اى
يقللوا وكان انفاقهم بين ذلك قواما بالفتح وهو العدل والاعتدال واعلى
مراتب السخا الايثار اى تقديم الغير على النفس فى العطا وهو اى الايثار بذل
المال للغير مع وجود الحاجة اليه قال الله تعالى ويوثرون اى يقدمون فى الاعطا
غيرهم على انفسهم ولو كان بهم خصاصة بالفتح وهو الفقر والحاجة الاية اى
اكمل الاية وذلك قوله تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون اى من يوقيه
الله تعالى شح نفسه فهو المفلح فى الدنيا والاخرة لان الشح لا ياتى بخير واعلم ان الايثار فى
القربات مكروه وفى غيرها محبوب قال الشيخ عز الدين لا ايثار فى القربات فلا ايثار
بما الطهارة ولا بستر العورة ولا بالصف الاول لان الغرض بالعبادات التعظيم
والاجلال فمن اثر به فقد ترك اجلال الاله وتعظيمه وقال الامام لو دخل الوقت
ومعه ما يتوضا به فوهبه لغيره ليتوضا به لم يجز لا اعرف فيه خلافا لان الايثار انما

يكون

والصواب والبخل
معام والتبذير
ا مر

والطاعات

امن امور الدنيا فهو
الاشباه والنظاير قال
رق القرب مكروه
ح

يكون فيما يتعلق بالنفوس لا فيما يتعلق بالقرب والعبادات وقال الشيخ
ابو محمد فى الفروق من دخل عليه وقت الصلاة ومعه ما يكفيه لطهارته وهناك من
يحتاجه للطهارة لم يجز الايثار ولو اراد المضطر ايثار غيره بالطعام لاستبقاء مهجته
كان له ذلك وان خاف فوات مهجته والفرق ان الحق فى الطهارة لله تعالى فلا يسوغ
فيه الايثار والحق فى حال المخمصة لنفسه وكره ايثار الطالب غيره بنوبته فى
القراة لان قراة العلم والمسارعة اليه قربة والايثار بالقرب مكروه وفى الهبة من منية
المفتى فقير محتاج معه دراهم فاراد ان يوثر الفقرا على نفسه ان علم انه يصبر على
الشدة فالايثار افضل والا فالايثار على نفسه افضل حب شيخ يعنى روى
ابن حبان وابو الشيخ باسنادهما عن ابن عمر رضى الله عنهما انه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ايما امرء اى رجل والانثى امراة اشتهى اى طلبت نفسه شهوة
مباحة من شهوات الدنيا كشهوة اكل او شرب او جماع او لبس ونحو ذلك فرد شهوته
اى لم يقبلها ولم يسع فى تحصيلها واثر اى قدم غيره فيها على نفسه وحبس نفسه
عنها غفر اى غفر الله تعالى له جميع ذنوبه هق يعنى روى البيهقى باسناده عن
عايشة رضى الله عنها انها قالت ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطعام
ثلاثة ايام متوالية اى متتابعة وقولها هذا لا يدل على انه شبع يومين او يوما
بل يدل على الشك منها فى ذلك والقطع بعدم الشبع مدة الثلاثة ايام والا فلعله
صلى الله عليه وسلم لم يشبع قط قال فى شرح الشرعة المسمى بجامع الشروح وكان
نبينا صلى الله عليه وسلم لا يشبع من خبز الشعير ثلاث ليال متواليات بل ليلتين
متواليتين بل اصلا لما قالت ام المومنين عايشة رضى الله عنها وعن ابيها
ما شبع ال محمد عليه السلام من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قبض رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقال ابو هريرة رضى الله عنه خرج النبى صلى الله عليه وسلم
من الدنيا ولم يشبع من خبز الشعير وقال فى متن الشرعة فان اول بدعة حدثت
فى الاسلام الشبع ولو شينا اى اردنا لشبعنا فتقرير قولها فى الاول
ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شبعنا نحن ايضا يعنى لم يكن ترك
الشبع منا ومن رسول الله صلى الله عليه وسلم من اجل قلة وفاقة لانه عليه السلام
عرضت عليه بطحا مكة من ذهب فابى وخير بين ان يكون نبيا ملكا او نبيا عبدا
فاختار ان يكون نبيا عبدا من كمال زهده صلى الله عليه وسلم وزهد اهله من زهده

ولكنه عليه السلام يوثر كان اى يقدم حاجة غيره فى الطعام على حاجة
نفسه فيدفع طعامه الى غيره و يصبر نفسه ومنه تعلمت نساوه عليه السلام
الايثار فى الطعام وغيره قطن يعنى روى الدارقطنى باسناده عن ابن عمر
رضى الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طعام الجواد من
الناس وهو الكريم السخى دوا يشفى الله تعالى به المريض ويدفع الالم عنه
ببركة طيب نفس صاحبه فى اطعامه للغير وسماحته فى بذله وهذا اذا
كان حلالا واما الحرام فلا شفا فيه اصلا بل هو دا يفسد الدين والبدن وطعام
البخيل من الناس دا اى يمرض الصحيح ويوقع الالم والوجع فى الاجسام
ويورث الهم والغم فى النفوس بسبب تعلق قلب صاحبه وعدم سماحته
فى بذله للغير شيخ يعنى روى ابو الشيخ باسناده عن عايشة رضى الله عنها انها
قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جبل بالبنا للمفعول يقال جبله الله
على كذا من باب قتل فطره عليه كذا فى المصباح ولى الله وهو عبده المسلم المو[كذا]
المومن المواظب على الطاعات المجتنب عن المخالفات بقدر طاقته كما قدمنا
بيانه فى محله من هذا الكتاب الا على السخا بالمد اى الكرم والجود بلا بخل ولا شح حتى
لو وجد من ولى من الاوليا بخل او شح كان ذلك غير مفطور فى اصل خلقته ولا هو
امر لازم فى جبلته بل هو حال يعرض له بموجب خفى يقتضيه واصل الجبلة
والطبيعة فيه على السخا والجود والكرم كما هو معروف فى اخلاق الاوليا والصالحين
وعلى حسن الخلق اى الطبيعة والسجية بحسب اصل خلقته ايضا وما
هو مركوز فى جبلته وقد يعرض للولى سو الخلق بسبب قد يخفى فيكون امرا زايلا
فى حالة مضمحلة ليست فى اصل احواله ولا هو مبنى فى اموره عليها بل ربما
يكون مكرها فيها وهى قبيحة عنده يستغفر منها فلا تطعن فى مقامه ولا تقتضى
انتفا ولايته قطن يعنى روى الدارقطنى باسناده عن ابى هريرة رضى الله عنه
انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم السخا اى الجود والكرم فى النفس شجرة فى الجنة
تحتمل انه على ظاهره فان المعانى يمكن ان يجسدها الله تعالى ويجعل لها صورة كثيفة
كما ورد فى الحديث ان الجنة قيعان وان غراسها قولك سبحان الله والحمد لله
ولا اله الا الله والله اكبر فانه يمكن ان يكون شى فى عالم معنى من المعانى وهو بعينه
فى عالم اخر جسم محسوس كالاجسام التى فى الدنيا ولها نظاير كثيرة وردت فى

الشرع

الشرع ويحتمل ان يكون الكلام مبنيا على التشبيه وانه استعارة مثل قولهم رايت
اسدا فى الحمام او يضرب بالسلاح كناية عن الرجل الشجاع والاستعارة من
احد طرق البلاغة كما هو معروف فى علم المعانى والبيان فمن كان سخيا اى صاحب
سخا اخذ اى استمسك بغصن منها اخذا على ظاهره ان قلنا بالاول فان ذلك
السخا الذى فى نفس ذلك السخى غصن ممدود له من اصل شجرة السخا المغروسة
فى الجنة وهو الان معنى وسيظهر فى الاخرة حسا واخذا بطريق التشبيه ترشيحا
للاستعارة بذكر الغصن فكان ما فى قلبه من سخايه غصن من اصل شجرة فلم
يتركه ذلك الغصن الذى اخذ به حتى يجره الى موضع اصل الشجرة ويدخله الجنة
والشح اى البخل والحرص شجرة فى النار كما ذكرنا فى السخا ايضا فمن كان شحيحا اخذ
بغصن منها اى من تلك الشجرة فلم يتركه ذلك الغصن حتى يدخله النار لاتصاله به
ت يعنى روى الترمذى باسناده عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال السخى اى صاحب السخا والجود قريب اى له منزلة قرب من جناب الله تعالى
لتخلقه بخلق الكرم والعطا الذى هو موصوف به الله تعالى قريب ايضا اى له منزلة
قرب من الناس لان النفوس مجبولة على حب من احسن اليها قريب ايضا من الجنة
اى له منزلة قرب منها يجدها يوم القيمة بصدقاته ومبراته بعيد من النار اى نار
جهنم وهو من اللازم فان من كان له منزلة قرب فى الجنة يكون بعيدا من ضدها وهى
النار والبخيل بعيد من الله تعالى لاتصافه بوصف يخالف وصف الله تعالى وانما
يوافق وصف الشيطان الذى هو عدو الله لهذا يخوف البخلا بالفقر كما قال تعالى
الشيطان يعدكم الفقر الاية بعيد ايضا من الناس لبغضهم له ببخله عليهم وعدم
سماحته فى معاملتهم بعيد من الجنة لفقد صدقاته وقلة مبراته ومنازعة
نفسه له فى كل معروف اسداه الى غيره حتى يبطله بالمنة والاذى كما قال تعالى
لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى قريب من النار لشدة حرص نفسه على متاع
الدنيا بحيث لا يقدر على منعها عليه من التسخط على الله تعالى فى وقت العسر وفقد
الملك وكثرة الحقد والحسد على اهل الاموال وربما اعترض على الله تعالى فوصل
الى الكفر والى النار من عدم سماحة نفسه وقلة صبره فى بلا المعيشة وجاهل بالحق
مضيع لنفسه يقال جهل الحق اضاعه كذا فى المصباح سخى اى ذو سخاو كرم احب
الى الله تعالى اى اشرف عنده من عابد لله تعالى بخيل بما اتاه الله تعالى من الدين

والخير فلا يعلمه لاحد ومن الدنيا فلا يسمح بما زاد على حاجته لغيره فان الجاهل السخي وان اضاع نفسه بجهل الحق وتضييع مراتب الكمال في العبادة والتقوى فان سخاه وكرمه بماله الحلال عن طيب نفسه لعباد الله تعالى سبب لرفعة شانه عند الله تعالى وعند الخلق ولا شك ان نفعه متعدي فهو افضل من نفع العابد البخيل لان عبادته نفع لنفسه لا تتعدى لغيره والشح لا ياتي بخير والكرم ياتي بكل خير شيخ يعني روى ابو الشيخ باسناده عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول السخا اي الجود والكرم على الغير ببعض ما يملكه مما لا شبهة لغيره فيه خلق اي عادة ووصف الله سبحانه وتعالى الاعظم نعت للخلق اذ به ظهر الوجود ونزلت غيوث الكرم والجود وتفصلت الكاينات وتبينت مراتب المخلوقات ولولا هذا الخلق لله تعالى ما كان حادث اصلا ولا بقي ممكن لحظة من الزمان صف يعني روى الاصفهاني عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الاحرف اممفتاح ان كل جواد اي موصوف بالجود وهو السخا والكرم في الجنة حيث اوصله جوده بعلمه النافع وماله الحلال الى حسن السيرة وطهارة السريرة فكانه من اهل الجنة حتم اي لازم على الله تعالى ذلك وهو كونه في الجنة اذا مات جوادا مسلما وان كان الله تعالى لا يلزمه شي ولا يجب عليه شي ولكن هذا لزوم كرم وجود بالزامه نفسه ووعده على ذلك والله لا يخلف الميعاد كتب ربكم على نفسه الرحمة لا بايجاب غيره عليه وانا اي رسول الله صلى الله عليه وسلم به اي بهذا الامر المذكور كفيل اي كافل ضامن الا وان كل بخيل اي موصوف بالبخل في حقوق الله تعالى عليه وحقوق العباد في النار حيث اوصله بخله بحق الله تعالى الى استثقال ما عليه من ذلك ثم الى جحوده ان ترقى به الحال كما اوصل قارون بخله بالزكاة الى جحودها وموته على الكفر بعد كمال عبادته وطاعته وكما اوصل بني حنيفة بخلهم بالواجب عليهم في اموالهم الى جحود ذلك وكفرهم وارتدادهم بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم حتى غزاهم الامام ابو بكر الصديق رضي الله عنه وبطش بهم حتم اي لازم على الله تعالى ذلك بمقتضى عدله سبحانه وسبق كلمته وحكم وعيده لمن خالف امره وانا اي رسول الله صلى الله عليه وسلم به كفيل اي كافل ضامن وفي الحديث اشارة الى ان الله تعالى لا يخلف وعيده كما لا يخلف وعده وفيه كمال المدحة للجود وكمال المذمة للبخل

قالوا

قالوا اي الصحابة رضي الله عنهم يا رسول الله من الجواد المذكور اي ما صفة جوده التي استحق بها هذا الوعد الجزيل ومن البخيل المذكور ايضا اي صفة بخله التي استحق بها هذا الوعيد الشديد قال صلى الله عليه وسلم الجواد اي المذكور من جاد اي سمح وتكرم على عباد الله تعالى بحقوق الله تعالى الواجبة والنافلة في ماله والبخيل من اي الذي منع حقوق الله تعالى عليه في ماله فلم يودها الى اهلها وبخل بها على ربه وفي الحقيقة انما بخل على نفسه فان الله تعالى غني عن العالمين وليس الجواد من اي الذي اخذ من الناس مالا حراما وانفق على الناس منه اسرافا وتبذيرا فان عمله هذا ليس من اعمال اهل الجنة بل عمل اهل النار اذ لا خير في المال الحرام اصلا اخذا وانفاقا على نفسه او على غيره بل الخير في دفع المال الحرام الى صاحبه او استبراء الذمة منه مع التوبة من العود الى مثل ذلك واما البخل حيث تقدم ذكره وورد في هذه الاحاديث ففيه مبحثان المبحث الاول من المبحثين في بيان غوايله اي البخل بمعنى مفاسده وبيان سببه اي البخل وذكر افاته وهي غوايله اما الاولى وهي غوايل البخل وافاته فقد قال الله تعالى ولا تحسبن الذين يبخلون بما اتاهم الله من فضله بان منعوا حقوق الله تعالى الواجبة عليهم في اموالهم قال في المصباح البخل في الشرع منع الواجب وعند العرب منع السايل مما يفضل عنده هو اي بخلهم ذلك خيرا لهم اي فيه خير لهم بل هو اي ذلك البخل شر لهم سيطوقون بالبنا للمفعول اي يطوقهم الله تعالى ما بخلوا به من اموال الناس وحقوقهم فلم يودوها اليهم من زكاة وغصب وخيانة وسرقة فيجعله بمنزلة الطوق في اعناقهم يوم القيمة الاية اي اكملها وذلك قوله تعالى ولله ميراث السموات والارض والله بما تعملون خبير وقال تعالى ومن يغلل يات بما غل يوم القيمة وفي الحديث من ظلم قيد شبر من الارض طوقه من سبع ارضين رواه البخاري ومسلم وعن ابي حميد عبد الرحمن الساعدي قال استعمل النبي صلى الله عليه وسلم رجلا من الازد على الصدقة فلما قدم قال هذا لكم وهذا اهدي الي فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال اما بعد فاني استعمل الرجل منكم على العمل مما ولاني الله فياتي فيقول هذا لكم وهذا هدية اهديت لي افلا جلس في بيت ابيه وامه حتى ياتيه هديته ان كان صادقا والله لا ياخذ احد منكم شيا بغير حقه الا لقي الله يحمله يوم القيمة فلا اعرفن احدا منكم لقي الله يحمل بعيرا له رغا او بقرة لها خوار او شاة تيعر ثم رفع يديه حتى رئي بياض ابطيه قال اللهم

هل بلغت اتفق عليه البخاري ومسلم ت يعني روى الترمذي باسناده عن ابي
سعيد الخدري رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خصلتان
لا تجتمعان في مومن بالله واليوم الاخر والكتب والرسل اصلا الاولى البخل
بالحقوق الواجبة عليه شرعا وعرفا والثانية سوء الخلق اي قبح الطبيعة
وخبث العادة وفساد الطوية في معاملة المسلمين والمعاهدين فان هاتين
الخصلتين تجران صاحبهما الى الكفر خصوصا اذا اضيق عليه ذو الحق من الناس بحقه
وقهره في استيفائه منه ت يعني روى الترمذي ايضا باسناده عن ابي بكر الصديق
رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة يعني مع السابقين
الاولين بلا عذاب سبق له خب بالخاء المعجمة مفتوحة والباء الموحدة قال في المصباح
الخب بالكسر الخداع وفعله خب خبا من باب قتل ورجل خب تسمية بالمصدر انتهى
والمراد بالخب الكثير الخداع الذي يحتال على الناس في اخذ اموالهم وافساد اعراضهم
وادبانهم فانه ان مات مصرا على ذلك معتقدا حرمته استحق العذاب وان استحله
فهو كافر فلا يدخل الجنة اصلا ولا بخيل بحقوق الله تعالى الواجبة عليه وحقوق
العباد اذا مات مصرا معتقدا الحرمة وان كان مستحلا ذلك فهو كافر ولا منان
وهو الكثير المن من مننت عليه منا عددت له ما فعلت له من الصنايع مثل ان
يقال اعطيتك وفعلت لك وهو تكدير وتعيير تنكسر منه القلوب فلهذا
نهى الشارع عنه بقوله لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى ومن هنا يقال المن اخو
المن اي الامتنان بتعديد الصنايع اخو القتل والهدم فانه يقال مننت الشيء
منا اذا قطعته فهو ممنون والمنون المنية انثى وكانها اسم فاعل من المن
وهو القطع لانها تقطع الاعمار كذا في المصباح فان الذي يكثر الامتنان على الغير
بتعديد صنايعه معه محتقر لغيره مهين له مفتخر في نفسه معجب بها وربما
اداه ذلك الى اعتقاد انه الرزاق المحيي المقيت بما اسداه لغيره فيظن انه شارك
الله تعالى في انعامه على الخلق من شدة غفلته وكثرة غروره وجهله بما هو
متقلب فيه من عطايا الله تعالى وانعاماته عليه فيقع في الكفر وهو لا يشعر
د يعني روى ابو داود باسناده عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال شر ما في الرجل اي الانسان يشمل الذكر والانثى والخنثى يعني اكثر خصاله
الذميمة شرا شح اي بخل وحرص هالع من هلع هلعا فهو هلع من باب تعب

جزع

جزع وهو هلوع مبالغة كذا في المصباح والشح الهالع هو البخل
والحرص الموصل صاحبه الى كثرة الجزع وقلة الصبر عن انفاق الواجب
عليه من حقوق الله تعالى وحقوق العباد فيكاد يموت اذا انفق
درهما واجبا عليه فضلا عن غير الواجب وجبن يقال جبن جبنا وزان
قرب قربا وجبانة بالفتح وفي لغة من باب قتل فهو جبان اي ضعيف القلب
كذا في المصباح خالع للقلب من شدة ضعفه اي نازع له من خلعت النعل
وغيره نزعته طب يعني روى الطبراني باسناده عن عبد الله بن عمر رضي
الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاح اول هذه الامة
انما كان بالزهادة في الدنيا واليقين بامور الاخرة وبالله وكتبه ورسله
وهلاك اخرها اي هذه الامة انما يكون بالبخل بالحقوق الواجبة عليهم
للحق وللخلق فيمنعونها والامل وهو الطمع والرجا في البقا وطول العمر فيكتسبون
المعاصي ويسوفون التوبة منها واما سبب البخل فحب المال لذاته لا للتصرف
به على الفقرا واكتساب الثواب ولا لاجل قوام بالكسر ما يقيم الانسان من القوت
كذا في المصباح البدن لتبقى عليه حياته في الدنيا ~~والاخرة~~ ولا لاجل اقامة الواجب
عليه به من دين ونفقة واذا كان حب المال لاجل شيء من ذلك فليس سببا
للبخل وهو اي حب المال الخلق الثامن والعشرون من الاخلاق الستين
المذمومة وهو اي حب المال للحرام اي للمال الحرام حرام وللحلال اي للمال الحلال
لا اي ليس بحرام بل هو حرام حلال ولكنه اي حب المال الحلال مع كونه حلالا
مذموم شرعا قال الله تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة اي محنة وبلاء لكم
والجمع فتن واصل الفتنة من قولك فتنت الذهب والفضة اذا احرقته
بالنار ليتبين الجيد من الردي كذا في المصباح والله عنده في الاخرة اجر اي
ثواب عظيم لكل من لم يفتتن بشيء من ذلك ولم يشتغل به عن الله تعالى
طب يعني روى الطبراني باسناده عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه انه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الشيطان لن يسلم مني صاحب المال
من احدى ثلاث من الخصال المذمة اغدو عليه بهن اي بهذه الثلاث خصال
واروح يقال غدا غدوا من باب قعد ذهب غدوة وهي ما بين صلاة الصبح
وطلوع الشمس وهذا اصله ثم كثر حتى استعمل في الذهاب والانطلاق

اى وقت كان وراح يروح رواحا يكون بمعنى الغدو وبمعنى الرجوع وقد
يتوهم بعض الناس ان الرواح لا يكون الا فى اخر النهار وليس كذلك بل الرواح والغدو
عند العرب يستعملان فى المسير اى وقت كان من ليل او نهار قاله الازهرى
وغيره كذا فى المصباح الخصلة الاولى اخذه اى المال من غير حله بل من
وجوه الحل والحرمة فقط كما هو الغالب فى الاموال المجموعة فى هذا الزمان
لندرة الحلال جدا والخصلة الثانية انفاقه اى المال فى غير حقه كاهدائه الى
الحكام والظلمة والتوصل بذلك الى جاه الدنيا وعمل الضيافات به للناس بقصد
الفخر والريا ومعاطاة الفسق به مع الفسقة والانكباب به على شهوات
الدنيا وغفلاتها ونسيان الاخرة والخصلة الثالثة احبسه اى المال اليه
اى الى صاحبه بحيث يبقى المال مناه وغاية امله فلا يطمئن قلبه الا به
ولا يطيب عيشه الا بجمعه ولا يدخل عليه السرور والفرح الا بحصوله والتلطف
به فيمنعه اى يمنع المال من حقه الواجب عليه صرفه فيه كالزكاة والفطرة
والاضحية ونفقة الاهل والاقارب والنذور والكفارات وايفا الديون واداء
الضمان فى المغصوب والامانات ونحو ذلك ت يعنى روى الترمذى باسناده
عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن
بالبنا للمفعول اى لعن الله تعالى يقال لعنه لعنا من باب نفع طرده وابعده
او سبه فهو لعين وملعون كذا فى المصباح عبد خلاف الحر ولم يشتق منه
فعل واستعبده وعبده بالتثقيل اتخذه عبدا كذا فى المصباح الدينار من
الذهب وعبده الذى يكون فى رقه بحيث يمنعه من الانصراف عنه فالدينار
دايما مستولى على قلبه كالمولى يستولى على عبده ويملكه لعن بالبنا للمفعول
ايضا عبد الدرهم من الفضة وهو من استرقه حب ذلك فلم يمكنه الانصراف عنه
والمراد باللعن الطرد والبعد عن رحمة الله تعالى ولطفه وعنايته يعنى
رحمة اهل الخصوص ولطفه بهم وعنايته لهم فلا ينال له شئ من ذلك ت يعنى
روى الترمذى ايضا باسناده عن كعب رضى الله عنه انه قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ان لكل امة فتنة اى فتنة وبلا وان فتنة امتى المال
يمتحنهم الله به ويبتليهم بحيث يملك قلوبهم فلا يدعها تقبل على الله تعالى ولا
تخضع فى طاعة من طاعاته الظاهرة عليهم اصلا الا من جاهد نفسه وقمع هواه

المطمئنة

المبحث الثانى بقية المبحثين اللذين للبخل فى سبب حب المال وفى علاجه
اى علاج حب المال وسببه اى حب المال ثلاثة امور الاول حب الاولاد
والاقارب فانه داع للنفقة عليهم والمبرة اليهم والاحسان اليهم وذلك
يقتضى المال فيكون سببا لحب المال وعلاجه اى علاج هذا السبب المذكور ان
يتذكر الانسان فى نفسه ان الله الذى خلقها اى الاولاد والاقارب بتغليب
الاناث منهم على الذكور لاحتياجهم الى النفقة اكثر من الذكور خلق معها ايضا رزقها
المعين لها لا يزيد ولا ينقص فلا يشغل قلبه بالاهتمام برزقها وان احبها بل يكلها
الى الله تعالى وكم من ولد من اولاد الناس لم يرث من ابيه مالا اصلا ولا درهما واحدا
ومع ذلك حاله فى امر ~~النفقة والرزق~~ المعيشة والرزق احسن ممن ورث
عن ابيه اموالا كثيرة وهذا شئ معروف فى الناس وله امثلة كثيرة مشهورة بينهم
ويتذكر انهم اى الاولاد والاقارب بتغليب الذكور منهم على الاناث [illegible] لكثرة التقوى
فى الذكور وندرتها فى الاناث ولهذا ورد فى الحديث ان اكثر اهل النار النساء ان كانوا اتقيا
اى موفقين صالحين فيكفيهم الله تعالى ببركة تقواهم مؤنة دينهم ودنياهم فلا
يحتاجون الى احد وان كانوا فسقة جمع فاسق وهو الخارج عن طاعة الله تعالى
فيستعينون بماله الذى يرثونه منه اذا تركه لهم وسعى فى تحصيله لاجلهم على
المعصية فينفقونه فى طريق الهوى والشيطان فترجع مظلمته اى مظلمة
ذلك المال يعنى ما فعل به من ظلم النفس والغير عليه اى على ذلك الميت الذى ترك ماله
ميراثا لهم ان علم بذلك الامر قبل موته بلا شك او ظن انه يقع منهم كذلك فانه يشاركهم
فى المعاصى والاثام لانه اعانهم بماله على ذلك واما اذا لم يعلم انهم يفعلون شيا من
ذلك بما تركه لهم من المال ولا ظن ايضا فلا اثم عليه والاثم عليهم وحدهم والامر الثانى
التلذذ بوجود المال ورؤيته وتقليبه بيده وقدرته عليه اى على تحصيله من اى وجه
كان والفرح بذلك والحزن بفقده وعدم رؤيته وعجزه عنه حتى اذا حصل فى ملكه
شئ منه فلا تسمح نفسه بان ياكل او يتصدق منه لكمال حرصه عليه وشح نفسه به وهذا
الامر المذكور مرض للقلب عسير العلاج اى المداواة لا سيما اذا كان فى انسان كبير
السن فان من كبر سنه كبر امله ومن كثر امله كثر حرصه على الدنيا وشحه بها كما
ورد فى الحديث اذا شاب ابن ادم شب فيه خصلتان الحرص وطول الامل فان
قبل هذا المرض العلاج فبكثرة التامل اى النظر والفهم فيما ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم

من الاحاديث المشتملة على ذم البخل وذم البخلا من الناس وفي نفور الطبع
البشرى من كل احد عنهم بحيث لا يكاد يقبلهم انسان اصلا من شدة ارتباط نفوسهم
بكل ما يجدونه من متاع الدنيا وان كان في ملك الغير وفي ذم المال على لسان الصادقين
من الانبيا وغيرهم وفي آفاته اى المال بمعنى مفاسده وفي مدح السخا والزهد في الدنيا
ومدح البذل الاعطا للمحاويج من الناس تكلفا اى ذلك التامل في اوايل الامر
بحمل النفس واكراهها عليه حتى يصير طبعا لا مشقة فيه على النفس ولا كلفه والامر
الثالث حب الشهوات واللذات المختلفة بعنى نوعا منها على مقتضى ما تميل اليه نفسه
فان كل نفس لها رغبة في شهوات مخصوصة العاجلة في الحياة الدنيا قبل الموت احترازا
عن شهوات الاخرة ولذايذها المدخرة لاهلها اذا احبتها النفس لايقانها بها وتحققها
بكونها في الاخرة التى نعت للشهوات واللذات العاجلة لا وصول لاحد من الناس
لها اى اليها الا بالمال وهو اى حب الشهوات واللذات المذكورة المسمى بحب الدنيا يقال
دنوت منه دنوا وادنيت غيرى وسميت الدنيا لدنوها كذا في الصحاح اى قربها
من النفوس او من الاخرة لسرعة زوالها وهو اى حب الدنيا الخلق اثنا عشر
والعشرون من الاخلاق السيئة المذمومة مع طول الامل اى مصاحباله لا ينفك
عنه وعلاج طول الامل في الحياة الدنيا كثرة ذكر الموت واخطاره في البال وذكر غوايله
اى غوايل طول الامل وقد سبق بيان ذلك عند ذكر الامل واما حب الدنيا المذكور
هنا فان كان من الدنيا الحرام فحرام وان كان من الدنيا الحلال فلا اى فليس بحرام ولكنه
اى حب الدنيا الحلال مذموم في الشرع جدا اى قويا لاشتغاله للقلب عن طاعة الرب
سبحانه ولايصاله الى الحرام بالتدريج من شى الى شى ولمفاسد اخرى غير ذلك وفيه
اى في حب الدنيا مقالتان المقالة الاولى من المقالتين في ذمه اى حب الدنيا وفي ذكر
غوايله اى مفاسده قال الله تعالى اعلموا ايها المكلفون انما الحياة الدنيا اى حياتكم
التى هي دنياكم لعب لان الاشتغال بها وبالمحافظة عليها وبالقوت والصيانة لها
عن المؤذيات وجذب ما يناسبها ودفع ما لا يلايمها مع انه لا بد من زوالها
بالموت اشتغال بما لا يمكن دوامه والانتفاع به كاشتغال اللاعب بملعوبه
ولهو قال الطرطوشي واصل اللهو الترويح عن النفس بما لا تقتضيه الحكمة
كذا في المصباح وانما كانت لهوا لانها ملهية اى مشغلة عن الله تعالى وعن
الاخرة الاتية اى المكلها وذلك قوله تعالى وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد

كمثل

كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما فان
الحياة الدنيا هي هذه الامور الخمسة المذكورة في هذه الاية وهذا المثل المذكور
مثلها فكيف لا تكون مذمومة عند اولى الالباب المتبعين للسنة والكتاب
ت يعنى روى الترمذى باسناده عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الدنيا ملعونة اى الخمسة المذكورة في الاية
التى هى اللعب واللهو والزينة والتفاخر والتكاثر في الاموال والاولاد
مطرودة عن جناب الله تعالى وعن حضرة قربه على معنى ان الله تعالى
خلقها توجب ذلك الطرد عن جنابه سبحانه وعن حضرة قربه لكل من وجد
فيه احد تلك الخمسة ولو كان مسلما مومنا فانه غافل محجوب ملعون ما
فيها من كل شى يكون اللعب به او اللهو او التزين به او التفاخر او التكاثر
الا ذكر الله باللسان او القلب او الحال او الاعضا فالعبادات كلها ذكر والعلوم
ذكر من الذاكرين او الذاكرات وما والاه اى تابعه يعنى اطاع الذاكر في تمكينه
له ان يذكر الله به وهو كل شى لعب به الغافل ولهى وتزين وتفاخر وتكاثر وعالما
وهو الذاكر لله تعالى كما قلنا ومتعلما وهو الذى في صدد تعلم هذا الذكر فان
هذه الاربعة المستثناة من الدنيا وما فيها غير ملعونة لانها ليست مطرودة عن
جناب الله تعالى وحضرة قربه كما قال تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن
ذكر الله اى ذكره في نفس التجارة والبيع مع انها من جملة اسباب الدنيا وتقدم
في علاج الريا حديث ابى الدردا رضى الله عنه نظير هذا الحديث وسبق الكلام عليه
ت يعنى روى الترمذى ايضا باسناده عن سهل بن سعد انه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا جميعها تعدل اى تماثل وتوازن عند الله
تعالى جناح بعوضة وهى الدويبة الصغيرة المعروفة سميت بعوضة
كانها بعض ذبابة وقال البيضاوى في قوله تعالى ان الله لا يستحيى ان يضرب
مثلا ما بعوضة فما فوقها البعوض فعول من البعض وهو القطع كالبضع
والعضب غلب على هذا النوع كالخموش والمعنى انه لا يستحيى ضرب المثل
بالبعوض فضلا عما هو اكبر منه او في المعنى الذى جعلت فيه مثلا وهو الصغر
والحقارة كجناحها فانه عليه السلام ضربه مثلا للدنيا ما سقى كافرا به وبدينه
الحق منها شربة ما والشربة فعلة مرة مثل جرعة وقد سقى تعالى من الدنيا للكافر

لها اى من الدنيا

شريةً ماء والكثير من ذلك فلزم ان لا تكون الدنيا كلها تعدل عند الله جناح بعوضة
وروى الامام احمد في الزهد عن ابي الدرداء رضي الله عنه قال لو كانت الدنيا
تزن عند الله جناح ذباب ما سقى فرعون منها شربةً ما ذكره النجم الغزي
في حسن التنبه ولله در القايل

اذا كان شيء لا يساوي جميعه ، جناح بعوض عند من انت عبده
وقد صار بعض منه كلك ما لكا ، فيا ليت شعري كيف قدرك عنده

دنيا يعني روى ابن ابي الدنيا باسناده عن ابن عمر رضي الله عنهما انه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصيب عبد مومن من عباد الله تعالى مطلقا
ومعنى يصيب يدرك وينال بكسبه وسعيه واجتهاده وكده وتعبه من
عرض الدنيا او متاعها شيا عظيما او حقيرا الا نقص مقدار ذلك الشي من
درجاته عند الله تعالى يوم القيمة وان كان ذلك العبد عليه اي على الله تعالى
كريما اي عظيما منزلة فاضلا كالنبي والولي وفيه اشارة الى انه اذا لم يصب
هو ذلك الشي بل اصابه الشي وادركه لا يكون له هذا الامر ولو ملك الدنيا
بحذافيرها فانه لا ينقص من ثوابه عند الله تعالى شي كما قال تعالى اذهبتم
طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها ومعنى الاذهاب يقتضي تحصيل
ذلك بالاجتهاد والاكتساب حذر احب حك هق يعني روى الامام
احمد بن حنبل والبزار وابن حبان والحاكم والبيهقي باسنادهم عن ابي موسى
الاشعري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احب دنياه
اضر باخرته اي اوجب حبه للدنيا نقصان ثوابه في الاخرة لتقصيره في العبادة
بسبب اشتغاله بحظوظ نفسه وشهوات قلبه ومن احب اخرته اضر
بدنياه لاشتغال نفسه وقلبه بما يقربه ~~لمرتبة~~ الى مولاه ويوجب له المراتب
العالية في الاخرة فلا يتفرغ لتحصيل اسباب معيشته على حسب ما تطالبه
به نفسه من شهواته وحظوظه العاجلة ولهذا ترى من احب الدنيا يكره
الاخرة ومن احب الاخرة يكره الدنيا وفي شرح المناوي على الجامع الصغير
قيل لابي حازم ما لنا نكره الموت قال لانكم خربتم اخرتكم وعمرتم دنياكم فكرهتم
الانتقال من العمران الى الخراب ولما احتضر بشر فرح فقيل له اتفرح
بالموت ~~فقيل له اي~~ قال تجعلون قدومي على خالق ارجوه كمقامي مع

مخلوق

مخلوق اخافه فاثر فعل امر اي فضل وقدم يقال اثره فضله ما يبقى وهو
الاخرة على ما يفنى وهو الدنيا وذلك امر على طريق الاستحباب بحب الاخرة
وان اضر بدنياه هق يعني روى البيهقي باسناده عن انس رضي الله عنه انه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل من احد يمشي على وجه الماء بقدميه
الا ابتلت قدماه من الماء قالوا لا يا رسول الله يعني لا يمشي على وجه الماء
احد بقدميه الا ابتلت قدماه من ذلك الما قال كذلك اي مثل ذلك صاحب
الدنيا اي الذي يحبها بقلبه ويهتم بجمعها وانفاقها في سبيل هواه ومرضاة
نفسه لا يسلم من الذنوب والمعاصي اصلا فان لم تكن ذنوبه في ظاهره فهي
في باطنه وهو لا يشعر بها احد يعني روى الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه
باسناده عن عايشة رضي الله عنها انها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الدنيا دار من لا دار له يعني في الاخرة وهو الكافر فان داره الدنيا فقط وليس
له في الاخرة من نصيب فكيف ينبغي للمومن ان يرغب في دار الكافر ويهتم
بتحصيلها ويقبل عليها ويعرض عن داره التي هي الاخرة كما قال تعالى والاخرة
عند ربك للمتقين وقال والعاقبة للتقوى والعاقبة هي الاخرة لانها تعقب
الدنيا ولهذا ورد في الحديث ان الدنيا سجن المومن وجنة الكافر وقال
المناوي في شرح الجامع الصغير ذكر وا ان الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى
لما كان قاضي القضاة مر يوما بالسوق في موكب عظيم وهيئة جميلة
فهجم عليه يهودي يبيع الزيت الحار واثوابه متلطخة بالزيت وهو
في غاية الرثاثة والشناعة فقبض على لجام بغلته وقال يا شيخ الاسلام
تزعم ان نبيكم قال الدنيا سجن المومن وجنة الكافر فاي سجن انت واي
جنة انا فيها فقال انا بالنسبة لما اعد الله لي في الاخرة كاني الان في السجن
وانت بالنسبة لما اعد الله لك في الاخرة من العذاب الاليم كانك في جنة
فاسلم اليهودي ولها اي للدنيا يجمع من لا عقل له من الناس اي عقل كامل
معادي مقبل على الحق والا فجمعه للدنيا يقتضي ان له عقلا ناقصا معاشيا
مدبرا عن الحق لا انتفاع له به في غير الدنيا كعقول المنهمكين في لذايذهم
وشهواتهم من اهل الدنيا حيا هق دنيا يعني روى البيهقي وابن ابي الدنيا
باسنادهما عن الحسن البصري رحمه الله تعالى انه قال حب الدنيا راس كل خطية

اى معصية فان كل ذنب من الذنوب اذا تاملت سببه الداعى اليه وجد ته
حب الدنيا سواكان الذنب بالاعضا والجوارح او بالقلب لكن الذنوب
المتسببة عن حب الدنيا على قسمين ذنوب يدعوا اليها مجرد حب الدنيا
كالظلم والسرقة والحسد والحقد ونحو ذلك وذنوب يدعوا اليها شوم حب
الدنيا ووبالها كالكفر والشك فى الله واعتقاد البدعة ونحو ذلك هق د نيا
يعنى روى البيهقى وابن ابى الدنيا باسنادهما ايضا عن موسى بن يسار رضى الله
عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى لم يخلق خلقا اى مخلوقا
ابغض اليه من الدنيا ولهذا خلق فيها اهانة انبيايه واوليايه على يد اعدايه
ولم يرض بها جزا للمحسنين وربما رفع فيها جاه الكافرين والفاسقين
وانه سبحانه وتعالى منذ اى من حين خلقها اى الدنيا لم ينظر اليها يعنى
نظر المعتنى بها المحتفل بشانها والا فان الله تعالى لا يغيب عن بصره شى اصلا
كما قال سبحانه والله بكل شى بصير هق د نيا يعنى روى البيهقى وابن ابى الدنيا
ايضا باسنادهما عن على رضى الله عنه انه قال الدنيا حلالها اى ما يصيبه الانسان
من الحلال فيها حساب اى يحاسبه الله تعالى عليه يوم القيمة كما قال تعالى
وكل انسان الزمناه طايره فى عنقه ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا
اقرا كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وطايره اى نصيبه الذى طار
له من حضرة تقدير الله تعالى الى حضرة وجوده فليس له غيره شا او ابى ثم يحاسبه
عليه وقال تعالى وكفى بنا حاسبين وحرامها اى الدنيا يعنى ما يصيبه
فيها من الحرام هو النار ولكنها مغطاة بحجاب الحياة الدنيا كما قال تعالى
ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون فى بطونهم نارا واذا كان يوم
القيمة وزال حجاب الحياة الدنيا بالموت ظهر ذلك قال تعالى وبرزت الجحيم لمن يرى
طب يعنى روى الطبرانى باسناده عن ابن مسعود رضى الله عنه انه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من بنى يعنى فى الدنيا فوق ما يكفيه من دار
او بيت او حجرة وكفاية كل انسان مع عايلته بحسبه كلف بالبنا للمفعول
اى كلفه الله تعالى ان يحمله على ظهره يوم القيمة لانه يصير وزر الله حيث زاد على
كفايته فى الدنيا بطرا واشرا ولم يصرف الزايد الى ما ينفعه فى الاخرة كما قال
تعالى يحملون اوزارهم على ظهورهم الا ساء ما يزرون وهذا كله اذا كانت نفقة

البنيان من حلال فى ارض مباحة او مملوكة له او مستاجرة ونحو ذلك من وجوه
الحق فلو كان البنيان بمال حرام او فى ارض مغصوبة كان ذلك اقبح واشد وزرا
خصوصا اذا كان مع ذلك زايدا على مقدار الكفاية كما ورد فى الحديث اتقوا
الحجر الحرام فى البنيان فانه اساس الخراب قال الشيخ المناوى رحمه الله
تعالى والمراد خراب الدين او الدنيا بقلة البركة وشوم البيت المبنى به او اساس
خراب البنا نفسه بان يسرع اليه الخراب فى امد قريب وفى خبر رواه الحاكم من حديث
على رضى الله عنه ان لله عز وجل بقاعا تسمى المنتقمات فاذا كسب الرجل المال من حرام
سلط الله عليه الما والطين ثم لا يمتعه به طط يعنى روى الطبرانى فى الاوسط
عن ابى بشير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا اراد الله بعبد من عبيده هوانا
اى حقارة وذلا عنده فى الاخرة او بين اهل الدين والتقوى المعرضين عن الاخلاد
الى الارض والاطمينان بها فى الدنيا انفق اى ذلك العبد بارادته واختياره
المخلوق فيه بارادة الله تعالى واختياره اصلا لا له عدلا منه سبحانه لانه تصرف
فى ملكه كيف شا فلا يسال عما يفعل ماله الذى يملكه فى البنيان اى الزايد على مقدار
الكفاية فآفاتها اى الدنيا يعنى مفاسدها وغوايلها المفهومة من هذه الاحاديث
المذكورة الواردة فى ضمنها هى كونها اى الدنيا عدوة الله تعالى وجيفة ملعونة
ومبغوضة له سبحانه ولا تعدل عنده جناح بعوضة وصادة اى مانعة
عن عبادة الله تعالى ومفضية اى موصلة لصاحبها الى فعل المعاصى وارتكاب
المناهى والى حط اى خفض الدرجات عند الله تعالى وعند اولى الالباب وشدة
الحساب يوم القيمة بل شدة العذاب فى الاخرة ان كانت الدنيا حراما او اكتسب
بها اثاما وقلة غنايها بالفتح اى نفعها وكفايتها قال فى المصباح الغنا مثل
كلام الاكتفا وليس عنده غنا اى ما يغتنى به يقال غنيت بكذا عن غيره من باب
تعب اذا استغنيت به والاسم الغنية بالضم فانا غنى وجمعه اغنيا وغنيت
المراة بزوجها عن غيره فهى غانية مخفف والجمع الغوانى واغنيت عنك بالالف
اذا جزات عنه وقمت مقامه وحكى الازهرى ما اغنى فلان شيا بالغين والعين
اى لم ينفع فى مهم ولم يكف مونة وكثرة عنايها اى تعبها ومشقتها وسرعة
فنايها اى زوالها واضمحلالها وخسة اى رذالة وحقارة شركايها اى المشتركين
فى طلبها وتحصيلها المقالة الثانية من المقالتين فى ثمراته اى ثمرات حب

الدنيا وذمها اى الثمرات وضده اى ضد حب الدنيا ومدحه اى مدح
ذلك الضد وفيه اى فى الكلام على هذه المقاله مقامان المقام الاول
من المقامين فى بيان ثمراته اى حب الدنيا اعلم يا ايها الانسان ان
حب المال والدنيا معطوف على المال من عطف العام على الخاص
للتتميم والتكميل يورث اى ذلك الحب الحرص حرص عليه حرصا من باب ضرب
وحرص حرصا من باب تعب لغة اذا رغب رغبة مذمومة كذا
فى المصباح المذموم فى الشرع وهو اى الحرص المذموم الخلق الثلاثون من
الاخلاق الستين المذمومة وهو اى الحرص المذكور يورث الانسان التشمير
وهو السرعة فى الامر والخفة فيه ومنه قيل شمر فى العبادة اذا اجتهد وبالغ
كذا فى المصباح واستغراق الاوقات كلها ليلا ونهارا الصناعات التى تجلب الدنيا
والتجارات فى اكتساب الاموال او يورث الطمع واكثر ما يستعمل فى ما يقرب حصوله
وقد يستعمل بمعنى الامل ومن كلامهم طمع فى غير مطمع اذا امل ما يبعد حصوله
لانه قد يقع كل واحد موقع الاخر لتقارب المعنى كذا فى المصباح فيما فى ايدى
الناس من الاموال والاملاك التى يملكونها وهذا النوع من الحرص شر اى اكثر شرا من
النوع الاول المذكور وقد سبق تفسيره اى الطمع وتفسير ضده اى ضد الطمع
وهو التفويض ت يعنى روى الترمذى باسناده عن انس رضى الله عنه انه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كانت الاخرة همه اى همته وعزمه او حزنه
وقلقه وهو اخبار بالمصدر للمبالغة كرجل عدل قال فى المصباح الهم بالفتح وحذف
الها اول العزم قال ابن فارس الهم ما هممت به وهممت بالشئ هما من باب قتل
اذا اردته ولم تفعله وفى الحديث لقد هممت ان انهى عن الغيلة اى عن اتيان المرضع
والهم الحزن واهمنى الامر بالالف اقلقنى وهمنى هما من باب قتل مثله واهتم الرجل
بالامر قام به جعل الله تعالى بمحض فضله غناه اى استغناه واكتفاه فى قلبه فلا
يكاد يفتقر ولا يحتاج الى شئ اصلا وجمع عليه شمله اى ما تفرق من امره فلا يتشتت
له حال واتته الدنيا على اكمل الوجوه وهى راغمة اى ذليلة مكرهة قال فى المصباح
الرغام بالفتح التراب ورغم انفه رغما من باب قتل ورغم من باب تعب لغة كناية عن
الذل كانه لصق بالرغام هوانا ويتعدى بالالف فيقال ارغم الله انفه وفعلته على
رغم انفه بالفتح والضم اى على كره منه وراغمته غاضبته وهذا ترغيم له اى اذلال ومن كانت

الدنيا

اذا اجتهد والاسم الحرص بالكسر و
حرص على الدنيا حرصا من باب ضرب
صح

الدنيا همه اى عزمه او حزنه فلا يعزم الا عليها ولا يحزن الا فيها جعل الله تعالى بمحض
عدله فى حقه فقره اى فاقته وحاجته بين عينيه كناية عن كمال استحضاره لفقره فلا
يكاد يغيب عن باله تعذيباله وتحزينا واهانة وفرق عليه شمله اى ما اجتمع من امره وبعد
ذلك كله لم ياته من الدنيا الا ما قدر بالبنا للمفعول اى قدر الله له فى الازل من كثير
او قليل وزاد الراوى فى رواية اخرى فلا يمسى فى كل مسا يمر عليه الا فقيرا وما
يصبح من ذلك المسا الذى يمسيه الا فقيرا وذلك بسبب جعل فقره بين عينيه
وكثرة اهتمام قلبه بامر الدنيا واستغراق عقله ولبه فى الاشتغال بها وبتحصيلها
ز يعنى روى البزار باسناده عن انس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال
ينادى مناد لعله فى كل يوم او ليلة وهو ملك من ملايكة الله تعالى دعوا اى اتركوا
يا بنى ادم الدنيا لاهلها ممن لا حظ لهم فى غيرها كالكفرين لانها جنتهم وكالحيوان
والنبات والجماد فانها تعيش فى الدنيا بالحياة الحيوانية والنباتية والجمادية
وفى الاخرة تصير ترابا ثلاثا اى ثلاث مرات من اخذ منكم اكثر مما يكفيه اى زيادة على
مقدار كفايته اخذ حتفه اى هلاكه ودماره يعنى ما به هلاكه ودماره وهو مع ذلك
لا يشعر اى لا يدرك ما اخذ خ م يعنى روى البخارى ومسلم باسنادهما عن انس رضى
الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يهرم اى يكبر ويضعف ابن ادم ويشب
من شب الصبى يشب من باب ضرب شبابا وشبيبة فهو شاب وذلك من قبل
الكهولة وشب الفرس يشب نشط رفع يديه جميعا وشبت النار تشب
توقدت كذا فى المصباح منه اى من ابن ادم اثنان الاول الحرص على المال اى على
جمعه وعلى حفظه والثانى الحرص على العمر اى البقا فى الدنيا فلا يريد الفقر ولا يريد
الموت خ م يعنى روى البخارى ومسلم باسنادهما ايضا عن انس رضى الله عنه انه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان لابن ادم واديان تثنية واد قال فى المصباح
ودى الشئ اذا سال ومنه اشتقاق الوادى وهو كل منفرج بين جبال او اكام
يكون منفذا للسيل والجمع اودية انتهى والمراد هنا ملء الواديين من مال اى
ذهب او فضة او هما لابتغى اى طلب لهما للواديين واديا ثالثا من كثرة طمع ابن
ادم ولا يملا جوف اى بطن ابن ادم الا التراب كناية عن كون ابن ادم لا يمتلئ جوفه
فيستغنى بشئ اصلا ما دام حيا بل كلما عرض له شئ من الدنيا تناوله حيث قدر عليه
ويطمع فيما لا يقدر عليه حتى يموت ويملا جوفه بالتراب فحينئذ يستغنى بالله تعالى

الدنيا جم

حيث فنيت ابعاضه واخل تركيب جسده وصار ترابا وقد ظهر الله تعالى له
فاستغنى به عن كل شى ويتوب الله تعالى على من تاب من هذه الخصلة الذميمة
والخلق الرذل وهو الحرص والطمع فى الشى الخسيس وهو الدنيا وقال القرطبى فى المفهم
وتحقيق الذم فى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم ويتوب الله على من تاب وقال صلى الله
عليه وسلم ما ذيبان جايعان ارسلا فى زريبة غنم بافسد لها من حرص المرء على المال
والشرف لدينه المقام الثانى من المقامين فى ضد حب الدنيا وضد الحرص على
الدنيا ومدحهما اى مدح الضدين المذكورين فاما ضد الاول اى حب الدنيا فهو الزهد
اعنى اى اقصد بالزهد كراهة الدنيا اى عدم محبتها وعدم الرغبة فيها وحصول برودتها
اى الدنيا على القلب بحيث لا يجد فى قلبه حرارة فى طلبها وتحصيلها واما ضد الثانى اى الحرص
على الدنيا فهو القناعة وهو اى هذا الضد الذى هو القناعة الاكتفا ظاهرا وباطنا باليسير
اى القليل من الدنيا بلا طلب الزيادة منها بلسانه او بقلبه طب يعنى روى الطبرانى
باسناده عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الزهد فى الدنيا
يريح من الراحة وهى زوال المشقة والتعب ارحت الاجير اراحة اذهبت عنه ما يجد
من تعبه فاستراح كذا فى المصباح القلب حيث لم يتعلق له خاطر بشى من الدنيا اصلا
ويريح الجسد ايضا حيث لم يتعب بطلب ولا كسب د نيا يعنى روى ابن ابى الدنيا باسناده
عن الضحاك رضى الله عنه انه قال اتى النبى صلى الله عليه وسلم رجل فقال يا رسول
الله من ازهد الناس اى اكثرهم زهدا فى الدنيا قال صلى الله عليه وسلم من لم ينس
القبر والبلى بالكسر والقصر الفنا والاضمحلال يقال بلى الميت افنته الارض يعنى
من لم يزل ذاكرا الموت فى جميع احواله وترك زينة الدنيا اى ما فيها من الاشيا المزخرفات
الموجبة للغرور فى قلوب الغافلين واثر اى قدم ما يبقى وهو متاع الاخرة على ما
يفنى وهو متاع الدنيا ولم يعد اى يحسب غدا وهو اليوم الذى بعد اليوم الذى هو
فيه من ايامه لانه لا يعلم بقاحيا الى ان ياتى عليه وعد اى حسب نفسه من جملة الموتى
فان ما قارب الشى اعطى حكمه خ م يعنى البخارى ومسلم باسنادهما عن عمر رضى الله
عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس الغنى بالقصر ضد الفقر من كثرة العرض
بفتحتين وهو متاع الدنيا وفى المفهم للقرطبى العرض بفتح العين والرا وهو حطام
الدنيا ومتاعها فاما العرض بفتح العين وسكون الرا فهو ما خلا العقار والحيوان
وما يدخله الكيل والوزن وفى كتاب العين العرض ما نيل من الدنيا ومنه قوله تعالى

تريدون عرض الدنيا وجمعه عروض ولكن الغنى غنى النفس قال القرطبى ومعنى هذا
الحديث ان الغنى النافع او العظيم او الممدوح هو غنى النفس وبيانه انه اذا
استغنت نفسه كفت عن المطامع فعزت وعظمت فحصل لها من الحظوة والنزاهة
والتشريف والمدح اكثر ممن كان غنيا بماله فقيرا بحرصه وشرهه فان ذلك يورطه فى
رذايل الامور وخسايس الافعال لبخله ودناة همته فيكثر ذامه من الناس ويصغر
قدره فيهم فيكون احقر من كل حقير واذل من كل صغير م يعنى روى مسلم باسناده عن
ابن العاصى رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قد افلح اى فاز بمطلوبه
من اسلم اى دخل فى دين الاسلام او فوض جميع اموره الى الله تعالى قال فى المصباح اسلم
لله فهو مسلم واسلم دخل فى دين الاسلام واسلم امره لله تعالى فوض وسلم امره بالتثقيل
لغة ورزق بالبنا للمفعول اى رزقه الله تعالى رزقا كفافا والكفاف ما يكف عن الحاجات
ويدفع الضرورات والفاقات ولا يلحق باهل الترفهات كذا فى المفهم للقرطبى وقنعه
اى جعله قانعا الله تعالى بما اتاه من قدر كفايته فى قضا حاجته م يعنى روى مسلم
ايضا باسناده عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اللهم اى يا الله اجعل قوت ال اى ذرية محمد صلى الله عليه وسلم وقد تقدم بيانهم فى اول
الكتاب كفافا اى مقدار ما يكفيهم لا زايد على ذلك ولا ناقص عنه وفى المفهم شرح
صحيح مسلم للقرطبى وقوله اللهم ارزق ال محمد قوتا اى ما يقوتهم ويكفيهم بحيث لا يشوشهم
الجهد ولا ترهقهم الفاقة ولا تذلهم المسئلة والحاجة ولا يكون ايضا فى ذلك فضول
تخرج الى السرف والتبسط فى الدنيا والركون اليها وهذا يدل على زهد النبى صلى الله عليه وسلم
فى الدنيا وعلى تقلله منها وهو حجة لمن قال ان الكفاف افضل من الفقر والغنى انتهى
فلعل ما فى الكتاب رواية اخرى عن مسلم ت يعنى روى الترمذى باسناده عن ابى
ذر رضى الله عنه انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليست الزهادة
فى الدنيا اى ترك الرغبة فيها بتحريم الشى الحلال على نفسك كان لا تاكل لحما ولا تجامع ولا
اضاعة المال اى القايه فى مكان بحيث تاخذه السراق او رميه فى البحر ونحوه فقد
كان النبى صلى الله عليه وسلم قدوة الزاهدين وياكل اللحم والحلوى والعسل ويحب النسا
والطيب والثياب الحسنة فخذ من الطيبات بلا سرف واياك وزهد الرهبان ولكن
الزهد فى الدنيا حقيقة هو ان تكون بما فى يد الله تعالى اى فى تصريفه امره وقدرته
اوثق اى اكثر اعتمادا منك بما فى يديك اى تحت تصريف امرك وقدرتك فانك اذا اعتمدت

ذلک وتیقنته لایقدح فی زهدک وتجردک تناولک من الدنیا مالابد لک منه مما
تحتاج الیه فی قوام البنیة ومونة العیال وان تکون فی ثواب المصیبة اذا اصبت
بالبنا للمفعول ای اصابک الله تعالی بها ارغب منک فیها ای فی تلک المصیبة لو انها
بقیت لک فلم یصبک الله تعالی بها و فی الجامع الصغیر للاسیوطی روایة هذا الحدیث
عن ابی ذر رضی الله عنه ایضا ولکنه علی غیر هذه الروایة وقد اورده برمز الترمذی وابن
ماجة عن ابی ذر رضی الله عنه قال رسول الله صلی الله علیه وسلم الزهادة فی الدنیا لیست
بتحریم الحلال ولا اضاعة المال ولکن الزهادة فی الدنیا ان لاتکون بما فی یدیک اوثق منک بما
فی ید الله وان تکون فی ثواب المصیبة اذا انت اصبت بها ارغب منک فیها لو انها بقیت
لک وقال المناوی فی شرح هذا الحدیث بعد ذکر نحو ماذکرنا فلیس الزهد تجنب المال
بالکلیة بل تساوی وجوده وعدمه عنده تعلقه بالقلب الیه ومن ثم قال الغزالی رحمه الله
تعالی الزهد ترک طلب المفقود من الدنیا وتفریق المجموع منها وترک ارادتها واختیارها
قالوا واصعب الکل ترک الارادة بالقلب اذ کم تارک لها بظاهره محب لها باطنه فهو
فی مکافحة ومقاساة من نفسه شدیدة فالشان کله فی عدم الارادة القلبیة ولهذا
لما سیل احمد رحمه الله عمن معه الف دینار ایکون زاهدا قال نعم بشرط ان لایفرح اذا زادت
ولا یحزن اذا نقصت وقال بعضهم الزاهد من لا یغلب الحلال شکره ولا
الحرام صبره وهذا احسن الحدود فالزهد فراغ القلب من الدنیا لا فراغ الید منها
وقد جهل قوم فظنوا ان الزهد تجنب الحلال فاعتزلوا الناس فضیعوا الحقوق وقطعوا
الارحام وجفوا الانام واکفهروا فی وجوه الاغنیا وفی قلوبهم شهوة الغنا امثال
الجبال ولم یعلموا ان الزهد انما هو بالقلب وان اصله موت الشهوة القلبیة فلما اعتزلوها
بالجوارح ظنوا انهم استکملوا الزهد فاداهم ذلک الی الطعن فی کثیر من الایمة وسیل بعض
الصوفیة اذا کان حقیقة الزهد ترک الشی شی لیس له فالزاهد جاهل لانه مازهد
الا فی عدم فلا وجود له فقال صحیح لکن شرع الزهد لیخرج من حجاب المزاحمة علی
الدنیا فالمحجوب کلما لاح له شی قال هذا لی فیقبض علیه فلا یترکه الا عجزا واما العارف
فلا قیمة للزهد عنده لعلمه بان ما قسم له لا یتصور تخلفه وما لا فلا یمکنه اخذه فاستراح
والدنیا کلها لاتزن عند الله جناح بعوضة فلا یرون الزهد عندهم مقاما ولنذکر فی
هذا المحل ما ورد من الاحادیث فی مدح الفقر و الفاقة فان سماعه ای سماع مدح الفقر
من جملة اسباب الزهد المقتضیة له تم یعنی روی الترمذی باسناده عن ابی هریرة

رضی

رضی الله عنه انه قال قال رسول الله صلی الله علیه وسلم یدخل الفقرا الجنة لقلة
حسابهم قبل الاغنیا بخمسمایة عام ای سنة وذلک المقدار نصف یوم من ایام الله
تعالی کما قال سبحانه وان یوما عند ربک کالف سنة فان الاغنیا علیهم فروض وحقوق
فی اموالهم وانفسهم اکثر من الفقرا فیطول حسابهم بسبب ذلک فتسبقهم الفقرا
الی الجنة بهذا المقدار المذکور ویمکن ان یراد بالفقرا فقرا الله تعالی الذین حب الله
فی قلوبهم یمنعهم من المیل الی غیره وان کانوا اغنیا بالاموال الکثیرة فانهم یسبقون اغنیا
الذین حب الدنیا فی قلوبهم یمنعهم من حب الله تعالی فان الغنی غنی النفس بالله تعالی
لا غنی الید بالمال وقد کتب الی هذا السؤال فی سابع شهر رمضان سنة
ثمان وثمانین والف صورته المعروض بین یدی مولانا الشیخ عبد الغنی
اغناه الله تعالی وادام فضله علی المسلمین بمحمد سید المرسلین علیه من الله افضل
الصلاة واتم التسلیم هو ان المرجو من سعة فضلکم الجواب عما نقله المناوی فی شرحه
الکبیر علی الجامع الصغیر وهو اخرج العسکری عن مضر بن جریر ان اباحنیفة رضی
الله عنه سیل عن حدیث یدخل فقرا امتی الجنة قبل الاغنیا بنصف یوم فقال المراد
بالاغنیا من غیر هذه الامة لان فی اغنیا هذه الامة مثل عثمان بن عفان والزبیر
وابن عوف رضی الله عنهم قال مضر فذکرته لعبد الواحد بن زید فقال لایسال ابو
حنیفة عن هذا انما یسال عن المدبر والمکاتب ونحوه انتهی بلفظه فکتبت له
فی الجواب الحمد لله جواب ابی حنیفة رضی الله عنه علی قدر السایل
والسایل عن ذلک عامی لان الخاصة من اهل الله یعلمون ذلک بجواب اخر خاص عندهم
اعلی من هذا الجواب والفقها انما یعتبرون حال السایل فیما یلیق به من الجواب
والصوفیة یعتبرون حال السوال لا السایل فلو سیل عن هذا الحدیث عبد الواحد بن
زید اجاب علی حسب السوال لا السایل بجواب اعلی مما ذکره ابو حنیفة رضی الله عنهما
وابو حنیفة رضی الله عنه لایجهل الجواب الاعلی کیف وهو مجتهد کامل وعالم عامل
جامع بین علوم الالهام وعلوم الاجتهاد فهو بحر فی علم الظاهر وعلم الباطن ولکن
اقامه الله تعالی فی تحقیق احکام الظاهر علی حسب اجتهاده فی ذلک فجوابه علی مقتضی
عالم الحکمة وهو الدنیا کما اقام غیره فی تحقیق احکام الباطن علی مقتضی الهامه ذلک
فلو سیل لاجاب علی مقتضی عالم القدرة وهو الاخرة وعبد الواحد بن زید لا یجهل
ذلک من ابی حنیفة رضی الله عنهما ولهذا قال انما یسال عن المدبر والمکاتب ونحوه

وتقدير الكلام انه اقيم في مقام تقرير الاحكام الشرعية فقط وجوابه هذا انما
هو لايق بالعامة دون الخاصة وهو انما راعي جانب العامة لان ذلك عادة من اقيم في
تقرير الاحكام الشرعية واما من اقيم في تقرير الحقايق الشرعية فعنده جواب اعلى من
ذلك هذا غاية ما نعتذر به عن كلام السلف فيما بينهم رضي الله عنهم تحسينا
للظنون بهم وان كان مراده غير ذلك فله قصده فيه ومعنى جواب ابي حنيفة
رضي الله عنه فقرا هذه الامة وهم جميع المومنين بدليل قوله تعالى يا ايها الناس انتم
الفقرا الى الله وان كان الناس شاملا للكافرين ايضا لكن لما لم يومنوا لا يدخلون الجنة
وان كانوا فقرا ايضا بقية العموم في هذه الاية دون الامم الماضية لان الخطاب
ليس في حقهم وان كانوا كذلك فيدخل فقرا هذه الامة الجنة وهم المسلمون المطيعون
دون الكافرين والعصاة لخروجهم بالكفر والمعصية عن حكم الاعتراف بالفقر الى الله
تعالى قبل الاغنيا من غير هذه الامة وهم جميع الامم الماضية وكانوا اغنيا لعدم
خطابهم بمثل ما خوطبت به هذه الامة من نسبة الفقر اليها ويكون معنى هذا
الحديث موافقا لحديث ان هذه الامة اول من يدخل الجنة ونحوه ولهذا لم يقل قبل اغنيا
امتي كما قال فقرا امتي واما قول ابي حنيفة رضي الله عنه لان في اغنيا هذه الامة الى
اخره فهو دفع لارادة الغني بالمال لانه يلزم منه ان تدخل فقرا المهاجرين الجنة قبل
عثمان رضي الله عنهم فيلزم من ذلك نقصان عثمان عنهم رضي الله عنهم عند العامة
الذين لا يعرفون ان المفضول قد يوجد فيه ما ليس في الفاضل كبلال رضي الله عنه لما
سبق النبي صلى الله عليه وسلم الى الجنة كما ورد في حديث الخشخشة مع ان ذلك لم ينقص
من رتبة النبوة شيا وله نظاير كثيرة فاجاب ابو حنيفة رضي الله عنه جوابا راعى فيه
السايل من العامة خوفا عليهم جريا على مقتضى الحكمة والله اعلم واحكم خ م يعني
روى البخاري ومسلم باسنادهما عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اطلعت اي اشرفت يقال اطلعت زيدا على كذا مثل اعلمته وزنا ومعنى
فاطلع على افتعل اي اشرف عليه وعلم به كذا في المصباح في الجنة بطريق الكشف عنها
لان الجنة موجودة الان فرايت اكثر اهلها اي الذين يدخلونها الفقرا من الاموال
لقلة شواغلهم عن التفرغ الى طاعة الله تعالى بخلاف الاغنيا فانهم شغلتهم
اموالهم واولادهم فقصروا في الطاعة او الفقر الى الله تعالى وان كانوا اهل الاموال
الكثيرة حيث لم يكونوا مفتقرين الى شي منها فوجودها عندهم وعدمها سوا فلا

يفرحون

يفرحون بزيادتها ولا يحزنون على نقصانها واطلعت اي اشرفت في النار اي نار
جهنم فانها موجودة الان ايضا فرايت اكثر اهلها اي الذين يدخلونها للخلود
او التطهير النسا بالكسر والنسوة بكسر النون افصح من ضمها اسمان لجماعة
اناث الاناسي الواحدة امراة من غير لفظ الجمع كذا في المصباح وانما كانت النسا
اكثر اهل النار لكفرانهن العشير ونقصان عقولهن ودينهن وغلبة الجهل عليهن
فلا يتركن المعاصي والذنوب لقلة علمهن وعدم مبالاتهن بذلك ولا يحافظن على
الطاعات وربما يتكلمن بالكفر او يعتقدن ذلك ولا يسالن عنه ولا يعرفن الحق
من الباطل وتختص من عقولهن تقوى لله تعالى يعبدن بها الله تعالى ولا
يتوقفن في حكم الله تعالى على معرفة دليل شرعي من استيلا الغفلة والغرور عليهن
خصوصا نسا هذا الزمان الا من وفقها الله تعالى منهن مج يعني روى ابن ماجة
باسناده عن عمران بن حصين رضي الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله تعالى يحب العبد الفقير اي القليل المال المتعفف اي المكلف نفسه العفة
بالكسر اي الامتناع عن السوال من الناس وعن اذلال نفسه في طلب الدنيا والسعي
في خدمة اهلها فهو في مجاهدة عظيمة مع نفسه ابا العيال اي صاحب العيال وهم اهل
بيته ومن يمونه الانسان الواحد عيل مثل جياد وجيد كذا في المصباح وفي
المجمل لابن فارس عال الرجل عياله اذا مانهم وجمع العيال عيايل انتهى وفي
ذكر العيال اشارة الى فقره وحاجته مع وجود التعفف طب يعني روى الطبراني
باسناده عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه انه يعني ابا سعيد المذكور قال لبلال
الحبشي موذن النبي صلى الله عليه وسلم مت فقيرا من الدنيا حتى تخرج منها كما
دخلت اليها وانت لا تملك شيا ولا تمت غنيا وفيه اشارة الى ان الفقر افضل من
الغنى واذا اقبل الانسان على الله تعالى بوصف الفقر كان اكثر قبولا عنده من اقباله
بوصف الغنى طص طس يعني روى الطبراني في معجمه الكبير والاوسط باسناده عن ابي
الدردا رضي الله عنه انه لم يكن ينخل لرسول الله صلى الله عليه وسلم الدقيق يقال نخلت
الدقيق نخلا من باب قتل والمنخل بضم الميم ما ينخل به وهو من النوادر التي
وردت بالضم والقياس بالكسر لانه اسم الة وتنخلت كلامه تخيرت اجوده وانتخلت
الشي اخذت افضله والدقيق الحنطة وغيرها وهو الطحين ايضا فعيل بمعنى
مفعول وتجمع على ادقة مثل جنين واجنة ودليل وادلة كذا في المصباح وفي الشرعة

وشرحها المسمى بجامع الشروح اول بدعة حدثت فى الاسلام الشبع وهذه
المناخل المعروفة التى يميز بها النخالة من الدقيق جمع منخل بضم الميم والخا
لغة والقياس كسر الميم وفتح الخا ولم ير نبينا صلى الله عليه وسلم نقيا اى ما بيض
من الخبز او مانقى دقيقه من النخالة او حنطته مما ليس منها كذا فى زين العرب
ولارای منخلا اى نفس هذه الالة فضلا عن ان ياكل ما تستعمل هى فيه وعن سهل بن
سعد رضى الله عنه ماراى رسول الله صلى الله عليه وسلم النقى وماراى منخلا من حين
بعثه الله تعالى حتى قبضه كذا فى المصابيح ولم يكن له صلى الله عليه وسلم الا قميص
واحد مع قدرته عليه السلام على اكثر من ذلك حذرا من الاسراف قال فى جامع الشروح
ولا يتخذ الا ثوبا واحدا اى الا قميصا واحدا او قبا واحدا ولا يجمع بينهما فان اجتمع له
ثوبان منهما اومن احدهما وهب احدهما لفقير حذرا من الاسراف اوسو الحساب
حكى عن الحريرى قال كان فى جامع بغداد رجل لايكاد نجده الا فى ثوب واحد فى
الشتا والصيف فسيل عن ذلك فقال قد كنت ولعت بكثرة لبس الثياب فرايت ليلة
فيما يرى النايم كانى دخلت الجنة فرايت جماعة من اصحابنا من الفقرا على مايدة فاردت
ان اجلس معهم فاذا جماعة من الملايكة اخذ وابيدى فاقامونى وقالوا هولا
اصحاب ثوب واحد وانت لك قميصان فلا تجلس معهم فانتبهت ونذرت
ان لا البس الا ثوبا واحدا الى ان لقى الله تعالى كذا فى عوارف المعارف وروى عن بعض
اهل الله انه لا يلبس الا عارية كما روى عن ابى يزيد البسطامى قدس الله سره
انه مات ولم يترك الا قميصه الذى كان عليه وكان عارية فردوه الى صاحبه وحكى
عن بعض المشايخ انه بقى زمانا لايلبس الثوب الا مستاجرا حتى كان لا يلبس على
ملك نفسا شيا طب يعنى روى الطبرانى باسناده عن عايشة رضى الله عنها
انه اى الشان ماكان يبقى على مايدة وهى مشتقة من ماده يميده ميدا اعطاه
وهى فاعلة بمعنى مفعولة لان المالك مادها للناس اى اعطاهم اياها وقيل مشتقة
من ماد يميد اذا تحرك فهو اسم فاعل على الباب كذا فى المصباح رسول الله صلى الله
عليه وسلم من خبز الشعير شىء قليل ولا كثير بل يوكل كله لانه كان يوضع على المايدة
مقدار الحاجة مخافة الاسراف قال فى الشرعة فمن سنة الانبيا عليهم السلام اكل خبز
الشعير فذلك اكثر طعامهم وكان نبينا صلى الله عليه وسلم لا يشبع منه ثلاث ليالى
متواليات فلا ياكل المومن الا منه ويخلط برا بالشعير ففى الحديث ثلاث فيهن البركة

البيع الى الاجل والمقارضة وخلط البر بالشعير للبيت لا للبيع ط روى الامام مالك رضى
الله عنه فى الموطا عن انس رضى الله عنه انه قال رايت عمر رضى الله عنه وهو يوميذ
اى يوم رايته كذلك امير المومنين يعنى فى زمان خلافته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
والحال انه قد رقع ثوبه يقال رقعت الثوب رقعا من باب نفع اذا جعلت مكان القطع
خرقة كما فى المصباح بين كتفيه برقاع جمع رقعة وهى الخرقة التى تجعل مكان القطع
من الثوب ثلاث لبد بالتشديد يقال لبد الشىء من باب تعب بمعنى لصق ويتعدى بالتضعيف
فيقال لبدت الشىء تلبيدا الزقت بعضه ببعض حتى صار كاللبد كذا فى المصباح بعضها
اى بعض تلك الرقع على بعض وذلك من كمال زهده رضى الله عنه فى الدنيا واعراضه عن
التبسط فيها مع القدرة على ذلك ت يعنى روى الترمذى باسناده عن ابى طلحة رضى الله
عنه انه قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجوع من كثرة ما كان يصيبهم رضى
الله عنهم لترك اشتغالهم بالمكاسب المعاشية بسبب انهماكهم فى الطاعات
والعبادات ليلا ونهارا ولم تكن الناس قد انصرفت هممهم الى الدنيا بعد حتى
تيفننوا المآكل والمشارب والملابس والمساكن ويوظفوا وظايف الطعامات
كما هم عليه الان وقال النجم الغزى فى كتابه منبر التوحيد قال ابو هريرة رضى
الله عنه وكان من افضل اهل الصفة لقد رايت سبعين من اهل الصفة يصلون
فى ثوب واحد منهم من لا يبلغ ركبتيه فاذا ركع احدهم قبض ثوبه بيده مخافة ان
تبدو عورته رواه البخارى وروى الترمذى وصححه وابن حبان فى صحيحه عن فضالة
ابن عبيد رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا صلى بالناس يخر
رجال من قامتهم فى الصلاة من الخصاصة اى الفاقة وهم اصحاب الصفة رضى الله
عنهم حتى يقول الاعراب هولا مجانين فاذا صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف
اليهم فيقول لو تعلمون ما لكم عند الله لاحببتم ان تزدادوا فاقة وحاجة وقال ابن
سيرين رحمه الله كنا عند ابى هريرة رضى الله عنه وعليه ثوبان ممشقان من
كتان اى مصبوغان بالمشق بكسر الميم وهو المغرة يتمخط فى احدهما ثم قال بخ بخ
يتمخط ابو هريرة فى الكتان لقد رايتنى وانى لاخر بين منبر رسول الله صلى الله
عليه وسلم وحجرة عايشة رضى الله عنها من الجوع مغشيا على فيجى الجاى فيضع رجله
على عنقى يرى ان بى الجنون وما هو الا الجوع رواه البخارى والترمذى وصححه ورفعنا
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ثيابنا وكشفنا له عن حجر حجر اى كل واحد منا رفع عن

بحجر ملتصقة تلك الاحجار الى بطوننا ندفع بذلك الم الجوع عنا قال القسطلانى فى
مواهبه ومعنى قوله ورفعنا عن بطوننا عن حجر حجر قال كان احدهم يشد فى بطنه
الحجر من الجهد والضعف الذى به من الجوع وقصة جابر رضى الله عنه
انه راى النبى صلى الله عليه وسلم يوم الخندق وقد قام الى الكدية وبطنه معصوب
بحجر وانما فعل هذا النبى صلى الله عليه وسلم ليسكن بعض الم الجوع وانما
كان الفعل مسكنا كلب الجوع من شدة حرارة المعدة الغريزية فهى اذا
امتلات من الطعام اشتغلت تلك الحرارة بالطعام فاذا لم يكن فيها طعام طلبت
رطوبات الجسم وجواهره فيتالم الانسان بتلك الحرارة فتتعلق بكثير من جواهر
البدن فاذا انضمت على المعدة الاحشا والجلد خمدت نارها بعض الخمود
فقل الالم وانما تالمه بالجوع فيحصل له تضعيف الاجر مع حفظ قوته وفضلات
جسمه حتى ان من راه لا يظن به جوعا لان جسمه صلى الله عليه وسلم انما كان يرى
اشد نضارة من اجسام المترفهين بالنعم فى الدنيا وقد انكر ابو حاتم بن حبان
احاديث وضع الحجر على بطنه الشريف من الجوع وقال انها باطلة متمسكا
بحديث الوصال لست كاحدكم انى اطعم واسقى قال وانما معنى الحجز بالزاى وهو
طرف الازار لان الله تعالى قد كان يطعم رسوله عليه السلام ويسقيه اذا واصل
فكيف يحتاج الى شد الحجر على بطنه وما يغنى الحجر عن الجوع وقال بعضهم يجوز ان يكون
عصب الحجر لعادة عند العرب او اهل المدينة انهم يفعلون ذلك اذا خلت اجوافهم
وغارت بطونهم يشدون عليها حجرا ففعل صلى الله عليه وسلم ذلك ليعلم اصحابه انه
ليس عنده ما يستاثر به عليهم والصواب صحة الاحاديث وانه صلى الله عليه وسلم
فعل ذلك اختيارا للثواب خ م يعنى روى البخارى ومسلم باسنادهما عن عايشة
رضى الله عنها انها قالت كان ياتى علينا الشهر من اوله الى اخره ونحن ما نوقد فيه
نارا كناية عن عدم طبخ الطعام انما هو اى طعامنا التمر والما الا ان نوتى اى
ياتينا احد باللحم مشويا او مطبوخا بالمرق وفى رواية اخرى ما شبع ال اى اهل
بيت محمد صلى الله عليه وسلم من خبز البر اى القمح ثلاثا اى من الايام حتى مضى صلى
الله عليه وسلم سبيله اى طريقه يعنى مات وفارق الدنيا صلى الله عليه وسلم وفى رواية اخرى
ما شبع ال محمد صلى الله عليه وسلم من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض رسول
الله صلى الله عليه وسلم اى قبضه الله تعالى يعنى مات عليه الصلاة والسلام وفى المواهب

هذا
صح

اللدنية وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال ما شبع ال محمد صلى الله عليه وسلم من طعام
ثلاثة ايام تباعا حتى قبض رواه الشيخان وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت الليالى المتتابعة واهله طاويا لا يجدون
عشا وانما كان خبزهم الشعير رواه الترمذى وفى حديث مسعر عند مسلم ما شبع
ال محمد يومين من خبز البر الا واحدهما تمر واخرج ابن سعد من طريق عمران
ابن زيد المدنى حدثنى والدى قال دخلنا على عايشة رضى الله عنها فقالت خرج يعنى
النبى صلى الله عليه وسلم من الدنيا ولا امتلا بطنه فى يوم من طعامين كان اذا شبع من
التمر لم يشبع من الشعير واذا شبع من الشعير لم يشبع من التمر وليس فى هذا ما يدل
على ترك الجمع بين لونين فقد جمع صلى الله عليه وسلم القثا بالرطب وعن الحسن
قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والله ما امسى فى ال محمد صاع من طعام
وانها لتسعة ابيات والله ما قالها استقلالا لرزق الله تعالى ولكن اراد ان تتاسى
به امته رواه الدمياطى ايضا وقال عتبة بن غزوان لقد رايتنى وانى لسابع سبعة
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لنا طعام الا ورق السمر حتى تقرحت اشداقنا
وفى رواية للبخارى ومسلم كانت عايشة رضى الله عنها تقول والله يا ابن اختى
انا كنا لننظر الى الهلال ثم الهلال ثم الهلال ثلاثة اهلة فى شهرين وما اوقد
فى ابيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار قال قلت يا خالة فما كان يعيشكم قالت
الاسودان التمر والما الا انه كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم جيران من الانصار وكانت
لهم منايح فكانوا يرسلون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من البانها فيسقيناه وعن
ابى هريرة رضى الله عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فاذا
هو بابى بكر وعمر رضى الله عنهما فقال ما اخرجكما من بيوتكما هذه الساعة قالا
الجوع يا رسول الله قال وانا والذى نفسى بيده لاخرجنى الذى اخرجكما فاتى
رجلا من الانصار فاذا هو ليس فى بيته فلما رات المراة قالت مرحبا واهلا
فقال لها صلى الله عليه وسلم اين فلان قالت ذهب يستعذب لنا الما اذ جاء
الانصارى فنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه فقال الحمد لله ما احد
اليوم اكرم اضيافا منى قال فانطلق فجاءهم بعذق فيه بسر وتمر ورطب
فقال كلوا واخذ المدية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياك والحلوب فذبح
لهم فاكلوا من الشاة ومن ذلك العذق وشربوا فلما ان شبعوا ورووا قال

صلى الله عليه وسلم لابي بكر وعمر رضي الله عنهما والذي نفسي بيده لتسئلن عن
هذا النعيم يوم القيمة اخرجكم من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا حتى اصابكم هذا
النعيم رواه مسلم وغيره وهذا السوال سوال تشريف وانعام
وتعديل وافضال واكرام وقد استشكل كونه عليه السلام
واصحابه رضي الله عنهم كانوا يطوون الايام جوعا مع ما ثبت انه يرفع لاهله
قوت سنة وانه قسم بين اربعة انفس من اصحابه الف بعير مما افاء الله عليه
وانه ساق في عمرته مائة بدنة فنحرها واطعمها المساكين وانه امر لاعرابي
بقطيع من الغنم وغير ذلك مع من كان معه من اصحاب الاموال كابي بكر وعمر
وعثمان وطلحة وغيرهم مع بذلهم انفسهم واموالهم بين يديه وقد امر بالصدقة
فجاء ابو بكر بجميع ماله وعمر بنصفه وحث على تجهيز جيش العسرة فجهزهم
عثمان بالف بعير الى غير ذلك واجاب عنه الطبري كما حكاه في فتح
الباري ان ذلك كان منهم في حالة دون حالة لا لعوز وضيق تارة للايثار وتارة
لكراهة الشبع وكثرة الاكل قال الحافظ ابن حجر والحق ان الكثير منهم كانوا في حال
ضيق قبل الهجرة حيث كانوا بمكة ثم لما هاجروا الى المدينة كان اكثرهم كذلك
فواساهم الانصار بالمنازل والمنايح فلما فتحت لهم النضير وما بعدها ردوا عليهم
منايحهم وقد قال عليه السلام لقد اخفت في الله وما يخاف احد ولقد اوذيت
في الله وما يوذى احد ولقد اتت علي ثلاثون من يوم وليلة ما لي ولبلال طعام ياكله
احد الا شيء يواريه ابط بلال رواه الترمذي وصححه نعم كان صلى الله عليه وسلم يختار
ذلك مع امكان حصول التوسع والتبسط في الدنيا له كما اخرجه الترمذي من حديث
ابي امامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عرض علي ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهبا
قلت لا يا رب ولكن اشبع يوما واجوع يوما فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك واذا
شبعت شكرتك وحمدتك وحكمة هذا التفصيل الا لتلذذ بالخطاب والا فالله
تعالى عالم بالاشياء جملة وتفصيلا وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وجبريل على الصفا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا جبريل والذي بعثك بالحق ما امسى لال محمد سفة من دقيق ولا كف من سويق
فلم يكن كلامه باسرع من ان سمع هدة من السماء افزعته فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم امر الله القيامة ان تقوم قال لا ولكن امر الله اسرافيل فنزل اليك حين

سمع كلامك فاتاه اسرافيل فقال ان الله قد سمع ما ذكرت فبعثني اليك بمفاتيح خزاين
الارض وامرني ان اعرض عليك اسير معك جبال تهامة زمردا وياقوتا وذهبا
وفضة فعلت فان شئت نبيا ملكا وان شئت نبيا عبدا فاومأ اليه جبريل ان تواضع
فقال بل نبيا عبدا ثلاثا رواه الطبراني باسناد حسن فانظر الى همته العلية صلى
الله عليه وسلم كيف عرضت عليه مفاتيح كنوز الارض فاباها ومعلوم انه لو اخذها
لانفقها في طاعة ربه فابى ذلك واختار العبودية المحضة فيا لها من همة شريفة
رفيعة ما اسناها ونفس زكية ما ابهاها ز يعني روى البزار باسناده عن ابي
الدرداء رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بين ايديكم اي قدامكم
في المستقبل من بعد الموت عقبة وهي الطريق في الجبل كذا في المجمل وفي المصباح
العقبة في الجبل ونحوه جمعها عقاب مثل رقبة ورقاب كؤودا من الكاد وهو الشدة
اي عقبة شديدة صعبة المرتقى وعرة المسلك كناية عن اهوال الموت والقبر
والقيامة وشدايد الحشر والحساب والصراط والميزان لا ينجوا اي يسلم منها اي من
تلك العقبة الا كل انسان مخف ضد مثقل اي خفيف الحال قليل المونة لا تعلق له
بشيء سوى قدر الحاجة ولا مخالطة له باحد الا في الضرورة جهة التقليل من الامور
وتضييق دايرة العشرة مع غيره حتى لا تكثر عليه الحقوق فيكون فيكون مثقلا
بتحملها واما بيان الاسراف المتقدم ذكره ففيه خمسة مباحث المبحث الاول
من المباحث الخمسة في ذمه اي الاسراف وذكر غوايله اي مفاسده اعلم ايها الانسان
ان الاسراف حرام قطعي لثبوت النهي عنه بالدليل القطعي وهو قوله تعالى ولا
تسرفوا كما سياتي ومرض قلبي اي متعلق بامر القلب حيث لم يقصد به القلب جهة
طاعة لله تعالى فلو قصدها لم يكن اسرافا فهو ليس باسراف باعتبار الفعل بالظاهر بل
باعتبار قصد القلب في غرض النفس وخلق اي طبيعة وعادة ردي من ردى الشيء
بالهمز رداءة فهو ردي على فعيل اي وضيع خسيس كما في المصباح ولا تظنن انه
اي الاسراف ادنى كثيرا اي اقل حرمة واضعف نهيا من البخل المتقدم ذكره بسبب
كثرة ما ورد في ذمه اي البخل من الايات والاحاديث التي ذكر بعضها فيما سبق بخلاف
الاسراف حيث لم يرد في ذمه مقدار ما ورد في ذم البخل لان ذلك اي كثرة الوارد في ذم
البخل بسبب كون اكثر الطباع من الناس مائلة الى الامساك عن انفاق المال والى
البخل به على الغير فاحتاج اي الامساك الذي هو البخل الى كثرة الروادع اي الزواجر

كما ان البول من الانسان وغيره في حرمته اي حرمة استعماله ونجاسته اشد حرمة
ونجاسة من حرمة ونجاسة الخمر كما صرح به الفقها فانه ينقض الوضوء من وجه
ولو كان قليلا بخلاف الخمر لو خرج من الفم دون ملئه الا اذا غلب العقل فالناقض غيبة
العقل لا الخمر ونجاسته لا تقبل الطهارة اصلا بخلاف الخمر فانه يطهر بالتخليل وليس
الخمر بنجس العين بخلاف البول قال الباقاني في شرح النقاية ان الخمر نجس نجاسة
غليظة كالدم لكن الخمر ليس بنجس العين بل نجاستها باعتبار وصفها ولهذا جاز
تخليلها ويطهر اذا صار خلا وفي شرح الدرر وغلظ الخمر نجاسة لثبوتها بالدلايل
القطعية حيث سماها الله تعالى رجسا وهو اسم للحرام النجس العين كذا في الكافي ورد
الاحاديث المتواترة المعنى فيه انتهى فيقتضي كلامه ان الخمر نجس العين الا ان يقال
يمنعه عدم نجاسة ما عطف عليه في الاية من الميسر والانصاب والازلام مع
ان الاخبار عنها ايضا بانها رجس فالخمر وما عطف عليه رجس باعتبار الوصف
لا الذات ولهذا قبل التطهير بالتخليل كما مر مع انه اي البول لم يرد فيه من الايات
والاحاديث مقدار ما ورد في الخمر من ذلك ولم يشرع بالبنا للمفعول اي لم يشرع الله
تعالى فيه اي البول حد كما شرع الحد في الخمر وحسبك اي يكفيك في الاسراف
والتبذير من النهي قوله تعالى ولا تبذر يا ايها المكلف تبذيرا بذرت الكلام فرقته
وبذرت بالتثقيل مبالغة وتكثير فتبذر هو ومنه اشتق التبذير في المال
لانه تفريق في غير القصد كذا في المصباح ولهذا اكد بالمصدر لافادة كمال المبالغة
في ذلك الوصف المنهي عنه وادنى التبذير كانه اعلا ما يكون منه كما قالوا في قوله تعالى
اما شاكرا واما كفورا حيث لم يقل واما كافرا او اما شكورا واما كفورا فان ابلغ ما
يكون من الشكر عند العبد لا مبالغة فيه بالنظر الى الرب سبحانه لكثرة انعامه واقل
ما يكون من الكفر فيه كمال المبالغة بالنسبة اليه سبحانه وليس النهي عن التبذير
بشرط المبالغة فيه حتى يلزم اباحة ما دونه من التبذير بل كل التبذير منهي عنه
بدليل قوله سبحانه بعده ان المبذرين ولم يقل ان المبذرين تبذيرا كانوا اخوان
الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا وفي التنوير مختصر التفسير الكبير التبذير
افساد المال وانفاقه في السرف اكثر بعضهم من النفقة في الخير فقيل له لا خير في
السرف فقال لا سرف في الخير ثم ذم المبذرين بانهم اخوان الشياطين اي مشبهون مصاحبون
لهم كما يقال فلان اخو الكرم والجود واخو السفر وقيل قرناوهم في النار ثم بين ان

الشيطان

الشيطان كفور لربه بافساده في الارض واضلاله الناس وكذلك المبذر كفور لنعمة
الله تعالى قيل المراد النهي عما تفعله العرب من النهب والغارة ويتفاخرون بذلك وعما
كان المشركون ينفقونه في اعانة اعدا الدين واخ الشيطان لا شك انه شيطان فيلزم
انه ان يكون لربه كفورا كما ان الشيطان كذلك الا ان تكون الاخوة باعتبار الاشتراك في
الوصف الظاهر فقط وهو صرف ما يملكه فيما لا نفع له فيه لا باعتبار الوصف الباطن
وهو الكفر فلا يلزم ذلك والشيطان يصرف ما يملكه من حوله وقوته فيما لا نفع له
فيه من اضلال غيره وتزيين الباطل له والمسرف كذلك يصرف ما يملكه من امواله
فيما لا ينفعه من الفسوق والعصيان فاشبهه في هذا الوصف فكان اخاه ولا اسم
اقبح من اسم الشيطان من شطنت الدار شطونا من باب قعد بعدت وفي الشيطان
قولان احدهما انه من شطن اذا ابعد عن الحق او عن رحمة الله تعالى فتكون النون اصلية
ووزنه فيعال وكل عاق متمرد من الجن والانس والدواب فهو شيطان ووصف
اعرابي فرسه فقال كانه شيطان في اشطان والقول الثاني ان اليا اصلية والنون
زايدة عكس الاول وهو من شاط يشيط اذا بطل او احترق فوزنه فعلان كذا في
المصباح فلا ذم ابلغ من هذا الذم ونهى الله تعالى الاوليا والاوصيا عن ايتاء اي اعطاء
المسرفين اموالهم لتكون معونة لهم في اسرافهم معبرا عنهم اي عن المسرفين باسم من اقبح
الاسما فقال تعالى ولا تؤتوا السفها نهى الاوليا عن ان يؤتوا الذين لا رشد لهم اموالكم
فيضيعوها وانما اضاف المال الى الاوليا لانها في تصرفهم وتحت ولايتهم وقيل نهى لكل
احد ان يعمد الى ما خوله الله تعالى من المال فيعطي امراته واولاده ثم ينظر الى ايديهم ثم
سماهم سفها استخفافا بعقلهم واستهجانا لجعلهم قواما على انفسهم قاله البيضاوي
وفي التنوير شرح مختصر التفسير الكبير قيل المخاطب بها الاوليا اي لا تؤتوا من تحت
نظركم من السفها اموالهم واضاف الاموال اليهم لا بمعنى الملك بل لصحة التصرف او
جعل الوحدة النوعية كالوحدة الشخصية كقوله تعالى لقد جاكم رسول من انفسكم فمما
ملكت ايمانكم فاقتلوا انفسكم والمال ما ينتفع به نوع الانسان وقيل هي نهي للاوليا عن
دفع اموال الاوليا لهم اي اذا كان الاولاد مثلا سفها فلا تعطوهم مالكم وان حضر الموت
فقدموا عليهم من يحفظ المال والاول ارجح لان الاجماع على ان له ان يهب لاولاده الصغار
والنسوان ما شا من امواله وانه يحرم عليه ان يدفع اليهم اموالهم وسموا سفها لخفة
عقولهم ونقص تمييزهم عن حفظ اموالهم وليس السفه هنا صفة نقص ولا ذم ولا عيب

وقد رغب الله تعالى فی حفظ المال ونهی عن التبذیر ولان بالمال تتم مقاصد الانسان
ویتفرغ باله للعبادات ویحصل امور دنیاه فهو من اعظم الاسباب علی اکتساب
سعادة الدنیا والاخرة ان صرفه فی وجوهه المشروعة وذم الله تعالی فرعون
بقوله تعالی وان فرعون لعال فی الارض وانه لمن المسرفین ای المجاوزین الحدود
فی اضاعة الاموال فی غیر وجوهها فقد ورد انه کان له موايد کثیرة یبسطها کل یوم
لمن یعبده من دون الله تعالی وذم الله تعالی ایضا قوم لوط علیه السلام بقوله تعالی
بل انتم خطاب من لوط علیه السلام لقومه قوم مسرفون ای عادتکم الاسراف
بتضییع الاموال فی غیر الوجوه المطلوبة منکم شرعا لنفع الاخرة وورد فی الصحیحین
ای صحیح البخاری ومسلم ان النبی صلی الله علیه وسلم نهی امته عن اضاعة المال ای انفاقه فی
غیر المنافع الشرعیة التی تنفع العبد فی الدنیا والاخرة ویکفی العاقل من النهی عن
ذلک ما اخرجه الترمذی ت یعنی الترمذی باسناده عن ابی برزة ان رسول الله صلی الله
علیه وسلم قال لا تزول ای تذهب وتمضی الی حیث قدر الله تعالی لها من الجزا قدما
عبد من عباد الله تعالی یوم القیمة حتی یسال بالبنا للمفعول ای یساله الله تعالی
او تساله الملایکة عن اربع من الخصال الخصلة الاولی یسال عن عمره ای مدة حیاته
فی الدنیا فیما ای فی ای شی افناه ای العمر یعنی اذهبه وامضاه اما فی خیر او فی شر والثانیة
یسال عن علمه الذی علمه من دین الله تعالی ما بمعنی ای شی عمل به من طاعة او معصیة والثالثة
یسال عن ماله الذی ملکه مدة حیاته من این ای من ای جهة من جهات التملک اکتسبه من
حل او من حرمة وفیما ای فی ای شی انفقه فی سبیل الله او فی سبیل النفس والهوی والشیطان
والرابعة یسال عن جسمه الذی خلقه الله تعالی له فیما ای فی ای عمل ابلاه ای اشغله به
فی الحیاة الدنیا حتی مات وبلی من الاعمال الصالحة او الفاسدة ومن جملة الدلایل الدالة
علی مذمومیته ای الاسراف جدا ای ذما قویا حرمة الربوا حیث صرح الله تعالی به فقال
سبحانه وحرم الربوا الذی هو من الکبایر اذ ای لان علتها ای حرمة الربوا فی الحقیقة ای باطن
الامر صیانة اموال الناس عن الضیاع ای الذهاب بلا نفع فی المبایعات التی تجری بینهم
لکن الضیاع فی ذلک انما یتحقق عند اتحاد العوضین ای کل واحد من المبیع والثمن یعنی کونهما
متماثلین متشابهین صورة ای من حیث الصورة ومعنی ای من حیث المعنی ایضا المضاف
الیهما مع زیادة احدهما ای العوضین علی الاخر والاول ای الاتحاد الصوری یکون باتحاد
الجنس ای کون الجنس واحدا کبیع البر بالبر والشعیر بالشعیر والثانی ای الاتحاد المعنوی

یکون

یکون باتحاد القدر اعنی ای اقصد بالقدر الکیل کالبر والشعیر فانهما یباعان به والوزن
کاللحم والحریر فانهما یباعان به فقیل ای قال الفقها العلة فی الربا الجنس والقدر تیسیرا
ای اختصارا فی الکلام فغوایل الاسراف مشارکة الشیطان فی طبیعته وعادته ولهذا
کان المسرفون اخوان الشیاطین کما مر ومشارکة فرعون وقوم لوط علی حسب ما اخبر
الله تعالی عنهم بذلک فی الایتین السابقتین وعدم محبة الله تعالی للمسرفین وغضبه سبحانه
علیه ای علی المسرف حیث قال تعالی فی الایة السابقة ولا تسرفوا انه لا یحب المسرفین وتسمیته
تعالی ایاه سفیها ای المسرف سفیها فی قوله ولا تؤتوا السفها اموالکم الایة السابقة واستحقاق
العذاب فی الاخرة لانه فعل ما نهاه الله تعالی عنه واستحقاق الذلة ای الحقارة والمهانة
والاحتیاج ای الافتقار الی غیره بعد ذهاب ماله والندامة علی ما سبق منه فی الدنیا وهو
عذاب الدنیا المبحث الثانی من المباحث الخمسة فی بیان السر ای الامر الخفی
والسبب الاصلی فی مذمته ای الاسراف یعنی کونه مذموما فی الشرع هو ای السبب فی ذلک
ان المال هو ما یدخل فی ملک الانسان من امتعة ونقود وعقار وغیرها نعمة عامة
من الله تعالی علی الانسان وهو مزرعة الاخرة ای مکان زرع ما ینبت فی الاخرة کنایة
تتیسر به الاعمال الصالحة التی یفعلها العبد فی الدنیا ثم ینساها فتظهر له فی الاخرة
وینتفع بها هناک اذ به ای بالمال ینتظم نظمت الامر فانتظم ای اقمته فاستقام
کذا فی المصباح المعاش من عاش عیشا صار ذا حیاة والمعیش والمعیشة مکسب
الانسان الذی یعیش به کما فی المصباح والمراد به یستقیم بالمال امر حیاة الانسان وتتیسر
له بذلک احوال البقا الدنیوی وبه ینتظم المعاد وهو الاخرة ای یستقیم للانسان اموره
فیها بحسن اعماله فی الدنیا وتسهیل الخیرات علیه بالمال وبه ای بالمال صلاح الدارین
ای الدنیا والاخرة وسعادة الحیاتین الحیاة الدنیویة والحیاة الاخرویة
ثم بین ذلک بقوله به ای بالمال یحج الانسان فیفترض علیه الحج بسبب المال ویسقط
عنه ایضا بسببه فیثاب ثواب الفرض وبه ای بالمال یجاهد الانسان الکفار
بنفسه او باعوانه او بمن اعانهم بالمال فی ذلک وبه ای بالمال قوام بالکسر وهو ما یقیم
الانسان من القوت کذا فی المصباح البدن بالماکل والمشرب والملبس والمنکح
والمرکب وبالمال قیامه ای البدن ایضا یعنی ثبوته ودوامه الذی نعت للبدن
هو مطیة اصله البعیر یرکب مطاه ای ظهره فعیله بمعنی مفعوله واستعیر هنا
للاداة التی بها یحصل اکتساب الفضایل جمع فضیلة قال فی المصباح الفضیلة والفضل

الخير وهو خلاف النقيصة والنقص وهو ايضا الة الطاعات والعبادات اذ به اى
بالمال يحصل للانسان الغذا مثل كتاب وهو ما يغتذى به من الطعام والشراب
فيقال غذا الطعام الصبى يغذوه من باب علا اذا نجع فيه وكفاه كذا فى المصباح
واللباس اى ما يلبس والمسكن اى الدار والبيت وفى المصباح المسكن بفتح الكاف
وكسرها البيت والجمع مساكن وبه اى بالمال يصان اى يحفظ الانسان يعنى يحفظه
الله تعالى عن ذل السوال اى الطلب من الناس وبه اى بالمال يوصل الرحم اى يصل
الانسان قرابته يعنى يعطيهم الصلة وهى العطية وبه اى بالمال تدفع بالبناء
للمفعول اى تقضى حاجات الفقرا والمساكين وتقضى ديونهم بحيث لا يبقى فى
ذمتهم منها شئ وتذهب غمومهم اى ما يغمهم من امر المعيشة وهمومهم اى احزانهم
وتتسلى اى تتصبر قلوبهم على بلا الفقر والمسكنة التى اصابهم الله تعالى به
فى الدنيا وبه اى بالمال يحصل نفع الناس لمن بنا اى بسبب بنيان المساجد
فى الامصار والقرى وبنا المدارس لتدريس العلوم الشرعية وبنا الرباطات لسكنى
الفقرا والارامل والايتام واجرا الصدقات عليهم وبنا القناطر على الانهار العظام
لاصلاح الطرق على المارين وسد الثغور جمع ثغر وهو من البلاد الموضع الذى
يخاف منه هجوم العدو فهو كالثلمة فى الحايط يخاف هجوم السارق منها كذا فى
المصباح وسده حمايته بالمحافظين من المقاتلة مخافة هجوم العدو منه على
البلاد ولا شك ان خير الناس من ينفع الناس بنفسه او ماله وقد سبق فى اواخر الفصل
الثانى من الباب الثانى ان الكسب اى كسب الانسان للمال الحلال من الوجوه الشرعية
لاجل التصدق به على الفقرا والمساكين افضل من التخلى اى التفرغ للعبادة والطاعة
ليلا ونهارا لانه نفع متعد والتخلى للعبادة نفع قاصر والمتعدى افضل من القاصر
وبه اى بالمال يحصل للانسان افضل المنازل اى المقامات والدرجات عند الله تعالى
وعند الناس فى الدنيا والاخرة وهذا كله فى المال الحلال اما الحرام فلاخير فيه اصلا
فانه وبال وخسران فى كل حال والشبهات تركها افضل من اخذها ولنا فى كتاب
المطالب الوفية تقسيم فى الشبهات من الاموال استخلصناه من زبدة كلام العلما
واثبتناه هناك ت يعنى روى الترمذى باسناده عن ابى كبشة الانمارى
رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال فى حديث طويل ذكره النووى فى رياض
الصالحين وغيره وهو وعن ابى كبشة عمرو بن سعد الانمارى رضى الله عنه

انه

انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ثلاثة اقسم عليهن واحدثكم حديثا
فاحفظوه قال ما نقص مال عبد من صدقة ولا ظلم عبد مظلمة صبر عليها الا زاده
الله عزا ولا فتح عبد باب مسلة الا فتح الله باب فقر او كلمة ونحوها واحدثكم
حديثا فاحفظوه قال انما الدنيا لاربعة نفر عبد من عبيد الله تعالى موصوف
بانه رزقه الله تعالى مالا حلالا وعلما نافعا شرعيا فهو اى ذلك العبد يتقى
فيه اى فيما رزقه الله تعالى من المال والعلم ربه الذى خلقه بانفاق المال فى
مرضات الله تعالى وتعليم العلم للغير والعمل به ويصل فيه اى فيما رزقه رحمه
اى قرابته باعطا وتعليم ويعلم ان لله تعالى فيه اى فيما رزقه حقا واجبا عليه
فيخرج من عهدة ذلك الحق فهذا اى العبد المذكور يجازيه الله تعالى يوم القيمة
بافضل المنازل فى الجنة او هذا الصنع مقابل بافضل المنازل اى المراتب والدرجات
عند الله تعالى وعبد رزقه الله تعالى علما ولم يرزقه مالا فهو صادق النية يقول
لو ان لى مالا لعملت بعمل فلان فهو بنيته فاجرهما سوا وعبد رزقه الله مالا ولم
يرزقه علما فهو يخبط فى ماله بغير علم لا يتقى فيه ربه ولا يصل فيه رحمه ولا يعلم
ان لله فيه حقا فهذا باخبث المنازل وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علما فهو يقول
لو ان لى مالا لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته فوزرهما سوا رواه الترمذى
وقال حسن صحيح خ م يعنى روى البخارى ومسلم باسنادهما عن ابن مسعود رضى
الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا حسد الا فى اثنتين يعنى
حسد غبطة وهو ان يتمنى مثل النعمة التى يراها على غيره بلا زوال عن الغير
كما سبق بيانه فى الحسد وفى رياض الصالحين للنووى قال ومعناه ينبغى
ان لا يغبط احد الا على هاتين الخصلتين الاول رجل اتاه الله تعالى بمحض فضله
عليه الحكمة وهى العلم النافع والعمل الصالح معدوم الاخلاص فهو يقضى اى يحكم
على نفسه وغيره بها اى بما تقتضيه من الامر والنهى واسدا المنافع ودفع
المضار والثانى رجل اتاه الله تعالى مالا حلالا من اى نوع كان فسلطه يقال
سلطته على الشئ تسليطا مكنته منه فتسلط تمكن وتحكم كذا فى المصباح على
هلكته وزن قصبة بمعنى هلاكه اى تفريقه فى الحق لا فى الباطل وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لعمرو بن العاصى رضى الله عنه نعم المال الصالح اى الحلال للرجل الصالح
اى البر المتقى بسبب انه لا ينفقه الا فى وجوه الخير والهدى ودعا النبى صلى الله عليه وسلم

ابن مالك م

لانس رضي الله عنه بدعا طويل وكان في اخر دعايه له ان قال صلى الله عليه وسلم اللهم
اي يا الله اكثر ماله وولده وبارك له فيه اي في كل منهما وفي رواية بارك له فيما اعطيته
رواها مسلم في صحيحه وقال النووي في شرحه هذا من اعلام نبوته صلى الله عليه وسلم
في اجابة دعايه وفيه فضايل لانس رضي الله عنه وفيه دليل لمن يفضل الغني على
الفقير ومن قال بتفضيل الفقر اجاب عن هذا بان هذا قد دعا له النبي صلى الله عليه وسلم
بان يبارك له فيه ومتى بورك له فيه لم تكن فيه فتنة ولم يحصل بسببه ضرر ولا تقصير
في حق ولا غير ذلك من الافات التي تتطرق الى سائر الاغنيا بخلاف غيره وفيه هذا
الادب البديع وهو انه اذا دعى بشي له تعلق بالدنيا ينبغي ان يضم الى دعايه طلب البركة
فيه والصيانة ونحوهما وكان مال انس وولده رحمة وخيرا ونفعا بلا ضرر بسبب
دعا النبي صلى الله عليه وسلم وقال انس رضي الله عنه ان ولدي وولد ولدي ليتعادون
على نحو المابة اليوم يعني يبلغ عددهم نحو المابة وثبت في البخاري عن انس رضي الله عنه
انه دفن من اولاده قبل مقدم الحجاج بن يوسف مابة وعشرين وقال صلى الله
عليه وسلم لكعب بن مالك رضي الله عنه حين تاب وقبل الله تعالى توبته امسك عليك
بعض مالك يعني لا تتصدق بكله فهو خير لك اي من الصدقة بكله لعلمه عليه السلام
منه عدم الصبر على ذلك ولهذا قال له خير لك ولم يقل هو خير فانه يكون حينيذ
شاملا له ولغيره وغيره قد يكون اقوى منه على ذلك فان الصديق رضي الله عنه خرج عن
كل ماله ولم ينهه النبي صلى الله عليه وسلم لعلمه منه القوة على الصبر عنه وقال له ذلك
حين اراد ان يتصدق بكله فقال وان من توبتي ان انخلع من مالي صدقة الى الله تعالى
والى رسوله قال النووي في شرح مسلم ومعنى انخلع منه اخرج عنه واتصدق
به وانما امره النبي صلى الله عليه وسلم بالاقتصار على الصدقة ببعضه خوفا من تضرره
بالفقر وخوفا ان لا يصبر على الاضاقة ولا يخالف هذا صدقة ابي بكر رضي الله عنه
بجميع ماله فانه كان صابرا راضيا وكل هذه الاحاديث المذكورة محسوبة في جملة
الاحاديث الصحاح او منقولة في الكتب الصحاح كصحيح البخاري وصحيح مسلم وصحيح الترمذي
وغيرها وقد سمى الله تعالى المال خيرا في قوله سبحانه كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت
ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين قال البيضاوي ان ترك خيرا مالا وقيل مالا كثيرا
روي عن علي رضي الله عنه ان مولى له اراد ان يوصي وله سبعماية درهم فمنعه وقال
قال الله ان ترك خيرا والخير هو المال الكثير وعن عايشة رضي الله عنها ان رجلا اراد ان يوصي

فسالته

فسالته كم مالك فقال ثلاثة الاف فقالت كم عيالك فقال اربعة قالت انما قال الله ان ترك
خيرا وان هذا الشي ليسير فاتركه لعيالك وامتن اي تفضل وتكرم الله تعالى على حبيبه
محمد عليه الصلاة والسلام به اي بالمال حيث قال الله تعالى له ووجدك عايلا من العيلة
بالفتح وهي الفقر مصدر عال يعيل فهو عايل كذا في المصباح فاغنى اي اغناك بمال
خديجة بنت خويلد رضي الله عنها زوجة النبي صلى الله عليه وسلم على احد الوجوه المذكورة
في كتب التفاسير في معنى ذلك وقال سفيان الثوري رضي الله عنه المال في هذا
الزمان يعني زمانه وهو في حدود المايتين من الهجرة سلاح والسلاح ما يقاتل
به في الحرب ويدافع فان بالمال ينتصر على عدوه وينصر دين الله تعالى الحق ويتوصل
الانسان به الى اذلال اهل الباطل وقمع شوكتهم بكثرة المعينين له بالمال على ذلك
وبه يوقع الهيبة في قلوب اعدايه وغير ذلك وقال سعيد بن المسيب رضي الله عنه
لا خير فيمن لا يطلب اي يكتسب المال من وجوه حله حتى يقضي به اي بالمال دينه الواجب
عليه للعباد او لله تعالى ويصون به اي يحفظ به عرضه من جمع الاعوان وايقاع الهيبة
في قلوب الاعدا بحيث يخافونه فلا يوذونه وبالاحسان به الى من يتوقع منه
الاساة في حقه ونحو ذلك فان مات صاحب المال تركه اي المال ميراثا لمن بعده من
اقاربه فيثاب على ذلك كما ذكر النووي في رياض الصالحين عن سعد بن ابي وقاص رضي
الله عنه قال جاني رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني عام حجة الوداع من وجع اشتد
بي فقلت يا رسول الله اني قد بلغ بي من الوجع ما ترى واني ذو مال ولا يرثني الا ابنة
لي افاتصدق بثلثي مالي قال لا قلت فالشطر يا رسول الله قال فقال لا قلت فالثلث
قال الثلث والثلث كثير او كبير انك ان تذر ورثتك اغنيا خير من ان تذرهم
عالة يتكففون الناس وانك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله الا اجرت بها حتى
ما تجعل في في امراتك الى اخر الحديث وقال ابو الفرج بن الجوزي رحمه الله متى صح
القصد من الانسان وهو النية الصالحة وعدم التبذير في سبيل النفس والهوى
فجمع المال افضل له من تركه اي ترك الجمع بلا خلاف فيه عند العلما واما جميع ما ورد
من الايات والاخبار في ذم المال وذم الدنيا فهو راجع الى صفته اي صفة المال الضارة
للانسان بحسب الغالب وهي اي صفته الاطغا مصدر اطغيته جعلته طاغيا
والاسم الطغيان وهو مجاوزة الحد وكل شي جاوز المقدار والحد في العصيان طاغ
كذا في المصباح قال تعالى كلا ان الانسان ليطغى ان راه استغنى فالاستغنا بالمال

يورث الطغيان والانسا يقال نسيت الشى انساه نسيانا مشترك بين معنيين
احدهما ترك الشى على ذهول وغفلة وذلك خلاف الذكر والثانى الترك على تعمد
وعليه ولا تنسوا الفضل بينكم اى لا تقصد والترك والاهمال ويتعدى بالهمزة
والتضعيف كذا فى المصباح ولاشك ان المال ينسى بالاشتغال به عن ذكر الله تعالى
وعن كل طاعة ولايذكر الا بالمعاصى والشهوات والالهاء اى الاشتغال لمن اعتنى بجمعه
عن ذكر الله تعالى وعن الموت والاخرة وما فيها وهذه الصفات المذكورة غالبة عليه
اى على المال يعنى موجودة غالبا فيه قلما اى فى القليل ينفك صاحبه اى المال عنها
اى عن هذه الصفات المذكورة للمال فلذلك كثر الذم فى الشرع للمال وورد فى التفنن
عنه ما ورد فللمال جهتان متضادتان اى كل واحدة منهما تضاد الاخرى الاولى خير
والثانية شر فالمدح الوارد للمال والذم الوارد له ايضا حقان اى كل واحد منهما حق
فمدحه باعتبار انه خير وذمه باعتبار انه شر فاذا ثبت كونه اى المال نعمة عظيمة
من الله تعالى على الانسان فاسرافه فيه اى الاسراف فيه بكثرة الانفاق فى غير محله
المشروع استحقار من صاحبه لنعمة الله تعالى عليه واهانة منه لها اى للنعمة
واضاعة اى اذهاب بلا فايدة فى الدنيا ولا فى الاخرة وكفران بها اى بالنعمة قال
فى المصباح كفر النعمة وبالنعمة ايضا جحدها وفى الدعا ولا نكفرك اى لا نكفر نعمتك
وترك لشكرها اى الثنا على الله تعالى باسدايها فيستوجب اى يستحق ذلك
المسرف المقت مقته مقتا من باب قتل ابغضه اشد البغض عن امر قبيح كذا فى
المصباح والبغض والعتاب اى الملامة والعذاب اى العقوبة من معطيها اى تلك
النعمة وهو الله تعالى ويستوجب سلبها اى اخذها منه وازالتها عن محلها الموضوعة
فيه وهو ذلك المسرف لعدم معرفة قدرها وعدم رعاية حقها اى عدم محافظته
عليها كما ان شكرها اى النعمة وحفظها عما ذكر من الاستحقار لها والاهانة والاضاعة
والكفران وترك الشكر يستوجب ثباتها اى دوامها وزيادتها اى مضاعفتها ونموها
قال الله تعالى لين شكرتم اى على النعم لازيدنكم منها فالشكر يقتضى المزيد المبحث
الثالث من المباحث الخمسة فى بيان اصناف اى انواع الاسراف اعلم ايها الانسان
ان الاسراف معناه اهلاك اى اذهاب المال واضاعته وانفاقه فى سبيل الهوى والنفس
من غير فايدة معتد بها اى منفعة معتبرة دينية اى منسوبة الى الدين او دنيوية
اى منسوبة الى الدنيا مباحة اى تلك الفايدة المذكورة فمنه اى من الاسراف ظاهر مشهور

يعرف كل احد انه اسراف كالقا المال فى البحر او فى البير وفى النار ونحوها كدفنه فى برية
او بيت كبير لا يعلم موضعه مما لا يوصل بالبنا للمفعول اى لا يصل احد اليه ولا ينتفع
بالبنا للمفعول به فيه لامتناع استخراجه واعادته كما كان وخرقه اى المال بان كان
ثوبا فخرقه ومزقه وكسره بان كان انا فكسره وقطعه بان كان متاعا فقطعه بحيث
لا ينتفع بالبنا للمفعول اى ينتفع احد به وكعدم اجتناء اى اقتطاف الثمار من
الاشجار والزروع اى المزروعات من الارض حتى تهلك فى الاشجار والارض وتفسد
فتخرج عن حيز الانتفاع بها وعدم ايواء مصدر اوى الى منزله ياوى من باب ضرب اقام
وربما عدى بنفسه فقيل اوى منزله كذا فى المصباح المواشى جمع ماشية وهى المال
من الابل والغنم قال ابن السكيت وجماعة وبعضهم البقر من الماشية كما فى المصباح
والارقا جمع رقيق من الرق بالكسر وهو العبودية رق الشخص يرق من باب ضرب
فهو رقيق ويطلق الرقيق على الذكر والانثى وجمعه ارقا مثل شحيح واشحا كذا فى المصباح
دارا مفعول الايوا ونحوها من خيمة او حظيرة فى موضع يخاف بالبنا للمفعول اى
يخاف مثله منه سرقة ذلك او موته او ضعفه بخلاف الموضع الامن فى العرف وكذلك
عدم الاطعام للماشية والارقا ونحوهم من الطيور والوحوش والدواب المملوكة
او عدم الالباس للارقا او الخيل على مقتضى على ما جرت به العادة فى ذلك الاوان حتى
يهلك ذلك المذكور من الحر او البرد او الجوع فان حكم الله تعالى العادى فى مخلوقاته
يقتضى انه لابد من مراعاة الاسباب العادية وان كان سبحانه وتعالى هو الفاعل المؤثر
وحده فى جميع ما ذكر فانه تعالى انما خلق الاشيا المذكورة من الاسباب بحيث تترتب
عليها المنافع وتندفع بها المضار فيجب اعتبارها ومراعاتها شرعا وليس ذلك
ما نعا من اعتقاد وحدانية الفاعل المؤثر وحده لاشريك له ومنه اى من الاسراف ما فيه
نوع خفا بحيث يحتاج الى تنبيه عليه وتذكير به لمن هو غافل عنه كعدم تعهده اى المال
تعهدت الشى ترددت اليه واصلحته وحقيقته تجديد العهد به وتعهدته
حفظته قال ابن فارس ولا يقال تعاهدته لان التفاعل لا يكون الا من اثنين وقال
الفارابى تعهدته افصح من تعاهدته كذا فى المصباح بعد جمعه اى المال وحفظه
من اخذ الغير له حتى يتعفن عفن الشى عفنا من باب تعب فسد من نداوة اصابته
فهو يتمزق عند رمته وعفن اللحم تغير ريحه وتعفن كذلك فهو عفن بين العفونة
كذا فى المصباح بنفسه اى من غير مقارنة شى اخر له او بوصول رطوبة اليه من الوعاء

اوالارض وبلل من ما ونحوها كمالاصفة شي عفن اوياكله اى المال السوس وهو
الدود الذى ياكل الحب والخشب الواحدة سوسة والعيال سوس المال اى يفنيه
قليلا قليلا كما يفعل السوس واذا وقع السوس فلا يكاد يخلص منه كذا في المصباح
اوياكله الفارة او النمل او نحوها من دواب الارض وحشراتها واكثر وقوع هذا الام
المذكور من التعفين واكل الدابة في الخبز واللحم والمرق والجبن ونحوها كالدهن
والسمن والسيرج وفي الفواكه الرطبة كالبطيخ بكسر البا فاكهة معروفة وفي لغة
لاهل الحجاز جعل الطا مكان البا قال ابن السكيت في باب ما هو مكسور الاول
وتقول هو البطيخ والطبيخ والعامة تفتح الاول وهو غلط لفقد فعليل بالفتح
كذا في المصباح والبصل وهو نبات معروف الواحدة بصلة مثل قصب وقصبة
وقد يقع ذلك ايضا في الفواكه اليابسة كالتين والزبيب والمشمش والعناب
والتوت ونحوها وقد يكون ذلك ايضا في الحنطة والشعير والعدس ونحوها
كالفول والماش والدخن والذرة وقد يكون ذلك ايضا في الثياب والكتب فياكلها
السوس قال في المصباح وتطلق السوسة على العثة وهي الدودة التي في الصوف
والثياب وكصب ماء اى الذى فضل من الطعام ونحوه بحيث يبقى فيه بعض
دسومة ينتفع به كلب او هرة او فقير وكغسل القصعة والملعقة واليد من
الطعام قبل اللعق بالفم والمسح بالخبز ونحوه والاكل لذلك الخبز وعدم التقاط
ما سقط من كسرات الخبز وغيره من فتات المايدة وحبات الارز والعدس المطبوخ
من ايدي الصبيان وغيرهم من الشيوخ والمغفلين على الارض او على السفرة او
البساط م يعني روى مسلم باسناده عن جابر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم امر بلعق الاصابع ولعق الصحفة وهي اناكالقصعة والجمع صحاف
مثل كلبة وكلاب وقال الزمخشري الصحفة قصعة مستطيلة كذا في المصباح
وفي شرح النووي على صحيح مسلم والصحفة دون القصعة وهي ما تسع ما يشبع
خمسة والقصعة تشبع عشرة كذا قاله الكسائي فيما حكاه الجوهري وغيره
عنه وقيل الصحفة كالقصعة ثم نقل النووي بعد ذلك قال الجوهري قال الكسائي
اعظم القصاع الجفنة ثم القصعة تليها تشبع العشرة ثم الصحفة تشبع الخمسة
ثم الكيلة تشبع الرجلين والثلاثة ثم الصحيفة تشبع الرجل انتهى وهذا اللعق
مستحب والامر به للاستحباب وفي رواية اخرى قال صلى الله عليه وسلم ان الشيطان يحضر

احدكم

احدكم عند كل شي من شانه اى امره وحاله لانه قرينه حتى يحضره عند طعامه
فاذا سقطت لقمة احدكم من فيه او يده فلياخذها فليمط اى يرفع ويزيل ما كان
اى وجد بها اى فيها من اذى اى وسخ او تراب وليا كلها ولا يدعها اى يتركها للشيطان
فاذا فرغ من الطعام فليلعق اصابعه الثلاث التي ياكل بها لان السنة الاكل بثلاث
اصابع وكان اللعق بعد الفراغ من الاكل لا قبله فانه ليس بارباب كذا في جامع
الشروح فانه اى الانسان لا يدري في اى طعامه اوله او وسطه او اخره البركة
اى الخير وزيادة النفع والعافية والشفا روى مسلم باسناده عن انس رضي الله عنه
انه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اكل طعاما لعق اصابعه الثلاث التي
اكل بها وهي الابهام والمسبحة والوسطى ويلعق القصعة ايضا فان القصعة
قال الله تستغفر للاحسها لما روى عنه عليه السلام من اكل في قصعة فليلحسها
تواضعا واستكانة وتعظيما لما انعم الله تعالى عليه من رزقه وصيانة له عن
التلف غفر له ولما كانت تلك المغفرة بسبب تلك القصعة جعلت كانها تستغفر
وتطلب له المغفرة وان لم يلحسها فينبغي ان يمسح بيده لما قال انس رضي الله
عنه امر رسول الله صلى الله عليه وسلم باسلات القصعة وهو مسحها من الطعام
وقال صاحب الاحيا ومما يستحب بعد الطعام ان يلعق القصعة يقال من لعق
القصعة وشرب ماها كان له عتق رقبة كذا في جامع الشروح وقد ورد الامر
بلعق الاصابع قال المناوي في شرح الجامع الصغير قال العراقي والامر بلعق الاصابع
حمله الجمهور على الندب والارشاد وحمله الظاهرية على الوجوب وبالغ ابن حزم فقال
هو فرض قال العراقي كان ينبغي ان يكون الفرض عندهم على الخيير اما لعقها او العاقها
ففي اللعق للاصابع او القصعة ايضا واخذ الساقط من اللقمة وفتات المايدة
ايضا فوايد كثيرة منها الاحتراز عن الاسراف المنهي عنه ورفع اى ازالة الكبر وازالة
الريا عن نفسه واحتمال وصول البركة اليه بان يكون في اخر الاكل والاقتدا اى المتابعة
في ذلك والتاسي بسيد المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم والامتثال لامره عليه السلام
بذلك امر استحباب كما ذكرنا وربط العتيد يقال عتد الشي بالضم عتادا بالفتح
حضر فهو عتد بفتحتين وعتيد ايضا ويتعدى بالهمزة والتضعيف فيقال
اعتده صاحبه وعتده اذا اعده وهياه وفي التنزيل واعتدت لهن متكا كذا في
المصباح اى الاحتفاظ على المهيى الحاضر من نعم المولى عز وجل وجلب اى اخذ

م يعني جح

المزيد من النعم بسبب استحظامها وشكرها على المنعم بها ومنه اى من الاسراف عدم
التقاط ما سقط على الارض من الارز او الحمص ونحوهما كالعدس والفول عند غسله
او عند اكله او تنقيته او وضعه فى المخزن لاسيما عند الغسل ولهذا قال فى القنية
يكره غسل الارز والعدس والماش ونحوها فى بالوعة يتنا ثر فيها وفى شرح الجامع
الصغير للمناوى قال ابن الحاج كان العارف المرجانى اذا جاء القمح لم يترك احدا من فقرا
الزاوية ذلك اليوم يعمل عملا حتى يلتقطوا جميع ما سقط من الحب على الباب او بالطريق
حتى يرمى ذلك الشى بين الارجل ويكنس فيختلط بالقمامات فان اطعم كسرات الخبز
ونحوه كفتات المايدة الدجاج والشاة والبقر والنمل والطير لايكون ذلك اسرافا
لعدم ضياعه فان فى الحديث فى كل كبد حرآ اجر وفى شرح الجامع الصغير للمناوى
قال ابن الحاج ينبغى للانسان اذا وجد خبزا او غيره مماله حرمة مما يوكل ان يرفعه
عن موضع المهنة الى محل طاهر بصونه لكن لا يقبله ولا يضعه على راسه كما تفعله
العامة فانه بدعة قال وهذا الباب مجرب كل من عظم الله بتعظيم نعمه لطف به واكرمه
وان وقع فى الناس شدة جعل له فرجا ومخرجا ومنه اى من الاسراف عدم حفظ اى صيانة
العمامة كالقلنسوة والشاش واللباس بانواعه والنعل اى الذى يلبس فى الرجلين
عما يبليه او يخرقه من القاية فى الارض الندية ونشر ثياب الكتان فى ضوء القمر كما قيل
انه يبليها ونحو ذلك وكثرة استعمال الصابون فى الغسل زيادة على قدر الحاجة وكذلك
استعمال الدهن والشمع وهو الذى يستصبح به قال ثعلب بفتح الميم
وان شئت اسكنتها وقال ابن السكيت الشمع بفتح الميم وبعض العرب يخفف
ثانيه وقال ابن فارس وقد تفتح الميم فافهم ان الاسكان اكثر وعن الفرا الفتح
كلام العرب والمولدون يسكنونها كذا فى المصباح فى السراج راجع الى الدهن ومنه
اى من الاسراف المبيع للملك والاجارة له بالنقصان عن الثمن المعروف والاجرة المعروفة
والشرا للملك الغير والاستيجار له بالزيادة على القيمة المعهودة والاجرة المعهودة
اذا لم يضطر به الامر الى ذلك ولم ينو الصدقة بالمسامحة بالزيادة فى الاول ودفعها
فى الثانى على الغير المعامل له ونحوها كالهبة والصلة وان كان ذلك البيع والاجارة بطريق
الغبن بان كان لا يعلم ثمن المثل واجرة المثل فباع واجر بانقص واشترى واستاجر
بازيد فقد ورد فى الاخبار ان المغبون لا محمود على ذلك بين الناس ولا ماجور اى مثاب
عليه عند الله تعالى ثم ان كان مع الغبن غرور فله فسخ العقد بان قال له هذا الثوب

يساوى

382

يساوى كذا فاشتراه منه فظهر انه يساوى اقل فله رده قال فى جامع الفتاوى
وقالوا فى المغبون غبنا فاحشا له ان يرده على بايعه بحكم الغبن وقال ابو على
النسفى فيه روايتان ويفتى برواية الرد رفقا للناس وكان ابو الليث يفتى
بالرد اذا قال البايع للمشترى قيمة متاعى كذا فاشترى بناء على ذلك فظهر بخلافه
له الرد بحكم انه غره وان لم يقل فليس له الرد وقيل لا يرد كيف ما كان والصحيح
ان غر البايع ~~المشترى فله الرد~~ المشترى البايع فله الرد وكذا ان غر البايع المشترى
له ان يرده انتهى وقد ذكرناه فى كتابنا قلايد الفوايد وموايد الفوايد ومنه اى من
الاسراف الزيادة فى الكفن للرجل او المراة كما اى من جهة الكمية اى المقدار المشروع
وهو للرجل قميص وازار ولفافة وللمراة درع وخمار وازار وخرقة يربط بها
ثدياها ولفافة كما هو مذكور فى محله من كتب الفقه او كيفا اى من جهة الكيفية
بان يكون القميص او الدرع او ما عطف عليه واسعا جدا او اعلى ما يكون قيمة وكذلك
الاسراف فى الوضو بان يزيد على مقدار الحاجة فى صب الما او على الحدود المشروعة
بان يغسل يديه الى الابطين ورجليه الى الفخذين حديث يعنى روى الامام احمد
ابن حنبل رضى الله عنه باسناده عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما انه مر رسول الله
صلى الله عليه وسلم بسعد وهو اى سعد يتوضا فقال عليه الصلاة والسلام ما هذا
السرف بفتحتين اسم من الاسراف يا سعد قال اى سعد رضى الله عنه او فى الوضوء
سرف قال صلى الله عليه وسلم نعم وان كنت على نهر جار وفى رواية على ضفة نهر جار
وهى بالضاد المعجمة مفتوحة ومكسورة والفا جانبه وذكر والدى رحمه الله تعالى
فى شرحه على شرح الدرر فى حديث تثليث الوضو ان النبى صلى الله عليه وسلم
توضا مرة مرة فقال هذا وضو من لا تقبل الصلاة الا به وتوضا مرتين مرتين
وقال هذا من يضاعف له الاجر مرتين وتوضا ثلاثا ثلاثا وقال هذا وضودي
ووضو الانبياء من قبلى فمن زاد على هذا او نقص فقد تعدى وظلم فاذا زاد
لطمانينة القلب عند الشك او بنية وضو اخر فلا باس به كما فى الكافى والسراج
الوهاج وهذا احد التاويلات الثلاث لترتب الوعيد على الزيادة والنقصان
ثانيها من زاد على اعضا الوضوء او نقص عنها ثالثها من زاد على الما المحدود او
نقص عنه وفى البحر وقيل على الحد المحدود وهو مردود بقوله عليه السلام من
استطاع منكم ان يطيل غرته فليفعل والحديث فى المصابيح واطالة الغرة يكون بالزيادة

وضوءه

على الحد المحدود انتهى ويمكن ان يدفع هذا بان المراد الزيادة الفاحشة على
الحد المحدود لامقدار الغرة وكذلك قدر التحجيل فى الرجلين وذكر المحقق ابن
الهمام ان الزيادة على ثلاث مكروهة وهو من الاسراف وهذا اذا كان ماء نهر
او مملوكا له فان كان ماموقوفا على من يتطهر او يتوضا حرمت الزيادة والسرف
بلا خلاف وما المدارس من هذا القبيل لانه انما يوقف ويساق لمن يتوضا الوضوء
الشرعى كذا فى شرح منية المصلى لابن امير حاج ومنه اى من الاسراف الاكل فوق
الشبع فانه اصل كل دا كما ان الجوع اصل كل دواء قال النبى صلى الله عليه وسلم
البطنة اصل الدآء والحمية اصل الدوا فان الامراض سببها العادى كثرة الاكل
وحصول فضلة الاخلاط فى المعدة والعروق ثم المرض يمنع من العبادات
ويشوش القلب ويمنع من الذكر والفكر وينغص العيش ويحوج الى الفصد
والحجامة والدواء والطبيب وكل ذلك يحتاج الى مون كثيرة روى انه اجتمع عند
كسرى اربعة من الحكماء عراقى ورومى وهندى وسودانى فقال لهم ما الدواء الذى
لاداء معه فاشار كل من غير السودانى الى دواء وسكت هو وكان احذقهم فقال
له الملك ما تقول انت فقال ان لا تاكل الا بعد الجوع وان ترفع يدك قبل الشبع
فقال كلهم صدق كذا فى جامع الشروح وقال والدى رحمه الله تعالى عند قول صاحب
الدرر وحرم ما فوقه اى الشبع لانه اضاعة للمال وامراض للنفس وتبذير
واسراف وقد قال تعالى وكلوا واشربوا ولا تسرفوا قال بعض العلماء جمع الله تعالى
بهذه الكلمات ~~الطب~~ الطب كله وقال عليه الصلاة والسلام ما ملا ابن ادم وعاء شر
من البطن فان كان لا بد فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس يعنى بفتحتين
وفى الظهيرية روى ان عمر رضى الله عنه قيل له الا تتخذ لك الجوارش قال وما
الجوارش قالوا هاضوم يهضم الطعام فقال رضى الله عنه او ياكل المسلم فوق
الشبع ونقله فى الاختيار وفيه ايضا تجشا رجل فى مجلس رسول الله صلى الله عليه
وسلم فغضب عليه وقال نح عنا جشاك اما علمت ان اطول الناس عذابا يوم القيمة
اكثرهم شبعا الا الاكل فوق الشبع لاجل الضيف حتى لا يخجل لانه اذا امسك والضيف
لم يشبع ربما استحيا فلا ياكل حيا وخجلا فلا باس بالاكل فوق الشبع لئلا يكون
من اسا القرى وهو مذموم عقلا وشرعا كذا فى الاختيار قال فى المبتغى ولهذا
من نزل ضيفا على انسان فلم يضفه فلا باس بان يجهر بالشكاية منه لقول الله تعالى

لايجب

لايجب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم يعنى منع حقه فى القرى او لصوم
الغد اى لقصد حصول القوة بالاكل فوق الشبع على صوم الغد لان فيه فايدة
ومنه اى من الاسراف الاكل فى يوم مرتين مرة وقت المساء ومرة وقت الصباح
قال فى شرعة الاسلام ولا ياكل فى اليوم والليلة مرتين فانه من الاسراف وقال
فى شرحها المسمى بجامع الشروح فان كون الاكل فيهما مرتين من الاسراف وهو
المنهى عنه فى قوله تعالى وكلوا واشربوا ولا تسرفوا الاية وقيل اكلتان فى كل
يوم اسراف واكلة واحدة فى يوم اقتار واكلة واحدة فى كل يوم قوام وهو المحمود
فى كتاب الله تعالى هق يعنى روى البيهقى باسناده عن عايشة رضى الله عنها قالت
رانى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اكلت فى اليوم مرتين فقال صلى الله عليه
وسلم يا عايشة اما تحبين ان يكون لك شغل الا جوفك اى تشتغلين به فتضيعين
فيه الطعام الاكل فى اليوم يعنى مع الليلة مرتين محسوب من جملة الاسراف
وقال تعالى والله لا يحب المسرفين اى الذين يتجاوزون ما حده تعالى لهم من
الامور ومنه اى من الاسراف اكل الانسان كل ما اشتهى من الاشيا الماكولة
مج هق دنيا يعنى روى ابن ماجة والبيهقى وابن ابى الدنيا باسنادهم عن انس
رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جملة الاسراف المنهى
عنه فى الشرع والعرف ان تاكل كلما اشتهيت من الوان الاطعمة ولم يرد النهى عن
شرب كلما اشتهيت من المياه فانه عليه الصلاة والسلام كان يتخير له الماء من
بيوت اصحابه ويطلب شرب العذب الزلال منه مع كمال زهده فى الدنيا كما
بسطه المناوى فى شرح الشمايل للترمذى رحمه الله وينبغى ان يكون المراد من هذين
الحديثين حديث عايشة فى الاكل مرتين فى اليوم وحديث انس فى اكل كل ما
اشتهى الاكل مرتين اذا كان فوق الشبع او قبل الهضم وقبل الجوع اذ الغالب
ان الاكل مرتين فى بياض النهار حيث اريد باليوم فى الحديث بياض النهار
دون الليل وكلام الشرعة المتقدم يقتضى دخول الليل فى اليوم فيراد
باليوم النهار والليل وعليه فلا يستقيم التاويل الثانى لاسيما فى الايام القصيرة
كايام الشتا خصوصا لمن كان لا يعمل الاعمال الشاقة اى المتعبة بالجوارح
اى الاعضا الظاهرة كاليدين والرجلين من ارباب الحرف والصناعات والبناوالزراعات
لا يكون ذلك الاكل عن جوع صادق وان اكل كل ما اشتهى من الوان الاطعمة انما يكون

منهيا عنه في مجلس واحد بحيث يفضي اي يوصل الى الزيادة على الشبع المنهي
عنه ويجوز ان يراد في الحديثين التشبيه بالاسراف لا التحريم ولان ذلك اسراف
حقيقة بل كاد ان يكون اسرافا ويجوز ان يكون الاكل مرتين اكثر من الاسراف
اذا كان مشتغلا للانسان بتحصيله وطبخه واستعماله كما يدل عليه قوله عليه
السلام في حديث عايشة المذكور اما تحبين ان يكون لك شغل الا جوفك فاذا
انتفى ذلك الشغل فلا اسراف واكل كل ما اشتهى اذا كان من حرام لا من حلال بدليل
قول ابن عباس رضي الله عنهما الاتي قريبا كل ما شئت ومنه اي من الاسراف الاكثار
في عمل الباجات وهي الوان الاطعمة قال في الصحاح قولهم اجعل الباجات باجا
واحدا اي ضربا واحدا ولونا واحدا يهمز ولا يهمز وهو معرب واصله بالفارسية
باها اي الوان الاطعمة وفي جامع الشروح ولا يتخذ الباجات التي تدار عليه في قصاع
في قصاع بل ينبغي ان يجعل جملتها باجا واحدا اي لونا واحدا في قصعة واحدة
فقد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم قصعة كبيرة يحملها اربعة رجال يقال لها
الغراء تجتمع عليها الاصحاب رضي الله عنهم وقت اكلهم الطعام والمقصود المنع
من جمع الوان الاطعمة فان اكل الالوان من الاطعمة من طعام الفساق الا عند
الحاجة وبيانها بان يمل اي تسام نفسه وتنفر من باجة اي لون واحد من الاطعمة
فيستكثر من الباجات حتى يستوفي اي تاخذ نفسه بقابلية من كل نوع لقمن انواع
الباجات شيا فيجتمع من ذلك قدر ما يتقوى به على الطاعة والعبادة ويكون ذلك دون
الشبع او الى مقداره او قصد باستكثار الباجات ان يدعو الاضياف المختلفين في
الطبايع والعادات قوما بعد قوم وكل احد منهم نفسه مايلة الى نوع من ذلك
ترغب في تناوله فيدخل عليهم السرور بوجود ما تميل اليه طبيعة كل واحد منهم
او كان الطعام الواحد لا يكفيهم لكثرتهم او تعذر طبخ ذلك الطعام الواحد
في اناء واحد او تعذر كثرة وجود اجزايه مقدار ما يكفيهم الى ان ياتوا الى اخر الطعام
ها فياكلوا جميع تلك الالوان فلا باس به اي باكثار الباجات والوان الاطعمة
حينيذ كذا ذكر هذا في كتاب الخلاصة اي خلاصة الفتاوى وغيره من كتب فقه
الحنفية وينبغي ان لا يحمل كلامه اي كلام صاحب الخلاصة هذا على حصر الحاجة
التي عندها يجوز الاكثار في الباجات في هذين الامرين المذكورين عند ملله من
باجة واحدة وعند قصد ضيافة الاخوان قوما بعد قوم بل يعم امر الحاجة

ارادة التلذذ والتنعم بانواع الباجات والوان الاطعمة اذا كانت من الحلال
من غير ضياع فيها بان اتخذها مقدار ما يحتاج اليه هو واهله واضيافه ان كان له
اضياف والا فمقدار حاجته مع اهله فقط او حاجته هو بنفسه ان لم يكن له اهل ومن
غير نية فاسدة كقصد التفاخر والتكبر والمراياة والمداهنة لمن اتخذ لهم ذلك لقوله
تعالى قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات اي اللذايذ الشهية
من الرزق وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم من الماكل
والمشارب والملابس وغير ذلك وقد سبق الكلام عليها بين الايتين في اول فصل
الاقتصاد على المحمل وقد صرحوا يعني فقها الحنفية بجواز التفكه بانواع الفواكه
الشهية مستدلين على جواز ذلك بالايتين المذكورتين ورووه اي روى العلماء ذلك
التفكه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال في شرعة الاسلام وكان احب الفواكه الى نبينا
صلى الله عليه وسلم الرطب والبطيخ ولا فرق بين جمع الفواكه المختلفة عنده للاكل
وجمع انواع الباجات للاكل ايضا اذ كل منهما جمع لانواع مختلفة تحصل الكفاية
بواحد منها خ يعني روى البخاري باسناده انه اي الشان قال ابن عباس رضي الله عنهما
كل يا ايها الانسان ما شئت من انواع الماكل الحلال من غير زيادة على الشبع والبس
ما شئت من انواع الملابس الحلال ما اي مدة اخطاك اي تجاوزك وتباعد عنك يقال
اخطاه الحق اذا بعد عنه واخطاه السهم تجاوزه ولم يصبه كذا في المصباح سرف
اي اسراف ومخيلة اي كبر قال في الصحاح الخال والخيلاء والخيلا الكبر تقول منه
اختال فهو ذو خيلا وذو خال وذو مخيلة اي ذو كبر انتهى يعني مدة تجاوز
الاسراف والتكبر عنك وتباعدهما منك ومنه اي من الاسراف اكل ما انتفخ من
الخبز اي رق وعلا منه او اكل وسطه اي الخبز مع ترك جوانبه ان لم ياكلها اي الجوانب
احد غيره قال في جامع الشروح ولا ياكل من وسط الرغيف مع ترك اطرافه
لان البركة تنزل من وسط الطعام وان كان يجال ياكلها اي الجوانب احد غيره فلا
باس به اي باكل وسطه كذا نقل هذا في كتاب الخلاصة وغيره قال والدي رحمه الله تعالى
في شرحه على شرح الدرر ومن الاسراف ان ياكل وسط الخبز ويدع حواشيه او ياكل
ما انتفخ منه ويترك الباقي لان فيه نوع تجبر الا ان يكون غيره يتناوله فلا باس به كما
اذا اختار رغيفا دون رغيف ومنه اي من الاسراف وضع الانسان الخبز على المايدة
اي حولها اكثر من قدر الحاجة اي حاجة الاكلين كذا في كتاب الاختيار شرح المختار

وغيره من الكتب الفقهية وينبغي ان يحمل هذا القول ايضا كما هو حمل في مسئلة الباجات
المتقدم ذكرها على ان يضيع ما فضل من الكسرات حيث وضع اكثر من قدر الحاجة
ولا ياكله احد بعد ذلك من انسان او حيوان او يحمل على ان يقصد بوضع ذلك الخبز
الكثير على المائدة الريا والسمعة والشهرة اي ليراه الغير او يسمع به او يشتهر ذلك
والا اي وان لم يضيع او لم يكن بقصد شئ من ذلك فلا اسراف فيه بل هو مباح واما
اكل النفايس جمع نفيس قال في المصباح نفس الشئ بالضم نفاسة كرم فهو نفيس
من الاطعمة بيان للنفايس ولبس اللباس الفاخر اي الجيد الحسن واللباس
الرقيق بحيث يشف ما تحته وبنا اي عمارة الابنية من القصور والبيوت الرفيعة
اي العالية في الحسن او القيمة ونحوها من بسط الفرش الممهدة واتخاذ الانية
اللطيفة والسراري الحسان والغلمان للخدمة مما لم يمنع عنه الشارع نهي نهيا اي كراهة
تحريم كلبس الحرير للرجال واستعمال انية الفضة والذهب للرجال والنسا فانه لا
يجوز قال في المبتغي بالغين المعجمة من الكسب ما هو مباح للتجمل والتنعم حتى يبني
البنيان وينقش الحيطان ويشتري السراري والغلمان لقوله عليه السلام نعم المال
الصالح للرجل الصالح فالصحيح انه اي ما ذكر ليس باسراف اذا كان من مال حلال
ولم يقصد به الكبر على غيره والفخر به في الناس وان كان ذلك شبيها به اي بالكبر والفخر حيث
لم يقصده ويعد بالبنا للمفعول اي يعده الغير منه اي من الكبر والفخر مجازا اي على طريقة
المجاز لا الحقيقة لكونه شبيها به وما لم يكن مكروها تنزيها ايضا كالاكل في انية
الصفر والنحاس قال في جامع الشروح عند قول صاحب الشرعة ويكره الاكل في انية
الصفر والنحاس لكراهة رايحتهما مع انهما من اواني الملوك والاغنيا قال بعض الشارحين
اي النحاس الغير المطلي بالرصاص انتهى والكراهة فيها تنزيهية لكونها لا لام شرعي
بل طبي وهي كراهة الرايحة كما قالوا في كراهة شرب الماقايما انها تنزيهية لانها
لا لام طبي وهو انه يورث دا الكبد لا لام شرعي اذ الا يقتطلب الاخرة وهو المومن
السالك طريق المتقين ان يقنع بادني الكفاية له ولعياله من الدنيا ويتصدق على المحاويج
بما فضل عنه لان الاخرة خير من الدنيا لكمالها ونقصان الدنيا وشرفها وخسة الدنيا
وابقى من الدنيا لعدم موت اهلها وعدم فنايهم وفنا كل شئ فيها كما قال تعالى في حق
الجنة اكلها دايم والدنيا كيفما كانت تمضي وتنقضي وعلى اي حال كان العبد فيها فلا بد
ان يزول وينتقل عنها فالملوك والرعايا مآلهم واحد وهو الموت والفنا فما

يستفيد

يستفيد المتنعم في الدنيا بنعيمه اذا لقي الله تعالى وهو عليه غضبان
وماذا يستضر المحتاج الصابر باعساره وفقره اذا لقي الله تعالى وهو عنه
راض ومن الاسراف كل ما صرف بالبنا للمفعول اي صرفه الانسان من المال
الى نوع من انواع المعاصي والمناهي والمخالفات لله تعالى من الكباير والصغاير
اذ لا ضرورة الى فعل ما لا يرضى الله تعالى به المبحث الرابع من المباحث الخمسة
في ان الاسراف المنهي عنه شرعا هل يقع من الانسان في الصدقة النافلة على الفقرا
ام لا يكون الا في المعاصي والمباحات وحاصله ان الاسراف قد يكون في الصدقة
النافلة ايضا في بعض الاحيان باعتبار اختلاف الاشخاص والاحوال كما يفهم من
تقرير هذا المبحث روي عن مجاهد رحمه الله تعالى انه قال لو كان ابو قبيس بالتصغير
وهو جبل مشرف على الحرم المعظم في مكة من الشرق ذهبا اي من ذهب ملكا لرجل
فانفقه اي ذلك الجبل من ذهب في طاعة الله تعالى من الصدقات والمبرات ووجه
الخير لم يكن ذلك الرجل مسرفا وفي عبارة جامع الشروح قال عثمان بن اسود
كنت اطوف مع مجاهد حول البيت فرفع راسه الى ابي قبيس وقال لو ان رجلا
انفق مثل هذا في طاعة الله تعالى لم يكن من المسرفين ولو انفق درهما او مدا
من بر او شعير في معصية الله تعالى كان مسرفا وفي الاحيا حكى ابو علي الروزبادي
عن رجل انه اتخذ ضيافة فاوقد فيها الف سراج فقال له رجل قد اسرفت فقال
له ادخل فكل ما اوقدته لغير الله تعالى فاطفه فدخل الرجل ولم يقدر على اطفا واحد
منها وفي مثل هذا المعنى المذكور قول حاتم رحمه الله تعالى لما قيل له لا خير في السرف حيث
انه منهي عنه شرعا ولا خير فيما نهى الله تعالى عنه بل هو شر فقال رحمه الله تعالى
لا سرف في الخير اي في طاعة الله تعالى لانه استكثار من الخير وما على المحسنين من
سبيل فظن بعض الناس من الجهلة الذين لا يعرفون موازين الكلام ولا يعلمون
مقاصد ايمة الاسلام من ظاهره اي ظاهر قول حاتم رحمه الله تعالى ان لا سرف في الصدقة
النافلة مطلقا سواء كان يتضرر بذلك هو او عياله او لم يتضرر وهذا الظن فاسد
بل فيه اي في هذا الامر تفصيل يظهر للمتامل مما نورده في هذا المبحث ان شا الله تعالى
قال الله تعالى ومما رزقناهم ينفقون اي المومنون الذين يومنون بالغيب قال
الزمخشري في كشافه والقاضي البيضاوي في تفسيره والفخر الرازي في تفسيره
وغيرهم ايضا من المفسرين ادخال من التبعيضية اي المفيدة للتبعيض

في مرضولها عليه اي على مارزقناهم للكف اي لاجل كف النفس البشرية عن الاسراف
المنهى عنه شرعا بعد انفاقهم اي المفسرين المذكورين وغيرهم ان المراد من هذا الانفاق
المذكور في الاية صرف المال في سبيل الخير وطاعة الله تعالى وقال الله تعالى واتوا
حقه اي حق ما زرعتم في الارض مما توجه عليكم شرعا كالعشر يوم حصاده اي
قطعه ولهذا قال الفقهاء ان العشر يوخذ قبل رفع مون الزرع ولا تسرفوا
باعطا زيادة على الواجب باعتقاد انه واجب او وانتم محتاجون الى تلك الزيادة
او احد عايلتكم من دون صبر على الحاجة انه سبحانه وتعالى لا يحب المسرفين قال
السابقون وهم الزمخشري والقاضي البيضاوي والفخر الرازي في تفاسيرهم رحمهم الله
تعالى اي ولا تسرفوا في اعطا الصدقة الواجبة في الحصايد باعطا الزايد على الواجب
كما ذكرنا او النافلة لما روى عن ثابت بن قيس رضي الله عنه انه صرم اي قطع الثمر
الذي كان على خمسماية نخلة له ثم قسمها اي قسم جملة ما صرمه من ذلك على الفقرا
في يوم واحد ولم يترك لاهله وعياله شيا من ذلك فنزلت اية ولا تسرفوا اي لا
تعطوا في الصدقة كله اي كل ما ملكتم وروى عبد الرزاق عن ابن جريج قال جذ اي قطع
معاذ بن جبل رضي الله عنه نخله وهو اسم جنس واحده نخلة فلم يزل معاذ رضي
الله عنه يتصدق على الفقرا من ذلك النخل اي من ثمره الذي جذه حتى لم يبق منه شي فنزل
قوله تعالى ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين قال السدي رحمه الله تعالى في معنى لا تسرفوا
اي لا تعطوا اموالكم الى غيركم فتقعدوا فقرا فان النفوس لها تقلبات كثيرة في اليوم
والليلة لا تثبت على حالة واحدة فقد يحسن في الراي مثلا انفاق الجميع ثم يقبح
ذلك في مرة اخرى فتسمح في وقت ثم تندم بعده وتضجر من شدة ندمها فتبطل
ثوابها بالمن او الاذى او التسخط على الله تعالى ونحو ذلك وقال الله تعالى ولا تبسطها
اي يدك بالعطا للغير كل البسط قال جابر وابن مسعود رضي الله عنهما جا غلام الى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال ان امي تسالك اي تطلب منك كذا وكذا وذكر حاجته فقال عليه
الصلاة والسلام ما عندنا اليوم شي قال ذلك الغلام فتقول اي امي لك اكسني قميصك
اي الذي تلبسه انت قصدت بذلك اندفاع حاجة الغلام الضرورية مع علمها بما يقوم
مقام القميص لرسول الله عليه السلام فخلع عليه الصلاة والسلام قميصه فدفعه اليه
اي الى الغلام وجلس في البيت عريانا اي بغير قميص يستر بدنه صلى الله عليه وسلم
حتى يخرج مع وجود ما يستر عورته عليه السلام من مئزر ونحوه والا لما ساغ له كشف

العورة

386

العورة وفي رواية جابر رضي الله عنه فاذن بلال للصلاة التي حضرت في ذلك الوقت
وانتظر واي الصحابة رضي الله عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يخرج اليها واشتغلت
القلوب منهم بعدم خروجه فدخل بعضهم عليه صلى الله عليه وسلم فاذا هو عار اي
مكشوف البدن ماعدا العورة فنزلت عليه هذه الاية ولا تبسطها كل البسط
فتقعد في بيتك ملوما اي على عدم الخروج محسورا اي مكشوفا من حسر عن
ذراعه كشفه كذا ذكر ما سبق في سبب هذه الاية السابقون
اي المذكورون سابقا وهم الزمخشري والقاضي والرازي
رحمهم الله تعالى خ م يعني روى البخاري ومسلم باسنادهما
عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم خير الصدقة اي افضلها واكثرها ثوابا
عند الله تعالى ما كان صادرا منها عن ظهر غنى قال في
المصباح وافضل الصدقة ما كان عن ظهر غنى المراد نفس الغنى
ولكنه اضيف للايضاح والبيان كما قيل ظهر الغيب وظهر
القلب والمراد نفس الغيب ونفس القلب ومثله نسيم الصبا
وهو نفس الصبا قال الاخفش وحكاها الجوهري عن الفرا
ايضا والعرب تضيف الشي الى نفسه لاختلاف اللفظين طلبا
للتاكيد وقال بعضهم ومن هذا الباب قوله تعالى الادعاء ونداء
وحق اليقين ولدار الاخرة وقيل المراد عن غنى يعتمده
ويستظهر به على النوايب وقيل ما يفضل عن العيال وذكر
في مختصر شرح النووي على صحيح مسلم ان المراد افضل الصدقة ما
ابقت بعدها غنى يستظهر به صاحبها على مصالحه اذ المتصدق
بماله كله يندم غالبا سيما عند الحاجة وجوز العلما الصدقة بجميع
المال وقيل يرد جميعها وهو مروي عن عمر رضي الله عنه وقيل
ينفذ في الثلث وقيل ان زاد على النصف ردت الزيادة وبالجملة اذا جاز
فالمستحب ان لا يفعله بل يقتصر على الثلث وقال القرطبي في المفهم
شرح صحيح مسلم خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى اي ما كان من
الصدقة بعد القيام بحقوق النفس وحقوق العيال وقال

تعتمد

الخطابي اي متبرعا وغني تستظهر به على النوايب والتاويل الاول
اولى غير انه يبقى علينا النظر في درجة الايثار التي اثنى الله تعالى
بها على الانصار اذ قال ويوثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة
وقد روي ان هذه الاية نزلت بسبب رجل من الانصار ضافه ضيف
فنوم صبيته واطفا السراج واثروا الضيف بقوتهم وكذلك
قوله تعالى ويطعمون الطعام على حبه اي على شدة الحاجة اليه
والشهوة له ولا شك ان صدقة من هذه حاله افضل وفي حديث
ابي ذر رضي الله عنه افضل الصدقة جهد من المقل وفي حديث ابي هريرة
رضي الله عنه سبق درهم مائة الف قالوا وكيف قال رجل له درهمان
فتصدق باحدهما ورجل له مال فاخذ من عرض ماله مائة الف فتصدق
بها فقد افاد مجموع ما ذكرناه ان صدقة الموثر والمقل افضل وحينيذ
ثبت التعارض بين هذا المعنى وبين قوله خير الصدقة ما كان عن
ظهر غني على تاويل الخطابي فاما على ما اولنا به الغنى فيرتفع التعارض
وبيانه ان الغنى يعني به في الحديث حصول ما يدفع الحاجات الضرورية
كالاكل عند الجوع المشوش الذي لا صبر عليه وستر العورة والحاجة الى
ما يدفع به عن نفسه الاذى وما هذا سبيله فهذا ونحوه مما لا يجوز
الايثار به ولا التصدق بل يحرم وذلك انه ان اثر غيره بذلك ادى
الى اهلاك نفسه او الاضرار بها او كشف عورته فمراعاة حقه
اولى على كل حال فاذا سقطت هذه الواجبات صح الايثار وكانت صدقة
هي الافضل لاجل ما تحمله من مضض الحاجة وشدة المشقة
غ يعني روى محي السنة البغوي في المصابيح باسناده عن ابي هريرة
رضي الله عنه انه جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ذلك الرجل عندي
دينار من الذهب فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انفقه على نفسك لعلمه
عليه السلام بحاجته الى انفاقه وعدم صبر نفسه على الايثار كالطبيب
يصف لكل انسان مريض ما يليق بحاله قال ذلك الرجل عندي دينار اخر قال
له النبي عليه السلام انفقه على ولدك لعلمه عليه السلام بحالهم
وعدم صبرهم قال الرجل عندي دينار اخر قال النبي عليه السلام انفقه

على خادمك

انفقه على اهلك لعلمه عليه السلام بحالهم وعدم صبرهم قال الرجل عندي دينار اخر قال النبي عليه السلام

على خادمك لعلمه بحاجة الخادم وعدم صبره قال عندي دينار اخر قال
عليه السلام انت اعلم به اي انفقه حينيذ حيث شيت من وجوه
الخير وتصدق به على من اردت حيث اكتفيت مونة نفسك وولدك
واهلك وخادمك فلو علم عليه السلام الصبر منه او من ولده او من اهله
او من خادمه لامره بالايثار في انواع القربات كما ورد في حديث
ابي ذر السابق افضل الصدقة جهد من مقل وبهذا يندفع
التعارض بين الاخبار المذكورة م يعني روى مسلم باسناده عن
جابر رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابدا
بنفسك فتصدق عليها بما تحتاج اليه من جميع لوازمها من قوت
وغيره فان فضل بعد ذلك عن نفسك شي قال القرطبي في المفهم المعروف
فضل بكسر الضاد وهي لغة ويقال بفتحها وهو اختيار الجوهري
فلاهلك اي زوجتك واولادك وعيالك قال في المصباح يطلق الاهل
على الزوجة والاصل فيه القرابة وقد يطلق على الاتباع فان فضل
من مالك عن اهلك شي فلذي قرابتك قال في شرح الدرر اقاربه
واقرباوه وذووا قرابته وذووا انسابه من ماه فصاعدا من ذوي
رحمه الاقرب فالاقرب سوى الوالدين والولد لا يطلق عليهما اسم
الولد القريب ومن سمى والده قريبا كان عاقا لان القريب في العرف
من يتقرب اليه غيره بواسطة الغير وتقرب الوالد والولد بنفسهما
لا بغيرهما ويدخل فيه الجد والجدة وولد الولد في ظاهر الرواية
ذكره في الوصايا فان فضل عن ذي قرابتك شي من مالك فهكذا وهكذا
اي فرقه على من شيت وتصدق به على الاجانب قال القرطبي في المفهم
وهذا الحديث دليل على مراعاة الاوكد فالاوكد وقال خ يعني
البخاري في صحيحه ومن تصدق وهو محتاج في نفسه الى القوت او
الملبس او المسكن ونحو ذلك او اهله محتاج الى ذلك او عليه دين للعباد
كقرض او ثمن مبيع او اجارة ونحوه او لله تعالى كنذر او كفارة او فدية
فالدين بنوعيه احق ان يقضى بالبنا للمفعول اي يقضيه من هو عليه
لصاحبه من الصدقة والعتق غير الواجبين والهبة للغير وبنيان المساجد

والمدارس والسقايات وهو اى ماعدل اليه من الصدقة ونحوها رد اى مردود
عليه غير مقبول منه وقال اى البخارى رحمه الله فليس له ان يضيع اموال
الناس التى هى ديون عنده بعلة الصدقة على الفقرا وقال الفقيه
ابو الليث رحمه الله تعالى فى كتابه تنبيه الغافلين وروى عن ابراهيم
رضى الله عنه انه قال لا ينبغى لرجل اذا كان عليه اى على ذلك الرجل دين
واجب للغير ان يصطبغ بالزيت او الخل الصباغ ما يصبغ به الخبز
فى الاكل ويختص بكل ادام مايع كالخل ونحوه وفى التنزيل وصبغ للاكلين
قال الفارابى والصبغ بالخل وغيره وقال بعضهم واصطبغ من الخل
وهو فعل مالا يتعدى الى مفعول صريح فلا يقال اصطبغ الخبز
بالخل واما الحرف فلبيان النوع الذى يصطبغ به كما يقال اكتحلت
بالاثمد ومن الاثمد كذا فى المصباح حما اى مدة لم يقض فيها دينه
الواجب عليه لانه اهم من ذلك وقال ابن حجر لعله العسقلانى
شارح البخارى لا الهيثمى المكى وكلاهما شافعيان رحمهما الله تعالى
قال ابن بطال من المالكية رحمه الله تعالى وهو شارح البخارى
اجمعوا اى العلماء على ان المديان اى الذى ديون كثيرة لا يجوز له ان يتصدق
بماله ويترك قضا الدين لان الصدقة نفل وقضا الدين فرض والنفل اذا
ادى الى تفويت الفرض كان حراما ومنه القاعدة الفقهية اذا تعارض
المانع والمقتضى يقدم المانع فلو ضاق الوقت او الماء عن سنن
الطهارة حرم فعلها ولو جرحه جرحين عمدا وخطا او مضمونا وهدرا
ومات بهما فلا قصاص ذكره فى الاشباه والنظاير وقال الطبرانى رحمه
الله تعالى وغيره قال الجمهور من العلما من تصدق بماله كله على الفقرا فى
صحة بدنه وعقله حيث لا دين واجب عليه لغيره وكان صبورا اى كثير
الصبر فى الاوقات كلها بخلاف ما لو كان له ادنى صبر فى بعض الاوقات
دون بعض على الاضاقة اى الضيق والعسر قلة المعيشة ولا عيال
له اى من يجب عليه نفقتهم من زوجته واولاده وابويه واجداده وجداته
واقاربه المحتاجين او له عيال يصبرون مثل صبره ايضا فهو اى التصدق
بماله كله جايز له حينيذ فان فقد شى من ذلك بان كان عليه دين او لا صبر له

ولا

388

ولا لعياله كره له ذلك قال بعضهم هو اى التصدق بماله كله ~~جايز له~~
حينيذ مردود اى غير مقبول عند الله تعالى او غير نافذ منه لتعلق حق
الغير به وروى اى كونه مردودا عن عمر رضى الله عنه فلعله مذهبه لكن
يخالفه ما فى انفع الوسايل من كتب مذهبنا ان الانسان اذا وقف وقفا
وعليه ديون قصدا منه للمماطلة لانها لا تختص هل يصح ام لا ذكر فى
الذخيرة رجل عليه ديون وله ضيعة تساوى عشرة الاف درهم فوقفها
وشرط غلتها لنفسه قصدا منه الى المماطلة وشهد الشهود على
افلاسه جاز الوقف وجازت الشهادة اما جواز الوقف فلمصادفته
ملكه وجواز الوقف مع هذا الشرط قول ابى يوسف واما جواز
الشهادة فلانها صدقت لان الرقبة خرجت عن ملكه فان فضل
شىء من قوته من هذه الغلات فللغرماء ان ياخذوا منه لان
الغلات بقيت على ملكه قلت قوله وجواز هذا الشرط قول ابى
يوسف معناه جعل الغلة لنفسه لا قوله قصدا منه للمماطلة
لانها ما لابى يوسف بل وقف على جهة اخرى غير نفسه قصدا للمماطلة
صح عند الكل انتهى وقال فى الاشباه والنظاير رايت فى الهبة من منية
المفتى فقيه فقير محتاج معه دراهم فاراد ان يوثر الفقراء بها
على نفسه ان علم انه يصبر على الشدة فالايثار افضل والا فالانفاق
على نفسه افضل انتهى وهو محمول على ما اذا لم يكن عليه دين
وكان لا عيال له او له عيال يصبرون مثله على الشدة كما ذكره
فظهر لك يا ايها الانسان مما سبق تقريره ان السرف يقع فى الصدقة
ايضا كما يقع فى غيرها اذا كان المتصدق مديونا وكان لا يبقى ما
فضل اى بقى من الصدقة لدينه او كان ذا عيال لا يصبرون اذا تصدق
بماله ولم يترك لهم كفاية منه او كان محتاجا اى فقيرا معسرا لا يتحقق
اى لا يتحقق لنفسه الصبر منها على الاضاقة اى على الفقر والشدة
العسر واذا كان بخلاف ذلك فلا سرف فى صدقته بل هى ايثار محمود فى الشرع
والعرف المبحث الخامس تمام المباحث الخمسة السابقة ذكرها فى
بيان علاج اى مداواة مرض الاسراف وهو اى علاج ذلك ثلاثة

الاول علاج علمي اي من حيث العلم وهو معرفة الانسان غوايله اي
غوايل الاسراف السابقة واستماع ما ذكرنا في تلك الغوايل مما مر بيانه
والتامل فيه اي فيما مر والمداومة على التذكر لذلك المذكور والعلاج
الثاني عملي اي من حيث العمل وهو التكلف اي الزام النفس بالكلفة والمشقة
في الامساك ونصب رقيب من الناس عليه اي على ذلك المسرف بامر منه
او بلا امره يعاتبه كلما اراد ان يسرف ويذكره ذلك الرقيب افات الاسراف
والعلاج الثالث قلعي منسوب الى القلع اي الازالة بالكلية وهو اي القلعي
معرفة اسبابه اي الاسراف ثم ازالتها اي الاسباب وهو اي اسبابه ستة
السبب الاول وهو الغالب اي الموجود في كثير من المسرفين السفه مصدر
سفه من باب تعب وسفه بالضم سفاهة فهو سفيه والانثى سفيهة
والجمع فيهما سفهاء والسفه نقص في العقل واصله الخفة وسفه الحق
جهله كذا في المصباح وهو اي السفه الخلق الحادي والثلاثون من الاخلاق
الستين المذمومة وهو اي السفه ضعف العقل اي قلته بحيث لا يكون
ادراكه كاملا وسخافته اي العقل يعني نقصانه وقال الخليل السخف في
العقل خاصة والسخافة في كل شي كذا في المصباح وفي الصحاح والسخف بالضم
رقة العقل وقد سخف الرجل بالضم سخافة فهو سخيف وسخافته شرحها رقته
وركاكته اي العقل رك الشي اي رق وضعف ومنه قولهم اقطعه من حيث رك
والعامة تقول من حيث رق والركيك الضعيف وثوب ركيك النسج واستركه
اي استضعفه كذا في الصحاح وضده اي ضد السفه الرشد رشد بالفتح
يرشد رشدا بالضم ورشد بالكسر يرشد رشدا لغة فيه كذا في الصحاح وهو
اي الرشد قوة العقل ومتانته وبلوغه اي العقل كماله اي الكمال الذي قدر له
قال الله تعالى ولا تؤتوا ايها الاولياء والاوصياء السفهاء اي الاولاد الذين
كانوا تحت ولايتكم ووصايتكم ثم بلغوا الحلم وهم غير راشدين اموالكم
المنسوبة اليكم تصرفا واليهم ملكا الاية اي اكملها وتقدم الكلام عليها ثم قال
تعالى فان انستم يقال انست الشي بالمد علمته وانسته ابصرته كذا
في المصباح منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم اي اعطوها لهم واكثر السفه
في الناس امر طبيعي منسوب الى الطبيعة لا تكلف للنفس فيه وقد ينضم

اليه

اليه اي الى ذلك السفه الطبيعي ما يقويه اي يقوي صاحبه على الاقدام
اي الهجوم على كثرة الاسراف فهو اي ما يقويه على الاقدام على ذلك تملك المال
اي دخوله في ملكه بغير كسب ولا تعب في تحصيله فان من لم يتعب في
تحصيل الدرهم يهون عليه انفاقه ومن تعب في تحصيله صعب
عليه انفاقه وحث جلسايه اي الجاوهم له الى الانفاق وهم اصحابه
وندماوه وتنفيرهم له عن الامساك لياكلوا ماله ويأخذوه فينتفعوا
به فان اكثرهم لم يجالسه الا لقصد ذلك فاذا اتقى عادوه وابغضوه
فلذا نهي بالبنا للمفعول اي نهى الشارع عن جليس السوء فيما روي في
الصحيحين عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال انما مثل الجليس الصالح وجليس السو كحامل المسك ونافخ الكير
فحامل المسك اما ان يحذيك واما ان تبتاع منه واما ان تجد منه ريحا
طيبا ونافخ الكير اما ان يحرق ثيابك واما ان تجد ريحا منتنة فقوله
يحذيك بالحاء المهملة والذال المعجمة اي يعطيك وهذا النوع من الاسراف
المتسبب عن السفه الطبيعي المتقوي بتملك المال من غير كسب وتعب
الملجي اليه جلسا السو وقرنا الشر يكثر وجوده في اولاد الاغنيا كالتجار
واهل المناصب الكبار وقد يحصل السفه اي ينشا اذا لم يكن حاصلا في اصل
الطبيعة او يزيد اي يكثر وينمو اذا كان حاصلا من قبل ذلك برعاية الناس
اي ملاحظتهم لصاحبه بالاجلال والاحتشام والهيبة وتعظيمهم له
بالقول والفعل وتغريرهم بالغين المعجمة والراء اي مخادعتهم له يقال
غرته الدنيا غرورا خدعته بزينتها فهي غرور مثل رسول او بالعين المهملة
فالزاي فالراء اي نصرتهم له وتعظيمهم قال في المصباح التعزير في قوله
تعالى ويعزروه النصرة والتعظيم او بالعين المهملة فالزائين اي
اجلالهم له وهيبتهم لمقامه وثنايهم اي مدحهم له كما هو واقع في اولاد الكبرا
جمع كبير وهو صاحب العظمة في الناس من الامرا ارباب الاجناد
والقضاة والمدرسين والمشايخ المشهورين ونحوهم من اعوان السلطان
وارباب الوجاهة والسبب الثاني الجهل بمعنى الاسراف اي عدم العلم
به ما هو او الجهل ببعض اصنافه اي الاسراف التي تقدم بيانها فلا يظنه

اى السرف الذى فعله سرفا من كثرة جهله بل يظنه سخا اى جودا وكرما خصوصا
اذا فهمه غيره ذلك واقره عليه ومدحه به لاشتراكهما اى السرف والسخا
فى بذل غير الشئ الواجب عليه وافتراقهما بصرف المال فى غير مستحقه
سرفا وفى مستحقه سخا او الجهل بحرمته اى الاسراف وضرره للانسان
المسرف على حسب ما سبق ذكره والسبب الثالث الريا والسمعة فانهما
داعيان للاسراف بحيث يحملان الانسان عليه رغبة فى روية الناس ذلك
منه وعده كرما وجودا او سماعهم لفعله ذلك ومدحهم له عليه والسبب
الرابع الكسل اى عدم النشاط فى الخير والتقاعد عن تحصيل مراتب الكمال
مع القدرة على ذلك فيطلب حصول ذلك له عند الناس بالاسراف والتبذير
والبطالة اى عدم الاشتغال بالاشغال الاخروية او الدنيوية والسبب
الخامس ضعف النفس اى عدم قوتها عند مقابلة من يدعوه الى الاسراف
ويطالبه به وهو الذى يسميه الناس حياء فتراهم يكثرون من الاسراف
المذموم فى الشرع ويقولون نفعل ذلك حياء من الناس لئلا يعيبوا
علينا وربما استدان الرجل المال لذلك المعنى والسبب السادس ضعف
الدين فى القلب فلا يهتم له اى للاسراف ولا يبالى به فيسرف وهو عالم بحرمة
الاسراف من غير التفات الى الاعتنا بحكم الله تعالى والمراعاة له ولا طريقة
علاجه اى الاسراف فاما السفه الطبيعى المذكور فزواله عن الانسان عسر
اى صعب جدا اى قويا فلهذا نهى الشارع عن ابتاء المال له اى للسفيه فى قوله
ولا تؤتوا السفها اموالكم كما مر وامرهم اى الاوليا والاوصيا بحجره اى السفيه
يعنى منعه عن الصرف فى ماله صونا له عن الاسراف والتبذير فان اكثر
الفقها الحنفية ذهبوا الى وجوب حجر القاضى على السفيه المسرف قال
فى الاشباه والنظاير فى قاعدة الضرر يزال ومنها جواز الحجر على البالغ
العاقل الحر عند ابى حنيفة فى ثلاث العاجز والطبيب الجاهل والمكارى
المفلس دفعا للضرر العام وفى مختصر المحيط قال ابو حنيفة الحجر
على الحر المبذر باطل خلافا لهما مع انه اى الحجر على السفيه اهدار اى الغا وابطال
للادمية اى للصفة الادمية التى فيه وهى كونه من بنى ادم له ملك يتصرف فيه
كيف ما شا والحاق له بالحيوانات العجم جمع عجما يقال بهيمة عجما لانها لا تفصح
من

من العجمة فى اللسان بضم العين وهى اللكنة وعدم الفصاحة ذكره فى المصباح
والجمادات كالاحجار والاشجار فان قبل اى السفه الطبيعى العلاج
فبالمنع لصاحبه عن مجالسة جلسا السوء الحاثين له على الانفاق والمنفرين
له على الامساك والزامه اى صاحب السفه المذكور مجالسة العقلا والحكما
اى الحكمة الالهية وهم العلما العاملون الناصحون له واستماعه مما ورد
فى الكتاب والسنة فى افات الاسراف كما مر وحمله اى ارغامه على تكلف
الامساك اى ترك الاسراف ولو بالعتاب اى الملامة له والعقاب بالضرب
ونحوه ممن يقدر على ذلك ويملكه واما الجهل المذكور بمعنى الاسراف او ببعض
اصنافه او بحرمته وضرره فيزال عن الانسان بالتعلم لمعنى الاسراف
ما هو ولجميع اصنافه ولحرمته وضرره بحيث يبقى على بصيرة فى امره فلا
يقدم على ذلك وعلاج الريا سبق الكلام على الريا واما الكسل والبطالة المذكوران
وهو اى مجموع الكسل والبطالة الخلق الثانى والثلاثون من الاخلاق الستين
المذمومة فمذموم ذلك فى الشرع جدا اى قويا وحسبك اى يكفيك فيه اى
فى ذمه قوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى بيان لعدم انتفاع الانسان
بعمل غيره من حيث جلب النفع اليه فالكسل والبطالة يفيد ان الحرمان
والحسرة والندامة فى الاخرة حيث يرى اعمال الغير الصالحة ولا عمل له واما
شفاعة الانبيا عليهم الصلاة والسلام واستغفار الملايكة عليهم السلام
ودعا الاحيا للاموات وصدقتهم عنهم وغير ذلك مما لا يكاد يحصى من الامور
النافعة للانسان مع انها ليست من عمله قطعا فحيث كان مناط منفعة
كل منها عمله الذى هو الايمان والصلاح ولم يكن لشئ منها نفع ما بدونه جعل
النافع نفس عمله وان كان بانضمام عمل غيره اليه وقال بعضهم ليس له
غير ~~عمله حسب~~ الا سعيه حسب لكن اسباب سعيه مختلفة فتارة
يكون سعيه بواسطة قرابة او صديق يترحم عليه ويدعو له وتارة يسعى فى
خدمة الدين فيكتسب محبة اهل الدين فيكون ذلك سببا حصل بسعيه
واستعاذة النبى صلى الله عليه وسلم منه اى الكسل رواها اى الاستعاذة المذكورة
خ م يعنى البخارى ومسلم باسنادهما عن عايشة وعن انس رضى الله عنهما فاما
عن عايشة رضى الله عنها اللهم انى اعوذ بك من الكسل والهرم والمأثم والمغرم

الهرم الى اخره خرجه الاسيوطي في الجامع الصغير برمز الشيخين والترمذي
والنسائي وابن ماجة واما عن انس رضي الله عنه اللهم اني اعوذ بك من العجز والكسل
والجبن والبخل والهرم الى اخره اخرجه الاسيوطي ايضا برمز الشيخين واحمد
في مسنده وابي داود والترمذي والنسائي وبالرمز المذكور عن انس ايضا
اللهم اني اعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل الى اخره وفسر معنى الكسل
النووي رحمه الله تعالى في شرح مسلم بقوله واما الكسل فهو عدم انبعاث
النفس للخير وقلة الرغبة فيه مع امكانه وحسبك فيه ايضا كون مقتضاه
اي الكسل يعني غايته ونتيجته هلاك النفس والبدن من كثرة التقاعد
عن المنافع الحسية والعقلية والشرعية وكونه اي الكسل تشبيها للجماد
اي بالجماد كالحجر من جهة عدم التحرك وكمال الجمود في الباطن والظاهر حتى لا يكاد
يتحرك الا بالامر الضروري وكونه ابطالا للحكمة الالهية التي لاجلها خلق الانسان
في احسن تقويم والعلاج العملي اي من حيث العمل للكسل مجالسة ارباب الجد
بالكسر اسم من جد في الامر يجد من باب ضرب وقتل اي اجتهد والسعي وهو
التصرف في كل عمل كذا في المصباح ومجانبة اي مباعدة الكسالى بالضم والفتح
جمع كسلان والبطالين اي الموصوفين بالبطالة وهي عدم الاشتغال بشيء مطلقا
فان من لم يشغل نفسه اشغله الشيطان واما الضعف في النفس وفي الدين
المذكور فيما سبق فانه يعالج بالبنا للمفعول اي يعالجه صاحبه الموجود فيه
بالتامل في ان الحيا من الله تعالى احق واولى من الحيا من الناس وجانب
الله تعالى هو الذي ينبغي للعاقل ان يراعيه ويعتبره لا جانب المخلوق العاجز
وعذابه سبحانه وتعالى للعبد اذا خالفه اشد من عذاب المخلوق اذا خالفه هذا
ما يتعلق بالضعف الاول ضعف النفس واشار الى الضعف الثاني ضعف
الدين بقوله ومجالسة الاقويا اي اصحاب القوة وذوي اي ارباب الصلابة في
الدين المحمدي الذين لا تاخذهم في الله لومة لايم والاحتراز عن مصاحبة الفساق
والمداهنين جمع مداهن من المداهنة وهي المسالمة والمصالحة وفي مختصر
القاموس داهن نافق والمداهنة اظهار خلاف ما تضمر كالادهان والغش
والضعفا في الدين المحمدي اي الذين لا غيرة لهم على نصرة الحق ولا مبالات عندهم
بانتهاك المحرمات فعليك يا ايها الانسان بالتشمير اي الاجتهاد والسعي

البليغ

البليغ اي القوي في ازالة صفة الاسراف عن نفسك فانه اي الاسراف خلق ذميم
اي مذموم شرعا وطبعا قبيح جدا اي قويا ومرض نفساني مزمن يقال زمن الشخص
زمنا من باب تعب وهو مرض يدوم زمانا طويلا والقوم زمنا مثل مرضى
وازمنه الله فهو مزمن كذا في المصباح عسير اي صعب العلاج لرؤيته كرما
وجودا في النفس وفي الغير وعدم التنبه للفرق بينه وبين الكرم
والجود الا ان يتدارك الله تعالى العبد بتوفيقه وعنايته
فيريه اياه مذموما ويخلصه منه بمحض فضله عليه
واحسانه عليه فانه سبحانه وتعالى ميسر
كل امر عسير وهو نعم المولى لكل عبد من عبيده
ونعم النصير للعبد على نفسه
الظالمة له وعلى غيره
والله سبحانه
وتعالى
اعلم
تم

تم الجزء الاول من الحديقة الندية شرح الطريقة
المحمدية تاليف شيخنا واستاذنا
العارف بالله والدال عليه الاستاذ
الاعظم الشيخ عبد الغني
النابلسي قدس الله سره
وروحه ونور ضريحه
ونفع به
امين
والحمد لله رب العلمين وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وامته وعلينا معهم
ويليه في الجزء الثاني
الخلق الثالث والثلاثون